شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي

مخطوطة

نسيم الرياض شرح الشفا بتعريف حقوق المصطفى

المؤلف

شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الجلد الاول من شرح الشفا للقاضي عياض
المسمى بنسيم الرياض في شرح
شفاء القاضي عياض
للمرحوم شهاب
افندي المصري

[illegible] جلده الثاني
[illegible] محمد الامين [illegible]
عفي عنهما

تحقق المصنف المشار اليه في قوله تعالى
وكذلك جعلناكم امة وسطا ان اردت فارجع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نور الخافقين ببعثة النور المبين • وجعلها شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمومنين • فازال ظلمات الضلال المدلهمة • فاذا اهمت افواه الاباطيل باطفاء نوره ابى الله الا ان يتمه • حتى اشرق به مصباح الهداية وقد كاد ان يهم بالانطفاء • واتضح منهج الحق بعد ما اندرس رسمه وعفا • برسالته التي شرح الله بها الصدور وشفا • وانهار به ركن الباطل بعد ما صار من الغواية على شفا • فاكمل الله به المنة على البرية • واحيا به موودات المعارف الالهية في فترة الجاهلية • فصلى الله وسلم عليه وزاده تبجيلا وتكريما • كما امرنا بذلك فقال صلوا عليه وسلموا تسليما • وعلى عترته وصحبه الذين باعوا لله ارواحهم بالجنة وسلموها تسليما • ما درس المداد على كافور الطروس • فعطر ارادن الاذهان والنفوس • هذا وان كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى • كتاب قدره جليل • وهو على جلالة مصنفه ادل دليل • فانه كان في مطمح الانفس اجل اعيان الاندلس • جاء على قدر • وسبق لنيل المعالي وابتدر • فاستيقظ لها والناس نيام • وورد ماءها وهم صيام • فتحلت به للعلوم نحور • وتجلت له منها عرائس وحور • كانهن الياقوت والمرجان • لم يطمثهن انس قبله ولا جان • ولحقته بالاصالة رداها • وسقته دره واثداها • والقت اليه الرياسة مقاليدها • وملكته طريفها وتليدها • وهو على اختصاصه بهذه المرتبة الرفيعة • واعتنائه باعلاء معالم الشريعة • يعتني باقامة اود الادب • وينسل اليه اربابه من كل حدب • مع عفاف وصون • اعدم الفساد بعد الكون • وقد وفى ببيان بعض ما يجب من اياته • ونثر على كاهل الدهر الوية الثناء بين يدي صفاته • مما يحق له ان يكتب بالنور • في صحائف وجنات الحور • وتنقش بقلم العقل معانيه • وتخط على الواح الاذهان مبانيه • صحف انزعت بشهد حلاه • في كل حرف لذاك كان شفاء • ولعمري لقد نثر الدر فيه من فيه • وبلغت اماليه مما كانت تنويه من التنويه • حيث لو ان الميت نودي باسمه • لاصبح حيا بعد ما ضمه القبر • وقد كنت قديما وحديثا • يحثني حادي الشوق نحوه حثيثا • وتصيب الصبا قضبه موارقة الازهار ورياضه الزاهية محفوفة بروح وريحان • لشغفي بصفاته وموصوفه • وطربي بسماع تليده وطريفه • ممتلا لحميا شفت عنها ظروف حروفه • لا ازال اقفو العين بالاثر • منشدا وقد ناب

السمع

السمع عن البصر • فانني ان اري الديار بطرفي • فلعلي اري الديار بسمعي • وكان يصدني عنه ما في الباع من القصر • وزمان لا يعرف فيه ورد من صدر • ثم قلت لضيف الفكر • خير الطعام ما حضر • وان لم تخل قصورها المشيدة من قصور • وفي بعضها اغاليط • وتطويل ممل وتخليط الا ان تعليل الناس ليس صريح بدايتها • والبحث فيها من على دعايتها • فتلا لي ما فيها من تلاعب الظنون قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون • فسودت بعض الامالي رجاء ان تمحى بها صحف اعمالي • فتيسر بها كاتب اليمين • وترفعها ايدي الكرام الكاتبين • فلما راه بعض الاصحاب سالني ان ابرز مخدراته من خلف الحجاب • والح علي في ذلك دفعة بعد دفعه • وانا اقول له هذا ياسمين لا يساوي وهو يمد بين املة • لاقتطاف وردة له لا تجتنى • ويهزبن وق ثمرته الغضة الجناه • وفضته بريح القبول ما تربحت • ووردته بنسيم السحر ما تفتحت • كعذرا ابصرها مفصر فعطلت بالكام ما راسها • ثم عرض لي بغتة ما اضر بجوهر القوى من العرض • فقصدت شفاء الروح والبدن باشاد الجسم الضعيف لحديثه الصحيح الحسن • رجاء الظفر بسعادة الدارين • مما فيه من عين القرة وقرة العين • لتشتفي امراض القلب اذاات الساعه • فتلت منه بحمد الله ترياقا مجربا وبرء ساعه ولما انجلى على منصة التمام • وفض منه مسك الختام • سميته نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض • رجاء ان تهب عليه ريح القبول • وان كانت لنسمات الامال عليله • وتشمله نفحة من نفحات الرسول • فتشتفي من الظما غليله • واعلم ان سندي في هذا الكتاب وغيره من كتب الحديث سلسلة الذهب من طرق عاليه • اعلاها روايتي عن خاتمة المحدثين ابراهيم العلقمي • وهو عن اخيه الشمس العلقمي شارح الجامع الصغير عن الجلال السيوطي بقراته عليه من اوله الى اخره بالجامع الازهر • وسند السيوطي اشهر من الشمس في رابعة النهار • وعن شيخ الاسلام شافعي زمانه الشيخ العلامة الرملي عن والده عن شيخ الاسلام زكريا الانصاري وعن والدي قدس الله روحه عن ابن حجر الهيتمي وهكذا كابرا عن كابر الى المصنف رحمه الله • وهو عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي قاضي سبتة بالمغرب صاحب التصانيف الجليلة كشرح مسلم وغيره وله تبحر في العلوم النقلية والعقلية واما ادبه وبلاغة شعره فحدث عن البحر ولا حرج • ووفاته يوم الجمعة بمراكش في جمادى الاخرة سنة اربع واربعين وخمسمايه وما قيل من انه قتل لا اصل له • وفيه يقول علي بن هارون

ظلموا عياضا وهو يحلم عنهم • والظلم بين العالمين قديم •
جعلوا مكان الراء عينا في اسمه • كي يكتموه وشانه معلوم •
لولاه ما فاحت اباطح سبتة • والروض حول فنائها معدوم •

وفي طبقات ابن فرحون لعلماء المالكية انه كان اماما في الفقه والتفسير والحديث وسائر العلوم خطيبا بليغا وذكر من تاليفه نحو ثلاثين تاليفا جليلة • وانشد له من شعره

الله يعلم انني مذ لم اركم • كطاير خانه ريش الجناحين •
ولو قدرت ركبت الريح نحوكم • وان يكن بعدكم عني جناحين •

وقوله

انظر الى الزرع وخاماته • يحكي وقد ماست امام الرياح •
كتيبة خضراء مهزومة • شقايق النعمان فيها جراح •

قال واليحصبي بفتح المثناة التحتية وسكون الحا المهملة وضم الصاد ويقال بكسرها ونون والف بعدها طا مهملة وهاو ويقال اغرناطه بالف قبل الغين ايضا انتهى • وقرات في ديوان ابن المقري اليمني الشافعي كتاب الشفا ما شاهدوا بركته حتى لا يقع ضرر لمكان كان فيه ولا تغرق سفينة كان فيها

الألوكة
www.alukah.net

وانه اذا قراه مريض شفاه وهو مجرب وكان ابتلى بمرض فقراه فعافاه الله منه • وقال في ذلك شعر

ما بالكتاب هواي لكن الهوى • امسى بمن امسى به مكتوبا

كالدار يهذي العاشقون بذكرها • شغفا بها اشمولها المحبوبا

ارجو الشفاء تفاؤلا باسم الشفا • لحوى الشفا وادرك المطلوبا

وبقدر حسن الظن ينتفع الفتى • لا سيما ظن يصيح مجيبا

وانا ممن جرب بركته وشاهدها والحمد لله وانا لنرجوا فوق ذلك مظهرا • واعلم ان في الشفا بعض احاديث ضعيفه وقليل مما قيل انه موضوع تبع فيه ابن سبع في شفايه وقد نبه على ذلك كله الجلال السيوطي في كتابه مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا ولم ينصف الذهبي في قوله انه محشو بالاحاديث الموضوعة والتاويلات الواهية الدالة على قلة نقله مما لا يحتاج قدر النبوة له ثم قال فعليك بدلايل النبوة للبيهقي فانه كله هدى ونور وقال الذهبي انه قلد فيما ذكره ابن سبع • وكفى المرء نبلا ان تعد معايبه • وهو تحامل منه لا ينبغي وسترى ان شا الله تعالى ما ذكره في محله فانا لم نترك شيئا يحتاج اليه قاري هذا الكتاب ان شا الله

بسم الله الرحمن الرحيم ابتدا بالبسملة مردفة بالحمدلة عملا بالحديث المشهور وهو كل امر ذي بال لم يبدا فيه بالحمد لله اقطع وفي رواية ببسم الله الرحمن الرحيم وفي اخرى بذكر الله والاشكال في تعارض هذه الروايات مشهور وهذا التوفيق بينهما بحمل الابتدا على العرفي الممتد او مجرد التقديم على المقصود وهما متقاربان وكذا ما قيل من ان رواية البسملة يرد عليها الاذان والخطبة ونحوهما من بعض الامور المهمة مما لم يبدا بها فيه • واجيب بان المراد في الروايات كلها الابتدا باحدهما او بما يقوم مقامه بدليل الاكتفا تارة بالبسملة وتارة بالحمدلة وتارة بغيرها فاندفع الاشكال واشكال التدافع ايضا او يحمل المقيد على المطلق وهو ذكر الله فالكلام على هذا اشهر من قفا نبك فلا افادة في الاعادة

وههنا اشكال ابداه شيخ مشايخنا السيد عيسى الصفوي رحمه الله وتلقاه من بعده بالقبول من عاصره من ابنائه وهو ان جملة البسملة لا تخلو من ان تكون خبرية او انشائية ويتجه على الاول ان من شان الخبر الصادق ان يتحقق مدلوله بدونه في نفس الامر ويكون الخبر حكاية عنه كما اتفقوا عليه وما نحن فيه ليس كذلك لان مصاحبة الاسم والاستعانة به من تتمته وهما لا يتحققان الا بهذا اللفظ المخصوص الا ان يجوز مثل ذلك في نحو قولك تكلم او قوم متكلما مخبرا بتكلم حصل بهذا اللفظ وفيه توقف وعلى الثاني اذ من شان الانشا ان يتحقق مدلوله به واصل جملة البسملة ليس كذلك غالبا اذ الاكل والسفر ونحوهما مما ليس يقول لا يحصل بالبسملة فان كانت لانشاء المصاحبة او الاستعانة يلزم ان تكون الجملة لانشاء متعلقها والاصل غير مقصود بوجه ولو قيل ان المعنى ابتدائي او افتتح اي اجعله بداية الفعل والجملة لانشاء الجعل وانه بداية كل شيء كما نقل عن الامام لا يلزم مما مر الا انه خلاف المشهور ولا يتم ايضا على تقدير الخبرية لان المصاحبة والاستعانة به من تتمة الخبر وهما لا يتحققان الا بهذا اللفظ وهو شان الانشا على انه لا يجري حقيقة الا في نحو التاليف مما يكون بداية له حقيقة واجراؤه فيما سواه يحتاج للمسامحة اقول الظاهر ان هذه الجملة انشائية لانشا التبرك الموقوف على التلفظ بالبسملة وما توهمه هذا القائل على تقدير الانشائية من الخيالات الواهية والاوهام الفارغة وقوله انها لانشا المتعلق ومثله في غاية الندور وعدم صحته في غاية الظهور الا ترى ان ادوات الاستفهام باسرها تدخل على الجمل المتحقق مضمونها خارجا فتصير بجملتها انشا كما تقول من راى شخصا قائما لم يحط بشخصه واحواله خبرا من قام او على اي حال قام وهكذا اما لم يحط به نطاق الحصر ولم يحم حوله الندرة ولا يقال انه مع تحقق القيام في الخارج انه لانشا المتعلق وكذا كم غلط وقع منك ورب صواب صدر من غيرك كما صرح به الرضي واما كونه لانشاء

الجمل

الجمل فتعسف من غير داع لارتكاب مثله وانا اعجب من هذا الفاضل كيف زعم وروده ما قال وممن ارتضاه من فحول الرجال شعر وعين الرضى عن كل عيب كليلة • كما ان عين السخط تبدي المساويا

وفي النسخ قال القاضي الفقيه ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رضي الله عنه قال في القاموس يحصب مثلثة الصاد حي بالنسبة مثله ايضا الا ابا الفتح كما زعم الجوهري وكيضرب قلعة بالاندلس انتهى • وفي لباب الانساب لابن الاثير اليحصبي بفتح اليا وسكون الحا المهملة وقيل بضمها وكسر الصاد وهذه النسبة الى يحصب وهي قبيلة من حمير سميت باسم ابيها يحصب بن مالك قلت هكذا ضبطه ابو سعيد بالصاد المكسورة والصحيح فتحها لان يحصب بالكسر فيفتح في النسب كنمري ويعلى انتهى قلت بهذا عرفت ان رد صاحب القاموس على الجوهري مردود لا لانه قول بل لانه القياس المطرد في امثاله وما خالفه شاذ لا يعول عليه وهذه الاوصاف ليست من كلام المصنف وانما كتبها من بعده توقيرا له ولقب ابي الفضل كما قيل شعر

ابا الفضل من احرى الى الفضل نافعا • فصار به يدعى وصار به يكنى

الحمد لله الحمد هو الوصف بالجميل على الجميل الصادر بالاختيار حقيقة او حكما على وجه التعظيم ظاهرا وباطنا بان لا يصدر مما يخالفه ولا يلزم اعتقاد اتصاف المحمود بالجميل المحمود المذكور عند متاخري المحققين وفي هذا المقام كلام طويل الذيل ليس هذا محله • والله اسم للمعبود بحق المستوجب لجميع المحامد وفي علميته وفي اصله ما يغنيك عن ذكره شهرته • والمراد ان جنس الحمد او جميع افراده مختصة به تعالى فان قلنا الاختصاص الذي يدل عليه اللام بمعنى الانحصار وضعا او بمعونة المقام يحمل الاختصاص الذي ذكره على الفرد الكامل اما على المبالغة تنزيلا لغيره منزلة العدم او منزلة حمده تعالى لانه مبدا كل جميل او على الحقيقة لان المحمود عليه بخصوصه بالاختيار بالذات ولا اختيار لغيره بالذات عند البعض وهذا بنا على حمل الاختيار على الحقيقي الذاتي والاول بناء على حمله على العرفي الظاهري ولكل وجهة ولو اريد بالاختصاص هنا العلاقة والمناسبة الكاملة فلا تكلف على ما فصله شراح التلخيص والعضد وفي شرح السيد ان جملة الحمد لانشاء الحمد لانها من صيغ الحمد شرعا او لدلالتها على الاتصاف بجميل ولو عرفا فيصدق تعريف الحمد عليها وفيه نظر وههنا بحث ابداه ابن الهمام في شرح البديع فقال جملة الحمد اخبار صيغة لا انشاء معنى كصيغ العقود وبالغ بعضهم في انكار كونها انشاء لما يلزم عليه من انتفا الاتصاف بالجميل قبل حمد الحامد ضرورة ان الانشا يقارن معناه لفظه في الوجود ويبطل من جهتين احدهما ان الحامد ثابت قطعا بل والاخرى انه لا يصاغ لغة للمخبر عن غيره من متعلق اخباره اسم قطعا فلا يقال لقايل زيد فلو كان الحمد اخبارا لهما لم يقل القايل الحمد لله حامد ولا ينفي الحامدون وهما باطلان فبطل ملزومهما والاوزم من المقارنة انتفى وصف الواصف المعين لا الاتصاف وهذا لان الحمد اظهار صفات الكمال الثابتة لا ثبوتها نعم يترا اي لزوم كون كل مخبر منشيا حيث كان واصفا للواقع ومظهرا له وهو توهم فان الحامد ماخوذ فيه مع ذكر الواقع كونه على وجه ابتداء التعظيم وهو ليس جزء ماهية الخبر فاختلف الحقيقتان وظهر ان الغفلة عن اعتبار هذا القيد جزء ماهية الحمد وهو منشا الغلط اذ بالغفلة عنه ظن انه اخبار لوجود خارج يطابقه وهو الاتصاف ولا خارج للانشا وانت تعلم ان هذا خارج جزء المفهوم وهو الوصف بالجميل وتمامه وهو المركب منه ومن كونه على وجه ابتداء التعظيم لا خارج له انتهى اقول ما مر في البسملة وهو تعسف لا وجه له فان هذه الجملة يصح فيها الخبرية والانشائية من غير ارتكاب لمثل هذه الاوهام فان انكاره الانشا لانه يلزمه انتفا الاتصاف بالجميل واه جدا لانه انما انتفى الوصف

الألوكة
www.alukah.net

لا الانصاف وسياتي ما بينهما وقد كفانا بجيانه مؤنته • واما ابطاله الخبرية فقولهم حامد وحماد مغالطة عجيبة لانه ليس نظير من قال زيد قايم بل نظير من قال زيد متكلم فانه مخبر ويصح ان يوصف بانه متكلم ايضا لا لاتصاف المخبر بما اخبر به عن غيره ومشاركته له في ذلك كما ان المخبر عن الحمد والاتصاف بالجميل واستحقاقه للتعظيم مع اعتقاده لذلك ظاهرا معظم فهو حامد وواصف له وهو ظاهر لمن نور الله بصيرته وقوله الي الحامد الخ ممنوع فانه انما يوجد فيه ذلك اذا لم تتمحض للاخبار فحينئذ يكون التعظيم وابتداؤه لازما له لا جزؤه وقد بسطنا هذا في العناية فحسبك من القلادة ما احاط بالعنق **المنفرد** قال الراغب الفرد الذي لا يختلط بغيره وهو اعم من الوتر واخص من الواحد وجمعه فرادى قال تعالى لا تذرني فردا اي وحيدا ويقال في الله فرد تنبيها على انه مخالف للاشيا كلها في الازواج المنبه عليها بقوله تعالى ومن كل شي خلقنا زوجين وقيل معنا المستغني عما عداه فهو كقوله غني عن العالمين فاذا قيل هو فرد فمعناه منفرد بوحدانيته مستغن عن كل تركيب وازدواج تنبيها على انه مخالف للموجودات كلها ومنفرد في كلام المصنف ضبط بالنون والتا الفوقية من باب الانفعال والتفعل ومعناه ما مر وفسر ايضا بعدم مشاركة غيره له في ذاته وصفاته وكلما يختص به من نعوت جلاله والمراد هنا تفرد مخصوص بمتعلقه الاتي واطلاقه على الله تعالى اما لثبوته كما يشعر به كلامهم اوللاكتفا بورود ما يشاركه في مادته ومعناه او بنا على جواز اطلاق ما لا يوهم نقصا مطلقا او على سبيل التوصيف دون التسمية كما ذهب اليه الغزالي والانفعال للمطاوعة والمراد انه بدون صنع فتفرده بذاته لذاته وكذا التفعل للصيرورة بدون صنع ايضا كتحجر الطين اي صار حجرا صلبا من غير مدخل للغير كتكون وتولد وكذا توحد الا انه قيل فيه انه في الاصل للتكلف فاريد به غايته وهي الكمال والمبالغة لان المتكلف يبالغ فيما تكلفه وبناؤه فيه كما قيل في المتكبر **باسمه الاسمى** البا صلة المنفرد والاسم اما من السمة بمعنى العلامة او من السمو كالعلو لفظا ومعنى • قيل وفي قوله الاسمى ايما الى الثاني والبا اما للتعدية لانه يقال تفرد وانفرد بكذا اذا استقل به او للملابسة والارجح الاول ويرجح الثاني بافادته التفرد المطلق وتضمنه الرد على من يقول بمشاركة ذاته لساير الذوات في الماهية وتميزها بالصفات العلية والاسمى افعل تفضيل بمعنى الاعلى من السمو وهو العلو والاضافة تابى لما تاتي له اللام فان كانت للعهد بان يراد به لفظ الله لاشتهار انه اسم الذات وما سواه اسما صفات فالمفضل عليه ما سواه من اسمائه الكريمة وفيه اشارة الى انه الاسم الاعظم كما ذهب اليه كثير وفيه اقوال كثيرة اخر مشهورة او للجنس فالمراد به اسماؤه المختصة به كالرحمن والرزاق او مطلق اسمايه لاختصاصها في الحقيقة وان اطلق بعضها على غيره كالملك فانه بمعنى آخر وفي البدايع لابن القيم اسماؤه تعالى التي تطلق عليه وعلى غيره كحي وسميع هل هي حقيقة فيه تعالى مجاز في غيره او مجاز فيه حقيقة في غيره او حقيقة فيهما اقوال اظهرها الاخير فتدبر وعلى الثاني المراد ان كل اسم من اسمائه اشرف مما سواه وشرف الاسم بشرف مسماه فان قلت قال ابو حنيفة في الفقه الاكبر اسماء الله وصفاته مستوية في العظم والفضل لا تفاوت بينها وهو مناف لما ذكر قلت مراده روح الله روحه انها من حيث اضافتها الى المسمى والموصوف لان مسمى جميع الاسما والموصوف بجميع الصفات واحد وهو الله تعالى واحد وهذا لا ينافي التفاوت في حقايقها من حيث ان بعضها في حيطة بعض لتقدمه رتبة وبحسب الظهور كالالوهية التي يشمل حيطتها اكثر الصفات والعلم وقد صرحوا ايضا بتفاوت الصفات في نفس معانيها وحقايقها كالعلم بالنسبة للقدرة والقدرة بالنسبة للارادة فعدم التفاوت بين الاسما ليس الا لاستوايها بحسب الاضافة الى الذات

كما فضله

كما فضله الشيخ بها الدين في شرح الفقه الاكبر وفيه ايضا ان ايات القران متساوية في الفضل قال الشارح تساويهما من جهة القرانية واضافتها الى الله وان كان لبعضها فضيلة الذكر والمذكور كاية الكرسي واياة القصص وعليه يترتب ما روي في فضايل السور **المختص** اختص يكون لازما ومتعديا يقال اختصه بكذا فاختص فيجوز في المختص ان يكون اسم فاعل ومفعول على التقديرين فيه قبل الادغام والاظهر انه اسم فاعل من اللازم بمعنى منفرد ومستقل وفي الصحاح خصه بالشي خصوصا وخصوصية والفتح افصح وخصيص واختصه بكذا اخصه به وفي شرح السيد القياس ان تدخل الباء التي هي صلة الاختصاص على ما لا يوجد الشي في غيره فتقول المختص به الملك كما يقال اختص السواد بزيد وكثيرا ما تدخل على ما لا يوجد في الغير كما فعله المصنف وهو فصيح ايضا والمعنى على التقديرين واحد اي هذا الملك لا يكون لغيره والثاني اكثر استعمالا والاختصاص حينئذ مجاز عن التمييز اي تميز عن غيره بالملك وهذا ملخص ما قاله القوم في شروح الكشاف وحواشي المطول وهو مع اشتهاره وتلقيه بالقبول عند من يرى التقليد شريعة منسوخة غير مقبول وفي شرح المفتاح للسعد ادخال الباء في المقصور عليه هو الاستعمال العربي العامي وادخالها في المقصور هو الاستعمال الشايع العربي وقال قدس الله سره الاصل في لفظ التخصيص والاختصاص والخصوص ان يستعمل بادخال الباء في المقصور عليه فيقال اختص الجود بزيد اي صار مقصورا عليه الا ان الاكثر في الاستعمال ادخالها على المقصور بنا على تضمين معنى التمييز والافراد وقيل انه مجاز صار بمنزلة الحقيقة لشيوعه هذا زبدة ما تمخضته الافكار وانا اقول هذا كلام غير محرر لان الظاهر انه يسند حقيقة لكل منهما وقد يترجح احدهما بحسب المقام فان الفاعل الحقيقي من قام به الفعل لا من اوجده كما حقق في الاصول فاذا اسند الى احدهما حقيقة تعين دخول الباء على الاخر لان قيام الاختصاص به اما بحسب نفس الامر والاستحقاق او بقهر وتغلب فعلى الاول يسند حقيقة للمقصور لانه اختص بنفسه وعلى الثاني يسند للمقصور عليه حقيقة لانه بفعله مثاله لو مات رجل عن ابن وخال يختص المال بالابن فتقول اختص مال فلان بابنه دون خاله فلو كان له ابنان حاز احدهما المال كله تغليبا فالاولى ان يقول اختص الابن بالمال فيتعين دخول الباء على المقصور عليه وفي الثاني بالعكس فالظاهر ان كلا منهما فصيح صحيح لغة حينئذ فيهما واحد كما زعمه ومع هذا انه مجاز خبط وفي كلام اللغويين ما يصرح بما قلناه ثم انه قوله تعالى يختص برحمته من يشا يختص فيه متعد واسناده الى الله وادخال الباء على الرحمة اشارة الى انه بمحض لطفه وكرمه ولو اسنده اولا للرحمة او هو خلافه فتامله فانه دقيق جدا **بالملك** الظاهر انه هنا بضم الميم وان جوز الكسر والفتح وهو ابعدها وهو الاختصاص بقدرة التصرف في الامور المملوكة بتقليد الاوامر والنواهي وفسر بالاحتوا على الاشيا قادرا على الاستبداد بها وقد يراد به لازمه المحتوي عليها والعظمة والفرق بين المضموم والمكسور له تحقيق بديع في كشف الكشاف وبينهما عموم وخصوص فان الاول السلطنة والثاني ملك الاعيان وقد يجتمعان والملكوت فسر بالملك والسلطنة وتارة للمبالغة كرحموت وجبروت وقد فرق بينهما بان الملك عالم الشهادة والاجسام والملكوت عالم الغيب والارواح وهو فرق لغوي وقيل اصطلاحي لاهل الحكمة والتصوف والبا داخلة على المقصود وقد سمعته آنفا **الاعز** افعل تفضيل من العز والمنعة قال الراغب العزة حالة مانعة للانسان عن ان يهان او يقهر ويغلب من قولهم ارض عزاز اي صلبة كانه في عزاز اي محل يصعب الوصول اليه كالجبل الشامخ وهذا مما قاله اهل اللغة قاطبة ومن لم يقف عليه قال في شرحه معنى كونه اعز احتواؤه عليه منزه من كل احتواء ولا ينبغي ان يفسر الاعز هنا بالاشد لانه لا معنى لوصف الملك بالشدة والصلابة **الاحمى** افعل تفضيل من حميته حماية فهو محمي وحمي اذا صنته والمحمي مصون واصله ارض يمنع من قطع نباته ورعيه

الألوكة
www.alukah.net

وكانوا يفعلونه في الجاهلية كما يريدون فلما جا الاسلام نهى عنه صلى الله عليه وسلم فقال لا حمى
الا لله ورسوله فلذا امتنع شرعا الا باذن الامام لمصلحة واحمى اسم تفضيل على خلاف القياس ان كان
بمعنى المفعول كاشغل من ذات النحيين او على القياس بمعنى الفاعل بجعله كانه يحمي نفسه لعظمته ان يصل
اليه احد بحماية اعظم من حماية كل حام لملكه كجوهرة نفيسة وجدها فضل لا يسعه ان يدعي انها ملكه
لعظمة قدرها عنده كانها حمت نفسها عن تملك مثله لها كما قيل في مقدمة الكتاب اذا كانت من قدم المتعدي
كانها قدمت نفسها وهو المناسب لقوله الاعز فاسناده مجازي والمعنى على الاول ان ملك غيره اذا كان
محميا فملكه تعالى محمي بحماية اقوى من كل حماية لانه ملك لا يصير لغيره الا الى الله تصير الامور ولا حاجة
لتجريده عن معنى التفضيل على انه وما قبله بمعنى العزيز المحمي كقوله بيت دعائمه اعز واطول •
على راي وان قيل بانه مقيس لان المسموع خلافه كقوله شعر
• اكر واحمى للحقيقة منهم • واضرب منا بالسيوف القوانسا •
وما قيل من انه على القياس من غير حاجة لما مر لان ملك الله واحتواه على العوالم اكثر منعا لغيره من التوصل
اليه واشد منعا لغيره من التوصل اليه بما نصره فهو اشد منعا من ساير املاك المالكين لا محصل له
ولا وجه له لانه ان اراد الادعا فهو بعينه ما قدمناه وهو انه غيره من قلة التدبر وان اراد غير ذلك فلا
معنى له الذي صفة لله او للملك يعني مالك ملكه لا شيء قبله ولا بعده ليس دونه دون لها معان
قال الصاغاني تكون بمعنى غير وبمعنى خسيس وشريف والاول مشهور وعليه قوله شعر
• اذا ما علا المرء رام العلا • ويقنع بالدون من كان دانيا •
ولا فعل له وقيل يقال دان يدون دونا وهي هنا بمعنى فوق او امام ويجوز ان تكون بمعنى ورا او غير
منتهى اسم مكان او مصدر ميمي من انتهى اذا بلغ النهاية ويكون انتهى بمعنى انزجر وانكف كما في قوله شعر
• لا تنتهي الا النفس عن غيها • ما لم يكن منها لها زاجر •
وكونه اسم مفعول مع لزومه ولا صلة معه تكلف بغير داع له ولا وراه ورا نقيض قدام ويكون بمعناه ايضا
فهو من الاضداد او هو مما وارى عنك غيرك او واراك عن غيرك فهو مشترك بينهما اشتراكا معنويا
وليس من الاضداد ويكون بمعنى بعد وبمعنى غير مرمى بميمين مفتوحتين بينهما را ساكنة وهو مقصور مفعل
من الرمي وقد ورد استعمال هذا اللفظ بعينه واطلاقه في حق الله تعالى في الحديث فروى المصنف في مشارقه
وابن الاثير في نهايته وغيره ليس ورا الله مرمى وتكلمت به العرب العربا وبما هو بمعناه قديما كقول النابغة شعر
• حلفت فلم تترك لنفسك ريبة • وليس ورا الله للمرء مطلب •
قال في النهاية اي ليس بعد الله لطالب مطلب لان العقول وقفت ثمه فليس ورا الله ولا ورا معرفته والايمان
به غاية تقصد انتهى كما قيل شعر على نفسه فليبك من ضاع عمره • وليس له منها نصيب ولا سهم •
وفي المشارق ليس ورا الله مرمى اي مطلب للطالب والمرمى الغرض الذي يرمى اليه واليه منتهى سهم الرامي
وبه يجوز السبق كما الى الله انتهت العقول ووقفت فليس ورا معرفته والايمان به ملتمس ولا غاية يرمى اليها
انتهى • فالذي ان كان صفة للملك فالمراد انه ليس قبل ملكه شيء ينتهي اليه ويتصل آخره باوله وليس بعده
شيء تتصوره العقول وان كان صفة لله فالمراد انه الدايم الواجب الوجود وما عداه فهو حادث اوجده وابدعه
فهو بمعنى الاول الآخر فيتصل بما بعده اتصالا ظاهرا وعلى الاول يكون كالاحتراس المتمم لما قبله لانه لما ذكر
اختصاصه بالملك الاعز فقد يتوهم مشاركة غيره او اختصاصه بملك غير اعز فقال ليس قبل ملكه شيء ولا بعده
شيء فهو مالك كل ملك وخالقه فلا يخرج شيء عن حوزة ملكه وعلى كل حال فالمرمى محل الرمي والهدف فاريد به
الغرض الاقصى الذي ترمى له الآمال وتتوجه نحوه وجوه التضرع والابتهال فهو استعارة تمثيلية استعيرت

مخلا

من حال الرامي في توجهه لاصابة المرمى بحال العارف الذي معرفة الله اقصى مطالبه ومطمح خواطره
كما قيل شعر يا مطلبا ليس لي في غيره ارب • اليك آل التقصي وانتهى الطلب
ولك ان تقول ان كلام المصنف في فاتحة خطابه كقول رب العزة في فاتحة كتابه فان قوله الحمد
لله المختص اشارة الى المبدا الفياض وان الكل منه وله كالحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وليس دونه
منتهى الى آخره اشارة الى المعاد كقوله مالك يوم الدين • ولما كان ذكره بصفاته وانعامه في
الدارين المقتضي للتوجه اليه بكل وجه حتى يصير كالمشاهد المحسوس الذي يوجه اليه الخطاب
بقوله اياك نعبد الى آخره اتى هنا بما هو بمنزلته وهو قوله الظاهر هذا هو المناسب للمقام ومما ذكرنا
من انه على سبيل التمثيل لا يرد عليه ان ورا او دون ومامعه امور تقتضي التحيز والجهة ومثله لا
يجوز استعماله في حقه تعالى لان الاستعارة التمثيلية لا تجوز في شيء من مفرداتها واجزائها وما
قيل من ان معناه ليس تحته محل انتها ولا بعده مرمى ومنتهى بمعنى مجاز مرسل كمرسن لانه مقصد الرمي اريد
به مطلق المقصد صحيح لكن ما ذكرناه انسب بالمقام واوفى باداء المراد وما قيل عليه من انه خطا لانه لا بد فيه
من كونه فردا من افراد المطلق والهدف قد لا يكون مقصودا مع ان ابن الاثير جعل العلاقة فيه المشابهة كلام
لا وجه له ولا طايل تحته لان الهدف دايما يقصد للرمي والقصد بالفعل ليس بلازم وما قاله ابن الاثير يخالف
للجمهور ولا يلزمنا اتباعه وقيل المعنى انه ليس في جهة وحيز فنفي الشيء ينفي لازمه والظاهر من اسمايه تعالى
وهو في الاصل اسم فاعل من ظهر اذا بدا ولم يخف ويقابله الباطن ثم عم كل محقق معلوم بالبصر او بالبصيرة
وهو المراد هنا لمقابلته بالباطن وان فسر بالغالب من ظهر عليه اذا غلبه وقد صح وسمع كما ورد انت الظاهر
فليس فوقك شيء وفي شرح المواقف الظاهر المعلوم بالادلة القاطعة فهو صفة اضافية وقيل الغالب فهو
صفة فعلية من ظهر عليه اذا قهره والباطن المحتجب عن الحواس بحيث لا يدرك اصلا فهو صفة سلبية وقيل
العالم بالخفيات انتهى وقال الراغب الظاهر الباطن من صفات الله ولا يقال الا مزدوجا كالاول والآخر
فالظاهر قيل انه اشارة الى معرفته البديهية فان الفطرة تقتضي في كل نظر انه موجود ولذا قال بعض الحكما
طلب معرفته طلب الجزو في الافاق ما هو معه والباطن باعتبار معرفة حقيقته وذاته ولذا قال الصديق
غاية معرفته القصور عن معرفته وقيل هو ظاهر باياته باطن بذاته قال المرتضى تجلى لعباده من غير ان راوه
فاراهم نفسه من غير ان يتجلى لهم انتهى • اقول قد عرفت مما ذكرناه ان الظاهر اذا اطلق على الله معان هو
باعتبار بعضها مقابل للباطن ولا يستعمل حينئذ الا مزدوجا وباعتبار الآخر يطلق عليه مفردا فما قاله الراغب
ليس على اطلاقه وفيه كلام حققناه في شرح اسما الله الحسنى لا تخيلا ووهما يعني انه ظهوره تعالى يتحقق
بمكشوف للعقول وتعين صادق عند من له بصيرة لقيام الادلة القاطعة والبراهين البينة الدالة على وجوده
ووحدانيته لا بحسب التخيل والوهم وقيل لا بحسب الظن والسهو وقيل لا بحسب الطرف الراجح او المرجوح او لا بحسب
ادراك القوة المتخيلة والواهمة فان من شانهما ادراك ما لا تحقق فقلت المتخيل والموهوم على كل ما لا تحقق له
فنفى ان يكون ظهوره كذلك انتهى وهذا الاخير هو الاصوب وذكره السهو لا وجه له وان وقع ذلك في كلام اهل اللغة
لان الاستعمال على خلافه وقال الراغب التخيل تصور خيال الشيء في النفس والتخيل تصوره وخلت بمعنى
ظننت يقال باعتبار تصور خيال الشيء المظنون في النفس وفي حواشي شرح المطالع الفكر حركة النفس في
المعقولات والتخيل حركتها في المحسوسات والوهم خطرات القلب ومرجوح طرفي التردد والغلط في المقتضي الوهم
بسكون الها وفي الصحاح وهمت في الحساب اوهم وهما بسكون الها اذا غلطت فيه وسهوت ووهمت في الشيء
بالفتح اوهم وهما بسكون الها اذا ذهب وهمك اليه وانت تريد غيره وقال ابن القطاع وهمت الى الشيء ووهم واوهم
بمعنى ونصبهما على الحال او التمييز او بنزع الخافض فالمعنى ما مر وقيل المراد ان معرفته بحسب اليقين لا باذراك

الألوكة
www.alukah.net

القوة المتخيلة او الواهمة التي تدرك ما لا تحقق له • والفرق بينهما ان المتخيلة هي القوة المتصرفة
في الصور والمعاني بالتركيب والتفصيل كتصور شخص براسين واختراع ما لا حقيقة له كالغول
والواهمة القوة المدركة للمعاني الجزئية الموجودة في المحسوسات كادراك الشاة عداوة الذيب ورد هذا
بانه مبني على فلسفة لا يرتضيها اعلام السنة الا اذ يقال انه ابطال ونفي له ولا ضير في مثله وليس في وصف
الله بانه ظاهر ما يدل على ان ذات الله معلومة للبشر بالكنه وان اختلف في وقوع ذلك وامكانه على ما
فصل في الاصول فلا حاجة للتعرض له هنا على انه في اقترانه بقوله **الباطن** ما يدل على خلافه لانه بمعنى
الذي لا يدرك بالابصار ادراك احاطة لقوله تعالى لا تدركه الابصار كما حقق في محله وقد وقع في
اكثر النسخ بدون عاطف كما ذكرناه وهو الصحيح رواية لان الصفات كلها وقعت متصلة بدون عطف
لما بين المتفرد والمختص من كمال الاتصال ولما بين الظاهر والباطن من التقابل فلو عطف هنا توهم انهما
لا يجتمعان كما في قوله عز وجل مسلمات مومنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا فان عطف
الصفتين الاخيرتين لعدم اجتماعهما وهنا ليس كذلك لان المراد انه في حالة واحدة ظاهر لكثرة الادلة وفور
وبعوث ذاته وافعاله التي لا تخفي باطن خفي عن ادراك كنه ذاته وحقيقة صفاته وحجب الانوار اللاهوتية
في عالم الشهادة عن مشاهدته وهذا مما اهمله اهل المعاني في مباحث الفصل والوصل بل في كلام بعضهم ما
يدل على خلافه وقد تعرض له بعض المتاخرين واشار اليه العلامة الزمخشري في مواضع في كشافه كاول سورة
غافر وقال السيد عيسى الصفات الجارية على واحد قد ذكر للعطف بالمناسبة والتصريح بالاجتماع وقد
يترك عطفها اشعارا باستقلال كل منهما وقد يذكر في بعض ويترك في بعض تفننا فانه يوجب توجه الذهن
الزيادة فرعاية الانسب ابلغ والابلغ انسب ولما كان الظهور والبطون متقابلين كان التصريح بالاجتماع
انسب انتهى • وهذا بناء على ما في النسخة الاخرى من ذكر العاطف ولا يخفى ما في توجيهه من القصور لان اهماله
العطف لعدم الاجتماع كما مر في ثيبات وابكارا وكانه اغتر بما وقع لهم في قوله تعالى حم تنزيل الكتاب
من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول والذي ذكره الزمخشري فيه نزغة
اعتزالية كما نبه عليه شراحه وليس هذا محل تفصيله وقد علمت ما قلناه معنى الظاهر والباطن وقال
السهيلي معناه العالم بما ظهر وبما بطن **تقدسا لا عدما** اعرابه كاعراب ما قبله والتقدس تفعل من القدس
وهو الطهارة والتنزه اي ان بطونه وخفاءه لتنزهه وعلوه عن ان يحيط به البصائر والابصار لا لكونه
معدوما او غائبا ولا من جهة عدمه او عدم كماله بل لقصور غيره وتنزهه عن ان يحيط بكنهه ان اريد
بالباطن الخفي عن البصر في الدنيا فالتقدس التنزه عن مشابهة الحوادث عن قبول الروية فيها والعدم بضم فسكون
من عدمته اعدمه كعلمته اعلمه عدما وعدما بفتحتين بمعنى فقدته واختار الاول هنا للسجع وما قيل من ان
معنى العدم هنا الفقر كما في الصحاح اي ليس خفاؤه لافتقاره كما يختفي بعض الفقراء لفقره فهذيان محموم
ولبعض الشراح هنا كلام لا معنى له تركناه لانه غني عن النقد والتزييف **ووسع كل شيء رحمة وعلما** العلم
مطلقا معلوم وفي صفات الله تحققه في الكلام والرحمة ميل الى طبع ورقته وهو مما لا يوصف الله تعالى به
فيعتبر باعتبار غايته ولازمه فيراد به الانعام وارادته وذهب الباقلاني الى انه يجوز به عن ارادته فلا
فعلى راي القاضي يجوز ان يقال اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك وعلى راي الشيخ لا يجوز وفي القرآن مواضع
تناسب كلا من الرايين فقوله وسعت كل شيء رحمة وعلما يناسب الظاهر الارادة لاقترانها بالعلم الذي
هو صفة ذاتية وقوله هذا رحمة من ربي اي السد يناسب الاحسان كذا في شرح الاربعين الرواية للقراني
ولبسط الكلام فيه مقام آخر ووجه ارتباط هذا بما قبله انه لما كان مطمح نظره في هذا الكتاب بيان شرف المصطفى
وانه النعمة العظمى على جميع المخلوقات بدا بحمد الله تعالى ونعمته بما يدل على عظمته في ذاته وان الملك له لا تصرف

لاحد

لاحد فيه سواه ثم ثنى ببيان حاله في ملكه وما يعاملهم به على وجه مناسق الى المراد فقال وسع
الخ ولو قال الذي وسع كان اولى والسعة ضد الضيق استعيرت للشمول والشي الموجود مطلقا
او اعم منه على الخلاف المشهور فيه وهو هنا ما سوى الله وان صح اطلاقه عليه كما في قوله تعالى قل اي
شيء اكبر شهادة قل الله لان شمول الرحمة للذات لا يصح وان شمله العلم وشموله لما سواه ظاهر لان كل
شيء منعم عليه حتى المعذب بترك الاشد والمعدوم ورحمة وعلما منصوبان على التمييز والجملة مستانفة
وتعلق العلم بكل شيء كليا وجزئيا مبرهن عليه في الاصول وفي شرح السيد هنا نقلا عن التفسير
الكبير انا لا نعلم كنه صفات الله كما لا نعلم كنه ذاته وانما المعلوم لنا انا لا نعلمها الا بلوازمها واثارها
وذاته لم تكمل بها لان الذات كالمبدا لها فيلزم استكمال الذات بالممكن بل كمال الذات يستلزم الصفات
وفي عوارف المعارف اجمع الصوفية على ان له صفات ثابتة لا بمعنى انه محتاج اليها ويفعل بها بل
بمعنى نفي الضد وثبوتها قايمة به وهذه مسئلة نفيسة سكت عنها الاصوليون وربما اوهم كلامهم
خلافها وتوضيحها انه لا احتياج له الى الصفة الموجودة في تحقق اثرها بل لو لم تكن موجودة كان
الاثر بحاله الا ان وجودها لاكمل لاقتضاء كمال الذات بها وبين فيه قول الحكيم الكمال بالذات اعلا من الكمال
بما سواه لا لاستلزامه الاستكمال وظهر ان مذهب اهل السنة اعلا عقلا ونقلا الا ان فيه ايهام تعطيل
الصفة ويرد منه ان مجرد وجودها فايدة وان سلم فليكن شيا عاديا للاثار كسائر الاسباب عند الاشعري
فلا استكمال ولا تعطيل فتدبر واحفظه فانه عزيز انتهى • اقول قوله لا استكمال الذات بالممكن بالذات
اشارة الى ما قاله في تعليقته له ان الخلق هو الايجاد بعد العدم مطلقا ولذا لا يقال صفات الله مخلوقة
لانها لم تسبق بالعدم وان كان التحقيق انها ممكنة بالذات اي محتاجة الى الغير لان كل محتاج ممكن
فليست واجبة بالذات بذاتها والا لزم تعدد الواجب لذاته وذلك لا يجوز والصفات ليس شيء منها
مسبوق بالعدم بل موجودة ازلا وابدا وان جاز ان يقال في سائرها انها مخلوقة وان الذات خلقتها
واوجدتها ونحوه لكنه بمعنى انها محتاجة الى الذات لا انه اوجدها بعد العدم لكنهم يتحاشون عن
استعماله وان كان صحيحا وبدون الغوص في مثله سؤالا وجوابا بدعة لعدم وروده في الشرع فالمحذور
في ترك التعرض له الا اذا الجات له الضرورة ولذا قال في التفسير الكبير الذات المقدسة كالمبدا
للصفات وقد استشكل ظاهره لانه اذا لم يكن مبدا لم تكن الصفات ممكنة بل واجبة فيلزم تعدد الواجب
وهو لا يجوز • واجيب بان المتبادر من المبدا انه موجد بعد العدم والصفات غير مسبوقة بعدمها بل
لم تزل موجودة الا ان الذات تقتضيها وتحتاج اليها وتتوقف عليها فالذات بالنسبة اليها كالمبدا
لا مبدا انما انتهى • واعلم ان بعض علما المغاربة قال ان الفلاسفة اجمعت على نفي الصفات لشبه
يقرب مما قاله المعتزلة فقالوا لو وجدت الصفات لزم افتقارها للذات لاستحالة قيامها بنفسها وبعضها
شرط لبقاء بعض كالحياة للعلم فيلزم الافتقار والتاخر وهو مناف للوجوب • واجيب بمنع الملازمة
فان الافتقار للغير ان كان في افادته الوجود كان حادثا ونحن لا ندعي هذا بل نقول جميع صفاته
واجبة الوجود وغنية عن مقتضي الوجود فان عنيتم بالافتقار عدم الانفكاك فهو لا ينافي الوجوب
ولما اعتقد الامام صحة قول الفلاسفة ان الافتقار مطلقا يوجب الامكان وان وجود الصفات يقتضي
التركيب والمركب مفتقر لجزئه فلا يكون الا ممكنا واستشعر النقض بصفاته تعالى فقال استخير الله في
القول بامكانها لذاتها ثم جزم به وفاه بكلمة والعياذ بالله لم يسبق اليها فقال هي ممكنة باعتبار ذاتها
واجبة بوجوب ذات الله والذات قابلة لصفاتها وفاعلة لها وهي منزلة شنيعة • اقول هذا من
نفايس الذخاير المستودعة خزاين القلوب وقد تكلم فيها قدماء الحكماء والمتكلمين كما نقله الامام في المسايل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الا ربعين عن الرئيس وجزم بان علة الامكان الافتقار وقارعه فيه العلامة القرافي في حواشيه
على هذه المسايل فقال الصفات يجب قيامها بالموصوف ويستحيل عليها القيام بنفسها فان عنيتم
بالافتقار هذا القدر فمسلم لكن العبارة رديئة ولا يلزم منه الامكان اذ الافتقار على هذا التقدير في
القيام لا في الوجود ولا يلزم من الافتقار في القيام الافتقار في الوجود فان العرض مفتقر للجوهر
في قيامه ومستغن عنه في وجوده فانه من الله فلا يلزم من مطلق الافتقار الامكان فبطل قوله كل
مفتقر ممكن بل المفتقر يكون افتقاره باعتبار تركيبه وباعتبار قيامه ومنه افتقار الصفة لموصوفها
وباعتبار وجودها كافتقار الاثر للموثر وهذا هو المقتضي للامكان والافتقار اعم والامكان اخص
والاستدلال بالاعم على الاخص غير مستقيم انتهى • اقول تحرير محل النزاع مع بيان الحق فيه ان مطلق
الاحتياج للغير مستلزم الامكان او الاحتياج في الوجود فقط فالرئيس ومن حذا حذوه جزموا بالاول
والقرافي ومن نحا نحوه كالسنوسي منعوه وقالوا بالثاني وشنعوا على من نحا الفهم ولا يتم لهم هذا
بسلامة الامر فان كل ما احتاج لسواه حاجة تامة بحيث لا يوجد بدونه سوا كان علة او شرطا لوجوده
كالجوهر للعرض مثلا لا يمكن وجوده بدونه فيلزم امكان عدمه بالذات وان لم يكن حادثا وهذا لا محذور
فيه في صفات الله القديمة وان كان الادب ترك التصريح به كغيره وهذا من محذورات الاشراق التي
لا تبرح لغير محرم فنقول الذات المقدسة غير مفتقرة للصفات التي ليست عينها بل الصفة مفتقرة للذات
لاستنادها اليه وعدم صحة استغنائها عنه بديهة واذا كانت الذات غير محتاجة للصفات ولا مستكملة
بها لا يلزم تعطيلها ايضا لان وجودها فايضة لكونها صفات كمال فليست موثرة بالذات ولا واجبة بالذات
بل بالاسناد للذات التي هي كالمبدا لها لانها قديمة غير منفكة لكن وجوبها ليس لذاتها بل لغيرها وهذا
لا ينافي الامكان ولا يقتضي الحدوث الزماني وبقولنا كالمبدا ظهر ان قول المعترض انها مبدا وفاعله
تقول عليه وقال الاسنوي في شرح منهاج البيضاوي بعدما نقل قول الامام في الاربعين ان صفات
الله ممكنة لذاتها واجبة الوجود لوجوب الذات قد تلخص مما قاله الامام ان الصفات واجبة للذات
لا بالذات اي واجبة لاجل الذات المقدس لا ان ذات الصفات اقتضت وجود نفسها انتهى • وقال بعض
فضلاء العصر فتكون الصفات ممكنة في نفسها معللة بالذات القديم لكن يجب ان تكون الذات موجبا
بالنسبة اليها وان كان مختارا بالنسبة الى ما سواها من مخلوقاته والا لزم حدوثها بناء على ما تقرر من
ان الصادر عن المختار حادث البتة انتهى • **واسبغ** اي اتم واكمل وهو في الاصل صفة للدرع والثوب
الطويل استعير من الطول والسعة لما ذكر ثم صار حقيقة فيه لشيوعه **على اوليايه** جمع ولي فعيل بمعنى
فاعل او مفعول اي موالي او موالى ويطلق على الله وعلى غيره نحو الله ولي الذين امنوا الا ان اوليا الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون • وهو من الموالاة وهي الاتصال والقرب ويكون ذلك في النسب والدين
والنصرة وله معنى يعم كل مومن وآخر يختص بمن اخلص لله فولاه امره واخص منه وهو من افاض الله
عليه ما فضله به على غيره من اسرار ومعارف الهية انار بها بصيرته حتى شاهد صنعه وينكشف
لنفسه القدسية خفايا الملك والملكوت وهو مرتبة جليلة وكل نبي ولي ولا عكس وقيل ولاية
النبي افضل من نبوته كما ان نبوته افضل من رسالته ولا يلزم منه تفضيل الولي على النبي كما توهم
والمراد هنا الاول او الثاني ويحتمل ان يكون الاسباغ هنا على حقيقته بان يشبه النعم للنبي بثوبه
على انه استعارة مكنية وتخييلية كما في قوله **شعر**

اذا ما غزا دهري وخفت خطوبه • على دروع من نراه سوابغ

نعما جمع نعمة وهي ما انعم الله به واعطاه من فواضل احسانه ويكون بمعنى الانعام والاحسان والحمد

على الانعام

على الانعام امكن من الحمد على النعم كما فصل في محله **عمّا** هو بعين مهملة مضمومة وميم مفتوحة مشددة
تليها الف اما زايدة كالف زيد في قولك رايت زيدا حالة الوقف فالفه زايدة او بدل من التنوين كما في ساير
المنصوبات المنونة وهي الف مقصورة كالف حبلى ومعناه عميمة اي عامة شاملة لكل شي من الاجزا والجزييات
قال ابن عصفور في شرح شواهد الايضاح عند الكلام على قول الشاعر **شعر**

طافت به العرس حتى بد ناهضها • عم لقحن لقاحا غير مبتسر

العم الطوال من النخل واحده عميمة عن ابي حاتم ويعقوب وكانه خفف من عمم ثم ادغم لاجتماع المثلين وقال
اللحياني نخلة عم ونخيل عم اي طوال فعم على هذا مصدر وصف به الواحد ويبعد ان يكون من باب فلك لقلته
وقال ابن دريد العم العظام واحدها عمي كحبلى وهذا اقيس الوجوه انتهى واقتصر في التسهيل على انه فعل بضم
فسكون جمع عميمة لان فعيلة يجمع على فعل قياسا مطردا وفي كتاب النبات للدينوري في باب النخل العميمة
النخلة التي يصعد اليها اذا جنيت وهي العميمة ايضا والنخل العم التي استحكمت وكملت وطالت وكذا في جميع
النبات وفي العم يقول الانصاري **شعر**

فعم ككم نافع • وطفل كطفلكم يومل

اي كبار نخلنا نفعهم ككباركم وصغارها تومل كصغاركم فسمى صغارها اطفالا انتهى وبما قصصناه عليك
علمت ان قول المصنف عما اما منون او غير منون مقصور وانه يجوز فيه ان يكون جمعا ومفردا بمعنى عظيمة
او عميمة شاملة فافاد وصف نعم الله بالزيادة في الكم والكيف وللشراح فيه كلام غير واف بحق المقام ثم
لما كانت بعثة الرسل اجل النعم واجلها بعثة خاتم الرسل عطف على قوله اسبغ الخ قوله **وبعث فيهم** من عطف
الخاص على العام رعاية لبراعة الاستهلال وما قبله تمهيد له والبعث في الاصل الاثارة والايقاظ من النوم
وبمعنى الاحيا والنشر من القبور وبمعنى ارسال الرسل وهو المراد هنا فاذا تعدى بفي فمعناه انه جعله بين
اظهرهم واذا تعدى بالى فمعناه انه يرسل لدعوتهم سوا كان فيهم ام لا وقد يستعمل كل منهما بمعنى الاخر وضمير فيهم
للاوليا بمعنى المومنين من غير تكلف لانه ليس قبله ما يصلح للرجوع له غيره والمراد مطلق المومنين وبعثه
فيهم لا يقتضي تخصيص النعمة بهم فينبغي ان لا تجعل في بمعنى الى حتى يرد عليه ان البعثة عامة للثقلين غير
خاصة بهم وانه ينبو عنه قوله عربا وعجما وقيل انه ضمير مبهم يفسره قوله عربا وعجما وليس راجعا لغيره وقيل
انه راجع لكل موجود من الثقلين المفهوم من قوله قبل كل شي وقيل بعث بمعنى ارسل فيهم نبيهم بان اوحى اليه
بتبليغ الشرايع والبعث وان كان في الكفار فانه كثير منهم قد علم منه انه سيصير من اهل ولايته ومنهم من
اشرف عليها وهو المراد بالاوليا وهذا ليس بيانا لاول البعث ثم قال البعثة انما هي في العرب بل في اهل مكة
والمبعوث فيهم جماعة هو بين اظهرهم فضمير فيهم لاوليا العرب وضمير انفسهم للعرب والعجم والاوجه انه استخدام
او اريد بالبعثة فيهم وجودهم في زمنها ويكون مبعوثا في الكل او في بمعنى الى او يراد مطلق الاوليا اعم من
الكل والبعض والبعثة باعتبار فرد والانفسية باعتبار الجميع • اقول هذا تعسف نحن في غنية عنه
فالحق انه لما ذكر عموم الرحمة اتبع ذلك ببيان ان رحمته الكاملة الشاملة مخصوصة باوليايه وهم مطلق المومنين
وان من اعظمها عليهم بعد الايمان بالله بعثة هذا الرسول فيهم واتباعهم له ولا يلزم منه تخصيص الرسالة بهم
كما في قوله لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم وهو مبني على ان مطلق النعمة عامة للبر والفاجر
والنعمة التامة مخصوصة بالمومنين وليست العامة مخصوصة كما قيل لا نعمة لله على كافر وعموم رسالته ص
مشهور معلوم من غير هذا وقوله **رسولا** مفعول بعث ولم يذكر المرسل اليهم اشارة الى عموم رسالته والرسول
بمعنى المرسل وهو نبي اوحي اليه بشرع وامر بتبليغه والنبي من اوحي اليه مطلقا فبينهما عموم وخصوص مطلق
وذهب صاحب القاموس الى انه وهم وفيه نظر وسياتي تفصيله عند كلام المصنف عليه **من انفسهم** بضم
الفا جمع نفس ولها معان منها العين والذات الشاملة للروح والجسد ومنها الروح ومرجع الضمير كالسابق

شبكة الألوكة www.alukah.net

والمراد انه من جنس البشر وانما امتاز عنهم بالرسالة والخصايص المودعة في ظاهر عنصره التي اهله الله
بها لان يكون محلا لامانته ولم يفسره بما فسر به قوله تع لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
بانه من جنسهم عربي مثلهم لان المخاطب ثمة العرب امتنانا عليهم واقامة للحجة لديهم وان فسر ايضا بما هنا ولكل
مقام مقال لانه لايناسب التعميم بعده وفيه تجنيس لما بعده وبعثه في الجنس يجعل ما للبعض للكل كما يقال بنوا
فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم فلانيا في كون المبعوث فيهم طايفة مخصوصة وبعضهم فتح هذه الفا قالوا
وهو خطا رواية ودراية انفسهم بفتح الهمزة والفا والنصب على البدلية من قوله رسولا لجواز ابدال المعرفة
من النكرة او بتقدير عامل له ويجوز رفعه على انه خبر مبتدا مقدر وجره على البدلية من انفسهم قبله وترجح
بانه المروي والموافق لقراة الاية وفيه اشارة الى القراتين وهو افعل تفضيل من النفاسة من نفس بالضم
صار مرغوبا فيه فهو نفيس عظيم في النفوس يحرص عليه وقيل الانفس الاعلى والاشرف ومنه الحديث سئل
اي الرقاب افضل قال انفسها عند اهلها اي افضلها وفيه نظر وهو قريب مما قبله عربا وعجما بضم اولهما
وسكون ثانيهما هنا للفاصلة وفيه لغة اخرى بفتحهما والعرب الجيل المعروف والعجم من عداهم وهو المراد
ثم غلب على صنف من فارس والعرب اسم جنس جمعي واحده اعرابي وقيل لا واحد له وقد يخص بسكان القرى
والامصار منهم كما يخص الاعراب بسكان الاخبية والبوادي ولذا قيل انه لا واحد له لان العرب مغاير
لهذا واعم فلا يصح ان يكون مفرده له حتى غلط سيبويه في القول به وقال الراغب في توجيهه الاعراب
جمعه في الاصل ثم صار اسما لسكان البادية والغلبة بعد الجمعية كالانصار ولذا نسب اليه بلفظه
فلا يرد ما قالوه وسميت العرب بسكناهم في بلدة تسمى عربة كما قال الازهري وما قيل من ان اولهم
اسمعيل صلى الله عليه وسلم ومخلصهم من سلمة ليس بمقبول لانهم كانوا قبله بنواحي اليمن وابوهم قحطان
ومنهم جرهم والعمالقة واسمعيل تزوج منهم فتكلم بالعربية والعرب قسمان عاربة ومستعربة فالعاربة
بمعنى الخلص وعرب عاربة كليل اليل والمستعربة ولد اسمعيل ومن بعده طرات عليه العربية وعليه
حمل انه اول العرب اي المستعربة وقحطان بن شالخ بن سام بن نوح وكونه ولد اسمعيل غلط نشا من
اشتراك اسمي كما في الروض الانف وغيره ونصبهما على التمييز او بنزع الخافض وازكاهم افعل تفضيل
من الزكاة وهي زيادة محسوسة كانت او معنوية والطهارة الحسية والمعنوية ايضا اي هو اكثرهم عبادة
وتقوى ومعرفة بالله وشرفا واطهرهم وانزههم عن القبايح عنصرا وخلقا وخلقا لعصمته من دنس
البشرية محتدا بفتح الميم وسكون الحا المهملة وكسر التا الفوقية وآخره دال مهملة وهو والجرثومة
والارومة والمنصب والعنصر والضيضي بمعنى وهو اصل النسب كما في فقه اللغة وفي الصحاح
حتد بالمكان محتدا اقام وثبت والمحتد الاصل وفي القاموس معاينة لا الاصل والطبع فاصل معناه
الاصل مطلقا وظاهر كلام الثعالبي ان حقيقته اصل النسب فكانه مشترك وعلى كل حال ما في شرح
المواقف من انه مكان اقامتي به والعرب تقول فيه بلد اظلمتك يعنون به شرف النسب كقولهم
لله درك وعلى كل حال لا يخلو ما فيه من القصور لمن تدبر والمراد انه اشرف العرب والعجم واعظمهم نسبا
فما قيل من انه لايناسب عموم التفضيل البشر بشيء يحتاج للرد ومنمى بميمين مفتوحتين بينهما نون
ساكنة اسم زمان او مكان او مصدر ميمي من نميته اذا نسبته او من نمى المال اذا زاد اي ان حسبه
ونسبه الذي انتمى اليه ازكى من جميع الاحساب واشرف من ساير الانساب فلا وجه لما قيل من ان المراد
به ازكى من جميع المومنين الذي بعث فيهم او ان محل تمامه اي مكة او المدينة ازكى مما عداه لانه ديار
الدين وظهوره بها او يجوز ان يراد ان ذاته في نماء العمر والصبا اطهر على انه مجاز عقلي لما عرف منه
في طفوليته من نزع حظ الشيطان منه وشق صدره ورفع خفة الصبا عنه ولا يرد عليه ان عيسى

كان نبيا

كان نبيا في الصغر كما قيل ونصبهما على التمييز ايضا وارجحهم عقلا رجحان العقل زيادته ووصفه
به مشهور في الكتب القديمة وسياتي ويقابله الخفة والنقص وهو في الاصل يستعمل في الموزون ثم صار
حقيقة عرفية في مطلق الزيادة الممدوحة تمثيلا او مجازا مرسلا او استعارة مكنية من رجحت كفة الميزان
اذا زاد ما فيها فارتفع به لانه لازمه والاستعارة فيه احسن قال الاخطل

شعر

وادا وزنت حلومهن الى الصبا • رجح الصبا بحلومهن فمالا •

وهذه اشارة لما في الحديث من انه لما شق صدره قال احد الملكين للاخر زنه بعشرة الى ان قال لو
وزنته بجميع اهل الارض رجح والوزن فيه كما قالوه اعتباري والرجحان انما هو في الفضل وفايدة فعل
الملكين ذلك ليعلمه الرسول وامثاله والعقل يقال للقوة القابلة للعلم ولما يستفاد بواسطتها وقيل
هو نور روحاني تدرك به النفس ومحله القلب والدماغ او هو مشترك بينهما فيه خلاف مشهور ويقال
العقل عقلان مستفاد ومكتسب ومطبوع ومسموع من عقل الدابة لمنعه الانسان عن القبايح كما قال
الشاعر في التلميح لاصله • قد عقلنا والعقل اي وثاق • وصبرنا والصبر مر المذاق •
وحلما هو قوة توجب الصبر على الاذى وقال الراغب الحلم ضبط النفس على هيجان الغضب وقيل
الصبر على الاذى وقيل الحليم من عفا بعدما ستر وقيل من لا يعجل بالانتقام واورد عليه الرازي
ان من لا يعجل بالانتقام ان عزم عليه فهو حقود وان عزم على عدمه فهو عفو غفور فاين الحلم ومعناه
الا ان يقال انه لمن يعزم على ان لا ينتقم البتة بشرط ان لا يظهره ذلك فان اظهره فهو عفو وبهذا يظهر
الفرق بين الحلم والعفو وقد فهم من كلام السلف ان الحلم صفة تعارض الانتقام وتمنعه ومنع الانتقام
وحله هو العفو وقد يمنع الحليم تعجيل الحتف به مع القدرة عليه ويوخر لحكم خفية بان صاحبه
لا يقدر على الانتقام حالا مع انتظاره للفرصة ولا يخفى ما فيه وهو في صفات البشر ان يملك نفسه فلا
يغضب اذا اوذي او راى ما يكره مع تمام الوقار فاذا وصف به الله اريد غايته لامتناعه عليه فهو ترك
الانتقام او تعجيله مع القدرة عليه ومغايرة الاول للحقد والعفو ظاهرة واما الثاني فلا مناسبة بينه
وبين الحقد فانه تعالى لا يوصف به وكذا مغايرته للعفو بحسب المفهوم وبحسب الماصدق فانه قد
يحلم ولا يعفو كما في حلمه على الكفرة في الدنيا وقد يقال غفر له ولا يقال حلم فتدبر واوفرهم اي اكثرهم
واتمهم من الوفرة وهي الكثرة والسعة علما وفهما العلم هو الادراك الجازم وحصول صورة الشيء في
العقل او الصورة الحاصلة فيه او عنده مفردا كان او مركبا وقد يراد به المعلوم الحاصل في الذهن
والملكة والتهيؤ واكثريته ظاهرة والفهم هيئة للنفس يتحقق بها ما يحس قال تعالى ففهمناها سليمان
وقول الجوهري كغيره الفهم العلم على عادتهم في التسامح فليسا مترادفين حتى يكون هنا كقوله
والفى قولها كذبا ومينا • اذ العلم مطلق الادراك والفهم سرعة انتقال النفس من الامور الخارجة
لغيرها فالمعنى انه اعلم الناس واحذقهم وفيه اشارة الى ان علمه صلى الله عليه وسلم كعلم غيره من البشر
ضروري وكسبي وقول بعض الصوفية ان العلوم كلها بالنسبة اليه ضرورية قد رده الشيخ زروق
بانه ان حمل على ظاهره لزمه ان ينفي عنه التكليف لان العلوم الضرورية لا يكلف بها ولا يوجر
عليها وان اريد انه لشدة عناية نفسه القدسية علمه بالكسبيات كغيرها فهو صحيح واقواهم يقينا اليقين
والايقان اتقان العلم بنفي الشك عنه فلا يوصف به الضروري ويتفاوت قوة وضعفا ولذا قال الصم
واقواهم ويشهد له الوجدان وقيل انه لا يتفاوت وانما التفاوت في آثاره ولذا قيل لو كشف الغطا
ما ازددت يقينا ونسب للحنفية وامام الحرمين فما يتخيل انه اقوى انما هو اجلى عند العقل وعزما
العزم والعزيمة عقد القلب على امضا الامر وعليه وبه ومنه اولوا العزم من الرسل لقوة باسهم وامضايه

الألوكة www.alukah.net

عزمهم في تنفيذ اوامر الله وتبليغ شرايعه فمن توهمه معنى اخر فقال ليس المراد بالعزم مطلق عقد
القلب بل ما في قوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل لم يصب وعزم الله ايجابه وفي التهذيب
عزمة من عزمات الله اي حق من حقوقه وواجب مما اوجبه والعزم الصبر وقول السيد عيسى قال
المرزوقي العزم توطين النفس وعقد القلب على ما قصد فعله ولا يجوز اطلاقه على الله والعرب تمدح بقوته
لدلالته على قوة الطبيعة وعدم التزلزل في الراي والتدبير والا لو لم يظهر اولوية غير ما عزم عليه
فيتردد وقد علمت ما يخالفه من انه ورد اطلاقه على الله كما ورد في مسلم وصححه شراحه الا ان يريد انه لا
يطلق بالمعنى المذكور ولا يخفى بعده **واشدهم رافة ورحما** الرحم بضم الراء وسكون الحاء المهملتين يقال
رحمه رحمة ورحما رحم كفعل ورحما كرحفا فهو هنا منصوب او مقصور والرحمة العطف والشفقة والانعام
والرافة بمعناه فذكره هنا للتاكيد او هو عطف تفسيري او الرافة اخص لانها اشد الرحمة كما في الصحاح
وغيره وعلى هذا قدم الاخص الاعلى في الاثبات على عكس المعروف في استعمال البلغا للفاصلة كما قاله الشراح
تبعا للقاضي في التفسير وغيره ولا وجه له كما بيناه في حواشيه لان الرافة حيث قارنت الرحمة قدمت عليها
ولو في غير فاصلة كقوله تعالى رافة ورحمة ورهبانية ابتدعوها حيث قدمت في الحشو والذي غرهم
كلام الجوهري وغيره والحق تغايرهما حيث اجتمعا فان معنى الرحمة الانعام او ارادته والرافة التلطف
والمعاملة برفق لانه يقابله العنف والتجبر كما يعرفه من تفهم كلام العرب فلا بد من تقديمها على الرحمة كما
قيل في المثل الايناس قبل الابساس وكما قال اضاحك ضيفي قبل انزال رحله • وقال الحسن
الكرم التبرع بالمعروف قبل السؤال والرافة البذل وتوضحه قول قيس ٥

• ملكه ملك رافة ليس فيه • جبروت منه ولا كبرياء •

ومن تتبع مواقعه وعرف مقابله جزم بما قلناه وقال الشراح هنا نعتا وابهاما للمطابقة كقوله تعالى
اشداء على الكفار رحما بينهم **زكاه روحا وجسما** التزكية التطهير والتقديس والتنمية والزيادة اي
خلقه زايدا على من سواه منزها عن دنس البشرية ووسخ العناصر والكلام على الروح وانه جوهر مجرد
وسار في البدن سريان ما الورد في الورد او مما لا يدرك كنهه ولا ينبغي الخوض فيه مبسوط في تاليف مستقل
به والنفس تكون بمعنى الروح ايضا فتزكيته كونه في اكمل تقويم واحسن صورة متكملا بالقوى الظاهرة
والباطنة مطهرا من حظ الشيطان ودنسه في نفسه وبدنه بشق قلبه وغسله كما سياتي وفصل هذه
الجملة واتى بها فعلية لانها كالموكدة لما قبلها ولتكوين الخطاب **وحاشاه** فعل ماض يقال حاشاه يحاشيه
قال ولا احاشي من الاقوام من احد • وليس هذا ماخوذ من حاشا الاستثنائية فانها مشتركة بين معان ٥
ثلاثة فتكون فعلا متصرفا بمعنى جنب وباعد واداة تنزيه كما في قوله تعالى حاش لله وتكون للاستثناء كما هي
مفصلة في بابها وليس هذا محله وهل هو بمعنى اخرج او بمعنى نزه فنصب ما بعده على نزع الخافض اي من عيب
او عن عيب وبمعنى جنبه فنصبه على انه مفعول به وهذا اقرب سوا انه وارد عن العرب اولا وهذا تجوز او
تضمين فمعناه نزهه وعزله عن النوع الانساني الذي هو عينه للعيوب والضمير راجع للرسول صلى الله عليه وسلم
وقيل نصب ما بعده على التمييز كامتلاء الاناء ماء وفي الحديث احب الناس ما حاشا فاطمة وليس هذا محل الكلام
فالمعنى جنبه **عيبا ووصما** اي كل عيب ووصم لان النكرة في سياق النفي تعم مع ان النكرة قد تعم في الاثبات
والوصم بفتح الواو وسكون الصاد المهملة ان فسر بالعيب فهو من عطف احد المترادفين على الاخر اطنابا في
مقام الخطابة تتميما للفاصلة وان فسر بالعار كما في القاموس فهما متقاربان والتوصيم في الجسد كالتكسير
والفترة والكسل فعلى هذا يفسر بالتواني وهو ابلغ والمعنى ان الله نزهه عن العيوب الحسية والمعنوية
ووفقه للجد في اموره من غير توان **واتاه** بالمد بزنة اعطاه ومعناه فيتعدى لمفعولين **حكمة** في القاموس

انها العدل

انها العدل والحكم والنبوة والعلم والقران والكلام وهي من احكمه عن كذا اذا منعه لانها تمنع ٥
صاحبها عن النقايص وقال البيضاوي هي في عرفهم استكمال النفس الانسانية باقتباس النظريات وكسب
الملكة التامة والمداومة على الافعال الفاضلة بقدر الطاقة البشرية قيل وما لم يشمل ما ذكره القاضي
في تعريفه حكم الله قال بعض المحققين انها العلم بالاشيا كما هي والعمل به كما ينبغي وفيه نظر **وحكما** اي فصلا
وفصلا للامور على الحق سوا كان الزاما للغير ام لا ويجوز ان يراد به خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين ٥
والاول اظهر ولذا اقتصر عليه الشراح ويكون بمعنى الحكمة وليس مرادا هنا وهي مساوية لها للاشتقاق
السابق وبينهما نوع من الاشتقاق يجوز ان يكون من جناس التحريف وما فيه من السؤال والجواب بعد النظر
لها امر سهل لا ينبغي تكثير السواد بمثله **وفتح عينه** اي بسببه او بالدلالة وفتح العين بمعنى فتح اجفانها
وهو كناية او مجاز عن جعلها مبصرة بعد ان لم تكن كذلك او هو عبارة عن كونه واسطة في نيل سعادة الدارين
بسبب دعوته وقيل انه سبب عادي لان الله جعل رسالة الرسل امارة لخلق الهداية فيمن ارسل اليهم كالشبع
والري **اعينا عميا** الاعين جمع قلة وكان مقتضى المقام جمع الكثرة لكنه اتبع اللفظ الوارد فيه كما ستراه
وجمع القلة قد يكون للكثرة كعكسه او هو هنا النكتة كونه قليلا بالنسبة لقدرته تعالى او لكونها كانت
قليلة في الابتدا وسياتي تحقيقه **وعميا** جمع عمي ويكون جمع اعمى وهو صفة من العمى وهو عدم البصر عما
هو من شانه فانه لم يرد المعنى الاول فهو استعارة لا تمثيل وتشبيه جعلت الحواس التي لا ينتفع بها كالمفقودة
فمن توهم ان ذكر الاعين المشبهة مانع من الاستعارة لم يفتح عينه وليس هذا كقول المتنبي ٥

• انا الذي نظر الاعمى الى ادبي • واسمعت كلماتي من به صمم •

لان معناه ان كلامه لبلاغته وحسنه شاع وذاع حتى كان الاعمى يراه والاصم يسمعه **وقلوبا غلفا** جمع قلب
وهو العضو المعروف ويراد به العقل وقد فسر به هنا وهو الظاهر لقوله غلفا بضم الغين المعجمة وسكون
اللام جمع اغلف بمعنى ذي غلاف وغطا فهي مغطاة في اكنة ومنه غلام اغلف بمعنى اقلف من غلفت السيف
ونحوه ويكون جمع غلاف فاصله غلف بضم اللام فخفف وبه قرئ قوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف ويصح ارادته
هنا على انه بدل اشتمال فيكون المفتوح غلافه وغطاؤه وعلى الوجه الاول الاولى عطفه على الاعين المفتوحة
تغليبا او بتقدير وازال غباوة قلوب غلف على نهج قوله • متقلدا سيفا ورمحا • وهذا مبني على ان القلب
محل العلم والقوة المدركة قايمة به لا بالدماغ وتغطية المحل يلزمها تغطية ما فيه ومعناه ان قلوبهم كانت
محجوبة عن الهداية فازال النبي صلى الله عليه وسلم حجابها وكشف غطاءه حتى اهتدت ففيه استعارة تمثيلية
او تخييلية ومكنية كما حقق في الكشاف وشروحه وهو لا ينافي قوله تعالى وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم
لانه فيمن طبع على قلبه وهذا في غيره او المنفي الدلالة الموصلة والمثبت مطلق الدلالة والاول اولى **واذانا**
صما اذان جمع اذن بضمتين وتسكن تخفيفا وهي الجارحة المعروفة وصما بالتشديد جمع اصم كعمي وعميا
ويجوز فتح صاده على انه مفرد مونث ممدود قصر للوقف وصف به الجمع كجبال راسية • والصمم افة تمنع
السمع وفتحها ازالته مجاز مشهور ويقال في ضده انسدت استعير هنا العدم الاذعان للحق والانتفاع
به لانهم لم تسمع السمع المعتد به فنزل سمعها منزلة العدم فلما ارشد والحق وكشف عنهم وانقادوا واذعنوا
كانوا كمن زال صممه **فامنوا به** اي بالنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقة الايمان جعل الغير في امان فهو متعد بنفسه
ثم ضمن معنى الاقرار والاعتراف فعدي بالبا كامن بالله بمعنى صدقه واعترف به وقد يعدى باللام وهو
في الشرع التصديق بما علم مجي النبي به ضرورة تفصيلا فيما علم تفصيلها واجمالا فيما علم اجمالها وتلفظ القادر
شرط له فمن اخل به فهو كافر فهو كالعمل خارج عنه وذهب بعضهم الى انه جزء منه داخل في حقيقته الا انه
عند بعض المحققين جزء لا يلزم من عدمه عدمه كالشعر والظفر من الانسان والاوراق والسعف من الشجر

بالقلم

الألوكة
www.alukah.net

كما ذهب اليه بعض السلف وتفصيله في كتب الكلام **وعزروه ونصروه** بعين مهملة وزاي معجمة ثم راء مهملة
بمعنى وقره ويكون بمعنى اعانه على عدوه والاول المراد لما فيه من التاسيس واصله المنع فاستعمل فيما ذكر
لما فيه من المنع عن الاهانة ونحوها وكذلك التعزير المشروف اطلق عليه لمنعه عن العود للجناية ولم يعدل
عنه لايهامه المعنى الاخير لدفع السباق له وترجيحه وموافقته للقرآن في قوله عز وجل وعزروه ونصروه
واتبعوا النور الذي انزل معه مع ما فيه من الاعتماد على اقوى الدليلين وهو اللفظ والفعل ولا يلتفت لما قيل لولا
القران لكان الاولى ان يقال عززوه بمعجمتين احترازا عن المشترك بين الاهانة وضدها والنصر الاعانة والدفع
عنه ما يضره ويقال نصرت السحابة اذا امطرت ونصره اذا اعطاه وقدم التوقير على النصر لموافقة الواقع
ودفع الاحتمال **من** موصول تنازعه الفعلان **جعل الله له** اي قضى وقدر كما علم بالنص كقوله اولئك هم
المفلحون وكل ميسر لما خلق له • واذا يسر الله سعيدا • لا ناس فانهم سعداء • وليس في هذا ايجاب
ولا جبر كما توهم **في مغنم السعادات** مغنم كمقعد بمعنى الغنم والغنيمة وهي الفوز بما يطلب من الفيء ونحوه ويطلق
على ما يغتنم من كل شيء والسعادة ضد الشقاوة وتخص بالفوز بالنعيم الاخروي واضافة المغنم بالمعنى المصدري
لامية وهي بيانية ان كان بمعنى ما يغتنم ويجوز ان يكون كلجين الما كما قيل وهو حسن لان المغنم والغنيمة
ما اخذ من العدو قهرا فكان المومنين لما اختصوا بالسعادة دون غيرهم كانهم سلبوهم اياها والجامع بينهما
ان كلا منهما له فايدة عظيمة لا تحصل الا بجد وجهد ولا وجه لما قيل ان وجهه خفي واقوى في النسبة فانه
ظاهر لمن له ادنى تامل **قسما** بكسر القاف بمعنى الحظ والنصيب ويجوز فتحها قال في المصباح قسم من
باب ضرب فالقسم بالكسر اسم مصدر ثم اطلق على الحصة والنصيب ومناسبته للمغنم ظاهرة **وكذب به**
يقال كذب بكذا تكذيبا اذا انكره وجحده وكذبه اذا جعله كاذبا في كلامه هذا هو المعروف في الفرق بين المتعدي
بنفسه وبالبا والمراد انه انكره انه من حيث النبوة والرسالة ولم يقل كذبه لانه بمعنى ما بعده ومن فسره
بانه جعله كاذبا او انكره فقد خالف الظاهر وقيل المراد ان هذا الوعيد والشقا الابدي ثابت لمن انكره كان
وصفه بغير صفته كاسود او غير قرشي فقد فسره بغير مراده **وصدف** بمهملتين وفاء بمعنى اعرض **عن اياته**
جمع اية وهي العلامة والامارة واية القران منه ذات مقطع ومبدا وتكون بمعنى المعجزة التي هي علامة
النبوة ويجوز ارادة كل من معانيه هنا ووزنها فعلة ساكنة او محركة او فاعلة اي اعرض عن تدبر علامات
نبوته مكابرة كما قال تعالى ومن اظلم ممن كذب بايات الله وصدف عنها والايات تضاف الى الله والى الرسول كما هنا
لانه جاء بها وجرت على يديه تصديقا له **من كتب الله عليه الشقا حتما** بمعنى حكم وقدر في الازل او اوجب
او كتبه في اللوح المحفوظ وقيل انه يكتب السعادة والشقاوة في بطن امه على جبينه او بين عينيه او في
رق ولا يرى في عنقه كما ورد وهو تمثيل السبق شقاوته وسعادته او هو على حقيقته وظاهره وحتما بمعنى
لازما وواجبا لا بد منه ولما كان الشقي لا يهتدي لمقاصده لعمى بصيرته نبه عليه مقتبسا فقال
ومن كان في هذه الدار الدنيا **اعمى** عن مشاهدة الايات الظاهرة **فهو في الاخرة اعمى** واضل سبيلا اي
بالصنعة البديعية من الاكتفا للتتميم وعماه لعدم رويته طريق النجاة وهذه اشارة للدنيا ومن كان في
الدنيا اعمى القلب والبصيرة لا يبصر رشده كان في الاخرة اعمى عن طريق النجاة لا يراها واضل سبيلا منه
في الدنيا لزوال الاستعداد او لان الاهتدا بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل اعمى الثاني
افعل تفضيل كاجهل وابله ولذا لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فالفه في حكم المتوسط
كما علم بخلاف النعت فان الفه متطرفة لفظا وحكما وكانت عرضة للامالة من حيث انها تصير يا في
التثنية واما لها حمزة والكسائي وورش على اصله بين بين فيهما واورد عليه انه ينتقض بمثل قوله
بالذي هو ادنى والكافرين الانثى اذ حمزة والكسائي وابا بكر اما لوها في الموضعين مع قيام هذا

الاحتمال

الاحتمال في الثاني ويمكن ان يقال المراد ان الفه في حكم المتوسطة والموضع اللايق للامالة آخر الكلمة
حيث تصير عند التثنية فنبه ابو عمرو ويعقوب على الفرق بين الكلمتين بامالة الاول دون الثاني او يقال
من امال الثاني راعى المشاكلة بينه وبين اصله وهو المعنى الحقيقي وفي بعض الشروح قالوا لكونه اسم تفضيل
امال ابو عمرو الاول دونه لان الفه غير متطرفة لما مر كما قاله الفارسي والزمخشري وفيه انهم اما لوا اولى وادنى
من ذلك مع التصريح بمن فلانا يميلوه اذا اقترنت معه اولى واخرى • اقول ذكروا للامالة اسبابا كمجاورة
الكسرة او اليا ولا يشترط فيه تطرف وكونها منقلبة عن يا او تصير يا في التثنية ونحوها وهل يشترط فيه
ان يكون الفه متطرفة كما في التسهيل ثم انهم قالوا اسباب الامالة مجوزة لا موجبة فاذا اتصل بها ما يجعلها
في حكم المتوسطة وقارنت ما هي متطرفة حقيقة فترك امالته اذا ابتل الثاني للفرق بينهما ارجح من الامالة ثم
فسقط ما ذكر برمته لانهم لم يميلوا اذ افعل التفضيل مع من ظاهرة او مقدرة فيه مانع من الامالة بل مرجح لتركها
لا سيما مع قصد الفرق بين افعل التفضيل وغيره وليس فيما ذكرنا اباه واما الكافرين فلا تحتاج للعذر لما
مر • فان قلت شرط افعل التفضيل ان لا يصاغ وصفه على افعل فعلاء كالعيوب وما قابلها والالوان لان
حق فعله ان لا يكون ثلاثيا وفعل هذا النوع افعل المشدد اللام ولذا ضمت عينه اذا كان ثلاثيا كعود رعاية
لاصله وقال ابن مالك الاقرب ان يقال لما كان بنا الوصف من هذا النوع على افعل كاعور لم يبن منه اسم
تفضيل لئلا يلتبس احدهما بالاخر • قلت قد اجيب عنه بانه في العيوب الظاهرة وهذا في العيوب الباطنة
وهذا على التعليل الاول واما على الثاني فغير تام الا ان يقال حق وصفه ان لا يكون على افعل فعلاء ويشهد له
قول الجوهري عمي وما خالفه محمول على غيره شذوذا وافاد ان المراد بالعمى عمى البصيرة فلا اشكال فيه فان اريد
عمى البصر عقوبة لهم فوجه التوفيق بينه وبين قوله فاذا هم قيام ينظرون ان في القيمة مواقف مختلفة
باختلاف احوالهم والاقتباس هنا مبين لما قبله ومثبت له وعطفه رعاية للنظم فانه لما ذكر ان من كذب به
واعرض عن ايمانه متحتم الشقاوة عقبه بما يدل عليه من كلام الله وفي الكشاف ان العمى حقيقة في البصر
والبصيرة والعمه مخصوص بالثاني فحينئذ يجوز بنا اسم التفضيل منه فان كان حقيقة في البصر فقط لم
يجوز بناؤه كما في درة الحريري لان ما يمتنع في الحقيقة يمتنع في مجازها الا انا اذا قلنا لا يجوز بنا التعجب من
الموت لا يصح ان يقال ما اموته فمن منع بنا التفضيل من الالوان والعيوب لا يجوزه بعد التجوز فيه والقول
بانه تمثيل لا يجدي الا الفساد اذ لا يجوز في مفرداته فهو غفلة من قائله ولما ذكر انه صلى الله عليه وسلم
وصل الى اعلى مراتب الكمال وان كان لغيره انما هو بهدايته والاقتباس من نور شريعته ناسب ان يعظمه ومن عو
له ادا لبعض حقه ويتوسل به الى الله تعالى في قبول حمده واتمام قصده فقال **صلى الله عليه وسلم** والصلاة
في العرف عبادة معروفة وفي اللغة الدعا وفي اشتقاقها كلام مفصل في محله وما اشتهر من انها من الله
رحمة ومن الملايكة استغفار ومن الادميين تضرع ودعا صح عن السلف وبه تمسك الشافعي في جواز الجمع
بين معنى المشترك ورده صاحب التوضيح بما هو مذكور في كتب الاصول ولما فيه من معنى التعطف
عدي بعلى للمنفعة مع تعدي الدعا بها للمضرة وعقب الحمد بالصلاة لقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك
فان السلف فسروه بلا اذكر الا وتذكر معي كما سياتي ولذا ذهب كثير من الشافعية الى كراهة فرد
الصلاة عن السلام لفظا وكتابة وهو خلاف الاولى والسلام اسم مصدر بمعنى التسليم وخص الانبيا
بالصلاة والسلام استقلالا كما خص الصحابة غالبا بالترضية وغيرهم بالترحم والاصح انه لا يكره
الدعا بالرحمة للنبي صلى الله عليه وسلم كما لا يكره التسليم على الصحابة وان كان من اداب الشريعة
تركه مراغمة للشيعة في التسليم على آل البيت وعن بعضهم انه يكره الدعا بالرحمة للنبي صلى الله عليه
وسلم من العامة في مواطن لم يؤثر فيه لا سيما مفردا **تنمو وتنمي** كذا في غالب النسخ كما قاله العلامة
صلوع

الألوكة
www.alukah.net

وفي بعضها تنمي بفتح المثناة وكسر الميم وتُنمى بضم التاء الفوقية وفتح الميم وفي المقتفى ان الاول
اوضح واصح رواية ودراية وفي المصباح نمى الشيء ينمي من باب رمى نماء بالفتح والمد كثر وزاد وفي لغة
نما ينمو من باب قعد ونميته الى ابيه نسبته نميا وانتمى انتسب وضبط الثاني على الرواية الاولى
بفتح المثناة والميم مضارع نما ينمي كابى يابى وعلى ضمة تائه وفتح ميمه وهو مجهول من نما الحديث
ينميه اي رفعه وبلغه فالمراد بالاول انها تكثر وتتضاعف تضاعف الحسنات او هو دعا بتكثيرها
الى غير النهاية والثاني بمعنى ترتفع الى الملا الاعلى لقبولها اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه وقيل تنمي الاول بصيغة المعروف اي تزيد وترتفع بنفسها كالشجرة وفي نسخة صحيحة تنمو
بالواو وتعقب بان صاحب الصحاح ضعفه وبرده حكايته في القاموس وغيره انتهى والظاهر
ان تنمو بمعنى تزيد والثاني بمعنى تبلغ وترتفع وتبلغه لما سيأتي من ان لله ملائكة تبلغ صلاة من
صلى عليه فلا حاجة لما قيل من ان الثاني بصيغة المجهول اي يزاد عليها بانضمام مثلها اليها فان فيه
المناسبة بان كل رحمة تنمي وهي تنمي على انه يحتمل التاكيد انتهى فانه تعسف انت في غنية عنه بما قدمناه
وكذا ما قيل من ان المطلوب صلاة مستقرة مستمرة تنميها فتنمو وتزيدها فتزيد وهذه الجملة انشائية
او خبرية كما بيناه عليه **وعلى آله** عطف على قوله عليه وقيل على المجرور باعادة الجار واصل معناه الاتباع
ولذا لم يضف في الاكثر المطرد الا الى العقلاء الاشراف وزيد فيه الذكور والكل غالبي كقولهم آل الله
وآل البيت قال * وانصر على آل الصليب اليوم آلك * فهو اخص من الاهل ثم خص في العرف
بني هاشم وبني المطلب وقيل عترته واهل بيته وقيل هو جميع امته واختاره الامام مالك والنووي
والاصح تجوز اضافته الى الضمير وان زعم المبرد انه من لحن العامة وانه اذا اضيف يقال اهله واصله
اول لان الكثير يرجع اليه في المهمات وقيل اصله اهل انقلبت الهاء همزة والهمزة الفا واستدل بتصغيره
على اهيل ولا دليل فيه لانه قيل اهل واهيل وآل واويل قيل كان ينبغي ذكر الصحب لان الصلاة تستحب
عليهم ايضا واجيب بان معناه هنا الامة والاتقياء منهم فتشملهم مع الاختصار وهو مذهب مالك والمقصد
مالكي وقد نقل ابن عبد السلام بانه لا يستحب الا ذكر من ورد ذكره في الحديث من الآل والازواج والذرية
وهو غير مرضي **وسلم تسليما** سلم بصيغة الماضي والامر وهذا موجود في اكثر النسخ وقد سقط من بعضها
كما في بعض الشروح وهو يحتمل ان يكون تسليما لمن ذكر قبله تاكيدا له بحسب المعنى كفعله ومصدره او
لقوله على آله بعطفه على صلة الصلاة السابقة على السلام بعد تشريكهم معهم في اصل الصلاة والتسليم
تمييزا لشرفه وعلو قدره ولما كان المستحب ان لا يفرد الآل بالصلاة عن السلام اردفه به تتميما للمقام
كما ارتضاه الشارح الفاضل ويحتمل ان يفيد العطف التشريك في الصلاة والسلام ويكون ما ذكر تاكيدا
له وهذا دعا المقصود به تعظيمه ومعناه السلام عليه او جعله سالما من النقايص والآفات واما تأكيد
السلام بالمصدر دون الصلاة اقتداء بالنظم المجيد ولان الصلاة من الله والملائكة رحمة وتعظيم واقع
منهم بلا تردد واما البشر فلما صدر عن بعضهم كالكفرة ما صدر من اذيتهم وتنقيصهم امروا مع الصلاة
بالتسليم من النقايص والانقياد واكد لوقوع الانكار وما يخالفه وهذا مما خفي على بعض الناس وقال
الفاكهاني في الصلاة لما اكدت باعلامه بانه وملائكته يصلون عليه وتعقيبها اعتناء بشانها ولا كذلك
السلام فحسن تأكيده بالمصدر جبرا له وهو لا يجري هنا كما توهم لانه اخبر ان الله عز وجل صلى عليه بقوله
صلى الله فيكون قوله بعده وسلم بصيغة الامر اي سلم اي السلام عليه فيطابق الاية لفظا ومعنى وهو
تعسف غني عن الرد ثم ان المصنف اتى بسجع الخطبة على روي واحد ولم يجعل كل فاصلتين على حدة وهو
اسلوب من اساليب السجع ثم ذيله بما هو خارج عن السجع ومثله كثير في الخطب فمن توهم انه منه واورده

عليه انه يطول بعد فقره وهو معيب فقد وهم اذ لا يتوهم ان تسليما كالقافية هنا الا بتكلف
اما بعد اما حرف شرط لوقوع الفا بعده لفظا او تقديرا وتوكيد لان معناه مهما يكن من شيء فقد
علق شرطها على وقوع شيء ما في الكون مما لا يخلو عنه ضرورة فكانه قال انه واقع على كل حال البتة وتفصيل
غالبا او دائما بتقدير معادل فيما لم يذكر ويفصل بينهما وبين الفا بامور ذكرها النحاة منها الظرف كبعد
هنا والعامل اما او فعل مقدرا وما في حيز الجواب وهو مبني على الضم كغيره من الظروف المقطوعة عن
الاضافة واجاز ابن هشام فتحه من غير تنوين قال ابن النحاس انه غير معروف وروي عن سيبويه رفعها
ونصبها كما فصل في محله واما بعد قيل انها فصل الخطاب واختلفوا في اول من تكلم بها **اشرق الله في
قلبي وقلبك** اشرق الشمس ونحوها بمعنى اضاءت وهو لازم كما قال تعالى واشرقت الارض بنور ربها
وقد استعمل متعديا في كلام المولدين كما هنا فتكون اما حملا له على اضا لانه بمعناه والشيء يحمل على نظيره
وضده واضا جا متعديا ولازما كما صرحوا به وهو مضمن معناه او بمعنى التصيير اي صير الله قلوبنا
مشرقة كما قيل في قوله

شعر

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وابو اسحاق والقمر *

والخطاب هنا للسائل الاتي وهذه جملة دعائية معترضة بين الشرط والجزاء لانه بعد ذكر الظرف
لا يذكر فاصلا آخر والقلب معروف ويطلق على العقل والروح وما قيل انه لطيفة ربانية لها تعلق خاص
بالقلب الجسماني لا يوقف على حقيقتها تبع فيه بعض الصوفية وكانه اراد الاخير ثم ان المصنف بدا بنفسه
في الدعا كما ورد في القرآن رب اغفر لي ولوالدي وفي حديث رواه الترمذي كان اذا ذكر احدا ودعا
له بدا بنفسه وقد وقع ما يخالفه كثيرا فقال الزركشي في حواشي ابن الصلاح بان ذلك اذا كان المدعو
به واحدا فان تغاير فهو مخير وقال النخعي كانوا يقولون اذا دعوت فابدا بنفسك فانك لا تدري في
اي دعائك يستجاب لك فبين العلة فيه وليس هذا مخصوصا بالحديث الآخر وهو كان اذا ذكر احدا
من الانبيا بدا بنفسه فقال رحمة الله وعلى اخي كذا فانه لم يذكر للتخصيص وفي شرح العقيدة البرهانية
للنسفي سن انه يقدم الدعا للاخوان ايثارا لهم لما ورد في الحديث ان العبد اذا دعا لاخيه المسلم قال
الله تعالى عبدي وبك ابدا فاي فضيلة تلتمس وراءه وهي كونه مبتدا به في الاجابة فمقام الايثار
مقام عال شريف فان شا بدا بنفسه وان شا بدا بغيره انتهى فقد علم مما قالوه انه اذا دعا لنفسه وغيره
في الافضل من طرفيها اقوال قد يجمع بينها بانها بحسب المقام ولكل امرئ ما نوى **بانوار اليقين** الانوار جمع
نور وهو كالضوء الا ان بينهما فرقا ولذا قال الله تعالى جعل الشمس ضيا والقمر نورا وفيه تفصيل ذكرناه
في حواشي البيضاوي وهل هو جرم او لا وفيه كلام في كتب الحكما فقيل عرض يحصل في الاجرام عند مقابلة
النير بتوسط جرم شفاف كالهوا والما والمفيض له المبدا الفياض المقتضي للضوء بالشروط المعدات
للافاضة فلولا قصور البشرية ما احتاجت لواسطة وقد قيل ان مشاهدة كل ما يرى بتوسط نور النار
المقتضي للنور على ما يقبل الاضافة بمثابة حق اليقين والاتصال به عين اليقين ثم ان النور لما كان ظاهرا
بنفسه مظهرا لغيره شاع اطلاقه على ما ضاهاه كالرسل والعلم والعقل فان فهمت فهو نور على نور واليقين
ايقان العلم بنفي الشك والشبه عنه بالاستدلال ولذلك لا يوصف به علم الله والعلم الحضوري والضروري
فنور اليقين اما من قبيل لجين الما اي اليقين الذي هو كالنور في قوة الظهور وقيل المراد الادلة المبينة
له استعارة او العقل اي يرزقنا الله عقلا سليما نهتدي بنوره الى سبيل الرشاد وشرح مشكاة صدورنا
لنعلم علوما نافعة ساطعة البرهان ودعا بذلك لان ما سأله يتوقف عليه وقيل المراد بنور اليقين
العلم اللدني وهو معرفة الذات والصفات بمشاهدة كشفية لا بمجرد ادلة عقلية ونقلية ومنه علم الخضر

الألوكة www.alukah.net

وهذه مرتبة فوق مرتبة الايمان بالغيب ولا يخفى بعده **ولطف لي ولك** لطف كنصر وهو من اللطف
وهو الرفق والرأفة وهو من صفات الله وفيه تفاسير منها التوفيق والبر والاحسان ومقابلة عباده بذلك
وبايصاله من حيث لا يشعرون ولذا يوصف بالخفاء وجعل تذييلا لقوله تعالى لا تدركه الابصار
وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ومن ثمة قيل انه من اللطافة المقابلة للكثافة وقيل انه العالم
بالدقائق التي لا يهتدى لها والمشهور تعديته بالبا كقوله تعالى لطيف بعباده وجاز تعديته باللام في قوله
ان ربي لطيف لما يشا من معنى التوفيق والتيسير او تضمين لهذا او لمعنى الايصال كما ذهب اليه صاحب
العمدة والراغب وذهب صاحب المجمل الى انه حقيقة وفي النهاية يقال لطف به وله اذا رفق واليه اشار
من قال هو اجتماع الرفق في الفعل والعلم بدقائق المصالح وايصالها الى من قدرت له ولذا جمع المصنف بين حرفي
التعدية فقال **بما لطف به لاوليائه المتقين** وهو انما يتعدى باحدهما فاما ان يقدر لاحدهما متعلقا
او تجعل سببية لا متعدية وفي نسخة بما لطف به لعباده بالبا فيهما وهو ايضا بما مر فلا غبار على كلامه كما قد
توهم والاولياء جمع ولي فعيل بمعنى فاعل لانه موال لله وبمعنى مفعول لانه تعالى تولى امره وله معنى عام
وهو كل مسلم منقاد لله وخاص وهو العارف بالله وصفاته المواظب على طاعته المجتنب للمعاصي المعرض
عن اللذات والشهوات المستغرق في شهود الذات المتحلي بكل خلق محمود وله مراتب الا انه لا يشترط فيه ان
تكون له كرامة وقال الدواني هو المتقي العارف بالله وصفاته المتوجه بكلية قلبه الى جناب قدسه تعالى
والمراد بالمعرفة ما كان عن كشف صريح صحيح بعد التهذيب او ملاحظة ذاته وصفاته في كل افعاله وعند
الصوفية هو الفاني في الله الباقي به والفنا الاستغراق في مشاهدته القلبية بحيث لا يشعر بغيره حتى
بنفسه وعموم شعوره وهو نهاية السير اليه والبقا به لكونه مظهرا لافعال الله ومراداته من غير اختياره في
عين اختياره والمتقين صفة كاشفة او المراد بها معنى خاص لان المتقي اسم فاعل من الوقاية وهي الصيانة
وفي العرف من يقي نفسه عما يضره في الاخرة وله مراتب اولها التوقي عن العذاب بالتبري عن الشرك
وعليه قوله والزمهم كلمة التقوى وثانيها التجنب عن الموثم فعلا وتركا حتى الصغائر عند قوم وعليه قوله ولو
ان اهل القرى آمنوا واتقوا وثالثها ان يتنزه عما يشغله عن الحق فينقطع اليه بكليته وهو المراد بقوله
واتقوا الله حق تقاته وهو دعا بان يوفقه لتيسير ما يسره **الذين شرفهم الله عز وجل بنزل قدسه** النزل
في الاصل المكان العالي نقل لعلو الرتبة والمنزلة والنزل بضمتين ويخفف بتسكين ثانيه وهو الفضل والريع
في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشي وهو ايضا ما يهيا للضيف اذا نزل ثم قيل
لمطلق الزاد والكرامة وهذا هو المراد هنا ويكون بمعنى المنزل والمسكن قال تعالى كانت لهم جنات الفردوس
نزلا ويصح ارادته ايضا والقدس بضمتين ويخفف مصدر بمعنى الطهر واسم جبل المقدس لطهارته بالعبادة
فيه والمقدس من اسما الله تعالى بمعنى المنزه عما لا يليق به والمبارك وقدس الله وحظيرة قدسه الجنة وهو
المراد اي شرفهم بكرامته لهم في جنته او باسكانه اياهم فيها او بكرامة تطهيره اياهم او تحمل الطهارة نزلا
على الاضافة البيانية كما قيل والحاصل انه خصهم بتشريفه وعلو منازلهم وتطهيره لهم عن النقائص لتنزهم
التخلي على التجلي عقبه بقوله **واوحشهم عن الخليقة بانسه** في نسخة من بدل عن واوحش ماض بمعنى صيرهم
في وحشة ونفرة عما لا يلايم ومنه الوحش والانس ضده وهو التقرب مع الانبساط لما تهوى ولذا قيل
الانس ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة وقيل هو انبساط المحب الى المحبوب والوحش بالسكون والوحش بفتح
الحا صفة منه بمعنى المتوحش وشاع في العرف بمعنى القبيح ولذا نطق القائل شعر

ووحشة لم تزل تغزها • يد النوى فهي دايما وحشة •

والخليقة بمعنى الخلق والناس ويكون بمعنى الخلق والطبيعة وبمعنى الجديرة خليقة بكل مدح خليقة

وبانسه

وبانسه يعني ان انسهم بالله واستغراقهم في مشاهدته نفرهم عمن سواه والانس هنا روحاني
كما قيل شعر

وحبيب قلبي في الفؤاد انيس • فالجسم مني للجليس موانس •

وخص من معرفته من بيانية مبينة لما الآتية قلنا بجواز تقديم البيان على المبين كما ذهب اليه بعض
النحاة والمانع يقول هو بيان لامر مقدر والآتي تفصيل لما ابهم واجمل في ذلك المقدر ومعرفة الله
معرفة ذاته وصفاته بوجه ما ولها مراتب وهذا مما لا خلاف فيه انما الخلاف في معرفة الذات بالكنه هل هي
واقعة ام لا ممكنة ام لا كما فصل في الكلام ومعنى المعرفة معروف **ومشاهدة عجائب ملكوته** المشاهدة
المعاينة من الشهود وهو الحضور والملكوت صيغة مبالغة من الملك كالرحموت من الرحمة وقد يخص بما
يقابل عالم الشهادة ويسمى عالم الامر كما ان مقابله يسمى عالم الشهادة وعالم الملك قيل وهو المراد هنا
فهو ما غاب عن الحس وقيل بل المراد هنا الملك المشاهد ومن في قوله من معرفته ابتدائية لا بيانية اي
ان الله خص اولياءه بما سرهم وولههم لانهم لما عرفوه نظروا الى عجائب مصنوعاته فنالهم مما ملأهم
نضرة وسرورا ثم نزلت بهم حيرة بين الطمع في الوصول والياس كما قيل شعر

حيرة عمت فاقتفى • رام عرفانا فلم يجد •

ومن الجمل البيانية بناء على جواز تقدمها كما مر ففيه
احتمالات لكل منها وجه **وآثار قدرته** اثار بالمد جمع اثر واثار القدرة المقدورات البارزة في الوجود
بعد تعلق القدرة بها من بين الممكنات وقد حملها هنا على عالم المشاهدة المحسوس وما قبله على عالم الغيب
كما سمعته آنفا وهو الاحسن من حملها على الثاني **بما ملأ قلوبهم حبرة** بفتح الحا المهملة وسكون البا
الموحدة ويجوز فتحها كما قاله التونسي ثم را مهملة تليها هاء تانيث وملأ مهموز ضد فرغ والحبرة السرور
وهو منصوب على التمييز وما الموصولة عبارة عما انكشف لهم من المعارف الالهية من مطالعة صحف الموجودات
ولطايف المصنوعات والقلب معروف وتفسيره بلطيفة روحانية تكلف **وولّه عقولهم في عظمته
حيرة** وله مشدد اللام تفعيل من الوله يقال وله يله ولها من باب تعب وفي لغة قليلة من باب وعد
والذكر والانثى واله ويجوز في الانثى والهة كذا في المصباح والوله الحزن او ذهاب العقل الناشي
منه وفي المصباح وله اذا ذهب عقله من باب فرح او حزن وقيل الوله لغة نفس الحيرة والعقل قوة
للنفس بها ادراك الانسان وتمييزه عما سواه شعر

لولا العقول لكان ادنى ضيغم • ادنى الى شرف من الانسان •

والحيرة بفتح الحا المهملة وسكون المثناة التحتية والرا المهملة
قال في المصباح حار في امره يحار حيرا من باب تعب وحيرة لم يدر وجه الصواب فيه فهو حيران
وقال الازهري اصله ان ينظر الانسان الى شي فيغشاه ضوء فيصرف بصره عنه وفي الصحاح الوله
ذهاب العقل او التحير من شدة الوجد وهو في العرف كونه مبهوتا واقفا بين المعرفة والذهول فان اعتبر
فيه العقل او الحيرة فلا بد فيه من التجريد والا فلا وهو منصوب على انه مفعول مطلق لوله او تمييز والمعنى
انهم عجزوا عن ادراكها فكلما ازدادت العظمة ازداد العقل تحيرا وتيها فان العظمة جلال الله وكبرياؤه
التي تقف العقول دونها وفي التفسير في حديث الكبرياء ردائي والعظمة ازاري اشارة الى الفرق بينهما
وهو ان الكبير من هو في ذاته كبير سواء استكبره غيره ام لا وسواء عرفت هذه الصفة ام لا والعظمة عبارة
عن كونه بحيث يستعظمه غيره فالصفة الاولى ذاتية لا الثانية والذاتية اعلى واشرف فلذا جعلها ازارا
وتلك رداء وقيل له مستكبر دون مقابله وفي العبارة تجنيس ولف ونشر ان قلنا الذي ملأ القلوب سرورا
معرفته والذي حير العقول عجائب ملكوته وآثار قدرته لان من عرفه ابتهج بعبوديته وترقب فيضه
والعبد من هو على عهد مولاه وانوار تلك المشاهدة الوله والحيرة لان عيون البصائر لا تطيق النظر
لاشعة انوار القدس **فجعلوا همهم به واحدا** الفا تعقيبية او تفريعية والهم في الاصل مصدر بمعنى

www.alukah.net

الحزن والعزيمة والارادة وكل مطلوب يهمك ويعنيك وكل من المعاني غير الاول جائز هنا اي لما
شاهدوا باهر قدرته وتحيرت عقولهم في كبريا عظمته علموا ان ما سواه كلا شي فوجهوا جميع وجوه الارادة
والعزيمة اليه وجعلوا قبلتهم واحدة ولا مراد لهم سواه لاشتغالهم به عما عداه

تملك بعض حبك كل قلبي • فان ترد الزيادة هات قلبا •

وفي التفسير الكبير ورد عنه صلى الله عليه وسلم من جعل همومه هما واحدا كفاه الله هم الدنيا والاخرة
فكان العبد يقول همومي في الدنيا والاخرة غير متناهية فلا يقدر عليها الا الموصوف بقدرة غير متناهية
فانا لا اقدر على دفع حاجاتي ولا على تحصيل مهماتي بل القادر عليها الله سبحانه فانا لذلك اجعل همي
مشغولا بذكره ولساني وقفا على ذكره فاذا فعلت ذلك كفاني برحمته مهمات الدنيا والاخرة انتهى

وقلت انا في معناه
من صير همه جميعا هما • يكفاه به السرور وكيلا جما •
والحرفي بذاك حتما هما • من يسبح لا يخاف بحرا طما •

وباؤه سببية لا صلة لهم اي جعلوا قصدهم واعتناهم به تعالى حال كونه واحدا في القصد به فلا
يقصد سواه او حال كون قصدهم واحدا فلم يريد واسنده الا اياه الا ان فيهم قصورا فعرفوا الله لم يبق لهم
طلب ومطلب فقصدوه لا لشي وهذا معنى قولهم آخر ما يخرج من الصد يقين حب الجاه فيتجلى لهم جمال
ذي الجلال حتى نسوا انفسهم وتناسوا وهو كلام نفيس لكنه لا يناسب كلام المصنف والجار والمجرور يجوز
ان يكون مفعولا ثانيا وجعل واحدا حالا من الضمير المجرور او من الضمير المستتر في الجار والمجرور وهو
الاولى ولم يروا حقيقة لا مجازا وقيل لا حقيقة ولا مجازا في الدارين الدنيا والاخرة واصل معنى الدار
معروف وقد شاع في لسان الشرع فيما ذكر حتى صار حقيقة فيهما فكانهما لقلتهما عند الله بمنزلة دار
انزلهما بعض عبيده والغافل يظنه مجانا سكنها ونقد غيره كراها غيره مشاهدا الضمير لله وجملة لم يروا
معطوفة على جملة جعلوا لانهم اذا لم يهتموا بغيره ذهلوا عما عداه ويحتمل عطفها على اول الجمل وهذا يحتمل
المعنيين الاول ان يريد ان في الكون مشاهدات سواه ولكن العارف المستغرق في مشاهدة جماله وجلاله
لا يراها وهذه مشاهدة الصديقين وتسميها الصوفية الفنا في التوحيد والثاني ان يريد انه ليس في
الوجود غيره لان كل شي هالك الا وجهه وكان الله ولا شي معه وهو الان كما كان على ما قاله ارباب الشهود
فالمراد انه لا يشاهد حتى يروه على حد قوله • لا ترى الضب بها ينجحر • ورجح بعضهم الاول والمشاهد
اسم مفعول بمعنى المدرك بحاسة البصر من الشهود وهو المعاينة او الحضور وفي الشروح هنا كلام
طويل لا حاجة لنا به فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون الجمال الحسن الذاتي لا الصوري والمتبادر
من الحسن الثاني ولذا لا يوصف به الله بدون تقييد ورد وصف الله به في الحديث يقال ان الله جميل
يحب الجمال وليس مشاكلة كما فصله شراحه والجلال العظمة يعني انهم يشاهدون جمال ربهم وانوار ذاته
بعيون البصائر والبصر في الاخرة يرونه دون احاطة كرؤية غيره او لو مي يومي اليه جمل المشاهد
نفس الجمال والتنعم الترفه والتلذذ فلا نعيم لهم بغير تلك المشاهدة كما قال تعالى ورضوان من الله
اكبر على ما بينه المفسرون وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وبها تصفية الباطن وصقل الحواس
حتى تعبد الله كانك تراه وقوله بمشاهدة يتعلق بيتنعمون قدم عليه للحصر وله غاية الفاصلة
وفي نسخة كماله بدل جماله والتنعم بالجمال والكمال ظاهر واما الجلال فقيل انه يقتضي الادب والخوف
فلا يناسب التنعم فيحتاج للتاويل او التغليب وليس كذلك فان القرب ممن عظم وجل من ان يتقرب لحضائر
قدسه اعظم وقعا من غيره فان من تقرب من سلطان جليل يسر ويفتخر بقربه وفي حكم ابن عطاء الله النعيم
وان تنوعت مظاهره انما هو بشهوده واقترابه والعذاب وان تنوع انما هو بوجود حجابه وبين آثار قدر

اي تتردد ورائه

اي تتردد ورائه وعجائب عظمته يترددون يعني انهم قائمون في مقام جايلة فيه افكارهم لا يفترون
عن الجري في ميادين الاعتبار فتذهب تارة الى بدائع المصنوعات المشاهدة في مرآي آثار باهر
قدرته وتارة ترقى ادق عظمته فتظل اعناقهم خاضعة وعيون ابصارهم خاشعة والتردد
المجي والذهاب فشبهت حركات الاوهام المعنوية بحركات الاجسام الحسية ومنه التردد بمعنى الشك
قال الشاعر • لا تنكرن عدم الزيادة سيدي • فمحبتي طبع بغير تردد •
والمراد مواظبون على التفكر في عظمة الله ففيه استعارة تمثيلية وبالانقطاع اليه الانقطاع مطاوع
قطعه افصله فانقطع ثم شاع في التوجه لاحد ولا امد وترك غيره وهو المراد هنا ولذا عداه بالى
ويتعدى باللام ايضا يعني انهم توجهوا الى الله ظاهرا وباطنا وقطعوا علايق الخلايق لتوكلهم عليه
ورضاهم بما قضاه وقدره وجعلهم امورهم مفوضة الى الله عز وجل وتعوّدوا الان عبد الملك العظيم
الملازم لسيده قوي عزيز ولذا ورد في الحديث من خاف الله خاف منه كل شي والتوكل عليه يتعززون
والتعزز تفعل من العز ضد الذل ويكون بمعنى القوة ومنه قوله تعالى فعززنا بثالث وكلا المعنيين
جائز هنا الهجين جمع لهج بزنة حذر اي ملازمين مدا ومين لذكر الله وقولهم هذا من اللهجة بفتح
اللام وسكونها وهي في الكلمة اللسان او طرفه ويطلق على الكلام يقال هو فصيح اللهجة ولهج بالشي
من باب تعب اولع به ولزمه كما في المصباح بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
يعني ان هولا المخلصين المختصين به الذين شغلوا ظاهرهم وباطنهم بمحبته وردهم دايما ذكر الله
والاعراض عما سواه متمثلين هذه الاية يعنون انهم مراقبون لله معرضون عن غيره ولذا يامرون انفسهم
او يامر بعضهم بعضا بما ذكر والصدق مطابقة الخبر للواقع مع الاعتقاد كما هو معروف ووصفت هذه
الجملة الانشائية نظرا لما تضمنته او لمقول مقدر كوننا الله ونحوه او لان الامر لمتاركة مثاله نحن لا
نعبا بكم ومقصود المصنف التمثل به كما تمثل به الشبلي لمن قال له اوصني فقال له عليك بالله ودع ما سواه
وكن معه ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وبهذا سقط ما اورده الشراح من انه كيف وصف الانشا بالصدق
وان الاية ليست مناسبة هنا فانها هكذا وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي
قل من انزل الكتاب الذي جا به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا
الخ اي قل الله الذي انزل التورية وانزلها الله فامره الله بجواب منكري الوحي اما لتعين الجواب وتنبيها
على انه لا يمكن غيره او تنبيها على انهم مبهوتون لا يقدرون على الجواب ثم قال لهم ذرهم في اباطيلهم فما عليك
الا البلاغ وجملة يلعبون حالية فيمثل بها المصنف لترك ما سوى الله والانقطاع له كما تمثل بها الشبلي
وان كان سياقها في التلاوة لمعنى آخر اذ يكفي لمثله المناسبة بوجه ما وقيل وصف هذا القول بانه
صادق وصف له بوصف صاحبه مثل كتاب صادق وقيل الصدق هنا هو الخلوص او الثبات والكمال
كصادق الحلاوة ومنه الصداقة ولا حاجة اليه لما مر واضافة صادق لمجرد لطيفة واستعارة الخوض
من المشي في الما للاقتحام في الباطل كما قرره المفسرون ونحوه استعارة الخياض وفي بعض النسخ بعد
قوله تعالى وهي جملة حالية او معترضة للتعظيم والتمييز والاشارة الى ان ضمير اليه لله فليس
هذا اقتباسا كما توهم لان شرطه ان لا يذكر انه من كلام الله ثم انه قيل ان معنى هذه الاية قل يا محمد جوابا
عن قولهم من انزل التوراة الله انزله ثم ذر الكفار في اباطيلهم وهو لا يناسب هذا المقام الا ان يقال
ما له الامر بقول الحق والاعراض عن الباطل اقول ما ذكروه يتراآى في بادي النظر وليس بشي
لما مر وان سلمه الشراح واجابوا بان المراد هجين بمثل هذا اقتدوا بقوله تعالى في ذم المنكوبين
المغرورين بالدنيا التي امورها لهو ولعب باطل لا ما فيها من ذكر الله ففيه الاقتباس من نور التنزيل

وليناسب المقام ومقام المصنف اجل من ان يخفى عليه مثله وهو على طرف التمام وههنا بحث وهو انه قيل ان ذكر الله بتكرير الجلالة بدعة لا ثواب فيه قال الحطاب في شرح مختصر خليل • سئل العز بن عبد السلام عمن يقول الله الله مقتصرا على ذلك هل هو مثل سبحان الله والله اكبر ونحوه • فاجاب ما نصه بدعة لم ينقل مثله عن احد من السلف وانما يفعله الجهلة والذكر المشروع لابد فيه كله من ان يكون جملة مفيدة والاتباع خير من الابتداع ونحوه ما افتى به البلقيني في قوم لا يزالون يقولون محمد محمد كثيرا ثم يقولون في اخره مكرم معظم • فاجاب بانه ترك ادب وبدعة ولم ينقل ولا يثاب عليها وكذا قولهم علي محمد وتابعه عليه كثير من العلما اقول ما ذكره في اسم النبي صلى الله عليه وسلم مكررا وكونه بدعة ظاهر لانه لم يتعبد بمثله مع انه داخل فيما نهي عنه لقوله تع لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا ولم يرد تعظيم النبي الا بالدعا له والصلاة عليه فلو عظم بغير ذلك كان مراعا للسنة ولو ذكره احد باسمه زجروه واهانوه فما بالك باشرف الخلق واعظمهم واما ذكر الله فقد ورد الامر به ووعد ذاكره بالثواب في آيات واحاديث لا تحصى كقوله الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وفي الحديث القدسي من اشغله ذكري عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين الى غير ذلك مما لا يحصى ولا يقيد بعيد على ان الذاكر قصد التعظيم والتوحيد فهو اذا قال الله ملاحظا لمعناه فكانه قال معبودي واجب الوجود مستحق لجميع المحامد ولم يزل اهل الله من العلما والصالحين يفعلونه من غير نكير وكان الاستاذ البكري يفعله ويقول استغفر الله مما سوى الله وكل شي يقول الله وفي مجلسه اجلة العلما والمشايخ وهذا هو الحق وقد صنف في رد مقالة بن عبد السلام هذه عدة رسايل رايناها وممن صنف فيها القطب القسطلاني والعارف بالله المرصفي والشيخ عبد الكريم الخلوتي وبه افتى من عاصرناه اللهم احشرنا في جملة الذاكرين ولا تجعلنا من الغافلين فانك جواب اما واكده لان المسئول عنه حسن توكيده والخطاب لسايل معين محقق سالا ولغير معين مفروض وما قيل من ان مقام المصنف اعلا من ان يفرض سايلا يخاطبه وان قوله كررت السؤال وما بعده يا باه ليس بشي لانه كثيرا ما يقع من المصنفين مثله وفرض الامور لنكت واقع في القران والحديث كثيرا كقوله ولو ترى اذ المجرمون وغيره مما لا يحصى ويجوز ان يكون من التجريد كقوله

طحا بك قلب في الحسان طروب • وما بين لما والجواب معترض كررت السؤال التكرار اعادة ذكر الشي مرة فصاعدا ويطلق على الذكر الثاني والاول ايضا علي في مجموع الجار يتعلق بكررت لما فيه من معنى الالحاح والسؤال الطلب ويكون سؤال استفهام وسؤال استعطا وهما معروفان والمجموع اسم مفعول من الجمع ضد التفريق وفي العرف كتابة تجمع من كلام الغير كما في قوله شعر

لله مجموع له رونق • كرونق الحبات في عقدها •
كادت مجاميع الورى عنده • تموت للخجلة في جلدها •

ففي عبارته هضم لنفسه بانه ليس له فيه الا الجمع والتقدير في تاليفه مجموع وتقدير في شان مجموع ركبك وفي متعلقة بالسؤال لا بكررت لانه لا يتعدى بفي بخلاف السؤال فانه يتعدى بنفسه وبعن ومن وفي اذا كان بمعنى الرجا والشفاعة دون الاستعطا تقول سالت الامير في كذا ويحتمل ان تكون للتعليل كدخلت النار في هرة فيصح تعليقه بكررت ايضا يتضمن التضمن جعل الشي في ضمن الشي وداخله والتعبير به لانهم يجعلون الالفاظ ظرفا للمعنى لانه المقصود منه او هو من ظرفية الكل للجزء لما فيه من زيادة شرح وبيان وغير ذلك وقد يعكس كما فصل في شرح المفتاح فالمعنى انه يحتوي عليه وتفسيره يحصل منه وبسببه وفيه نسخ التعريف بقدر المصطفى التعريف الاعلام واصله جعل الغير عارفا والتعريف في الميزان معروف ويجوز ارادته هنا على بعد فيه وقدر الشي مقداره غلب في رتبة شرفه واصله

تقدير

تقدير الشي بوزن ونحوه والمصطفى المختار المنتخب افتعال من الصفوة وهو صفة غلبت على النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبلغ الحد العلمية كالرحمن ولو كان علما بالغلبة لزم تعريفه باللام او الاضافة وليس كذلك وانما ذكر في الاسما لانهم لم يخصوها بالاعلام كما سياتي فما قيل من انه لقب وصفي او بالغلبة واللام للمح الاصل ليس بشي لانه لم يسم في عهده واسماؤه توقيفية على المشهور قيل ولو قال ببعض قدر المصطفى كان احسن ولا يخفى انه لا يلزم من سؤاله وقوع مسئوله ولذا قال حملتني امرا امرا علي انه اذا اريد الاجمال سقط القيل والقال عليه الصلاة والسلام وفي نسخة صلى الله عليه وسلم لانه لم يقصد السجع حتى يرد عليه ان الاوفق بالسجع الاولى وانه يلزم طول الفقرة الاخيرة ويعتذر له بانه اشارة لجوازه والامر فيه سهل واشاد الصلاة لكنه كما سياتي اكثر تعظيما وما يجب له من توقير تعظيم واكرام افعال من كرم بمعنى نفس وعز اي عده معززا معظما لمحبته وتعظيم آله واصحابه وما حكم به لم يوف اي يتم ويكمل من وفا حقه اذا اعطاه اياه وافيا تاما والحكم ما حكم به العلما فيه او خطاب الله المتعلق به واجب عظيم ذلك القدر اي مقامه الشريف وهو من اضافة الصفة لموصوفها اي القدر العظيم واضافة واجب لامية واحد مفعولي يوف محذوف اي لم يوفه او يوف النبي او لم يعرف قدر واجب حقه والمحذوف الاول والثاني او هو بمعنى يتم ويكمل فلا حذف لتعديه لواحد وما يجب في محل نصب معطوف على تعريف وكذا ما حكم وما استفهامية اي يتضمن جواب هذا السؤال وقيل موصولة والعايد مقدر وعلى الاول المضاف المقدر هو المفعول وهو وان كان له الصدارة لا يصح عمل ما قبله فيه الا ان قصد به لفظه على طريق الحكاية اي جواب قولك ما حكم الخ فلا يلزمه عمل ما قبل الاستفهام فيه ولا تعليق العامل عن المعطوف دون المعطوف عليه وتعليق يتضمن وليس من افعال القلوب فيجاب بانه ضمن معناه وذلك من وضع الظاهر موضع المضمر وتعليق العامل بواسطة حرف حتى يجاب باثبات النحاة له كما في شرح التسهيل ومنه تعليق فكر ونظر ونحو فلينظر ايها ازكى طعاما والتعدية بما بغي والواجب ما يجب اعتقاده في حقه صلى الله عليه وسلم او قصر في حق منصبه الجليل التقصير والاقتصار ترك ما لا بد منه وفي المحكم قيل قصر عنه اذا تركه وهو لا يقدر عليه واقصر اذا تركه وهو يقدر عليه وحقه ما يستحقه مما لا بد منه والمنصب بفتح الميم وكسر الصاد في كلام العرب بمعنى الحسب والشرف كما ذكره اهل اللغة واستفاض في كلام الفصحا كما قال ابو تمام • ومنصب نماه ووالد سما به • وفي المصباح يقال له منصب وزان مسجد اي علو ورفعة وفلان له منصب صدق يراد به المنبت والمحتد ومن لم يقف على هذا قال انه في اللغة المرجع ويطلق على الرتبة ونيل القدر فكانه من نصب اذا جد وارتفع واما المنصب بمعنى العمل فمولد لم يرد في كلامهم اصلا كقوله في اللامية

نصب المنصب اوهى جلدي • وعناي من مداراة السفل •

فكانه لانه نصب فيه النظر او هو من النصب والحيلة واطلاقه على ما يوضع عليه القدر • كقول ابن نجيم

كم قلت لما فار غيظا وقد • ازيح عن منصبه المعجب •
لا تعجبوا ان فار من غيظه • فالقلب مطبوع على المنصب •

وفيه مع استعمال المولد تحريفا آخر قلامة ظفر اي تقصير قليل بمقدار قلامة ظفر فنصبه لاقامته مقام المصدر او بنزع الخافض بعد حذف المضاف من قلامة فعالة من القلم وهو القطع من الاظفار سواء كان من ظفر او غيره كالشجر ولذا سمي القلم لقطعه وهو قبل القطع يراع وقصبة كما ذكره اهل اللغة واضافته الى الظفر لامية كيد زيد فلا وجه للقول بانه تجريد ووزنه فعالة لم تكون لما يلقى من الشي كالقمامة والكناسة وشذ منه الخلاصة مع ما فيه والظفر للانسان معروف وفيه لغات افصحها ظفر بضمتين ويسكن للتخفيف وجمعه اظفار وربما جمع على اظفر ويقال الظفر بزنة حمل واظفور كاسبوع وقال الجوهري انه جمع ظفر سهوا ومن طغيان القلم اراد ان يقول اظفر فزاد الواو وقلامة الظفر كناية عن القلة والحقارة

الألوكة
www.alukah.net

كما قال ابو نواس • ايها المدعي سليمى سفها • لست منها ولا قلامة ظفر •
وبقلامة الظفر يشبه الهلال وتظرف فيه سعد الدين بن عربي حيث قال

• ناديت من اهواه وهو مقلم • اظفاره يا نزهة المتامل •
• ابعد قطرك وهو بعضك فاكتسي • يحواك اجدر بالعباد الاطول •
• فاجابني انظنني فلمتها • عن حاجة لكن لمعنى عن لي •
• لا زيك يا من بالهلال تعيبني • ان الهلال قلامة من انملي •

يعني انه حقير مبتذل عنده والمراد بعدم توقيته حقه ترك ما حقه ان يترك كله او بعضه والنقص ذكره على غير ما ينبغي فهو مغاير لما قبله فلا يلزم عطف الخاص على العام باو وقد اباه النحاة او يعتذر بان الاول بمعنى كثيرا وهذا بمعنى قليلا ونحوه **واذا جمع لك مما لاسلافنا وايمتنا** جمع سلف وسلف جمع سالف وهو من مضى من اصولك واقربايك ثم عمم لكل متقدم من الناس والمراد من تقدمه من العلما وهو المتبادر عند الاطلاق وهذا في محل جر معطوف على مجموع وايمتنا اي ايمة الدين المقتدى بهم من اصحاب الكتب والمذاهب جمع امام واصله ايمة بهمزتين فابدلت الثانية ياء قيل ويجوز ان يراد ايمة مذهب المالكية **من هناك** بيان لما **وابينه بتنزيل صور وامثال** ابينه بالنصب عطفا على اجمع اي يوضح ما ينقله عن المتقدمين بذكر بعض افراده او صفاته او امثلته فاستعير التنزيل وهو الانهباط من علو الى سفل لذكر الافراد الخارجية فان الكلي لعدم تحققه في الخارج بعيد عن الاوهام كالعالي والجزئي محسوس مفهوم كالسافل والصور بزنة كبر بصاد مهملة جمع صورة وهي النوع او الصفة او الفرد كما ذكره اهل اللغة ومنه قول العلما صورة المسئلة كذا والامثال جمع مثال او مثل وفي بعض النسخ سور بسين مهملة كما ذكره ابن رسلان قال والمراد به الايات من تسمية البعض باسم الكل مجازا والتنزيل معروف والفرق بينه وبين الانزال مشهور على ما فيه وفيه انه هنا بمعنى الترتيب كما ذكره وهذا كله تكلف فالحق انه بالصاد وان المراد توضيحه بتصويره بما يحاكيه في الخارج وذكر نظايره **فاعلم** اي اذا لم ترجع عن الحاجة في الطلب فاعلم امره بالعلم الصعوبة ما طلبه قبل الشروع فيه ليلقي فكره له وسمعه اعتناء به وبجوابه وكثيرا ما ياتي به المصنفون لذلك وقد استعملته العرب كما في قوله • فاعلم فعلم المرء ينفعه • ان سوف ياتي كلما قدرا •
فلذا خصه بالدعا له بالاكرام فقال **اكرمك الله** بعد ما دعا لنفسه وله سابقا وهي جملة معترضة دعائية اي جعلك الله معززا مكرما لحسن سؤالك وعظم ما سالت عنه وكونك باعثا لي على تدوين مثله ويجوز ان يقال انه اكرمه بسؤال الدله لاعتقاده انه اهل لما طلبه منه مخصوص به في عصره فلذا اجازا بهذا الدعا **ان حملتني** بالحا المهملة اي كلفتني ما يشق تحمل الاثقال فهو استعارة تمثيلية كما في قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها **من ذلك** الاشارة للمسئول عنه ومن بيانية على احد القولين في جواز تقدمها على المبين كما مرا وابتدائية لان حمله لذلك ابتدائية ما طلبه منه ثم انتهى الى الزيادة ويحتمل ان تكون تعليلية **امرا امرا** امرا الاول بفتح الهمزة واحد الامور ويحتمل ان يكون واحد الاوامر والاول اولى والثاني بكسرها وهو بمعنى عظيم او منكرا او عجيب والكل محتمل هنا الا ان الاول اولى اي كلفتني امرا عظيما لا اطيقه او منكرا عندي او عجيب طلبه مني لاني لست باهل له ففيه تواضع وهضم لنفسه **وارهقتني** بتاء الخطاب والارهاق والرهق تكليف ما لا يطاق واصل معنى رهقه غشيه وقد فسر قوله ولا ترهقني من امري عسرا بلا تكلفني امرا صعبا لا اقدر عليه وهو التحفظ عن التقصير فيما ساله **فيما ندبتني** اي طلبته مني ومنه المندوب
عسرا

عسرا بزنة فعلى وهو الامر العسير **وارقيتني** من الرقي وهو الصعود للمكان العالي بتكليفك ما سالته اي الجانى اليه بتكرر سؤالك والحاحك في طلب الاجابة **بما كلفتني** ما مصدرية اي بتكليفك ما سالته او موصولة والعايد محذوف اي كلفتنيه من ذلك وهو من الكلفة وهي المشقة والتكاليف المشاق وكلفته الامر حملته بمشقة ويتعدى لمفعولين بالتضعيف والكلفة تعتري في لوجه كالبهق كما قلت في قصيدة • للبدر قلت وقد حكى وجها له • فضح التكلف شيمة المتكلف •
مرتقى مصدر او صعودا **صعبا** وعرا شاقا **ملا قلبي رعبا** خوفا وفزعا وفيه استعارة مكنية وتخييلية وفي جعله غالبا اشارة الى علو قدره وشرفه **فان الكلام في ذلك** المسئول وهو تعليل لما ذكر من الصعود والمشقة **يستدعي تقرير اصول** اي يقتضي ما لابد منه من التقرير وهو التحقيق والتثبت وفي النهاية التقرير ترديد الكلام على المخاطب حتى يفهمه ومنه تقرير الدرس للطلبة واصل معناه جعل الشي قرارا في مكانه والمراد قراره في الذهن او الخارج والاصول جمع اصل وهو في اللغة الاساس وفي الاصطلاح ما يبنى عليه غيره والقاعدة الكلية والدليل ويصح ارادة كل منهما هنا **وتحرير فصول** اي تهذيب امور منفصلة والفصول جمع فصل بمعنى فاصل او مفصول وتحرير الشي تخليصه واظهار زبدته واصل معناه جعل الشي خالصا لوجه الاكرم موضع منه وحر الطين ما لم يخالطه غيره والحر يقابل العبد واما التحرير بمعنى الكتابة فخاص اريد به عام واصله الكتابة الملخصة او كتابة العتاقة والحرية كما في كشف الكشاف **والكشف** اي الاظهار والتبيين وهو منصوب معطوف على مفعول يستدعي لا على الكلام كما توهم فانه نعت لكاكه المعنى وان صح **عن غوامض** جمع غامض او غامض وهو خلاف الواضح واصله المكان المنخفض من الارض فاريد به ما ذكر لخفايه وجعله غامضة لمناسب الحقايق في التابيث امر نافه لا يليق لمثله لان فاعل الصفة لا يجمع على فواعل لانه مخصوص بصفات من يعقل بشروطه اما اسما الاجناس وصفات ما لا يعقل فيجوز فيها فجعلها بمنزلة الاسما غفلة **ودقايق من علم الحقايق** جمع دقيقة فعيلة من الدقة وهي خلاف الغلظة او صغر الجرم فاستعير لما يصعب ادراكه ثم شاع حتى صار حقيقة عرفية لان الدقيق كذلك والمراد به بعض احواله التي لا تدركها العقول القاصرة مما يدرك بالكشف ومشاهدة عين البصيرة الصافية فليت هي الغوامض السابقة لاسيما اذا فسرت بها مرة قبل البعثة فليتا بمعنى لان المقام يغتفر فيه التكرار وكيف يتاتى هذا مع قوله من علم الحقايق وهي جمع حقيقة وهي الذات والماهية المركبة من الذاتيات او العلوم المدركة بتصفية الباطن كما اصطلح عليه ارباب السلوك وهي غير متناهية للمعنى الاول وهي في كلام العرب الامور التي يجب حمايتها والانفة عن تركها من الرويا وقال الخليل الحقيقة ما يصير اليه حق الامر ووجوبه قال المرزوقي
• الم تر اني قد حميت حقيقتي • وباشرت حد الموت والموت دونها •
مما يجب للنبي بيان لما قبله وقيل انه بيان للمكشوف وما يجب له كالعصمة وعموم الرسالة وشرفه ذاتا وحسبا ونسبا ونحوه **ويضاف اليه** اي ينسب له ويوصف به وعطفه لانه مغاير لما قبله وهو كالقبيلة وقيل المراد به خصايصه ولا يرد ما سيصرح به لما سياتي **او يمتنع عليه** كالعيوب والنقايص وما لا يليق بمقام الرسالة **او يجوز عليه** من امور البشر كالاسقام والاعراض التي لا تورث نفرة ويضاف وما بعده معطوف على الصلة لا صلة موصول محذوف كما جوزه الكوفيون في نحو قوله كما بين في محله
• امن يهجو رسول الله منكم • ويمدحه وينصره سواء •
ومعرفة معنى النبي والرسول والرسالة والنبوة والخلة والمحبة روي بالنصب عطفا على مفعول يستدعي وروي بالجر عطفا على ما لا يجب لا على دقايق كما في المقتفي وقيل على المضاف اليه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تقريبوا والمراد بالمعرفة معناها المشهور لا التعريف وان جاز وانما استدعى الحال معرفة هذه لابتناء
كثير من صفاته عليها **وخصايص هذه الدرج العلية** مجرور معطوف على النبي والدرجة واحدة الدرج
وهي المراقي والمراد بها هنا رتبة النبوة والرسالة لنبينا او غيره ولزائم بمل خصايصه وقيل الجامعة لهذه
الصفات كلها والخصايص ما يختص به ولا يتعداه لغيره جمع خاصة او خاصية على كلام فيه في شرح
المفتاح **وههنا مهامه** ههنا اشارة الى المسلك الذي سلكه للوصول لمقصده • والمهامه جمع مهمه
كجعفر وهو القفر والمفازة البعيدة قيل انما سميت بها لكونها مخوفة تخفض فيها الاصوات فيقول
كل لرفيقه مه مه كما سميت المفازة اصلت **فيح** بفاء مكسورة وياء ساكنة وحاء مهملة جمع افيح او فيحاء
وهي الارض الواسعة والمهمه يذكر ويونث كما قال • ومهمه مغبرة ارجاؤه • وفي هذا الانتهاء
نظر وهذه استعارة تمثيلية شبه بيان ما ذكر لصعوبته بفلاة لاحتياجه لسعة الاطلاع وتوقفه
على انظار دقيقة في معرفة مقام النبوة فانه قد يقع فيما لا يليق به او يصفه بما ليس فيه فيدخل في زمرة
من كذب عليه وهذا من عطف القصة على القصة لبيان صعوبة ما كلفه السايل بطريق آخر جعله
او لاجلات شامخا وعرا

تعز بعد النزول منه مفازة بعيدة كما قيل •
• كيف الوصول الى سعاد ودونها • قلل الجبال ودونهن حتوف •

ومما يقضي منه العجب ما قيل انه جواب سوال مقدر اي كيف زعمت انك كلفت امرا صعبا وهذا
امر لا صعوبة فيه فاجاب بانه كيف لا يصعب وسالكه محتاج لاقتحام مهامه فيح هذا شانها
وكيف يصح جعله جوابا لسوال مقدر مع اقترانه بالواو ومع انه لا وجه للسوال ولا الجواب سوى انه
يويد وجه العجب **يحار فيها القطا** حار يحار كخاف يخاف مخافة اذا لم يهتد لمقصده وضمير فيها
للمهامه والقطا طاير معروف واحدته قطاة وهي توصف بسرعة الطيران والاهتدا في الظلمات
والتبكير حتى يقال انها ترد الماء من مسيرة عشرة ايام ثم تعود من ليلتها فلا تخطي صادرة ولا واردة ولذا
ضرب بها المثل فقيل اهدى من القطا كما قيل **شعر**
• والناس اهدى في القبيح من القطا • واضل في الحسنى من الغربان •

وهذا اما داخل في التمثيل او ترشيح له للمبالغة في بعد هذا المقصد والمراد انه مما تضل ارباب
الهداية وتحير فيه وقيل انها استعارة اخرى تصريحية **وتقصر عنها الخطا** وفي نسخة بها بدل
عنها وتقصر بفتح التا وسكون القاف وضم الصاد مضارع قصر بزنة كرم ضد طال والخطا بضم الخاء
جمع خطوة بضم الخا وفتحها وهي ما بين القدمين والمعنى ان هذه المهامه مع سعتها وكونها لا يعلمها
سالكها او غيره او لكونها وعرة ذات شوك وصخور تمنع الماشي بها من مد الخطا والبا بها بمعنى في او
سببية وعلى النسخة الاخرى فقصرها عنها بمعنى العجز عنها المامرا و لطولها وهو على حد قوله
ولا ترى الضب بها ينجحر • فالمراد انها لا تسلك اصلا وهو من جملة الترشيح او التمثيل او هو
تمثيلية اخرى وعلى كل حال فالمراد صعوبة ما كلف به وان الافكار فيها بطية الحركات او عاجزة
عنها راسا وما بعده كالتجريد كما ستراه **ومجاهل** مرفوع غير منون جمع مجهل وهو المفازة التي لا اعلام
فيها كما في المقتفى وهو المراد هنا وقيل المجهل المفازة ايضا وفي القاموس المجهل ما يحملك على الجهل
وجهله تجهيلا نسبه اليه وارض مجهل كمقعد لا يهتدى فيها ولا يثنى ولا يجمع انتهى وقال ابن سيده
في قوله • انا النضوح عن مجاهل قومنا • مجاهل فيه ليس له واحد يقاس عليه الا قولهم جهل وفعل
لا يجمع على مفاعل فهو من قبيل ملامح ومحاسن انتهى وفيه نظر لا يخفى وعلى القول بان مجهل اسم
الارض لا يثنى ولا يجمع فجمع المصنف له اما على القياس لان مفعل ومفعلة يجمعان اطرادا على مفاعل

ويكون

او يكون ثبت عنده • فان قلت ما معنى قوله في القاموس ما يحملك على الجهل • قلت يريد ما
ذكره اهل اللغة والعربية من ان صيغة مفعل تكون للزمان وتكون في كلام العرب لا يقتضي وقوع
ما اشتق منه ويدعوا اليه وان لم يقع بالفعل كقولهم الولد مجبنة ومبخلة اي يحمل المرء جبانا لتخلفه
عن الحرب وبخيلا لحرصه على بقائه ليربي ولده وبخيلا ليبقي ماله لولده وهو من نوادر العربية فاعرفه
تضل فيه الاحلام تضل بفتح الفوقية وكسر الضاد المعجمة مضارع ضل اذا لم يهتد وبمعنى سكر في
الاحلام جمع حلم بكسر الحا وسكون اللام بمعنى العقل اي المعقول غير مهتد به لمعرفتها على الاستعارة
المكنية والتخييلية او هو اسناد مجازي وهو احسن من تقدير ذوي الاحلام لانه يريق ما رونق الكلام
وجعل الاحلام تجاوزا عن اصحابها والمراد الصعوبة بقيد **ان لم يهتد بعلم علم** يهتد مبني للفاعل اي
انه لم يحصل لها الهداية لتمكنها بها وسلوكها بدليلها ويجوز بناوه للمجهول وعلم بفتحتين العلامة
المنصوبة في الطريق لتعرف ولذا سميت نصبا ويكون بمعنى الجبل ايضا لانه يهتدى به كما قالت الخنسا

• وان صخرا لتاتم الهداة به • كانه علم في راسه نار •

وفي قولها صخرا وهو اسم لطيفة اتفاقية هنا لمناسبة الجبل وعلم ضد جهل من اضافة المشبه به للمشبه
كقوله • ذهب الاصيل على لجين الماء • وقد يضاف المشبه للمشبه به كما تقول لضير شربت منه ما الدر المذاب
ولكن المعروف الاول ولك ان تقول انه استعار العلم بفتحتين للكبير من العلما لاهتداء الناس بعلمه
كما يقال فلان نجيل في العلم ولعلو قدره واشتهاره كما فسر به البيت وبين علم وعلم تجنيس وقيل
في عبارة المصنف ان علم الاول بكسر فسكون والثاني بفتحتين عكس المشهور وهو وان لم يخل من
وجه صحة خلاف الاولى **ونظر سديد** النظر بمعنى الابصار والفكر وهو ترتيب امور معلومة
للتادي الى مجهول وقيل ملاحظة المعقول لتحصيل المجهول والملاحظة توجه النفس نحو المعلوم
الحاضر في ذهنه والسديد ما له سداد بفتح السين وهو الصواب من القول والعمل وان لم يحصل
بالنظر **ومداحض** معطوف على مهامه وهو مكان الدحض بدال وحا مهملتين وضاد مهملة وهو
الزلق وسقوط الماشي ونحوه مما تزل الاقدام عن محالها لوحل ونحوه وفيه استعارة تصريحية
بتشبيه الوقوع في الخطا الغوص المطالب ودقتها بزلة القدم في المزالق المودية للسقوط فقوله
تزل بها الاقدام بفتح حرف المضارعة وكسر الزاي المعجمة او فتحها من الزلل وهو الزلق في الطين
ونحوه ويتجوز به عن الخطا فهو تاكيد لمداحض وترشيح او تجريد نحوي والاقدام جمع قدم وهو معروف
وهو استعارة تمثيلية لكثرة الخطا وما قيل من ان المراد بالاقدام العقول في الاذهان المدركة بتم
الايصال الى المرام على انه استعارة تصريحية غير سديد واستعارة الرجل للعقل لا يخفى ركاكتها
على من له عقل **ان لم يعتمد على توفيق الله عز وجل** الاعتماد افتعال من العمدة وهي في الاصل ما
يتكا عليه ويستند اليه ثم شاع في كل ما يقال عليه وهو بمعناه الاصلي مناسب لمداحض والثاني
مناسب للمقصود ففيه تورية • والتوفيق خلق القدرة على الطاعة وقيل خلق الطاعة وقيل تسهيل
سبيل الخير واصله جعل الاسباب على وفق المسببات وهو تفعيل من الوفق كما ان الاتفاق افتعال
منه ثم خص بما ذكر وهو اوفق باصله من قول المعتزلة اظهار الايات الدالة على وحدانيته وابداع ما
يعرف به في الانسان كالعقل والسمع والبصر لطفا منه تعالى والتاييد التقوية والاعانة من
الايد وهو القوة والمعنى انه ان لم يغثه الله بتوفيقه وتاييده زل واخطا وما احسن تذييل الحيرة
والضلال بقوله ان لم يهتد الخ وتذييل الزلل والدحض بقوله ان لم يعتمد ولما كان ما ذكر للسايل
من صعوبة مطلوبه وتوقفه على امور خطيرة يشعر بعدم اجابته استدركه وقفاه بقوله **لكني لما**

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ورحمته بكسر اللام الجارة وتخفيف ما الموصولة والعائد لها الهاء ويجوز ان تكون موصوفة وليس
لما بفتح اللام وتشديد الميم ولا ما مصدرية لاحتياجه للتكلف والجار والمجرور يتعلق بمقدر مقدم
او مؤخر للحصر اي اجبتك لهذا دون غيره او دون غيرك والرجا توقع ما يرجى حصوله والفرق بينه
وبين الطمع ان الراجي مؤمل لعدم الفوت بسبب له وقد يستعمل كل منهما بمعنى الاخر كقوله تعالى والذي
اطمع ان يغفر لي لك قدم نفسه لمطابقته للمقام ولان المرء يبدأ بنفسه في الخير وليس الايثار مطلوبا
في كل محل ولذا استحب تقديم المرء نفسه في الدعا كما مر لا لما قيل من ان النفس تراعي حالها اولا الا من
شرفت نفسه فانه يؤثر غيره من نوال وثواب في هذا السؤال والجواب فيه لف ونشر غير مرتب
لان النوال والثواب راجع لقوله لكي والسؤال والجواب لقوله لك والنوال العطا كالنائل والمنال
والتناول تفاعل منه والثواب العطا من ثاب اذا رجع وهو الجزاء بخير او شر لكن العرف والشرع خصصه
بالخير كما في النهاية وهو المراد هنا ومن بيانية مبينة لما على الوجهين وقد يقال ليس فيه توزيع لتعلق
كل منهما بكل منهما كما ذهب اليه بعض الشراح لان للمصنف عطا من الله لما صنفه وله ثواب عليه
وللسائل نوال وعطا لوصوله لسؤاله وثواب للتسبب لايجاد هذا الكتاب والدال على الخير كفاعله ووجه
الاول ان النوال عطا دنيوي عاجل للسائل بسؤاله والثواب اخروي للمصنف على اجابته لان المتبادر
من النوال الدنيوي ومن الثواب الاخروي فلا وجه لما قيل من انه لا دليل عليه وفي بعض النسخ ثواب
النوال بالاضافة وهو مؤيد للثاني بتعريف قدره الجسيم التعريف التبيين والباء سببية والقدر
شرف الرتبة والجسيم العظيم الجسم فاريد به مطلق العظم على انه مجاز مرسل او استعارة بتشبيه العظم
المعنوي بالحسي والقدر الجسيم ان كان علو رتبته عند الله والناس فهو مغاير لما بعده وعطفه
وان اريد اتصافه بكل صفة حميدة فهو من عطف الخاص على العام والى كل منهما ذهب بعض
الشراح وخلقه العظيم الخلق بضمتين ويسكن ثانيه تخفيفا وهو الطبيعة والسجية وقد عرفوه
بانه ملكة للنفس تصدر عنها الافعال بسهولة من غير فكر وروية فخرج بالملكة كل عارض غير قار من
الاحوال وبصدوره عن النفس ما يصدر عن الجوارح كالكتابة وغيرها من الصنائع العملية وبقيد السهولة
ما كان بصعوبة كالصبر على بعض النوائب وكذا ما صدر بغير تفكر فكله لا يسمى خلقا والخلق للنفس بمنزلة
الخلق للبدن والخلق الحسن من اعظم المنن من الله وفي الحديث اكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن
الخلق وخلق النبي صلى الله عليه وسلم اعظم الاخلاق قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وسياتي الكلام فيه
وبيان خصائصه جمع خصيصة وهي ما خصه الله به فانفرد به عن كل ما سواه او انفرد به عن غيره من
الانبيا او عن امته والاولى خصائص مطلقة حقيقية وما عداها اضافية وليس جمع خاصة لانها
كالخاص خلاف العامة لا بمعنى ما انفرد به عن كل ما سواه واما الخاصة بمعنى الاثر الذي لا يظهر سببه
كجذب المغناطيس الحديد فمن مصطلح الاطبا كخواص التراكيب عند اهل المعاني على ما فصل في شروح
المفتاح وما ذهب اليه بعض علما الشافعية من منع الكلام على الخصائص النبوية او كراهته قيل انه
متاول بالكبرى وسياتي بيانه وقيل محل الخلاف بيان ما حرم عليه كنزع لامته وخائنة الاعين وفيه نظر
والحق ان منها ما يلزم ذكره لئلا يقتدي به غيره او يدفع توهم ارتكابه لغير المشروع كزيادة زوجاته على اربع
وما هو مستحب كغيرها ويدخل فيها ما اختصت به امته واذا عرفت هذا فقوله التي لم يجتمع قبله في مخلوق
بيان شامل لسائر الاقسام كان المراد انه تفرد بمجموعها دون كل فرد منها فاعرفه وما يدان الله تعالى
به اي يتعبد ويطاع لامره به من الدين المعروف وهو معطوف على خصائصه وقيل على قدره من حقه
بيان لما وقد ورد في الادعية الماثورة اسئلك بحق محمد فقالوا المراد بحقه مرتبته ومنزلته او الحق

الذي

الذي جعله الله له على امته تفضلا به عليه كما في العقد المنظم لابن حجر والمراد هنا الثاني وهو ما يجب
له على امته من حق بمعنى ثبت ويجوز ان يراد به ما يقابل الباطل من اليقين الثابت حقيقة بالدليل كما قيل
وفيه تكلف كالقول بان من للتبعيض لان اضافته للعموم فلو كانت بيانية لزم ادعاه بيان جميع حقوقه
اذ المراد جنس الحقوق فتامل الذي هو ارفع الحقوق صفة ما وحده والمراد انها ارفع من غيرها من حقوق
البشر لا ما عداها حتى حقوق الله وارفع من الرفعة وهي العلو والشرف فتعريف الحقوق للعهد او للكمال
العرفي ويجوز ان تكون صفة مخصصة للحق وتخصيص الارفع منها بالذكر اهتماما به والمراد بيانه على طريق
الاجمال اذ التفصيل يضيق عنه الحصر ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا
الاستيقان استفعال من التيقن من يقن كفرح واستيقن وتيقن وايقن بمعنى علم علما محققا لا شبهة فيه
بايقانه بالادلة النافية للشبهة ولذا قيل انه لا يوصف به علم الله ويقال ثلج اليقين دون العلم كما فصلناه
في عناية القاضي وقوله يزداد افتعال من الزيادة وفيه دليل على ان الايمان يقبل الزيادة والنقص والكلام
فيه مفصل في محله لا حاجة لنا به هنا واقتبس المصنف الاية هنا تعليلا لتعريف قدره وخلقه وخصائصه
الذي به يتيقن ذلك او لكون الله يرا انبيائه حقوقه فكانه قال بتعريف فضائله وخصائصه يتحقق
اهل الكتاب حقية رسالته لموافقته لنعته المذكور في كتبهم ويزداد ايمان المومنين من امته بتحقق ما له
من المحامد فالمراد باهل الكتاب اليهود والنصارى والكتاب التورية والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية
وتخصيص هؤلاء بالذكر ليس للحصر لان المراد تعميمه وشموله لجميع احوال الانبيا لا مجرد اتباع معنى النظم
القراني وان لم يطابق السياق كما قيل وقد يقال المراد بالذين اوتوا الكتاب اهل العلم بالتفسير والحديث
ومن بعدهم مما عداهم من المومنين والمعنى ان هذا التعريف يستيقن ما تضمنه العلما ويزيد ايمان العوام ويجوز
للمستيقن ان يقصد بالنظم غير المراد به على طريق التمثيل وان كانت هذه الاية وردت في عدد خزنة جهنم وكونهم
تسعة عشر فانه مما استيقنه اهل الكتاب لموافقته ما عندهم وازداد ايمان غيرهم لعلمهم بذلك وفي الاية دليل
على ان الايمان مما يقبل الزيادة والنقصان والكلام فيه مشهور فلا حاجة لذكره اذ لا يخفى ان ايمان الانبيا
والملائكة ليس كايمان غيرهم فان قلنا بدخول الاعمال فيه فهو ظاهر كما بين في الاصول لما بكسر اللام وتخفيف
الميم من ما الموصولة او الموصوفة وتقدير العائد كما مر وهو علة ثانية للتعريف المستفاد من هذا الكتاب
اخذ الله على الذين اوتوا الكتاب المراد بالذين اوتوا الكتاب هنا ايضا اهل العلم مطلقا او اهل
الكتب المتقدمة في النزول او اليهود كما هو احد التفاسير في هذه الاية وقد استدل بها على وجوب نشر
العلم والمراد بها العهد والميثاق الذي اخذه الانبيا على اممهم ان يبلغوا ما سمعوه كما قال نبينا صلى الله
عليه وسلم الا ليبلغ الشاهد الغائب ونحوه وقيل المراد ما اخذ من العهد يوم الست بربكم في عالم الذر
ليبيننه للناس ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا ولم تتل الاية بتمامها
لعدم مناسبة ما قبلها لما اراده والضمير ان المنصوبان للنبي صلى الله عليه وسلم لعلمه مما سبق في كلام
المصنف وان كان في النظم بخلافه فلا حاجة الى القول هنا بانه علم من السياق وان لم يجر له ذكر كما قيل
وقيل هما للكتاب وهو عام للمعلوم والعلما ويدخل فيه امر النبي صلى الله عليه وسلم دخولا اوليا ولم يوكد يكتمونه
كما اكد يبيننه قبله اما لانه جملة جوابية ولا يكتمونه حالية وليست كما قيل بتقدير مبتدا اي وهم لا يكتمونه لاجل
الواو الحالية لان الحال المنفية يجوز فيها الوجهان وليست كالمضارع المثبت كما صرح به النحاة او هو معطوف
على الجواب نحو جواب والجواب المنفي لا يوكد قيل وهو اصوب ولما استدل على مدعاه بالنظم الكريم عقبه بالاثر الوارد
بالحديث فقال ولما الخ تنبيه قال الزركشي في قواعد تصنيف كتب العلم لمن منحه الله فهما واطلاعا
فرض كفاية ولن تزال هذه الامة مع قصر اعمارها في ازدياد وترق في المواهب والعلم فلا يحل كتمه فلو ترك التصنيف

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لضيع العلم على الناس وقد قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الخ وفي التورية علم مجانا كما علمت مجانا انتهى
وقوله لما بكسر اللام وتخفيف الميم ايضا فان قلت قوله لتبيننه هل هو جواب قسم معلوم من الميثاق او مقدر
قلت هذا محتمل الا ان ابن الاثير قال في كتاب البديع ان للعرب الفاظا تتلقاها تارة بما يتلقى به القسم
كقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه الاية وتارة لا تتلقاها به كقوله واذ اخذنا ميثاقكم
ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم وتارة يكون الذي بعدها يحتمل الامرين كقوله واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون
دماءكم ومعنى الاية ان قوله الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب
اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون قال الشيخ والدي ابن حجر قال ابن عباس وجماعة انها نزلت في اليهود والنصارى
وقيل في اليهود لكتمهم صفة النبي في التورية وقيل هي عامة وهو الصواب لان العبرة بعموم اللفظ لا
بخصوص السبب ثم ذكر الاية التي ذكرها المصنف وقال انها نزلت في اليهود وكتمهم صفته صلى الله عليه وسلم
وغيرها والعبرة فيها ايضا بعموم اللفظ والبينات ما نزل على الانبياء من الكتب والوحي والهدى الادلة العقلية
والنقلية قال وقوله من بعد في الاية الثانية طرق لقوله يكتمون لا لانزلنا لفساد المعنى يعني ان البيان
متاخر عن الكتم لا عن الانزال لسبقه عليه وهو غير مسلم لجواز ان يراد بما انزل وبين ما انزل في التورية
وبين لاسلاف بني اسرائيل وبالكتم كتم اليهود الذين كانوا في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يجوز
تعلقه بكل منهما **حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه** رحمه الله هو الامام القرطبي الزاهد المحدث
المعروف بابن العواد احد شيوخ المصنف وهو من عرض عليه القضا فلم يقبله وتوفي بقرطبة سنة تسع وخمسمائة
ومولده سنة اثنين وخمسين واربعمائة **بقراءتي عليه** قال المحدثون من سمع من حفظ شيخه يقول حدثنا
واخبرنا وانبانا قال العراقي وهو منتجة ومن قرا عليه او سمع بقراءة غيره عليه فالاجود ان يقول قرات على فلان
او قرئ عليه وانا اسمع وفي العرض يقول حدثنا فلان بقراءتي عليه او قرئ عليه وانا اسمع كما فصل في مصطلح
الاثر ولذا قال المصنف بقراءتي عليه **قال حدثنا الحسين بن محمد** هو الحافظ ابو علي الغساني المشهور
حدثنا ابو عمر اي قال الحسين حدثنا ابو عمر وهو شيخ الاسلام حافظ المغرب ابن عبد البر بن عاصم
النمري القرطبي صاحب الاستيعاب وغيره من الكتب الجليلة ولد في ربيع الاخر سنة ثمان وستين وثلاثمائة
بقرطبة وتوفي بشاطبة ليلة الجمعة سلخ ربيع الاخر سنة ثلاث وستين واربعمائة وعمره خمس وتسعون
سنة **النمري** بفتح الميم نسبة الى نمر بفتح النون وكسر الميم اسم قبيلة وهو في الاصل اسم جدهم نمر بن
قاسط بن هنب وفتحت ميمه تخفيفا لئلا يتوالى كسرتان ويا مشددة على القياس المطرد في كل مكسور العين
مضموم الفا او مكسورها او مفتوحها فان كان مكسورها كابل جاز فيه الفتح وابقاء كسرها كما ذكره النحاة
قال حدثنا ابو عبد الله بن عبد المومن في المقتفي هو ابو عبد الله بن محمد بن عبد المومن القرطبي من
قدما شيوخ ابن عبد البر وفي الميزان انه كان تاجرا صدوقا لقي الكبار واخذ عنهم الا انه لم يكن جيد الضبط
فربما وقع له الخلل والمصنف نسبه لجده **ابو بكر محمد بن بكر** المعروف بابن داسة من مشايخ الحديث
المشهورين وداسة بدال مهملة تليها الف ثم سين مهملة بعدها تا تانيث وهو احد رواة سنن ابي داود
حدثنا سليمان بن الاشعث هو الامام الحافظ ابو داود سليمان بن الاشعث بن اسحاق ابن بشير
شداد بن عمرو الازدي السجستاني صاحب السنن ولد سنة سبعين ومايتين وسمع بمصر والحجاز والعراق
من خلق كثير وروى عنه ابن داسة وغيره وله ترجمة مفصلة في التواريخ **قال حدثنا موسى بن اسمعيل**
هو ابو سلمة بن اسمعيل المنقري التبوذكي نسبة لتبوذك بمثناة فوقية مفتوحة فموحدة مضمومة فذال
معجمة مفتوحة يليها كاف اسم موضع نزل قوم من اهله عند ابي سلمة فقيل له تبوذكي او لانه كان له دار بها
واصل معنى التبوذكي من يبيع ما في بطون الدجاج ككبدها ونحوها وقيل انه ايضا لبيع السبوذكي وهو السرجين

موسى

وموسى هذا روى عنه اصحاب السنن ووثقوه وقيل انه فيه لين توفي سنة ثلاث وعشرين ومايتين
قال حدثنا حماد واطلقه والمراد به كما قال البرهان الحلبي حماد بن سلمة بن دينار احد الاعلام مولى قريش
او تميم وهو ثقة لم يتهمه الا من رق دينه وقيل انه كان من الابدال لانه تزوج كثيرا ولم يولد له وهو من عادتهم
كثرة الصلاة لطي الزمان لهم او لغيرهم كما ذكره السيوطي في ترجمة ابن الهمام وكان مجاب الدعوة ولم يرد
حماد بن زيد وان كان من الكبار ايضا لان التبوذكي تفرد بروايته عن حماد بن سلمة ولم يرو عن حماد بن زيد
كما قاله ابن الجوزي في كتاب الجمال في اسما الرجال فما في بعض الحواشي من انه حماد بن زيد وهم توفي سنة
مايه وسبع وستين وله ترجمة في الميزان **قال حدثنا علي بن الحكم** البناني البصري وقد
روى عن الحمادان وعداه من المحدثين توفي سنة احدى وثلاثين ومايه وهو ثقة وقيل فيه لين **عن
عطا** هو ابن ابي رباح ابو محمد المكي القرشي مولاهم احد الاعلام روى عن عايشة وجابر وابن عباس
وزيد بن ارقم وروى عنه الاوزاعي وابو حنيفة وغيرهما وعاش ثمانين سنة وتوفي سنة خمس واربع عشرة
ومايه وهو من كبار التابعين المتفق على توثيقه وجلالته وفي المقتفي انما ميزته لاشتراك اسمه بين
جماعة رووا عن ابي هريرة وهذا هو المراد هنا دون غيره وقال التلمساني المراد به عطا بن يسار الهلالي
مولى ميمونة ام المومنين ورجح الاول بان الذهبي وابن الجوزي لم يذكرا عطا بن يسار رواية عن ابي
هريرة ولا يلزم انه لا يخفى من عدم ذكرهما ان لا يكون له عنه في الواقع مع ان النووي وغيره قالوا له
رواية عنه ٭ **اقول** هذا كله خبط عشوى فان المصنف روى هذا عن ابن عبد البر وقد ذكره في كتاب
العلم وصرح بانه ابن ابي رباح كما رايته فيه وعبارته قال قرات على عبد الوارث بن سفيان ان قاسم ابن
اصبغ حدثهم قال حدثنا بكر بن حماد قال حدثنا مسدد قال حدثنا عبد الوارث عن علي بن الحكم عن رجل عن
عطا ابن ابي رباح عن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم وساق الحديث والرجل الذي
يرويه عن عطا يقولون انه الحجاج بن ارطاه وليس عندي كذلك والحجاج بن ارطاه مشهور بالتدليس
ورواه حماد بن سلمة عن علي ابن الحكم ولم يقل عن رجل وكذلك رواه عمارة الصيدلاني عن علي بن الحكم عن
عطا عن ابي هريرة ثم ذكر له طرقا اخر وقال قال الحسن دخلنا فاغتمينا وخرجنا فلم نزدد الا غما اللهم
اليك نشكوا هذا الغثا الذي كنا نحدث ان اجبناهم لم يفقهوا وان سكتنا عنهم وكلناهم الى عي شديد
ولولا ما اخذ الله على العلما في علمهم ما انباناهم بشي ابدا وكان ابو هريرة يقول لولا آيتان في كتاب الله ما
حدثتكم شيا ان الذين يكتمون ما انزلنا والتي تليها الحديث انتهى واخذ المصنف ما قاله ابن عبد البر
وقدم فيه واخر وغير والمراد به في اصله صرح بان عطا هو عطا بن ابي رباح فما في الحواشي ناشي
من عدم الوقوف على نقول الايمة **عن ابي هريرة** الدوسي وهو من غلبت كنيته اسمه ولذلك اختلف فيه
وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كناه بها لما راه يحمل الهرة في كمه وقيل المكني له غيره وفي اسمه اقوال
نحو الثلاثين اشهرها انه عبد الله او الرحمن وكان اسمه في الجاهلية عبد شمس واسلم عام خيبر وشهدها
ولازم مجلس النبي صلى الله عليه وسلم صابرا زاهدا ولذا عد احفظ الصحابة وروى عنه ما لم يرو عن
غيره وفي البخاري انه قال لم يحفظ احد اكثر مني الا عبد الله بن عمرو بن العاص فانه كان يكتب وانا لا
اكتب وكان النبي دعا له بالحفظ فلم ينس شيا سمعه بعد والحديث فيه معروف ومات بالمدينة وقيل
بالعقيق وفي الشروح الجديدة نقلا عن ابن حجر ان هريرة مجرور بالكسر لان المجموع علم منقول فالمنقول
يبقى على اصله قبل النقل لان جزء العلم غير علم فلا يخرج عن تنكيره وصرفه ولو اعطي مثله حكم العلم لم
تدخل اللام في مثل شمس الدين فيجوز ابو الهريرة وابو هريرة بالتنوين وكونه غير منصرف للعلمية والتانيث
لان المضاف والمضاف اليه ككلمة واحدة اورد عليه انه يلزمه رعاية الاصل والحال في لفظة واحدة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فيعرب اعراب المضاف نظرا لاصله ويمنع صرفه نظرا للحال ثم قال ان البرهان الحلبي قال
هريرة لا ينصرف لكثرة الاستعمال واطال فيه من غير طايل • وانا اقول هذا كله كلام ناش من
عدم التامل وهو مما يقضي منه العجب فان السماع فيه منع الصرف وكتب العربية مشحونة بنقله
عن علما العربية وهو مصرح به في ايضاح ابن الحاجب وفي كتب ابن مالك ونقله شراح التسهيل واتفق
عليه شراح الكشاف فانهم بقاطبتهم قالوا في شهر رمضان المركب الاضافي اذا جعل علما لجزؤه
الثاني هو المنظور اليه في احكام العلمية ولزوم ال اذا قارنت الوضع وامتناعها في غيره كابن داية
وصرح به سيبويه وابو علي وانما غرهم فيه كلام بعض المتاخرين من المغاربة نعم في بعض حواشي
المفصل انه لا مانع من لمح اصله الا انه ما باه السماع وقد اشبعنا الكلام عليه في الشواهد فان اردت
شفا الغليل فانظره من سيل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار قال السيوطي في تخريج احاديث
هذا الكتاب هذا الحديث اسنده المصنف من طريق ابي داود واخرجه الترمذي وحسنه وابن حبان
والحاكم وابن ماجة بسند صحيح من طريق محمد بن سيرين انتهى واسنده ايضا ابن عبد البر من طريق
كما مر فما نقل عن الامام احمد من انه لم يصح وعن غيره من انه ضعيف لا يلتفت اليه وفي الفاظه
اختلاف ففي بعضها كتم علما ما ينفع الله به الناس وفي بعضها ترك كتمه بدل فكتمه والمراد كما
قالوه بالعلم الممنوع عن كتمه ما يلزم تعليمه ويتعين كتعليم حديث عهد باسلام الصلاة
ومستفت في الحلال والحرام ولا حاجة لتقييده باهلية السايل الحديث واضع العلم عند غير اهله
كمقلد الدر رقاب الخنازير لانه ليس على اطلاقه فان الافتاء فرض كفاية فان تعين كان فرض عين
وقال الفقها ابدا الله الذين يبقا بهم يجب على الامام في كل مسافة قصر ان يضع فيها من يعلم الناس
امر دينهم ومن العلم ما هو فرض كفاية كالفقه وما هو فرض عين كمعرفة الله وما يجب له وعليه
ومباح كالعلوم التي ليست بدينية وحرام كالسحر والشعبذة • والكتم الاخفا واللجام بزنة كتاب
ما يوضع في فم الدابة معروف وهو معرب لكام اولغام وقيل انه عربي لتصرفيه كالجم ومليجم وهو
في المعرب نادر والجمه اذا وضعه في فمه والجمه العرق اذا وصل الى الفم ويقال الجم اذا سكت
• قال ابو نواس •
مت بدا الصمت خير لك من دا الكلام • انما السالم من • الجم فاه بلجام •
والالجام في السكوت والعرق مجاز شاع حتى صار بمنزلة الحقيقة والجمه العرق بمعنى اهلكه
ابلغ من علا عليه الى الما فيه من بيان سبب هلاكه بمنع النفس والمقصود هنا انه يعرق جملته
كما في الجمه العرق وان يزاد احراق لسانه بدخول النار لفيه او بوضع حديدة محماة فيه ويجعل
ذلك علامة عليه لانه كالحيوانات العجم فجوزي من جنس عمله لفظا ومعنى فهو مستعار لما يمنع الكلام
كاللجام المانع من الجماح او مجاز مرسل والاستعارة التخييلية غير مناسبة هنا والبا بلجام للالة
او المصاحبة وقيل ان الله يخلق له صورة لجام من نار توضع في فيه وقيل انه تشبيه لما وصل
لفيه من النار وخص اللجام للتشبيه مرادة منعت عما يريد وهو تكلف وهذا لا ينافي قوله
يوم تشهد عليهم السنتهم الاية لان في القيامة مواقف متعددة لكل منها حال تخصه يوم
القيمة سمي به اليوم الموعود لقيام الناس من قبورهم او لوقوفهم فيه كما يقال له الموقف
وهو يوم الحشر والحساب او من قام بمعنى ظهر تتمة وفايدة مهمة قال النووي في الاذكار
ذكر الفقها والمحدثون يجوز ويستحب العمل في الفضايل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف
ما لم يكن موضوعا واما الاحكام كالحلال والحرام والمعاملات فلا يعمل فيها الا بالحديث الصحيح والحسن

الا ان يكون

الا ان يكون في احتياط في شي من ذلك كما اذا ورد حديث ضعيف بكراهة بعض البيوع او الانكحة
فان المستحب ان يتنزه عن ذلك ولكن لا يجب انتهى وخالف ابن العربي المالكي في ذلك فقال ان
الحديث الضعيف لا يعمل به مطلقا وقال السخاوي في كتابه القول البديع سمعت شيخنا ابن حجر مرارا
يقول شرايط العمل بالحديث الضعيف ثلاثة الاول متفق عليه وهو ان يكون الضعف غير شديد ليخرج
من انفرد من الكذابين والمتهمين ومن فحش غلطه والثاني ان يكون مندرجا تحت اصل عام فيخرج ما يخترع
بحيث لا يكون له اصل اصلا والثالث ان لا يعتقد عند العمل ثبوته لئلا ينسب الى النبي صلى الله عليه
وسلم ما لم يقله والاخيران عن ابن عبد السلام وابن دقيق العيد والاول نقل العلاي الاتفاق عليه
وعن احمد انه يعمل به اذا لم يوجد غيره وفي رواية عنه ضعيف الحديث احب الينا من راي الرجال وذكر
ابن حزم الاجماع على ان مذهب ابي حنيفة ان ضعيف الحديث اولى عنده من الراي والقياس اذا لم يوجد
في الباب غيره وفي العمل بالحديث الضعيف ثلاثة مذاهب لا يعمل به مطلقا يعمل به مطلقا يعمل به في
الفضايل بشروطه وقيد ابن الصلاح جواز رواية الضعيف باحتمال صدقه في الباطن وهل يشترط
في الاحتمال ان يكون قويا ام لا فيه خلاف وظاهر كلام مسلم انه اذا لم يكن قويا لا يعمل به انتهى وللعلامة
الدواني في انموذجه على هذه المسئلة اشكال اورده على القوم وحاول الجواب عنه بما زاده اشكالا وليس
بشي وهو انه قال اتفقوا على انه لا يعمل بالحديث الضعيف ولا تثبت به الاحكام الشرعية ثم انهم ذكروا
انه يجوز بل يستحب العمل به في فضايل الاعمال كما في الاذكار وفيه اشكال لان جواز العمل واستحبابه
من الاحكام الخمسة الشرعية فاذا استحب العمل به كان ثبوت ذلك بالحديث الضعيف وهو ينافي ما تقدم
ويناقضه وحاول بعضهم التفصي عنه بان المراد انه يجوز روايته وهو لا يرتبط بما قالوه والذي يصلح
للتعويل عليه ان يقال انه اذا وجد حديث في فضيلة عمل من الاعمال لا يحتمل الحرمة والكراهة يجوز العمل به
ويستحب لانه مامون الخطر ومرجو النفع اذ هو دائر بين الاباحة والاستحباب والاحتياط العمل به رجاء
الثواب فان دار بين الحرمة والاستحباب لا يعمل به وان دار بين الاباحة والاستحباب فهو اسهل لان المباح
يصير بالنية مستحبا وان دار بين الكراهة والاستحباب فلينظر ايهما اقوى خطرا يرجح اليه فجواز العمل
به واستحبابه مشروط بعدم احتمال الحرمة الا انه اذا لم توجد الحرمة فجواز العمل به ليس لاجل الحديث على
ان الاباحة ايضا من الاحكام الخمسة فالحق ان الجواز معلوم من خارج والاستحباب معلوم من القواعد
الشرعية الدالة على استحباب الاحتياط في الدين فلم يثبت شي من الاحكام بالحديث انتهى • اقول
اذا احطت خبرا بما قدمناه من كلام الحافظ السخاوي عرفت ان ما قاله الجلال مخالف لكلامهم برمته وما
نقله من الاتفاق غير صحيح مع ما سمعته من الاقوال والاحتمالات التي ابداها لا تفيد غير تسويد وجه
القرطاس والذي اوقعه في الحيرة توهمه ان عدم ثبوت الاحكام به متفق عليه وانه يلزم من العمل به
في الفضايل والترغيب انه يثبت به من الاحكام وكلاهما غير صحيح • اما الاول فلان من الايمة من جوز
العمل به بشروطه وقدمه على القياس • واما الثاني فان ثبوت الفضايل والترغيب انه يثبت به من
الاحكام لا يلزمه الحكم الا ترى انه لو روي حديث ضعيف في ثواب بعض الامور الثابت استحبابها
والترغيب فيه او في فضايل بعض الصحابة او الاذكار الماثورة لم يكن مما ذكر ثبوت حكم اصلا ولا حاجة
لتخصيص الاحكام والاعمال كما توهم للفرق الظاهر بين الاعمال وفضايل الاعمال واذا ظهر عدم الصواب
لان القوس في يد غير باريها ظهر انه لا اشكال ولا خلل ولا اختلال فبادرت بادر فاعل بمعنى فعل
والمبادرة العجلة الى فعل ما يرغب فيه وهو يتعدى بنفسه وبالى كما يقال بادرته وبادرت اليه ولما كان
الفا لا تدخل في حين لكن لا سيما اذا كان ضميرا فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها قالوا انه معطوف على مقدر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهو الخبر المتعلق به قوله اي لكني اجتنبك لما رجوته فبادرت الخ الى نكت اي الى جمع نكت وبالغها
ونكت جمع نكتة كنقط ونقطة ويجمع ايضا على نكات بالكسر كبقعة وبقاع وعليه اقتصر في القاموس
وسمع فيه ايضا نكات بالضم وقيل الفه للاشباع وقيل الفه للاشباع والنكتة المعنى الدقيق النادر والكلام
القليل الحسن وهي ما في الاصل فعلة من النكت وهو النبش الخفيف في التراب بعود ونحوه والانسان يفعله
اذا تفكر في امر خفي فنقلت لما ذكر اما للتاثير في النفس ولانه يحتاج تفكر وتامل او هي منقولة من النكتة
بمعنى نقطة من لون يخالف ما هي فيه اما لرقتها في النظر بالنسبة لما هي فيه او لمخالفتها لغيرها من الكلام
وما قيل من انها تطلق على قليل جدا في وجه المرآة او السيف كالوسخ كما ورد في حديث الجمعة لا يناسب المقام
مع انه ماخوذ منها مشفرة وفي نسخة سافرة وفي اخرى مسفرة سافرة بالجمع بينهما من الاسفار وهو الكشف
مطلقا وقوله في القاموس سفرت المراة كشفت عن وجهها تمثيل لا تخصيص حتى يكون تجريدا كما قيل لقوله تع
والصبح اذا اسفر وفي المقتفي سفر بمعنى كشف كما قال

سفرن وجوها بدورا واستعبن اهلة • ومسن غصونا والتفتن جآذرا •

وعلى نسخة مسفرة سافرة ينبغي ان يتغايرا فسافرة بمعنى مشرقة مضيئة وسافرة بمعنى كاشفة للغرض
عبث لا يحتاج لكتاب آخر قيل في وصف النكت بالاسفار لطافة ونكتة اي لانها تكشف ما تحت التراب
وهو امر سهل عن وجه الغرض الوجه يكون بمعنى الجهة المقصودة والعضو الذي به المواجهة ويستعار
لخيار الشيء واوله ولرئيس القوم والغرض بغين وضاد معجمة بينهما را مهملة مفتوحة كاوله الهدف ويتجوز به
عن الفائدة المقصودة من الشيء وهو حقيقة عرفية فيه لكونه مقصدا وهو قبل الشيوع استعارة او مجاز مرسل
من استعمال المقيد في المطلق او الشيء في لازمه والنكت المسفرة العبارات الدالة على المراد والوجه ان كان
بمعنى الجارحة ففي الغرض استعارة مكنية يرشحها سافرة او هو استعارة ايضا مؤدى من ذلك الحق المفترض
مؤدي اسم فاعل من اداه تادية اذا اوصله من الاداء او هو حال من فاعل بادرت او من وجه الغرض والاشارة على
الاول للغرض الذي هو تعريف حق المصطفى ومن الداخلة عليه بيانية بناء على جواز تقدمها على المبين او تبعيضية
لان حق المصطفى اكثر من ان يحيط به كتاب وهو الحق وعلى الثاني الاشارة للحق الذي هو نعت اسم الاشارة وهو على
الوجهين مفعوله لتعديه مفعولين والثاني على الاول الحق والمفترض صفته وعلى الثاني هو المفترض ويصح ان
يفسر هنا بموصلا الى السائل مراده او قاضيا لحقه كانه لتعين اجابته عليه دين في ذمته يلزمه اداؤه والافتراض
افتعال من الفرض والمراد به اللازم جعله فرضا مبالغة والكلام في الفرض والواجب مشهور ولا فرق بينهما عند
الشافعية وعندنا ما ثبت بنص قطعي فرض وغيره واجب وقد يستعمل كل منهما بمعنى الاخر واعتقاده ما في هذا الكتاب
واجب جملته لا بيانه كتابة وبالنفا ولذا قيل انه هنا فرض كفاية واعاد المصنف اللام الجارة في قوله لما اشار الى
استقلال كل منهما بالعلية لاجابة سؤاله ولا شك في كفاية كل واحد منهما فان الاجر الجزيل والعطا الجليل اذا ترتب
على فعل يكفي فيه تقربه وانه يثاب والمقصود اذا كان له طريقان فالسالك مخير في سلوك ايهما شاء لا سيما
وهذه الطريق اكثر ثوابا واحسن لعدم انقطاعها وفي الحديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية
او ولد صالح يدعو له او علم ينتفع به واما كراهة بعض السلف تدوين الكتب فلا صحة له على اطلاقه فان السلف على
خلافه وقد امر عمر بن عبد العزيز وناهيك به الزهري بتدوين الحديث وكتابته كما في البخاري وكان ذلك اول
ما صنف في الحديث لا اول ما كتب منه فان من الصحابة من كتبه كما مر ولذا حكى بعضهم الاجماع على جوازه وانما منع
بعضهم منه في العصر الاول للحوق بالقرآن اذا لم يكن حينئذ مدون غيره مع عدم الاحتياج له فسقط ما قيل من ان
العلتين الاخريين لا يقتضيان المقصود هنا وانما اقتضا اعادة العامل الاستقلال في غاية الظهور فلا حاجة لانتا
كما قيل اختلستها الاختلاس الاخذ بسرعة خفية فقوله على استعجال تاكيدا او تجريد فان فسر بالاخذ

خفية

خفية او بالاستلاب كما في القاموس فهو تاسيس ومنهم من اخذ فيه قيد القهر والمكابرة وفيه لطف لجعله
كالمحارب للزمان لينال فرصة ينتهزها كما قيل • انتهز الفرصة ان الفرصة • تصير ان تنتهزها غصة •
وفي البعض اختلستها بضمير الجمع وتكلفوا لتوجيهه بان المراد ان القوم اختلسوها من بين العوايق وانا تلقيتها
منهم ودونتها وصح رواية هذه النسخة وقال السيد المشهور خلافه وهو الاوجه لا الصواب كما توهم لما المرء بصدده
المرء مثلث الانسان وفسره بعض اللغويين بالرجل والاول اظهر وليس هذا التفات ولا تفنن لان المراد التعميم ولذا لم
يقل لما انا والصدد بفتحتين فمهملات بمعنى المقابلة او القرب والثاني اقرب وهو تعليل للمبادرة والاستعجال
او للاختلاس يعني انه اسرع فيه لخوف ان تحول العوايق بينه وبين مراده من شغل البدن والبال بضم الشين
المعجمة ويجوز فتحها يقال شغله اذا عاقه واشغله بالهمز لغة ردية وكتبه بعض عمال الصاحب له في رقعة فوقع
عليها من يكتب اشغالي لا يصلح لاشغال ولا وجه لترد صاحب القاموس فيه والبدن معروف والبال له معان
منها الفكر والحال والقلب وهو اقرب هنا ولو فسر بالعكس صح اي الامراض والهموم عايقة عما يريد وقل ما يخلو
عاقل من مثله فان الهموم بقدر الهمم بما طوقه ماض مجهول بضم الطاء المهملة وكسر الواو المشددة ويتعدى لمفعولين
اولهما المستتر القائم مقام الفاعل والثاني ضمير الغايب وهو من الطوق بمعنى الطاقة والوسع فالمعنى بما كلف
وابتلي به او من طوق العنق فهو استعارة لما الزم به ومنه طوق الحمامة لبياض في عنقها قال المتنبي

• اقامت في الرقاب له ايادٍ • هي الاطواق والناس الحمام •

وهذا ورد في كلام العرب لكل لازم محمودا كان او مذموما وقوله في كشف الكشاف انه لم يرد الا في الذم لا وجه
له ورد للكشف لانه سال حاتما ابن له عن ابل له افناها القرى فقال له طوقتك مجد الدهر طوق الحمام كما ذكره في
مرآة الزمان وفي الشروح هنا كلام طويل بغير طايل من مقاليد المحنة بيان لما والمقاليد اما جمع لا واحد له
او واحده مقليد او مقلاد او اقليد وهو معرب كليد بمعنى القفل ومعناه بعد التعريب المفتاح او الجزء منه
والاول اثبت باصله وورد بمعنى الحبل المفتول ومنه ضاقت مقاليده اي موره هذا محصل ما قالوه في معناه
وحينئذ فالمراد به ما طلقه ولزمه من الامور الشاغلة ومنه تقليد الاعمال السلطانية من الامور الدنيوية
على انه ماخوذ من المعنى الاول والثاني لانها كالمفتاح لغيرها او اسباب لغيرها او كالخزانة او كالحبل المفتول
في عنقه الذي يربطه على ما كلف به ويعوقه عن السعي فيما يريده او هو كناية عن كل محنة لان من اعطى مفتاح شي
فكانه سلم له فالمعنى انه ابتلي بجميع المحن او بكثير منها فان فسر طوقه بجعله طوقا له او جعلت المقاليد بمعنى
الحبال المفتولة وجعل كونها في خناقه بمنزلة العقود والاطواق التي يتحلى بها على انه استعارة تهكمية كما قاله
السهيلي في قوله تع في جيدها حبل من مسد كان وجها وجيها واما جعل المقاليد بمعنى القلائد فلا اقتضاء
التطوق له كما قيل فلو ساعدته اللغة كان حسنا والمحنة اسم للامتحان بمعنى الاختبار والتجربة ويكون بمعنى
المصيبة والبلية اما لان المرء يختبر بها فيعرف صبره وتجلده او لان الله يختبر بها عباده اي يعاملهم معاملة
المختبر ليجزيهم الجزاء الاوفى او لان المبتلى بها يختبر بها زمانه واصدقاءه واخوانه كما قال

• جزا الله المصايب كل خير • عرفت بها عدوي من صديقي •

وفي المقتفي المراد بالمحنة هنا مباشرة القضا الذي ابتلي به المصنف وكانه ينقل عنه فانه نقمة والقضا اعظم
مصيبة لكونها على خطر عظيم الذي ابتلي بها صفة كاشفة او موكدة ان فسرت المحنة بالبلية والابتلاء
يختص بما يسوء الناس وان كان في الاصل بمعنى الاختبار والمرء قد يختبر بما يحب لينظر هل يشكر وبما يكره لينظر هل
يصبر ام لا فالبلاء يكون حسنا وسيئا ولذا قيل ابلي بلاء حسنا فالصفة حينئذ مخصصة فكادت تشغل عن كل فرض
ونفل اي عوايق الدهر وهو محنة قاربت ان تعوقه عما يهمه من امور الدين ولم يقل فشغلت لانه غير واقع والادعا
ليس بمناسب للمقام وتشغل بفتح المثناة الفوقية والغين المعجمة الحلقية بمعنى تعوق وضم التاء وكسر الغين لغة رديه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقال كل فرض لم يدخل فيه المطلوب والفرض والواجب والمكتوب متقاربة المعاني وقد فرق بينهما كما مر بان الاول ما ثبت بدليل قطعي وغيره بخلافه وقيل الفرض ما لا خلاف فيه او ثبت بذلك والسنة والنفل والمستحب والتطوع ما لم يطلب طلبا جازما ومنهم من فرق بينهما كما فصل في محله **وتردده بعد حسن التقويم الى اسفل سفل** اي ترده في تلك الشواغل والعوايق بعد حسن ونضارة روض شبابي واستقامة غصن قوامي لعكس ذلك من تقوس قناتي ونضوب ما حيا في او تعدله عن الطريق المستقيم المستبين الى اسفل سافلين ويحن يحيين لشغلها عن عبادة رب العالمين اذ المراد ترده نوع الانسان بعدما كان في احسن صورة مستجمعا لخواص الكاينات لانه النسخة الكبرى قايما بوظايف عبوديته الى ضد ذلك لان المراد بقوله لما المرء بصدده ما استعد له كل احد بالطبع في امور دينه ودنياه وذكر الامر العام المسلم يقتضي دخول المتكلم فيه بطريق برهاني وهو ابلغ واسفل سفل كاسفل سافلين وقد فسره للمفسرون بالنار وارذل العمر والهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة والمراد هنا الاخير وفيه لف ونشر فقوله لما طوقه ناظر لشغل البال وتردده الى اخره لسفل فانه مهانة ضعفه وظهور عجزه فان فسر بالنار على ان شغل البدن داخل في المحنة والمشغول عن جميع الفرايض والنوافل من اهل الدرك السافل وليس هذا المقصود ولا الانسان معين بل الجنس كقوله ان الانسان لفي خسر ومع ذلك كاد في الاثبات نفي فلا يرد عليه شي مما يتوهم وصولهم بذكر الاية حتى يرد عليه ما قيل المراد بالتقويم الاستقامة في الدين واسفل سفل اتباع الهوى وايثار الدنيا على مرضات ربه كاكثر من تولى القضا وهو المذكور في قوله ثم ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فهو الاسفل هنا لا المذكور في سورة التين لانه غير ملايم هنا لاختصاصه بالكفرة وقد مر ذلك ما يتضح به ما في هذا الكلام من الخلل والسفل ضد العلو ويكون حسيا ومعنويا ثم شرع في التاسف على ما ابتلي به نوع الانسان وعلى ما ضاهاه مما ابتلي به في نفسه فقال •

ولو اراد الله بالانسان اي لو اراد الله بجنس الانسان وجميع افراده **خيرا** حتى اكون منذرجا فيهم وخيرا بمعنى خير محض بحيث لا يصدر عنه سواه كما قال تعالى ولو شا لهداكم اجمعين وهذا مراد من قال خيرا كاملا ومن ظن تغايرهما فقد وهم اذ الخير انما يكمل اذا لم يكن معه شر كما لا يخفى **لجعل شغله** فاعل جعل المستتر الظاهر انه لله ويجوز ان يكون للانسان واما الضمير المضاف اليه مقابله همه وقيل المراد ما يشغل قلبه وقالبه من العبادة فان منها قلبية كمعرفة الله وبدنية كالحج فلا وجه لتخصيصه **وهمه** اي ما يهتم ويعتني به او ما يعزم عليه عزما مصمما من هممت بالشي اهم بالضم من باب فعل يفعل فعطفه على الاول من قبيل عطف المتغايرين وعلى الثاني من عطف الخاص على العام ويجوز ان يراد به الحزن فهو من عطف المتغايرين وبينهما فرق وقد يجيان بمعنى لكن الاول اقعد لان هذا لا يلايم ما بعده لان الحزن لا يكون لما يستقبل ولذا احتاجوا التاويل قوله اني ليحزنني ان تذهبوا به وايضا الحزن لا يكون فيما يحمد الا بتكلف كاعتبار فواته لمن اقتصر عليه فقد قصر حيث قال الهم الحزن والمراد بالشغل الفعل الاختياري والحزن انفعال النفس لخوف مما ياتي وليس المراد به الارادة كما توهم من حمه بكذا اذا اراد فان كلام المصنف مقتبس من الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم فان من كانت الدنيا اكبر همه افشا ضيعته وجعل فقره بين عينيه ومن كانت الاخرة اكبر همه جعل الله غناه في قلبه وجمع شمله واتته الدنيا راغمة ولا يخفى ان ما فسر به الحزن غير مستقيم وان كلام المصنف بمعنى اخر بدليل سياقه وسياقه مع ان الهم في الحديث ايضا يجوز ان يكون بمعنى الارادة ويعضده ما وقع في بعض طرق الحديث وكانت الاخرة نيته فتدبر **كله** تاكيد للشغل والهم معا او تاكيد للثاني وتاكيد الاول مقدر كما قيل ولم يتعرض صاحب المغني في انواع الحذف له فان حذف التاكيد ينافي المقصود منع الله لا مانع منه ويجوز جعله تاكيدا للثاني كما قيل لان الهم اذا لم يكن في شي يدل على عدم الاشتغال به بفحوى الخطاب وجعل مبني للفاعل وبناوه للمجهول خلاف الظاهر وان احتمل **فيما** متعلق بجعل او بالشغل والهم على التنازع فيجوز

في امرها

في احدهما **يحمد غدا او يذم محلة** بفتح الحا لا بكسرها فانه غير مناسب هنا وهو بمعنى المكان الذي يحل فيه وسياتي المراد منه والحمد والذم ضدان معروفان والغد اليوم الذي بعد يومك ويكون بمعنى المستقبل مطلقا وقد يراد به يوم القيمة وهو المراد هنا وفي المثل لكل يوم غد • واما قوله •

وسوف ترى يوما وليس له غد • فهو كناية عن يوم الموت واصله غدو وربما جا على الاصل في ضرورة الشعر كقول ذي الرمة •

وما الناس الا كالديار واهلها • بها يوم حلوها وغدوا بلاقع •

وفي الشرح يجوز في يحمد ويذم ان يبنيا للفاعل وهما للمجهول والرفع وضميره لله او للانسان ايضا والمحل مكان الاقامة وليس المحل بمعنى كالمقام في قول الشماخ •

وما قد وردت بغيت عنه • مقام الذيب كالرجل اللعين •

وهذا هو الظاهر الا ان زيادة الاسما ممنوعة ولذا قيل ان حمد المحل وذمه كناية عن حمده وذمه في نفسه على احسن وجه او يجعل حمده جزاوه وذمه كحمده فيجوز في نسبته وقيل المراد بمحله من صدر عنه وعبر به عن الفاعل بما ايما عليه لا لاشعري من ان الفاعل الحقيقي هو الله والعبد محل لكسبه ومباشر لما خلقه الله واوجده فان قلت كيف يكون شغل العبد الذي يريد الله به خيرا بما يذم وهو الحرام وما يقرب منه قلت اجيب بان الشغل اعم من الشغل بالفعل وبالترك فشغله بما يحمد بفعله وبما يذم بتركه فيجعل شغله واهتمامه بفعل ما يحمد من الواجب والمندوب وترك ما يذم من الحرام والمكروه وقيل انه تكلف والمراد بالشغل بما يذم اشتغال قلبه به وبويد عطف الهم عليه فالاشتغال بالطاعة بفعلها وبالمعصية الحذر منها ولا يخفى انه لا فرق بينه وبين ما قبله وقد يقال الاشتغال فيما يحمد والهم بمعنى الحزن فيما يذم وهو حسن او التقدير في معرفة ما يحمد ويذم كما قيل •

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه • ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه •

ولك ان تقول المراد بما يحمد ويذم الامور المهمة التي من شانها ذلك يعني ان اشتغاله وهمته في معالي الامور ودون سفسافها وغدا قيد لهما كما هو معروف في القيد المتوسط وقد يفسر غدا بالمستقبل بعد موته كما قيل •

وانما المرء حديث بعده • فكن حديثا حسنا لمن وعا •

او يقدر مثله في الثاني واذا شمل الشغل القلبي فاو لا تاباه ولا حاجة لجعلها بمعنى الواو وقيل المراد بما يحمد ويذم التجرد عن العلايق مما يحمد في القيمة ويذم لفقد صاحبه فغدا قيد للاول فقط واو للتغاير محلهما وفاعليهما وفي بعض النسخ محله مرفوع نايب عن الفاعل وجعل مجهول وما بعده مرفوع ايضا رعاية للفاصلة وهو متجه ايضا وفي بعض النسخ ولا يذم بزيادة لا فيدل على ان ما يحمد الطاعات وما لا يذم المباحات اي شغله وهمه المباحات او الطاعات فلا يلزم وقوعه او بين المراد فيه لبعده الا ان همه في المباحات لا يناسب المقام فان نصب روي الاولى وبني جعل للفاعل نصب محله على الظرفية اشارة الى اعتبار الزمان والمكان في كليهما كما قيل في قوله لا املك لكم ضرا ولا رشدا اذ لم يقابل الضر بالنفع والرشد بالغي والاظهر ان يقال انه لما ذكر انه مطوق بالمحن الشاغلة عن الخيرات عقبه بان هذا مقتضى الفطرة الاولى ومن اراد الله به خيرا صرفه عن الالتفات الى المصايب ويجعل شغله مقصورا على كسب الخير وحزنه على ما فرط فيه من اشتغاله بما يذم فانه قل ما يخلو عنه احد ومن خاب نفسه قطع العلايق ولم تقعده العوايق كما قيل •

اراك تطلب دنيا لست تدركها • فكيف ترشد اخرى لست تطلبها •

فمن ثمة بفتح المثلثة والميم المشددة وهو اسم اشارة مبني على الفتح ويرسم بها السكت لانها تلحقه في الوقف وقيل انها تا تانيث في لغة قليلة واختلف فيه هل هو موضوع للبعيد او القريب وكل منهما صحيح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هنا وفي شرح التسهيل كونها للتقريب اقرب وهي في قولهم ومن ثمة كان كذا اشارة لمعنى يكون منشأ
لغيره ولذا فسروها بمن اجل وهو استعارة بجعل منشأ الشيء لمكانه ويوخذ منه التعليل فان كانت
من تعليلية فهو ظاهر وان كانت ابتدائية فالتعليل يفهم من السياق كما افاده شيخنا في الآيات
البينات والفا فصيحة او تعليلية تفريعية والاشارة للدار الاخرة ومكان القيمة كما قيل لانها
نصب عين المؤمن وهي تعلم من قوله غدا والاحسن انها اشارة الى الزمان الدال عليه فانها قد يشار
بها اليه اي اذا انكشف الغطا في ذلك اليوم عرفت انه ليس فيه غير ما ذكر **سوى حضرة النعيم**
سوى بمعنى غير والحضرة مصدر حضر ضد غاب كالحضور وفي النهاية حضرة الرجل قربه ويكون
بمعنى المجلس والفنا والكتاب في الانشا يستعملونه للتعظيم كالمقام العالي وحضرة الخليفة تادبا
باضافة ما له لمحله فالمراد هنا تعظيم النعيم او المراد به الجنة لمقابلته بالجحيم والنعيم المسرة والترفه
في المعيشة وفي نسخة نضرة النعيم اي بهجته وحسن منظره **او عذاب الجحيم** العذاب العقاب
الشديد والجحيم المكان الشديد الحر والنار المتاججة واسم لجهنم والاضافة لامية لا بمعنى في
ولا لادنى ملابسة كما قيل لانه عدول عن الظاهر بغير فايدة والحصر بالنسبة لما يجري به المرء اي ليس
في الاخرة الا احد هذين الامرين وليس فيها تصرف لاحد فينبغي الاهتمام بامرها وبهذا ظهر المراد
وينبغي للعاقل ان لا يزال متفكرا في الاخرة ومعرفة ما يزيد ويودي للعذاب الاليم ويجهد فيودي للنعيم
المقيم في الطاعة والعمل الصالح حتى تحمد عاقبته وعذاب بالجر عطف على حضرة او النعيم تهكما به ح
والاول اولى وهذا اما بنا على عدم الاعراف او بادخالها في النعيم باعتبار المآل للنعيم او بعد نعيما
بالنسبة للجحيم **ولكان عليه بخويصته** وفي نسخة بخويصة نفسه وهو عطف على جواب لو واعاد
اللام فيه اشارة الى انه جواب آخر مستقل وليس مرتبا على ما قبله والضمير المستتر في كان للانسان وجملة
لله بتقدير لكان الله منتصرا في شانه ليلزم خويصته لتصف من غير داع وعليه يتعلق بمقدر وكذا
بخويصته اي لكان الواجب عليه اهتمامه بنفسه لانه لما ذكر انه استعجل بما طلب من الخير وخاف من محن
الدهر الشاغل وعروض ما يضعف عزمه ويرده العايق عنه وعن غيره من العبادة كالقضا وامور الدنيا
عقبه بان من يرد الله به خيرا وفقه لاشتغاله بما هو خير لان مآله الجزاء عمله من خير وشر فينظر ما يقدم
عليه ويتقيد باصلاح نفسه بالعمل الصالح والعلم فيدع العوايق من امور غيره وامور نفسه التي لا تهمه
فان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فعلى هذا عليه ليس متعلقا بالامر اسم فعل للاغرا وهو الحث
والطلب لانه يقال عليك وعلي وعليه بمعنى الزم والاغرا وعلى هذا يتعدى بنفسه وقد يتعدى
بالبا نحو عليك بذات الدين فيفسر بما يناسبه وقال الرضي البا زايدة وهي تزاد كثيرا بعد اسما الافعال
لضعفها في العمل لانه فسر علي ولي وعليه فيلزم وقال ابن عصفور في حديث من لم يستطع فعليه
بالصوم الصوم مبتدا اخره عليه والبا زايدة واعترض بانه يقتضي ايجاب الصوم وزيادة البا في مبتدا
غير حسب وفيه كلام طويل في كتب العربية فعليه متعلق بمقدر او اسم فعل وبخويصته متعلق بمقدر
او بعليه وهو مبتدا والبا زايدة وعليه خبر مقدم لتاكيد الحصر والجملة خبر كان كما بيناه وخويصة بضم
الخا وفتح الواو وسكون اليا لان ياء التصغير لا تحرك وصاد مهملة تصغير خاصة وهي ما يختص وحيث
وقع خويصة مع النفس او اريد به النفس لم يرد الا مصغرا والتصغير للتقليل والتحقير وقد يرد لغيره
والاول هو الاصل ففيه اشارة الى انه من تقيد بنفسه قلت اموره وخفت احواله فلم يصرف زمانه الا
في المهمات وفي الحديث عليك بخويصة نفسك فالمراد بالخويصة النفس واضافتها لتغاير اللفظ والمفهوم
كعرق النسا او هو من اضافة العام للخاص كمدينة بغداد والمراد عوارضها الذاتية المختصة بها دون

الناس

الناس وما لا يفيد وقيل هو الموت وتهيئة اسبابه ولا يخفى بعده **واستنقاذ مهجته** المهجة لها معان
منها الروح وهو المراد والاستنقاذ والانقاذ التخليص اي تخليص روحه من العذاب باصلاحها وصونها
عن القبايح **وعمل صالح يستزيده** الاستزادة طلب الزيادة وليس الطلب مرادا بل المراد المبالغة في زيادته
ويجوز ابقاؤه على اصله ووصفه بالزيادة اشارة الى انه ليس بعوض والصالح المحمود شرعا وقدمه على العلم
لانه المقصود او للترقي **وعلم نافع يفيده ويستفيده** من العلوم الشرعية وما لا بد منه كالعقايد الحقة
وقدم الافادة وان كانت موخرة عن الاستفادة لانها انسب بالمقام واشرف **جبر الله صدع قلوبنا**
الجبر اصلاح ما انكسر ومنه الجبيرة والصدع الشق وهو الكسر الذي لم يبن في الاجرام الصلبة كالزجاج
والعظم وفيه اشارة الى ان هذه القلوب كالحجارة قسوة ففيه استعارة في الجبر او تجوز بالاطلاق في المقيد
اي ازال ما في قلوبنا من النقايص واصلح ما فيها من العيوب والاحسن ان يقال انه دعا بان يزيل الله ما
في قلبه من الغفلة والقسوة المانعة عن قبول ما ينفعه فشبه القلوب القاسية باناء صلب مكسور
لا يقر فيه شيء ففيه استعارة مكنية في قلوبنا وتخييلية في صدع والجبر ترشيح وهذا اولى مما في الشروح
وغفر عظيم ذنوبنا من اضافة الصفة للموصوف بحسب الاصل وخص العظيم اما لان الصغاير من الله
يغفرها بالمكفرات المشهورة كالصلوات الخمس ونحوها او لان من يغفر الذنب العظيم يغفر غيره بالطريق الاولى
او لان كل ذنب عظيم نظرا لعظم من عصى كما قيل ان الذنوب كلها كباير فان قلت ما الفرق بين العفو والمغفرة
قلت بين مفهوميهما بحسب الوضع عموم وخصوص فان المغفرة من الغفر وهو الستر والعفو بمعنى المحو
ولا يلزم من الستر المحو وعكسه كان يحاسبه بذنبه على رؤس الاشهاد ثم يعفو عنه ويستره ويجازيه عليه اما
بالنظر لكرم الله فهو اذا ستر عفا فبينهما عموم وخصوص مطلق ولذا يقال في مقام الملاطفة في الاكثر عفا
الله عنه **وجعل جميع استعدادنا** معنى الاستعداد طلب العدة بالضم وهي ما لا بد منه لوجود الشيء من
شانه في لازمه وهو التهيؤ وهو المراد هنا ويكون بمعنى الاستحقاق كما في المحاكمات وهما متقاربان **لمعادنا**
اي جعل اشتغالنا بما فيه عون على النجاة والفوز بالسعادة في الاخرة والمعاد محل العود فيخص بالمحشر لعود
الارواح لابدانها او العود للقاء الله ليجزيهم باعمالهم كقوله اليه مرجعكم وللمفسرين في قوله ان الذي فرض عليك
القرآن لرادك الى معاد اقوال منها ما ذكر ومنها انه الجنة لانهم كانوا فيها في عالم الذر ولانها كونها موعودة لهم
كانهم كانوا فيها فان العرب تجري ما هو بالقوة الممكنة مجرى ما بالفعل فيقولون جفنة يقعد فيها ثلاثة رجال
اي واسعة وعليه قول ابن القيم • يحني على جنات عدن فانها • منازلك الاولى وفيها المخيم •
وتوفر دواعينا معطوف على جميع او استعدادنا والتوفر الكثرة والقوة والدواعي جمع داع او داعية
وهي ما يحمل على فعل الشيء قال الاسنوي في شرح منهاج البيضاوي اذا علم الانسان او ظن او اعتقد ان له
في الفعل او الترك مصلحة راجحة حصل في قلبه ميل الى الجازم فهذا العلم ونحوه هو المسمى بالداعية مجازا
من دعاه بكذا اذا طلبه فكان علمه بالمصلحة طلب منه الفعل وقد يسمى الداعي غرضا وهذا هو المراد لانه
المعروف في كلامهم وقيل المراد دعوتنا وطلبنا ودواعي الدهر ما يستدعيه من الحوادث والمراد اعمالنا وما
نطلبه انتهى فالمقصود الدعا بان يجعل الله ميله مصروفا لما ذكر وهذا كله بيان لما قدمه **فيما ينجينا**
هو افعال او تفعيل من النجاة وهي الخلاص مما يخشى كعذاب الله وما يبعد عنه وكان الظاهر ان يقول لما ينجينا
لانه على المعنى الاول يتعدى باللام لكنه جعل شدة ميله له كانها تمكنه فيه فالظرفية مجازية كقوله
لاصلبنكم في جذوع النخل وقيل الدواعي تضاف لما تترتب عليه كدواعي الوطي وليس بلازم كقولهم دواعي
الدهر وكما في عبارة المص **ويقربنا اليه زلفى** زلفى فعلى من ازلف بمعنى ادنى وقرب قال الله تع وازلفت
الجنة للمتقين فالمراد قربا او تقريبا كاملا فهو مفعول مطلق منصوب بالفعل المذكور من معناه كجلس قعودا

الألوكة
www.alukah.net

أو بمقدر من لفظه ففيه ايجاز بليغ كما في تبيان الطيبي لان معنى انبته نباتا انبته فنبت نباتا
والمراد قرب المنزلة والمرتبة المعنوية باكرام الله تعالى الذي هو اقرب من حبل الوريد **وبحظيتها** بضم
المثناة التحتية من الحظوة بضم الحا وكسرها وهي القبول وعلو المرتبة عند من يحب وهو قريب معنى مما قبله
لان القرب المكاني يتنزه عنه الباري وما ورد في حقه في القرآن والحديث المراد به قرب معنوي باعتبار
علمه به او كرامته لديه وهذا هو المراد هنا ولذا فسر بعضهم الحظوة بالتفضيل على الغير فالمعنى انه طلب
من الله ان يكرمه ويفضله على غيره لتغاير الجملتين بحسب الظاهر وان تغايرتا معنى وما اورد عليه من
انه لا يفيد ما ذكر هنا لانه انما يفيده اذا تعدى بعلى كما قاله الجوهري ولا صلة له هنا لا وجه له لانه
غير مسلم مع ان باب التقدير واسع **بمنه** متعلق بما قبله وهو حبر وقيل تنازع فيه هو وما بعده على
القول بتوسط المتنازع فيه ولا حاجة الى جعله متعلقا بمصادر تلك الافعال لانه تقدير لا حاجة اليه
والمنة تكون بمعنى تعداد الجميل وهو مختص من الله ومن اسمائه المنان وتقبح من غيره ولذا قيل المنة
تهدم الصنيعة والظاهر انها مكروهة لغير من كفر النعمة وجحدها وقيل انها حرام من كل احد وقيل
حرمتها مخصوصة بالنبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر وانكاره من عدم الاطلاع
وتكون بمعنى الانعام **ورحمته** بالجر معطوف على منه وهي في الاصل رقة القلب والامتناع ذلك
في حقه تعالى اريد بها غايتها وهي اللطف والاحسان فهي من صفات الافعال او ارادته فهي صفة
ذاتية والبا في قوله بمنه سببية وقيل انها للاستشفاع واورد عليه انه معنى غريب لم يقله احد من
النحاة ورد بان مراده انها للتعدية ولكن اريد التشفع بمدخولها كما يقال في باء البسملة انها للتبرك
فالمراد انه توسل الى الله به كما ورد اعوذ بك منك ولك ان تقول انها للقسم الاستعطافي وما له الاستشفاع
وتمثيله له بقوله بحياتك صحيح فيما قلناه فلا غرابة ولا استغراب الا من لم يحرر التدبر ثم بقي الكلام
في ان القسم الاستعطافي الواقع في السؤال هل يتعقب بالبا والوقوع بعد الامام لاظهار كلامه انه لم
يسمع الا كذلك وفي الكشف في اول سورة النسا انه عزلادم **ولما نويت** لما بالفتح والتشديد
ظرف زمان عامله جوابه والنية في العرف القصد المقارن للفعل وغير المقارن عزم **تقريبه** اي
جعله قريبا الى الافهام او الى الحصول بالتدريج الآتي ونحوه والتقريب عند اهل المعقول سوق الدليل على
وجه يقتضي المطلوب **ودرجت تبويبه** اصل التدريج جعله درجة بعد درجة وفي الصحاح درجت
اليه اديته على التدريج وتبويبه مصدر مبني للمفعول اي جعله ذا ابواب والمراد انه رتبه بابا بابا
وقد يراد بالتدريج التأني والتمهل كما قيل • درج الايام تندرج • يعني انه سهله ورتبه ترتيبا
حسنا مناسبا **ومهدت تاصيله** اصل التمهيد بسط الفراش وهو المهاد والتاصيل ذكر القواعد
والاصول يعني انه ذكر فيه قواعد وادلة تبتني عليها مسايل ابوابه فليس مجرد دعوى خالية عن الادلة
والنقول الصحيحة وليس المراد انه سهله واوضحه كما لا يخفى **وخلصت تفصيله** اي ميزت فصوله
اي فروع قواعده وتفاصيلها عن الاجمال والادلة واصل التخليص الاخراج والابعاد من الخلاص فيلزمه
ويحتمل ان يراد بالتاصيل الاجمال او عبر به رعاية للفاصلة ولو قيل انه على هذا من الاصول والقواعد
كان اظهر **وانتحيت حصره** حصره بالحا المهملة اي قصدت من نحا نحوه اذا قصده واصله انتحوت
وفي نسخة انتخبت بالخا المعجمة والبا الموحدة والحصر اصل معناه الحبس والمراد به حصر الكل او الكلي
في اجزايه او في جزئياته اي قصدت او اخترت حصر انواعه في هذه الابواب او الابواب المعينة
ولا وجه لتفسيره بالاختصار على النسخة المشهورة وحصر الكل في اجزايه ظاهر وقوله في عروس
الافراح انه لا يمكن لان الحصر جعل الشي في محيط به فالمحيط حاصر والمحاط محصور مظروف وشان الكل

مع اجزايه

مع اجزايه عكس ذلك لان الكل محيط بالاجزا والاجزا منحصرة في الكل فكيف يجعل الكل منحصرا فيها
ليس بشي لانه اصطلاح لا مشاحة فيه والمراد ان الاجزا المفصلة لا يخرج عنها الكل كما لا يخرج المظروف
عن ظرفه وهو امر سهل وتحصيله اي جعله حاصلا فيه بعد جمعه من الكتب المعتبرة وقيل المراد ان الناس
يحصلونه لاختصاره وضبطه فانه ما كل من طلب العلم حصله ولا كل من حصله اصله ولا كل من اصله
فصله ولا كل من فصله وصله **ترجمته** جواب لما والمراد سميته واصل معنى الترجمة التعبير عن لغة
باخرى ويكون بمعنى التبليغ لما خفي من الكلام لبعد قايله او لحايل بينه وبين سامعه او لقصور فهمه كما
في شروح البخاري ومنه قوله • ان الثمانين وبلغتها • قد احوجت سمعي الى ترجمان •
واطلاق الترجمة على التسمية على طريق التشبيه لجعل معرفة المسمى باسمه كمعرفة المعنى بالتعبير عنه بلغة
اخرى وهو مجاز متعارف والقول بانه التسمية قبل الخروج من الذهن الى الخارج لانه لما كان غير معلوم عبر
عنه بالترجمة لجامع بينهما تكلف لا حاجة اليه لما عرفته والترجمان هو المبلغ عربي وقيل انه معرب
ترجمان تصرفوا فيه وفيه لغات في كتب اللغة **بالشفا** متعلق بترجمته بمعنى سميته **بتعريف**
حقوق المصطفى الباء سببية متعلقة بالشفا او بمعنى في قال ابن الجوزي في كتابه نزهة العيون
الشفا ملايم للنفس يزيل عنها الاذى ويستعمل في القرآن على ثلاثة اوجه الفرج كقوله ويشف
صدور قوم مومنين اي يسرهم والعافية كقوله واذا مرضت فهو يشفين والبيان كقوله شفاء لما
في الصدور وهو وما بعده هنا علم منقول والكلام في اسما الكتب هل اسما جنس او اعلام جنسية او
شخصية ومسماها المعاني او النقوش او مجموعهما احتمالات ليس هذا محل تفصيلها والشفا ممدود
قصر هنا للوقف على فواصل السجع كالعوافي والمحدود ويجوز ان يقصر اذا وقف عليه حقيقة او تقديرا
او هو لمشاكلة مصطفى وهي مجوزة لحسنه فلا غبار عليه وما قيل من انه قصر لانه قصر عن بيان هذه
الحقوق لطيفة لا تصلح للتوجيه وقيل انه ضرورة والضرورة كما تجري في الشعر تجري في السجع كما في
شرح التسهيل وهو غريب من قايله واغرب منه تجريب المصطفى وغيره مما لا طايل تحته واسمه موافق
لمسماه فان السلف الصالحين قالوا انه جرب في انه لشفا الامراض وفك عقد الشدايد وفيه امان
من الغرق والحرق والطاعون ببركته صلى الله عليه وسلم وقد كنت حال كتابة هذا المحل في ضيق
صدر وحرج وانا الان انتظر لكل خير وفرج كما قيل •

يا رب ظهري مثقل بالعنا • وما اقاسي من شديد الجفا •
والمتن قد كل وصدري به • ضيق فوسعه بشرح الشفا •

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد النبي الامي الطاهر الزكي صلاة تحل بها العقد وتفرج بها الكرب
وحصرت الكلام فيه في اقسام اربعة ضمير فيه للكتاب او لتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم
والجار والمجرور متعلق بالكلام او حال منه والحصر والقصر بمعنى الحبس لغة واصطلاحا تخصيص
شي بشي بحيث لا يتجاوزه ووجه الحصر في مثله استقرائي وجعله عقليا بالعناية تكلف وضمير
فيه ان كان للكتاب كما هو المتبادر فهو من حصر الكل في اجزايه وتسمية الجزء قسما باعتبار معناه
لغة والفرق بين الجزء والجزئي ان الاول يطلق المقسم عليه اذ كل واحد منهما لا يسمى كتابا حقيقة
وفي الاصطلاح القسم للجزئي لا للجزء فان اطلق عليه فهو مجاز لمشابهته له كما يقال تقسيم الكل
الى اجزايه • وادعى بعضهم انه حقيقي ايضا ولا مانع منه وان لم يرتضه بعضهم فان عاد الضمير للتعريف
فهو من تقسيم الكلي لجزئياته والاقسام على ظاهرها

القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي قولا وفعلا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

التعظيم والتبجيل والتفخيم بمعنى وهو توقيره وتكريمه بما يرفع قدره او يظهر رفعته والعلي من
اسمائه تعالى من العلو اذ هو جل شانه هو العلي حقيقة علوا منزها عن الجهة والحلول ويوصف
بالاعلى ايضا وان كان لا علو لغيره بالنسبة اليه واعلى المقادير بعد قدر الله قدر نبينا صلى الله عليه وسلم
ولا يخفى موقع العلي الاعلى هنا فان التعظيم انما يعتد به من العظيم وعلو مرتبة النبي وان ناسب ان
يشار اليه بما يدل على البعد الا ان المصنف آثر اشارة القريب اشارة الى ان تعظيم الله له قربه منه وادنى
منزلته وانه ينبغي لمن يحبه ان يكون نصب عينه كما اشار اليه كانه حاضر عنده ولذا قال النبي دون الرسول
لان النبوة اتصال صرف بالله والرسالة وساطة بينه وبين الخلق وبهذا الاعتبار كانت افضل كما في
قواعد القرافي وسياتي مفصلا الكلام فيه والاشارة تاتي للتعظيم كما بينه اهل المعاني **وتوجه
الكلام فيه في اربعة ابواب** من حصر الكل في اجزائه لا الكلي في جزئياته كما توهم •

الباب الاول في ثنائه عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول

الباب يطلق على الفرجة التي يدخل منها للدار وعلى ما يسد به ويغلق من خشب ونحوه ويطلق في عرف
المصنفين على مسائل من الكتاب متناسبة افردت بترجمة لان ما فيها من المسائل والقواعد يتوصل به لمعرفة
جزئياته او لانه يصونها ويحفظها وقيل لمعنى البابة وهي النوع وهو تشبيه بارد وهو قد يشتمل على الفصول
جمع فصل وهو نوع من المسائل مفصول عن غيره او ترجمته فاصلة بينه وبينه فهو مصدر بمعنى فاعل او
مفعول كما يشتمل الكتاب على الابواب غالبا والثنا الوصف بالجميل ولا يختص باللسان في المشهور لقوله
انت كما اثنيت على نفسك على ما فيه وقدر الشيء مقداره وشرف رتبته ويكون بمعنى التعظيم كما في قوله
تعالى وما قدروا الله حق قدره اي عظموه حق تعظيمه في احد الوجوه فيه فيجوز تفسيره هنا بكل
منها ولديه بمعنى عنده وبينهما فرق مشهور واذا قيل عند الله فله معان لاستحالة حقيقته عليه تعالى
فيكون بمعنى علم الله او حكمه كما في قوله فاولئك عند الله هم الكاذبون وبينهما فرق دقيق قد بيناه
في حواشي القاضي في سورة النور ويكون بمعنى فضل الله كما في قوله تعالى قالت هو من عند الله •

الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وغير ذلك

المحاسن جمع حسن على خلاف القياس او هو جمع لواحد كمحسن بزنة مقعد او لا واحد له وهو الامر الحسن
مطلقا والحسن الخفي خلقا وخلقا بفتح وسكون وضم وسكون منصوبان على التمييز والخلق لاتحاد
والخلق السجية والطبيعة وهي ملكة راسخة في النفس لا تقبل الزوال بسهولة على الاصح وهي للنفس
كالخلق للجسم لان احدهما صورته الباطنة والآخر صورته الظاهرة وبحسن الاخلاق وقبحها
يكون الحمد والذم وما يترتب عليه وحسن الصورة يدل على حسن السيرة فلذا يمدح به كمال
الرجال ولذا خطأ الآمدي من اعترض على ابي تمام في وصف ممدوحه بالجمال لانه يليق بالغزل
لما ذكرنا **وقرانه جميع الفضايل** القرآن بوزن القتال مصدر بمعنى الجمع وجميع مفعوله والفضا
جمع فضيلة وهي الصفة الحميدة مطلقا سواء كان لها اثر متعد ام لا وقد تخص بالثاني الفضايل
وبالاول الفواضل وكان شيخنا الزيادي يقول في مثله اذا افترقا اجتمعا واذا اجتمعا افترقا
وهو كلام حسن **الدينية والدنيوية** الدينية منسوبة للدين وهو وضع الهي سائق لذوي
العقول باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم في العقبى فيختص بالدين الحق الذي جاءت به الرسل
ويستعمل فيما يشمل الباطل كما في قوله تعالى لكم دينكم ولي دين اذ لم يقل انه مشاكلة او بحسب

اعتقادهم

اعتقادهم والمراد الاول هنا وللدين معان اخر كالجزاء والطاعة **والدنيوية** منسوبة للدنيا وهي
الارض وما عليها من المخلوقات واحوالها وتطلق على المال وما يملك وفي النهاية انه اسم لهذه الحياة
والمراد بالاول العبادة ونحوها وبالثاني نحو حسن خلقته وصحة بدنه وغير ذلك وهي فعلى مونث
ادنى افعل تفضيل لكنها جرت مجرى الاسما وجردت من معنى التفضيل ولوازمه ولذا ورد تنوينها
شذوذا وفي النسبة اليها ثلاث لغات فيقال دنيي وقلبها واوا فيقال دنيوي وزيادة الف فيقال
دنياوي كما بين في علم التصريف ودالها مضمومة وقد تكسر وهي من الدنو بمعنى القرب وقيل انها من
الدناءة كما قال الشاعر • اعاف دنيا تسمى من دناءتها • دنيا والا فمن مكروهها الداني •
ووجه التسمية ظاهر والدنيا قد تقابل بالدين كما ورد في الحديث وغيره وقد تقابل بالدين ايضا
وكل منهما صحيح فصيح فلا وجه لما قيل من الدنيا بمعانيها لا تقابل بالدين لكن شاع مقابلتها له وهو
المراد بقرينة المقابلة او المراد ما نسب الى الدنيا فقط فان المنسوب الى الدين منسوب الى الاخرة ايضا
ولا يخفى ما فيه فتدبر **فيه نسقا** ضمير فيه للنبي صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بقرانه او بقوله نسقا
بناء على جوازه ونسقا حال من جميع فان كان مصدرا فهو مؤول بصفة والا فهو على ظاهره قال ورد نسق
وكلام نسق على نظام واحد فالمراد انه جمعها على وجه متناسب باخذ بعضه بحجز بعض **وفيه سبعة
وعشرون فصلا** قال السيد ليس في الكتاب الا ستة وعشرون فالظاهر انه عد ما بين ترجمة
الباب الى الفصل فصلا وان لم يسمه وكذا الحال في جميع ما عد من الفصول الا في موضعين نقل الكلام
فيهما بين الترجمة والفصل فلا تغفل لكنه لما لم يعد ما بين القسم الى الباب بابا لان العادة تسمية
مسائل الجمل بالباب ولم يدخله في باب لتعلقه بالابواب كلها وقد سبقه اليه لتعلقه بالابواب كلها
وقد سبقه اليه التلمساني وزاد عليه انه لم يذكر اوصاف الفصول بالعدد بحيث يقول الاول والثاني
الخ الا في الباب الاول فيعلم منه ان الصدر عنده من جملة الفصول وبذلك ينقسم الامر ويتم العدد

الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها

الخبر في العرف واللغة ما ينقل عن الغير وزاد فيه اهل العربية واحتمل الصدق والكذب في حد
ذاته والمحدثون يستعملونه بمعنى الحديث وقد يفرق بينهما فيقولون الحديث ما جاء عن النبي والخبر
ما جاء عن غيره ولذا قيل لصاحب التاريخ اخباري بصيغة الجمع وقيل بينهما عموم وخصوص فكل حديث
خبر ولا عكس وعبر به المص هنا لانه اشمل واذا كان بمعنى فالمراد ما اضيف اليه قولا وفعلا او
تقريرا ونحوه ويدخل فيه ما هم به قلبه اذا علم بوجه من الوجوه وكذا ما يتعلق بجلسته الشريفة
وفي هذا المقام تفصيل مذكور في مصطلح الحديث والصحيح والحسن اما لذاته او لغيره لانه اذا رواه
عدل تام الضبط واتصل سنده ولم يكن معللا ولا شاذا فهو الصحيح لذاته فان لم يسلم مما يضعفه ولا يجبر
بتعدد الطرق ونحوه فهو الصحيح لغيره وما لم يشتمل على اعلى صفات القبول فهو حسن والمشهور
ما نقله دون رواته ولم يصل الى حد التواتر ويطلق على ما شاع مطلقا وان لم تتعدد طرقه سواء كانت
شهرته بين المحدثين ام لا وهو الذي عناه المص هنا ولذا عطفه على الصحيح واهل الحديث يستعملونه
بهذا المعنى ايضا كما ذكره ابن حجر ويدل عليه قول المصنف في اول هذا الباب اعلم ان الاحاديث الواردة
في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا على صحيحها ومشهورها انتهى وقيل المراد ما اشتهر بين المحدثين على انه من
عطف الخاص على العام **بعظم قدره** متعلق بورد **عند ربه** متعلق بقدره لانه مصدر بمعنى رفعته
او منزلته وقيل انه حال من قدره وجاء من المضاف اليه لان المضاف صفة له فكانه بين المحمول لان تقديره

الألوكة
www.alukah.net

قدره العظيم حال كونه كائنا عند ربه فتدبر **ومنزلته** اي رتبته الرفيعة عنده ايضا والعرب
تقول المنزل في الحسي والمنزلة في المعنوي كالمكان والمكانة فكان التا للنقل **وما خصه به
في الدارين** الدنيا والاخرة وتسميتهما بهذا شايعة لانهما مسكن ابن آدم فاما ان يكون الدار حقيقتها
هنا ثم خصت بما يحيط به بناء ونحوه او يكون مجازا صار حقيقة عرفية وخواص النبي منها ما اختص
به عن ساير الخلق حتى الرسل ومنها ما هو بالنسبة للرسل وما هو بالنسبة لامته كما ياتي **من كراماته**
اي مما فيه تكريم وتبجيل له فمن بيانية او تعليلية كقوله مما خطاياهم اغرقوا وهو بيان لان المذكور
هنا بعض الخصايص التي خص بها تعظيما له دون ما خص به من بعض الاحكام الجزئية المخصوصة
بالتحليل والتحريم مما لا يظهر فيه التكريم وان تضمنه في الجملة ولم يذكر لذلك فهو غير مناسب لغرض
التاليف **وفيه اثني عشر فصلا** هكذا هو في النسخ كلها وهو المروي عنه مع ان الفصول خمسة
عشر وقد سلك الشراح في الجواب عنها مسالك منها ما قاله التلمساني ان الثلاثة الزايدة بعد ما اكمل
العدد اجنبية من هذا الباب مناسبة للباب الاول لانه ذكر جملة من اسمائه في اثنائه كقوله رؤوف رحيم
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وذي قوة عند ذي العرش والله نور السموات الخ ماذكر في خفه فهم
منه ان الفصول الثلاثة انما وضعها بعد ان تم مراده ولاح في خاطره امر بديل ترك هو اوجب ذكرها
وجعلها في هذا الباب وذكر من كلامه ما يدل عليه ومنها انه كان عازما على جعلها اثني عشر فلما وصل
الى الباب الثالث اقتضى الحال زيادتها وهذا بناء على ان الخطبة مقدمة على التاليف والقول بان
قوله بوبت ودرجت باثناه غير مسلم وهذا كما انه جعل القسم الرابع بابين مع انه زاد عليه ثالثا ومنها
ان مفهوم العدد غير معتبر وهذا اضعفها لان كلامهم في الاستدلال به في النصوص واما في الخاطبات
فلا فالحاصل انها ذيل للاثني عشر المقصودة او امر زاده على ما كان في تصوره وذهنه والله الموفق

الباب الرابع فيما اظهر الله على يديه من الايات والمعجزات

الايات جمع آية ولها معان منها العلامة الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم وفي اصلها اربعة اقوال
لاهل العربية احدها للخليل وهو ان اصلها ايية بفتحتين بزنة فعلة فقلبت اليا الاولى الفا لتحركها
وانفتاح ما قبلها على خلاف القياس اذ هو يقتضي قلب الثانية او الادغام لتقدمه على الاعلال
الثاني للكسائي ان اصلها آيية على وزن فاعلة فحذفت عين الكلمة والقياس الادغام كدابة الثالث
للفرا اصلها ايية بسكون اليا الاولى فقلبت الفا على خلاف القياس الرابع لبعضهم اصلها ايية
بكسر اليا الاولى قلبت الفا لثقل التضعيف والمعجزة امر خارق للعادة معجز للبشر اظهره الله على
يديه واسناده الى الله لانها من افعاله كما قاله ابن الهمام واما كونها قد تكون من قبيل الترك كما ان
يقول هو آية صدقي ان اضع يدي على راسي ولا يقدر احد على ذلك فلندوره لا يعتد به او لانه باعتبار
انه كف كالفعل الوجودي وكذا اخباره عن الغيب وانما اسند الى النبي باعتبار صدوره عنه وان كان
بايجاد الله وخلقه على ما عليه اهل السنة والآية والمعجزة يشتركان في الدلالة على صدقه لكن الآية
اعم لانها لا يشترط فيها مقارنتها للنبوة والتحدي فكل معجزة آية ولا عكس فشق صدره وتسليم الحجر
قبل البعثة ونحوه آية وليس بمعجزة وقول السهيلي في بعض الخوارق انها علامة للنبوة لا معجزة بناء على
عدم اقترانها بالتحدي المشروط عنده فرده ابن الهمام عليه بان امره مبني على دعوى النبوة في كل
زمان غير وارد عليه وسياتي للمصنف كلام في هذا **او شرفه به من الخصايص والكرامات وفيه
ثلاثون فصلا** المذكور في الكتاب تسعة وعشرون لكنه عد صدر الباب فصلا كما مر وننبه عليه

الخصايص

والخصايص جمع خصيصة وهي الصفة الخاصة به سواء كانت في ذاته او صفاته او فيما يصدر
عنه من معجزاته وكراماته فهي تشتمل على امور كثيرة ذكر منها في الباب الثالث تفضيله في ذاته وسيادته
لبني آدم في الدارين وقربه من ربه بالاسرا والمحبة والخلة وذكر هنا ما جرى على يديه من المعجزات
وما ضاهاها من الكرامات فمقصد البابين وما ذكر هنا مختلف معنى وان تشابه العنوان كما يعرف
بالنظر في الكتاب فلا يرد عليه ان ما ذكر هنا هو بعينه في الثالث من قوله وما خصه وهو قبيح وغاية
ما يقال في توجيهه انه اراد في كل موضع بيان ما سبقه فالمراد في الثالث الكرامات التي لم يقصد بها
اثبات النبوة وكونها علامة كالاسرا والامور الاخروية وفي الثاني ما يقصد به ذلك وفيه ما فيه
وقد عرفت سقوطه وانما اوقعه فيه اتحاد العنوان ظاهرا وهو على طرف الثمام على انا نقول انهما
متغايران معنى كما يعرف بالتامل الصادق وقيل ان الخصايص والمعجزات آيات كما ياتي في بابه
والكرامة لغوية اصطلاحية فلا تنافي المعجزة واما الكرامة التي خص بها في الدارين المذكورة
قبله فقد قيل انها ما لم يقصد به اثبات النبوة ولا كونه علامة عليها كالاسرا ولا طائل تحته وقيل
الكرامات هنا الخوارق التي قبل دعوى الرسالة وفي شرح المواقف انها تسمى كرامة وارهاصا
وهو التاسيس ولسبقها على اظهار الرسالة كانت كالتاسيس لها فان قلت اخباره عن المغيبات
كيف يعد معجزة قلت هو على قسمين ما وقع في حياته كعيير قريش ونحوه ولا شبهة في كونه معجزة
وما وقع بعده كاخباره بالخوارج وذي الثدية وتسميته كرامة اقرب لعدم مقارنته للتحدي والقول
بانه معجزة لعجزهم عنه سوا كان العجز عن مثله ام لا تحدي **القسم الثاني فيما يجب على الانام**
اي يلزمهم حتى ياثموا بتركه والانام الخلق والمراد الانس والجن وكل ما على وجه الارض والمناسب
هنا الثاني وقيل انه ما يعتريه النوم **من حقوقه عليه السلام** جمع حق وهو الامر الثابت له
ويترتب القول فيه في اربعة ابواب يترتب اي يتمكن او يذكر مرتبا من الترتيب وهو جعل كل
شيء في مرتبته اللايقة به وكونه من تقسيم الكل او الكلي تقدم مع ما فيه

الباب الاول في فرض الايمان به

اي كون التصديق برسالته فرضا فالاضافة للمفعول وهي لامية او بيانية فيجب الايمان به
وبشريعته وانها ناسخة لغيرها ووجوبه لازم على كل من بلغته الدعوة **ووجوب طاعته** اي
اطاعته والانقياد له **ووجوب اتباع سنته** اي طريقته التي امرنا باتباعها امر ايجاب **وفيه
خمسة فصول** وقد اجاد في بغيته فعبر بالفرض تارة وبالوجوب اخرى كما قال في القسم الاول
وتوجه الكلام فيه وفي الثاني وترتب القول فيه وفي الثالث وتحرر القول فيه وفي الرابع وتقسيم
الكلام فيه

الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول

النصح والنصيحة والمناصحة ارادة الخير للغير وارشاده له وهي كلمة جامعة كما سياتي والمفاعلة
على حقيقتها لانها اذ يفعل ويقول لصاحبه ما يفعله الآخر به وان لم يخل فنصيحة الامة ايمانهم
بما جاء به وانقيادهم لاوامره ونواهيه ونصيحة النبي تبليغه ما امر بتبليغه وارشاده للخير وقيل
انه بمعنى النصح كالمخادعة في قوله يخادعون الله وما ذكر في الكتاب من ثواب محبته ونحوه استطراد
وله تحقيق في شروح الكشاف

الباب الثالث في تعظيم امره ولزوم توقيره

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اي شانه وحاله كتعظيم حديثه وآله وقيل اللايق هنا تقديم اللزوم ولا توسطه فيقول لزوم
تعظيم امره وتوقيره فكانه اشار الى تقديمه توقيرا لا دمن اللازم تعظيم امره وتوقيره فهو من عطف
العام على الخاص وليس الامر بمعنى الطلب هنا وفي ذكره ايما الى ان توقيره استدلزوم امن توقير امره
مع ما في تركه اولا من المبادرة الى ذكر تعظيمه لشدة الاعتنا بنفس التعظيم ففي كلامه ترقي من الادنى
الى الاعلى ولزوم توقيره وبره توقيره تعظيم ذاته واحواله ومن ينسب اليه وامته ومعاهده وآثاره
بحيث لا يرا منه اصرفيه فدل صراحة على لزوم تعظيمه فلا وجه لما مر **وبره** بكسر البا واصل معنى
البر السعة ومنه البر بالفتح مقابل البحر ثم شاع في السعة والاحسان والصلة وهو المراد هنا وصلته
بصلة اتباعه وغيرهم ممن مر ذكرهم

الباب الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم

من الفرضية والاستحباب على كيفية مخصوصة فقوله **وفرض ذلك** اي فرضيته والمفروض منه من عطف
الخاص على العام **وفضيلته** اي فضيلة المذكور من الصلاة والتسليم ولنا وبله بما ذكر افراد الضمير ويكثر
مثله في اسم الاشارة كقوله عوان بين ذلك **وفيه عشرة فصول** مع ما ذكر معه استطرادا كفضيلة زيارته
وسكناها ومسجدها وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وزيارته صلى الله عليه وسلم

القسم الثالث فيما يستحيل في حقه

اي يمتنع امتناعا قويا حتى يلحق بالمحال عقلا كالكذب ونحوه واصل الاستحالة بمعنى التغير من حال
الى حال ومنه استحال الخرخلا ويقال استحال اذا صار اعوج وقد ورد في كلام العرب واستعماله في كلامهم
كثير كما وقع في عبارة الكتاب ومن لم يقف عليه اعترض على قول المتنبي • كانك مستقيم في محال •
ويجوز عليه اي يصح ان ينسب اليه سواكان واجبا او جايزا والمراد ما يصح اتصافه به كالاعراض لا تنافي
رتبته العلية من الامور المتعلقة بالدين وغيرها لان الجواز بمعنى الاباحة من الاحكام الشرعية فقوله
وما يمتنع ويصح من الامور البشرية ان يضاف اليه المراد به الامور المتعلقة بالدنيا دون الدين فيصح
التقابل لان معناه ما يعرض لنوع الانسان في بدنه ويجوز ان يريد به ما يستحيل ويجوز على انه عطف
تفسيري فلا يرد عليه ما قيل انه لم يذكر ما يجب واللايق ذكره اولا لانه اذا بين ما يستحيل منه فقد بين ما يجب له
لان استحالة الشيء تلزم وجوب نقيضه فذا اجمل واحصر والمراد باضافته ان يقول انه متصف به واما
انه من ذكر ما يجب وقد نعرض له فيما ياتي فيا باه جعله ثمرة لنا الا انه من اعظم الثمرات كما لا يخفى **وهذا القسم
اكرمك الله** جملة دعائية معترضة والمعنى جعلك الله مكرما بجلاء **هو لب الكتاب** اي خلاصته وافضله
او الخفي منه والمراد انه المقصود بالذات ولما كان ما تضمنه من بيان ما تصح اضافته اليه وما لا يصح مما
للحاجة اليه في تعريف عظيم مقامه وجليل مقداره هو المقصود من التاليف كيلا يقع احد فيما لا يليق بمقامه
او يترك ما لا بد منه كان ما ذكرهنا زبدة الكتاب ولبه وقيل السر بمعنى الاصل لان ما سبقه مبني على صحة
من الرذايل ولا تساعده اللغة **ولباب ثمرة هذه الابواب** لباب كل شي خالصه كما قال الزبيدي ومنه اللب
العقل ولبيك اي اجابة مع اخلاص والثمرة معناها الاصل وتكون بمعنى الفايدة والنتيجة والغاية
وهو مجاز مشهور والابواب المشار اليها جملة ابواب الكتاب او البعض السابق من الابواب بناء على انه
كالقواعد لما قبله وما بعده كالامور المبنية عليه فهو كالثمرة له فاضافة اللباب بيانية كما قيل وهذه
استعارة مصرحة بتشبيه مقصوده بثمرة ذات لب وقيل انها مكنية وتخييلية بجعل الكتاب بمنزلة شجرة
مثمرة تشبيها مضمرا في النفس واثبات الثمرة تخييل واضافته كرهب الاصيل ورد بان القواعد تابا

إذ لا ذكر للكتاب في هذه الفقرة ولا يخفى ان مراده بالكتاب هذه الابواب لان الكتاب عبارة عنها
وقيل المراد بالثمرة ما يبتغاه من غيره او المقصود ولما كان غيره كالدليل عليه كان كالثمرة او المراد انه ثمرته
اي نقله والانتفاع به لباب الثمرات **وما قبله** اي ذكر قبل هذا القسم من الاقسام والابواب ما هو **كالقواعد**
القواعد في الاصل الاساس وخشبات يركب الهودج فيها والعهد واتى بالكاف لانها ليست قواعد كلية بل
شخصية اذ موضوعها ذات النبي صلى الله عليه وسلم كما قيل والاظهر تشبيهها بالقواعد الحقيقية **والتمهيدات**
جمع تمهيد اي امر ممهد وهو في الاصل مصدر بمعنى اتخاذ المهاد والفراش والمراد انها مقدمة وتوطية له
والدلايل على ما نورده فيه ضمير فيه للقسم ونورده بمعنى نذكره من ورود الما وهو الذهاب للشرب
ويقابله المصدر ثم تجوز به عن الاثبات بشي ما والدلايل جمع دليل على خلاف القياس وفي الايات البينات
انه جمع دلالة فان فعال يجمع على فعايل قياسا وذكر امام الحرمين انها تكون بمعنى الدليل والظاهر انه مجاز
من النكت البينات قد مر ان النكتة الامور الدقيقة الغامضة فجعلها بينات جمع بينة بمعنى واضحة
بالنسبة للاذكيا ولما كان ما قبله من استحقاق التوقير والجلالة وثبوت النبوة والرسالة كالدليل على ما
يجب له ويمتنع عليه لانه اذا قيل يستحيل عليه النقايص لعلو قدره وظهور شرفه صح جعله دليلا الا انه
لما لم يكن مستلزما استلزاما عقليا جعل كالدليل والاستدلال عليه يعلم من علم الكلام وما في غيره
اقناعي وان كان لا شبهة فيه لمن جلا الايمان مرآة ذهنه ويحتمل البينة هنا ان تكون بمعنى بينة المدعي
او هو ايهام او تورية لقوله بعده **وهو الحاكم على ما بعده** تشبيه بليغ اي كالحاكم على القسم الرابع من
جزئياته وبعضه والحكم خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين واجراوه ابرازه ايضا ولا يخفى توقفه
هنا والحاكم في الحقيقة هو القاضي ونحوه لا هذا القسم ونحوه فان مسايله ومن يعلمها اذا حقق ما يجب
له ويجوز تبين له ذلك فجعل مبين ذلك كالحكم في شانه صلى الله عليه وسلم وشان منتقصه **والمنجز
من غرض هذا التاليف وعده** الوعد معروف وانجازه ايقاع ما وعد به واعطاوه واصل معناه
الاتمام او الاحضار من نجز الامور والغرض هو المقصود من الشي ومن ابتدايية او بيانية والمراد بالغرض
هنا تعريف حقوق المصطفى وضمير في وعده راجع لما رجع له قوله هو او للحاكم لا للغرض والمنجز بصيغة
الافعال او التفعيل وفاعله ما رجع اليه الضمير ايضا والفاعل الحقيقي هو المصنف فالنسبة مجازية
او استعارة مكنية مخيلة مرشحة بجعل هذا القسم لنهمة غرض التاليف كانه كريم وعد التفضل بنفعه
واجابة السايل لما سال عنه من تاليف جملة الكتاب فكانه بهذا منجز للوفا بالكل وهو من قبيل مجاز عن
السايل وانه لم يسال عما في هذا القسم صريحا الا انه لما استدعى ذلك كان كانه مقصود له بالذات فلذا
اعتنى به المصنف **وعند التقضي** هو تفعل من الانقضا بالقاف والضاد المهملة وهو بلوغ اقصى الشي
وغايته او طلبه كما في قوله • يا مطلبا ليس لي في غيره ارب • اليك آل التقضي وانتهى الطلب •
وفي بعض النسخ التقضي بضاد معجمة من تقضي الامر اذا تم ومضى وبمعنى التقاضي والالحاح ويحتمل على
الوجهين ان يكون اصله تقضض فابدل احد المثلين يا للتخفيف كما قيل التظنيت بالظنيت واللام في قوله
لوعدته بمعنى وعده او موعوده صلة له او تعليلية والانجاز الوعد مقابل الخلف قال تعالى انك لا
تخلف الميعاد والوعد يكون في الخير والثواب والوعيد في ضده ويجوز الخلف فيه ولو من الله وقد يكون
الكلام الواحد وعدا ووعيدا باعتبارين كقول الله لاهلكن من عادى رسلي فانه نصرة لهم وههنا اشكال
مشهور وهو ان تخلف الوعيد كذب غير جايز على الله وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من وعده
الله على عمل ثوابا فهو منجزه له ومن اوعده على عمل عقابا فهو بالخيار • وسيل ابو عمرو ابن العلا ايجوز ان يعد
الله على عمل ثوابا ثم لا ينجزه قال لا قال فاذا اوعد عقابا افلا بد ان ينجزه فقال له من قبل العجمة اتيت ان العرب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كانت شرعها ان تفي بالوعد وان لا تفي بالوعيد قال •

وَاني وان واعدته او وعدته • لمخلف ايعادي وَمُنجز مَوعدي •

قالوا ولا يلزمه الكذب لان الكذب يكون في الماضي والخلف في المستقبل لان فساده ظاهر لانه عدم المطابقة مطلقا بالاتفاق بل لان الوعيد مشروط بشروط مقدرة مسلمة معلومة من غير شيء آخر كالاصرار او عدم التوبة او عدم العفو فيكون في قوة الشرطية فلا يلزم الكذب اصلا وقيل ان الوعد والوعيد انشا لا يتصف به كما ذكره علما الرسوم في مثل قولهم الصبر بقا وم الاسد انه انشاء التعجب وفي قوله رب اني وضعتها انثى انه لانشا التحسر وقال بعض المشايخ الوعد حق العبد والوعيد حق الله والكريم قد يترك حقه ولا يشاح فيه • وفي قواعد القرافي اختلف في لزوم الوعد والوفا به الفقها فقال مالك لا يلزم وبه قضى عمر بن عبد العزيز وقال سحنون يلزم اذا دخل في امر كقوله لآخر بع دارك وانا اقرضك دراهم تشتري بها دارا تسكنها هذا ما قالوا برمته في هذه ولها تتمة لعل الدهر يجز ميعادها **والتفصي عن عهدته** هو تفعل بالفا والصاد المهملة منقوص بمعنى الخروج والخلاص وبينه وبين ما قبله تجنيس والعهدة بضم العين المهملة وها ساكنة بلهاء دال مهملة ضمان ما يتعهده العاقل في ذمته فيلزمه واصل معناه الوثيقة فجعل المص اجابة سايله كامر التزمه في ذمته يلزمه اداوه ففيه استعارة تصريحية وعند متعلق بما بعده من قوله **يشرف به صدر العدو واللعين** يشرق من شرق يشرق كفرح يفرح من الشرق وهو وقوف الشراب ونحوه في الحلق ثم قيل مثله لكن استعمالها في غير المايعات اكثر والمعروف اسناده للحلق الذي هو مجراه كقوله •

لو بغير الما حلقي شرقا • كنت كالغصان بالما اعتصاري •

ويسند للانسان نفسه واما اسناده للصدر كما في عبارة المص فغير معروف فكانه قصد به المبالغة في كثرته وعدم الخلاص منه لان الغصة تصير سابغة لسعته فاذا كان الصدر نفسه شرقا لا ينفع ثم هنا بمعنى تألم واغتاظ كما في قول الاعشى ۞

وتشرق بالقول الذي قد اذعته • كما شرقت صدر القناة من الدم •

وليس في قوله صدر القناة شاهد للمص وتعريف العدو جنس او استغراق وهم اعدا الرسول و وصفه باللعين للذم لا للتقييد اذ كل عدو له كافر مستحق اللعنة واصله المطرود مطلقا كما في قول الشماخ

ذعرت به القطا ونفيت عنه • مقام الذئب كالرجل اللعين •

ثم خص بالمطرود عن رحمة الله او للعهد والمراد به ابليس بقرينة اللعن لانه مطوق باللعنة ليوم الدين وقيل يشرق بمعنى يضيق كضيق صدر من شرق بريقه عند موته وفي المقتفى يضيق صدره حسدا **ويشرق قلب المؤمن باليقين** مضارع اشرق يشرق اذا اضا وهو لازم وجوز بعضهم تعديه كما في قوله • ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها • شمس الضحى وابو اسحق والقمر •

والبا آلية او سببية كما في قوله تعالى واشرقت الارض بنور ربها والقلب مشبه بما يقبل الاضاءة او بمشكاة واليقين مشبه بالنور كما يشبه به مطلق العلم ويشبه الجهل بالظلمة ويجوز فتح يا يشرق لانه يقال شرقت الشمس واشرقت بمعنى والمغرب والمزيد وان اثبت اهل اللغة ثلاثية ايضا للازم صفة الكواكب ونحوها وما يقع عليه الضوء من الاجرام **ويملأ انواره** الضمير المضاف اليه لليقين والاضافة لدنو ان الله جعل قبله النور عين اليقين اما لانه من قبيل لجين الما اشارة الى ان الاضافة لا تخص القلب بل تفيض على ما حوله فتملوه او المراد بالانوار انوار اخر حاصلة من ذلك النور ايضا كالهداية الى الحق ودفع الشبه ونحوه كان نور الشمس الذاتي يحصل منه انوار اخر تملأ الكون والمراد بكونها اجالية

لانها عامة شاملة له وهو استعارة مكنية تخييلية حيث شبهت الانوار بالمياه الفايضة من البحار واثبت لها الملء ويجوز عود الضمير للقلب **جوانح صدره** جمع جانحة وهي الضلوع التي تلي الصدر تحت الترائب والضلوع مما يلي الظهر ولذا اضيف للصدر واضافة الصدر لضمير القلب لما بينهما من الملابسة التامة والقلب معروف وتفسيره بلطيفة مدركة مرتبطة بهيكل الانسان وقع لبعض الصوفية وهو مخالف للغة ومراد المص فلا وجه له **ويقدر العاقل النبي حق قدره** يتعدد بزنة ينصر يعرف مقداره ويتصور عظيم مقامه كما هو وقد فسر ابن عباس قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره بما عرفوه حق معرفته ومن له لب اذا تنبه لما قاله المص واحاط به خبرا عرف اجلاله شانه ولمحت من افق اليقين له بوارق برهانه وان لم يحط بحليته فانه لا تسعه العقول ولا يحيط به نطاق البيان كما قال •

ما ان مثلوا صفاتك للنا • س كما مثل النجوم الماء •

ويقدر معطوف على يشرق **ويتحرر الكلام فيه** اي يتم ويجيء محررا مهذبا في هذا القسم وفيه متعلق بالكلام لانه مصدر او اسم مصدر يعمل عمل فعله او حال منه وقوله **في بابين** متعلق بيتحرر والعاقل بعين مهملة وقاف وفي حواشي التلمساني انه بعين معجمة وفاء قال والمراد انه يكون سببا لتنبيه الغافل وقدرته ولو لم يقل انه رواية قلنا انه تحريف من الناسخ ۞

• الباب الاول يختص بالامور الدينية •

اي المتعلقة بما يجب ويجوز ويمتنع عليه بحسب الشرع والدين **ويتشبث به القول في العصمة** يتشبث بمثناة فوقية وشين معجمة وبا موحدة ومثلثة التعلق والتمسك وفي العرف التمسك بما فيه ضعف كقولهم الغريق يتشبث بالحشيش اي النبات وضمن لما فهم مما قبله اي بما ذكر وبما يختص الخ وجعله لكونه مرتبطا به كانه متمسك به وفي التعبير به مع العصمة لطف لانها في الاصل بمعنى الربط ثم صارت بمعنى المنع وخصت عرفا بمنع الله عبده من جميع ما لا يرضاه من الذنوب بمجرد حفظ الله له او بخلق الله له صفة نفسانية ممتنعة عن ارتكابها ولكونها بخلق الله لمن يختار تفضلا منه لا يتوهم انه مبني على القول بالايجاب وان النبوة كسبية وهو ليس مذهب اهل السنة ويكون ايضا بمعنى حفظه عن اذية اعدائه بحيث لا يقدرون عليها كما في قوله والله يعصمك من الناس واذا وقع هذا لبعض الاوليا يسمى حفظا لا عصمة فلا يقال لغير الانبيا انه معصوم ولذا اختلف الدعاء بالعصمة لغيرهم هل يجوز ام لا والصحيح كما قاله ابن حجر في الزواجر يجوز لانه ورد في الادعية الماثورة اللهم اعصمنا في الحركات والسكنات لكنه بمعنى مطلق الحفظ وسياتي تحقيقه وتعلق العصمة بما ذكر لانها من لوازمه ومتناوه **وفيه** اي في هذا الباب **ستة عشر فصلا**

الباب الثاني في احوال الدنيوية •

اي الطارية عليه في الدنيا من جهة الاشباح لا من جهة الارواح ولذا قال **وما يجوز طروه عليه** اي عروضه وحدوثه يقال طرأ مهموز بزنة قعد طروا كقعودا وتبدل همزته واوا فيدغم في مثلها فيقال الطرو كعلو وقد سمع كما في كتب اللغة القاموس وغيره ولا فرق بينهما وان كان في كلام ابن القطاع ما يقتضيه وفي المقتفى انه ضبط هنا بتشديد الواو واذا اسند الى الناس كان بمعنى القدوم يقال طرأ علينا فلان فلذا قال **من الاعراض البشرية** جمع عرض بفتحتين وهو ما يعرض له من جهة ظاهرة سوا كان عرضا قارا ام لا والاطبا يخصونه بغير القار فيقولون عرض ومرض ووصف الاعراض بالطرو والحدوث حقيقة ولو فسر بالقدوم كان مجازا لكنه لا داعي له الامر والبشرية

شبكة الألوكة www.alukah.net

المنسوبة للبشر هنا اشارة الى انها غير مختصة به وما يجوز احترازا عن الاعراض المقتضية التي
لا تجوز عليه فلا اطناب فيه كما توهم ۞

القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام

بمعنى الحكم والوجوه جمع وجه له معان مجازية منها النوع والقسم يقال الكلام على اربعة اوجه
وتصريفها تحويلها وتبديلها كتصريف الرياح وقيل تبيينها وكونه بمعنى تنويعها وذكر الوجوه تجريد
عدول عن الجادة بلا فائدة والمراد بيان انواع الاحكام المتعلقة بها وما يلزم من قالها **على من تنقصه**
متعلق بتصرف اي نسبه الى ما فيه نقص لجنابه المبرا عن النقائص **او سبه** السب الشتم اي بيان
حكم من سبه والفرق بينه وبين ما قبله ان السب المجاهرة بالصفات الذميمة والتنقص اعم منه فان
من قال له يا محمد فقد تنقصه وليس بشتم له وينبغي ان يخص بغير الشتم فليسا متساويين ولا بينهما
عموم وخصوص حتى يرد عليه انه لا يصح العطف باو هنا او يتكلف فيقال حكم العام غير حكم الخاص
او يقال السب بمعنى اللعن وعلى متعلقة بتصرف او بالحكم وكونها بمعنى الى اي تحول وجه الاحكام اليه
على انه استعارة تعسف من غير داع ويجوز كون الجار والمجرور حالا **وينقسم الكلام فيه في بابين**
ضمن ينقسم معنى ينجز ويتم كما عبر به قبيله فمن قال معناه الى بابين او جعل كونه فيهما الى امور فقد تكلف

الباب الاول في بيان ما هو في حقه سب ونقص

النقص هنا اعم من السب او بمعناه كما مر فلذا عطفه بالواو وليس بمعنى كما قيل وقيل الواو بمعنى او كما
يفهم من كلامه الاتي **من تعريض او نص** المراد بالنص هنا الصريح وله معان اخر كلفظ القرآن ولفظ الحديث
والدلالة على ما لا يحتمل اللفظ غيره والتعريض ما يفيد معنى يلوح له الكلام ويومي كانه يوخذ من عرضه
اي جانبه يقال نظر اليه بعرض وجهه وبه قسم من اقسام الكناية والمراد به هنا ما يقابل النص او نوع
غير بليغ وفيه كلام طويل في كتب المعاني والتفسير بيناه في حواشي البيضاوي **وفيه عشرة فصول**

الباب الثاني في حكم شانيه

هو اسم فاعل مهموز الاخر من الشنان وهو البغض والعداوة ويجوز ابدال همزته ياء وفتح نونه وتسكينها
وموذيه هو الاتي بما فيه اذية له قولا او فعلا يقال آذاه يوذيه ايذاء واذى ولا عبرة بما في القاموس
من انكاره للايذاء كما بيناه في كتابنا شفاء الغليل **ومنتقصه** وفي نسخة صحيحة متنقصه يقال انتقصه
ونقصه وتنقصه اذا اتى بما فيه نقص لكمال قدره من قول او فعل او ترك يقتضي ذلك **وعقوبته**
بالجر عطف على حكم او على شانيه والضمير عايد على كل واحد انا وتله بالمذكور او على احدهما لانه عين
الاخر والعقوبة والعقو ما يقع في مقابلة ذنب واما قوله فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به فهو مشاكلة
او بمعناه اللغوي **وذكر استتابته** معطوف على حكم والمراد به ما يتعلق بتوبته من القبول وعدمه
اثباتا ونفيا واصل معناه طلب التوبة وقيل الاستفعال للتحول عن اصله الى غيره كقوله
ان البغاث بارضنا تستنسر ۞ اي تتحول من البغاثية الى النسرية فالمراد به التحول الى التوبة
بعد الكفر فتدبر **والصلاة عليه** اي الصلاة على جنازة من ذكر بعد موته **ووراثته** اي حكم وراثته
نفيا واثباتا كما في ميراث المرتد وهل يرث هو من غيره اولا وتاخير الصلاة والوراثة على الاستتابة
في غاية الاستحكام لمصادفته محله **وفيه عشرة فصول** كذا في كثير من النسخ وهو سهو من قلم الناسخ
والصواب كما في بعض النسخ خمسة فصول وهو الذي صححه مغلطاي والتلمساني في حواشيه وهو الظاهر

ولا ينافي

ولا ينافي فيه ما مر في الزيادة كما قيل والضمير للكتاب والله اعلم ۞

وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسئلة ووصلة للبابين اللذين قبله

اي لما ناسب هذا القسم جعله مكملا لما قبله من المسائل ومتصلا به بان عده بابا ثالثا من هذا القسم وان
لم يكن منه والوصلة بضم الواو الاتصال وهو اسم مصدر بمعنى اسم الفاعل ولولا ما قصده كان هذا خاتمة
الكتاب او قسما خامسا **في حكم من سب الله تعالى ورسله** مطلقا او غير نبينا صلى الله عليه وسلم **وملائكته**
وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه اي في حكم من صدر منه سب لواحد من هولاء او من
جميعهم او لعدد معين منهم مجتمعا ومنفردا ولا ينافيه كون من الموصولة تفيد العموم حتى يتوهم انه
يقتضي حكم من سب فردا من هولاء غير مذكور والعطف بالواو ولا يقتضي انه في حكم من سب هولاء على سبيل
الاجتماع مع ان المراد الاعم من ذلك كما لا يخفى ولا حاجة الى ان يقال الواو بمعنى او فان العموم يكفي
لصحته امكان شموله سواء كان ذلك في الواقع او لا مع ان مثله مما يرفق فيه اذا كان في كلام يستدل
بلفظه كالقرآن والحديث اما في كلام المصنفين فلا مع ان تعريف الموصول كاللام فيجري فيه
اقسامها فسقط ما في بعض الشروح هنا من التعسف **واختصرنا الكلام فيه** بالماضي المجهول وفي
بعض النسخ يختصر بالمضارع والاختصار تقليل اللفظ مع تكثير المعنى اي جعل الكلام متصفا بالاختصار
فيما ذكر **في خمسة فصول** قيل الصواب في عشرة كما في بعض النسخ وهو المطابق للواقع واما كون
الزيادة بدت له بعد ما بنا على تقديم الخطبة على التاليف او العدد لا مفهوم له فلا ينافي الزيادة وقد
مر ما فيه ولك ان تقول ان ضمير فيه ليس للباب الثالث حتى يرد عليه ما ذكر بل لما تقدم اجمالا والمعنى
انه كان اراد ان يجعل الباب الثاني عشرة فصول فاختصره في خمسة وافرد الخمسة الباقية بابا ثالثا فصارت
فصوله خمسة وهذا وان كان في غاية الخفاء احسن من حمله على الخطا وهذا ما وعدناك به فان صادف
حيز القبول والا فاطرحه في زوايا الفضول ويكون هذا معنى قوله **وبتمامها** اي بتمام هذه الفصول
المكملة لما قبلها **ينتجز الكتاب** ينفعل من نجز بجيم وزاي معجمة اي تم وانقضى فهو مطاوع نجز قال
ابن القطاع نجزت الحاجة وانجزتها فتنجزت قضيتها وقالوا انجز بالفتح والكسر اشهر في غيره انه بمعنى
يحضر او يتم او ينقطع وفي المنتقى نجزت حاجتك قضيتها فالكتاب حاجة للسائل يوعده بها وهو يختلف
في النسخ بعضها من الافتعال وفي بعضها من التفعل والكل بمعنى واختار المزيد لانه ابلغ وقيل لبعيد
انه يفعله وفي الملائكة اقوال لاهل اللغة فقيل جمع ملك بزنة فعل شذوذا وقيل مفرده ملاك
كشمال حذفت همزته بعد القاء حركتها على ما قبلها ثم ردت لجمع فوزنه فعائلة وهمزته زائدة وقيل
ملاك على وزن مفعل فميمه زائدة ووزن جمعه مفاعلة وقيل مفرده مالك بتقديم فوزن جمعه مفاعلة
وقيل مفرده ملاكة كعفالة من لاك بالوكة فحذفت عينه تخفيفا ووزنه مفل وملائكة وزنه مفاعلة
ويقال فيه ملائك ايضا **ويلوح في غرة الايمان لمعة منيرة** يلوح بالحاء المهملة بمعنى يبدو
ويظهر والغرة في الاصل بياض في جبهة الفرس ويطلق على اعلى كل شيء واوله واللمعة بضم اللام
من لمع الشيء يلمع لمعانا اذا اضاء وجمعه لمع ولماع كبرمة وبرام واللمعة ايضا البقعة فيها كلاء
والقطعة من النبت اذا يبست وابيضت وموضع لا يصيبه ماء الغسل ذكره الصغاني وعليه
استعمال الفقهاء واما اللمعة بالفتح فمصدر لمع والرواية هنا على الضم ومنيرة من انار ويكون لازما
ومتعديا اي ذات نور ويكون بمعنى بين واضح ومبين ومظهر والمراد انه اذا تم ما في كتابه انتشر
في صحائف الاذهان ازداد نور الايمان لان الايمان بالله ورسله اذا قرن بتعظيم هذا النبي الكريم

الألوكة
www.alukah.net

وتحبته والعلم بما يودي اليه مخالفته من النكال او صل صاحبه لاعلي عليين اذا عرفت هذا
فيلوح ان قرئ بالمثناة الفوقية ففاعله لمعة وان كان بالتحتية ففاعله ما ذكر ولمعة الموصوف
تمييز او حال وغرة الايمان اشرفه واظهره فاضافته حقيقية او هو كلجين الما لانه به يتميز صاحبه
وتظهر سعادته في الدارين او يظهر انه جواد سابق في حلبة السابقين الاولين ففيه استعارة مكنية
تخييلية وعلى الرفع فيه تجريد كقوله وفي الرحمن للضعفا كاف واللمعة هي الغرة او غرة الايمان بمعنى ظاهره
واعلاه على استعارة مصرحة وجعل ما ذكر فيه لمعة فيه اي نور الايمان عليه لانه زيادة في ايمانه واشا
بانه لمعة الى انه من جنسه لا يكاد يتميز عنه وان كان البياض يقبل الزيادة حتى يتميز بعضه عن بعض
لشدة بياضه ولذا وصفه بالامارة فان فهمت فهو نور على نور وفي بعض الشروح انه شبه الايمان
بفرس ينجي صاحبه من المهالك والاغر محمود في جنسه ففيه استعارة مكنية واثبات الغرة تخييل
او شبه كتابه هذا بلمعة منيرة في غرة فرس على نهج الاستعارة المصرحة وكنى بغرة الايمان عن الكتب
المؤلفة في شانه صلى الله عليه وسلم واضافته من اضافة الصفة لموصوفها اي فالدين النقي يلوح
لمعة منيرة واللمعة كناية فكانه زاد بياض الدين ونوره وتنكير لمعة للتعظيم او للتقليل بالنسبة لشرف
مقامه والاول اولى ولا يلزم من كون كتابه منيرا سلب النور عن غيره حتى يكون ذما له غايته ان له
زيادة عليها واعترض على المصنف بجعله اللمعة في الغرة بانه لا يظهر فيها فكان عليه ان يقول يلوح في
جبهته الايمان غرة وبما قررناه علم ان هذا بمراحل عن المراد وانه غني عن الرد وللك ان تقول اللمعة هنا
جزء من الغرة لا امر زايد عليها والمعنى ان الايمان كالغرة المميزة لصاحبها لان هذه الامة غر محجلون
ومعنى هذا الكتاب شعبة من شعبه وهذا احسن واوضح مما قالوه وقوله **وفي تاج التراجم درة
خطيرة** اي عباراته الدالة عليه لاستلزامها لاظهار الايمان والاقرار به بمنزلة تاج على راس عظيم
لدلالتها على رفعة قدره وما يدل منها على هذه المعاني كدرر مكللة بهذا التاج ومناسبة الغرة للتاج
والدرة ظاهرة وهو على هذا خبر مبتدا مقدر بعبارته او هي درة على الاستخدام لان ما نقدم معان وهذه
الفاظ وكونها بيته ظاهر وفيه استعارة مكنية لتشبيه العارف بها بذي سلطان واثبت له ما هو
من لوازمه والتراجم جمع ترجمة بمعنى العبارة في كلامهم كثير كقوله في ادب الكاتب ترجمة تروق بلا معنى
وقد مر انه معرب وفي شرح ادب الكاتب انه عربي وهي مفعلة من الرجم يقال رجمت اذا ظننت قال تعالى
رجما بالغيب قال ما كان من غيب ورجم ظنون فكان الترجمان الذي يصيب بظنه معنى كلام المتكلم ۞
بلسانين ويقال يردد ترجمان وفي النهاية تراجم جمع ترجمان بفتح التا وضمها وهو المترجم وفيه نظر وخطيرة
بخاء معجمة وطاء وراء مهملتين بمعنى ذات قدر عظيم وقيل التراجم ما الف في معناه كدلايل النبوة لترجمتها
عن نعوت النبوة وجوز بعضهم ان يراد بالتراجم العلماء بناء على انه جمع ترجمان وهو بعيد جدا ولما ذكر ان كتابه
من الانوار الربانية اردفه بجعله من بين نظايره كدرة باعها اما على انه شبه التراجم اي الكتب بالملوك ۞
للانقياد لها والعمل بما تقتضيه وشبه كتب السير بتاجها الذي به فخرها وكتابه بدرة نفيسة فيه تشبيها
بليغا او استعارة تمثيلية او مكنية مخيلة مرشحة او تاج التراجم كلجين الما وفيه اشارة الى ان كتب المتقدمين
في غنى عنه وفي تاج معطوف على قوله في غرة فهو متعلق بيلوح **يزيح كل اللبس** يزيح كيزيل وزنا ومعنى
والضمير المستتر فيه راجع لما يرجع له ضمير يلوح وهو جملة الاقسام والابواب ويجوز رجوعه للمعة
وهو اولى من رجوعه لدرة لان ازالتها بضيايها ظلمة اللبس وان رجحوه لقربه وعدم العاطف ومثل هذه الجمل
بعد النكرات المتبادر انها صفات وان جاز ان تكون استينافية واما كونها حالا فبعيد واللبس في الاصل
الخطا والاختلاط قال تع ولا تلبسوا الحق بالباطل فالمراد الاشتباه والشبهة يعني ان كتابه يزيل الاشتباه

في احواله صلى الله عليه وسلم او في الدين في الجملة وقيل اللبس هنا بضم اللام الشبهة **ويوضح كل تخمين
وحدس** لفظ حدس سقط من بعض النسخ ووقع في بعضها على انه قافية فهو فقرة مستقلة وفي المنتقى انه سقط
من نسخة المصنف فتخمين قافية ما بعدها على نمط واحد وله وجه والتخمين والحدس متقاربان وهما الاعتقاد
لمجرد الظن والتوهم وعند اهل الميزان الحدسيات امور يحكم فيها العقل بما يلوح للنفس من الامارات الدالة كما
كالحكم بان القمر يستفيد الضوء من الشمس بواسطة تشكلات نوره بحسب قربه وبعده منها فالمراد هنا ان كتابه
هذا يوضح الامور المتوهمة بحيث تشرق عليها انوار اليقين فيضمحل التخمين ويطلق الحدس ايضا على سرعة
الانتقال من المبادي للمطالب والمراد الاول لانه حقيقته لغة **ويشفي صدور قوم مومنين** مما به
هذا الكتاب والمعنى المقصود في الاية ظاهرة لان المراد انه يشفيهم من مرض الجهل والشبه والغيظ حيث حكم
بقتل العدو وكما حكم هنا بقتل الشبهات الا انه وقع هنا في نسخة يشف بدون ياء في اخره لانه مجزوم في النظم
الكريم وفي نسخة بياء في آخره لانه مستانف مرفوع في كلام المصنف اذ لم يتقدمه ما يقتضي الجزم قالوا وهو مصحح
هكذا في نسخ المشايخ كمغلطاي والنسخة الاولى لا وجه لها هنا الا قصد حكاية لفظ التلاوة والاقتباس
واورد عليه انه جملة من كلامه ولا موجب للحذف فيه وكيف يقصد التلاوة والضمير في الاية لله في قوله
وبتمامها ينجز الكتاب لا الدرة او اللمعة حتى يرد عليه انه ينبغي ان تكون العبارة تشفي بالتاء الفوقية
لان فاعله ضمير المونث ويعتذر عنه بانه قد يرد عليها باعتبار كونها كناية عن الكتاب كما قيل فانه تكلف
انت في غنى عنه بما سمعته آنفا والاية قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور
قوم مومنين وهو مجزوم فيها جواب امر غير مذكور ولا مقدر في كلام المصنف ولا يخفى ان الحكاية مسوغة
لما ذكر والمقتبس قد يبقى بلفظه وقد يتغير كما في قول ابن الرومي ۞

فقد انزلت حاجاتي • بواد غير ذي زرع

فان المراد به في القرآن واد لا نبات فيه وفي الشعر رجل لا خير فيه كما ان المراد في النظم بالقوم بنوا
خزاعة وهنا مطلق المومنين والمراد انه يشفي صدورهم بما يقفون عليه من صفاته صلى الله عليه وسلم
لا بايمانهم حتى يقال ان المومنين قلوبهم مشفية ويجاب بان الايمان يقبل الزيادة وزيادة الشفا شفا فانه
كلام ناشئ من سوء الفهم وقد اختلفوا في جواز الاقتباس فاجازه بعضهم مطلقا ومنعه آخرون مطلقا
وفصل بعضهم فقال الحق جوازه ولو مع تغيير لفظه اذا لم يقصد التلاوة ولم ينقل الى معنى سخيف من هزل
ونحوه فان فيه تلاعبا بالقرآن لا يجوز ولذا نقل عن الامام مالك انه لا يجوز التفاول من المصحف وما
وقع في فتاوي الصوفية من ان عليا فعله لا اصل له **ويصدع بالحق** اي يجهر بما يدل على الحق وهو
الامر الثابت في حقه صلى الله عليه وسلم وقال ابن عرفة في قوله فاصدع بما تومر اي فرق بين الحق
والباطل يقال تصدع القوم اذا تفرقوا اي يظهر به او يحكم او يفصل وما قيل انه يحتمل تشق بالحق
اي تظهره من خلال تراكيبه تعسف لا داعي له وقيل المراد بالحق هنا القرآن لما فيه من كثير من اياته
وقد جا الحق مرادا به القرآن في الايات تكلف ايضا وهو في الاصل استعارة من صدع اذا شقه وقيل
المراد يشق القلوب بما فيه من الادلة القاطعة **ويعرض عن الجاهلين** بحقوق الله ورسوله والغافلين
عن علي قدره واعراض الكتاب عنهم استعارة لعدم انتفاعهم لا لقوا لهم ذكرا او ردا لكن كالحشر ونحوه فلا
يقبا بهم فانه انما صنف كتابه للمومنين او المراد عدم انتفاعهم به فانهم كتبت عليهم الشقاوة والسامع
للحق اما مومن يشتفي به صدره ويزداد ايمانا او كافر له عقل سليم يرتجي قبوله للحق او ذو غباوة منفي
او معاند فاشار الى الاول بقوله يشفي والى الثاني بقوله يصدع والى غيره بقوله يعرض الخ وهذا لا يلائم
المصنف في كلامه لان كلامه انما صنفه للمومنين كما صرح به وقد يراد في بعض الاقسام من يضاهيهم في

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بعض الصفات **وبالله سبحانه لا اله سواه استعين** في النسخ هنا اختلاف ففي بعضها بدل سبحانه تعالى وفي بعضها اسقاطهما وفي بعضها لا اله الا الله الحق المبين وليس فيه اختلاف معنى والتسبيح التنزيه عما لا يليق وسبحانه مصدر سبح والكلام عليه ليس هذا محله طلب المعونة من الله على ما قصده من التاليف والانتفاع به وسبحه من الثاني لو كان ينبغي ان يقدم الحمد والتعظيم قبل الطلب كما وقع في الفاتحة وينزهه عن ان يخيب قاصده ولذا قال لا اله سواه اي لا معبود ولا مقصود في المهمات سواه والجملتان معترضتان بين استعين ومعموله المقدم للاهتمام وافادة الحصر لان الاستعانة الحقيقية لا تكون الا بالله وغيره وسائط ولذا اشكل حصر الاستعانة في اياك نستعين مع الاستعانة باسمه في بسم الله على احد وجوه واجيب بان طلب المعونة لا يكون الا من الله واما معونة الشفاعة والتوسل فيكون من غيره كاسمائه ورسله كما ذكره شراح الكشاف والمعونة اما ضرورية يتوقف عليها الفعل كالالة او مسهلة كالراحلة للقادر على المشي كما فصله القاضي في تفسير اياك نستعين قيل وعلى نسخة بالله لا سواه اشكال لان التقديم يفيد الحصر والعطف بلا يفيده ايضا ولذا منع اهل المعاني العطف به بعد الحصر في عبارة المصنف وقالوا انه غير صحيح عندهم ثم اجاب بان الذي ممنوع نحو ما والا فلا يقال ما قام الا زيد لا عمرو واما بعد حصر التقديم ونحوه فلم يقف عليه فيجوز ان يفرق بينهما مع افادة الحصر وقصده غير معين الى اخر ما قرره واطال فيه • اقول هذا عجيب منه فان هذه المسالة ذكرها عبد القاهر والسكاكي ووقع في كلام الزمخشري في مواضع ما يخالفه كقوله في سورة آل عمران ما هي الا شهوات لا غير وذكر شراحه كلهم ان هذا لم يقم عليه دليل عند العامة الحذاق وانما هو بعد ما والا والنفي الصريح لا في غيره فالسؤال والجواب ساقط وقد تكلمنا عليه في السوانح • ثم انه شرع في المقصود فقال

• القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى •

اسما الكتب والفاظ التراجم فيها احتمالات مشهورة وافقها ان المراد بها الالفاظ والمعروف انها ظروف وقوالب للمعاني فاذا عكس كما هنا فهو بتقدير مضاف اي في بيان تعظيم الخ والبيان يكون بهذا اللفظ وغيره فهو من ظرفية الخاص في العام لدخوله فيه وشموله له فشبه احد الشمولين بالاخر وعلى المشهور المعنى لما تخيل اولا واتى له بلفظ يقدره كان كالمظروف المقصود الذي يؤتى له بظرف مناسب او هو كاللباس لما فصلوه وقيل في بمعنى اللام والمراد بكونه فيه انه مقصود منه فلا ينافي ذكر غيره بطريق التبعية والعلي هو العالي شانه في نفسه والاعلى عما عداه فالاول بالنظر لذاته فلذا قدم والثاني بالنظر لغيره وليس للتفضيل على معين فانه لا يشاركه ولا يدانيه شي ولذا عدي بعن فقال تعالى عما يقول الظالمون لبعده عن مخلوقاته ولذا قال سبح اسم ربك الاعلى • فان قلت لما نزلت هذه الاية قال اجعلوها في سجودكم • ولما نزل فسبح اسم ربك العظيم قال اجعلوها في ركوعكم فما وجهه قلت هو الهام والهام الانبيا وحي وقد فهمه من الموحى به لانه تنزيه الخالق المنعم عن مشاركة مخلوقاته في علوه وتعظيمه يكون قولا وفعلا واعتقادا ومشاركة القول للاعتقاد والفعل بالتلبس بما يدل عليه واظهره وضع اشرف اعضائه في تراب الذل الذي ينبت العز وكل مكان ينبت العز طيب فلذا كان العبد اقرب ما يكون من ربه وهو ساجد وهو دعا مستجاب ولما كثر تعظيم العظما بالانحنا امر بان يقول سبحان ربي العظيم في الركوع ومن هنا يفهم وجه ذكر الاسم والرب وفي تعبير المصنف من البلاغة ما عرفته فان تعظيم العظيم اعظم والعلو في المكان فعله علا يعلو كدعا يدعو وفي الرتبة على يعلى كرضي يرضى **لقدر النبي المصطفى قولا وفعلا** وفي نسخة لقدر المصطفى وهو متعلق بمعنى تعظيم واللام للتقوية وفي تعظيم قدره اي رتبته تعظيم ابلغ من تعظيم ذاته والمراد بالقول

ما ورد

ما ورد في القرآن والكتب السماوية والاحاديث القدسية وبالفعل ما خصه به من التاييد وتعظيم ذكره ودينه ونسخ شريعته لما عداها واكرامه بالمعجزات وغيرها ولا وجه لتخصيص الاول بالقرآن والثاني بالمعجزات الا ان يكون اقتصر على اعظم ما عظم به فليس بسهو كما قيل **قال القاضي الامام ابو الفضل** هو عياض بن موسى السبتي بفتح السين نسبة لسبتة بلدة بالمغرب كان بها قاضيا ولذا اشتهر بالقاضي اليحصبي بالحركات الثلاث في الصاد وهي قبيلة من العرب وقد قدمنا ترجمته وقد افردها بعض اهل العصر بجزء سماه زهر الرياض في محاسن عياض ومما وقع في النسخ من قوله الامام من تلامذة النساخ لانه لا يمدح نفسه **لا خفا على من مارس شيئا من العلم** اي ليس شي من الخفا والاستتار عند من له علم ومارس بمعنى عالج ولازم من الممارسة وهي وضع الحبل في البكرة للسقي ويقال مرس الشي اذا عركه كما في افعال ابن القوطية ثم شاع في كل ملابسة مع المداولة والملازمة وشيئا المراد به شي قليل او شي معتد به والاول ابلغ والثاني انسب بالممارسة ونفس الامر والمراد بالعلم المعلومات او الاصول والقواعد مطلقا او الشرعي منها وليس المراد به الملكة ولا الصورة الذهنية والشي ما يصح ان يعلم ويخبر عنه والموجود في الخارج ويصح ابقاوه على عمومه كما يقال فلان ليس بشي اي ليس مما يصدق عليه لفظ شي ولا مما نم منه كما قيل **او خص بادنى لمحة من فهم** خص بضم الخاء على صيغة المجهول الماضي بمعناه الاصلي من التخصيص وقيل انه بمعنى فضل اي صار ذا فضل اذ لم يكن التخصيص اضافيا والمقام يابى لان المراد ان الله خصه بشي قليل من الفهم دون ان يعطيه شدة فهم وذكاء فان ما ذكر ان لم يخف على مثله لم يخف على احد غيره واو على اصلها لاحد الشيئين اي لا يخفى على مثل هذين ولا حاجة الى جعلها بمعنى الواو والفهم تصور المعنى من اللفظ او سرعة الانتقال ويجوز ان تكون او بمعنى بل كما في قول جرير • كانوا ثمانين او زادوا ثمانية • لولا رجاوك قد قتلت اولادي • وهي للترقي ممن عنده علم الى من له ادنى فهم وادنى يكون بمعنى اصغر مقابلا لاكبر وبمعنى اقل مقابل الاكثر وبمعنى اخس وارذل مقابل اشرف كما في قوله تع اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير والكل مادة دني وقيل الاخير مقلوب ادون من الدون وهو الردي اراد لمحة بفتح اللام من اللمح وهو كما في القاموس اختلاس النظر وسرعته فلذا كني بها عن القلة كقوله تع وما امر الساعة الا كلمح البصر • وقال التلمساني اللمحة بالضم قليل النظر وبالفتح المرة قيل فاذا صح الضم هنا فالمراد بالادنى الاقل وبالفهم قليله وهذا بطريق الكمية والاول بطريق الكيفية ومن في قوله من فهم ان كانت بيانية فهو استعارة يجعل ما للبصر للبصيرة ويؤيده انه وقع في نسخة بادنى لحظة واللحظة النظر بموخر العين وان كانت ابتدائية اي لمحة ناشية من فهم فقد يجوز فيه ان يكون باقيا على حقيقته وفي نسخة من الفهم معرفا **بتعظيم الله قدر نبينا** اي مرتبته وشرفه والباء قيل انها للملابسة وقيل بمعنى في وقيل بمعنى من اي من جهته وقيل انها سببية وهل هو مستقر او لغو في متعلقه احتمالات ووجوه اشار اليها الشراح وعلى كل حال لم ياتوا بما يثلج الصدور والظاهر ان مراد المصنف انه لا خفاء في تعظيمه عند من له ادنى بصيرة وحينيذ فخفا اسم لا وقوله على الخ متعلق به لانه يتعدى بعلى يقال خفي عليه كذا فهو حرف منون لشبهه بالمضاف يتعلق الجار ويجوز بناوه على الفتح على لغة حكاها نحاة بغداد وقد روي قوله صلى الله عليه لا مانع لما اعطيت بلا تنوين فقال المحقق الحفيد جمهور النحاة على وجوب التنوين في مثله لجعل الظرف معمولا له فيكون شبيها بالمضاف واما جعله معمولا لمقدر على انه خبر لا فلا يناسب المعنى المقصود كونه الاسم لا للخبر كما لا يخفى لكن بعض النحاة جوز ترك التنوين وكذا جوزه الزمخشري وتبعه القاضي في قوله لا تثريب عليكم اليوم الا انه منعه في قوله لا غالب لكم اليوم فكانه مال الى المذهبين في الموضعين انتهى

الألوكة
www.alukah.net

فان قلنا على متعلقة بهما على الوجهين فقوله بتعظيم لخبر لا والبا بمعنى في او للملابسة او بمعنى
من والظرف مستقر فان قلنا انه لغو فالبا متعلق بعلم او بفهم لان العلم قد يتعدى بالبا فلك حمل الفهم
عليه لقربه منه معنى او بفتش بالخبر ونحوه مما يتعدى بالبا وقرر بالنصب مفعول لعظيم **وخصوصه**
اياه اي تخصيصه نبيه الكريم من بين ساير الناس فالخصوص بمعنى التخصيص لا بمعنى التفضيل كما
توهم فانه عدول عن الظاهر بغير داع وهو مضاف للفاعل وهو ضمير الله والضمير المنفصل للنبي وهو
مفعوله **بفضايل ومحاسن ومناقب** كلها مجرورة بالفتح لمنع الصرف والجار والمجرور متعلق بخصوص
والمراد ما اعطاه الله من الكمال النفسي والبدني خلقا وخلقا وصورة وسيرة من الامور الدينية
والدنيوية التي لا يدانيه فيها احد وهذه عبارات متقاربة معنى متغايرة مفهوما وقد تفسر بمعان
متغايرة متباينة فيقال المراد بالفضايل ما تفرد به من العلم والعمل وبالمحاسن ما يتعلق بذاته الكريمة
وبالمناقب ما يفتخر به من عموم رسالته وسيادته وشفاعته في الحشر كما هو مقتضى العطف **واصل**
الفضايل جمع فضيلة وقد يخص بما لا يتوقف تحققه على تعدي اثره ويقابله الفواضل **والمحاسن** الحسن
في الصورة جمع حسن على خلاف القياس او جمع محسن وهو الموضع الحسن من البدن كما في القاموس
والمناقب ما يفتخر به وضده المثالب وحاول بعضهم اثبات تغايرها بما لا تساعده اللغة **وفي الحديث**
انا سيد ولد آدم ولا فخر احتراس وتكميل وهو يكون في الاول والاخر والوسط خلافا لمن خصه بالاخير
فالاول كقوله • الا يا اسلمي يا دار مي على البلا • ولا زال منهلا بجرعايك القطر •
والآخر كالحديث **والوسط** كقوله • فسقى ديارك غير مفسدها • صوب الحيا وديمة تهمي •
فان الدعا بالسلامة اولا احتراس ولا ينافيه قوله لا زال كما صرح به بعض الادبا وان غفل عنه من
فضل بيت طرفة عليه **لا تنضبط لزمام** تنضبط بالتا الفوقية ويجوز بالتحية على ان الضمير
للفضايل وما معها او للمذكور واصل الضبط الحفظ بالاساك بيد ونحوها واما كونه بمعنى الاحصا
والحصر ومنه الضابط للقضية الكلية وقيل بينهما فرق غير في فلم يرد في اللغة وانما استعمله المصنفون
والمولدون كان الكل لجمع افراده حافظها وممسك وللتجوز وجه اي ما ذكر لا يمكن احصاؤه وضبطه
وبزمام روي بالبا واللام كما قاله التلمساني والاول اظهر والثاني اشهر فان بآء السببية ولام التعليل
متقاربان معنى **والزمام** بكسر الزاي المعجمة ما يزم به اي يشد به البغل والناقة ولا يختص بالثاني
كما في القاموس وفي كلامه هنا استعارة تصريحية او تمثيلية فالقول بانه لا استعارة فيه وان فسر
بمطلق الشد لا وجه له وانما هو كما قيل في المثل • كثرة الشد توخي فافهم • واما جعله استعارة مكنية
بتشبيه الفضايل بناقة قوية تغلب صاحبها فركيك جدا **وتنويهه من عظيم قدره** يقال نوهت
باسمه اذا رفعت ذكره واشعت تعظيمه قال تع ورفعنا لك ذكرك وفي حديث عمر انا اول من نوه بالعرب
اي رفع ذكرهم بالديوان والاعطا وهو مجرور بالعطف على التعظيم او الخصوص وعظيم قدره بمعنى قدره
العظيم وفي نسخة لعظيم قدره باللام والمشهور من المبنية لمقدر يفسره قوله **بما تكل عنه الالسنة**
والاقلام اوله بنا على جواز تقديم البيان على المبين كما ذهب اليه بعض النحاة فلا وجه لرده بمنع تقديم
ما في حيز الصلة عليها لانه على هذا متعلق بمقدر او حال من الموصول وقيل من بمعنى اللام او زايدة وبما
متعلق بتنويه وما عبارة عن امور او وجوه وتكل بمعنى تعيا وتعجز وعجز الالسنة والاقلام بعجز صاحبها
او على تشبيه الالسنة والاقلام بالناس او هو من كلال السكين بمعنى عدم قطعها فهو ايضا استعارة
مصرحة او مكنية وبين الالسنة والاقلام مناسبة تامة فانهم قالوا القلم احد اللسانين فيشبه احدهما
بالآخر وينسب له كما قيل • والسنة الاقلام تشكره ايما • صنيع الذي اوليت واليد والفم •

فيها

فيها اي مما عبر عنه بما من الفضايل **ما صرح به في كتابه** الضماير لله اي نص عليه واظهره
وقال المرزوقي في قوله • فلما صرح الشر فامسى وهو عريان
يقال صرح الشر بالنصب اذا اظهره وصرح هو اذا انكشف ومثله بين الشي وبين هو فيكون لازما متعديا
بالبا ومتعديا بنفسه **ونبه به** اي بما ذكر في كتابه واصله بمعنى ايقاظ النايم وتذكير الغافل
ويراد به مطلق الذكر كما هنا والمصنفون يخصونه بذكر امر بديهي او سبق ذكره ومنه تنبيه في التراجم
وقال التلمساني اصل التنبيه ان يكون على شي وقعت الغفلة عنه من قول او فعل فلا اشكال ولا التباس
على جليل نصابه في المصباح كغيره من كتب اللغة النصاب والمنصب كمجلس العلو والرفعة وله منصب
صدق اي منبت ومحتد وامراة ذات منصب اي حسب وجمال لانه رفعة لها انتهى • فاصل معنى النصاب
والمنصب العلو والشرف حسبا ونسبا من الانتصاب وهو القيام اي ان الله جل وعلا بذكره له في كتابه
المنزل عليه نبه على جليل رفعته وشرفه وهذا هو اصل معناه في استعمال العرب فما قيل انه لم يظهر له معنى
هنا الا ان يكون ماخوذا من نصاب الزكاة مجازا عن مقامه الذي ساد فيه الخلق كلهم كلام ناشي من عدم
فهم كلام العرب وعدم معرفة اللغة وقد سبق الكلام فيه فتذكره **واثنى به عليه من اخلاقه وادابه**
بيان لما اي مما مدحه الله به مما ذكر والثنا ممدود بتقديم المثلثة قال الجواليقي هو ذكر بالحمد ولا يكون
في الذم وهو فعال من ثنيت بقول واثنيت عليه ثناء حسنا والثنا الاسم وربما استعمل في الشر
قال زهير • سيأتي آل حصن حيث كانوا • من الكلمات ما فيه ثناء •
ولقايل ان يقول انما سمي الذم ثناء على سبيل التهكم والنثا بتقديم النون والقصر في الخير والشر
والفعل منه نثا ينثو وفي صفة النبي صلى الله عليه وسلم لا تنثى فلتاته فلا يلتفت الى من قال انه
لا يبنى منه فعل وقال بعض اهل اللغة الثنا يكون في الخير والنثا عام فيه وفي مقابله وليس مخصوصا
باللسان كما مر فثناء الله حقيقي ولا دخل للاصطلاح فيه كما توهم فهو اظهار الصفات الكمالية مطلقا
والله تعالى لما مهد بساط الوجود ومد مايدة الجود في ساحة الامكان كشف كمال صفاته واظهر نعم
مبدعاته والاخلاق جمع خلق بضمتين فسكون الطبع والسجية التي فطره الله عليها **والاداب** بالمد جمع
ادب والادب في اللغة كما قاله البطليوسي ادبان ادب نفس وادب درس ويقال ادب خبرة وادب
عشرة كما قيل • يا سايلي عن ادب الخبرة • احسن منه ادب العشرة •
وقال الجواليقي في شرح ادب الكاتب الادب التي كانت عليه العرب لعرفه هو ما يحسن من الاخلاق
وفعل المكارم كترك السفه وبذل المجهود وحسن اللقا • قال الغنوي •
• لم يمنع الناس مني ما اردت ولا • اعطيهم ما ارادوا احسن ذا ادبا •
كانه ينكر على نفسه الناس ولا يعطيهم واصطلح الناس بعد الاسلام بمدة طويلة على ان يسموا العالم
بالنحو والشعر اديبا ويسموا هذه العلوم ادبا وهو من كلام المولدين واشتقاقه من الادب وهو العجب
او من الادب مصدر ادب القوم اذا دعاهم قال طرفة هم •
• نحن في المشتاة ندعو الجفلى • لا ترى الآدب منا ينتقر •
فكانه يعجب منه لحسنه او من صاحبه لفضله او يدعو الناس الى المحامد والفضل وينهاهم عن القبايح
والجهل والفعل منه ادبت فانا اديب انتهى • فالادب هنا بمعناه اللغوي وهو اجتماع خصال الخير
والفقها يطلقونه على ما يترتب من السنن في العبادة وفي بعض الشروح الادب حسن الثنا والاخلاق
وحض العباد على التزامه الحض بحاء مهملة وضاد معجمة والحث بمثلثة الطلب الشديد السريع
والالتزام افتعال من اللزوم فهو بمعنى الالزام البليغ ويكون بمعنى المعانقة وهو مجاز عن اللزوم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ايضا او هو كناية متفرعة على المجاز وعلى كل حال فالمراد به عدم المفارقة لما كان عليه من الاخلاق
والاداب كما قال تع لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فانه كانت له طاعات ومحاسن يأمر الناس
باتباعه فيها وامرهم الله ايضا بذلك بقوله وما اتاكم الرسول الخ • وفيه اشارة الى انها على قسمين
قسم امر باتباعه وقسم لم نؤمر به كالامور الجبلية والخصايص النبوية ولذا وصف الاسوة بحسنه وان
كان كل ما عليه حسن وقيل المراد به ما كان فرضا ونفلا فان التزم فرضا فنحن نلتزم فعله وفرضيته وان
التزم نفلا فنحن نلتزمه ونلتزم كونه نفلا والحاصل انا نلتزم ما التزمه على الوجه الذي التزمه اذا لم
يختص به كما يعلم من قابله وهذا كلام حسن الا انه ينبو عنه قوله **وتقليدا ايجابه** لمنافاة الايجاب
للتقليد ولك ان تقول انما عني المص ان ما امرنا باتباعه فيه على قسمين مستحب اشار اليه بقوله حض
العباد على التزامه فان الطلب يكون ايجابيا وغير ايجابي كما بين في الاصول وواجب اشار اليه بقوله
تقليدا ايجابه فليس هذا تاكيدا لما قبله كما قيل وحمل الفقرتين على الايجاب يخل بالاداب والتقليد وضع القلادة
في الجيد استعير لالتزام استعارة تصريحية اصلية لا تبعية ويجوز جعله مجازا مرسلا والتقليد والايجاب
مصدران مضافان للمفعول ويجوز في الثاني ان يكون مضافا للفاعل وما قيل من ان الثاني اخص من الاول
والايجاب ليس بمعناه الحقيقي بل هو مبالغة في الاحتراز عن تركه ومجاز عن الاثبات من وجب اذا ثبت والواو
والضمير ان لما صرح به او للنبي اي ما يحض به على التزام امره تعسف لا ينبغي ان يصدر عن مثله **فكان
جل جلاله** الجلال العظمة وفي جعل الجلال جليلا مبالغة في تعظيمه كما حققه الامام المرزوقي في جد جده
وقال الاصمعي الجلال لا يوصف به غير الله لغة وقيل قد يوصف به غيره كقول الحماسي

• المرء على ارض تقادم عهدها • بالجزع واستلب الزمان جلالها •

ويجوز ان يكون المعنى عظمته عن ان يساويها عظمة غيره مما يسمى عظمة عند الناس والاسناد حقيقي فان
اريد جلت ذاته من جهة كبريائها فالاسناد مجازي كجد جده والتفريع على ما قبله مما اعطاه الله لرسوله
والثناء عليه واعلاء مقامه فانه يدل على انه **هو الذي تفضل واولى** اي انعم واعطى افضل رسله عطايا
جزيلة جليلة بان خلقه اعظم الناس حسبا ونسبا وجعله اشرف الرسل واكثرهم آية وهو ناظر لقوله تعظيم قدره
واولى بمعنى اعطى وفي النهاية انه العطاء من غير مكافاة فعلى الاول هو عطف تفسيري وعلى الثاني من عطف
الخاص على العام **ثم طهر وزكى** الطهارة الحسية معلومة والمعنوية نظافة الظاهر والباطن من الاوصاف
الذميمة والاخلاق الردية وزكى يكون بمعنى طهر وبمعنى نمى ويجوز ارادة كل منهما والمعنى انه طهره وزاد طهارته
وهذا ناظر لاخلاقه وادابه والعطف للتراخي الزماني او الرتبي لما بين التخلية والتحلية من البعد وليست هذه
التخلية مؤخرة على ما فسرناه **ثم مدح بذلك واثنى** بذلك على رسوله في مواضع كثيرة من القرآن كقوله
وانك لعلى خلق عظيم ونحوه وهذا فاصل لقوله واثنى الخ والمدح الثناء بكل جميل اختياري كان اولا ولذا اختاره
واما كونه للاشعار باختصاص الحمد بالله فبعيد جدا والكلام على الثناء قد مر وقيل المراد بالتفضل هنا التفضل
علينا بهذا النبي الكريم الذي هو نعمة ورحمة والتطهير تطهيرنا من الشرك والاثام والثناء علينا بكنتم خير
امة وغيره وهو لا يناسب السياق والسباق **ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى** اثاب بمعنى اعطى الثواب وهو
الجزاء فاما انه تجريد او اثاب بمعنى اعطى والجزاء مفعول مطلق من غير لفظه كجلست قعودا فلا حاجة اليه ثم الاوفى
وهو يتعدى لمفعولين فالاول مقدر اي اثابه وعليه ضمير راجع لما تفضل به عليه والوافي بمعنى التام ۞
والاوفى افعل تفضيل منه **فله الفضل بدأ وعودا** اي اولا وآخرا والبدء الابتداء والعود الرجوع والابتدا
مقابل للانتها ويقابل بالعود ايضا ومنه المبدئ المعيد والفضل الانعام والاحسان مطلقا او من غير مقابل
وهما منصوبان على الظرفية وقيل على نزع الخافض اي انه ابتدأ بانعامه على نبيه بان خلقه على اتم خلقة واكملها

ثم زكاه وطهره ظاهرا وباطنا ثم عاد على احسانه فتممه وزاده الثناء الجميل والثواب الجزيل ولو لم يثبه
لانه وجده وافاده تفضلا منه كان ذلك له وقيل المراد بالبدء الخلق والايجاد وبالعود الجزاء والمعاد كقوله
انه هو يبدئ ويعيد والسياق يأباه لتفرعه على ما قبله بالفاء الواقعة احسن موقع فالمراد انه تفضل عليه
بما اولاه من المحاسن والمناقب ونسب ما فعله تكرما له ثم مدحه به واثابه عليه ثم ثواب فكان بذلك متفضلا
في البدء والعود **والحمد اولى واخرى** اي هو المستحق للحمد في اول الامر وآخره او في الدنيا والآخرة
لما بدا التفضل دائما في الدارين وقيل تقديره اولى الحمد واخره لانه صيغة تفضيل وقد حقق اهل اللغة ان اول
يكون اسما للتفضيل وظرفا بمعنى قبل فيجري عليه احكامه ووزنه على الاول افعل وعلى الثاني فوعل وهذا
منونا فيقال اولا واذا كان اسم تفضيل تجري عليه احكامه ومؤنثه اولى ومؤنث الاول اولة وقد ثبت عن العرب
كما ذكره المرزوقي في شرح الفصيح ويقابلهما اخرى وآخره وقد يغلب عليهما الاسمية للدار فيصيران بمنزلة
اسمين جامدين يستعملان استعمالها لان الاسم يلزم التذكير والافراد وان لم يوصف او يقترن بالالف واللام
ولذا اخطأ ابو نواس في قوله

• كان صغرى وكبرى من فواقعها • حصباء در على ارض من الذهب •

وان اجابوا كما فصلناه في شرح الدرة واما كونه وصفا مجردا عن التفضيل ومثله يجوز فيه المطابقة
وعدمها فرد بانه سماعي كما في التسهيل وغيره وبان معنى التفضيل مراد منه بلا شبهة لان الدنيا متقدمة
والاخرى متاخرة فلا يصح ان يقال انهما تجردا عنه ولا يخفى ما فيه فانه سمع في القرآن والكلام ومثله كاف
في ثبوته مع انه يرد على ما ادعاه لا النقص لانه اذا كان التفضيل مرادا منه كيف يقال انه غلبت عليه الاسمية
هل هذا الا جمع بين الجاري والملاح • واعلم ان ما ذكره معنى بليغ فانه ذكر انه تعالى ينعم بانواع النعم
ثم يمدح عبده ويثني عليه بقبوله نعمائه ويجزيه على ذلك اتم جزائه وهو احسن من قول ابن طباطبا المرزوقي حد

• لا تنكرن اهداءنا لك منطقا • منك استفدنا حسنه ونظامه •
• فالله عز وجل يشكر فعل من • يتلو عليه وحيه وكلامه •

وله نظاير في معناه في كتب الادب وفي لئام الخلق عكسه فان منهم من اذا رأى من انعم عليه متجملا
فقد يحسده ويؤذيه وهو احد الوجوه في قول المتنبي ۞

• واظلم اهل الظلم من بات حاسدا • لمن بات في نعمائه يتقلب •

ومنها ما ابرزه اي اظهره ظهورا تاما لان اصله جعله على براز بالفتح اي مكان مرتفع **للعيان** ما يشاهد
بفتح العين ولا تفتح فيه العين لانه مصدر عاينه معاينة وعيانا كقتال وفي المثل ليس الخبر كالعيان
وروي العيان اي ما ابرزه الله للعيان فاللام للتعدية او للتعليل قيل والمراد به ما علم يقينا سواء كان
مشاهدا او منقولا نقلا صحيحا بحيث يتيقن ويصير كالمشاهد لانه عبر منها بانا بره بالمعجزات وليست كلها
مشاهدة مع انه بالنسبة لمن بعد عصره غير مشاهد الا انه بمنزلته لصحته لا لتواتره لان ادعاءه في جميعها
التواتر غير مسلم وذلك ان تقول انه تغليب لقوة المشاهد او لكثرته **من خلقه** بفتح الخاء وسكون اللام ۞
كما قدمه التميمي وفي المصنف انه بضمها وهو بارز للعيان بالمعنى السابق والمعطوف هو التخصيص به فلا
تكرار فما قيل انه غير سديد لانه ما ابرزه للعيان ولانه سيذكره غير سديد قيل والمناسب لقوله وتخصيصه
وتاييده ان يكون الخلق بمعنى التخليق والايجاد وهو تاويل من غير حاجة وضمير خلقه لله او للنبي فاعلم
ان هذا كله انما يحتاج اليه اذا جعل قوله وتخصيصه مجرورا معطوفا على خلقه اما لو رفع وعطف
على ما ابرزه لم يحتج الى تكلف وعلى الاول كيف يعترض على من جعل الخلق بضم الخاء فتدبر **على اتم وجوه
الكمال والجلال** الجار متعلق بخلقه سواء كان بمعنى تخليقه اولا او صفة مصدر مقدر اي خلقا

كائنا على لح او حال من المضاف قيل والتقدير اذا قرئ بالضم المطبوع على اتم الوجوه او هو يتعلق بمضاف مقدر اي ابرز خلقه او هو حال والوجوه الانواع والمراد اتم الوجوه المحققة في زمن ما او الوجوه الممكنة وهو احسن اذ لم يوجد مخلوق برائه فضلا عن ان يساويه ولا داعي لهذه التكلفات فانه غني عن التاويل والمراد بالجلال مهابته في عين رائيه **وتخصيصه بالمحاسن الجميلة** بيان للمحاسن والجميلة من الجمال وهو الاتصاف بالصفات الحميدة ولذا ورد اطلاقه على الله في حديث ان الله جميل يحب الجمال • وفي عرف اللغة حسن الصورة المشاهد وهو بهذا المعنى لا يطلق على الله وهو مراد المصنف وفي الحواشي التلمسانية الجميلة والحميدة كلاهما نعت فالاول بمعنى فاعل لان الفعل منه جمل بضم الميم اي لازم والثاني بمعنى مفعول ولا بد من لحوق التاء في اخر كل واحد منهما لانه صفة للجمع ولا يجوز ان يوصف الجمع بمفرد بخلاف ما اذا كان للواحد فانه لا يخلو ان يكون بمعنى فاعل كعليم او بمعنى مفعول كجريح وفي المحصول للفخر الثاني فعيلة للنقل من الوصفية الى الاسمية الصرفة فلا يقال شاة اكيلة ونطيحة يعني لغلبة الاسمية وتقريره ان هذه التاء من فعيل بمعنى مفعول اذا كان تابعا للموصوف لم يلحق بالتاء وقد تثبت كخصلة حميدة وصفة حميدة فاذا حذف موصوفه جرى مجرى الاسماء فيثبت فيه التاء خوفا للبس كهذه جريحة واما اذا كان فعيل بمعنى فاعل فانه بالتاء فتحققه فانه مفيد انتهى • **اقول** فهم من كلامه ان الموصوف اذا كان جمعا تثبت تاؤه على كل حال ولم ار من ذكره غيره وبقية كلامه ظاهر **والاخلاق الحميدة** اي المحمودة وهي الصفات المعنوية التي هي للباطن كالصورة للظاهر وعليها مدار كمال البشرية والثواب والعقاب غالبا قيل وهو مبالغة او مجاز او التخصيص في الجملة لانه لم يرد عد الخصائص هنا فقط ولذا فسر التلمساني التخصيص بالتعيين ولا مانع من حمله على ظاهره نظرا لكمالها او مجموعها **والمذاهب الكريمة** المذاهب جمع مذهب وهو الطريق ويطلق على ما اختير من الافعال وغيرها كما يقال مذهب الفقهاء والمراد مسالكه في احواله مع امته او في نفسه • وللناس فيما يعتقدون مذاهب • وهو ماخوذ من الذهاب وهو الخروج الى المقاصد سواء وصل اليها ام لا ولذا اختلف فيها وفيما فيه فقيل لا يشترط الوصول وقال القصير يشترط لقوله ثم اذهب الى فرعون فانه بمعنى ابتياه والكريمة بمعنى الحسنة النفيسة المطلوبة لاهل الكمال وقيل هي بمعنى العزيزة المنزهة عن النقائص **والفضائل العديدة** اي المعدودة من المفاخر من قولهم فلان عديد بني فلان اذا كان يعد فيهم ويعتد به او المراد الكثيرة قال صاحب المحكم في قوله تعالى سنين عددا جعله الزجاجي مصدرا وقال المعنى تعد عددا في الاشياء المعدودة انك تريد توكيد كثرة الشيء لانه اذا قل فهم مقداره وعدده فلم يحتج ان يعد فاذا كثر احتاج الى العدد فالعدد في قولك اقمت اياما عددا تريد به الكثرة انتهى • فقول بعض الشراح هنا نقلا عن التلمساني انه من العد بالكسر بمعنى الكثير تكلف نشا من ان ذكر العدد يدل على القلة كما نقله ابن هشام عن ابن عبد السلام في هذه الآية من ان عددا بمعنى معدود ذكر ليدل على القلة لان ما ذكر في الغالب لا يمكن عده ولا يمكن هذا هنا لانها ذكرت لتعظيم القصة فلعل ذكرها لمناسبة رؤوس الآي انتهى • **وتاييده بالمعجزات الباهرة** التاييد النصر والتقوية من الايد وهو القوة والمعجزات جمع معجزة اسم فاعل من الاعجاز افعال من العجز ضد القدرة والمراد اثبات العجز واظهاره ممن شانه التحدي • وقيل العجز مجاز عن عدم القدرة كالجهل لعدم العلم وهما في الاصل امر وجودي او متعلق به فيمن شانه القدرة فلا يقال عجز الحجر عن الحركة وهو امر خارق للعادة

مقرون

مقرون بالتحدي او بما انه على وجه يدل على صدق مدعي النبوة الذي من شانه التحدي فلا يشترط فيه التحدي بالفعل والباهرة بمعنى العجيبة او الظاهرة ظهورا لا يمكن ستره ومنه وقمر باهر اي تام الاضاءة او الغالبة لمن يهم بمعارضتها وبه فسر قوله

• ثم قالوا تحبها قلت بهرا • عدد الرمل والحصا والتراب •

والبراهين الواضحة جمع برهان وهو الدليل القوي الذي يحصل به اليقين وليس المراد به البرهان المنطقي وان شمله والواضحة بمعنى الظاهرة **والكرامات البينة** جمع كرامة وهي امر اكرم الله به من اصطفاه من عباده المتقين بدون تحد ودعوى نبوة فتكون للنبي والولي واعم من المعجزة لاشتراط مقارنة النبوة والتحدي بالقوة او بالفعل وبقولنا اكرم الله خرج السحر وما يصدر من الكهنة والشياطين وجعل الوصف بها شاملا لما قبلها حتى البراهين تعسف ركيك **التي شاهدها من عاصره** اي كان في عصره ومدة حياته والمشاهدة الرؤية بالعين من الشهود وهو الحضور عنده والمراد علمها علما متيقنا فيدخل فيه نحو ابن ام مكتوم ويشمل ما سبق مما لا يدرك بالبصر **ورآها من ادركه** اصل معنى الادراك اللحوق يقال ادرك زمنه ومنه ادرك الطعام والثمر اي لحق حال النضج وادرك الغلام بلوغ حال الرجولية فادراك البصر لشيء لحوقه له برؤيته ثم شاع في معنى العلم مطلقا • وهذه الجملة مفسرة لما قبلها فليست حشوا زائدا كما توهم ويمكن الفرق بينهما بان يراد بالاولى من طال صحبته وشاهد حاله كله من الاولين السابقين وبهذه من بعدهم على ان الاطناب في مقام الخطابة مستحسن وفي نسخة عاصرها وادركها والاولى اولى **وعلمها علم يقين من جاء بعده** من التابعين فمن بعدهم لتواتر بعضها واشتهار بعض آخر منها ونحو ذلك مما ينفي الشبهة وعلم اليقين كمجرد راك فاضافته لامية او بيانية على راي ويلحق به ما كان بطريق الكشف **حتى انتهى علم حقيقة ذلك الينا** اصل معنى انتهى بلغ النهاية ولذا يكون بمعنى الزوال كما في قولهم وكل شيء بلغ الحد انتهى والمراد انه بلغنا ووصل الينا لان من انتهى اليه شيء وصله وضمير الينا للمتاخرين ومن بعدهم الى الحشر وهذا يناسب ما مر من تفسير من ادركه بمتاخري الصحابة ومن ولد بعد الهجرة لان لفظ الادراك يشير اليه اشارة ما فتكون عبارته شاملة لجميع الامة تفصيلا والا فيدخل فيما قبله لانهم ممن جاء بعده **وفاضت انواره علينا** اصل معنى الفيض في الماء ونحوه من المائعات يقال فاض السيل اذا كثر وسال وافاض بالالف لغة وفاض الاناء فيضا امتلا وافاضه صاحبه ملاه وفاض الخير كثر واستفاض الحديث اشتهر وانتشر فهو مستفيض ولا يقال مستفاض وهو لحن عند الاصمعي واثبته بعضهم فشبه الانوار وانتشارها بماء سايل متدفق والمراد بانواره ما ظهر من بركته والضمير للنبي او للعلم لانه ورد اطلاق النور على كل منهما او اراد بالنور الايمان وما يترتب عليه من العلوم الشرعية الموصلة لسعادة الدارين المنقذ من ظلمة الضلالة وفي نسخة حقيقته وانوارها اي الحقيقة المحمدية وما لها من الكمال في نفس الامر وضمير انوارها للحقيقة او للكرامات **صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا** اي تسليما عقب ما ذكر بما وصل للامة من خيره بالدعاء له ولآله الذين هم واسطة بيننا وبينه فيما وصل الينا ففيه شبه لف ونشر **حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ قراءة مني عليه** قراءة منصوب بنزع الخافض اي بقراءة مني عليه او مفعول مطلق اي وانا اقرا قراءة مني عليه جرى له وهذا الحديث اسنده المصنف من طريق الترمذي وهو حديث حسن اخرجه احمد والبيهقي في سننه والقاضي المذكور شيخ المصنف قراءة عليه بالاندلس وهو ابن فيرة الصدفي السرقسطي الاندلسي المعروف بابن سكرة وهو من المشهورين بعلم الحديث وترجمته مفصلة في اسماء الرجال • وقال الشهيد

الألوكة
www.alukah.net

لانه استشهد ببعض ثغور الاندلس في وقعة وقعت في سادس ربيع الاول سنة اربع وعشرة
وخمسماية وله من العمر نحو من ستين سنة والحافظ وصف لكل من احسن رواية الحديث واتقنها وقد انقطع
هذا في عصرنا وآخر الحفاظ السيوطي والسخاوي وبيّن بقوله قرآة الخ وجه الاخذ عنه فانه يكون بقرآة
الشيخ وقرآة التلميذ عليه وقرآة غيره وهو يسمع والغالب الاول فاذا كان غيره احتاج للبيان حتى منع
ابن الصلاح ان يقول من قرأ على الشيخ حدثنا مطلقا وان اجازه غيره كما فصلوه **حدثنا ابو الحسين**
المبارك بن عبد الجبار بن احمد المعروف بالحمامي بتخفيف الميمين سمع من ابن شاذان وخلق كثير بعده
وكان من اهل الخير والصلاح **وابو الفضل احمد بن خيرون** في المقتفي هو الحافظ الناقد ابو الفضل
احمد بن الحسن بن احمد بن خيرون البغدادي الباقلاني سمع من ابي علي بن شاذان وابا بكر البرقاني وروى
عنه خلق كثير وترجمته مشهورة وهو عدل متقن توفي في رجب سنة ثمان وثمانين واربعمايه وله من العمر
اربع وثمانون سنة وقد ذكره في الميزان وصحح عليه وخيرون بفتح الخا المعجمة تليها مثناة تحتية ساكنة
وعن المزي ان الاصل في خيرون الصرف الا ان المحدثين لا يصرفونه لشبهه بجمع المذكر السالم انتهى
يعني ان هذه الصيغة لما لم تعهد في الاعلام المفردة اشبه الاسم الاعجمي وهو احد الوجوه في امثاله
من الاعلام التي على هذا الوزن كزيدون وعبدون كما في شرح التسهيل فان فيه لغات فيعرب بالحروف
اعراب الجمع حكاية لاصله ويعرب بالحركات مع لزوم اليا كغسلين او الواو كهرون ويمتنع حينئذ من الصرف
لما ذكرناه وقال ابن العلاء في كتاب الوليد ان بعض يجعل الف نحو الصلاة واوا فهذا منه ولذا
منع صرفه وهو غريب جدا فقول بعضهم كانه اراد بمنع الصرف مجرد منع الكسر والتنوين والا فشرطه صيغة
منتهى الجموع وتبعه الشارحان خبط ناشئ من عدم الوقوف على كلام النحاة في امثاله **قالا حدثنا**
ابو علي البغدادي احمد بن محمد بن جعفر ويعرف بابن زوج الحرة كما ذكره ابن ماكولا وقال انه سمع
على ابي علي السنجي جامع الترمذي ببغداد **حدثنا ابو يعلى السنجي** نسبة لسنج مرو وهو كما قال
ابن ماكولا ابو يعلى الحسين بن احمد بن محبوب عن الترمذي وسمع منه وروى عنه زوج الحرة وغيره • ويعلى بفتح
المثناة التحتية واللام مقصور قال **حدثنا محمد بن احمد بن محبوب** هو ابو العباس المحبوبي المروزي
راوي جامع الترمذي قال **حدثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ** سورة بفتح السين المهملة تليها واو
ساكنة ثم راء مهملة وهاء وهو ابو عيسى الترمذي الضرير المحدث المشهور هو وتصانيفه كالجامع والسنن
قيل انه ولد اكمه وسمع ابن قتيبة وغيره مات في رجب سنة مايتين وتسعة وسبعين وقال الذهبي في
الميزان انه ثقة مجمع عليه ولا عبرة بطعن ابن حزم فيه لانه لم يعرف احواله • وترمذ بفتح المثناة الفوقية
وكسر الميم وبكسرهما وهو المشهور وبضمهما كما قاله السمعاني قال **حدثنا اسحق بن منصور** الكوسج
الحافظ المشهور توفي في سنة احدى وخمسين ومايتين وهو ثقة في الرواية قال **حدثنا عبد الرزاق**
ابن همام بن نافع ابو بكر الصنعاني احد الاعلام الثقات الذي روى عنهم اصحاب الكتب الستة وهذا
حديث مسند في الترمذي وغيره ولم يرو الا عن عبد الرزاق فهو غريب كما قاله صاحب المقتفي والسيوطي
في تخريج احاديث هذا الكتاب **ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق** بصيغة المجهول
اي اتاه به جبريل فحذف فاعله لشهرته كما صرح به في غير هذه الرواية ولانه يعلم من آخر الحديث والبراق
كغراب دابة فوق الحمار ودون البغل سمي به لشدة سرعته كما يقال مر كانه برق خاطف او لشدة تلألؤه
وبريقه او لبياضه وقال المصنف انه سمي به لانه ذو لونين كما يقال شاة برقا اذا كان خلال بياض
صوفها طاقات سود واورد عليه انه مخالف لما صرح به في بعض طرق هذا الحديث من انه ابيض الا ان
يقال انه باعتبار الاغلب فيه وفي كتاب تخيل النبي صلى الله عليه وسلم ان وجهه كوجه الانسان وذنبه

كذنب

كذنب الغزال وقوايمه كقوايم الثور وجسده كالفرس وقال الثعلبي جسده كالانسان
وذنبه كذنب البعير وعرفه بعين مهملة وراء مهملة وفاء كعرف الفرس وقوايمه كالابل واظلافه
كالبقر كانه بياقوتة وظهره كدرة بيضا وله جناحان في فخذيه يضع حافره عند منتهى طرفه كما
ورد في الصحيح وهو مذكر وسمع تانيثه باعتبار الدابة وقيل ان كثيره كتذكير الملك وتذكير وصفه
فان مبنى التذكير على عدم التانيث لانه الاصل لفظا ومعنى • فقول ابن الملقن انه ليس بذكر ولا انثى
وقول جبريل في رواية يا براق لا تنفري لا ينافيه لانه نظر لظاهر حاله واحتمال التاويل ونظر للحوق
تاء الوحدة اذا لم يقم دليل على احد الشقين • وقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين اغلبي او مخصوص
بدواب الارض وصيغة المذكر لا تختص بما له مؤنث لانها الاصل فلا جمع بين متضمنين متنافيين كما في قائم
وقايمه كما توهمه الكندي وهو ملك خلق على هذه الصورة لحمل الانبياء ولا مانع منه كذلك العرش وهو
دابة مخلوقة في الجنة وقد قالوا انها يدخلها بعضهم وان الارض ايضا وبلغوها نحو عشرة ونظموها
في شعر مشهور **ليلة اسري به** بصيغة المجهول والجار والمجرور قايم مقام فاعله وليلة منصوب
على الظرفية باتي والاسرا كان ليلا في سبع وعشرين من ربيع الاول وقيل من رجب وقيل في شوال
وكان ليلا لانه ادل على الغرب وسنه عليه السلام خمسون سنة وتسعة اشهر واسرى وسرى بمعنى
وهما سير الليل وقيل اسرى لاوله وسرى لآخره واختار السهيلي ان سرى لازم واسرى متعد
ترك مفعوله والاسرا والمعراج وقعا في ليلة واحدة يقظة بجسده على الاصح وبينهما فرق سيأتي
لان ما ذكرنا استطرادي **مسرجا ملجما** مخففان بزنة مصحف اي مهيا للركوب بسرجه ولجامه
وهما حالان من البراق وهل هو علم او اسم جنس منحصر في فرد كالشمس الظاهر الثاني لوروده معرفا
ومنكرا والقول بتعدده والاستدلال عليه بقوله ومن كل شيء خلقنا زوجين مما لا ينبغي الاشتغال به
لكن الامام السهيلي افاد انه كان قبل النبي صلى الله عليه وسلم ركبه الانبيا ذكره في شرح السيرة
وستسمعه عن قريب **فاستصعب عليه** ضمير استصعب للبراق او للركوب المعلوم من السياق وضمير
عليه للنبي صلى الله عليه وسلم اي انه لما اراد ركوبه لم يقر حتى يركبه ويجوز عود ضمير عليه للبراق
ايضا اي صار الركوب عليه صعبا على البراق كما قيل وهو تكلف والفعل مبني للفاعل ويجوز بناؤه
للمفعول لانه سمع من العرب لازما ومتعديا يقال استصعب الامر علينا بمعنى صعب واستصعبت
الامر اي وجدته صعبا يعني انه امتنع وابى ان يركب بسهولة ولذا فسر بنفر اي شمس كما ورد في بعض الروايات
ويقال دابة شموس وشموص بمعنى حرون • وروي ان جبريل امسك ركابه وميكائيل زمامه ومن هنا
علم ان قول بعض الشعراء في مدحه صلى الله عليه وسلم جبريل خادمه وميكائيل ليس بمنكر لما فيه من ترك
الادب كما توهم • وسبب استصعابه فيه وجوه منها انه لم يركب قبله قاله التيمي وهو مبني على ان
الانبيا لم تركبها وهو لبعد عهده بالركوب لطول زمن الفترة وما قيل من ان الخلاف فيه الظاهر انه
في ركوب هذا النوع لجواز تعدد شخصه وهذا الشخص لم يركبه احد وان ركبه غيره او للمباحلة ريبه
الاصيل من عدم التذلل كلام رواه رواية ودراية وقيل انه كان نشاطا وفرحا بركوبه وما باه
ما روي من انها تفرق ونعتت عرقها وقيل كان خوفا من تقصيره في حقه • وقيل انما توقف حتى
ياخذ عليه العهد ان يركبه في الجنة كما في قصة الجذع وحنينه • ومن الغريب ما في تذكرة القرطبي
في تفسير قوله تعالى خلق الموت والحياة ان الموت خلق في صورة كبش والحياة في صورة فرس انثى
بلقا وهي كانت الانبيا يركبونها وحكاه عن ابن عباس وطعن الحلبي في صحته عنه وقال السهيلي
في الروض الانف بعد ما نقل الخلاف في ان البراق هل كانت تركبه الانبيا قبل النبي صلى الله عليه وسلم

www.alukah.net

ومما ورد فيه ان سبب نفاره ما ورد في كتاب البعث ان جبريل قال له يا محمد هل مسست الصفرا اليوم فقال ما مسستها ولكن مررت بها فقال تبا لما يعبدون من دون الله • وقد اختلفوا في المراد بالصفرا فيه فقيل الذهب وعبادتها حبها كما يقال عبد الدرهم والدينار وقيل كل مغناطيس ومغناطيس الانسان الذهب وقيل هو صنم من ذهب كسره يوم الفتح ومسه له اما اهانة او لارادة كسره او غير ذلك وقال ابن حجر هذا واه جدا • اقول في الخصائص الكبرى ان ابا يعلى والبيهقي وابن عدي وابن عساكر اخرجوا عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم شهد مع المشركين بعض مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب بنا حتى نقوم خلف رسول الله فقال كيف نقوم خلفه وانما عهده باستلام الاصنام قريب فلم يعد بعد ذلك لمشاهدهم قال الطبري والبيهقي معنى قوله انما عهده الخ انه شهد من استلم الاصنام لا انه استلمها والمشاهد مشاهد الحلف ونحوه لا مشاهد الاصنام وقول ابن حجر هذا الحديث انكروه وانما المنكر منه قوله انما عهده منه الخ فان ظاهره انه باشر الاستلام وليس بمراد انما المراد انه شهد استلام المشركين لها وروي ايضا ان بوانة صنم كانت قريش تشهده يوما في السنة وابو طالب عمهم فكلم رسول الله في ان يحضره فابى فغضب هو وعماته وقالوا يا محمد ما نريد ان تحضر لقومك عيدا او تكثر لهم جماعة فلم يزالوا به حتى ذهب وغاب فعاد مرعوبا فزعا فقالت له عماته ما دهاك قال اني اخشى ان يكون بي لمم فقلن له ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما رايت قال اني كلما دنوت من صنم منها تمثل الي رجل ابيض يصيح وراءك يا محمد لا تمسه فما عاد الى عيد لهم حتى تنبأ • وانما فصلنا هذا لان الامام السهيلي نزه ذيله في الروض بقي هنا انه هل اردفه جبريل ام لا ذكر البرهان انه اردفه خلفه وفي رواية انه ركب قدامه والذي يظهر لي انه انما استصعب لما لم يعرف النبي صلى الله عليه وسلم وظن انه غير نبي فلذا عرق خجلا فلما اعلمه جبريل قال جبريل للبراق لما فعل هذا محمد وجبريل اسم للملك المشهور وفيه وصلت اربعة عشر لغة جبرئيل وجبرين وغيرهما وبعضها قوي وهو عبراني وسرياني ومعناه عبد الله على الاصح وايل اسم الله في لغتهم وليس بمعنى عبد وما قيل من ان ايل لا يعرف من اسماء الله ليس بشيء **ابمحمد تفعل هذا** زيادة يا براق وفي رواية ابن حبان ما حملك على هذا ما ركبك خلق قط اكرم على الله منه وروى البيهقي يا براق والله ما ركبك مثله وروى البزار يا براقة لا تنفري من محمد فوالله ما ركبك ملك مقرب ولا نبي مرسل افضل من محمد ولا اكرم على الله منه قال قد علمت انه كذلك وانه صاحب الشفاعة واني احب ان اكون في شفاعته فقال انت في شفاعتي ان شاء الله قيل ففي رواية المصنف اختصار • فان قيل بعد ادا الاسرا فالامر سهل وليس كما قال فانه اختلاف رواية لا اختصار والاستفهام انكاري وقدم الظرف لتخصيص الانكار اذ زيادته به لانه اجل من علاه فلا يليق النفار منه والاشارة راجعة لمصدر استصعب او لما فهم منه كما اشار اليه بقوله **فما ركبك احد اكرم على الله منه** الفا سببية واكرم افعل تفضيل من الكرم وهو وصف جامع لكل خير وشرف وضده اللوم والكرم في العرف بمعنى الجود فيقابله البخل والمراد هنا الاول • فان قلت المراد انه ليس احد عند الله اكرم منه وافضل ولا مثله بل ولا يدانيه والعبارة قاصرة • قلت قال في شرح المقاصد استدلوا على تفضيل الصديق بحديث ما طلعت شمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على افضل من ابي بكر ومثله وان كان ظاهره نفي افضلية الغير لكن انما يساق لاثبات افضلية المذكور ولهذا افاد افضلية ابي بكر والسر فيه ان الغالب في حال كل اثنين هو التفاضل دون التساوي فاذا نفي افضلية احدهما ثبت افضلية الاخر انتهى وقيل اذا قال ليس في البلد افضل منه فالمراد ليس فيها من يساويه ويدانيه فضلا عمن يزيد عليه وهو معروف في استعمال البلغا وروي هنا ما ركبك مثله وهو يؤيده فهو كناية اذ (لا افضل)

لا بد له من مساواة المفضول من بعض الوجوه وان زاد في بعض اخر فقصد بنفيه نفي لازمه وهو المساواة وفيه بحث وظاهر الحديث ان البراق ركبه غير نبينا وقد مر انه ثابت وقال النووي انه لم يصح وقال ابن حجر رواياته كلها واهية ولذا قيل هنا ان المعنى هنا انه لم يركبك احد فكيف يركبك اكرم منه على حد قوله •
ولا ترى الضب بها ينجحر • وقيل الذي رواه النسائي والسهيلي وابن هشام والقرطبي انه ركبه غيره من الانبيا حتى قيل ان ابراهيم كان يحج عليه في كل سنة فقيل له براق ابراهيم وقول النووي اشتراك جميع الانبيا فيه يحتاج لنقل صحيح يحتمل انه اتكل على عموم المشاركة ثم ان ركوبه له انما هو لبيت المقدس ثم ربطه في الصخرة ولم يصعد عليه بل على رفرف اي معراج من نور **قال** هو من كلام الراوي عن انس ففاعله ضمير انس او ضمير النبي وانما اتى به للفصل بين كلام جبريل وكلام غيره **فارفض عرقا** ارفض بهمزة ورا ساكنة وفا وضاد معجمة مشددة بزنة احمر بمعنى سال ونصب وعرقا تمييز محول عن الفاعل وعرقه لخجله او مهابته من استصعابه وثبوت الخجل لنحوه غير مستبعد وقيل ارفض بمعنى ترشش عرقه وقال ابن رسلان عن المصنف انه ارفض بمعنى خر على الارض ونزل كما روي انتفض ايضا والمعروف في كتب اللغة الاول وفي بعض الروايات ارفض عرقا وقر في السير ثم قر وفسر بانه جرى عرقه ثم سكن وانقاد وترك النفار • وقلت في معناه برامية •

• عرق البراق وقد اراد محمد • يعلو عليه لاجل حل مصالحه •
• فكانه لنفاره خجلا على • ما سبق يبكي بحل مصالحه •

واعلم ان المصنف انما ذكر هذا الحديث مسندا على خلاف دابه في هذا الكتاب وغير اسلوبه في غيره من الاقسام والابواب لانه لما كان هذا اول الاقسام • وتاج التراجم والمرام • وتقديمه له لاهتمامه صدره بحديث ثابت فيه من الدلالة على ما اراد بيانه من التعظيم قولا وفعلا ما لم يتيسر لغيره من الانبيا مما تقصر عنه الافهام • وتتحير فيه العقول والاوهام • وهو دعوة الملك الجليل له ليلا لحظا من قدسه كما يدعي المقرب المطلع على الاسرار وارسل الدعوة عظاما ملائكته ببراق مسرج ملجم على عادة الملوك اذا عظموا من دعوه ارسلوا لبعض المقربين بمركوب كما نوا يسمونه فرس النوبة فاوصله الى حرم عزته لمكان لا يصل اليه سواه وكلمه بغير واسطة وتجلى له بلا حجاب ولذا قال جبريل انه اكرم خلقه عليه وسياتي تفصيله في بابه ان شا الله تعالى •

الباب الاول في ثنا الله تعالى عليه

الثنا المدح كما تقدم تقريره **واظهاره عظيم قدره لديه** بقول غير ثنا ظاهر كالقسم به والامر باتباعه فهما متغايران اذ الاصل في العطف التغاير او المراد بالفعل والقول الصريح في ثنا وغيره والمراد عظيم قدره بالنسبة لغيره من الانبيا او مطلقا فبينهما عموم وخصوص وجهي وهو بابن جزي فالثنا من غير تفصيل ينفرد به الاول وينفرد الثاني بالاسرا ونحوه ومادة الاجتماع تفضيله بالقول على غيره فان اريد بالثنا ما يدل على الكمال مطلقا بطريق المجاز فالعطف للتفسير والتوضيح **اعلم ان في كتاب الله العزيز** بالجر صفة لله او لكتاب لان العزيز معناه القوي الغالب يقال عزه اذا غلبه وفي المثل من عز بز وهو من اسمائه تعالى ويوصف القرآن به وهو المراد بالكتاب لانه بمعانيه واعجازه فاق كل كتاب • واعلم امر من العلم يصدر به ما يعتنى به من الكلام تقوية وتاكيدا وتنبيها على التنبيه لما بعده تنبيها على انه مما ينبغي ان يعلم ولا يترك وقد ورد كذلك في القرآن وكلام العرب كقوله فاعلم انه لا اله الا الله ولذا التزم نحوه غالبا ان المؤكدة كقوله •

• فاعلم فعلم المرء ينفعه • ان سوف ياتي كلما قدرا •

ايات كثيرة اسم ان وصفته جمع اية واصل معناها العلامة والجماعة ثم خصت بمقدار من القرآن وجمع من الحروف له مبدا ومقطع مندرجة في سورة في الاكثر عند بعضهم وانما يعرف بالتوقيف كما صرحوا به وفي اشتقاقها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وتصريحها بما مر شيء منه **مفصحة بجميل ذكر المصطفى** اي مبينة له والافصاح لغة الكشف
ويقال افصح اذا اتى بكلام فصيح وهو يتعدى بعن والمص عداه بالبا ولم يتسمح فهي بمعنى عن فانها تاتي
بمعناها ولا يختص هذا بمادة السؤال كما في قوله عز وجل فاسئل به خبيرا او هو مضمن معنى ناطقة اي دالة او
محمول على ما هو بمعناه كاتي او المراد انها بينت في حد ذاتها والبا للملابسة من افصح اللبن اذا ذهبت رغوته
وجميل ذكره بمعنى ذكره الجميل وتفسيره بانه الذكر الجميل يظهر بما لا يخفى ما فيه والجميل المحمود من الصفات ثم خصه
بعضهم بالاختياري ولنا فيه كلام في حواشي التهذيب **وعد محاسنه** اي تفصيلها لما بينهما من الملازمة
في الجملة وفيه ايماء الى ان تفصيلها لا يحيط به نطاق البيان **وتعظيم امره** اي شانه وماله في نفسه
او هو ما يقابل النهي والمراد ايجاب اتباعه فترك النهي اكتفا لان الامر بالشيء نهي عن ضده او المراد مطلق
الطلب مجازا **وتنويه قدره** اي رفعه باشاعته على وجه التعظيم والتكريم يقال نوه باسمه تنويها اذا رفعه
كما قال تع ورفعنا لك ذكرك قيل هو تصريح باللازم او تعميم بعد التخصيص **اعتمدنا منها** من الايات والمراد
باعتماده على بعضها اقتصاره عليه او جعله عمدة مقصودا بالذات وغيره بالتبع ويقال اعتمد على كذا اي اتكاء
عليه وليس بمراد هنا وجملة اعتمدنا صفة ايات وحصنا معطوف عليه وقيل انها حال من المجرور بعدها على
راي من جوز تقديم الحال على صاحبها المجرور وفيه نظر **على ما ظهر معناه وبان فحواه** ظهر وبان بمعنى
اي اتضح وانكشف والمعنى ما يفهم من اللفظ ويراد به ما يقابل الذات والمراد الاول والظهور ضد الخفا
لا ما اصطلح عليه الاصوليون والفحوى لغة كالمعنى والفحوى عند الاصوليين بمعنى مفهوم الموافقة ويمد
ويقصر ماخوذ من الفحا وهو التوابل والابزار قيل وينبغي ان يراد به هنا مطلق المفهوم وهو معتبر بلا خلاف
ولذا اعتبره فقهاونا في ظاهر الرواية وانما الخلاف في صحة الاستدلال به من النصوص فلا وجه لما قيل ان المص
مالكي ومالك لا يقول بالمفهوم حتى يجاب بان صاحب الملخص نقل عنه انه قائل به لخروجه عن سنن السداد
وقيل انه بمعناه اللغوي فهو من عطف احد المترادفين على الاخر وقد يخص الفحوى بما يفهم قطعا او من خلال
التراكيب وان لم يكن بالمطابقة **وجمعنا ذلك المعتمد عليه في عشرة فصول**

الفصل الاول فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثنا

وليس من قبيل الفصول المذكورة والمدح والثنا متقاربان وليس من عطف الخاص على العام كما قيل
وتعداد المحاسن بالجر عطف على المدح وذكر الحلبي انه صح نصبه ووجه بان اصله ومجيء تعداد على انه مفعول مطلق
معطوف على مثله بعد حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكونه منصوبا على الحالية سهو وتعداد بفتح
التا مصدر بمعنى التعديد **كقوله تع لقد جاكم رسول من انفسكم الاية** بالنصب بتقدير اعني او اذكر او
اقرأ اشارة لبقية الاية اختصارا قال بعض المفسرين هذه الاية اخر اية نزلت وقد قيل يستفتونك في اخر النسا
واخر سورة براة وقيل اية الربا واراد بعضهم التوفيق فلم يساعده التوفيق ووقع في حديث جمع القران ان هذه
الاية لا مع ابي خزيمة الانصاري ووقع في البخاري مثله في قوله تع رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه لخ
واستشكل بانه ينافي اتفاقهم على تواتر القران واجيب بان المراد التثبت في تلقيها ممن تلقاها عن النبي
بغير واسطة والمبالغة في استظهار ما كتب بين يدي النبي او انه في حد من شاركه في حفظها فتواترت وقيل
المنفي وجودها مكتوبة لا محفوظة فتدبر **قال ابو الليث السمرقندي** نسبة لسمرقند مدينة معروفة
بفارس قال التلمساني المصحح في النسخ فتح السين والرا وسكون الميم والمعروف فتح الميم وسكون الراء وتبع
فيه صاحب القاموس اذ قال اسكان الميم وفتح الرا لحن وفيه نظر وهو معرب سمركند وسمر اسم رجل وكند بمعنى
قرية. والسمرقندي هذا هو الامام الجليل المعروف بامام الهدى وهو نصر بن محمد بن احمد بن ابراهيم الفقيه

الحنفي المشهور صاحب التصانيف الجليلة كالتفسير والنوازل وخزانة الفتاوى وتنبيه الغافلين
والبستان توفي سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ومن ايمة الحنفية ايضا اخر يكنى بابي الليث السمرقندي
متقدم على هذا كما قاله الصنعاني وهذا يعرف بالحافظ وبهذا اللقب يفرق بينهما **وقرأ بعضهم من
انفسكم بفتح الفاء والجمهور بالضم** اي بفتح الفا وضمها والواو في قوله وقرأ من المحكي فهو معطوف على مذكور
وفي عبارة المص على مقدر وفي المحتسب لابن جني انها قراة عبد الله بن قسيط المكي ومعناها على الفتح من خياركم
واشرفكم ومنه قولهم هو انفس المتاع اي اجوده وخياره ومنه المنافسة وهي اشتداد الرغبات في امر يقتضي التحاسد
عليه والغبطة وهي كما في شرح ادب الكاتب ماخوذة من النفس فكان المنافس لرغبته وحرصه عليه مثل نفسه
عنده وهذه القراة شاذة كما يعلم من نسبة الضم للجمهور وعزاها بعضهم لابن محيصن ورويها فاطمة عنه
صلى الله عليه وسلم وانفس على الفتح افعل تفضيل وجوز التلمساني فيه ان يكون اسم فاعل وهو بعيد وعلى
الضم جمع نفس لانه ما من قبيلة الا وقد ولدته الا بني تغلب لتمسكهم بالنصرانية والجمهور بالضم كثير من
الخلق جمعه جماهير وحكى التلمساني فتح جيمه وهو غريب **قال القاضي الامام ابو الفضل** رواية بعض
لانه لا يمدح نفسه وعبارة المص كما في بعض النسخ قال ابو الفضل وفقه الله وقد سقط كله من بعض
النسخ **اعلم** ماض من الاعلام **الله تعالى المؤمنين** جعل المخاطب هنا المؤمنين لقوله في سورة التوبة
لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم والقران يفسر بعضه بعضا وهذا الخطاب
هو المسمى في الاصول بخطاب المشافهة وهل هو مختص بالموجودين منهم في زمان النزول او النازلين
في مهبط الوحي او يعم الموجودين منهم وغيرهم ممن سيوجد من هذه الامة اقوال اختلف فيها بعد الاتفاق
على دخولهم في حكمه وانما الخلاف في كونه يدل عليهم وضعا او لا فالدلالة هل هي قياس او اجماع او دليل
اخر وليس هذا محل تفصيله وهو شبيه بالخلاف المذكور في المنطق بين الفارابي وابي علي في عنوان
موضوع القضية وانما لم ينتبهوا له ووجه التخصيص انهم المنتفعون ببعثه في الدارين وان كان وجد
لجميع العالمين والمقصود بهذا الخطاب الامتنان عليهم او اعلامهم بمضمونه وان كان منهم من يعلمه
تكليفا اهتماما بارشادهم ولذا اكد بالقسم او هو للاشارة الى ان نطاق علمهم لا يحيط بعظم قدره وقيل
هو لقصد اعلام الجاهل واظهار المنة على العام واستبعد وقيل ان قوله بالمؤمنين التفات مراعى فيه
نكاته او هو من وضع الظاهر موضع المضمر تشريفا لهم واهانة لمن عداهم وفي الالتفات بعدها ورد
بان المؤمنين لا سيما الصحابة عالمون بمدلول هذا الخبر فلا اعلام لهم بحث الحقيقة الا ان ينزلوا منزلة
غيرهم لغفلتهم عن هذه النعمة وشكرها والعمل بمقتضاها او اراد مجرد توجيه الكلام نحوهم والاظهر
ان المقصود هنا اظهار المنة وتنبيه من غفل عن هذه الصفات ووفا برها كما مر. **اقول** هذه زيادة
القيل والقال هنا وتحت الرغوة اللبن الفصيح فان هذا مع ما فيه من التكرار والتقصير محتاج للتنبيه
والتغيير فان وضع الظاهر موضع المضمر لا يخرجه عن الالتفات وان جاز ان يقال انه تجريد بناء على عدم
المغايرة بينهما ولما كان الكلام هنا ليس محل التاكيد لعدم جهل المؤمنين وترددهم في مضمونه احتاج
للتوجيه فتدبر **او العرب** على ان المراد بانفسهم جنسهم او انه عربي مثلهم وقد رجح هذا اكثر المفسرين
لتبادره ولان قوله بعده فان تولوا فقل حسبي الله يدل على عدم اختصاصه بالمؤمنين وقول ابراهيم
ربنا وابعث فيهم رسولا منهم قد فسر بما ذكر لان ضمير منهم عائد على الامة المسلمة السابقة في قولهم
من ذريتنا ابراهيم واسماعيل اذ الامة من ذريتهما لا العرب كما قيل واحتمال اختصاص بعثته لهم مدفوع
بالقرائن والادلة القاطعة وهذا لان العرب كلهم من ذرية اسماعيل والصحيح عند اهل التاريخ
خلافه قال ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب اسماعيل ليس اول من نطق بالعربية لان العرب من ولد

تحت الرغوة اللبن الفصيح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قحطان وهو اول من تكلم بالعربية حتى تبلبلت الالسن ببابل وسار حتى نزل بالحجر فكان منهم
تسعة قبايل قديمة فنقت السنتهم بالعربية وبعث فيهم هود وصالح وشعيب ولما بوا الله ع
اسمعيل الحرم وهو طفل وانبط به زمزم مرت به رفقة من جرهم فراوا ماما لم يكونوا راوه فاخبرتهم
انه بحسنه وحاله فتبركوا به وبمكانه ونزلوا معه فنشا اسمعيل معهم بين ولدانهم وتكلم بلسانهم
فانكحوه منهم وقالوا نطق بالعربية ثم غيروه فقالوا نطق بالعربية لسان اليمن ويقال لهم العاربة
ولغيرهم المتعربة والمستعربة الداخلة في العرب كثير وبعيش انتهى والذي قاله الازهري انهم
نزلوا ببقعة يقال لها العرب فسموا بها عربا **او اهل مكة** لانهم اقرب نسبا اليه اولانهم اول من جاءه
اليه اولانهم اشرف العرب وهو اشرفهم فهو خيار من خيار وهذا لا يقتضي تخصيص بعثته بهم لان
التخصيص المذكور لا يفيد الحصر وانما يقتضي الترجيح وعموم الرسالة مخصوص به كما صرحت به
النصوص واتفقوا عليه ولا يرد عليه ان نوحا كان مبعوثا لاهل الارض كافة بعد الطوفان لانه لم
يبق على الارض الا من كان معه فعموم رسالته لعدم وجود غيرهم كادم صلى الله عليه وسلم واما نبينا
فعموم رسالته من اصل بعثته على ان دعوة نوح لم تعم من بعده وكون نوح اول الرسل كما ورد في الحديث
الصحيح فقد بينه شراح البخاري بما لا مزيد عليه واستدل لعموم رسالته بدعائه على جميع اهل
الارض حتى هلكوا غير اهل السفينة • واجيب بجواز بعثة غيره في زمانه وعلمه بانهم لا يومنون
به فدعا على من لا يومن من قومه وغيره الا انه لم ينقل لنا وايضا شريعته لم تبق الى يوم القيمة لتنسخها
وقال ابن عطية انه دعا قومه للتوحيد وبلغهم واشركوا فدعا عليهم لانه لطول مدته اشتهر امره في
جميع الارض وقال ابن دقيق العيد الدعوة للتوحيد يجوز ان تكون عامة في حق بعض الانبيا والتزم بعض
فروع شريعته لان منهم من قاتل غير قومه على الشرك وهو كلام حسن **او جميع الناس** من بني آدم
الموجودين في عصره ومن بعدهم الى يوم القيمة لا من تقدمه لان المذكور هنا ليس لبعثته وحدها بل
بعثته لمن صعب عليه عنته وحرص على هدايته لشفقته التامة عليهم وقد رجح بعضهم هذا التفسير على
غيره لما في الثلاثة الاول من ايهام الاختصاص ان دفع بان الادلة قد قامت على خلافه وقد يران في الاول
وضع الظاهر موضع المضمر لتشريفهم والاشارة الى تيسير ما ذكر ولذا رجحه بعضهم وقد مر الكلام في
ترجيح بعض هذه الوجوه والمنة عليهم بكونه من جنسهم لمشاهدة معجزاته التي تدعوهم للسعادة مع ما فيه من
الرفق بهم لان الجنس لجنسه اميل وانس به ولذا قيل لو كان ملكا بهيئته الاصلية لم يتيسر لهم التلقي
عنه ولا التبس عليهم • فان قلت ما وجه قول بعض الشراح المراد بالناس جميع المكلفين فيشمل الجن
وقد صرح في القاموس باطلاقه عليهم • قلت قد صرح به جماعة من اهل اللغة في التفسير وصرح به
ابن خالويه والعرب تقول ناس من الجن وفي الحديث جا قوم فوقفوا فقيل من انتم قالوا ناس من الجن ولذا
جوز بعضهم في قوله تعالى من الجنة والناس ان يكون بيانا للناس ومن الغريب قول السبكي انه مشترك
بينهما فتارة يكون بمعنى الانسان واصله اناس وتارة يكون شاملا لهما واصله على هذا نوس بمعنى تحرك
وقيل الناس هنا شامل لهما واصله شامل لمن تقدم عصر الرسالة بطريق التغليب والظاهر على الثلاثة الاخر
انه نزل الكل منزلة الجاهل فاعلمهم او العالم فقصد اظهار المنة او غلب وقيل قصد اعلام الجاهل واظهار
المنة للعالم وفي صحته نظر • اقول وجه جعل المجي شاملا لمن تقدم انه اخذ منهم الميثاق على ان
يومنوا به ويخبروا امتهم بانه سيبعث فلما جاءهم خبره جعل كانه جاءهم حقيقة او لانه سيشفع لهم في المحشر
فكان مجيئه لهم كمجيئهم ولا يخفى بعده وان صح • ثم ان اعلام الله لغاية الخبر او لازمها اذا كان لكثيرين
لا مانع من قصد اعلام بعض والامتنان على بعض كما انه لا مانع من قصدهما معا للجميع بان يعلمهم بما فيه

نعم

نفع عظيم ويمن به فالترديد في صحته لا وجه له **على اختلاف المفسرين** اي اعلاما مبنيا على
اختلافهم في اختيار بعض لبعض هذه الوجوه واخر لاخر لما بدا لهم من وجوه الترجيح كما اشرنا اليه
من المواجه بهذا الخطاب من بفتح الميم اسم استفهام ونونه مكسورة لالتقا الساكنين وكونه
بكسر الميم حرف جر بيان للمومنين اي من الذين وجه اليهم الخطاب بعيد غير لايق والمواجهة بفتح الجيم
اسم مفعول مرفوع خبر او مبتدا على القولين والمواجه المخاطب لمقابلة وجهه لوجهك والخطاب
مصدر خاطبه اذا شافهه بالكلام ويطلق على توجيه الكلام للغير وعلى الكلام الموجه وعلى ما
يدل عليه كالكاف ويصح ارادة كل منهما هنا وعلى كل من متعلق بمقدر صفة او خبر مبتدا مقدر اي
هذا او ما ذكر مبني الخ واصله في جواب القايل من المواجهة الخ والاختلاف مصدر متعد بالحرف
يقال اختلف في كذا والاختلاف فيما مر من التخصيص والتعميم والمطلوب تعيين احد الوجوه للسايل
وهو كما قيل معلق عنه عامله وان تعدى بالحرف تعليق افعال القلوب اما لتضمنه معنى العلم كما قالوه
في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا او على قول يونس بجريه في جميع الافعال او الجملة الاستفهامية
مستانفة كما في قوله ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون في قراءة من بفتح الميم
فتعلق الاختلاف بمدلولها او مقدر كانه لما ذكر الامر قبله قيل فيم اختلفوا فقيل في جواب القايل كما
قرروه وقد قيل عليه انه مع سماجته فيه ان هذا السوال المقدر لا يتولد من ذكر الاختلاف وايضا
المصدر لم يقصده وليس مرادا في هذه الاية الى اخرها طوله بغير طايل مع ذكره امورا مفصلة من العربية
ليس هذا محلها والخلاف والاختلاف متقاربان الا ان علما الحنفية فرقوا بينهما كما ذكره الخصاف
في ادب القضا فقال الخلاف ما وقع في محل لا يجوز فيه الاجتهاد وهو ما كان مخالفا للكتاب والسنة
والاجماع والاختلاف بخلافه بان يكون في محل يجوز فيه الاجتهاد فالاول لو حكم به قاض ورفع لغيره
يجوز فسخه بخلاف الثاني وهذا معنى قولهم خلاف لا اختلاف **انه بعث فيهم رسولا من انفسهم**
ان بالفتح وهو مع ما بعده ساد مسد مفعولي اعلم وان كان مصدرا مفردا بحسب التاويل الا انه
لاشتماله على النسبة في حكم الجملة فليس كالمصدر الصريح من جميع احواله كما بينه النحاة كما ذكروه
وقد افردناه بالتاليف في الرسايل ولذا قال المحققون انه لا يحتاج لتقدير مضاف اذا وقع خبرا كما
توهموه وانفسهم هنا بضم الفا جمع نفس والضمير في بعث راجع لله وكون انه بعث الخ بدلا من
قوله بهذا الخطاب بدل كل او اشتمال تكلف غير محتاج اليه وهذا جار على الوجوه كلها فان كان الخطاب
للمومنين فالمراد بكونه من انفسهم انه على طريقتهم ومعتقدهم وان كان للعرب فالمراد انه من صميمهم
وبنو عمهم وان كان لاهل مكة فالمراد انه نشا من تربيتهم وبين اظهرهم وان كان للناس فالمراد انه
بشر من جنسهم وليس هذا على بعض الوجوه كما توهم وفيه اشارة الى شرف من بعث منهم ومن هنا يعلم ان
شموله للجن غير مناسب للمقام **يعرفونه** بيان لفايدة كونه منهم وهي معرفتهم لذاته وصفاته واحواله
وذكره في الكتب القديمة وتواتر اخباره واضاءة انواره وهذا جار على الوجوه كلها ايضا والمراد بالمعرفة
المعرفة بالقوة او بالفعل لان عندهم ما لا يخفى من ذلك او بالفعل على التغليب ولم ترد معرفة نبوته
حتى يكون كفرهم عنادا كما قيل وان صح بالتاويل السابق **ويحققون مكانه** اي قدره ومرتبته
ويحتمل ان يراد محله الحقيقي خصوصا اذا كان الخطاب لاهل مكة وهذا ليس تحته كبير فايدة الا ان
يكنى به عن معنى بعيد مثل انهم يهابونه ولا يقدرون على اذيته او انهم يعلمون انه لم ياخذ باجابة
عن احد وفي نسخة مكانته بالتا وهو اولى لان المكان يستعمل في المكان الحقيقي والمجازي بخلاف
المكانة فانها تختص بالثاني كما صرح به اهل اللغة فكان التاويل له للنقل وهذه النسخة انسب بالمقام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وَبقوله تحققون فتدبر وَيعلمون صدقه وامانته لانه كان معروفا بذلك حتى كان يدعى قبل
البعثة بالامين وَيوضع عنده الودايع وَالامانات وَهذا على اطلاقه من غير نظر لدعوى النبوة ولما
قبلها فلا حاجة الى ان يقال المراد مَا عداها ويويده حديث هرقل مع ابي سفيان المذكور في الصحيحين فلا
يتهمونه بالكذب اي لا يصفونه به وَلو افترا وَلتهمة لانه نشا بين اظهرهم وجربوه فلم يسمع احد منهم
مَا يتهم به وَلذا قال هرقل في حديث البخاري مَا كان ليدعي الكذب على الناس ويكذب على الله يقال وَهو يهم
بمعنى غلط او ظن وَاتهمه ادخل التهمة عليه او نسبها له وَفي القاموس تهمة كهمزة مَا يتهم به وَفي التقريب
اذ هاه فتدسكن وَفي النهاية اتهمته ظننت فيه مَا نسب اليه وَبابه الكذب للسببية او للملابسة اي لا ينسبون
اليه الوهم وَلا يظنون ملابسة بالكذب اولا يتهمونه بسبب الكذب وَقيل انها للتعدية وَبترك النصيحة لهم
تركها بالجر معطوف على الكذب اي لم يتهمه بترك النصيحة حتى كانوا يرجعون اليه في مشكلهم ومشاورتهم قبل
الدعوة للنبوة والنصيحة ضد الغش في معناها لغة اختلاف فقيل وَهو الاشهر معناها الخلوص يقال النصيحة
اذا اراد له الخير واظهره وَغشه في ضده وَمنه التوبة النصوح وهي الخالصة ظاهرا وباطنا التي لا يرجع صاحبها
عنها اصلا ورايت في فتاوي ابن تيمية ان من الناس من قال ان نصوحا اسم رجل كان في زمن عيسى عليه السلام
تاب توبة مشهورة فامر النبي ان يتوب الناس توبة كتوبته قال وَهو كذب من قايله اذا لم يسمع باحد سمي
نصوحا في الاعصار المتقدمة وَلم يقل هذا احد من المسلمين فضلا عن العلما وَانما ذكرت هذا لاني سمعت بعض
جهلة الوعاظ من الروم يذكرونه في مجالسهم فاياك ان تغتر بمثله لكونهم منهم متعلق بيعرفون او به
وَبما بعده على التنازع لانه تعليل لمجموع الكلام او هو خبر مبتدا اي وَهذا لكونه الخ وَهو جار على الوجوه كلها
وَقيل انه متعلق بيعلمون فان القريب يعرف حال القريب اوبلا يتهمونه فيكون دليلا له فقد مر ان الكلام
يحتمل ان المراد انهم يعلمون نبوته بالقوة او بالفعل وَمر ما فيه فتذكره وَانه لم يكن في العرب قبيلة الا
وَلها على رسول الله صلى الله عليه وَسلم ولادة او قرابة انه بالفتح وَهو وَمَا بعده في محل جر
عطف على كونه وهو عطف مغاير او تفسيري تفصيلي وَهذا اولى من عطفه على انه الاول لبعده وَلانه لم يعلم
به الا بتكلف بان نزل وقوعه منزلة الاعلام وَقبيلة بفتح القاف بنو اب وَاحد وجمعه قبيل وقيل هاهنا بمعنى
وَهو الجماعة وقيل بينهما فرق فالاول بنو اب وَاحد وَالثاني من اباآ مختلفة او هو اعم • وَطبقات انساب العرب
ستة وهي الشعب بالفتح وَهو اكبرها ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة وَهي العشيرة وَقد
نظمها الشاذي في قوله

شعب بفتح الشين وَالقبيله •	من بعدها عمارة اصيله •
وهي بكسر العين ترويه ثم قل •	بطن وفخذ بعدها ولا تخل •
وَسادس فصيلة تلويه •	وهي العشيرة التي تليه •

وَالشعوب بضم الشين جمع شعب بفتحها في العجم وَالاسباط بني اسرائيل كالقبايل في العرب وَلذا قيل لمن
يفضل العجم على العجم شعوبية ونسب له وَهو جمع لانه كانصاري وقوله الا وَلها الخ يعني به ان في كل قبيلة
من العرب لذات وَاحد او ام وَاحدة بدون وَاسطة او بواسطة وَفي هذه الجملة الواقعة بعد الا مع الواو
قولان فذهب الزمخشري الى انها صفة وَالواو لالصاقها بالموصوف تشبيها لها بالحال وَالجمهور على انها
حالية وَالمعنى لم تكن قبيلة على حال من الاحوال الا على هذه الحال من ايصال النسب لامتناع الواو وَالتفريغ في
الصفات كما فصل في محله وَالمراد بالقرابة القرب من عمود النسب الفرعي وَالاصلي مطلقا الا انها في العرف
اذا اطلقت خصت بالفرعي وَلذا اذا اوصى او وقف على اقاربه لم تدخل فروعه وَاصوله وَالفرق ظاهر بينه
وَبين اقرب اقاربه وَالقرابة بالفتح تكون مصدرا بمعنى القرب يقال هو ذو قرابته وَلا يقال من قرابته الا
تجوزا ويكون اسم جمع بمعنى الاقارب وَانكار الحريري له في الدرة ليس بشي كما رده في شرحها وَالمراد في عبارة

المصنف

المصنف بالقرابة المعنى العرفي لانه لو كان بمعناه الحقيقي لغة لزم عطف العام على الخاص باو
وَهو انما يكون بالواو كعكسه وَفي شرح السيد انه يكون باو نادرا والاول هو المعروف عند النحاة كما في المغني
وغيره وقوله لم يكن في العرب الى هنا ورد في الاثر كما اخرجه ابو نعيم في الدلايل من طريق الكلبي عن ابي صالح عن
ابن عباس في تفسير هذه الاية قيل وَمثله لا يكون من قبل الراي فهو في حكم الحديث المرفوع وفيه بحث الا انه
سيا في رفعه ايضا واخرج البخاري عن ابن عباس انه لم يكن بطن من قريش الا وله فيهم قرابة هم • كما قال حسان

• وَسطت نسبي الذوايب منهم •	كل دار فيها اب لي عظيم •

وَوقع في بعض نسخ الشفا عند بعض الشراح هنا زيادة وَهو قوله وَهو عند ابن عباس وَغيره معنى
قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى قال السيوطي في تخريج احاديث هذا الكتاب
ان هذا ورد من طرق كثيرة استوفيناها في الدر المنثور منها ما اخرجه البخاري من طريق طاوس عن ابن عباس ان
النبي صلى الله عليه وَسلم قال لم يكن من قريش الا كان لي فيهم قرابة الا تصلوا ما بيني وَبينكم من القرابة وَاخرج
الطبراني نحوه من طريق سعيد بن جبير عنه فالقربى على هذا قرابة اهل مكة خاصة وَعلى ما رواه ابو نعيم
في الدلايل كما مر قرابة جميع العرب لاتصال نسبه بهم كما مر فمعنى الاية عند ابن عباس لا توذوني لاجل القرابة بيني
وَبينكم وَالخطاب لقريش خاصة لما رواه الضحاك من ان المشركين كانوا يوذونه فنزلت وَما روي من انها نزلت
في آل البيت خاصة فقال ابن حجر انه موضوع وَما روي من انها نزلت في الانصار لانه لما قدم المدينة قالوا له
يا رسول الله انك تنوبك نوايب وَقد جمعنا لك مَا تستعين به عليها فنزلت قال ابن حجر انه ضعيف وَيبطله
ان الاية مكية وَاقوى مَا ورد في سبب نزولها ما اخرجه قتادة من ان المشركين قالوا لعل محمدا يطلب اجرا على ما
يتعاطاه فنزلت وَهذا محصل ما قالوه في سبب نزولها وقيل الاية مدنية والذي صححه ابن حجر خلافه وَفي
في قوله في القربى تعليلية كما في ان امراة دخلت النار في هرة الحديث • او هي للظرفية المجازية وَهو حال او
صفة ان جوزنا تقديم المتعلق بمعرفة فكان القربى ظرفا للمودة • واعلم انهم اختلفوا في هذا الاستثنا هل هو
متصل او منقطع فقيل انه متصل وَالاية منسوخة بقوله قل مَا سالتكم من اجر فهو لكم وقيل منقطع لان الانبيا لا
يسالون على تبليغهم اجرا فالمعنى اني اذكركم المودة في القربى وَفي زاد المسير انه اختيار المحققين وَهو الصحيح
فلا يتوجه النسخ وفي شرح البخاري ان الاية نزلت لاستكفاف شر الكفار فهي منسوخة باية القتال وَهو لا يتم
على كونها مدنية ويعضد الانقطاع ما في الكشاف من المودة ليست اجرا حقيقة لان قرابته قربتهم وَصلتهم
لازمة لهم مروة وَهو مقتضى السياق كما في بعض الشروح من ان الصحيح الذي يرتبط به كلامه ما اخرجه البخاري
من انه لم يكن بطن من قريش الا وله فيهم قرابة الا ما ذكره المصنف كما اخرجه ابو نعيم ليس بصحيح وفيما ذكره
الزمخشري ان لزوم ايصال شي احد الانبيا في كونه اجرا مطلوبا بعمل • ثم المتبادر من الاجر الله مَا لا ياتي
الا بالعمل وَما لزم بدونه لا يسمى اجرا وَالثواب لازم للعمل فيه وَذهب بعضهم الى جواز الوجهين فان نظر
الى الظاهر وان المراد بالاجر مطلق ما يترتب على شي او بالمودة لوازمها يكون متصلا وَهو المراد في هذه
الاية وان اريد حقيقته فهو منقطع وَهو المنفي في الاية فلا منافاة وَلا نسخ وَهو كلام حسن • اقول
هذا زبدة ما محضه التتبع وَقد ظهر لك منه جواز الوجهين وَان المودة اما مودة اقاربه له او مودة بعض
لبعض وَما طلب اجرة تبليغ الرسالة وَادآء الامانة وهو صلى الله عليه وَسلم لحرصه على هدايته وشفقته
عليهم عد طاعتهم نفعا له لما فيها من كثرة اتباعه وَقوة شوكته • وَالقربى هي القرابة القريبة او البعيدة
كما قيل

اذا كان اصلي من تراب فكلها •	بلادي وكل العالمين اقاربي •

فكلام المصنف منزل على الاقوال كلها وَالضمير في قوله وَهو عند الخ لجميع ما ذكر قبله او للاخير فلا غبار
عليه • ثم شرع في توجيه القراءة بالفتح الشاذة فقال وَكونه ولم يعطفه باو لتحقق المعنيين وَالقراءتين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كما قيل وقد جوزوا فيه ان يكون عطفا على مدخول اللام في قوله لكونه والنصب بعطفه على مفعول اعلم او يعلمون والرفع على انه مبتدا خبره قوله نهاية الى اخره واقتصر عليه في المقتبس واستبعده بعضهم ولا وجه له فان الدراية والرواية لا تاباه ابتداء كلام لبيان القراءة الشاذة ولذا اخره **من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح** اي بناء على قراءة الفتح وهذه المتعاطفات متقاربة ولك ان تفسرها بما يجعلها متقابلة والامر فيه سهل وافادة النظم لزيادة شرفه وفضله لانه اختار من الله الذي لا يتوهم عاقل خلافه فلا يرد عليه ما قيل من ان المبني على القراءة كونه متعلما به ومرادا من فحوى النظم لا اصله ولاما توهم من الامر كذلك قطعا فلا ينبني على القراءة الشاذة ثم يرد على رفع كونه ويرفع بالتاويل وكذا ما قيل انه مبني على القراءة المتواترة ايضا فلذا قدمها وهو ظاهر السقوط بغير دفع **وهذه** اي المنقبة والصفة الجميلة التي تضمنتها الاية على هذه القراءة او على القراءتين او هذه الاية او هذه القراءة باعتبار ما تضمنته وكون الاشارة للوصف بالانفسية والتانيث لرعاية الخبر ارتكاب لما يحتاج للتاويل من غير داع له **نهاية المدح** في بابه ونهجه المقصود منه وهذا يمكن عوده الى القراءتين وان كان الظاهر الثاني فقط فعلى القراءة الاولى هو نهاية للمدح بعلو الحسب والنسب لان العرب اشرف الناس وقد حازت كل قبيلة نوعا من ذلك فمن اتصل بجميعهم حاز جميع محاسنهم وحلاوة السنتهم فكان اجل منهم كلهم فهذا هو المقصود بكونه منهم وكذا اذا قلنا المراد جميع الناس وان توهم خلافه في قولك هو واحد من الناس او من بني فلان ونحوه وعلى الثاني هو نهاية النهاية لانهم انفس الناس وهو اجلهم وافادته لهذا من بديع الكناية على نمط قوله عز وجل كانت من القانتين وقولهم فلان من العلما فانه ابلغ من كانت قانتة فلذا عدل عنه مع انه اوجز لافادته انه مع اتصافه به له قدم راسخ فيه لا دخيل كقولك مثلك لا يبخل كما في شرح المفتاح وهو ماخوذ من كلام ابن جني في المحتسب وعبارته العرب تفخم لفظ مثل توكيدا او سببه انهم يريدون جعله من جماعة هذه اوصافهم تثبيتا للامر وتوكيدا له ولو كان فيه وحده لعلق منه موضعه ولم يرسخ فيه قدمه ولم يؤمن عليه انتقاله منه الى ضده ومثله قولهم في مدح الانسان انت من القوم الكرام اي لك في الفضل سابقة واول وانت متقدم عليه محفوف به لست دخيلا فيه من غير اول ولا اصل فيخشى تحولك عنه ولما اريد مثل هذا في الثنا على الله ولم يجز ان يكون تابعا فيه لسلفه ولا موجودا له فيه نظير عدلوا به الى وجه ثالث وهو ان يجعل قديما وراسخا عليه فكان ثبت له وذلك نحو وكان الله سميعا بصيرا انتهى اذا عرفت هذا فقول بعض الشراح هنا انه يفهم من هذا الاعلام امران كونه من اشرفهم لان من كان اشرف وهو رسول الله فهو اشرف من الاشراف وهو نهاية المدح بالنسبة لغيره فلا يرد عليه ان كونه من جملة اشرفهم ليس نهاية المدح انتهى فانظر الى هذا مع سماجته وافلاسه من افادته وانظر بعين الانصاف لا بعين الرضا فيما قلناه • واعلم ان دخول من على افعل التفضيل كما في عروس الافراح على وجهين الاول ان تكون جماعة فاضلة مستوية الرتبة في زيادتها على غيرها فتقول في كل منها هو من الافضل ولا نعني ذلك عند تفاوتها • الثاني ان يكون نوع افضل الانواع فيقال في كل فرد منه انه من الافضل كما في قوله من انفسكم على قراءة الفتح فتنبه لهذه الدقيقة انتهى • اقول هذا على ما قاله انما يفيد مدح قوم النبي صلى الله عليه وسلم اولا ولا يلزم من شرف قوم شرف جميع افراده كما لا يخفى فالحق ما قدمناه فانه نفيس • واعجب من هذا ما قيل ان في كلام المص خفا ظاهرا لان ما في الاية على هذه القراءة ليس نهاية المدح لان قولك هو انفس الخلق وافضلهم ابلغ منه مع ان الخطاب لم يشمل الانبيا وانما يتم اذا كانت من بيانية لا ابتدائية او تبعيضية كما هو المتبادر فكونها نهاية مدح في القران فيه خفا لا يخفى

انه مبالغة اريد بها الكمال انتهى فانظره فانه مع عدم وقوفه على مراد المص لا محصل له ويقتضي ان الاية فيها عدول عن الابلغ وهذا مما يقضي منه العجب **تنبيه** قال بعض الفضلا هنا في حديث انا افصح من نطق بالضاد بيد اني من قريش من نطق بالضاد العرب وبيد بمعنى من اجل ولا يلزم من كونه من قريش الذين هم افصح العرب ان يكون افصحهم ومدحوحا بالفصاحة وقد بقي ذلك في زمان حتى رايت الفاضل الكوراني في شرح جمع الجوامع قال له بعد ما ذكر الحديث قال بيد بمعنى من اجل وفيه نظر قوي وهو ان كونه من قريش لا يقتضي كونه افصح من قريش والحق انها بمعنى غير من المدح الذي يشبه الذم • اقول هذه غفلة على غفلة لانه ترك اخر الحديث وهو تبيينه في بني سعد والذي صححه ابن حجر في تخريج احاديث الرافعي انا سيد ولد آدم بيد اني من قريش ونشات في بني سعد واسترضعت في بني زهرة ويروى انا افصح العرب الخ واللفظ الاول مقلوب فانه نشا في بني زهرة وارتضع في بني سعد واما انا افصح من نطق بالضاد فلم يصح يعني انه انطلق لسانه في قبيلتين هما افصح العرب واملحهم فحاز لب اللسانين المليحين وكل احد انما يفوق في لسان قومه فقط فلزم منه ان يكون افصح من جميع العرب ثم ان ما ظنه منجا لا منجا فيه فانه لا يفيد اولا كونه افصح ساير قريش فقد وقع فيما فر منه ثم ان شيخنا رحمه الله في الايات البينات ذكر كلام الكوراني ورده على عادته في التعصب عليه انتصارا للمحلي بما حاصله ان فيه جملة مقدرة ومثله كثير تقديرها وانا افصح منهم فزاد في الطنبور نغمة لا تطرب ولا تضحك **ثم وصفه بعد** اي بعد الاعلام المذكور **باوصاف حميدة** اي محمودة او حامدة على التجوز في النسبة **واثنى عليه بمحامد كثيرة** قيل ثم هنا بمعنى الفا كما في قوله جرى في الانابيب ثم اضطرب لعدم الفاصلة بين الاعلام والوصف فالترتيب في الاخبار دون الحكم كما قاله النحاة ورده ابن عبد السلام في كتاب المجازيات في صحته نظرا لان الترتيب فيه اذ ثم لا يتم التراخي الا ان يتعسف برجع لغيره من الوجوه فالاحسن ان يقال انها للتفاوت والترقي لان بعثة الرسل وشرفهم نعمة عظيمة لكافة الخلق وحرصه على هدايتهم وشفقته دونها مراتب ولك ان تقول وجه ما قاله النحاة ان الترتيب الذكري لما كان على ما يقتضي من الالفاظ يعطى حكم البعيد كما قرره الزمخشري في الاشارة اليه بذلك في قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه على انه ما ذكر كل منهما امر ممتد يجوز عطفه باعتبار آخره بالفاء وباعتبار غيره بثم كما قالوه في قول السكاكي فاضح ثم لتعلمي فهو تاسيس لا تاكيد والاوصاف جمع وصف بمعنى الموصوف به لا المصدر وحميدة بمعنى محمودة عند الله تعالى وعند الناس والمحامد جمع محمدة وهي المحمود به ايضا والثنا بالمحامد لا يغاير الوصف بالصفات الحميدة ولا يعاب مثله في مقام الخطابة مع انه لما كانت الاوصاف جمع قلة عقبه بجمع الكثرة دفعا للايهام والاول مطابق لظاهر الاية والثاني لما تضمنته مما لا يحصى **من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم** من بيانية مبينة لما قبلها من الاوصاف وما بعدها والحرص فرط الشره وقيل هو الشح على الشي ان يضيع وفيه نظر والمراد به هنا شدة الطلب لما يريده ويحبه والهداية الدلالة مطلقا او الموصلة وقيل المراد بها هنا الاهتدا لعطف الرشد عليها وقيل المراد بها ما قاله الاشاعرة من انها خلق الاهتدا الى الايمان لا الدعوة اليه والطاعة كما ذهب اليه المعتزلة لان فرضه ليس على الدعوة التي هي عادته ولا يخفى ما فيه وحرصه على الدعوة المراد طلب تاثيرها لا مجردها والرشد وان كان ضد الغي فهو الهداية فينبغي تفسيره بالصلاح ظاهرا وباطنا لتغايرهما كما يقتضيه ظاهر العطف وههنا بحث وهو ان ابن عبد السلام قال في القواعد في قوله تعالى فان انستم منهم رشدا اكثر الاحكام تبنى على ظاهر الامر حتى يظهر خلافه وما يبطله لانه لو شدد بطلت التجارات والمعاملات وهذا يشكل على اشتراط الشافعية في الرشد حسن التصرف في المال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والصلاح في الدين بحيث لا يلم بكبيرة ولا يصر على صغيرة فان اجماع المسلمين على معاملة المجهولين
والحكم لهم وعليهم وقبول اعتاقهم وهداياهم مما يأباه والآية لا تدل على ما ذكروه والعجب من الامام فانه
قال اذا بلغ الصبي ولم يوجد منه ما يخالف الرشد ايفك عنه الحجر. اقول قدره كلام الفقها
بوجوه ثلاثة مخالفة للاجماع ونص القرآن ومناقضة كلام النهاية له مع انه تبعهم فيه فكلامهم فاسد
والله يعلم المفسد من المصلح فان الذي قالوه معنى الرشد وحقيقته وهو صلاح الدين والدنيا بلا
شبهة والمشروط في الآية استيناس الرشد وهو كما قاله المفسرون احساسه وابصاره وذلك بظهور
اماراته فمآله النظر لظهور الحال وهو الذي عول عليه الفقها واشار اليه في النهاية فلا مخالفة بين ما
قالوه والاسلام معروف وهو مغاير لما قبله ولذا عطف بالواو ثم قيل ان المصنف قدم هذه الصفة مع تأخرها
في الآية لان المقام مقام مدح وهو في الحرص اتم واكمل وسياق الآية للامتنان وهو كونه يعز عليه كما هو
اظهر فاشار الى تفاوت المقامين. فان قيل المنة في الحرص اتم قلنا مسلك الآية على الترقي وما هنا
بخلافه فقد تبدر معاصد المصنف ولطف نظره او يقال لما كانت العزة منشأ لحرصه قدمت في الآية على
وفق الواقع لبيان حاله في ابتداء امره فلما حكاه المصنف بيانا للمحامد قدم المقصود بالذات الذي به الحض
ثم انه جعل متعلق الحرص في كلامه هدايتهم للايمان وصلاح شانهم كما ذهب اليه المفسرون للدلالة السياق
عليه ولقوله في غير هذه الآية ان تحرص على هداهم فان القرآن يفسر بعضه بعضا والحرص لا يتعلق بالذوات
وشدة ما يعنتهم من الاعنات قال الله تعالى ولو شاء الله لاعنتكم او من العنت وبكل منهما روي كلام المصنف
وابينهما اهل اللغة فقالوا يقال عنته واعنته والعنت المشقة او الوقوع فيها ويجيء بمعنى الاثم والفساد
والهلاك وقد اعترض صاحب المواهب على عبارة المصنف هذه بان ظاهرها ان قوله شدة معطوف على مجرور
على التي تعلقت بالحرص ولا يستقيم عليه المعنى ولذا قيل انه بتقدير مضاف مجرور معطوف على الحرص
المجرور بمن اي وكراهة شدة الخ. اقول هو كما قال معطوف على حرصه ولكن لا حاجة فيه الى تقدير لان
شدته عليه انه صعب شاق عليه فيراد به انه مكروه تأباه نفسه فالمعنى من حرصه على هدايتهم ومن كراهته
لما يضرهم وصاحب المواهب لم يخف عليه العطف ولكن اوقعه التقدير فيما وقع فيه وعزته معطوف عليه
وقد تنازع الشدة والعزة قوله عليه وما موصولة او مصدرية وفي قول المصنف اشارة الى جواز الموصولية
فالتقدير ما عنتموه لا ما عنتم به لان حذف العائد المجرور ضعيف فما قيل من ان المصنف اشار الى ان المراد
في الآية ما عنتم به وقد جعلت ما مصدرية اي عنتكم فيتفاوت المعنيان وان تلازما لا وجه له قال في
المصباح نعتته ادخل عليه الاذى واعنته اوقعه في العنت وفيما يشق عليه تحمله انتهى وبضرهم
في دنياهم واخراهم يضر بفتح اليا وضم الضاد مضارع ضر وروي بضم اليا وكسر الضاد مضارع
اضر لانه يقال اضره واضر به فلا يلتفت لمن ابصره لظنه ان همزته انما تكون للتعدية وتعني اضره
واضر به اوقعه في الضرر والدنيا يقال في مقابلة آخرة واخرى كما في عبارة المصنف وعزته عليهم
عطف على شدة عطف تفسير كقوله انما اشكو بثي وحزني ففيه اشارة الى تفسير عزيز في الآية وانه
من عز عليه كذا اذا صعب وشق كما قال. يعز علينا ان نفارق من نهوى. وله معان اخر
مفصلة في كتب اللغة تركناها لعدم مناسبتها هنا قيل كان المناسب للتفسير وعطفه ان يؤخر الاشهر
الاظهر فيقول عزته وشدته لكنه عكس للمبادرة لما يفيد المراد حتى يسلم السامع من عنت الانتظار ولا
حاجة لجعل الشدة غير العزة للتنازع في عليه فان التفسير لا ينافي التنازع ورافته ورحمته بمؤمنيهم
معطوف على حرصه وقوله بمؤمنيهم متعلق بما قبله على التنازع ولا تنازع في الآية الا على رأي من يجوز
التنازع في المتقدم والرافة مع الرحمة حيث وقعت مقدمة لا للفاصلة كما قاله القاضي ومن تبعه

لوقوعه

لوقوعه كذلك في الحشو كقوله رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها بل لان اصل معنى الرافة التلطف
والشفقة ويقابلها العنف والجبروت كما يشهد له كلام فصحاء العرب. كقول قيس الرقيات

ملكه ملك رافة ليس فيه . جبروت له ولا كبرياء

فلذا قدمت على الرحمة بمعنى الانعام كما في المثل الايناس قبل الابساس والذي غرهم قولهم في كتب
اللغة الرافة اشد الرحمة كما في الصحاح وغيره والرحمة في كلامهم بمعنى رقة القلب في حق البشر وهي
في حقه تعالى بمعنى الانعام او ارادته نظرا للغاية بها وقد قلت هذا بطريق البحث ثم رأيت الامام القرطبي قال
في شرح الاسماء الحسنى ما نصه قال الله تعالى وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة الآية وحيث
ذكر هذان الوصفان قدم الرؤف على الرحيم في الذكر وسببه ان الرحمة في المشاهد انما تحصل بمعنى في
المرحوم من فاقته وضعفه وحاجته والرافة تطلق عندنا على ما يحصل للرحمة من شفقته على المرحوم وقال
المشايخ الرؤف المتعطف والذي جاد بلطفه ومن بعطفه انتهى بحمد الله على موافقة الصواب. ثم ان اضافة
مؤمنيهم للضمير ظاهر في ان الضمير ليس للمؤمنين فقط ودخوله تحت قوله اعلم الله الخ يشعر بان رافته
ورحمته بمؤمني المخاطبين على الاقوال كلها حتى على القول بان المخاطب المؤمنين وبينهما تدافع كما قيل ودفع
التدافع بان الاضافة بيانية اي بالمؤمنين الذين هم المخاطبون واتى بالظاهر ليبين علة الرافة والرحمة
ولو قال بهم لفات هذا او قصد عود الضمير على من ذكر عند المؤمنين في الوجه الاول ولا يخفى بعده
وركاكته والاولى ان يقال الضمير على شيء مفهوم من الكلام كالمخاطبين او من ذكر او الامة وقال
بعضهم القائل هو حسين ابن الفضل اعطاه اي اعطى الله نبيه في هذه الآية تشريفا له اسمين من
اسمائه رؤف رحيم الظاهر رفعه موافقة للنظم على انه خبر مبتدا مقدر اي هما رؤف رحيم ويجوز
نصبه بمقدر وهو اعني ونحوه او على انه بدل من اسمين وجره على انه بدل من اسمائه والاسم يكون
بمعنى العلم وما يقابل الفعل والحرف وما يقابل الصفة المشتقة والمراد هنا ما يطلق على ذات وسمي
صفة كان او لا وفي بدايع ابن القيم الاسما التي تطلق على الله وعلى غيره كحي عليم هل هي حقيقة في
الله مجاز في غيره او على العكس او حقيقة فيهما اقوال ثلاثة اظهرها الاخير انتهى وقول المصنف
اعطاه الخ فيه ميل الى القول الاول. فان قلت كيف يصح ما قاله عقلا ونقلا وبعض الاسما مجاز في
الله حقيقة في غيره كالرحيم لان الرحمة رقة القلب والتكبر كالملك المالك وقاضي القضاه قلت
لم يعن بالحقيقة الوضعية اللغوية ولو اراد ذلك لم يصح بل العقلية او العرفية الشرعية وقيل
انها مشتركة اشتراكا لفظيا لعدم تشاركهما في معنى ونقل عن الغزالي. فان قلت كثير من اسماء الله
يطلق على غيره كحي وكريم وسميع وغيرها فكيف يكون هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم. قلت
قال الغزالي المراد انه تعالى اعطاهما له بمعنى من المعاني التي اطلق بها على الله فجعله متحليا ببعض صفاته
كما جعله متخلقا باخلاقه بوجه وان لم يكن على الوجه الاكمل اللايق بجناب العزة كما قيل كل ما يصلح للمولى
على العبد حرام والمقصود انه لما ذكره في القرآن وصفه بصفتين خلع عليه منهما خلعتي اكرام
دالتين على تمييزه عما عداه وفي تفسير ابن المنير المسمى بالبحر الكبير فان قلت ما وجه اختصاصه
بتسميته باسمين من اسمائه وقد سمى موسى كريما فقال وجاءهم رسول كريم وبالاعلى حيث قال انك
انت الاعلى وسمى ابراهيم حليما واسمعيل حليما عليما فقال في آية وبشرناه بغلام عليم وفي اخرى
حليم. قلت وجه الخصوصية ايرادهما معا في سلك واحد ونسق متصل في القراءة ولا يكاد يوجد
هذا الآتي ووصف الله لنفسه فهي كرامة اكرمه الله بها ليدل على مكانته وان رتبته فوق سائر الرتب انتهى

الألوكة www.alukah.net

تتمة اعلم ان الايات القرآنية حيث ختمت باسمائه تعالى وقعت مكررة ومتاكدة بها اما في معنى ما قبله كغفور رحيم فيفيد مبالغة في تلك الصفة على وجه يليق بالربوبية او مغاير له كعزيز حكيم لافادة احترس وتكميل لان العزيز قد يفعل بقوته ما لا تقتضيه الحكمة فلما اجرى ما هو من خصائصه في وصفه صلى الله عليه وسلم كان عنده من الاحتفاء به ما لا يخفى فتدبر **ومثله في الاية الاخرى** قوله ومثله لم يسقط من بعض النسخ ووقع بدونه **لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الاية** بالنصب كما مر اي اقرا الاية او اذكرها فانها مماثلة لتلك في الدلالة على انه مبعوث في قوم هو من جنسهم سواء ضمت الفا او فتحت لانه اذا كان من اشرفهم كان منهم ضرورة وفي تفسير ابن المنير من انفسهم من جنسهم يعرفون حاله وانه ما قرا ولا درس وقد جاءه العلم دفعة فقص سير الاولين والآخرين على ما هي عليه حرفا بحرف فيعلم العاقل انه امر خارق من عند الخالق كل ذلك ابلاغ في ظهور حجته ووضوح معجزته فكيف يليق ان يجعل المقتضي مانعا فيلحدون ويجحدون انتهى وقوله في الاية الاخرى صفة مثله لانه نكرة متوغل في الابهام لا يعرف بالاضافة وليس بحال لانها لا تجي من المبتدا على الاصح لا لان مثله لا يكون ذا حال كما توهم لان الاضافة ولو للنكرة مسوغة له بلا خلاف ويجوز ان يكون مثله مبتدا خبره في الاية وما بعده بدل منها • والمن الانعام مطلقا او على من لا يطلب ويكون بمعنى تعداد النعم استكبارا لها وهو غير محمود الا من الله لانه منه يذكر العبد فيبعثه على الشكر ومن المخلوق قبيح مطلقا ولذا نهى النبي عنه بقوله ولا تمنن تستكثر حتى قيل انه من خصائصه حرمة المن وهو مكروه من غيره وقيل انه حرام ايضا فان كان لغرض صحيح جاز ولذا قيل المنة تهدم الصنيعة كما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وكما قال الشاعر

وان امرءا اهدى الي صنيعة • وذكرنيها انه لبخيل

وقال آخر

اذا زرعت جميلا فاسقه غدقا • من المكارم حتى يثمر الشجر

ولا تشنه بمن منك يتبعه • فشيمة المن ان يوذي به الثمر

والمنعم المالك الحقيقي وعطاؤه عز وعطا غيره ذل لاخذه يجعل يده سفلى **وفي الاية الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الاية** في هذه الاية امتنان وثناء عظيم كما تقدم والامي هو الذي لا يكتب ولا يقرا الخط وان قرا ما حفظ بالسماع من غيره • وانما سمي اميا نسبة الى الام كانه يوم ولدته امه فيكون على جبلته من غير ان يحسن كتابة ونحوها او للامة العرب لانهم كانوا اميين الكتابة معدومة فيهم الا نادرا لا حكم له كما ورد في الحديث بعثت الى امة امية ثم اطلق الاميون على من كتب منهم ومن لم يكتب كما قاله ابن عباس تغليبا وقيل الامي الذي يقرا ولا يكتب والمراد بكونه منهم اي مثلهم قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون ففيه اشارة الى حكمته وانه معجزة له لكونه مع ذلك اظهر علم الاولين والآخرين وقص سيرهم واخبارهم وفيه ايضا موافقة ما تقدم من بشارة الانبياء به ونعته في كتبهم بانه امي • واليه اشار الابوصيري بقوله •

كفاك بالعلم في الامي معجزة • في الجاهلية والتاديب في اليتم

وبالاشارة الى الوجه الاول تظرف القائل

من عجب الاشيا ابي امرؤ • عمي خالي وابي امي

تنبيه قال الحافظ ابن حجر في كتاب تخريج احاديث الرافعي عد فقهاء الشافعية ان مما حرم عليه الخط والشعر وانما يتجه التحريم ان قلنا انه كان يحسنهما واستدل بالاية المذكورة وبحديث انا امة امية لا نكتب

ولا نحسب والاصح انه كان لا يحسنهما ولكن يميز بين جيد الشعر ورديه وادعى بعضهم انه صار يعلم الكتابة بعد ان كان لا يعلمها لقوله من قبله في الاية فان عدم معرفته بسبب الاعجاز فلما نزل القرآن واشتهر الاسلام وكثر المسلمون وظهرت المعجزة وامن الارتياب عرف حينئذ الكتابة وقد روى ابن ابي شيبة وغيره ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرا قال مجاهد ذكرت هذا للشعبي فقال قد سمعت اقواما يذكرون ذلك وليس في الاية ما ينافيه وروى ابن ماجة عن انس قال قال رسول الله رايت ليلة اسري بي على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر والقدرة على قراءة المكتوب فرع معرفة الكتابة واجيب باحتمال اقدار الله له على ذلك من غير تقدم معرفة الكتابة وهو ابلغ في المعجزة او فيه تقدير اي سال عن المكتوب فقيل له هو كذا وفي حديث سهل ابن الحنظلية انه صلى الله عليه وسلم لما امر معاوية ان يكتب للاقرع بن حابس وعيينة ابن حصن قال عيينة اتراني اذهب الى قومي بصحيفة كصحيفة المتلمس فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة فنظر فيها فقال قد كتب لك ما امر قال يونس بن ميسرة رواية فنرى انه كتب بعد ما انزل عليه ومن الحجة عليه ما اخرجه البخاري في صلح الحديبية انه اخذ الكتاب وليس يحسن ان يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله الحديث قال ابن دحية واليه ذهب ابو ذر وابو الفتح النيسابوري وابو الوليد الباجي وصنف فيه كتابا وسبقه اليه ابن شيبة وقال انه كتب بيده بالحديبية وقال ابو بكر بن عربي لما قال الباجي هذا طعنوا عليه ورموه بالزندقة وكان الامر عندهم مثبتا ويعقد مجلسا للمناظرة فاقام الباجي الحجة ونسبهم الى عدم المعرفة فكتب بذلك لعلماء الافاق افريقية وصقلية وغيرها فجاءت اجوبتهم بموافقته وان معرفة الكتابة بعد اميته لا ينافي المعجزة بل هي معجزة اخرى بعد معرفة اميته وتحقق معجزته وعليه تتنزل الاية السابقة والحديث فان معرفته من غير تقدم تعليم معجزة وصنف ابو محمد بن مفوز كتابا رد فيه على الباجي وبين خطاه وحكي ان ابا محمد الهواري كان يرى راي الباجي فراى في النوم ان قبر النبي انشق وماد فلم يستقر فانزعج لذلك وقال لعله لاعتقادي هذه المقالة ثم عقدت التوبة مع نفسي فسكن واستقر ثم قص الرؤيا على ابن مفوز فعبرها بذلك واستظهر بقوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا الاية ومحصل ما اجاب به ابن مفوز عن ظاهر حديث البرا ان القصة واحدة والكاتب فيها علي ابن ابي طالب وقد وقع في رواية البخاري من حديث البرا ايضا لما صالح النبي صلى الله عليه وسلم اهل الحديبية كتب علي رضي الله عنه بينهم كتابا فكتب فيه محمد رسول الله فتحمل الرواية الاولى على ان معنى فكتب امر الكاتب ويدل عليه رواية المسور في هذه القصة ايضا والله اني لرسول الله وان كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله وقد ورد كثيرا في الاحاديث كتب بمعنى امر كحديث كتب الى قيصر وكتب الى النجاشي وكتب الى كسرى ونحوه وكلها محمولة على انه امر بالكتابة ويشهد له قوله في بعض طرق هذا الحديث لما امتنع الكاتب ان يمحو محمد رسول الله قال له ارني فاراه موضعه فمحاه ثم ناوله لعلي فكتب بامره ابن عبد الله بدله واجاب بعضهم بانه على تقدير حمله على ظاهره يحتمل ان يراد انه كتب مع عدم علمه بالكتابة وتمييز الحروف كما يكتب بعض الملوك علامتهم وهم اميون والى هذا ذهب القاضي ابو جعفر السمناني انتهى ولا يخفى بعد هذا الجواب وان شاهدنا مثله نادرا **وقوله كما ارسلنا فيكم رسولا منكم الاية** في هذه الاية غاية المدح له كالتي قبلها لما فيها من انه يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ولذا صرح بالمنة فيها كما بين في التفسير فلا حاجة لاعادته كما في الشرح الجديد وفي هذه ايذان بانه اتم النعمة بارساله كما اكمل دينه وفي الكشاف وجهان احدهما ما ذهب اليه ابن جرير من انها متصلة بما قبلها من دعوة ابراهيم وقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فبعث الله محمدا ووعده بان يجعل من ذريته امة مسلمة فمعنى الاية لاتم نعمتي عليكم بالشريعة الحنيفية واهديكم لدين ابراهيم كما ارسلنا فيكم رسولا منكم اجابة لدعوته فهو متصل بما قبله

شبكة الألوكة www.alukah.net

كما ذهب اليه الفرا وهي متعلقة بما بعدها وهو فاذكروني اذكركم والخطاب جار على الوجوه السابقة
فبعثه بانه كما قاله ابراهيم تاليا الكلام ربه مزكيا لامته معلما الحكمة وقدم يزكيهم هنا واخره في
دعوة ابراهيم نظرا للقصد والفعل فيهما كما قاله القاضي يعني ان التزكية هي المقصودة بالذات
من تعليم الكتاب والحكمة فلذا قدمت في الاية الاتية لانها اهم وبالفعل لا يوجد الا بعدهما فلذا اخرت
فرقا بين المقامين قيل لو استشهد المصنف باية دعوة ابراهيم لكان احسن واوفى بالمقصود لما اشتملت
عليه من المدايح ثم افادة ذكره على السنة الانبيا السابقين وليس كما قال لان ما هنا اخبار من الله
عاذكر فيفيد وقوعه والدعا لا يفيده والباب مقصود لثنا الله عليه لا لثنا الانبيا وان حكاه
الله فهذا اناشي من عدم معرفة مقاصد الكتاب **وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عنه**
عليه السلام في قوله تعالى من انفسكم قال الفاضل الحلبي يعني في قراة من فتح الفا كما قاله
ابن رسلان ويعضده ما في المواهب اللدنية عن ابن مردويه انه صلى الله عليه وسلم قرا من انفسكم
بالفتح وقال انا انفسكم نسبا الى اخر ما ذكره المصنف من الحديث المرفوع وهذا مما اهمله المخرجون
لاحاديث هذا الكتاب فلذا قاله **قال نسبا وصهرا وحسبا** تمييز لاسم التفضيل لابهام
المفضل به الذي يفسر تمييزه وقد فسره النبي به كما عرفته والنسب القرابة مطلقا او من جهة الاباء
وفي النهاية النسب الولادة القريبة وهو صلى الله عليه وسلم اشرف الخلق نسبا وكذلك سائر الانبيا
كما ورد في الحديث لم يبعث نبي الا وهو ذو نسب في قومه وفي المصباح النسب مصدر مطلق الوصلة
بالقرابة يقال بينهما نسب اي قرابة سواء جاز بينهما التناكح او لا وجمعه انساب ومنه استعيرت
النسبة في المقادير والصهر واحد الاصهار قال الخليل اهل بيت المراة وقال الازهري الصهر يشتمل
على قرابات النسا من ذوي المحارم وذوات المحارم كالابوين والاخوة والاخوات واولادهم والاعمام
والاخوال والخالات فهولاء اصهار زوج المراة ومن كان من قبل الزوج من ذوي قرابته فهم اصهار
المراة ايضا وقال ابن السكيت كل من كان من قبل الزوج من ابيه او اخيه او عمه فهم الاحما ومن كان
من قبل المراة فهم الاختان ويجمع الصنفين الاصهار وصاهرت اليهم اذا تزوجت منهم • والحسب
بفتحتين ما يعد من المآثر وهو مصدر حسب بالضم وقال ابن السكيت الحسب والكرم يكونان في الانسان
وان لم يكن لآبائه ورجل حسيب كريم بنفسه واما المجد والشرف فلا يوصف بهما الشخص الا اذا كانا فيه
وفي آبائه وقال الازهري الحسب الشرف الثابت له ولابائه ماخوذ من الحساب وهو عد المناقب لانهم
كانوا اذا تفاخروا عدوها **ليس في ابائي من لدن آدم سفاح كلها نكاح** وفي نسخة كلها نكاح
ولو وقع في سنن الترمذي مرويا بالوجهين اي في آبائي من حيث ابوتهم فيلزم ان لا يكون في امهاته
ايضا ذلك كما يدل عليه السياق ولدن ولدى ظرف مكان بمعنى عند الا انهما لا يستعملان الا في الحاضر
يقال لدنه ولديه قال اذا كان حاضرا وجاء من لدنا رسولا اي من عندنا وقد يستعمل لدى في الزمان واذا
اضيف لضمير قلبت الفه ياء الا في لغة بني الحارث وما قيل من ان لدن بمعنى عند الا انها لا تفتح الا في
ابتداء الغاية كما في عبارة المصنف للحصر فيه لا وجه له فانه اغلبي • والسفاح الزنا والفجور من سفح
الماء اذا صببته فكانه اراق ماءه واضاعه وعلى رايه كله الضمير المونث للوطئات واسناد النكاح لها
حقيقة اذا كان بمعنى الجماع ومجاز ان كان بمعنى العقد فلا وجه للاطلاق في محل التقييد وعلى
الاخرى وهي الاصح الضمير للنبي ولا بائه واسناد النكاح لهم بتاويل ذوي النكاح ونحوه او على التجوز
في الاسناد كانهم تخثموا من النكاح كقوله • فانما هي اقبال وادبار •   والنكاح يطلق على
الوطء والعقد بلا خلاف انما الخلاف في انه حقيقة فيهما او في احدهما على اقوال مفصلة في الفروع

والاصول

والاصول وقيل ولم يرد في القرآن الا بمعنى العقد لانه في الوطء صريح في الجماع وفي العقد
كناية عنه وهي اوفق بالبلاغة والادب كما ذكره الزمخشري والراغب واذا كان بمعنى العقد
فالمراد به عقد صحيح موافق لدين الاسلام اولغيره من الاديان السالفة وحيث اخبر عنه صلى
الله عليه وسلم فهو بوحي من الله انباه به الله ان نسبه صانه واسلافه عما يشين وطهر ارحامهم عن
دنس السفاح فلم يزل كما قال ابن الجوزي في الوفا ينتقل من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الطيبة
مصفى مهذبا لم ينشعب شعبتان الا كان في خيرهما وقال السيد ان المورخين اتفقوا على ان هاجر
ام اسمعيل كانت ملكا لابراهيم فان لم يكن هناك عتق وزواج تعين ان يكون المراد في الحديث بالنكاح لعموم
المجاز عقد صحيح يبيح الوطء اذ المقصود نفي الفجور فيشمل الزواج وغيره من غير محذور كما تحققوه هذا وظاهر
الحديث ان لا فجور في الاباء مطلقا لكن الاظهر بشهادة ما سبق وما ياتي وما في المواهب مرفوعا من انه لم
يلتق ابواي على السفاح ان المراد طهارة النسل كما اشرنا اليه وتبعه تلميذه ابن الحنبلي اقول يمكن ان معنى
لم يلتق ابواي لم يلتق نسب ابوي بقرينة الروايات الاخر جمعا بينهما **قال ابن الكلبي** هو محمد بن السايب الكلبي
ابو نصر المفسر النسابة المحدث اخرجه له الترمذي وسياتي ترجمته مفصلة ونسبته الى كلب وهي قبيلة
معروفة وتوفي في السنة التي مات فيها الشافعي وهي سنة اربع ومايتين قال الحلبي وصاحب المقتفى
وقال التلمساني وصاحب المواهب ان محمد بن هشام بن محمد بن السايب فالكاتب هو الوالد فلعله نسب الكتاب
تارة الى نفسه حقيقة او تجوزا فرواه المصنف كذا قاله السيد **كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسماية**
ام فما وجدت فيهن سفاحا اي وطا بطريق الزنا قيل اراد بالام ما يشمل الجدات ومن في حكمهن كام الام
والعمة وام عم الاب ونحوهن فان الجدات الحقيقية لا تقارب ذلك وقد عدوا الى آدم سبعة واربعين
ابا ويعلم من هذا النقل ان السفاح لم يقع في الاقارب فما في الشرح من ان ذلك النقل احوط رتبة لا طايل
تحته • اقول هذا اشارة الى السوال المشهور على ما قاله ابن الكلبي من ان امهاته وجداته لا يبلغ هذا
العدد فكيف ما قاله وانت اذا تاملت قول المصنف لم تكن قبيلة من العرب الا ولها على رسول الله قرابة او ولادة
عرفت انهم لم يقفوا على المراد فانهم جعلوا النسب شجرة لها ساق وعمود وشعب واغصان متفرقة متفرعة
فان نظرنا الى عمود النسب وما عليه ومحاذيه لم يبلغ عدد الامهات ما ذكر فضلا عن مساويه وان
نظرنا الى الفروع والشعب وسائر قبايل العرب فجميعهم لهم به اتصال نسبي ونساوهم امهات واحاطة
ابن الكلبي بمثل ذلك غير مستبعد فانهم لهم اعتنا بالانساب يعدونها من اعظم علومهم وتوضيحه انك اذا
نظرت لقبيلة وجدتها من نسل رجل واحد فجميع ذكورهم آبا له او اعمام او اخوال وجميع نسائهم جدات او عمات
او خالات بعدد قرابتهم وولادته له والمراد ان نسبه بحواشيه واطرافه جميل لم يمسه دنس عار فاذا تحققت
فبين البصير لم تجد غبارا فاعرفه وانما اطلت الكلام لاني رايتهم اشتكلوه ولم يات احد فيه بما يشفي العليل
ولا شيا مما كانت عليه الجاهلية وفي نسخة مما كان وفي نسخة اهل الجاهلية وعلى النسخة الاخرى
اهل مقدرا والمراد الامة او المراد بالجاهلية اهلها كما يطلق المجلس والمقام على اهله والجاهلية زمان
كثرت فيه الجهال او ناس كذلك وهي ما قبل الاسلام او ايام الفترة وقد تطلق على زمن الكفر مطلقا وعلى
ما قبل الفتح والمراد انه ليس في نسبه زنا ونحوه مما يعاب وعطف قوله ولا شيا الخ من عطف العام على الخاص
لا من عطف الخاص على العام كما قيل انهم كانت لهم انكحة لا يعدونها سفاحا فحرمها الشرع كنكاح المضامدة
وعد منها في بعض الشروح امورا اكثرها زنا واطال فيها من غير طايل ومنها نكاح المقت وهو نكاح زوجة
الاب واورد عليه الزبير بن بكار مما ذكره المورخون لان كنانة خلف على برة بنت اد زوجة ابيه خزيمة
على ما كانت الجاهلية تفعله اذا مات الرجل خلف على زوجته بعده اكبر بنيه من غيرها واورد بما روي عنه

الألوكة
www.alukah.net

صلى الله عليه وسلم انه قال ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح كنكاح الاسلام
ومما ذكره المصنف عن الكلبي وقد اجيب عنه باجوبة منها انه لم يكن سفاحا محرما قال السهيلي ويدل
عليه قوله تع ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف فان الاستثناء يدل على تحليله وانه ليس
في نسب رسول الله مانعا وانه لم يكن في نكاح اجداده سفاح الا ترى انه لم يقل في شيء نهى عنه في
القرآن الا ما قد سلف نحو ولا تقربوا الزنا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله ولم يستثن من المعاصي التي
نهى عنها الا في هذه وفي الجمع بين الاختين لانه كان مباحا في شرع من قبلنا كما جمع يعقوب بين راحيل
واختها ليا فقوله الا ما قد سلف التفات الى هذا المعنى وتنبيه على هذا المغزى ونقل هذه النكتة
عن ابن العربي وهذا بناه على ان نكاح زوجة الاب كان جائزا قبل الاسلام وكان اذا مات احدهم ورث
اولياؤه نكاح زوجته ولو كرها فانزل الله تع لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها وظاهر كلام بعض المفسرين
ان نكاح زوجة الاب كان جائزا في اول الاسلام وياباه قوله انه كان فاحشة ومقتا فان كان هنا
بمعنى لم يزل وهو احد معانيها لا زايدة فانها لا تزاد اذا عملت وذهب بعض المفسرين الى انه لم يكن حلالا
ابدا وقوله الا ما قد سلف لا يدل عليه ولذا اعترض على من استدل به ودفع ما مر بما نقله الحافظ من
ان كنانة بن خزيمة خلف على زوجة ابيه بعده وهي برة بنت اد بن طابخة وهي ام اسد فهي لم تلد منه
ذكرا ولا انثى حتى تكون جدة للنبي ولكن كانت ابنة اخيها وهي برة بنت مر بن اد بن طابخة اخت تميم
بن مر كنانة ابن خزيمة فولدت له النضر بن كنانة وانما غلط كثير من الناس لما سمعوا ان كنانة خلف
على برة لاتحاد اسمهما وتقارب نسبهما قال وهو الذي عليه اهل العلم بالنسب ومعاذ الله ان يكون
اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نكاح مقت وقد قال ما زلت من نكاح كنكاح الاسلام ومن اعتقد
غيره وشك في هذا الخبر فقد اساء واخطا وكذا ما قيل من ان هاشما خلف على واقدة زوجة ابيه فانه رد
بانها ليست جدة النبي صلى الله عليه وسلم فان ام عبد المطلب انصارية ولذا كان الانصار كما فصل
في السير **وا**علم ان المصنف لما قصد ذكر آيات قرآنية فيها الثناء على رسول الله سردها على ترتيب انيق
لم يسبقه عليه احد ممن تكلم عليه فانه بدا بقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية الدالة على ان الرسول
الذي جاءهم ازال عنهم العنت والمشقة وهداهم للنور المبين وهو منهم معروف بينهم ثم عقب ما ذكر
من التخلية بما يدل على التحلية من قوله من الله الخ فدل على نعمة ومنة عظيمة لتعليمه وارشاده للعلوم
والحكم والاتيان بكتاب لم يشرف بما يدانيه احد من الامم ثم ختمه بما يؤكد هذه المنة من انهم اميون
لا قدرة لهم على القراءة والكتابة مع ان الكتب السالفة ليست بلسانهم فلو لم يبعث منهم هذا النبي الكريم
لم ينقذوا من الضلالة ويهتدوا للسعادة فاعرفه **وعن ابن عباس في قوله وتقلبك في الساجدين**
قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا وروي اخرجك قال السيوطي هذا الحديث رواه ابن سعد
والبزار وابو نعيم في الدلايل بسند صحيح عن ابن عباس وهو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الصحابي
المشهور حبر هذه الامة وترجمان القرآن الفايق في العلم والكرم احد العباسية توفي سنة ثمان وستين
في ايام ابن الزبير وقد كف بصره والتقلب تفعل من القلب وهو التحول من جهة الى اخرى وجعل اعلى
الشيء اسفله وهو بالمعنى الاول في الاية وفيه وجهان آخران غير ما ذكره ابن عباس احدهما ان المراد تردده
في تصفح احوال الصحابة في تهجدهم بعد ما نسخ فريضة قيام الليل فراى بيوتهم مملوءة بالذكر والصلاة
ولهم دوي كدوي النحل وتصرفك بين المصلين قياما وركوعا وسجودا ولذا قيل انه لم يذكر صلاة الجماعة
الا في هذه الاية وعلى هذين اقتصر اكثر المفسرين وعلى الاول اقتصر الرازي في اسرار التنزيل واستدل
بها على اسلام آباء النبي واجداده فقال انه كان يتنقل ذرة من ساجد الى ساجد فيدل على ان آباءه لم يكونوا

مشركين

مشركين ويدل عليه ايضا ما ورد في الحديث من انه لم يزل ينتقل من اصلاب وارحام طاهرة وقد قال تع
انما المشركون نجس وسياتي تفصيله في حال الابوين ولا دلالة فيما ذكر لان المراد بتقلبه انتقاله من صلب
نبي الى نبي ولو مع الوسايط والمراد بالحديث انه ليس في اصوله سفاح كما مر وفي الحديث تصريح بان هذا
هو المراد فالمراد تعظيمه والثناء عليه بعد ما مر حد بان الله طهر اصوله كما طهر فروعه وملايمته لما
قبله وهو فتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك الخ لان المعنى فوض امورك كلها
في جميع احوالك الى من يراك اذا قمت لكل صلاة او لصلاة الليل ويراك في اخفى من هذا اذ كنت ذرة في
اصلاب المصلين وعبر عن الصلاة بالسجود لانه اعظم واقرب الى الله فان العبد اقرب ما يكون من ربه وهو
ساجد فالمراد انه يراك في ظهورك وبطونك لاستواء الظاهر والخفي في علمه خلافا لمن توهم انه لا ملايمة
بينهما وبهذا ظهر ايضا مناسبة هذه الاية لما قبلها في كلام المصنف ووجه تاخيرها والمراد بالروية ظاهرها
او الحفظ والكلاءة والرعاية كما يقال نظر الله اليك اي يحفظك في جميع حالاتك من حين كنت نطفة كيف
لا يحفظك من اعدايك وينصرك عليهم وسقط ايضا ما يتوهم على هذا التفسير انه ان اريد ان جميع الاصلاب
التي حوته كذلك فالواقع خلافه والا فلا فرق بينه وبين غيره من بني اسمعيل وقد روي عن ابن عباس
ما ذكره غيره من المفسرين ففيه روايتان عنه **وقال جعفر** هو جعفر الصادق ابو عبد الله بن محمد بن علي
بن الحسين بن علي بن ابي طالب وامه بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق روى الحديث عن ابيه وعن نافع
وعطا والزهري وغيرهم وروى عنه كثير كمالك والسفيانين وابن جريج وابن اسحاق واتفقوا على امامته
وجلالته وسيادته وولد سنة ثمانين وتوفي سنة ثمان واربعين ومائة قيل مسموما ودفن بالبقيع
مع ابيه وجده وعمه في قبر واحد وقال ولدني الصديق مرتين لان امه ام فروة بنت القاسم بن محمد بن الصديق
وامها اسماء بنت عبد الرحمن الصديق وكذا يقال ولد مرتين لمن انتسب من جهتين ووثقه في روايته الشافعي
وابن معين وابو حاتم والذهبي وهو من فضلاء اهل البيت وعلمائهم والاحاديث المروية عنه مقبولة الا عن
اولاده اذا لم ترد من طريق آخر فانهم رووا عنه مناكير كثيرة حتى ذهب بعض الناس الى تمريضه ولا
تزر وازرة وزر اخرى وكانه لذلك لقب بالصادق **علم الله تعالى وتقدس عجز خلقه عن طاعته**
في نسخة ضعف خلقه والطاعة اسم مصدر هو الاطاعة من اطاع اذا انقاد واتبع الامر فلم يخالفه
قال ابن فارس اذا مضى لامره فقد اطاعه واذا وافقه فقد طاوعه والاستطاعة الطاقة والقدرة اي
انه عز وجل علم عجز القوى البشرية عن اطاعته كما ينبغي من غير ان يكون بينهم وبينه واسطة من جنسهم
لا يحره باعتباره وتعلق بمقتضى الفطرة به يفيض على من هو دونه ولذا كان الرسالة سفارة بين الله
وبين العقلا يزيح بها عللهم فيما قصرت عنه عقولهم من مصالح الدنيا والاخرة ولا حاجة هنا لما قيل الى
تفصيل معنى النبوة والرسالة **فعرفهم ذلك** العجز وانهم لو لم يكونوا عاجزين لم يقم بينه وبينهم رسولا
موصوفا بما سياتي ولذا اقام الله عذر من لم ياته رسول فقال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴿١٥﴾
لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته ينالون بمعنى يحصلون وياخذون والصفو بمعنى
الصافي الخالص بفتح الصاد المهملة والصفوة مثلثة وخدمته بمعنى عبادته وطاعته وصفوها كونها
من الحظوظ النفسية فلا يشوبها ما يكدرها من التقصيرات **فاقام بينهم وبينه** وفي نسخة بينه وبينهم
بتقديم المفيض على المستفيض لتقدمه ذاتا ورتبة وفي الاولى قدمهم لانهم المحتاجون للوساطة فقدموا
رعاية للمقام واقامه بينهم جعله قايما موجودا بينهم او اقامه خليفة له **رسولا مخلوقا من جنسهم**
وسقط رسولا من بعض النسخ اي بشرا منهم فليس الجنس منطقيا بل لغوي وهو اعم من المصطلح لشموله
النوع وغيره وما قيل من ان المراد من جنس اشرفهم اذ اصل الكلام بالنظر الى الانسان الاشرف او المراد

الألوكة
www.alukah.net

من العناصر ونحوها مما يعم الثقلين ولذا علل بالجنس كلام لا يناسب المقام وفيه تعقيد من غير حلاوة
فتركه خير وفي الآخر يكون الطرف لغوا والفصل بطل زيادة الالتباس وسهولة الاتباع **في الصورة**
اي جنسيته انما هو بحسب الصورة الظاهرة لا المعنى الباطني لما سيأتي في القسم الثالث لتكون له المناسبة
بين الجانبين فيتأهل للوساطة بين الله وعباده **والنبية** اي كساه الله خلاة **من نعته الرافة والرحمة**
فيه استعارة مكنية والنعت والصفة بمعنى ورأيت في بعض كتب العربية ان النحويين فرق بينهما فقال
النعت لا يقال الا في غير الله كقولك نعت الثوب ونعت الفرس ولا يقال نعوت الله بخلاف الوصف والصفة
والمشهور هو الاول وعليه كلام المص والضمير المضاف اليه نعت الله والرافة مفعول البس الثاني وقد
قدمنا لك الفرق بين الرافة والرحمة ووجه تقديمها وما وقع لهم من الغلط فيه فليكن على ذكر منك قال
بعض الشراح اطال فيه هنا بغير طائل وقال القرافي في التنقيح شرح المسائل الاربعين الرحمة اصلها ميل
الطبع ورقته وهو مستحيل على الله فيصرف للمجاز وهذه الرقة لها لوازم لان من رق طبعه اراد الايحسان
واحسن فكلاهما يصح التجوز به وذهب الباقلاني الى ان التجوز عن الفعل فقال رحمته معاملته معاملة
الراحم المرحوم وذهب الاشعري الى انها ارادته فعلى رأي القاضي الرحمة محدثة وعلى رأي الشيخ قديمة
وعلى رأي القاضي يجوز ان يقال اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك وهو عنده الجنة وعلى رأي الشيخ يحرم
ذلك لان مستقرها الذات وفي القرآن مواضع لا تستقيم الا على احد الرأيين فقوله وسعت كل شيء
رحمة وعلما يتعين فيه الارادة لاقترانها بالعلم وهو صفة ذاتية والوسع وقوله هذا رحمة من ربي
الاشارة الى السد وهو من باب الاحسان انتهى وهل هي مجاز مرسل او استعارة تبعية او تمثيلية احتمالات
بيناها في حواشي القاضي • واعلم ان المص لما ذكر في هذا المحل ايات دالة على نهاية الثنا على نبيه وكان
تعدادها كلها ان الله بعث في هذه الامة الامية رسولا هو اعظم مخلوقاته حسبا ونسبا اودعه الاصلاب
الطيبة والارحام الطاهرة وجعله واسطة انبيائه ورسله واوحى الله بكتاب هو اعظم الكتب السماوية
وجعله مشتملا على علوم الاولين والاخرين فاقام به الملة السمحة واتم به دينه ونصرهم على اعدائهم وملكهم
الدنيا ولطف بهم اذ جعله بشرا مثلهم يخاطبهم بلسانهم وفي ذلك رافة بهم واتم نعمة عليهم واعطى نبيه
مثل ذلك اذ تراءف بهم وانعم عليهم بنعم الدنيا والاخرة ولذا وصفه بصفتين متجاورتين في قوله
بالمؤمنين رؤوف رحيم ومثله مما خص الله به نفسه فلما جعله خليفة الله خلع عليه خلعة فوق خلعة
تمييزا له وتكريما كما تفعله الملوك فقوله البسه الرافة والرحمة يعني به المذكور في الآية السابق ذكرها
ولم يجمع له غيرها • فان قلت كيف هذا وقد وصفه بصفات غيرهما وجمع له بين صفتين ايضا في
قوله في اية الاسرا لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير بناء على ان الضمير لعبده • قلت هذا مما
ذهب اكثر المفسرين الى خلافه وان هذا الضمير لله ولو قلنا انه له فهاتان الصفتان لم يجر لهما ذكر
هنا ولا مناسبة لهما بهذا المقام فلذا خصهما المص بالذكر فما قيل بعض الباسه الرافة والرحمة انه
وصفه بهما مما شاركه في اصل المعنى وان تغايرا في الحقيقة وانما بينهما مشاركة لفظية ومناسبة
وانما خصهما من بين الصفات لكمال مناسبتهما لبعثته للثقلين ووساطته بينهما مع شدة الاحتياج
لذلك كما قال صاحب معيار المريدين في قوله تخلقوا باخلاق الله معناه اتصفوا بالصفات المحمودة
وتنزهوا عن الصفات المذمومة وليس معناه ان ياخذ من صفات القديم شيئا ومثاله من يوقد سراجا
من سراج او ياخذ علما من عالم فانه لا ياخذ عين سراجه ولا عين علمه بل يحصل له من اشراق سراجه سراج
آخر ومن افاضة علمه علم آخر وهو كلام من لا يصل الى العنقود مع انه لا محصل له وليس تحته كبير فايدة
واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا المراد انه اخرجه من العدم والتقدير الى الوجود الخارجي العيني

او من الاصلاب والارحام والسفير الرسول والمصلح بين القوم والمراد الاول اي رسولا من الله
لهم وهو ماخوذ من سفرت الشيء سفرا اذا كشفته واوضحته لانه يوضح ما امر به ويظهره ومنه اسفار
الصبح والمراد بالخلق جنسهم او جميعهم لعموم رسالته كما سياتي وصدقه صلى الله عليه وسلم لان الله
عصمه عن الكذب ولم يؤثر عنه تهمته به فضلا عن وقوعه كما في حديث هرقل **وجعل طاعته طاعته**
وموافقته موافقته طاع واطاع بمعنى اي انقاد واذعن وقيل طاع بمعنى انقاد واطاع بمعنى
انقطع عن امر ولم يخالفه وليس بينهما بعد بحسب المال والموافقة ضد المخالفة ومعناها الاتفاق
والتظاهر اي من اتفق معه على ما كان عليه في دينه وقبول ما جاء به فقد وافق الله والضمير
الاول للرسول والثاني لله ويجوز العكس لانه لا اطاعة لله الا باطاعة رسوله ولا اطاعة للرسول
الا باطاعة الله والمراد الاتحاد الحقيقي لانه لا ينطق عن الهوى فهو مبلغ والآمر هو الله اي لانه
لا يامر الا بما فيه طاعة الله وعبادته فاطاعته عبادة وقيل المراد ان طاعته مثل طاعته في الوجوب
لان الله امرنا باطاعته قيل وهو قصور وخطاء وذكر الموافقة بعد الطاعة وهي بمعنى الاطاعة
للتاكيد قيل ويوضح الاتحاد الحقيقي ان من اطاع الرسول ليس له اطاعة لا يكون مطاعها الحق
وهذا كما قيل ان وجود العرض في نفسه هو وجوده في الموضوع فليس للسواد وجود لا يكون تابعا
للموضوع ولذا امتنع انتقاله عنه بخلاف وجود الجسم في الحيز فلذا انتقل عنه كما قاله التفتازاني
ورد بانه لا يستقيم هذا لان الاتحاد الحقيقي هو ان يصير شيء بعينه شيئا آخر من غير ان يزول
عنه شيء او ينضم اليه شيء آخر وهنا قد انضم الى اوامره ونواهيه كونها وحيا من الله ليست كاوامره
ونواهيه باموره طبيعية قبل النبوة وهذا كقول السلطان لوزيره مر الناس بكذا فانه صادر من
الوزير صورة ويعد امر الوزير وهو في الحقيقة امر السلطان فالاتحاد مجازي بطريق الانتقال
والتغير كما يقال صار الماء هواء اي زالت عن هيولاه صورة خلفتها اخرى او هو من قبيل صار الابيض
اسود او انضم اليه شيء آخر كصار التراب طينا وما قيل في توضيحه ايضا غير صحيح لان الاتحاد الحقيقي
بعدم المغايرة والعرض له حقيقة مغايرة لحقيقة موضوعه فلا يقال ان حقيقة السواد هي حقيقة
الجسم وهذا الفاضل جعل حقيقة طاعة النبي هي حقيقة طاعة الله وان الوجود من الحقيقة وقد تقرر
ان وجود العرض والجوهر زائد على ماهيتهما ولهذا لم يصدق تعريف الجوهر بانه ماهية اذا وجدت
في الخارج لم تكن في موضوع على ذات الباري لان وجوده عين ذاته ثم ان معنى قولهم ان وجود العرض
هو وجوده في موضوعه انهما لا يتمايزان في الاشارة الحسية وقد توهم من هذه العبارة ان وجود السواد
مثلا في نفسه هو وجوده في الجسم وليس بشيء اذ يصح ان يقال وجد في نفسه فقام بالجسم وهذا
يقتضي المغايرة • اقول انما نقلت هذا مع طوله لئلا يظن ان في التوضيح رجالا وتحقيقه ان المدلولين
اذا تغايرا بحسب المفهوم واتحدا في الخارج بحسب الماصدق كالحيوان والمتحرك بالارادة يكون الاتحاد
حقيقيا بحسب الخارج واطاعة الله واطاعته كذلك من غير شبهة فان الله اذا اوجب الصلاة فامر
بها فامر الرسول بها فامتثلوا فاطاعة الله واطاعة الرسول اقامة الصلاة وهي امر واحد في الخارج
وان تغاير مفهوماهما فانه امر اضافي يختلف باختلاف المضاف اليه وكذا وجود العرض في نفسه وجوده
في موضوعه لعدم التمايز والانفكاك بخلاف وجود الجسم وما انضم اليه شيء آخر كالسرير والخشب
والماء المنقلب هواء ليس من هذا القبيل للتغاير بها في الخارج فهذا القائل خبط خبط عشواء واطال
من غير طائل • فان قلت كيف يتم هذا ان قلنا باجتهاده صلى الله عليه وسلم فاذا امرهم باجتهاده هل
يقال اطاعة امره اطاعة لله مع احتمال امره بخلافه كما في قصة الاسرى • قلت لهم هو اطاعة لله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لقوله اطيعوا الرسول من غير قيد ولذا عقبه المصنف بقوله **فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله**
تقدم ان ضميري طاعته طاعته فيهما وجهان وقد قيل هنا ان جعل الضمير الاول لله يفيد ان طاعة الله
منحصرة في طاعة الرسول لتعريف الطرفين لان المعتبر منها ما وافق الشرع والشرع من الرسول فهو ابلغ
الا ان دلالة هذه الاية عليه ليست بظاهرة ولو صحه كما قيل ان معناها ليست له طاعة الا وهي لله
بتنزيل الموجود منزلة المعدوم كما في قوله وما رميت اذ رميت ويحتمل ان يكون معناها من يطع الرسول
في تفاصيل ما جاء به فقد اطاع الله في قوله قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول الا ان هذه الاية هي الدالة
على ان طاعته كطاعته في اصل الوجوب لا في ذاته ووصفه لا الاية التي تلاها المصنف فلا يصح ان يقال
معنى جعل طاعته انه جعلها مثلها في الوجوب لان قوله فقال الخ يأباه لتفسيره او تفريعه عليه ما يخالفه
كما سياتي ورده بانه لا ينبغي قصر الدلالة على وجوب طاعته في الاية الثانية لان الاية التي تلاها المصنف
دالة على ذلك ايضا فان مضمونها انه جعل طاعته طاعة الله وطاعة الله واجبة شرعا وعقلا فطاعته
كذلك وان لم تكن مثلها من كل الوجوه فدل ذلك على انه يجوز ان يكون مراد الصادق بقوله انه جعل طاعته
في الوجوب وهو كلام حسن والذي جنح اليه القائل اذ القاضي وغيره قال في تفسير قوله من يطع
الرسول الاية ان الرسول مبلغ والامر هو الله وهذا الحصر يقتضي انه لا آمر ولا ناهي سواه وانه لا طاعة
لغيره الا بحسب الظاهر وانا اقول هذا كله من ضيق الفطن فان كون الامر كله لله ليس فيه اشتباه
وما على الرسول الا البلاغ لكن لما كان العباد لا نطلع على ذلك الا بامر الرسول وكانت اطاعته وتصديقه
واجبان علينا جعل آمرا وناهيا ومثله يعد حقيقة بحسب اللغة كما قال في البردة

نبينا الآمر الناهي فلا احد • ابر في قول لا منه ولا نعم

وفي هذا التفريع خفاء ليس هذا محل بيانه فاي باس في النظر لهذين الامرين وقوله طاعته تشبيه
بليغ كقولك ابو يوسف ابو حنيفة ويجوز عكسه وجعله عينه ادعاء فلا ينافي في الاية لان الشرط والجزا
متغايران نظرا لها في نفس المقام ولكل مقام مقال **وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين**
هذا ابتداء كلام في ذكر ما جاء من الثنا من الله على رسوله او من تتمة كلام جعفر رضي الله عنه وبه جزم في
الشرح الجديد وهو حينئذ متصل باول كلامه اي لما علم عجزهم عن نيل صفو حلمه اقام بينه وبينهم
سفيرا من جنسهم رحمة لهم فانه انما بعثه رحمة للعالمين او بقوله البسه من نعته الرافة والرحمة وهو اقرب
والعالمين عام شامل للمتقين والعصاة والكافرين كما سياتي من انه رحمة للكافرين بتاخير العذاب وعدم
الاستئصال ولغيرهم بالشفاعة والوساطة لكل فيض ولانه كما في الكشاف وغيره اتى بما فيه سعادة فمن خالفه
فعل به من نفسه كعين جرت فانتفع بها قوم وكسل آخرون فهي رحمة لهما وما قيل من ان المفسرين لم يتعرضوا
لبيان نفي الغضب مع وقوعه منه كثيرا وقد قصد الله ببعثته ان لا يؤمن به معظمهم وليس الحصر هنا
نظرا للعالمين او يقال الغضب بالذات الرحمة والغضب بالتبعية وهو في جنب الرحمة كالعدم او المعنى
لاجل الرحمة على الكل لا الغضب على الكل الى آخر ما قاله واطال فيه من غير طائل ولعمري ان ما ظنه مشكلا في
غاية الظهور فانه رحمة عامة شاملة كما ورد انما انا رحمة مهداة فانه لم يرد لاحد ضررا او قد اجتهد في نفع
كل احد ولكن من يضلل الله فما له من هاد وكان لا يغضب لنفسه وانما يغضب لانتهاك حرمات الله ولعمري
ان صاحب الكشاف احسن واجمل فلا حاجة للاطالة هنا ورحمة مفعول له وللعالمين متعلق به اي ما ارسلناك
الا لترحم بك العالمين بهدايتك اياهم لسعادة الدارين • وفي مسلم قيل يا رسول الله ادع على المشركين
فقال اني لم ابعث لعانا انما بعثت رحمة ويجوز ان يكون حالا من الكاف اي الا ذا رحمة او هو عين الرحمة
وليس للعالمين متعلق بارسلنا لان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها الا في الاستثناء المفرغ نحو ما مررت

الا برئ والمعنى الا لان ترحم بالبنا للفاعل لا للمفعول كما قيل **قال ابو بكر بن طاهر** قال الشمني
والبرهان الحلبي هو ابو بكر بن طاهر بن مفوز ابن احمد بن مفوز المعافري الشاطبي وقال التلمساني هو
عبد الله بن طاهر الابهري وهو من اقران الشبلي ومن مشايخ الجيلي عالم ورع مات قرب الثلاثين وثلاثمائة
وهناك ابو بكر بن طاهر واسمه محمد بن احمد بن طاهر الاشبيلي القيسي يروي عن ابي علي الغساني ويروي
عنه السهيلي والاول اقدم من الثاني وهو المراد والله اعلم والذي عند سيدي ابي الحسن ابو بكر بن طاهر بن مفوز
المعافري الشاطبي والله اعلم انه هو انتهى **زين الله محمدا بزينة الرحمة** يعلم من هذه العبارة ان في قوله
البسه الرافة والرحمة استعارة مكنية بجعل كل منهما كالحلة والخلعة البهية **فكان كونه رحمة وجميع
شمائله وصفاته رحمة على الخلق** الفاء هنا للتفسير والتفصيل وكونه مرفوع اسم كان وهو مصدر كان
التامة اي وجوده ورحمة منصوب خبرها وكونه لا خبر له وتقديره من بنائه فيفتح وما بعده معطوف عليه
والزينة ما يتزين به لباسا او غيره واضافة الرحمة كلجين الما او بيانية وقيل الزينة هنا اللباس اي البسه
الله رحمة رحمانية شاملة له وفيه اشارة الى انها منة من الله من بها الله عليه غير الجبلية البشرية والشمائل
جمع شمال بالكسر مثل شمال خلاف اليمين قال الازهري الشمال خليقة الرجل اي خلقه وجمعه شمائل ورجل
كريم الشمائل اي في اخلاقه ومخالطته انتهى • وبه سمي كتاب الشمائل • وما الطف قول ابن الوردي فيه مضمنا

يا الطف مرسل كريم • ما الطف هذه الشمائل •
من يسمع اخبارها تراه • كالغصن مع النسيم مائل •

لعطف صفاته من عطف العام على الخاص ان لم يخصص بالصفات الظاهرة والشمائل بخلافها وقال الشراح
صفاته تشمل غضبه وظاهره انه لا يغضب لنفسه وانما يغضب لله وغضبه للاصلاح وهو رحمة في
ذاته واما مرآة الحسن فانه لمحبته فالتصديق به الا ترى ان عبد الله بن سلام لما رآه آمن به وقال لما رايت
وجهه تبينت انه ليس بوجه كذاب فان اريد بالخلق جميعهم كما مر فقوله **فمن اصابه شيء من رحمته
فهو الناجي في الدارين** اي في الدنيا والآخرة والناجي بمعنى السالم من اصابة ما يكرهه ويضره قيل
المراد به من انتفع به او انتفع بشيء مصدر به او ان وجوده وصفاته هداية لمن اهتدى بشيء منهما نجا
وقيل المراد بشيء من رحمته انه اهتدى بهدايته لان من لم يهتد كانه لم تصبه الرحمة كما ان من شرب الماء ولم
يرو كانه لم يشرب وهذا هو التفسير الصحيح وما قبله تكلف فالمعنى ان من هداه الله للايمان به سلم من
كل مكروه ونال كل مرغوب وانعام الدنيا والامها لا تعد مكروها بعد العلم بما فيها من تكفير السيئات ونيل
الحسنات **من كل مكروه** يلحق من لم يهتد فلم يؤمن به في الدنيا كالقتل والسبي واخذ الجزية وفي الآخرة
العذاب المخلد **والواصل فيهما الى كل محبوب** اما في الدنيا فان كان ذا غنى ونعمة فظاهر والا فالمؤمن
العاقل اذا صبر وقام بوظائف العبودية في دنيا سريعة الزوال كان ما اصابه من المكروه لايصاله للنعم
الاخروية محبوبا عنده واما حاله في الآخرة فغني عن البيان فما قيل انه يشكل عمومه بالمؤمن العاصي المعذب
وبان مصائب المؤمنين في الدنيا كثيرة الا ان يقال في الدارين متعلق بالمكروه والمحبوب اي المراد انه
سبب في الجملة او الكل بمعنى الجل لا وجه له فانه من قسم الوسواس **الا ترى ان الله تعالى يقول
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين** وفي نسخة الم تر وفي نسخة اسقاطها اي لم تعلم ان الله لما قصرها
على الرحمة علم انه من اصابته هذه الرحمة لم ينل مكروها اذ ليس له نيا في الحصر وهذا مرغب كما في حديث
من قال لا اله الا الله دخل الجنة فلا مسامحة في المدعى حتى يحتاج للتاويل وهذه العبارة تسميها العلما
تنويرا لانها تشير الى ان ما بعدها موضح لما قبلها ولذا عبر بالرؤية لجعله كالمحسوس وهذا من كلام ابن طاهر
فلا نكارة فيه والكلام في الآية مبسوط في التفسير وشهرته تغني عن ذكره **فكانت حياته رحمة ومماته**

الألوكة
www.alukah.net

رحمة كما قال صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم هذا الحديث رواه البزار عن ابن مسعود بسند صحيح ورواه الحارث بن اسامة في مسنده بسند صحيح ايضا والحديث الذي بعده في صحيح مسلم وفي رواية موته بدل مماته اي كل منهما نافع لامته فلا يتوهم انقطاع نفعه عنا بموته لان كثيرا منا اذا مات انقطع عمله عنه وعن غيره الا ما استثني والخير النفع الذي يرغب فيه وهو يكون صفة مشبهة وافعل تفضيل مخفف من اخير كثير من اشر ولا ينطق باصله الا نادرا كقوله بلال خير الناس وابن الاخير وقرئ في الشواذ سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ويكون صفة كالخير بالتشديد ويجوز كل منهما هنا اي كل واحد من حياته وموته نفع لمن دخل تحت الخطاب او ان حياته انفع من موته في وقتها وموته انفع في وقته من وجه لنفعه لهم بنحو شفاعته عند عرض اعمالهم عليه يوم الاثنين وفتح باب الاجتهاد وترك الاتكال والمشي على الاحتياط وكالانابة بالحزن لموته وتسهيل كل مصيبة بمصيبته والاعتبار به والرحمة الناشية من اختلاف امته وارتفاع التشديد بتوقيره وفي الحديث زيادة في بعض التعاليق وهو لما احياتي فانبين لكم السنن واشرع لكم الشرايع واما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رايت فيها حسنا حمدت الله وما رايت منها سيئا استغفرت وايضا فان الملائكة تعرض صلاة من صلى عليه وتبلغها في وقت واحد وانه لم يحص عددها كالشمس في كبد السما وضوءها يغشي البلاد شارقا ومغاربا كما في بعض الشروح ونقل في بعض ما لا يناسب له بالمقام وفيه نقلا عن ابن عربي اذا مت لا ازال انادي في قبري امتي امتي حتى ينفخ في الصور فطنين الاذان لما نزل كه الروح المتمكنة في قلبه وراسه من ذلك الندا فلذا استحبت الصلاة عليه اذا طنت الاذان او النبي من حقه كما في العطاس كما قاله الترمذي ولفظة الاجر على مصيبته ولذا ساوت فاطمة امها خديجة وجميع اخواتها ممن مات في حياته لما في صحيحها من مصيبتها به وقد قيل عليه انه لا شبهة في نيلها بفضل الرزية العظيم ولكنها لم تفضل امها بذلك بل لكونها بضعة من رسول الله ولذا قال في سنن ابي داود لا اعدل ببضعة من رسول الله احدا واما تفضيلها على اخواتها فلحديث فاطمة افضل نساء العالمين الا مريم ابنة عمران ونحوه ولو كان تفضيلها بهذه المصيبة فضلت عايشة خديجة والاكثر على خلافه ثم انه اورد على عد الاجتهاد من الخير الذي حصل بموته ان الاجتهاد من الصحابة كان في زمنه ايضا كما تبين في كتب الاصول ولك ان تقول المراد كثرته مع ما يتفرع عليه من المذاهب والتاليف قبل عرض الملايكة الصلاة عليه مما لا يحصى في وقت واحد لم يثبت وهو مردود بانه ورد من طرق صحيحة كما ياتي مفصلا فلا وجه لانكاره والاحسن ان رحمته في حياته لانه هداهم لسبيل الخير وما دام بين اظهرهم فهم آمنون من عذاب الاستيصال والمسخ والخسف ونحوه كما قال الله تع وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ورحمته في مماته لانه تقدمهم فرطا لهم كما ياتي وبه فسر قوله وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم ثم ان تفضيل فاطمة وعايشة بما مر لا ينافي كون خديجة افضل لانه قد يكون في المفضول ما ليس في الفاضل كما لا يخفى • واعلم انه حكي عن الاشعري والقشيري واصحابه انهم قالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم ليس بنبي في قبره وان رسالته انقطعت بموته وقد شنع عليهم بذلك وقالوا بتكفيرهم وقال السبكي انه افتراء عليهم وقد كتب بذلك الى الافاق وكيف يقال مثله مع ما صح في الحديث من ان الانبياء احياء في قبورهم يصلون وانما فهم هذا عنهم الكرامية وادعوا انه لازم لمذهبهم ولازم المذهب ليس بمذهب فانه صلى الله عليه وسلم في قبره حي باق على ما كان عليه • حتى سئل النووي عمن يراه في منامه يامره بامر هل يجب عليه ام لا فاجاب انه ان لم يخالف الشرع وكان له في خاصة نفسه ينبغي العمل به وانما لم يجب لان النائم لا يضبط ما قيل له وربما لم يفهمه او يكون اشارة لما يحتاج للتاويل وهو كلام حسن فلا ينافي قوله من راني فقد راني حقا الحديث وكما قال اذا اراد الله رحمة بامة

قبض

قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا هذا حديث صحيح متنا وسندا رواه مسلم عن ابي موسى الاشعري فقال اذا اراد الله رحمة امة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها واذا اراد هلكة امة عذبها ونبيها حي فاهلكها وهو ينظر ليقر عينه بهلاكها حين كذبوه وعصوا امره وهكذا وقع في النسخ بتقديم الفرط ووقع في بعضها مؤخرا وبانه من الناسخ والذي في مسلم باضافة رحمة لامة مخالف لما في الشفا فقول المخرجين انه حديث مسلم لا يخفى ما فيه فلعله رواه من طريق آخر الا ان يقال انه رواه بالمعنى واقتصر على بعضه والامة الجماعة ثم شاع فيمن بعث اليهم الرسول ووجب عليهم اتباعه فان اتبعوه فهم امة الاجابة وهم وغيرهم امة الدعوة والمراد الاول والقبض في الاصل اخذ الشيء واستيفاؤه يقال قبض المال والمتاع فيقال قبض الله او الملك زيدا او روحه والمشهور في الاستعمال الاول وكان العدول عنه هنا اشارة الى ان الانبيا احياء في قلوبهم ولا تاكل الارض ابدانهم فموتهم ليس كموت غيرهم فهم كمن ارسله الملك لامر فاتمه وعاد اليه والفرط بفتحتين اصله من يرسله الناس قدامهم لمنزل رحلتهم ليهيئ لهم لوازمهم او لينظر ما به من ماء وعشب وانه هل يحسن نزول السفر به ام لا او ليزيل ما يخافه او ينظر هل به عدو ام لا من فرط بمعنى تقدم فهو فعل بمعنى فاعل كتبع بمعنى تابع لا جمع له كخدم وخادم لاطلاقه على الواحد وغيره هم ويطلق على الطفل الذي يموت قبل ابويه او احدهما كما ورد في دعا الجنازة وهو من هذا القبيل لا بمعنى آخر فهو اما لانه يحصل بسببه اجر كما في المنازل او لما ورد من انه يقف على الحوض ليسقي ابويه وفيه استعارة بديعة لجعله القبر منزلا لكل احد سايرا اليه ويورده كل وارد عليه ولذا يقال حياض المنايا وموارده ما من صيرته للحياة في ظهرها فالموت ورد لا بد ان يرده وان الناس مسافرون ليست الدنيا دار اقامة لهم • وانا لفي الدنيا كركب سفينة • نظن وقوفا والزمان بنا يسري • ويقال افرط فلان ابنه اذا مات قبله والسلف بوزنه معناه ما تقدم اعطاؤه من المال كالسلم ورد بمعنى القرض وسلف المرء من مضى من ابائه واقربائه لتقدم موته ولذا سمي الصدر الاول السلف الصالح فكان ما اصاب الامة بفقد نبيها جعل سلما او قرضا للاجر الذي يجازى به على الصبر والصبر يحمد في المواطن كلها • الا عليه فانه مذموم • ولذا قيل لما فقد من العمل الصالح فرطا والنبي عليه السلام اب لامته لانه سبب لحياتهم الابدية كالاب الذي هو سبب للحياة ولذا كانت زوجاته امهات المؤمنين ففي حياته من الرحمة ما لا يخفى كما مر فاذا انتقل لجوار ربه مع الرفيق الاعلى وهو راض عنهم لقبولهم ما بلغهم ونصرتهم ومحبتهم له وشهادتهم على ابلاغه ولولا ذلك لاهلكوا فكانت رحلته رحمة لهم مع ما اصابهم من الاجر بمصيبته وحمده واستغفاره لهم اذا عرضت عليه اعمالهم فجزاه الله حيا وميتا خير الجزا قال الشمني قدس سره الامام الحنفي وقد مر ما في جملته رحمة للعالمين يعني الجن والانس هذا تفسير للآية المذكورة بان المراد به جنس العقلاء من الثقلين بقرينة صيغة جمع المذكر السالم وان كان جمع عالم وهو كل ما يعلم به الصانع من العقلاء وغيرهم فالمفرد اعم من جمعه فخص ثم جمع بجعله صفة او ملحقا بها لان فاعلا بالفتح اسم آلة كالخاتم والقالب وقيل غلب العقلاء او جعل اسما لذوي العلم من الثقلين او الثقلين والملك او الانس وقال الشريف الجرجاني يطلق على جنس لا فرد فيلحق للقدر المشترك بين الاجناس فيصح اطلاقه على كل جنس وعلى مجموعها لا المجموع واذا عرف بلام الاستغراق شمل كل فرد من جنس كالافراد ولهذا فسره بجميع الخلق فعلى الاول ومن فسره بالجن والانس فعلى بعض الوجوه او خصه لانه مبعوث اليهما ومن فسره بالمؤمن والكافر اراد انه يشملهما لان معناه ذلك وهذا يقتضي ان هذا غير مخالف لقوله وقيل لجميع الخلق وسياقه مع تمريضهم ياباه فالحق كما في بعض الشروح انه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لما اختار تفسير العالمين بالثقلين ذكر تفسيره لم يرضه ثم اخذ في بيان ما به تكون الرحمة على ما
اختاره فقال **للمؤمنين رحمة بالهداية** اي ارسله لمن آمن بهداية تزيد على هداية الايمان او لمن
قدر ايمانه قيل وهو على الثاني عام شامل للملائكة والجمادات قلنا انه مرسل اليهم على احد القولين فيه
وياتي تحقيقه وان عمته رحمته ايضا وقوله للمؤمنين الخ بدل من قوله للعالمين او متعلق بمقدر وعلى
الاول هو بيان لمختاره وهو الظاهر وعلى الثاني يصلح لهما **ورحمة للمنافق بالامان من القتل** مطلقا
بخلاف الكافر فانه لا يامن الا بامان او اداء الجزية والنفاق اسم اسلامي معناه اخفاء الكفر واظهار
الاسلام ماخوذ من نافقا اليربوع او من النفق بمعنى السرب **ورحمة للكافر بتاخير العذاب** وفي
نسخة المؤمنين والكافرين والمنافقين بالجمع والمراد تاخيره لما بعد الموت واما عذاب الدنيا بالقحط
وغيره فلا يختص بطائفة وقيل المراد نفي الاستيصال والمسخ والخسف واورد عليه ايضا ان المنافق
والزنديق سواء ادخل فيه وفي الكافر عذابه مؤخر ايضا فالظاهر اشتراكهما فيه وتميز المنافق باجراء
احكام الاسلام عليه ظاهرا او يقال انه اراد في كل قسم ذكر رحمة مخصوصة من غير تخصيص والامانات
انسب بالمنافق للعموم ثم ذكرات من رحمة الكافر ايضا الشفاعة له من هول الموقف ورحمته لسائر المخلوقات
فابضة اذ لولاه ما خلقت فتامله **وقال ابن عباس** في تفسير هذه الآية من شموله العالمين **هو رحمة
للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا** اي عافاهم الله بالعفو عنهم عاجلا **مما اصاب غيرهم من الامم
الكاذبة** للانبياء السالفة فان الله عاقب من كفر بهم بالاستيصال والخسف والمسخ وما نزل عليهم
من السما فلا يرد من قتل في غزوات ههنا واما النفاق فلم يشتهر في الامم السالفة حتى يعلم حكمه
وقول ابن عباس هذا مسندا اليه في الطبراني ودلائل البيهقي وفي تفسير ابن جرير وابن ابي حاتم
وحكي انه عليه السلام قال لجبريل حكي بالبنا للمجهول كما صححه البرهان في المقتفي فهو مقطوع عن كلام
ابن عباس وما قيل من كونه مقطوعا غير مقطوع به بعيد ويجوز بناؤه للفاعل وهذا لم يوجد في شيء
من كتب الحديث نقله كما في تخريج السيوطي وغيره **هل اصابك من هذه الرحمة شيء** فيه اشارة الى انه
مرحوم مقرب وانما السؤال عن رحمة زايدة نالته من رحمة النبي وهذا ان كان من كلام ابن عباس ناظر لما في
الآية على مختاره الاول فكانه قال هل دخلت في العالمين فناسب السؤال لارادة الثقلين وان كان على الثاني
فكانه قيل هل دخل في الخلق واصابه شيء من هذه الرحمة وقيل الاشبهة في انه واسطة كل رحمة وخير وان رحمة
اصابت جبريل وسؤاله انما ليعترف ويتحدث بالنعمة او للتلذذ او من باب طرح المسئلة والاختبار وهذه
كلها امور واهية وجبريل غير محتاج للاعتراف وكثرة اجتماعه به تغني عن التلذذ وطرح المسئلة لمن يشي
قال نعم كنت اخشى العاقبة بتقدير مضاف اي سوء العاقبة السيئة بجعل التعريف للعهد بقرينة
الخشية فانها بمعنى الخوف وانما يكون في المكروه والعاقبة ما يعقب الشيء ويحصل منه خيرا كان او شرا
فامنت بفتح الهمزة المقصورة وكسر الميم الخفيفة مبني الفاعل من الامن ضد الخوف وياتي فيه ضبط غير
مقبول **لثناء الله علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين** عند الله في علمه
او حكمه او قضائه اذ ثناء العظيم يقتضي رضاه وقبوله وهو لا يرضى ويقبل الا من كان مرحوما مقربا منه
فلما علم ذلك من القرآن الذي هو رحمة نازلة لمحمد صلى الله عليه وسلم اطمان خاطره وامن سوء الخاتمة
واما ما ورد من انه قال ما جفت لي عين منذ خلقت النار مخافة ان اعصي فيقذفني فيها وان الله قال
له لم تبكي وقد آمنتك فقال من يامن مكرك كما في الاحيا فهو لا ينافي ما ذكر لان المقرب لا يزال خائفا
ممن يهابه فانه لا يامن مكر الله الا الكافرون او لانه من عظمة الله قد يذهل عن الامان وقد صرح في الآية
بامور منها القوة وهي معلومة من الاحاديث الواردة في اقتلاع المداين والجبال واهلاك مصحفه كل من

الخمور

سمتها وهبوطه الارض وصعوده في طرفة عين الى غير ذلك ومكانة منزلته عند الله جلت عظمته
وشانه ولذا قال ذي العرش ولم يقل الله ونحوه وقربه من سرادقات عزه الى ما يصل اليه غيره من المقربين
وهو مطاع في السماوات والارض امين على سر الغيب والوحي وعلى موازين القيمة واختلفوا في رسول
كريم والاصح انه جبريل لقوله ولقد رآه بالافق المبين فان الرائي هو النبي صلى الله عليه وسلم وهو المعبر عنه
بصاحبكم والمرئي جبريل في صورته الاصلية وقد مر ان امنت بزنة علمت مبني للفاعل وقال التلمساني
انه مبني للمفعول بضم الهمزة ولم يرد على ذلك ولم يسنده لراويه والمشهور خلافه وعليه فان كان بتشديد الميم فهو
ظاهر وان كان بتخفيفها فهو ركيك جدا لانه ان كان من الامانة ضد الخيانة فهو غير مناسب للمقام وان كان من
الامن فكذلك لا لان امن لازم فهو متعد الا ترى قوله لا يامن مكر الله بل لان مفعوله الثاني يكون من المعاني دون
الذوات فيحتاج لتقدير وحذف لان اصله امن سوء عاقبتي ومثله لا داعي له وكريم بمعنى جامع لانواع الخير
ففيه شهادة له بعلو الرتبة وليس المراد كريم مرسله كما قيل به في القي الي كتاب كريم وان جاز وسياتي الكلام
على هذه الآية في الفصل الخامس من هذا الباب **وروي عن جعفر** تقدمت ترجمته **في قوله تعالى** في سورة
الواقعة فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين **فسلام لك
من اصحاب اليمين** في هذه الآية وجوه ذكر منها هنا ما روي عن جعفر الصادق لمناسبته لكونه صلى
الله عليه وسلم رحمة ونعمة تامة ولما عقد له الفصل من ثنا الله وهو قوله فسلام اي سلامة لك يا محمد من
اصحاب اليمين **اي بك** فسره به بنا على ان اللام تعليلية والعلة والسبب متقاربان وان فرق بينهما
اي لاجلك ولاجل كرامتك ومعناه انه **انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم**
قد جعل الله في هذه الآية من حضره الموت ثلاثة اقسام مقربون واصحاب اليمين ومكذبون ضالون
فالمقربون فسرهم ابن عطية بوحصين الاول الاصناف الاربعة المنعم عليهم في قوله تم اوليك مع الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والثاني من لا حساب عليهم من المؤمنين وقد
فسر به السابقون ايضا في قوله ومنهم سابق بالخيرات واصحاب اليمين من غلبت حسناته سيئاته او
عفي عنه ولو بعد حين والمكذبون الضالون الكفرة والمنافقون وله تفصيل في التفسير لا ينبغي تكثير السواد
به وفسر مكي قوله فسلام لك من اصحاب اليمين بان الله سلمه من عذابه قيل وعليه الخطاب بقوله لك للمحتضر
المذكور اولا واصله فتسلم انها المحتضر سلاما حاصلا لك فحذف الفعل ورفع سلام بعد نصبه مفعولا
مطلقا ليدل على الدوام والاستمرار وقوله لك صفة سلام ومن تعليلية اي من اجل انك من اصحاب اليمين
وقيل الخطاب بقوله لك النبي صلى الله عليه وسلم وسلام مبتدا ولك خبره ومن اصحاب اليمين حال من الضمير
المستكن في الخبر اي فلك يا محمد سلامة من جهة اصحاب اليمين او من اصحاب اليمين خبره ولك حال واللام
تعليلية اي سلامة وامن من جهة اصحاب اليمين حال كونه ذلك لاجلك لشفاعتك فيهم وهذا مراد جعفر
وقدم الجار والمجرور الذي هو حال على عامله وهو متعلق بمن اصحاب اليمين لافادة الحصر اي انما سلم اصحاب
اليمين لاجلك ومن للابتدا اي سلامة ظهرت منهم انما هي لاجلك قلت انما المجرد المبالغة لان اصحاب
اليمين لم يكونوا مقربين ففيهم ما يقتضي عدم السلامة فكانه قيل انما سلموا لاجلك ولكرامتك على الله ولا
قلب في الآية وقال قتادة المعنى سلموا من عذاب الله وسلمت عليهم الملائكة او المعنى لك يا محمد منهم سلام
تحية اذ يزورنك في الجنة وقيل المعنى يدعون لك بان يصلي الله ويسلم عليك او هو تحية اصحاب
اليمين ففي السلام هنا اقوال هذا محصل ما في الشروح على طول فيه وهو رد لما في شرح ابن الحنبلي
من انه على قول الصادق في الآية قلب والمعنى فسلام منك حاصل بالمعنى المذكور لهم ففسر لك بقوله
بك لانه واقع موقع منك اي من اجلك وفي الغالب تسمية على شرفا اصحاب اليمين كما في عكس التشبيه في

شبكة الألوكة
www.alukah.net

غوقوله • وَبَدْرُ الصَّباحِ كَانَ غُرَّتَه • وَجهُ الخَلِيفَةِ حِينَ يُمتَدَحُ •

فان افادت الآية ان ليت سلام منهم الا من اجل كوا منك بمعونة المقام فانما المبالغة مع الحصر والا فلمجرد المبالغة كما في الجنى الداني عن ابي عطية ان انما لا تفارقها المبالغة فان ساعد المعنى على الحصر صح والا بقيت للمبالغة وقيل المعنى فسلام لك اي مسلم لك ومن اصحاب اليمين مستانف بتقدير انك من اصحاب اليمين وقيل المعنى فسلام لك منهم لانهم معك في الجنة واللام بمعنى على وقيل معناه تقول الملائكة لمن مات من اصحاب اليمين مبشرين له بشارة بين سلام لك انك من اصحاب اليمين انتهى • اقول الظاهر ان مراده السلام بمعنى السلامة من العذاب واللام تعليلية بمعنى الباكام وقوله انما الخ بيان لحاصل المعنى المراد واصحاب اليمين بمعنى الغايرين لان اليمين يتبرك بها كما يتشام بالشمال ولك متعلق بمقدر وهو كاين ومن متعلقه بمعدود اي سلامة المعدود من اصحاب اليمين لاجلك اولك متعلق به مقدم من تاخير لافادة الحصر اي لم يجعلهم الله من اصحاب اليمين الا بسببك اي لاتباعهم او لشفاعتك لهم وفيه اقامة الظاهر مقام المضمر وتوضيحه ان في الآية معان كما مر اختار منها المص ما ذكر لافادته ما ذكر من ثناء الله على نبيه فان اما نفصل بينهما وبين جوابها بشي من اجزا الجواب مفردا او في حكمه كجملة الشرط فما بعد الفا جملة هي جواب الشرط وسلام مبتدا لان اصله سلام ولك خبره ومن اصحاب الخ حال من المضاف المقدر او من الضمير المستتر في الخبر والمعنى ان كان من اصحاب اليمين فسلامهم لاجلك وان كانوا من اصحاب اليمين والحصر من سياق التقسيم او من التعليل فلا قلب كما توهم فتدبر • وقال الله تعالى الله نور السموات والارض الآية اي اقرا الاية او اذكرها وهي الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الخ وفي هذه الآية اسرار ولطايف افردها بالتاليف الامام الغزالي في كتاب سماه مشكوة الانوار وفيه فوايد جمة وكذا الامام السهيلي قال كعب هو كعب الاحبار ابن ماتع بالمثناة الفوقية ابن هنوع ويقال عمرو ابن قيس بن معن بن جشم بن عبد شمس بن وايل بن عوف بن حمير بن قطن بن عوف بن زهير بن ايمن بن حمير بن سبا الحميري التابعي ادرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره واسلم في خلافة ابي بكر وقيل في خلافة عمر وصحبه واكثر الرواية عنه وعن غيره من الصحابة وروى الصحابة عنه ايضا وكان ادرك الجاهلية على اليهودية وسكن اليمن ثم سكن حمص بعد اسلامه وبها توفي في خلافة عثمان سنة اثنين وثلاثين ويقال له كعب الحبر بفتح الحا وكسرها لكثرة علمه واخرج له اصحاب السنن وغيرهم وابن جبير هو سعيد بن جبير الوالبي مولاهم ابو عبد الله وابو محمد التابعي العابد الزاهد الثقة احد اعلام رواة الحديث روى عن ابن عباس وغيره وروى عنه من لا يحصى وخرج له اصحاب السنن وغيرهم وقتله الحجاج ظلما في سنة خمس وتسعين ولم يسلط على احد بعده بدعوته عليه وقصته معه مشهورة المراد بالنور الثاني محمد صلى الله عليه وسلم النور من نار ينور اذا نفر ومنه نوار الظبية وبه سميت المرأة نوما لمنع له لانتشاره او لازالته الظلام فكانه يبقى منه ثم الطلوع على الله وعلى النبي والقرآن كما في هذه الآية وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم لك الحمد نور السموات والارض ومن فيهن والنور كما بينته في عناية القاضي عند الحكما كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها ساير المبصرات كما يفيض من النيران على الاجرام الكثيفة وزعم بعضهم انه اجزاء صغار تنفصل من المضي وتتصل بالمستضي كما فصلوه في كتبهم ويقرب منه الضوء الا ان الزمخشري قال الاضاءة فرط الانارة فقيل انه جعل الضوء ابلغ من النور لقوله تعالى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وانكره في الفلك الداير وقال ليس له في اللغة شاهد ولا في الاستعمال مساعد وقد سوى بينهما ابن السكيت ولا دليل في الآية واجيب بان كلام ابن السكيت بحسب اصل الوضع وما ذكر بحسب الاستعمال كما في الاساس والتحقيق ما في الكشف من ان الضوء فرع النور وهو الشعاع المنتشر ولذا اطلق النور على الذوات دون الضوء ولكن الابصار بتخلية الضوء كما فيه مبالغة

من جهة

من جهة اخرى وتنويره ما حققته في الروض الانف في قوله • ورقة هم •
وَيَظْهَرُ فِي البِلادِ ضِيَاءُ نُورٍ • يُقِيمُ بِهِ البَرِيَّةَ ان تَمُوجَا •

فان في البيت ما يوضح الفرق بينهما وان الضيا الشعاع المنتشر عن النور فالنور اصل ومبدوه كما قال تعالى فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وجعل الشمس ضياء لان القمر لا ينتشر عنه ما ينتشر عنها لا سيما في طرفي الشهر ولذا سمى الله نورا دون ضياء فعلم ان بينهما فرقا لغة واستعمالا وان في كل منهما معنى من جهة وان اطلاقه على الله وجهه ظاهر فسقط ما قيل ينبغي ان يكون النور على الاطلاق قوي لقوله الله نور السموات لكنه انما يتجه اذا لم يكن بمعنى المنور والظاهر ان اطلاق النور على الله مجاز اما بمعنى المنور او استعارة الا ان الغزالي قال في المشكاة انه حقيقة لان المنور معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره فان فهمت فهو نور على نور وهو مثل لما قاله الحكما الاشراقيون قال العلامة في شرح حكمة الاشراق الله نور السموات والارض لا بمعنى منورهما على ما يقوله بعض المفسرين من باب اطلاق اسم النور عليه بل بمعنى انه محض النور البحت وان ساير الانوار رشح من نوره انتهى وقد عرفت ان النبي صلى الله عليه وسلم سمى نورا ايضا وتفسير النور الثاني به كما قاله ظاهر الا ان قوله وقوله تعالى مثل نوره اي نور محمد المثل المماثل والمشابه والصفة العجيبة وللامام الغزالي كلام لطيف في النور نورده وان طال لان كلام الحبيب لا يمل وهو ان النور يشير الى الظهور وهو امر اضافي فقد يظهر الشي لانسان ويبطن عن غيره واضافة الظهور الى الحواس المدركة اقوى واجلاها حاسة البصر والاشياء بالنسبة اليها ثلاثة اقسام ومنها ما لا يبصر بنفسه كالاجسام المظلمة ومنها ما يبصر ولا يبصر به غيره كالاجسام المضية من الكواكب وغيرها ومنها ما يبصر بنفسه ويبصر به غيره كالشمس والسراج والنور اسم لهذا القسم الثالث وهو عبارة عما يبصر بنفسه ويبصر عنده غيره وقد يطلق على ما يفيض منه على ظواهر الاجسام الكثيفة فيقال وقع نور الشمس على الارض لما كان سر النور وروحه هو الظهور للادراك وكان الادراك موقوفا على وجود النور فهو الظاهر المظهر واسم النور بالنور الباصر احق منه بالنور فلذا اطلق على نور العين المبصرة وقالوا للاعمى فقد نور البصر فسموا الروح الباصر نورا الا انه موسوم بانواع النقصان فانه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا ما بعد ولا ما هو وراء حجاب ويبصر الظاهر دون الباطن ولا يبصر ما لا ينتاهى ويغلط كثيرا فيرى الكبير صغيرا وعكسه والبعيد قريبا وعكسه والساكن متحركا والمتحرك ساكنا • ثم ان قلنا ثم ان في قلب الانسان روحا ونفسا انسانية وعقلا وهي اولى باسم النور من هذه لسلامتها من تلك النقايص الا ان المبصرات ليست عندها متساوية لتفاوتها بالبداهة ونحوها وعند اشراق انوار الحكمة يصير العقل مبصرا بالفعل بعد ان كان مبصرا بالقوة واعظم الحكمة كلام الله فمنزلة ايات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة اذ به يتم الابصار فلذا سمي القرآن نورا فقال والنور الذي انزلنا فالعين عينان عين ظاهرة هي من عالم الشهادة وباطنة من عالم الغيب دقيقة اذا كان ما يبصر نفسه وغيره اولى باسم النور فان كان من جملته ما يبصر به غيره ايضا مع انه يبصر نفسه وغيره فهو اولى باسم النور الذي لا يؤثر في غيره اصلا بل بالحري ان يسمى سراجا منيرا لفيضان انواره الى غيره وهذه الخاصة توجد للروح القدسي النبوي اذ تفيض بواسطته انواع المعارف على الخلايق وبهذا ظهر معنى تسمية محمد سراجا منيرا وكذا الانبيا والعلما وان تفاوتوا والذي يقتبس منه السراج جدير بان يكنى عنه بالنار وهي التي تونس من جانب الطور وهذه السرج الارضية انما تقتبس من انوار علوية والروح القدسي النبوي يكاد زيته يضي ولو لم تمسسه نار ولكن انما يصير نورا على نور اذا مسته النار ويقابل النور الظلمة والظلمة اشد من كتم العلم انتهى • وقد اعترض على عبارة المص بانها غير محررة وآخرها منا في لاولها لان اولها يقتضي ان النور اطلق على النبي هنا فانه يطلق عليه كما مر فاذا كان المراد بالنور في قوله مثل نوره محمد

فاللايق التفريع وان يكون الضمير راجعا الله سبحانه والمعنى مثل نبيه فقوله مثل نوره اي نور
محمد لا يصح بوجه والموافق ان يقول نور الله اي محمد واجيب بانه غير وارد لانه ليس كلاما واحدا
صدر من كعب وابن جبير بل كلامان اولهما لابن جبير وثانيهما لكعب على اللف والنشر المشوش معنى عما
قيل من ان اضافة النور لمحمد بيانية فالنور منحصر في ذاته وعلى غيره الاضافة للتشريف والتعظيم ورد
بانه ليس في كلامه قرينة تدل على ما قاله ولم يقله غيره والمنقول عن كعب وابن جبير ان الضمير المجرور لمحمد
كما نقله المصنف عنهما وهو المنقول في تفسير القرطبي والوقف الحسن على الله نور السموات والارض فقول
المصنف المراد بالنور الثاني محمد يعني به ان المقصود من النور الثاني ما به شان محمد فليس محمولا عليه بل
هو غايته انه يجوز في العبارة وهذا اقرب واسلم من التكلف الا انه لا ينبغي منع كون الاضافة بيانية
ايضا اقول هذا محصل ما قالوه من الاعتراض والجواب وانت اذا تاملته رايته متعسفا ومثله لا يخفى
على هؤلاء والذي ظهر لي ان المراد ان النور الثاني محمد صلى الله عليه وسلم بطريق المجاز والاول هو الله
اضيف لجميع مخلوقاته للتعميم والثاني مضاف اليه للتشريف والتعظيم والثالث اضافته كلجين الما
اي بيانا للتشبيه الذي بنيت عليه الاستعارة فالمعنى الله نور عم نوره جميع مخلوقاته وخص نبيه
منه باوفر اسم منه فسماه باسمه والبسه حلته كما البسه الرافة والرحمة ثم فسره بنور محمد اي هو محمد
النور المبين وبهذا ترتبط الآيات بما قبلها وياخذ كلام المصنف بعضه بحجز بعض وينشط من الاشكال كما
ينشط العجل من العقال وفي نسخة محل ولا غبار عليها **وقال سهل** بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله
بن رفيع التستري الصالح المشهور الذي لم يسمح الدهر بمثله علما وورعا وله كرامات مشهورة صحب
ذا النون المصري بمكة وتوفي سنة ثلاث وثمانين في المحرم وقيل سنة ثلاث وسبعين ومايتين بالبصرة
ومولده سنة مايتين وقيل احدى ومايتين بتستر وهي بلدة من كور الاهواز ويقال ششتر بمعجمتين
وبها قبر البراء بن مالك وقال النووي هي بمثناتين من فوق الاولى مضمومة والثانية مفتوحة بينهما
سين مهملة ساكنة مدينة بخوزستان **المعنى الله هادي اهل السموات والارض** هذا التفسير
هو الماثور عن ابن عباس رضي الله عنه وقال الامام الرازي في شرح الاسما الحسنى هذا حسن الا ان التفسير
في الاسما الحسنى التسعة والتسعين لا يجوز لانه يصير تكرارا محضا واجيب بانه يجوز ان يكون الهادي
اعم كما قالوه في الرؤوف والرحيم او يعتبر فيه هداية بالغة الى حد لا يتناهى فيحصل به المغايرة في الجملة
كالرحمن الرحيم وقوله لا يجوز لا وجه له فان له نظاير في هذه الاسما وفي شروح الكشاف معنى نور السموات
والارض هادي العالمين يبين ما يهتدون به ويتخلصون من ظلمات الكفر والضلال بوحي منزل
ونبي مرسل والتاويل الذي عليه التعويل لما يساعده النظم سياقا وسباقا وما قبله من قوله انا انزلنا
اليها اشارة في ضمن ما يبين من الاحكام الى نزاهة ام المؤمنين وطهارة ساحة افضل المرسلين
هذا نبها الى معالم الحكم فذكر بعدها انه الهادي ثم قال يهدي الله لنوره فاخذ الكلام بعضه بحجز
بعض فما قيل من ان تشبيهه بالنور في الهداية وبناء كلام ابن عباس عليه مستبشع عندي كلام لا وجه
له فاي استبشاع في مثله وفي ذكر اهل اشارة الى ان الاضافة في الاية للسموات والارض مجازية
يجوز في نسبتها الاضافية كما في قوله تعالى مالك يوم الدين او هو بتقدير مضاف والاول اولى وفي
بعض الشروح الرواية عن المصنف قراءة عليه نصب اهل والمعروف الكسر **ثم قال** اي سهل رضي الله عنه
مثل نور محمد اذ كان مستودعا في الاصلاب وفي نسخة في اصلاب آبايه وهذا من تتمة
تفسيره المذكور وقيل انه ملي تفسير آخر منقول عن سهل ايضا كما نقله عنه البغوي في تفسيره والظاهر
الاول لان قوله ثم نص فيه والضمير المستتر في كان راجع لنور محمد او لمحمد نفسه ورجحه بعضهم بان محمدا

كان

كان في صلب آبايه لا نوره وفيه نظر اي مثل نور محمد وصفته العجيبة وقت كونه في الاصلاب
جمع صلب بضم فسكون وقد يضم اللام اتباعا وفيه لغات تقدمت واصل معناه الشديد وسمي به
الظهر وعظم فيه عند ما بين الكاهلين الى عجب الذنب وهي فقار الظهر الممتدة فيه كالسلسلة فقيل كان
نوره في جبهة آبايه من آدم الى ابيه عبد الله وهو نور حسي كالقمر في الليلة الظلما والمستودع في الاصلاب
مادة جسمه اللطيفة والنور تابع لتلك المادة وكان يظهر في امهاته ايضا كما ورد في صحيح
الاخبار واستيداعه في الاصلاب وجوده فيها كما قيل

انواره كانت بجبهة آدم	لا تختفي عمن له عينان
وبصلب آدم كان وقت هبوطه	وبصلب نوح وهو في الطوفان

قلت انكر اولا ان يكون النور في الاصلاب ثم اعترف به وكونه تابعا للمادة يقتضيه اقتضاء ظاهرا
والمستودع بالفتح سياتي بيانه **كمشكاة صفتها كذا** في نسخة وصفها كذا وكذا كناية على قوله فيها مصباح الخ
فانها استعملت كذلك اي صفة نور محمد كصفة نور مشكاة والمشكاة كوة غير نافذة والكوة بفتح الكاف وضمها
اسم ما لا ينفذ ولا يخرج وقيل انها معربة من الحبشية وقيل هي القنديل وقيل موضع الفتيلة وقيل معلاق القنديل
القنديل وقيل الفتيلة ماخوذ من الصباح او الصباحة والسراج الفتيلة الموقودة والناس تطلقه على محلها
وهو مجاز مشهور هذا معناه لغة واما المراد هنا فاشار اليه المصنف بقوله **واراد بالمصباح
قلبه وبالزجاجة صدره** الزجاجة بالضم وهي مثلثة لكن هذا اعرفها وافصحها وعلى ما ذكره الم
تكون المشكاة صدره الشريف وكون القلب في الصدر اي في جانبه الايسر مما لا شبهة فيه وهذا من تتمة
كلام سهل وقيل انه ليس منه وللسلف تفاسير اخر هنا منها ان المشكاة ابراهيم وآباه والزجاجة اصلابهم
والمصباح نوره صلى الله عليه وسلم المستودع فيهم كما سياتي في شعر العباس وانما جعل المصباح في المشكاة لانه
يكون فيها اقوى ضوءا وقيل المشكاة ابراهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد عليه السلام **اي كانه** اي
صدره **كوكب دري** في الزاهر لابن الانباري الدري الكوكب المضيء وفيه خمس لغات ضم الدال وكسرها
وفتحها مع الهمزة وبدونها مشددة الياء قيل انه منسوب الى الدر في حسنه وصفائه بوزن فعلي وهو بالضم
والهمز فعيل من درأ اي الكوكب جرى او دفع او طلع بغتة وهو شاذ لان فعيلا ليس من ابنية العرب وبريق اسم
العصفور اعجمي وعده سيبويه من ابنيتهم وقال ابو عبيدة اصله دروء فجعلت الضمة كسرة والواو
ياء كما قالوا في عتو عتي ومن قال دري بكسر الدال الكسرة من اجل الياء التي بعد الياء لمجانسة لها ومن قال
انه منسوب للدر بناه على عدم فعيل فالهمزة من تغييرات النسب وعلى الكسر هو فعيل كشريب وسكيت صفة
مشبهة وهو افصحها والضم نادر والقول بانه لحن غير صحيح غير صحيح لتواتر وروده في القرآن واما
دري بفتح الدال والهمزة فشاذ لا نظير له الا سكينة بفتح السين في لغية حكاها ابو زيد فقد روي بمعنى
متلالئ مشرق غاية الاشراق ولم يجعلوا الضمير للقلب لاستتاره قيل ولم يشبه بالقمر والشمس لما يعرض
لهما من الخسوف والكسوف ورد بان المصباح يعرض له الانطفاء بالكلية وهو قابل له في كل وقت فالصواب
ان يقال ان هذا اوفق بالتشبيه باعتبار ان النيرين لا يحويهما مكان ضيق ينيران فيه وايضا اشراقهما
عام للبر والفاجر بخلاف المصباح ولو تركوا هذا كله لكان احسن **لما فيه من الايمان والحكمة** ضمير فيه للصدر
وجعل ذلك فيه بواسطة القلب ولو ارجع للقلب لم يبعد والحكمة العلم النافع ولا وجه لتخصيصه بما يعلم
القرآن وقيل المراد بها هنا النبوة كما في قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة **توقد من شجرة
مباركة** في توقد لغات بالفوقية والتحتية والضم والفتح على الماضوية والمضارعية ولا تعيين لشيء منها
هنا وذهب بعضهم الى انه بالفوقية المفتوحة ماض كتكسر وايثاره على قراءة توقد بضم المثناة التحتية وفتح القاف

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المحققة لان الضمير فيها اما للمشكاة او للزجاجة والضمير في الاول انما هو للمصباح مرادا به القنديل
الذي في الزجاجة ونسبة التوقد اليه اولى من نسبة الايقاد اليهما وان قيل وقرئ المسجد مع ما في
التوقد المكمل به الاصل المشبه به الشارية الى فرعه ومن لابتداء اي ذلك المصباح يوقد من زيت هذه الشجرة
ومباركة بمعنى متيمن بها لكثرة منافعها وثباتها وللزيتون بركة عظيمة مشاهدة حتى ذكر في كتاب الفلاحة
ان الحكما كانوا يضعون شيئا من اغصانها في بيوتهم في راس كل سنة تبركا بها **اي من نور ابراهيم** اي المراد
يتوقد المصباح من نور هذه الشجرة ووصول نور النبوة من ابيه ابراهيم اليه لان النبي شبه بالشجرة وابراهيم
ابو الانبيا وجد نبينا ودعوته **وضرب المثل بالشجرة المباركة** المثل كلام شبه مضروبه بمورده وضربه
ذكره كما في ذلك من ضرب اللبن والخاتم اذا صنعه على قالب مخصوص فضربه بمعنى بيانه ويكون المثل تشبيها
واستعارة تمثيلية في الاكثر والمراد الثاني لانه شبه نبوة محمد صلى الله عليه وسلم المتصلة بابيه ابراهيم
ونسبه المتصل به بمصباح اضاء بزيت من شجرة مباركة واقتصر على بعض اجزاء التمثيل لظهور باقيه وفائدة
التمثيل كما في الكشاف وابراز المعقول في هيئة المحسوس ليتضح ويرسخ في الاذهان ولذا كثر في الاحاديث
والكتب الالهية وفي بعض الشروح كما ضرب مثل صدر محمد بالزجاجة وقلبه بالمصباح وما فيه من الايمان
والحكمة والعلم بالنور وضوء المصباح الذي تحقق توقده من نار زيت هذه الشجرة ووصفها بلا شرقية ولا غربية
اشارة الى ان ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا بل حنيفا مسلما كما فسره به ابن عمر لان النصارى تصلي للمشرق
واليهود للمغرب وعلى ما اختاره المص بعد قوله تسهل فسقط ما قيل من ان التقدير كمصباح في مشكاة اي كمثل ضوء
في مشكاة بناء على ان في جانب المشبه قلبا كقوله • وكان النجوم بين دجاها • سنن لاح بينهن ابتداع •
وفي شرح البخاري ان هذا الذي حكاه المص من ان المصباح كناية عن قلب محمد والزجاجة عن صدره والشجرة
المباركة عن ابراهيم تاويل بعيد عن ظاهر القرآن والصحيح ما عليه جمهور المفسرين من انه تعالى ضرب هذا
مثلا لنوره وتمثالا لقصور افهام الخلق اذ لولاه ما عرف الله قال وما اشبه هذا التاويل بتاويل المفضل
قول الفرزدق • اخذنا باطراف السماء عليكم • لنا قمراها والنجوم الطوالع •
لما سال الرشيد عنه فقال اراد بالقمرين ابراهيم ومحمدا صلى الله عليه وسلم وبالنجوم الطوالع انت واباك
فقال له احسنت انتهى وفيه نظر **وقوله يكاد زيتها يضيء اي تكاد نبوة محمد تبين للناس قبل
كلامه** اي تكليمه ودعواه النبوة وتحديه كهذا الزيت تبين مضارع بان بمعنى اتضح والكلام يكون مصدرا
بمعنى التكليم كقوله • فان كلامها شفاء لما بيا • او المراد به ما يتكلم به فيقدر مضاف اي قبل ايراد
كلامه الذي يتكلم به وقبل ان يوحى اليه فعلى هذا شبه نبوة محمد بزيت اخذ من شجرة للاضاءة فان النور المحمدي
الماخوذ من النور الجليل سبب لاضاءة سراج قلبه الذي اضاء به الكونان وشبه الكلام بالنار لاظهار النبوة
والدين واورد عليه ان نور محمد كان في الاصلاب قبل خلق جسمه وما فيه من قلب وصدر فكيف يصح تشبيه القلب
والصدر بما مر الا ان يقال اصل المادة موجود مع كل واحد من اجزائها الاصول في الاصلاب كما ياتي من تعلق
الروح به فيتم التشبيه والاوجه ما روي عن كعب من انه مثل ضربه الله لنبيه ثم قال المشكاة صدره والزجاجة
قلبه والمصباح قلبه يوقد من بحرها ومحاسنه تظهر قبل الكلام وان يوحى اليه فاذا فسر النور بمحمد والمشكاة
بالصدر فالمراد مثل ذي مشكاة لان التشبيه باعتبار بعض الاجزاء فلا تقدير انتهى • وقيل اضاءة الزيت
قبل ان تمسه النار اشارة الى نبوة ابراهيم التي هي بمنزلة زيت تلك الشجرة وهكذا ايمانه يكاد يتبين للناس قبل
كلامه فاشار الى ذلك مكتفيا بذكر احدهما حالة للاخر على المقايسة بقوله كهذا الزيت والاشارة للذي في
الاية الموصوف بالاضاءة قبل المساس للنار فالايضاح كالاضاءة كما ان الخفا كالاظلام والتكلم كالمساس للنار
في ان تستظهر سره عليه وقد قيل في الاية غير هذا من الوجوه المنقولة في التفاسير واقتصر المص على ما ذكره

لما فيه من الثنا على النبي صلى الله عليه وسلم **وقد سماه الله نورا وسراجا منيرا** لما ذكر انه بعضهم فسر النور
في مثل نوره بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو مما استبعده كثير من العلما اردفه بما يغني عنه ويرفع الاستبعاد عنه
فقال ان الله اطلق عليه النور في غير هذه الاية حيث سماه نورا على ما تقدم في كلام الغزالي وغيره من انه المرشد
الهادي للناس بما عليه من الانوار القدسية والمبين للناس النور والمظهر لغيره ما خفي عليه **فقال قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين** الخطاب لاهل الكتاب في قوله يا اهل الكتاب قد جاءكم الخ وقد فسر النور بالاسلام والكتاب
شامل للتورية والانجيل وكانوا يخفون ما فيها من صفات النبي وغيره فلذا فسر بالتورية وبالقرآن فسماه نورا
لكشفه ظلمات الجهل والضلال ولذا وحد الضمير وحده لاتحادها وعلى هذا فلا شاهد في هذه الاية وقيل المراد
به النبي صلى الله عليه وسلم ووحد الضمير لاتحاد الطريق في هدايتهما فان خلقه القرآن كما سيجي **وقال انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه** الاذن على ظاهره لان امره اذن له والمراد
به الارادة فانه كثيرا ما يعبرون به عنها وعن الامر كما في مجاز القرآن لابن عبد السلام وفسر بتوفيقه ايضا وتيسيره
وسراجا منيرا واطلاق النور من بيانه واطلاقه على النبي والاسلام والقرآن فان كلا منها تتقوى البصيرة
على ادراك المحسوسات وسماه شاهدا لانه يشهد على امته بالقبول والانكار وعلى الرسل بالتبليغ وعلى اممهم
وهو المبشر لهم بالجنة ونعيمها والنذير بضده لمن يكفر وهو الداعي الى توحيد الله وطاعته وتشبيهه بالسراج في
غاية الوضوح والبلاغة لانه يستضيء من الوحي ويضيء للناس بما امرهم به ففيه من البلاغة ما ليس في قوله
شمسا وقمرا ووصف السراج بانه منير للتوكيد وقيل لان السراج ما لا يضيء اذا دق فتيلته وقل زيته وقد قيل
يضيء رسول بطي وسراج لا يضيء وما بره ينتظرها من يجي ومن هذا القبيل الذي عقد هذا الفصل لذكره ما
اثنى الله على نبيه **الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة** الهمزة لانكار النفي ونفي النفي اثبات فالمناسب
عطف المثبت عليه وقوله الى اخر السورة يقتضي انها كلها ثنا من الله على نبيه فان الكلام فيه والثنا بحسب
الظاهر انما هو في اوائلها الى قوله ورفعنا لك ذكرك قلت هذا بحسب بادي النظر كما قيل وعند التحقيق
هي باسرها فانها على نعم انعم الله بها على رسوله وهي متضمنة للثنا عليه بما اعطاه من الكمال الذي لم ينله سواه
ولا يدانيه فيه احد وهو من ابلغ الثنا ففي قوله ان مع العسر يسرا اشارة الى انه ثبت جاشه لما انفتح من الشرايع
كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر في مكابدة قومه وابتلائهم له وهو مداوم على الدعوة والتبليغ ثم انه بشره
بانه كون يسره وزاده على عسره فانه لا يغلب عسر يسرين على قاعدة اعادة النكرة والمعرفة المشهورة في قوله
فاذا فرغت فانصب اي اذا فرغت من التبليغ فانصب في العبادة اشارة الى انه ادى الامانة ونصح الامة
وتمت له النعمة المستحقة لا يبلغ الشكر وهو العبادة فالسورة كلها متضمنة لتعداد النعم عليه مع مدحه
والثنا عليه وامره بالشكر على ما اولاه والابتهال اليه لا الى غيره في كل ما ينوبه وبهذا تبين ان السورة من هذا
القبيل **شرح** اي وسع الشرح قال الراغب اصل معناه بسط اللحم ونحوه ومنه شرح الصدر وهو بسطه بنور
الهي وقال غيره هو التوسعة مطلقا فلا يختص بالظرف كما قيل انه من صفات الظروف باعتبار امكان ظرفيتها
للامور فوصف القلب به باعتبار انضافه بامور فاذا قيل شرح به اوله فهو متصف به واذا اطلق كما في الاية
فالمراد تحليته باليقين وتحمل المشاق من غير قلق ونحوه من الكمال ويراد به العزم وعدم الانقباض ومنه شرحت
الحديث اذا بينته وفسرته وشرحت اللحم وقطعته طولا وقد فسره هنا بالاخير بناء على انه بيان لشق قلبه
في صباه كما ذكره القاضي ومما يدل على ان اصل معناه الاتساع المقابل للضيق قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا وتفسير المص له بالماضي المثبت لان
الاستفهام الانكاري نفي معنى ونفي النفي اثبات ولم يقلب المضارع ماضيا واختاره في النظم على شرح
هو اوضح واوجز لانه ابلغ لانه ذكر الشي بلازمه وهو اثبات ببينة لانه كناية عن الاثبات اللازم له اذ ان الله

الألوكة
www.alukah.net

وسع قلبه للمناجاة للحق ودعوة الخلق او بما اودع فيه من العلم والحكم او بما يسره من تلقي الوحي بعد ما
شق عليه كما ذكره المفسرون **والمراد بالصدر هنا القلب** فهو تسمية للحال باسم المحل والظرف باسم
المظروف والقلب معروف وتفسيره بلطيفة يمتاز بها الانسان عما عداه ليس بشيء **وقال ابن عباس**
شرحه بالاسلام ويروى بالايمان اي التصديق الكامل المقرون بالعمل والكلام عليه وعلى الاسلام
ليس هذا محله اي بحلوله فيه وقبوله واذعانه حقيقة واتباع مقتضاه وهذا اخرجه عن ابن عباس ابن مردويه
وابن المنذر من طريق عطا وابن ابي حاتم عن عكرمة **وسهل** قد تقدمت ترجمته وقوله **بنور الرسالة**
قال الطيبي والرسالة هي رسالة الله اياه لتبليغ وحيه والمعنى انه شرحه برسالة تشبيهه بالنور لاظهارها
للشريعة وساير العلوم فهو كالجنين الماء او المراد اثارها المضاهية له فجعله مهبطا للحقايق والبا للتعدية
او للسببية **وقال الحسن** هو الحسن بن ابي الحسن البصري التابعي واسمه يسار بالتحتية والمهملة وهو
من اجل التابعين وهو في الزهد والعلم واظهار الحق بمرتبة عالية غنية عن البيان مكث ثلاثين سنة لم
يضحك ولم يخرج ولقي كثيرا من الصحابة وروى عنه احاديث كثيرة وحيث اطلق المحدثون الحسن فهو
المراد وجلالته لم يختلف فيها وانما اختلفوا في كونه لقي عليا رضي الله عنه وروى عنه فذهب كثير منهم الى
انه لم تثبت روايته ولا انه البسه خرقة المشايخ الصوفية قدس الله ارواحهم ونفعنا بسرهم على الطريقة
المعروفة منهم وذهب كثير من المحدثين الى انها بدعة لم تصح ولكن الجلال السيوطي صنف فيها جزءا لطيفا
وقال انها ثابتة واثبت ايضا ان الحسن اجتمع بعلي وكذا ذكره الحافظ ابن حجر فلا غرو بانكاره وسماع
الحسن محتمل له والمثبت مقدم على النافي فانه تولى الانصار وولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ومات
بالبصرة سنة عشر ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة وكانت امه تخدم ام سلمة زوجة النبي صلى الله
عليه وسلم فكان اذا بكى عندها في صغره وضعت ثديها في فمه فاصابه بركتها حتى صار تضرب به الامثال
في العلم والزهد والفصاحة وله قصة مع الحجاج مشهورة **ملاه حكمة وعلما** وروي كما في بعض النسخ حكما
بضم الحاء المهملة وسكون الكاف او بكسرها وفتح الكاف جمع حكمة وهي العلم بالحقايق النافعة والشرعية
والحكم بالضم ايضا يكون بمعناها كما ورد في الحديث ان من الشعر لحكما وحكمة وقيل انه يؤيد رواية الحكمة
هنا ما في حديث الشق من انه حشي ايمانا وحكمة والحكم بالضم الفقه او القضاء العدل او التصديق او الكمال
والعطف للتاكيد والتتميم وملؤه مجاز عن عدم سعة شي غيره او عن كثرته وقيل انه جعل على صورة جسم
ثم ملئ به ذو حقيقة وبعض اهل البصرة يرى الايمان والعلم يجسما شمعا ومصباحا ومشعلا وانا ارى
ذلك من ثمرتها كما سيجي انتهى وقيل معناه الم نطهر قلبك اي ننظفه من حظ الشيطان ودنس الاوهام
وهو اشارة الى ما ورد في شق صدره واخراج علقة سوداء منه وقوله هذا حظ الشيطان منك وسياتي
مفصلا مشروحا وفي بعض النسخ لك قلبك كما في الاية وزيادة لك مع عدم الحاجة لها قيل للاشارة الى
ان الله غني عن العالمين فاللام للتعليل اي فعلنا لاجلك لا لاجلنا لعدم احتياجنا لشي من المخلوقات
وفي تفسير القاضي انه للابهام قبل الايضاح فيفيد مبالغة وهذه النكتة جارية في نشرح ورفعنا
لك يعني انه لما ذكر الفعل علم ان ثمة مشروحا ومرفوعا ولما قيل اشتد اهتمامه وتوهم انه اعرض عن ذكره
فلما ذكر بعده صار اوقع في النفس والا لكن لانه في قوة ذكره مرتين مجملا ومعينا لان ذلك بمعنى لك
ثم لما قال صدرك عينه قيل والفصل للمتقدم حتى لا يؤذيك الوسواس قال ابن مالك فعلل ضربان
صحيح كدحرج وثنائي مكرر ككبكب ولهما مصدران مطردان فعللة وفعلال بالكسر كزلزال وهو فتح
فيه واما الفتح فورد فيه شاذ لكنه كثير في المكرر كتمتام وفافاء وهو للمبالغة كفعال في الثلاثي والحق
انه صفة ومن جعله مصدرا اريد به الفاعل او بتقدير ذو وهما الاداعي له كما جنح اليه الزمخشري ومن تبعه

انتهى

انتهى فعلى ما اختاره الوسواس بالفتح بمعنى الموسوس صفة حقيقة من غير تاويل فهو بمعنى
الشيطان وعلى ما اختاره الزمخشري يفسر بالوسوسة فانه مصدر عنده ويجوز تفسيره بالشيطان
على انه مجاز وتطهير قلبه مما ذكر من حظ الشيطان والوسوسة اما بان خلقه سالم الصدر وهو اشارة
الى ما ورد في الحديث الصحيح من شق صدره وقلبه واخراج علقة سوداء منه وقول الملك هذا حظ الشيطان
منك وغسله لما اراد الله تعالى تقديسه وتنويره بنور منه حال طفوليته ليستعد لقبول الوحي ومشاهدة
الملكوت ونحوه مما لا تطيقه القوى البشرية وهذا مما يؤذن بانه على حقيقته وظاهره ولا يحتاج
لتاويله وقد فسر شرح الصدر بهذا او قيل بقوة المجاهدة وقيل بعدم التوجه لغير الله وقال بعض الشراح
الاولى شرح الشرح بجمع الكمالات القلبية الشاملة لجميع ما ذكر جمعا بين الاقوال فان التخصيص بلا مخصص
غير متجه وبهذا يندفع الاشكال في هذه التفاسير وامثالها من انه ان ثبت كل منها بنقل فما وجه الجمع
بين النقول والا فما وجه العدول عن التعميم مع ظهوره فنقول مقصود السلف ان ما ذكر مراد من
غير حصر والوسوسة حديث النفس والهواجس والخواطر القلبية واصل معناها الهمس والاصوات الخفية
ولذا قيل الصوت الحلي وقد اشتهر ذلك في كلام العرب وما احسن قول علي الباخرزي في هذا المعنى

وخريدة تكسو الحلي اللابسا ✱ فاسبي الفؤاد بحسنها ما قاسي
حنت خلاخلها بنغمة ساقها ✱ ولذاك سمي جرسها وسواسا

وما احسن قول ابي الفتح البستي

يقال لهمس وسواس هديت به ✱ وقد يقال الصوت الحلي وسواس

وفي الحديث ان الله تجاوز عن امتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل به او تتكلم والكلام في انه
جميعه معفو وفيه تفصيل كما بين في محله لا حاجة للتطويل به هنا كما في بعض الشروح واما شق الصدر
وما فيه فياتي فلا حاجة لتلقي الركبان به **ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك** الوزر
الحمل الثقيل ووضعه ازالته عنه لانه اذا تعدى بعلى كان بمعنى التحميل واذا تعدى بعن كان بمعنى
الازالة وقال ابن عبد السلام في مجاز القران شبه اسقاط مؤاخذته بما سبق النبوة باسقاط شاق
الاحمال الثقيلة والوزر يكون بمعنى الذنب ايضا والانقاض حصول النقيض وهو صوت فقرات الظهر
وقيل صوت الحمل او الرحل والمركوب اذا ثقل ما عليه ولا يدل هذا على عظم وزره بل المراد استعظامه له
لشدة خوفه واجلاله لله تعالى انتهى اثقل في الحمل حتى سمع له نقيض اي صوت كما قاله الازهري وقال ابن عرفة
هو اثقله حتى جعل ما حمل عليه نقضا اي مهزولا ضعيفا قيل وهذا تمثيل فان الظهر اذا اثقل حمله له نقيض
والفعل بالمعنى المجازي على ظاهره او على ارادة القرب اي كاد ينقض او على التشبيه البليغ او على
تقدير لو كان وفيه بعد ولا يخفى ما فيه من التكلف فاختر لنفسك ما يحلو وسياتي تتمة كلام في هذه
الاية قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة مرضه لما ياتي من عصمته من الصغاير والكباير
قبلها ونحوها وهذا بناء على جواز صدور تقصيرات تعرف عقلا او بشرع سابق انه خلاف الاليق
او من امور حرمت عليه في دينه فعدها وزرا وان لم تكن كذلك فاندفع ما قيل من انه غير مناسب
لكلامه الاتي فتدبر وقيل اراد ثقلا هو ضد الخفة بكسر المثلثة وفتح القاف ويجوز تسكينها تخفيفا
وللاثقال لمعان اخر مذكورة في كتب اللغة او اراد بالوزر ايام الجاهلية بعد عيسى الى بعثته صلى
الله عليه وسلم وثقلها عدم رضاه ما نهاهم عنه فيها من الشرك وعبادة الاصنام والحروب والمقاتلة
للحظوظ النفسانية وغير ذلك مما استقبحه لسلامة فطرته **وقيل اراد ما اثقل ظهره من الرسالة**
حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي اي الوزر مستعار من الحمل الثقيل لما قاساه من المشقة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في ابتدا تلقيه الوحي من هيبة الملك وحفظ ما يلقى اليه وتكذيب قومه وغيرهم لما عرض نفسه
على القبائل وشدة اذيتهم له ولاصحابه ووضع ذلك عنه بما فيه من قوة الصبر وتسهيل الله ذلك
عليه بعد ما كان يخاف ان لا يبلغ الامانة ولا يقوى على مقاومتهم وهو بين اظهرهم لان هذه السورة
مكية ووضع الوزر في القولين السابقين مجاز عن عدم خلق الذنب او خلق القدرة عليه كالحذف
المستعمل عند المصنفين في عدم الاتيان بالمحذوف حقيقة عرفية وحقيقته اللغوية اسقاطه بعد
ذكره وقيل المراد بالوزر ثقل ذنوب امة الاجابة الموضوعة عنهم بالشفاعة • والماوردي علي بن
حبيب القاضي ابو الحسن الماوردي نسب ابوه لعمله ولبيعه والقياس الوردي وهو صاحب
التصانيف الجليلة في التفسير وفقه الشافعية والاصول والحديث كالحاوي والاحكام السلطانية
وهو كتاب جليل لم يصنف في بابه مثله ولم ينصفه امام الحرمين حيث قال في تصنيفه المسمى بالغياثي
انه قال في الاحكام يجوز ان يكون الذمي وزيرا وهذا مبلغ علمه ومنتهى فهمه كيف يتصدى
للتصنيف والفتوى قال ابن الملقن في طبقاته والذي جوزه ابن الماوردي انما هو وزارة التنفيذ
لا التفويض فتنبه له قلت قد نبهنا فوجدنا جوابه غير صحيح وله رحلة لابي حامد ودرس بالبصرة
وبغداد واتهم بالاعتزال مع انه خالفهم في بعض اقواله مات سنة خمسين واربعمائة رحمه الله وقد بلغ
ستا وثمانين سنة • والسلمي بضم السين وفتح اللام منسوب لسليم بالتصغير وهو ابو عبد الرحمن السلمي
صاحب الحقائق واسمه محمد بن الحسين بن موسى النيسابوري شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم
وتفسيرهم ولد سنة ثلاثين وثلاثمائة وتوفي في شعبان سنة اثنتي عشرة واربعمائة ونقل الذهبي
عن يوسف القطان انه قال انه كان يضع الاحاديث للصوفية وقد خالفه فيه الخطيب وقال انه
ثقة صاحب علم وحال كما نقله السبكي في طبقاته واطال في ترجمته بما لا يناسب الكتاب **وقيل عصمناك**
ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي السمرقندي تقدم الكلام عليه
قيل انه يعني ان الوضع مجاز عن ان لا يحليه بتحمل الذنوب وهذا القول بعيد والتعليل بان العصمة
ثابتة له فاسد اذ المقصود انكار النعمة والثنا عليه وسياتي الكلام على هذا في القسم الثالث
اقول لا بعد فيه لانه تقدم ان وضعه بمعنى رفعه وازالته فاذا اريد منعناك منها العدم خلق
الذنب ودواعيه فيك اولعدم اقدارك عليه لم يبق لها في كل منهما من عدم تلبسه بالوزر واي بعد
في هذا وقد ورد مثله لتنزيل ما بالقوة منزلة ما بالفعل الا ترى الى قوله في الحديث رفع القلم عن ثلاث
ولم يوضع عليهم قلم حتى يرفع والقول بان احدا من اهل اللغة لم يفسر وضع بمعنى عصم عجيب من قائله
وتشله غني عن الرد وقد نقل هذا القرطبي في تفسيره **ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم**
بالنبوة يحيى بن آدم بن سليمان الاموي مولاهم الكوفي ابو زكريا احد الاعلام الذين اخرج لهم اصحاب الكتب
الستة وقد وثقه ابن معين وغيره وتوفي سنة ثلاث بعد المائتين وروى عنه احمد بن حنبل وغيره
ومن فسر رفع الذكر بالنبوة فشرح الصدر عنده اما مفسر بالرسالة او المراد قبولها او تفسيره بغير ذلك
والثالث تنبيه ولا يلزم من رفعه بالنبوة تفرده بها عن غيره من الانبياء اذ يكفي رفعه على من في عصره
وقيل المراد بالنبوة ما سبق بها سائر الانبياء في الازل وآدم بين الماء والطين حيث اخذ الميثاق على ان
من ادركه منهم اتبعه ولا دليل عليه في كلام المصنف اقول هذا كلام شراح هذا الكتاب وانما يحتاج
اليه اذا لم يقل المراد سواء تعلقت الباء برفع او بذكر انه شرف ذكره حيث خاطبه بيا ايها النبي ويا ايها
الرسول يعظمه وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم وهو المذكور في شروح الكشاف ولكن
هذا غير ما ذكره المصنف عندهم ولا وجه له **وقيل اذا ذكرت** بضم التاء والضمير لله فيه **ذكرت معي**

بفتحها والخطاب للنبي والفعل مجهول فيهما **قوله أو الا اله الا الله محمد رسول الله** قول بالرفع بدل
من الجملة قبله او خبر مبتدا مقدر هو ويجوز نصبه بتقدير اعني وما يضاهيه اي اعني بذكرك في ذكر
لا اله الا الله الخ وفي بعض النسخ روي وقول الخ قيل وهذا بنا على العادة الغالبة او على الافضل
المأثور به وهذا جواب عن سؤال انه قد يقول المؤمن لا اله الا الله مقتصرا عليها وايضا كثيرا ما يذكر
الله وحده نحو سمع الله لمن حمده وربنا ولك الحمد كما ورد في كثير من مواطن العبادة واجيب بان الشرطية
لا عموم لها ولذا قال المنطقيون ان قضيتها جزئية وليس قول لا اله الا الله من جملة كلام من فسر ورفعنا
الخ بقوله اذا ذكرت ذكرت معي لما سيذكره المصنف عن الخدري وكذا هو في زاد المسير وفيه عقبه قال
قتادة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
رسول الله وهذا تفسير ماثور عليه الجمهور والحصر فيه مشكل بما مر والظاهر ان يحمل ذكره تم على افضل
الذكر وهو لا اله الا الله الخ حتى ورد انه يقوم مقام كل الاذكار وكل الصيد في جوف الفرا والقرينة
على هذا ان المقام مقام امتنان وتذكير بالنعم وكونه مذكورا معه اذا ذكر افضل الذكر اليق بمقامهما
وتوسيط المصنف قيل وهي صيغة تمريض والقول للجمهور ولا يخفى ما فيه انتهى ولم يرض بهذا الشارح الجديد
فقال المراد ذكر المؤمن وهو لا يذكر الله الا ويذكر معه رسوله صلى الله عليه وسلم فالمصلي اذا قال
سمع الله لمن حمده هل يقولها الا وفي ذهنه النبي عليه السلام لانه الذي امره بها فليس المراد الذكر
القولي فقط بل الاذكار الفعلية والقولية والقلبية والقائل فهم ان المراد بالذكر اللفظي وهذا
فهم من لم يتتبع مقاصد الشريعة ثم اطال في هذا بما محصله ما ذكر ولم يات بشيء عن ان زاد في التطرح
نغلة وفي الطنبور نغمة اقول هذا جملة ما قالوه في هذا التفسير المأثور ولم ياتوا بما تقربه عين التقرير
فان قوله اذا ذكرت ذكرت معي ان اخذت كلية خالف الواقع فانه كم ذكر الله وحده وكم ذكر الرسول وحده
وان عين موضع فهو ترجيح بلا مرجح وان جعلت القضية مهملة فلا يخفى ما في الاهمال من الركاكة ثم
وقد امعنت فيه النظر فلم ار ما يثلج الصدر ويرد يد السائل غير صفر حتى لاح لي ان الجواب الحق ان
يقال الذكر محمول على الذكر في مجامع العبادة ومشاهدها فانه ذكر مقرون بذكره فيها في الواقع في الصلاة
والخطب فلا ترى مشهدا من مشاهد الاسلام الا وهو كذلك فلا ينفك ذكره عن ذكره في يوم من الايام
ولا ليلة من الليالي ولا في وقت من الاوقات المعتد بها بقيد الكلية **فان قلت** من اين لك هذا
التقييد فهل هو الا ترجيح من غير مرجح **قلت** المقام ناطق بهذا القيد فان المراد التنويه بذكره ثم
وابقاعه على قدره الدال على قربه من ربه لقرب اسمه من اسمه وانما يكون هذا بذكره في المحافل والمشاهد
والجوامع والمساجد واي اشاعة اقوى من الاذان لا في الاسواق والطرق التي يطرح فيها كل ذكر
ثم انهم اعترضوا على المصنف باتيانه بقيل في تفسير الجمهور المأثور وليس بمناسب وهذا ايضا من قلة
التيقظ فانه بالنظر الى تمامه وقول لا اله الا الله وهو كذلك وقوله **وقيل في الاذان** والعلية تسقط
ما قيل الوجه التقديم بدون التمريض ثم الترديد في البيان وفي الاذان ظرف لذكرت او رفعنا قيل وهو
الاظهر على ما نقله في المعالم عن مجاهد وروي عن ابن عباس في الاذان والاقامة والخطب والتشهد
ولعل ذكر مجاهد الاذان ليس للتخصيص وتخصيصه برفع الصوت على المبالغة **وقيل في الاخرة** ثم
وقيل باخذ الميثاق على الانبياء بالمتابعة قيل وهذا مبني على الغالب ايضا والا فقد يقتصر في الخطبة
على ذكر الله ثم وهو جائز عند ابي حنيفة ومثله نادر في حكم العدم وفي بعض النسخ في الاذان والاقامة
والنسخة الاولى اشهر ولما كانت الاقامة كالاذان وصفا وحكما ادخلت فيه بطريق التغليب وقد ورد
اطلاق الاذان على الاقامة ايضا والشيء بالشيء يذكر **قال القاضي ابو الفضل** قد مر ان هذا من تصرف

شبكة الألوكة
www.alukah.net

التاج والا فهو يقول يقول الفقير ونحوه **هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم**
الاشارة لما وقع في سورة الم نشرح وهو بيان لحاصلها قال في المغني التقرير حملك المخاطب على الاقرار
والاعتراف بامر قد استقر ويجب ان يليها الشيء الذي يقرره به وحمل الزمخشري قوله الم تعلم ان الله
على كل شيء قدير على التقرير بما يراد به التقرير بما بعد النفي لا بالنفي وغيره يجعله انكارا ابطاليا فيكون
اثباتا للمنفي والمصنف تبع فيما ذكره الزمخشري ولكل وجهة هو موليها فعلى هذا التقرير تفعيل من الاقرار
وقد يكون من قرر قرارا فيكون بمعنى تثبيت الحكم قيل وفي حمل ما هنا عليه تكلف لانه لا بد فيه من ايلاء
المقرر اداة الاستفهام نحو ازيدا ضربت في تقرير المفعول وهنا وليها النفي ولم يقصد تقريره فتعين
ان يحمل على الاول ويؤيده ما ورد في الحديث من انه صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي فقلت يا رب
الله قد كان انبياء قبلي منهم من سخرت له الريح الخ فقال يا محمد الم نشرح لك صدرك الحديث • اقول
يجوز ان يراد تثبيت بعد النفي كما اريد في الاول الاقرار بما بعده فان كلا منهما تاويل على خلاف الظاهر
كما صرح به ابن هشام وادعى الظهور في احدهما دون الآخر تحكم وقد فسر التلمساني التقرير هنا
بالتمهيد **على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه** على متعلقة بالتقرير
سواء كان من الاقرار او بمعنى التثبيت اما الاول فلتاويله بحمله على الاقرار وحمل يتعدى بعلى
فلما كان بمعناه عدي تعديته واما على الثاني فظاهر وقيل ان على بمعنى الباء لان الاقرار
يتعدى بها فتقول اقر بكذا وهو كقوله حقيق على ان لا اقول وهذا منه وليس بمعنى التثبيت والا
لقال المصنف تقرير من الله جل اسمه لعظيم نعمه وقيل عليه انه من التثبيت اي تثبيت من الله عز وجل
لنبيه على ما احاط به علمه من عظيم نعمه وذلك لان هذه النعم علمها وخشي لعدم شكره ان لا تكون نعما
فثبت فؤاده على ثبوت انها نعم حسية ولا يخفى ما فيه والتافي بان شرح للسببية او هي متكفلة
بالتقرير على انه من الاقرار وعلى متعلقه بمقدر اي تنبيها على عظيم الخ فلا حاجة الى ما قيل ان على بمعنى
البا والمنزلة تقدم انها الرتبة العلية علوا معنويا وكرامته عليه يعني كونه مكرما معززا عنده
موقرا **بان شرح قلبه للايمان والهداية** تقدم معنى الشرح فان شرح بمعنى وسع وفسح فهو لسعته
يتقبل ما يدخله من ايمانه وتصديقه بالله في اول امره وزيادة مراتب ايمانه والهداية بمعنى الاهتداء والمراد قبول
الهداية او هدايته الناس كما قال تع فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام **ووسعه لوعي العلم**
وحمل الحكمة معطوف على شرح عطف تفسير والوعي الحفظ والحكمة فسرت بالنبوة وبالفقه في الدين
وفهم القرآن والاتباع له وقيل الورع وحملها العلم بها والعمل من الاتقان وهذا ناظر لتفاسير الآية السابقة
وترك بعضها اكتفاء بحكمه فتذكره **ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه** ايجاز الهاء وثقل بزنة عنب
ويجوز تسكينه وعليه متعلق به وهذا ناظر لقوله ووضعنا عنك وزرك وتفسيره بمعنى عام شامل
لما مر والجاهلية ما كانت العرب عليه قبل الاسلام من الجهل بالله والشرائع وارتكاب امور رفعها الله
لما جاء الحق وزهق الباطل كما مر **وبغضه لسيرها وما كانت عليه** السيرة فعلة من سار يسير ويكون
لازما ومتعديا ويقال منه سار واسار والسيرة جمعها سير كسدرة وسدر وهي الهيئة والحالة وشاعت
في الطريق يقال سار سيرة حسنة او قبيحة كما قال • واول راض سيرة من يسيرها • وغلبت
السير والسيرة في لسان الشرع على المغازي كما في المصباح والضمير المضاف اليه للجاهلية وقال
التلمساني سيرها عوائدها وبغضه في النسخ فعل ماض مشدد مبني للفاعل وفي الطرة بغضه مصدر
اي بضم الموحدة وسكون المعجمة وعليه صح والصواب ان يقال بغض له سيرها بالتضعيف والفاعل هو
الله قال الشارح ولكن لم يوجد في نسختي سوى ما ذكرته اولا انتهى • وفي بعض الشروح الذي في النسخ المقروءة

على ابي ذر المحدث بن برهان الحلبي بغضه بصيغة الفعل المشدد المعطوف على رفع عنه وليس
بالاسم المجرور بالعطف على امور الجاهلية لانه لم يرفع عنه ثقل بغضه لسيرها لبقائه وبقاء لوازمه
واما عطفه على وعي فمناسب مع ما فيه من ذكر معنى الوضع في اثناء معنى الشرح وذكر معنى الشرح
في معنى الوضع اذ معناه الرفع والحط الا ان ثقل البعض اذا قارن العجز عن ازالته زاد وهذا كما قيل مع
تكلفه غير مناسب لمعنى الآية او هو اشارة الى انه عبارة عن العصمة عن حبه اقول ما في الحواشي التلمسانية
من تصحيح بغضه بصيغة المصدر المجرور هو الصحيح وهو معطوف على العلم المضاف اليه وعي بمعنى فهم
وضمير بغضه المضاف اليه راجع لله اي وسع الله عليه لفهم العلوم والحكم وفهم بغض الله لما هم عليه
حتى كان لا يخالطهم في اعيادهم ومجامعهم قبل البعثة كما قال تع ولكن الله حبب اليكم الايمان وكره اليكم
الكفر والفسوق والعصيان وهذا كله ناظر لشرحه للاسلام ولا ادخال فيه للتفسير في تفسيره كما توهم
وعلى قراءته بالفعل يكون في كلامه قلب من غير نكتة وحق العبارة بغض له سيرها **بظهور دينه على**
الدين كله متعلق بشرح وقيل برفع وقيل الباء للمصاحبة بمعنى مع والظهور بمعنى الغلبة عليه حتى
قهر اهله وابطل حكمه ولذا تعدى بعلى واصله ضد الخفاء والدين للجنس الشامل للاديان ولذا اكده بكل
وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة معنى الحط التنزيل وهو قريب من الوضع فهذا اشارة لتفسير
قوله ووضعنا عنك وزرك والرسالة غير محتاجة للبيان لاسيما هنا والاعباء بالمد كالاحمال والاثقال
وزنا ومعنى جمع عبء بكسر العين المهملة وسكون الموحدة وهمزة • والعهدة بضم فسكون فعلة من العهد وله
معان منها الامان والموثق والذمة ويقال تعهدته وتعاهدته اذا ترددت اليه واصلحته وحفظته ومنه
وثيقة البيع عهدة لانه يرجع اليها عند الاحتياج ويقال عهدة هذا عليك اي تبعته وما يلزم منه ع
فالمعنى هنا ان الله حمله اثقال الرسالة والزمه باجراء احكامها وتبليغها فكان في اول الامر في حرج ومشقة
من خوف التقصير فلما يسر الله له ذلك شرح صدره واستراح من ثقلها وبرئت ذمته من عهدتها لما بلغ الرسالة
وادى الامانة فامتن الله عليه بما يتضمن الثناء العظيم من انه اقدره على التحمل والصبر ولذا قيل ان حط
العهدة مجاز عن توفيقه لمعالجة تلك الاثقال وتحملها على الوجه اللائق وهو كلام حسن **لتبليغه للناس**
ما نزل اليهم وروي بتبليغه بالباء بدل اللام وهما متقاربان اي حط تلك الاحمال واراحه من الاثقال
لاجل انه ما امر به وما على الرسول الا البلاغ وقيل بمعناه فعل ذلك لاجل ان يبلغ فالسببية غائية
او اراد بيان للحط بان وفقه على التبليغ على الكمال ولا يخفى انه غير مناسب للمقام مع ما فيه من التعقيد بلا
فائدة وانما خص الناس وهو مبعوث للثقلين بالاتفاق وللملائكة ايضا كما سياتي بيانه لان حط الاعباء انما هو
بتبليغ الناس وتحيرهم وكسر شوكتهم فانهم الذين عادوه وحاربوه واما الجن لمجرد سماع القرآن اطاعوه ولم
يقع عنهم ما يتعبه وان كان منهم من لم يؤمن وليس الكلام في بيان رسالته وعمومها حتى يعترض بتركهم عليه
وقيل انه اكتفاء كقوله سرابيل تقيكم الحر وقيل المراد بالناس ما يشمل الجن فانه ورد اطلاقه عليهم وفي الحديث
ناس من الجن وفسر به قوله تع قل اعوذ برب الناس وجعل قوله من الجنة والناس بيانا له وروي عن ابن عباس
وذهب بعضهم الى انه حقيقة وقال السبكي انه لفظ مشترك بحسب الظاهر وهما معنيان متغايران
ولفظان متغايران فالناس بمعنى بني آدم اصله اناس ومادته انس من الانس ضد الوحشة وبالمعنى
العام للثقلين اصله نوس بمعنى تحرك وقيل انه اقتصر على الاشرف والمقصود بالذات وانت في غنى عنه
كله بما مر **وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة ذكره وقرانه مع اسمه اسمه** قد مر
ان يقال ناه بالشيء نوها ونوه به تنويها اذا رفع ذكره وعظمه وفي حديث عمر انا اول من نوه بالعرب
اي رفع ذكرهم بالديوان والاعطا كما في المصباح وهذا اشارة لمعنى قوله ورفعنا لك ذكرك وتنويهه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالجر معطوف على قوله بتبليغه لان تعظيم الله له ورفع ذكره له يروح قلبه وييسره لانه يدل على قبول ربه
العزة لما فعله من اداء ما في عهدته وبذل جهده وروحه في هم خدمته وهذا في غاية الظهور وقيل
معطوف على انشرح وقيل على تقدير فهو مرفوع والداعي لارتكابه مع بعده انه كان الظاهر ان يقول
نورع تفسير الرفعنا على سننه السابق وانما عدل عن التعبير بالفعل الى عطف المصدر الصريح على
المؤول لئلا يتوهم انه كلام مستانف والباقي في قوله بعظيم متعلقة بنورع وليست زائدة فان قيل نورعه
ونورع به كما قيل لان الاشهر هو التعدية بالبا كما مر في كلام سيدنا عمر وقوله رفعة ذكره بكسر الرا واخره
تاء تانيث مضاف لذكره وروي بفتحها واضافته للضمير ونصب ذكره وروي رفيع عطف على جليل
ورفعة ذكره اما بهذا الرفع او برفع زائد عليه واسمه الثاني منصوب مفعول قرات بكسر القاف مصدر
بمعنى الضم والجمع ومنه قران التمر واقران غلط فيه وقيل رواية **وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا
والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله** قد مرت ترجمة قتادة وتحقيق هذا الكلام الا انه بقيت امور ينبغي التنبه لها
وهي ان بعضهم لما قال هنا ان ما ذكره هنا هو الاكمل الجاري في العرف والعادة بعد البعثة اذ الشهادة
ليست شرطا في اصل الخطبة وهذا في الدنيا ويعلم امر الاخرة بالمقايسة عليها وفي الحديث كل خطبة
ليس فيها شهادة فهي كاليد الجذما والمراد بالصلاة الفرض الكامل المتبادر فلا ترد صلاة الجنازة ه
والمتشهد من تشهد بالوحدانية سوا كان بهذا اللفظ كمن يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده
ورسوله المروي عن ابن مسعود وعليه ابو حنيفة فلا يرد انه يقتصر في خطبة الحمد والعيدين وغيرهما
على ما ذكر الله بالتسبيح ونحوه قيل هذا انما يرد لو كان قتادة قاله في عصره وليس هذا بشيء
يتصدى لجوابه وقيل ان مراد قتادة بيان رفعة ذكره في الدنيا التي هي عنوان رفعة الاخرة ه
وقوله فليس خطيب الى اخره يريد به ان الخطبا قبل كانوا يعدون ماثرهم ومفاخر قومهم فلما جاء
الاسلام صارت الخطبة اسما للمشروعة باي مذهب كان واي خطبة كانت كما في الحج والخسوف والعيد
والجمعة وغيرها وفاعل ذلك كله يعتقد وحدانية الله شاهدا بان محمدا رسول الله ممتثلا لامره معتقدا
بهديه والمصلي لا يعتد بصلاته حتى يعتقد ذلك وانت ترى ما في هذا الكلام الذي لا يحصل له
ولا يجدي شيئا فالقول ما قالت حذام • والنكرة تدل على الشجرة وقوله الا يقول مستثنى من اعم
الاحوال اي ليس في حال من الاحوال الا قايلا وما قاله قتادة رواه عنه البيهقي وابن ابي حاتم
فان قلت ما وجه التفريع في قوله فليس الخ وامر الاخرة لا يعلم بالمقايسة والمتشهد اعم من الخطيب
والمصلي فكان ينبغي تقديمه او تاخيره قلت هو ماخوذ من اطلاق الاية والحديث والتفريع وجهه ان
من رفع ذكره في الدارين حقيقة بان يشهد له بذلك والمتشهد المراد الاتي بكلمة الشهادة في غير
الخطبة والصلاة لا غيره يقال له خطيب ومصل فتدبر **روى ابو سعيد الخدري** وهو سعد بن
مالك بن سنان بن عبيد بن الابجر وهو جده المنسوب اليه على الاصح وسنان الصحابي الانصاري نسبة
لخدرة بضم الخا المعجمة وسكون الدال المهملة يليها را مهملة وها وهو حي من الانصار سمي باسم جدهم
ثم نسبا اليه كتميم فلا منافاة بينهما وقيل خدرة امه وهذا الحديث كما قاله السيوطي والشيخ قاسم في
تخريج احاديث هذا الكتاب اخرجه ابو يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه والطبري في تفسيره
واسناده حسن فلا وجه لما قيل من انه في زاد المسير ما يخالفه وان ذلك من واد وذاك من واد ولا
لما قيل اذ في المعالم انه صلى الله عليه وسلم سال جبريل عن هذه الاية هكذا فقال قال الله الخ فلعله يعود
السوال جاء وقال ان ربي الخ وقوله قال الله نقل بالمعنى لان الرواية المسندة كما عرفته • وقوله

ذكري

**ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول تدري
كيف رفعت ذكرك** تقديره اتدري فحذف منه حرف الاستفهام وهو جائز مع القرينة في النظم
والنثر كما في المغني وغيره وقول البخاري انه قليل مخصوص بالشعر مخالف للرواية والدراية وقد
روي هذا الحديث اتدري بثبوت الهمزة على اصلها سوا كان الاستفهام حقيقيا كقوله وان زنا
وان سرق او غير حقيقي كقوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم على قراءة والاستشهاد بهذه الاية للحقيقي
سهو والاستفهام هنا غير حقيقي لاستحالته على علام الغيوب والسر انه بل هو تقرير يري النفي
تقدم علمه فيعلمه من لدنه والمشهور في مثله ان معناه اتدري جواب هذا السوال وليست كيف
فيه خارجة عن معنى الاستفهام على ان المعنى كيفية رفع ذكرك وان كانوا يقولونه في بيان حاصل
المعنى فما قيل من انه خرج عن معنى الاستفهام اي تدري كيفية الرفع وهذا من الانبساط مع المحبوب
لاجل زيادة التوجه والانبساط ولكنه اعجمه مع ان لفظ الكيفية لم يسمع من العرب كما صرح به اهل
اللغة وتدري معلق على الجملة التي بعده كما في قول زهير

وما ادري وسوف اخال ادري • اقوم آل حصن ام نساء

وكيف في محل نصب على الحال من المفعول على القاعدة المشهورة في اعرابها من انها ان وقعت قبل
كلام تام فهي حال والا فهي خبر الا ان هذه القاعدة غير مسلمة كما في المغني وشروح الكشاف
وهي سوال عن الحال والصفة اي على اي حال ومعنى رفعت ذكرك والجملة منصوبة بتدري ه
لان لها الصدر ووقع في بعض النسخ **فقلت الله ورسوله** المراد هنا جبريل لانه من رسل الملائكة
الذين يرسلون بالوحي لانبيائه ورسله **اعلم** كذا عندي في نسخة مصححة مقروءة على المشايخ
وفي نسخة شرح عليها الشارح الجديد وقال لم اجدها في نسخة من الشفا واللايق عدم ذكرها وليس
كما قال والتفضيل اما في الزيادة في مطلق العلم فلا يلزم ثبوت اهل العلم له في هذه المسالة او المراد
اعلم فيها نظرا الى ان حصول بعض الوجوه له تجويزا وظنا فالترجيح في الكيفية والمطلوب
حصول التمني او وجه آخر واعلمه جبريل منه صلى الله عليه وسلم مع انه علم علم الاولين والاخرين
كما ثبت في الصحيح او بالنظر الى علم الله تعالى لها اتم من علمه وان كان علمه اتم من علم احدهما او
بالنظر الى ان تلك الحالة لم تكن دائمة له كذا قاله الشارح المدقق اقول الظاهر انه اراد
تفضيلهما عليه في خصوص هذا العلم او على الاطلاق اما الله تعالى فظاهر واما جبريل فلعلمه ببعض
الامور التي لم يعلمها النبي صلى الله عليه وسلم لاعلام الله بها او لكونها في الملا الاعلى ولا يلزم هذا
شكا ونقصا لمقام النبوة حتى يلزم تكلف ما ادعاه واما ما ورد في الحديث من انه علم علم الاولين
والاخرين فليس المراد به ما فهمه لانه لو كان كذلك علم المغيبات كلها وقد امره الله بان يقول لا
اعلم الغيب ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وقال لا ادري ما يفعل بي ولا بكم وهذا مما لا
يشك فيه وانما المراد انه علمه كل علم عند الاولين والاخرين متعلق بمعرفة الله واحوال الامم
الاتية والسالفة اجمالا من خير او شر واوحي اليه ببعض المغيبات ايضا واخبر بها بعض الصحابة
كما في حديث حذيفة فمتعلق اعلم مني او من كل احد غيرهما او لا متعلق له كما في الله اكبر في احد الوجوه
وقيل المراد اعلم من كل عالم نحو الله اكبر او اعلم مني على انه علم رفع ذكره وهذا مما لا ريب فيه او نقص
من جبريل انه عالم بكيفية الرفع دونه وانه جاء مخبرا بها له ولو كانت مما استاثر الله به قال جبريل
ما المسؤول عنها باعلم من السائل كما في حديث آخر اذ المراد انهما سيان في عدم العلم لان قولك ما زيد
باعلم من عمرو والمراد به نفي المساواة كما مر وهو احد احتمالات في مثله واما ما ورد من علم النبي علم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الاولين والآخرين فلعله كان آخر احواله بعد انقطاع ايحاجبريل له وقيل المراد ان الله تعالى اعلم من كل عالم ومنه تشقق العلم اي لا اعلم الا ما علمني ربي واما كونه علم علم الاولين والآخرين فهو نعمة من الله خصه بها ولم يرد انها انقطعت عنه والكريم لا يقطع عوائده كما نعم الله فيما مضى كذلك ينعم فيما بقي واحتياجه الى الوحي تقتضي مقام العبودية واظهار الافتقار من لوازمها وكون هذا آخر احواله غير مسلم لان هذه القصة وقعت ليلة الاسرا وهي من اول احواله وجبريل لم ينقطع عنه حتى فارق الدنيا وهذا مع ابتنائه على ما عنده من الطرازا الاول وكذا ما قبله ولولا خوف ان يظن ان بالسوبدا رحالا تركته راسا **قال اذا ذكرت ذكرت معي** تقدم شرحه **قال ابن عطا جعلت تمام الايمان بذكرك معي** لم يسم المص ابن عطا فلم يدر مراده به لان المشهور به اثنان فلذا قال التلمساني هو ابو عبد الله محمد بن عطا شيخ وقته وهو مات كما قال القشيري سنة ست وتسعين وثلاثمائة وقال الشمني انه ابو العباس احمد بن محمد بن سهل بن عطا الزاهد البغدادي وجزم بانه المراد هنا الشارح الحلبي لان المشايخ قالوا ان له لسانا في فهم القرآن يختص به وكان صحب الجنيد وسئل رضي الله عنه عن الوجد والسماع فقال هو صحيح فقيل له انه لم يبلغنا عن احد من الصحابة والتابعين انه تواجد فقال اما الصحابة فكانوا شغلوا بالشريعة في سرهم فكانوا لا يغلبون عن تحمل الاحوال بخلاف من بعدهم فانه لم هذه الرتبة وقوله بذكري معك روي بذكرك معي وهذه النسخة واضحة والاولى مشهورة مخالفة للظاهر لان مع تدخل على المتبوع وقد تجي لمطلق المصاحبة وقد تقدم انه باعتبار الاكثر المعتاد في مواطن واقوال مخصوصة كقول المتشهد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد قيل انه في كلام المص تكرار او انتشار والاولى ذكر المص ذكر الاقوال ثم حاصل معنى الآيات وفي بعض العبارة قلب ايما الى شرفه صلى الله عليه وسلم كقوله لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية فان الظاهر عكسه كما قيل • وانا اقول هذا من عدم الوقوف على مراده لانه لما ذكر السورة لما فيها من الثناء عليه الذي هو بصدده عقبها بذكر اقوال المفسرين فيها ثم لخصه ووضحه بعبارة فصيحة ثم ذكر الدليل على ما قالوه رواية مسندة ثم اختمه بكلام ارباب الطريقة من مشايخ الصوفية فانه مسك الختام ونقل لهم عبارات ثلاثة فقال الذكرى معك وذكرك معي وذكرك عين ذكري وهنا بحث المقامات كقولهم ما رايت شيئا الا رايت الله قبله او معه او بعده اما الاول فظاهر لانه رسوله وخليفته وهذا بحسب الحقيقة في نفس الامر واما الثاني فلانهم انما عرفوا الله منه وبعد معرفته كما قيل •

• فانت باب الله اي امرئ • اتاه من غيرك لا يدخل •

واما الثالث فلان من ذكره من حيث هو رسولا مبلغا عن الله فقد ذكر الله ومن هنا قيل من رآني فقد رأى الحق فلا تكرار ولا قلب الا لمن لبس الله قلبه ينظر بعينه الحق وجعل ذكره تمام الايمان اما لان الايمان عنده تصديق بالجنان وتصديق باللسان كما هو قول لاهل السنة واما من يقول بانه مجرد التصديق فجعله تمامه باعتبار انه لا يعتد به بدونه ولا يترتب عليه الاحكام ما لم يات به لسانا لان الامر مبني على الظاهر والله اعلم بالسرائر وقيل وهذا غير قول قتادة لانه من تتمة الايمان فقوم العينية فاسد وفيه نظر فتدبر **وقال ايضا** اي قال عطا قولا كالذي قاله وايضا مفعول مطلق لفعل مقدر من آض اذا عاد ورجع قيل واستغير هنا لمجرد الانضمام ولك ان تبقيه على معناه الحقيقي لانه عاد لكلام عطا **جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني** ذكرا مفعول ثان لجعل والظرف بعده صفته او تمييز محول عن المفعول والجار والمجرور هو الثاني والمعنى واحد

اي كان ذكرك غير ذكري لعدم انفكاكه عنه غالبا او هو مثله في التقرب به والاجر وهو معدود من افراده لما ورد ان كل مطيع لله ذاكر والاسناد مجازي والفا تفسيرية او تفريعية **وقال جعفر** تقدم بيانه **لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية** الاستثنا من اعم الاحوال والجملة التي بعد الا حالية ولا حاجة لتقدير قد معها ذكره النحاة والربوبية مصدر من الرب وهذه اليا تسمى اليا المصدرية ولا بد معها من تاء تانيث وفي هذه اليا بحث ذكرناه في رسالة المصدر والسوانح ومعنى كلام جعفر رضي الله عنه لا يعترف احد برسالتك الا بعد ان يعترف بوحدانية الله وربوبيته لانه يجب معرفة الله عقلا قبل ذلك لئلا يلزم الدور كما ذهب اليه الماتريدية او سمعا كما ذهب اليه غيرهم كما تقرر في الاصول وقيل المراد الاول وقد اراد ذلك او عبر بالماضي عن المضارع مبالغة في تحقق وقوعه وفي الاول اشكال لعدم مقارنة الحال العامل وذلك لان المراد بالرسالة انه رسول الله والعادة ان يقال رسول الله ورسول رب العالمين ونحوه اولان معنى الرسالة شرعا انه انسان بعثه الله لتبليغ احكامه والالوهية جامعة للربوبية وخصت الربوبية هنا لمناسبتها للرسالة لمربوبية الرسول للمرسل اليه وقيل المراد من آمن بك آمن بي وفيه تكلف ظاهر ثم انما قاله الصادق وغيره يشترك فيه الانبيا بحسب الظاهر فلا بد من حمله على ما يظهر فيه الاختصاص والتمييز انتهى وقد عرفت معناه وانه محمول على الايمان بالله ورسوله والاعتراف بذلك المقتضي لمقارنة اسمه لاسمه مع التعبد باظهاره والبداية على رؤس الاشهاد كما يفصح عنه التعبير بالرفع الذي بينه وبين الوضع صنعة المطابقة واما عدم مقارنة الحال فظاهر لسقوط تقدم الايمان بالله وان اراد به الايمان بالرسول واما التلفظ بما يدل على ذلك فلذكره عقبه من غير فاصل يعد مقارنا عرفا ومثله يكفي عند النحاة فلا حاجة الى جعل الحال مقدرة واما ما ادعاه من عدم الاختصاص بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد علم مما مر ان هذه المقارنة في نحو الاذان والاقامة والخطب والصلاة والاتيان بكلمة الشهادة المعتبر في الاعتداد بالايمان وهذا كله مختص بهذه فيختص القرآن الواقع بهذه الكيفية بسيدنا ونبينا اختصاصا حقيقيا بالنسبة لكل من عداه من الرسل والامم وهذا في غاية الظهور **واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة** المراد بالبعض من فسر قوله عز وجل ورفعنا لك ذكرك المشار اليه بقوله في ذلك جعلنا ذكرك مرفوعا في الدنيا والآخرة بالشفاعة وهو احد اقوال خمسة فيه وقيل هو الماوردي وقال البرهان لا اعرفه **تتمة** لطيفة لما ذكر الله عز وجل في آخر السورة التي قبل هذه قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى الى قوله واما بنعمة ربك فحدث ثم اتى بعدها بقوله الم نشرح قال بعض المشايخ ان شكر النعمة والاعتراف والرضا بها مما ينشا منه انشراح الصدر والسرور وهو مشاهد ثم انه لما ذكر انشراح الصدر ورفعة الذكر وتنظير بينهما اعباء الرسالة التي تنقض الظهور ففي ذلك عسر بين يسرين فلذا قال فان مع العسر الخ ثم اشار الى مقصوده من الدنيا انما هو ادا خدمته والامانة وانه لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه الذي هو يطلبه لا ما سواه فلذا قال فاذا فرغت فانصب ولم يقل له استرح بل اجتهد فيما يقربك الى الله فارغب كما قال اذا جاء نصر الله والفتح الخ فتنبه لاسرار التنزيل **ومن ذكره معه ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال اطيعوا الله والرسول وآمنوا بالله ورسوله** لما قرن الثناء من الله برفعة قدره فانه اذا ذكر ذكره معه كما مر وذلك القرآن في كلام الناس وما يحكي عنهم اتبعه بما هو من قبيله وهو ذكر الله جل وعلا لنفسه وذكر الرسول معه معطوفا عليه من غير فاصل كالآيتين المذكورتين وفيهما زيادة على ما ذكر لفظا قرن طاعته بطاعته لان احدهما لا ينفك عن الآخر كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله والمقارنة المصاحبة كما قال •

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه • فكل قرين بالمقارن يقتدي •

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومصاحبة الاسمين ظاهرة فيما ذكر واما مصاحبة الطاعة للطاعة فهي معنوية لا لفظية هنا
بمعنى انها لا تنفك عنها بل هي عينها كما مر وجعل هذين من قبيل الذكر المقارن لذكره امر حقيقي لا من قبيل
عموم المجاز ولا من قبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز كما قيل فانه في الآيتين كذلك لاقتران الطاعة بطاعته
في قوله اطيعوا الله والرسول لا بمعنى واطيعوا الرسول واما قوله آمنوا بالله ورسوله فمن المقارنة
الاسم الاسم على اللف والنشر المرتب وبعضهم جعل كل آية مثالا لهما فاحتاج الى التكلف فقال معنى
الطاعة الانقياد وقد يكون بحسب الظاهر كالاسلام الذي هو الانقياد والاستسلام وقد يكون
بحسب الظاهر والباطن كما قدمنا في الايمان ومنهم من قال الذكر هنا عدم الغفلة ومطيع الله ذاكر له كما مطيع
فكل من قرن طاعته بطاعته وقرن اسمه باسمه ذاكر الله عز وجل ولرسوله بغير حقيقة وليس هنا ذكر مجازي
فمن زعم ان الذكر الاول مجاز والثاني حقيقة وان الآية من باب عموم المجاز اذ المراد بالذكر هنا معنى يعمهما
فرارا من الجمع بين الحقيقة والمجاز فقد ارتكب شططا انتهى والحاصل ان المصنف ان قصد اقتران الاسمين
وزاد الطاعة لوقوعهما في الآية والحديث فالامر في الحقيقة ظاهر من غير ارتكاب شيء مما قالوه وان اراد بيان
كل منهما على اللف والنشر لان في كليهما اقتران الاسمين فظاهر ايضا وان اراد اقتران الطاعتين والاسمين
في كل منهما فهو الذي يحتاج للتكلف ومن ذكره خبر مقدم وان قرن مبتدا موخر واما كون من بمعنى لانهما
بمعنى بعض كما قيل في قوله ومن الناس من يقول آمنا في البقرة **فجمع بينهما بواو العطف المشركة**
بكسر الراء المشددة وضمير بينهما للاسمين وقيل للاسمين والطاعتين وجعلها مشركة لافادتها لمشاركة
المتعاطفين في الحكم من غير ترتيب والجمع به دال على التعظيم والمناسبة بخلاف ثم لدلالتها على تفاوت
الرتبة لا التسوية وكذا الفاء لان الواو محتملة للامور الثلاثة التقدم والتاخر والمعية على الصحيح **ولا
يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه عليه السلام** قيل اي جوازا من غير نهي فلا يباح واعلم ان الجواز
يطلق في لسان حملة الشرع على امور كرفع الحرج اعم من ان يكون واجبا او مندوبا او مكروها وعلى مستوي
طرفي الفعل والترك وعلى ما ليس بلازم وهو اصطلاح الفقهاء في العقود وهذا كله ظاهر والغريب ما في
قواعد الزركشي اذ جاز كذا استعملوه هو في الوجوب قال وهو ظاهر فيما اذا كان الفعل دائرا بين الحرمة
والوجوب فيستفاد من قولهم يجوز رفع الحرمة اي تشريك الله وغيره بالعطف بالواو في حكم من الاحكام
لا يجوز الا في حق النبي صلى الله عليه وسلم لانه امر شرف به رسوله كما مر في تفسير رفعنا لك ذكرك وقد اعترض
بعض الشراح على هذا وقال ان القاضي وهم فيه فان الذي لا يجوز لغير النبي جمع اسم الله واسمه مع اسم غير
النبي في ضمير يعود على الله وعلى صاحب الاسم فلا يجوز لنا ان نستعمله الا ان يرد عن الله كقوله ان الله وملائكته
يصلون على النبي واما عطف اسم ظاهر بالواو على اسم الله فما اظن احدا يمنعه وكيف يختص هذا بالنبي مع
قوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وفي الحديث القدسي قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين
وقيل ايضا ان اراد ان مثله لم يرد في القرآن وغيره فليس كذلك وان اراد انه لا يجوز لنا فاي مانع من ان
يقال اطع الله واطع القاضي والامير لقوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم واجاب بعضهم
بان مراده انه منهي عنه تنزيها وادبا لورود الحديث بما يدل على رعاية الادب في اللفظ وترك ما يفهم خلافه
بالاتفاق واطلق لفظ الجواز اعتمادا على تصريح الخطابي وغيره ولا دليل في الآية لما سيجي والاحتمال
الجواز بالتبعية ثم يشكل هذا بقوله تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ومن كان عدوا لله وملائكته
وان اشكر لي ولوالديك ومثله في الحديث الا ان يقال انه لبيان الجواز وهو من الشارع بالفعل اولى واقوى
وان يختص النبي بالآية والله يفعل ما يريد كما ذكره القرطبي فما معنى الجمع بالضمير وان تكون المواضع المذكورة
مختصة او الممنوع جمع الامة معه فلا يرد الا ولان فتامل وقال تلميذه ابن الحنبلي قوله اطيعوا الله واطيعوا

الرسول

الرسول واولي الامر فيه التشريك بين الطاعتين طاعة الله وطاعة غيره بالواو وفي حق غير الرسول
لكنه بالتبعية ولذا لم يكرر اطيعوا مرة اخرى كما لم يكرر اللام في حديث الدين النصيحة لله ولرسوله
ولائمة المؤمنين وعامتهم في الفاتحة فاندفع ما مر وقيل كلام الغزالي في الاحياء يدل على انه حرام كما ذكره في
آفات اللسان الا ان الله يعفو عن العوام مثله ونقل كلامه واطال بما هذا محصله وسياتي تحقيق هذا الشارح
في شرح الحديث بما يثلج الصدر ان شاء الله تعالى **حدثنا الشيخ ابو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما اجاز
وقراته على الثقة عنه** الشيخ من طعن في السن ثم شاع في كل من تصدر لافادة العلوم وابو علي الحسين بن محمد بن
احمد الغساني الجياني بفتح الجيم وتشديد التحتية والف ونون يليها ياء النسبة الى جيان وهي بلدة بالاندلس
ولد في المحرم سنة سبع وعشرين واربعماية وحمل عن ابن عبد البر وغيره من الايمة وروى عنه ابن الحكم وابن
سكرة وزهرة وخلق وتوفي في ليلة الجمعة لاثنتي عشر خلت من شعبان سنة ثمان وتسعين واربعماية
ولم يخرج من الاندلس وقوله قراته على الثقة الثقة كعدة مصدر وثق به ومنه اذا ائتمنه واستوثق احكم
ثم تجوز بالمصدر عن المؤتمن على الحديث وغيره وشاع حتى صار حقيقة ولم يعين المصنف من اراد قال البرهان
ولا اعرفه وكانه ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته وقوله اجازنيه يعني انه روى عنه بالاجازة وان كان
يمكنه السماع منه فذكر ان روايته عنه بواسطة قال السيد وتوثيق مثل المصنف لشخص يخرجه عن حكم المجهول
وابهام التعديل فيه خلاف في كتب المصطلح فمنهم من قبله بناء على الاحتجاج بالمرسل ومنهم من قال لا يكتفى
به ومنهم من فرق بين تعديل العالم وغيره كقول مالك اخبرني الثقة وكذا يقول الشافعي وقيل يقبل ممن
عرف انه اذا اطلق يعني به معينا والاجازة اذ يقول اجزتك ان تروي عني كذا او جميع مروياتي وفي
تصحيح لفظها كلام في ابن الصلاح فيه كلام كتبناه في حواشيه ليس هذا محله وهي مقبولة ولا عبرة بقول
ابي طاهر الدباس انها لا تقبل نعم هي انزل من غيرها وانما قدمها المصنف لعلو سنده فيها على السماع الذي بعدها
وان كان منها **حدثنا ابو عمر النمري** هو العلامة الحافظ ابن عبد البر وقد تقدمت ترجمته **حدثنا ابو محمد
بن عبد المومن** هو عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن احد شيوخ ابن عبد البر تقدم ذكره ايضا وكذا ابو بكر بن
دارة تقدم **ابو داود السجزي** وهو سليمان ابن الاشعث صاحب السنن وسيد الحفاظ كما تقدم والسجزي
بكسر السين المهملة يليها جيم ساكنة وزاي معجمة منسوبا الى سجستان على خلاف القياس وقيل انه منسوب
الى سجز وهو اسم او بلدة منها كما قال في جامع الاصول وهو الاشبه وهو اقليم بقرب خراسان **حدثنا ابو الوليد
الطيالسي حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم**
الطيالسي هو هشام بن عبد الملك الحافظ روى عنه حذيفة وقال احمد انه كان في عصره شيخ
الاسلام واخرج له اصحاب السنن توفي سنة سبع وعشرين ومايتين وله اربع وتسعون
كما في الميزان واما عبد الله بن يسار بمثناة تحتية ثم سين مهملة الجهني الكوفي ثقة اخرج
له ابو داود والنسائي وهم عبد الله بن يسار كنيته ابو همام لكن قال الحافظ البرهان لم ار لواحد منهما رواية
عن حذيفة في الكتب الستة واما خارجها فلا ادري وليس في الكتب الستة احد يقال له عبد الله
بن بشار بالموحدة والشين المعجمة انتهى وهذا الحديث حسن روي من طرق كثيرة واما حذيفة
فترجمته مسطورة مشهورة فلا حاجة لذكرها وشعبة هو ابن الحجاج بن الورد الحافظ امير المومنين
في الحديث كما قاله ابن الجوزي وممن يقال له هذا اللقب سفيان الثوري **قال لا يقولن احدكم
ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان** قال التلمساني وقع في نسخة
باثبات ما بعد ثم اي ثم ما شاء وعليه صحح وفي الطرة ثم شاء بدون ما وهو كذا بدون
خط القاضي وهذا هو الاشهر وهو المروي في شرح مسلم للنووي وهذا النهي تنزيهي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لرعاية الادب بترك العطف بالواو الموهمة للتساوي كما ياتي بخلاف ثم الدالة على البعد رتبة وزمانا وفي شرح الجيانى انما جا النهي عن التشريك في المشية بين الله وغيره لايهامه ان مشية الله موقوفة على مشية غيره ثم عن ذلك فاذا اخلصت المشية لله جاز ان يعلق الفعل على مشية غيره مجاوا بثم التي للتراخي وعطف مشية العبد على مشية الله على ان تكون ما موصولة او عطف العبد على مشية الله على ان تكون مصدرية وعلى الوجهين للخبر محذوف اي كاين او كاينة انتهى ثم انه قيل ان هذا وان لم يكن فيه عطف غير اسم الله على اسمه فيه التعيير كما يوهم سوء الادب لفظا واستنباطه مما ذكر على ان قوله ما شاء الله وفلان هو شامل لما شا الله ومحمد وبعضده ما ورد في الحديث عن الطفيل انه راى ناسا من اليهود والنصارى فقالوا له نعم القوم انتم لولا قولكم ما شا الله وشا محمد وفي رواية انه قال له انكم تشركون ولا تشعرون واخبر به النبي عم فقام خطيبا ونهى عن ذلك وسوغ ان يقال ما شا الله وحده ثم محمد وقول المص لا يجوز هذا الجمع في غير حقه لا يوجب جوازه في حقه في الاماكن كلها وانما يدل على جواز الجمع بين الاسمين والطاعتين
وقد صرح بعضهم بكراهة اعوذ بالله وبك ولولا الله وفلان انتهى ثم ان هذا الحديث روي بلفظ آخر وهو لا تقولوا ما شا الله وشا محمد بل قولوا ما شا الله ثم شئت قال العلامة الطوفي في كتاب الذي هذا تنبيه على تراخي رتبة المخلوق عن الخالق فالواو يفيد الجمع والتشريك بلا ترتيب فان قيل قد اقرهم على قولهم الله ورسوله اعلم ولم يامرهم ان يقولوا ثم رسوله اجيب بان ما شا الله وشئت تسوية بينهما في اصل المشية وفوقها لفظا ولا كذلك الله ورسوله اعلم فان اعلميته بالنسبة اليهم حق وبين الله ورسوله اشتراك في اصل الاعلمية لان الله اعلم من الرسول وكل احد والرسول اعلم من غيره من الصحابة وغيرهم ولانه تعالى صرح بتبعية الخلق له في المشية بقوله وما تشاوون الا ان يشا الله وفيه نظر لان علم المخلوق يتاخر عن علمه ثم ايضا بقي في هذا المقام كلام سنذكره تحت شرح الحديث الاتي قال الخطابي بالمعجمة والتشديد والموحدة وهو ابو سليمان حمد بفتح الحاء وسكون الميم وقيل احمد بن محمد بن ابراهيم البستي المعروف بالخطابي قيل انه نسبة الى زيد بن الخطاب بن نفيل العدوي اخي امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال الذهبي لم يثبت هذا وكان راسا في سائر العلوم لاسيما الحديث والفقه والادب شافعي المذهب اخذ العلوم عن كثير بن كالقفال والفقه عن ابي عمر والزاهد وصنف التصانيف الجليلة المشهورة منها معالم السنن وغريب الحديث وشرح اسما الله الحسنى وغير ذلك وله شعر حسن توفي ببست سنة ثمان وثمانين وثلثمائة ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى الادب في تقديم مشية الله على مشية من سواه ارشده دله وهداه لما فيه من الرشاد والصلاح وفي المصباح عن ابي زيد يقال ارشده الله وله وعليه والادب رياضة النفس ومحاسن الاخلاق وفعله ادبته وادبته ومنه ادبته تاديبا اذا عاقبته على اسآءته لانه يدعو الى حقيقة الادب اي دلهم على رعاية الادب في كلامهم هذا واما الادب المعروف بين الناس ومنه العلوم الادبية فاصطلاح لم يرد في كلام العرب العربا والمشية الارادة وفرق الحنفية بينهما كما فصلوه في الاصل والفرع لكنهما متقاربان معنى وليس هذا محل تحقيقه وقال ابن عطا الله الادب الوقوف مع المستحسنات واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك ضمير اختارها لمطلق المشية او لمشية الله او لمشية من سواه اي اختار المشية متلبسة بثم على المشية بالواو وليس هذا من باب الحذف والايصال واصله اختار لها كقوله عز وجل واختار موسى قومه سبعين رجلا فانه لا داعي له هنا اي ارشدهم الى ان يراعوا الادب في هذا بتقديم مشية الله وتاخير مشية غيره معطوفة بثم والنسق العطف باحد الحروف والمشهورة من نسقه اذا اضمه والتراخي تفاعل من الرخا واصل معناه الاتساع ومنه تراخى الامر تراخيا امتد زمانه وفي الامر تراخ اي فسحة كما في المصباح والواو لمطلق الجمع والاشتراك في الحكم ونحوه من غير دلالة على ترتيب ولا منافية في الواقع ايضا

فليس في ذكرها رعاية الادب والدلالة على عدم المساواة بل ربما يوهم خلافه لاسيما اذا لوحظ رتبة عن ثم اليها فاندفع ما قيل من ان الواو لمطلق الجمع لا للمساواة الدالة على ترك الادب وما ذكره المصنف هو الصحيح عند النحاة وقد انكر الفراء دلالة ثم على التراخي وقال بعضهم ان الواو تفيد الترتيب والترتيب يكون حقيقيا ورتبيا وذكريا ولابن عبد السلام كلام فيه في كتاب المجاز كفانا ترك المص له مؤنة ذكره وهذا الحديث اخرجه ابو داود والنسائي وغيره وهو حديث صحيح ثم انه قيل هنا ان المنع في الحديث ان كان لاجل الجمع بين الله وغيره في حكم بالواو والاشتراك دبه ظاهر وان كان الامر في المشيتين فهو يدل على النهي عما يوهم خلاف الحق وترك الادب فيفيد مدعى المص استنباطا فلا يرد عليه ان المنع في هذا الحديث انما هو لاجل ان مشية العبد متاخرة عن مشية الله لا للعطف والجمع وايضا في الكلام ايهام توقف مشية الله على مشية العبد فمنع لهذا لانه على التقديرين يفيد مدعاه ايضا كما مر ثم ان كلام المصنف يقتضي انه لا يمنع الجمع بين مشية الله ورسوله بالواو وينافيه ما رواه البيهقي في حديث طويل لا تقولوا ما شا الله وشا محمد فان صح خص مما ذكره المص من الطاعة والايمان ونحوه مما لم يرد فيه نهي فايدة في بعض الشروح ان قوله صلى الله عليه وسلم ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن اذا ضم لقوله وما تشاوون الا ان يشا الله انتج ان ما تشاوون كاين لا محالة وهو خلف لتخلف كثير من مشيتهم واجيب بان المعنى ما تشاوون شيا كاينا الا ان يشا الله كينونته ومثله الحديث الاخر اي هو مثله في التنبيه عما يوهم من العبارة وهو حديث صحيح في حديث مسلم وسنن ابي داود مسندا ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخطيب هو عدي بن حاتم كما قاله الطوفي وقال البرهان الحلبي لا اعرف اسمه وقال بعض الحفاظ انه ثابت بن قيس بن شماس وهو خطيب الانصار الصحابي الانصاري الذي شهد له رسول الله بالجنة وان في عبارة المص مفتوحة ويجوز كسرها على الحكاية والخطبة مصدر خطب ويطلق على الكلام نفسه وهي معروفة وكان خطب قومه عند النبي صلى الله عليه وسلم على عادة العرب في الخطبة للامور المهمة وللنكاح قاعدا وقايما وكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب للامور ثم حدث المنبر بعد الهجرة فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد قال في المصباح الرشد الصلاح وهو خلاف الغي والضلال ورشد رشدا من باب تعب ورشد يرشد من باب قتل فهو راشد والاسم الرشاد ويتعدى بالهمزة انتهى وقد قال مثله غيره من اهل اللغة فشين رشد مفتوحة في الحديث وهو المشهور رواية ويجوز كسرها ودوى من باب علم ايضا ومن الغريب ما حكاه السبكي في طبقاته ان شهاب الدين بن المرحل قراه على الحافظ المزي رشد بكسر الشين فرد عليه وقال له قال الله لعلهم يرشدون فقال له ابن المرحل وكذلك قال فاولئك تحروا رشدا فسكت يعني الحافظ ان يفعل المضموم مضارع فعل مفتوحا او مضموما والثاني غير محتمل فتعين الاول فاجابه بان مصدره ورد على فعل بالتحريك وهو مصدر فعل المكسور قال ابن هشام والذي في كتاب سيبويه رشد كبخط فجا السماع على وفق قياس ابن المرحل فلله دره قال السبكي ولا وجه للقياس مع الرواية فان المروي في الحديث المشهور في اللغة انتهى وكذا نقله السيوطي في شرح سنن ابي داود واجاب شهاب الدين بطل بمعقل ومن يعصهما قيل اثر المص رواية الوقف على يعصهما ليظهر منشا القول بان المنع للوقوف وان لم يرض به كما ستراه وقد خفي هذا على المعلقين انتهى قلت يخفي وقد ذكره الدلجي فلا ينبغي مثله من مثله فقد غوي في النهاية غوي يغوي من باب ضرب والغي والغواية الضلال والانهماك في الباطل وفي شرح سنن ابي داود غوي روي بفتح الواو وكسرها قال عياض والصواب الفتح انتهى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بيس خطيب القوم انت قم او قال اذهب وفي سنن ابي داود قم اذهب بيس خطيب القوم انت

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فان لم تتعدد القصة فبعضها رواية بالمعنى الا ان قوله او قال يقتضي شك الراوي ويحتمل انه اختلاف في الرواية ان كان القائل غير الراوي الاول وهو معطوف على مقدر مثله او هو معطوف على الاول ولم يكتف بقوله بئس الخ حتى زاد طرده للزجر تنبيها على ان من لا ادب له لا يصلح لصحبته والتكلم بحضرته والمراد بقم ايضا اذهب من مجلسي كما قال ـــ

كانت اذا ابصرت في القوم محتشما • في الحال قالت له قم غير مطرود

واما على الرواية الاخرى فاذهب بدل من قم مفسر له او باسقاط العاطف اي قم واذهب وبئس مستوف لجميع الذم كما استوفى نعم لجميع المدح وقم لما كان المراد به الطرد كما عرفته لم يقتض كونه قاعدا وهذه للخطبة يخطبها القاعد والقائم كخطبة النكاح فمن قال لعله كان يخطب قاعدا ولعلها لم تكن خطبة مشروعة كالجمعة فانها يجب فيها القيام لغير عاجز بل خطبة نصيحة ومفاخرة على عادتهم فقد اخطأ في فهم المراد وكيف يتوهم ان يخطب الجمعة غيره بحضرته قال ابو سليمان وهو الخطابي كره اي النبي صلى الله عليه وسلم منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية اي كره ان يعبر عنهما بضمير واحد ففيه مضاف مقدر اي بين مسمى الاسمين بكلمة واحدة وهي ضمير التثنية في قوله يعصهما والحرف له معان منها الوجه والكلمة المخصوصة عند النحاة ومطلق الكلمة والطريقة قال الازهري في التهذيب كل كلمة تقرأ على وجوه من القرآن تسمى حرفا فيقال هذا حرف ابن مسعود اي الكلمة التي قرأها اي قراءته ومنه الحديث انزل القرآن على سبعة احرف في احد الاقوال وللناس فيه كلام كثير حتى افرد بالتاليف واما مجيء الكناية بمعنى الضمير فاصطلاح كما في الكشاف في اول سورة البقرة وقال الرضي الكناية في اللغة والاصطلاح اي يعبر عن معين لفظا كان او معنى بلفظ غير صريح في الدلالة عليه اما للابهام على السامع كجاءني فلان او للاختصار كالضمائر الراجعة الى متقدم انتهى فحرف الكناية بمعنى وجه الكناية او طريقة الكناية او كلمتها وهي الضمير وهذا مما لا شبهة فيه وان نوقش في الاختصار بان بعض الضمائر اطول من بعض الظواهر كزيد واياه تقبيل بانه اغلبي وعدا عنه الشريف في شرح الكشاف وعلله برفع التكرار والامر فيه سهل فمن قال هنا حرف الكناية آلته وهي ضمير الغائب ان اراد معناهما من ضمير واحد والحرف لغوي افرد لارادة الجنس او لشرف الاتصال او لانه آلتها وقال الرضي الكناية غير الصريح لدلالته على المعنى بواسطة المرجع ولا يخفى ان انا وانت فيهما تصريح بالمراد وقال التلمساني الضمير مطلقا يسمى كناية من الكن وهو الستر انتهى • فقبيح في غير جزم لانه كيف يعد صريحا وهو صادق على كل متكلم ومخاطب وانما يدل صريحا بواسطة حضور معناه هـ والعجب ممن نقل اطلاق الحرف على الكلمة عن حواشي الشمسية للعمادي وممن شنعه وقال انه اصطلاح منطقي هـ وفي الشرح الجديد الكراهة هنا تنزيهية وكلام الاحيا يقتضي انها تحريمية وفيه ان ثابتا كان خطيب النبي كما كان حسان شاعره ولما قدم وفد تميم وقام خطيبهم فخطب وافتخر قام ثابت فخطب بكلام جزل وهو من كبار الصحابة الانصار شهد المشاهد وبشره النبي بالجنة كما ورد في الحديث فكيف يقال له بئس انت واجاب عنه بانه لا ينافي زجره لخطابه بمخالفة الادب لاسيما وقد ورد في الحديث الصحيح انه قال شارطت ربي فقلت اللهم انما انا بشر فاي المسلمين لعنته او سببته او آذيته او شتمته فاجعله له زكاة واجرا ورحمة وفي رواية اجعله له كفارة يوم القيمة وفي رواية ابي داود في السنن بدل قوله فقد غوى فانه لا يضر الا نفسه لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على يعصهما وقول ابي سليمان اصح لما روي في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما قال العلائي في كتاب الاصول المفيدة قيل في الجمع بين هذه الاحاديث وجوه منها ان هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه يعطي مقام الربوبية حقه ولا يتوهم فيه تسوية له بما عداه اصلا بخلاف غيره من الامة فانه مظنة التسوية عند الاطلاق والجمع في الضمير بين الله

وغيره فلذا جاز الجمع بينهما في كلام النبي صلى الله عليه وسلم في قوله من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما وغير ذلك وامر النبي الخطيب بالافراد لئلا يوهم كلامه التسوية والمخاطب الوفد الذين قرب عهدهم بالاسلام ومثله قوله لا تقولوا ما شاء الله وشئت الخ ويعلم منه ما في كلام الله بالطريق الاولى ويرد عليه حديث ابن مسعود الذي علم فيه الامة ما يقولونه عند الحاجة فان فيه ومن يعصهما فيدل على عدم الخصوصية الا ان يقال يوخذ من مجموع الحديثين انهم يقولون في خطب الحاجة ومن يعص الله ورسوله ولا يجمع بينهما وفيه نظر ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم حيث انكر على ذلك الخطيب كان هناك من يتوهم منه التسوية بين المقامين عند الجمع في الضمير ولعل هذا اقرب مما قبله ومنها ان ذلك الجمع لم يكن على وجه التحتم بل على وجه الندب والارشاد الى الاولى لما في افراد اسم الله عز وجل من التعظيم بل لعل انه ورد خلافه في الاحاديث وهو قريب مما قاله الاصوليون من ان الواو لا تفيد الترتيب ومنها ان ذلك الانكار كان مختصا بذلك الخطيب لانه فهم منه التسوية فيختص بمن كان حاله كذلك ولعل هذا الجواب هو الاقوى لانها واقعة حال وذلك احتمال الا انه اذا انضم اليه حديث ابي داود الذي علم فيه النبي صلى الله عليه وسلم امته كيفية خطبة الحاجة قوي الاحتمال ومثله قيل في الحديث لا تفضلوني على يونس انتهى اقول في هذا المقام اضطراب واشكال لان مقصود المصنف ذكر ثناء الله على رسوله وما يدل على رفعة قدره فلما انتهى الى انه رفع ذكره حيث قرنه بذكره وادرج فيه انه قرن طاعته بطاعته بالواو والمشاركة عقبه بحديث النهي عن قوله ما شاء الله وشاء فلان مؤيدا به انه لا يجوز العطف بالواو في حق غير النبي بناء على هذه الرواية والنهي عن عطف مشيئته بالواو دون ثم ترقى الى النهي عن جمع اسم الله وغيره في ضمير واحد وهو كلام متجاوب الاطراف بحسب الظاهر سواء قلنا النهي تنزيهي على الصحيح او تحريمي لكن اذا تاملت كلامه وجدته مخالفا لما في نفس الامر فان العطف بالواو على اسم الله لا يختص بالنبي لوروده في حق غيره كثيرا في القرآن والحديث ولا مانع منه عقلا وشرعا والحديث الاول فيه رواية اخرى صحيحة كما مر ما شاء الله وشاء محمد فلا يكون مؤيدا له بل مخالفا وجمع الضمير ورد في القرآن والاحاديث كقوله ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ولما راى الناس هذا مخالفا لما مر ذهب بعضهم الى التوفيق وبعضهم الى التلفيق فقال بعضهم انه كان في ابتداء الهجرة ثم نسخ وقيل الخطبة شانها الافصاح وان كلام الرسول جملة واحدة ايقاع الظاهر فيها قليل لغة بخلاف الخطيب وان النبي لو افرد كان معظما وهو اعظم الناس تواضعا وقيل انه ادب شرعي مخصوص بغير كلام الله ورسوله فلا يرد ما في القرآن والحديث وقيل فعله النبي لبيان الجواز واما الحديث الاول فذهب بعض المحققين الى انه مخصوص بالمشيئة لقوله ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن وقوله وما تشاؤون الا ان يشاء الله فانه ندب لتعليق الامور بمشيئة الله وحده فلا يجوز تشريك مشيئة غير الله بمشيئة الله ايضا لانه الذي خلق فيه الدواعي وغاية ما يوجه به كلام المصنف انه مكروه عنده في حق غير النبي اذا كان في كلام غير الله وكلام الرسول لما فيه من الايهام وانه لما ذكره في العطف اتى بالمشيئة وما بعدها استطرادا اذا عرفت هذا فقوله لما فيه من التسوية اي في تثنية الضمير وجمعه تسوية بينهما لانه لفظ واحد متصل لاسيما اذا لوحظ العدول عن العطف الدال على التفاوت بالتقديم والتبعية ولذا قال فليقل من يعص الله ورسوله وليس في الواو تسوية عند المصنف كما قيل بل تشريك اذ الواو تقتضي التغاير لقيامها مقام تكرار العامل وتقديره معها وقول النحاة العطف بالواو بمعنى الضمير لم يريدوا من جميع الوجوه وقوله ذهب غير الخطابي الى انه كره من الخطيب وقوفه على يعصهما بناء على انه فعل ذلك لعي وسعال ونحوه فيوهم عطفه على فاعل فيكون العاصي راشدا وهو فاسد وقيل المراد بالسكوت سكتة حقيقية بقطع النفس لا قطع الكلام مرة واحدة كما مر وانما سكت اشارة لمحل الذم واكتفاء بالمقصود وتنبيها على جواز الحذف

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اوذهولا ونسيانا ولا حاجة لما تكلفه وصرفه عن ظاهره وقوله وقول ابي سليمان اصح اي من القول
بان الانكار عليه لوقفه لا للجمع في الضمير لان قوله له قل ومن يعص الله ورسوله صريح فيه واما
القول بان الجمع وارد ايضا الخ فقد عرفته وما فيه فلا حاجة للتطويل به واما قوله اصح دونه هو الصحيح
لان عدم ذكره الوقوف والرد عليه بما مر والرد عليه بما ذكر لا يخفيه لاسيما مع احتمال تعدد القضية
وقد اختلف المفسرون واصحاب المعاني قال بعض الشراح لم يرد بعلم المعاني هنا علم البلاغة المشهور
بل اراد من لهم زيادة اختصاص بالبحث عن معاني الكتاب والسنة غير المفسرين بقرينة المقابلة وجواز ان
يراد المعنى المعروف وما فيه من المجاز الذي هو من مباحثه كما سياتي في قوله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي هل واو يصلون راجعة على الله تعالى والملائكة ام لا وفي نسخة وعلى ملائكته
ورجح بتعديه بعلى والى والمراد بالرجوع والعود ارادتهما منه بقرينة ما قبله وهو معروف غني عن
الشرح وهل هنا بمعنى الهمزة فلهذا عادلتها ام كما ورد في الحديث هل تزوجت بكرا ام ثيبا والكلام عليه
مبسوط في محله وقوله في قوله متعلق باختلف والتقدير المشهور في اسناد الاختلاف في جواب هل الخ
اذ الاختلاف في الاستفهام وانما الخلاف في الرجوع وعدمه فضل الضمير عايد على الله والملائكة ام على
الملائكة فقط وخبر الجملة له محذوف اي ان الله وملائكته يصلون فاجازه اي الرجوع اليهما بعضهم
ومنعه آخرون لعلة التشريك اي للزوم التشريك بين الله والملائكة والتسوية بينهما في عبارة واحدة
وهو ضمير الواو وان كان معنى الصلاة في حقهما واحدا لما مر من انه ممنوع لما فيه من عدم رعاية التعظيم
الدال على التفريق بالتقديم او بغيره على ما فيه فان كان هذا التعليل نقل من هنا البعض من منع فلا كلام فيه
والمصنف ثقة واجل من ان يكون لم يفهم مرادهم فسقط ما في بعض الشروح من انه لم يقل احد سواه والمنع له
علة اخرى مذكورة في كتب اصول الفقه وهي لزوم استعمال اللفظ المشترك في معنييه او الجمع بين
الحقيقة والمجاز فانهم قالوا الصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ومن الآدميين تضرع ودعا
فان كانت هذه معان حقيقية لزم الاول والا بان يكون في واحد منها حقيقة وفي غيره مجاز لزم الثاني
واجيب بانه على تسليم صحة النقل من عموم المجاز وهو استعماله في معنى عام مجازي شامل لهما على الاحتمالين
او من عموم المشترك فلا يلزم ما ادعاه المجوزون الذين استدلوا بهذه الآية وبان المنع على ما ادعاه المصنف
انما هو من غير الله ورسوله في مقام يوهم تسوية الله بغيره لانه حق لهما يفعل الله فيه ما يشا ويجعله على
من يشا وهو لا يسأل عما يفعل كما مر تحقيقه وقد صرح به القرطبي في تفسيره هنا وفي تفسير القاضي
لقوله ثم هو الذي يصلي عليكم وملائكته يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم
والمراد بالصلاة المعنى المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلاة بمعنى
الدعا وقيل الترحم والانعطاف المعنوي ماخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصوري واعلم
ان في تفسير الصلاة السابق كلام لنا فيه رسالة مستقلة وليس هذا محله فحسبك من القلادة ما احاط
بالجيد وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الآية ان الله يصلي وملائكته يصلون اي من
ذهب الى ان العلة التشريك ولم يجوزه مطلقا خص الضمير بالملائكة وقدر في الاول خبرا فالتقدير عنده
ان الله يصلي وملائكته يصلون فحذف من الاول ما يدل عليه الثاني على عكس المشهور في الحذف والتقدير ولكن مثله
جايز بان قرئ بنصب ملائكته عطفا على اسم ان فاذا رفع تعين كونه كذلك وعليه عند المصنف العرب
من التشريك وعند غيره ما مر وكون الحذف من الاول لدلالة الثاني عليه ضعيفا غير مسلم من انه قيل عليه ايضا
انه على هذا التقدير وان اندفع التشريك لم يندفع ايهامه بحسب الظاهر من اللفظ روي عن عمر انه قال من
فضيلتك عنده ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله من فضيلتك

خبر مقدم وعنده متعلق به وان جعل مبتدا مؤخرا والعكس يجعل من التبعيضية لكونها بمعنى بعض مبتدا
آخر والسياق من غير احتياج وان ذكره بعضهم في قوله ثم ومن الناس من يقول آمنا وهذا الحديث قال
المخرجون انهم لم يجدوه في شي من كتب الحديث وان ورد ما هو بمعناه في صحيح البخاري عن ابي هريرة
من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع امري فقد اطاعني ومن عصا امري
فقد عصاني وقد قال الله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية هذا يحتمل ان يكون
استينافا من المصنف ويحتمل ان يكون من كلام عمر ايضا وهو المقصود بالذكر هنا وانما نقل اول كلامه ليكون
مذكورا بتمامه فلا يرد عليه ما قيل من انه قد سبق بلفظه فلا فايدة فيه غير الاطالة وقيل انه لا تكرار فيه على
كلا التقديرين لاختلاف المقامين فانه اولا ذكر اقتران اسمه باسمه وطاعته بطاعته لرفع ذكره واعلاء
قدره وذكره هنا لان الله عظمه مع تادبه مع ربه فجعل طاعته نفس طاعته ولا يخفى انه لا تحصل له ثم لك
ان تقول انما نحن فيه ابلغ مما مر فيكون ترقيا في مدحه لا قتران شي بشي دون كونه عينه بحيث لا يمكن
انفكاك احدهما عن الآخر وان من عصى النبي عصى الله فان قلت هذا مراده قم حبا بالوفاق وعلى كل حال
فليس في ذكره هنا مع ما مر كثير فايدة فلو اقتصر على احدهما حصل المراد وقال القاضي في تفسيره المحبة
ميل النفس الى الشي لكمال ادركه فيه بحيث يحمله على ما يقربه اليه والكمال الحقيقي ليس الا الله عز وجل
فان ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله فلا ينبغي المحبة الا لله وفي الله وذلك يقتضي
ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه له فلذا فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول
ومطاوعته وبهذا علمت وجه الملازمة في الشرطية وقال الامام اتفق المتكلمون على ان المحبة نوع من
انواع الارادة وان الارادة لا تعلق لها الا بالحوادث والمنافع فيستحيل تعلقها بذاته ثم وصفاته فاذا
قيل العبد يحب الله فمعناه يحب طاعته وثوابه ونحوه واما محبة الله له فهي عبارة عن ارادة الخير له في
الدارين ونقل الشارح الفاضل ان العارفين قالوا ان العبد يحب الله لذاته واما حبه لشي آخر فمن رحمة
نازلة والقول الاول ضعيف لانه لا يمكن ان يقال ان كل شي انما كان محبوبا لشي آخر اذ لا بد من الانتهاء الى شي
يكون محبوبا لذاته فمن سمع اخبار رستم في شجاعته مال قلبه اليه مع القطع بان محبته مفضية فعلمنا ان الكمال
محبوب لذاته واكمل الكمال لله فيقتضي انه محبوب لذاته واكمل الكمال لله فيقتضي انه محبوب من ذاته لذاته
وقيل المراد هنا ان صدقتم في دعوى المحبة فاتبعوني فان اتباعي علامة ذلك فاذا اتبعتموني يزيدكم الله
فضلا فيحبكم فتتم الملازمة او هي امر اعتباري اي انما تعتبر محبتكم باتباعي او هي قضية اتفاقية او بوالج
قضية ضرورية عرفية اقول محصل ما قالوه وفي الشرح الجديد هنا كلام طويل من غير طايل والحق
الحقيق بالقبول ان المصنف قصد بعد ما ذكر ان الله رفع ذكره وطاعته بجعلهما قرينتي ذكره وطاعته ان يبين
ان طاعته تقتضي محبة الله ورضوانه الذي هو اكبر من جميع ما مر لان محبة الله واجبة اذ بها يكمل الايمان
فانه لا يؤمن احد حتى يكون الله احب اليه من نفسه وحبه لا يكون الا بطاعته ان المحب لمن يحب مطيع وطاعته
انما تكون بطاعة رسوله لانه اعظم مأمور به لقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وطاعة الرسول اتباعه
في اوامره ونواهيه فاذا كان هذا تحقق محبة الله ومن احب الله احبه كما قيل

لاوحق الخضوع عند التلاقي ... ما جزا من يحب الا يحب

وبهذا علمت ان ذكر آية الطاعة امر لازم هنا ليتم الدليل على انه صلى الله عليه وسلم احب الخلق الى الله
لانه يحب من اتبعه فاذا عادة التكرار من قصور الانظار وما بعده من فتق الديباج وترقيعه بالخيش وبهذا
عرفت محبة الله لعبده ومحبة عبده له وروي رواه ابن الجوزي عن ابن عباس وابن المنذر عن مجاهد وقتادة
انه لما نزلت هذه الآية قالوا اي الكفار او المنافقون والقايل عبد الله بن ابي بن سلول نزل قوله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

منزلة فقولهم كلهم إن محمدا يريد أن نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله تعالى قل
أطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم الحنان بفتح الحاء بعدها نون مخففة يليها
الف ونون ومعناه الرحمة والعطف ومنه قوله وحنانا من لدنا وقال ابن عباس لا ادري ما الحنان وفي
النهاية ان ورقة مر ببلال وهو يعذب فقال والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا والحنان الرحمة والعطف
والرزق والبركة اي لاجعلن قبره موضع حنان اي مظنة رحمة وبركة فاتمسح به كما يتمسح بقبور الصالحين
الذين قتلوا في سبيل الله من الامم الماضية والمعنى على هذا هنا ان محمدا يريد ان يجعلنا نتبرك به ونخضع
له خضوعا يؤدي لعبادته كما عبدت النصارى عيسى بن مريم لان محبة الله بالاطاعة والخضوع له بالعبادة
وقد جعل اتباعه تتوقف عليه محبة الله قيل وفيما ذكره صاحب النهاية نظر لان بلالا انما عذب بعد
ما اسلم وورقة مات قبل البعثة وفيه تامل فان قيل ان القائل زيد بن عمرو بن نفيل واما قول
المعترض ان ورقة اسلم قبل البعث فليس بصحيح لما في البخاري مما يخالفه وما في النهاية ذكره ابن اسحاق
في السيرة وايده ابن حجر بما في البخاري وانما الذي لم يدرك البعثة زيد المذكور • والنصارى عند سيبويه
مفرده نصران ومؤنثه نصرانة ولم يستعمل بياء النسب وقال الخليل واحده نصري كمهري ومهارى
وقيل هو منسوب الى نصره وهي قرية نزلها عيسى وقال قتادة هي ناصرة ولكنه غير في النسب
ونصارى ممنوع من الصرف للالف وهم قوم عيسى وقد افترقوا فرقا بسبب قصة بولس المفصلة في
التواريخ وذكرها التلمساني ايضا وعيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان قال التلمساني لم يذكر الله في
القران امراة باسمها الا مريم ذكرها في نحو ثلاثين موضعا والحكمة فيه ان الملوك والاشراف لا يذكرون
حرائرهم وجاتهم باسمائهن بل يكنون عنهن بالاهل والعيال ونحوه فاذا ذكروا الاماء لم يكنوا ولم
يحتشموا عن التصريح فلذا صرح باسمها اشارة الى انها امة من اماء الله وابنها عبد من عبيد الله ردا
على اليهود الذين قالوا في عيسى ومريم ما قالوه وهو كلام حسن جدا • وعيسى ليس بمشتق من العيس
بمعنى البياض لانه اعجمي معرب والاشتقاق يختص بكلام العرب وان كانوا اذا عربوه الحقوه بكلامهم
وتصرفوا فيه فقد يتعرضون اشتقاقه لبيان وزنه وحكمه وعيسى عليه الصلاة والسلام رفع
وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة او اربع وهو الاشهر عند المفسرين والمحدثين وقيل ثمانون سنة وقيل
مائة وعشرون سنة كما نقله ابن حجر في الاصابة • واختلف ايضا في مكثه في الدنيا بعد نزوله
من السما فقيل سبع سنين وقيل اربعين وقيل غير ذلك ونزول الاية رد لما قالوه لا مره بطاعته
وتوقيره بما يليق به ففيه تكذيب لهم وتسفيه • ورغما بالراء المهملة والغين المعجمة والميم مثلث الرا
بمعنى تذليل وقهر واكراه واصله من الرغام وهو التراب لان المهان يسحب في الارض على التراب
ثم عم فقيل ارغم الله انفه ورغما عليه اي قهرا وذلا وغيظا وهو منصوب مفعولا له اي لارادة
ذلك بهم وتحصيله وفيما ذكر من تعظيمه عليه السلام وتذليل عدايه انم مناسبة لغرض المص هنا
وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى في ام الكتاب وهي سورة الفاتحة ولها اسام مذكورة
مبينة لا حاجة لنا بذكرها ووجه هذه التسمية فيه وجوه اشهرها انها سميت به لانها مبدوة
ومفتتحة فكانها امه او لاشتمالها على مقاصده اجمالا او وجه التسمية لا يلزم اطراده مع ما فيها
من المرجحات وفيه تحقيقات تكفلت بها شروح الكشاف فعليك بها ان اردتها فقال ابو العالية
هو اسم مشترك والذي رجحه الشراح انه رفيع بن مهران التابعي الذي اسلم في خلافة الصديق
فانه خرج له الشيخان وله تفسير مات في سنة تسعين على الصحيح وقيل هو زياد بن فيروز البرا
بتشديد الراء المهملة لانه كان يبري النبل وهو ايضا ممن اخرج له الشيخان ومات في تسعين

ايضا وتردد بعضهم في المراد به هنا ورفيع بالتصغير كما قاله النووي في تهذيبه الرياحي
نسبة الى امراة من بني رياح اعتقته سايبة فهو مولاها اسلم بعد عامين من موت النبي وروى عنه
اصحاب الكتب الستة ومعنى السايبة ان يعتق ويترك وولاوه وميراثه طلبا للاجر وهذا مما كان
في الجاهلية ونهي عنه وهذا ما اخرجه ابن جرير وابو حاتم عن ابي العالية عن ابن عباس وصححوه هم
ورواه الحسن البصري كما ذكره المص • وتسميتها ام الكتاب وام القران على طريق الاستعارة مما هو
مشهور وان اطلق الاول على غيرها كاللوح المحفوظ والقول بان هذه التسمية مكروهة مما لا يلتفت
اليه وان ذكره بعضهم تكثيرا للسواد قيل وانما صرح المص باسم السورة مع ظهوره وكونه على خلاف
عادته فيما يذكره من الايات لما فيه من تعظيم الله له واعتنائه بشانه حيث ذكره في اول كتابه
ومبدا خطابه الصراط المستقيم هو رسول الله وخيار اهل بيته واصحابه جملة اهدنا
الدعائية بيان للمعونة المطلوبة والكلام على الهداية وتعديتها ومراتبها مفصلة في حواشينا
على تفسير البيضاوي والصراط جادة الطريق من الصرط وهو الابتلاع ومثله تسميته لقما وقرئ
بالصاد والسين وباشمامها زايا وبها خالصة في رواية ضعيفة وهو يذكر ويونث والمراد به
هنا طريق الحق وهو ملة الاسلام او القران او الايمان وتوابعه او الاسلام وشرايعه او السبل المهمة
او طريق النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر والنبيين او طريق الجنة او طريق السنة والجماعة
او طريق الخوف والرجا او حسن جهتهم وهذا ما عليه اكثر المفسرين قال الامام التسكي ويرد على
بعضها ان المراد بهذا ما بعده من قوله صراط الذين الخ • قلت ليس هذا متفق عليه نعم يرد
على ما ذكره المص انه اذا فسر بالنبي واصحابه يصير المعنى اهدنا النبي وصحبه ولا معنى له الا
بتقدير طريق النبي ونحوه وفيه ركاكة لا تخفى ولذا قيل الظاهر على هذا انه شبههم بالطريق
الحق في ايصاله للمطلوب اي اهدنا اباهم لنومن بهم ونتبعهم وقيل سمى المرشد للطريق طريقا تسمية
الدال باسم المدلول او المسبب باسم السبب فهو مجاز مرسل كما قيل وفي المعالم حكاية هذا القول بلفظ
طريق رسول الله فهو رواية او اشارة الى حذف مضاف فيه والمستقيم المستوي من غير اعوجاج
والاستقامة تكون حسية ومعنوية وقوله واصحابه يجوز فيه الرفع عطفا على رسول الله او
خيار ورجح هذا لما ياتي والجر عطفا على اهل بيته وبه جزم في المقتفي والمعنى خيار اصحابه
والاضافة بيانية هنا وهناك او جميع اصحابه واهل بيته خيار عدول حتى من لابس الفتن منهم
لاجتهادهم وعلى عدالتهم مشى ابن الهمام في تحريره وجزم به العراقي وابن عبد البر وعليه الاكثر وحكي
اجماع اهل السنة والجماعة عليه ويجوز ان تكون الاضافة لامية سواء جعلت الخيرية بمعنى العدالة
ام لا للتفاوت مراتبهم فيها والبيت اين العيش وخصبه واصلها من التفوه وهمزه اسم للتفضيل هي واحد
معاني صيغة افعل وهي نحو اربعة وعشرين معنى حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وقد تقدمت
ترجمته وهذا الاثر رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس وصححه وحكى مكي هو ابو محمد بن ابي طالب
شيخ الصوفية واهل السنة المتبحر في التفسير وغيره من العلوم وله تفسير كبير وكتابه القوت
كتاب جليل توفي بقرطبة سنة سبع وثلاثين واربعمائة واصله من القيروان وولد بها ثم انتقل الى الاندلس
وسكن قرطبة وبها توفي ودفن وقال مكي هو اي الصراط المستقيم في الفاتحة وحكى مكي عنهما نحوه
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه العطف اما تفسيري فالجملة مبينة للمحكي او هو قول
آخر فلمكي فيه قولان وليست الجملة مستانفة الا ان يراد انها معطوفة على جملة مستانفة ابو بكر وعمر
بدل من صاحباه او عطف بيان وابو بكر افضل الصحابة واسبقهم في الصحبة وهو افضل من طلعت

الألوكة www.alukah.net

عليه الشمس بعد النبي باتفاق اهل السنة ولا عبرة بخلاف الشيعة فيه اسلم هو وابوه وابنه وحفدته
وهو الصاحب في الغار وفي السر والجهار ولم يزل ملحوظا بعين الرضا موحدا لم يسجد لصنم قط وقال
ابو الحسن الاشعري لم يزل بعين الرضا منه وقد اختلف في قراره فقيل لم يزل مومنا قبل البعثة وبعدها
وقيل لم يزل بحالة غير مغضوب عليه فيها لعلم الله بانه سيومن ويصير من خلص الابرار وقال السبكي لو
كان كذلك لساواه كثير من الصحابة وهذه الرواية لم تثبت عنه والصواب ان يقال لم يثبت عنه كفر بالله
قلت هذا هو المعنى الاول بعينه والذي اراه ان ضمير منه للنبي والمراد انه لم يفارقه طرفة عين
ولم يخالفه بمثل شفة وبهذا استحق التقدم على غيره وتوفي سنة اربعة عشر وله اربع وستون سنة وعمر
هو ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لوي بن
غالب القرشي العدوي ابو حفص امير المومنين روى عن رسول الله ﷺ احاديث كثيرة وروى عنه كثير من الصحابة
والتابعين وقد صنف ابن كثير كتابا مستقلا في ترجمته وسيرته وما روي عنه مات رضي الله عنه سنة
ثلاث وعشرين وعمره ثلاث وستون على المشهور وفضايله غني عن البيان وحكى ابو الليث السمرقندي
تقدمت ترجمته مثله عن ابي العالية السابق ذكره والمراد بالمماثلة مشاركته في تفسير الصراط بالنبي
واصحابه وان اختلفا في تخصيص الاصحاب وعدمه في قوله صراط الذين انعمت عليهم هو بدل مما
قبله او عطف بيان فهو عين الاول وقال السبكي من الغريب ما قيل انه غير الاول فكانه على راي من يجوز
حذف العطف • واختلف هل لله على كافر نعمة فاثبتها المعتزلة ونفاها غيرهم وبناء انعمت للفاعل استعطافا
لقبول الدعا بالهداية وغير وصف عند سيبويه وبدل من الذين عند ابي علي ومن الضمير عند غيره على معنى
انهم جمعوا بين النعمة المطلقة والايمان والسلامة من غضب الله انتهى • فالمراد عند هذا القايل بالذين
انعمت عليهم النبي وخيار اهل بيته وصحبه فهو بدل او هذا التفسير مما سبق على الاحتمال والبدل ولا
حاجة الى القول بان ابا العالية غير القايل بان الصراط النبي فيما سبق كنا فيهما ولا يخفى ان قوله مثله يأباه
قال اي ابو الليث فبلغ اي سمع هذا التفسير الحسن السابق ذكره فقال صدق والله ونصح اي صدق
ابو العالية فيما قاله وانه تفسير للآية والقسم لتاكيد صدقه وجزمه بما قاله او غلبة ظنه وقال
بعض المفسرين ان المنعم عليهم في هذه الآية هم المذكورون في قوله اوليك الذين انعم الله عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو قول ابن عباس واذا نظرت لقوله وحسن اوليك
رفيقا وجمعت بينه وبين قوله صراط الذين انعمت عليهم تخرج سر حاله لان الطريق وهو محتاج لرفيق
وفي الحديث خير الرفقا اربعة يعني قوله من النبيين الخ فانهم اربعة وهذا مما نبه عليه الامام السهيلي
اقول ونحوه من اللطايف ما قاله الحرني تلميذ الفخر الرازي في كتاب له سماه اقاليم التعاليم
ان بسم الله الرحمن الرحيم اشارة الى حقيقته الكاملة التي لا يحيط بها ادراك مدرك وهو الله في الازل
خلق الخلق برحمته ولهذا لا يقال رحمن لغيره ثم بعد الخلق ابقى المخلوق بالرزق ورزقه بالرحمة فهو رحيم
اي رحمهم برزق ولذا قيل لغيره رحيم لانه قد يجري الرزق على يد غيره فهو اذن رحمن رحيم خلق ورزق
وتمت نعمته فوجب شكره فلذا قال الحمد لله رب العالمين • ثم انه تعالى في مرة اخرى بعد الموت والفوت
يخلق المكلفين كما كانوا ويرزق في الدنيا والآخرة فهو رحمان رحيم كما كان فلذا قال ثانيا الرحمن الرحيم
باعتبار المعاد الذي هو مالكه فلذا قال مالك يوم الدين فاذا تبين انه الخالق الرازق اولا وآخرا
فلا عبادة الا له فقال اياك نعبد ولما كانت نعمه لا تحصى ولا يفي بها الشكر من عباده الضعفا قال
اياك نستعين لتكون العبادة كما يرضى لعباده ويليق بجلاله فاذا عبدناه واعاننا نبغي الوصول اليه
ليحصل الشرف الاقصى بالتولي بين يديه وذلك بسلوك طريق موصل اليه فقال اهدنا الصراط المستقيم

الصراط

ومن اراد

ومن اراد سلوك طريق بعيد لابد له من رفيق فقال صراط الذين الخ اي النبيين والصديقين
فهم احسن الرفقا ثم اذا وجد الطريق خيف قطاع الطريق فقال غير الخ فاذا امن منهم خيف الضلال
في الطريق لاشتباه معالمه فقال ولا الضالين انتهى عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم المدني وهو
واخرج له اصحاب السنن وتوفي في سنة اثنين وثمانين بعد المائة وفي تفسير الصراط
بالنبي واتباعه من الثناء والتعظيم ما لا يخفى لاسيما ذكره في ام الكتاب الواجب قراءته
في كل صلاة وهو سر ذكر اسم السورة على خلاف عادته كما مر وابو عبد الرحمن السلمي مر ذكره وترجمته
فقد استمسك بالعروة الوثقى محمد صلى الله عليه وسلم اول الآية فمن يكفر بالطاغوت ويومن بالله
فقد الخ والطاغوت ما يعبد من دون الله وقيل الشيطان وفي وزنه واشتقاقه كلام في التفسير
واستمسك مبالغة في التمسك يقال مسك وامسك وتمسك واستمسك بمعنى والعروة في
الاصل النبات الثابت في الارض ويقال لما يعقد في الحبل ليدخل فيه اليد للتمسك ومنه عروة القميص
والكوز ثم استعير لكل ما يعتصم به ويلتجا اليه والوثقى فعلى من الوثاقة وهي الاحكام والشد
الوثيق والربط المحكم الذي لا انفصام له اي لا انقطاع ولا انفصال فاذا اريد بها النبي صلى الله عليه
وسلم فهو استعارة ومجاز على المجاز لشهرة الاول والتحاقه بالحقيقة والمراد من صدق وآمن به سلم
من كل سوء في الدنيا والآخرة فهو استعارة تصريحية والاستمساك ترشيح او استعارة تبعية فان
فسرت بالتوحيد والاسلام كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري فالمراد ان نفعه
والسلامة بسببه محكمة متصلة في الدارين وصاحبه امين من السقوط والانقطاع • وقوله عن بعضهم
قال بعض الشراح لم يسمه ولم اره ولا وجه لاستبعاد ما ذكر مع صحته وظهور وجه التجوز فيه وقيل الاسلام
وقيل شهادة التوحيد اي قال بعضهم هذا معنى العروة الوثقى وهو ظاهر مما مر وشهادة التوحيد قول
اشهد ان لا اله الا الله وقريب منه تفسيره بلا اله الا الله وهي كلمة التوحيد اي الايمان بوحدانية
الله قيل واول هذين القولين الصق بقوله فمن يكفر بالطاغوت ويومن بالله الخ وعليهما ففيه ثناء على
ما جاء به محمد ويلزمه الثنا عليه نفسه والظاهر عند البخاري غيره وان الآية استعارة لعقد النفس
عقدا وثيقا لا تزول بعقد قدمه ومن شان العرب تشبيه المعاني بالذوات المرئية فشبه في الآية
التمسك بالدين بالتمسك بعروة وثيقة لا تنقطع ونحوه قول السعد في شرح الكشاف شبه التدين
بالدين الحق والثبات على الهدى والايمان بالعروة الوثقى في الحبل المحكم المامون من انقطاعه فذكر
المشبه به واريد المشبه ولا يمتنع كون العروة استعارة للعهد او الكتاب كما في قوله واعتصموا بحبل
الله انتهى • وعد هذا اقرب من استعارته لذات النبي لا يرد عليه شي مما مر وقال سهل هو سهل بن عبد الله
التستري وقد قدمنا ترجمته في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال النعمة بمحمد صلى
الله عليه وسلم في هذه الآية بلاغة عظيمة حيث قال نعمة الله ولم يقل نعم الله والبا الموحدة بحسب
الاصل والعد يقتضي الكثرة ولذا قال الخاتاني الواحد ليس بعدد الا انه قد يعم ويستغرق فتكون الوحدة
نوعية او جنسية وذلك ان تقول فيه ايما الى ان النعمة الواحدة ولو كانت الوحدة حقيقية تشتمل
على نعم لا تحصى فالصحة نعمة واحدة مثلا وهي مشتملة على صحة كل جزء جزء في كل حين ظاهرا وباطنا
فلو اراد احد تفصيلها وفي حواشي المطول للشيرازي المعنى ان شرعوا في عد افراد نعمة من نعم الله لا
يطيقون عدها واتما الى بان وعدم العد مقطوع به نظرا الى توهم انه يطاق واصل معنى الاحصاء
العد بالحصى وكانت العرب تفعله كما قال الاعشى

ولست بالاكثر منهم حصى • وانما العزة للكاثر •

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ثم صار حقيقة في العد مطلقا والمراد هنا الحصر والاستقصا لان ما ليس كذلك لا يعد
والا لكان المعنى ان تعدوا نعم الله لا تحدوها والمراد تريدوا عدها ﴿ وقوله قال اعادة تاكيد كل
للاول وللفصل بين كلام الله وتفسيره والقايل هو سهل والنعمة تكون بمعنى الانعام والمنعم به فان
اريد الاول فالبا للتعدية تقول انعم عليه بكذا ومحمد هو المنعم به لان النعمة العظمى لكونه رحمة
لساير الخلق كما وقع في نسخة مروية عن المص نعمته بمحمد بغير با وان اريد الثاني فالبا سببية فالمعنى
نعمته كاينة بسببه او انعامه به وفيه فوايد ومنافع لا تحصى فلا منافاة بين عدم الاحصا وكون
المنعم به محمدا صلى الله عليه وسلم فلا وجه لما قيل انه من اعظم النعم والمراد المعنى الاعم المتناول لها
بقوله لا تحصوها والا فالنعمة به من اعرف المعارف المعلومة والاحصا انما يكون في المعدود لقوله
واحصى كل شي عددا انتهى ﴿ واضافة نعمة يجوز ان تكون للعهد والاستغراق لان الاضافة تاتي لما
تاتي له اللام كما تقرر في الاصول فعدم الاحصا لها او لما يترتب عليها **وقال تعالى والذي جاء
بالصدق الاية تفسير اكثر المفسرين على جاز الذي جاء بالصدق هو محمد عليه السلام** وفي المراد بالذي
هنا تفاسير منها انه محمد وعليه اكثر المفسرين وهو في غاية الوضوح واقتصر عليه المص لمناسبته لما
عقد له الفصل من المدح والثناء عليه بانه صادق مصدق وقيل هو جبريل وقيل انه مفرد لفظا
جمع معنى لان تقديره الفريق او الجنس الذي بعضه جا بالصدق الذي هو لا اله الا الله او القرآن
فاوليك هم المتقون مبني على ان المراد هو ومن تبعه كما في قوله تع ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم
يهتدون او بتنزيل الواحد منزلة الجماعة تعظيما له قال التفتازاني الاوجه ان يراد بالثاني النبي
والامة واوليك على ظاهره وفيه نظر واختلف في تفسير الذي صدق به كما اشار اليه المص بقوله ﴿
وقال بعضهم وهو اي محمد **الذي صدق به** المراد بالبعض ابن عباس لانهم نقلوا هذا التفسير عنه
ومعنى صدق به امن به كما في الكشاف وفي المعالم معناه صدق الرسول به اي بلغه الى الخلق وقال
البيضاوي صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل او صار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه انتهى ﴿
وقيل في هذا خفاء الا ان يقال معناه جعل الخلق مصدقا به وهو بالتبليغ فليتامل وقيل ضمير به للصدق
فيتناول الرسول والمومنين والذي مبتدا خبره اوليك وهذه الايات قد دلت على انه صلى الله عليه وسلم
جا من عند ربه بصدق دلت معجزاته على صدقه قطعا وانه صدق جبريل فيما اتاه به ووصفه بانه متق
وحصر التقوى فيه لان المراد بها تقوى كاملة لا تتيسر لغيره والحصر من تعريف الطرفين وفيه مدح عظيم له
واعلم ان الذي قد ياتي بمعنى الذين ويغني عنه في غير تخصيص كثيرا اذا اريد به الجنس لا افرادا منه
بخصوصه فلفظه مفرد ومعناه جمع لتقدير موصوف له مفرد اللفظ مجموع كالفريق ونحوه مما مر وفي شرح
التسهيل التقدير في هذه الاية الجمع او الفريق الذي جاء الى اخره فله جهتان بحسب اللفظ والمعنى
روعي اللفظ فوصف بالمفرد وروعي المعنى فعاد عليه ضمير الجماعة كقوله كمثل الذي استوقد نارا
وليس الذي اصله الذين فخفف بحذف النون كما جوزه بعض النحاة لانه لو كان لم يجز افراد عايده فان
اريد بالموصول جماعة معينة لم يجز افراده الا نادرا للضرورة كقوله ﴿
وان الذي حانت بفلج دماوهم ﴿ هم القوم كل القوم يا ام خالد ﴿
قاله ابن مالك في شرح التسهيل وقري في الشواذ والقاري هو عكرمة وابو صالح **وصدق على التخفيف**
قال في المصباح صدق خلاف كذب وصدقته يتعدى ولا يتعدى وصدقته بالتثقيل نسبته الى الصدق
وقلت له صدقت انتهى والصدق يكون في الافعال ايضا فيقال حمل حملة صادقة كما قال الراغب اي
اخبر عن الله بما هو صحيح نسبة الى الله مطابق لما في الواقع وهو ايضا معتقد مصدق به فانه قد يقول

انسان

انسان امرا واقعا لا يعتقده كقول الدهري العالم حادث او حده الله او المراد انه صدق في تبليغ
الوحي كما انزل اليه وقيل المعنى انه صادق بسببه لكونه معجزة له فسقط ما قيل من انه مكرر مع
قوله الذي جا بالصدق والتاسيس اولى من التاكيد مع ما فيه من الخطا وترك لان القراءة
لا يعترض عليها ولو كانت شاذة **وقال غيرهم** وفي نسخة قال غيره والافراد نظرا لافراد لفظ بعض
والجمع نظرا الى المعنى لانهم جماعة والقايل قتادة ومقاتل **الذي صدق به المومنون** يعني على
القراتين وتفسير الذي جاء بالصدق لمحمد صلى الله عليه وسلم والاخبار باوليك على ظاهره لكنه
كما قيل يلزم فيه تقدير موصول اي والذين صدقوا به وهو ممنوع عند بعض النحاة وجوزه اخرون
وقالوا انه الحق رواية ودراية اذا دل عليه دليل ومنه قوله تع قولوا امنا بما انزل الينا وانزل اليكم
اي وما انزل اليكم وقول حسان ﴿
فمن يهجو رسول الله منكم ﴿ ويمدحه وينصره سواء ﴿
وارتضاه ابن مالك والمانعون يمنعون تخريج الاية عليه ويقولون هي حالية بتقدير قد او يقولون
ان بمعنى الجنس في الذي الخ من غير حاجة الى التقدير **وقيل ابو بكر وقيل علي وقيل غير هذا من الاقوال**
كتفسيره بجبريل او بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذي جا بالصدق وصدق به المومنون الذين
يجيئون في القيامة بالقرآن ويقولون هذا هو الذي جاءنا وقد اتبعناه واما تخصيص ابي بكر
فلانه الصديق الاكبر الذي سبق الناس كلهم للتصديق ولم يصدر منه غيره قط وكذا علي فانه يسمى
الصديق الاصغر الذي لم يتلبس بكفره قط ولم يسجد لغير الله مع صغره وكون ابيه على غير الملة ولذا
خص بقول كرم الله وجهه وقيل تخصيصهما للاولية في التصديق او للتصديق في اول الدعاء وهذا
منقول عن مجاهد ولا يرد على هذا ولا على ما قبله انه يلزم منه حذف الموصول بدون الصلة او ان يراد بموصول
مع صلة شي منه مع صلة اخرى اخر لان الموصول هنا واحد لفظا جمع معنى بتقدير موصوف كذا الكم ونحوه
والصلة له على التوزيع اي جمع بعضهم جاء به وبعضهم صدق به فلا محذور وفيه كما ذكره الطيبي
وهذا جار في الوجه الاخير اذ لا ما تم منه فلا وجه لقول القاضي ومن تبعه انه اذا كان الجائي
النبي والمصدق ابو بكر ونحوه يلزم اضمار الذي وهو غير جايز مع انه ذكر هذا في الوجه السابق
وليس بينهما فارق والفرق بانهما فرد ان متخصصان هنا لا يجدي نفعا لما مر ولا حاجة ايضا الى ان
الذي اصله الذين فخفف بحذف النون لطوله بالصلة اقول الذي غيره لان الذي لا يراد به متعدد
الا اذا كان غير مختص بمعين قال في التسهيل يغني عن الذين الذي في غير تخصيص كثيرا وفيه للضرورة
قليلا انتهى **وعن مجاهد** قال السيوطي رواه ابن جرير وابن ابي حاتم ومجاهد من كبار التابعين وهو ابو
محمد بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة والراء المهملة المقري المفسر الزاهد العابد روى عنه اصحاب
السنن وغيرهم ووثقه المحدثون كما ذكره الذهبي في ترجمته ومولده في خلافة عمر سنة احدى وعشرين
وتوفي بمكة سنة اثنتين او ثلاث ومائة وهو ساجد وقيل كنيته ابو الحجاج واذا سم ابيه جبير بالتصغير
وقيل انه راى هاروت وماروت فكاد يتلف **في قوله تعالى الا بذكر الله تطمين القلوب قال بمحمد
واصحابه رضي الله عنهم** قيل انه مبالغة لكونه سببا للذكر امر ابه جعل عين الذكر كرجل عدل او على
تقدير مضاف اي ذكر رسول الله كقوله ذكر رحمة ربك ولا وجه لما قيل من انه بعيد خارج عن النص
وافراده عن المعنى الاول نظرا لاصله فانه يستوي فيه الواحد المذكر وغيره واطمينان القلب
سكونه وعدم اضطرابه يقال اطمان بالموضع اذا اقام واتخذه وطنا وموضع مطمين منخفض واختلف
اهل اللغة فيه فقيل ان اطمان كاحمار ثم همز وقيل كانت الهمزة مقدمة على الميم فقلبت والمشهور ان الذكر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

على ظاهره واطمئنان القلب به لاستئناسه به والتعبير بالمضارع للاستمرار التجددي لدوام
ذكره وروي عن مجاهد ايضا ان المراد بذكر الله هنا القرآن وفي الحديث القدسي اذا كان الغالب على
عبدي الاشتغال بي جعلت همه ولذته في ذكري اللهم اجعلنا ممن يطمئن قلبه بذكرك وتكون
همته مصروفة لحمدك وشكرك آمين

الفصل الثاني في وصفه تعالى له بالشهادة وما يتعلق بها

من الثناء والكرامة اي بانه شاهد على امته بالتبليغ اليهم وعلى سائر الامم بتبليغ انبيائهم لهم وفي
بعض النسخ الصحيحة في وصفه له تعالى بتقديم له والمعنى ظاهر وليت احدى النسختين جديرة بالحكم
والحكم بالسقم كما قيل لظهور المعنى وان ضمير وصفه والمستتر في قوله تع وضمير له للرسول وتوهم
خلافه بعيد كما في قوله تع لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا فانه لا
يتوهم عود ضمير تسبحوه لرسوله والقول بجوده لدلالة المعنى لتسبحوا معه مستبعد جدا والشهادة
مشتقة من المشاهدة وهي المعاينة والمراد بها الخبر القاطع تقول شهد على كذا ويكون بمعنى حضر وما
يتعلق بها من الثناء والكرامة اي الاكرام له ويكون اسم مصدر بمعنى الحاصل بالمصدر وهو الاكرام يعني
ان المقصود في الفصل الاول ثناء الله ومدحه لنبيه بكونه انفس الناس ذاتا وحسبا ونسبا وكونه
خيرا ورحمة عامة في حياته ومماته وكونه نورا محضا للعالم وكونه ذا صدر واسع منشرح ورفعة
قدره واسمه بمقارنته لاسم ربه وذكره وانه الصراط المستقيم والمقصود هنا ان الله تع جعله
شاهدا على امته وسائر الامم وانبيائهم وما ذكر فيه من الثناء والاكرام مذكور بالتبعية للشهادة استطرادا
لمناسبته له وبهذا تتبين المغايرة بين ما عقد له الفصلان فلا تكرار ولا عموم وخصوص بقرينة
المقابلة كما قيل وستقف عليه قريبا ان شاء الله تعالى قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية اي وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا كما مر وشاهدا وما عطف
عليه حال مقدرة ومن عادته ان يذكر الاية في محل الغرض ثم يسوقها في موضع آخر لغيره فذكر هذه الاية
للتاكيد لكونه نورا ثم ذكرها هنا لكونه شاهدا على التبليغ فلذلك قال جمع الله في هذه الاية ضروبا
اي انواعا جمع ضرب اي صنف او هو جمع ضرب وضرب بالفتح والكسر وهو النظير اي امورا متناسبة
متماثلة من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة رتب بضم ففتح جمع رتبة وهي كالمنزلة والمكانة
المقام المعنوي والاثرة كما في المقتفي بضم الهمزة وسكون المثلثة ثم راء مهملة تليها تاء تانيث كذا ضبط
هنا والاثرة بالفتح في الهمزة والثاء وبضم الهمزة وكسرها مع اسكان الثاء الاستبداد بالشيء والانفراد
به والمدحة بكسر الميم الثناء والذكر الحسن فاذا فتحت الميم قلت المدح انتهى وقيل الاثرة بضم الاول
وكسره وسكون المثلثة وبفتحهما وهو الافصح كما ذكره النووي الانفراد بالشيء ويكون اسما لما به الانفراد
كذا قرره ومقتضاه ان في الاية امورا مخصوصة انفرد بها وليس كذلك فالوجه انها بالضم المكرمة
كما في القاموس او المراد الافراد بالذكر او في الجملة او تحمل الاوصاف على معنى يختص به بعينها اذا
قرنت بالمكرمة والفضيلة فلا اشكال في كلام المص فان فسرت بالانفراد يقتضي ان ما ذكر هنا
من خصائصه صلى الله عليه وسلم فيه وليس كذلك فيحتاج للتاويل بما قاله وقد تبعوا فيه بعض
الشراح في اعتراضه بقوله تع فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا لان قوله
هؤلاء كالمبعوث اليهم اللهم الا ان تحمل الاشارة على جميع اهل المحشر ولا دليل عليه انتهى ولا يخفى
ان الجواب والسؤال لا وجه له اما الاول فلان قوله من خصائصه يأباه واما الثاني فلانه بعد تفسير
الشهادة بانها شهادة على الامة بابلاغهم ما ارسله الله تع به والبشارة لمن اطاعه في ذلك والنذارة

لمن عصاه

لمن عصاه كيف يتوهم مشاركة غيره له في ذلك وهذا مما يقضي منه العجب عندي فلذا قال
فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة واعجب منه انه فسره بقوله اي مقبولا قوله
عند الله من غير طلب بينة كما هو شان الشاهد العدل صرح به الزمخشري فالشهادة مجاز انتهى وقال
الفاضل ابن الحنبلي الشهادة المذكورة من خصائصه لان غيره من الانبياء وان كان ذا شهادة بمقتضى
قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا الا انه مطالب بالبينة وشهادته
لا تقبل الا بشهادة محمد صلى الله عليه وسلم وامته له بالتبليغ لقومه لانه عليه السلام قد اخبرنا بالتبليغ
لاممهم فنحن نشهد بذلك وقد بين الله تع هذا بقوله لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
فقد ولانا الله ببركته الشهادة على جميع الخليقة وجعلنا اولا مكانا وآخرا زمانا فله الحمد على ذلك
وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال يدعى بنوح يوم القيمة فيقول لبيك رب فيقول هل بلغت
فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير فيقول له من يشهد لك فيقول محمد وامته
فيشهدون الحديث وقيل الشهادة في هذه الاية شهادته للانبياء بتبليغهم وهي من خصائصه ايضا
بالنسبة لبقية الانبياء الشهادة امة محمد ايضا بذلك وقد مر في الفصل الاول عن اللباب ما فيه تعميمها
لشهادات متعددة وهو الوجه حيث لا مخصص انتهى وفي شرحه هنا خبط وخلط لا حاجة لنا به ومبشرا
لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته فيه كلام سياتي في الفصل التاسع الانذار التخويف والاعلام
بما يحذر منه والتبشير الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ولذا قالوا لو قال لعبيده ايكم بشرني بكذا ومر زيد
فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر سروره فلو قال اخبرني عتقوا جميعا ومنه المبشرة
وتباشير الصبح واما قوله فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم كقوله تحية بينهم ضرب وجيع
فهو مجاز من استعمال اللفظ في ضد معناه كذا في الشرح الجديد وفيه خطأ فاحش تبع فيه غيره فان
اردت تحقيقه فانظره في حواشينا على البيضاوي فانك لا تجده في غيره وداعيا الى توحيده
وعبادته داعي اسم فاعل من الدعوة وهي طلب الاقبال اي انه دعى الناس الى عقائد وحدانيته
ونفي الشريك والايمان به وعبادته قال في المصباح دعوت الله ابتهلت اليه بالسؤال ودعوت زيدا
ناديته وطلبت اقباله فما قيل من ان اصل الدعوة للطعام لم يصب والعبادة خدمة الله والخضوع
له ولا يتم الا بالاخلاص فلذا قال وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وتفسير التوحيد هنا
بالدين عدول عن الظاهر بلا سبب وقيل ان المص اشار الى ان الدعاء الى الله يراد به الدعاء الى الاقرار
بوجوده وتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته وما يجب تنزيهه عنه وقيده بقوله باذنه اي
تيسيره اشارة الى انه امر صعب لا يتأتى الا بمعونته ويجيء بمعنى العلم كقوله تع وما هم بضارين
به من احد الا باذن الله وقوله وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله اي بعلمه وتوفيقه انتهى اقول
هذا الكلام غير منقح والتحقيق فيه ما قاله العز بن عبد السلام في كتاب مجاز القرآن ان اذن الله
مشيئته وارادته لان الغالب في الاذن ان لا يقع الا بمشيئته واختياره والملازمة الغالبة
فصح المجاز او بامر التكوين فان الامر يلازمه مشيئة الامر غالبا وقال ابن عباس في قوله تع فهزموهم
باذن الله بامر الله وقوله كن وهو من مجاز التمثيل شبه سهولة الاشيا في قدرته بسهولة هذه الكلمة
على الناطق بها ثم نبهنا الشرعة نفوذ مشيئته وقدرته فيما يريد ويعبر بالاذن عن التيسير والتسهيل
كما في قوله تع يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه اي بتيسيره وتسهيله اذ لا يحسن ان يقال دعوته
باذني ولا قمت وقعدت باذني ولذا قال الزمخشري يجوز ان يراد بالاذن هنا الامر اي يدعوكم الى
المغفرة بامره اياكم بطاعته وكلاهما من مجاز الملازمة انتهى وسراجا منيرا يهتدى به الحق

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وَرُوِيَ يُضْوِي به وَهُوَ اشارة الى وَجه التشبيه وتنزيله وَكلاهُما مجهول مَضموم اليَاء مَرويٌ
عَن المصنف وَقد مر تفسيره وَانه يضوي به في ظلمات الجهالة وَيقتبس من انواره وَقد وَصَفهُ الله في هذه
الآية بخمس صفات قابل كل منها بما يناسبها غير صفة الشهادة اذ لم يقابلها لان الامر بالمراقبة
يناسب الشاهد فما بعده كالتفصيل له فقابل البشارة ببشارة المؤمنين بالفضل الكبير وَقابل الانذار
بالنهي عن متابعة الكفار والمبالاة باذاهم وقابل الدعوة بتيسيره بالامر بالتوكل عليه وَالسراج المنير
بالاكتفا بربه لان من اتاه الله برهانا فحقيق بان يكتفي به عمن سواه وَقال ابن عطية هذه الآية
ارجى آية في القرآن لانه امره بتبشير المؤمنين بالفضل الكبير وَقد فسر هذا الفضل بقوله في آية اخرى
وَالذين آمنوا وَعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير
حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية وَالف وباء موحدة علم
منقول من صيغة بمعنى كثير العتب والشيخ فوق الكهل وَهو في العرف اسم لكل من تصدر لافادة العلم
وَهو عبد الرحمن بن محمد بن عتاب شيخ المصنف سمع منه في رحلته للاندلس وهو من علما الحديث توفي سنة
عشرين وخمسماية قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد وَهو ابو القاسم حاتم بن محمد بن عبد الرحمن بن حاتم
التميمي المعروف بابن الاطرابلسي تلميذ ابي علي الغساني قرا عليه البخاري مرات وَروى عنه وَعن القابسي
وَغيرهم حدثنا ابو الحسن القابسي وَهو الحافظ الفقيه العلامة ابو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري
اخذ بافريقية عن ابن مسرور وابن الدباغ وَدراس ابن اسمعيل وبمصر عن حمزة بن محمد الحافظ وُلد سنة اربع
وَعشرين وثلثماية وَتوفي في ربيع الآخر سنة ثلاث واربعماية بمدينة القيروان وكان ضريرا وكتبه في
نهاية الصحة ضبطها له ثقات اصحابه وَالقابسي بقاف والف وَباء موحدة وَسين مهملة وَياء نسبة
لقابس وَهي بلدة بالمغرب بين سفاقس وَطرابلس وَلم يكن منها ولكنه عرف بعمه وَعمه كان يشد عمامته
شد اهل قابس حدثنا ابو زيد المروزي وهو محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد الامام الحبر الزاهد العابد المجمع
على جلالته وَعظمته جاور بمكة وَحدث بها وَببغداد بصحيح البخاري عن الفربري وَهي اجل الرواية عنه
لجلالة ابي زيد وتوفي بمروز يوم الخميس ثالث عشر رجب سنة احدى وَسبعين وثلثماية وترجمته مشهورة
ونسبته لمروز البلدة المعروفة واذا نسب اليها الناس زيدت اليا على خلاف القياس وَفي الثياب وَغيرها
يقال مروز فرقا بينهما • وَمن اللطايف قولي في هذا في ارجوزة •

• وَمروزي جاء في الاناسي • وَالثوب مروز على القياس •

حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف هو الفربري المشهور سمع البخاري من مصنفه مرتين مرة بفربر
وَمرة ببخاري وَرواه وفربر بكسر الفا وَفتحها وَفتح الراء المهملة وسكون البا الموحدة بليها را مهملة
قرية من قرى بخاري وَهو ثقة وَرع زاهد حافظ ترجمته مشهورة وُلد سنة احدى وثلاثين وَمايتين
وَتوفي سنة عشرين وَثلثماية لعشر بقين من شوال وَيوسف اسم اعجمي مثلث السين وليس مشتقا من
الاسف وَان وافق لفظه وَقول ابنيه يا اسفا على يوسف حدثنا البخاري وَهو الامام الحافظ محمد
بن اسمعيل بن ابراهيم الجعفي البخاري الامام الورع الزاهد المتفق على جلالته وتاليفه اصح الكتب
بعد كتاب الله ثم وَترجمته مشهورة وُلد سنة اربع وسبعين وَماية وَتوفي بقرية خرتنك من اعمال بخاري
سنة ست وَخمسين ومايتين حدثنا محمد بن سنان هو محمد بن سنان العوقي الامام ابو بكر يروي عن همام
وَجرير بن حازم وَفليح وَغيرهم وَروى عنه اصحاب السنن حدثنا فليح بفاء وَلام وَحاء مهملة وَهو
لقب له تصغير فلح صفة مشبهة من الفلاح وَيحتمل ان يكون تصغير مفلح او افلح تصغير ترخيم
وَهو فليح بن سليمان بن ابي المغيرة بن حنين واسمه عبد الملك توفي سنة ثمان وَستين وَماية وَهو

عدوي

عدوي مدني روي عن سعيد بن الحارث وَضمرة ابن سعيد وَنافع وَغيرهم وَروى عنه ابنه وَاصحاب
السنن الستة وَقال ابن معين وَابو حاتم وَالنسايي انه ليس بالقوي وَقال ابن حجر صدوق لكنه كثير
الخطا لكن الشيخان اعتمداه حدثنا هلال هو هلال بن علي وَهو هلال بن ابي ميمونة يروي عن انس وَعطا
بن يسار وَابي سلمة وَعنه مالك وَفليح وغيرهما وَاخرج له اصحاب الكتب الستة وقال النسايي ليس به
باس قال الواقدي مات في آخر خلافة هشام بن عبد الملك عن عطا بن يسار بفتح اليا التحتية والسين
المخففة المهملة ابو محمد المدني من كبار التابعين توفي سنة اربع وتسعين او ثلاث وَماية وَهذا الحديث
تفرد به البخاري وَاخرجه في التفسير بغير هذا السند ايضا قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص
وَاو عمرو مشهورة قال التلمساني جوز بعضهم تركها وَعبد الله هذا هو ابو محمد وَيقال ابو عبد الرحمن القرشي
الزاهد العابد الصحابي ابن الصحابي كان بينه وَبين ابيه في السن اثنتي عشرة سنة وامه ريطة بنت
منبه وكان صلى الله عليه وَسلم يقول نعم اهل البيت عبد الله وابو عبد الله اسلم عبد الله قبل ابيه
وكان كثير العبادة وَالرواية عن النبي صلى الله عليه وَسلم حتى انه اكثر رواية من ابي هريرة لانه كان
يكتب وَابو هريرة لم يكتب وَانما لم تشتهر روايته كابي هريرة لانه سكن مصر والواردون اليها قليل وَابو
هريرة سكن المدينة وَالمسلمون يقصدونها من كل وجهة وتفصيل ترجمته مشهورة توفي بفلسطين وعمره
ثلاث وَسبعون سنة وعمرو ابوه اشتهر من ان يذكر وَالعاصي يرسم بالياء وَبدونها واثباتها اولى وقال
ابن الصلاح كتبه كثير في حالة الوصل بالياء وفي حالة الوقف بحذفها ولا وجه لمن انكره فانه لغة لبعض
العرب تشبيها بما فيه الالف وَاللام بالمنون لتعاقب اللام والتنوين وبها قرئ في السبعة الكبير المتعال
وَنحوه وَالذي عن المنكر ان النحاة خصوه بالمنكر كما ذكروه في باب الرسم فقلت اخبرني عن صفة رسول
الله صلى الله عليه وَسلم يعني صفته المذكورة في التوراة بدليل قوله في الجواب انه لموصوف في التوراة
فان السؤال يعاد في الجواب انه الموصوف في التوراة صراحة وضمنا وهو من القواعد الاصولية
كما وقع مصرحا به في روايات الصحيح وَالخبر يتعدى للامر المسؤل عنه وَللمنقول عنه الخبر ايضا كالخبر
عن النبي صلى الله عليه وسلم وان كان المشهور في الاول تعديته بالبا وَهذا مما لا شبهة فيه عندي فلا
حاجة لما قيل من انه انما تعدى بها هنا وهو مخبر به لا عنه لتضمينه معنى الكشف اي اخبرني كاشفا عنها
وَموضحا لها وقوله انه يجوز ان يراد جعل صفة النبي صلى الله عليه وَسلم موضوعا يحمل عليه ما ذكر في التوراة
وَانه لا يصح تضمينه معنى السؤال لعقته خارج عن جادة الصواب وكذا ما قيل انه نظر للفظ فقد تبين
قال اجل وَالله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن اي قال عبد الله لمن قال له اخبرني
عن صفته في التوراة اجل اي نعم هي مذكورة فيها لان كلامه يقتضي ان صفته مذكورة فيها وَاجل
كما في المغني لتصديق المخبر واعلام المستفهم ووعد الطالب وَصرح في القاموس بانها تجي بعد الاستفهام
وَغيره فقال اجل كنعم الا انه احسن منه في التصديق ونعم احسن منه في الاستفهام وَقال الرضي
هي لتصديق المخبر ولا تجي بعد ما فيه معنى الطلب وَهو المنقول عن الزمخشري وجماعة فالوجه على
هذا كما قيل انه بعد خبر ضمني وهو انه موصوف في التوراة وَاما بعد الاستفهام او جعله لتصديق
خبر عن نفسه فليس بشي انتهى وهو رد على بعض الشراح حيث قال اجل بمعنى نعم حرف ايجاب وَهو مؤول
عند من شرط فيه تصديق المخبر او هو تصديق خبر نفسه ولذا اكده بقوله وَالله وَالتاكيد لا
لقسم للاعتنا به لان السايل غير منكر او لتنزيله منزلته لفضله عنده ولما شاع من انكار اليهود وَتحريفهم
وَفي شرح التسهيل اجل لتصديق الخبر ماضيا او غيره مثبتا وَمنفيا ولا تجي بعد الاستفهام وعن الاخفش
انه يجي بعده الا انه في الخبر احسن من نعم ونعم في الاستفهام احسن منها ولم يذكر مجيئها بعد الطلب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كما في هذا الحديث الا انه يقطع النزاع كما قيل صح نحوك بالحديث ولا تضح الحديث بنحوك وهذا بناء
على جواز اثبات الاحكام النحوية وفيه تفصيل في شرح المغني وفي قوله والله دليل على جواز الحلف
من غير تحليف بلا كراهة وقد ورد كثيرا في الاحاديث والتورية اسم لكتاب الله تعالى المنزل على موسى
عليه السلام وهي كلمة غير عربية بل معربة وفي وزنها واصل معناها كلام طويل ليس هذا محله • فان
قلت عبد الله قرشي عربي فلا يناسب سؤاله عما في التورية والتورية وغيره من الكتب القديمة قال
الفقهاء لا يجوز قرآنه فما وجه هذا • قلت ان عبد الله رضي الله عنه كان يقرا ويكتب كما مر وقال البرهان
الحلبي في المقتفي انه كان يحفظ التورية وقد روى البزار من حيث ابن لهيعة عن وهب ان عبد الله بن عمرو
بن العاص راى في المنام في احدى يديه عسلا وفي الاخرى سمنا وهو يلعقهما فلما اصبح ذكر ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له تقرا الكتابين التوراة والقرآن فكان يقراهما ذكر هذا الحديث بعض
شيوخي انتهى • واما النهي عن قرآتها فقد صرح به الفقهاء لكنه ليس على اطلاقه لو قوعه في زمن النبي
صلى الله عليه وسلم لكثير من الصحابة من غير انكار فهو مقيد بمن لم يميز المنسوخ والمحرف منها
ويضيع وقته في الاشتغال بها واما غيره فلا يمنع منه بل قد يطلب لالزامهم فيما انكروه منها كما في
قصة الرجم وقوله ببعض صفته في القرآن في بعض النسخ بما في القرآن وفيه دلالة على ان وصفه
في القرآن اكثر مما في التورية لتفصيله وان تفرق في آيات وسور متعددة وهذا مما لا شبهة فيه
فما قيل من ان فيه كلفة تامة الا ان يقال المراد توافق الكتابين بعضهما وان زاد كل منهما على الآخر
لا وجه له عند من له ادنى بصيرة وقوله في التورية كما سياتي اهب لك كل خلق كريم ولو سلم انه
اتم من قوله وانك لعلى خلق عظيم مخصوص بمدح خلقه والصفات اعم منه فلا حاجة الى تكلف الجواب
بانه وعد يحتمل عدم التنجيز او التعليق والتخصيص وقد وقع في الشروح هنا كلام طويل بلا طائل
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا بدل من بعض او بيان له وقد تقدم تفسيره
ولفظ النبي صادق محرفه مع قوله انا ارسلناك وخطاب نبينا بما في التورية خطاب للحاضر في العلم
بما جعل كالماضي لتحققه او حكاية لما يقال في المستقبل وجعله على نهج استحضار الصورة الآتية
والتعبير بما يعبر به في ذلك الزمان على قياس حكاية الحال الماضي ونادى الكليم ثم خاطب الحبيب
التفاتا قيل لكونه لما سيقال في الآتي بتقدير سيقول له في المستقبل كما قيل في قوله تعالى كنتم خير امة
اخرجت للناس ان تقديره يقال لهم في القيمة كنتم في الدنيا يا باه انما سيقال له في المستقبل ليس
فيه حرز للاميين والذي فيه داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وما ذكره من الالتفات يتمشى على
راى السكاكي كذا قيل وفي الشرح الجديد هذا نوع من الالتفات غريب ذكره ابن ابي الاصبع وسماه
الالتفات في الضماير كان يذكر ضميرين لمخاطبين احدهما الواحد والآخر لغيره او ضميرين لغايبين
كذلك وهنا ضميرين في اصل النداء اي ادعوك ايها النبي وهو للكليم والآخر في قوله انا ارسلناك
لمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا هو المراد بالالتفات المذكور لا ما ذهب اليه الجمهور ولا السكاكي انتهى
اقول الغرابة منه فان ما ظنه غريبا ذكره جميع اهل المعاني وهو عندهم يسمى الافتنان لا تلوين
الخطاب والادبا سموه التفاتا والاعتراض انما هو اذا وقف على عبارة التورية فان قيل خطاب لموسى
فهو وارد والا فلا • وحرزا للاميين الحرز بكسر الحا وسكون الرا المهملتين ثم زاي معجمة هو في الاصل
مصدر بمعنى الحفظ ثم شاع وصار حقيقة في المكان الذي يحفظ فيه فيقال حرز حريز كحصن حصين
ومنه احترز عن كذا اي تحفظ الذي يحفظ به واحرز قصب السبق اي حازه فجعله نفسه حرزا مبالغة
لحفظه اموالهم وانفسهم في الدارين والمراد بالاميين العرب لغلبة الامية فيهم وقيل لانهم لا كتاب لهم

وخصهم مع عموم دعوته لشرفهم اذ لا رسالة بين اظهرهم او لان الحفظ من العجم اختص بهم
وقيل المراد حفظه لهم من آفات النفوس وغوائل الدهر او من آفات العجم وتغلبهم او من مطلق
العذاب ما دام فيهم لقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم او من عذاب الاستيصال الحديث
سالت ربي ثلاثا فاعطاني اثنتين ومنعني الثالثة والاثنتان هلاك السنة والغرق والثالثة
كون باسهم بينهم انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل قدم العبودية لشرفها قال ٥

لا تدعني الا بيا عبدها • فانه اشرف اسمائي •

ولذا خص وصفها بالذكر في الاسرا وليس بالمعنى العام الذي يتصف به كل مخلوق بل المعنى
الخاص الذي رضيه الله لعبده حتى اطلعه على حظاير قدسه وجعله رسولا مبلغا عنه
وكفاه جميع مؤناته فقال اليس الله بكاف عبده فان الملك يعتني بوقوف عبده بباب غيره
واحتياجه لسواه واهانة احدله فانه هو الذي يؤدبه فلذا قال سميتك المتوكل وقدم العبودية
هنا تشريفا وتعظيما اذ المراد الكامل في العبودية وانظر قوله سميتك دون جعلتك او وصفتك
المنادي بشدة توكله الذي صيره علما له ولذا قيل ان فيه اشعارا بشدة توكله الساري في
امته ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق فيه التفات من الخطاب اذ مقتضى ٥
الظاهر ان يقول لست اي لم يكن هذا كلاما آخر من التورية ضمه عبد الله الى الاول وفي الالتفات
هنا بعد النظر به حسن لما قبله اذ لم يواجهه بمثله وان كان منفيا والفظ كما في المصباح الرجل
الشديد الغليظ القلب يقال منه فظ يفظ من باب تعب فظاظة اذا غلظ حتى يهاب في غير موضعه
وغلظ بخلاف رق غلظة بالكسر وحكي في البارع التثليث وعذاب غليظ شديد الالم وغلظ الرجل
اشتد واغلظ له في القول عنفه وغلظ اكدها انتهى فمعنى ليس بفظ انه ليس له قسوة قلب ولا
تشديد على الناس لان ملته سمحا وليس بغليظ اما تاكيد له او بمعنى انه لا يعنف الناس والمراد
انه ليس بسيئ الخلق قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولذا قيل المعنى ليس بسيئ
الخلق ولا غليظ القلب ليوافق الآية وقيل ليس شديد القول فلا تكرار فيه ولا ينافيه وقوع الغلظة
والشدة اللايقة او الواجبة احيانا لانها لا تنافي حسن الخلق فالمراد نفيهما بحسب الطبيعة والجاه
او في غير محلهما واما ما وقع في الصحيح في حق عمر انت افظ واغلظ من رسول الله فقيل انه لم يقصد
التفضيل بل هو لاصل الفعل قيل ولفظ من يا باه وقيل انه من قبيل الخل احلى من العسل واختاره الدماميني
في حواشي البخاري اي غلظتك اشد من رقته صلى الله عليه وسلم والوجه انه بالنظر الى الغلظة اللايق
به في محلها فما وقع من امير المؤمنين ازيد مما وقع منه لانه رحمة للعالمين وشفيع للمذنبين فهو يختار
الايسر الاحسن له وغايته ان الفاروق ترك في بعض الاوقات الاولى لاحتياجه لما يحتج له صلى الله
عليه وسلم ولا محذور في مثله والصخاب صيغة مبالغة من الصخب وهو ارتفاع الصوت وشدته
وهما لغتان في كل صاد لاصقت حرف الحلق وهو من غير داع امر مذموم جدا والصاد افصح والسين لغة
وقد روي بالوجهين هنا وقوله في الاسواق جمع سوق وهو موضع يجتمع فيه الناس للبيع والتراوح
وهو يذكر ويؤنث والسوقة خلاف الملك ولما كان في الغالب محلا لارتفاع الاصوات والصياح لا
سيما من الدلالين قيده به والمراد نفيه مطلقا لانه اذا انتفى في المحل المعتاد فيه انتفى في غيره
بالطريق الاولى وهو ابلغ من الاطلاق وافصح لانه نفي بدليل على حد قوله •

ولا ترى الضب بها ينجحر •

وللعرب في مثله ثلاث مقاصد • نفيهما • ونفي القيد • ونفي المقيد
وهذا هو الارجح هنا لان فيه اثبات دخوله للاسواق تواضعا وتركا لعادة الجبابرة من الملوك

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وردّ لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لأنهم قالوا لما أظهر الدعوة إنه ينبغي أن لا يأكل ويشرب ويكون ملكا ولا يدخل السوق ليكون ملكا وفي الشرح الجديد المراد أنه ليس سخابا في موضع من المواضع فالنفي للمقيد لانتفاء المطلق بجعله دليلا لكونه مقررا لما مر وقال الطيبي المراد نفي الصخابية وكونه في الأسواق وهو عجيب لأن نفي الصخابية فيها لا ينافي كونه فيها بلا صخابية ولا الصخابية من غير كونه فيها بشهادة الذوق وقال شيخنا الأقرب إلى الفهم أنه نفي المقيد لشاعنه مع أنه مظنته وموضع اعتياد الناس ليفيد أنه لا يفعله في غيره بالأولى ولا يرد أن صخابا صيغة مبالغة فيتقيد بتوجه النفي إلى قيده وهو في الأسواق يثبت له الصخابية لأنا نمنع بأن الصيغة هنا للنسبة كخياط ومنه وما ربك بظلام في أحد الوجوه ولا ضير إذا كان المراد نفي الصخابية المقيدة لانتفائها مطلقة لأن نفي مطلقها لا ينافي ثبوت أصل الصخب لم وهو قد ثبت في محله كالخطبة والتلبية ونحوهما انتهى. أقول فيه نظر من وجهين الأول أن رده على الطيبي وتعجبه ليس في محله لما عرفت من أنه أحد الاحتمالات في أمثاله وما ذكره أمدح لأنه نفى عنه اعتياد الصخب واعتياد دخول الأسواق كأرباب الدنيا الثاني أنه ادعى أن المبالغة لا تناسب هنا والتجأ إلى جعل الصيغة للنسب وليس بلازم لجواز كون المبالغة في النفي لا في المنفي كما ذهب إليه خاتم المفسرين في الآية الأولى فيه نظرا لأن صرف المبالغة للقيد الذي في الصفة ليس بالسهل مع إمكان التفصي عنه بوجه وفي هذا المقام مباحث أخر مذكورة وقد أفردناه في رسالة مستقلة **ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر** لأن خلقه القرآن وقد قال وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله فلذا قال بل يعفو ويغفر فلا يسيء لمن أساء إليه ويدفع بالتي هي أحسن وفي الآية مشاكلة وكذا في كلام المصنف وإن كان نفيا فتدبر وفي ذكر المغفرة بعد العفو تأكيد إن كانا بمعنى أو يعفو تارة ويستر أخرى فلا يفضح فيقول في خطبه ما بال أقوام يفعلون كذا قيل وفي كلام التفتازاني ميل للأول وقيل بين العفو والمغفرة في حق غير الله فرق فإن العفو لغة بمعنى المحو فهو إزالة السيئة من ظاهره وخاطره والمغفرة مشتقة من الغفر وهو الستر ولا يلزم من سترها إزالتها وقوله ولكن الخ استدراك لأنه لا يلزم من عدم جزائها بمثلها العفو في أسماء الله وتغاير مفهومهما واشتقاقهما مما لا شبهة فيه ثم بعد ذلك قيل إنهما متساويان وهو المشهور والتحقيق أن بينهما فرقا من وجوه منها ما نقله الإمام القرطبي في شرح الأسماء الحسنى عن بعض العلماء أن الغفران ستر لا يقع معه عقاب وعتاب والعفو إنما يكون بعد عقاب أو عتاب فإن استعمل في غيره فهو بطريق المجاز **ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء** الملة الدين وبينهما فرق والعوجاء مؤنث أعوج وهو ضد المستقيم ولكثرة إطلاق الملة على الكفر فسرها بعضهم هنا به وقال الشارح المحقق العوج ضد الاستقامة وهو كما في النهاية بفتح العين في المرئي وبالكسر في غيره وكلام القاموس يدل على التعميم وإقامة المعوج جعله مستقيما والمراد بالملة هنا ملة إبراهيم التي عوجتها العرب بتغييرها كما قال تعالى واتبع ملة إبراهيم لأن ملة الكفر كما توهم أزالها انتهى وفي النهاية الملة العوجاء ملة إبراهيم التي غيرتها العرب عن استقامتها لأنهم ذرية إسمعيل بن إبراهيم وكانوا يزعمون أنهم على ملته الحنيفية والحنيف من يوحد الله ويعبده لأن الحنف في اللغة الاستقامة وإنما قيل للمائل الرجل أحنف تمليحا وتفاؤلا وكان إبراهيم حنيفا أي مستقيما ولهذا تعين المراد بالملة. **ويقبضه الله** أي توفاه وقبض روحه وأصل القبض أخذ المال واستيفاؤه فإطلاقه على هذا لتشبيه الحياة والروح بالمال كما قال عمارة:

إذا كان رأس المال عمرك فاحترس . عليه من الإنفاق في غير واجب

أو هو من باب استعمال المقيد في المطلق ثم شاع فصار حقيقة فيه **بأن يقولوا لا إله إلا الله** اقتصر

على هذا

على هذا وجعله عبارة عن الدين القيم لأن المعوج الواقع عموده الشرك وعبادة الأصنام وبهذا يستقيم وقيل المعنى أنهم يأتون بكلمة التوحيد وذلك كاف في عصمة دمائهم وأموالهم غير أن المنجي هو التصديق به عن صميم القلب وإنما لم يقل محمد رسول الله وهي قرينة كلمة التوحيد التي لا تكاد تنفك عنها اكتفاء على حد سرابيل تقيكم الحر والقول بأنها زيادة على الملة الإبراهيمية فلذا لم تذكر هنا ففيه أنه يجب على أمة الخليل قبل وجود محمد عليه السلام أن تصدق بأن محمدا رسول الله كما صدق به إبراهيم نفسه وقيل المراد الرجوع إلى التوحيد ولا ينافيه زيادة الإيمان بشيء آخر ففيه إشارة إلى أن الاعوجاج من جهة الشرك هذا محصل ما في الشرح وفيه بحث لأنا لا نسلم أنه بعينه داخل في الإيمان التفصيلي اللازم السابقة ومثله لا يقال بالرأي وما ذكره لا يناسب ما نحن فيه **ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا** وقد مر هذا في الخطبة وهذا الحديث مروي في البخاري بتأنيث ضمير بها على أنه راجع لكلمة التوحيد والمصنف ذكره بحمله على أنها باعتبار اللفظ أو للنبي صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي عن كعب ليبصرن الله به أعينا عورا أو يقيم به الألسنة معوجة حتى تشهد الخ وهو هنا بنصب أعينا وما عطف عليه. ويفتح بالتحتية وعلى رواية البخاري بالفوقية المضمومة ورفع الأعين وما بعده ووقع في رواية أعين عمي بالإضافة وكذا الكلام في الآذان والقلوب وعلى هذا فالعمي جمع أعمى وكذا الصم جمع أصم وعلى الأول جمع عميا وصما. قيل والظاهر ثبوتهما في التوراة فلا إشكال فيها لعدم تغايرهما إلا في العمي والعور والذي في القرآن صم بكم عمي وكان النكتة فيه أن التوحيد إثبات الله ونفي ما سواه فهم لما أثبتوا الله مع الشريك كانوا كمن فقد إحدى عينيه إذ العور عبارة عن ذهاب العين مطلقا ثم إن العمى توصف به العين وصاحبها حقيقة فقصره على الثاني تقصير وفتح العين عبارة عن الإبصار وكلما لما فيه من فتح الأجفان أو لتشبيه الإبصار بفتح الباب وقد شاع هذا حتى صار حقيقة وعكس حتى شبهت الأبواب المغلقة بالأعين العمي كما قيل:

قد أغلقت أبوابه دائما . كأنها أجفان عميان .

وقال:

وأقسم لو جاد الخيال بزورة . لصادف باب الجفن بالنوم مغلقا

وفيه معنى دقيق ليس هذا محله وإزالة الإحساس في الحواس المذكورة بأداة نفيها فشبهت بعدم نفعها بالموت إلا أنه لا يقال فتح أذنه وقلبه فهو على حد قولهم: متقلدا سيفا ورمحا. والغلف جمع أغلف وهو الذي عليه غلاف أي غشاء وغطاء كقوله وقالوا قلوبنا في أكنة وقوله قلوبنا غلف بضم فسكون وقرئ بضمتين على أنه جمع غلاف كحمار وحمر أي هي أوعية للعلم وليس هذا بمناسب هنا فهو بالسكون لا غير إذ المعنى لا ينظر ولا يسمع ولا يعي ما جئت به **وذكر مثله** ذكره بصيغة المجهول والذي في البخاري ذكره في صحيحه تعليقا **عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار** عبد الله بن سلام بفتح السين المهملة واللام مخففة لا غير ونقل الكرماني أنه يخفف ويشدد وكذا سلام بن الحقيق ومحمد بن سلام شيخ البخاري وسلام بن مشكم وما عداه بالتشديد وابن سلام هذا أسلم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وكان حبرا عالما بالتوراة والقرآن وشهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة وتوفي سنة ثلاث وأربعين وهو إسرائيلي من ولد يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم وكان اسمه في الجاهلية حصينا فسماه النبي عبد الله ونزلت في فضله قوله وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله وقوله كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وشهد مع عمر فتح المقدس والجابية وهو أنصاري خزرجي بالولاء وكان من كبار الصحابة روى له أصحاب الكتب الستة وغيرهم وكعب الأحبار هو كعب بن مانع الحميري التابعي المشهور أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وأسلم في خلافة أبي بكر وقيل في خلافة عمر وكان على اليهودية وصحب عمر وروى عنه كثيرا وعن غيره كصهيب وابن المسيب وسكن حمص بعد ما كان باليمن واتفقوا على سعة علمه وشدة دينه وتوثيقه

الألوكة
www.alukah.net

وتوفي في خلافة عثمان سنة اثنين وثلاثين متوجها الى الغزو ويقال كعب الاحبار وكعب الحبر
بكسر الحاء وفتحها باضافة الاسم للقب ولقب به لكثرة علمه او لكثرة كتابته فالحبر بمعنى المداد الذي يكتب به
والحبر ايضا بمعنى العالم كذا في المصباح وتهذيب الاسما للنووي وفي مثلثات ابن السيد فقوله في القاموس
كعب الحبر ويكسر ولا تقل الاحبار غير صحيح وهذا الحديث اخرجه البيهقي في السنن الكبرى ودلايل النبوة
وذكره ابن ظفر في كتابه خير البشر الذي افرده لما في الكتب السالفة من التبشير بالنبي وهو كتاب بديع في معناه
رايناه ورويناه ورواه البخاري مسندا عن عبد الله بن عمرو بن العاص كما ذكره المصنف ورواه عن ابن سلام تعليقا
على عادته في تعليق ما كان بعض رجاله على غير شرطه كما بينه شراحه وفيما ذكره مخالفة لما في فتوح الشام للواقدي
وفي بعض طرقه عن ابن اسحق الطرق جمع طريق وهي معروفة وتطلق على الروايات والاسانيد لايصال هذا الحديث
ومليح القايل
لله حديث في الجود مشتهر • ترويه عنك الركبان من طرق •
وفي المقتفي للبرهان كان هذا في الاصل عن ابي اسحق فضرب عليه وكتب في الهامش ابن اسحاق وهو الامام
محمد بن اسحق بن ابي بكر ويقال ابو عبد الله المطلبي مولاهم المدني صاحب المغازي راى انسا وروى عن عطا
والزهري وطبقته وعنه شعبة والحمادان وخلق كثير وكان من عيون العلم صدوقا وله غرايب وربما تستنكر
لسعة حفظه ولذا اختلف في الاحتجاج به وحديثه حسن وفوق الحسن صححه جماعة واخرج له اصحاب السنن وله
ترجمة في الميزان توفي سنة احدى وخمسين ومائة وقيل سنة اثنتين وقيل سنة خمسين وجده من سبي العراق
وهو اول سبي دخل المدينة منها وقد طعن فيه هشام لروايته عن فاطمة بنت المنذر وقال كيف يراها وليس يبعد
لجواز انه سمع منها وهي خلف الحجاب كما روى الناس عن عايشة وغيرها وكذلك طعن فيه الامام مالك وقال
انه دجال من الدجاجلة الا انه روي عنه انه رجع عن ذلك والقادح فيه غير منصف لانه كان اعلم الناس
بالانساب وانما انكر عليه ما كان ياخذ عن اولاد اليهود الذين اسلموا بعض ما ذكر في الغزوات من غزوات
المسلمين وابتغاء الهجاء فيهم لحرصه على الرواية مع ان عليه المعول في المغازي وكان شعبة وسفيان يوثقانه
ويقولان هو امير المومنين في الحديث قال السيوطي هذه الطريق اخرجها ابن ابي حاتم عن وهب بن منبه في
تفسير سورة الفتح ووقع في حواشي التلمساني هنا زيادة وعبد الرحمن بن يزيد وقال هو عمرو بن عبد الله
ابن علي السبيعي راى عليا واسامة بن زيد ولم ارها في النسخ **ولا صخب في الاسواق** بكسر الخاء صيغة
مشبهة تفيد المبالغة باعتبار افادة الثبوت وقد مر بيانه **ولا متزين بالفحش** فحش كقبح وزنا ومعنى
فكل شي جاوز الحد فهو فاحش والفحش القول السيئ ويطلق على الزنا وقيل في تفسير قوله لم ولا بالمتزين بالفحش
لا يتزين والحاصل انه كل قبيح قولا كان او فعلا ومتزين روي بزاي معجمة ونون وروي بذال مهملة من الذي
وروي منقوصا متزي بياء بدل النون من الزي وهو اللباس والهيئة اي لا يتلبس بامر قبيح او يتجمل به
ويباهي به ولا يرد على ظاهره انه يوهم انه قد ياتي به غير متجاوز او غير متزين به لانه لا مفهوم له لجريه على عادة
ارباب الفحش في المباهاة به وقيل انه استعارة تهكمية وقيل التزين بمعنى الاتصاف على التجريد او المراد انه
لا يرى الفحش زينة فيرتكبه وهذا علامة من علاماته لانه نشا بين قوم يتزينون بالفواحش كالقتل والزنا
والطواف عراة فاتى بما يخالف عادتهم **ولا قوال الخنا** قوال فعال صيغة مبالغة اي كثير القول • والخنا
بخاء معجمة ونون مقصور قبيح الكلام وهذا مع ما قبله يفيد انه لا يصدر عنه شي منه قليلا او كثيرا لان ما نفي
بمعناه وقيل يقال هنا للنسبة اي ليس بذي قول كتمار وتبال وليس المراد انه اشارة الى انه ربما يقوله
لموجب لان ما كان لموجب ليس بفاحش وقيل المراد نفي المبالغة ولم ينف اصل قوله للصيانة عن توهم الكذب
في كلامه تم لو صدر عنه ما يوهم فحشا ما وعن الهلاك الذي يثمره ذلك التوهم فوق الهلاك الذي يثمره
توهم انه ربما يقول الخنا • ولما ذكر صفات التخلية بقوله ليس بفظ الخ اخذ في صفات التحلية بطريق الوعد

من لا يخلف

من لا يخلف وعده فقال **اسدده لكل جميل** مستانفا لمقصد اعلى مما قبله ولذا لم يعطفه وقيل انه جواب
سؤال تقديره فما تفعل به بعد ان صنته عن النقايص والجميل الحسن صورة كان او معنى • وفي الحديث
ان الله جميل يحب الجمال والتسديد التوفيق للسداد وهو الصواب والقصد من القول والعمل وتيسيره
تيسير جميعه او بعضه فقوله لكل جميل ليس تجريدا كما قيل والكلية للمبالغة او هو كاستغراق جميع الامير
الصاغة اي لكل جميل يليق به **واهب له كل خلق كريم** اهب بفتحتين مضارع وهب بمعنى اعطى • والخلق
بضمتين ويسكن السجية والطبيعة التي فطره الله عليها وهو يوصف بالكرم بمعنى الخير والكمال يقال كرم
كرما اذا نفس وعز ويكون بمعنى العطا الكثير وليس بمراد هنا وان اوهمه قوله اهب ففيه تورية وقيل هو
من قبيل عطف الخاص على العام للاهتمام ويقال لكل صفة خلق ولذا يجمع على اخلاق فلا حاجة الى تقدير
كل فرد خلق كما توهم وهو وعد منه تم وهو لا يخلف الميعاد وفيه نظر وكونه جامعا لمكارم الاخلاق غني
محتاج للبيان وسياتي نبذ منه **واجعل السكينة لباسه والبر شعاره** اجعل مضارع المتكلم وهو
الله والسكينة بفتح السين وكسر الكاف المخففة ثم ياء ونون وهاء وفيها لغة بكسر السين وتشديد الكاف
نقلها الصغاني في مشارقه وهي قرئ في الشواذ وهي فعيلة من السكون والمراد بها هنا الوقار والطمانينة
ووردت في القرآن في قوله عز وجل هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين ووردت في الاحاديث
الصحيحة بمعان اخر وقيل انها مشتركة فيها وللمفسرين فيها اقوال فعن علي انها ريح هفافة وقيل انها
ملك له وجه انسان ولها راسان وعيون ذات اشعة وطست من ذهب تغسل فيه قلوب الانبيا وقيل
انها شي كان يلقي فيه موسى الالواح والعصا وقيل هي رحمة وقال السيوطي انها اسم ملك مخصوص وفي
حديث الوحي غشيته السكينة وهي ما كان تلحقه عند نزوله وقيل انها صورة هر مع بني اسرائيل اذا ظهرت
انهزمت اعداوهم وفي حديث بناء الكعبة فارسل الله السكينة وهي ريح سريعة المرور والمراد هنا الاول
واما هذه المعاني فيحمل عليها ما ورد في الاحاديث ولا حاجة لذكرها هنا ولما كان السكون والوقار
منشؤه ما يلوح لقلبه في مراقبته جعله في الاية في القلب ويلزمه ما يظهر عليه من الخشوع والتثبت
وباعتباره جعله لباسا له من باب تشبيه المعقول بالمحسوس فلكل منهما وجه وجيه بليغ فلا حاجة
الى التوفيق بينهما بان ما في الاية بمعنى ملك يسكن قلب المومن ويومنه او العقل كما قيل والبر الطاعة
والاحسان او زيادته والخير في الرحمة والشعار بمعنى اللباس الذي يلي الجسد سمي به لانه يمس شعره
وبدنه ويكون بمعنى العلامة ايضا والمناسب هنا الاول لذكره مع اللباس ويقابل الشعار بهذا
المعنى الدثار وهو ما يتغطى به الانسان وفي الحديث الانصار شعار والناس دثار اي هم خاصة
له والناس عامة او هم اقرب اليه من غيرهم وهو بزنة اللباس ولما كانت السكينة ظاهرة فيه في ساير
احواله ويراها كل احد برا او فاجرا جعلها لباسا والبر الخير والرحمة وان لازمه ايضا وعم اخواله انما
يقف عليه المومنون ببصايرهم جعله شعارا فانظر حسن موقعه مع ما قبله وما بعده ايضا وهو قوله
والتقوى ضميره لان الضمير ما يضمر في القلب وينوي في خاطره بحيث لا يبداه والاسم الضمير والمضمر
الموضع والمفعول قال • ستبقى لها في مضمر القلب والحشا • سريرة ود يوم تبلى السرائر •
ويسمى القلب ضميرا لخفاء ما به او لانه محله فانظر كيف انتقل من الظاهر للخفي ثم للاخفى مع ما فيه من
شبه اللف والنشر مع الامور السلبية والتقوى عبارة عما يقي من العذاب في الاخرة ولها مراتب
اولها التبري عن الشرك والثاني التنزه عن كل ما يوثم والثالث ان يتنزه عما يشغل سره عن الله وهذا
علمت النيات بها لانه الضمير **والحكمة معقوله** الحكمة كالحكم كل كلام جامع لما يرشد الى الحق فيشمل المواعظ
والامثال لانتفاع الناس بها ويطلق على العلوم الشرعية ويطلق على القضا بالعدل وفسر قوله ادع

الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والقرآن وتفسيرها هنا بالعلم باحوال الموجودات
على ما هي عليه بقدر الطاقة او مطلق المعلومات كما قيل غير مناسب وان صح والمعقول يكون مصدرا او اسم
مفعول فالمراد انها بمعنى اذ ما يعقله من حكم ومواعظ وعلوم نافعة لانه لا ينطق عن الهوى و اجعل
الصدق والوفا طبيعته اي لا ينطق بغير ما وافق الواقع واذا عاقد احدا او وعد وعدا لا يخلفه
وهذا امر طبيعي جعله الله فيه والمعروف خلقه المعروف والعرف قال في المصباح هو الخير والرفق
والاحسان ومنه قولهم من كان آمرا بالمعروف فليأمر بالمعروف اي من امر بخير فليأمر برفق انتهى وهو ضد
المنكر والمعروف ما تعرفه وتألفه العقلاء ولذا قيل المعروف كاسمه معروف والعدل سيرته العدل
القصد في الامور وهو ضد الجور والسيرة فعلة فهي في الاصل الهيئة في السير ثم صارت اسما للطريقة
يقال سار سيرة حسنة اي طريقته ومآله العدل وعدم الخروج عن الحق قال تع ان الله يأمر بالعدل
والاحسان قيل في تفسيره العدل الفرايض والاحسان النافلة وقيل العدل استوا السريرة والعلانية
والاحسان ان تفضل السريرة العلانية وقيل العدل الانصاف والاحسان التفضل • وقال ابن عطية
العدل فعل كل مفروض من العقايد والعبادة واداء الامانة والانصاف والاحسان فعل المندوب وقال
البغوي العدل بين العبد وربه ايثار حقه على حظ نفسه واجتناب الزواجر وامتثال الاوامر وبينه
وبين نفسه منعه لها مما فيه هلاكها والصبر وبينه وبين غيره بذل النصيحة وترك الخيانة وانصافهم
من نفسه والصبر على اذاهم قيل جعل العدل سيرته لا ينافي ان يكون الاحسان سيرته في محل يليق به
ولا ان يكون العفو طبيعته لمصلحة تليق بالمقام وقيل عليه ان الاحسان اخص من العدل فان تمثيل
المشركين بحمزة في احد وعدم تمثيل النبي بقتلاهم احسان ولو فعله كان عدلا ومقتضى هذا ان الاحسان
ينفرد عن العدل وليس كذلك واما العفو فان كان باذن الشرع كعفوه عن الذي اخترط سيفه ليقتله
فهو عفو وعدل وعفوه عما لم يؤذن فيه كالحدود لم يقع منه لعصمته عن مثله • اقول هذا القائل فسر
العدل بالمساواة في المكافاة ان خيرا فخير وان شرا فشر والاحسان ان يقابل الخير بمثله وزيادة والشر
باقل منه ومقتضاه تغايرهما ومراده المقابلة فيما لا بد من مقابلته وترك العفو عنه فلو اذن له في
العفو والتقليل وفعل ذلك لم يكن عدلا ولا جورا بل مرتبته زائدة على العدل والمعترض ظن ان كل ما ليس
بعدل جور وليس كذلك والحق شريعته الذي رأيناه في النسخ المصححة المقروءة بنصبهما عطف
على مفعول اجعل وحينئذ لا يرد عليه شي كما اورد على الرفع فان تعريف طرفي المسند والمسند اليه
يقتضي الحصر فيقتضي بمفهومه ان ما عداه من الشرايع باطل وليس كذلك ولذا قال بعضهم المراد
الحق الكامل الذي لا ينسخ وقيل الحصر على ظاهره ولا يحتاج في تصحيحه الى تقدير ذلك الوصف
او جعل التعريف عهديا عبارة عنه لان شريعته في زمن موسى وعيسى لم يكن في الشرايع حق غيرها
وما سواها باطل كذا في النسخة التي عندي ولا يحصل لها ولا يندفع السؤال بما قاله ولك ان تقول
ان شريعته في زمانه هي الحق لا غيرها لانتساخ الشرايع بها والكلام يفيد هذا بدون تقدير والحق
الثابت وخلاف الباطل وما يستحقه الانسان على غيره والشريعة دينه الذي شرعه الله لامته
وهي قانون الهي وضعه الله على لسان رسله يسوقهم الى خير الدارين • والشريعة قيل انها في الاصل
الطريق الواضح المستقيم كالشرعة قال تع لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وتكون بمعنى المشرعة
والموردة اي المحل الذي يشرب منه من حافة نهر ونحوه ثم نقلت للدين اما لانه طريق للخير والاجر
او لتضمنها ما هو سبب للحياة الباقية كالموردة لتضمنه لسبب الحياة الفانية ورد بان معناها
انما هو الطريق والموردة وانما سميت بها لانها موصلة للماء وفيه نظر لا يخفى والهدى امامه

الهدى الدلالة بلطف ولذا اختصت بالخير ولها انواع اولها خلق القوى والمشاعر الظاهرة
والباطنة التي يتمكن بها من الاهتدا لمصالحه والثاني نصب الدلايل الحقة والثالث ارسال
وانزال الكتب والرابع ان يكشف عن قلوبهم حتى يشاهدوا الاشيا فان قلت كيف يشمل هذه الانواع
والاول لم يدلهم الله عليه قلت هذا من سوء الفهم فان المراد ان خلقها بمنزلة الدلالة فيها وقوله
امامه بكسر الهمزة بضبط البرهان الحلبي وهو الظاهر وضبطه بعضهم بفتحها وهو بمعنى قدامه
احد الجهات الست ومعناه على الاول مقتداه ومتبعه وبه سمي الامام للاقتدا به وقال تع لابراهيم
اني جاعلك للناس اماما اي انه متبع للهدى وهو كناية عن ملازمته له وعدم انفكاكه عنه وقيل
ان تعريفه للعهد اي هدى الانبيا لقوله تع اوليك الذين هدى الله فبهداهم اقتده والمراد بهداهم
ما اتفقوا عليه من التوحيد والاصول لا الفروع ويجوز ان يراد بالامام الطريق كما قيل في قوله وانهما
لبامام مبين وعلى الفتح فالمراد بطريق الكناية اي انه ملاحظ له كما يقال في ضده انه ظهري ومنه
ظهري والاسلام ملته بنصبهما ورفعهما كما مر والاول هو المصحح في النسخ التي عندنا وهو الاحسن
قيل المراد ان الاسلام اسم لهذه الملة فالمعنى انه جعلها خير الملل وسماها بهذا الاسم وهو عام والمراد
الكامل منه وهذه التسمية في التورية صريحا او ضمنا لقوله هو سماكم المسلمين من قبل اي قبل نزول
القرآن سماهم بهذا في الكتب الالهية والظاهر ان هذه الصفات السلبية والايجابية ذكرت في
التورية والانجيل تعريفا له فينبغي حملها على الكامل منها لتكون من خصايصه التي يتميز بها عن غيره
والملة كالدين والشريعة تطلق على الاسلام وغيره وهي متغايرة بحسب المفهوم متحدة بحسب الخارج
والاسلام اصل معناه اللغوي الاستسلام والانقياد ثم خص في لسان الشرع بالانقياد لما جاءت
به الرسل والانبيا بلا خلاف وانما الخلاف في اختصاص الاسلام بامة محمد صلى الله عليه وسلم والمشهور
انه لا يختص بهم فيقال لكل ملة اسلام ولاهلها مسلمون ولكل نبي انه مسلم لقوله تع في حق لوط
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وقيل انه توصف به هذه الامة ولا يوصف به غيرهم من الانبيا دون
اممهم وارتضى هذا السيوطي وصنف فيه رسالة مستقلة واطال فيها وتبعه بعض الشراح هنا ثم
قال ان الاسلام بالمعنى الشرعي المتضمن للشهادتين وساير الاحكام المفروضة على هذه الامة مختص
بهذه الامة دون جميع من عداهم من الامم والانبيا وهو اسم منقول كالصلاة واما بالمعنى اللغوي
وهو الانقياد فهو عام لكل منقاد لمشروعه من الشرايع ويؤيده قوله تع سماكم المسلمين • ثم ان معنى
الاسلام والفرق بينه وبين الايمان مفصل في كتب الاصول فلا حاجة لذكره هنا • اقول
فيما قاله السيوطي نظر لا يخفى واحمد اسمه اي جعل اسمه احمد وسماه به في الكتب القديمة قبل
وجوده وهو علم منقول من اسم التفضيل اي هو اكثر حمدا لله من ساير الانبيا وجميع الخلق وهو صاحب
لواء الحمد يوم القيمة وقال السخاوي في سفر السعادة انه صفة كاحمر وابيض نقلت لهذه وسيأتي الكلام
عليه في اسمايه صلى الله عليه وسلم • ولما ذكر صفاته الموصوف بها في نفسه شرع في صفاته التي لوحظ
فيها غيره وهو جواب لسؤال مقدر تقديره هل ينتفع بهذا الطاهر المطهر الكامل في نفسه غيره فقال اهدي
به بعد الضلالة كما قيل وقيل انما فصله لعلو مرتبة الهداية سواء كانت للايصال او الدلالة الموصلة
واهدي بفتح الهمزة مضارع هدى فيه تقوية لمدحه السابق والمراد الهداية الى ما به النجاة الى ما به
تحصيل الناجي فلذا قال واعلم به بعد الجهالة والضلالة بمعنى الضلال وهو سلوك غير الطريق الموصلة
ويقال اضل الشي اذا ضيعه وهي تكون عن قصد وعمد وبغير قصد كقوله فعلتها اذا وانا من الضالين
اي المخطئين وبين الهداية والضلالة صنعة الطباق البديعية والبا للسببية او للتعدية • واعلم

شبكة الألوكة www.alukah.net

مضارع بضم الهمزة وتشديد اللام كما في المقتفي • والجهالة بفتح الجيم مصدر كالضلالة بمعنى الجهل
والجهل والجهالة ضد العلم وهو الاعتقاد الذي لا يطابق الواقع • وفي المصباح جهلت الشيء جهلا
وجهالة خلاف علمته وفي المثل كفى بالشك جهلا انتهى **وارفع به بعد الخمالة** ضبطه ابن رسلان
بفتح الخاء المعجمة والميم ونقل عن بعض النحاة انه لا يقال خمالة وانما هو خمول وفي الصحاح الخامل الساقط
الذي لا نباهة له وقد خمل يخمل خمولا واخملته انا وفي الجمهرة رجل خامل الذكر بين الخمول والخمولة
وهو ضد النبيه والنابه أقول هذا الحديث صحيح وثبوت هذه اللفظة فيه يكفي دليلا لصحتها
وهو لمشاكلة الضلالة والازدواج معها ولو قلنا انه غير قياسي والمراد برفعه جعل الدين والتوحيد
بعدما ترك في الفترة لغلبة الجهل مشهورا شائعا فهو مجاز كقوله تع ورفعنا لك ذكرك وبينه وبين الخمالة
طباق او شبهه **واسمي به بعد النكرة** يقال اسميته كاكرمته وسميته بالتشديد ويتعدى بنفسه
وبالباء كسميته زيدا وبزيد اذا جعلته اسما له وعلما وبالتشديد ضبطه البرهان في المقتفي وروي
بضم الهمزة وسكون السين المهملة والنكرة بضم النون وسكون الكاف وبفتح النون وكسر الكاف خلاف
المعرفة وتطلق بمعنى المجهول كقول الشاعر في مجهول النسب • وامه معرفة • لكن ابوه نكرة •
والباء للسببية اي اعرف الناس بسببه او بما اوجده اليه الناس المجهولين او اعرفهم ما جهلوه من
التوحيد او اعرف الناس ما لم يعرفوه من الانبيا وقصصهم وقيل الاولى التعميم وقيل المراد اعرف به
من هو في حكم النكرة غير معروف ولا بشهرة موصوف وهو تكلف وبين التعريف والتنكير شبه الطباق
ومعنى هذا وما قبله اني ارسله في زمان جهالة وضلالة وفترة فيؤمن به اول مساكين الناس
وضعفاؤهم على عادة الرسل فيصيرون بعد خمولهم وكونهم مجهولين اعز الناس واكرمهم فان من يؤمن به
من كان بدويا واعرابيا بعد اشراق نور النبوة عليه فصار صدرا يقتل الجبابرة بيديه ورجليه
وقد كان الدين والعلم قبيل بعثته نكرة لا يقبل التعريف فافاض الله منه على امته ما لم تنعم به الامم
حتى ابدعوا علوما وتاليفا تحار فيها الافكار فجزاه الله خير الجزا وهذا من خصايصه صلى الله
عليه وسلم **واكثر به بعد القلة** اكثر بضم الهمزة وسكون الكاف وكسر المثلثة وتخفيفها او بفتح
الكاف وتشديد المثلثة المكسورة لانه يتعدى بالهمزة والتضعيف قال تع قد جادلتنا فاكثرت
جدالنا وقولهم اكثر من الاكل يحتمل زيادة من وحذف المفعول اي اكثر الفعل من الاكل كما في المصباح
والمراد انه تكثر به الارزاق مطلقا او على من اتبعه او اكثر امته بعد قلتها في ابتداء امره او بعد
عدمها لان القلة ترد في كلام العرب بمعنى العدم ايضا وهو بعيد وقيل المراد اكثر به قواعد الكلم
بعد القلة لانهم كانوا على ملة عوجا واقامها واعاد منها ما نقص بكلمة التوحيد وهو تكلف
واغني به بعد العيلة اغني مضارع من الاغنا وهو اعطاء الغني والعيلة بفتح المهملة وسكون
التحتية الفقر قال تع ووجدك عايلا فاغنى من عال له اذا قام بامره وكفله والعامة تقول عيلة
بمعنى عيال جمع عيل كجياد وجيد ولو استعمله بمعنى كان له وجه من المجاز والصحيح ورود العيلة
بمعنى عيال كما فصله البيهقي في كتاب الانتصار للشافعي والمراد ما كان هو وامته عليه في ابتداء
امره ثم صار بعد ذلك لهم من النعم والسعة بما احل لهم من الغنايم وفتح من الممالك ما هو غني عن الشرح
والبيان **واجمع به بعد الفرقة** اي اجمع به بين الناس بعد افتراقهم وتنافر قلوبهم لما بينهم من العداوة
المؤدية للحروب وترك الديار كما كان بين العرب والعجم وبين قبائل العرب وبين القبيلة الواحدة
الاترى ما كان بين المسلمين والمشركين مما ادى الى الهجرة وترك الاوطان وبين الاوس والخزرج من
الحروب والمهاجاة بل بين الاب والابن والاخ واخيه كما قال ابو فراس •

وقد

وقبلي كان الغدر في الناس شيمة • وذم زمان واستلام خليل •
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه • وخلى امير المومنين عقيل •

فلما جا الاسلام الف الله بين قلوبهم وسل احقادهم وضغاينهم حتى صار الواحد يترك اعز
اخريه زوجته للآخر ويقطع برده نصفين او المراد انه جمع العقايد والملل على التوحيد وملة
الدين او المراد الامم منها فقوله **واولف به بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة**
عطف تفسيري لما قبله ومتفرقة كما قال التلمساني بتقديم التاء على الفاء من التفرق وبتقديم الفاء
على التاء من الافتراق في نسخة العوفي والتاليف جعل الاشيا مؤتلفة مجتمعة اي اجمع بينهم على مودة
وايتلاف بعد الافتراق والعداوة كما قال تع واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم
فاصبحتم بنعمته اخوانا واسناد التاليف الى الله تع في الاية لا ينافي كون التاليف بسبب النبي صلى الله
عليه وسلم فانه السبب الظاهري والفاعل الحقيقي هو الله والتاليف بين القلوب يستلزم التاليف
بين الذوات فلا منافاة بينهما كما توهم او المراد التاليف بين عقايدهم بحيث تكون عقيدتهم واحدة
متفقة على الحق والتوحيد • والاهواء جمع هوى وهو ميل النفس لما تشتهيه وتحبه والمتشتتة المتفرقة
اي اجعل مهواهم واحدا متفقا محمودا والهوى غلب اطلاقه على المذموم كما قال الله تع ولئن اتبعت اهواءهم
بعدما جاءك من العلم والامم جمع امة وهي الفرقة من الناس وغيرهم يعني ان كل امة كانت على دين واعتقاد
وعلى طريقة منهم من يعبد الاصنام ومنهم من يعبد الكواكب ومنهم من هو على دين موسى ومنهم من هو
على دين عيسى فنسخ الله بشريعته جميع الشرايع وجعل الدين دينا واحدا قيما من حاد عنه هلك
وشقي في الدارين **وجعل امته خير امة اخرجت للناس** كما قال تع كنتم خير امة اخرجت للناس
اي انه تع قضى بذلك وقدره في الازل وعالم الذر واخرجت بمعنى وجدت وخلقت واخرجت من العدم
والمراد امة الاجابة وهم من آمن به وتطلق على امة الدعوة وهم جميع الناس الموجودين بعد بعثته
وقيل المراد كنتم مذكورين في الامم الذين قبلكم موصوفين بانكم خير لخيرية نبيكم ودينكم او بما بينه من
قوله بعده تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله في هذه الاية دليل على ان اجماعهم حجة
وفي حديث آخر اخبر رسول الله عن صفته في التورية رواه الطبراني وابو نعيم في الدلايل عن ابن مسعود
والدارمي عن كعب موقوفا ورواه باسناد ضعيف **عبدي احمد المختار** اضافه اليه تشريفا له واحمد
عطف بيان او بدل والمختار صفته وجملة **مولده بمكة** اي كاين فيها فالباء ظرفية او عبدي مبتدا احمد
خبره وما بعده جملة اخرى مستانفة والمختار الذي اختاره من جميع خلقه وهو بمعنى المصطفى مولده
بمكة اي موضع ولادته في هذه البقعة الشريفة **ومهاجره** اي محل الهجرة الذي يهاجر اليه **بالمدينة او
قال طيبة** والمدينة المصر الجامع ووزنها فعيلة لانها من مدن وقيل مفعلة بفتح الميم من دان غلبت على مدينة
الرسول والجمع مداين بالهمز على القول باصالة الميم ووزنها فعايل وبغير همز على القول بزيادتها ووزنها
مفاعل لان للياء اصلا في الحركة فترد اليه كما قيل في معايش • والهجرة في اللغة الترك ثم خصت بترك
مكان لآخر وكانت واجبة قبل فتح مكة وللمسلمين هجرتان للحبشة ومكة وغالب الانبيا وقع لهم الهجرة لعداوة
الناس لهم وكان اسم المدينة يثرب فكرهه النبي ذلك لما فيه من ايهام معنى التثريب ولها اسما منها طيبة
بفتح الطا وتخفيف اليا الساكنة مونث طيب بالفتح لغة في الطيب بمعنى الرايحة الطيبة او هي مخففة
من طيبة بالتشديد ويقال طابة ايضا والمراد انها مطهرة من الشرك والخبايث وقوله او قال شك من
الراوي فيما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وطيبة مجرور بالفتح لمنعه من الصرف تقديره او قال بطيبة
لا مرفوع تقديره مهاجره طيبة تنوا نجار على بعد فيه قيل وظرفيته طيبة لمهاجره بضم الميم وفتح الجيم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من ظرفية الكل للجزئية كما يقال الانسان في زيد وكذا مولده بمكة ولو قيل انه مصدر ميمي لم يبعد فتدبر امته الحمادون لله على كل حال الحمادون الكثيرون الحمد وتعريف الطرفين يفيد الحصر فكثرة الحمد مختصة بهذه الامة في السراء والضراء لان الله مستحق الحمد استحقاقا ذاتيا فلا يختص بحال دون حال وهو بالنظر للمجموع او الغالب او المتقين منهم او هذا من شانهم وحمله على الكل والحمد لا يلزم ان يكون في مقابلة النعمة كالشكر فلا يحتاج الحمد في الضراء للتوجيه وان كان العبد منعما عليه في كل حال بنعمة الايجاد والجوارح والحواس والضراء منفعة بالثواب عليها وحفظه عن الاضر ولك ان تقول كثرة الحمد في هذه الامة لما في اوقات الصلوات من قراءة سورة الحمد والثناء على الله فيها على ابلغ وجه لم يقع لغيرهم من الامم • واعلم ان في بعض الشروح الاعتراض على المص ممن اكثر النقل من التورية وغيرها من الكتب المنسوخة وقد حرم الفقهاء قراءتها والنظر فيها فانها محرمة مبدلة وبالغ بعض الفقهاء فقال يجوز الاستنجاء باوراقها وهذا مما لا ينبغي التلفظ به ثم انهم اختلفوا بعد ذلك في تحريفها وتبديلها هل هو بتغييرها بالزيادة والنقصان او بتاويلها وتفسيرها بغير المراد منها وقالوا الاشتغال بها ينافي الغرض من نسخها ولا مانع من قراءتها لمعرفة النبي صلى الله عليه وسلم فيها ولالزامهم بما انكروه وكيف يحرم هذا وقد قال الله تعالى قل فاتوا بالتورية فاتلوها ووقع في الاحاديث النقل عنها ولو حرفوها لحرفوا آية الرجم الذي الزمهم عبد الله بن سلام بها وقد ارتضى هذا ابن تيمية وفي شرح البخاري اذا وجد فيها ما يقوم النظر على عدم تبديله وافاد النظر فيه مقصدا شرعيا فلا يبعد ان يباح النظر فيه والاشتغال به وهو كلام حسن وقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الآيتين اي اقرا او اذكرها تين الايتين بتمامهما اعني الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وانما اقتصر المص على بعضها للاختصار ونحن ذكرناها ايضاحا لمن يحفظ وادخالا للثواب بالتلاوة وانما ذكر المصنف هاتين الايتين لان الفضل مقصود للشهادة اي لكونه شاهدا على امته وغيرهم ولما يتعلق بها فذكرها ولاما يدل على مقصوده من القرآن العظيم ثم ثنى بانه موصوف بذلك في الكتب الالهية كالتورية والانجيل ثم ذكر هذه الآيات لتعلقها بما ذكر لانها تدل على صحة ما نقل من التورية في ذكره فيها وقد قال في الرحمة ذكر الشهادة وما يتعلق بها وقد قيل انه ذكر استطرادا لما في الآية الاولى من التنبيه على ان وصفه واسمه مذكور في التورية كما نقله وفي الثانية ذكر كونه رسولا ونبيا اميا كما في التورية وقيل ذكرت لما فيه من الثنا والمدح له صلى الله عليه وسلم ولما نزل قوله ورحمتي وسعت كل شيء قال ابليس انا شيء فطمع في الرحمة فلما سمع قوله فساكتبها للذين يتقون ايس من انه تناله الرحمة وقالت اليهود والنصارى نحن متقون داخلون في هذه الرحمة فلما سمعوا قوله الذين يتبعون الرسول الخ خرجوا عن العموم وهذا كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال كتبها الله لهذه الامة وهو كما قيل مبني على ان الذين يتبعون خبر مبتدا تقديره هم الذين الخ او بدل بعض ان كان تعريف الموصول هنا للاستغراق فان كان للعهد فهو بدل كل من كل فان جعل الذين مبتدا وقوله يامرهم الخ خبره فلا تخصيص الا انه يخالف التفسير الماثور عن ابن عباس والقول بان البدل مخصص ذهب اليه كثير من الاصوليين كابن الحاجب وغيره

وانكره

وانكره الهندي لان المبدل منه في نية الطرح ولا حجة له فيه لانه وان لم يكن مطروحا من كل الوجوه فطرحه يدل على خلاف مدعاه ونقل عن الشافعي رحمه الله تعالى ان كان بدل البعض والاشتمال من المخصصات وهو الحق والامي هو الذي لا يقرأ ولا يكتب وهو صفة مادحة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد مر تقريره والقول بانه كتب بيده بعد ذلك تقدم وما فيه وانه نسبة لام القرى او لامه التي ولدته وفي شرح البخاري انه قرئ في الشواذ الامي بفتح الهمزة منسوب الى الام بمعنى القصد لانه مقصود كل احد باتباعه واتباع شريعته وفي تقديم الرسول على النبي مع انه اخص منه مخالفة للظاهر فقيل لانه ارسل منبئا عن الله يعني انه بمعناه اللغوي وهو المنبئ لا بمعنى من اوحي اليه بشرع سواء امر بتبليغه ام لا وقيل قدم الرسول للاهتمام به ولذا رد النبي على البراء بن عازب لما قال آمنت بكتابك الذي انزلت وبرسولك الذي ارسلت وقال له قل وبنبيك الذي ارسلت ليكون الكلام جاريا على الترتيب اللائق به وليسلم من التكرار وقيل انما اخر النبي لرفع احتمال ان يراد بالرسول معناه اللغوي واحتمال ان يراد بالنبي معناه وحقيقته اللغوية ايضا اجيب عنه بانه يحصل من الاجتماع معنى ليس في الانفراد وقيل ليس الصفة مجرد النبي بل النبي الامي لاشتهاره بذلك في الكتب السالفة فالمقصود الاخبار بمجموعهما كالرمان حلو حامض فهو اخص من الرسول او ذكر للتتميم فذكر اولا الاعلى ثم الادنى ليستوعب جميع صفاته لا للترقي ومعنى وجدانه في التورية والانجيل انهم يجدونه فيهما اسما وصفة والمعروف ضد المنكر وهو ما عرف انه طاعة لله من ترك الاوزار ومكارم الاخلاق كصلة الرحم والطيبات كل حسن حلال والخبائث ما كان بخلافه كالخنزير وكل مستقذر ويدخل فيه الربا والسحت بمعنى الرشوة التي تسحت البركة ووضع الاصر بمعنى الثقل او العهد لان بني اسرائيل اخذ عليهم العهد بالتزام امور شاقة كقرض موضع النجاسة وتحريم الغنائم فخفف الله عن هذه الامة بعدم التكليف بها وعزروه بمعنى عظموه ووقروه ونصروه بدفع اعدائه عنه والمراد بالنور الذي انزل معه القران لظهوره في نفسه واظهاره لغيره كما مر والمعنى انه انزل مع نبوته وقيل معه متعلق باتبعوا اي اتبعوا القرآن مع اتباعه اشارة للكتاب والسنة والمفلحون الفائزون بكل خير قال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية ذكر هذه الاية عقب ما تقدم في التورية من قوله ليس بفظ ولا غليظ اي فبرحمة من الله وما مزيدة لتاكيد الكلام ۝ وتزيينه وزعم ابن كيسان ان ما نكرة تامة في محل جر ورحمة بدل والاول هو الوجه اي برحمة الله لك وتوفيقه ولطفه بك ان خلقك لينا مهذب الاخلاق سموحا صبورا لا تواخذ الناس عما فرط منهم حتى جبلت القلوب على محبتك ولو لم تكن كذلك كنت فظا اي شديدا غليظ القلب متجاوز الحد لانفضوا من حولك فيتفرقون يقال فضضت الشيء فضا فانفض اذا فرقته فتفرق فامتناع التفرق عنه لامتناع كونه فظا غليظا كما هو شأن لو فالشرطية نتج فيها استثناء نقيض التالي اللزوم نقيض مقدمه اي لم ينفضوا من حوله فلم يكن فظا بطريق قياس الخلف لاثبات مقصود بابطال نقيضه وقيل الاولى ان يقال المعنى لكنه لم يكن فظا فلذلك لم ينفضوا والمقصود اظهار النبي وان عدم الانفضاض من اللين الذي هو من رحمة الله ففيها ترهيب وترغيب ولكل وجهة وقيل ليس المراد الاستدلال بانتفاء الانفضاض على لينه وانتفاء كونه غليظ القلب كما في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا الخ حيث استدل بانتفاء الفساد على انتفاء تعدد الآلهة لان التحقيق ان لو لا تفيد امتناع الشرط لامتناع الجزاء وانما تقتضي انتفاء ما يليها واستلزامه لتاليه كما قرروه على انه عليه السلام عالم بحاله وانه ذو لين • وقوله فبما رحمة الخ ليس لافادة انه ذو لين وانما هو لافادة ان لينه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لبس الا برحمة منه وما ذكرنا انما يكون استدلالا لو لم يكن عالما بحاله الا ان يقال المقصود بالايات
غيره تعريضا ولو قيل لان بالغيبة لم يكن للتعريض اصلا فتدبر • وقال في الكشاف ما مزيدة للتوكيد
والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم وقال المحقق التفتازاني
في شرحه الحصر انما استفيد من تقديم الجار والمجرور وزيادة ما انما تفيد تاكيد ذلك فلذا قيل
ان في كلامه حذفا اي ما مزيدة والظرف مقدم للتاكيد والدلالة الخ انتهى فهو من باب اللف
التقديري وتبعهم بعض الشراح هنا اقول ما ارتكبوه من التكلف من عدم الوقوف على مذهب
الزمخشري في هذه المسئلة فانه ذهب الى ان زيادة حرف في التركيب يفيد الحصر والذوق السليم
شاهد له فان تقوية الحكم قد تقتضي الحكم بان لا يشاركه غيره فيه قال ابن هشام في رسالته المشهورة
في اعراب لا اله الا الله ذهب الزمخشري الى ان اسم مبتدا والله خبره وقال في اثنا تقريره نحو ما جاءني
رجل يفيد نفي واحد غير معين فيجوز السامع غير اثنين فاذا قيل ما جاءني من رجل علم انه لم يجئه احد
من جنس الرجال ومن ثمة صح ان يقال ما جاءني رجل بل رجلان ولم يصح ما جاءني من رجل بل رجلان
وكذا فبما رحمة من الله لنت لهم وفبما نقضهم ميثاقهم لعناهم لو لم يؤت بما جوزنا ان اللين واللعن
كانا للشيئين المذكورين ولغيرهما وحيث دخلت ما قطعنا بان اللين لم يكن الا للرحمة وان اللعن
لم يكن الا لنقض الميثاق انتهى ويؤيده قول الفقهاء ان السبب الموهوم لا يعتبر في مقابلة السبب
الظاهر كما اذا رايناقتيلا في محلة اعرابيه لا يقال ان غيرهم قتله وحمله الى محلتهم كما في شرح
الهداية • ثم قال فاذا كنت مجبولا على اللطف واللين فاعف عنهم ما صدر منهم في حقك واستغفر
الله واطلب منه المغفرة لهم وطيب قلوبهم بمشاورتهم فيما تريد فاذا اتفقت الشورى على امر فاعزم
وتوكل فانك منظور بعين الرضى والمحبة قال الشمرقندي تقدم بيانه وترجمته ذكرهم اي
ذكر النبي والمومنين وفي نسخة ذكره وذكر مشدد فيهما وقيل انه مخفف منته اي انعامه
وامتنانه عليهم انه جعل رسوله رحيما بالمومنين رؤفا لين الجانب بفتح الهمزة بدلا من منته
او بتقدير بانه والضمير لله او للشان وخص المومنين بالذكر مع عموم رحمته لان الاية في حقهم
والضمير راجع اليهم وقد تقدم الفرق بين الرحمة والرحمة وقوله لين الجانب يصح ان يكون تفسير الرؤف
والجانب اي الذي يليهم منه وهو كناية عن معاملته لهم ومواجهته بتشديد الياء وروي بتخفيفها
من اللين بكسر اللام ضد الخشونة ولو كان فظا خشنا في القول لانفضوا من حوله المعروف
ان الخشونة ضد النعومة والملاسة الا ان الجوهري جعلها ضد اللين وهو الواقع في كلام العرب
كقول الحماسي • اذن لقام بنصري معشر خشن • عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا •
لان اللين في الغالب من الرفق والملاسة فهي عبارة عن الشدة في القول والفعل وقد يمدح بها اذا
كانت على من يستحقها كما في البيت وقوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وكونها طبعا وسجية بعده
غير ممدوح وقد قيل ان ظاهر قول المصنف هنا ان خشونة القول صفة مبينة للفظاظة فيكون التفرق
مرتبا على مجرد الخشونة وعلى امر واحد وهو في الاية مرتب على امرين الفظاظة وغلظ القلب
فما فسر به الاية غير موافق لها فيحتاج هذا للتصحيح والتوفيق فاما ان يقال انه اشار الى ان التفرق
مرتب على الاول وحينئذ يلزمه ترتبه على ما تركب منه مع غيره من جنسه وفيه ان لزوم ترتبه على
خشونة القول والفعل غير مسلم ويجوز ان يكون فظا في كلامه بمعنى غليظ القلب وخشنا بمعنى فظا
ولمانت منشاء الخشونة هذه الغلظة وقدمها في الاية واقتصر عليها المصنف فان الامر القلبي انما
يثمر بعد قول او فعل فتامل • اقول لك ان تقول ترتب التفرق في الاية على امرين الذي سلمه

المعترض

٧١

المعترض غير مسلم لان الجوهري قال الفظ الغليظ وقال في المصباح رجل فظ شديد غليظ القلب
يقال منه فظ يفظ من باب تعب فظاظة اذا غلظ حتى يهاب في غير موضعه انتهى فتكون الصفة
الثانية في الاية مبينة للاولى كقوله تعالى خلق الانسان هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه
الخير منوعا فظا في التفسير بمعنى غليظ القلب وقوله خشنا في القول بيان لما به تظهر الفظاظة
ففي الاية صفة واحدة وفي التفسير اثنتان عكس ما توهمه المعترض ومن دابه ان يستسمن ذا ورم
على ان ما بنى عليه كلامه من كونه خشنا صفة اسس في الهوى وما بناه عليه كبنيان القصور
على الثلوج لكن جعله الله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا سمح بوزن ضرب مصدر كالسماحة بمعنى
سهلا ومنه الحديث اتيتكم بالملة الحنيفية السهلة وفسره بعضهم بجواد كريم والسهل بزنته
وكذا كل ما بعده الذي لا صعوبة فيه اولا فظاظة وغلظة • والطلق بالفتح هنا ويجوز تثليثه
صفة مشبهة وهو في الاصل يوصف به فيقال طلق الوجه اي غير عبوس فيه بشاشة وسرور
ويوصف به صاحبه ايضا كما هنا ويكون بمعنى الجواد وليس بمناسب للمقام كما قيل وفيه لغات
نظمها ابن مالك في قوله • من دابه الافصاح حين ينطق • طلق طليق طلق وطلق •
والبر من فيه خير وشفقة ورفق واحسان ورحمة واللطيف الشفيق لانه اشفق الناس على امته
وهو من اسمائه تعالى قال الله تعالى لطيف بعباده وفسر بالخبير العالم بخفيات الامور وهذه الصفات
تعم من اللين ونفي غلظ القلب فان البخل في محل الانفاق من عدم الشفقة وطلاقة الوجه من
عدم الفظاظة لانها تلزمه غالبا والثاني ظاهر هكذا قاله الضحاك قال البرهان الحلبي
هو ابن مزاحم الهلالي الخراساني التابعي وروى عن ابي هريرة وابن عباس وغيرهما من الصحابة
ضعفه بعضهم لكن احمد وابن معين وثقاه وروى عنه اصحاب السنن وغيرهم وله ترجمة
في الميزان وتوفي سنة خمس ومائة وقيل غير ذلك ومن اجلة التابعين ايضا ضحاك بن قيس
المعروف بالاحنف ولشهرته بالاحنف لم يجوز احد من ارباب الحواشي ان يكون المراد ومن حسن
الاتفاق موافقة معنى اسم الراوي للمروي وهكذا بمعنى مثل هذا وها للتنبيه والكاف للتشبيه
وذا اسم اشارة والمماثلة والمغايرة باعتبار ان اللفظ القائم بمتكلم غير القائم باخر وانما يتحد
نوعهما وحرف التشبيه مقحم غير مقصود اي هنا وسترى تحقيقه قريبا وقال تعالى وكذلك
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا سياتي تفسير
هذه الاية وفسر بعض الشراح قوله كذلك فقال اسم الاشارة المجرور بالكاف التي للتشبيه هو
واللام قبل كاف الخطاب لبيان كون المشار اليه بعيدا او هو ما فهم من الاية قبلها اي وكما جعلناكم
مهتدين الى صراط مستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل اقول هذا خلاف ما ارتضاه
المحققون من شراح الكشاف فيه وفي امثاله قال العلامة التفتازاني في قول الكشاف
ومثل ذلك الجعل يريد ان ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل اخر يقصد تشبيه
هذا الجعل العجيب به على ما يتوهم من ان المعنى ومثل جعل الكعبة قبلة جعلناكم امة وسطا واذا
تحققت هذا فالكاف مقحمة اقحاما كاللازم لا يكادون يتركونه في لغة العرب وغيرهم هكذا
ينبغي ان يفهم هذا المقام انتهى • اقول هكذا قاله الطيبي وغيره ولم ازل ابحث عن هذا كل
من ثاقفته من الفضلاء فلم اظفر بما يثلج الصدر فتصفحت الدفاتر وراجعت خزاين الضماير
فرايت في شرح القصائد الطوال في شرح قول زهير •
• كذلك خيمهم ولكل قوم • اذا مستهم الضراء خيم •

شبكة الألوكة
www.alukah.net

نقلا عن الجرجاني انه قال لفظ كذلك تكون تثبيتا للخبر متقدما او متاخرا فهي نقيض كلا لانها
تنفي ذلك فمعنى البيت ازهرنا واباءة ثبت لهم حسن الخلق في دفع المهمات اذا نزلت بقومهم وان
كانت الاخلاق تتغير عند نزول الشدايد وحلول العظايم ومثله قوله تعالى كذلك نسلكه في قلوب
المجرمين انتهى • فقد علمت من هذا ما ذهب اليه اهل المعاني من ان كذلك تكون في كلام العرب لتثبيت
ما بعدها وتقريره من غير نظر للتشبيه وانه طريق مسلوك للبلغاء العرب وتوضيحه ان وجه الشبه
يكون كثيرا في النوعية والجنسية كقولك هذا الثوب كهذا الثوب اي في كونه خزا او برا وهذا
التشبيه يستلزم وجود امثاله وثبوته في ضمن النوع فاريد به على طريق الكناية مجرد الثبوت
لما بعده ولما كانت الجملة تدل على الثبوت كان معناها موجودا بدونها وهي مؤكدة له فكانت كالكلمة
الزايدة وهذا معنى قولهم انها مقحمة واما دلالتها على كون ما بعدها عجيبا غريبا فلان ما ليس كذلك
لا يحتاج لبيان فلما اهتم باثباته في الكلام البليغ علم انه امر غريب وبهذا تبين لك معنى
قوله ومثل هذا الجعل العجيب • فان قلت ما مناسبة كونهم امة وسطا شهداء على الناس لما سيق
له النظم من تحويل القبلة قلت وجهه ان اهل الكتاب لما انكروا تحولهم عن قبلة من قبلهم رد عليهم
انكارهم بان هذه الامة واهل هذه الملة شهداء عليكم يوم الجزاء وشهادتهم مقبولة فانتم احق باتباعهم
والاقتداء باهل قبلتهم ولا وجه لانكاركم عليهم لان قولهم وفعلهم مقبول ولكم وهذا تحقيق لم
اسبق اليه فعليك بادخار جواهره في حقائق الاذهان فانك لا تراه في غير هذا المكان •
قال ابو الحسن القابسي تقدم الكلام في ترجمته ونسبته ابان الله تعالى اي بين واظهر
فضل نبينا وفضل امته بهذه الاية الباء للتعدية او السببية واختار بعضهم كونها ظرفية
بمعنى في لقوله وفي قوله في الاية الاخرى وهي قوله هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون
الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ضمير هو لله عز وجل اي الله عز وجل سماكم
المسلمين فيما اوحاه لرسله في الكتب القديمة ثم سماكم به في هذا القرآن كما تقدم وقيل المعنى
ان ابراهيم سماكم قبل هذا الوقت في قوله واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وفي
ابراهيم سماكم مسلمين كما نقل عنه في هذا القرآن وقوله ليكون متعلق بسماكم وفسرت شهادته
بتزكية شهادة المخاطبين ونصبهم على ان الاولى بمعنى اللام وشهادتهم للانبياء على اممهم
وعلى الثاني على اصلها ان كان المراد بالناس اممهم او بمعنى اللام ان كان المراد آباءهم فتطابق هذه
الاية وما قبلها كما سيأتي في كلام المص وتعاكسهما لفظا لان التزكية مؤخرة زمانا عن الشهادة في
الاولى والمزكي مؤخر رتبة عن المزكى في الثانية وترقي في مدح المخاطبين في الثانية ببيان انهم
سيشهدون ويزكيهم من لا ينطق عن الهوى ولاهتمامه به قدم ذكره في الثانية وان مثله سيزكيهم ومنهم
من فسر شهادتهم بما مر وشهادته على المخاطبين بالتبليغ فيتطابق الآيتان على هذا والظاهر ان شهادتهم
هذه قبل شهادتهم تلك فلذا قدمت في احداهما واخرت في اخرى لان السياق لهم بدلالة صدرها وان ذكر
النبي فيها وشهادته بالتبليغ وهم غير منكرين لانهم لم ينقضوا حق ما افترض عليهم فنزلوا منزلة من لم
تبلغه لعدم الجري على موجبها فهي كالشهادة عليهم واستشكلوا كون لام ليكون للتعليل اذا اريد شهادة
الرسول بالتبليغ على المخاطبين لانها لا تتوقف على تسميتهم مسلمين وجعلهم مسلمين بدليل ان من الرسل
من يشهد على اممهم بالتبليغ ولا اسلام لهم فلذا فسرت بالشهادة بالتبليغ مع الاطاعة وقيل مناط التعليل
الشهادة الثانية وفيه ما لا يخفى ومنهم من جعلها لام العاقبة وكذلك اي كما ابانت الاولى فضلهم ابان
قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الاية المراد بالامة جماعة فيها نبيها والشهيد هو النبي

الذي يشهد على ما عملوه اي كيف يكون حالهم اذا شهد بصلاحهم وفسادهم او بالاخير فقط او على
التبليغ ويجوز التعميم واقتصر اكثرهم على الاول لانه انسب بالتوبيخ والاية بالنصب اي اذكرها
واتمها وهو قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا اي جئنا بك يا محمد على هؤلاء الشهداء شهيدا على صدقهم
او على الامم او على التبليغ او على امتك بالتزكية ولا منافاة بين كون النبي شهيدا للانبياء وعلى
الامم وبين ما سيأتي من ان امته يشهدون وهو يزكيهم اما لانه يشهد معهم ثم يزكيهم او لانه جعل
التزكية شهادة لانها في حكمها وقوله تعالى وسطا اي عدولا خيارا الوسط بفتح السين ما وقع بين
الطرفين بحيث تكون نسبته اليهما متساوية وقد يراد به ما يكتنف جوانبه ولو من غير تساو كما في
المصباح وبسكونها بمعنى بين وفي الفرق بينهما كلام لاهل اللغة بيناه في شرح الدرة ثم استعير
لاحسن الشيء وخياره ولذا قيل خير الامور اوسطها وقال الشاعر •
• حب التناهي غلط • خير الامور الوسط •
ورد هذا الامام السهيلي في الروض لان الوسط يكون مدحا وذما كقولهم اثقل من مغز وسط فالعلي
الوسط اخو الدون وانما يمدح به في مقامين احدهما الشهادة لتوسط الشاهد في الحق وعدم ميله الى
احد الجانبين والثاني النسب كما قيل في وصف ام المؤمنين خديجة كانت وسطة في قومها لان وسط
القبيلة اعرفها واصميها لاحاطة الاباء والامهات به من كل جانب فلذا كان مدحا والاطراف يتسارع
اليها الخلل والاوساط محمية عنه والى هذا المعنى اشار الطائي بقوله في وصف قلعة هم •
• كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت • بها الحوادث حتى اصبحت طرفا •
واورد عليه التجاني في شرحه انه مخالف للغة فانهم متفقون على ان الوسط صفة مدح ومنه الصلاة
الوسطى وليس واردا عليه فان استعمال الوسط فيما ذكر مجاز فلا يلزم اطراده والسهيلي لا ينكر كونه
بمعنى الخيار وانما ينكر لزوم ذلك له كما قال بعضهم ومن هنا عرفت انه يرد بمعنى العدل وبمعنى الخيار
وبهما فسرت الاية والعدل معناه ظاهر والخيار يكون اسما مفردا بمعنى المختار والاختيار ويكون
جمعا للخير كسهم وسهام كما صرح به في المصباح والعدل في الاصل مصدر فلذا اطلق على الواحد والجماعة
وقد يجمع فيقال عدول ولذا افرده المص هنا وجمعه فيما سيأتي فلا منافاة بينهما وقيل على المص ان
النبي صلى الله عليه وسلم فسر الوسط في هذه الاية بالعدل في حديث رواه الترمذي وصححه وثبت تفسيره
به في صحيح البخاري والعدل والخيار معنيان متغايران وقد رجح الاول بتقديمه لشمول الثاني
للجماد ولذا اخره وعطفه الزمخشري باو فجمع المص بينهما ان اراد انهما مرادان معا في الاية
فالاكثر على منع مثله وان اراد احدهما فلا ينبغي العدول عما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذ
الظاهر انه بين مراد الله حتما لا احتمالا والمص اعلى شانا من انه لا يعرف مثله الا ان يقال
انه ذكر الثاني بالتبعية للاول للزومه له انتهى • اقول قد ظهر لك ما قدمناه ان الخيار
بمعنى الخير والمختار وكل عدل فهو خير مختار فذكر المص له بعد العدل دون عطف بالواو واو
لجعله صفة مادحة للعدل لان العدل من هذه الامة لا بد ان يكون خيرا ولا منافاة بين ما ذكره
وبين الحديث وليس مثله مما يشكل ويستصعب • وفيه اشارة الى ان التفسيرين ما لهما واحد
وعطف الزمخشري له باو للتخيير بين التفسيرين اللذين ذكرهما السلف فان مالهما واحد فان
اختيارهم للشهادة يدل على انهم عدول فلا ينافي التفسير المأثور بل يناسبه مناسبة تامة فلا
وجه لما قيل هنا من ان كلام المص محل تامل حيث افرده ووصفه بخيار وهو جمع خير ثم جمعه بعده
في قوله عدولا اخيارا لما عرفته والعدل يطلق على الواحد وغيره كما في الصحاح يقال قوم عدل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وعدول فما ذكره كله من ضيق العطن وقحط الفطن وفي تركيبه هنا حزازة لانه يحتاج الى تقدير
اي قوله وسطا اي عدلا اخيارا فيه تفضيلهم ومدح ومعنى هذه الاية وكما هديناكم فكذلك
خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة وسطا خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على
اممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق اشارة الى ان المشبه به في هذه الاية وهي قوله تع وكذلك
جعلناكم امة وسطا الخ الهداية المذكورة قبله في قوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وقيل المعنى
كما اصطفينا ابراهيم او كما فضلناكم بهذه القبلة وقد بينا لك ان المحققين من شراح الكشاف مشوا على
ان المشار اليه ما بعده ولم يقصد التشبيه بما قبله وقد مر تفصيله وهو على هذا صفة مصدر مقدر للفعل
المذكور بعده والجار والمجرور في محل نصب اي جعلناكم جعلا كذا وهذا مع ظهوره غفل عنه من قال ان اسم
الاشارة هنا على هذا في محل رفع على الابتداء على ان جعلناكم بتاويل جعلنا اياكم فيكون كالضمير الذي يفسره
خبره نحو ان هي الا حياتنا الدنيا وهذا تعسف لا معنى له • وقوله بان الخ تنازعه الفعلان ويشهد بالنصب
والتخصيص لهذه الامة من فحوى الخطاب لانهم اذا كانوا شهدوا على جميع الامم السالفة وانبيائهم والرسول
شاهد لهم لم يبق احد من بني آدم غيرهم يشهد هذه الشهادة فاختصت او تقول المص مالكي ومذهب مالك
افادة لام التعليل الحصر كما نقله الخطابي في شرح الاثر عنه واستدل له بقوله والخيل لتركبوها على
حرمة اكلها فان اردت تفصيله فانظره فما قيل من ان التخصيص من السياق او نظر الى الواقع الى اخر ما ذكره
واطال فيه من غير طائل لعدم ما استشكله وفي قوله ليشهد والخ اشارة الى ان على بمعنى اللام لا للمضرة
لانها اذا دخلت على المشهود به لا تكون للمضرة وقيل ضمن الشهيد معنى الرقيب وقدم للتخصيص معلوم
وعليه فالناس في الاية بمعنى الانبياء ولا باس به وقيل ان الله جل جلاله هو ابلغ من قوله جل وعلا
فانه على نهج جل جده اذا سال الانبياء هل بلغتم ليظهر حال الامم وفضل هذه الامة فانه يعلم السر
واخفى فيقولون نعم فتقول اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد للانبياء ويزكيهم
النبي صلى الله عليه وسلم قال السيوطي في تخريجه هذا حديث مرفوع اخرجه البخاري من حديث ابي
سعيد الخدري وقيل عليه ان البغوي روى ان الله يجمع الاولين والاخرين في صعيد ثم يقول لكفار
الم ياتكم نذير فينكرون ويسال الانبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسالهم البينة واقامة
الحجة فيؤتى بامة محمد فيشهدون انهم قد بلغوا فتقول الامم من اين علموا هذا وهم اتوا بعدنا فيقولون
ارسلت الينا رسولا وانزلت علينا كتابا اخبرتنا بتبليغ الرسل ثم يؤتى بمحمد فيسال عن حال امته فيزكيهم
ويشهد بصدقهم وما ذكره المخرج فيه ان ما اخرجه البخاري انما هو في نوح وامته لا ما ذكره المصنف
ولذا قال قيل والحكم في هذا اظهار فضل نبينا على سائر الانبياء وفضل امته على سائر الامم لقبول
شهادتهم وتزكيته افضل الخلق لهم والله تعالى عالم غني عن السؤال وفيه معنى حسن لكونهم وسطا
لتوسطهم بين الامم والنبي لظهور علمهم وعدالتهم واقامة الحجة على غيرهم وقيل معنى الاية انكم حجة
على من خالفكم قال في المقتفي انكم بفتح الهمزة وفي النسخة التي ذكرت بفتحها وكسرها بالقلم اي اجماعهم
حجة وشهادتهم مقبولة معتبرة والنبي صلى الله عليه وسلم حجة على الجميع كما قاله السمرقندي ايضا
وقال تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم اي لهم تقدم ورتبة رفيعة عند الله
عبر عنها بالقدم لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لان بها العطا واضافه الى الصدق لبيان فضله
ومرتبته قال ابو عبيدة كل سابق خير • واجيب عنه بان هذا الفضل لما كان مقصودا لوصف الله له
بالشهادة وما يتعلق بها كالتبشير بما يدل على فضله وفضلهم عند الله استطرد التبشير بالشفاعة مع
احتمال ان يراد بقدم الصدق تزكيته المقرونة بتصديقه ففيه مناسبة تامة لما نحن فيه قال قتادة

والحسن

والحسن وزيد بن اسلم قتادة هو ابو الخطاب بن دعامة السدوسي الحافظ المفسر روى عنه خلق
كثير وهو ثقة ثبت الا انه قيل فيه انه مدلس توفي كهلا سنة سبع عشرة او ثمان عشرة بعد المائة
وترجمته مفصلة في الميزان والحسن البصري تقدمت ترجمته وزيد بن اسلم هو الفقيه مولى عمر وهو
ثقة حديثه صحيح توفي سنة ست وثلاثين بعد المائة وله ترجمة في الكامل والميزان قدم صدق
مبتدا خبره المفسر له قوله هو محمد عليه السلام يشفع في نسخة لهم وروي المشفع وشفيع فالقدم
على هذا الشفيع سمي قدما لتقدمه وسياتي تفسيره بالشفاعة عن الخدري بتقدير قدم انسان صدق
اي صادق وكرجل عدل والشفاعة طلب نفع للغير ومثله لا يوصف بالصدق والكذب فاما ان يتجوز به
عن القبول لمشابهته لتحقق ما شفع فيه فيصير كالخبر المطابق للواقع اذ يقال المراد شفاعة تقدم صاحبها(?)
على رجائها كما في قولهم حمل حملة صادقة وقيل المراد ان الشفيع صادق في خبره ومن يكون كذلك تقبل شفاعته
وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم اي وفاته قبلهم كما تقدم انه فرط لهم وسابقة تنفعهم حياته
ومماته هم   كالغيث ان جئته وافاك ريقه •   وان تاخرت عنه لح في الطلب •
وعن ابي سعيد الخدري اسمه سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الابجر بموحدة
وجيم وهو خدرة الذي نسب اليه على الاصح وقيل خدرة ام الابجر الصحابي الرفيع القدر المشهور من
اصحاب الشجرة توفي بالمدينة ودفن بالبقيع سنة اربع وستين وقيل اربع وسبعين وروى عنه احاديث
كثيرة هي شفاعة نبيهم محمد عليه السلام وهو شفيع صدق عند ربهم جعلت الشفاعة سابقة لتقدمها
او تقدم صاحبها وقوله هو شفيع الخ اشارة الى ان الصدق صفة مضاف مقدر والصدق بمعنى الصادق
او بمعناه المصدري وقيل انه اشارة الى جواز تفسير القدم به صلى الله عليه وسلم باعتبار الشفاعة
ايضا كما مر او الى المسامحة في تفسيره بالشفاعة فتتوافق الاقوال وقال سهل تقدم الكلام عليه هي سابقة
رحمة اودعها الله في محمد عليه السلام قال التلمساني اودعها بفتح الهمزة والدال والعين وفي نسخة
العزفي بضم الهمزة وكسر الدال وضم عين المضارع وفتحها اذا سقطت في ورفع محمد على انه نائب عن الفاعل
وهو الله وليس ما قاله بشيء لان ودع يتعدى بنفسه لمفعولين على كل حال فتضمن معنى الحفظ ونحوها
هنا ولا باس به ومعناه اجعله متصفا بها لينتفع الناس بها عند الحاجة والسبق لما مر وفي الاول وسابقة
رحمة بمعنى رحمة سابقة او الاضافة بيانية وقيل هي رحمة قدمها بوفاته لما في الحديث اذا اراد الله بامة
رحمة قبض نبيها قبلها فجعله فرطا لها وسياتي تفصيله ومثل القدم هنا ما ورد في الحديث في صفة النار
يضع الجبار فيها قدمه اي من تقدم في علم الله خلقه لها والجبار اسم الله وقيل الجبار بمعنى الجبارين والقدم
على ظاهره وليس هذا محل تفصيله وقال محمد بن علي الترمذي الامام الحافظ ابو عبد الله محمد بن علي بن الحسن
بن بشر الزاهد المؤذن الحكيم ليس هو صاحب السنن وهذا مروي عن ابيه وقتيبة بن سعيد وغيرهما وروى
عنه خلق كثير لما قدم نيسابور سنة خمس وثمانين ومائتين وعاش نحوا من ثمانين سنة وقد طعن الناس
في اعتقاده لكلام صدر عنه في بعض تصانيفه والله اعلم بالسرائر وتوهمون فيها الغلاة تغلبت(?) هو امام
الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد عليه السلام حكاه السلمي بضم السين
وفتح اللام ابو عبد الرحمن شيخ الصوفية وقد تقدم الكلام عليه وهو ضمير عائد على قدم وتذكيره رعاية
لمعنى العضو ونحوه والصادق معناه ظاهر وقال الفاضل الزملكاني الصديق فعيل من الصدق واصله
في القول والخبر واختلفوا في تفسيره وورد في الشرع لمعان يجمعها كلها المبالغة في الصدق وتكثير فاما
اقوال العلماء فقيل الصديق من كثر منه الصدق وقيل من صدق بقوله واعتقاده وحقق بصدقه فعله
واشتهر حتى بلغ درجة تلي درجة الانبياء وقيل من لم يكذب قط وقيل من لم يتات منه الكذب لتعوده الصدق

الألوكة www.alukah.net

وَوَرَدَ فِي القرآن العظيم في مواضع كقوله تع اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم واولئك اشارة لمن اتصف بالصفات السابقة فمن اتصف بها هو الصديق والشهيد ويعني بالشهدا الانبيا الذين هم شهدا على الناس يوم القيمة فلهم اجر ونور لم تره عين ولا سمعت به اذن الى آخر ما فصله ونقل فيه كلام ارباب الكشف والصديقية مرتبة قبل النبوة ليس فوقها درجة الا النبوة فهي من الولاية وتنضم للنبوة ايضا كولاية النبي ولذا قال الله في حق ابراهيم كان صديقا وقد قرنت الشهادة بالصديقية في القرآن على القول المرضي فما قيل من ان هذه الآية ليس فيها الوصف بالشهادة وما يتبعها وانها اليست من الفصل بالاستطراد غير واضح لا وجه له لاسيما كونه اماما مطاعا مجابا المسائل يدل على قبول كلامه وعدم رد شهادته

• الفصل الثالث فيما ورد في خطابه اياهم •

اي خطاب الله لنبيه الكريم والخطاب في الاصل مصدر بمعنى المخاطبة وهي توجيه الكلام لغيره ويطلق على الكلام المخاطب به وعلى الاول النسبة بين المخاطبين وهي بالنسبة الى الكلام الازلي القايم بالنفس محال ولذا اختلف في صدق الخطاب على الكلام النفسي كما حكاه ابن الحاجب ويصح ارادة المعنيين هنا فالظرفية مجازية من ظرفية الخاص في العام وقيل انه بتقدير حين والورود بمعنى المجيء والوقوع مجاز مشهور او حقيقة عرفية وقيل انه يجوز في اسناد الورود الى ما خوطب به مجازا عقليا بتشبيه المبرة والملاطفة بشرعة الماء بجامع الانتفاع ففيه استعارة مكنية وتخييلية ولا يخفى ما فيه فتدبر • وكون في بمعنى من تاويل من غير داع **مورد الملاطفة والمبرة** مورد اسم مكان او مصدر ميمي بمعنى الورود والملاطفة المعاملة بلطف وشفقة والمفاعلة مجازية لتنزيل استحقاقه له بمنزلة فعله او هي لاصل الفعل من غير مشاركة ولذا عطف عليه المبرة بمعنى البر وهو الاحسان والخير ولا يخفى ان الفصول معقودة لمعان متغايرة وتغايرها ظاهر فلا حاجة لما قيل ان المراد هنا لطف ومبرة لم تكن مما سبق من المدح والشفقة والقسم **فمن ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم** في نسخة بدله قوله تعالى عز وجل وضمير لهم للمنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك وذلك اشارة لما ورد على الوجه المذكور قال في الكشاف وتبعه البيضاوي انه هنا كناية عن الجناية لان العفو مرادف لها ومعناه اخطات وبيس ما فعلت وقد شنع الناس عليه في هذا حتى كان سببا لمنع الناس من قراءة كتابه كما حكي عن الامام السبكي لما فيه من ترك الادب وقال ابن المنير في تفسيره المسمى بالبحر عفا الله عنك وعامة الكلام يقصد بها به ملاطفة المخاطب وهو عادة العرب في التلطف بتقديم الدعا لاستدعاء الاصغاء او خبر معناه لا غضاضة عليك لانه تع غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهو تخصيص وتمييز لا ذنب يتعلق به العفو لان تحمله ومسامحته لهم مع اذاهم حملا للمشقة على نفسه واسقاطا للحظوظ فهو عتب عليه وتلطف لا ملامة فيه اي قد بلغت في الاشتمال والاحتمال الغاية وزدت ما اجحف بك في محبة الله وطاعته والرفق بالبر والفاجر وابن هذا من التخطئة والزمخشري نزع به هنا عرق العجمة لاساءة الادب واراد بعضهم ان يصلح فافسد فقال بداءة بالعفو قبل الذنب ولو عكس انقطع نياط قلبه وكله ذهول عن عتب الحبيب في خيفة على نفسه وهو تخفيف لا تعنيف وتمدح لا قدح وهذا كما قيل له اذ جهد وجد في العبادة ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ولعلك باخع نفسك والعفو وان كان يستدعي ذنبا كما تستدعيه رضي الله عنك لغضب سابق فهو هنا تنبيه على انه امر ان يرفق بنفسه فكانه قيل له انت ابيت الا الحلم والاحتمال فانت غير مواخذ بل مثاب كمن يرخص له في لذة وراحة فيعمل بالعزيمة فقال له ما كان هذا يلزمك فاذا احتملته فلا غضاضة عليك ايجابا لحقه ورفعا لقدره لا لالزامه بالا

بان

بان منه وذلك انهم ادعوا الطاعة وزاحموا المطيعين في رتبتهم فاستاذنوا ليكون قعودهم باذن لا ينافي دعواهم ولو لم يؤذن لهم هتكوا حجاب الهيبة وخلعوا ربقة الطاعة وقامت الحجة عليهم بانهم ليسوا في ورد ولا صدر فلما اذن لهم تحت مكيدتهم واليه الاشارة بقوله حتى يتبين لك الى آخره وليس في هذه المخالفة مصلحة مرضية فان الله بين انه باذنه لهم طابق تخيير الكراهة فانه لا مصلحة في خروجهم بل فيه مفسدة شوهاء • وعاقبة شنعا لانهم لو خرجوا كانوا مخذلين باعثين للفتنة يمشون بالنمايم ويثيرون غبار الضغاين مشتتين للشمل كالظربان فانهم ذباب يقعون على الدبر والقذر فكان المصلحة العظمى في قعودهم وان كان فيه ستره لغيرهم واحتمالا لمكرهم وغاية الغايلة التباس امرهم وقيام حجتهم وهو قد عرفهم وانكشف له عورتهم ولكن لم يفضحهم حلما وكرما واتساع صدر وكم ضاق نطاق عمر عن ذلك واشار بضرب اعناقهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه فانه قد يخدش الصدور السليمة ويوقع في حصايد الالسنة فاشفق على العدو فاستبقاه وعلى الولي ان تزحزحه الشبه عن رتبة بقاه وحمل عب ذلك نفسه في ذات الله انتهى ﴿

اقول جزاه الله خيرا عما اهداه للعقول السليمة من نفس التحف وذا فم به عن حرم النبوة وانت اذا تاملت ما بعده من النظم تراه مصرحا بما افاده المصنف قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون فاي راي اسد من الاذن في تخلفهم واي حلم اعظم من الستر عليهم فكيف يكون في اول الكلام عتاب وآخره بيان لان ما وقع عين الصواب ولو كان هذا في رسالة كاتب مزقها سلطانه فما ظنك بمالك الملك تعالى شانه **قيل هذا افتتاح كلام** اي هذا جار على نهج البلغا وارباب الترسل والانشا في ابتداء كلامهم بالدعا توقيرا وتعظيما وفيه اشارة الى ان هذه الجملة انشايية دعايية على ارجح الاحتمالين فيها مما سمعته آنفا **بمنزلة اصلحك الله واعزك الله** اي هو مثله في انه دعا للتعظيم لم يلتفت فيه لما يوهمه الدعا بالصلاح من الفساد والعزة من الذل كما ورد في الحديث لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له وقدم هذا المصنف لانه التحقيق المرضي عنده لما في قوله **وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب** وعون هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ﴿ الكوفي الزاهد الفقيه اخو عبيد الله الراوي عن ابي هريرة وابن عباس وجمع وقيل روايته عن الصحابة مرسلة وليس بتابعي لكن له حديث عن ابن عمر في مسلم وروى عنه الزهري وابو حنيفة وابو العميس واخرج له احاديث كثيرة وهو ثقة توفي في حدود ستين بعد المائة وفي نسخة خبره بدل اخبره والمعنى واحد وكذلك يخبره لكن في المقتفى ان يخبره في النسخة المصححة بالتشديد وهو الصحيح وضم مع اخبره من تنويع الكلام لان اخبره وخبره بمعنى • والتنويع ان يكون في الكلمة لغتان فيجمع بينهما كقول بشار

اذا انكرتني بلدة او نكرتها • خرجت مع البازي على سواد •

ففي العبارة ثلاثة اوجه قيل المراد بالذنب خلاف الاولى والاليق لان حسنات الابرار سيئات المقربين والوجه هو الاول وبعض الشراح ارجع هذا لما قبله ورد بان بينهما فرقا ظاهرا لان على الاول لا ذنب اصلا والجملة انشايية دعايية وعلى هذا هي خبرية فان اراد ان المال واحد صح ما قاله ثم ان هذا كيف يعد ذنبا وان لم نقل الجهاد فرض كفاية فتخلف بعضهم باذن لا باس فيه لاسيما اذا كان في ذلك مصلحة ونفع وقال نفطويه اذا امر الملك احدا على جيش كان ذلك تخييرا له فيما يامرهم وينهاهم فيمتنع العيب عليه فيما فعله لمصلحة لاسيما اذا كان مقامه في غاية الجلالة عنده وقد تقدم الكلام على السمرقندي وترجمته **وحكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم** فيه ايهام لان عفا من المعافاة لاشتراكهما في اصل المادة

الألوكة
www.alukah.net

وليس مرادا بل قصد التعقيب للفرق بينهما ولذا ورد الجمع بينهما في الحديث نسالك العفو
والمعافاة الدائمة • وفيه اشارة الى ان الذنب كالمرض والعفو عنه بمنزلة الطب الشافي له الا انه
قيل عليه انه سليم القلب وليس مناسبا هنا لانه وان كان مدحا في نحو قوله الا من اتى الله بقلب سليم
لان معناه خلوصه من الغل والغش الا انه صار في الاستعمال عبارة عن الغفلة وضعف الراي وقلة
الحزم والعزم كما في لباب التفاسير • واجيب عنه بان ما ورد مدحا في القرآن يجوز التعبير به في
مقام المدح وان اوهم خلافه لعرف طار عليه وفيه نظر **ولو بدا بها النبي صلى الله عليه وسلم**
بقوله اذنت لهم هذا مبني للفاعل وفاعله ضمير يعود على الله والنبي منصوب مفعول وبدا مهموز
بمعنى ظهر **لخيف** اي لخاف عليه من محبة الله **لن ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام** لتاثيره في قلبه
وجلالة قايله ومهابته خصوصا ممن هو اخوف الناس منه لعلمه بما لم يعلمه غيره وسياتي الكلام عليه
وفيه مبالغة والمراد كما قيل انه كاد ان يخاف عليه او يخاف عليه من لا يعرف انه آمن مغفور له
او خيف عليه بحسب الظاهر ان يكون شانه ذلك في ذاته ومثله لا يوجب خللا في المقصود كما توهم
وهذا مبني على ان خوف النبي من العقاب بعد تامين الله له غير جايز وسياتي تفصيله وانفطار القلب
وانشقاقه عبارة عن الخوف المهلك كما تتشقق الاجسام من خشية الله كما قال تعالى لو انزلنا هذا القرآن
على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله **لكن الله اخبره بالعفو حتى سكن قلبه** سكن مامر
بالتشديد والتخفيف وفي نسخة سكن وقلبه مرفوع او منصوب وروي يسكن مضارع مضموم
الاول مشدد وقلبه منصوب مفعول ويجوز تخفيفه ورفع قلبه يعني انه تعالى لرافته به ورحمته
قدم العفو ولا ليسكن قلبه اي يطمين ويامن قيل المراد بل ومراده السكون وعدم الاضطراب لامنه
او هو من قبيل سبحان من صغر البعوضة واعترض عليه بعض الشراح بانه لا طايل تحت هذا الكلام
لانه خوطب باشد منه فلا تكونن من الجاهلين ولم يضطرب لتامين الله له بقوله ليغفر لك الله ونحوه
ورد بانا لا نسلم انه اشد منه او مثله فانه نهي عن الوقوع فيه من غير عتب وتخويف كما سيجي ولو سلم
فهذا اعتراض اشد تخويف من النهي مع انه لا يلزم من عدم الرعاية في مقام عدمها في مقام آخر ولاين
الرعاية الرعاية واللازم الامن من النار ونحوها على ان الوعد لا يمنع الدهشة والخوف من الصدمة
كما سيقع للانبيا في يوم القيمة والعشرة المبشرة يخافون من سوء العاقبة لاحتمالات وسياتي
تحقيق هذا ان شا الله تعالى في محله **ثم قال لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين الصادق من الكاذب**
ثم هنا لمجرد الترتيب الذكري بغير مهلة او بمهلة لتنزيل ما انقضى والعدم بمنزلة البعيد كما حقق
في قوله ذلك الكتاب في احد الوجوه ويتبين بمعنى يتضح ويظهر ويتميز هذا من هذا وينفصل
فتعلق من به باعتبار ما تضمنه من الانفصال وحتى يتعلق بمقدر لا باذنت لفساد المعنى اي حتى
يتبين الذين صدقوا وتعلم الكاذبين اي لم اذنت لمنافقين بالتخلف عن تبوك وكان عليك ان
لا تاذن لهم حتى يتبين الخ كما في لباب التفاسير وغيره والاستفهام فيه اشعار بما قدرناه
وفي هذا المذكور من تقديم العفو وتاخير السؤال **من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب**
المنزلة المرتبة المعنوية وعند ظرف مكان اذا اضيف الى المنزه عن المكان فهي بمعنى في علم الله
او في حكمه كما في قوله كان عند الله عظيما وبينهما فرق دقيق وتكون للقرب المعنوي كما في قوله
عندك بيتا في الجنة وبمعنى احسانه وانعامه كما في قوله قالت هو من عند الله فاختر لنفسك ما
يحلو • واللب العقل والمراد الكامل وهو على ظاهره مبالغة ومن بيان مقدم على المبين عند من اجاز
تقديمه او هو بيان لمقدر منهم وما بعده بيان او صفة اخرى للمبهم **ومن اكرامه اياه وبره به**

لرعاية

لرعاية خاطره والتسلية له وتقديم الدعا والعفو في اول خطابه **مما ينقطع دون معرفة**
غايته نياط القلب نياط فعال من النوط وهو التعلق ومنه المناط فقلبت واوه ياء لانكسار ما
قبلها وهو عرق يتعلق به القلب من الوتين وقيل هو الوتين نفسه فاذا انقطع مات صاحبه
فلذا كني به عن الموت قال ابن خالويه في كتاب في اسما المنية قال الله عز وجل الا ان
تقطع قلوبهم معناه الا ان يموتوا يقال قطع قلبه ورمي بنيطه ورماه الله بنيطه وطالبه بحقه
اذا مات انتهى وللنياط معان اخر كالعرق المستوطن الصلب والمراد ان له منزلة عند الله ورتبة
اكرمه بها ولنعم عليه بما لا تطيق العقول معرفة كنهه وغايته ولا تفي الاعمار بتحصيله •
• وعلى تفنن واصفيه بحسنه • يفني الزمان وفيه ما لم يوصف •
فانقطاع النياط كناية عن تعذره وصعوبة مسلكه او عبارة عن عدم وفا الاعمار به مع
الموت دونه ومما قيل من انه يجوز ان تكون اشارة الى ان من عرف كمال اكرام الله ورعايته له عرف
انه في غاية التقصير فيخاف خوفا يتم الهلاك تعسف وارتكاب لما يأباه فحوى الكلام والغاية
هنا النهاية وتفسيرها بالفايدة غير مناسب ومنهم من فسرها بجملة الشي وجعله استعارة
وهو بعيد ودون هنا بمعنى قبل كقولك دون الدار منازل **قال نفطويه** هو لقب لابي عبد الله
ابراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن ابي صفرة الازدي النحوي
الواسطي صاحب التصانيف الجليلة توفي في صفر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وقيل سنة اربع
ببغداد وقيل بواسط وولد سنة اربع واربعين ومايتين وقيل خمسين ولقب به لدمامة منظره
واللفظ معروف معرب وفي هذا وامثاله كسيبويه الاصل الصحيح فيه فتح الواو وسكون اليا
وبعضهم يسكن الواو ويفتح اليا وقيل من تعبير المحدثين تجنبا من لفظ ويه ولذا قيل في هجايه
• احرقه الله بنصف اسمه • وصير الباقي صياحا عليه •
وقال المعري ان هذا مما احدثه المولدون وويه بلغة اهل البصرة اداة تصغير ويجوز فيه
كسر النون وفتحها ويجوز في مثله الاعراب والبنا على كسر الهاء لتركيبه تركيب مزج وهو الاكثر
ذهب ناس الى ان النبي عليه السلام معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك اي والنبي
منزه عن ان يفعل ما يستحق العتاب عليه وقد تقدم الكلام على حاشا مفصلا وانه لا عتاب
في هذه بل فيها اعزاز له واكرام بالدعا له وتصويب لفعله والتعبير بالعتاب فيه اشارة الى
ان ما فعله خلاف الاولى عند صاحب القيل **بل كان مخيرا** بين الاذن وعدمه اذ لم يتقدمه نهي كما
وفيه نظر والاولى ان يعول النزول وحي عليه في ذلك لقوله فاذن لمن شيت منهم كما سياتي
في اول القسم الثالث الا ان ابن الجوزي قال ان هذه الاية منسوخة بقوله فاذن لمن شيت الى اخره
ولفظ مخيرا هنا بالمثناة التحتية وقال البرهان الحلبي انه في بعض النسخ مخبرا بموحدة تحتية
مخففة وهما نسختان مصححتان عنده والاولى اولى والمعنى على هذه انه ما اذن له بوحي غير
متلو لم يخبرهم به تحريضا لهم على الجهاد **فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا**
لنفاقهم وهم يدعون بطلب الاذن انه لو لم ياذن لهم ما تخلفوا فاذا ظهر كذبهم وانكشف نفاقهم
لزم شق العصا وما يترتب عليه فكانه ما فعله اولى واصوب **وانه لا حرج عليه في الاذن لهم**
اي ليس فيما فعله ضيق واثم لكن لو صبر تبين امرهم وفيه اشارة الى كمال الرفق به والرعاية
له وانه لم يقع منه تقصير للعتاب ولا خطا في الاجتهاد ولا ارتكاب لخلاف الاولى كما توهم
قال القاضي ابو الفضل هو المصنف كما مر **يجب على المسلم المجاهد نفسه** بتهذيب الاخلاق

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والصبر وكسر شهوتها كما يدل عليه ما بعده فانه الجهاد الاكبر قيل الوجوب هنا اعم من الشرعي ثم بل ما لا يليق تركه وهو شايع بهذا المعنى كما صرح به في شرح المواقف وغيره فيشمل المسنون والمندوب وفي تعبيره بالمسلم الجاهل لطف لم يبينهوا اليه لتعريضه بانهم منافقون تاركون للجهاد ثم **الرابض بزمام الشريعة خلقه** هو من رضت الدابة اروضها اذا ذللتها لتنقاد لحاملها وتلين شكيمتها والزمام ما يقودها به كاللجام ففيه استعارة مكنية وتخييلية والزمام بمعناه الحقيقي او عبارة عن الاحكام الشرعية على حد يبتغون فضلا من الله وفسر التلمساني الرياضة بالتعليم والزمام بالسبب والطريقة وفي كلامه تسامح ولا يستغرب مثله **ان يتادب** فاعل يجب **باداب القرآن** وفي نسخة باداب القران بصيغة الجمع والادب كما قاله الازهري وغيره يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان في فضيلة من الفضايل ومنه ادبه اذا عاقبه على اساءته لانه داع لحقيقة الادب وادب ادبا من باب ضرب صنع صنيعا كالطعام ودعا الناس اليه فهو آدب **بمد** **منه** فاعل قال

غير في المناة من عو الجفل • لا ترى الادب منا ينتقر

ومنه المادبة للمايدة والقرآن مادبة الله وهو الداعي اليها وفي كلام المصنف اشارة الى الحط على مثل الزمخشري ممن خاطب النبي واساء الادب في مقامه بما لم يقله له رب العزة اذ قال له عفا الله عنك ودعا له وقال هذا اخطأت وبيس ما فعلت **في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته** الجار والمجرور متعلق بيتادب ومعاطاته من العطا والعطية وهي ما يعطيه قال في المصباح ومنه المعاطاة لانها مناولة لكن استعملها الفقها في مناولة خاصة ومنه فلان يتعاطى كذا اذا اقدم عليه انتهى فالمعاطاة هنا مصدر والمراد الافعال الواقعة معه فهي اخص من الفعل كما ان المحاورة مخاطبته ومصاحبته فهي اخص من القول كما قيل من ان المعاطاة الفعلية جمع معاطاة كمعادة ومعاداة في قوله موكل بمعاداة المعادات على ما فيه من احتمال افرادها وربط ثانيهما ومحاوراته القولية جمع محاورة بالحاء المهملة وهي المجاوبة ومعاطاته وان احتملت الافراد الا ان محاوراته جمع قطعا فناسب ان يكون مقابلة جمعا انتهى **فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الاداب الدينية والدنيوية** ضمير هو للنبي صلى الله عليه وسلم او للقرآن وهذا ارجح وعليه الشراح والعنصر بضم الصاد المهملة وعوز فتحها بمعنى الاصل وفسره التلمساني بالمنبع ولا وجه له والمعارف العلوم او المعلومات والحقيقية المتحققة في نفس الامر والروضة ارض ذات مياه واشجار وازهار طيبة متنزهة والمراد بالدينية ما هو متعلق بالعبادة والتوحيد ونحوه من الامور الشرعية والدنيوية ما يوخذ من الشريعة متعلقا بالدنيا فهي دينية ايضا ككرم الاخلاق وحسن العشرة وتدبير المعيشة شبهه بالرياض لما فيه مما يرفع الكدورات البشرية ويسر الارواح الزكية او شبه الاداب بالمياه والازهار فهو تشبيه لذكر الطرفين فيه لا لان وصفه بالدينية والدنيوية يأباه كما قيل ولا يصح كونه استعارة كما قيل الا على قول او تاويل بعيد فتدبر **وليتامل** التامل تفعل من الامل وهو رجاء ما يبعد حصوله من الخير نقل لمعنى آخر وهو كما في المصباح التدبر واعادة النظر مرة بعد اخرى حتى يعرفه والمصنفون يستعملونه فيما فيه دقة او شبهة واللام لام الغايب وفاعله ضمير راجع لمسلم وفي العبارة حزازة ولو اسقط اللام وعطفه على يتادب كان اولى وعلى هذه النسخة قال بعض الشراح انه امر معطوف على يجب ان يتادب ميلا مع المعنى لانه في معنى ليتادب فهو كما قيل في قوله تعـ ومن اياته ان يرسل

الرياح

٧٦

الرياح مبشرات وليذيقكم اي ليبشركم وليذيقكم وان كان الاولى انه بتقدير وارسلها ليذيقكم كما في المغني ومن العجيب ما قيل انه امر معطوف على يتادب ولو قيل انه من عطف القصة على القصة كان اسهل **هذه الملاطفة العجيبة** كما تقدم حيث قدم الدعا والتبشير على ما يوهم الاعتراض والعتاب مراعاة لخاطره وتطييبا لقلبه وهو العلي الغني عن عباده الفعال لما يريد فكيف بالامة الذين يجب عليهم التادب معه **في السؤال من رب الارباب** متعلق بملاطفة او صفة لها بتقدير الكاينة والرب الموجد المربي والسيد المالك مصدر وصيغة مبالغة او صفة مشبهة وفي اختصاصه به تعـ اقوال فقيل يختص به اذا اطلق من غير اضافة وكان مفردا فاذا جمع كما في عبارة المصنف جاز لعدم الايهام بالواحد الاحد كقوله ءارباب متفرقون واما قوله

وهو الرب والشهيد على يو • م الحوارين والبلاء بلاء •

وقوله

ارب يبول الثعلبان براسه • لقد ذل من بالت عليه الثعالب •

فنادر جاهل لا يعتد به وليس الكلام في صحته بحسب اللغة بل الشرع هل هو حرام او مكروه ثم وقيل انما ينهى عن كثرة استعماله واضافته للعقلاء بخلاف رب الفرس والدار والاصح انه انما ينهى عنه اذا اوهم معنى المعبود فمحل التعجب كون السؤال من رب العالم الغني عن خلقه كما اشار اليه بقوله **المنعم على الكل المستغني عن الجميع** لم يبين ما انعم به واستغنى به ليفيد العموم وكذا كل اطلاق لم تقم قرينة على تقييده والسين هنا ليست للطلب بل للتاكيد للغنى وعرف الكل بالالف واللام كقولهم بدل الكل والبعض وهما لم يسمعا معرفان بها في كلام العرب كما ذكره الجوهري وغيره من ايمة اللغة وقد جوزه الجوهري فقال كل وبعض معرفتان ولم يجئ عن العرب بالالف واللام وهو جايز لان فيهما معنى الاضافة اضفته ام لم تضفه انتهى يعني انه يلزم الاضافة لفظا او تقديرا الا ان الالف واللام قد تقوم مقام الاضافة وتسد مسدها كما صرح به النحاة فالقياس يقتضي صحة دخولها عليهما الا انه تسمح في قوله معرفتان وقد ذكر ابن خالويه في كتاب انه سمع نادرا فالحق ما قاله الجوهري ولا اعتراض عليه واردف المنعم بالمستغني اشارة الى انه لم يرد بانعامه فايدة ولا حاجة له به وامر بالتامل حثا على رعاية الادب في حقه **ويستثير ما فيها** اي في الملاطفة والاداب القرآنية ويستثير بالمثناة الفوقية والمثلثة بعد سين الطلب من اثار الارض كما قال اثاروا الارض وعمروها اي يحركه ويبرزه كاثارة الصيد من مكمنه والتراب من مقره ومنه اثارة الفتنة والشر والمعنى يظهره لنفسه وغيره وفي نسخة ابن رسلان يستبين بالنون وفي نسخة بعض الشراح يستبين ويستثير وهو كالعطف التفسيري قال هو مجزوم معطوف على يتامل اي يتعرف ويتفحص ويجوز رفعه وقد وقع في نسخة هو ويستثير بمعنى يستخرج مرفوعان انتهى ويجوز جزمهما عطفا على يتامل ونصبهما عطفا على يتادب او في جواب الامر بتقدير ان بعد الواو اي ليكن منه منه الامران التامل والاستثارة وتعيين هذا كما في بعض الشروح لا داعي له والفوايد جمع فايدة وهي ما يستفيده الذكي من ملاطفة الله له وحسن خطابه وليتنبه والسوال الى ما هو اعلم المشير الى انه خبير بما صدر منه واقف على ما اخفوه من مكايدهم حارس لضبائن حقدهم من نفاقهم وتعظيمه ورونق خطابه في المبالغة ثم المقتضي للزوم الادب معه **وكيف ابتدأ بالاكرام قبل العتب وقبل ذكر الذنب ان كان ثمة ذنب** كيف اسم استفهام يسال به عن الكيفية والحالة وقد يخرج عن الاستفهام والصدارة كما فصله شراح البخاري في باب كيف بدء الوحي ولا حاجة لنا به هنا وابتداء بفتح التاء والهمزة وثمة اسم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

إشارة بمعنى هناك والهاء المرسومة للسكت والوقف وفيه لغة ايضا بتاء التانيث وهو
احتمال هنا وفي قوله ان كان ذنب اشارة الى انه لا ذنب له بل من محاسنه • كما قال البحتري ؏

إذا محاسني اللاتي أدل بها • كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر •

وإذا لم يكن ذنب ولا ارتكاب لخلاف الاولى لم يكن عليه ملامة وعتب فهذا يدل على ان قوله قبل
العتب المراد منه ان كان هناك عتب ولظهوره استغنى المصنف عن ذكره فهذا من بديع الاكتفاء وقد
حام حول هذا من قال لم يقل المصنف إن كان عتب كما قال ان كان ذنب اكتفاء بالثاني عن الاول لانهما
نظيران وشيخنا حمل العتب على ما هو في صورته لئلا ينافي ما سيذكره من انه لا عتب عليه وغلط
من ذهب اليه والمراد بالذنب خلاف الاولى وهذا كله من ضيق العطن فتدبره • وكذا من الزوائد
جملة كيف منحة وآنس بمد الهمزة بزنة قابل وروي بالقصر وتشديد النون وقوله كيف قيل انه
معطوف على ما فيها والظاهر انه معطوف على هذه الملاطفة اي وليتامل كيف الخ ويعينه قوله فيما
سياتي ثم انظر كيف برأة الخ فتنبه له وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد تركن اليهم شيا قليلا
اي لولا ان ثبتناك على الحق والصواب والسداد قاربت الميل الى مرادهم ميلا ما قليلا ففي الاية
تصريح بان الله عصمه عن الميل الى خلاف الصواب فضلا عن الوقوع فيه وفيه دليل على ما قدمه
من انه لا ذنب له راسا وفيما فسروه به اشارة الى ان العفو ليس عن ذنب وتقصير • قال بعض
المتكلمين اي المفسرين الذين تكلموا على هذه الاية وكثيرا ما يستعمل المصنف وغيره هذا المعنى
اللغوي ويجوز ان يراد المعنى المصطلح اي اهل علم الكلام واصول الدين لتعلق هذا بعصمة
الانبيا وهي من مباحثه فلا وجه لما قيل ان المنقول عنهم من غير ذلك العلم عاتب الله الانبيا
قبل الزلات وعاتب نبينا قبل وقوعه العتب والعتاب مخاطبة من تودده بما صدر منه مما لا
يناسب ليزيله او يترك العود له وهو يكون ناشيا عن المحبة والادلال والزلات جمع زلة بالفتح
من الزلل واصله دخوض القدم ثم عبر به عن الوقوع فيما لا يرضي من غير قصد ولذا فسر بالخطا وفي
التعبير بالوقوع بمعنى الصدور في الواقع مع الزلل لطف لان من زل سيقع وضمير وقوعه للذنب
ويجوز عوده لنبينا بتقدير قبل وقوعه في الذنب ولك ان تقدره قبل احتمال وقوعه كما يدل عليه
تعبيره في الاية بقوله كدت تركن اي تميل لان القرب من الميل للذنب يقتضي عدم وقوعه والمراد
بالزلات في حق الانبيا خلاف الاولى الذي هو بالنسبة لعلو مقامهم كالزلة من غيرهم ولخفائه
قيل كان اللايق عدم وقوعه فان قيل كان اللايق عدم وقوعه فان القبلية تقتضي الوقوع بحسب
الظاهر وان صرحوا بانه غير لازم بدليل قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي وفي بعض
الشروح معترضا على ما نقله المصنف بانه لا عتب فيما ذكر وانما هو تمكين بنعمة العصمة له وهو مناف
لما سياتي من عصمة الانبيا عن الكبائر والصغائر ومقامهم منزه عن الزلات وان صدر عنهم ما هو
بصورتها فهو لحكمة لبيان الجواز والتشريع للامم • وقال الصفوي العتاب قبل وقوع الذنب
يستلزم امرين احدهما وقوع العتاب في زمن لم يقع في الدنيا والاخرة ووقوع الذنب بعده فاشتماله
في لازمه الاول فقط مجازا • فان قلت العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الوحدة يقال عاتبه
وعتب عليه قال •

اذا ذهب العتاب فليس ود • ويبقى الود ما بقي العتاب •

قلت جزم محققوا المفسرين بانه صلى الله عليه وسلم لم يهم بالركون اليهم والعتاب عتابان
عتاب منجز كما لو قال لقد تركن اليهم وهذا انما يكون مع كينونة الركون وعتاب تعلق كما في قوله
لولا ان ثبتناك الخ وهذا انما يكون مع عدمه اي لو لم نثبتك ووقع منه ذنب القرب من الركون

لكنا ثبتناك فلم يقع والمنقول عن بعض المتكلمين وان اقره المصنف لا ينافي ما جزم به من انه
لم يعاتب اصلا لان المنفي المنجز المستلزم للوقوع والمثبت خلافه فكن اقيل ولا يخفى ما فيه فتامل
لتكون بذلك المذكور او العتب على ما ادعاه اشد انتهاء اي اقوى في تركه لما ذكر مما لا يليق به
والانتهاء افتعال من النهي يقال نهاه فانتهى لا من النهاية ومحافظة لشرائط المحبة اي مداومة
لما تقتضيه المحبة من قصر الهمة وهذه غاية العناية من الله به وهذه اشارة الى المعاتبة قبل الوقوع
لما ذكر من الفوائد ولذا انث او هو لرعاية الخبر والعناية فصل المساعدة والاعتنا بحفظه وامره
يقال عنيت بامر فلان بالبنا للمفعول عناية وعنيا شغلت به وهذه اقوى من عناية الله بغيره ؏
من الانبيا فلذا جعلها غاية وقيل انما جعلها غاية مبالغة ثم انظر كيف بدا بتثبيته وسلامته قبل
ذكر ما عاتبه عليه وخيف ان تركن اليه اتى بثم لبعد مرتبة هذا مما قبله لان في المعطوف
عليه احتمال صدور الزلة وفي هذا اكرامه وتامينه من صدورها منه وهو اما من كلام المصنف او من
تتمة كلام ذلك البعض ملتفتا من الغيبة الى الخطاب ايقاظا للمامور وحثا له على التامل وهو
من عطف القصة على القصة او عطف على مقدر اي تامل ما ذكر ثم انظر والنظر بمعنى التفكر والتدبر
مستعار من نظر البصر وقيل ثم مجردة عن المهلة اولان الفراغ من ذلك التامل انما يكون بعد مهلة
وبراة بتثبيته اي لم يقل لقد كدت تركن لولا ان ثبتناك وقال بتثبيته ولم يقل بتثبيته كما في الاية
لان قوله كدت يدل عليه وهو محل المدح اولان تثبيت الله يلزمه الثبات والسلامة مما خيف عليه
والمعاتب عليه الركون وخيف مبني للمجهول اي وقع الخوف ممن هو شانه وقيل فاعله المقدر هو الله
وان كان حقيقة الخوف مستحيلة عليه لان المراد معاملته معاملة من يخاف عليه ما ذكر كما في
في قوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا ليعاملكم معاملة المختبر ولا اختبار ولا ابتلاء اي يخاف
عليه القرب من الركون وفيه مبالغة لانه اذا خاف عليه القرب من شيء خاف عليه ذلك الشيء بالطريق
الاولى وهذا لا محذور فيه حتى يقال المراد بالركون في عبارة المصنف الوقوع لانه هو المخوف فهو غير
الركون المذكور في الاية وقيل كدت من افعال المقاربة وقد اخبر به موكدا بقوله لقد ومثله مما يعتب
عليه الا ان قوله شيا قليلا يدل على انه لا يضر لقلته وهو عناية به ونعمة عظمى لان صفاه من
شوائب الخطرات القلبية التي لا ثبات لها وانما يواخذ بما وقع عن عزم وتصميم كما قالوا في تفسير قوله
ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وله تفصيل ليس هذا محله ففي اثناء عتبه براته
وفي طي تخويفه تامينه وكرامته اثناء الشيء بالمد خلاله وتضاعيفه يقال جا في اثناء الناس
اي بينهم جمع ثني بكسر فسكون وبياء تحتية او ثنى بالقصر والمراد بكون البراة في اثناء العتب انها
معه في كلام واحد بلا فاصل فلا يعترض عليه بانه تقدم هنا كما قيل لان الدال على البراة قوله لولا
ان ثبتناك وفي طيه اي داخله او في ضمنه او في تخويفه المطوي فيما ذكر اذ لم يفهم منه صريحا
وتامينه وكرامته بتثبيت الله له وتنزيهه عن القرب الى الميل يعني انه عتب بالركون الى الاعدا
وتخويف بقوله اذا لاذقناك العذاب فعلق بما هو صريح في عصمة الله له عن القرب منه فضلا
عن الوقوع فيه تعريضا بالمنافقين وايماء الى حالهم على حد قوله • اياك اعني فاسمعي يا جاره
وقد تقدم انه لا عتب ولا ذنب وانما هو تكريم فلذا قيل انه كان ينبغي للمصنف تركه وكلامه في غاية
الظهور فلا حاجة لان يقدر فيه اثناء الكلام الدال على العتب والتخويف فانه لا داعي له ومثله
قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك الاية اي مثل ما تقدم في اللطف
به او مثل لولا ان ثبتناك في الشفقة والتسلية وهو اقرب او مثل عفا الله عنك في الملاطفة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والتنوين وضمير انه للشان وقد للتحقيق والمضارع بمعنى الماضي او بمعنى ربما بالنسبة لسائر ما يقوله
والذي يقولونه انه ساحر او كذاب او شاعر ونحوه مما لا يرضاه اي لا تحزن لنفسك كما في الكشاف
ويدل عليه ما بعده ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وهو خبر اريد به لازم الفائدة كقوله اني وضعتها
انثى او المقصود تطييب قلبه **قال علي رضي الله عنه** رواه الترمذي وصححه الحاكم **قال ابو جهل** هذه
كنية كناه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يكنى ابا الحكم فانه كناه ابا جهل والناس كنوه ابا الحكم والجهل
وان كان ضد العلم فالمعروف في كلام العرب انه ضد الحكم كما قال

الا لا يجهلن احد علينا • فنجهل فوق جهل الجاهلينا •

وهو عمرو بن هشام فرعون هذه الامة وقيل انه عم جهله وكمه انه كان يحبي العصا ولذا قيل انه يصف
سنة وكان صلى الله عليه وسلم في اول الاسلام يرجو اسلامه ويقول اللهم اعز الدين باحد الرجلين ابو جهل
او عمر فلما اسلم عمر علم انه اشقاه الله فقتل ببدر واختلف في قاتله كما فصل في السير واسلم ابنه عكرمة وحسن
اسلامه ونصر الله به الدين تحقيقا لرجاء النبي صلى الله عليه وسلم **للنبي عليه السلام انا لا نكذبك ولكن
نكذب ما جئت به** وفي نسخة مصححة من الشفا ما جئته بدون باء لجحده لآيات الله عنادا وبغيا اي ننكره
ونجعله كاذبا مع انك صادق عندنا وفي لباب التفاسير قال ابو ميسرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
مر بابي جهل واصحابه فقال والله يا محمد انا ما نكذبك انك عندنا الصادق ولكنا نكذب ما جئت به فنزلت
هذه الآية نصا هو سبب نزولها قال المصنف **فانزل الله تعالى انهم لا يكذبونك الآية** وعزاه ابن الجوزي
الى ناجية ابن كعب من المفسرين وقد قرئ به على قراءة يكذبونك بالتشديد وما في الكشاف من قوله وانك
عندنا الصادق مروي في الحديث قال السيد عيسى وهذا بظاهره فاسد لان كذب القول يستلزم كذب قائله
الا ان يكون ناقلا غير ملتزم للصحة والنبي انما ذكره على انه حق من عند الله وقال الطيبي لا نعتقدك كاذبا
وانما ننسب الكذب لما جئت به عنادا او حسدا فقوله نكذب بما جئت به في موضع نحسدك اقامة للسبب مقام
المسبب وفيه نظر وقيل المعنى لا نقصد بنسبتك للكذب وتعييرك به لانا جربناك على خلافه وانما
غرضنا ابطال الكلام او لا نقول انت من عادتك الكذب لكنا ننكر النبوة فلا يلزم ان تكون كذابا وانك غير
متعمد للكذب بل تخيلت امرا باطلا فالتكذيب بالنسبة لا فعاله فالكذب ما لك ليكون عيبا وهذا احرى
التاويلات وقيل انت ناقل ونحن نكذب المنقول لا الناقل وفيه ما مر انتهى وفي اللباب المعنى لا يخصك
بالتكذيب ونقل ابن الجوزي عن قتادة لا يكذبونك بحجة بل بهتانا او عنادا او لا يكذبونك اعتقادا بل قولا
وهذا ما ارتضاه الطيبي هذا زبدة كلامهم وسياتي في كلام المصنف ما يوافقه **وروي ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل** قال السيوطي في تخريجه لم اجده وكذا قال غيره قيل وهذا من فضوله
ولم يرد على هذا وهو غريب منه **فقال ما يحزنك فقال كذبني قومي** لما حرف وجود لوجود او وجوب لوجوب
فصله النحاة والاكثر الافصح في جوابه عدم اقترانه بالفاء وورد اقترانه بها ومن اباه يقدر له جوابا
محذوفا وقوله حزن هو الجواب وحزن واحزن لغتان شايعتان فصيحتان بهما جاء التنزيل فقوله يحزنك
يجوز فيه فتح الياء وضمها وقوله كذبني بالتشديد وروي اكذبني وهو لغة ايضا واراد تكذيبهم حيث
قالوا ان ما جاء به كاذب دون ان يقولوا انه كاذب او حيث قالوا انه كاذب والبناء ان المصنف بما سياتي
من انهم يعترفون بصدقه قولا واعتقادا او يروى او اعتقادا اشارة الى القولين السالفين كما مر **فقال
انهم يعلمون انك صادق فانزل الله تعالى الآية** فهو سبب النزول على احد القولين وفيه دليل على ان المنفي
في الآية العلم **ففي هذه الآية منزع لطيف المأخذ** منزع بفتح الميم والزاي المعجمة والعين المهملة محل النزع
مصدر ميمي بمعنى المفعول فسره التلمساني بالمأخذ ورده بان ما بعده ياباه فالمراد به شيء يرجع اليه قال

في القاموس

٧٨

في القاموس المنزعة ما يرجع اليه الرجل من امره ورايه واقتصر عليه صاحب المقتفي والمنزع بكسر الميم
السهم يقال نزعت في القوس نزعا وانتزع ينتزع اي سهم وفي المثل عاد السهم الى النزعة اي رجع الحق الى اهله
قاله الامام المرزوقي ولطيف المأخذ اي حسن دقيق اخذه واستنباطه منها **من تسليته تعالى له عليه
السلام والطافه في القول** قال البرهان الطاف بكسر الهمزة في النسخ التي وقفت عليها مصدر من الطفه
بكذا اذا بره به كما في الصحاح والتسلية تطييب القلب بما يذهب حزنه ويفرج كربه ومن لبيان المنزع
بتقريرانه صادق عندهم قولا واعتقادا كما اشار اليه بقوله **بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم
غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وكانوا يسمونه قبل النبوة الامين** الباء سببية والآية
وقد بمعنى بين وحقق هذا بحيث قر وثبت في نفسه لما في الآية من بيان ذلك مؤكدا بان وجعلهم
ظالمين جاحدين لما قالوه وكونهم غير مكذبين له تحقيقه وستسمعه قريبا وروي او اعتقادا اشارة
الى القولين في الآية • وروي ان الاخنس قال لابي جهل يوم بدر ليس هنا غيري وغيرك اخبرني عن
محمد اصادق هو ام كاذب فقال والله انه لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء
والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش ثم انه قيل هنا ان عدم الكذب اعم وان ورد ان
عدم نسبة الكذب اليه لا تستلزم نسبة الصدق لجواز ان لا يعترفوا باحدهما ولو سلم فالآية فسرت
بالنفي اعتقادا او قولا فمن اين تقرير الامرين الا ان يقال ان المراد بعدم التكذيب الحكم بعدم الكذب
لانهم لم يشكوا في حقه وهو بمنزلة الحكم بالصدق والمصنف جمع بين التفسيرين وهو عادته والاوجه
ان عدم التكذيب وان لم يستلزمه لكنه قد يكون كذلك فحمل عليه بقرينة ما عرف منهم لا بطريق اللزوم
وهم وان كذبوه لكن منهم من لم يكذب في بعض الاحيان كما مر والاظهر ان نفي التكذيب باحد الوجوه
والتاويلات السابقة فلا ينافي التكذيب ظاهرا كما اشار اليه البيضاوي وهذا غاية ما يمكن هنا
انتهى • وقوله واعتقادا على نهج قوله • وزججن الحواجب والعيونا • وكلام النحاة فيه مشهور
في كتب الحديث ويسمى يتعدى بنفسه وبالباء **فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب**
الدفع بالمهملة منع الشيء قبل وصوله وبعد الوصول يكون رفعا ولذا قالوا الدفع اسهل من الرفع
وفي التعبير به اشارة الى عدم تلبسه بما اورده والتقرير بالتاء المهملتين هو ما تضمنه قوله بان
قرر الخ وفي بعض النسخ التقدير بالدال بدل الراء كما ذكره التلمساني وقال ان الذي في اصل القاضي بالراء
ومعناه على تلك النسخة فرض الشيء وتصويره وبالراء بمعنى تبيينه وتمهيده وكل واحد منهما قريب من
الآخر • والارتماض براء مهملة ساكنة وآخره ضاد معجمة افتعال من الرمض وهي شدة الحرارة شبه
ما اشتد عليه واقلقه من الم قلبه والسمة العلامة واصلها وسمة فحذفت فاؤه كعدة • والمراد
وصفه لهم بها والاضافة لامية او بيانية اي سمة هي الكذب في قولهم انه كاذب **ثم جعل الذم لهم بتسميته
جاحدين ظالمين فقال ولكن الظالمين الخ** عطف على قرر وثم للتراخي الرتبي والاشارة الى بعد الذم
عنه او هي للترتيب الذكري ولا حاجة لتجريدها لمجرد العطف كما قيل والمراد بتسميتهم وصفهم بما ذكر
وعبر به اشارة الى ان ذلك صار كالعلم لهم وبين التسمية والتسمية تجنيس وتسميتهم جاحدين
لانه لما اخبر عنهم بانهم يجحدون مكانه قال جاحدين وقدم الجحد مع تاخره في الآية لانه المقصود بالذكر
ولان ظلمهم هنا بجحدهم ولذا وضع الظاهر موضع المضمر ولم يقل ولكنهم تنبيها على ان جحدهم لشانه من
ظلمهم الثابت فيهم لان ترتب الحكم على وصف يشعر بعليته ولذا عدل عن جاحدين الى يجحدون وتجحدهم
بآيات الله اما انكار حقيقتها او انكار كونها من الله والباء قيل انها لتضمين الجحد معنى التكذيب الا انه
قال في القاموس جحد حقه وجحد بحقه اذا انكره وهو يقتضي خلافه **فحاشاه من الوصم** حاشا فعل ماض

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اي نزه النبي وبرأه والوصم بالصاد المهملة في اللغة مطلق النقص والعيب والمراد به الكذب
المذكور في الاية **وطوقهم بالمعاندة** طوق فعل من الطوق وهو ما احاط بالعنق ثم صار مثلا للزوم
وقال في كشف الكشاف في شرح قوله • طوقهم بها طوق الحمامة • انه يقال للامر المذموم الذي لا يفارق
من اتصف به فخصه بالذم كقول حسان • لولا سوابقك طوقتك بها طوق الحمامة • اي هجوتك
اقول في اختصاصه بالذم نظر لما نقل في مرآة الزمان عن حاتم الطائي انه قال لابنه لما سأله عن
ابله التي نحرها للقرى وقال له ما فعلت الابل فقال • طوقتك مجد الدهر طوق الحمامة • وعليه قول المتنبي

• اقامت في الرقاب له ايادٍ • هي الاطواق والناس الحمام •

والبا للتعدية وقيل انها سببية **بتكذيب الايات حقيقة الظلم** هذه البا متعلقة بالمعاندة
وحقيقة منصوب مضاف للظلم مفعول ثان لطوق بمعنى جعلها كالطوق في اعناقهم للزومها لهم
ففيه استعارة مكنية وجعله حقيقة الظلم الذي هو وضع الشي في غير موضعه لانهم وصفوه
بالكذب وهم كاذبون وعبر عنه بالاسم الدال على الثبوت وكون اسم الفاعل للحدوث كما ذكره النحاة غير
مسلم عند اهل المعاني كما قيل • اقول ما ذكره غير واضح لان اسم الفاعل انما يدل على الثبوت اذا الحق
بالاسما كالمومن والكافر ولا خلاف في هذا بين النحاة واهل المعاني **اذ الجحد انما يكون ممن علم الشي
ثم انكره** ثم للتفاوت الرتبي او الحقيقي كما مر وهذا مما صرح به اهل اللغة ففي القاموس والصحاح وغيرهما
جحد اي انكر مع العلم فما قيل انه بعيد بعيد ووجه استبعاده انه يكون ممن يجهل كما قاله ولذا ذكر
ايمتنا الحنفية في الاصول لو قال الخصم اتقر انك امرأة حاجر فقال نعم او حاجر فقد اقر وينبغي ان
يقيد هذا بمن كان من اهل اللسان **كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا**
اي بهذه الاية استدلالا على ما ادعاه وقيل عليه انا لا نسلم دلالتها على مدعاه فانه لو قيل انكروها
واستيقنتها انفسهم كان صحيحا فيكفي لمدعاه النقل من ائمة اللغة كما مر ولذا ذهب بعض الشراح الى
انه تمثيل لا استدلال وفيه نظر واستيقن وتيقن بمعنى ولم يقل استيقنوها مع انه لبيان انهم احقوا
علمهم واسروه والعلو هنا بمعنى التكبر عن الانقياد للحق عنادا وفي شرح الصفوي اقول اليقين في
اصطلاحهم الاعتقاد الثابت الجازم المطابق للواقع والعلم اعم فلو اريد بالجحود الانكار مع العلم كما
ذكره المص افاد قوله واستيقنتها معنى جديدا على هذا الاصطلاح فلا بعد فيما ذكره لكن اللغويون
واهل العربية فسروا اليقين بالعلم والاظهر حينئذ ان يكون المراد في الاية مجرد الانكار ليكون قوله
استيقنتها تاسيسا لا تاكيدا لما فهم ضمنا ولذا فسر كثير من المفسرين الجحود بالانكار بشرط ان يكون
مع العلم وهو خارج عن مفهومه شرط لصحة اطلاقه وهو في الاية كذلك قطعا لقوله واستيقنتها
فيتم الاستشهاد بالاية بلا نزاع واستيقنتها حينئذ تصريح بما يكون ان يفهم منه فتامله فانه دقيق
انتهى قيل وهو مبني على ان الشاهد والمثال سيان في جواز وقوعهما بعد الكاف وبعضه مجي الكاف
للتمثيل كقوله واذكروه كما هداكم وعلى ان اليقين بمعنى العلم شرط خارج عن مفهوم الجحود ولو انه انما
يتم الاستشهاد على التقدير الاول لا الثاني مع انه لا يتم الاستشهاد عليهما جميعا والحق انه تمثيل اقول
اذا علمت ان حقيقة الجحد انكار عن علم فادعاء انه شرط خارج عن مفهوم الجحود تعسف وحيث والاية
الثانية انما جاء بها المص للاستشهاد المعنوي وبيانه انه تعالى قال في الاية الاولى ولكن الظالمين بايات
الله يجحدون والدليل العقلي والنقلي دال على ان المراد انكار عن علم والا لم يكونوا ظالمين بجحدهم لان
الجهل قد يعذر صاحبه لكنها لما كان فيها خفاء اتى بالاية الثانية لما فيها من التصريح بانهم كانوا
عالمين فالاستدلال بمعناها لا بلفظ الجحد فيها كما توهموه فوقعوا فيما وقعوا فيه نعم في ذكر اليقين

تاكيد

تاكيد ان لم يكن اخص من العلم وهذا كيف على من يدعي انه بقيضة البلد **ثم عزاه وآنسه بما
ذكره عمن قبله ووعده النصر بقوله ولقد كذبت رسل الاية** التعزية من العزا والصبر ومعناها
تسلية المصاب بما يخفف حزنه قال

• هي الشمس مسكنها في السما • فعز الفؤاد عزاء جميلا •

ويختص في العرف بما يقع عند الموت كقول ابي فراس

• كن المعزي لا المعزى به • ان كان لابد من الواحد •

وآنسه بفتح الهمزة من غير مد وتشديد النون او بالمد وتخفيفها اي اذهب وحشته وقلقه مما
لقيه منهم ومن جدالهم والمشاططة لعزاه ووعده النصر في الاية بقوله فيها ولقد كذبت رسل من
قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله اي مواعيده بنصر
انبيائه واوليائه بقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وقوله
انا لننصر رسلنا والوعد فيها له ولهم ظاهر ولا حاجة الى ما قيل في هذه الاية دليلا على تحقق مقام
النبوة فانه غني عن البيان وقوله بما ذكره عمن قبله روي عمن كان قبله اي فهون عليك واصبر
حتى ياتيك النصر فقد كذب اخوانك وصبروا حتى نصروا وهذه الاية تدل على ان نفي التكذيب
في الاية السابقة ليس على اطلاقه كما ذكره البيضاوي ويحتمل ان يكون المعنى هون عليك جحودهم
لايات الله وما جئت به واصبر فان اخوانك قد كذبوا واوذوا حتى نصروا فلا تدل الاية على ما
ذكر وقد قيل في معنى الاية انها كقول السيد لعبده ما اهانوك بل اهانوني قاصدا تعظيم
الامر وتقريرا ان اهانتك اهانتي لا نفي الاهانة وهو كلام حسن جدا **في قراءة لا يكذبونك
بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا** هي قراءة نافع والكسائي من اكذبته كابخلته اذا وجدته كاذبا
او بخيلا وهذا احد معنى صيغة الافعال كما ذكره النحاة في باب ابنية الفعل ومعناه ان صيغة
الثلاثي موضوعة لاتصاف الفاعل بالحدث فاذا دخلت عليه الهمزة كان لمعان آخر منها جعل
الفاعل المفعول متصفا بالحدث الذي دل عليه الثلاثي وهو معنى حقيقي وضعت له هذه
الصيغة ويلزم من كونهم لا يجدونه متصفا به انهم لا يعتقدون كذبه سواء قالوا انه كاذب
ام لا ففيه تسلية له ايضا **وقال الفرا والكسائي لا يقولون انك كاذب** الفرا هو الامام
ابو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الاسلمي الدولي الكوفي النحوي اللغوي المفسر
كان ابرع الكوفيين واعلمهم بفنون الادب وتفسيره من اجل التفاسير وعليه اعتماد الزمخشري
توفي سنة سبع ومايتين بطريق مكة وعمره ثلاث وستون وانما لقب بالفرا لانه كان فصيحا
يفري الكلام وتفصله فليس نسبه للفرا لحملها او بيعها • والكسائي ابو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله
بن بهمن بن فيروز الاسدي الكوفي احد القرا السبعة امام النحو واللغة والقراآت توفي في سنة ثلاث
وثمانين ومائة بقرية من قرى الري وقيل بطوس والذي لقبه بالكسائي حمزة شيخه لانه كان يجيئه
ملتفا بكسا وقيل لانه احرم في كساء ولما لم يجد هذا المعنى في كتب النحو المشهورة السيد الصفوي
قال هنا ان هذا بناء على اكذب بمعنى كذب للنسبة كما صرح به الامام والقاضي اولان معناه بين كذبه كما
في القاموس ويؤيده ما نقله الواحدي عن الفرا ان معناه لا يجعلونك كذابا بل يقولون ان ما جئت به
باطل وفي الصحاح نقلا عن الكسائي ان اكذبه بمعنى اخبر به انه جاء بالكذب وهو لا يوافق المنقول
وبالجملة ان في هذه النقول اضطرابا وتبعه ابن الحنبلي في شرحه وهو كله من قصر الباع وقلة
الاطلاع فان هذا المعنى صرح به ائمة العربية قال ابن عصفور في كتاب الممتع من معاني افعل التسمية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كقولهم اكفرته واخطاته اي سميته كافرا او مخطئا انتهى وهو معنى النسبة في العرف لانهم يقولون
نسبه للزنا اذا قال انه زان فالاضطراب انما هو من عدم الوقوف على الصواب وهذا مبني على ما مر
وقيل لا يحتجون ولا يثبتونه عطف تفسير لان معنى يحتجون يقيمون حجة مثبتة لما ادعوه وفي
بعض النسخ لا يحتجون قيل كانه تفسير باللازم فان من صفاته لا يجعلونك كاذبا والجعل انما يكون
اذا اثبتوا كذبه فيلزم من نفي الجعل نفي الاحتجاج ومعناه على النسخة الاخرى ان منهم من يعرف بطلان
قوله ولا اعتداد به الا انه لا يناسب قوله ولا يثبتونه • اقول الصحيح الاول وتوجيهه ان افعل يكون
للدلالة على الشيء والايصال اليه وهو انما يكون بالبيان والحجة لا بما ذكره قال في المنتخب يقول ابصر
اي دله على وجوه المبصر واغفلته اي وصلت غفلتي اليه واما على النسخة الاخرى فالمعنى ظاهر
وبما قررناه علمت سقوط ما قيل من ان هذا التفسير لا يناسب المقام ولا يلائم الجحد ومن قرا بالتشديد
فمعناه لا ينسبونك الى الكذب كقولهم نسبته اذا نسبته وتممته اذا نسبته لبني تميم وهذه
النسبة اعم من النسبة المصطلح عليها وهذا على الوجوه السابقة وقيل لا يعتقدون كذبك
هذا توفيق بين ما ورد فيه التصريح بتكذيبهم له وما في هذه من قوله لا يكذبونك بان المثبت قولهم
والمنفي اعتقادهم لمعنى ما قالوه واورد عليه بان الاعتقاد المنفي لا يخلو من ان يكون جازما
فيكون عين التفسير الاول وحكايته تقتضي انه غيره او غير جازم بان يظنوا صدقه ويتوهموا كذبه
وهذا مما يشق عليه فليس فيه تطمين له كما في الاول ورد بان المراد الاول بلا شبهة واحتمال الثاني
وقصد المص بعد ما قرره نقل اقوال المفسرين في القراءتين لتنزيل ما قاله عليه بدليل تفريعه عليه
بالفاء في قوله فمن قرا الى اخره والمعترض توهم ان ما هنا مخالف ومغاير لما قبله فقال ما قال والظاهر
انه لا اختصاص لهذين القولين بقراءة دون قراءة ولو قيل بالاختصاص لم يكن فيه باس فان منهم من جعل
القراءتين بمعنى كما قالوا قللت واقللت وكثرت واكثرت ولك ان تقول المعنى على هذا انه كذبهم
مطلقا لجعل ما قالوا بمنزلة العدم لعلمهم بخلافه كما قيل في قوله تعالى لا ريب مع كثرة المرتابين فيه
وهذا يدل على انهم معترفون بصدقه اعتقادا فقط الا ان قولهم بمنزلة العدم لعلمهم بخلافه ومما
قرره المص وارتضاه مبني على انهم معترفون بصدقه قولا واعتقادا فلا غبار عليه ومما ذكره م
من خصائصه وبر الله به الخصائص جمع خصيصة وهي ما خص به دون غيره تمييزا له وتفضيلا
على غيره واتى بمن اشارة الى كثرتها حتى افردت بالتصنيف وبر الله احسانه ولطفه ان الله تعالى
خاطب جميع الانبياء باسمائهم فقال يا آدم بدا به لانه ابو البشر المقدم عليهم وهو علم ممنوع
من الصرف بالاتفاق للعلمية والعجمة ووزنه فاعل كآزر وعازر وجمعه اوادم وآدمون وقيل
انه عربي مشتق من اديم الارض او من الادمة لون بين السواد والحمرة واصله على هذا أأدم بالهمزة
فابدلت الثانية الفا ووزنه افعل ومنعه من الصرف للعلمية ووزن الفعل ومن الغريب ما قيل
انه مفعول من فعل رباعي كما حكي عن الطبري وفيه نظر وروى تقديم نبينا على ما قبله وهذه الاعلام
وقوع الخطاب بها في القرآن كقوله يا آدم انبئهم باسمائهم غني البيان ولم يخاطب هو بصيغة
المجهول وضميره للنبي اي لم يخاطبه الله في القرآن باسمه وفي نسخة لم يخاطبه بالبناء للفاعل والضمير
وقيل هي الاولى ولا وجه له الا بعبارة في بن آية دالة على تعظيمه وملاطفته لمنزلته عنده كقوله
يا ايها النبي يا ايها الرسول يا ايها المزمل يا ايها المدثر معنى النبي والرسول معلوم وقدم النبي لانه
اعم كقوله تعالى يا ايها النبي حرض المؤمنين يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يا ايها المزمل
قم الليل الا قليلا يا ايها المدثر قم فانذر قيل الخاصة انما هي عدم الخطاب بالاسم وجعله خاصة بحسب

الظاهر

الظاهر المشهور لئلا يشكل بما سيجيء من ان يا سين بمعنى يا محمد ونحوه ما قيل في طه ايضا فيجاب
عنه بانه بناء على عدم ثبوت هذا وفي العدول عن الاسم الى الصفات الحسنة تعظيم في العرف يعرفه كل
احد وفي شرح البخاري انه لم يذكر باسمه في الندا وذكر في الخبر كقوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول
لانه ورد مورد التعيين والتعليم لان صاحب هذا الاسم هو الرسول ونحو قوله تعالى لقد كان لكم في رسول
الله اسوة حسنة لما لم يرد هذا المورد لم يذكر اسمه والمزمل اصله المتزمل اي المتلفف بثوب ونحوه وفيه
تفاسير اخرى والمدثر اصله المتدثر اي لابس الدثار وهو البرد الذي فوق الثياب وفيهما تلميح الى قوله
لخديجة رضي الله عنها حين رجع من حراء زملوني وفي رواية دثروني والقصة مشهورة في كتب
الحديث اي غطوني وذكر المزمل والمدثر للملاطفة والتانيس على عادة العرب بخطابهم بما يدل على حاله
حين الخطاب كقوله لعلي رضي الله عنه يا ابا تراب فلو ناداه سبحانه باسمه وبامره عري عن مثل هذه
الملاطفة وفؤاده يرجف شق عليه فلذا بداه بما يؤنسه وفيه نكتة ذكرها الامام السهيلي لانه
صلى الله عليه وسلم قال انا النذير العريان وهو مثل للعرب يمثل به وكان يقوله من بالغ في الانذار
بقرب العدو ولان المستغيث كان يتعرى ويرفع ثوبه ليرى من بعد ليلا يسبق العدو وصوته وقيل
اصله ان رجلا سلبه العدو فجاء قومه منذرا على تلك الحالة فقوله يا ايها المدثر قم فانذر وقوله
انا النذير العريان اي مثلي مثله فيه اشارة الى ان بضادة حالة النذير ففيه تمليح وتلميح
وتطرق للملاطفة كما في الاستعارة التلميحية التي ذكرها اهل المعاني وان لم يكن منها وما ذكره
المص في خطاب الله له باسمه في القرآن فلا يرد عليه كما توهم خطاب الله بقوله انك لا تهدي من
احببت وقوله له في المحشر ارفع راسك وقل تسمع يا محمد ولم يا ايها النبي ويا ايها الرسول وان قيل
الحكمة فيه انه اخصر ففيه سرعة اجابته وتطويل الكلام غير مناسب في مقام الاذن بالشفاعة
وقال السيوطي ان الله شرف امته في القرآن بخطابهم يا ايها الذين امنوا وخاطب الامم السالفة في كلامه
المنزل عليهم يا ايها المساكين • واعلم انه قال في الامتاع ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه لا يجوز
لاحد ان يناديه باسمه فيقول يا احمد يا محمد بل يقول يا نبي الله يا رسول الله لقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقوله ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض وبهذا فسرها مجاهد والضحاك
ومقاتل وسعيد بن جبير واجيب عن قول الاعرابي له يا محمد اتانا رسولك الحديث بانه قبل النهي او هو
صدر منه قبل اسلامه وهل مثله الكنية نحو يا ابا القاسم فيه نظر والظاهر انه مخصوص بخطاب من في
حضوره حال حياته والله الموفق

• الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره •

وفي نسخة عز وجل صلى الله عليه وسلم وفي نسخة تسليما والقسم يكون بمعنى الاقسام وهو الاتيان بالقسم
وهو المراد بمعنى المقسم به وقال النحاة انه مصدر لليمين جار على فعله وقياسه الاقسام وهو في عرفهم
جملة انشائية تؤكد بها جملة اخرى لا على جهة التبعية قال تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون
المقصود من هذا الفصل بيان القسم نفسه لا المقسم عليه كما في الفصل الذي بعده لتغايرهما والفرق بينهما
فالتبا في بعظم قدره صلة القسم لا سببية حتى يتداخل المقصدان فيحتاج لارتكاب تكلفات في الفرق بينهما
وعظم قدره اما بمعنى قدره العظيم او الاضافة بيانية والمقسم به حياته وذاته ونحوهما والمقصود من
القسم به تعظيمه وتقرير المقسم عليه في الذهن وتمكينه والعرب من عادتها ان تقسم بالشيء اذا ارادت
تعظيمه حتى تجعل الجمل قسما من غير حرف القسم وهذا هو القسم الذي عدوه من انواع البديع كقوله
• بقيت وفري وانحرفت عن العلا • ولقيت اضيافي بوجه عبوس •

شبكة الألوكة
www.alukah.net

إذلم آنس علي بن حرب غارة • لم يخل يوما من نهاب نفوس

قال المرزوقي هذا من الايمان الشريفة ولفظه لفظ الخبر وظاهره الدعا ومحصول القسم وكرر هذا في مواضع من شرح الحماسة واشار اليه الزمخشري وقل من تنبه له وهذه الآية في قصة لوط وما ذكره المصنف مبني على ان هذا الخطاب لنبينا صلى الله عليه وسلم على احد الوجهين فيها وفي الكشاف انه على ارادة القول اي قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجح الاول لانه مناسب السياق ورجح المصنف الثاني لانه تم لما قص عليه قصة بتمامها الى قوله هولاء بناتي ان كنتم فاعلين بيان ما هم عليه من الضلالة مقسما بحياته واختاره لموافقته لمقتضى الحال وضمير انهم لقوم لوط وسكرتهم غفلتهم وغلبة الهوى والشهوة عليهم حتى صاروا سكارى لا يميزون الخطاب من الصواب ويعمهون يتحيرون لعمى بصائرهم والعمى في البصر والعمه في البصيرة وفيه استعارة تحقيقية مرشحة بالعمه وشبه تمكينهم في الغفلة المحيطة بهم بتمكن المظروف في الظرف لانهم لم ينفعهم النصح للامة لطبائعهم وخسة انفسهم ففيه استعارة اخرى تبعية حرفية وقيل انهم لقريش وقال البجائي انه بعيد لانقطاع الآية عما بعدها وما قبلها ولذا قيل ان الجملة على هذا معترضة وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية او لتشبيه الماضي بالحال فتدبر

اتفق اهل التفسير في هذا الكلام او اللفظ الذي هو لعمرك انه قسم من الله جل جلاله هو اشارة مجازي كجد جده وسعد سعده وتحقيقه في كتب المعاني بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم المدة بالضم مقدار من الزمان قليلا كان او كثيرا من مده اذا بسطه وفي بعض الشروح القسم للتعظيم اذ لم يقسم بحياة احد غيره والكلام مسوق للاخبار بقبائح لوط واهلاكهم تنبيها على ان من كان هذا دابه لم ينفع نصحه وسفيرا عن ارتكاب مثله من المفاسد ودعوى المصنف الاتفاق دعوى بينتها غير مقبولة لقول جماعة من المفسرين انه قسم بمدة حياة قوم لوط اذ قالت له الملائكة ذلك بشهادة السياق انتهى وكذا القول بانه لم يقسم بمدة حياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ايضا العمر مطلق الحياة اي سواء كانت المدة بتمامها او بعضها وقيل المراد البقا فلا اتفاق ايضا على احدهما الا ان يؤول بمدة الحياة معنى يشملها وفيه نظر والجواب بان المراد اتفاق من عليه المدار ولو عند المصنف لا يجدي نفعا كالقول بان الاتفاق انما هو على القسمية ولو قيل المراد باهل التفسير مفسروا السلف الذين اقتصروا على التفاسير المأثورة كابن عباس وعلى هذا فتأخيره وحكايته بقيل غير مناسب وعلى كل حال فالكلام لم يخل من الكدر واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال قال ابن مالك في باب المبتدا والخبر يحذف الخبر وجوبا اذا كان المبتدا صريحا في القسم ومثلوا له بقولهم لافعلن كذا اي لعمرك قسمي او ما اقسم به قال الدماميني في شرح التسهيل جواب القسم ساد مسد الخبر والعمر والعمر بمعنى ولا يستعمل مع اللام الا المفتوح لان القسم موضع التخفيف لكثرة استعماله واحترز بالصريح عن نحو عهد الله ويجوز حذف خبره واثباته لانه غير صريح في القسم واستشكله شيخنا ابن قاسم بان الفقها صرحوا بان كلا منهما كناية لا ينعقد به اليمين الا بالنية وقالوا المراد بالعمر البقا والحياة واجاب بان المراد بصراحة الاول اشعاره بالحلف مطلقا في استعمالهم واراد وانتفى كونه يمينا انه لا ينعقد به شرعا وقالوا في باب القسم يقال عمرك الله بنصب عمر ويجوز في الله النصب والرفع وعمر مصدر محذوف الزوائد لان فعله عمر بالتشديد ويقال عمرك في القسم ايضا ومعناه ذكرتك بالله او عمرت قلبك بذكره قال الشاعر

ايها المنكح الثريا سهيلا • عمرك الله كيف يلتقيان

وفيه كلام في شروح الكتاب لا يسعه هذا المقام وقال السيوطي في مختصر نهاية ابن الاثير

المسمى بالدر النثير في الحديث خرج لعمارة اي معتمر بن حزم عامر بن عمر يعني اعتمر وان لم تسمع فلعل غيرنا سمعه قال الزمخشري وعمرك الله اي اسالك ان يطيل عمرك والعمر بالفتح العمر ولا يقال في القسم الا بالفتح ولعمر الهك قسم ببقاء الله ودوامه انتهى وفي شرح الصفوي قال في المواهب انه قسم عند الحنفية والمالكية وكناية عند الشافعية واللام لتاكيد القسم وانهم جوابه ووقع في بعض النسخ بفتح العين وجعل الضم اصلا لم يذكره اهل اللغة لكن في تفسير القاضي ان الفتح لغة في الضم وهو يشعر بما ذكره انتهى ومثله في شرح البجائي وقال ان المصنف لم يحقق هذا الموضع وفي التقريب في شرح الغريب العمر بضم وبضمتين الحياة وهو يشعر بعكسه

اقول هذا ما قاله الشراح برمته وهو لم يصف من الكدر وتحقيق هذا المقام على وجه ينفض عنه غبار الاوهام ان العمر بالفتح مصدر عمر المشدد واصله التعمير فحذفت زوائده وله معنيان تعمير الله اياك او قلبك وعلى هذا هو صفة من صفات الله فيصح القسم به حقيقة وهذا ما جنح له سادة الحنفية والنحاة والعمر بضم العين مخصوص بالانسان وهو مدة وجوده في الدنيا فلا يصح القسم به شرعا لكن الله له ان يقسم بما شاء كقوله والضحى والليل اذا سجى فالضم اصل في هذا المعنى لاختصاصه به في غير القسم فاذا اريد بالمفتوح هذا لا باس ان يقال انه من قبيل ما ناه او معدول به عنه ويؤيده ما في شرح ادب الكاتب للاصبهاني انه سمع نادرا لعمرك بضم العين واذا اريد هذا المعنى في قسم الناس صح ان يقال انه كناية لتوقفه على النية كالمشترك واما العرب فيقسمون بما ارادوا فلا منافاة بين ما ذكره النحاة وما ذكره الفقها ولا حاجة لما قاله شيخنا مع ما في قوله لا ينعقد به شرعا من الوهم وبهذا اتضح ما قاله القاضي ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك البقاء جملة حياته في الدنيا وتمام عمره والحياة اعم منه لصدقها على البعض والكل فالمغايرة بينهما ظاهرة والعيش له معان في اللغة منها الحياة فان فسر به هنا كانت المغايرة بينه وبين ما بعده لفظية ولذا فسره التلمساني به هنا لئلا يتكرر مع ما بعده وقيل انه تعيش ولو فسر بالمعيشة في دنياه وجعل عبارة عن الزهد والتقشف لم يبق ظاهره وقيل المراد معيشته الواسعة الفايضة على غيره فهو عبارة عن سخائه وجوده وهذه التفاسير كلها ماثورة عن ابن عباس من طرق مختلفة ونقل الاخفش معنى آخر وهو وحقك على امتك قيل وعرض لوط ببناته انما هو اشارة الى نساء امته لانه كالاب لهم اي ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فعليكم بالحلال ولو حمل على ظاهره من تزوجهم لا مانع منه وقيل المراد ذو اهله وابن الآباد حقه كما قيل •

وانما المرء حديث بعده • فكن حديثا حسنا لمن وعا •

وهو بعيد ومن الغريب ما نقل عن مجاهد ان المعنى لعمرك من قولهم لعمر الله اي بقيته المعاني التي ذكرها حقيقة لتصريح اهل اللغة بها فلا وجه لدعوى التجوز فيها وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف تانيث الاشارة لانها للكلمة المقسم بها او باعتبار الخبر لان العظيم اذا قال الاحد عمره وحياتك كان ملاطفة وتكريما فكيف برب الارباب في مثل هذا الكتاب ووجه كونه نهاية كون ربه اقسم به وقيل انه في خصوص القسم بالحياة لانه في العرف يدل على كمال الالفة والمحبة كما يشهد به الذوق والطبع السليم فتامله وقال ابن عباس ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا اكرم عليه من محمد عليه السلام الخلق الايجاد وذرأ وبرأ بالهمزة فيهما ان كان بمعناه يكون ذكرهما للتوكيد وقد يفرق بينهما بالاعتبار بان يكون ذرأ من الذرية وبرأ بمعنى صور اي لم يوجد احد اشرف منه ذاتا ونفسا وصورة اكرم من محمد وقد عرفت مما سبق ان مثل هذه العبارة تفيد انه ليس احد افضل منه ولا مساويا له

الألوكة www.alukah.net

وقد حققناه قبل هذا ودخل فيه الملائكة مطلقا حتى خواصهم كجبريل على المذهب الحق انه افضل
منهم ولا عبرة بمن اختار خلافه كالزمخشري وغيره من المعتزلة وسيجي تحقيقه الا ان بعض الشراح قال
لو قال روحا اي ذا روح كان اصرح في تفضيله على الملائكة لان النفس ربما يقال انها لا تطلق عليهم
لتفسير بعض اهل اللغة لها بالجسد وان كان تفسيرها بالروح فانه احد معانيها وعلى هذا يتجوز ويقدر
في قوله من محمد من نفس محمد كما قيل **وما سمعت الله تعالى** قيل المراد ما علمت من اطلاق السبب على مسببه
وقيل انه هنا من النواسخ الداخلة على المبتدا والخبر على ان المفعول الاول مصدر للخبر المضاف الى المبتدا
واليه ذهب الرضي وغيره في فعل السماع الداخل على الذوات كسمعت زيدا يقول كذا بشرط كون الخبر
مما يسمع فالتقدير ما سمعت اقسام الله لا من نبي ولا من كتاب يتلى وقصره على الثاني قصور والجملة
مبينة للمقدر وفيه انهم شرطوا فيه ان يكون السماع بغير واسطة كما صرح به في حواشي المطول
وفيه كلام فصلناه في طراز المجالس **اقسم بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم** وفي بعض النسخ
غيره وبعد ما ذكر هذا عن ابن عباس تلى الاية لعمرك الخ وكلمة غير مجرورة صفة احد او بدل منه
الا انه على هذا كما قيل لا يفيد انه اقسم بالنبي وانما يفيد انه لم يقسم بغيره ولذا تلا الاية ليستفاد
المعنيان معا بخلاف ما لو نصب على الاستثنا فانه يفيدهما صراحة ولا وجه له فانه يفيدهما على
الوجهين بقرينة السياق كما مر في قوله ما خلق نفسا اكرم من محمد واما احد فقال الشراح كالكشاف
في قوله لا نفرق بين احد من رسله انه يستوي فيه المفرد والجمع والمذكر والمونث وهو في حيز
النفي يعم القليل والكثير مجتمعا ومنفردا بخلاف الواحد فانه يقال ما في الدار واحد بل اثنان
ولا يقال مثله في احد وذكره التفتازاني وقال معناه ما ذكره اهل اللغة من ان احدا اسم لمن
يصلح ان يخاطب فيستوي فيه الواحد المذكر وغيره فاذا اضيف اليه بين واعيد اليه ضمير جمع
ونحوه فالمراد به جمع من الجنس الذي يدل عليه الكلام فمعنى لا نفرق بين احد لا نفرق بين جمع الرسل
ومعنى فما منكم من احد ما منكم من جماعة وكثير من الناس يسهو فيزعم ان معنى ذلك انه نكرة وقعت
في سياق النفي فعمت فكانت بهذا الاعتبار في معنى الجمع كساير النكرات وفي التلويح نقلا عن
النحاة انك اذا قلت جاء احد هذين فالفه منقلبة عن واو ويستعمل في الاثبات واذا قلت ما جاءني
احد فالفه ليست منقلبة عن واو ولا يجوز استعماله في الاثبات وهذا مشكل لان اللفظين صورتهما
واحدة ومعنى الوحدة موجود فيهما والواو فيهما اصلية فيلزم قطعا انقلاب الالف عنها فيهما
وان يكونا مشتقين من الوحدة واما جعل احدهما مشتقا منها دون الاخر فترجيح من غير مرجح ولم ار
من تعرض لهذا حتى رايت العلامة القرافي قاله في كتابه العقد المنظوم في الفاظ العموم
واجاب عنه بان احدا الذي لا يستعمل الا في النفي معناه انسان باجماع اهل اللغة واحد
الذي يستعمل في الاثبات معناه الفرد من العدد واذا كان مسمى احد اللفظين غير مسمى الاخر
يباينه في الاشتقاق بانه مناسبة بين اللفظين في الحروف والمعنى ولا يكفي فيه احدهما فعلم ان
احدا الذي لا يستعمل الا في النفي ما هو واحد المستعمل في النفي والاثبات ما هو فان وجدت المقصود
اثنان فهو الاول والفه ليست منقلبة عن واو فان كان المقصود منه نصف الاثنين فهو الصالح
للنفي والاثبات والفه اصلية انتهى وفيه بحث وقد اشار الى هذا هنا بعض الشراح ولم يصدق به
وقال ابو الجوزا بفتح الجيم وواو ساكنة وزاي معجمة يليها المد ولهم ابو الجوزا ايضا غير هذا وابو الحورا
بمهملتين وهذا اسمه اوس بن عبد الله الربعي البصري يروي عن عايشة وصفوان بن عسال وغيرهما
وهو ثقة كما قاله الحاكم واخرج له الستة وتوفي سنة ثلاث وثمانين مقتولا في الجماجم **ما اقسم الله**

بحياة احد غير محمد عليه السلام لانه اكرم البرية عنده قيل غير هنا منصوب على الاستثنا وقد
سمعته انفا انه مما له وعليه وقد مر ايضا ان عند ظرف فلا يضاف اليه تع حقيقة وقد ورد في القران
لمعان منها الحكم والعلم فالاول قوله كان عند الله عظيما وقد يراد بها القرب ورفعة المرتبة وهو
يكون بالثواب على انواعه ويصح ارادة كل منها هنا والبرية الخليقة من براه النسمة فيجوز همزه
وتخفيفه والثاني افصح واكثر وهو يدل على انه غير مشتق من البرا بمعنى التراب كما ذهب اليه بعض
اهل اللغة ثم انه قيل ان الاية لا تقتضي حصر القسم فيه دون غيره كما ذهب اليه بعض اهل اللغة
ولا قصرها على حياته دون ذاته فالتعليل غير تام الا ان يقال عادة العرب لمن احبوه وعظموه ان
يقسموا بحياته دون ذاته فان القسم بالذات انما يقتضي العظمة والشرف ولا يلزم من التعظيم
القسم ولا التخصيص به فان القسم مطلقا قد يتعدد المقسم به وقد يقسم بفاضل مع وجود الافضل
وكون الاكرمية تقتضي التخصيص ببعض الامور فلذا خص بما ذكر لا انها تقتضي هذا بخصوصه
لا يخفى ما فيه اقول هذا كله من التعسفات التي لا حاجة اليها فان فيما ذكر تكريما وتعظيما
خصه الله به على ما اختاره المصنف فلا يحتاج الى اقامة برهان منطقي عليه وكله من ضيق العطن
وانما تعرضت له لئلا يظن ان في التسوية رجالا واكرم من الكرم وهي صفة جامعة لكل خير ويقال
هذا مكرم علي اي هو عزيز عظيم في قلبي ونظري وهو في العرف يختص بالجود وليس مرادا هنا
لا بمعنى انه اكثر جامعية لكل خير عنده **وقال تعالى يس والقران الحكيم الايات** لم يصرح ببقية
الايات لانها ليست مما نحن فيه بل باعتبار المقسم عليه من الفصل الثاني ولم يذكرها هنالك اكتفاء
بما ذكره هنا وتفننا في التصريح ببعض المقاصد والتلويح لبعضها والتفنن في الطريق فن من فنون
البلاغة وسياتي في اسمائه صلى الله عليه وسلم ما يتعلق بيس **اختلف المفسرون في معنى يس
فحكى ابو محمد مكي** نوزع الكلام في ترجمته والاقوال فيه كثيرة حكى منها بعض الشراح خمسة وهي ان
معناه يا سيد او يا انسان في لغة طي او هو اسم من اسما الله لانه السيد الحقيقي او يا محمد او يا رجل
او هو اسم من اسما القران كله او سورة منه وفيه قراآت فتح اليا وكسر النون وفتحها وكسر اليا والاخفا
النون وهل هو معرب او مبني وجهان ايضا ومعنى الحكيم ذو الحكمة او الحكيم صاحبه او المحكم ه
انه روي بصيغة المجهول في تخريج الشيخ قاسم انه اخرجه ابن عدي في الكامل من حديث علي وجابر
واسامة ابن زيد وابن عباس وعايشة وفي سنده مقال وقال السيوطي انه رواه ابو نعيم وابن مردويه
باسناد فيه ابو يحيى الوضاع وسيف بن وهب وهو ضعيف ولكن سياتي عن قتادة مرفوعا وتعدد طرقه
قد يجبر ضعفه وليس مما يتعلق بالاحكام **عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لي عند ربي عشرة
اسماء** تقدم ان عند الله بمعنى في علمه فالمعنى انه هو الذي سماه به لاعتنائه به وتكريمه ولذا قال
ربي دون الله والعدد لا مفهوم له فلا ينافي الزيادة كما سياتي واليه اشار بقوله **ذكر ان منها انهما
طه ويس** وورد تسميته به في لسان العرب كقول الحميري هم

يا نفس لا تمحضي بالنصح جاهدة • على المودة الا ال ياسينا

وزاد قوله ذكر اما لان في الحديث زيادة على ما ذكر او لانه لم يحفظ لفظه بعينه وقيل معناه يا رجل
وقيل اصله طاها اي الارض وسياتي الكلام عليه **اسمان له** اي هما اسمان له بحذف حرف الندا او القسم
ويجوز على بعد ان يكون خبر ان **عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد** فيه اطلاق السيد على غير الله
وقد قيل بامتناعه لحديث رواه البيهقي مسندا في كتاب الصفات عن مطرف قال انطلقت في
وفد عامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا انت سيدنا فقال السيد الله الخ وتحقيقه ان فيه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

للسلف اربعة اقوال الاول وهو الصحيح انه يجوز اطلاقه على الله وعلى غيره مطلقا فاذا اطلق
على الله فمعناه العظيم المحتاج اليه وفي غيره بمعنى الرئيس الحليم وله شواهد من الكتاب والسنة
وكلام العرب الثاني وهو منقول عن مالك انه لا يطلق الا على غير الله اذ لم يثبت اطلاقه عليه في الاحاديث
المشهورة ولانه من السودد وهو الرياسة على قومه وبحزه ولذا لما اطلق على الله فسروه بمعنى هذا كما مر
الثالث انه يختص بالله لان معناه المحتاج اليه المنصرف على الاطلاق وهذا لا يليق بغيره تع • الرابع
التفصيل في المعرف بال فيختص بالله وغيره يجوز اطلاقه عليه وعلى غيره • فان قلت مما تضمن بالحديث
المفيد للحصر بتعريف الطرفين • قلت اذا ثبت وصف الشيء واريد سلبه عن غيره حقيقة او ادعاء فلهم
فيه طرق الاول التصريح باداة الحصر كقولك لا معبود الا الله الثاني ان يعرف الطرفان وهو في معنى
ما قبله الا ان فيه ايما الى ذكاء المخاطب لاستغنايه عن التصريح فقد يكون ابلغ من الاول الثالث
وهو ادق طرقه ان يجعل من اثبت الزاعم له الصفة عين من هي له فيقال الدهر هو الذي يصيب الامور للدهر
الدهر هو الله اي لا تصرف لغير الله في جميع الامور سوا الدهر وما سواه فاثبت التصرف كله لله وبنفاه
بطريق برهاني عما سواه على حد قوله ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وهو نوع من اخراج الكلام
على خلاف مقتضى الظاهر يسمى التوبيخ فصله عبد القادر في دلايل الاعجاز وهو مذكور في الكتاب
كقولهم عتابه السيف • وتحية بينهم ضرب وجيع • وما نحن فيه ان جري على ظاهره فهو من هذا القبيل
فلا دليل فيه فاعرفه فانه من نفايس الذخاير المستودعة في زوايا الخواطر مخاطبة للنبي عليه السلام
بفتح التا منصوب بدل مما قبله او مصدر فعل مقدر اي خاطبه به مخاطبة مخصوصة به وعن ابن
عباس يس يا انسان اراد محمدا عليه السلام رواه ابن ابي حاتم وعن مقاتل انها لغة حبشية يسمون
الانسان اييس وعن ابن عباس انها لغة طي فقيل ان اصله يا انيسين مصغرا فاقتصر على بعضه
لكثرة النداء به كما قاله الامام تبعا للزمخشري وتعقبه ابو حيان بان المنقول عن العرب في تصغير
انسان انيسيان لان بياء قبل الالف واستدل به على اصل انسان انسيان لان التصغير يرد الاشياء
الى اصولها ولم يسمع في تصغيره انيسين ولو سلم تصغيره كذلك فلا بد من بنايه على الضم لان
التصغير اصله التحقير فيمتنع في حق الانبيا ولذا قال ابن قتيبة في المشكل انه تصغير مهوّن
واصله مؤيمن ابدلت همزته هاء قيل انه قريب من الكفر فليتق الله قايله وايضا الحذف من اول
المنادي غير معروف وسياتي الكلام عليه في فصل اسمايه صلى الله عليه وسلم وعلى هذا المنوال ما
تقدم من ان اصله يا سيد فانه قيل انه اكتفاء ببعض الكلمة عن باقيها وهو مذهب للعرب مسموع في
كلامهم حكاه سيبويه وغيره فيقولون الا تا بمعنى الا تفعل فيقولون بلى فا اي افعل فيكتفون
عن الكلمة ببعض حروف الكلمة معبرين باسم بعض حروفها كقولهم قلت لها قفي فقالت قاف • اي
وقفت فيحتمل يس ان يكون عبر عنه باسمين من اسماء حروفه لا بمسماه كما قاله الرازي وان
كانت العرب قد تكتفي ببعض الكلمة كقوله • كانت مناها بارض لا يبلغها • اي منا باها
وقوله درس المنا بمتالع فابانا • اي المنازل وله نظاير كثيرة آخر هذا محصل ما قالوه
هنا وقال الادبا كما نقله النواجي وهذا الحد صادق على نحو واسال القرية على احد القولين فيه ثم
قسمه الى الاكتفا بكلمة كقولك سرابيل تقيكم الحر اي والبرد والى الاكتفا ببعض الكلمة قال وهذا
النوع مما اخترعه المتاخرون من اصحاب البديع واكثر منه الشعرا المتاخرون والتي توافقه
التورية كقول الدماميني •

يقول مصاحبي والروض زاه • وقد بسط الربيع بساط زهر •
تعال نباكر الروض المفدى • وقم نسعى الى ورد ونسر •

وقول ابن حجر رحمه الله تعالى

دع يا عذول رقي الملام فمذ سرى • عني الحبيب فمنت دام له البقا •
والطرف من فقد الرقاد بكى بما • يحكي الغمام فليس يهدي بالرقا •

واشباهه مما لا يحصى وفيه اشكال لان النحاة اتفقوا على انه لا يجوز الترخيم في غير المنادي بشروطه
المذكورة في بابه فيكون هذا واشباهه مخلا بالفصاحة لمخالفته القياس فكيف يعد هذا من
المحسنات البديعية التي انما تستحسن بعد الفصاحة وكيف يجوز ان يخرج على مثله القرآن الكريم
وان كان فيه تورية لانها لا تجوز مثله اللهم الا ان يقولوا انه مقيس مغتفر في الشعر وما وقع
في القرآن ليس منه بل هو من ذكر اسم حروف ايما الى بقيتها وليس من قبيل الترخيم وهو الذي اشار
اليه المفسرون فانظره فانه مما حاك في صدري ولم ار من تعرض له وفي كلام البجاي الذي
مر آنفا اشارة اليه وان لم يفصح به وقيل هو قسم وهو من اسما الله تعالى قال السيوطي اخرجه
ابن جرير وحرف القسم مقدر معه والقسم بمعنى المقسم به وقال الزجاج ابو اسحق ابراهيم بن
محمد شيخ العربية الامام في الادب صاحب التصانيف الجليلة وتفسيره مشهور وكان متينا في
الدين توفي ببغداد سنة ست او احدى عشرة وثلثماية وقد بلغ سنة الثمانين واليه ينسب
الزجاجي صاحب الجمل قيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل يا محمد فسين او يس علم له والمراد
بالرجل والانسان محمد ايضا واما ارادة النوع فذلك التفات كما قيل فحينئذ لا ينبغي حمل التبرك
على مثله وتقديريا وجعل العلم مجموع يس لاشتهار علميته لا يرد عليه انه شاذ كقوله اصبح
ليلي كما قيل لانا نحمل جعله بمعنى انسان ورجل في اصل وضعه ثم نقل وجعل علما ونقول هو بالعلمية
التقديرية فلا يحتاج الى ان يقال ان بعض هذه المعاني تقدم وانما عين تتميما لكلام الزجاج
وقال ابن الحنفية رواه البيهقي في دلايل النبوة وابن الحنفية هو ابو عبد الله محمد بن امير
المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه والحنفية امه واسمها خولة وقيل لها الحنفية لانها من
سبي بني حنيفة واشتهر بنسبته اليها تمييزا عن السبطين وهو امام عظيم اخرج له الشيخان وغيرهما
ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر وتوفي بالمدينة في سنة ثمانين على الاشهر وفيه اقوال اخر وصححها
البرهان في المقتفي وترجمته مفصلة في التواريخ وهو من كبار التابعين يس يا محمد
اي معناه هذا لانه وضع له ابتداء او بواسطة كما مر وانما ذكره وان تقدم لبيان قايله وتعدد
طرقه وعن كعب الاحبار تقدم الكلام عليه يس قسم اي مقسم به او جملة قسمية لتضمنه له اي
مبالغة اقسم الله به قبل ان يخلق السما والارض بالفي عام لم يبين المقسم به ففيه الاحتمالات
السالفة وفي المواهب في نقل كلام ابن الحنفية اقسم الله باسمه وكتابه وفيه فايدة سترها
والعام والسنة متقاربان معنى وللسهيلي كلام في الفرق بينهما والمراد بمقدار الفي عام
والالفين لما لا يتحقق السنين والاعوام لان الزمان يقدر بحركة الفلك اذ المراد مجرد الكثرة
او عدم النهاية مجازا فلا يقتضي الحصر وبينا في الزيادة قيل ولو سلم ان الزمان مقدار حركة
الفلك لا يرد هذا لان الفلك الاعظم العرش وهو مخلوق قبل السما والارض لقوله تع وكان عرشه
على الما كما قاله زين العرب في قوله صلى الله عليه وسلم كتب الله مقادير الخلايق كلها قبل ان
يخلق السما والارض بخمسين الف سنة وفيه نظر ثم قيل انه مشكل ايضا لان كلام الله قديم فلا
قبلية فيه ولا بعدية وخلقهما محدث واجيب بان المراد ابرزه في ام الكتاب واللوح المحفوظ
المكتوب فيه جميع الكاينات ولم يتعرض البجاي فقال الاولى ان يضعف مثل هذه الروايات

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ما امكن فان صحت ترك علمها الى الله تع اذ مثله لا يقال بالراي ولا يدرك بالاجتهاد وقيل
القبلية المذكورة متعلقة بالاقسام وليس المراد معناه النفسي القديم بل احد الثلاث ما يدل عليه عند
الاشعرية وتعلقه باسماعه وعروض اضافة مخصوصة بلا واسطة معناه وهذا التعلق حادث
قبل خلقهما فلا محذور فيه غير كون الزمان موجودا قبل خلقهما وقد عرفت اندفاعه وكون التعلق
حادث ارتضاه بعض ائمتنا كالنسفي ومن لم يجعل من باب التاويل وهو واسع مع ان منهم من جوز تعلق
الكلام الازلي بالمعدوم الذي سيوجد فلا ينافي الاقسام به ازليته الا ترى الى قولك الزمان
الماضي قبل المستقبل حيث يقصد مجرد بيان تقدمه لا يخطر ببالك ان للزمان زمانا او ظرفية
لنفسه اقول مثل هذا ورد في الحديث كثيرا فالطعن فيه لا يليق ولا بد من تاويله وهو ظاهر
لان المراد انه اطلع على ملائكته قبل تمام هذا المقدار وقد مر وهو المناسب هنا لافادته اظهار
عظم قدره في الملأ الاعلى ومجرد تقدم العرش لا يقتضي الزمان بالمعنى المتعارف فتدبر **يا محمد**
انك لمن المرسلين ليس قوله يا محمد تفسيرا ليس لانه غير مناسب لما سيق الكلام له من ان الله اقسم به ولذا
ذكر انك لمن المرسلين الذي هو جواب القسم توضيحا لمراده بل هو بيان للمخاطب وليس مراده انه جواب
مقدر للقسم بيس حتى يلزم عليه اجتماع قسمين من غير عطف على جواب وهو مما اباه النحاة كما صرح به
في الكشاف وقال ان العرب تكرهه وبينه الدنوقري لانتسم الاسم شاهد فالقسم واحد والواو عاطفة
لا قسمية وقد خطر لي توجيهه بان القسم جملة فاذا تعدد كان بين الجملتين مناسبة تامة لان كلا
منهما قسم ومقسم به على شيء واحد فيقتضي العطف واجتماع واوين وهو ثقيل وحذف احداهما وفيه
لبس وترك المصنف بقية التفاسير لكونه اسم السورة لانه ليس مما هو فيه وجوز بعضهم ان يكون اشارة
الى جواز تعدد القسم لزيادة التعظيم والتاكيد وهو مخالف لما قالوه **ثم قال والقرآن الحكيم انك**
لمن المرسلين هذا من كلام المصنف اي قال يس والقرآن الخ وما قيل من انه تنبيه على ان هذا قسم مستقل
والمذكور جواب له وجوابا لاول مقدر وهو مراد كعب ايضا وان خالف كلام النحاة لا وجه له **فان قلت**
بكسر الدال المهملة المشددة اي ان قيل بصلة وعبر به لان فيه وجوها اخر انه الضمير ليس والقاف
فصيحة اي اذا عرفت ما مر فان قد ورد الخ **انه من اسمائه عليه السلام وصح انه قسم** كما سمعته عن كعب
ومكي وصح بمعنى ثبت او اريد به ذلك في نفس الامر لاحتماله عقلا وان ليت الشك في قوله **ان**
كان فيه اي في القسم وقيل في يس وقيل في التخصيص ورد بانه لا تخصيص فيه الا ان يريد التخصيص
بالذكر **من التعظيم ما تقدم** في القسم بقوله لعمرك واورد عليه ان القسم بالحياة فيه من التعظيم
ما مر ولذا اقسم الله بذاته عيره ولم يقسم بحياته فالمراد ما تقدم من التعظيم العظيم وكانه نسي قوله
قبل هذا باسطر ان كل احد يحلف بالعظيم عنده وعلى هذا فهو في محل نصب بنزع الخافض لا في محل جر لانه
لم يرد في غير لفظ الله الا شذوذا وفيه بحث **ويوكد فيه القسم عطف القسم الاخر عليه** عطف مرفوع
فاعل يوكد والقسم منصوب على انه مفعول مقدم والقسم بمعنى الاقسام وضمير فيه ليس او للنظم
فالمعنى مظروف في اللفظ والاخر بالمد وفتح الخا وكسرها كما قاله البرهان الحلبي وفي الصفوي المعنى
انه ذكر بعده مقسما به بالواو والمتبادر منه العطف ويس اذا كان مقسما به فهو معطوف على مثله والا
لم تكن الواو عاطفة ولا المقسم مثله او كان المقسم به عطفا على غيره والاول الحسن والنسب
وفي العبارة مواخذات لان عطف مثله مبني على ان يس قسم فكيف يوكد مع
انه مقسم به لا قسم فالوجه ان يقول يؤكد ذكر المقسم به الاخر وعطفه عليه لو كان قسما وذلك العطف
اولى فكذا قسميته اقول هذا مما لا ينبغي ان يقصد من مثله لان كون القسم بمعنى المقسم به

ظاهر

ظاهر فاعتراضه ساقط وعطف القسم على المنادي الذي زعم انه حسن باطل ويتعين قسمية
الثاني جره فان كانت الواو عاطفة وقد فرض قسمية الاول ايضا كان مؤكدا له فلا معنى لما اعترض
به وتوضيحه ان المصنف لما نقل ان يس بمعنى محمد اتبعه ببيانه على وجه اختيار العطف لمن تبعه فقد
والمعترض توهم ان قوله ويوكد الخ استدلال على القسمية بالعطف والتاكيد وهما انما يتحققان اذا كانت
قسما والاستدلال على الشيء بما يتوقف وجوده عليه فاسد فقال ما قال وكم له مثل هذه مما قرعت له
العصا وما يدلك على ما قلته قوله **وان كان بمعنى السيد فقد جاء قسم اخر بعده لتحقيق رسالته**
والشهادة بصدق اهتدائه اي ان كان يس ملتبسا بمعنى السيد وهو منادي بتقدير يا او بدونه بتقدير
كما مر فقد اي في الكلام قسم اخر بالقرآن المنزل عليه فلا يكون مما نحن فيه بل مما يتعلق بالفصل الخامس
لكنه مناسب لما هنا لما اشتمل عليه من تعظيمه وتحقق بقوله انك لمن المرسلين والشهادة بهدايته
في نفسه وغيره بقوله على صراط مستقيم فالمقسم عليه رسالته وتحققها الدال عليه ان واللام
والجملة الاسمية لانه بمعنى رسالته المحققة والقسم المؤكد لها تم استئناف لتوضيح معنى الرسالة
والطريق المستقيم فقال جعلنا الله على وهو كون يس قسما **اقسم الله تعالى باسمه**
اي اقسم الله قسما ملتبسا باسمه وهو يس لعلم الدال على ذاته ولا بعد فيه كما قيل لان الظاهر
ان يقول اقسم به او بذاته كما يقال والله والجزم بالقسم باسمه انما يتمشى اذا كان لفظ الاسم مقحما
او المراد بالاسم ذاته وهو بعيد انتهى وقوله **وكتابه** بالجر عطف على اسمه لا على الضمير المجرور بدون
اعادة الجار لما فيه من مخالفة الافصح والاحتياج الى التاويل والقسم بكتابه متعين ولما بدا تر
فعلى لا ارجح عنده كما سمعته آنفا والضمير ان للنبي صلى الله عليه وسلم لا لله لما فيه من مخالفة الظاهر
ولانتشار الضمائر وعلى السيد لا ينافي ما مر من انه لم يناده باسمه كما مر فتذكره **انه لمن المرسلين يوحيه**
الى عباده بكسر ان لتقدير القول والحكاية بالمعنى اي قائلا انه الخ ولذا لم يقل انك والارسال
بمعناه اللغوي ولذا ذكر الوحي بعده لتخصيصه او بمعناه الشرعي على التجريد ومجرد ملاحظة التاني
لا يكفي كما قيل **وعلى طريق مستقيم من ايمانه** بيان للطريق وان المراد بها التوحيد وهي تعليلية
وزاد الواو اشارة الى انه خبر ثان مقصود مقسم عليه لا متعلق بالمرسلين اي ممن ارسل على هذه الطريقة
والقسم على امرين كما قال فقلد ان الاقسام على مرتبين رسالته والشهادة بهدايته لا امر واحد
هو انه رسول مهدي على طريقه ولا حال كما قيل لانه قريب من هذا وان كان جعله قيدا لا ينافي
القصد لان هذا افصح واتم في المدح **اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق** اي بفتح الهمزة
وسكون اليا المخففة مفسرة للطريق المستقيم وهذا اعم من الايمان وهو تفسير ثان على الاول
وتشديد اليا على ان المعنى طريق واي طريق لانه لا اعوجاج فيه ولا عدول الخ تفسير لعدم الاعوجاج
مخالف للرواية والظاهر وان جاز وقد تذكرت هنا قولي

من احسن العشرة فليلتزم * سماحة النفس وترك اللجاج
ويشتري المعوج من خلقهم * اي طريق ليس فيه اعوجاج

قال النقاش هو ابو بكر بن محمد بن الحسن بن احمد الموصلي البغدادي المقري المفسر روى عن ابي
مسلم الكجي وطبقته وقرأ بالروايات حتى صار شيخ المقرئين في عصره على ضعف فيه وقيل انه
كان يكذب في الحديث فلذا قالوا ان رواياته منكرة وتفسيره ليس فيه شفاء للصدور والغالب
عليه القصص الا ان ابا عمرو الداني اثنى عليه وروى عنه حكاية تقتضي رده وفي حاشية
التلمساني انه معزي توفي سنة احدى وخمسين وثلثمائة وله ترجمة في الميزان وطبقات القراء

الألوكة
www.alukah.net

وقال ابو شامة في شرح الشاطبية انه ضعيف عند اهل النقل وقال الجعبري المضعف له غالط لم يقسم الله لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له اي بسبب الرسالة اذ لم يقسم على رسالة احد غيره كما في هذه الاية وهذا وان دل على ان غيره مرسل ايضا الا ان المقسم عليه بالقصد الذاتي رسالته وعدل عن قوله رسول او مرسل وهو اخصر ليثبت رسالته وانه عريق فيها على نهج قوله كانت من القانتين لان فلانا من العلما ابلغ من عالم كما قرره علما البيان وفصلناه في غير هذا المحل اي لم يذكر هذا القسم في القرآن لغيره تشريفا له وتعظيما له ولشدة انكار قومه لرسالته فلذا جاء موكدا بتاكيدات وفيه من تعظيمه وتمجيده على تاويل من قال يا سيد ما فيه التمجيد تفعيل من المجد وهو العز والشرف والتاويل حقيقته في اللغة معرفة حال الشي وما يرجع اليه من آل ثم شاع في معنى التفسير مطلقا وقد خص التفسير بما كان منقولا عن النبي والصحابة والتاويل بغيره وقد يخص ويحمل الكلام على المعنى الخفي دون الظاهر كالحقيقة والمجاز والعموم والخصوص والاطلاق والتقييد وضمير فيه الاول ليس وقوله ما فيه فيه ايجاز ومبالغة اي فيه امر عظيم لا يمكن الوقوف عليه كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة لو وصفه بالسيادة المطلقة المفيدة للعموم في المقام الخطابي فيفيد سيادته على من سواه لانه واسطة كل خير وقد تقدم الكلام في اطلاق السيد على الله ومعناه ووزنه فيعل بكسر العين من السودد فاصله سيود وقيل انه فيعل بفتح العين فغير على ما مر وحملهم على هذا انهم لم يجدوا في الصحيح فيعل بالكسر بل بالفتح كصيقل وضيغم ولذا ذهب بعضهم الى ان اصله فيعل ورد بانه لا مانع من اختصاص المعتل بوزن يخصه ثم عقب هذا بحديث يناسب السيادة ويدل على عمومها في حقه فقال وقال عليه السلام انا سيد ولد آدم اي جميع اولاد آدم وكل البشر لان الولد يكون واحدا وجماعة كما قاله التلمساني وفي نسخة ولا فخر الفخر ادعاء العظمة والشرف والاعلاء بذكره اي لا اقوله تبجحا وافتخارا بل تحدثا بنعم الله وشكرا له كما قاله ابن الاثير وقال ابن فورك اي لا فخر في الدنيا عندي اي لا اتعظم ولا اتكبر بذلك فيها وان كان له الفخر الاكبر في الدنيا والاخرة وفي هذا الحديث روايات منها انا سيد ولد آدم يوم القيمة كما رواه مسلم والترمذي قال البجاي فيه اشارة الى انقياد جميع الخلائق له في ذلك اليوم من غير منازع كما في الدنيا وهو كما قال الله لمن الملك اليوم وفيه دلالة على جواز مدح المرء نفسه اذا قصد التحدث بنعمة الله وقد قيل انه واجب عليه ليبلغ امته ما يجب في حقه ولذا قال نعم واما بنعمة ربك فحدث وهذا لا ينافي سيادة الملائكة وما سوى الله وقوله ولا فخر احتراز عما يتوهم من الكبر على حد قولهم

فسقى ديارك غير مفسدها • صوب الحيا وديمة تهمي

وهذا من كونه على طريق الاستطراد والتتميم وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد يعني لا نافية للقسم واقام الظاهر مقام المضمر ولم يقل وانت حل به استعظاما لحلوله فيه والبلد مكة حرسها الله كما اشار الى توضيحه بقوله قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه وروي اذ لم تكن فيه وها بمعنى هنا اي بعد خروجك منه حكاه مكي تقدمت ترجمته اشارة الى ان عدم القسم به لخروجه منه ولو قال اذ خرجت كان اوضح واخصر وفيه ايماء الى ان القسم في سورة التين بقوله وهذا البلد الامين لكونه فيه فلا تنافي بين الايتين اذا كانت البلد فيهما بمعنى فاذا كان فيها فهي حقيقة بالاقسام بها لان شرف المكان باهله كما قيل

وما حب الديار شغفن قلبي • ولكن حب من سكن الديارا

وهو منتظم مع ما بعده من قوله ووالد الخ اي لا اقسم بالبلد واقسم بغيره او قوله بغير قسم بناء على

الجواب

الجواب النفي عليه او لا اقسم بهذا لجلالة المقسم والمقسم عليه وان كان ما ذكر مما يقسم به لعظمته ففيه تعظيم لما نفي القسم عنه فلا وجه لتوهم عدم الانتظام وقدم هذا لوجه لرجحانه عنده كما ذهب اليه الامام وقيل لا زائدة اي اقسم به زيادة تهافظ المعنى المقصود وليست لغوا لافادتها تاكيد الكلام وتقويته وتحسينه وان كان حذفها لا يغير اصل المعنى فاندفع قول الامام انه مانع من الانتظام وموهم لحمل الاثبات نفيا ويلزمه عدم الاعتماد على القرآن مع ان لا اتت زائدة مع القسم كثيرا وقد تزاد في غيره ايضا وذهب بعض النحاة والمفسرين الى انه لا يطلق على مثله انه زائد بل يقال تاكيد او صلة وهو كلام حسن وقيل لا انا فحذف انا واشبعت اللام ويؤيده انه رسم في الامام بلا الف وانه قرئ شاذا لاقسم بلام الابتدا وانت يا محمد حلال او حل لك ما فعلت فيه جملة حالية وهذا مبني على التفسيرين في هذه الاية بالاثبات والنفي او في معنى الحل او على كليهما لما يكون الكلام افيد وحل له معان فيكون ضد الحرمة وبمعنى الاقامة بالمكان والاسم منهما حل بالكسر وحلال بمعنى جائز ومقيم وفعل يكون اسما كجذع وصفة كنقض ومصدرا كعلم والى كل من المعنيين هنا ذهب بعض المفسرين فالمعنى اقسم بهذه البلدة وانت مقيم بها لشرفك وعظمتك عندي او اني احللت لك ما لم احله لغيرك في هذه البلدة من القتل وغيره وهذا اما للنسخ حرمتها او خصوصية له صلى الله عليه وسلم لقول الله عز وجل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام سواء حمل على ظاهره او فسر بالحرم وهذه الاية محكمة عند ابن عباس ومجاهد لما رواه الشيخان من قوله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ان الله حرم مكة يوم خلق الله السموات والارض ولم تحل لاحد قبلي ولا بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم وامره بقتل من جاء الى الحرم كابن خطل من خصائصه كما روي عن السلف واورد عليه الجعبري في كتاب النسخ بان قوله احلت يدل على الحرمة فيكون نسخا ولو كان لاستمر فيكون رخصة لانها استباحة مع المانع وبه قال ابو حنيفة وقال قتادة والضحاك هي منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبآيات اخر في معناها وتمسكا بفعله ولا دليل فيه لتصريحه بالتخصيص وبه قال الشافعي انتهى وفي الاية تسلية له اي ان اخرجوك فستعود لها وتفعل فيها ما تريد فيها وتثبيت ووعد بالنصر والاول على تقدير ثبوت القسم والثاني على انتفائه او كل منهما جار على التفسيرين وفيه تفاسير اخر فقيل المعنى وانت حلال اي محرم مقيم بها او المعنى يستحلون ايذاءك واخراجك منها وهو تثبيت له وتعجيب مما جرى عليه او اشارة الى علة عدم القسم فاندفع الاعتراض بان الحال يقتضي عدم القسم بعد الخروج فيتنافيان ويجوز اجراؤه على الوجهين وقيل المعنى لا اقسم وانت مستحل او انت حال فانه حينئذ ينبغي القسم بلك الا انه قيل ان هذا لا يناسب كلام المصنف وهو امر سهل وقال القسطلاني فان قلت هذه السورة مكية وانت حل بهذا البلد اخبار عن الحال والواقعة التي ذكرت في آخر هجرة المدينة فكيف الجمع بين الامرين واجيب بانه قد يكون اللفظ والمعنى مستقبلا كقوله انك ميت وانهم ميتون واستشكل هذا بانه يلزمه اختلاف زمني الحال وعاملها الا ان يقال الجملة معترضة لا حالية فيتضمن وعدا فيه مبالغة بواسطة تنزيل المستقبل المحقق منزلة الحال لا الماضي كما يدل عليه قوله ما فعلت به قيل وفيه اشارة الى عظم شانه بعد التنبيه على عظم مكانه دفعا لما يتوهم من ان المكان اشرف او ان شرفه مكتسب منه والمراد مكة وقيل غيرها كما سياتي وقال الواسطي نسبة لواسط مدينة مشهورة وهو الامام العارف بالله ابو بكر بن موسى وهو ممن صحب الجنيد وتوفي بعد الثلاثمائة وعشرين وهو من اجلة العلما والصوفية اي نحلف بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا نحلف بنون مفتوحة وحاء مهملة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تليها لام مكسورة وفاء كذا ضبطه في المقتفي ولو قرئ بالياء التحتية صح ايضا وفاعل الحلف على كل
حال هو الله تع وتسمى هذه النون نون العظمة لان اصلها للمتكلم مع الغير كنحن الا ان العظيم يتكلم بها
ويطلقها عليه غيره تعظيما لعده بمنزلة جماعة كثيرة او لان له اتباعا في خدمته اذا اراد فيكني عنه وعنهم
ولذا قال الراغب في مفرداته ان الله تع انما يوردها في كلامه فيما يفعله بواسطة ملائكته كقوله انا نحن
نزلنا الذكر وفي شرح التسهيل انه مقصور على السماع لايهامه التعدد فلا يجوز استعماله وبه افتى
علما الحنفية فالاولى حينئذ القسم هنا وعلى نون العظمة تذكرت ما ظرف به ابن نباتة المصري في قوله
اغمزه بناظري • فلم يزد لي كلمة • يجيبني بحاجب • لكن بنون العظمة • وقوله لك اي
لاجلك ولاجل تعظيمك وتشريفه لانها بحلوله فيها صارت حرما ومهبطا للوحي ومنبعا للدين وقد قالوا
ان هذا القسم ادخل في عظيمه من القسم بذاته وحياته كما اشار عمر رضي الله عنه بقوله بابي انت
وامي يا رسول الله ان اقسم بتراب قدميك فقال لا اقسم بهذا البلد ومكانك بمعنى كونك وحلولك
فيه مصدر ميمي ولذا اعمله كقوله هم •

اظلوم ان مصابكم رجلا • اهدى السلام تحية ظلوم •

ولو كان اسم مكان لم يعمل كما صرحوا به وبركته ميتا لو قال بمكانك وبركتك حيا وميتا كان اولى
لان الانبيا احياء في قبورهم حياة حقيقية واذ قيل انه تفنن لان بركته في حياته كنار على علم
يعني المدينة والاول اصح لان السورة مكية يعني ان هذا القايل اراد بالبلد المدينة لانها مكانه
في حياته ومماته وعلى القول الاصح عند المفسرين مكة لان هذه السورة نزلت بمكة فالاشارة حال
النزول تعين انها مكة لان هذا يشار به للقريب الحاضر وقت الخطاب والمدينة على هذا البعث كذلك
ولذا قيل انه مجمع عليه وتنزيلها منزلة الحاضر القريب مخالف للظاهر رواية ودراية واشار بالاصح
الى قول ضعيف نقله ابن عطية ان السورة مدنية فلا وجه للاعتراض به على المصنف كما في شرح البخاري
ولسائر ضعفه وضعف ما بني عليه لم يعتد به من ادعى الاجماع **وما بعده يصححه** مبتدا وخبر اي
ما بعد القسم وانت حل بهذا البلد فقوله **قوله حل بهذا البلد** خبر مبتدا مقدر مع الاقتصار على مناط
الدليل واصله وهو قوله وانت حل بهذا البلد ويجوز ان يكون بدلا مما قبله بلا تقدير وفيه بحث
كما اشار اليه بعض الشراح لان القايل لا يسلم ان السورة مكية فالبلد في الموضعين عنده المدينة ولا اشارة
فيهما لها وحل بمعنى حال مقيم فكيف يقام الدليل عليه بما لا يسلمه فالاليق الاقتصار على رواية خلافه
صحتها واشتهارها وقيل ان قوله لان السورة الخ بمجموعه علة للاصحية وهو قوله وانت الخ وكونها
مكية الا انه انما يتم على تفسير حل بما لا يتصور في حق المدينة كالحلال غير المحرم ومن الجاين ان يفسره
الواسطي بالحال النازل ويقول البلد فيهما المدينة والسورة مدنية فلا يلزم منه شي مما مر ولا مخالفة
قاعدة اعادة المعرفة معرفة كما اذا اريد بالاول المدينة وبالثاني مكة على انه وعد بانه سيكون بها
حالا غير محرم على ما فيه من الاشارة في كلام واحد لغايب وحاضر بتنزيل الغايب منزلة الحاضر لنكتة
والمراد بالاول القول بانها مكية كما بيناه وقيل يجوز ان يريد به القول الحاكم بان لا نافية للقسم
وما بعده القول الحاكم بانها زايدة ويصححه قوله وانت حل بهذا البلد اذ في كونه حلا به اشعار بثبوته
مع كونها زايدة انتهى ولا يخفى ما فيه من التكلف **ونحوه قول ابن عطا في تفسير قوله وهذا البلد
الامين** اصل معنى النحو القصد ومنه علم النحو لانه يقصد نهج كلام العرب افرادا وتركيبا ثم استعمله
الناس بمعنى مثل وشبه وشاع حتى صار حقيقة فيه اي مثل ما تقدم من القسم بمكة لتعظيمه صلى الله
عليه وسلم او نحو قول الواسطي في ان المحلة صفة مدح بواسطة قول ابن عطا وان كان قول الواسطي

حتى

في حق المدينة وقول عطا في حق مكة وذلك بسببه وهذا التشريف بما فيه من الامان بدعوة
الخليل وتعليق الاقسام على صفة الامان يفيد عليته له والامين فعيل بمعنى فاعل فهو آمن
لقوله ومن دخله كان آمنا وقيل بمعنى المامون على ما اودعه من البركات او لانه مامون عن
الغايلة وتحقيقه في الكشاف وشروحه **قال آمنها لانه لمقامه فيها وكونه بها** في المقتفي آمنها
بقصر الهمزة وتشديد الميم كما في النسخ ولا اعرف فيه لا مد الهمزة وفتح الميم يعني ان المعروف
في اللغة مجيئه ثلاثيا ومن باب التفعيل واما الافعال فمن الايمان وقوله لمقامه بضم الميم بمعنى
اقامته ويجوز فتحها بتكلف والوجه الاول وعطف كونه بمعنى وجوده فيها وفي نسخة بمقامه
بالباء السببية والامان بسببه وقد فهم من الاية ان الاقسام لاستشعار الترتب بالعلة فيكون الاقسام
بسببه ايضا **فاذ كونه** اي وجوده **امان** اي موجب للامان **حيث كان** اي حيث وجد بذاته
الشريفة والحيثية قد ترد للتعميم اي في اي مكان كان لقوله تع وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
فهذا الامان بعد وجوده وقريبا من وجوده كما امنه به من الفيل واصحابه لان ولادته كانت في
ربيع الاول من عام الفيل وقصة الفيل في المحرم وقال بعض الشراح الاظهر ان هذا الامان كان بدعوة
ابراهيم وقوله اجعل هذا بلدا آمنا ومن دخله كان آمنا واجاب الله تع دعاءه فقال واذ جعلنا البيت
مثابة للناس وامنا واجيب عنه بانه لا يبعد ان يكون كل ذلك ببركته ويمن وجوده فيه فلما علم الله
انه سيصير بمقام عظمة قبل دعا خليله اذا استدامة ذلك واستمراره بسببه ولا يبعد ان يقال ان
المصنف اشار الى هذا بقوله **ثم قال ووالد وما ولد** عطف على هذا البلد والمفسرون اختلفوا في تفسير
الوالد **فمنهم من قال اراد آدم فهو عام** اي ما ولد على هذا التفسير عام شامل لجميع اولاده لا يختص
بفرد منهم فالقسم على هذا بنوع الانسان لانه اشرف مخلوقاته ونسخة توحيده في ذاته وصفاته وعلى
هذا الجمهور لتبادره من غير داع للعدول عنه وقيل المراد على هذا الصالحون منهم قيل ولا يبعد ان يراد
الفرد الكامل منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم فيكون القسم بالاول والاخر ولا ادري ما وجه تركه
وعدم تعرض احد من المفسرين له وكانه لعدم دليل عليه فتدبر **ومن قال هو ابراهيم وما ولد** ضمير
هو للوالد او المجموع الوالد والولد والثاني اولى وقيل الاولى ان يقول على منوال ما سبق ومن قال هو
ابراهيم والضمير في قوله **فهي ان شا الله تعالى** للبيت انث باعتبار الخبر وهو قوله **اشارة الى محمد
صلى الله عليه وسلم** يعني هو المراد من قوله وما ولد عند هذا القايل وهو ابو عمران الجوني كما نقله في
زاد المسير وقيل هم العرب وقيل اولاد ابراهيم او الصالحون منهم ولكونه غير متعين من النظم اطلق عليه
الاشارة لخفائه والمشهور اطلاق الاشارة على ما يدل عليه اللفظ دلالة التزامية كاشارة النص وقوله
ان شا الله قيل انه للتبرك والاهتمام بما بعده او هو تادب منه في الحكم بانه مراد الله او اشارة الى ان
فيه احتمالا آخر وجوز بعضهم فيه ان يكون تعليقا على ظاهره وقد ذهب الى هذا كثير من المفسرين
لانه لما حمل الوالد على اكمل افراده ناسب حمل ما بعده على مثله وقيل المراد بالوالد محمد صلى الله عليه وسلم
لحديث انما انا لكم بمنزلة الوالد والولد امته وذريته وقال فيه ما • دون من • وما في الاصل لما لا
يعقل قيل لان كثيرا من النحاة جوزوه او لتاويله بالمبهم اي الولد الكامل الذي لا يدرك كنهه ذاته لتناهيه
في الكمال اقول المختار عند صاحب الكشاف وغيره من المحققين انه يطرد فيما قصد به المعنى الوصفي
كالمولود هنا نظرا للصفة فانها ليست من جنس العقلا كما في حواشي الكشاف قال الزمخشري في قوله تع
فانكحوا ما طاب لكم من النساء التفرقة بين من وما انما هو اذا اريد الذات واما اذا اريد الوصف فيجوز
ذهابه الى الوصف وقد خفي هنا على بعض الافاضل وظاهر كلامهم انه معنى حقيقي فان قيل بانه يكون

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان يكون فيه تغليب دقيق لم ينبهوا عليه وهو تغليب احد جزئي المدلول وانما ذكروه في الجزئيات
والتنكير فيه للابهام المستقل بالمدح والتعجيب كما قيل فتتضمن **السورة القسم به في موضعين** اشار
بالفاء الى تبيانه مما قبله اي اذا كان كذلك ففي ضمن هذه قسم بمحمد مرتين احدهما في البلد التي هي محله والثاني
في قوله ومولود على هذا التفسير والقول بانه لما اقسم بوالده وهو في صلبه فكانه اقسم به بعيد غاية
البعد واما القول بانه لتفسير لوالد بمحمد صلى الله عليه وسلم كما في الكشاف فغير صحيح لانه ليس في كلام
المصنف ذكر له بوجه من الوجوه وهو عجيب من قايله اللهم الا ان يقال من اقسم لاحد بمن مضى من آبائه
قاصدا تعظيمه فكانه اقسم به اي بصفة من صفاته وهي شرف حسبه فتامل **وقال تعالى الم ذلك
الكتاب** ذلك اشارة الى الم على انه طايفة من الحروف او اسم السورة او القرآن تنزيلا له منزلة المحسوس
المشاهد البعيد لرفعة قدره او لتفصيله كما فصله المفسرون **قال ابن عباس هذه الحروف اقسام
اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك** الاقسام جمع قسم بمعنى المقسم به لقوله بها وقد روي عن
ابن عباس وغيره من مفسري السلف في هذه وفيما ضاهاها اقوال غير ما ذكر قال الشريف كما روي
عن الخلفا الاربعة انها مما استاثر الله به قال البيضاوي ارادوا انها اسرار بين الله وبين رسوله
اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد وفيه انهم صرحوا بانه مما لا يعلمه الا الله فانه اخفاه لحكمة فلم يتحاشوا
عما فر منه اقول يعني انهم قالوا ان التعقيد المعنوي يخل بالفصاحة فكيف بما يمكن علمه وما ذكره
لا يدفع ما قاله فالحق في جوابه ما قاله الفاضل الليثي بان هذا انما يشترط فيما قصد به تفهيم
المخاطب كما فصله في حواشي المطول وهذه الحروف اشارة لما ذكر او الى جميع حروف المعجم كما يقولون
تعلمت ا ب اي جميع الحروف المقطعة كما قاله ابن قتيبة فهي اقسام متعددة جوابها مقدم اي لقد
بينت لكم السبيل واوضحت لكم الدلالة بهذا الكتاب المنزل بقرينة قوله ذلك الكتاب الخ وفيها اقوال
كثيرة تكلفت بها التفاسير فلا حاجة لذكرها هنا والى هذا اشار بقوله **وقال سهل التستري** قال
السيوطي رواه ابن جرير وابن ابي حاتم **الالف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد صلى الله
عليه وسلم** قيل ان هذا غير واضح المعنى والماخذ وفي تفسير الاصفهاني بنحو عشرين قولا لم ار فيها هذا
الا انه حكي عن الضحاك ان اللام من جبريل والميم من محمد والالف من الله وهي اقسام اقسم الله بها وهو
في غاية اللطف والدقة فان كان المراد هذا فهو واضح لانه اذا اقسم بحرف من اسم دل على شرفه
وفي هذا تقديم جبريل عليه السلام فربما تعلق به مدعي التفضيل وان لم يلزم منه مطلق التفضيل
يعني انه لم يقل انها حروف من اسمائهم بل جعلها دالة عليهم ووجهه في غاية الخفا فان نزل على ما ذكره
الضحاك اتضح لكن العبارة غير ظاهرة فيه ورده بانه لا طايل تحته دعوى بلا دليل وان كان فيه
قسم بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو مناسب لما هو بصدده واما تقديم جبريل هنا فلانه واسطة بين الله
ورسوله فلا اعتراض به في غاية السقوط كما اشار اليه بقوله **وجعل معناه انزل جبريل على محمد
بهذا القول لا ريب فيه** كما حكاه القاضي عن ابن عباس يعني انه لوضوح شانه واعجازه لا يرتاب
عاقل فيه بعد النظر وان كثر المرتابون كما قال وان كنتم في ريب الخ وعلى الوجه الاول الذي رواه عن
ابن عباس وهو القسم بالحروف **يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه** ان بالفتح على انه
قسم في قول سهل وعلى هذا فجواب القسم لا ريب فيه وقيل الجواب محذوف يدل عليه قوله ذلك الكتاب
لا ريب فيه لا جواب بتقدير اللام لانه لا يسوغ حذفها الا اذا استطال القسم كما في المغني وحذف
الجواب ورد في القرآن كما قدروه في قوله ص والقرآن ذي الذكر بانه لمعجز وانك لمن المرسلين
واي برك ذلك بهذا لان التعظيم يكون باشارة القريب والبعيد كما تقرر في المعاني والنكات لا تتزاحم

والتردد

والتردد في انهما على حد سوا ام لا كما قيل لا طايل تحته وفي شرح السيد الحرمي انه اشار
بهذا الى ان الظاهر الاشارة للقريب الحاضر في الذهن وانما عبر بذلك لتنزيله منزلة البعيد
تعظيما ولم يرد تقرير حق بل بيان ان لا ريب خبر بمعنى حق **ثم فيه من فضيلته قران اسمه باسمه
نحو ما تقدم** اي في الم او في هذا القول او القسم او كلاهما على قول سهل مطلقا او على ما ذكر انه الشمر فيدري
لدلالة الحروف المقطعة من الاسما ولدلالتها عليها كانها اسماء واشار بقوله نحو ما تقدم الى ما مر في
قوله ورفعنا لك ذكرك ولا يخدش القرآن توسط اللام المفسرة بجبريل لما في وقوعها في ذكر واحد
من القرآن لا سيما وجبريل سفير محض بينهما لا يعد فاصلا قيل وكون الالف من اول اسم الله والميم من وسط
اسم محمد واللام من آخر اسم جبريل مناسب لما ذكر وقد تقدمت ترجمة ابن عطا **اقسم بقوة قلب
حبيبه** فالقاف بمعنى القوة على طريق الاكتفا كما في قوله • قلت لها قفي فقالت قاف • والظاهر
ان مثله لا يقال بالراي فلا وجه للاعتراض بانه لا يجوز ان يكون من قدرة الله ونحوه **حيث حمل الخطاب
والمشاهدة** اي حيث تحمل واطاق خطاب الله له ورؤيته ليلة الاسرا او مشاهدة الملكوت ومهابته
مما تتهدد له الجبال ولا تطيقه الملايكة على احد تفسيري قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم او مشاهدة
التجليات القلبية **ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله** اي لم يصعب ويشق عليه حتى يمنعه من تحمله
وقوله لعلو حاله تعليل لما قبله اي ان له حالا في اثبات جنانه ورفعة شانه لما اودع في
قلبه من اليقين **وقيل هو اسم للقرآن** ضمير هو لقاف هذا القول تفسير ما ثور عن قتادة فما قيل
من انه في غاية الركاكة لا يصير القرآن والقرآن المجيد تهجم لا يليق بالادب والعجب منه حيث رواه
بعد ذلك لانه على هذا يجوز ان يذكر تفسير الخفا ما قبله وقيل انه في غاية الوجاهة من حيث المعنى
اذ حاصله ان هذا القرآن اقسم به واظهره في مقام الاخبار لتمكن وصفه ودخول حرف القسم
عليه ومن حيث اللفظ لان الركاكة انما هي لو صرح باسم القرآن الا اذا عبر عنه بغيره وهذا هو السر
في العدول فتفطن وتادب على انه يحتمل ان يراد بالقرآن هذه السورة **وقيل هو اسم الله** على نهج
ما مر من اطلاق حرف من الاسم على مسماه فهو على هذا بمعنى قيوم او قدير ونحوه او هو مما لم يطلع على
معناه ويؤيد الاول ما حكاه القرطبي من انه افتتاح اسمه القدير القاهر القريب **وقيل جبل محيط
بالارض** ينبع منه جميع المياه وهذا رواه ابن الجوزي عن مجاهد قيل انه من زمردة خضرا وخضرة
البحر من انعكاس شعاعه **وقيل غير هذا** فيه اقوال تزيد على عشرة منها انه اسم النبي صلى الله عليه
وسلم وقال الوراق معناه قف عند امرنا ونهينا ولا تتعدهما والخطاب للنبي **وقال جعفر الصادق**
وجعفر الصادق تقدمت ترجمته **في تفسيره** وفي نسخة في تفسير بدون ضمير قيل ان لجعفر تفسيرا
لم يشتهر **والنجم اذا هوى انه محمد عليه السلام** وهوى بمعنى نزل او صعد الى السماء في المعراج
من الهوي بتشديد اليا مع فتح الها وهو الذهاب في انحدار او مع ضمها وهو الذهاب في ارتفاع
وهذا التفسير نقله البغوي فلا غرابة رواية ودراية لان وجه الشبه ظاهر **وقال** اي جعفر
فله فيه تفسيران او عنه فيه روايتان على البدل او الاجتماع انه يجوز **النجم قلب محمد هوى انشرح
من الانوار** الربانية المنزلة على قلبه في مشاهداته من العلوم والحكم وانواع الكمال وتشبيه
قلبه بالنجم لا يخفى ظهوره لاشراقه بنور ربه وهواه ومثله مشهور واما تفسير هوى بانشرح
فلانه يقال هوى اذا فتح فما او مد يدا ولا يضر ناعدم اشتهاره لمعرفة العرب اهل اللغة له هو
وقال اي جعفر الصادق في رواية اخرى عنه في تفسير هوى **انقطع عن غير الله** وهذا اقرب
مما قبله لانه من هوى النجم اذا سقط من بين نوع من النجوم وهو اذا انقطع الى ربه فارق الناس

وقال الامام المرزوقي في شرح اشعار هذيل قال الاصمعي يقال هوى العقاب اذا انقض لغير الصيد واهوى اذا انقض له وقيل هما بمعنى وقال بعضهم يقال هوى يهوي هويا بفتح الها من علو الى اسفل وهويا بضمها للعكس انتهى فقول بعض الشراح انا لم نر هذا المعنى في مشاهير كتب اللغة ساقط والمثبت مقدم على النافي الا ان يقال انه من هوى الجوف اذا خلا كما في التقريب فيكون هذا لخلوه عن غير الله او من هوى ذهب في جهة العلو لارتفاعه الى الله تعسف غير محتاج اليه وتوقفه في هذا دون ما قبله غريب من مثله وقد سبقه بعضهم لهذا وفي النجم هنا تفاسير اخر فقيل هو الثريا وقيل الزهرة وقيل الرجوم وقيل مطلق النجوم وقيل ما نزل من القرآن منجما وقيل الهوي نزول من المعراج وسيأتي كلام فيه **وقال ابن عطا** تقدم الكلام عليه **في قوله والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان** تفجر بفتح التا وتشديد الجيم المضمومة على انه مصدر مضاف للايمان او بفتح الجيم المشددة على انه ماض فاعله الايمان من تفجر الصبح طلع وطلوعه كما قال ابن رشد وهذا اما على تشبيه الايمان بالنور المشرق من افق الوحي الماحي لظلمة الكفر او هو استعارة لتشبيهه بالما على نهج المكنية واثبات التفجر له على طريق التخييل كما قيل والاحسن عندي ان يشبه الصبح وانواره بما يتفجر ثم استعاره لاشهرته لما ظهر منه صلى الله عليه وسلم من الدين والتوحيد كما قال ابن تميم ٥

انظر الى الصبح المنير وقد بدا • يغشى الظلام بمائه المندفق •

غرقت به زهر النجوم وانما • سلم الهلال لانه كالزورق •

وفيه تفاسير اخر تركها المصنف لشهرتها واقتصر منها على ما يناسب غرضه الا ان الشراح قالوا ان هذا مع غرابته بعيد غير مقبول لانه مخل بالانتظام فان عطف ليال عشر بالواو من غير جهة جامعة كقولك الشمس ومراده الارنب والباذنجان محدثة ومثله مخل بالبلاغة ٣ اقول نقل الشراح هذا كانه وارد غير مندفع وليس كذلك وفيه سوء ادب وتهجم على كتاب الله وهذا منقول عن السلف ممن تورع وهم اهل اللسان ومن فسر الفجر بمحمد صلى الله عليه وسلم يفسر الليالي بعشر رمضان وقد كان النبي عليه السلام يجتهد في العبادة والخيرات فيه لبري ليلة القدر فيصير المعنى على هذا اقسم بمحمد بليالية التي جد في عبادتي والتقرب الي فيها واي مناسبة اتم من هذه كما قلت

وحبيب هو المنا وليال • كان فيها وصاله ورضاه •

وزمان بالانس كان ربيعا • لا الطيف عاد لا في هواه •

اترى هذا كالباذنجان ومزورة الهذيان • او كوجه الحبيب وغيبة الرقيب والذي عليه المفسرون الله على حقيقته وهو بتقدير مضاف اي صلاة الفجر والليالي عشر ذي الحجة والفجر فجر عرفة او النحر والعشر اول المحرم او اخر رمضان ومما يضاهي قول المصنف قول الرازي ان الضحى وجه محمد صلى الله عليه وسلم والليل اذا سجى شعره م

الفصل الخامس في قسمه تعالى جلاله م

بفتح الجيم وتشديد الدال ويكون بمعنى الحظ والغنا ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد يقال جد بمعنى عظم واسناد التعالي له مبالغة كما يقال جد جده فهو اسناد مجازي او استعارة مكنية وفي بعض النسخ له متعلق بالقسم والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم **لتحقق مكانته عنده** اللام للتعليل والاولى صلة فلا يلزم تعدي عاملها بحرفين متحدي اللفظ والمعنى **وقوله صلى الله عليه وسلم** متعلق بحب المعنى بضمير عنده ولتحقق بمعنى لتبين حقيقة حقه عند ربنا والمكانة معروف فاذا زيد فيه التاء اريد به المرتبة المعنوية كالمنزل والمنزلة وفي بعض النسخ ليتحقق وفي بعضها التحقيق بصيغة المصدر والكل

بمعنى واللام قيل انها مثلها في قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون بمنزلة العرض لا عرضا لان افعاله تعالى لا تعلل بالاعراض وهذا وان اشتهر فالذي ارتضاه النسفي خلافه وان ذهب السيد الشريف لخلافه والتحقيق ان الخلاف لفظي وعندي مثلث العين والكسر افصح وبدا الفصل بسورة الضحى لمناسبتها لخاتمة الفصل الذي قبله وتضمنها الكريم خطابه وعميم نعمه عليه تشريفا له فقال **قال جل اسمه** كاجل وعلا في نفسه وفيه تادب وتانيس **والضحى والليل اذا سجى السورة** بالنصب اي لم يوقف عليها بتقدير اذكر واقرا السورة الى اخرها والسورة طايفة من القرآن مترجمة اقلها ثلاث ايات ان كانت مهملة وهي منقولة من سور المدينة لاحاطتها بما فيها من مزايا العلم ومنازله فان كانت مهموزة فهي من السور وهو البقية كما بين في محله **اختلف في نزول هذه السورة** سبب النزول امر حادث في زمن النبوة نزل القرآن في حقه ويجوز تعدده وكما ان للقرآن اسبابا كذلك الحديث وقد صنفوا في كل منهما تصانيف جليلة وان كان المشهور هو الاول **فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام** روي ان هذه المرأة هي ام جميل بنت حرب واسمها العورا امرأة ابي لهب وكان ابو بكر ابن عربي يسميها ام قبيح وهذا ما رواه الحاكم في مستدركه وقال اسناده صحيح الا اني وجدت فيه علة وكان بعضهم لكراهتها لا يحب ان يسميها ولذا قال المصنف امرأة او لما فيها من الخلاف وهذه السورة مكية اتفاقا وزعم ابو عبد الله ابن عسكر انها احدى عمات النبي وروى ابن جرير انها امرأة من اهله او من قومه ونقل عن امرأة اخرى وهو غير صحيح وفي شرح البخاري كلام طويل هنا وقال المصنف بكلام ولم يصرح به لقباحته لانه روي ان ام قبيح قالت يا محمد ان شيطانك تركك لما رأى من عدم قيامك ولم اره قربك منذ ليلتين او ثلاث كما ذكره البخاري قيل وهو اصح ما قيل فيه وعذره ما روي ان حجرا اصاب اصبعه فدميت فقال

هل انت الا اصبع دميت • وفي سبيل الله ما لقيت •

وقيل انما قالته ام قبيح لابطاء الوحي عنه وروى ابو داود بسند صحيح ان ام المومنين خديجة قالت له حين ابطا عنه الوحي ان ربك وفي رواية ان صاحبك قد قلاك فنزلت وانما قالته له على سبيل الاستكشاف والشفقة او هو بتقدير الاستفهام وجمع بينهما بتعدد سبب النزول وفيه اطلاق الصاحب على الله وقد ورد في حديث اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل ولم يقل صاحبي وصاحبك او ربي وربك كما هو مقتضى الظاهر لنكتة وهي الاشارة الى شدة مرافقته لله وقربه منه قربا لا ينبغي لسواه **وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة** اي تكلموا بكلام من نوع الكلام المذكور في سبب النزول الاول لا بشخصه وعينه والفترة مدة قليلة بين شيئين كالسكون والمراد انقطاعه عنه ومنه قوله تعالى على فترة من الرسل وكان الوحي تاخر بضعة عشر يوما وقيل سنتين ونصفا والاول اصح فقالت قريش ان محمدا ودعه ربه وقلاه وقيل ان اليهود سألوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فوعدهم بالجواب ولم يقل ان شاء الله فانقطع عنه الوحي وقيل بل كان في بيته جرو كلب قيل ولا مانع من تعدد السبب كما مر وقول المصنف كان القائل ادعى رد القول الاول وجزم بخلافه فالاضطراب كذلك وقيل بل لافادة انهم تكلموا به ايضا فهو انتقال للترقي وهو بعيد ومرضه لان الاول اصح **تضمنت هذه السورة** اي اشتملت سورة الضحى **من كرامة الله تعالى وتنويهه له** كرامة الله اكرامه اي توقيره واللطف به وتنويهه له رفعة قدره وجعله مشهورا بذلك واشاعة فضله وتعظيمه جعله عظيما مهيبا في عيون الناس وقلوبهم فهو مغاير لما قبله ومن بيانية ان قلنا بجواز تقدم المبين على المبين كما ارتضاه بعضهم والا فهو بيان لمقدر يفسره ما بعده وليست زايدة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

للتعظيم كما قيل **ستة وجوه** وجوه جمع وجه وهو مستقبل كل شيء ومنه اوجهك جيد ويطلق على
الحال فيقال فلان احسن القوم وجها اي حالا وقول الفقهاء الوجه كذا اي القول ولهذا وجه اي مأخذ
والمراد الاول وهو جمع كثرة استعمله المصنف في القلة لان كلا منهما يقوم مقام الآخر وقد يقال انها
اشارة الى انها اكثر من ذلك كما قيل **الاول القسم له عما اخبره به من حاله** بيانا لما والمراد حاله التي له
في الدنيا والآخرة **فقال والضحى والليل اذا سجى** والضحى جمع ضحوة كقرية وقرى وهي اول النهار
وسجى اي دخل واظلم واصله من السجية وهي التغطية لستره بظلمته ولذا قال تعالى وجعلنا الليل لباسا

وقلت للانس لما اخليتنا • وغاب داعي الهموم •
في حلة الدياجي • مزرورة بالنجوم •

ومنهم من فسره باقبل او ذهب وقيل معناه سكن والمراد سكون الاصوات او اصحابها ولكل وجه
اي ورب الضحى هذا بناء على الظاهر الذي ذهب اليه الفقهاء من ان القسم لا يجوز بغير الله وصفاته
من المخلوقات فيقدر فيما ورد مخالفا له رب ونحوه والظاهر ان هذا مخصوص باليمين التي تنعقد
ويكون لها كفارة واما ما يذكر للاستعطاف والملاطفة ونحوه من التعظيم فلا يختص بما ذكر كما ورد
من قوله صلى الله عليه وسلم بابي وامي وامثاله مما لا يحصى ولم ينكره السلف وقيل النهي مخصوص بذكر
تعظيما لله واما الله فله ان يقسم بما اراد ونحوه الصلاة فانها لا تجوز لغير النبي واما هو فله ان يصلي
على من اراد كقوله اللهم صل على آل ابي اوفى • والضحى صدر النهار كما مر وقيل هو هنا النهار كله
واما الليل فعلى ظاهره وما نقل عن ابن عباس من انهما وقت الخلوة مع المحبوب اي وحق قربك منا
وانه وجه وجيه في تعظيمه صلى الله عليه وسلم كما نقله الطيبي غير ظاهر بالنسبة للضحى فتامل **وهذا
من اعظم درجات المبرة** اي القسم المذكور والمبرة مصدر ميمي بمعنى البر وهو الاحسان وفعل الخير
وكل امر مرضي وفيه كما قيل استعارة مكنية لجعل المبرة منزلا عاليا له درجات توصل اليه ويجوز ان
يكون استعارة تصريحية في الدرجات للمراتب وفي كلام المصنف نظر لم ينبهوا عليه لانه على تقدير
رب يكون التعظيم الذي يفيده القسم لله فكيف يدل على ما قاله بعض الشراح من انه اوتي ما لم يؤت
احد من الرتب العالية والدعوة العامة والمعجزات الباهرة ونحوه مما لا يحصى **الثاني بيان مكانته
عنده وحظوته لديه** مر مرارا ان المكانة الرتبة المعنوية والحظوة بحاء مهملة مثلثة وكذا كل
فعلة لامها واو كما قيل وفيه نظر وبعدها ظاء معجمة مشالة ويقال فيه حظية بالكسر والياء ايضا من
حظي عنده اذا كان له عنده فضل يقربه ويحببه اليه وذكر الشمني وبعض الشراح معترضا على
المصنف ان الوجه الاول انما يكون تعظيما اذا انضم للمقسم عليه المذكور في هذا الوجه فجعله وجها مستقلا
فيه نظر وهو مثل ما قلناه اولا واجيب عنه بان المراد ان في هذا القسم والمقسم عليه تعظيمين
متغايرين احدهما بيان المكانة والآخر القسم عليها وان توقف احدهما على الآخر وهذه حزازة لا محل لها
بقوله ما ودعك ربك الوداع له معنيان في اللغة الترك وتشييع المسافر فان فسر بالثاني هنا
على طريق الاستعارة فيكون فيه ايماء الى ان الله لم يتركه اصلا فانه معه اينما كان وانما الترك لو تصور
من جانبه ظاهر مع دلالته بهذا المعنى على الرجوع والتوديع انما يكون لمن يحب ويرجى عوده واليه
اشار الارجاني بقوله

اذا رايت الوداع فاصبر • ولا يهمنك البعاد •
وانتظر العود عن قريب • فان قلب الوداع عادوا •

فقوله وما قلى هو كما له وهذا لم ار من ذكره مع غاية لطفه وكلهم فسروه بالمعنى الاول ولما ان
صيغة التفضيل تفيد زيادة المعنى والمبالغة فيه فيقتضي الانقطاع التام قالوا ان المبالغة

في النفي لا في المنفي فتركه لحكمة عليه لا لضرورة هجره او للنفي القيد والمقيد وقرأ عروة بن الزبير
ودعك بالتخفيف وورد في الحديث شر الناس من ودعه الناس لاتقاء شره وورد في الشعر كقوله

فكان ما قدموا لانفسهم • اعظم نفعا من الذي ودعوا •

ولذا قال في المصباح بهذا علم ان قولهم في علم التصريف اماتوا ماضي يدع ويذر غلط وجعله
استعارة من الوديعة تعسف **وما قلى اي ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك**
تفسير للقلى واختار الاول لمناسبته لما قبله فان كان المشهور الثاني والاهمال عدم التقيد مع الترك
فهو ترك مخصوص وقوله بعد ان اصطفاك اي اختارك وقربك بيان للواقع ويحتمل ان يكون من
معناه الوضعي كالهجران فانه انما يكون بعد المودة وهذا مروي عن ابن عباس وحذف مفعول قلى
اختصارا لعلمه به وليجري على نهج الفواصل التي بعده او لئلا يخاطبه بما يدل على البغض وقيل الاحسن
انه حذف ليعم نفسه واصحابه وامته فكانه قال له ما هجرتك للبغض ولا من يلوذ بك **الثالث
قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحاق** صاحب المغازي وقد تقدمت ترجمته
ما لك في مرجعك ما موصولة وروي مآلك بمد الهمزة اي ما يؤول اليه حالك ومرجعك اسم زمان
او مصدر بتقدير في وقت رجوعك من الدنيا الى الله في الآخرة **عند الله** اي في دار كرامته وجنته
وهو متعلق بما لك او باعظم واللام للآخرة لام ابتداء موكدة او جواب قسم ففيه تعظيم آخر اي كما
اعطاك في الدنيا يعطيك في الآخرة ما هو اعلى واكثر فلا تبال بما قالوه فهو وعد فيه تسلية
بعد ما نفي عنه ما يكرهه فهو تحلية بعد تخلية **اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا** من تقريبك واعزاز
ونصرك وقرة عينك بما تريد **وقال سهل** التستري السابق ترجمته في تفسيره **اي ما ذخرت لك**
بالذال والخاء المعجمتين اي ما اعددت لك من الذخيرة وهو ما يخبأ من النفائس ومن الغريب ما قيل
هنا ان الذخر بالمعجمة ما يكون في الآخرة وبالمهملة ما يكون في الدنيا قال التلمساني وهذا غلط او فقه
فيه قولهم يدخرون **من الشفاعة** بل الشفاعات التي ستاتي **والمقام المحمود** هو مقام الشفاعة العظمى
الذي يحمده فيه الاولون والآخرون او كل مقام يتضمن كرامة محمودة وعلى هذا يكون بمعنى ما قبله
وقيل المراد ان احوالك الآتية خير من السالفة في الدارين وقيل الدار الآخرة خير في المحبة والوصلة
الرابع قوله اي ما يقوله ما يتضمن ذكره او هو بالمعنى المصدري **ولسوف يعطيك ربك فترضى**
وقرأ ابن مسعود ولسيعطيك واللام للتاكيد وقال الزمخشري انها لام الابتداء وهي لا تدخل الا على
المبتدأ فتقديره ولانت وردّه ابن الحاجب بانه تكلف لما فيه من الحذف وخلع اللام عن معنى الحال لئلا
يجتمع دليلا حال واستقبال وليست اللام للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا موكدا بالنون **وهذه
آية جامعة لوجوه الكرامة** وانواع السعادة حيث اجمل ووكله الى رضاه وهذا غاية الاحسان فاذا
قلت كل ما ترضاه وتريده فقد عممت عموما بليغا ووجوه بمعنى ضروب او استعارة من الوجه المعروف
وهذه ثمرة مع قوله **وشتات الانعام في الدارين والزيادة** والشتات مصدر بمعنى التفرق اريد
به متفرقاته وتعني به انه يجمع فيك كل نوع من انواع النعم التي انعم بها على غيرك ممن اختاره واصطفاه
والزيادة على ذلك بما خصه به او الزيادة على النعم المعروفة بلقائه ورضوانه كما قال للذين احسنوا
الحسنى وزيادة او الاول ما في مقابلة عمله وهذا غيره او الاول ما وعده واعطاه وهذا لم يخطر بباله
ما سيعطيه وما قيل من انه عطف تفسير للانعام لا وجه له **قال ابن اسحق يرضيه بالفلج في الدنيا**
الفلج بفتح الفاء واللام وبالجيم وبضمها وسكون اللام الفوز والظفر بالاعداء ويكون بمعنى مطلق
الفوز وبفتح الفاء وسكون اللام ايضا فالمراد انه يفوز في الدنيا وينصره الله ويحميه **والثواب**

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في الآخرة الثواب الجزاء بالخير على فعل الخير في الآخرة هذا هو المراد وان كان حقيقته الاصلية
مطلق الجزاء خيرا او شرا او دنيا او آخرة وهذا كالوجه السابق فيه لاحتمالات السابقة فان جعلت الآية
شاملة لكل ما اعطاه الله من كمال النفس وظهور الامر وما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواء كان ايضا
قريبا ما قبله وقيل انه اشارة الى فتح مكة في الدنيا وقيل يعطيه الحوض والشفاعة الحوض ما يحفر
مع بناء او بدونه ليجعل فيه الماء للحاجة ووقع ذكر هذا الحوض في حديث مسلم بينا رسول الله اغفى
اغفاءة ثم رفع راسه وقال نزلت علي آنفا سورة وهي سورة الكوثر ودون ماء الكوثر هو نهر وعدنيه ربي
عليه خير كثير هو حوض ترده امتي يوم القيمة الخ وقوله هو حوض ان كان الضمير للنهر فالحوض هو الكوثر
وان كان للخير الكثير فهو غيره كما ورد في حديث آخر الكوثر نهر في الجنة عليه حوض عده وهذا التفسير روي
عن علي وابن عباس والحسن قيل ان ما بعده فيهما ولو مع الغير فلا كلام وان اريد التخصيص فلا بد من
قرينة وفي مسلم انه قال امتي وبكى فقال الله لجبرئيل قل له سنرضيك في امتك ولا نسوءك فتشفع
حتى تقول رب رضيت اقول اذا اراد الاعتراض فلا وجه له لان اللفظ محتمل له والنقل يساعده
فما المانع من حمله عليه وروي عن بعض آل النبي عليه السلام هو علي رضي الله عنه قال السيوطي
اخرجه ابو نعيم في الدلائل موقوفا واخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديثه مرفوعا وقال البرهان
الحلبي روي انه الحسن بن محمد بن الحنفية وهو اول المرجئة وقال الذهبي ان اول من تكلم في الارجاء
ذر بن عبد الله بن زرارة الهمداني ورواه الثعلبي مسندا وصاحب المعالم عن محمد بن علي ورواه ابن
ابي حاتم وابن جرير عن ابن عباس وهذه طرق تعضده انه قال فليس آية في القرآن ارجى منها
اي من قوله ولسوف يعطيك الخ وارجى افعل تفضيل من الرجا معناه اكثر رجاء والمعنى ان هذه الآية
اكثر رجاء من سائر آيات الوعد وهو مجاز اصله ليس سامع للقرآن وآيات الوعد ارجى من سامع هذه
الآية فجعل الآية نفسها ترجو مبالغة وهو من بديع الكلام • تنبيه اختلف في ارجى آية في القرآن
فقيل هذه • وقيل هل يجازى الا الكفور • وقيل قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى • وقيل
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير • وقيل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
الخ • وقيل يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين • لانه احتاط لدنيانا فكيف لا يحتاط لآخرتنا • وقيل
ولا ياتل اولوا الفضل منكم الخ • وقيل ولكن ليطمئن قلبي • واخوف آية ويحذركم الله نفسه
وقيل سنفرغ لكم ايها الثقلان • وقيل فاين تذهبون • وقيل غير ذلك ولا يرضى رسول الله ان يدخل
احد من امته النار وقد استشكل هذا الحديث بان دخول بعض العصاة النار امر مقرر فلو لم يكن من رضاه
لزم الخلف في الوعد ولذا قال القرافي لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين وان رد بانه ورد في الاثار
وفي قوله تع رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات وبان عدم الخلود مغفرة ايضا • واعلم انه
ورد هنا ان مقام الرضا بما يريده الله والتسليم مقام عظيم للسالكين فكيف لا يكون لسيد المرسلين ولذا
قال صاحب المواهب مما يغتر به بعض الجهال من انه صلى الله عليه وسلم لا يرضى واحد من امته في
النار او ان يدخلها احد من امته من غرور الشيطان فانه يرضى بما يرضى به ربه وهو اعرف بحقه من
ان يقول لا ارضى الخ ورد بانه جراءة وسوء ادب والوجه توجيه الحديث لثبوت رواياته وان ضعفت
ولا يبعد ان يكون عذاب العصاة لعصيانهم غير مرضي لله تع فلا يرضى به رسوله ايضا لان رضاه
على وفق رضى الله والرضى بالمقضي فمن يكون ممن موما فاذا لم يرض بعصيانهم ودخولهم النار لعدم رضى
ربه به يدخلهم الله الجنة ولو بالآخرة للوعد به والرضى بفعل الله انما يجب من حيث انه فعل المولى
لا من حيث هو

في ذاته لا من حيث انه امر الله فلا اشكال او الرضى مجاز عن ترك الطلب اي لا اترك طلب العفو عن
واحد من امتي في النار ولا يلزم عدم الرضى حقيقة وكم طلب لامته امورا وهو في مقام الرضى دائما واذا
وعد بالارضا فلا بد من ادخالهم الجنة لا اترك الطلب فافهمه فانه دقيق فلا ينبغي ان يجتري احد على
ابطال الروايات باوهام الشبهات وهذا محصل ما في شرح المواقف من ان للكفر نسبة الى الله تع باعتبار
فاعليته وايجاده ونسبة الى العبد باعتبار محليته واتصافه به وانكاره باعتبار النسبة الثانية
والرضى باعتبار النسبة الاولى وفي بعض الشروح يجوز ان يكون المراد نفي الرضى بالدخول على وجه الخلود
وانما قال ان يدخل دون ان يخلد قصدا لافادة نفي الرضى بالخلود على نهج المبالغة والاستدلال ويجوز
ان يكون المراد ولا يرضى ان يعصي الله احد من امته فعبر بالمسبب عن السبب الا ان سياق الكلام يأباه هـ
وقيل مقام الرضى انما هو في حق نفسه وهو بعيد الخامس ما عدّه الله عليه من نعمه وقرره من آلائه
النعم والآلاء بمعنى وعبر في النعم بالعد وفي الآلاء بالتقرير والتحقيق موافقة لقوله تع وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها وقوله فباي آلاء ربكما تكذبان فانظر حسن مقاصده وفي واحدة الآلاء لغات منها
الى بفتح الهمزة والكسر مع القصر والى والي بسكون اللام مع فتح الهمزة وكسرها والواو في بيان او عد
ما وعده قبله بكسر القاف وكسر الباء بمعنى عند اي عنده وفي جهته ويقال ليس لي بكذا قبل اي طاقة
في بقية السورة متعلق بعد وهو من قوله الم يجدك يتيما الى قوله فاما اليتيم الى آخره تنبيها على
انه كما احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي ثم اشار اليه بقوله من هدايته الى ما عدله او هلك
الناس به على اختلاف التفاسير بيان لما وعدله عام شامل للاقوال في تفسير قوله تع فهدى
اي ضالا او هدى الناس بك فهدايته مصدر مضاف للفاعل والمفعول اي هداك الشريعة ومعالم
النبوة والقرآن وتعليم ما لم تعلم او الطريق التي ضل فيها في طريق الشام او في شعاب مكة في صغره وكلها
اقوال مذكورة في كتب التفسير ولا مال له فاغناه بما آتاه قيل انه معطوف على مجرور من بتقدير انه
لا مال الخ ولو جعلت حالا جاز ووجد في الآية بمعنى علم وآتاه بالمد بمعنى اعطاه ولو قصرت على
معنى اتاه من عند الله مما اغناه الله به كمال خديجة وابي بكر ومال الغنائم بل بما في خزائن الغيب
الذي لو طلب ظهوره ملاء الارض وقيل عيالا في الآية الذين يتصوم من امته اذا غناهم الله به
وبما جعله في قلبه من القناعة والغنى القناعة في اللغة الرضا بما قسم الله او الاكتفاء بقدر الضرورة
والرضى به كما قيل
حا كل ما فوق البسيطة كافيا • واذا قنعت فكل شي كافي •
والقناعة كنز لا يفنى والغنى غنى النفس كما ورد في الحديث وقد رفع الله قدره عن الاحتياج
لخلقه وقد خيره بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار العبودية وقيل المراد غنى الظاهر
والباطن وهو تكلف لا حاجة اليه ويتيما فحدب عليه عمه وآواه اليه اي وجده يتيما الموت ابيه
قبل ولادته او بعدها بمدة يسيرة واليتيم الصغير الذي لا اب له قيل واليتيم في غير الانسان
من الام وفي الطير منهما وحدب بفتح الحاء المهملة ودال المهملة مكسورة يليها موحدة واشتهر بفتح
الدال وكذا وقع في بعض النسخ الا انهم قالوا انه غلط وهو من حدبة الظهر والمراد منه العطف
والشفقة وعمه فاعله وجوز بعضهم نصبه اي عطف الله عليه وليس بغلط كما قيل والمراد به ابو
طالب واسمه عبد مناف وحنوه على النبي صلى الله عليه وسلم ومحبته له امر مشهور في السير
كان يعظمه ويعرف نبوته ولكن لم يوفقه الله تع للاسلام وفي الامتناع ان فيه حكمة خفية من
الله لانه عظيم قريش لا يمكن احد منهم ان يتعدى على ما في جواره فكان النبي صلى الله عليه وسلم
في بدء امره في كنف حمايته يذبهم عنه كما قال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وَالله لن يصلوا اليك بجمعهم • حتى أُوسَّد في التراب دفينا • فلو انه لم
يكن له ذِمة عندهم ولذا لم يكن بعدهونه بل من الهجرة ومن الغريب مما نقله بعضهم من ان الله تعالى احياه
له فآمن به كابويه واظنه من افتراء الشيعة وقوله وآواه بالمد متعد اي ضمه لتربيته وحمايته
واوى بالقصر بمعنى نزل غير صحيح هنا والضمير للعم واما جده عبد المطلب فمات في صغره وعدم
احتياجه قبل البعثة لمن يحميه فما قيل من انه لم يتعرض لعطف جده عليه اولا لانه كالاب فكانه
لا يتم معه اولان عطفه امر عادي لم ينفعه حين ظهور الاعداء ونحوه والا وجه التعميم خطا منه
وقيل اواه الى الله اي قيل في تفسير هذه الاية ان معناها آواه الله اي ضمه الى نفسه ولم يحوجه
لحماية احد وابوائه وهذا في معنى ما حكي عن جعفر الصادق انه سئل لم كان النبي يتيما في صغره
فقال لئلا يكون عليه حق لمخلوق وقد روي هذا عن الحسن ايضا قيل فيه انه في صغره عليه حق
لغيرهما قطعا كابي طالب وحق ابويه اولى واسهل من حق غيرهما فالوجه ان يقال في حكمته ان فيه تسلية
ليتامى امته وان فيه مع ايوائه توطئة لشكر نعمائه من عطفهم عليه ولا وجود لابويه ولا يخفى
ان حق الابوين عظيم وتربيتهما وشفقتهما ليست كغيرهما فلو كانا حيين معه لكان ينسب اليهما
ايواؤه فلما فقدا علم عناية الله به واواه روي بالمد والقصر ومعناه بالمد ضمه اليه وهو اولى
واظهر وبالقصر من اوى الى منزله ياوي من باب ضرب اويا اقام قال في المصباح وربما عدي
بنفسه فقيل آوى منزله وانكر بعضهم تعديه وقال الازهري انه لغة فصيحة وقرئ بها في
الشواذ وهو غير ظاهر هنا ولذا قيل بمعنى رحمه وربّاه او جعل له ما اوى عنده وفاعل آوى
ضمير مستتر يعود الى الله كضمير اليه وكان الظاهر ان يقول آواه الله اليه قيل وانما عدل عنه
لما ذكر ولم يقله ولا آواه اليه لئلا يتوهم عود الضمير لعمه فيكون بمعنى ما قبله وفيه نظر وههنا
امران الاول ان المص غير ترتيبه فذكر الهداية ثم الاغناء ثم الايواء وابقى الاولين على ترتيبهما
فيه وقدم الثالث على اخويه وقد اعترض عليه بعض الشراح ووجه ما في النظم انه قدم عدم تركه
وقلاه اهتماما بالرد لما قالوه في سبب النزول لانه جواب لهم ثم اردفه بانه في الاخرة ايضا غير
متروك ولا مقلي وفيه ارغام لانوفهم وجواب اقوى من الاول ثم قال انه سيعطيه فيما ياتي
كلما يحب ويرضى في الدنيا والاخرة ثم كر على ذلك بتفصيل حاله المؤيد لجوابه فقال انه آواه في
صغره ويتمه وعدم المعين له فكيف يتركه بعد كبره وقد ربّه فقال الم يجدك يتيما فاوى فهذا
ناظر لقوله ما ودع وما قلى وعقبه بانه انعم من الضلال وهداه وهدى به لسبيل الرشاد ومن كان
هذا حاله دنياه فحال آخرته كذلك وهذا ناظر لقوله وللاخرة خير لك وثلث بانه اغناه عمن سواه
مع فاقته وعيلته فهو ناظر لقوله ولسوف الخ ففيه شبه اللف والنشر على تم نظام وكذا ما بعده
كما سياتي وهذا هو مقتضى المقام حال النزول والمص لما ذكر نعم الله عليه وعدها قدم اعظمها وهو
الهداية التي فيها سعادة الدارين ثم الغنى في البدن والقلب الذي هو اعظم النعم الدنيوية بعد
الهداية لسبيل الرشاد وهو لا يكون الا بعد الهداية ثم الايواء الذي هو بمعناه الظاهر دون هذين
فغير الترتيب واتى بترتيب متسق اقرب الى العقول الان اشارة الى ان النكات لا تتزاحم وان
الحسن يحسن في كل الناس وقيل انه قدم الثالث على اخويه لتقدمه بتفسيره الاول في الواقع
وتاخره في كلام المص لتاخره عنهما في العظم وتاخرهما عنه اولهما فيه مع ان المقام مقام بيان
عظم شانه فالاليق تقديم الاعظم فالاعظم وقيل الاظهر ان الاية وردت في مقام الاستدلال كما
ذكروه فقدم الاظهر فالاظهر فان اليتم والضم معلومان بالمشاهدة وقد اختار الفقر والقناعة وفي

غناه

غناه خفاء بالنسبة لتعليم الشرائع والمص قدم الاشرف تعظيما واثر هذا الاسلوب اشارة
لاشرفيته والى ان الانسب في مقام التعظيم تقديم الاعلى كما في البسملة وهذه امور متكلفة لا
تنزل ساحة التنزيل فالوجه ما قدمناه • الثاني انه في قوله آواه الى الله فيه نكتة وهو انه لو قال
آواه اليه لزم تعدي الفعل بالواسطة الى ضمير هو عين ضمير الفاعل وهو ممنوع عند النحاة
في غير افعال القلوب وعدم وفقد كما ذكروه في قوله تعالى فصرهن اليك فيحتاج لتقدير مضاف
ظاهر فلذا عدل المص عنه ولنا فيه كلام فصلناه في كتاب السوانح وقيل يتيما لا مثال
لك فآواك اليه اي قيل في معنى يتيما انه لا نظير له من قولهم درة يتيمة اي لا نظير لها
وتسمى فريدة ايضا لانفرادها عن نظائرها اي عدمك عديم النظير لانه كان واحدا في قريش
بل في جميع الخلق قال السجاوندي وهو قول ضعيف حكاه صاحب المشرع الروي وفيه ما تقدم
من تعديته لضمير الفاعل وجعله في الكشاف من بدع التفاسير ومعنى آواك اليه كأمر اصطفاك
او ضمك الى عمك ونحوه ففي مرجع ضمير اليه وجهان وفي نسخة لا مال لك ويؤيده ما في العالم
من تفسيره بالم يجدك يتيما فقيرا حين مات ابواك واورد عليه انه مصرح به فلا حاجة
لذكره مع ان اليتم لا يدل على الفقر واجيب بانه اعتبر الفقر فيه بدلالة الواقع وتنكير يتيما
لان في اليتيم مرغب في رعايته وكفالته فالمنة في ضم العديم دون المرغب انتهى والنعمة اعظم
واعاد ذكره ليمن عليه بازالته فذكر الاول بالتبعية والثاني لذاته وقيل المعنى الم يجدك
فهدى بك ضالا واغنى بك عايلا وآوى بك يتيما حكاه بقيل اشارة الى ضعفه والحامل
عليه ان وصف النبي بالضلال بحسب معناه المشهور غير ظاهر فلذا صرفه عن ظاهره ولذا
حمله بعضهم على فقده في صغره او خطوه في الطريق في سفره كما مر وقال السجاوندي هذا القول لا
يساعده اعراب ولا يصححه صواب فالاولى تركه لما فيه من تقديم المنصوب على عامله بالفاء
العاطفة لا الزائدة كما في قوله وربك فكبر مع وجود عامل مقدم ملاصق وهو مما لا يجوزه
النحاة وكذا جعله وجد متعديا لاثنين حذف احدهما اي وجدك رحيما فآوى بك يتيما
ويهتدى بك وهدى بك ضالا كان اوتيه واكثر النحاة ابوه ايضا وقيل في توجيهه ان قايله
ذهب الى ما قاله السدي انه من قبيل خطاب السيد بما لعبيده اي وجد قومك ضالين فهداهم
وقس عليه اخويه والمص نقله بالمعنى اذ القايل فسره بما يؤول اليه ثم ان قوله الم يجدك هنا
تفسير لوجدك بما آل معناه لتقاربهما وفي النظم غاير بينهما تفننا ووجدك بتقدير ما المساوية
لا لم معنى فكان الثلاثة داخلة تحت قوله الم يجدك فلذا ادخلها تحته ولا يخفى ما فيه من
التكلف ولذا قال بعض ... انه صرف للايات عن ظاهرها بلا دليل من غير مقتض ذكره بعدد
المنن ذكره بتشديد الكاف تفصيل من الذكر اي جعله متذكرا والمنن جمع منة وهي الاحسان وقيل
ذكره بمعنى وعظه لانه للتذكير ورد بهذا المعنى كما في قوله فذكر بالقرآن من يخاف وعيد
اي عظه به والذكر على الاول خلاف النسيان والمراد ذكره بتفصيلها او تفصيلها وان كان ذاكرا
لها وكيف ينسى مثله وقد قام حتى تورمت قدماه وقال افلا اكون عبدا شكورا وما قيل انه
لعدم شعوره بكونها مفصلة على ما رواه ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال سالت ربي مسالة
وددت اني لم اكن سالتها قلت اي رب قد كان انبيا قبلي منهم من سخرت له الريح وذكر سليمن
ومنهم من كان يحيي الموتى وذكر عيسى فقال الله الم اجدك يتيما فآويتك قلت بلى قال الم اجدك
ضالا فهديتك قلت بلى قال الم اجدك عايلا فاغنيتك قلت بلى الحديث مما لا ينبغي ولا دلالة

الألوكة
www.alukah.net

في الحديث لما ادعاه وما احسن قول بعض الشراح المراد اعلامه بما انعم عليه به وقيل انه لا اشتغال بتذكر النعم العظيمة المتجددة اذ النعم كلها على الاجمال يغفل عن تفصيلها وشكرها كذلك او انه جعل بمنزلة الغافل وعامله معاملته لكنه وان سلم ان هذا غير مناسب فالتذكير بمعنى الوعظ لئلا تغفل فلا تغفل والباء زائدة ثم اخذ في تقرير دليل في هذه السورة على انه ما قلاه بعد ما اصطفاه فقال **وانه على المعلوم من التفسير** ومروي على المعهود قال في المعلوم للعهد والمراد به جعل اليتم واخويه من احوال الدالا من احوال غيره وعلى متعلقة بما بعده وقيل بالتذكير والارادة المفهوم من الكلام **لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه** وقيل معرفته الضماير كلها له صلى الله عليه وسلم عن ضميرانه فانه لله او للشان اوله ويهمله بمعنى يتركه ويخلي بينه وبين نفسه والعيلة مصدر عال يعيل فهو عايل والجمع عالة كما في المصباح والفقر يقال عال اذا افتقر واعال اذا كثر عياله وليست العيلة بمعنى العيال كما تقول الناس حتى يقال الاولى ان لا يتوسطا بين الصغر واليتم والصغر بزنة عنب مفهوم من اليتم وقيل معرفته نفيس لقوله ضالا ولم يصرح به تادبا وان وقع في الآية موقعا حسنا والضلال قد يراد به ما وحل من غير قصده ماخوذ من الضلال عن الطريق ولذا نسب للانبيا وغيرهم مع ما بينهما من البون البعيد كما في هذه الآية ونظايرها كقوله فعلتها اذا وانا من الضالين ولله ان يقول في حق عباده ما شاء وليس لنا ان نقول مثله الا على سبيل الحكاية الا ترى ان السلطان يدعو اكبر خواصه باسمه ويسميه بوشمه فيعد تعظيما وملاطفة ولو خاطبه به غيره كان ترك ادب ينقصه كذا في غرة الحفاظ وهو كلام حسن وقال الهروي المراد قبل ان يعرف الشرائع والاحكام لقوله وعلمك ما لم تكن تعلم وليس في علم استعارة لتشبيه المعلوم بمكان عالم تقدم كما قيل **ولا ودعه ولا قلاه** اي ما ابغضه ولا تركه في هذه الحالة وهذا مفهوم مما في ضمنه اذ لو كان هذا لما هداه الى ما هدى واذا كان هذا حاله قبل البعثة واتمام النعمة ومعرفته بربه **فكيف بعد اختصاصه واصطفائه** كيف للاستفهام الانكاري على من قال انه ودعه كقوله كيف تكفرون بالله اي في اي حال يكون هذا بعد اختصاصه بزيادة قربه او جعله مخصوصا بفضائله الجليلة واصطفائه اي اختياره من بين خلقه قيل والمراد اظهار ذلك في عالم الشهادة وتقرير الدليل على ما قاله الامام ان كمالك وعبادتك بعد هذه الامور اتم حيث رقيناك قبل ذلك لكمال الى ذروة العلى فالاولى ان لا نتركك ولا نبغضك بعد الكمال والعبادة وقيل عليه انه لا يناسب تفسير الغنى بالغنايم ونحوها مما لا يتحقق بعد النزول وان جعل بمنزلة المحقق اذ لا بد من تحقق امر قبل الكمال ليعلم ثبوت مثله بعده بالاولى والمجاز المذكور لا يفيده فالاظهر في الاستدلال بالغنى حينئذ ان يقال سنخصك بالطاف جليلة او انا قدرنا لك ذلك فلا نتركك ولا نبغضك لانه مناف له فتدبره **اقول** الثابت في كتب التاريخ ان التفسير الكبير وصل الى سورة الانبيا وكمله تلميذه الجوني في نسخة ما ذكر الامام لا ينبغي وما اورده عليه غيره وارد لانه ليس في تفسيره المذكور تعرض للغنى فكيف يلزمه بما لم يقله ومن نظر في تفسيره عرف ما قلناه والله الموفق **السادس نشره** بصيغة المصدر المضاف لغا علة كما ضبطه به بعض او الفعل الماضي كما في المقتفي والاول اظهر ولا حاجة لتقدير ان المصدرية قبله كما في قوله تع ومن اياته يريكم البرق كما قيل لانه هنا الاولوية تدل عليه **باظهار نعمته عليه** هو عام شامل لجميع ما انعم به عليه وقيل المراد بالنعمة هنا النبوة او القرآن والاظهر الاولى هو الاول والخطاب والامر وان كان خاصا به فهو عام لامته تعليما لهم

والتحدث بالنعمة شكر لها وقد قالوا انه يحسن من الانسان الثنا على نفسه وذكر محاسنه وفضائله في مواضع استثنوها من الاصل الغالب على المكملين من هضم انفسهم وروي عن علي انه قال اذا اصبت خيرا فحدث به اخوانك ومن مواطن التحدث بالنعم ما اذا جهل قدره وتنوزع في امره وللسيوطي تاليف في هذا سماه نزول الرحمة في التحدث بالنعمة وقد روي مثله عن كثير من الصحابة والامر له بالتحدث بما اولاه يقتضي تعظيمه لان من امر غيره بشكر نعمة من نعمه انما يامره في العادة بما عظم عنده لاستهجان طلب الشكر على امر حقير وهذا يقتضي عظم المامور ايضا وقال بنعمة ربك فحدث دون بنعمتي اشارة الى انه رباه وفيه ايضا اشارة الى عظم قدره عنده وعنايته به ففي هذا تعظيم له في الامرين الاخرين ولذا لم يذكرهما المصنف فاندفع ما قيل من انه بقي هنا شيء لم يذكره وهو ارشاده لمكارم الاخلاق بقوله فاما اليتيم فلا تقهر الخ وخص اليتيم لانه لا ناصر له الا الله هو والسوال الذل وهما منصوبان بالفعل بعدهما بتقدير مهما يكن من شيء فاما الخ فلا حاجة لما تكلف في الجواب **وشكره ما شرفه به بنشره واشادة ذكره بقوله فاما الخ** مجرور معطوف على اظهار وليس عطف تفسير كما قيل بل بيان لان اظهار النعم اذا لم يكن رياء ولا لغرض آخر يكون شكرا لمنعم ونشره اذاعته واظهاره للناس والاشادة بكسر الهمزة وشين معجمة ودال مهملة هو رفع الصوت به وهو كناية عن اعلام الثقلين وقوله بقوله تنازعه امره وما بعده **فان من شكر النعمة التحدث بها** اي من التبعيضية اشارة الى ان للشكر طرقا اخر هذا منها كاظهار المطاعم والملابس والملابس والمركب وفي الحديث التحدث بالنعمة شكر وفيه اذا انعم الله على عبد بنعمة احب ان يرى اثرها عليه وما ذكره المصنف هنا منقول عن مقاتل وليس فيه تخصيص بنعمة كما توهم **وهذا خاص له عام لامته عليه السلام** الاشارة الى الامر المذكور اي هو بحسب الظاهر والمورد خاص به لانه المامور بحسب الظاهر وهو عام شامل لجميع الامة لان امره امر لهم ما لم تقم قرينة على انه من خصائصه فهم مامورون بمثل الامر او بامر اخر والقول بان المراد انهم مامورون بالشكر لانه واجب عليهم تكلف **وقوله تعالى والنجم اذا هوى الى آخره** تعالى جملة معترضة وقيل انها حال لازمة من فاعل قال اي متعاليا عما لا يليق بجنابه ذكر هذه الآية لتضمنها القسم لاجله صلى الله عليه وسلم ثم استطرد لذكر ما معها من الآيات استقصاء لما فيه تعظيمه **اختلف المفسرون في قوله والنجم اذا هوى باقاويل معروفة** اقاويل جمع اقوال فهو جمع جمع عبر به للدلالة على كثرتها والباء متعلقة بالمفسرين او بمقدر من جنسه لانه يقال فسره بكذا فيتعدى بالباء وهو وان كان بعيدا اظهر مما قيل ان تقديره اختلافا مصحوبا باقاويل او مفصحا عن اقاويل واذا في هذا ونحوه قيل انها للحال ظرف للقسم او كائنا المقدر وليست للاستقبال لان اقسام الله قديم وقال ابن هشام لا يصح تعلقه باقسم الانشائي لان القديم لا زمان له لتقدمه على الزمان فهو متعلق بكائنا باقيا على استقباله بدليل صحة مجيء الحال المقدرة واجاز بعضهم انه متعلق بالعظمة المفهومة من القسم فالمعنى اقسم بالنجم العظيم اذا هوى فان اريد بالنجم الجنس وهويه غروبه فعظمته دلالته على حدوثه الدال على وجود الصانع وان اريد القرآن النجم نزوله فعظمته بدلالته على الاحكام وان اريد به النبي ونزوله بعد المعراج فعظمته بدلالته على تكريم من هو اعظم من كل عظيم كما قيل وفسر الهوى بالطلوع ايضا **اقول** هذا كلام غير مهذب فان كلام الله قديم لفظا ومعناه النفسي وكل ما فيه مما يدل على الزمان كالظروف والافعال ليس بمجاز بل حقيقة باعتبار متعلقه وظهوره لان علم الشيء في زمان لا يقتضي ان يكون ذلك

شبكة الألوكة www.alukah.net

العلم في ذلك الزمان كما حققه علماء الكلام وهذا المقام لا يسع تفصيله وتحقيقه مع انه
لشهرته غني عن البيان **ومنها النجم على ظاهره** فيراد به جنس النجم او الثريا او الزهرة لان من العرب
من كان يسميها والثريا ليست نجما واحدا بل عدة نجوم اختلف في عددها على اقوال قيل ستة • وقيل
سبعة • وقيل تسعة • وقيل احد عشر • وقيل اثنا عشر • والنجم صار علما لها بالغلبة وفي الحديث
ما طلع النجم قط وفي الارض من العاهة شيء والهوي الغروب او الطلوع كما مر ولا حاجة الى جعل الثاني
مفهوما من النجم لانه يقال نجم الشيء اذا اطلع والقسم به لانه مخلوق بديع دال على صانعه وقدرته
وكذا في الهوي بمعنييه **ومنها القران** لانه نزل نجوما مفرقة بحسب المصالح وقال بعض المفسرين انه نجوم
للقرآن من قولهم نجم الدين اذا جعله حصصا ومن الغريب ما قيل انه الصحابة لقوله اصحابي كالنجوم
حكاه التجاني هنا وهو ثم من تم على هذا وهو بعيد وجعفر الصادق تقدمت ترجمته
انه محمد صلى الله عليه وسلم لم ينقل ومنها لانه مع ما قبله كوجه واحد لشدة مناسبته له وهذا وان
سبق لا يعد تكرارا لاختلاف الغرض فيهما والقول بانه ليس منها لا وجه له فالمقسم به واحد
وهو امر مستحسن عند البلغاء كما ذكره الزمخشري • لقول البحتري • وثناياك انها اغريض •
فانظره في شروح الكشاف ولنا فيه كلام في السوانح وقد تقدم تفسير هويه على هذا **وقال سهل**
تقدمت ترجمته **هو قلب محمد** اطلاق النجم عليه ظاهر كما اطلق السراج واما اطلاقه على قلبه فلاشراقه
بالانوار الالهية وهو منبعها ومنبع الهداية وان كان فيه خفاء وقيل انه النبات الساقط على
الارض والنجم ما لا ساق له وما له ساق شجر وقيل تقديره ورب كما مر وذكر المصنف السلام بدون
الصلاة وقد قيل انه مكروه مع ان الذي في النسخ الصحيحة صلى الله عليه وسلم مع انه يحتمل انه تلفظ به
ولم يكتبه او مذهب المصنف عدم كراهته **وقد قيل في قوله تعالى والسماء والطارق وما ادراك**
ما الطارق النجم الثاقب الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بشدة اضاءته والطارق اصل معناه
من ياتي ليلا لانه يطرق الباب المغلق ليلا والارض برجله ثم غلب على النجم لظهوره ليلا ومنه الطريق
لانها مطروقة بالارجل وقيل الطارق زحل وكلما يرى ويظهر ليلا يسمى طارقا قال الزمخشري اراد الله
ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما لما فيه من عظيم قدرته ولطيف صنعه فابهمه ثم فسره **ان النجم**
هنا ايضا محمد عليه السلام وذكره لان الله اقسم به على حفظ كل نفس فكيف بمن هو انفس الانفس
فهو اشارة الى عصمته وبهذا الاعتبار يكون مما نحن فيه فان لم يلاحظ هذا يكون تابعا للقول بجعفر
فلا وجه لما قيل من ان الاحسن ذكره في فصل القسم به السابق والقول بانه اشار الى عدم الاستيفاء او
انه غفل عن ذكره هنا فتذكر وذكر وعلى هذا فالطارق اشارة الى انه اتى وقد دجى الكفر واظلم او لان
معناه سالك الطريق كما قاله الراغب والسلمي بضم السين وفتح اللام تقدمت ترجمته **تضمنت**
هذه الايات من فضله وشرفه العد التضمن الاشتمال وجعله في ضمنه اي وقتها كما يخفي الضامن
ما ضمنه قال المؤلف والعد بكسر العين المهملة وتشديد الدال المهملة الماء الدائم الجريان الذي
لا تنقطع مادته والقديم والكثير ويصح ارادة كل منهما وعلى الاول فيه تشبيه له لكثرة الانتفاع
به وعلى مع انه لا ينقطع عنه مدد الفياض المطلق وفيه تجنيس **ما يقف دونه العد** بالفتح
والتشديد من شبه العد والاحصاء برجل يجري ليصل الى الاحاطة بمناقبه فيبعد عنه حتى اعيا وانقطع
دون مرامه ففيه استعارة تمثيلية وتقدير صاحب العرايس هب بروق الكلام ومائه ودون
هنا بمعنى قبل كما في قول ابن دريد •
• ان امرأ القيس جرى الى مدى • فاعتاقه حمامه دون المدى •

وقد تقدم

وقد تقدم الكلام عليها في الخطبة **اقسم جل جلاله** هو كجل جده كما مر وفي نسخة جل اسمه
على هداية المصطفى وتنزيهه عليه السلام عن الهوى هذا ما دل عليه قوله ما ضل صاحبكم
وما غوى وما ينطق عن الهوى اشارة الى نفي الضلال والغواية كناية عن الهداية وان توهم في
بادي النظر ان بينهما واسطة فان الصغير ونحوه ليس بضال ولا مهتدي لكنه لما اكد بنفي الغواية
دل على ان المراد اثبات الهداية له على وجه بليغ وكذا نفي النطق بالهوى المراد به انه ليس له هوى
ولا نطق به وعلى منواله قوله • ولا ترى الضب بها ينجحر • ولذا ذهب المفسرون لما ذكر
والهوى ميل القلب الى خلاف الصواب وحب الشهوات **وصدقه فيما تلاه وانه وحي يوحى**
فيما تلاه متعلق بصدقه وتنازع فيه هو وما قبله والذي تلاه هو القرآن والتلاوة في عرف
اللغة والشرع تختص به وان كانت قد تطلق على مطلق التكلم لانه من تلاه يتلوه اذا اتبعه
وهو وحي متبع وضميره انه راجع لما هو القران والوحي يطلق على معان كالكتابة والاشارة
والرسالة والالهام ونحوه مما فيه مصلحة واتى بيوحى بعد الوحي للتاكيد ودفع المجاز وافادة انه
يتجدد شيئا فشيئا كما يشير اليه النجم والاول بالمعنى اللغوي فهو تاسيس وقيل الحكم على كل ما ينطق
به وانه يجوز في قوله ان هو الخ ان يكون استئنافا غير مقسم عليه وفي ضمير ينطق ان يكون
للقرآن ويمكن تطبيق كلام المصنف عليه ولم يذكر الحصر المذكور في النظم اشارة الى ان فحوى
الكلام يفيده لان المقصود نفي وجود البطلان واذا تبين انه وحي على اكد وجه دل على هذا
كما لا يخفى فلا يرد عليه ما قيل انه اخل بالحصر والقسم على الاثبات والنفي الذي افاده قوله
ان هو الا وحي يوحى وهو انسب بتعظيم القرآن الذي جاء به النظم المقتضي لتعظيم من جاء به
وتبجيله وهو المناسب لما قصده المصنف ثم اتى بكلام اوهم انه اوفق بقدرته وما آله ما ذكرناه
وهو مسبوق به ثم قال كيف يتوجه القسم الى قوله ان هو الخ مع انه لم يدخل عليه القسم ولم يعطف
على مدخوله والجواب انه بيان لقوله وما ينطق عن الهوى سواء كان المراد انه ينطق بوحي
متلو هو القرآن او ان كل ما ينطق به مما يتعلق بالدين وحي من عند الله ولذا رجح القسطلاني
عود ضميره الى النطق المفهوم من ينطق وليس عائدا للقرآن فان نطقه بالقرآن والسنة وكل
منهما وحي من عند الله ولذا فسر قوله وانزل عليك الكتاب والحكمة بالقرآن والسنة لانها كانت
تنزل عليه كما ينزل القرآن **او صله اليه عن الله جبريل وهو الشديد القوى** اي اوصل الوحي
بمضمونه كما بيناه فلا وجه لما قيل ان كان المراد القرآن فلا خلاف فيه وان كان كل ما ينطق به
فهو على التغليب والمراد انه اوصله بواسطة غيره او بلا واسطة والشديد القوى من اضافة
الصفة المشبهة لفاعلها اي قواه شديدة والقوى جمع قوة واصل معناه طاقة الحبل المفتول
وجبريل عليه الصلاة والسلام موصوف من بين الملائكة بالقوة العلمية لتلقيه عن الله ما لا
يقدر غيره على تلقيه والقوة الحسية كنقله قرى قوم لوط واهلاكه بعض القوم بصيحة منه
ونزوله من فوق السموات في طرفة عين وقيل الشديد القوى هو الله العظيم القدرة **ثم اخبر الله**
تعالى عن فضيلته بقصة الاسرا الباء للالصاق متعلقة باخبر او للسببية بفضيلته وثم
للاشارة الى بعد هذه القصة عما قبلها بالزيادة شرفها والاسرا اسراؤه من مكة لبيت المقدس والمعراج
عروجه منه الى الملأ الاعلى فلا يناسب تفسير الاول بالثاني وان كان كل منهما يطلق على الاخر
والفضيلة ما اكرمه الله به من تقريبه وتشريفه بما لا يعلمه غيره وابتداء القصة من قوله
فاستوى الى قوله لقد رأى من ايات ربه الخ فانها في المعراج في قول طائفة قيل والاصح ان قوله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولقد رآه نزلة اخرى المراد به رؤية جبريل على صورته الاصلية ويؤيده ان ما قبله ليس حكاية
عما في المعراج على راي الاكثرين ولم يتعرض المص لتفصيله بل اتى بثم معقبا بقوله **وانتهائه**
الى سدرة المنتهى السدرة واحدة السدر وهي شجر النبق وهذه من جنسها ولذا ورد ان نبقها كقلال
هجر وهي عن يمين العرش وورد انها في السما السادسة والسابعة ووفق بينهما بان اصلها في السادسة
وفروعها في السابعة واضيفت للمنتهى بمعنى الانتها او محله لانها ينتهي اليها علم المقادير او الارواح
او الملايكة وسياتي تفصيل حالها في مبحث الاسرا وفي الرؤية في قوله ولقد رآه نزلة اخرى عند
سدرة المنتهى في المرئي اختلاف ايضا هل هو الله او هو جبريل على صورته الاصلية والمعراج هل
كان الى السما او الجنة او لما فوقها وما ذكره المص من انتهائه لا ينافي انه لما فوقها **وتصديق بصره**
فيما راى اي تصديق الله له في رؤيته بقوله ما زاغ البصر وما طغى الخ كما سياتي اي ما راه واعتقده
بسبب رؤيته حق مطابق للواقع والرؤية وان كانت فعلا لا انه يقال صدقت فعله اذا اثبته
اثباتا متيقنا لانه لم يجاوز بصره ما راه ولم يمل عنه ولم يعدل عما امر برؤيته ومدح الله له دليل على
عدم خطابه لتركه الالتفات تادبا فلا وجه لما قيل انه لا يدل ما قيل على تصديقه وهذا معنى
قوله ما كذب الفواد ما راى اي بصره مما مر اي ما كذب بصره فيما حكاه له فان الامور القدسية
تدرك بالقلب ثم بالبصر او ما قال فواده لما راه لا اعرفك ولو قال لكذب لانه عرفه بفواده كما
راه ببصره يقينا لا تخيلا كما قاله بعض الشراح وانه راى **من ايات ربه الكبرى** اشارة الى
قوله تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى ومن بيانية مبينة لمقدر او تبعيضية او زايدة اي راى
ليلة اسري به الكبرى من ايات ربه وعجايبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقيل انها
المعينة بما راى والكبرى صفة الايات والمفعول محذوف او مفعول من ايات حال مقدمة
وعلى البيان فهو راء لجميع الايات وعلى التبعيض المرجح بعضها وزيادة من في الاثبات مرجوحة
عند النحاة فالمعنى انه راى ما راى مما لا يمكن وصفه قيل والاضافة الى الرب تدل على انها غيره
ولو راه لكان الظاهر ذكره دون اياته قاله صاحب الكشاف وفيه كما قيل نزغة اعتزالية وفيه نظر
وقد نبه على مثل هذا في اول سورة الاسرا ضمير نبه لله والتنبيه يكون ايقاظ النايم
وارشاد الغافل ومطلق البيان لكنه ايماء الى كونه بالدليل يشير الى قوله في اول سورة الاسرا
لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير وجعله مثله لانه في سورة النجم ذكر تحقق رؤيته بخلاف
هنا مع شموله لما قبل العروج وبعده لقول المفسرين ان المعنى لنريه من اياتنا بعض رؤية السموات
وما فيها من العجايب ومشاهدته البيت المقدس ومقامات الانبيا ومواطن عباداتهم وتمثلهم
له وبينهما مناسبة بل لانهما على رؤية الايات الكبرى الا ان فيها اشارة باضافة الايات له
بضمير العظمة وجعل نفسه هو السميع وهو البصير الى زيادة قربه وعظمته كما لا يخفى على من له
ذوق وافتتحها بسبحان الدال على التنزيه نفيا للجهة المتوهمة واشارة لبراءته مما حمله عن
استبعاد ما استبعده حتى قالوا ما قالوه **ولما كان ما كاشفه عليه الصلاة والسلام**
من ذلك الجبروت لما بالتشديد وفتح اللام وما موصولة وكاشف فاعل من الكشف وهو رفع
الغطا والكشف عن الشي يقتضي معاينته ومشاهدته ولذا وقع هنا عبارة عن المعاينة ولذا
علق به قوله من الجبروت وعطف عليه قوله **وشاهده من عجايب الملكوت** عطف تفسير فلذا
ولجله لما قيل المناسب ان يقول فشاهده لان المشاهدة اثر الكشف لصحة قولك كشف فشاهد
لكنه راعى السجع اذ لا يصح ان يقال رفع غطا ما هناك من الجبروت لان المراد انه عاين الجبروت

ناظم

واطلع عليه لرفع غطاه والجبروت فعلوت بفتح الفا والعين ولام مضمومة تليها واو ساكنة
وتا طويلة وتسكين البا والهمزة غلط كما قاله ابن مكي تثقيف اللسان وهو بمعنى العظمة والجلال الذي
وهو القهر من تجبر بمعنى تعظم كما في القاموس وله معنى آخر غير مناسب هنا وقيل المراد بالمكاشفة
الدلالة لانه معنى من المعاني لا يشاهد ولو ابقي على ظاهره جاز وقيل المكاشفة غير المشاهدة م
فالفعلان ليسا صلة لموصول واحد بل المراد الجنس الذي كاشف بعضه وشاهد بعضه او
بناء على تجويز انه حذف منه بقاء صلته وهو تكلف لا حاجة اليه والملكوت عالم الغيب والملك عالم
الشهادة قال تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وهو مصدر ملك مع المبالغة وهو مختص
بالله قيل وكان الاظهر ان يقول عجايب الملك والملكوت وفيه نظر **لا تحيط به العبارات** والعبارة
اللفظ المعبر به عن المعنى من العبور وهو المرور قال ثم الاغابري سبيل اطلق عليه لتوهم ان
الفهم يعبر عنه وفي المصباح البيان بكسر العين وحكي في المحكم فتحها ايضا انتهى اي تقصر العبارة
عن ادايه لكثرته بحيث لا تفي العبارة بتفصيله او هو على اطلاقه مبالغة قيل وهو ناظر الى ما شاهده
وقوله **ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول** ناظر الى ما كاشفه على اللف والنشر المشوش
وهو مبني على تغايرهما كما مر وتستقل استفعال من اقله عن الارض اذا رفعه ثم صار بمعنى حمله ومنه
القلة ويكون استفعالا من القلة اي عده النبي قليلا واستقل بالامر استبد وانفرد كما قيل

ربما قصر الصديق المقل • عن حقوق بهن لا يستقل

وهذا هو المراد اي لا يقدر على حمله الا بقوة قدسية ومساعدة ربانية وقيل المراد الاول اي لا
تطيق العقول غير عقل النبي صلى الله عليه وسلم حمله وادنى افعل تفضيل بمعنى اقل اي لا يقدر
على اقله فضلا عن كله واكثره وفي كلامه مبالغة واغراق حيث اضاف الحمل للسماع وهو كالحمل للثقل
الحديث يعني ان التعبير عنه غير ممكن ولو امكن لا يتحمله ويعيه سامعه **رمز عنه تعالى بالايما**
والكناية الدالة على التعظيم جواب لما وفاعله ضمير مستتر لله عز وجل والرمز في الاصل الاشارة
الخفية بالعين او الحاجب ونحوه والايما الاشارة بالراس ونحوه والرمز كالاشارة يتعدى بالى
قال الشاعر • رمزت الي مخافة من بعلها • والمص عداه بعن لتضمنه معنى التفسير
والكناية في عرف اهل المعاني ما يراد به لازم معناه الحقيقي مع جواز ارادته وعند اهل الاصول
ما يقابل الصريح وهو المراد هنا يعني انه اتى بالموصول الاسمي المبهم ومثله يستعمل للتعظيم لما فيه
من الاشارة الى انه لا يدرك كنهه كقوله عز وجل فغشيهم من اليم ما غشيهم وقوله

ما كان ما كان مما لست اذكره • فظن خيرا ولا تسال عن الخبر

مع ترك المفعول ايضا وهذا مما اتفق عليه النحاة والمعاني الا ان فيه اشكالا لانهم اشترطوا
في الصلة ان تكون معلومة وقد معهودة حتى يتعرف بها الموصول واذا كانت مبهمة لم يعرف معناه
حتى يعرف غيرها بها وقول ناظر الجيش ان هذا فيما لم يقصد ابهامه لا يجدي نفعا وان تبعه من
بعده كالدماميني فالتحقيق ان يقال الاتيان بها مبهمة من اعلى طبقات البلاغة لان الذهن
يذهب كل مذهب فيقع في النفس موقعا عظيما فيتصوره السامع بصور الطريق ويرتسم في ذهنه
اشد ارتسام وليس المراد بالعهد الا هذا فاعرفه **فقال تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى**
هذا وما ساتي تفسير تفصيل للرمز عما كاشفه وشاهده مع الاشعار بما في الابهام من
التعظيم وقيل هذا مبني على ان الكبرى صفة الايات ومن تبعيضية وفاعل اوحى الاول والثاني
رب العزة اي اوحى الله ما اوحاه الى نبيه او هما ضمير جبريل لا ان الاول لله والثاني لجبريل

الألوكة www.alukah.net

او العكس وان كانت ما فيهما مبهمة ظاهرا وكلام المصنف في الباب الثالث يقتضي اختلاف الضميرين فيهما • اقول يعني انه على بعض الوجوه لا يكون من قبيل النوع المذكور عند اهل البلاغة كما صرح به القائل والصور على هذا اثنى عشر وجها تجري في هذه العبارة من ضرب وجوه من الثلاثة في اربعة جاءت من اتحاد الضميرين واختلافهما فان ضربناها في وجهي الكبرى كانت اربعة وعشرين ولكن ما قاله لا وجه له فان البلاغة والمبالغة انما جاءت من الابهام وهو موجود في سائر الوجوه لدلالتها على ان ما اوحي اليه لا يحيط به نطاق العبارة ولا تسعه الاسماع والاذهان البشرية ولا تطلع شرفاته الا النفس القدسية **وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز** الايما والاشارة والوحي كلها بمعنى واحد هنا وهذا نوع من محاسن الكلام البليغ صرح به المبرد في كامله وسماه الايما وصرح به التبريزي في شرح ديوان ابي تمام وفي الكشاف اشارة اليه وقد وقعت هذه التسمية في كلام العرب ايضا كقوله

• يرمون بالخطب الطوال وتارة • وحي المريب مخافة الرقباء •

وهو ان يقصد بالكلام معنى غير ما وضع له وغير لوازمه المعروفة فيؤخذ منه معنى لطيف يفهمه اهل اللسان الاذكيا ولدقته سموه بهذا الاسم ومثلوا له بقوله • جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط • فانه اراد انه ممزوج بماء كثير حتى مال لونه للرمادية ثم كنى به عن ذمهم وبخلهم • ومنه قول المنادي في صفة واد •

تروع حصاه حالية العذارى • فتلمس جانب العقد النظيم •

وقد صرح به اهل المعاني قال ابو هلال في كتاب الصناعتين في فصل عقده لهذه الاشارة ان يكون اللفظ القليل مشارا به الى معان كثيرة بايماء اليها ولمحة تدل عليها وذلك كقول الله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى وقول الناس لو رأيت عليا بين الصفين انتهى ثم اورد له امثلة وشواهد كقوله

• ايقتلني وانا انا [illegible] • وقوله

• هذا رجاي وهذي مصر عامرة • وانت انت وقد ناديت من كثب •

كما فصلناه في طراز المجالس وهذا ليس له عبارة مخصوصة كالموصول وما نحن فيه فان الايجاز من لوازمه وهنا لما قال فاوحى الى عبده ما اوحى قصد انه اوحى له باسرار بواسطة غير البشر وبغير واسطة لا يمكن تفصيلها ولا تقدر العقول على ادراك حقايقها واراد بهذا ان له مرتبة عظيمة عند الله تعالى وانه من الزلفى والقرب بمنزلة لم يصل اليها سواه ولذا عبر بالعبد اشارة الى انه ليس باجنبي في مقامه الى غير ذلك من المعاني التي لو فصلناها ضاق عنها نطاق البيان وبعض الشراح لما لم يقف على مراده قال التسمية وحيا لعلة اصطلاح قديم وهو نكتة لايراد المبتدا موصولا والابلغية فيه بالايجاز وفيه انه ليس بلازم هنا كما اذا قلت في شيء واحد علمت ما هو كراهة ان يطلع عليه غيرك فما ذكره ممنوع وتعقبه من قال انه اتم انواع الايجاز لاداء المراد بلفظ اقل من المتعارف فيه وقد ترك تفصيله لعظمته ثم منعه وزعم دفعه بما لا محصل له ولبعض الشراح هنا كلام لا محصل له اضربنا عنه لعدم فائدته والعجب من عدم اطلاع هؤلاء وخبطهم خبط عشواء والنقد تمييز الجيد من الردي بنظر سديد ففيه استعارة لتشبيه الكلام بالذهب ونحوه والعارف به كالصيرفي وقوله وهذا النوع اشارة الى هذا الكلام وامثاله او الى النوع الذي في ضمن جزئي من جزئياته فلا يرد عليه ان ما ذكر ليس بنوع بل كلام شخص والمراد باهل البلاغة البلغاء او العلماء بعلم البلاغة والبلاغة معروفة عندهم ۝

وقال تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام عن تعيين تلك الآيات الكبرى انحسر يعني اعيا وكل وتاه من التيه وهو الضلال في الطريق

والتحير

والتحير والافهام جمع فهم وهو الادراك والاحلام جمع حلم بزنة فعل وهو العقل ويكون بمعنى ما يراه النائم وليس بمراد هنا خلافا لمن توهمه وشبه الطالب للوقوف على المعنى بسالك في الطريق الطويلة التي يتعب المسافر فيها وقد يخفى عليه فيضل فيها ففي قوله تاه والتحير مناسبة تامة والتفصيل التبيين وضد الاجمال والتعيين تحقيق عين الشيء وفي ذكر التفصيل مع الاخبار والتعيين مع التيه لطف تام والاشارة بتلك للآيات وقيل للمرئي منها وهو آيات كبرى لا الى جميعها لما مر من ان احتمال رؤية البعض هو الراجح فيليق حمل كلام المصنف عليه وان كان خلاف الظاهر مع ان التعظيم انما يستفاد من حذف المفعول الذي هو بعضها واعتبار ان النفس بلقد رأى من آيات ربه الكبرى ما رأى وفيه نظر **قال القاضي ابو الفضل** هو المصنف **اشتملت هذه الآيات على اعلام الله تعالى بتزكية جملته عليه السلام** اي مجموعها من قوله والنجم الى قوله الكبرى وان لم يكن كل واحد منها مشتملة عليه والتزكية تطهيره عن النقايص البشرية وجملته ذاته وصفاته الظاهرة والباطنة ونفسه القدسية واذا اخبر الله بذلك فقد جعله زكيا ۝ **وعصمتها من الآفات في هذا المسرى** العصمة من عصمه يعصمه من باب ضرب اذا حفظه وصانه واعتصمت بالله اي امتنعت والاسم العصمة والمسرى مكان السرى او نفس السرى على انه مصدر ميمي والآفات جمع آفة وهي ما يعرض من المفاسد ولما اخبر الله تعالى في هذه الآيات بما حصلت به التزكية كان كانه اعلم بها نفسه ولذا فسره المصنف بقوله **فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه وقلبه** قال السيوطي وقع في نسخة وزكى بالواو والصحيح انه بالفاء التفسيرية المفسرة لقوله اشتملت والواو مخلة بالمعنى ولا وجه لما قاله فان العطف التفسيري كما يكون بالفاء يكون بالواو كما في قوله انما اشكو بثي وحزني وقد يكون ابلغ اذا قصد انه لمغايرته بالتفصيل والاجمال كانه غيره والفؤاد القلب عبر به اولا لموافقة الآية وعبر بعده بالقلب فرارا من صورة التكرار وقيل الفؤاد وعاء القلب فذكر المحل واراد الحال وقيل هو داخله ويكون بمعنى العقل ويجوز ارادته هنا والاول اصح واوضح واللسان معروف والجوارح جمع جارحة وهي العضو الذي يكتسب به كما في الصحاح ويعلم ما جرحتم اي اكتسبتم والاظهر اختصاصها بالاعضاء الظاهرة كاليدين وجعلها شاملة للقلب لاكتسابه بعض الامور او على التغليب فهو تعميم بعد تخصيص تكلف ولم يذكر هنا الا اللسان والبصر ولذا قيل بعض جوارحه او هو بنا على ان اقل الجمع اثنان او هو بالنظر لكل من العينين او لجعل هذين العضوين بمنزلة الجميع او عبارة عنهما لان المرء باصغريه قلبه ولسانه وهما كالسلطان والوزير وما عداهما تبع لهما والذي في نسخة الشراح هنا قلبه **بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى** اي بدون واو وهو الظاهر لانه بدل مما قبله مفصل من مجمل وقد جوز في مثله ان يكون بدل كل وبعض بتقدير من او بدونه وفيه كلام فصلناه في غير هذا الكتاب وفي بعض النسخ وقلبه بالواو وعلى نهج ما مر في العطف التفسيري وروي فزكى قلبه بالفاء التفصيلية التفسيرية على اللف والنشر او هو استيناف جواب سؤال مقدر تقديره كيف زكاه فقال قلبه الخ والمقام مقام بسط وتطويل وهو مقبول من مثله فالقول بان فيه طولا او لو قال فزكى قلبه بقوله الخ ثم نصب لقلب وما بعده كان اولى ۝ واخصر غير متجه والكذب معروف يوصف به الكلام والمتكلم والمعنى ما كذب الفؤاد ما رآه اي اعتقد وهو غير مقبول عند المصنف لانه يأباه ما زاغ البصر وما طغى وقال المفسرون ان القلب لم يوهم العين ولم ينكر ما رآته ويلزم من تزكيتها تزكيته فلا يقال ان التزكية حينئذ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

للعين لا للقلب لان قبوله الحق تزكية له وهذا مراد من قال ما قال فؤاده الذي رآه بصره
لم اعرفك كما قاله القاضي ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه وهل المرئي الرب او غيره سياتي
تفصيله والمراد نفي الخطا عن اعتقاداته **ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى** وهذا وان لم
يكن مخصوصا فيكفي شموله له الا اذا اخص بالقرآن كما ذهب اليه الاكثر الا انه بنى كلامه على بعض
الاقوال **وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى** اي ما مال بصره صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا
ولا تجاوز حده في نظره لما هو امامه ففيه تزكية لبصره وهو تزكية او بيان لثبات جنانه وكمال
ادبه وهو في رؤيته لربه جل وعلا في معراجه كما سياتي **وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار
الكنس الخ** هي النجوم فالخنس الكواكب الرواجع وهي ما عدا النيرين من المسيرات ولذا وصفها
بالجواري لسيرها والكنس التي تغيب في مغاربها من كنس اذا دخل كناسه والكناس مقر الظبي كالغيل
للاسد والوكر للطير والجحر للحشرات والبيت للانسان فهو على التشبيه والخنس لقصر الانف والظبا
توصف به والشيطان من الجن مردتهم وقد يخص بابليس من شاط اذا احترق او من شطن اذا بعد
وهو انسب بالرجيم لانه المرجوم بالشهب لطرده وابعاده لا اقسم انه لقول رسول كريم اي كريم
عند مرسله وهو الله عز وجل وعلى عدم الزيادة الله واضح غير محتاج للتاكيد بقسم وغيره ه
وهو قول لاكثر المفسرين لانه الاصل وعلى الزيادة لمناسبة المقام ولقوله وانه لقسم لو تعلمون
عظيم وللثبوت الزيادة في قوله فلا اقسم بمواقع النجوم مع اشتراك المقامين في بيان شان القرآن
واختار المصنف لمناسبته لما عقد له الفصل واشار لعدم القسم فيما سبق لما فيه من التعظيم
او اشارة لجواز الامرين او الفرق بين الموضعين مع ان في الاية ما يناسب النفي وايهام عدم جواز
غيره لا يعتد به وضميره انه للقرآن او لما اخبر عنه من المغيبات والقول بمعنى المقول والرسول
المرسل ولم يعبر بلفظ القرآن كما هو دابه وقيل التقدير لقول مرسل رسول والكريم بمعنى العظيم
او الجواد بسعادة الدارين قيل فاعل اقسم جبريل واضاف القسم له لا لقائله ثم صرف عنه بقوله
تنزيل من رب العالمين وكريم ومكين صفة جبريل واضاف القسم له لا لقائله ثم صرف على الاصح
وقيل المراد به النبي وتفسير المصنف بكريم عند مرسله لا حاجة اليه مع قوله عند ذي العرش مكين
والغرض انه عنده غير الاصح ولذا نقله عن الرماني اقول يجوز جعله ضمير اقسم لله واعتراضه على
المصنف لا وجه له سواء اراد ان المكانة عند الله تستلزم كرمه عنده او ان العندية من قوله عند
ذي العرش لانه مقام مدح فيقتضي التصريح بما يدل عليه مع ان ما ذكره غير مسلم والعندية
عندية تشريف وتعظيم فتامل **ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي** حمله بالتشديد مع البنا
للفاعل اي حمله او المفعول والتحميل في الرسالة لثقلها مشهور وهو في الاصل استعارة لثقل
الامانة وعند ظرف لمكين والقوة وقد تفسر بالمنزلة كما يقال فلان قوي عند السلطان
فيتنازع هو ومكين في الظرف او الظرف صفة اخرى والقوة صفة جبريل لما حمله الى النبي او
هو النبي لما بلغه لامته والمراد بالوحي القرآن لقوله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا **مكين اي
متمكن المنزلة عند ربه** رفيع المحل عنده يعني ان مكين بمعنى متمكن المنزلة اي معظم مبجل
رفيع المقدار عنده ومعنى العندية معلوم مما مر واعرابها وتفسيره بالتمكن لا يخالف ما تقدم
من ان المكانة المنزلة عند الملك كما قيل **مطاع ثم اي في السماء** ثم بفتح المثلثة وتشديد
الميم مبني على الفتح اسم اشارة الى المكان بمعنى هناك ويرسم بالهاء للوقف عليه وقيل العز فيه
ايضا وهو اعلى فوكه في السماء قوله عند ذي العرش في ملائكته ويجوز تعلقه بالآية وبها

امين

امين على الوحي خصه به لان المقام يقتضيه وهو مؤتمن عليه وعلى غيره ولذا فسره بمقبول
القول مصدق فيما يقول ويجوز فيما ذكر ان يراد به جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم لاطلاق
الامين على كل منهما وكون جبريل مطاع في السما ظاهر وان قيل النبي فيها لامامته بالانبياء فيها
وما جرى بينه وبين ملك الجبال وغيره الا انه خلاف الظاهر وجوز في ثم ان يكون اشارة للظرف
السابق اي مطاع عند ذي العرش مقبول الشفاعة وهو بعيد **قال علي بن عيسى** وفي المقتفي
الظاهر انه ابو الحسين علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني الامام في اللغة والنحو والتفسير
والكلام له تفسير عظيم لم نقف عليه وهو تلميذ ابن دريد ويروي عنه جماعة توفي ليلة الاحد
حادي عشر جمادى الاولى سنة اربع وثمانين وثلثمائة وقيل سنة اثنين وثمانين ومولده ببغداد
سنة ست وتسعين ومائتين واصله سر من راى والرماني نسبة الى بيع الرمان او الى قصر رمان
وهو قصر معروف بواسط كما قاله ابن خلكان وله ترجمة في الميزان **الرسول الكريم هنا محمد
عليه السلام بجميع الاوصاف بعده هذا له** هذا قول الجمهور وبعد هنا منهم من قال انه بالموحدة
بلفظ بعد ضد قبل اي بعد ذكره هذا القول والتفسير ومنهم من قال انه بالمثناة الفوقية فعل
مجهول من العد والجملة خبر وعلى الاول الظرف متعلق بمقدر وله خبر وعلى يتعلق بما تعلق به
او بالبنا المقدر وضمير له عليهما للنبي صلى الله عليه وسلم اي على هذا القول المذكور بعده او المقدر
للنبي حتى مطاعيته في السما كما مر وما قيل من ان في الصفات المذكورة ما يعين انه جبريل
مبني على الظاهر المتبادر وورد بان ملك الجبال قال امرني ربي ان اطيعك ولا يتخلف ملك عن
امره بل الشجر والدواب لا يخفى ما فيه **وقال غيره هو جبريل فترجع الاوصاف اليه** ضمير
غيره هنا راجع لعلي بن عيسى ولم يلتفت لغيره المذكور لعدم تعينه ولانه تابع له او هو راجع
له بتاويله بغير من ذكر ومثله كثير فالغير هنا غير الذي وافقه على القول اما كونه هو على ان
عنه روايتين في التفسير فتعسف لا وجه له وان جوزه بعضهم وكون المراد بالرسول الكريم
جبريل هو قول جمهور المفسرين ويؤيده ما رواه الواحدي من ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما
احسن ما اثنى الله عليك بقوله ذي قوة الخ وما مر من قوله هل اصابك من هذه الرحمة شيء
فقال كنت اخشى العاقبة حتى نزلت هاتين الآيتين وعلى القول الاول ما وقع في خطبة المقامات
فلا وجه لتشنيع ابن الخشاب عليه ولا لقول الشريشي انه غيره وضعف القول الاول السهيلي
بان الآية وردت لتكذيب قول الكفار انه محمد يقول القرآن فاضافه الله لجبريل وان كان في
الحقيقة قوله تعالى لان جبريل هو الذي جاء به الى النبي فصار كانه قوله فلا يسوغ على هذا ان يكون
الرسول الكريم محمد وان كان رسولا كريما قيل ما ذكره ظاهر اذ ثبت انها وردت لهذا الغرض ورده بان
لا ارادة النبي ساغ ولو سلم ما قاله لان مدعي الكفار انه مقال محمد من تلقاء نفسه وقوله انه لقول
رسول كريم ناطق بان قول من ارسله كما مر فينتفي كونه من تلقاء نفسه فتدبر **ولقد رآه يعني محمدا
قيل رأى ربه وقيل رأى جبريل في صورته** يعني الرائي محمدا صلى الله عليه وسلم على التفسيرين
واختلف في المرئي فالجمهور على انه جبريل على صورته الاصلية بستمائة جناح ومنه يعلم
نكتة تخصيصه بالافق قيل ولم يره غير مرة بهذه الصورة وقيل رب العزة قال بعض الشراح هو
قول ابن مسعود وقدمه المصنف لموافقته لغرضه وهو قول غريب قيل انه لم ينقل عن احد ممن يعتمد
عليه ويأباه كل الاباء قوله بالافق المبين سواء كان نواحي السما او حيث تطلع الشمس اذ لم يقل
احد انه رأى ربه بالافق واجيب بانه اذا جاز عود ضمير رآه لربه فرؤيته بالافق كما سوى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

على العرش والمراد بالافق الذي فوق السما السابعة وحينئذ فقوله دنى فتدلى من قبيل دنو المكانة
لا المكان او المراد به المنزلة العالية كما اشار اليه الامام وقولهم لم ينقل به احد يرده انه روي عن
ابن مسعود **وما هو على الغيب بظنين اي بمتهم** الغيب الغائب عن الحس الذي اخبر به او ما هو
وسائر الانبياء على اخبار الغيب فيشمل الذات والصفات والقرآن فيستدل به على غيره او المراد ما غاب
غاب عن علمكم فيشمل اخباره عن الشاهد او الغائب والظنين بالظاء المشالة ما ينسب الى التهمة للتوهم
والغلط او المراد ليس مظنونا ما نسب اليه مما اتهم به الكفرة فالنفي فيه كالنفي في قوله لا ريب فيه
وقرئ في السبعة بالضاد كما اشار اليه بقوله **ومن قراها** اي الاية او الكلمة وروى قراه اي هذا
اللفظ بالضاد وهو نافع وعاصم وحمزة وابن عامر من الضن والضنة وهي البخل **فمعناه ما هو بخيل**
بالدعاية والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق الفاء زائدة في خبر
الموصول لتضمنه معنى الشرط وضمير معناه للفظ او القول المذكور وقوله بالدعاية الدعاة بالمد
بمعنى الدعوة او المدعو اليه والباقي به على هذه الرواية اشارة الى ان على في النظم بمعنى البا او هي
بمعنى الى او السببية والمدعو اليه احكام الشريعة كلها وروي الدعالة باللام والدعاية بكسر
الدال ومثناة تحتية بعد الالف والتذكير التنبيه او الوعظ وحكمه بضم الحا وسكون الكاف وبكسرها
وفتح الكاف جمع حكمة وهو الكلام النافع والعلم ما علم منه من كل امر فيه علم وحكمة اي ما هو بخيل على
الناس في تبليغ ما اوحي اليه وقد امر بتبليغه وهذه اشارة للاية او الصفة على هذه القراءة
والاتفاق على هذه بخلاف قراءة الظا لان هذه العلوم والحكم امر نفسي فيه سعادة الدارين ومثله
مما يضن به البشر فنزهه عن مثله بكرم جبلته **وقال تعالى ن والقلم الايات** اي اقرا الايات
الى اخرها او اذكرها واعني **اقسم تعالى بها اقسم من عظيم قسمه** ابهم المص اشارة الى عظمته كما مر
والى عظيم ما فيه بنا على ان نون قسم هنا وهي الحرف او الدواة او اسم للسورة فاقسم بالقرآن مما
كتب به القلم والقلم هو المعروف او قلم اللوح وقيل نون الحوت الذي عليه الارض والقسم على
ظاهره او بمعنى المقسم به **على تنزيه المصطفى مما غمصه** وفي نسخة غمصته **الكفرة به**
وتكذيبهم له غمصه بفتح الغين المعجمة والصاد المهملة بمعنى عابه وحقره قال ابن القطاع
غمص الناس غمصا احتقرهم وعابهم والشيء كذلك وغمص النعمة واغمصها كفرها وقال اللحياني
الغمص بالصاد المهملة العيب والتنقص واكثر ما يكون في الدين وقال ابن حبيب في غريب الموطا
الغمض بضاد معجمة اخت الصاد تصغير النعمة وتحقيرها وبالصاد المهملة اذا اصغر الناس وازدرى
بهم واستحسن هذا العرقي بعد ان قال انهما سوا انتهى فيجوز في كلام المص الاهمال والاعجام الا ان
الاول ارجح وعليه اقتصر اكثر الشراح وتكذيبهم بالجر عطف على ما والمراد بالتكذيب في كلام المص
كما في بعض الشروح وهو قولهم هذا ساحر كذاب واجمل بعضهم فقال المراد التنزيه عن الكذب بالمصدر
القادح او ما كذب به اقول لا يخفى ان المص لم يذكر من الايات ما يدل على التكذيب نفيا واثباتا
وليس في كلامه غير ما انت بنعمة ربك بمجنون وما قيل اولا لا مساس له بكلامه ونظر المص في مقام
دقيق لمن عرف مغزاه فالمراد انه تم انعم عليه بما علمه واعطاه من نعم الدارين واغناه عما سواه
ونصره على اعدائه ومن اوتي مثل هذا لا يكذب فان فعل او تكلم بما لا يليق فهو مجنون ولذا قال الفاضل
الحلبي انه تم نزهه عن تكذيبهم وهو واقع لان معنى الاية ما انت بمجنون بسبب انه تم انعم عليك
بكمال العقل والمعرفة بافادة تنزيهه عن الكذب وان تكذيبهم كلا تكذيب لعدم الاعتداد به
مع قيام الدليل على خلافه **وانسه وبسط امله** فعل ماض معطوف على اقسم بقصر الهمزة وتشديد

النون

النون من التأنيس او بالمد والتخفيف من الايناس يقال انست به وانسته اذا اذهبت وحشته
وتسكينه والامل الرجا وبسطه توسيعه وتكثيره او من الانبساط وهو المسرة كما ورد في الحديث عائشة يبسطني
ما يبسطها اي يسرها ما يسرني فهو استعارة تدل على انه عامله بالطافه حتى كثر رجاه او سره **بقوله محسنا**
خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون محسنا حال من الضمير وروي مخففا ومشددا من الاحسان والتحسين
والثاني احسن عند من له ذوق ولذا اقتصر عليه البرهان وخطابه مفعول وما انت الخ مقول القول وهي
جواب القسم في النظم وتوسيع الامل لجعله ملتبسا بنعم الكريم الذي رباه وقوله وان لك لاجرا الخ وفيه
ايماء لدوامها وازديادها وقيل خطابه المقرون بتحليته وتخليته وشمه امله لان من اثنى على احد وسمع
امله وهو تكلف انت في غنى عنه بما عرفته والبا للسببية او الملابسة او المصاحبة وقال
الشريف المعنى ان عدم الجنون لانعام الله عليه ولطفه او حال كونه ملتبسا بنعمة العقل والنبوة
والاخلاق العلية مما يدل قطعا على تكذيبهم وهو حال من معمول معنى النفي اي انتفى عنك او من فاعل
بمجنون كما ذهب اليه الزمخشري والبا زايدة لتصحيح العمل وضعف بانه يلزم نفي الجنون المقيد لا مطلقا
واجيب بان القيد ذاتي فيصح المعنى واجل عرضه ان مقام رد المعاند يقتضي ما لا يوهم ولو في
بادي الراي والتقييد موهم وفيه ان تقييد النفي موهم ايضا لكن ايهامه اقل والتقييد للاختبار ومثله
كثير كما ذكره ابن الحاجب فالحكم بعدم الجنون في زمن تلبسه بالنعمة وعدم الجنون مطلق وقيل البا للقسم
وبه جزم في لباب التفاسير وضعف بان القسم لا يدخل على القسم انتهى اقول هذا ليس بشيء
لانه وقع مثله في الكتاب العزيز ولم يلتفت فيه لمثل هذا الايهام لان السياق ومقام المدح شاهد
صدق ولا يحتاجان لتزكية انتهى الا ترى ان ابا البقا اغرب في قوله تعالى وما هم بمؤمنين يخادعون
الله حالا والعامل اسم الفاعل وهو بمؤمنين وذو الحال الضمير المستتر فيه ولما خطاه ابو حيان
بمثل ما قاله هذا المعترض رده المحققون بما قلناه فالاعتراض على الزمخشري غير مسموع اصلا
ولا حاجة الى ما اجابوا به فانه كلام من ضيق العطن ولولا خوف الملال فصلناه ولكن الثمرة تدل على
الشجرة. تنبيه خطر ببالي نكتة وهي ان الله اقسم بالقلم وما خط به لمناسبة المقسم عليه لان
المجنون مرفوع عنه القلم فانا نقول يدل على تكذيبهم فيما قالوه ذلك موقع هنا ليس لغيره **وهذه**
نهاية المبرة في المخاطبة واعلى درجات الاداب في المحاورة الاشارة للامور المذكورة من
التنزيه عما قالوه في حقه بقوله ما انت الخ والتكذيب الذي دل عليه والتأنيس بتقديم الدليل
بقوله بنعمة ربك قطعا للطرق والشبهة من اول الامر ثم بيان تحقيق آماله بقوله وان لك لاجرا
غير ممنون به عليك او غير مقطوع وهذا غاية البر والاحسان في خطابه له واقصى مراتب الادب
اللائق بمقامه تعليما لعباده والمحاورة بالحا والرا المهملتين كالمراجعة والمجاوبة وزنا
ومعنى وفيه وجوه اكثر من خمسة فلم يكتف بمجرد الرد عليهم كمن راى من يحبه في هجوم اعدائه
بمقالهم فكذبهم وبين وجه كذبهم ثم ذكر ما يطرد وحشته ثم وعده بما هو اعظم مما ذكره **ثم اعلمه بما**
هو له عنده من نعيم دايم وثواب غير منقطع اي بعد ان براه ونزهه اعلمه بما اعده له بعد من
الثواب على ما قاساه وعطفه بثم اشارة الى بعد ما بين الامرين من تضمنه التصريح بالانقطاع وبعظمه
الدايم الواقع في مقابلة تكذيبهم له والاجر المضاعف على عمله وصبره على طعنهم ورميهم بما لا
يليق ففيه تسلية له كانه قال له لا تحزن فقد تبين كذبهم ببراهينه فلا نقص يعود عليك
بما قالوه لك نعيم مؤبد في مقابلته والصبر على الشدايد المقاسات في التبليغ ففيه تثبيت
وتخصيص فالثواب هو الاجر غير منقطع تفسير لقوله غير ممنون **لا ياخذه العد** اي لا يحصى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولا يعد ففيه استعارة كأنه اذا عد اخذ او لا يغلبه العد ولا يحيط به كما قيل في قوله لا تأخذه
سنة ولا نوم ومنه يعلم وجه تقديم السنة والمراد المبالغة في كثرته **ولا يمن عليه به** يمن
بصيغة المبني للمجهول من المن وهو تعداد المنعم نعمه وصنيعه والتقدير لا يمن احد من الخلق بها
عليه لانها من الكريم الوهاب او لا يمن بها الخالق ويؤيده انه روي بصيغة المبني للفاعل وقول
الطيبي اذ من شأن الكرام ان لا يمنوا ولذا قيل ان ذكر الاجر يفيد انه لا منة والثواب لا ينقص
بالمنة ففيها تأكيد للاجر وما قيل عليه انه تكلف مردود فانه تع يمن على عباده كما صرح به في
مواضع عديدة والاجر محض تفضل منه او العمل لا ينتفي بشكره ونيل المراتب العلية فضل آخر
واعطاء ما لا يجب عليه فضل ثالث فتحري وجوه المنة منة وهي تشريف منه والتحقيق انهما لما
قبحت من غيره تع واعتادت النفوس النفرة منها لا يفعلها الله لايهامها ما لا يليق به فان حسنت
منه ففيه تأسيس لتعظيم يستفاد منه تدقيق النظر اقول ما ذكره من التحقيق ليس بشيء فان
المنة قولا وفعلا مستحسنة منه تع وقد ورد التصريح بها في نحو قوله قل لا تمنوا علي اسلامكم
بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان بل قد يستحسن من غيره ايضا ولذا قيل ان هذا شبيه بقول المعتزلة
فافهم وفي كلام المصنف اشارة الى تفسير آخر في قوله غير ممنون **وان لك لاجرا غير ممنون**
اتى بالفاء لانه متفرع على ما قبله من الاعلام او تفصيل له في الجملة اي لك على ما احتملته من اذاهم
ثواب غير منقطع او غير ممنون به عليك من غيره لانه موهبة الهية واتى بتأكيدات اربع للاهتمام
والتقرير والانكار وزيادته فاكد المجموع بالمجموع او هي موزعة على ما ذكره وان لم يكن النبي
صلى الله عليه وسلم منكرا فانه قد يراعى حال السامع كما في التعريض وقد علمت ان المن له
معان القطع فالنقص وتعديد النعم واشار المصنف الى ذلك كله بقوله غير منقطع وقوله لا يأخذ
العد الخ الا انه قيل عليه انه لا يتم ما ذكره من الاعلام بالكل الا على القول بجواز استعمال
المشترك في معنييه او جوازه في النفي او ارادته على البدل فقول المصنف اعلم الخ وعطفه بالواو
غير حسن الا ان يكون بمعنى او وكل قسم على تفسير وفي تحرير ابن الهمام المشترك يعم في النفي
هو المختار والقول بانه اعلم بما له عنده والبيان من المصنف لثبوت التفسير تكلف وتحميل العبارة
ما لا تطيقه والظاهر انه بيان للوجوه المذكورة في الآية على وجه يفيد ثبوتها كلها بالاستلزام
عدم العد لعدم الانقطاع والنقص بحسب عرف التخاطب فتدبر **ثم اثنى عليه بما منحه من**
هباته عطف بثم لما مر اي مدحه بما وهبه واعطاه من مواهبه السنية **وهداه اليه**
من معرفته وتوحيده او من القرآن وآدابه ودلالته له دلالة موصلة فان افعال العبد وصفاته
بايجاده كما هو مذهب اهل الحق **واكد ذلك تتميما للتمجيد** اي التعظيم من المجد وهو الكرم
اي تتميما للنسبة اليه **بحرفي التأكيد** زيادة لتعظيمه واهتماما به ففيه تعظيم على
تعظيم وهما اللام وان مع القسم واسمية الجملة ولذا قيل الاولى ان يقول بوجوه التأكيد الا
انه اقتصر على المصرح منه فان الاسمية قد لا يقصد بها التأكيد ولذا قالوا ان نحو زيد قائم
يلقى لخالي الذهن لكنه غير تام بالنسبة للقسم **فقال وانك لعلى خلق عظيم** اتى بعلى اشارة
لاستعلائه عليه لكونه مجبولا عليه من غير تكلف **قيل القرآن** هذا مروي عن عائشة والحسن
وغيرهما كما سيأتي والمراد انه اتصف بكل صفة جميلة تعلم منه وتنزه عن كل ما لا ينبغي فليس هذا
تفسيرا آخر كما قيل **وقيل الاسلام** ولذا قال ابن عباس في تفسيره على دين عظيم والخلق
يجيء بمعنى العادة والطريقة **وقيل الطبع الكريم** اصل معنى الطبع الختم وطبع السيف ونحو

عمله

عمله ثم صار بمعنى الجبلة التي خلق الله الانسان عليها ومثله الخلق والخلائق وهو ملكة
نفسية لا تقبل التغير بسهولة وقال ابن الجوزي حقيقته ما يأخذ الانسان به نفسه من الآداب
واما ما طبع فيسمى ختما وقد اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم ما لم يجتمع في غيره من المكارم وقال الامام
المراد التخلق بمجموع اخلاق الانبيا وهي مرتبة عظيمة فانه امر بالاقتداء بهم ولم يرد اصول
الشرايع لعدم مناسبة التقليد فيها والمراد ما مر قيل في دليله نظر لجواز ان يراد الاقتداء في
تحصيل اليقين بالاصول والعمل بمقتضاها فلا يلزم التقليد اقول لا يخفى ان تقليد النبي
في الاصول الدينية غير صحيح وهذا الذي اراده الامام فان اراد مجرد سلوك طريقهم الموصل لها
لا نفسها فلا خلاف بينهما فتدبر **وقيل ليس لك همة الا الله** الهمة كما في المصباح العزم من هم
بالشيء ويكون بمعنى العزم يقال له همة عالية والمراد هنا الثاني هذا محكي عن الجنيد قال انما
سمى الله خلقه عظيما لانه لم يكن له همة في غير الله سبحانه فكانه معاشر للخلق بجسمه ومزايل
لهم بقلبه فظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق يعني ان عزمه في اعلاء كلمة الله وتبليغ ما يوصل
اليه وذكره في ذاته وتوحيده فقول بعضهم انه بعيد جدا لا وجه له والواسطي تقدمت ترجمته
او نفى الواسطي بحسن قبوله لما اسداه عليه من نعمه اسدى بمعنى اعطى او اوصل وهما متقاربان
ومن بيان لما الموصولة والباء صلة اثنى او سببية والنعم فضلها الفاضل الشريف بالاخلاق
العظيمة التي انتظمها الخلق في الآية وتبعه تلميذه **وفضله بذلك** اي بما اسداه او بحسن قبوله
على غيره من جميع المخلوقات الانبيا وغيرهم وقوله **لانه جبله على ذلك الخلق** اي خلقه مطبوعا
على خلقه العظيم الكامل الذي لا ينفك عنه وضمير قبوله للنبي وجوز فيه ان يكون لله اي قبول
الله اخلاقه وانه جعل حسن قبوله مثنيا عليه والاول اولى ولذا اقتصر عليه اكثر الشراح وقيل
ان في كلامه مناقشة لان المجبول على الشيء الذي طبع عليه بمعنى انه خلق كذلك لا يقال فيه انه قابل
لذلك الذي جبل عليه ولله المنة المطلقة فانه المنعم بالشيء والمثني عليه وتتمة كلام الواسطي
ليشير لذلك ورده السيد بانه تقرر في العلوم العقلية ان ما اتصف به المرء اما على الفاعلية
او القابلية والمراد بالقبول تأثره وتحققه فيه وصرح بانه قابل لا فاعل ردا للطبيعيين
بل حسن قبوله ايضا من الله فهو قابل له ايضا فاثنى عليه لا لفعله اياه بل لقبوله وقبوله ايضا ليس
منه فظهر ان هذا الاعتراض غير قابل للقبول بل للرد اقول هذا الكلام كله تكلف مبني على
غير اساس وتقريره ان مراد الواسطي بيان محصل معنى الآيات كلها فالنعم في كلامه ليس بمعنى الاخلاق
بل كل ما انعم الله عليه لعموم الموصول وحسن القبول مأخوذ من اشارة النص بقوله ما انت بنعمة
ربك بمجنون اي لست ممن تستخفه النعم والنظر لمعرفتك بالله وتعدد نعمه وتفضيله على غيره
من كونه له اجر لا يحصى وقوله لانه الخ تعليل لمجموع ما قبله يعني انه لسلامة طبعه وكمال اخلاقه
حسن قبوله للنعم واستحق الثنا وبهذا التقرير سقط الاعتراض لان الاخلاق وان كانت بخلق
الله فيما جعله قابلا لكنه غير مراد هنا فما ذكره المجيب صلح من غير تراض فتدبر **فسبحان اللطيف**
الكريم المحسن الجواد الحميد الكلام على سبحان مفصل في محله وهو منصوب على المصدرية ومعناه
تنزيه الله عما لا يليق بجلال ذاته ويكون كثيرا للتعجب فيقال عند رؤية كل امر عجيب تنزيها عن
ان يوجد شيئا من غير حكمة وان خفيت علينا فالمراد هنا التعجب من كرم الله واسدائه النعم
الجليلة ثم الثناء على من قبلها وجزاه بالاجر وليس للعبد في ذلك تأثير وقد ذكر المصنف مثله في
اواخر الخطبة وفيما ذكره من الاسماء اشارة لهذا فاللطيف للطفه بعباده اذ وفقهم لحسن القبول

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والكريم بما اسداه وانعم به والمحسن لهم بالثناء عليهم والجواد بتخفيف الواو والسخي غير مسموع فيه
وقال في عمدة الحفاظ ولاما تم منه ان قصرت المبالغة وفيه نظر وقيل السخي بناء على جوازه وصفه
بالسخا كما بيناه في شرح اسماء الله الحسنى وقال ابن عصفور في الممتنع امتنعوا من وصف الله بسخي
لان اصله من الارض السخاوية وهي الرخوة بل وصفوه بجواد لانه اوسع في معنى العطا وادخل
في صفة العلا انتهى وقد ورد اطلاق الجواد عليه في حديث قد رواه الترمذي والبيهقي ان الله جواد
ووقع في بعض النسخ بدل الحسن المجيد اي ذو المجد والكرم وهو انسب هنا الذي يسر للخير وهدى
اليه ثم اثنى على فاعله يشير الى قوله ثم اعطى كل شي خلقه ثم هدى وتيسيره تسهيله بتهيئة
اسبابه ثم خلقه فيه وهداه لمنافعه حتى سعى في كسبه وفاعله المباشر له فان الفعل ينسب له وان
كان الفاعل حقيقة هو الله والثنا كما يكون على الفعل يكون على الفاعل كما قال انت كما اثنيت على نفسك
وقوله فانت كما تثني وفوق الذي تثني فالاعتراض ساقط ثم كرر التعجب لتكرر الاحسان فقال
وجازاه عليه هو ناظر للاجر سبحانه ما اغمر نواله اغمر فعل تعجب بالغين المعجمة من الغمر وهو
الما الكثير استعير لمطلق الاكثر والنوال العطا واوسع افضاله النعمة معروفة شاعت في
الشمول والانعام والافضال والانعام قال في المصباح تفضل عليه وافضل افضالا بمعنى
وفضلته على غيره صيرته افضل منه انتهى فما قيل الافضال مصدر افضله جعله فاضلا وافضاله
قريب خبط لا وجه له ثم سلاه بتشديد اللام من التسلية وهي ازالة الغم عن قولهم بعد هذا
اي عما قالوه في حقه وبعد متعلقة بسلاه وهذا اشارة لكل ما ذكر من الرد والثنا والظرف مؤكد
لما يدل عليه وكونه للاشعار بانه لم يكتف بالتسلية غير ظاهر بما وعده به من عقابهم اي تعذيبهم
بما صدر منهم وفي نسخة عقوباتهم بصيغة الجمع لتعدد المعاصي وانواع العقاب وروي عقباهم
اي عاقبة سوء حالهم وما يؤول اليه وفي نسخة عقباه اي عقبى النبي في نصره عليهم والانتقام
منهم ولما كان عذابهم وهلاكهم فيه مسرة وشفاء لما في صدور المؤمنين كما قيل
مصائب قوم عند قوم فوائد
كان وعدا له فلا وجه لما قيل انه استعمل الوعد في الشر
مجازا او لانه في اصل وضعه عام وجعل الموعود هو النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وعده
معين بقوله له كشفنا له والقول بانه عدي بقوله له باعتبار انه ذكره له تغيير في وجوه
الحسان قيل ما ذكره ليدل على عدم رجا اسلامهم اذ لو كان وعده به فالاحسن ان يقول على عقاب
طايفة منهم ولذا قيل تعريض بابي جهل والوليد واضرابهما ورد بان المصنف لم يقصد العموم ولو
سلم فما ذكر ممنوع فانه يقال لكل كافر ان لم تنته فستبصر ومقابلة الوعد بقوله وتوعدهم
بقوله فستبصر الى اخره يا لي ما ذكره كله اي ذكر وعيدهم وتهديدهم والجار متعلق بتوعد او به
وبما قبله على التنازع والثلاث منصوب بعقد والايات بدل منه منصوب بالكسرة لا مجرور
بالاضافة واضيف نحو الثلاثة الابواب والمقدر اعني واقرا ونحوه ولا فرق بينهما كما تقدم
وقوله بايكم المفتون المفتون بالجنون اسم مفعول والبا زائدة او مصدر لانه يجي على زنة مفعول
قليلا اي بايكم الفتنة والبا بمعناها او بمعنى في ويجوز هذا اذا كان اسم مفعول ايضا اي المفتون
في اي الفريقين ومن يستحق هذا الاسم والابصار بمعنى العلم ما بعده معموله او مستانف والحصر
مفهوم من سياق التهديد وبقية الايات ظاهر ثم عطف بعده من ذم على ذم عدوه وذكر سوء
خلقه وعد معايبه بعد منصوب على الظرفية مضاف لمدحه او مقطوع عن الاضافة مبني على الضم
فمدحه منصوب وهو الثابت رواية عن المزي وقيل وفيه نظر لانه يقتضي تقدم الذم على المدح ولكن

كذلك في النظم فالاحسن ان يقرا بالاضافة اي النعت او ما اليه وعلى رواية المزي المعنى
الله اثنى مدحه فلا يقتضي تقدم الذم لا ان تعديته بعلى وجعل الذم مما اثنى به المدح تكلف فالوجه
الاول وكون المراد بالمدح قوله فلا تطع على ان المعنى دم على ترك طاعتهم وهو مدح له وان تضمن
ذمهم فالمراد عطف مدحه مع ذمهم بعيد جدا وذكر وعد مصدر مضاف او ماض معطوف على قوله
وعدوه كل من عاداه لا معين كما ذكر والعدو يطلق على الواحد وغيره والمعايب جمع معيبة بمعنى العيب
واعلم ان العطف يتعدى بعلى بمعنى الشفقة والحنو وبعن للصرف والصد ويقال عطفته اذا ثنيته
واملته والعطف النحوي يتعدى بعلى ايضا وما في عبارة المصنف عطف لغوي لا نحوي وتجويزه هنا
لكونه بالفا غير صحيح لانها ليست عاطفة فان تكابه التمحل له تعسف وسو خلقه مقابل لعظم خلقه
موليا ذاته لذلك بفضله ومنتصرا لنبيه احوال من ضمير عطف اي لم يكل ذلك لاحد ولم يجعل بينه
وبينه واسطة بل فعله بنفسه اهتماما بتعظيمه ونصرته كما ذكره بكلامه النفسي واللفظي في قوله
سنسمه الخ فذكر بضع عشرة وروي بضعة عشر وفي المصباح بضع بالكسر في العدد وبعض العرب
بفتحه واستعماله من الثلاثة الى التسعة يستوي فيه المذكر والمؤنث ويستعمل ايضا من ثلاثة عشر الى تسعة
عشر لكن تثبت الها في بضع مع المذكر وتحذف مع المؤنث كالنيف ولا يستعمل فيما زاد على العشرين واجاز
بعضهم فيقول بضعة وعشرون رجلا وبضع وعشرون امراة كذا قاله ابو زيد وعلى هذا معنى البضع
والبضعة في العدد قطعة مبهمة غير محدودة انتهى وفيه اختلاف لاهل اللغة وكلام المصنف ليس مخالفا
لما قالوه كما توهم وما هنا ثلاث عشرة او اثنتي عشرة او احدى عشرة بنا على عد المداهنة والاستظهار بالمال
والبنين منها خصلة من خصال الذم فيه اي في عدوه والخصلة بفتح الخا المعجمة الصفة مطلقا
وغلبت في صفات المدح اذا اطلقت بقوله فلا تطع المكذبين فيما دعوك له من تعظيم آلهتهم ونحوه وهو
تهييج له على تصميمه ومخالفتهم الى قوله اساطير الاولين اي اباطيلهم المنقولة عنهم وهو جمع اسطار
جمع سطر وما وقع منه في القرآن منقول عن النضر بن كلدة لانه دخل بلاد فارس ونقل اخبار
رستم وغيره فكان يقول انا احدثكم باحسن مما يحدث به محمد فنزل ومن قال سانزل مثل ما انزل الله الخ
ثم ختم ذلك اي ما عده من المعايب اورده عقبه كالخاتمة له بالوعد الصادق لنبيه كما مر وفي نسخة
بالوعيد وروي ايضا الوعيد بالنصب صفة ذلك ووصفه لعدم تخلفه وان كان الوعيد يجوز
تخلفه لكن لكونه وعدا لا يخلفه من لا يخلف الميعاد او الصادق هنا بمعنى الخالص الذي لا يشوبه غيره
كما يقال صادق الحلاوة بتمام شقائه وخاتمة بواره متعلق بختم اي بشقائه التام والبوار الهلاك
الذي هو خاتمة امره وآخر احواله او حاله يجر اليه فسمي به بقوله سنسمه على الخرطوم الوسم
العلامة والكي والخرطوم وخراطيم كعصفور وعصافير الانف هنا واصله يختص بالحيوان كالفيل
ونحوه فاستعير للانسان بادائه باستخفافه والتحكم به وهو هنا كناية عن تشهيره بالقبائح في الدنيا
وفي الاخرة وفيهما وقيل وسمه تسويده وجهه يوم تبيض الوجوه وخص الانف لانه اظهر الاعضاء ليلا
للمتكبر عن الحق الذي عنده شمم في انفه فعوقب بضده فكانت نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه
اي نصرته التي تولاها بنفسه في قوله سنسمه الخ ونصرة نفسه على عدا به هي لله ايضا لانه كان
لا يشتغل بحق نفسه الصرف وما فعله العظيم عظيم ورده تعالى على عدوه ابلغ من رده هو
رده لتكذيبهم بنفسه لا ابلغ من رد النبي واقامة الحجة وان كان هذا ايضا ليس من تلقاء نفسه وقيل
المراد لو كان له رده ونصره وهو عليه الصلاة والسلام فعل ما فعله لله ومن كان لله كان الله له
واثبت في ديوان مجده اي اعظم واقوى ثباتا وابقى في صحف الدهر من ان يثبته هو بنفسه فان ما

شبكة الألوكة
www.alukah.net

امضاه الله لا نقص فيه والديوان بكسر الدال المهملة وقد تفتح منهم من قال انه فارسي معرب واصله جمع ديو وهو العفريت شبه له اهله وقيل انه عربي من التدوين وهو الكتابة وهو دواوي خفف بقلب احدى واويه يا ويجمع على دواوين ودياوين وهو مجتمع الصحف والكتاب للسلاطين واول من وضعه في الاسلام عمر رضي الله عنه ويطلق على نفس الدفتر والكتاب وعبارة المصنف تحتملها وهو استعارة فاستعار لمجده اي عظمته ديوانا يكتب فيه فاذا اثبته الله كانا اتم واكثر ثباتا وهكذا هو باق الى يوم القيمة

الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والاكرام

يعني ان ما جا في القرآن من الآيات الدالة على اكرام الله والشفقة به اسم مصدر من شفق بغيره عطف وحنا فهو شفيق وهذا ونحوه مما لا يوصف به الله فيتجوز به عن التلطف بمن يحبه والجهة معناها الجانب والمراد بها هنا شانه وحقه والمورد مصدر ميمي منصوب على المصدرية او اسم مكان منصوب على الظرفية واصله المحل الذي يوخذ منه الما فاستعير لما لعموم نفعه وقيل الشفقة حرص الناصح على حال المنصوح وقد يطلق على ما فيه دفع المضرة ونحوه فالمراد بالاكرام اكرام مخصوص ولو عم شمل ما في غيره من الفصول قال طه اسم من اسمائه اي من اسما النبي وقدم للاهتمام به لمناسبته للمقام والبلغا يقدمون مثله لان البلاغة يعتبر فيها رعاية مقتضى المقام فما يقتضيه عندهم اهم ماله تقدم ذاتي كما قرروه في تقديم الامر بالقراءة في قوله اقرأ باسم ربك فتذكره وقيل هو اسم الله تعالى هذا منقول عن ابن عباس والمستدل لما قبله بحديث لي عند ربي عشرة اسما طه ويس الخ وقيل معناه يا رجل اي معناه رجل وحرف الندا مقدر معه وهو مروي عن ابن عباس ايضا وقال عكرمة انه لغة معروفة في عكل وعك وقيل انها لغة حبشية عبرانية او سريانية او نبطية ومعناه يا حبيبي وقيل اصله يا هذا وهو بعيد جدا وقيل يا انسان رواه البغوي عن الكلبي وقال انه لغة عك فان صحت الروايات فهو مشترك وقيل هي حروف مقطعة لمعاني الجمع لما فوق الواحد لقوله قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي فالطا من طاهر والها من هادي وقيل الطا من طول القراءة والها من هيبتهم وقيل طوبى والهاوية وقيل انه قسم بطوله وهدايته وقيل معناه انها البدر لان الطا والها في الجمل اربعة عشر وقيل هو امر من الوطء فابدلت الهمزة الفا والها كناية عن الارض اي ضمير راجع اليها لعلمها من قرينة الحال والضمير يسمى كناية عند النحاة كما ذكره اهل العربية وهذا قول ذكره القرطبي والبيضاوي وقيل ان ها اسم الحرف ماخوذة من هاء اسم الضمير في كتابه اصطلاحية عنه لا انه ضمير كما قيل في طا ورد البيضاوي هذا القول بانه يا باه كتابتها بصورة الحرف ورد بان رسم المصحف غير قياسي فيه كما رسم آية المؤمنون بلا الف في الامام وقرئ طه بسكون الهاء واصله طا فابدلت الهمزة ها كما يا ك وهناك او هو امر والها للسكت والمفعول محذوف اي طا الارض ويحتمل انه اراد الها من هاد وحذف ها ضمير كما قال بعض النحاة اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة الاعتماد الاتكا والاستناد على الارض بقدميه او قدمه ويقال اعتمد على القدم وعلى الارض وظاهر هذا وما ياتي انه كان يقوم على قدم واحدة اتعابا لنفسه ليزيد اجره في عبادته فان الاجر على قدر المشقة وانه لم يثبت في الشرع ان القيام على رجل واحدة من التطوعات حتى يفعله النبي ويخالفه ما روي عن ابن عباس وابن مردويه عن علي انه صلى الله عليه انه صلى الله عليه وسلم قام الليل كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلا ويضع رجلا فنزل جبريل وقال طا الارض بقدميك وظاهره انه وضع احدى قدميه كان راحة له لا تعبا وصرح به البغوي ونقله الكلبي فالوجه بان المعنى لا تتعب حتى تحتاج الى الاستراحة برفع

قدم

قدم دون الاخرى لا ما ذكره المصنف والجمع بينهما انه لما تورمت قدماه وتروح برفع واحدة وقع في مشقة القيام برجل واحدة لثقل الاعتماد عليها فامره بالاستراحة وترك التعب وما يوجبه كما خفف عنه القيام اي قيام الليل اقول هذا مما لا طائل تحته فانه لا شبهة في ان القيام على رجل واحدة اشق من القيام على رجلين كما قيل

اذا الحمل الثقيل توزعته • اكف القوم هان على الرقاب •

فان كان في القيام على واحدة راحة للمرفوعة فيصح نسبة الراحة لكل من الامرين وما ذكره المصنف متعين من السياق على هذا التفسير فانه اذا قال له ضع قدميك فانا لا نرى نحيلك دل على الراحة ولا منافاة بينه وبين ما رواه والتوفيق الذي ذكره تكلف فتدبر تنبيه على كون الاجر على قدر المشقة كما ورد في حديث عايشة اجرك على قدر نصبك كما ورد في مسلم قال ابن عبد السلام في قواعده ليس هذا على اطلاقه انما هو اذا اتحد العملان في الشرف والشرائط والسنن وكان احدهما شاقا فيثاب على تحمل المشقة كالغسل في الصيف والشتا اما اذا لم يتساويا فلا فان الايمان افضل من الاعمال مع خفته ثم اختار ان فضل الاعمال انما هو بالمصالح الناشئة عنها فتصدق البخيل افضل من قيام وانقاذ الحاكم مظلوما افضل من قيام الليل وصيام النافلة ونقله الزركشي وارتضاه في قواعده وهو قوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل الضمير راجع للنهي عن اتعاب نفسه المستفاد من النفي في الآية اي هو المراد من الآية والشقا اصل معناه التعب قيل انه عبر به ليدل على عبادته والنفي على هذا التعب مخصوص كما يقتضيه سبب النزول وان كان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والمورد فلا يخص بما ذكر ولا بعصبة بنا نفقه على كثرهم اخبرنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد اي رواه المصنف عنه وعن كثير من العلما غيره وهو ابن عبد الرحمن بن علي بن بشير بالمعجمة من اصحاب الباجي ثقة حافظ توفي يوم الخميس رابع رجب سنة ثلاث وخمسمائة باشبيلية عن القاضي ابي الوليد الباجي بالموحدة نسبة لباجة من بلاد المغرب وباجة بموحدة وجيم بلدة بقرب اشبيلية وقيل هي باجة القيروان وهو العلامة الحافظ صاحب التصانيف الجليلة ابو الوليد سليمان بن خلف ابو سعد بن ايوب بن وارث التجيبي القرطبي الذهبي اصله من مدينة بطليوس وانتقل جده لباجة التي نسب اليها هو والحافظ ابو محمد الباجي ولد سنة ثلاث واربعمائة واخذ عنه جماعة كابن عبد البر والخطيب والحميدي وغيرهم ورحل للحج وجاور الحرم ثلاثة اعوام ولازم ابا ذر الهروي وخدمه ثم رحل لبغداد ودمشق واخذ عن العلما وتفقه على ابي الطيب الطبري واخذ علم الكلام عن ابي جعفر السمناني واقام بالموصل ثم رجع الى الاندلس بعد ثلاثة عشر عاما وقصته في كتابه التربية مشهورة وقال ابن بشكوال انه مات بالمرية في تاسع عشر رجب سنة اربع وسبعين واربعمائة اجازة ومن اصله نقلت الاجازة في كلام العرب قديما كما نقله اهل اللغة الاذن في الانصراف من جاز المكان اذا تجاوزه ومن تعدى بالهمزة للمفعول الثاني وقد يقتصر على احد مفعوليه لانه من باب كسى ومعنى اجازه اذن له في الجواز ثم استعمل المطلق للاذن وخصه المحدثون بالاذن في نقل الحديث فصار حقيقة عرفية وهذه لفظة عربية قديمة كالجائزة بمعنى العطية وقد وقع هنا كلام لابن الصلاح لنا فيه كلام بيناه في حق آسية والمراد باصله كتابه الذي ضبط فيه ونقله السماع وقوله نقلت الخ من كلام ابي عبد الله يعني انه لم يسمعه منه وانما نقله من كتابه الذي اجازه به وقال ابن الحنبلي انه من كلام المصنف لا من كلام شيخه كما قيل لان تعلق نقلت بمن تاخيرها يا باه ولو كان قيل من لا من قال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لم يكن من كلام المصنف والاصل اصل شيخه لعود الضمير على الاقرب وانما قيده به لان العنعنة تحتمل
منها السماع وعليه المحدثون فلو لم يقيد اوهم خلاف المراد وقد يقولون اخبرنا وحدثنا في الرواية
بالاجازة والمختار خلافه الا ان يصرح بالاجازة ورواية السماع اقوى من الاجازة وسوى بينهما
الطوفي في قواعده في الكتب المدونة **قال حدثنا ابو ذر الحافظ** الهروي العلامة عبد بدون
اضافة بن احمد بن محمد بن عبد الله الانصاري المالكي ابن السماك سمع بهراة وغيرها كثيرا من المشايخ
وصنف التصانيف الجليلة وروى عنه الكبار وترجمته مشهورة توفي في شوال سنة اربع واربعمائة
اخبرنا ابو محمد الحموي هو ابو محمد عبد الله بن احمد بن حمويه السرخسي الحموي بفتح الحاء المهملة وضم الميم
المشددة ثم واو مكسورة ثم ياء مشددة نسبة الى جده حمويه ورايت في بعض النسخ بعد الواو همزة مكسورة
وفيه نظر والذي في حواشي ابن رسلان والشمني الاول لا غير وقيل اسم جده بفتح الميم المخففة فالنسبة
على هذا بالفتح والتخفيف وكسر الواو وفي ضبط النسخ اختلاف لهذا قلت لعل الهمزة المخففة رسمت
اشارة الى ابدال الواو المضموم ما قبلها همزة فانه لغة وهو من اهل هراة وكوشيخ ووصل الماوراء النهر وهو
اصولي محدث ثقة توفي في سنة احدى وثمانين وثلثمائة في ذي الحجة ومولده سنة ثلاث وتسعين ومائتين
حدثنا ابراهيم بن خريم بخاء معجمة مفتوحة مصغر وهو شاشي ترجمته مشهورة وهو ابو اسحاق بن
عثمان ومن قرأه بحاء مهملة فقد اخطأ وشاش بمعجمتين بلدة بما وراء النهر **حدثنا عبد** بلا اضافة
بن حميد بحاء مهملة مصغر والذي جزم به ابن حبان والبخاري ان اسمه عبد الحميد الكشي بالاعجام والاهمال
وهو ثقة حافظ مات سنة تسع واربعين ومائتين **حدثنا هاشم بن القاسم** ابو النضر المعروف
بقيصر ثقة مات سنة عشرة ومائة **عن ابي جعفر** قال التلمساني هو محمد الباقر بن علي سمي باقرا لتبحره
في العلم من البقر وهو الشق والتوسعة تابعي عدل ثقة وامام مشهور توفي في سنة اربع عشرة ومائة
على الاصح ودفن مع ابيه وعمه بالبقيع وهو من تلاميذ الربيع ومشايخ هاشم وفي المقتفي انه اختلف
في اسمه فقيل عيسى ابن ماهان وقيل عيسى بن عبد الله بن ماهان مولى تميم مروزي روى له الاربعة
وترجمته مشهورة **عن الربيع بن انس** ابو حاتم البكري البصري التابعي صدوق لكنه له اوهام كما
قاله ابن حجر وما في حواشي التلمساني من انه انس بن مالك سهو وحديثه هذا مرسل لانه لم يذكر صحابيه
توفي سنة مائة وتسع وثلاثين قيل والحديث المتقدم اولى سندا ومتنا ويمكن التوفيق بينهما بحمل الصلاة
على صلاة الليل والقيام على رجل ورفع رجل على ما كان يفعله بسبب تورم قدميه فان ثبت انه كان
يفعله اختيارا منه تطوعا فلعله نسخ لان الفقهاء لم يبيحوه لغير ضرورة وفيه نظر **قيل كان النبي
عليه السلام اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه ما انزلنا يعني طا الارض
يا محمد ما انزلنا عليك القرآن** الخ هذا كما مر من غير فرق فما مر لا وجه له وهذا كان قبل النهي فحكم الفقهاء
بالكراهة لا اشكال فيه • تنبيه لم نزل نتوقف في كيفية صلاة النبي صلى الله عليه وسلم قبل الاسرا
حتى رأينا ما نقله السيوطي في الخصائص الكبرى انها لا ركوع فيها وان المفسرين قالوا في قوله تعالى
واركعوا مع الراكعين ان مشروعية الركوع في الصلاة خاص بهذه الامة ويدل عليه ما اخرجه البزار ⑤
والطبراني في الاوسط عن علي انه قال اول صلاة ركعنا فيها العصر فقلت يا رسول الله ما هذا قال
بهذا امرنا ووجه الاستدلال انه صلى قبل ذلك الظهر وصلى قبل فرض الصلوات الخمس قيام الليل ونحوه
فكون الصلوات السابقة بلا ركوع قرينة لخلو صلاة الامم السالفة وكذلك الجماعة كما في شرح المجمع
انتهى • اقول هذا امر مقرر الا انه لخفائه لم يعرفه كثير من الصحابة المتاخر اسلامهم لان الساجد لا بد
له من الركوع في هويه لكنه انه لم يفصله عنه انتصاب لم يكن ركنا مستقلا وعبادة **ولا خفا بما في هذا الكلام**

من الاكرام وحسن المعاملة انتهى بمعنى في اي والمذكور مما في الآية وما يتعلق بها واكرامه
بانزال القرآن عليه وشفقته عليه بنهيه عما يتعبه من عبادته فما بالك بغيرها من امور تراه يحصل
له تعبا فيها فمعاملة الله له وخطابه بما فيه من اللطف ما يدركه من له ذوق سليم **وان جعلنا
طه من اسمائه كما قيل او جعلت قسما الحق الفصل بما قبله** اي ان جعل طه علما للنبي صلى الله عليه
وسلم مقسما به او جعل اسما لله ونحوه مقسما به ايضا التحقت هذه الاية المذكورة في هذا الفصل
بالفصل الذي قبله لانبائها بما اقسم به تعالى تحقيقا لمكانته عنده وبما افاده من نهاية المبرة في
مخاطبته واعلى درجات الادب في محاورته وقد قيل عليه ان لحوقه بالفصل الذي قبله على القسمية
واضح واما اذا كان من اسمائه فلا فانه تكلف وقيل انه تكلف وقيل انه متضمن للقسم بالباء حيلة
قسما لعطفه باو انتهى وقد علمت سقوطه بما بيناه وان كان في عبارته والقسم له لا ينافي كونه به
ايضا وما قيل من ان فيه مسامحة تامة بالحذف او المجاز والاستخدام وانه ان كان قسما باسمه فهو
من الرابع بل الخامس ايضا وان كان قسما بغيره فهو من الخامس لانه قسم لتحقق المكانة لكن لو كان اسما
غير قسم لم يلحق احدهما فلا يناسب قوله او جعلته ولم يرد الالحاق بالثالث لانه لا ينبني على احد
فعلين او بعضها انتهى وبل انتهى وفيه ما لا يخفى **ومثل هذا امر نمط المبرة والشفقة** في المصباح
النمط بفتحتين ثوب من صوف ذو لون من الالوان ولا يكاد يقال للابيض نمط والانماط ايضا الطريق
والجماعة من الناس ثم اطلق النمط اصطلاحا على الصنف والنوع فقيل هذا من نمط هذا اي من نوعه
انتهى فالمعنى انه من نوع الاحسان واللطف ومن جملتها فكانه من جماعتها وهذا مسموع فلا يتوهم
انه استعمال غير مسموع وفي الحديث خير هذه الامة النمط الاوسط قوله **فلعلك باخع نفسك
على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا اي قاتل نفسك كذلك غضبا او غيظا او جزعا**
لعل كما يكون لرجا المحبوب يكون للاشفاق من المكروه والمراد هنا التاني على لسان العباد او بارادة
لازمه لاستحالته عليه تعالى وباخع من بخع نفسه من باب نفع ما يقع قبلها من وجد او غيظ او
بخع لي بالحق بخوعا انقاد وبذله كما في المصباح قال البيضاوي شبهه لما تداخله من الوجد
على توليهم عن الايمان بمن فارقته احبته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم او
اذا ما تولوا على الكفر تقول العرب يبكي على اثر فلان اذا بكى على فراقه وهذا كما يقول لمن اهمه ما يحزنه
من غيره اطرح ما انت فيه وكل امرك لله ولا تهلك نفسك والمراد بالحديث القرآن وهو يطلق
عليه قال تعالى ومن اصدق من الله حديثا واما اختصاصه بحديث الرسول فعرف طار وقوله ولذلك
اي لاجل عدم ايمانهم بهذا الحديث لان الشرط قد يفيد العلية نحو ان كانت الشمس طالعة فالنهار
موجود ويؤيده قراءة ان لم يؤمنوا بفتح الهمزة قال القاضي قرئ بالفتح على تقدير لان فلا يجوز اعمال
باخع الا اذا جعل حكاية لحال ماضية يعني على هذه القراءة لان عدم الايمان على القراءة الاولى
مستقبل لانه في حيز الشرط فباخع مستقبل عامل وعلى الثانية ماض فلذا جعل حكاية وقوله غضبا
الخ له معان ثلاثة ما لوحة ثابتة في اللغة وقيل حزنا او ندما والغضب ضد الرضا والغيظ اثره
او سورته او ما اضمر في النفس وفيه كلام وفسر بالغضب ايضا وليس مرادا لئلا يتكرر ولا
يصح التفسير لعطفه باو والجزع ضد الصبر وفي عمدة الحفاظ الاسف الغضب والحزن معا
ويطلق على كل منهما بانفراده وحقيقته فوران دم القلب لارادة الانتقام فمتى كان من تحته
انتشر فصار غضبا ومتى كان من فوقه انقبض فصار حزنا وهي منصوبة مفعول له او حال ⑤
ومثله قوله ايضا مصدر آض يئيض اذا رجع ومعناه عودا لما قبله لمشاركته له في معناه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فلذا فسرت بالشفقة وهو مفعول مطلق او حال ومثله نظر لمعناه ونظير للفظه فلا تكرار ولو
حذف لكان اولى لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين تفسيره يعلم مما مر والمقصود منها
منع الهم شفقة عليه قيل وانما ذكر هذه الآية لما في هذه من توقع انقيادهم ووقوع انقيادهم
ووقوع امنيته فان كانت لا زائلة ففيها غاية الاشفاق عليه ثم قال ان نشأ ننزل عليهم
من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين المراد بالآية هنا آية مخصوصة وهي الملجئة
يشير الى الايمان او ما فيه عذاب وعقاب والاظهر من آية نزلت وما انقادوا لها والخضوع
التذلل والانقياد وقوله فظلت معطوف على الجواب لصحة وقوع الماضي موقعه وعبر بالماضي
لتحققه بعد نزول هذه الآية والاعناق الاعضاء المعروفة ويعبر بها عن الرؤسا كما يعبر بالراس
وعلى هذا فخاضعين بجمع العقلاء ظاهر وعلى الاول فلما نسب لهم ما يثبت للعقلاء من الخضوع
عبر بعبارتهم كما في قوله رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين والاعناق
مقدرا او المضاف اكتسب منه العقلاء من المضاف اليه كما يكتسب منه التذكير والتانيث وفي الآية
تسلية له تزيل غمه وهو شفقة عظيمة ففيه مناسبة لما المقصود بصدده ومن هذا الباب
الباب معروف ويطلق على القبيل والنوع اطلاقا شائعا فيقال هذا من باب كذا اي من جنسه
ونوعه وهو المراد اي من قبيل ما نحن فيه من شفقة الله على رسوله فلا يتوهم ان الظاهر ان يقول
من هذا الفصل قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين الى قوله يضيق صدرك بما
يقولون الى اخر السورة واصل معنى الصدع صدم الاناء ونحوه فينشق فاستعير للامر المؤثر
تأثيرا ظاهرا والكلام المؤثر في النفس وقيل الصدع الفرق بين الشيئين فكأنه قيل له افرق
بين الحق والباطل فكأنه صدع على جهة البيان والتشبيه لظلمة الجهل والشرك بظلمة الليل
ولنور القرآن بنور الفجر لان الفجر يسمى صديعا كما قال

ترى السرحان مفترشا يديه • كأن بياض غرته صديع

وما مصدرية او موصولة والعائد محذوف واصله بما تؤمر على حد امرتك الخير ولا يخفى
ان هذا على الحذف والايصال فالظاهر ان يقدر بما تؤمر به ولا يشكل بان شرط حذف عائد الموصول
المجرور ان يجر بمثل ما جر به الموصول لفظا ومتعلقا نحو ويشرب مما تشربون اي منه لان الصدع
بمعنى الامر كما مر ولا يشترط المماثلة اللفظية ولا يخفى مناسبة الآية للفصل اذ المراد لا
تحزن لمخالفتك فان لها حكمة سترى عاقبتها لك وعلى اعدائك واي شفقة وتكريم احسن من
هذا ولم ينقل في الآية التي قبلها الى اخر السورة تصريحا بما فيه زيادة دلالة على التسلي والشفقة
به وما يقولونه هو الشرك والاستهزاء والطعن في القرآن وهي منسوخة بآية القتال وقيل كان
ينبغي ان يذكر قوله انا كفيناك المستهزئين قلت استغنى عنها بالآية التي عقب هذا وهي في قوله
ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية اي فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون
والمستهزءون خمسة من اشراف قريش كانوا يبالغون في ايذائه فاهلكهم الله كما فصله المفسرون
وهي واردة على نهج الشفقة والتسلية والوعد بانه سيكفيهم باهلاكهم وورد بصيغة الماضي
تحقيقا له ولذا عقبه بقوله الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون اي عاقبتهم في الدارين
كما ذكره القاضي واقتصر في الكتاب على ان عاقبة امرهم يوم القيمة ذلك وقوله فحاق الخ اي
احاط بهم حيث اهلكوا لاجل الاستهزاء او باطلاق السبب على المسبب لان المحيط العذاب لا الاستهزاء
به ونزل به وباله فوضع موضعه وهذه الآية في الانعام والانبياء ويحتمل انها آية الرعد وتمامها

فأمليت

فأمليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي اياهم قال مكي سبقت ترجمته سلاه الله تعالى
بما ذكره وهون عليه ما يلقى من المشركين من استهزائهم وعنادهم وانما تسلى من غمه وتشفق
عليه والتسلية بان اخوانه اولي العزم ابتلوا بمثله فصبروا وكانت النصرة والعاقبة لهم
في الدارين والتأسي بما يثلج الصدر كما قيل

ولولا كثرة الباكين حولي • على اخوانهم لقتلت نفسي

وفي التأخير حكم كثيرة وان كان تعجيل الانتقام من اذى المنسوبين لانهم لا يتيقنون عاقبة
امرهم فلذا قال واعلم ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله اعلم ماض فاعله ضمير الله
ومفعوله ضمير الرسول وتمادى اي تأخر وتطاول تفاعل من المدى وهو الغاية ومنه مدى البصر
وفي المصباح تمادى عنه اذا اخره ودام على فعله من امداه ابعده او من ماديته اذا امهلته
وعلى ذلك حال اي كائنا مستمرا على استهزائه قيل فيه قرينة على ارادة آية الرعد ويحل به
اي ينزل به العذاب الذي نزل بامثالهم فهو بضم وكسرها من الحلول بمعنى النزول لانه الذي
يتعدى بالباء لا من حل بمعنى وجب لانه يتعدى بعلى قال في المصباح حل العذاب يحل ويحل
حلولا هذه وحدها بالضم والكسر والباقي بالكسر فقط انتهى وفي القاموس حل المكان وبه يحل
وعليه نزل وفي الصحاح بالكسر وجب وبالضم نزل وتبعه بعض الشراح وفيه نظر يعني انها
عادة الله في مثله ومثل هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك
اي مثل التسلية السابقة ما في هذه الآية من تهوين ما لقيه بانه له فيه اسوة بمن تقدم من
الرسل وانه سيكون له مثل ما كان له من نصره وعلو قدره والانتقام من اعدائه والتسلية لمن
يحزن ويشق عليه ويحزنه ذلك وهو غاية الشفقة واطلق الآية واراد جميعها الى قوله ترجع
الامور فهو من اطلاق الجزء على الكل كما تقول قرأت بانت سعاد اي القصيدة كلها فالمناسبة
للفصل والمماثلة في غاية الظهور ومن هذا القبيل في الشفقة والتسلية الدالة على منزلته
عند الله قوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون
المشار اليه بقوله كذلك الامر الذي وقع له صلى الله عليه وسلم من تكذيبه وقولهم انه ساحر
او مجنون افترى على الله كذبا ام به جنة وتمام هذه اتواصوا به بل هم قوم طاغون والاستفهام
للتعجب تعجب من توارد افواههم وآرائهم على تكذيب الرسل مع تباين ازمانهم والاضراب عن تواصيهم
بما ذكر الى تجاوز حدهم في العناد الجامع لهم فيما ذكر وقوله ما اتى الخ كالتفسير لما قبله كما قاله
البيضاوي وقيل الوجه ان يكون الامر عبارة عما جعله المشار اليه تكذيب الذين من قبلهم رسلهم
وتسميته كل رسول اتى اليهم اي جاءهم وبعث اليهم كذابا او شاعرا او مجنونا لان المقصود
تشبيه فعل هؤلاء المتأخرين مع رسلهم بفعل اولئك المتقدمين مع رسلهم وارشادهم لهم
ما هم منزهون عنه لعصمة الله لهم فالمماثلة تامة عزاه الله اي حمله على الصبر كما صبروا لانه
تفعيل من العزاء وهو الصبر بما اخبره به عن الامم السالفة الباء للتعدية او سببية والسالفة
بمعنى المتقدمة والوصف بالمفرد المؤنث لتأويله بالجماعة وهي مقيس مطرد ومقالها بالجر معطوف
على الامم ويجوز عطفه على مجرور الباء كما في قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام في قراءة الجر
اي وبمقالها والاول اقرب ولا تكلف فيه كما قيل وفي نسخة مقالهم لانبيائهم قبله والاول
تصريح بلازم ما في الآية لان كون انبياء اولئك قبل هؤلاء يستلزم كونهم قبله صلى الله عليه وسلم
ومحنتهم بهم وفي نسخة محنته اي محنة النبي صلى الله عليه وسلم بهؤلاء المكذبين له وعلى الاول

شبكة الألوكة
www.alukah.net

محنة الانبيا باممهم والمحنة الابتلا والاختبار وهذه النسخة اولى والانسب بقوله وسلاه بقوله
بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اولى من لقي ذلك ذلك اشارة الى ما وقع للانبيا قبل
مع اممهم مما يضاهي ما وقع له ومثله الضمير فيه راجع لما اشار اليه وافرده لتاويله بما ذكر وروي
بمثلهم وهو تسلية بالتاسي كما مر ومن كفار مكة متعلق بالمحنة وضمير انه للنبي وهو معطوف على
ذلك وتبين وجه التسلية بقوله ليس الخ ثم طيب نفسه وابان عذره ثم للبعد اللفظي والرتبي
ونحوه كما مر وابان عذره عطف على طيب نفسه عطف تفسير لان حزنه لعدم اطاعة كفار مكة
خوفا من تقصيره في مرتبة الرسالة والتبليغ فاظهر انه معذور في اعراضهم وعدم انقيادهم فطاب
نفسه من نسبة شي من التقصير اليه فلا لوم ولا عتب عليه في مثله وفيه غاية الشفقة واللطف
وتفريج همه وكربه بقوله تعالى فتول عنهم اي اعرض عنهم وهذه الآية منسوخة باية السيف وقيل
بقوله فذكر اي اعرض عن المجادلة وما يبعثك اي عن الهم والحزن المكدر لقلبك المضيق لصدرك
او اعرض تارة وذكر اخرى فلا نسخ والنسخ بقوله فان الذكرى تنفع المومنين كما قاله ابن الجوزي
قيل وهو غريب لعطفه الناسخ على المنسوخ بالواو والمشركة الا ان يكون الواو للاستفتاح كما ذكره
بعضهم وعلى تفسير المص يعني دم على التذكير والموعظة فتدبر فما انت بملوم اصله ملووم
فنقلت الضمة وحذفت الواو والمنفي لوم مخصوص من جهة مخصوصة كما اشار اليه بقوله اي في
اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت مبني للمجهول مشدد الميم وما حمله امانة الرسالة وقد
اداها وبذل الجهد فلا يتوجه اليه لوم وفيه من المدح والاشفاق ما لا يخفى اي انت لا تلام من جهة
الاداء على التقصير فانك لم تقصر وانما انت مذكر ما عليك الا البلاغ وقد فعلت وبذلت مقدورك
قيل والاولى ما قاله البيضاوي من ان المراد نفي اللوم على الاعراض بعد بذل جهده في البلاغ
اذ المقصود نفي اللوم مطلقا وكلام المص موهم لتقييده مقيدا او قيل اللوم على عدم ايمانهم فقيل
لا تهتم بهم ولا تحزن ولا يبعد ان يراد لا تلتفت لقولهم لك لم تركت ملة الآباء لما امرت به ونحو
ذلك فانك لست بملوم عندنا او في نفس الامر بل في اعتقادهم ايضا فلا تغتر بما قالوه وذكروه
وعلى هذا فلا نسخ كما مر قلت التقييد لا ضرر فيه هنا وايهام لست ملوما هذا في انه يلام مع عدم
لا يلتفت له لانه على حد قوله • ولا ترى الضب بها ينجحر • فيفيد عدم اللوم على غيره بالطريق الاولى
وليس في قوله ابلاغ ما حملت تكرار مع ما قبله لان الثاني فيه كفاية عن الاول كما توهم لان
المعنى بلغت الكل واديته كما ينبغي فالاولى لحسن الاداء والثانية للشمول والتعميم او الثانية تعميم
بعد تخصيص ففيه اطناب حسن كما قيل بل لان الاولى تفيد انه مامور بالتبليغ كمن ارسل برسالة
وامانة فاوصلها ومثله في التسلية الدالة على كمال الشفقة والمحبة قوله تعالى واصبر لحكم
ربك فانك باعيننا اي دم على الصبر وتنفيذ ما حكم الله به ولا تحزن ولا تخف من الاعداء فانك
محفوظ محروس لا يصلون اليك ولا يريبك بساحتك عقارب كيدهم او اصبر لاجل حكم الله اي التبليغ
احكامه وفي المعالم اصبر الى ان يقع ما حكمنا به او الى ان نحكم او ننزل حكما وفيه الايما الى قتالهم
واللام بمعنى على او للتعليل او بمعنى الى والحكم ما حكم الله به وقدره في الازل اي لا تنزعج بالبعث
في سبيلنا ودم على الجد فانك محفوظ معصوم من الناس والاعين جمع قلة للعين والضمير المضاف
اليه لله بصيغة التعظيم ولايهامه تعددا لا يجوز اطلاقه هنا بل يقتصر فيه على ما قاله الله في
حق نفسه كما نقله الدماميني في شرح التسهيل والمراد بالعين الحفظ والحراسة على الاستعارة
او المجاز المرسل فما يقال هو بعيني او عيني وبمراى ومسمع مني وجمع قيل لمناسبة المضاف اليه او لكثرة

اسباب الحفظ فيه وبيته نعم تتعلق بكل شي وليست مخصوصة بالنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان جمع القلة
مستعار هنا للكثرة ولك ان تقول انه جمع مخلوقاته فانه قليل بالنسبة لجلاله وعظمة ذاته والى هذا
اشار بقوله اي اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك بيان للمراد من هذه الآية وارادة
الحفظ والمجازاة بعيد ولا يلتفت الى ما قيل انه غير بعيد فانه مكابرة وفي الشرح الجديد دلالة على
ما ذكر على الحفظ لانك اذا قلت فلان نصب عين استحال حقيقة الظرفية على انه داخل العين فتعين ارادة
لازمه وهو في حفظك بغير طريق الروية لانه ما استقر في عينك كان محفوظا فوق الروية اذ من شرط
الروية عدم مماسة العين للمرئي فان اريد معناه الحقيقي على ان البا للظرفية المجازية فالحفظ مراد
بطريق الكناية لصحة الجمع بين المعنيين فيها دون المجاز فالمراد مجرد الروية بغير جارحة لاستحالتها
في حقه تع وذهب البيضاوي في قوله تع واصنع الفلك باعيننا الى ان البا للملابسة والتعبير
بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشي عن الاختلال للمبالغة والحفظ والرعاية على طريق التمثيل فلا
كناية فيه اصلا على هذا ومنه يفهم وجه الجمع كما مر سلاه الله بهذا اي بمثل هذا الكلام وما في معناه
بذكره في آي بمد الهمزة وتخفيف اليا جمع آية او اسم جنس جمعي لها ولا حاجة لجعله بمعنى مع كما قيل واذا
صح كثيرة كقوله تع ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا
من هذا المعنى من بيانية والتقدير كائنة من مثل ما يدل على هذا المعنى وهو الحفظ والوعد له
والنصر والامر بالصبر للتسلية والشفقة والمعنى مفعل من عناه بمعنى قصد قال في المصباح قول
العامة لاي معنى فعلت والعرب لا تعرف المعنى ولا تكاد تتكلم به نعم قال بعض العرب ما معنى هذا
بكسر النون وتشديد اليا وقال ابو زيد هذا في معنى هذا وفي معناه سوا اي في مماثلته ومشابهته
دلالة ومضمونا ومفهوما وقال الفارابي معنى الشي ومعناته واحد ومعناه وفحواه ومضمونه كله
هو ما يدل عليه اللفظ في التهذيب على تغلب المعنى والتفسير والتاويل واحد وقد استعمل الناس
قولهم هذا في معنى كلامه وشبهه يريدون هذا مضمونه ودلالته وهو مطابق لقول ابي زيد
والفارابي واجمع النحاة واهل اللغة على عبارة بنا ولوها وهي قولهم هذا بمعنى هذا وهذا في المعنى
واحد وسواء اي مماثلة ومشابهة انتهى ولنا فيه كلام في حواشي الرضي

الفصل السابع فيما اخبر الله به في كتابه العزيز

اي العظيم الشريف او القوي اد لته ومعانيه او في الذي لا نظير له في الكتب من عظيم قدره وشريف
منزلته على الانبيا وحظوة رتبته وفي بعض النسخ عليهم اي على جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام
كما سيأتي تفصيله والمنزلة والرتبة متقاربان بمعنى علو القدر والحظوة بضم الحا المهملة وكسرها
وسكون الظا المشالة اي اختصاص رتبته بالحظ الاوفر من حظي عند غيره يحظى من باب تعب حظوة
كعدة اذا احبوه ورفعوا منزلته فهو حظي على فعيل وقوله على الانبيا متعلق بما قبله لتضمنه معنى العلو
قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين
يعني قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم
اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين وفي بعض النسخ تلاوتها بتمامها قال
ابن المنير في تفسيره البحر الكبير يحتمل ان يراد اخذ الله الميثاق على النبيين او على الامم الميثاق الذي
شرع النبيون تعظيمه فاضيف اليهم وهو بتقدير مضاف اي ميثاق امم النبيين ويحتمل ان يراد
بالنبيين مدعوا النبوة تهكما بهم وقد كان اليهود يقولون نحن احق بالنبوة من العرب وعدلوا عن الاول

والمراد تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مع ظهوره لانهم لم يذكروه فهو على الفرض والتقدير وهو تكلف ولما آتيتكم يحتمل الشرطية والموصولية
واللام موطئة للقسم لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وعلى الشرطية جواب القسم ساد مسد
الامرين وهو قوله لتؤمنن وقرا حمزة لما بالكسر اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجي رسول
موافق لكم مصدق لما معكم فكل من هذين الامرين جدير بان يكون علة وسببا في نصرتكم اياه لانكم
اولى بتبليغ الحكمة ومقتضياتها ونصرة الحق كاينا من كان ولانه جا بما هو مظاهر لكم مصدق لما معكم
فاذا كانت شرطية او موصولة فمن بيانية وان كانت مصدرية فتبعيضية لانه ليس هناك ما يبين
وانما امتن عليهم ببعض الكتب لانه كاف في الحجة • ويجوز على قراءة الكسر به والتعليل ان تكون ما
موصولة اي اوجبت على الانبيا نصرة النبي الموعود به في المستقبل لاجل الكتاب الذي اتيته كل احد
منهم وجملة جاكم معطوفة على الصلة اقيم فيها الظاهر مقام الضمير والتقدير لما اتيتكموه من
الكتاب ثم جاكم رسول مصدق له وقراة ابن جبير لما بالتشديد وهو يقوي المصدرية وقيل اصل لما
لمن ما ادغمت النون فاجتمع ثلاث ميمات فحذف احدها والمعنى لمن اجل ما اتيتكم من كتاب وهو قريب
من قراءة حمزة بالكسر انتهى • واعلم ان هذه الاية اجل آية في حقه صلى الله عليه وسلم وقد افردها التقي السبكي
برسالة سماها التعظيم والمنة في معنى لتؤمنن به ولتنصرنه قال فيها في هذه الاية من التنويه به عليه
السلام وتعظيم قدره العلي ما لا يخفى وفيه مع ذلك انه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلا اليهم
فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من آدم الى يوم القيمة وتكون الانبيا واممهم كلهم من امته
ويكون قوله وبعثت الى الناس كافة لا يختص بالناس الى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم ايضا ويتبين
بذلك معنى قوله كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وان من فسره بعلم الله بانه سيصير نبيا لم يصل
الى هذا المعنى لان علم الله يحيط بجميع الاشيا ووصف النبي بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي ان يفهم
منه انه امر ثابت في ذلك الوقت ولهذا راى آدم مكتوبا على العرش محمد رسول الله فلا بد ان يكون ذلك
معنى ثابتا في ذلك الوقت ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير في المستقبل لم يكن له خصوصية
بانه نبي وآدم بين الروح والجسد لان جميع الانبيا يعلم الله نبوتهم في ذلك الوقت وقبله فلا بد
من خصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم لاجلها اخبر بهذا الخبر اعلاما لامته بنبوته ليعلموا قدره عند الله
فيحصل لهم الخير به • فان قلت اريد ان افهم ذلك القدر الزائد فان النبوة وصف لا بد ان يكون الموصوف
به موجودا وانما يكون بعد بلوغ سن اربعين سنة فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل ارساله
وان صح ذلك فغيره كذلك • قلت قد جا ان الله خلق الارواح قبل الاجساد فالاشارة بقوله كنت نبيا
الى روحه او الى حقيقته والحقايق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعرفها خالقها ومن امده بنور
الهي ثم ان تلك الحقايق يوتي الله كل حقيقة منها ما يشا في الوقت الذي يشا فحقيقة النبي قد تكون
من قبل خلق آدم آتاها الله ذلك الوصف بان يخلقها متهيئة لذلك وافاضه عليها من ذلك الوقت فصار
نبيا وكتب اسمه على العرش واخبر عنه بالرسالة ليعلم ملايكته وغيرهم كرامته عنده فحقيقته موجودة
من ذلك الوقت وان تاخر جسده الشريف المتصف بها واتصاف حقيقته بتلك الاوصاف الشريفة المفاضة
عليها من الحضرة الالهية وانما تاخر البعث والتبليغ وكل ما له من جهة الله ومن جهة ذاته الشريفة
وحقيقته معجل لا تاخر فيه وكذلك استنباؤه وايتاؤه الكتاب والحكم والنبوة وانما المتاخر ۞
تكونه وتنقله الى ان ظهر عليه السلام وغيره من اهل الكرامة وقد يكون افاضة الله تلك الكرامة عليه
بعد وجوده بمدة كما يشا سبحانه ولا شك ان كل ما يقع فالله عالم به من الازل ونحن نعلم علمه بذلك
بالادلة العقلية والشرعية ويعلم الناس منها ما يصل اليهم عند ظهوره كعلمهم بنبوة النبي حين نزل عليه

القرآن في اول ما جاءه جبريل وهو فعل من افعاله تعالى من جملة معلوماته ومن آثار قدرته وارادته
واختياره في محل خاص يتصف به فهاتان مرتبتان الاولى معلومة بالبرهان والثانية ظاهرة
للعيان وبين المرتبتين وسايط من افعاله تعالى تحدث على حسب اختياره منها ما يظهر لهم بعد ذلك
ومنها ما يحصل لهم كمال لذلك وان لم يظهر لاحد من المخلوقين وذلك ينقسم الى كمال يقارن ذلك المحل من
حين خلقه والى كمال يحصل له بعد ذلك ولا يحصل علم ذلك الينا الا بالخبر الصادق والنبي عليه السلام
خير الخلق فلا كمال لمخلوق اعظم من كماله ولا محل اشرف من محله فعرفنا بالخبر الصحيح حصول ذلك
الكمال من قبل خلق آدم لنبينا صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه وانه اعطاه النبوة من ذلك
الوقت ثم اخذ له المواثيق في معنى الاستحلاف ولذلك دخلت لام القسم في لتؤمنن به ولتنصرنه
لطيفة هذا كايمان البيعة للخلفا وكانها اخذت من هنا فانظر هذا التعظيم من ربه سبحانه واذا
عرف ذلك فالنبي عليه السلام هو نبي الانبياء ولقد ظهر ذلك في الآخرة بكون جميع الانبيا تحت
لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة الاسرا اذ صلى بهم ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وغيرهم وجب عليهم
وعلى اممهم الايمان به ونصرته وبذلك اخذ الله الميثاق عليهم فنبوته ورسالته اليهم معنى حاصل
له وانما امره متوقف على اجتماعهم معه فتاخر ذلك الامر راجع الى وجودهم لا الى عدم اتصافهم بما
يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على اهلية الفاعل فهنا لا توقف من جهة الفاعل
ولا من جهة ذات النبي وانما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه
بلا شك ولهذا ياتي عيسى في آخر الزمان على شريعته وهو نبي كريم على حاله لا كما يظنه بعضهم من انه
ياتي واحدا من هذه الامة نعم هو واحد منها لما قلناه من اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم فانما يحكم بشريعة
نبينا بالقرآن والسنة وكل ما فيها من امر او نهي فهو متعلق به كما يتعلق بساير الامة وهو نبي على حاله
لم ينقص منه شي ولذا لو بعث النبي في زمنه او زمن موسى وغيرهم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم
الى اممهم والنبي نبي عليهم ورسول الى جميعهم فنبوته ورسالته اعم واشمل واعظم متفق مع شرايعهم
لانها لا تختلف وتقدم شريعته فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع فيه اما على سبيل التخصيص
واما على سبيل النسخ او لا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبي في تلك الاوقات بالنسبة الى اوليك
الامم ما جات به انبياؤهم وفي هذا الوقت بالنسبة الى هولا الامة هذه الشريعة والاحكام تختلف
باختلاف الاشخاص والاوقات وبهذا بان لنا معنى حديثين خفيا علينا • احدهما قوله بعثت الى
الناس كافة كنا نظن انه من زمانه الى يوم القيمة فبان انه زايد على ذلك على ما شرحناه وانما يفترق
الحال بين ما بعد وجود جسده وبلوغه الاربعين وما قبل ذلك بالنسبة الى المبعوث اليهم وتاهلهم
لسماع كلامه لا بالنسبة اليه ولا اليهم لو تاهلوا قبل ذلك وتعليق الاحكام على الشروط قد يكون بحسب
المحل القابل وقد يكون بحسب الفاعل المتصرف فبان ان التعليق انما هو بحسب المحل القابل وهو المبعوث
اليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذي يخاطبهم بلسانه وهذا كما لو وكل الاب رجلا في تزويج
ابنته اذا وجدت كفوا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل اهل للوكالة ووكالته ثابتة وقد يحصل توقف
التصرف على وجود كفو ولا يوجد الا بعد مدة وذلك لا يقدح في صحة الوكالة واهلية الوكيل انتهى ۞
اقول بعد ما قدمته لك حديثا رواه ابو نعيم في الحلية عن انس انه عليه السلام قال اوحى الله الى
موسى انه من لقيني وهو جاحد باحمد ادخلته النار قال يا رب ومن احمد قال ما خلقت خلقا اكرم علي
منه كتبت اسمه مع اسمي في العرش قبل ان اخلق السموات ان الجنة محرمة على جميع خلقي حتى يدخلها
هو وامته قال ومن امته قال الحمادون يحمدون صعودا وهبوطا وعلى كل حال يشدون اوساطهم

شبكة الألوكة www.alukah.net

ويظهرون اطرافهم اسود بالنهار رهبان بالليل اقبل منهم اليسير وادخلهم الجنة بشهادة ان لا
اله الا الله قال اجعلني نبي تلك الامة قال نبيها منها قال اجعلني من امة ذلك النبي قال استقدمت
واستاخرت لكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال انتهى وورد بمعناه من طرق كثيرة كما في الخصائص
الكبرى واعلم ان معنى كون احد من امة نبي من الانبيا انه مكلف باتباعه واتباع شريعته علماً
وعملاً وهي امة دعوة وامة اجابة ويلزم من اجابته من امته تعظيمه وتوقيره واعتقاد صدقه في
كل ما جاء به واعزازه ومحبته ولا يلزم من تعظيمه ومحبته واعتقاد صدقه ان يكون مكلفاً باتباع
شريعته والتعبد بها الا ترى ان الله عزه وعظمه واحبه ولا يتصور فيه ذلك وكذلك الرسل
والانبيا جميعهم معظمون له ومحبون لانهم اعرف به من غيرهم مع انهم غير مكلفين باحكام شريعته
والا لم يكونوا اصحاب شرع وكتاب مستقل والنصوص العقلية والنقلية ناطقة بخلافه الا ترى
الى قوله تع انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده وما في معناها من الايات
اذا عرفت فاعلم ان ما قاله السبكي وتبجح به واستحسنه هو ومن بعده ممن وقف عليه لا وجه له
عند من له بصيرة نقادة فاياك ان يخطر ببالك ان هذا يقتضي ان من تقدمه من الانبيا وعلما الملل
السالفة غير متبالغين في تعظيمه وتصديقه ومحبته فان هذا معنى والتعبد بشرعه معنى آخر
ومن خلطهما امر واجل لا يعتد به وقوله لتؤمنن به دون بشرعه مناد عليه وكيف يتأتى ما قاله
مع قوله اتبع ملة ابراهيم حنيفا فانه عكسه وقد طلب موسى ان يكون من امته فاجابه الله بما
سمعته آنفا في الحديث الصحيح فقوله انه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلا اليهم الى اخره
لا معنى له وقوله في حديث كنت نبيا الخ انه في عالم الارواح معنى صحيح ومن فسره بالعلم فقد
بعد المراد علم اظهره الله لغيره من الملائكة والارواح تشريفا له وتعظيما وكونه اشارة الى
حقيقته اذا اراد به روحه رجع لما قبله فان اراد غيره فامر لا يعقل عند من خلع ربقة التقليد
من جيد اعتقاده وقوله في حق عيسى انه يأتي في آخر الزمان على شريعته وهو نبي كريم جمع بين
الضب والنون وههنا بحث وهو ان بين ظرف مكان معناه مكان توسط بين شيئين اضيف
لهما وقد يكون للزمان وهو في الاصل مصدر بمعنى الافتراق ويتجوز به عن معان اخر كما يقال
بين الرجا والخوف اي متردد بينهما يكون تارة خائفا وتارة راجيا وبين الحلو والحامض والكلمة
بين اسم وفعل وحرف اي منقسمة وقوله في الحديث بين الروح والجسد ليس بمعناه الحقيقي ٥
لاقتضائه وجود روح آدم وجسده حين بعث نبينا ولا يصح هذا ولا شيء من المعاني السابقة
والظاهر انه ظرف زمان اي في زمان كان بين خلق روحه وقبل خلق جسده على انه نبأه في عالم
الارواح واطلع الارواح على ذلك وامرها بمعرفة نبوته والاقرار بها وهذا المعنى بعينه قوله بين
الماء والطين اي بعد خلق عناصره غير مركبة ولا منفوخ فيها الروح فهو بمعنى الحديث الذي صححه
فيكون رواية بالمعنى لم يثبت بهذا اللفظ وهذا مما لم يحم احد حول حماه والحمد لله الذي هدانا لهذا
وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله واذ متعلقة باذكروا مقدرا وحده او اذكروا يا اهل الكتاب
فقوله يا اهل الكتاب ان اريد به جميعهم فظاهر وان اريد الموجودين في زمن نبينا فلتنزيلهم ما جاءهم
او بعد روا او جاء اياكم والميثاق العهد واليمين وقيل يتعلق باقررتم وان اخر والمراد بكتاب الجنس ٥
والحكمة الشريعة والاعتقادات الحقة والمراد بالنبيين مطلقهم او مع اممهم او انبيا بني اسرائيل
ومن تبعيضية او بيانية واللام موطئة او ابتدائية ثم جاءكم رسول التنوين والابهام للتعظيم
لان المراد محمد صلى الله عليه وسلم وقيل انه عام وان العهد اخذ على سائر الانبيا ان يصدق بعضهم بعضا

وبامر

وبامر باتباعه والايمان به وهو مروي عن ابن جبير مصدق لما معكم من وضع الظاهر موضع
المضمر كما مر وقيل تقديره جاءكم به فالعائد محذوف وهو تكلف لتؤمنن به اي برسالته تقدم انه
جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط ان كانت ما شرطية او جوابها محذوف وعلى كل حال سواء كانت
شرطية او موصولة مبتدأ لا بد في الجواب والخبر من التقدير وفيه تكلف وقال التفتازاني قد يستغنى بعود
الضمير الى ما في اثناء الجملة عن العود الى المبتدا او الشرط لارتباط بعض الكلام ببعض قيل هو غريب جدا
ولما كان المراد الايمان بالرسول فلا بد من التقدير اي ضمير به لما بتقدير المصدق اي برسالة مصدقه
اقول ما عده غريبا اشهر من قفا نبك وهو مذكور في متن التسهيل وقال في شرحه انه مذهب
الاخفش والكسائي وصرح به السعد في شرح الكشاف في قوله تع والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
يتربصن وفي الروض الانف ما في هذه الآية مبتدأ بمعنى الذي والخبر لتؤمنن به ولتنصرنه وان كان
الضميران عائدين على رسول ولكن لما كان رسول مصدق لما معكم ارتبط الكلام بعضه ببعض واستغنى
بالضمير العائد على الرسول عن ضمير يعود على المبتدأ وله نظائر في التنزيل انتهى قال أأقررتم
للاستثبات وأخذتم على ذلكم اي قبلتم على ذلك المذكور إصري عهدي وميثاقي قالوا أقررنا
قال فاشهدوا اي الملائكة على اقرارهم او بعضكم على بعض استخص الله استخص وخص واختص
بمعنى فالسين للتأكيد لا للطلب وقيل المعنى طلب تخصيصه وهو مجاز عن لازمه وهو الارادة
وارادة الله لا تتخلف فمعنى اراد كذا فعله وهو تكلف لا حاجة اليه بقوله اي بسبب قوله هذا
في الآية للانبياء وقد سقط هذا من بعض النسخ محمدا عليه الصلاة والسلام بفضل لم يؤته
غيره مؤكد للتخصيص دفعا لتوهم المجاز او ارادة التخصيص الذكري أبانه به اي اظهره له الفضل
له اي فضله وميزه به عن غيره وهو مؤكد لما قبله ايضا سواء كان مستأنفا ام لا وباء به للتعدية
او سببية وهو اي الفضل المختص به ما ذكره في هذه الآية قيل ان هذا على بعض التفاسير جار
من ان بعض المفسرين قالوا انها عامة وان كل نبي اخذ عليه العهد بان يصدق من بعده وان يؤمن بعضهم
ببعض وقال البغوي والثعلبي ان عليه كثير من المفسرين ولذا استشكل بعضهم اختصاص هذا بنبينا
ولذا فسر الرسول هنا بمحمد لانه امر ثابت بغير هذه الآية مقرر عندهم واجيب بان العهد المأخوذ
على الانبيا اجمالي من غير تعيين وهذا معين باسمه وصفته او ان الفضل المخصوص به اخذ العهد
بان يؤمنوا به وينصروه اذا ادركوه حتى يكونوا من امته والآية محمولة على هذا كما مر عن السبكي فلا
اشكال قال المفسرون اي بعضهم وكون التعريف للعهد لا قرينة عليه أخذ الله الميثاق بالوحي
الى الانبيا وحمل على هذا ما وقع في عالم الذر حين اخرجهم من صلب آدم واخذ العهد بالايمان به
فيكون اخذ عليهم عهدا بالايمان بمحمد ايضا فالوحي مجاز عن مطلق الاعلام او هو اعلام نبيه بذلك
اذا اوحاه له بعيد جدا والحق ان هذا امر آخر في هذه النشأة كما يدل عليه قوله فلم يبعث نبيا إلا
ذكر له محمدا ونعته بصيغة المصدر المنصوب في الماضي اي ذكر له صفته اي لم يبعثه في حال
من الاحوال الا حال ذكره له والبعث زمانه ممتد فالذكر الواقع في اوله او بعده مقارن له فالحال
من زمن العامل وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه ليؤمنن به ضمير النبي في قوله لم يبعث نبيا
اي ميثاق ذلك النبي المأخوذ عليه او لله تع والاول اوفق باضافة الميثاق للنبيين في الآية
او لمحمد اي الميثاق المأخوذ لاجل محمد فالاضافة لادنى ملابسة وهذا الميثاق اشارة الى ان شريعته
ناسخة لجميع الشرائع فيجب على كل من ادركه اتباعه فيعلم الرسل به اممهم ويأمرهم بتبليغه لمن بعدهم
وفي الحديث لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي وسيأتي ما في التوراة والانجيل وغيرهما من التصريح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بفضل ومعنى ادركه انه عاش حتى يجيء زمنه فتلقاه في الدنيا قال الشريف هنا ما نقل عن التقي السبكي من ان الانبيا كانوا من امته وعليه دينه في زمنهم ولا اختلاف بحسب الزمان والعباد مما لا دليل عليه ولا قايل به والاحتمال المخالف للظواهر لا اعتبار به انتهى وما نقله عن السبكي غير صحيح وان كان كلامه مردودا من وجه آخر كما بيناه في صدر هذا الفصل وقيل معنى هذه الاية ان يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم اي اخذ الله العهد على كل نبي ان يومن به وينصره اذا ادرك زمنه وفي هذا من تشريفه واعلاء قدره ما لا يخفى والايمان لا بد فيه من مطابقة القول للاعتقاد فاذا تلفظ به علانية فقد بينه فما قيل من ان حمل الايمان على مجرد البيان بعيد جدا ولعل المراد ما في بعض التفاسير انه يصفه ويقول من ادركه منكم فليومن به غني عن الرد وقال البجائي ان المص نقض ما قدمه عن المفسرين من اخذ الميثاق على الانبيا بقوله وقوله ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد عليه السلام وتبعه بعض الشراح فقال هذا لا يتجه على القول بانه تم اخذ ميثاق النبيين بذلك اذ من قال لا يحمل خطاب جاءكم الا لهم وانما يصح عند من قال اخذ ميثاق معاصريه واضيف للنبيين نظرا الى انهم هم الآخذون عليهم او انهم ياخذونه على من بعدهم الى ان يبعث او سموا بالنبيين تهكما كما مر ورد بانه من تتمة القول الثاني لا الاول فلتصريحهم بخلافه وما فاته لهم والمراد ان الخطاب في جاءكم ولتؤمنن والمعنى انه اخذ الميثاق على الانبيا ان يبينوا لكم ايها المعاصرون بواسطة اصحابهم وجوب الايمان به ونصره وليس المراد الخطاب في جاءكم فقط ولانه بعيد جدا ولا حاجة لتكلف ان يقال المعنى انه قيل للانبيا اذا جاءكم بعدكم رسول الله ولما كان ذلك البعض هم المعاصرون ذكر عند حكاية القصة لهم ولم يتامل هذا من يقول ان الميثاق ماخوذ على الانبيا لا يحمل الخطاب في قوله جاءكم الا لهم ومن يقول انه لاهل الكتاب المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم ونبينا والاضافة للنبيين بانهم الذين اخذوه عن الله والاضافة الى الاخذ الفاعل لا الى الماخوذ عليهم وكونه من تتمة الثاني ممنوع لان محصله انه تم اخذ الميثاق على كل نبي ان يبين محمدا لقومه ليومنوا به ولينصروه ويبلغوا ذلك لمن بعدهم ليكونوا كذلك فكيف يكون الخطاب للمعاصرين او لاهل الكتاب مطلقا كما نقل عن الربيع واستدل بقراءة ابي واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ثم ان الطيبي نقل عن بعضهم الوقف على النبيين وان الله امرهم بعد ذلك فقال قولوا للامم عني مهما آتيتكم من كتاب وحكمة ورسول لتومنن به فبطل حينئذ القول بان من يقول الميثاق ماخوذ على الانبيا لا يحمل الخطاب الا لهم لان منهم من جعله للامم لا لهم ويحتمل ان المص ماش على هذا فالخطاب للمعاصرين واخذ الميثاق على الانبيا وما نقله عن المفسرين تفسير لقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين فقط لجواز الوقف عليه فتامل

وقال علي بن ابي طالب هذا رواه ابن جرير وابن كثير باسناد صحيح والبغوي بعبارات مختلفة بالمعنى او تعدد القول المروي عن علي لم يبعث الله من آدم فمن بعده نبيا في حال من الاحوال الا في حال ان اخذ الميثاق عليه في امر محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث محمد وهو اي ذلك النبي حي ليومنن به ولينصرنه وامره باخذ الميثاق على قومه ليومنن به ولينصرنه من ادركه منهم كما قاله البغوي واليه اشار المص بقوله ويأخذ العهد على قومه بذلك اي الايمان به ونصرته وعدى اخذ بعلى والمعروف تعديته بمن كما في قوله ثم واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اشعارا بمضرة لهم اذا فرطوا فيه او نقضوه كما ان فيه منفعتهم اذا حفظوه والعهد الوصية والتقدم في الشي واليمين وكل منهما محتمل هنا كما قاله التلمساني ومن في قوله من آدم لابتداء الغاية وقوله فمن بعده

اي واصلا

اي واصلا بعد واحد وياخذ قال السمين بالنصب رواية عن المص وهو كذلك في النسخ الصحيحة وجزم بانه معطوف على تؤمنن به بتقدير نون التاكيد الخفيفة ورده السيد عيسى بانه حينئذ يكون من جزاء الشرط فيلزم كون الاخذ من الامة بعد بعثة نبينا وليس المراد الا ان ياخذ الانبيا في زمنهم من اممهم انه اذا بعث وهم احياء ليومنن به ولينصرنه ما في اللباب وتفسير البغوي عن علي ما بعث الله نبيا الا اخذ عليه العهد في محمد وامره بان ياخذ العهد على قومه بان يومنوا به وينصروه اذا ادركوا زمانه وحينئذ فالعطف على جملة لئن بعث لكن على انها في موضع مفرد من باب [illegible] فاكرمك اي الا اخذ العهد عليه في محمد بالايمان به ان بعث وهو حي وبان ياخذ فالوجه ان التقدير وامر ان ياخذ كقوله افغير الله تامروني اعبد فيمن نصب اي بان اعبد على نهج علفتها تبنا وماء باردا ومما يعضده ما مر من التفسير اقول ما ذكره السمين ذكره القسطلاني في حاشيته وكذا كونه موكدا بالنون الخفيفة على نهج قوله ● لا تهين الفقير علك ان ● تركع يوما والدهر قد رفعه ●

وعلى هذا ففي الكلام مقدر اي وياخذ العهد على قومه ان لم يبعث وهو حي وعلى هذا التقدير لا بد منه على كل حال فاعرفه ونحوه عن السدي وقتادة اي مثل ما ذكر عن علي روي عن السدي وعن قتادة والسدي بضم السين وتشديد الدال المهملتين اسمعيل بن عبد الرحمن بن ابي كريمة المحدث المشهور واختلف فيه فقيل ثقة وقيل كذاب لا يحتج به وقال البيهقي انه كوفي تابعي مفسر صدوق الا انه متهم بالتشيع ووثقه ابن حبان وضعفه ابو حاتم مات سنة سبع وعشرين ومائة ونسبته الى السد موضع بالمدينة والمشهور انه منسوب الى سدة مسجد الكوفة وهي ما يبقى من الطاق المسدود لبيعه المقانع فيه كما في القاموس وفي المصباح السدة الباب وينسب اليها على لفظها فيقال سدي ومنه الامام المشهور اسمعيل السدي لانه كان يبيع المقانع ونحوها سدة في مسجد الكوفة وقتادة تقدمت ترجمته وهذه الرواية عنهما اثبتها ابن جرير في آي اي هذا المذكور مروي في جملة اي جمع آية كآيات تضمنت فضله من غير وجه واحد وهذه الجملة وآي بالمد وتخفيف الياء قال التلمساني هذا متصل بقوله في اول الفصل وجب تقديمه على الاية لانه من جملة الترجمة وليس مما قاله متعسفا كما ظنه قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم الاية قيل اخذ عليهم الميثاق بتبليغ الرسالة وتصديق بعضهم بعضا وقيل بان يعلنوا بنبوة محمد ويعلن محمد بانه لا نبي بعده ففيها تفضيل له من وجوه كما يأتي وقال البجائي ذكر الله النبيين في هذه الاية جملة ثم خص بالذكر بعضا منهم تشريفا لهم وقدمه صلى الله عليه وسلم تشريفا على ترتيب والتقديم للشرف ذاتي كقوله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين او التقديم زماني كتقدم نوح على ابراهيم ويجوز ان يكون تقديم نبينا للامرين لحديث كنت اول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث وان لم تكن الواو للترتيب ولذا ورد في الحديث ابدؤوا بما بدا الله به وقد راعى الفقهاء هنا في الوصايا كما فصله بعض الشراح هنا وان لم يكن محله وتمام الاية واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عظيما شانه او موكدا باليمين وكرر للبيان ووصفه تعظيما له لان السابق لوصف دين الاسلام بالاصالة في الاستقامة فتدبر وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله وكيلا كذا في اكثر النسخ وفي بعضها الى قوله شهيدا يعني قوله لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا وليست الاولى غلطا كما توهم لان بعد شهيدا آيات اربع آخرها وكيلا تشتمل على ذم الكفرة ووعيدهم ونعته بالرسالة ومجيئه من الله بالحق والامر بالايمان برسله الذين هو منهم وهو مما يدل على فضله فيناسب ذكره هنا فالقول بانه وهم ينبغي اصلاحه وانه قراءة لآية او قراءة بالمعنى وهم وارتكاب امور لا تليق واعترض على المص بان هذه الاية غير تامة فيما عده [illegible]

الألوكة www.alukah.net

من تفضيله على غيره الا ان يقال قوله لكن الله يشهد الخ يدل على الغرض اذ لم يذكر في حق غيره وقيل
التشبيه لوحيه بالوحي الى الكل يدل على التفضيل على كل واحد والجواب الاول ضعفه ظاهر وان كان
الفضل في بيان المنزلة مطلقا وما ذكر استطرادي فلا اشكال يخفى ما وقع في بعض نسخ الترجمة من
خطوة رتبته مطلقا من غير قوله عليهم والجواب الذي استضعفه هو الحق لان الاستدراك بلكن
يقتضي اختصاصه بشهادة الله لما اوحاه له وانه انزله بعلمه مع ان كل ما انزل بعلمه ففيه اشارة الى ان
له شانا عظيما لا يعلمه الا الله وفي هذا من التفضيل والتشريف له على غيره ما لا يخفى وسياتي جواب هو
الحق عندي • وذكر نوح دون آدم لانه اول شرع عند بعضهم او لانه اول نبي عوقب قومه او اول الرسل
اولعموم دعوته وعلى الثاني فيه تهديد للمشركين روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال السيوطي
في تخريج احاديث الشفاء لم اجده في شيء من كتب الاثر لكن صاحب اقتباس الانوار وابن الحاج في مدخله ذكراه في ضمن
حديث طويل وكفى بذلك سندا لمثله فانه ليس مما يتعلق به الاحكام انه قال في كلام بكى به النبي
صلى الله عليه وسلم اوله هذا الكلام بابي انت وامي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب عنده فلما
كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك اولى بالحنين
عليك حين فارقتهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر الانبيا وذكرك
في اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية بابي انت وامي يا رسول الله لقد
بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان موسى اعطاه الله حجرا تتفجر منه
الانهار فماذا باعجب من اصابعك حين نبع الماء منها صلى الله عليك بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان
سليمان بن داود اعطاه الله ريحا غدوها شهر ورواحها شهر فماذا باعجب من البراق حين سرت عليه
الى السماء السابعة ثم صليت الصبح في ليلتك بالابطح صلى الله عليك بابي انت وامي لئن كان عيسى بن
مريم اعطاه الله ثم احياء الموتى فماذا باعجب من الشاة حين كلمتك وهي مسمومة بابي انت وامي يا رسول
الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت مثلها علينا لهلكنا
كلنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بابي انت وامي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك
ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا قليل بابي انت وامي
يا رسول الله لو لم تجالس الا كفوا لك لما جالستنا ولو لم تنكح الا كفوا لك لما نكحت الينا ولو لم تواكل الا كفوا لك
لما واكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار ووضعت طعامك بالارض ولعقت اصابعك تواضعا منك
صلى الله عليك انتهى • وبكى في كلام المصنف مخففة ولا يجوز تشديدها كما في المواهب اللدنية لان بكاه
بكاه وبكى عليه اذا بكى لميت ونحوه في غيبته وبكاه وابكاه اذا حمل غيره على ان يبكي بوجه ما ولو كان هذا
مشددا كان المعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم بكى وليس هذا بمراد قطعا هنا وان سلم وروده بمعنى
المخفف لقول الجوهري بكيت الشيء مخففا ومشددا اي بكيت عليه لان الاستعمال على خلافه الا ترى
قوله • ولا يغرركم مني ابتسام • فقولي مضحك والفعل مبكي •
غيره عليه به ويحتمل انه بكى النبي فما في المواهب خطاه على خطائه انتهى فقال اي عمر والفاء عاطفة
لمفصل على مفصل كقوله ونادى نوح ربه فقال ولا تفسير ولا تاكيد كما توهم بابي انت وامي هذا مما
تقوله العرب لمن يريد تكريمه واظهار محبته اي لو نزل بك امر يقبل الفداء لافديك باعز من البشر نزلت في فداك
ابوي فضلا عن المال وغيره وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقولها لمن يتلطف به من اصحابه وهذا الكلام

فقالت لا تاكلني فاني مسمومة صح

ثم قيل بعد وفاة النبي فخطابه بانت لتنزيله منزلة الحاضر لكونه نصب عينيه منتقشا خياله
في صحيفة ذهنه وخطاب الاموات بمثله كثير غني عن شاهد وانت مبتدا والجار والمجرور خبر مقدم
اي انت مفدي بابي انت وامي فلما حذف الفعل انفصل الضمير بصيغة المرفوع وتاخر والبا للمقابلة
الدالة عليها الفدا او منع الثاني لا وجه له لقد بلغ من فضيلتك عند الله اي في علمه وحكمه وتقريبك
منه ومن جوز فيها ان تكون زايدة في الاثبات على راي فضيلتك فاعل او المعنى بعض فضيلتك على ان
من التبعيضية فاعل بلا تاويل في المعنى كما جوز التفتازاني ان يكون مبتدا في قوله ومن الناس من يقول الاية
اي بلغ بعض فضيلتك هذه المراتب الحسنة فما بالك بكلها وان بعثك مفعول على الوجهين لا فاعل ويجوز
كونها بيانية مقدمة على راي من جوزه كما تقدم ان بعثك آخر الانبيا اي جعل بعثك الظاهر في
آخرهم بحسب الزمان لتختم بك النبوة وتنسخ بشريعتك سائر الشرايع ويبقى دينك الى يوم القيمة وذكرك
في اولهم بصيغة الماضي اي قدم ذكرك على ذكرهم في التفضيل فقال واذ اخذنا الى آخره ليدل على
انك عنده اعظم من سائر الرسل واشرف وبهذا الذي قاله عمر علم ان هذه الاية دالة على ما عقد له المصنف
الفصل وعلم مراده من ايرادها فالاشكال السابق ناش من عدم الوقوف على ما اراده وما مر من الاجوبة
بمعزل عما قصده وهذا مما وعدناك به والاولية التقدم في الشرف والرتبة اي ان من خص بالذكر في
الاية من اولي العزم مقدم في الرتبة على غيره فهم اول انت منهم او اعلاهم فلذا قال في اولهم ولم يقل اولهم
كما قال آخر الانبيا لانه خاتم لرسالة غيره مع التفنن البديع بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ
من فضيلتك عنده فيما تقدم من بيان لهذا ان اهل النار من امة الدعوة لك كلهم او بعضهم كما سياتي
يودون ان يكونوا اطاعوك وروي لو انهم يكونون اطاعوك الود في الاصل المودة وهي دوام المحبة
ثم صار بمعنى التمني فيقال وددت كذا او يودي لو كان كذا اي يتمنون بعد دخول النار انهم كانوا
اطاعوك في الدنيا والذي يمنع طاعته واتباعه وهم بين اطباقها يعذبون جملة حالية والاطباق
جمع طبق وهي المنزلة المرتبة واحدا بعد واحد وما تراكب بعضه على بعض ويعذبون بيان لما اوديهم
دخولها وذكره لكشف حالهم ولو حذف تم المعنى يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول يا للتنبيه
او للندا والمنادي نفسهم كقولهم • وهل تطيق وداعا ايها الرجل • او لبعض المعذبين او للزبانية
وهو عطف على الاول وضمير ليتنا للقايلين والمقول لهم المنادون وحذف المنادي مبادرة للتمني تماما
اظهارا للتحسر وانهم لشدة العذاب عاجزون عن النطق كما قيل في قراءة يا مال ليقض علينا ربك
بالترخيم واليه اشار العلا الموصلي بقوله هم •

• ماكان اعني اهل نار جهنم • اذ رخموا يا مال وسط جحيم •
• عجزوا عن استكمال كلمة مالك • فلاجل ذا نادوه بالترخيم •

ثم انه قيل المراد باهل النار بعض امته اواهلها عامة على انهم تمنوا ان يكونوا من مطيعي امته لرويتهم
حسن حالهم فتمنوا انهم ادركوا زمانه واطاعوه وحينئذ يستفاد فضل نبينا على غيره من الانبياء
ويناسب الفصل ويعلم وجه ذكر المصنف له والا فكل طايفة جهنمية من امة رسول تود لو كانت اطاعت
رسولها فلا يكون له حينئذ فضل على سايرهم من هذه الجهة وقال الحجازي كلام عمر قاله بعد تحققه
من ابي بكر موت النبي صلى الله عليه وسلم ورجوعه في ذلك الى قوله لما توفي وارتفع البكاء عليه ودهش
الناس كما روي عن غير واحد من الصحابة انهم طاشت عقولهم ومنهم من خبل ومنهم من خرس ومنهم من
اقعد فكان ممن خبل عمر فجعل يقول ان رجالا من المنافقين زعموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد توفي وانه والله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى وغاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يقول اذ قيل قد مات والله ليرجعن رسول الله كما رجع موسى فيقطعن ايدي رجال زعموا انه مات
واما عثمان فاخرس حتى يذهب به ويجيء ولا يتكلم واقعد علي وبلغ الخبر ابا بكر وهو بالسنح وعيناه تهملان
وزفراته تتردد في صدره وهو مع ذلك جلد العقل والمقالة حتى دخل على رسول الله فاكب عليه وكشف
وجهه ومسحه وقبل جبينه وجعل يبكي ثم خرج الى الناس وهم في عظيم غمراتهم وشديد سكراتهم فقام فيهم
بخطبته المشهورة فلما فرغ منها التفت الى عمر بن الخطاب فقال يا عمر انت الذي بلغني عنك انك تقول
على باب النبي والذي نفس عمر بيده ما مات نبي الله اما علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا
وكذا وقال الله تعالى في كتابه انك ميت وانهم ميتون قال عمر فكاني والله لم اسمع بها في كتاب الله قبل ذلك
لما نزل بنا ثم قال اشهد ان الكتاب كما انزل وان الحديث كما حدث وان الله تعالى حي لا يموت وعنده نحتسب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سقط رضي الله تعالى عنه الى الارض وجعل يبكي ويقول في بكائه بابي وامي
الى آخر ما ذكره المصنف وبما ذكرناه لك علم مناسبة ما ذكر من حال اهل النار لهذا الفصل فسقط ما يتوهم
من انه حشو غير مناسب فاعرفه **وقال قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت اول الانبياء في الخلق
واخرهم في البعث** هذا رواه البغوي والثعلبي مسندا عن قتادة عن الحسن عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه
وسلم كنت اول النبيين وقد رواه ابو نعيم وابن ابي حاتم بسند فيه راو اسمه بشر مجهول وقال الغزالي اي كنت
بحسب التقدير ولم يرد العلم الازلي فانه لا ترتيب فيه بل علم الكل دفعة وانما اراد تقدير ما كان وما
يكون في اللوح او في علم تلك لما في صحيح مسلم مرفوعا ان الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل السموات
والارض بخمسين الف سنة الحديث فقدم هنا المقصود بالذات ويؤيده ما روي في بعض الطرق وكتبت
بالتاء الفوقية من الكتاب فالمعنى كنت اول الانبياء في تقدير الخلق واخرهم في البعث لانه تعالى كتب مقادير
الخلق كلها كما مر ولا يجدي في حل الاشكال على الحديث الذي ذكره المصنف ما قيل من انه تعالى لما صور طينة آدم
اخرج منها ذرة نبينا ونباها واخذ الميثاق عليها ثم اعادها الظهره هذا في معنى حديث كنت نبيا وآدم
بين الماء والطين اي جسمي قبل نفخ الروح فيه كانه اخفي بين الماء والتراب الذي كانت منه طينته ونظيره
ما رواه ابو هريرة وآدم بين الروح والجسد اي ثبتت لي النبوة وآدم صورة بلا روح كما في شرح المصابيح
وحاصل الحديث الاول انه عليه السلام كان نبيا وآدم تراب بلا ماء يعجن به ليصير بعد ذلك طينا
على مجاز الاول • **فان قلت** اذا اريد بالحديثين تعلق علمه تعالى فما فائدة ذكر الماء والطين والروح والجسد
اجيب ان الله كلمهم على قدر عقولهم واراد ثبوتها عند الله زمانا طويلا وجواب ثان عن الحديث الثاني وهو
انه اراد انه تعالى لما خلق آدم وحكم بانه سيكون من صلبه نبي آخر الزمان وجبت لي النبوة من ذلك الزمان
لان ما حكم به وعلمه كائن لا محالة وهذا لا ينطبق على اشكال الحديث الاول فالوجه ان يقال
المراد بالحديثين انه تعالى لما حكم بانه سيكون نبي يسمى آدم من الماء والتراب ومن صلبه نبي يسمى محمدا
في آخر الزمان وجبت لي النبوة وجوبا مستمرا قبل نفخ روح آدم فظهر بهذا المعنى قوله اني لخاتم
النبيين وآدم منجدل في طينته الى آخر ما فصله • **اقول** مجرد تقدم امر ظاهر ليس فيه تقدم
وجودي فالانسب ما قيل ان الله خلق روحه قبل الارواح ونباها واخذ عليها الميثاق واعلم بذلك
الملأ الاعلى وذلك في عالم الذر وهو المراد بالاحاديث السابقة وعن كعب الاحبار ان جبريل قبض
من موضع قبره طينة منيرة عجنت بماء الجنة فصارت درة ذات شعاع فطافت الملائكة بها حول العرش
وفي السموات والارض فعرفه الخلق وفضله وسيادته قبل معرفة آدم وفي العوارف ان درة المصطفى
هي التي اجابت لما قالتا اتينا طائعين ومنها دحيت الارض فهو الاصل والمراد ان نوره اول المخلوق
كما ورد في الاحاديث وهذا النور غير الروح وهو المتنقل في الاصلاب **فلذلك وقع ذكره مقدما**

قبل

قبل نوح وغيره من كلام قتادة تعليلا لكونه اول في الخلق وهذه اشارة في الآية وقيل بدل من
مقدم او وصف مبين لكيفية التقدم وفي نسخة على نوح وقد رواه القرطبي ايضا **قال السمرقندي
في هذا تفضيل نبينا لتخصيصه بالذكر قبلهم** هذا اشارة الى الكلام المذكور قبله اي فيه ما يدل
على تفضيله ويظهره او فيه ما ينبئ عن تفضيله لكونه خصه بتقديمه على من ذكره وان كان في الآية
تفضيل لكل من ذكر لتخصيصه بالذكر بعد التعميم والثاني لا يختص به ففيه تفضيله من وجهين واما
تقديم نوح على ابراهيم وان كان المشهور ان ابراهيم افضل بعد نبينا فلتقدمه بالزمان او لانه اول رسول
شرع او لما وقع له مما قاساه وصبر عليه **وهو آخرهم** زمانا وبعثا وخلقا فلا يرد عيسى عليه السلام اي
قدمه والحال انه آخرهم والتقدم في الذكر والكلام البليغ المعجز لا بد له من نكتة وهي اما التقدم زمانه
او التقدم ذاته بحسب الشرف وقد انعدم الاول فتعين الثاني اذ لا وجه له غيرهما وان كان التقدم عند
الحكماء على وجوه خمسة منها هذان لان غيرهما لا مناسبة له بما نحن فيه وقد مر ان التقدم يجوز ان يكون
بحسب الوجود ايضا نظرا للروح والحاصل انه للفضل الا ان الجهات مختلفة كذا في الشروح الا ان
قوله **المعنى اخذ عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر آدم كالذر** سواء كان من كلام السمرقندي او من كلام
المصنف يأبى ما قالوه لان المراد ان تقدمه في الذكر لتقدمه في اخذ الميثاق في عالم الذر كما نطق به
السياق والا لم يكن لذكرهما هنا التئام مع ما قبله والذر واحده ذرة وهي كما قاله التلمساني النملة الصغيرة
البيضاء والحمراء او جزء من مائة واربعة وعشرين جزءا من شعيرة وقيل جزء من الف وستة وعشرين
جزءا منها وقيل اصغر شيء لا يعلمه الا الله وعدي اخذ بعلى لتضمنه معنى التقدير لا التكليف كما قيل لانه
لا يتعدى بعلى وقوله اذ اخرجهم اي وقت اخراجهم كلهم على هيئة ذرات واعترض عليه بعض الشراح بان
هذا الميثاق وان كان في قوله الست بربكم الخ فهو شامل للنبي صلى الله عليه وسلم من غير بيان لتقدمه فيه
وكذا ان كان الميثاق الماخوذ في التبليغ والايمان بالمرسل السابق وقد ورد بان البغوي نقل تقدمه
في ذلك ومثله لا يقال من قبل الرأي لنقله عن الله وقد تقدم ان الماخذ على نبينا كان قبل ذلك اليوم
فلعل ذلك كان في مرة اخرى والسمرقندي لم يرد ان تقدمه وهو كلام لا محصل له واخذ هذه الذرات
كلها سواء كان من ظهر آدم بغير واسطة او بواسطة اصولهم وآبائهم وتركيب العقل والادراك فيهم
لياخذ العهد والميثاق عليهم بالايمان به ويشهد على ذلك امر يؤمن به ويصدقه وان كنا لا نقف على
حقيقته كما هي فالبحث عنه كما في الشروح لا نتيجة له فينبغي الكف عنه كما ذهب اليه السلف وهو
ثابت في القرآن والاحاديث الصحيحة وفي قوله كالذر اشارة الى ان الذرية فعلية من الذر
وذالها مثلثة ويكون واحدا وجمعا وقيل انها من ذرأ الله الخلق فترك همزته للتخفيف **وقال الله
تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية** الاشارة الى جماعة سبقوا في الذكر او معلومة
للمخاطب او لجميع الرسل وما ورد من عدم الفرق والتفضيل بالنسبة لاصل النبوة او ما اول كما ياتي
وقال التفتازاني اجمع المسلمون على ان افضل الرسل محمد صلى الله عليه وسلم قيل ثم آدم وقيل نوح وقيل
ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى انتهى والراجح عندهم انه ابراهيم لما ورد في الحديث انه خير البرية
وقال السيوطي اتفقوا على العلم بان الافضل بعد نبينا ابراهيم ثم موسى وعيسى ونوح ولم يذكروا مراتب
تعيينهم انتهى وفيه نظر • واعلم ان القاضي بدر الدين المالكي صاحبنا قال في كتاب الابتهاج وقطع الطرق في
في تفسيره المسمى بالاشارات الالهية في قوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده انه احتج
بهذه الآية على ان نبينا افضل من جميع الانبياء لانه امر بالاقتداء بجميعهم والاقتداء بعملهم الاتيان
بمثل ما فعلوه ولا بد انه امتثل هذا الامر وحينئذ فقد فعل وحده من الطاعة مثل ما فعل هؤلاء جميعهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وَالواحد اذا فعل مثل فعل جماعة كان افضل منهم وَيحكي ان هذه المسئلة وقعت في زمن العز بن عبد السلام فافتى فيها بانه عليه السلام كان افضل من كل واحد منهم لانه افضل من جميعهم فنما الاجماعة من علما عصره على تكفيره فعصمه الله عز وجل منهم انتهى • اقول نحن لا نشك في انه افضل من كل واحد منهم وَمن الجميع ايضا وَما ذكره الطوفي مَاخوذ من التفسير الكبير الا ان في الدليل بحثا لان نه لا يلزم من اتيانه بكل مَا اتى به كل واحد منهم الامثا وانه للمجموع لا افضليته عليهم وكانه الداعي للعز على ما قاله الدليل قد يتوقف في المساواة ايضا فانك لو انعمت على اربع فاعطيت واحدا دينارا وآخر دينارين وآخر ثلاثة وآخر اربعة كان لصاحب الاربعة زيادة على كل واحد دون جميعهم مما لغيره وَلو اعطيته ستة كان مساويا لهم ولو اعطيته عشرة زاد عليهم فينبغي ان يقال انه ساواهم في العمل وَزاد عليهم بانه اعلم منهم بالله وَاكثر من جميعهم خصايص ومعجزات وهذا التفضيل في القرب وعلو المنزلة وهو اكثرهم ثوابا وامته اكثر من جميع الامم وَاجرهم له الى يوم القيمة ولو كانت للناس سلالم كن بعضها فوق بعض كان الذي فوق الاخر اعلى من الجميع وَفي الاية الآتية ايماء لهذا حيث ابهم وعبر برفع الدرجات دون ان يسميه ويقول انه اعظم او افضل فاعرفه • ثم اعلم ان قوله في تتمة الاية منهم من كلم الله فيه وجهان احدهما انه النبي ليلة المعراج وَمنهم من قال ان المراد موسى في الذي هنا الاول وان كان الاشهر الثاني قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمد عليه السلام اي رفع النبي عليه السلام على سائر الانبيا فالمراد ببعضهم محمد صلى الله عليه وسلم فابهمه للتعظيم ولانه لا يلتبس كما قيل •

• واقول بعض الناس عنك كناية • خوف الوشاة وانت كل الناس •

وَقيل المراد بالبعض اولو العزم وقيل غير ذلك وَلما ابهم اولا في التفضيل اخذ في التفصيل فقال منهم من كلم الله ومنهم من رفعه درجات وَمنهم من اتاه المعجزات وغير الاسلوب في القسم الثاني بذكر بعضهم دون منهم وذكر رفع الدرجات الكثيرة كما يفيده التنكير اشارة الى نهاية هذا القسم لغيره وَنظيره قول الحماسي •

ومن الرجال اسنة مذروبة • ومزندون شهودهم كالغايب •

• منهم ليوث ما ترام وبعضهم • مما قمشت وضم حبل الحاطب •

لانه بعث الى الاحمر والاسود اي جميع الناس والعرب والعجم اي العرب وغيرهم او الانس وَالجن وَاشهر الاقوال الثاني وَالمراد بالاحمر الابيض مطلقا فان العرب تقول في المراة حمراء بمعنى بيضا والبياض عندهم في صفة النبي النقا من العيوب فاذا ارادوا اللون قالوا احمر اللون وَهذا قول ثعلب من ائمة اللغة ورده في النهاية باستعمال الابيض في صفات الناس كثيرا كقول امرئ القيس •

مهفهفة بيضاء غير مفاضة • وجا في الحلية الشريفة

ابيض اللون مشربا بالحمرة وَعن انس ابيض كانما صيغ من فضة وَلا منافاة بينهما لان الاول في نعت وجهه وَقول انس في وَصف جسده وَعن البكري مثل ما قال ثعلب وَعن جرير الاخطل او صفنا للخبز وَالحمراي النساء الحسان وَلا منافاة بين القولين ايضا لان العرب اذا مدحت الناس بالبياض مطلقا يعني بياضا مشربا بالحمرة لان البياض الخالص كبياض الجير غير ممدوح في الناس لقربه من البرص وَالمهق ومنه ما خالطه حمرة من الدم او صفرة حقيقة والبه اشار بقوله كانهن بيض مكنون ولذا يشبه بالدر وَهذا كله باعتبار الاغلب وَما ورد في المثل الحسن احمر محمول على هذا او على انه يرتكب المشاق والشدايد التي تحمل على اراقة الدم هذا هو التحقيق وَالعرب تغلب على الوانهم السمرة والادمة فلذا عبر عنهم بالاسود واحلت له الغنايم جمع غنيمة

من الغنم وَهو الكسب وَالربح ويقابله الغرم وَهو ما يوخذ من مال الكفار قهرا ولم تكن الغنيمة تحل للامم السالفة كما صح لان منهم من لم يومر بالجهاد ومنهم من امر به ووضع الغنايم فتنزل نار من السماء تحرق ما يقبل منها كالصدقات وَالذبايح فلم تحل لاحد قبله وكانت الامم لا تتصرف في مال الغنايم مما لم تاكله لا نفسها وهذا هو الذي عد من خصايص نبينا وامته وَبهذا يجاب عما ورد في بعض الاحاديث الدالة على انه كانت لهم غنايم وظهرت على يديه المعجزات اي اظهر الله له معجزات لم تكن لغيره من الانبيا فما معجزة لنبي الا وله مثلها او اعظم مع زيادة معجزات باهرة لا يقاربها شي من المعجزات كانشقاق القمر ولو لم يكن الا القران الذي لا يشبهه معجزة اذ فيه ما لا يحصى لكماءهم •

فبلغ العلم فيه انه بشر • وانه خير خلق الله كلهم •

ولم يقل ظهر له المعجزات وَاتى بالكيدين اشارة لعظمها وكثرتها لانه كما انه يظهر بكلتا يديه ظهورا محسوسا مشاهدا مكشوفا لا خفاء فيه حتى نطق بها الحيوانات العجم والجمادات وَلهذا ظهر نظمها في سلك الخواص وليس احد من الانبيا اعطي فضيلة او كرامة قيل المراد بالفضيلة ما في ذاته العلية والكرامة ما اكرمه الله به مما يشمل المعجزات وَغيرها والاول ما فضل به على غيره والثاني اعم وَهما وان اتحد المعنى متغايران مفهوما او الاول ما اقترن بدعوى الرسالة والثاني ما لم يقترن بها والظاهر من العطف باو ان يفسر بما يقتضي تغايرهما كما لا يخفى الا وقد اعطي محمد عليه السلام مثلها اي ما هو من جنسها ونوعها وما هو مشابه لها بحسب الظاهر وان كان اعظم منها في الحقيقة كانشقاق ذ ورق القمر له المقابل لانفلاق البحر لموسي كما قلت •

شهد البدر انه زاد حسنا • من جميع البدور وادم خلقا •

ثم لما راى الشهادة ترضى • ان بينت فشق في الحال شقا •

في هذه الجملة التي بعد الاخلاق فذهب الزمخشري الى انها صفة وَالواو زايدة للالصاق اي لا فضيلة ذات صفة من الصفات الا هذه الحال والتقدير مرة الا اعطاه مثلها او مقدرا لتغاير صاحبها وفيه ان المراد اعطاء المثل لا تقديره وَارادته ثم انه لا تنافي نحو لا يرى روئيا الا جاءت مثل فلق الصبح وَقيل يجوز الاكتفا بالمقارنة الادعائية بجعل ما لم يتحقق كالمحقق او المعنى ان الله تع اعطاه ذلك في زمن اعطاء الانبيا وَقد ذهب المفسرون في قوله تع يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة اي تتبعها حال وبين النفختين اربعون سنة لاعتبار مدة الخراب الى اخر الدنيا زمنا واحدا ممتدا ويمكن اعتباره هنا بلا تكلف وَقول الرضي المقارنة في الحال اغلبية كما في خرج الامير صايدا غدا بجعل المقدر وعليه كالواقع ياباه قول النحاة ان الحال هيئة للمعمول حين تعلق العامل به فلا نمتنع يقتضي ان لازم المقارنة استثناء الا انها قد تترك ظاهرا فيجب التاويل ولا يخفى ما فيه من الاضطراب وقوله مثلها يفيد تفضيله على الانبيا كما سمعته انفا في قوله تع فبهداهم اقتده ولا يحتاج الى ان يقال ثم لتفضيله بمثل انشقاق القمر وغيره او جعل كرامات امته كرامة له وقال بعضهم تقدم الكلام عليه واعاده هنا اشارة الى انه من المفضلين باعتبارين ومن فضله معطوف على مقدر كالعطف التلقيني اي من فضل مما ذكر ان الله تعالى خاطب الانبيا باسمايهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه اي القرآن الكريم فقال يا ايها النبي ويا ايها الرسول وقد مر انه باعتبار الاغلب تعليما للامة ولذا نهاهم ان ينادوه باسمه فقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا وَهذا مخصوص بحياته كما تقدم وقال السمرقندي تقدم الكلام عليه عن الكلبي محمد المفسر

الألوكة
www.alukah.net

او هشام ابنه وقد تقدم ايضا في قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد
صلى الله عليه وسلم وان لم يتقدم ذكره لدلالة الكلام عليه فكانه مذكور في قوله نوح ولابويه لكل واحد
منهما السدس اي الميت والشيعة الاتباع والمعروف في كلام العرب اطلاقه على المتاخر زمانا وقد
يطلق على المتقدم كما في قول الكميت ۞

ومالي الا آل احمد شيعة • ومالي الا مشعب الحق مشعب

لان من كنت على منهاجه ودينه فهو على منهاجك ودينك ايضا واذا اضيفت الشيعة للمتقدم اقتضت
تفضيله بالطريق الاولى لان العدول عن المعروف لابد له من نكتة وليست الا التفضيل الا ترى
ان ابا نواس لما قال كيف لا يدنيك من امل من رسول من نفره ومن شيعته شنعوا عليه كما ياتي ۞
لاقتضائه تفضيله من وجه ولا فرق بين من نفره ومن شيعته • فان قلت هذا يقتضي تفضيل نوح
على ابراهيم على القول بان الضمير راجع اليه مع ان ابراهيم افضل منه كما تقدم • قلت قد عرفت انه
انما يفيد التفضيل اذا اضيف للمتاخر ونوح متقدم وهو آدم الثاني واول الرسل والشرائع متفقة
في الاصول فيحمل من كان على نهجه من ذريته شيعة له لا يدل على ما ذكر مع ان المفضول قد يفضل من جهة
على الافضل ويحتمل انه ابراهيم جعل من شيعة نبينا المتاخر من تقدم خلقه ونبوته عليهم وعلى كل حال
فالاية دالة على تفضيله بالتفضيل على الافضل على الجميع وهو المقصود فلذا قدم هذا القول
اي على دينه ومنهاجه اي طريقه الواضح من نهج الامر اذا وضح والمتابعة المتابعة والموافقة
والمراد الموافقة فيما ذكر واختاره الفراء وحكاه عنه مكي تقدم الكلام عليهما وترجمتهما واشار
بهذا الى انه قول صحيح منقول عن المفسرين لان منهم من ضعفه وادعى انه بعيد وانما اخره ومرضه بقوله
وقيل المراد نوح عليه السلام هو القوي الصحيح وفي نسخة مكان اختاره اجازه بالجيم والزاي
المعجمة على انه مجرد احتمال لما بين نبينا والخليل من المناسبة التامة الظاهرة وهذا لا يفيد
تفضيل نوح على ابراهيم كما سمعته آنفا والمراد بكونه من شيعته انه من نسله وعلى منهاجه في الدين
والتوحيد ومتابعته له لان نوح ابو الناس وابراهيم ابو الانبياء والعرب والى هذا ذهب اكثر
المفسرين لظهوره لتقدم ذكر نوح ولذا قيل ربما مجرد التقضي لا التمريض وانه عادته في هذا
الكتاب ۞

• الفصل الثامن في اعلام الله خلقه بصلاته عليه وولايته له •

اي بنصرته وتاييده لا بمعنى توليته والواو يجوز فيها الفتح والكسر فمن اقتصر على الثاني فقد قصر
قال في المصباح وليت الامر اليه ولاية بالكسر توليته والولاية بالكسر والفتح النصرة انتهى
ورفعه العذاب بسببه روي رفعه بالراء والدال والفرق بينهما ان الرفع بعد النزول والدفع
قبله ولذا قالوا الدفع اسهل من الرفع قيل وهذا هو المناسب لقوله وورد انه العذاب كما ياتي والرفع
قد يجيء بمعنى الدفع كما في رفع القلم عن الصبي وكذا الدفع يجيء بمعنى الرفع والاول هو الاصل المتبادر
ثم ان المصنف اختار اللف على عكس النشر لانه الاصل الكثير في كلامهم كما صرح به النحاة وان جعل اهل
المعاني كلا منهما من فنون البلاغة وتسميته هذا مشوشا يقتضي مرجوحيته عندهم قال الله
تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم قيل هذا يدل على عدم التعذيب وقوله وما لهم ان لا يعذبهم
الله على التعذيب فقيل الثانية ناسخة بناء على جواز نسخ الخبر وخلف الوعيد وكل منهما مقيد بوقت
والى ذلك اشار بقوله اي ما كنت بمكة اي انتفى تعذيبهم مدة كونك مقيما بمكة معهم او المثبت
مطلق التعذيب والمنفي عذاب الاستيصال كما قاله الزمخشري فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم

من مكة

من مكة وبقي من بقي فيها من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون هذا الخ
منقول عن ابن عباس وغيره من السلف كما في تفسير ابن الجوزي قالوا كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة
فانزل الله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فلما هاجر اخرج الى المدينة وبقي المستضعفون من المسلمين بمكة
يستغفرون انزل الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فلما خرجوا انزل الله وما لهم ان لا يعذبهم الله
فاندفع التدافع بين الاية الاولى والثانية على قول من جعل مفادها انتفاء التعذيب لوجود الاستغفار
وبين الثالثة اذ المراد انهم يعذبون بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم ومن بقي من المسلمين بعد ان
كانوا وهو فيهم او وهم يستغفرون ومنهم من قال بنسخها الاولى وفيه ما تقدم ومقتضاه عود ضمير
معذبهم للكفار بمكة وعود ضميرهم للمؤمنين الباقين بعده لفهم من السياق وان لم يتقدم او عود كلاهما
الى الفريقين على انهم وصفوا بصفة بعضهم كبني فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم واما عود كليهما
الى المؤمنين فقول آخر استند المصنف لبيانه الحديث وان قال التجاني فيه انه غريب لانه يدور على اسمعيل بن
مهاجر وهو ضعيف عند المحدثين وقول التلمساني انه ابو بشر الاسدي قيل انه وهم وقيل مفاد الاية الثانية
نفي الاستغفار عن كفار مكة وانها ليست كالاولى في انتفاء التعذيب لوجود الاستغفار كما انتفى به
لوجود النبي فيهم لان استحقاق العذاب يدل على عدم ما اذ لو استغفروا لما استحقوه وفي حواشي الفاضل
اليمني انه نوع من الكناية نظيره وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فان الاهلاك دليل على
افسادهم اذ لو اصلحوا ما اهلكهم انتهى وفي تفسير ابن الجوزي معنى الاية على قول لو استغفروا وما
ولكنهم لم يستغفروا فاستحقوا العذاب كما تقول ما كنت وانت تكرمني اي ما كنت لاهينك لو اكرمتني
فاما اذ لست تكرمني فانت مستحق لاهانتي وهو مختار اهل اللغة وتغيير الاسلوب تفننا للاشعار بان
عدم عذاب المستغفر امر مستمر وقيل معذبهم وارد على الاصل وعبر بالفعل ولا لينهما ادخول اللام
على خبر كان لتاكيد النفي وافادة المبالغة في نفي التعذيب بسببه وبالاستغفار وظهر الفرق بين مقاميهما
ومقامهم حتى لو قيل معذبهم فيهما لم يظهر وهذا على راي الكوفيين من ان اللام في مثله زائدة لتاكيد
النفي وعند البصريين انها جارة متعلقة بخبر كان المقدر فما كان زيد ليفعل اي قاصدا لان يفعل
وعلى هذا تفيد المبالغة ايضا لان نفي القصد ابلغ من نفي الفعل • ولذا قالوا في قوله

• شعر • يا عاذلي لا تردن ملامتي • انه ابلغ من لا تلمني • فان قلت ان كان المراد المنفي
فقد انتفى ببعثته فلا وجه لتقييده وان كان المثبت غيره لا حاجة لتقييده بالخروج • قلت اجيب
بان المنفي استيصال الكل كافر والمقيد من هو فيهم او نفي مطلقا ومقيدا والتقييد في المثبت لبيان
الواقع ونزول الاية فيه وخصوص المورد لا ينافي عموم الحكم وهذه اجوبة متكلفة باردة والحق عندي
انه لا منافاة بين الايتين لان قوله وما لهم ان لا يعذبهم الله معناه اي شيء لهم استحقوا به عدم العذاب
في انفسهم فان حل بهم فباستحقاقهم والا فبحكم منه وليس فيه انه نزل بهم عذاب حتى يتكلف لدفعه
وان قلنا المنفي الاستيصال فالقيد مبين لسببه وهو وجوده بين اظهرهم واستغفار مؤمني
امته وهذا امر غير منقطع اذ ليس المراد استغفار المستضعفين فقط والمثبت غير الاستيصال له
انواع كثيرة كالقحط والقتل والاسر والوقائع بعد خروجه غير ما كان قبله فالتقييد في محله كما لا يخفى
وتعين قوله وهم يستغفرون اي وفيهم مؤمن اي وفي اصلابهم من سيؤمن ويستغفر وهذا كله بسبب
النبي عليه الصلاة والسلام ففيه من مدحه والتنويه بشان الاستغفار ما لا يخفى وهذا مثل
قوله لو تزيلوا الاية هذا اشارة الى ما ذكر من رفع العذاب عن اهل مكة بسببه وبسبب اصحابه وما
لاصحابه انما هو ببركته ايضا • ولاجل عين الف عين تكرم • واما لهم ما ذكر في هذه الاية ايضا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهي قوله في سورة الفتح لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤهم فتصيبكم منهم
معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما ومعنى تزيلوا
تميزوا وتفرقوا اي تميز المنقون من الكفار بخروجهم من بينهم وروى القرطبي عن النبي عليه السلام
ان معناه لو تزيل المؤمنون عن اصلاب الكفار واستشكل بان الوصف بالوطء والمعرة لا يصح في الذين
في الاصلاب واجيب بانه يحتمل مرجع الضمير الموجودين على الاشتمال اي لو انتفى الامران عنهم اي
لولا كراهة ان توقعوا رجالا ونساء مؤمنين مجهولين بالقتل ووطء الخيل فيلحقكم معرة اي عيب وهم
من جهتهم او من المشركين بقولهم انكم قتلتم اهل دينكم لعذبنا اهل مكة عذابا اليما بالقتل وان تطؤهم
بدل من المرفوع بتقدير كراهة ان غلب الرجال على النساء في الضمير وجواب لولا محذوف لدلالة لولا
وجواب لو عليه وسده مسده لاتحاد معناهما بالآلة وبقية الكلام على الآية مفصل في كتب التفسير
وقوله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الآية هذا مع قبله كلام وهذا مقدم في التلاوة وانما
اخره المصنف وافرده عما تقدم عنه مع انه من تتمته للتنبيه على ان الاشتمال لما قاله بموضعين من هذه
الآية وان قوله لو تزيلوا ليس تاكيدا لما قبله ولعذبنا جواب الاول كما جوزه بعضهم فلذا اشتمال فيه
فاشار بعكس الترتيب الى رده بابلغ وجه والحاصل ان بين الكفار جماعة مسلمون لم يعرفوهم لولا كراهة
ان يوقعوا بهم من غير علم فتصيبكم ما تكرهون من الغرم والدية لعذبنا الكفار بتسليطكم عليهم وعن
الضحاك لولا جماعة في الاصلاب والارحام تكره ان تطؤا آباءهم وامهاتهم فتلحقكم المعرة بانهم لولم
يقتلوا جاءت امة مسلمة منهم كما مر او لولا ان علم الله انه سيؤمن منهم وبالجملة فالمراد ان وجود المؤمنين
مانع وان اختلفت جهة المنع فلما هاجر المؤمنون من مكة ولم يبق احد منهم مختلطا بالكفار نزلت
آية وما لهم الا يعذبهم الله فيوقع بهم القهر والقتل وهو اعتذار عن الرجوع من الحديبية وهذا
من ابين اي من اظهر شيء في رفعة قدره عند ربه كما اشار بقوله ما يظهر من مكانته صلى الله عليه
وسلم وقوله ودرائه بدال مهملة مفتوحة وراء مهملة ساكنة تليها همزة مقصورة وضميره للنبي
صلى الله عليه وسلم كما في اكثر النسخ المصححة وفي بعضها درانه بنا مخصوص مصدر من الضربة
وهي بمعنى ما قبلها ايضا درانه فعل ماض بعده جار مجرور متعلق به وفي شرح الشريف انه في غالب
النسخ معطوف ومعناه يظهر بتكلف او حال وفي بعض النسخ بالعذاب وهو من غلط الكتاب والصواب
العذاب ثلاثا وفي حواشي التلمساني درانه وقال هكذا في نسخة الشارح بكسر الدال المهملة وسكون
الراء وتاء اي دفعه ومنه قوله ويدرؤ عنها العذاب برفع قال ودرائه معطوف على قوله من ابين ما يظهر
مكانته ووقع بخط العوفي وهو الذي عند سيدي ابي الحسن ودرانه فعل انتهى وعلى الاول وهي الاصح
هو منصوب معطوف على مكانته عن اهل مكة بسبب كونه اي وجوده فيها ثم كون اصحابه
بعده بين اظهرهم ثم اشارة الى مكثهم مدة متطاولة والبعد باعتبار آخر المدة او هي للتراخي الرتبي
واما جعلها للتعقيب بلا مهلة فغير ظاهر وبين اظهرهم بمعنى الاقامة معهم يقال هو نازل بين ظهرانيهم
بفتح النون قال ابن فارس ولا تكسر وقال جماعة الالف والنون زائدتان للتاكيد وبين ظهريهم
واظهرهم كلها بمعنى بينهم وفائدة ادخاله في الكلام ان اقامته بينهم على سبيل الاستظهار بهم والاستناد
اليهم وكان المعنى ان ظهرا منهم قدامه وظهرا وراءه فكانه مكنوف من جانبيه هذا اصله ثم كثر حتى
استعمل في مطلق الاقامة هذا ما دل عليه اهل اللغة كما في المصباح والنهاية وتفسيره بالعزة او
تقدم الفتنة والظهور لان الظهر اظهر من غيره مناسب للغة وحال المستضعفين فلما خلت
مكة منهم اي من الصحابة عذبهم الله اي كفار مكة بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم

وليس فيه

وليس فيه تفكيك الضمائر لظهور المعنى ولبس الظاهر ان يقول بعلمهم بدل بعلمهم على توهم وشبهه
مما لا يلتفت اليه وحكم فيهم سيوفهم حكم بالتشديد اي جعلها حاكمة على رقابهم وهي استعارة لطيفة
اي جعلهم في قهرهم متمكنين من قتلهم والتصرف فيهم ولذا كان الانسب التعبير بالقلبة قبله
واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم اذ فرق الارض بما لا يبنا فيه مما يعد للزراعة ونحوها والديار
بالمساكن المبنية والاموال بما عدا ذلك من المتاع والانعام والنقود وساير المنقولات وهي متغايرة
والعطف ظاهر وليس فيها عطف خاص على عام كما قيل بان يحمل الاموال على مطلق ما يملك والتعبير
عن الحيازة والتملك بالارث مجاز مشهور صار حقيقة فيما ذكر والتعبير به هنا فيه لطف لما بينهم
من القرابة وفي كلامه ما يشير الى ان مكة فتحت عنوة كما ذهب اليه ابو حنيفة والجمهور كما جزم به البرهان
الحلبي هنا وتبعه بعض الشراح وما قيل من انه لا ينافي كونها فتحت صلحا كما توهم لا وجه له وفيها قول
ثالث بعضها فتح صلحا وبعضها فتح عنوة ثم ان البرهان استطرد هنا ذكر خبر مكة وتفصيل فتوحاتها
باعتبار الصلح والعنوة والصحيح اذ فتح مكة عنوة عند امامنا الاعظم كما مر وفي الآية ايضا معنى
آخر تعريف الآية المعهود والمراد بها وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
والتاويل السابق محصله ان الله لا يعذب الكفار وانت فيهم ولا يعذبهم ايضا وبقية الصحابة
فيهم يستغفرون الله فضماير الغيبة للكفار الا ضمير هم وضمير يستغفرون ولذا ذهب بعض الشراح
الى ان المراد بالتاويل الآخر جعل الضميرين الآخرين للكفار والجملة حالية اي ما كان الله معذب
الكفار لو تابوا واستغفروا وامن كفرهم واختاره الطبري وهو اشارة الى ما سبق في علم الله تعالى من
ان منهم ومن ذريتهم من يسلم اي ما كان الله معذبهم ومنهم من يخرج فيؤمن ويستغفر واختاره الزجاج
او هو اشارة الى قولهم في دعائهم غفرانك اللهم فجعله الله امانا لهم واختاره ابن عطية في قوله ايضا اشارة
الى التاويل السابق والى غيرها من الايات المأولة ولا سيما محذوفه كما قيل وفيها تاويلات كما مر من ان
المنفي الاستيصال في الدنيا والمثبت عذاب الآخرة او الاوليان من مقالة الكفرة والثانية ردهما
وقيل ان المصنف اشار الى ما يفهم من الحديث من ان حياته واستغفار المؤمنين مطلقا دافع للعذاب والمؤمن
لا يعذب ما دام مستغفرا وضمير الفاسقين للمؤمنين اي ما كان الله ليعذب المؤمنين بضرب من عذاب
من قبلهم وانت حي وهم يستغفرون او الآية على تاويلها الاول ولكن اذا لم يعذب الكفار لهذين الشيئين
فالمؤمنون بالطريق الاولى ففيها امان للفريقين والامة في الحديث امة الدعوة وان كانت في بعض التاويلات
امة الاجابة حدثنا القاضي الشهيد ابو علي ابن سكرة الحافظ وقد تقدمت ترجمته بقراءتي عليه
اي لا بالسماع وغيره من وجوه الرواية حدثنا ابو الفضل بن خيرون تقدم الكلام عليه ايضا وابو الحسن
الصيرفي قال البرهان كان في الاصل ابو الحسن وصحح في الطرة الحسين بالتصغير وهو الصواب وهو
المبارك ابن عبد الجبار كما تقدم وقد وقع له ذكر في اول فصل في تفضيله في القيمة وكنيته ابو الحسن
ايضا ولم ينبه عليه احد فكن متنبها له تأمل قال حدثنا ابو يعلى بن زوج الحرة هو احمد بن عبد
الواحد بن محمد بن جعفر وقد تقدم الكلام عليه وعلى الحرة بضم الحاء المهملة وتشديد الراء والهاء حدثنا
ابو علي السنجي الحسن بن محمد وقد تقدم الكلام عليه وضبط السنجي بكسر السين المهملة والنون الساكنة
والجيم والنسبة بآية محمد بن محبوب والمروزي تقدم الكلام عليه وعلى نسبته وانه راوي جامع الترمذي
عنه حدثنا ابو عيسى الحافظ هو الامام الترمذي صاحب السنن وتقدم الكلام عليه حدثنا
سفين بن وكيع ابو محمد بن الجراح الكوفي وله ترجمة في الميزان وهو ممن ضعفه الذهبي توفي سنة سبع
واربعين ومايتين وروى عنه في السنن حدثنا ابو نمير بالنون والميم آخره راء مهملة بصيغة التصغير

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهو محمد ابو عبد الرحمن بن عبد الله بن نمير الامام المحدث الهمداني الكوفي توفي سنة اربع وتسعين ومائة
وقيل سنة اربع وثلاثين ومائتين وهو الاصح عن اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر وابن مهاجر سقط من بعض
النسخ وهو محلي من تبع التابعين وقول النسائي انه ابو بشر الاسدي قيل انه وهم منه وفي التقريب انه
ابن ابراهيم بن نعيم وهو ثقة وابن مهاجر ضعيف عن عباد بن يوسف بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة
وهو كندي حمصي ثقة وقيل اسمه عبادة والذي صححه المزي وابن حجر الاول وهو ثقة مقبول الرواية عن
ابي بردة عامر بن عبد الله وبردة بضم الموحدة وهو ثقة توفي سنة اربع ومائة على قول عن ابيه ابي موسى
الاشعري الصحابي المشهور واسمه عامر بن عبد الله بن قيس وقيل الحارث احد الحكمين توفي بمكة او
بالكوفة سنة اربع واربعين او اثنين وخمسين ومائة ونسبته الى اشعر لقب لابي القبيلة المعروفة
باليمن لقبه به لانه ولد وعليه شعر وهذا الحديث اخرجه ابن ابي حاتم عن ابن عباس وابي هريرة موقوفا
بمعناه وهو حديث غريب ضعيف وفيه نظر انزل الله تعالى علي اي اوحي الي بقرآن ينزل علي
امانين لامتي اي شيئين فيهما ما يدل على ان الله تعالى امن امتي من العذاب بهما وهما قوله وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قد تقدم ان الايتين في المومنين او الكفار او ق
فيهما وكذا هذا الحديث محتمل لذلك لان الامة امة الدعوة او الاجابة فما قيل ان مقتضى الحديث شمول
الاية للمومنين وظاهر النص بالطريق الاولى وانه صلى الله عليه وسلم علم منهما عموم الحكم وحمل الحديث على
الكفرة بعيد جدا وعلى ظاهر الحديث يجوز عود الضمير في الاية على الامة لكونه فيهم مدة حياته سواء
كانوا مومنين او كافرين فيعم الحكم بنوع تكلف كلام مضطرب متكلف فاذا مضيت اي ارتحلت للاخرة
وتركت فيكم وفي رواية فيهم اي خلفت بعدي بضم تا المتكلم الاستغفار اي اذا مت بقي الامان
الاخر فاذا تركتموه حل بكم العذاب جزما او احتمالا والاستغفار هو الدعا بالمغفرة المعروف وقيل المراد
به الصلاة وقيل الاسلام على رواية فيكم فيه التفات من الغيبة للخطاب اشارة الى ان انتفا التعذيب
عنهم بالاستغفار دون انتفائه بكونه فيهم وبد بقاء وحده قوله ليعذبهم او لا دون معذبهم وهو منا
لنزول صدر الاية بمكة وعجزها بعد خروجه وترك تغيير المومنين بها كما قيل وفيه نظر عوضه منه متعلق
بنحو لتضمنه معنى قريب اي فيه نوع مماثلة لما قبله بحسب المعنى من رحمة الكفار بتاخر العذاب قوله
تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين اي لجميع الخلق حتى الكفار والجماد والحيوان لاصلاحهم
واسعادهم في امور معاشهم ومعادهم وامنهم من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال وغير ذلك مما نزل
بالامم السالفة وكل ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم قال عليه السلام انا امان لاصحابي كونه
امانا لاصحابه من كل ما يخافون امر قطعي وهو اعم مما حكاه المصنف بقيل وينبغي ان يكون هذا مندرجا
تحت قوله وولايته له كما قيل وهذا الحديث رواه مسلم عن ابي موسى قال صلينا المغرب مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلي العشا فخرج علينا فقال ما زلتم ههنا قلنا يا رسول الله
صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشا فقال احسنتم ورفع راسه الى السما وكان كثيرا
ما يرفعها فقال النجوم امنة للسما فاذا ذهبت الى السما ما توعد وانا امنة فاذا ذهبت الى اصحابي ما يوعدون
واصحابي امنة لامتي فاذا ذهبت اصحابي اتى امتي ما يوعدون فما ذكره المصنف رواية موافقة لرواية
مسلم او هي رواية مسلم بالمعنى لان امنة بفتحتين مصدر بمعنى الامان وان ورد جمعا لامين بمعنى
الحافظ كخدمة كما في النهاية والمراد الاول لقول ابن مسعود كان امانان لهم والاستغفار فهاجر وبقي
الاستغفار كما رواه في اللباب ومن هنا علم انه يجوز ان يكون معنى مضيت هاجرت فلا التفات وان
احتمل ايضا والمراد بذهاب النجوم انتشارها اذا الكواكب انتثرت وما توعد السما انفطارها

وتبدلها

وتبديلها المذكور في قوله اذا السما انفطرت ويوم تبدل الارض وهو تمثيل وايماء الى اصحابه
كالنجوم في الامة وما اوعدت به اصحابه الفتن والردة بعده والموعود به الامة ما انذرهم به من
البدع والاختلاف والهرج وغلبة الروم وتخريب مكة والمدينة وغير ذلك مما كان اكثره ويبقى ما لا
شك في كونه وفيه دلالة على ظهور الشر بعد ذهاب اهل الخير وانه ما دام حيا لم يقع شي من ذلك
ولولا اختلاف فبعده وقع الاختلاف ثم لما انقرض الصحابة قويت الظلم لذهاب الانوار كالسماء عند
ذهاب النجوم فقيل الامان المذكور ما كان في حياته لا في حياته وموته كما توهم كما لا يخفى فما حمله عليه
احطا وفيه نظر قيل من البدع جمع بدعة وهي ما لا يعلم من الشرع لا صريحا ولا استنباطا وليست
كلها مردودة كما يوهمه قوله كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار فان الفقها قالوا تجري فيها الاحكام
كلها فمنها ما هو حرام كانواع السياسة التي لم تكن في العصر الاول ومنها ما هو مكروه كتكبير العمايم
وتوسيع اللباس وتطويله ومنها ما هو مباح كاحداث بعض الاطعمة ومنها ما هو واجب كتدوين علم
الكلام التي يلزم بها الكفرة واهل الاهواء ومنها ما هو مستحب كاحداث المدارس والرباطات
وقد استوفى اقسامها ابن الحاج في المدخل وهو كتاب لم يصنف في بابه مثله وان كان فيه امور
غير مسلمة وقيل من الاختلاف والفتن المراد بالاختلاف ما يشمل الخلاف وهو مخالفة العلماء
والفقها والحكام من غير دليل معمول به وان كان ذلك مطلقا لم يقع في حياته صلى الله عليه وسلم
لمعرفة حقيقة كل امر بالوحي واما الاختلاف الذي وقع عنده كما ورد في الاحاديث الصحيحة من
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه ايتوني بدواة اكتب لكم كتابا لا تضلون من بعدي فقال
عمر ان الرجل ليهجر حسبنا كتاب الله فلغط الناس فقال اخرجوا عني لا ينبغي التنازع لدي
فقال ابن عباس الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله وهذا ما شنع به الروافض
على عمر قال صاحب الملل والنحل هو اول اختلاف وقع في الاسلام وقال ابن تيمية في كتاب الرد
على الرافضة لا يخفى ان عمر ثبت من فضله وعلمه ما لا يثبت لغيره وقد قال صلى الله عليه وسلم ان
يكن فيكم محدث فعمر وقصة هذا الكتاب قد جاءت مفصلة في الصحيحين عن عائشة انه عليه السلام
قال في مرضه ادعي لي اباك واخاك حتى اكتب كتابا فاني اخاف ان يتمنى متمن ويقول قائل
انا اولى بالخلافة ويابى الله والمومنون الا ابا بكر وقد اشتبه على عمر قوله هذا هل كان من شدة
المرض ام لا والانبيا غير معصومين عن اعراض المرض ولذا عبر بالرجل وقال اهجر ولم يجزم بانه
هجر وعلم ان الكتاب لا يرفع الشك واما قول ابن عباس الرزية الخ فلان الحايل عنه رزية في حق
من شك ومن توهم انه خلافة علي فهو ضال والحاضرون جماعة يجي منهم جحده ولو كتب فلذا ترك
لتحقق ما فيه عنده انتهى وحديث اختلاف امتي رحمة لم يثبت وهو ماول ايضا والصحابة عند
الاختلاف يجتهدون في ادراك الوقائع والاتفاق اولى على كل حال وقد يودي الخلاف الى ما لا
ينبغي قيل والحق اذا غفل واخطا فله اجر كما انه اذا اصاب له اجران ولا يضره خطاوه بل ينفعه
اقول هذا وان اشتهر فقد قال ابن عبد السلام الحق خلافه والحديث الذي رواه عمرو بن العاص
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا حكم الحاكم واجتهد واصاب فله اجران وان حكم واجتهد
ثم اخطا فله اجر قال ابن عبد البر في كتاب العلم اختلف العلما في تاويل هذا الحديث فقال قوم لا يوجر
من اخطا لان الخطا لا يوجر احد عليه وحسبه ان يرفع عنه الاثم وردوا هذا الحديث بحديث
بريدة القضاة ثلاثة وبقوله تجاوز الله لامتي عن خطائها ونسيانها وقوله ليس عليكم جناح فيما
اخطاتم به ونحوه وقال اخرون يوجر اجرا واحدا لظاهر الحديث وقال الشافعي يوجر لا على الخطا

شبكة الألوكة www.alukah.net

لان الخطا في الدين لم يومر به احد وانما يوجر لارادته الحق الذي اخطاه وسعيه فيه انتهى وهو
معنى لطيف جمع به بين القولين والفتن جمع فتنة واصل معناها الاختبار فاطلقت على المصايب وما
يختبر به والمراد بها الحروب والارتداد وكل ما جرى بعده بين الصحابة فهو عام وما سننه للترجمة
ودخوله في ولايته ظاهر **قال بعضهم الرسول هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت سنته
باقية** فانه نفس الامان او وجوده امان من كل مكروه بالدفع والرفع فهو الامان لا غيره لتعريف الطرفين
كما يشير اليه وانت فيهم وسنته طريقته التي شرعها ومنها الاستغفار ولذا فسر بما مر وبقاوها ببقائها
والعمل بمثلها فهو باق والضمير للامان والرسول لانه بقا شرعه كبقايه فيكون الامان الاعظم كالباقي لتنزيل
بقاء سنته منزلة بقائه كما يشير اليه قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مبني على انه
امان للمومنين والكافرين كما مر ولذا كان اعظم وما في الجملتين ظرفية مصدرية والثانية معطوفة على الاولى
وقيل هو ركيك فكانه جعل الثانية شرطية وجملة الشرط معطوفة على ما قبله اذ ادامة السنة بالرسول والامانة
باق كما بينه بقوله **فاذا اميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن** وفي بعض النسخ فانتظر مفردا
باعتبار المخاطب وان كان الحكم عاما ومعنى اميتت بصيغة المجهول تركت على الاستعارة اي لم يعمل بها
ولم يحرص الناس على تعلمها بان غلب فيهم ذلك لا الترك بالكلية فانه من اشراط الساعة والبلاء بفتح الباء
والمد المصايب كالطاعون والظلم والفتن محاربة الناس بعضهم بعضا نسال الله العفو والعافية وكليهما
مراد فمن كان له التلمساني وفي كون الاستغفار قايم مقام الامام الاعظم دون غيره اي لم ينبهوا عليه فتنبه
وقال تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي الاية انما ذكرها هنا لدلالتها على عظم شانه وتولي الله
اموره وسياتي الكلام مفصلا على الصلاة في الباب المعقود لها **ابان** اظهر او فضله على غيره **الله تعالى
فضل نبيه عليه السلام بصلاته ثم بصلاة ملايكته** ثم للتراخي الرتبي والذكري يحصل بعثته
لعبده كما فصل في قوله ذلك الكتاب قيل وفيه اشارة الى اختيار احد القولين في قوله يصلون ان الله وملايكته
كما تقدم **وامر عباده** مصدر مجرور بعطفه على صلاته او فعل معطوف على ابان كما صححه البرهان لا على
فضل لتعديه الى المصدرية لانه تخلف من غيره داع والمراد بعباده المومنون المكلفون او الاعم بناء على ان
الكفار مكلفون بفروع الشريعة وكون الامر للوجوب او الندب سياتي وعباد جمع عبد وله جموع تزيد على
عشرين جمعها ابن مالك في شعره المشهور وزاد عليه بعض اصحابنا فقال

جمع عبد عبيد اعبد عبد	عبدة عبد اعباد عبدان
عبد عبدي ومعبود او مدها	عبدة عبدا عباد عبدان
عبيدا عبدة عباد معبدة	معابد وعبيد ونا العبدان

بالصلاة والتسليم عليه وسياتي تفصيل معناهما فله بذلك الفضل على غيره وقد قيل عليه ان
المومنين شاركوا في مجرد صلاة الله وملايكته لقوله هو الذي يصلي عليكم وملايكته ليخرجكم من الظلمات
الى النور وفي الحديث مثله كثير نحو حديث ان الله وملايكته يصلون على ميامن الصفوف وقد ذكر ان
الاية الاولى لما نزلت قال ابو بكر يا رسول الله ما اعطاك الله من خير الا اشركنا فيه فما بالك لم
تشركنا في هذا الخير فنزلت هذه الاية فاذا كان نزول هذه بعد الاولى ظهر فضله على غيره بها حيث
نزلت اولا من غير مزاحم فيها مع التاكيد بان والا فتميزه بمجموع ما ذكر وايضا المضارع يدل على
الاستمرار التجددي في حقه دونهم فيظهر الاختصاص وعن الامام الرازي ان صلاة الملايكة على
المومنين بطريق التبعية لصلاته ثم عليهم لتاخر ذكرها وصلاتهم عليه بطريق الاصالة ففي الاية
الاولى تفضيل له على غيره كما اذا قيل دخل فلان وفلان بن فلان واورد عليه ان الواو لمطلق الجمع

بلا ترتيب

بلا ترتيب في اي التركيبين كانت واما قول ابي حنيفة من قال لغير مدخول بها ان دخلت الدار فانت
طالق واحدة وواحدة تقع واحدة بخلاف انت طالق واحدة وواحدة ان دخلت الدار حيث يقع ثنتان فليس
مبنيا على ان الواو للترتيب بل لان المعلق بالشرط كالمنجز عند وقوعه وهو ان لم يجز الاول حقيقة لم يقع
الثاني فكذا اذا صار كالمنجز حكما بخلاف ما اذا اخر الشرط لان صدر الكلام توقف على اخره لوجود المغير في
اخره فكان في حكم البيان كما بين في محله وليس النبي داخلا تحت المخاطبين في الاية الثانية ليقال انه
لما ميز بالصلاة عليه من مجموعهم دل التمييز دلالة واضحة على ترجيحه فيها كما حب القوم واحب زيدا
الاول او تاخيره لان المخاطبين بها المومنون خاصة بقرينة السياق انتهى. اقول القول ما قالت حزام فان
النبي صلى الله عليه وسلم مخصوص بالصلاة عليه استقلالا وتبعا لانه تم لا يسئل عما يفعل والصلاة حق
النبي فله ان يعطيه لمن شاء مع ان الصلاة عليه رحمة وتعظيم مخصوص به والصلاة على غيره مطلق الرحمة
والمثال الذي ذكره الامام مثاله لما قاله ابو حنيفة بعينه وليس هذا من الواو وكما مر نظيره في قصة الخطيب
فيفعله نعم وامره لنا امر مخصوص فلا حاجة لما ذكر من الحزازة لمن في بصيرته نور من الله **بالصلاة و التسليم**
عليه وحض المومنين بالتسليم المؤكد لبيان لزوم رعاية التعظيم من الامة في حقه لانه المنقذ لهم من
الضلال وانتظارهم له ولانعامه اكثر من غيرهم والمراد التسليم من النقايص التي عصمه الله منها
ولم يسندها لغير البشر الذين هم من نوعهم وخصه بالتاكيد وتنوين التعظيم اي تسليما عظيما تعريضا
بمن لم يسلم وقيل لان المراد تسليما لا كتسليم غيره من الامة والصلاة ليست مما يشاركه فيها الامة
فيفهم منها التعظيم في نفسها من غير تاكيد ولان التسليم لم يثبت لله فهو في معرض المساهلة في الجملة
وهو كلام حسن **وقد حكى ابو بكر بن فورك** بفاء مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة وكاف
عربية وهو لفظ اختلف فيه فقيل انه عربي وفور بمعنى فار فالكاف اما زايدة فيه كما قالوا في هندي
هندكي او للتصغير فان العجم اذا صغروا الحقوا اخر الاسم كافا ورد بان فور بمعنى الفار لم يسمع من العرب
والثابت في اللغة فور جمع فار بمعنى الظبي الذي في اللغة الفارسية قيل وليس هذا علة تمنع الصرف
لان شرط العجمة كونه علما في العجمية قبل استعماله وليس كذلك انما الشرط ان لا تستعمله العرب الا علما
كما لون على ما فيه وقيل فور عربي فلا ينقلب بلحوق الكاف عجميا اقول اللفظ العربي اذا غيروه
وعجموه بالحاق اداة من ادواتهم ولم يستعمل الا علما فالظاهر انه يصير عجميا ممنوعا من الصرف
كبابك فانه في الاصل بابا بمعنى اب مصغر على قاعدتهم وقد استعمل ممنوعا في شعر ابي تمام ولا عبرة
بالتردد فيه ولا جهله كما هنا كما في بعض حواشي المطول وفي حواشي الفاضل الحفيد على المطول
بابك والد عبد الصمد الشاعر المشهور ممنوع من الصرف وقيل مبني على السكون انتهى وهو وهم
لا يعتد به البتة وفي حواشي البرهان الحلبي هو مصروف بضبط القلم في النسخ المصححة والظاهر
انه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وهو محمد بن الحسن الاصبهاني الامام الجليل والبحر الذي لا يجارى
فقها وعقولا واصولا وكلاما مع جلالة وورع زايد وقد امتحن في الدين وجرت له مناظرات ادت
الى عزله ومات مسموما شهيدا او في الطريق لما عاد من عزله سنة ... واربعمايه نقل الى نيسابور ودفن
بها وقبره يزار ويستجاب عنده الدعا وهو شافعي المذهب وقال التلمساني كانت الملايكة تكلمه
في اليقظة وقوله وقد حكى الى قوله الى يوم القيمة لم يثبت في الاصل الذي عليه خط المصنف وثبت
في الاصل المروي عن ابن عباس العزفي انتهى وفي حواشي الكمال بن ابي شريف على النخبة انه فارسي مصغر
غير منصرف ومعناه فور تصغير فار لان الكاف عندهم للتصغير وجعل في العجم علما لكن في القاموس
ان لفظ فور علم له ولم يعد من العجم كما هو عادته قيل وهو يدل على ان التعجيم بادخال الكاف بعد العلمية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولذا قيل انه تخمين غير معتبر وفيه نظر ان بعض العلماء تأول قوله عليه الصلاة والسلام وجعلت
قرة عيني في الصلاة على هذا والحديث حبب الي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في
الصلاة وفي اثبات لفظ ثلاث ومعنى الحديث كلام سيجي والمقصود هنا ان بعض العلماء فسر الصلاة هنا
بالدعاء والمعروف انه الصلاة الشرعية ذات الركوع والسجود لما فيها من المناجاة والمعارف وكشف
الاسرار اي صلاة الله على النبي صلى الله عليه وسلم وملائكته وامره الامة بذلك الى يوم القيمة
ذلك اشارة الى الصلاة المذكورة في الاية وذكر لتاويله بالمذكور او الدعاء ودوامه الى يوم القيمة بدوام امته
ولعدم نسخه والى متعلقه بالامر ونحوه متعلقه به وما قبله على التنازع وانما غياه بما ذكر لعدم التكليف
في الاخرة والمراد بالقيمة معناها المعروف او خراب الدنيا وكونه الى بمعنى مع تكلف وخص ذلك قيل لابراز
كل فضيلة فيه والاية تدل على تجدد الرحمة وكثرتها على ما يليق بمقامه والصلاة من الملائكة ومنا دعاء
وفي نسخة من الملائكة استغفار ومنا دعاء وهو الذي اشتهر عن ابن عباس وما في هذه النسخة سيأتي وهما
مشتركان في انهما دعاء ومعنى الاستغفار وتخصيصه بالملائكة سيأتي تحقيقه والمراد بقوله منا بني
آدم لا المكلفون كما قيل ومن الله رحمة انعام ولطف وثناء وتعظيم وقيل معنى يصلون يباركون اي
يعطيه الله البركة والملائكة يطلبونها له والبركة اليمن والخير الكثير او الدائم من برك البعير او من بركة
الماء كما حققه في الكشف واشار بقوله وقد فرق بتخفيف الراء ويجوز تشديدها انه لم يقل ان المخفف يختص
بالمعاني والمشدد بالاقسام كما قاله القرافي النبي صلى الله عليه وسلم حين علم بتشديد اللام
اصحابه بين لفظ الصلاة والبركة في حديث قد امرنا ان نصلي عليك فكيف نصلي فقال قولوا اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد او حيث عطف احدهما على الآخر في
حديث آخر فقال صليت وباركت والظاهر ان مراده الاول اشارة الى اعتراض على هذا القول ولا يخفى
ان المغايرة بينهما بحسب المفهوم لا تنافي تفسيره به وعطفه عليه وان كان الاصل ذلك وسيأتي تتمة
هذا وسنذكر حكم الصلاة عليه من الوجوب والكيفية وغير ذلك وفي نسخة صلى الله عليه وسلم تسليما
كثيرا الى يوم الدين والمراد التابيد الى يوم القيمة لظهور امر الدين فيه او الجزاء عليه او خضوع كل احد له
فالغاية غير مرادة وقيل هي للكثرة كقوله ملء السموات والارض وذكر بعض المتكلمين اي المفسرين بدليل
قوله في تفسير حروف كهيعص والجار والمجرور متعلق بذكر او بالمتكلمين وليس المراد به المشتهرين بعلم الكلام
كما قيل لعدم مناسبته هنا ان الكاف من كاف اي حرف من اسمه تعالى الكافي ولم يقل من الكفاية كما قال فيما بعده
مع ان المناسب لتفسيره بقوله اي كفاية الله لنبيه. وعبارته لا تخلو من اضطراب فانه اكتفى بحرف من
الكلمة على طريق الرمز والاشارة واما من كاف الذي هو اسم له او من الكفاية التي هي صفته وما قيل من
انه ميل الى انه اشارة الى اسم الله باعتبار الصفة ولم يقل الهاء من هادي ونحوه وهو المراد اكتفاء بالاول
وانه اراد الاشارة الى ما وقع في القرآن والذي فيه في الاول اسم الله وفي الباقي نسبة الصفة الى الله
تذكر على نهج ما ورده اقول هذا كلام من فر من الطريق فوقف تحت الميزاب اما الاول فلان الاشارة
الى الاسم باعتبار الصفة تكلف لا داعي له وهو غير صحيح في الصاد التي هي اشارة الى الصادق من مصلي
اذ ليس من اسمائه المصلي واما الثاني فغفلة عن قوله فسيكفيكهم الله ونحوه والذي يظهر انه اراد ان
كل حرف مقتطع صفة من صفات الافعال وانها باعتبار تعلقها به لا مطلقا وانه لما ذكره اولا باسم من
اسمائه الحسنى تبركا به وبيانا لوجه تقدمه لانه اهمها واعمها فسره بما ذكر لئلا يتوهم جريانه فيما بعده
فانه المنقول فيما سيأتي وان المراد اثبات نفعاه للنبي صلى الله عليه وسلم لانه منادى ولانه مقتضى ما
عقد له الفصل فتدبر فالكاف من كاف والمعنى انه كاف له عما سواه كقوله يا ايها النبي حسبك الله

وان

واليه اشار بقوله اي كفاية الله كائنة منه لنبيه وسكت عن الباقي لظهوره فالحروف منتزعة
من صفات مشتقة لا من مبادي اسماء كما توهم ولا يشترط في الحرف ان يكون من اول الاسم وهذا مروي
في بعض التفاسير عن ابن عباس ومثله لا يقال بالرأي فقول بعض الشراح ان هذا لا ينبغي فان الحروف
تدل على غير مسماها ولم تكن الكاف من كبير او كريم وهذا من بدع التفاسير كما في الكشاف وفي هذه الحروف
اقوال اخر اصحها انه من المتشابه الذي لا يعلمه الا الله وقيل انها اسماء للسور او القرآن والعجب انه
بعدما انكره هاهنا نقل قولا بانها اسماء الله وقيل انها بيان لمدة هذه الامة او بعضها وقد نقل علماء علم الحروف
لها خواص كما في حياة الحيوان من خاف سلطانا او ظالما عقد اصابع يده اليمنى بكهيعص يبدأ بابهامه
واليسرى بحمعسق يبدأه بخنصرها ثم يقرأ في نفسه سورة الفيل ويكرر لفظ ترميهم عشر مرات يفتح في
كل مرة اصبعا من اصابعه المعقودة يامن شره وهو عجيب مجرب قال الله تعالى في كتابه الكريم اليس الله بكاف
عبده فسر عبده بمحمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل العموم بدليل انه قرئ عباده فيدخل النبي بالطريق الاولى
والاستفهام انكاري للمبالغة في اثبات الكفاية ويحتمل ان يراد غيره والمعنى انه اذا كفى غيره من
العباد كيف لا يكفيه والهاء من هاديه لم يقل من هدايته لانه يعني ان الهاء من هاد لاثبات هدايته له
وما قيل انه لم يقل من هدايته تفننا ولئلا يتعين الاكتفاء ببعض الكلمة لا وجه له وكذا ما قيل انه يتعين
مبتدأ ويضاف اي الكاف والهاء من كفايته والكاف من كفايته لا من كاف فيتوافق كلاماه والجواب
بانها اذا كانت رمز الكاف كانت رمز الكفاية في ضمير ويهديك صراطا مستقيما من الدين الاكمل
والفلاح او يثبتك على ذلك وقيل يهديك والياء تاييده له قال وايدك التلاوة ليس فيها واو
بنصره الضمير في تاييده لله وفي له للرسول وفي نسخة تاييده بدون له والضمير يحتمل عوده لله
وللرسول والتاييد التقوية والاعانة على اعدائه بالادلة والمعجزات والملائكة وفي اللباب ولم يرد
عن ابن عباس في الثاني ووجه بانه لم يات في الله مما اوله ياء وقد علمت ان حرف الرمز لا يلزم ان يكون
اولا وقد نقل هو ان الياء من حكيم والقول بانها من يمين وهم لانه ليس اسما لله واما والسموات مطويات
بيمينه فلا شاهد فيها والاضافة تاباه وعندي ان هذا مما لا ينبغي ذكره والعين عصمته له قال الله
تعالى والله يعصمك من الناس اي يحفظك من كيدهم ومكرهم ويمنعك من اذاهم وهو وعد ممن لا يخلف
الميعاد وقد كان له حرس فلما نزلت قال لهم انصرفوا فان الله يحرسني والقول بان معنى الاية انه يحفظ
عن الذنوب من بين سائر الناس تكلف وان كان معصوما عنها كما سيأتي وفي زاد المسير فان قلت كيف
ضمان العصمة وقد شج جبينه وكسرت رباعيته وبولغ في اذاه قلت انما عصم من القتل والاسر
لا من عوارض الاذى او هذه الاية نزلت بعد ما جرى عليه لان المائدة من اخر ما نزل كما في الشرح الجزري
اقول هذا بناء على ان هذه الاية مدنية والعصمة بعد الهجرة وهو المشهور وذكر خاتمة المحققين
الامام الخيضري في خصائصه وهو كتاب لم يصنف مثله ما حاصله ان وجوب الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر عليه واجب من اول الامر الى آخره استدلوا عليه بان الله وعده بالعصمة فكيف يكون هذا الاية
وكون هذه الاية مدنية فيه بحث لانه وان اشتهر يرده ما رواه ابن ابي حاتم في تفسيره عن جابر انه صلى
الله عليه وسلم كان اذا خرج بعث معه ابو طالب من يكلؤه حتى نزل والله يعصمك من الناس فذهب
معه فقال يا عم ان الله قد عصمني لا حاجة الى من تبعث وروى مثله الطبراني عن ابن عباس وفيه انه
قال لابي طالب ان الله قد عصمني من الجن والانس وهذان الحديثان دالان على ان الاية نزلت بمكة في اول
الامر وفي الصحيحين عن عايشة انها قالت ارقت رسول الله ذات ليلة فقال ليت رجلا صالحا من
اصحابي يحرسني الليلة اذ سمعنا صوت السلاح قال انا سعد بن ابي وقاص جئت لاحرسك فنام حتى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

سمع غطيطه وروى الترمذي عن عايشة انه كان يحرس حتى نزلت هذه الآية فاخرج من القبة رأسه
فقال لهم ايها الناس انصرفوا عني فقد عصمني الله قال الترمذي وهو حديث غريب رواه الحاكم في المستدرك
وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وفي سنده من هو ضعيف الا ان له متابعات ولذا احتج به مسلم وهذا يدل
على ان ذلك كان بالمدينة لان عايشة اخبرت عن مشاهدة وهي لم تكن معه بمكة فيحتاج الى الجمع بين الروايات
وما في الصحيح اولى لكنا نلتزم تاخر نزول الاية بالمدينة ونمنع ان وجوب الانكار عليه كان داخلا في
عموم التشريع ثم انهم لم يثبتوا ان المراد بالخوف هل هو من القتل او اعم وظاهر كلامهم انه الاول فكان يحرسه
اصحابه في الفزع والخوف حتى هاجر الى المدينة وامر بالقتال فانزل الله عليه آية العصمة مع انا ندعي
انه كان يعلم ذلك من غير هذه الآية وانما نزلت تطييبا لخاطره فان قلت اذا كان يعلم ان الله عصمه من اعدائه
وآمنه من كيدهم وشرهم فما له اختفى بالغار اذ خرج من مكة وما له كان يحرس ويلبس الدرع وما له كسرت
رباعيته وشج وجهه ونحوه بعد نزول الآية • قلت ذلك تشريع لامته ليقتدوا به فما ليس من خصائصه
مع ان في ذلك حكما لطيفة فاختفاؤه في الغار خوفا على الصديق لا على نفسه كما يدل عليه قوله اذ يقول
لصاحبه لا تحزن فاعلم ابا بكر به تطييبا لخاطره وليظهر له من المعجزات ما يعلم به غيره وان كان هو لا
يحتاج لزيادة علم كخروجه والكفار يرصدونه ونثر التراب عليهم ولو خرج ظانا الظن انه لحمايته بعض
قومه فاريد ان لا يكون لاحد عليه منة واحتراسه للخوف على من عنده عزة من اهله واظهارا اعتماده على
اصحابه وامانتهم ولبس اللامة ليرهب الاعداء وليظهر ان عنده عزة وسلاحا الظن بعض الكفار انهم فقراء
تحدثا بنعم الله واما كسر رباعيته وشجه فبيانا لما فطره الله تعالى عليه من لعدل العلم الله انه يصيب
المومنين باحد مصايب عظيمة فجعل النبي مشاركا لهم في ذلك لتحصيل اجره له وتسليتهم بمصيبته وعصمة
الانبياء لها معنيان احدهما حفظه من الناس بما ذكر والثاني صونه عن ارتكاب الذنوب كما سياتي فان
قلت هل يجوز طلب الثانية لاحد غير النبي قلت قال شيخ والدي ابن حجر الهيتمي في شرح العباب
اختلف الفقهاء فيها فقيل يجوز لقول مالك والشافعي في الرسالة نسال الله العصمة في الحركات والسكنات
وفي حديث اخرجه النسائي ليقل من دخل المسجد اللهم اعصمني من الشيطان وقيل يمتنع لاستحالته
والحق ما قاله بعض المتاخرين انه ان قصد عن جميع المعاصي والرذايل في جميع الاحوال امتنع لانه
سؤال مقام النبوة وان قصد التحفظ من الشيطان والتحصن من افعال السوء فصل لا باس به انتهى
وفيه نظر وفي كلام مشايخ الصوفية انه تعالى في النبي معصوم وفي غيره محفوظ وكانه تادب
منهم والصالحات صلواته قال ان الله وملايكته يصلون على النبي قيل المراد الاخبار عن هذه الامور
او المتسم بهذه الصفات وهذا التفسير وامثاله ليس على الحتم ولا احتمال محض فما قيل من انه غير واجب
التسليم لا طايل تحته فتامل وقال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه اي وليه هم
تظاهرا عليه بالتشديد والتخفيف بمعنى تعاونا وتناصرا والخطاب لعايشة وحفصة ام
المومنين على الاصح او عايشة وسودة ام المومنين اي تنفقا في امر يسوؤه من افشاء السر او
شدة غيرة النساء او امر النفقة فلن يعدم من يعينه والله يعينه الآية اي اعوانها ثم بقوله
وجبريل وصالح المومنين والملايكة بعد ذلك ظهير والولي والمولى المعين والناصر وتعريف
الطرفين والضمير يفيد الحصر اي لا مولى له حقيقة سواه وما ذكر بعده انما ذكر ظهيرا خبر عنه
وعما يعطف عليه وان كان لا يعتمد على غير الله بناء على الظاهر تطييبا وتطمينا لقلبه واظهارا
للفضل والتشريف وجبريل مبتدا وهو وصالح عطف على الله والملايكة مبتدا وخبره ظهير وافرده
بجعل من ذكر لا تفاقهم كالواحد او لانه اسم جمع كطفلا في قوله يخرجكم طفلا او لان فعيلا قد يقع للواحد

وغيره كما في قوله • ان العواذل ليس بامير • ويترتب على ذلك الوقف على مولاه او المومنين
او ظهير وقد اختار كل واحد منهما جماعة من القراء والوجه الاول اشارة للتنصر والتظاهر وسبب
نزول هذه الآية انه صلى الله عليه وسلم دخل على حفصة في نوبتها فخرجت لحاجة لها فارسل
لمارية جاريته فاتته فواقعها فلما رجعت حفصة علمت بذلك فغضبت وبكت وقالت ما لي
حرمة عندك فقال ليرضيها انها حرام علي بعد اليوم وحلف ان لا يقربها واخبرها ان الخليفة بعده
ابوها وابو عايشة وقال لها لا تخبري احدا بهذه القصة فلما خرجت اخبرت عايشة بالقصة
وقالت اراحنا الله من مارية وكان بينهما مصادقة وتظاهرا فانزل الله هذه الآية • اي ان
تتوبا الى الله من ايذائه وحب ما يكره تحقق بذلك ميل قلوبكما عن الحق على حد قوله ان يسرق
فقد سرق اخ له من قبل في جنس التاويل دون نصه لان مضمون الشرط فيه محقق بمضمون الجزاء
وفيما نحن فيه محقق له ضرورة فان التوبة عن الذنب محققة فان كان الميل الى الحق لم يحتج الى
هذا التاويل وصالح المومنين قيل الانبياء هذا مروي عن قتادة فان قلت الصلاح مما
يوصف به آحاد الامة دون الانبيا قلت لما فطن لهذا بعض المفسرين قال الصفة قد يذكر
لبعض الموصوف وقد يقصد مدح الصفة نفسها بمدح العظماء بها كما هنا فكانه قيل الصلاح
صفة عظيمة في نفسها لانها مما يوصف بها الانبياء وهذا كما قال حسان •
• ما ان مدحت محمدا بمقالتي • لكن مدحت مقالتي بمحمد •
وخالفهم السبكي في فتاواه فقال الصلاح من ابلغ الصفات واذا اردت معرفة ذلك انظر
حديث مدح القلب ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله الخ فصلاح القلب بالايمان
والعرفان والاحوال وصلاح الجسد بالطاعة والخلق تتفاوت في ذلك تفاوتا كثيرا فصلاح
العبد بصلاح قلبه وبدنه على قدر مقامه وهي صفة ذاتية تفضل الله بها وما سواها من النبوة
والرسالة وغيرها ناشئ عنها فلذا كانت اعظم الصفات وقول من قال الصالح من قام بحق الله وحق
العباد كلام اجمالي لا ارتضي له وانما السر في المعنى الذي ابتني عليه هي صفة حقيقية اودعها
الله في العبد بها ينال سعادة الدارين وصلاح كل احد بحسب حاله فاعظم الصلاح صلاح محمد
صلى الله عليه وسلم انتهى • وقيل الملايكة قال السيد عيسى هذا يعين فالعطف للتفسير او
للتغاير بالمفهوم خلاف الظاهر ولك ان تقول المراد خواص الملايكة كاسرافيل وحملة العرش
والمراد بالملايكة بعده بقيتهم او جميعهم وذكر التعميم بعد التخصيص وتعبيرهم عنهم بصالح المومنين
قرينة على ذلك ظاهرة وكان الحامل له على ذلك توسطه بين جبريل والملايكة فانه اخفى مما
استبعد اذ مقتضى الظاهر ان يقول والملايكة وصالح المومنين وقيل ابو بكر وعمر رواه الدارقطني
والثعلبي عن عكرمة وابن جبير مرفوعا للنبي صلى الله عليه وسلم وزاد بعضهم عثمان ووجه التخصيص
على الاول انهما ابواهما وجنسيته للتين اسر لهما ما مر فمن قال انه دعوى بلا بينة لم يصب يعني
انهما وان تظاهرا فابواهما اشفق الناس عليهما لا معهما وهذا تفسير منقول عن النبي عليه السلام
كما رواه ابن مسعود وقيل هم الصحابة وقيل الخلفا وصالح المومنين كتب حرفت والواو لا النقارين
وكون حذفها للدلالة على سرعة النطق لما في الواو من المد والنقص بعيد جدا والمراد صالح هو
المومنون على ان الاضافة بيانية او الصالح منهم لا الاصلح الذين تولاهم الله واعانهم فتولوا رسوله
ونصروه وقيل علي وفي نسخة رضي الله عنهم اجمعين وهذا التفسير رواه القرطبي والثعلبي
عنه صلى الله عليه وسلم قيل ولا منافاة بين الحديث لانه لم يرد به الحصر وان كان بعيدا وقيل

المؤمنون كلهم بناء على ظاهره المتبادر من لفظه من غير مانع واختاره الامام الرازي
والآية دالة على ولاية الله له بنصره وتسخير القلوب له الذي هو من مقاصد هذا الفصل ٥

الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كرامته صلى الله عليه وسلم

تقدم الكلام في تطبيق التراجم والكرامة ما اكرمه الله به من اعزازه وتعظيمه وقد يخص بما يكون خارقا
للعادة والفرق بينها وبين المعجزة سيأتي والفتح اصله ازالة الغلق في المحسوسات ثم استعير
لتيسير الامور معنوية كانت او حسية كفتح الله بالمال وكفتح البلاد ومكة وشاع حتى صار
حقيقة عرفية فيه والسورة مدنية بالاتفاق وهذا لا ينافي كونها نزلت بالحديبية لان المراد
بالمدني ما نزل بعد الهجرة على اصح الاقوال وقيل لا خلاف بين تفاسير الفتح فمن فسره بفتح مكة
اقتصر على المقصود والمراد في سبب نزولها قولان احدهما انه لما كان بالحديبية حيل بينه وبين
دخول مكة وعسر ذلك على الصحابة نزلت وعدا له بفتحها ودخولها وعبر عنه بالماضي على عادة
الله في اخباره لتحققها وفيه من الفخامة والدلالة على بيان علمه ما لا يخفى وهذا هو المشهور والثاني
انه فتح مكة وما كان وسيلة له كقضية الحديبية ومن فسره بالحديبية سماه فتحا لانه وسيلة لما
بعده من الفتوح فان رجح غيره فيه بطريق الاشارة كما رواه عطا عن ابن عباس لما نزل عليه وما ادري
ما يفعل بي ولا بكم قال اليهود كيف نتبع من لا يدري ما يفعل به ولا بكم فاشتد ذلك عليه فنزلت
بيانا لما يؤول اليه امره في الدنيا والآخرة قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله
يد الله فوق ايديهم تقدم ان الفتح ازالة القفل والاشكال حسيا كان او معنويا والمراد النصر
على العدو وقيل المراد ما فتحه الله تم عليه من العلوم الالهية والهدايات الربانية التي هي سبب
لنيل اعلى المقامات المحمودة والثواب الجزيل ولذا عقبه بقوله ليغفر الخ ولا يخفى انه مخالف لسبب
النزول المشهور وما عليه الاكثر من انه صلح الحديبية وما تضمنه من احاطة المشركين بهم وسماعهم
كلاما استمالهم حتى كان سببا لاسلام كثير منهم وسالوهم الصلح والامان وروى احمد باسناد
قوي ان عمر قال او فتح هو يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده انه لفتح وروي بل هو اعظم
الفتوح وقال الفرا الفتح قد يكون صلحا وقد يكون الصلح ثم المشركين متعذرا ففتحه الله وعن
انس انه فتح مكة وقيل خيبر قيل وليت شعري لم قدمه القاضي قلت قدمه لانه المعنى الحقيقي
للفتح مع ما فيه من البلاغة والفخامة التي اشار اليها وان حمل على الفتح المتعذر او معنى شامل للماضي
والمستقبل بعموم المجاز شمل كل فتح وحصل التوفيق بين الاحاديث اذ لم يقصد الحصر تضمنت هذه
الآيات اي وقع في ضمنها او دلت من فضله اي فضل الله وانعامه او فضيلة الرسول والثناء
عليه وكرم منزلته عند الله ونعمته لديه اي نعمة الله لدى رسوله صلى الله عليه وسلم ما يقصر
بضم الصاد المهملة والتخفيف وفيه استعارة تمثيلية شبه الوصف بحبل مد ونحوه ليتوصل به
اليه فلم يف به لكثرته او بعده فلذا قال عن الانتهاء اليه اي بلوغه او الوصول لنهايته لتعذر
تفصيله وقصور الاجمال عن اداء حقه فابتدأ السورة باعلامه بما قضاه له اعلام مصدر
مضاف لفاعله اي الله او لمفعوله وهو النبي قيل فيه اشارة الى ان الفتح من الفتاحة بالضم وهي
القضا كما في قوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا اي احكم ومنه الفتاح للقاضي والقضا الحكم الازلي
والكتابة في اللوح او القدر والاظهار للعيان من القضاء البين اي المقضي الظاهر الذي
لا يشتبه بظهوره وغلبته على عدوه الظاهر تعلقه باليمين وغلبته معطوف عليه ولا حاجة لجعله

عطف

عطف تفسير ولا لجعل بظهوره بدلا من بما قضاه اي اعلمه بظهوره كل الظهور وبينه كل
تبيين وعلى عدوه تنازع فيه الظهور والغلبة والعدو جميع الكفار او مشركوا مكة وعلو
كلمته المراد بكلمته كلمة التوحيد والنبوة التي اتى بها وامر بقبولها والانقياد لما يتعلق بها من الاحكام
لنفاذها وعلوها بما اسقط ما عداها عن درجة الاعتبار او المراد كل ما اتى به من امر ونهي وغيره
وعلى الاول اضافها له لانه الذي اظهرها وشهرها وان كانت كلمة الله في الحقيقة واثار الكلمة
على الكلام لعلم غيرها بالطريق الاولى وشريعته علوها بالانقياد لها واجراء احكامها وتذليل
من انكرها بالجزية وغيرها ونسخ ما عداها من الشرائع وليس في كلام المصنف ما يقتضي كون المراد بالفتح
فتح مكة كما قيل وان كان من فسره بالقضا حمله على ذلك فكلامه مخالف له للحديث وكانه مال الى التعميم
الشامل لما وقع وما سيقع وانه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون اي اعلامه بانه مغفور
الخ بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر والمغفرة من الغفر وهو الستر وهو والعفو
متقاربان والمؤاخذة من الاخذ قال في المصباح آخذه بذنبه عاقبه عليه وآخذه بالمد اخذه م
بذلك والامر منه آخذ بمد الهمزة وتبدل واوا في لغة اليمن فيقال واخذه مواخذة وقرئ به في
والامر منه واخذ انتهى فعبارة المصنف بالواو والهمزة وليس المراد بمؤاخذته معاقبته لانه لم يصدر
عنه ما يقتضيها لانه معصوم بل عتابه على بعض ما صدر عنه مما هو بالنسبة لعلو مقامه كالذنب
وما قال المراد ما تقدم من ذنبه قبل النبوة وما تاخر بعدها من الصغائر فهو مبني على تجويزها على
الانبياء ومن لم يجوزها قال انه بمبالغة كما يقال اعطى من راه ومن لم يره وهو الذي يدين الله
به ويعتقده قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي مما يصح ان يعاتب عليه كما في لعلك
باخع نفسك وعبس وتولى ان جاءه الاعمى او انه لو وقع منك ذنب اي ذنب كان غفر وهذه مرتبة
عظيمة جليلة وقال السيد سنح لي معنى بديع وهو ان العبد لا ياتي بما يليق بجلال كبريائه ولذا قيل
سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وهذا قصور بالنسبة لكمال القرب ذنب مجازي مبالغة في
التخويف ثم شرفه بما لم يحم حول الفكر وهو ستر ذلك القصور بجعل عبادته عبادة لا يقدر بجلاله
واي مرتبة فوق هذه المرتبة ولا يبعد عد مثله قصورا لبشريته فانه تم بكمال حكمته جعل
اعمالا لاحقة بقدرته ذنوبا من هو مضطر في صورة مختار وله ان يعاقب عليها وان لم يفعل ونحوه
قال البجاني الظاهر ان هذه وردت مورد التشريف له بهذا الحكم كما يقال لمن يريد اظهار محبته
لو كان لك ذنب قديم او حديث غفرناه ولم يرد اثبات ذنب له ولا مغفرة ٠ اقول سنح لي ما هو
احسن من هذا وهو ان المغفرة لما كان معناها الستر المقتضي لعدم الرؤية ارتضى منه لازمه وهو
انه لا ذنب لك يرى اي لا ذنب لك اصلا اذ لو كان لرئي على نهج قوله ٠ ولا ترى الضب بها ينجحر
ويؤيده ان المتاخر لا وجود له وقد سوى بين المتقدم والمتاخر ففيه اشارة الى انتفائهما كما في قوله
تعالى اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ولما كان المتقدم يوهم التحقق قدم الذنب
وقرنه به مبادرة لنفيه بمغفرته والمراد بالمتقدم والمتاخر ما قبل النبوة وما بعدها وما قبل
الفتح وبعده او قبل نزول الآية اي انك مغفور لك كانه اراد بتفسيره هذا ان التقدم والتاخر
عبارة عن عموم المغفرة ودوامها وقال مكي تقدمت ترجمته جعل الله المنة سببا للمغفرة اختلف
اهل المعقول والمنقول في الفرق بين السبب والعلة فقيل انهما سواء وقيل بينهما فرق عند النحاة
واللغويين ولذا قال ابن مالك الباء للسببية والتعليل وعليه اكثر عباراتهم فالسبب ما يتوصل
به والعلة ما يترتب على التاثير في امر آخر ومثلوا للسببية بقوله اخرج به من الثمرات رزقا

شبكة الألوكة www.alukah.net

لكم وللعلة بقوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا وفرقوا بينهما وبين الاستعانة واما اهل الشرع فعندهم السبب والعلة يشتركان في ترتب الامر عليهما ويفترقان بان السبب ما يحصل الشيء عنده لا به والعلة ما يحصل به فلذا قال الشاعر

ألم تر أن الشيء للشيء علة • تكون به كالنار تقدح بالزند

واختار السمعاني ان السبب الموصل مع جواز المفارقة بينهما ولا اثر له فيه ولا في تحصيله كالحبل للماء والعلة ما يتأتى الشيء عنه بغير واسطة ويعبر عنهما بالنار وقد تدخل اللام محلها كما في القواعد للسبكي ووقع الخلاف في افعاله تعالى هل تعلل بالاغراض حقيقة ام لا والمشهور انها لا تعلل وانما لها ثمرات وحكم تجعل عللا كما اختاره الجرجاني ولم يذكروا ذلك في السببية فعدول المص عن التعبير بالعلة المذكور في التفاسير هنا كانه بناء على الفرق بينهما فما وقع في الشروح هنا من تفسيره بالتعليل غير مناسب والمراد بالمنة الامتنان والنعمة التي هي الفتح او قضاؤه ولما كان الفتح ناشيا من جهده وسعيه مع ما ترتب عليه من الامور العظيمة صار سببا للمغفرة قيل ولا تكلف فيه لان ما ترتب على فعل العبد بلا واسطة يعد فعلا له عرفا وشرعا مثاب عليه بالمغفرة وعكسه كانه قال اجرينا على يديك الفتح ليكون سببا للمغفرة وقيل عليه لا نسلم انه عد فعلا له اذ لم يقل انك فتحت ونحوه الا ان يقال انه عد فعلا له وابرز في صورة يستفاد منها انه فعله ثم كما هو في نفس الامر ومنهم من قال التقدير فاستغفر لنغفر الخ كما في قوله ثم اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره والاسهل ان اللام للعاقبة ويحمل كلام المص على السبب والعلة المجازية لانها مستعارة لما يشبه التعليل كما صرح به الزمخشري وصاحب المغني فيقال لما كانت المغفرة نتيجة فتحه تم له الفتح المبين وثمرته شبهت بالراعي بناء على ان افعاله لا تعلل بالاغراض واذا دين بالفتح القضا فباعتبار ان المقضي فعله كانه قال قضينا بترتبه على فعلك لتثاب وقيل المعنى ليجتمع هذه الامور لك واجتماعها فرع تحقق الفتح فصح التعليل وهذا ما اختاره في الكشاف وفي شروحه هنا كلام طويل الذيل بيناه في حواشي البيضاوي اقول ما اورده ظاهر الدفع ولا حاجة لما تكلفه فانه ناش من عدم الفرق بين الفاعل اللغوي والفاعل الحقيقي فان الاول ينسب حقيقة لمن قام به او باشره لا الى الله وان كان هو الفاعل في نفس الامر كما حققه الابهري في حواشي العضد فاسناد الفتح بمعناه المتبادر انه مجاز والحقيقة ظاهرة وهو الذي بنى عليه القائل كلامه واليه اشار بقوله **وكل منهما** اي من المنة والمغفرة حاصل **من عنده او العزيز** فهو الذي سبب السبب وهداه له واقدره عليه وفي نسخة لا اله الا هو وجعل الخلق والتاثير من خواص الالوهية المستلزمة له فبقي الملزوم ليبقى لازمه المساوي فهل من خالق غير الله ولذا جعل احد الفعلين سببا للاخر لتتم من غير تاثير للغير فلا دخل لتعليل الافعال فيه **منة** بالمغفرة وبالتي **تعد منة** بخلق السبب فيه وتيسره عليه **وفضلا بعد فضل** اي تفضلا وانعاما بعد تفضل وانعام ان كانت المنة بمعنى الانعام فهو تفسير مؤكد لما قبله قيل المنة بمعنى الامتنان من من بمعنى امتن كما قاله الجوهري **ثم قال ويتم نعمته عليك** عطفا على قوله قال ولا ولا حاجة لتفسيره باقول ثم اقول وعطفه بثم اعتبار آخر مما ذكر اي ذكر هذه الآيات الى قوله عزيزا حكيما فعبر بالجزء عن الكل كقولك قرات قل هو الله احد وتريد السورة بتمامها كما قيل بقرينة قوله فاعلم الخ المعطوف على ما قال عطف مفصل على مجمل ولولا هذا لم يتبين ما ذكر بما فصله واقتصر على ما ذكر لما اعترض بما يتضمن الخلاف في معناه الذي اشار اليه بقوله **قيل** وفي تفسيره **وبخضوع من تكبر عليك لك**

والجار

والجار الاول متعلق بتكبر والثاني بخضوع وسقط عليك من بعض النسخ والخضوع والتذلل والانقياد ضد التكبر والتعظيم **وقيل بفتح مكة والطايف** واد بقرب مكة كثير الفواكه والمياه كان منه لا لثقيف سمي به لانها طافت على الماء في الطوفان او لان جبريل طاف بها البيت ونقلت من الشام الى الحجاز بدعوة ابراهيم او لغير ذلك مما في القاموس وغيره وزاده بعضهم خيبر وقال الكرماني باعلاء دينك وفيه اعلائك وفتح البلاد على يدك وغير ذلك والتعميم انسب بتعميم النعمة والمقام الا ان يقال التخصيص اقتصار على الاهم ويفسر فتح مكة بالحديبية لما وقع فيها مما كان سببا لفتحها خلاف الظاهر وقيل ايضا بالنبوة واعلاء دينه على سائر الاديان **وقيل برفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك** الثلاثة بصيغة المضارع المرفوع مصحح في النسخ المقروءة على ولد المصنف وما في المقتفي من انه برفع بالباء الجارة للمصدر المضاف لذكرك فيه ركاكة مخالفة للرواية وخص الدنيا لان المذكور في الاية في احوالها وان كان ذكره مرفوعا اي مشهورا في الدنيا والاخرة فلا حاجة لتقدير والعقبى كما قيل وقيل بانضمام الملك الى النبوة ولا حاجة لهذا التخصيص كما مر الا ان يكون صدر من تكرمة النبوة مع ان ذكر الملك مناف لما ورد في الحديث من ان الله خيره بين ان يكون عبدا نبيا او ملكا نبيا فاختار الاول ولما فيه كلام سياتي وما قيل من ان النصر وما بعده روي بالنصب مجرورين مخالف للرواية والدراية كما مر مع تحريف يغفر لك بنغفر لك والغفر بمعنى المغفرة غير مستعمل كثيرا فان قلت هذا لا يناسب تفسير الامام لانهما مذكوران والغفران مقدم على الكل فلم قدم النصر عليه ورفع الذكر ليس له ذكر في النظم والافعال على المختار مرفوعة وفي الآية منصوبة فما وجه العدول قلت هذا تفسير لما تضمنه النظم من اوله الى قوله حكيما كما مر وليس المراد حكاية ما في القرآن حتى يلزمه نصبه ورفع الذكر والنصر بمعنى الفتح المبين لا الفتح العظيم فيه اشادة ذكره والتنويه به وغاية النصرة له على اشد اعدائه واقواهم اليه وفيه من النعم ما يقتضي المغفرة ومن هنا علم وجه آخر في كلامه وهو ان يكون ما ذكره اولا توطئة لتفسيره وما بعده مفرع عليه لا تفسير له فما قيل في الجواب عما ذكر ان في الاية تعميما والمراد بالاتمام جميع النعم فعد فيه ما ذكر استعارة بانه يقتضي اعادته في قوله فاعلم ثم قال المراد بالغفران ثوابه في الاخرة كما في المعالم وهو تفسير لقوله يهديك ولذا قدم النصر لتقدم وجوده وهو تعسف بغير فائدة وكذا ما قيل من انه رفع المنصوب لانه ليس مضمونه بل ماخوذ منه وانه من باب تسمع بالمعيدي واصله بان ترفع الخ فحذف الناصب ورفعه اشارة الى ان فتح الله له للهداية والمغفرة والنصر واتمام النعمة بالآخرين ورفع الذكر ولو كان عين مضمونه كان تمثيلا بعد التخصيص ومثله كثير في الكلام البليغ وهذا مع مناقضته تكلف بما لا حاجة اليه ولولا ظن الغفلة طويناه وقلنا • تسمع بالمعيدي خير من ان تراه • **فاعلمه** بالفاء فيهما وجهان سمعتهما آنفا **بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له** الخضوع التذلل والانقياد ومتكبري جمع حذفت نونه للاضافة والعدو يكون بمعنى المفرد والجمع كما في قوله فان كان من قوم عدو لكم فالمعنى المتكبرين من اعدائه وهم صناديد قريش كابي سفيان والمغيرة **وفتح اهم البلاد عليه واحبها اليه** يعني مكة واهم افعل تفضيل من الهم بمعنى العزيمة او الحزن ويقال منها هم واهم والمهم ما يلزمك الاعتناء به وتقديمه على غيره قال

فقلت لها هاتيك نعمى اتمها • ولا تحسبني ان الحب المقدم

فالمعنى ان فتحها مطلوب له مقدم على جميع الفتوح عنده لانها ام القرى ومعقل المشركين وسادة العرب وجميع

شبكة الألوكة www.alukah.net

العرب ينتظرون اسلامهم وفتحها فاذا تم ذلك اسلموا فلذا دخلوا بعدها افواجا افواجا
في الاسلام ولانهم اخرجوه والمسلمين منها فكان عودهم لها اقوى في اظهار شوكة الاسلام لدخولهم
لها رغما على انفهم وايضا هي القبلة ومتعبد الانبياء فتطهيرها من الشرك والاصنام من اعظم المهمات
ووقع ملحق في بعض النسخ اسنى بسين مهملة ونون مقصورا اما من السنا بمعنى الرفعة والشرف
او من السنا بمعنى الضوء والمراد اظهر وعلى هذا في بدلا اهم ويحتمل على بعد ان تجمع معها اي اسنى
اهم البلاد عنوة بل اعم اعلم العلما وعزاه بعلي لما فيه من الصعوبة والوجوب وهي احب اليه كما ورد في
الحديث انك لاحب ارض الله الي لان الطباع السليمة مجبولة على حب الوطن فلا يلزم من هذا تفضيلها
على المدينة حتى يرد على المصنف انه مخالف لمذهبه كما سياتي كما في بعض الشروح لكنه قد يكون في
المفضول ما ليس في الفاضل وفي بعض النسخ اليه مكان له وظاهر كلام الشراح كلهم ان التحبب
بمعنى وهو مخالف لما قاله النحاة من ان افعل التعجب وافعل التفضيل اخوان مما يفهم كلاما وبعضا
يتعديان الى الفاعل بالى والى المفعول باللام فيقول ما احبني اليه اذا كان هو المحب بكسر الحاء وما
احبني له اذا كنت تحبه وهذه المسئلة من مسائل الكتاب وقد فصلناها في السوانح فالظاهر هنا
ان اللام محتاجة للتجوز بجعلها محبة له وهو خلاف الظاهر وما قيل من ان قوله فاعلم الخ من قبيل الجمل
البديعي تكلف **ورفع ذكره** بالجر اي وبرفع ذكره السابق واعترض عليه بانه لا قايل بارادة هذا
المجموع من تمام النعمة فلا اعلام لهذا المجموع عند احد وان سلم صحته فلا يصح تفريعه على الخلاف
الا ان تكون الواو بمعنى او ويراد كل واحد على قول والاوجه انه اشارة الى جواز ارادة المجموع
لثبوت الجميع وعموم اللفظ ووجه التفريع انه لما صح الحمل على ما فهم من الاول ولا مخصص فالاولى
الحمل على جميعها انتهى وهو كلام حسن جدا **وهدايته** بالجر معطوف على التمام والخضوع اشارة
الى ان ما ذكر من التمام **الصراط المستقيم** وفي نسخة الى الصراط لانه يتعدى بنفسه وباللام
والى **المبلغ** بتشديد اللام **الى الجنة والسعادة** في الدارين او السعادة الكاملة في الاخرة اي
اعلمه بهدايته اياه لدين الاسلام المبلغ الى الجنة تبليغ الطريق المستقيم المسلوك الى المطلوب
او يبلغ الصراط المعهود قال البيضاوي صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة
لا وجه للتخصيص بهما لا يقال حال المخاطب والمقام قرينة عليه لان التعميم افيد وابلغ وما
ذكر يندرج تحت العموم اندراجا اوليا فالاولى ما في المدارك من قوله ثبتك على الدين المرضي
فاندرجا فيه مع امور اخر من وظايف العبودية والمعارف الالهية وانما فسر بالتثبيت لانه
المترتب على الفتح دون اصل الهداية فانها حاصلة له قبله **ونصره النصر العزيز** بالجر مصدر
والنصر مفعول مطلق له او بدل منه والعزيز المعز لصاحبه او جعله عزيزا في نفسه لوصفه
بوصف صاحبه والمراد انه نفيس قليل النظير ولان العزة الغالب من قولهم في المثل من عز
بز قيل النفس قوله وهدايته وقوله ونصره عطفا على ما به تمام النعمة لان من جمل النصرة منه
جعل المغفرة منه ايضا فلو وافقه المصنف لذكرها مع النصر ولو هم زيادة ذكر الهداية اذ لا
وجه لتبديلها بها كما لا وجه لكون وهدايته عطفا على ما به وقع اعلامه وكون ونصره عطف
على ما به تمام النعمة لفساد نظم العبارة عند العارف باساليبها **ومنه** اي اعلمه بنعمته **على امته
المؤمنين بالسكينة والطمانينة** عطف تفسيري لان السكينة لها معان منها الطمانينة والطمانينة
مصدر واسم مصدر من اطمان اذا سكن قلبه بما يشرحه ويزيل رعبه **التي جعلها في قلوبهم** يشير
لقوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا يعني ما كان في صلح الحديبية

من الامن

من الامن بعد الخوف وعدم القتال فلم تنزع قلوبهم بعد ما كانت تنزعج لما صدهم المشركون عن
البيت حتى قال عمر ولا نعطي الدنية في ديننا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انا عبد الله
ورسوله لن اخالف امره ولن يضيعني فاوقع الله الرضا بقضائه في قلوب المؤمنين بعد ذكر النعم
المتعلقة به زادتهم ايمانا بحقيقة ذلك وان المصلحة فيه وهذه الزيادة في اليقين من نور اوقعه
الله في قلوبهم به يعرف الصواب وسياتي تفصيله في الباب الثاني **وبشارتهم عاجلهم** ظرف
مبني على الضم اي تبشير المؤمنين والمؤمنات بما لهم بعد ذلك او بعد الحياة الدنيا من النعيم المخلد
في الجنة بقوله ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الخ وفي نسخة عند ربهم واللام في قوله ليدخل علة
لما يستنبط من السياق من اول السورة الى هنا واليه اشار في الكشاف بقوله وانما قضى ذلك ليعرف
المؤمنون نعمة الله فيها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين بما غاظهم وخالفه البيضاوي
في التعلق دون العلية فقال علة لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير اي
دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيشكروها فيدخلوا الجنة ويعذب الكفار والمنافقين
بما غاظهم من ذلك واختاره لقرب ما يستنبط منه وعدم ظهور مدخلية بعض الامور المذكورة فيه او
هو علة لانزل وانما قالوا اللام يتعلق حرفان بمعنى بمتعلق واحد فالظاهر ان القاضي انما عدل عنه
لا بهامه ما فر منه كما وقع فيه من قال انه متعلق بفتحنا الا ان يقال انه بدل من العلة الاولى وقيل
انه لم يعطف لانه مستانف لانه نزل جوابا لقولهم هنيئا لك او للاشعار باستقلاله وفيه نظر لمفسرين
هنا كلام لا يسعه هذا المقام **وفوزهم العظيم** الفوز النجاة والظفر بالخير يعني قوله ثم وذلك عند
الله فوزا عظيما وذلك اشارة لدخول الجنة وتكفير السيئات المذكورين قبله لانهما منتهى الطلب وقدم
الفوز بدخول الجنة على التكفير فقال **والعفو عنهم والستر لذنوبهم** في قوله ويكفر عنهم سيئاتهم
مع انه بعد العفو لانه المقصود بالذات مع موافقة النظم واشار بالستر الى معنى التكفير لانه حقيقته
لغة ومنه الكفر لستره الايمان والحق ولذا سمي الليل كافرا لستره ظلمته • وما احسن قول ابن الفارض
في طول ليل الهجر

شعر

لي فيك اجر مجاهد • ان صح ان الليل كافر •

وقيل تقديمه للفوز بالجنة للستر الكامل بنيل الدرجات من غير نقص وهو انما يظهر في الجنة
فظهور التكفير بعد الدخول قيل يحتمل ان يكون ذلك اشارة الى ما في الامرين وان قرب لفظا البعد
درجة بالنسبة لعدمه او لما بتاويل ما ذكر ويؤيد الاول تفسير الفوز بالنجاة والتفصي من الشيء
والثاني تفسيره بالظفر بالخير من طول السلامة وهو الملايم لقوله فمن زحزح عن النار وادخل الجنة
فقد فاز وفيه نظر وقدم المصنف الفوز مع تاخره في النص والواقع لان المراد ما حصل من الامرين
وقيل ذلك اشارة لمجرد الدخول واشار بالقيد ليفيد تثبته لان الدخول اذا كان وحده فوزا فما بالك
مع العفو وهو معنى انيق لم يذكروه **قلت** لم يذكروه لما فيه من ان الدخول بغير عفو لا يصح
وهلاك عدوه اي اعلمه بهلاك اعدائه بقوله ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء اي يعذب اهل النفاق والشرك كما يعلم
المؤمنين لظنهم بالله ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا والمراد بالعذاب العذاب
في الدنيا بالقتل والخزي ونحوه **والاخرة** بجهنم والاول يعلم بالواقع وقوله عليهم دائرة السوء
اي يحيط بهم ما ظنوه بالمؤمنين **ولعنهم** اصل معنى اللعن الطرد والبعد ثم خص كما اشار اليه بقوله
وبعدهم من رحمته اي اعلمه بلعنهم وبعدهم بقوله وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت
مصيرا اي انتقم الله منهم بابعادهم من رحمته وتصييره جهنم التي هي اسوء مقرهم **وسوء منقلبهم**

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بفتح اللام اسم مكان وقال الحلبي مصدر بمعنى الانقلاب والاول اولى لقوله وساءت مصيرا
ولم يتعرض لذكر غضبه المذكور في الآية لان لعنهم واعداد جهنم لهم يدل عليه والاولى ذكره
لان الاطناب في الايعاد ابلغ مع ما فيه من الاشارة الى ان عذابهم ليس لتطهيرهم وانما هو ناش
من الغضب عليهم بما قال متعلق باعلمه وفي نسخة ثم قال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
الآية احوال مقدرة للاعلام ببعض ما اوتيه والآية بالنصب اي اقرا الآية متمما لها بقوله
لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا وهذا مبني على انها آية
واحدة لا آيتان لان ربط لتؤمنوا بانا ارسلناك يحسنه وان كان من ذهب الى غيره يقول انه لا ينافيه
الا ترى ان قوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين آية تامة مع ربط قوله وبالليل فعدد محاسنه
الفاء للتفصيل والمحاسن تقدمت فعطف به المفصل على المجمل وخصائصه فضائله التي اختص
بها اختصاصا حقيقيا او نسبيا من شهادته على امته لنفسه شهادة مقبولة لدعواه ومن بيانية
وقيل ابتدائية لاستحالة كون ما بعدها مبينا لمحاسنه وخصائصه مع كثرتها وجعل قوله
ومبشرا ونذيرا بتقدير وكونه مبشرا منذرا على العطف على شهادته تكلف فتدبر بتبليغ الرسالة
لهم لا حاجة لتاويله بلهم لتعديته باللام وقيل شاهدا لهم بالتوحيد فالمراد بالامة المؤمنون
وفيه كلام تقدم وفي بعض التفاسير شاهدا للامة بالقبول وعليهم بالانكار وللرسل بالتبليغ
وعلى اممهم بالجحد فعمه وهو افيد ومبشرا لامته بالثواب قيل انه معطوف على شهادته بتاويل
كونه شاهدا ومبشرا بالثواب قطعا على العمل الصالح ولو بعد دخول النار وقيل بالمغفرة والنجاة
من النار او العفو في الجملة فيشمل الكل ومنذرا عدوه بالعذاب اي منذرا اعداءه الكفار والانذار
معناه التخويف والتبشير بحسب الظاهر لامته المسلمين والانذار للكافرين وقد يعمم كل واحد
منهما فيكون الانذار لكل من عصى وخالف الامر مؤمنا وكافرا والتبشير لكل من اطاع مؤمنا
وكافرا فان للكافرين تبشيرا معلقا كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وهذا يختلف باختلاف
المقام ولذا قيل في قوله تعالى • وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا انه على ظاهره من غير
توزيع وانا احتمله وقيل في تفسير منذرا بمخلد دائم الضلال قيل انه شامل للمؤمن والكافر لكن
قوله ليؤمن بالله غير من سبقت لهم من الله الحسنى ياباه الا ان يفسر بيثبت ويدوم ويزداد
ويترقى في ايمانه ولا حاجة اليه والتراخي زماني ويجوز ان يكون رتبيا واعم منهما والحسنى الصفة
الحسنة قيل المراد بها السعادة في الدارين وقد فسرت بالجنة وبالبشارة بها وهذا انسب مما
هو بصدده من تفسير بشيرا ونذيرا والمراد بسبقها كونها مقدرة في علمه الازلي عبارة عن القدم
روعي لفظه فافرد ضميره ومعناه فقال لتؤمنوا بالله ورسوله اي برسالته وبما جاء به وقرئ
بالخطاب والغيبة فيه وفيما بعده من قوله تعزروه الخ والخطاب له وللامة لانه كما يجب على الامة
الايمان بالله وبه يجب عليه ذلك او لم فيه التفات او ينزل خطابه منزلة خطابهم ويعزروه
براء مهملة بعد المعجمة وهو بصيغة الخطاب والغيبة في القراءة اي يجلونه كذا هو في النسخ بالنون
مع ان المفسر لا نون فيه وينبغي حذفها ان قلنا الجملة المفسرة تابعة لما قبله وفيه بحث والاجلال
التعظيم وكذا التوقير فعلى هذا يكون تاكيدا وقد فسر التعزير في اللغة بالنصر والتقوية فالاولى
التفسير به ليكون تاسيسا فقوله وقيل تنصرونه ينبغي تقديمه لا تاخيره وتمريضه لا سيما وقد
ذكر الثعلبي في تفسيره ان هذا التفسير روي عن النبي صلى الله عليه وسلم • وروي يجلوه
وينصروه بلا نون وقيل بالعون في تعظيمه وجه تمريضه انه كان ينبغي تاخيره عن يوقروه لان هذا

وما قيل من ان الامر بالتعظيم بعد الامر بالمبالغة فيه اشعار بان الاصل مما يجب ان يعتنى
به كل الاعتناء واما المبالغة فقد تسامح فيها ويحتمل ان هذا القائل حمل التوقير على معنى غير
التعظيم وعود ضمير يوقروه لله بمعنى قوله ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون عظمته بعيد
وتوقروه اي تعظموه روي بنون وبغير نون وقراءة بعضهم تعززوه بزايين من العز • من العز
خبر قراءة وقوله بزايين بهمزة او ياء بعد الالف كما قاله التلمساني لان في اسم المعجمة ثلاث لغات
زاء بالمد والهمزة وزاي بالياء وزي بزنة كي وهو بمعنى التعزير وقال من العز وهو القوة
والغلبة والرفعة والشدة لان مصدر المزيد من مصدر المجرد عند بعضهم او هو تسمح منه
والاكثر والاظهر ان هذا في محمد عليه الصلاة والسلام يعني انهم اختلفوا في هذه الضمائر
هل كلها لله او للرسول لئلا يلزم تفكيك الضمائر او بعضها لله وبعضها للرسول لسبق ذكرهما
فاختار الزمخشري وتبعه القاضي الاول لتعينه في تسبحوه وتناسق الضمائر وتفكيكها غير
مستحسن لما فيه من الركاكة ومخالفة الظاهر فاختار المصنف عود الضمير في يعزروه ويوقروه
فقط للرسول للقرينة النبوية التي ترفع هجنة التفكيك لان التعزير والتوقير لا يستعملان
في حقه تعالى فعينه بعد لا يناسب بلاغة القرآن وقد رجحت هذه الضمائر له في آية الاعراف
الذين آمنوا به وعزروه ونصروه ولهذا وقف كثير من القراء على قوله يوقروه للفصل بين ضمير
الرسول وضمير الله وما قيل من ان التعزير بمعنى التعظيم يطلق على الله وبمعنى النصر والاعانة
بمعنى نصرة دينه ورسوله وهو نصرته واما التوقير فلا اشكال فيه لقوله ما لكم لا ترجون
لله وقارا انما الاشكال في التعزير لانه من الاضداد ويستعمل فيما لا يليق كالتاديب لا يدفع
الاظهرية الموافقة لما عليه الاداء والتفكيك مع ظهور القرائن كثير في كلامهم والاكثر مبتدا
والاظهر معطوف عليه وان هذا الخ خبرهما اما بتقدير على بقطع النظر عن التابع وتغليب المتبوع مع
موافقته بحسب الظاهر وقيل الاظهر مبتدا وما بعده خبره ويقدر مثله لقوله الاكثر ولكن على
تقدير على نحو قول ابن الحاجب وما وقع ظرفا فالاكثر انه مقدر بجملة ثم قال وتسبحوه فهذا راجع
الى الله اشارة الى الدالة على التراخي الى ما عليه اهل الاداء من الوقوف على يوقروه ردا على من خالفه
فتعين رجوع هذا الضمير كما في نظيره الناس لله قال الزمخشري تسبحوه من التسبيح او السبحة
وهي الصلاة وفيه على هذا حذف وايصال كما اشار اليه القاضي بقوله في تفسيره تنزهوه وتصلوا
له قال ابن عطاء الذي تقدمت ترجمته جمع للنبي عليه السلام في هذه السورة نعم مختلفة
اي متعددة كثيرة متغايرة لفظا ومعنى ولهذا عقد لها المصنف فصلا مخصوصا من الفتح المبين
الظاهر في نفسه المظهر لدينه ورسوله وهو من اعلام بفتح الهمزة جمع علم بمعنى اشارة
ودليل الاجابة اي اجابة دعائه بالنصر الذي سئل منه في مواطن كثيرة كذا قالوا ولعله اراد
انه تعالى اجابه وعجل له كلما يحبه وكلما يرجو منه فان فتح مكة اعظم مطالبه واجل نعمه ولذا يقول
السلمي اعز عبده واعز وعده والمغفرة وهي من اعلام المحبة فيه اشارة الى ان المغفرة المراد
بها الطهارة ثمرة محبة الله كما يقول من يقول لمن يحبه • كل ما يصدر منك مغفور لديك • وكل ما
يفعل المحبوب محبوب • وتمام النعمة وهي من اعلام الاختصاص اي هو دليل على انه تعالى جعله
من خواص انبيائه لانعامه عليه بما لم ينله غيره كما قال تعالى والله يختص برحمته من يشاء والهداية
وهي من اعلام الولاية اي ان الله تولى اموره ان هداه الى الطريق الموصل الى قربه • والولاية
بكسر الواو وبفتحها النصر والتاييد فهداية اما اليه وهي علامة لتوليته اموره من التبليغ

شبكة الألوكة www.alukah.net

وغيره وتشبيه عليه المؤدي لنصرته كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ثم فرع
عليه قوله فالمغفرة تبرئته من العيوب اي هي كناية عن شدة محبته وهو لا يحب الا من كان
كامل الخلق والخلق مبرأ مما لا يحبه وفيه اشارة لما سلف وتبرئته بزنة تكرمة مصدر مهموز من البراءة
او بضم التاء وفتح الموحدة وكسر الراء المشددة وهمزة مضمومة مضارع منها كما قاله البرهان الحلبي وفي
بعض النسخ تنزيهه بالزاي المعجمة مصدر من النزاهة يعني انه تعالى اولاه الفتح المبين لتنزهه عما لا
يليق بمنصبه العالي قيل فيكون في مقام التخلي وبلغه بتمام النعمة عليه درجة كاملة يترتب عليها
التحلي بالمشاهدات القلبية الناشئة عن التجليات ولم يذكر الفتح لانه راجع فيما ذكر لظهوره فتدبر
وتمام النعمة وهي من اعلام الاختصاص اي هو دليل وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة غير
المشاهدة فانتج مطلوبه ونزهه عن كل عيب وخلاه وحلاه بكمالات تهيئه لمشاهدته وتدعوه لها
كما اشار اليه بقوله والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة لما مر من المشاهدات القلبية الناشئة
عن التجليات الجلية لا لما وقع له ليلة المعراج لتقدمها على فتح مكة وصلح الحديبية وكون المراد
بالفتح القضاء المتقدم تعسف لا يفيد وقال محمد جعفر الصادق الذي تقدمت ترجمته في تفسير
هذه الآية من تمام نعمته عليه اي من تمام نعمه التي نعمه بها عليه ان جعله حبيبه اي اصطفاه
وخصه واكرمه اكرام المحب لحبيبه حتى لقب بالحبيب كما ورد عنه انا حبيب الله ولا فخر ونسخ
به اي بشرعه شرايع غيره جميعها او مجموعها فلم تبق شريعة احد لكمالها وان بقي بعض منها
ببقائه على ظاهره فانه لا يجوز العمل بشيء من شرع غيره الا من حيث انه صار شرعا له بتقريره
له وعرج به بالبناء للمجهول والتخفيف اي اعرجه بمعنى صعد به لا اصعده وفي الصحيح عرج
بي جبريل الى سدرة المنتهى فان صح وروده بمعنى اصعده كذهب الله بنورهم اي اذهبه فلا كلام
والا فهو كبنى الامير المدينة اي امر جبريل بالعروج به الى المحل الاعلى الجنة او العرش او ما
فوقه او ما فوق العالم كما حكاه التفتازاني وحفظه في المعراج اي في ليلة المعراج او في عروجه
او في صعوده كما سيأتي حتى ما زاغ البصر وما طغى تقدم تفسيره وبعثه ارسله الى الاسود
والاحمر جميع الخلق كما تقدم وسيأتي تفصيله واحل له ولامته الغنائم المتصرف فيها كما تقدم
وجعله شفيعا اي اذن له في الشفاعة وخصه ولقبه بها مشفعا مقبول الشفاعة وسيد
ولد آدم بل سيد الاولين والاخرين وجميع العالمين كما ورد في الحديث الصحيح وقرن ذكره
بذكره في التشهد والاذان وفي مواضع تزيد على عشرين في القرآن وهو معنى قوله ورفعنا
لك ذكرك ورضاه برضاه مصدران مفعولان اي جعل رضي الله برضي رسوله وارضى رسوله
برضي الله بمعنى طاعته كطاعته للزوم الرضا للطاعة لقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله والاظهر انه
اشارة الى قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وجعله احد ركني التوحيد اصل معنى التوحيد في علم الكلام
اعتقاد توحيد الله وانفراده في ذاته وصفاته والوهيته وانه لا معبود سواه ويطلق ويراد به
ما يجب الايمان واصل معنى الركن الجانب واركان الشيء اركانه الخارجية واجزاء ماهيته الداخلة فيه
خلافا للشرط فانه الخارج الذي يتوقف عليه صحته ولما كان الايمان الكامل انما يتحقق بالتصديق
والاقرار بنبوته ورسالته جعل ركنا من التوحيد لا يتم ويقبل بدونه سواء كان بالمعنى الاول
او بالمعنى الثاني كالاقرار بذلك الا انه على المعنى الاول مبالغة وعلى الثاني حقيقة والظاهر
تفسير الاتمام بما كان بعد الفتح بعطفه على مدخول الواو وعد الاتمام منه ما كان قبله لانه اراد
بالفتح القضاء او جعل العلة اجتماع ما ذكر او اراد بيان انه يحصل باجتماعها التمام لا بيان ان الاتمام نفسه

ثم قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان هذا كالدليل على ما قبله وعطفه
بثم نظرا للاول لما قبله لتراخيه عنه فلا حاجة للتراخي الرتبي والمبايعة اخذ العهد والميثاق على
امر وكان من عادتهم وضع اليد على اليد اشارة الى انها صدرت والتمسك فلذا قال يد الله فوق
ايديهم وبيعة الرضوان كانت بالحديبية وسميت بها لقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة وهي شجرة سمرة وعضاه وقعت تحتها البيعة وبقيت الى زمن عمر وكانوا الفا واربع
مائة او خمس مائة والمبايعة كانت على ان لا يفروا او على الموت ولا مخالفة بينهما وقيل كانت على
السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة والعسر واليسر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وعلى ان يكونوا في الله لا تاخذنا لومة لائم وعلى ان ننصره اذا قدم علينا يثرب فنمنعه مما نمنع منه
انفسنا وازواجنا وابناءنا ولنا الجنة فمن نكث فانما ينكث على نفسه وهذا وهم من ناقله فان
هذا انما قيل في بيعة العقبة ولم يتخلف احد غير الجد بن قيس وعثمان لان النبي بعثه لقريش ليعلم
انهم لم يقدموا للحرب وانما جاءوا زوارا للبيت فبايع النبي عنه وقال هذه يد عثمان وكان وقع
الارجاف بقتله اي انما يبايعون الله ببيعتهم اياك والمبايعة مفاعلة من البيع لقوله تعالى ان
الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فالله تعالى بايع منهم الجنة بانفسهم وهم بايعوا انفسهم
واموالهم بها ففي البيع والشراء مقابضة والتسليم في المعركة كما اشار اليه يقاتلون الخ لا انه كما في
بعض شروح الكشاف قيل ولذا قال بان لهم الجنة دون بالجنة وفيه نظر والمراد المعاهدة والمعاقدة
كما يرشد اليه قوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله ولما ورد انه كيف اثبت مبايعته ومبايعة الرسول بقوله
ونفاها في ضمن الحصر اجيب عنه باجوبة منها ان المثبت بحسب الصورة والمنفي بحسب الحقيقة وليس
المراد نفي الحقيقة من حيث هي بل جعلها كانها معدومة ادعاء من المؤمنين الواصلين لمقام
الاحسان بطي الوسائط لغلبة الشهود فالقصر ادعائي وقيل حقيقي بل على التشبيه فانه بلا واسطة
وفيه تعظيم وقيل النفي غير مراد والحصر مجاز عن تاكيد الحكم الاضافي ردا على من زعم انه مع
واولى الوجوه ولما جعل المبايعة مع الله حقيقة اكد ذلك بقوله يد الله فوق ايديهم يريد عند
البيعة اي المبايعة على عادتهم في وضع اليد فوق اليد وهذا من المتشابه وجمهور السلف فيه على
تفويض علمه الى الله وتنزيهه عما لا يليق به وذهب بعضهم الى تاويله بما يليق به بشرط موافقته
لكلام العرب وذهب ابن الهمام الى انه ان دعت اليه حاجة جاز والا فلا وذهب ابن دقيق العيد الى
انه ان كان التاويل قريبا جاز والا فلا واليه اشار المصنف بما ذكره هنا قال الاشعري اليد ورد
اطلاقها عليه بالشرع فالمراد بها صفة اي صفة قريبة من القدرة الا انها اخص كالارادة والمحبة
فان في اليد تشريفا لازما وفي الكشاف لما قال انما يبايعون الله اكده على طريق التخييل فقال
يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسوله التي تعلو ايدي المبايعين وهو منزه عن الجوارح فالمراد تقرير ان عقد
الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت وتبعه البيضاوي حيث قال الجملة حال او استئناف
مؤكد على سبيل التخييل وبيانه كما قيل انه لمناسبة مبايعة الرسول بمبايعة الله تشبيها بالبيعة
ومن ضرورة ذلك تشبيه الذات المقدس بالمبايع تشبيها مضمرا في النفس تحققت هناك
استعارة مكنية وهي التشبيه المضمر عند صاحب التلخيص وعند السكاكي اللفظ المستعمل في المشبه
به ادعاء وعند غيرهما عبارة عن اسم المشبه به المتروك المرموز اليه بذكر لازمه ولا يصح هنا ما قاله
السكاكي للزوم استعمال الجلالة في غير ذاته تعالى وهو لا يجوز اجماعا والتخييل الذي قالوه هنا
عبارة عن اثبات اليد التي هي من لوازم المشبه به وهو المبايع للمشبه وهو قرينة الكناية على رأي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

القزويني وعلى رأي غيره عبارة عن لفظ اليد المثبتة للمشبه والفرق بين مذهب السكاكي ومذهب الجمهور ان التخييلية لا تحقق لمعناها حسا ولا عقلا بل هي صورة وهمية لا يشوبها شيء من التحقيق كاظفار المنية فانه لما شبه المنية بالسبع في الاغتيال صورها الوهم بصورته واخترع لها صورة المنية واطلق عليها لفظ الاظفار ولا يكون هنا اعتبار مذهبه بان يخترع الله صورة وهمية مرادة من لفظ اليد وقد صرح الزمخشري بان المراد بيد رسول الله التي تعلو يد المبايعين هي لله لنكتة ذكرها فكلامه يدل على بطلان مذهبه لانه يدل على تحقق التخييل هنا وقوله هنا في مادة لا لا يتصور فيها اعتبار الصورة الوهمية اللهم الا ان يقال انه لم يعترف بوجود التخييل وقوله لكن تاكيد على طريق التخييل معناه التشبيه البليغ فانما يبايعون الله افاد ان عقد الميثاق مع الله والرسول سواء بلا تفاوت والمكنية المقرونة تفيد هذا فالجملة المشتملة على الاستعارة تاكيد لجملة التشبيه البليغ على رأي اهل المعاني دون النحاة ولذا لم يعطف وانما ذكر التخييل دون الكناية لاستلزامه لها وذكره صريحا فاكتفى باصل المتلازمين عن الآخر فان قلت المشبه به في التشبيه المضمر المعروف بالتخييل اما المبايع المطلق او الخاص وهو الرسول وعلى الاول لا يصح جعل يد الرسول من لوازم المشبه به لعموم المشبه وخصوص يد الرسول وعلى الثاني يرد عليه ان يد الله لعمومها لا تختص بيد الرسول لان العام لا دلالة له على الخاص فكيف يصح قوله يد الرسول قلت نختار الاول ويجعل التخييل عبارة عن اثبات اليد مطلقا وخصوص اضافتها من المقام او الثاني واليد وان عمت الايادي كلها مقرونة بما يخصها وهو قوله فوق ايديهم لان اليد التي فوق ايديهم انما هي يد النبي فالتخييل اثبات يد الرسول للمشبه وهذا كله بناء على حمل كلامه على اصطلاح المعاني وهو الظاهر فان حمل التخييل على اللغوي كان اضافة اليد بمعنى الجارحة مجرد تخييل وتصوير لقصد المبالغة والتاكيد لم يحتج الى العبارات المذكورة الا انه مع بعده مخالف لعادته في الجري على المصطلح وقرئ انما يبايعون لله اي لوجه الله وقال التفتازاني الصواب ان يقول معناه عقد البيعة والا فالعناية والارادة انما هي في كلام المخلوقين ولا ينبغي ان يقول المفسر يعني ولا يريد بل يقول من معناه او يجوز او يحتمل ونحوه وهذا مما لا وجه له **قيل في تفسير اليد قوة الله** هذا على مذهب الخلف الذاهبين الى تاويل المتشابه اي المراد باليد هنا القوة فانه تع يوصف بها ومن اسمائه القوي اي قوة الله وقدرته في نصر رسوله فوق قواهم فهو مجاز مرسل لان آثارهم تظهر باليد قيل فعلى هذا تكون نعمة مستقلة وعد الله بها رسوله ولا مانع من اعتبارها في الحال **وقيل ثوابه** اي المراد باليد ثواب الله لرسوله فوق ثوابهم في مبايعتهم والوفا بعهدهم وهو قريب من قوله **وقيل منته** اي نعمته عليهم بتبعيتهم مما منحوه من العز في الدنيا والثواب في الآخرة فوق منتهم عليك بمبايعتهم وبذل انفسهم واموالهم واطلاق اليد على النعمة لكونها بمنزلة العلة الفاعلية لها شايع في كلام العرب ووردت بهذا المعنى مفردة ومجموعة على ايدي واياد وهو جمع الجمع وبعض اهل اللغة قال اليد بمعنى الجارحة تجمع على ايدي وبمعنى النعمة على ايادي والصحيح الاول والدليل على قوله

لجودك في قومي يد يعرفونها • وايدي الندا في الصالحين فروض

وقوله

ساشكر عمرا ان تراخت منيتي • ايادي لم تمنن وان هي جلت

والى هذا المعنى يرجع ما قبله وما قبل من انها من الله الثواب ومن المبايعين الطاعة وقيل اليد هنا معناها عقد وقيل معنى العقد ربط الحبل ونحوه ثم استعير لمعان منها العهد والميثاق يقال عاقدته على كذا وعقدته بمعنى عاهدته كما في المصباح وهو المراد هنا اي اليد عبارة عن عقدهم

وهي المبايعة المذكورة فان كان بمعناها المصدري فهو ايجاد عهد البيعة واتمامه بمعنى ان الله اوجد هذه البيعة وتممها واستعار لايجاده عقده اسم اليد لان الناس يفعلونها فهو من اطلاق المسبب على السبب وفوق ايديهم ترشيح للاستعارة اللغوية فان لها ترشيحا كما صرحوا به وايديهم على حقيقته كما في شرح البخاري واعترض عليه بان اول كلامه ظاهر في ان اليد عبارة عن العقد وقوله استعارها لايجاد عقده يقتضي استعارتها للايجاد وعليهما التجوز في المفرد وهو اليد فالمعنى ان عقد الله وايجاده فوق ايديهم وهو مخالف لتفسيره بان الله اوجد هذه البيعة وتم عقدها وهذا المعنى انما يستفاد من مجموع يد الله فوق ايديهم فانه لازم معناه التركيبي وانه لو كان له يد فوق جوارحهم لكانت هو الذي اوجد هذه البيعة والتحقيق انه مجاز مركب كقدم رجلا واخر اخرى وبهذا تظهر مناسبته لما قبله اقول ان العقد مصدر فيطلق على المعنى المصدري وعلى الحاصل به وعلى هذا فلا تنافي بين اول كلامه وآخره الا ان يكون عنده اليد الثانية بمعناها الحقيقي غير متجه نعم ما ادعاه من انه مجاز مركب له وجه سواء كان استعارة او مجازا مرسلا واما قول الرازي يد الله فوق ايديهم اي حفظه فوق جارحتهم يحفظهم على البيعة كما انه لا يقتضي ان المبايعين للرسول يبايعون فيه كما مر وانما يقتضي انهم يبايعون الرسول ليس الا والله حافظ للمبايع ومنهم من ذهب الى ان في يد الله مكنية وتخييلية بان شبه الله برسوله ثم ذكر المشبه مثبتا له يد على التخييل كما نقله بعض الشراح وهو مما لا ينبغي نقله لشناعته ان سلمت صحته كما قيل فتدبر **وهذه استعارة وتجنيس** والنقل يرد انه استعارة وقد عرفت مما مر انه يجوز في الاستعارة ان تكون مكنية وتخييلية او تصريحية او استعارة لغوية وهي المجاز المرسل او اعم منه ومن الاستعارة المصرحة وحدها الرماني بانها تعليق العبارة على غير ما وضعت له في اصل اللغة على سبيل النقل او هي تمثيلية لقوله تع ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم فانها تمثيل لاثابة الله تع اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله وقوله استعارة راجع لما قبله او للوجه الاخير فهو من مقول القول او كلام مستانف من كلام المص متعلق بالاخير وجزم به بعض الشراح قال لانه فيما قبل ليس استعارة بل مجاز مرسل وحقيقة وفيه ما لا يخفى والتجنيس وقع في بعض النسخ فكانه تجنيس بجاء وسين مهملتين والمشهور هو الاول وهذا التجنيس جار على احد الوجوه وهو ان ايديهم مستعمل في معناه الحقيقي ولا شك ان يد الله ليست بهذا المعنى فيتم الجناس من غير شبهة لانه توافق الكلمتين لفظا سواء كان المعنيان حقيقيين او مجازيين او احدهما حقيقة والآخر مجازا كما في ما نحن فيه وهو تام ان قلنا التخالف بالافراد والجمع لا ينافيه والا فهو نوع لم يتعرض له ارباب البديع وعلى هذا يرد على ما في الاتقان من انه لم يقع الجناس التام في القرآن الا في موضع ولم يذكر هذا فيه على انا لو قلنا انها بمعنى مجازي ففيه تجنيس بناء على ان الصفات المشتركة بين الله وعباده كالمنعم هل هي بمعنى او بينهما تخالف بحسب الحقيقة احتمالان كما فصله ابن القيم في كتاب الفوائد والعجب من الشراح حيث اعترضوا على المص فيه حتى قال بعضهم انه لم يرد التجنيس اليدين بمعنى اللغوي وهو مطلق المناسبة لان العقد اذا اطلق عليه اسم اليد فانما يراد الجارحة فبينها وبين الايدي مناسبة وهذا مع فساده لا وجه له ثم ذكر بعضهم كلاما فيه خبط وخلط ثم قال ما زعمه ابن دريد من ان الاصمعي كان يدفع قول العامة هذا مجانس لهذا ويقول انه مولد غير قادح في صحته اذ يقال ان في هذا تجنيسا بين هذا وهذا الاختلاف في الصورة وان اتحدت المادة بناء على انها من الجنس الذي هو الضرب الذي هو اعم من النوع كما نبه عليه الجوهري وهذا لم يفهم كلام الاصمعي فانه مراده ان الجنس جامد لم يسمع اشتقاق منه كاستحجر واما استعمال المص له فانه خطاه مشهور وهو حر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من الصواب المصحح فان المصنفين لا يبالون بمثله كما في كشف الكشاف ولفظ الجنابين ايضا مولد واختلف
فيه هل هي بكسر الجيم او فتحها ولم يذكرها اهل اللغة **وتاكيد لعقد بيعتهم اياه** اي الرسول صلى الله عليه
وسلم من حيث جعل بيعتهم كبيعتهم مع الله للتفاوت بينهما فيده التي يعلوا ايديهم هي يد الله على ما مر **وعظم**
شان المبايع صلى الله عليه وسلم عظم بزنة عنب مصدر بمعنى العظمة مجرور معطوف على عقد
والمبايع اسم فاعل او مفعول والاول انسب بالمقام ولذا اقتصر عليه التلمساني المراد به النبي صلى الله
عليه وسلم ودلالته على تعظيمه بجعل يده يد الله وطاعته طاعته وفيه تعظيم لمن بايعه ايضا وهو
تعظيم له داخل فيما ذكره المصنف وقول بعضهم ان فيه تشبيه ذات النبي صلى الله عليه وسلم بل منه اطلاق
الجلالة على غير الله وهو لا يجوز الا ان يقال ان مثله تجوز والاستعارة المكنية على بعض الاقوال كما مر
وفي التاكيد تاكيد لما قبله من جعل بيعته بيعته **وقد يكون من هذا القبيل** وقد للتحقيق او هي مجاز عن
كونه محتملا وفيه بعد **فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى** اي لم تقتلوا
قريشا اذا سلطكم الله عليهم ونصركم ولكن الله قتلهم اذ هو الخالق لهذا الفعل فيكم وان كنتم مباشرين له
وهذه الآية نزلت في غزوة بدر وحنين كالتي بعدها وقوله وما رميت الخ اشارة الى ما وقع ثمة
اذ رمى النبي المشركين بكف من حصاة او تراب وقال شاهت الوجوه فلم يبق احد منهم الا امتلئت عينه
فاشتغل بها وانهزموا وشد عليهم المسلمون حتى قتلوهم ونزلت الآية والمناقضة بين الآيات انه اثبت
لنفسه فعلا كالغير لغيره بحسب الظاهر وجعل الثلاثة منحصرة فيه وليس فيه وفيما بعده اتباع
للمعتزلة في خلق الافعال كما توهم وكلا الآيتين من قبيل انما يبايعون الله لما فيهما من النفي والاثبات
كما يفيده يبايعونك وان من قال ليس فيهما نفي ولا اثبات لا صريحا ولا دلالة لم يصب **وان كان الاول**
من باب المجاز اي وان كان المذكور اولا من قوله يد الله من نوع المجاز الى المبايعة واليد وهذا اي
القتل والرمي المسند الى الله من باب الحقيقة وليس هذا اشارة الى القتل فقط وروي في باب الحقيقة
اي داخل فيه والمجاز بانواعه والحقيقة امر مشهور لا حاجة لبيانه هنا كما في الشروح والمراد بالمجاز
المجاز اللغوي لا العقلي الواقع في النسبة وصرف بعضهم المجاز الى المبايعة واليد الفوقية فورد
عليه انه يجوز ان يكون تشبيها بليغا فاحتاج الى الجواب بانه على راي من يقول انه مجاز وليس فيه
اداة مقدرة او انه راجع الى اليد على بعض الوجوه وقال بعضهم ان المصنف لم يبق المبايعة في الآية
على اطلاقها اذ قيدها باليد المستحيلة في حق الله في قوله يد الله الخ فالمعنى ان الذين يبايعونك
المبايعة التي توضع فيها الايدي على الايدي انما يبايعون الله تلك المبايعة فتعين ان قوله
انما يبايعون الله مجاز لغوي مركب اي لا يكون ايجاد مبايعتهم منك بل من الله وفيه بحث يعلم مما
قدمناه **او ان القاتل والرامي في الحقيقة** وفي اكثر النسخ بالحقيقة والحقيقة نفس الامر والواقع
ويلزمه ان يكون حقيقة اصطلاحية **هو الله** لا النبي ولا المخاطبون ثم ذكر علة كون الرامي حقيقة
الله لا غيره لانه المتعلق بالنبي وادرج فيه القتل فقال **وهو خالق فعله** اي الله خالق فعل النبي
كسائر العباد ويحتمل عود الضمير الى العبد لفهمه من السياق **وقدرته** تخصيص بعد التعميم او تنصيص
وقدرته عليه ومشيئته المشيئة بمعنى الارادة وبينهما فرق مفصل في كتب الكلام وفي نسخة
وضمير عليه للفعل وفي نسخة مصححة مسببة بالسين المهملة وتشديد الموحدة المكسورة مرفوع
معطوف على خالق ويجوز جره عطف على فعله فيكون بمعنى السبب ثم اشار الى تعليل ثان ودليل على
كون الآيتين حقيقة واعاد اللام اشارة الى استقلاله ومغايرته لما قبله فقال **ولانه ليس في**
قدرة البشر هو لفظ مشترك يقال على الانسان ويستوي فيه الواحد وغيره فلا يجمع ويقال البشر جمع

بشرة وهي اعلى الجلد **توصيل تلك الرمية حيث وصلت** اي مكان وصولها من وجوههم لانه
صلى الله عليه وسلم قال لعلي يوم بدر ناولني كفا من الحصا فناوله فرمى به وجوه القوم فما بقي الا وقع
في عينيه منها وقيل اخذ قبضة من تراب ورمى بها وقال شاهت الوجوه فما بقي مشرك الا انه اشتغل بعينيه
الى اخره اي الى اخر التراب الذي فيها فنزل وما رميت الخ ذكره ابن الجوزي وذكر ان سبب نزول قوله
تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ان الصحابة لما رجعوا من بدر جعلوا يقولون قتلنا وقتلنا فنزلت
فيحتمل انها سببي نزول وهو لا ينافي ما ذكره المصنف من ان الملائكة قاتلوا لان ما قالوه بناء على ما راوه
بحسب الظاهر والى ما ذكر اشار بقوله **حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه** اي لم يبق احد من
المشركين لم تملأ رميته عينيه من التراب ورد فيه حصا انه حقيقة او نظرا للاكثر ولذا قيل عرفا
فانه روي هنا والفرق بين التعليلين ان الاول بناء على ان الله خالق لفعل
العبد ولقدرته عليه وموجد لسببه وهو غير مختص بما نحن فيه ولذا قدمه والثاني مبني على ان
هذا الفعل ليس مقدورا للبشر فعلى الاول هو حقيقة باعتبار الواقع دون غيره ودون عرف اللغة
وعلى الثاني حقيقة لغوية وعرفية والمذاهب في الافعال ثلاثة فقيل ان العبد موجد للفعل
ولا مانع من اجتماع مؤثرين على اثر واحد والجدال تحرير مستقل في هذه المسئلة وعلى كل حال فالعبد
مباشر فيصح النفي عنه والاثبات له ولله اذ الفعل ينسب الى الموجد والمباشر كليهما على الحقيقة
اللغوية واعترض بانه لو صح هذا صح ما صليت والله صلى وكذا في المعاصي واجيب بانه ان
اراد صحة نسبة جميع الافعال الى الله فممنوع اذ قد يمنع عنها مانع مع صحة المعنى كما بهام او بشاعة
كما قيل في الفارق وخالق الخنازير واطلاق التنازع لا يقاس عليه وان اراد صحة النفي عن العبد
واثباته لله ثم حقيقة فبطلانه مسلم وخص هذا المقام بذكره لانه مظنة الخيلاء اذ قالوا قتلنا
واسرنا فنزلت تعليما وتاديبا للتبري واذ ذلك من الله وقد صرح المحقق في شرح المقاصد بان
الفعل لا يسند حقيقة الا لمن قام به لا لمن اوجده وشنع على من قال بخلافه وبه صرح شراح
الكشاف في قوله تشققنا الارض شقا فاسناد الرمي والقتل الى الله مجاز على ما فيه او اراد ان الرمي
والقتل ثابتان له خلقا دون البيعة معه واليد فليست الحقيقة بالمعنى المصطلح ثم ان كونه نعم
خالق القدرة لا دخل له في المدعي وانما ذكر للمناسبة انتهى **اقول** الفرق بين الفاعل اللغوي
والفاعل الحقيقي امر مهم ولم يحققه احد كالابهري في شرح العضد حيث قال الفاعل يجب ان
يكون سببا قابليا للفعل ليصح الاسناد اليه لغة فاذا خلق الله شيئا في محل يقوم بالعبد يسند
اليه دون الله وان كان ذا وجد ولذا شدد النكير على المعتزلة في اسناد الكلام الى الله لكونه اوجده
ولم يقم به لعدم صحته لغة بالاستقراء واذا اسند الفعل لغير السبب القابلي لم يجعل مجازا عن فعل
آخر مناسب له ويكفي في هذا ان يعد سببا قابليا في عرف العرب لا يجب ان يكون محلا له في الحقيقة
كما في سرتني رؤيتك فلا تجد احدا من العرب يخطر بباله عند اسناد الضرب لعمرو والمسرة عند
رؤيته ان فاعلهما غير المذكور هكذا يجب ان يفهم هذا المقام لتندفع به الاوهام الى اخر ما حققه بما لا مزيد
عليه ولم يذكر فيه اختلاطا واختلافا فاعمه مع طول باعه وسعة اطلاعه واذا عرفت هذا ففيما ذكره هذا
القائل امور منها ان قوله ان الفعل ينسب للموجد والمباشر حقيقة لغوية غير صحيح لانه لا ينسب الا لمن
قام به وهذا بخلافه عند اهل اللسان مع ان اول كلامه غير صحيح مناسب لاخره ومنها ان الحقيقة
تطلق على ما يقابل المجاز الاصطلاحي وعلى الواقع في نفس الامر والمصنفون اذا ارادوا الاول قالوا حقيقة
مرادا به كذا حقيقة واذا ارادوا الثاني قالوا هو في الحقيقة بمعنى كذا فترده في كلام المصنف لا وجه له

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومنها ان قوله ان العارف لا يطلق على الله لانه ما يعني انه يختص بالجزئيات او بما يسبقه جهل والاول يوهم اختصاص علمه تع والثاني يوهم ما لا يليق به جل وعلا تبع فيه غيره وقد رده الحافظ ابو زرعة في نكته على المنهاج بان امام الحرمين فسر العلم بالمعرفة وتبعه البيضاوي في تفسير قوله تعالى وآخرين منهم لا تعلمونهم الله يعلمهم فقال اي الله يعرفهم ان كان العلم بمعنى المعرفة متعديا بالواحد ونص عليه الفاضل المحشي وقال الجوهري علمت الشيء عرفته وقد وقع اطلاق المعرفة على الله في كلام النبي صلى الله عليه وسلم واقوال الصحابة واهل اللغة فلا حاجة للاولى لنحو المشاكلة ونحوها والعجب من صاحب المواقف حيث قال علم الله لا يسمى معرفة اجماعا لا اصطلاحا ولا لغة • ومنها ان قوله ان كون الله خالقا للقدرة لا دخل له في مدعاه عجيب منه فاذا خلق العبد وقدرته عليه وسببه كان ذلك ابلغ في نسبته له على اتم الوجوه فاي شيء مدخليته اعظم من هذه • وكذا القتل الملائكة حقيقة منهم لمباشرتهم له وحقيقة يجوز رفعه خبرا لقتل ونصبه على الحالية وكذا الخبر مقدم وهذا مبني على ان الملائكة قاتلوا في بدر وان قوله ولكن الله قتلهم بتقدير ولكن ملائكة الله قتلوهم ومنهم من منع قتالهم معهم فيها كما ذكره المفسرون وقال بعض الشراح ما الحق هذا بالتعجب لان القاتل حقيقة بالنسبة اليهم هو الله الخالق لافعالهم وقدرتهم وهم المباشرون فلا خصوصية لهم بكون قتلهم حقيقة ثم لم يسند لله وايضا لا يظهر كونهم لم يقتلوهم مثل الذين يأتون الا ان يقال ان اللفظ يطلق على معناه وعلى كماله المقصود منه فاطلق اولا على ما وضع له من نفي القتل والرمي مع صدوره صورة في قوله تع فلم تقتلوهم وما رميت ثم ثانيا على المقصود ومن قذف الرعب في قلوبهم ومنفعة الرمي وبا ثبت ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى فهو من اطلاق السبب على المسبب ورده بان الملائكة باشروا القتال فاسناده اليهم حقيقة لا الى الصحابة فيصح النفي عنهم فما ذكره من قصور الفهم ثم قال ان هذا الدليل انما يدل على النفي عن العبد حقيقة لا الاسناد الى الله اذ لا يلزم من كون الانتصار من الله والقتل من الملائكة ان يكون القتل والرمي فلعله ساق الدليل الاول لحقيقة الاسناد الى الله تع والثاني لحقيقة النفي فالمجموع دليل على الاثبات والنفي او الثاني دليل لبعض المدعى ومثله شائع وهذا ليس بشيء والحق ورود اعتراضه وقصور فهم من رده واما الثاني فغير وارد وقد علم جوابه مما اوردناه اولا • وقد قيل في هذه الآية الاخرى وهي فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم انها على المجاز العربي وفي نسخة العرفي بالفاء ولما كان الفاعل الحقيقي هو الله كما تحقيقه كان اطلاق الفعل على غير فعله واسناده لغيره ليس حقيقيا فيكون مجازا بالنظر للحقيقة الا ان عادة العرب وتخاطبهم على عد غيره فاعلا حقيقة والقرآن ورد بلسانهم وجرى على نهج كلامهم وهذا معنى قوله العربي والعرفي فيهما بمعنى ولذا جعل بعضهم المجاز العربي شاملا للمجاز في اللفظ والاسناد وان المراد هنا الاول والمراد بالعرف عرف اللغة وقيل المراد بالعربي اللغوي وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب عن المجاز العقلي والنسبة وللتلمساني هنا كلام يتعجب منه والمراد بالعرفي ما عدل به عما وضع له في عرف غير اللغة والشرع ولا وجه لايراده في هذا المقام الا ان يراد به ما يعم عرف اللغة فهو في مقابلة العقل وقد عرفت انه كلام ساقط برمته وكذا ما قيل ان المجاز لا يختص بلغة العرب الا انه لما كان مبحوثا عنه في علم البيان المدون للفظ العربي سمي عربيا وهو اصطلاح لم يخله لغيره • ومقابلة اللفظ ومناسبته بجرهما عطفا على المجاز وعطف مناسبته على مقابلة عطف تفسيري ان اتحدا والظاهر تغايرهما فان الاصل والمراد بالمقابلة صنعة الطباق وهي الجمع بين متضادين في الجملة سواء كانا مثبتين نحو تحسبهم ايقاظا وهم رقود او احدهما مثبت والآخر منفي

نحو

نحو ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا كما في التلخيص وليس المراد المقابلة التي ذكرها السكاكي والمراد بالمناسبة ذكر اليد في الجانبين والقتل والرمي فيهما فهي بالمعنى اللغوي كالمقابلة وليس المراد بها المشاكلة على حد قوله

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه • قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

كما قيل للتلمساني المراد بالمقابلة ايراد اللفظ الفاظ متوالية متماثلة في الترتيب والمادة كما ذكره ابن رشيق وهو اكثر ما يقع في الفاظ الكتاب كقوله • اي قول البحتري

تطيب بمسراها البلاد اذا سرت • فينسم رياها ويصفو نسيمها

والمناسبة ذكر الشيء مع ما يناسبه على جهة الاستعارة او التشبيه هـ

سقيتها عبرات ظنها مطرا • سوائلا من جفون ظنها سحبا

والاول لا مناسبة له بوجه من الوجوه والثاني يمكن ارادته • اي ما قتلتموهم وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصا والتراب الحصا بالمد الاحجار الصغار وقيل المختلط بالتراب لان الغالب ان الحصا مع التراب وفي نسخة ما قتلتموهم اذ قتلتموهم اي لم توجدوا ذلك وتخلقوه ولم يكن منكم ما ثبت لله من رمي قلوبهم بالخوف والجزع لقوله ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع اي رمى ما رماه من الجزع وهو عدم الصبر لشدة الخوف ولم يتعرض لنفي القتل المجازي لفهمه مما ذكر ولو حمل الرمي شاملا لايصال الحصا الى عيونهم الشاغل لهم كان اولى فالله هو الموجد لما ذكر والممكن منه وقيل كان مقتضى الظاهر ان يقول وما شغلت قلوبهم بالجزع ولكن الله شغلها به فعبر عن شغلها بالرمي للمشاكلة قوله رميت قاصدا بالرمي رمي الجزع في قلوبهم على تقدير المفعول كما قصد رمي النبي ورمي الحصا • اي آثار منفعة الرمي كانت من فعل الله تبارك وتعالى والمنفعة والنفع بمعنى وهو ما يقابل الضر وفي لحن العامة للزبيدي اذا ذكر الضر مع النفع فهو بفتح الضاد كقولك لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا واذا ذكر وحده فبالضم كقوله مسني الضر والغلبة والعزة او شغل قلوبهم بالجزع وسكت عن القتل لعلمه منه فالمراد بالنفع فائدة الموضوع له فهو القاتل والرامي بالمعنى والحقيقة لانه الموجد له ولسببه ومنفعته هم المقصودة منه فكانه هو الذي فعله وتفريع القاتلية يدل على انه مقدر قبله او في حكمه منفعة الرمي التي هي الرعب والجزع سبب القتل فاذا كانت من الله فهو القاتل لانه الموجد لسببه والرامي فانه الموجد لفائدته فلا تقدير والمعنى المقصود والفائدة من اوجد سببها فهو الموجد لها • وانت بالاسم اي بتسميتك راميا واطلاق لفظ عليك لغة لمباشرتك وان كان الفاعل هو الله وفي عبارة المصنف اشارة الى انه تع لو قال فلم تقتلوهم اذ قتلتموهم جاز ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كما انه في قوله تع اذ رميت له خاصة ولا ضير فيه وان لم يباشر القتل بنفسه لجواز ان يسمى قاتلا لانه السبب والآمر بالقتال او ينسب القتل للجميع تغليبا للاكثر على الاقل لانه لم يقاتل بنفسه في وقعة بدر كما قاله البجائي وغيره هم

الفصل العاشر في ذكر ما اظهره الله في كتابه العزيز

اي القديم النظير او الغالب على غيره من الكتب بالنسخ او الممتنع من مضاهاته باعجازه او من التغيير وتحريف لفظه لحفظه له من كرامته عليه يقال كرم عليه لتضمنه معنى العزة او هي بمعنى عنده وعدل عنها لئلا تتكرر مع قوله • ومكانته عنده اي علو مرتبته وشرفه عند الله كما مر • وما خصه به من ذلك المذكور من الكرامة والمكانة وهو تخصيص بعد تعميم اي فيه كرامات وتشريفات مشتركة ومخصوصة به • سوى ما انتظم فيما ذكر قبل اي غير ما دخل فيما قبله من الفصول وقيل مبني على الضم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

واستظم يكون لان ثاو متعديا كما صرح به اهل اللغة وفيه استعارة ظاهرة وقيل متعلق به او بذكر على التنازع فيه ولما لم يستوعب كراماته قبل اردفه بفصل كمله به ولم يدرجه في بعض ما سبق كالملاطفة لترجيح هذه الطريق **من ذلك ما قصه الله تعالى** من قصصت الخبر اذا ذكرته على وجهه كما في المصباح فهو اخص من الذكر مع مجانسته لقوله في قصة الاسرا **في سورة سبحان والنجم** وهو متعد بنفسه فلا حاجة لجعله بمعنى نص عليه على الحذف والايصال والاسرا سيره من مكة الى الاقصى وما فوقه معراج وعروج ويطلق على ما يشملهما ايضا وهذا تقدم مفصلا الا انه ذكره هنا استطرادا وهنا مفصلا اصالة لعقد الفصل لامثاله **وما انطوت** اي اشتملت **عليه القصتين من عظيم منزلته وقربه** من الله تع المفهومين من قوله **وغير ذلك ومشاهدته ما شاهده من العجائب** وهذا بناء على ان المراد دنو النبي من الله او دنو الله منه دنو منزلة ومكانة لا منزل ومكان بخلاف القول بان القرب دنو جبريل منه ع والعجائب ما رآى من آيات ربه الكبرى ورؤية الانبيا وذهابه وايابه في برهة من الليل وغير ذلك **ومن ذلك** عطف على من ذلك المتقدم اي ومما اظهره وقيل الاشارة الى عظم المنزلة **عصمته من الناس** بقوله **والله يعصمك من الناس** اي يحميك عن القتل وما لا يليق من الاهانة وقد تقدم الجمع بين هذا وبين كسر ثنيته باخذ بتخصيص العصمة او بتاخر نزول هذه الآية والمراد بالناس الكفار كما في قوله امرت ان اقاتل الناس الحديث **وقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الآية** اي ومن العصمة قوله الخ وهو مجرور معطوف على قوله وكذا ما بعده وتمام الآية ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين • وهذا انه لما بايع الانصار بالعقبة وامر اصحابه بالذهاب للمدينة اشفقت قريش من ظهوره فاجتمعوا بدار الندوة للمشاورة في امره فاتى ابليس بصورة شيخ نجدي وقال سمعت ما اجتمعتم له فاحببت ان اكون معكم ولن تعدموا من رأيي نصحا فقال احدهم احبسوه توثقا وتربصوا به ريب المنون فقال الشيخ ما هذا برأي يوشك ان يثب اصحابه فياخذونه من ايديكم فقال آخر اخرجوه من بين اظهركم فقال ما هذا برأي يجمع جموعا ويأتي لكم فقال ابو جهل ناخذ من كل قبيلة غلاما معه سيف فيضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا تطيق قريش على حربهم كلهم فيقبلون العقل ونستريح فقال ابليس هذا هو الرأي وتفرقوا فاتاه جبريل واخبره بذلك وامره ان لا يبيت بمضجعه في هذه الليلة فامر عليا بان يتردى ببردة وينام مكانه ففعل فاتوا واحاطوا بمكانه فلما اصبحوا اتوه فرأوا عليا وقد خرج الى الغار على ما فصل في السير • وعلي اول من باع نفسه لله كما قال •

وقيت بنفسي خير من وطئ الثرى • ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر •

في شعر نسب له ويمكرون معناه يوثقوك ويحبسوك به ويمكرون ويمكر الله مشاكلة بمعنى يجازي مكرهم بما لا يليق به كقوله نسوا الله فنسيهم قال الخفاجي وخير الماكرين اقدرهم واعزهم جانبا لانه اثبت للكفار مكرا فصح التفضيل عليهم فيه وقيل عليه انه يقتضي ان اصل المكر ثابت كما ثبت لهم الا انه خير منهم مع ان الثابت له تعالى انما هو المجازاة المعبر عنها بالمكر مشاكلة واذا ثبت لهم المكر الحقيقي وهو ايصال المكروه خفية وله المجازاة عليه فيكون الماكرين بمعنى المجازين وهو ممنوع عند النحاة كتثنية المعنيين المشتركين فالحق ان المراد خير المجازين على المكر كما قيل في احسن الخالقين انه بمعنى المقدرين وفيه بحث **وقوله الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا الآية** قوله بالجر كما مر وروي بالرفع عطفا على العصمة وهذه الآية تتميم لما قبلها والمعنى ان لم تنصروه فقد نصره الله فسينصره من نصره قبل ذلك وهو بين اعدائه وقد هموا بما هموا به فاذن له في الهجرة وامده بالملائكة وطريقة الاخراج للنصر لانه سبب او لانه سلمه من اعدائه واعمى ابصارهم ثمة وحماه في الغار وقصة سراقة فلا اشكال

فيه والآية نزلت في غزوة تبوك وليس الاخراج للكفار وان كان منه باذن من الله لانهم سببه كما في قصصنا عليك **وما دفع الله به عنه** اي بحفظه من غير معين له او ببركته عليه السلام في هذه القصة المشار اليها بقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الخ في الهجرة والغار والطريق • وقوله الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار **من اذاهم** اي اذيتهم له بما سيأتي ومن مبينة لما المعطوفة على الناس واختار بعضهم عطفها على عصمته على ان ما مصدرية او موصولة ومن بيان للمقدر والتقدير ودفع الله بسبب النبي عنه او والكرامة التي دفع الله به بسببها عنه امرا امرا عظيما عنه ولا يخفى ما فيه من التكلف من غير داع له **بعد تحزبهم** بحاء مهملة وزاي معجمة وموحدة وفي نسخة تحزبهم او تصدهم والاول بمعنى تجمعهم في شأنه ورأيهم مع احزابهم وقرارهم **لهلكه** بضم وسكون اي هلاكه وهو مصدر او اسم مصدر **وخلوصهم نجيا في امره** اي تعد اطراحهم في اذيته منفردين في دار الندوة للمشاورة في امره والخلوة اعون على الحشر والرأي ونجيا بمعنى متناجين ومتناجين فهو فعيل بمعنى فاعل او مفعول للمبالغة في النجوى وتقع على الواحد والجمع ع **والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم** حقيقة الاخذ التناول باليد ونحوها ومنه اخذه الله بمعنى اهلكه ومعنى اخذ الله على ابصارهم منعها من رؤيته ثم ترقبهم له لما خرج من داره مارا عليهم واخذ مجرور معطوف على تحزبهم وقد روي مرفوعا بالعطف على ما وقيل بتقدير من الاخذ على ابصارهم عند خروجه لما ارادوا قتله وهو خطأ لاقتضائه رفع الاخذ وهو ثابت **وذهولهم عن طلبه في الغار** الذهول ذهاب العقل والنسيان والغفلة والمراد هنا الاخير وفي الغار متعلق بالطلب اي ذهلوا عن ان يكون طلبهم له في الغار لا حال من ضميره لانهم طلبوه وهو فيه لما اقتصوا اثره حتى بلغوه فصدهم نسج العنكبوت وبيض الحمام ببابه والغار نقب في الجبل كالمغارة فاذا اتسع فهو كهف وتصريفه للعهد لغار ثور القريب من مكة بمقدار ساعة **وما ظهر في ذلك** الغار او الامر وهذا معطوف على عصمته اي ومن ذلك ما ظهر لهم اي للنبي وابي بكر فيما ذكر من قصة الاسرا وقصة الهجرة والغار وجمع ضميرهما تعظيما وجمع ضمير المثنى كثير ولهم في اكثر النسخ والقدح فيه لتوهم انه ضمير للكفار ولم يظهر لهم نزول السكينة عليه تعسف لانه من الآيات الدالة على نبوته كوقوع كف من تراب على جميع رؤس جماعة رصدوه فقتلوا كلهم ببدر ونبات شجرة تسمى الراكاسم الحرف ببابه ونسج العنكبوت وتعشيش الحمام وبيضه به وشفا الصديق من لدغ الحية بريقه وشرب الصديق من ماء الجنة لما عطش به كما نقله الفيروزابادي والطبري وفتح جبريل الطرف الآخر عند خروجهما **ونزول السكينة عليه** اي على النبي وعلى ابي بكر لما في مصحف حفصة فانزل الله سكينته عليهما وقيل الحق الثاني لانه هو الذي كان منزعجا بدليل قوله اذ يقول لصاحبه لا تحزن وقال الخفاجي في عود الضمير على النبي وابي بكر قولان وفي احكام القرآن لابن العربي الاقوى انه لابي بكر لا على النبي عليه السلام فانزل الله سكينته على قلبه سكينته اي طمانينته وامنه وفي السواد عليهما ولذا قيل الضمير في عليه لهما واكتفي باعادته على احدهما كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه كما ذكره ابن الجوزي عن ابن الانباري بعد ترجيح عوده لابي بكر وان كان ضمير وايده بجنود للنبي بلا خلاف لانه لا يحتاج لرجوع الا المنزعج ونظيره ما مر في توقروه وتسبحوه والقراءة الشاذة مؤولة بنسبة ما للواحد الى الاثنين كيخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الا ان قوله تع ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين نص في عوده هنا للنبي ايضا والسكينة فسرت بطمانينته والامن والرحمة والوقار فيفسر في كل حال بما يليق به مع ان طمانينته صلى الله عليه وسلم ليست كغيره لانها عن جزم بعدم وصولهم له وعدم قدرتهم

الألوكة www.alukah.net

لو توسلوا علي ادبنه او للرضا بما قدره الله وعدم المبالاة بما يناله لاجله كما قيل وكانت هذه القصة في مبالاته ☼

وبما شئت في هواك اختبرني • فاختياري ما كان فيه رضاكا •

وقصة سراقة بضم السين المهملة وراء مهملة وقاف ابن مالك وسياتي تفصيلها وهو ابن مالك بن جعشم بن مالك بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناف بن كنانة المدلجي الصحابي الحجازي وجعشم بضم الجيم والشين المعجمة وما نقله البرهان عن الجوهري من انه بفتحهما ليس موجودا في نسخه كما قيل وكانت هذه القصة قبل اسلامه واسلم في غزوة الطايف بعد فتح مكة ومات في سنة اربع وعشرين وكان شاعرا وبنوا مدلج كلهم والقيافة من علوم العرب وقلما يخطيون فيها وقد عمل بها وعمل بها النبي في بعض الاحكام حسب ما ذكره اهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة بفتح السين وسكونها منصوب اي موافقا لما ذكر وفي الحديث يجزي المرء على حسب عمله اي على مقداره وله معان اخر والحديث اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله واحواله وتقريراته ويطلق على قول الصحابي ونحوه ايضا كما فصل في محله واهله علماوه المعتنون به والسير جمع سيرة بمعنى الطريقة والخصلة ثم خص بغزوات النبي واسفاره المفردة بالتدوين والهجرة الانتقال من دار لاخرى وهنا المعهد اي هجرته للمدينة ومنه معطوف على قوله من ذلك قوله نعم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانيك هو الابتر اكده مع ضمير العظمة ايماء الى عظمة المعطي والمعطى وتسويتها ونفيا للشبهة فيه وعبر بالماضي لمضيه ان كان الكوثر مطلق الخير الكثير كما قال ☼

وانت كثير يا ابن مروان طيب • وكان ابوك ابن الفضايل كوثرا •

وكذا ان كان اسم الحوض او نهر في الجنة احف واحلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج كما ورد في الحديث لتقدم العطا وفي الروض الانف عن عايشة انها قالت الكوثر نهر في الجنة لا يدخل احد اصبعيه في اذنيه الا سمع خرير ذلك النهر الى يوم ما ثبت في الحديث وفي الاحاديث الصحيحة فان قلت ما يسمع من الذي اذا سدت الاذان بالاصبع انما هو كارتفاع الهوى المانع للاذن عن سماع حركة الابخرة التي في داخل الدماغ وهو امر طبيعي كما قال المتنبي في صفة حرب كما قال ☼

وتسمع في الدنيا دويا كانما • تداولت الاذان امثال العشر •

فما معنى هذا الحديث قلت الجنة موجودة الان كما هو مذهب اهل اللغة واهل السنة وهو الذي نعتقده وما تدركه الحواس الظاهرة يدركه الحس المشترك بعد غيبته لانه كالحوض الذي ينصب فيه انهار خمسة فلا مانع من ان النفس كانت سمعته في عالم الذر بحاسة ظاهرة فلما غاب ولم يشتغل بالسمع الان انسته لسدم ادركته او ادركت دويا اخر كما قاله الحكما فتذكرته وجعل تذكره مما عد على طريق الاتساع وليس هذا مما يقال بالراي • وقد قلت وانا بالروم اتشوق لمصر

لحديث نيلك مصر امسي مصغيا • حتى يخوضوا في حديث غيره •

يا كوثرا ان سد عنه مسمعي • القاه فيه قد جرى بخريره •

فصل لربك وانحر امر بالصلاة مطلقا او التهجد وكان الظاهر فاشكر فعدل عنه لان مثل هذه النعمة العظيمة ينبغي ان يكون شكرها كذلك واعظم ذلك العبادة واعظمها الصلاة وعدل عن التكلم اذ لم يقل لنا الى الظاهر بقوله مخلصا لربك التفاتا تطرية للسمع وتقوية لداعية الشكر لتقدم انعامه عليه بالتربية قبل الشكر فكيف بعده • وقوله وانحر امر بتقريب البدن لان النحر يختص بها وفي غيرها يقال ذبح وهذا عبارة عن جميع انواع العبادة المالية والبدنية ولما قال بعضهم عدم المناسبة غفلة عما ذكر جعل الصلاة صلاة العيد وقال معنى انحر ضع يدك على صدرك في الصلاة لانها تكون تحت النحر وقول بعضهم ان الصلاة وقعت قرينة كثيرا كما في صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ☼

لا شريك

لا شريك له اي لا شانئك ان شانئك هو الابتر اي المقطوع العقب والقليل ولم يقل جعلناه ابتر لئلا يسند الشر لنفسه اعلم الله بما اعطاه حقيقة او قدره له او بما هو موجب للعطا فسماه به وتاويله بيعطي يفوت هذه النكات ثم شرع في تفسير الكوثر وسرد اقوال المفسرين ولم يقصد بقوله قيل تضعيفا وانما اراد الحكاية فقال والكوثر حوضه في القيمة وسياتي بيانه وقيل نهر في الجنة غير الحوض وهو الصحيح وقيل الخير الكثير فهو صيغة مبالغة من الكثرة في اللغة وخص بالخير بمقتضى المقام واحسن في تفسيره بقوله وقيل الشفاعة التي من خصايصه في مقام لا يسع غيره النطق فيه وهذا اعظم الخير والنفع واكثره وقيل المعجزات الكبيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة اي العلوم اللدنية التي افاضها الله عليه فليفضها بغير واسطة كانها كوثر وهكذا النبوة والمعجزات فما قيل انه لا وجه له ثم انهم اختلفوا في الحوض ونهر الكوثر هل هما شيء واحد او امران متغايران او الحوض ماخوذ من الكوثر وانه يمده بمجاري مائية منه على اقوال استدل لكل منها باحاديث تركناها لطولها ثم اجاب عدوه عدوه تقدم ان العدو يطلق على الواحد والجمع والمراد هنا قريش والعاص ابن وايل السهمي كما قاله المفسرون لانه لما مات ابنه القاسم قالوا ان محمدا صار ابتر اي لا عقب له فنزلت جوابا لهم مصدرة بما اعطاه عوضا عن مصيبته بابنه القاسم وقيل عبد الله وقيل قايل ذلك ابو جهل وقيل كعب بن الاشرف والسورة ثم نزلت بتمامها جوابا لهم وعن ابن عباس انه اخرها نزل جوابا وقيل لقول ابي جهل بتر محمد وكلام المصنف ماش على هذا واورد على القول الاول بانها جواب للعاص ذا عقب ولداه هشام وعمرو وماتا مسلمين وهشام قديم الصحبة اسلم بمكة وهاجر للحبشة وقدم المدينة بعد ما حبسه ابوه وقومه وعمرو قدم هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة مسلمين فنظر لهم رسول الله وقال رمتكم مكة بافلاذ كبدها بالمعجمة جمع فلذ وهو القطعة واجاب البجاي بان العاص وان كان له عصبة فقد انقطعت عصبته منهم بالاسلام ولا توارث بينهم وصاروا اتباع النبي صلى الله عليه وسلم لانه اب لهم وازواجه امهاتهم كما في الانبياء والمومنين فلا قرابة بينهم وبينه وقد روي انه انقطع نسله كما سياتي وقد قرى وازواجه امهاتهم وهو اب لهم ولا تنافي بينهما وبين قوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم لان المنفي الابوة الحقيقية • واجاب غيره بان من قال الابتر لم يقصد ظاهره وانما قصد انه سيموت ولا ذكر وقد ورد هذا مصرحا به في بعض الروايات فالرد باعتبار المقصود وان شانيه هو الذي لا ذكر له فان المراد ذكر الاب بخير بعد موته ولا شك ان عقبه لا يذكرونه بخير بعد اسلامهم واما ما قيل من ان صدر السورة لا دخل له في الرد فاذا كانت نزلت جملة كيف يقال انها نزلت للرد فمدفوع بانه لا مانع في الجواب من ان يراد فيه والاحسن ان يقال انه موطي للجواب وموطي له اذ المعنى انا اعطيناك الكوثر عطايا عظيمة في الدنيا والاخرة يجب عليك شكرها وجعلنا لك عبادة وشريعة باقية ومن هذا شانه لا يكون ابتر انما يكون الابتر من ليس كذلك فان المقصود من الولد الذكر واي ذكر ابقى من ذكرك واقوى ولك ان تقول ليس سبب النزول قولهم هذا بل سببه موت ذكور اولاده وقوله شانئه بتشبيهه انه ابتر ومعنى السورة مطابق له بتمامها فان من مات من الاولاد فرط لابايهم يثابون عليه في الاخرة فالمراد انا اعطيناك الكوثر لما احتسبته منهم والاتقى بك انما هو الاشتغال بالعبادة فان امتك ومن هداه الله بك عقب لك الى يوم القيمة ومن كان هكذا فليس بابتر انما الابتر عداه واي مناسبة اتم من هذه ورد عليه قوله انه منقطع العقب والذكر بوجه يتضمن شتمه وتنقيصه فقال تعالى وفي نسخة قال على الاستيناف او البدل ان شانيك هو الابتر لا انت بلقايك وبقاء ذكرك علة لمقدر اي لا يلحقك لمقاله فانه امر او استيناف نشا مما قبله اي امرتك باشتغالك بالعبادة المالية والبدنية لانها لا عاتق عنها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من عدوك الابتر وقيل هو تتمة لامر قبله معطوف على جملة الامر الاولى وغير فيها الاسلوب
تفننا وفيه تكلف وتعريف الطرفين وضمير الفصل المفيد كل منهما الحصر ولم يكتف باحدهما لزيادة
الاهتمام بنفي ما ذكر عنه واثباته لعدوه على اتم الوجوه وتسمح بعض الشراح هنا بامر لا طايل
تحته غير التطويل **اي عدوك ومبغضك** اصل معنى الشنآن البغض ويلزمه العداوة في الاكثر
وهو الواقع هنا فلذا ذكرهما لا انهما مترادفان كما قيل بدليل قوله انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم
العداوة والبغضا **والابتر الحقير الذليل** اصل معنى البتر القطع وفي حديث الضحايا نهى عن المبتورة
اي المقطوعة الذنب ثم استعير لمن لا عقب له وصار رفيه حتى صار حقيقة ومجرد عدم الولد
لا ذم فيه وانما يذم باعتبار لازمه وهو انقطاع العمل لحفا رته وذلته كما ورد في الحديث اذا مات
ابن آدم انقطع عمله الخ مع ان عقبه من فاطمة لم ينقطع ففيه رد وزيادة اذ الحقير لا يذكره احد
وقيل الابتر مشترك بين من لا عقب له والحقير ليس بتفسيره اصلا ومعناه المفرد بفتح الراء الوحيد
فمعناه تاكيد له وفي القاموس الابتر الذي لا عقب له او مقطوع الذنب وهذا المعنى ماخوذ
ولذا فسر الابتر بالمنفرد الذي لا ناصر له ولا يبلغ ما مولد وروي هذا عن الحسن وقيل اعدا آيته
انقطع باسلامهم ومنه ما انقطع بقاوه حقيقة كالعاص كما قالوه والذي لا خير فيه فلا يذكره احد
وفي مقابلته بينه وبين قوله الكوثر اذا فسر بالخير الكثير ومن كرامته التي ذكرها الله ما اشار اليه
بقوله **وقال تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم** والمثاني جمع مثنى
مفعل من ثنى اثنين ومن بيانية او تبعيضية اي من جملة الآيات المثاني والقرآن وصف او اسم
وخص السبع بالذكر لفضلها واما كون الفاتحة لم تكتب في مصحف ابن مسعود كما نقله الامام فلا
وجه له وقيل السبع الطوال بكسر الطا جمع طويلة واما بضمها فمفرد كرجل طوال بتخفيف الواو وتشديدها
مبالغة الاول بضم الهمزة وفتح الواو المخففة جمع اولى مونث اول وليس الطوال جمع طولى حتى يرد
عليه ان جمعه انما هو طول اي السبع والسور الطوال واختلف فيها على هذا القول فقيل هي البقرة
وآل عمران والنسا والمائدة والانعام والاعراف والسابعة الانفال وبراءة معا بنا على انهما سورة
واحدة وقيل يوسف وضعف ابو العالية هذا القول بان هذه الآية نزلت ولم يكن اذ ذاك نزل شي
من هذه السور والمثاني اما صفة القرآن كقوله كتابا متشابها مثاني ومن تبعيضية او بيانية وقيل
وصفية ومعنى وصف القرآن بها ان قصصه ومواعظه واوامره تثنى وتكرر فلا تمل كغيرها
من الحديث المعاد او السبع هي المثاني من الثنا لاشتماله عليه وعلى قارئه والعامل به لقوله وانه
لقرآن كريم ومجيد وهذه الآية مكية والسورة مدنية والقرآن العظيم على هذا التفسير ام القرآن
اي الفاتحة وجعلها اما لاشتمالها على معانيه وغير ذلك من المعاني التي ذكرها المفسرون واطلاق
القرآن عليها بخصوصها وهي بمعنى المقروء وانما يجعل التعريف للعهد او لتخصيص آخر ولانه جعل
علما عليها وان لم يذكروه في اسمائها وتفسير السبع بما ذكر مروي عن ابن عباس واطلاقه عليها مروي
عن ابي هريرة رضي الله عنه مع تفسير السبع المثاني بها ايضا فانه روي انه صلى الله عليه وسلم قرأه
عليه ابي ام القرآن فقال والذي نفسي بيده ما انزل الله في التورية والانجيل والزبور والفرقان
مثلها وهي السبع المثاني والقرآن العظيم فما قيل انما ذكر في القرآن مهجور عقلا ونقلا لا يخفى ما فيه
وقيل السبع المثاني ام القرآن العظيم وعليه اكثر الصحابة والتابعين وهو قول الجمهور من المفسرين
وورد به الحديث الصحيح في البخاري وغيره كما سمعته آنفا والمراد على هذا انها سبع آيات بعد البسملة
آية منها او بعد صراط الذين انعمت عليهم وما بعدها آية اخرى على الخلاف المشهور والقرآن العظيم على هذا

التفسير

التفسير والقول بانه غير مخصوص بها كما مر سابقا اي جميعه او بعد الفاتحة وفي كتب اللغة
ان السائر الباقي مهموز من السؤر وهو البقية او معتل من السور المحيط فهو بمعنى الجميع وقد ورد
كل منهما في كلام العرب وقد اشبعنا الكلام عليه في شرح درة الغواص وقول صاحب القاموس هو
الباقي ووهم الجوهري في تفسيره بالجميع ليس بشي والواهم ابن اخت خالته وكلام المصنف يحتملهما
وما قيل من انه هنا بمعنى الجميع فانا لا نعلم احدا قال ان السبع المثاني ام القرآن والقرآن العظيم
جميعه امر غريب منه فانهم متفقون على ان القرآن العظيم يطلق على الجميع وعلى معنى كل شامل له
ولبعضه والعطف قرينة قوية على الثاني وخصت بالامتنان بها لشرفها وزيادة فضلها
وثوابها واشتمالها على المعاني القرآنية اجمالا فالحاصل انهم اختلفوا في السبع فقيل السور وقيل
الفاتحة وعلى التقدير جوز كونه الفاتحة او السائر وفي الصحيح عنه عليه السلام ام القرآن
هي السبع المثاني والقرآن العظيم وفي رواية الترمذي او نحوه ذهب الاكثرون الى مقتضاه وفي هذه
الآية فوصف الفاتحة بوصفين قيل والعدول عنه يلزمه التكلف في الحديث والمصنف عدل
عن الاقوال المعتبرة التي تقدم قول ضعيف مهجور يوهم ان القائل بان السبع هي السور او الفاتحة جزم
في القرآن بما نقله وليس كذلك فتاويله بان مراده نقل ما قيل في كل مفرد انفرد بتفسير ثم ان اللائق
حينئذ نقل ما قيل في السبع ثم قيل في القرآن فتدبر **وقيل السبع المثاني في هذه الآية ما في
القرآن العظيم من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم** اي المراد بها
سبعة معان يشتمل عليها القرآن العظيم والمراد بالامر الطلب ايجابا او ندبا لا صيغته وان كان
يطلق عليها والنهي طلب الكف عما يحرم او يكره على سبيل الاستعلاء والبشرى بضم الباء وكسرها
بمعنى البشارة اسم مصدر والانذار ضده وهو التخويف منجزا او معلقا وضرب المثل تشبيه شي
وهو المراد بالضرب والورد واعداد النعم بكسر الهمزة اي تعديدها وجوز فتحها وبه جزم البرهان
الحلبي وقال ابن رسلان انه الواقع في النسخة المعتمدة وكذا قال الدلجي والعد بمعنى المعدود
او التعديد والنعم جمع نعمة بمعنى الانعام او المنعم به والذي عن المصنف ستة فقيل انه اشارة
الى السابع وبعضده قوله في تاج القرآن او السابع ابناء قرون والانبا جمع نبا وهو الخبر والقصص
التي قصها الله في القرآن لما فيها من الفوائد والعبر التي هي تسلية النبي وحكم شتى وغير
الاسلوب اشارة الى مغايرته لما قبله تفننا كما قيل به في حديث حبب الي من دنياكم ثلاث
النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة فان الثالث ما تضمنه قوله وجعلت الخ وعدل
عن الظاهر في قوله وجعلت قرة عيني في الصلاة اشارة الى انه ليس من لذائذ الدنيا المعروفة
وانه عزمنها لو فوعه فيها على ما اختاره ابن فورك وغيره وليس هذا التفسير للقرآن العظيم ليشمل
ما مر وغيره وارتضاه السيد عيسى ورده بعضهم فقال ليس هذا اشارة الى السابع بارادة
نبا القرآن لا مقتضي النظم حينئذ ان يترك قوله آتيناك ليوافق المعطوف الآخر ما قبله في
الافراد بل هو اشارة الى ان القرآن العظيم منصوب بالعطف على سبعا من المثاني والمعنى آتيناك
وزاد نبا على معنى اشارة لتعظيمه والنبا يكون بمعنى القرآن كما فسر به في قوله عم يتساءلون عن
النبا العظيم الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون **وقيل سميت ام القرآن مثاني لانها
تثنى في كل ركعة** قيل الاولى ترك الواو لانها مع انها قول آخر في تفسير الآية مع انه بيان
الوجه تسمية الفاتحة مثاني وكونها سبع آيات تقدم ما بيانه وفي نسخة تثنى كل ركعة باسقاط
في ونصبه ونصبه على الظرفية المجازية والركعة على ظاهرها والمراد في كل ركعة يقرا اخرى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والكل بحذو عنن او المراد بالركعة الصلاة اطلاقا للكل على الجزء لخروج صلاة الجنازة والمأموم
عند ابي ح لكونهما على خلاف الاصل المتبادر لكماله والركعة الواحدة لا تسمى صلاة وقد فسر قوله
ثم اركعوا مع الراكعين بصلوا مع المصلين لما مر ان التثنية من جعل الشي ثانيا كربعتهم وثلثتهم اذا
كنت رابعهم او ثالثهم او بمعنى التكرير ومن الثني بمعنى العطف قيل او لتكرر مضمونها في القرآن او هي
من الثنا وعليها يثنى بضم اوله وفتح ثانيه والتشديد او سكون ثانيه والتخفيف وعليه اقتصر الكرماني
وقيل لان الله استثناها وادخرها لمحمد صلى الله عليه وسلم فالمثاني من الاستثنا المعروف واصله
الثني بمعنى العطف واستثناها بمعنى ميزها واخرجه من بقية كلامه وادخر بدال وخاء معجمتين
وفي نسخة ادخرها بالمهملة المشددة والمعنى والاصل واحد من الذخر وهو ما يدخر من النفايس وهو
انه اختارها وحفظها ولم يبذلها لغيره من الرسل ولذا قال لدا عي لمحمد ليبذلها عليه دون الانبيا وروي
دون ساير الانبيا فلم يدخرها ويعطها لغيره من بينهم وفي الحديث نادى رسول الله ابيا وهو يصلي
فلما فرغ لحقه فوضع يده على يده وهو يريد الخروج من باب المسجد وقال لابي لارجو ان لا تخرج من المسجد
حتى تعلم سورة ما انزل الله في التوراة والانجيل مثلها فجعلت ابطي في المشي رجاة ذلك ثم قلت
يا رسول الله السورة التي وعدتني فقال كيف تقرا اذا افتتحت الصلاة فقرات عليه الحمد لله رب
العالمين الى اخرها فقال هذه وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اعطيت وبه استدل على
خروج البسملة منها وفيه كلام ليس هذا محله يعني انها اشتملت على ما لم يكن في غيرها وفيها من الاسرار
ما ليس في غيرها ولها من الفضل واجابة الدعا بها ما لم يشاركها فيه غيرها كما ذكره مشايخ الصوفية
والحروف حتى قال ابن بركات في تفسيره لو قيل لك ان احد الاحبابها الوحي فاياك من انكاره ومن اطلع على
تفسيره فهم ما قلناه فالاعتراض بان هذا لا يختص بالفاتحة لوجوده في ساير السور ساقط وسمي
القرآن مثاني اي في هذه الاية ونحوها دفع لما يتوهم انه سمي به لما مر او هو جواب سؤال مقدر لان
القصص بكسر القاف جمع قصة وهو الظاهر من القصص وهو الاتباع لاتباع من يحكي الخبر كالاثار
وروي بفتحتين مصدر كقوله نحن نقص عليك احسن القصص فقوله يثني فيه بالتاء التحتية والقصص
للقرآن وعلى الاول بالمثناة الفوقية والرواية هنا كما قيل بتشديد النون لا غير والقصص مطلق الحكاية
وتخص في العرف بحكاية اخبار الامم السالفة ومجرد هذه المناسبة كافية في تسمية مثاني فلا يرد عليه
ان كررفيه غير القصص كالفرايض والحدود والامثال وقد ذكروا هذا وجها لتسمية الطوال مثاني
فلعله اقتصر في كل منهما على وجه ليعلم اجراؤه في كل يقينا والقول بان وجه التخصيص انها مع تكررها
لا يزداد تاليها الا رغبة ومحبة فيها وغيرها من القصص لو كرر مجه الطبع وهذا كلما كررته يحلو
كما قال الشاطبي رحمه الله

وخير جليس لا يمل حديثه • وترداده يزداد فيه تجملا •

ولك ان تقول الاحكام لازمة لاية عظيمة فتكرارها ليتعلموها وتثبت في حفظهم بخلاف
القصص ونحوها من الامثال الا ترى ان الاستاذ يعيد المسألة مرارا على الطالب هذا وقيل
السبع المثاني مضافها في قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم انا اكرمناك
بسبع كرامات هذا مروي عن الامام جعفر الصادق فآتيناك بمعنى اعطيناك تكريما لك لا نها
كالهدية التي ترسل للتكريم وكان الظاهر ان يقول سبع اكرمناك بها او آتيناك بمعنى اكرمناك فالسبع
مبتدا وما بعده خبره بتقديره وبتقدير مضافين اي معنى آيات السبع المثاني اكرمنا الخ او السبع مبتدا
وقوله الهدى الخ خبره وقوله اكرمنا معترضة وقيل انه بدل من السبع او خبر مبتدا مقدر وعن الامام جعفر

الصادق انه قال السر في هذا انه ذكر في هذه السورة لجهنم سبعة ابواب فذكر سبع كرامات
اشارة الى ان من اكرم بها امن من تلك الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم
والسكينة يجوز فيه الحركات الثلاث وهو ظاهر والهدى ما هداه الله اليه من المعارف والدين
والمراد بالنبوة نبوته الكاملة المختصة بالخاتمة الناسخة لما عداها والرحمة العامة وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وما طويت عليه جبلته والشفاعة العامة والخاصة كما سياتي • والولاية بفتح
الواو وكسرها ولاية الله بنصره له او توليه لجميع اموره بحيث صار اولى بهم من انفسهم او الولاية التي
هي صفة له كما هو كالنبوة والتعظيم جعله الله اعظم من ساير خلقه والسكينة الوقار والهيبة بحيث
يخافه كل من يراه وهو لا يخاف الا الله قيل تخصيص هذه الامور وتفسيرها مع امكان اندراج واندراج
بعضها في بعض يحتاج لسند ودليل فتدبر وقال تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل
اليهم ولعلهم يتفكرون وهذا متعلق بالاية المذكورة ومناسبته لما بعدها لدلالتها على عموم الرسالة
اذ لا عهد ولا تعقيد اي ليخبر الناس بالوحي ولا يكتم شيئا منه وليبين لهم ما فيه من التكاليف
والتكاليف والشرايع قيل اورد في هذه الاية الانزال والتنزيل بمعنى الانزال وقد فرق بينهما
بان التنزيل ما كان تدريجا والانزال ما كان دفعة واحدة وهذا بحسب الاصل وقد يرد كل منهما بمعنى وتفصيل
في شرح الكشاف ووضع فيه الظاهر موضع المضمر اي لتبيينه اشارة لتغايرهما لان المنزل نفسه
والمبين معانيه واحكامه والمعاني منزلة تبعا او لملاحظه ولا حاجة لتقدير مضاف فيه وقال تعالى
وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا الكافة ماخوذة من الكف وهو المنع او الجمع والاحاطة
كما قاله الهروي ومعناه جميعا وتاؤه للمبالغة كعلامة وهي في الاصل للتانيث نظرا للكفاية والنهاية
او الجماعة وهو منصوب على الحالية من المجرور المتاخر او من الضمير المنصوب او هو صفة مصدر قام مقامه
اي ارسالة كافة وفي المغني انها تختص بمن يعقل ووهم الزمخشري في جعلها صفة لارساله وذكر
بعض النحاة انها تلزم التنكير والحالية وتبعه الحريري فخطا من عرفها او اضافها الى ما بعدها وليس
كما قالوه فانه سمع بخلافه كما فصلناه في شرح الدرة وانما قدم ليدخل المقصود حصره ولو قيل
وما ارسلناك الا كافة اوهم نفي الارسال لغير الناس وهو غير صحيح وقيل المعنى وما ارسلناك الا
جامعا للناس بالدعوة وكافا لهم عن المعاصي والمراد جميع بني ادم او ما يشمل الجن وانما خصوا على
الاول لانهم المقصودون بالذات وليس المراد اهل زمنه كما توهم وقال تعالى قل يا ايها الناس
اني رسول الله اليكم جميعا ولا يعترض بان نوحا كان مبعوثا الى اهل الارض بعد الطوفان لانه لم يبق
الا من كان مؤمنا معه وهو مرسل اليهم لان العموم لم يكن في اصل بعثته وانما اتفق لحادث وقع واما
نبينا فعموم رسالته من اصل البعثة واما كون ثمة رسول غيره في اثناء مدته فيحتاج الى النقل
والمراد بقاء شريعته بحيث لا يطرا عليها ناسخ الى غير ذلك مما فصله ابن حجر في شرح البخاري
واختلف في خطاب يا ايها الناس ونحوه هل هو للموجودين ويثبت لمن بعدهم بدليل آخر كاجماع
وقياس ونص آخر او للجميع ويدخل فيه الرسول وكان مخاطبا بفعل لانه يلزمه ما يلزم امته بطريق
الاولى ما لم يعرض له مخصص ولا حاجة لتخصيص الناس بالمكلفين كما قيل لدخول الصبي في بعض
الاحكام فالخصائص اي الصفة او البعثة العامة من خصائصه جمع خصيصة وهي ما لم يشاركه
فيها غيره من الرسل كما عليه اكثر الملة لحديث اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب وجعلت
لي الارض مسجدا وطهورا واحلت لي الغنايم واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة
وبعثت الى الناس كافة وروي عامة وقد تقدم ما يرد عليه وجوابه وقوله وكان النبي الى آخره

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المراد به الاستغراق لانه ورد وكان كل نبي وهو صريح فيه فلا وجه لقول الامام الخاصة لجموع
ما ذكر فلا يلزم اختصاص عموم البعثة به وقد وقع مثله للكرادوودي في شرح السنن حيث قال ابن
حجر وهو غفلة منه عظيمة فانه نظر الى اول الحديث وغفل عن آخره فانه نص على خصوصيته بقوله وكان
النبي يبعث الى قومه خاصة وما قيل من انه احتمال بعيد اذ لا يظهر لتخصيص الخمس تارة والاربع اخرى
اخرى جليل فايدة غير متجه لانه اذا اسلم عموم رسالة آدم ونوح يكون له فايدة عظيمة واي فايدة وقد
دفع بما مر وقيل المراد بالناس من في زمنه الى يوم القيمة وهذا لم يكن لغيره وهذا امر غير بقاء الشريعة
لا غيره كما توهم او يقال هو مبعوث لجميع الناس من قبله ومن بعده بحيث لو ادركه من قبله لزمه
اتباعه او هو مبعوث للجميع الى الاصناف والاقوام واصحاب الملل المختلفة وآدم ونوح ليسا كذلك
اقول هذا كلام لا طايل تحته اما رد الاول بان ما ذكر هو بقاء الشريعة فليس بصحيح لان مراده البقا
مع العموم ولم يصرح به لظهوره واما جوابه الاخر فظاهر الفساد وقال تعالى وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه اي الا بلغة من بعث اليهم ليبين لهم ما بعث به اليهم واما نبينا فبعث الى قومه
وغيرهم من جميع الامم كما عرفته فخصهم بقومهم وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة
الانس والجن والملك كما سياتي تحقيقه وقيل كلامه يقتضي ان غير نبينا مبعوث بلسان من بعث
اليه ونبينا بعث الى الخلق فيخصص الرسول بغيره وهو مخالف للظاهر ولما عليه المفسرون ومقابله
على غير النهج المعروف مع انه شامل لنبينا ايضا كان لسانه عربي وكلامه عربي ليأخذ عنه قومه
بغير واسطة وينقل نقله مستفيضا ولا دلالة فيه على تخصيص بعثة الرسل لقومهم والنبي وان
ارسل الى الناس كافة يكون لسانه وكتابه واحد لا ينافيه لفهم معانيه لغير قومه ولو اتى بالترجمة
ولو اتى بغير لغته فات اعجازه المقصود منه كما قال واجيب عنه بانه معطوف على قال الاخر ناظرا
اليه مبينا لضعفه فان فسر بما ذكر كما نقل عن تفسير تاج القرا وفيه بحث كما قال صلى الله عليه وسلم
فيما رواه البخاري واحمد والبيهقي بعثت الى الاحمر والاسود اي العرب وغيرهم او الانس والجن كامر
وقال تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم يدخل فيه النسا على ما بين في
الاصول لانهن تبع لهم في الاحكام فيدخلن بالتغليب وان ذهب بعضهم الى انهن لا يدخلن في
مثله الا بدليل او قرينة قوية الظهور لانهن يعلمن بالطريق الاولى الا ان قوله وازواجه امهاتهم
مرجع الضمير فيه لذكور المومنين فقط لان المراد تحريم نكاحهن وهو خاص بالذكور ولذا لم يسم
غير امهات المومنين وقيل انه عام ايضا وهن امهات المومنين والمومنات واقتصر على الاول واكتفى به
لانه الاهم الاشرف فيجوز اطلاقه عليهن ايضا وقوله من انفسهم المراد به ذواتهم وارواحهم يعني
انه مقدم عند كل احد على نفسه وليس المراد انه اولى من بعضهم لبعض في نفوذ حكمه وطاعته كما قيل
في قوله فسلموا على انفسكم اي ليسلم بعضكم على بعض وان جاز فان الاول ابلغ فيما ذكر وهذا معنى
ما قيل هو اولى بالمومنين فيما قضى فيهم كما انك اولى بعبدك فيما قضيت وهو قريب من قول المصنف
قال اهل التفسير اولى بالمومنين من انفسهم اي مما تعتزم فيهم من امر ومهم ما مضى عليهم كما يمضي
حكم السيد على عبده فيفعل ما يامره به ويختاره على ما يريده ويختاره لنفسه وكان احق بكل احد
من نفسه ومضى الحكم بمعنى احق وقيل انه من الولاية والتسلط وان ما ذكر مبني على قول العرب
السيد اولى بعبده من نفسه اي نافذ فيه حكمه فحمل الآية مجاز او كناية وروي ان سبب نزول
هذه الآية انه لما امر الناس بالخروج لغزوة تبوك قال قوم نستاذن اباءنا وامهاتنا فنزلت اي طاعة
الرسول اوجب عليكم من طاعة آبائكم وامهاتكم وانفسكم وليس فيه تاييد للتفسير الثاني كما توهم وقيل

اتباع امره اولى من اتباع راي النفس هذا مروي عن ابن عباس بالمعنى واولى هنا بمعنى اولوية
اتباعه وقيل اولوية محبته وقيل معناه ارأف واعطف والاحسن ما في الكشاف من انه اولى بهم في
جميع امور الدين والدنيا من غيره فانه سبب حياتهم الابدية وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال ما من
مومن الا وانا اولى الناس به في الدنيا والاخرة اقرؤوا ان شئتم النبي اولى بالمومنين الاية الخ فايما مومن
ترك مالا فليرثه عصبته وان ترك دينا او ضياعا فليأتني فانا مولاه قال القرطبي هذا نفس
الولاية ولا عطر بعد عروس والظاهر كما قيل انه تفريع على الاولوية العامة لا تفسير لها كما في ما سبق
وفيه اشارة الى ان مقتضى الاولوية ان يراعى في جانب الرسول ايضا ومعاملته معهم فينفعهم اكثر من
نفعهم لهم حيث رد على الورثة المال وتحمل المضار والتبعات فانهم وازواجه امهاتهم اي هن
وفي نسخة هم وهو سهو وكونه للفظ الازواج لا وجه له اي كالامهات في التعظيم وحرمة النكاح لا
في الارث والنفقة والنظر والخلوة لاية الحجاب ولا يقال لبناتهن اخوات وفي كونهن امهات المومنين
قولان نفصلهما لاشارة اليهما والى ما ذكر اشار بقوله في الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم
بعده اي بعد نكاحه او بعد وفاته كما ياتي واختلف فيمن طلقها قبل الدخول على قولين فجوزه كثير
من الشافعية وبه قضى عمر تكرمة له وخصوصية بضم الخاء وفتحها اي هو مخصوص به دون غيره من
الامة فما يقع لبعض جهلة الصوفية من منع تزوج المريد زوجة شيخه جهل وترك ادب والمراد
بالحرمة حرمة النكاح اي تحريمه لقوله ثم ما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما • وفي خصايص الخيضري اختلف في تعليل ذلك فقيل لانهن امهات
المومنين قال تعالى وازواجه امهاتهم اي مثل امهاتهم في وجوب احترامهن وطاعتهن وقيل لان في احلالهن
لغيره لما فيه من النقص لمنصبه وقيل لانهن ازواجه في الجنة كما ذكره غير واحد من المفسرين
لان المراة في الاخرة لاخر ازواجها في الدنيا كما قاله القشيري وورد به التصريح في الحديث
وقيل لانه لاجل النبي صلى الله عليه وسلم ولذا حكى الماوردي انهن لا تجب عليهن عدة الوفاة
فمن فارقها في حياته كالمستعيذة على اقوال ثلاثة احدها وهو مروي عن ابي هريرة انها تحرم
فالتقدير من بعد نكاحه لوجوب محبته النبي صلى الله عليه وزوج المراة الثاني يكره الاول
فيؤدي لكفره قال النووي وهو الارجح والاشبه بظاهر القران الثاني انها لا تحرم فالبعدية
مخصوصة بما بعد الموت والثالث انه يحرم المدخول بها دون غيرها وكذا اختلف في الامة
الموطوءة بغير نكاح على ثلاثة اوجه فقيل لا تحل لغيره كمارية وقيل تحل فانها لم تسم ام المومنين
لنقصها بالرق وامومتهن لا تتعدى فلا يقال لبناتهن اخوات ولا لاخواتهن خالات فلا يقال
معاوية خال المومنين وفيه خلاف ايضا واما كون النبي ابا المومنين فقال الواحدي لا يسمى
به لقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم والقراءة به منسوخة لفظا ومعنى وقيل يجوز والمنفي
الابوة الحقيقية انتهى • فما قيل الحرمة للاحترام فيشمل التعظيم وعدم الايذا وحرمة النكاح
فان فيه ذلا واكتفى بحرمة النكاح لانه مقصود ومخصوص بهن وقال ابن كثير لا يقال لهن امهات
النسا لعدم العلة فيهن وهي حرمة النكاح ورجح ابن حجر جوازه وقول القرطبي الظاهر التعميم
اذ لا يختص بالرجال مدفوع بما ذكر فان ازيل التشبيه في التعظيم فلا منع والاولى الا انه يوهم انه
مراد في الاية كلام غير محرر لما سمعته آنفا • وقوله ولانهن له ازواج في الاخرة احد الاقوال كما
عرفته والامهات جمع ام وقيل اصلها امهة ولذا يجمع على امهات واجيب بزيادة الهاء وان الاصل
امات للفرق والوجه ما في البارع ان فيها اربع لغات ام بضم الهمزة وكسرها وامة وامهة فالامهات

شبكة الألوكة www.alukah.net

والامامات لغتان ليست احدهما اصلا للاخرى ولا حاجة لدعوى حذف ولا زيادة كما في
المصباح وقد قرئ وهو اب لهم في الشواذ وهي على وجهين فقراة ابن عباس النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم وهو اب لهم بدون وازواجه امهاتهم ٭ وقراة ابي النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم
وازواجه امهاتهم وهو اب لهم فجمع بينهما فقول بعض الشراح قراتها ابي وابن عباس من غير تمييز
بين القراتين خلط موهم وقد علمت الكلام فيه وابوته برافته ورحمته لهم او يكون ازواجه امهاتهم
او لكونه سببا حياتهم الحقيقية الابدية وفي سنن ابي داود انما انا لكم بمنزلة الوالد اعلمكم **ولا يقراء**
به الان لمخالفته المصحف وروي ان عمر رضي الله عنه مر بغلام يقروها فقال يا غلام حكها
من المصحف والمراد بالمصحف مصحف عثمان المتواتر بالاجماع ومخالفته له ايضا بعدم نسخ
تلاوته وتواتره ولفظه ومعناه على قول كما مر قيل وانما نسخ لئلا يوهم حرمة زوجة الوالد فتامل
وقول المحاكي انهم اجمعوا على ان قراة ابي المذكورة مما نسخ من القران مع ان مضمونه خبر مجمع على
انه لا يصح نسخه ليس بشيء لان في نسخ الخبر خلاف مقرر في الاصول ولو سلم فيلزم منه احكام
يصح نسخها كتلاوته وتسميته به وجواز الصلاة به **وقد قال الله تعالى وانزل الله عليك**
الكتاب والحكمة الاية وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما والكتاب القران والحكمة
الشريعة والمواعظ والسنة كما مر وهو كقوله في سورة اقرا علم الانسان ما لم يعلم ولما كان
التعليم انما يحصل به ما لم يعلم ورد السوال على الايتين والفرق بينهما وقيل المراد بما لم تعلم ما لا
تقدر على علمه من الخفايا او مما لم تتصوره ولم يكن مطلوبا لك فيفيد ذكر المفعول وقيل لو قيل
ما لم يعلم اي ما كان مجهولا افاد فائدة تامة حسنة لدلالته على اشراق نور العلم ورفع ظلمة الجهل
او المراد ما لم تعلمه بقوة نفسك واجتهادك واما ذكر الكون في اية النسا دون اية اقرا
لا سيما اذا اريد بالانسان نبينا فقط فلان الثانية وردت فيه ٭ اقول هذا السوال غير
وارد راسا ولذا لم يعتن به جهابذة المفسرين كالزمخشري الا انا نقول في تحقيقه ان نفي الكون
ابلغ من نفي الشيء نفسه فان الاول يصدق بما بقي على عدمه لم يشم رائحة الوجود والثاني يحتمله
وما عدم بعد وجوبه ووجوده والاول ابلغ ولما كان المنفي علمه او لا علمه بالدين والحكم والوحي
ونحوه مما لا يتيسر لمن نشا في امة امية ولا يمكن بغير عناية الهية اشار في الاول الى ان
انتفاه عنه امر محقق مقرر قوي فاكده بذكر الكون ولذا امتن به عليه وجعله فضلا عظيما
ولما كان الثاني قابل الوجود متيسر الكتب لان الانسان قابل للقراة والعلم وصنعة الكتابة
لم يوكده لان انتفاه امر اتفاقي واما الفائدة في المفعول فظاهرة اذ ليس المراد بها ما قرابل امر
عظيما معلوما بخصوصه مما قبله وانما ابهم ليدل على عظمته كما في قوله فاوحى الى عبده ما اوحى
فلا حاجة الى قوله في عروس الافراح انما ذكر لانه اوضح في الامتنان والا فلا فائدة فيه وفي
بعض حواشي المطول نقلا عن السعد انه قال في درسه ان الاولى بصاحب التلخيص ان يقول ما لم
يكن يعلم والا فلا فائدة في ذكره لان التعليم انما يكون لما يعلم فيه اشعار بانه لولا تعليمه لم يحصل
العلم له لانه علم خفي لا يمكن الاحاطة به الا لعلام الغيوب فهو مفيد اذ ربما يتوهم انه يحصل العلم
به من غير تعليمه ثم ورد بانه مثل الاية فذكره للعموم كما في قوله وما من دابة في الارض الخ ومما
قررناه تبين انه كلام **وقيل فضله العظيم** في هذه الاية **بالنبوة** مطلقا فانها اعظم
النعم التي تفضل بها او بنبوته الخاصة به لكرامته الكاملة **وقيل بما سبق له في الازل** الازل
هو القدم والوجود الذي لا اول له قال في الجمل الازل الذي هو القدم وبقال هو ازلي والكلمة

ليست بكلمة مشهورة في كلام العرب والاحسن انهم قالوا في القديم لم يزل ثم نسب اليه فلم يستقم
الا باختصار وقالوا يزلي ثم ابدلوا الياء الفا وقيل الازل اسم لمن يضيق القلب عن بدايته
من الازل وهو الضيق فهمزته اصلية والمراد ما سبق للنبي في علمه وتقديره من كل ما اعطاه
الى الابد فيعم جميع ما انعم الله به عليه اذ لا مخصص وقيل المراد ما اعطاه له وسبقه باعتبار
تقديره فعليه تقدير مضاف وهو تقديره على الاول للاشارة بالتقدير صريحا وبالمقدر ضمنا
لعدم تعلقه عنده ولفظه كان في مثله تدل على الازلية في حق الله ثم كما صرح وابه **واشار**
الواسطي تقدم ذكره وترجمته والاشارة في اللغة الايماء الى الشيء بغير نطق وتكون في كلام
المصنف من مقابلة الصريح والمراد هنا مطلق الذكر وعبر به لمشاكلته لما بعده في قوله
الى انها اشارة الى احتمال الروية التي لم يحتملها موسى صلى الله عليه وسلم وضمير انها للاية
وقيل لكل الفضل والاحتمال فسر بالطاقة والقدرة على روية الله ومشاهدته ليلة المعراج
على قول من قطع انه راه ببصره ولما كانت هذه من اجل الفضائل واخصها به حمل الفضل عليها وان
كان فيها اختلاف لانها لما كانت عند المصنف راجحة لم يلتفت للخلاف ولم يرد عليه انه تفسير للمقطوع
به بالمحتمل فالاعتراض على الواسطي بانه لا دلالة في النظم على ما ذكره غير صحيح وحمل الروية على
القلبية التامة ياباه ظاهر قوله التي لم يحتملها موسى بن عمران حيث قال لن تراني فخر صاعقا
وموسى ممنوع من الصرف للعجمة والعلمية واصله كما قيل موشا فعرب وموبالعبرانية اشارة لمو شا
الشجر ٭ فسمي به لانه التقطته امه في ماء النيل في صندوق من خشب الشجر والقول بانه من ماس يميس
اذا تبختر ومنع صرفه لالف التانيث بعيد جدا واما موسى بمعنى الة الحلق فعربي وهي وزنه خلاف
عندهم وفي معرفته وفي معربات الجواليقي ان موسى لم يسم به احد من العرب قبل الاسلام وبعده
سمي به تبركا باسماء الانبيا قال المحاكي اكثر المفسرين على ان الفضل العظيم عصمة الله للنبي صلى الله
عليه وسلم عن ان يضله احد من الكفرة بقوله قبله ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم
ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك
ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ٭ وهذا اخر الباب الاول والحمد لله على تيسير شرحه وهو النظر في
حقايقه ودقايقه الرايقة وشفاء غليل الصدر من موارد فضايل سيد الخلق الفايقة ٭ وانا ارجو
بركته ويمن صفاته ان يشرح صدرنا ٭ وييسر امورنا ٭ ويفيض علينا من بركاته امين ٭

الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن

جمع حسن على خلاف القياس او جمع مقدر لم يسمع كما تقدم والحسن المحسوس بمناسب الاعطاء
وكونها على صورتها الاولى الاصلية مع صفاء البشرة واعتدال القامة وفي ذكر التكميل اشارة
الى ان النوع البشري مخلوق على الكمال في احسن تقويم وصورة هذا الحبيب وسيرته في غاية
الكمال وكون النوع احسن لا ينافي التفاضل والتفاوت بين افراده حتى ذهب بعض الحكما الى ان
كل فرد منه ماهية مستقلة **خلقا** بفتح الخاء وسكون اللام وقدمه لتقدمه على ما بعده في
الوجود وهو منصوب على التمييز وليس بمعنى المخلوق كما توهم وخلقته صلى الله عليه وسلم على
ما يكون كما قال فيه ابو العباس الاشبيلي الواعظ

مرانت محبوبه من ذا يغيره ٭ ومن صفوت له من ذا يكدره
ما لاح للناس منك يشغلني ٭ والكل اغراض حسن انت جوهره

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وخلقًا بضم الخاء واللام وتسكن تخفيفا وهو في الاصل الطبيعة والجبلة ويطلق على الصفات المعنوية الراسخة في النفس وهو للنفس والصورة الباطنة واوصافها بمنزلة الخلق للصورة الظاهرة وترتب الثواب والعقاب. وقال الراغب هنا في الاصل بمعنى وخص الفتح بالهيئة والصور المدركة بالبصر والضم بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة وهي كيفية راسخة في النفس تقتضي صدور الافعال عنها من غير احتياج لفكر وروية ويطلق على ما ترتب على تلك الكيفية ويخص في العرف بما يتعلق بمباشرة الناس كما يأتي. وقال الآمدي في كتاب الموازنة جمال الوجه وحسنه مما يتمدح به لانه يتيمن به ويدل على الخصال الممدوحة ويزيد في الهيبة. والعامة تذم بها بعكس ذلك وقد غلط فيه من توهم انه لا يدخل في مدح العظماء انتهى. قلت وقد اشار الى هذا في الحديث الشريف بقوله اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه ولله در الصرصري في قوله

الا يا رسول الاله الذي • هدانا به الله من كل تيه
سمعت حديثا من المسندا • ت يسر فؤاد النبيل النبيه
وانك قد قلت فيه اطـ • ـلبوا الحوائج عند حسان الوجوه
ولم ار احسن من وجهك الـ • ـكريم فجد لي بما ارتجيه

فان قلت قول الراغب بان هذين المصدرين وضعا للهيئة ينافي قول النحاة ان الهيئة والمصادر يعبر عنها بفعلة بكسر الفاء كالجلسة. قلت لا منافاة بينهما فان الهيئة التي ذكرها النحاة هي الهيئة العارضة في الافعال لا الخلقية **وقرانه** مجرور معطوف على تكميل **جميع الفضائل الدينية** الممكنة اللائقة به والدينية المتعلقة بدين الاسلام **والدنيوية** المنسوبة للدنيا المعروفة وفيه وفي امثاله مما بعده الف تانيث كحبلى اذا نسبت اليه ثلاث لغات دنيي ودنيوي ودنياوي كما فصل في كتب العربية **فيه نسقا** حال من قرانه اي قرن الفضائل فيه متناسقة منتظمة وقدرها التلمساني بمتتبعة ولا وجه له وقد تقدم الكلام فيه **اعلم ايها المحب لهذا النبي الكريم** اعلم داب المصنفين انهم ياتون به في ابتداء الكلام لتنبيه السامع وتنشيطه لاهتمامهم بما يلقونه له والمخاطب به من ساله تاليف هذا الكتاب او كل سامع فهو عام لكل من يصلح لخطابه وكونه خطابا لنفسه على التجريد بعيد مع مخالفته لما بعده والكريم الشريف العظيم او الجواد **الباحث** اي الطالب المتفحص عما خفي لان اصله كما قال التلمساني الفاحص للتراب لشيء تحته **عن تفاصيل جمل قدره العظيم** جمع تفصيل المصدر تفعيل من الفصل وهو تمييز الشيء وافرازه عن غيره ثم استعمل في تبيين كل امر باستيفاء افراده وتوضيحها ويطلق على المبين نفسه وجمل جمع جملة وهو الامر المجموع في عبارة مختصرة فهو بمعنى الاجمال كان ليت اجمالات او مجملات قدره الا ان يريد بالجمل الجملة والجمل هو ما اشتمل على متعدد بلا تمييز لا وجه له وقدر وقدر بالسكون والفتح مقدار الشيء ومماثله وحرمته ووقاره كما في المصباح ومنهم من فسره هنا بمبلغه من الكلام والكمال والمرتبة والمراد تفصيل ما جمع من انواع صفاته كمله وجمله **ان خصال الجمال والكمال في البشر** وفي اكثر النسخ الجلال بالجيم وان وما في حيزها مفعول اعلم والخصال جمع خصلة وهي الصفة المعتادة محمودة كانت او لا والجلال العظمة والجمال ما يستحسن والكمال التمام فيما يفضل به النبي على غيره وخص البشر لان مجموع ما ذكر يختص بهم ولان المقصود بيان حاله وقد تقدم عن الاصمعي ان الجلال لا يجوز ان يوصف به غير الله ولم يسمع في غيره وخالفه فيه اكثر اهل اللغة لوروده في كلامهم كقول هدبة

فلا ذا جلال هبنه لجلاله • ولا ذا ضياع هن يتركن للفقر

نوعان منحصرة فيهما وان توهم كثير من الشراح انها اربعة الا انها اما ضرورية او كسبية وكل منهما

اما دنيوي

اما دنيوي او اخروي حتى اعتذر عنه بعضهم بانها قضية مهملة في قوة الجزئية فالمراد بعضها الغالب فيها وهذا ناشئ من عدم تدبر كلامه فانها وان كانت اربعة الا انها في الواقع لا تخلو من نوعين عنده لان الديني منسوب للدين وهو وضع الهي سائق لهم باختيارهم الى ما هو محمود وقد يكون ضروريا والدنيوي لا يعد منه من صفات الكمال الا ما كان جبليا او ملحقا به وما عداه غير معتد به فسقط عنهم قسمان وسياتي معنى الالحاق وتحقيقه والمراد بالنوع القسم لا النوع المنطقي احدهما **ضروري** منسوب للضرورة وهي هنا اعم من شدة الحاجة ومن عدم الاختيار وليس المراد به ما يقابل النظري كما توهم فان الضرورة لها معان والثاني **دنيوي** لا يتعلق به ثواب وكمال اخروي من حيث هو **اقتضته الجبلة** اقتضته بمعنى دعته اليه المقتضي والدواعي والسبب بمعنى واحد قيل ظاهره ان الطباع اسباب للخصال ودون اثبات لمزالق الحكماء والمراد ان الله خلقه فيه من غير اختيار وعبر بالاقتضاء على طريق الافتنان وهذه دقة في غير محلها لان الجبلة ما جبله الله عليه وخلقه فما له من ذكره من غير دندنة. قال البرهان الجبلة الخلقة قال تعالى واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين والمطبوع على الشيء لا يتحول عنه كالجبل والمراد جبلته او جبلة ما يتعلق به كارضه وقومه وفي الجبلة لغات ذكرها الصاغاني في كتاب العادة جبلة بضمتين مشددة اللام وجبلة بكسرها مع التشديد **وضرورة الحياة الدنيا** فقيل انه عطف تفسير والمراد بما اقتضته الجبلة ما لا يمكن الحياة بدونه والاظهر انه قسم آخر للضروري الدنيوي لم يقتضه ولا يرد عليه انه ينبغي عطفه باو لان العطف في التقسيم بالواو كثير لاجتماع الاقسام في قسمها **ومكتسب ديني** اخروي حصل له في حياته بعد ان لم يكن حاصلا قبل نبوته شامل لما هو بجهده وما هو وهبي ويشمل النبوة وليس على ظاهره لينضبط ويلتئم ولا يخفى ما فيه **وهو** عائد على مطلق الديني **ما يحمد شرعا وعقلا فاعله** وهو من اتصف به **ويتقرب الى الله زلفى** مصدر بمعنى قربة مؤكد ليتقرب كقعدت جلوسا لانه امر ديني يعد عبادة يثاب عليها ما لم يعرض له ما يفسده او بغير نية فاعله كالرياء وبقي قسمان آخران الدنيوي المكتسب والديني الضروري وقد تقدم الكلام عليهما **ثم هي** اي خصال الجمال والجلال والكمال جميعا وجميعها لا بعضها والجملة معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة بثم للبعد الرتبي لانه تقسيم حقيقي وهذا اعتباري **على فنين ايضا** اي على ضربين ووجهين آخرين كما انها على قسمين بحسب القسمة الاولى وجعله بعضهم تقسيما للمكتسب الديني وياباه قوله المحض **منها** اي من تلك الخصال **ما يتخلص** اي يصير خالصا غير مختلط بغيره **لاحد الوصفين** اي الضرورة والكسب المفهومين من التقسيم لا الضرورة الدنيوية والكسب الديني وهو تقسيم لمطلق الكمال سواء كان في واحد من الانواع السابقة او اكثر **ومنها ما يتمازج ويتداخل** بمعان متقاربة وقد يراد بكل منها الآخر الا ان اصل المزج خلط بعض المائعات ببعضها بحيث لا يمكن تمييز بعضها من بعض كالماء والخل ومنه مزاج الانسان والتداخل اعم منه لانه دخول اجزاء شيء في آخر مائعا كان ام لا ممكن تمييزه اولا والاتحاد اعم منه لانه وجود امر مع امور متداخلة ام لا كاختلاط قوم بقوم ومراده بالتمازج وجود الوصفين في شيء ولما كان امرا معنويا لا امتياز فيه حسا عبر به ثم عطف عليه دخول بعض الانواع في بعض والتفاعل فيه على حقيقته فالمعطوفان متغايران وقيل المعنى ان يختلط الكسب بالضرورة ويدخل كل منهما في الآخر والتفاعل في الاصل الفعل وهو على ظاهره وبينهما عموم وجهي والممتزج ما كان اصله جبليا وكماله كسبيا او نوع مكون تارة كسبيا وتارة جبليا وقال التلمساني التمازج والتداخل بمعنى واحد والكلام يفسر بعضه بعضا وذلك توسع في العبارة كما قرره الشارح وقال ابن سيدي الحسن يتمازج اي يختلط ومزج خلط لكن المزج جعل الاثنين واحدا لا لاجل التشابه في الصورة ولا كذلك الخلط فهو

مثله او خلافه وكل مزج خلط وليس شيء مثله وليس كل خلط مزجا والتداخل دخول بعض الشيء في الشيء وهو تفاعل ومعنى الامتزاج ان يكون الشيء الخارج في شدة تمكنه كالاصل لا يمتاز عنه • ومعنى التداخل ان يمتاز الفرع عن الاصل لكن يقرب شبهه منه فيكون كالاصل فصار هو التداخل هنا انتهى وكل هذا خلط انت غني عنه بما مر **فاما الضروري المحض** اي الخالص الذي لم يخالطه غيره ولا دخل لكسبه فيه واختياره فليس دينيا كما اشار اليه بقوله **فما ليس للمرء** بفتح الميم وسكون الراء والهمز بمعنى الانسان **اختيار ولا اكتساب** الاختيار هنا مقابل الاضطرار قيل اصطلاح لاهل المعقول ومعناه لغة فعل ما هو خير كما قال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار فيجعل لدنو اراده ام لا من غير كسب اسباب عادية ثم مثل ابعد ما قرره توضيحا فقال **مثل ما كان في جبلته** اي فطرته التي فطره الله عليها من كمال خلقته وايجاد اجزاء بدنه تامة معتدلة المقادير **وجمال صورته** اي حسن صورته الظاهرة في جسده بتناسب اعضائه وصفا لونه واعتدال قده وقيل المراد حسن وجهه **وقوة عقله** وهو نور وقوة اودعه الله في الانسان يميز به بين الاشياء ويعلم به وله تفاسير اخر كالعلم والعلوم الضرورية وهل محله القلب او الدماغ قولان واصل معناه المنع ومنه العقال لمنعه عما لا يليق كما قال

كما عقلنا والعقل اي وثاق • وصبرنا والصبر مر المذاق

وصحة فهمه اي ادراكه المعلومات بسرعة واضافة القوة للعقل بيانية وفي اضافة القوة والصحة للفهم غاية المناسبة **وفصاحة لسانه** الفصاحة لغة واصطلاحا مشهورة يوصف بها الكلام والمتكلم في اللسان واللسان يطلق على الجارحة المعروفة وعلى اللغة ويصح ارادة كل منهما هنا والمراد فصاحة نفسه لان المراد باللسان الذات وبالفصاحة عدم اللكنة وما قيل من ان الفصاحة جبلية تتكامل بمباشرة الاسباب فهي من الممتزج الا ان يريد القوم العذر والكشي منها كما في الاخلاق الاتية واطلاقه يقتضي انها ضرورية محضة فانه لم يتقيد بالمكتسب منها او التقسيم لما ذكر مطلقا او الاسباب بما يرفع الموانع عن القوة ولا يريدها وان كان بعيدا جدا لانه كلام ناش من عدم معرفة الدخيل من الناشي **وقوة حواسه** المراد الحواس الخمس الظاهرة من السمع واخواته لا الباطنة فان اهل الشرع لم يثبتوها ولم ينفوها وقوتها بزيادة احساسها وسلامتها عن الآفات واعتدالها **واعضائه** جمع عضو بضم العين وكسرها وسكون الضاد المعجمة وهي اجزاء البدن التي يزاول بها الاعمال ونحوها كاليد والرجل بقوته تتم اعماله وما به كماله قيل ليس في الانسان جارحة احب الى الله من اللسان لنطقه بتوحيده **واعتدال حركاته** الاعتدال قيل انه وقوعها بين الافراط والتفريط في الشرعة وقيل سلامتها عن الآفات والمراد كونها على نهج قويم حيث جعل في كل عضو اعصابا وعضلا بتحريك جميعها فردا فردا كالراس والظهر والكف والاصابع والزند وهكذا الجسد بتحنى ويمسك ويطلق ويقعد ويلتفت الى غير ذلك مما ليس في غيره فقدرته على ذلك ومنشاؤه ليس باختياره في الحقيقة والحركة ضد السكون لا الحركات الفكرية ولا الاعم منها ولا الحركة في النحو والكم ونحوه مما ذكر في الحكمة لبعده عن مقاصد المصنف فاذا اريد باعتدالها سلامتها او المعنى الآخر باعتبار منشائه ومبدئه لم يشكل بانها امور كسبية اختيارية فلا يصح ذكرها هنا الا ان يقال انها لم تذكر قصدا بل تبعا لقوة الاعضاء وهو بعيد وما قيل من انه لو اريد مطلق الانتقال من حال الى حال لم يبعد والحركة وان كانت كسبية يجوز ان لا تكون صفاتها بالاختيار لجواز ان يغفل عنها وفي الجملة ان يؤتى بها على ما ينبغي فهذا الاعتدال غير صادر

بالاختيار

با لاختيار عند المحققين وكذا الملكة المقتضية لها قريب مما قلناه **وشرف نسبه** اي شرفه الحاصل له بسبب نسبه فانه صفة لم تحصل باختياره الا ان في تسميته جبلة تسمحا او على التغليب ومثله عز نفسه والشرف والمجد بالآباء والحسب به وبآبائه معا كما قاله السكيت ولا شك ان نسبه اشرف الانساب لما في سلسلته من الانبياء ومنهم قريش ومثله يدعو لعلو الهمم وتوقي سفساف الامور لا سيما اذا انضم لشرف الذات الذي لا يساويه غيره كما قال ابن الرومي

كم من اب قد علا بابن ذوي شرف • كما علت برسول الله عدنان

وعزة قومه القوم الجماعة اذا اضيف لاحد كما كانوا معه مجتمعين في اب **وكرم ارضه** التي هي موطنه ومولده وهي من احب البلاد الى الله والحرم الآمن فيه ومقصد الحجيج وقبلة الانبياء ومهبط الوحي والانوار والملائكة واعدل الارض وان لم تكن لغيرها ذات غياض ورياض وليس المراد بالارض الا هو لانها فراش وموضع حرث كما جوزه المحشي فان السياق يأباه وهذا مما لم يكن بكسبه واطلاقه فيه موهم والمراد به في الجبلة الخلقي سواء كان في طبيعته او خارجا عنه فصح جعل الثلاثة الاخيرة منها وان اريد منها بالضرورة ما لا ينفك دائما فالفصاحة وقوة الاعضاء ليس كذلك وان اريد في بعض الاوقات فكل مكتسب كذلك الا ان يقال المراد انه لا ينفك في نوبته وفي وقته اللائق به وانه ناش عن كيفية مستمرة **ويلحق به** لحوق الشيء بالشيء تبعيته له والحاق الولد باخيه او بابيه اجدر بانه ابنه لشبه بينهما كما في المصباح فالمراد انه يعد منه لشبهه به ويأتي بيانه وهو بضم الياء مبني للمجهول وفي الشرح انه يجوز البناء للفاعل وفتح الياء فيلتحق بالضروري المحض امور منها **ما تدعوه ضرورة حياته اليه** متعلق بتدعوا وبضرورة او بهما على التنازع وروي تدعو بغير ضمير والضرورة شدة الاحتياج باعتبار العادة البشرية وفي عبارته لطف لا يماثله الى انه ليس مضطرا كغيره وانما الضرورة هي التي دعته وطلبته • كما قال البوصيري

وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من • لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

وانما كان ملحقا لانه اختياري لا يدخل في الضرورية المحضة كما مر **من غذائه** بمعجمة مكسورة ودال معجمة ومد وهو ما يتغذى به من الطعام والشراب ويجوز فيه الفتح والدال المهملة وهو طعام اول النهار والاول اصح والاضطرار له لقيام البنية به **ونومه** وهو حالة تعرض وقد تقتضي عدم الحس والحركة بسبب تصاعد الابخرة وارتخاء الاعصاب وهو من الامور الضرورية لراحة البدن واستراحة الحواس وقال المعري

وفضيلة النوم الخروج باهله • عن عالم هو بالاذى مجبول

وملبسه هو بفتح الميم بمعنى اللباس **ومسكنه** بفتح الكاف وكسرها وهو المنزل وهو ضروري بحسب العادة وروي مكسبه بتاء خير الموحدة وكسر السين وفتحها اي اكتسابه الرزق وهو مما يضطر اليه عادة الا انه يغني عنه قوله ماله وقد يفسر بما به تعايش **ومنكحه** اي ما ينكح من النساء بعقد او تسر وهو ضروري عادة ومثله قوله **وماله** اي ما يملكه وهو معروف يذكر ويؤنث وهو عند العرب يختص بالابل وفي العرف العام بالنقدين **وجاهه** المنزلة والقدر عند الناس واصله وجه • قلت وفي عده من الضروريات الملحقة بعد وان احتاج اليه بعض الناس عادة فلعل المراد ما يجيء به ماله واتباعه **وقد تلحق** بضم التاء الفوقية وفتحها وقد للاشارة الى انها الاكثر غير ملحقة بها **هذه الخصال الاخيرة** بزنة فعيلة وضبطها السيد بمد الهمزة من غير ياء والاولى اولى بالمذكورة في الاخرة **بالاخروية** الدينية المثاب عليها في الاخرة نسبة للاخرى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بمعنى الاخرة وهو المعروف في النسبة فيكون بحسب القصد والنية اخروية لان لها حكمه وان
كانت بحسب الاصل دنيوية فلا تخرج عن النوعين كما توهم وانقلابها بالنية من العادة للعبادة
المثاب عليها صرح به في الاحيا ومنهم من قال انما هو على النية والفعل على حاله وقيل الخلاف في
ذلك ما لم يصر واجبا وعلى هذا يمكن عدها اخروية والحاقها بها اما لمشابهتها لها حتى كانها
ضرورية او لاستلزام الضروري لها وعلى هذا يمكن ان يقال ان الغذا والنوم ملحق بكماله
وبكمال الخلقة والصورة والملبس والمسكن والمنكح ملحق بالعقل والفهم والجاه والمال ملحق
بشرف وعزة قومه ويمكن غير ذلك فتامل **اذا قصد بها التقوى** بفتح المثناة الفوقية والقاف
وتشديد الواو المكسورة تفعل من القوة وما بعدها كالتفسير له وجوز فيه فتح التا وسكون القاف
والواو المخففة من الاتقاء والاول اقوى واظهر وعلى الثاني المراد التحرز من المناهي وامتثال
الاوامر بان يريد بما يفعله ذلك مع قضاء وطره الدنيوي به وقصده معه فان الباعث
على الشيء قد ينفرد وقد يتعدد مع غلبة احدهما وبدونها وقيل ليس المراد القصد بل انبعاث النفس
وميلها الى فعل يعتقد انه يترتب عليه الغرض الباعث الغالب اجابة للباعث على تحصيل الغرض
وارادة الشيء قد لا تتيسر للتوقف على الميل النفساني الذي ليس باختياره الى اخر ما طول به غير
طايل **ومعونة البدن** المعونة مصدر بمعنى الاعانة وهي المساعدة وهي من الشواذ كما ذكر
في التصريف والبدن هو الجسد ما سوى الاطراف واما سوى الراس كما قاله الازهري ويطلق
على جملة الجسد كثيرا وما قيل من ان حذفه اولى اذ قد يقصد معونة الزواج ايضا لا وجه له لان المراد
انه يقصد تقوية بدنه بالغذاء ونحوه ليقوم بوظايف العبادة **ليسلك طريقها** اي ليدخل
في طريق الاخرة او طريق الخصال الاخروية مع انه لا يكون بمجرد البدن فهو يدل على ما ذكره
والمراد انه يكون ملتبسا بما ينفعه في الاخرة اي في طريق توصله لنعيم الاخرة بقصد ما يحمله
الشرع من العبادة والعفاف عن المحرم ومتابعة السنة ونحوه لا لمجرد قضاء الشهوة وحظ النفس
واما قوله في الحديث ان لنفسك عليك حقا فلا ينافي هذا لانه لامتثاله بامر الشارع مثاب
بل لانه امر لان مراده جائز شرعا وتركه اذا اضر غير جائز فهو مباح فوقه مرتبة اخرى يصير بها
احسن ولكل مقام مقال والحلوق بالاخروي يجري في كل مباح حتى اللعب كما اذا امل من عبادة
فاشتغل بمباح ينشطه بل قال الغزالي لعله هذا افضل من صلاته وعبادته ووجه بان تنشطه
بكسل من غير توجه مكروه يثاب على تركه **وكانت على حدود الضرورة** الحدود جمع حد وهو
نهاية الشيء وغايته المحيطة به ومعنى كونها على حدودها ان ياخذ منها بمقدار حاجته من غير
زيادة واسراف ونقص وتفريط بالشح ونحوه فانها اذا كانت كذلك لم تكن محمودة ملحقة بالاخروية
وهذا كقوله تعالى ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وما كان كذلك لا يفيد فيه نية
صالحة كمن نوى بطعامه التقوى للعبادة وزاد على الشبع او زاد في الالوان ومن جمع المال
لينفقه وانهمك في جمعه ولكل ضرورة حد وقرينة لا ينبغي تعديها والامور الدنيوية ليست
مقصودة له لذاتها وفي بعض الشروح هنا كلام لا محصل له **وقوانين الشريعة** القوانين
جمع قانون وهو الاصل والقاعدة الكلية المنطبقة على جزئياتها والاضافة لامية او بيانية
لكلا دني ملابسة كما قيل والمعنى ان يكون ما يفعله من هذه الامور على وفق الشريعة المطهرة
فانه ان لم يكن كذلك لا تنفعه نية التقرب به الى الله كمن ياكل حراما ويلبس مغصوبا ليتعبد به
او يتصدق بمال الحرام قال •
ومطعمة الايتام من كد فرجها • فليتك لم تزني ولم تتصدق •

وقال الغزالي

وقال الغزالي لا نظن ان المعصية تنقلب طاعة بالنية كبناء الرباط بالحرام فانها جهالة
عظيمة وله فيها كلام مفصل وعن العز بن عبد السلام ان المعصية قد تصير قربة بالنية كمن
شهد زورا لدفع ظلم الا ان منها ما لا تتغير حرمته كالزنا وفي هذا المقام كلام طويل ليس هذا
محله وذهب ابن القيم الى ان من انفق ما لا حراما في قربة يثاب عليه وان عوقب على كسبه
من غير حل كالصلاة في ارض مغصوبة **واما الخصال المكتسبة الاخروية** الدينية **فمكارم
الاخلاق** جمع خلق وهو الوصف الذي طبعه الله فيه او اكتسبه وسائر هنا بمعنى الجميع
او الباقي وقد اختلف فيه اهل اللغة فذهب الاكثر الى انه لم يرد في كلامهم الا بمعنى الباقي
ثم اختلفوا فقيل هو الباقي مطلقا قل او كثر لانه من السؤر بالهمز وهو البقية وقيل انه الباقي
الاقل والاول هو الصحيح وذهب الجوهري وغيره انه يكون بمعنى الجميع وخطاهم فيه كثير
كابن قتيبة والحريري في الدرة لانه يخالف السماع والاشتقاق لانه من السؤر فلا يصح كونه
بمعنى الجميع وقد انتصر قوم للجوهري وان ما قالوه غير صحيح اما الاول فلانه سمع من الصحابة
من الفصحاء كقوله •
الزم العالمون حبك طرا • فهو فرض في ساير الاديان •
واما الثاني فلان القايل به يقول انه مشتق من السير اي من يسير فيه هذا الاسم ويطلق
عليه وقد اشبعنا الكلام فيه في شرح الدرة فانظره **العلية** اي الشريفة المحمودة عند العقلاء
واهل الشرع المكتسبة والجبلية اذا اريد بها وجه الله **والاداب الشرعية** التي هي اعم من
الاخلاق او مقابلة لها فتشمل انواع العبادة ثم بين ما اجمله بقوله **من الدين** اي التدين
والعبادة والانقياد لاوامر الله تعالى والايمان **والعلم** بالله وعليه مدار نظام معاشه ومعاده
والحلم وهي ملكة يقتدر بها على الصبر على الاذى **والصبر** وهو حبس نفسه اذا اصابته
مصيبة او ناله ضرر او قل رزقه بان يتصور ما خلق له ورجوعه الى الله وان كل شيء بقضايه
وقدره لحكم فيتسلى بذلك ويرضى **والشكر** بان يحمد الله على نعمه ويحمد من اولاه معروفا
ويصرف ما انعم الله عليه فيما خلق لاجله **والعدل** بان يجتنب ما يحل فعله ويوفي ما يضر
غيره **والزهد** بترك الدنيا والرغبة عما في ايدي الناس وترك المحرمات والشبهات وترك
ما سوى الله مريدا وجه الله وهو زهد المقربين **والتواضع** اي الخضوع والتذلل ولين الجانب
والعفو وهو الصفح والتجاوز وعدم المؤاخذة **والعفة** وهي منع النفس عن تعاطي ما لا ينبغي
والجود وهو بذل ما ينبغي لمن ينبغي من غير اسراف ولا بخل **والشجاعة** وهي الاقدام على ما
ينبغي كما ينبغي ولها ضدان الجبن والتهور **والحيا** وهو الانقباض عن القبيح حذر الذم من غير
وقاحة وعدم مبالاة وتفريط فيه وهو الخجل والانكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها
عن افعالها **والمروة** فعولة بالضم مهموز وقد تبدل همزته واوا وتدغم وتسهل بمعنى الانسانية
لانها ماخوذة من المرء وهي تعاطي المرء ما يستحسن ويجتنب ما يسترذل كالحرف الدنية
والملابس الخسيسة والجلوس في الاسواق **والصمت** وهو الصموت بمعنى السكوت والمراد
ترك الكلام فيما لا ينبغي وترك الفضول فانه كما ورد في الاثر الصمت حلم وقليل فاعله
وقد يحمل في محله ولذلك قال عمر انه قفل الفم كما قيل •
وكم فاتح ابواب شر لنفسه • اذا لم يكن قفل عليه مقفل •
وهو كثير في الثنا ولكنا نذم احيانا اذا كان عيانا • وقيل الصمت منار اللسان والتكلم
يقظته والمرء مخبوء تحت طي لسانه لا تحت طيلسانه • وقيل من لم ينطق فسد عقله ومات

شبكة الألوكة
www.alukah.net

خاطر وهذا في الخبر **والتؤدة** بضم التاء الفوقية وفتح الهمزة والدال المهملة تليها الهاء وهي
التأني وترك العجلة والمبادرة بالكلام وغيره كما قيل

قد يدرك المتأني بعض حاجته • وقد يكون مع المستعجل الزلل •

وروي التودد اي اظهار الود والمحبة للناس من غير تملق ومداهنة **والوقار** وهو السكون
والطمأنينة من غير طيش وخفة **والرحمة** الشفقة والتعطف **وحسن الآداب** مع الناس باكرامهم
وتنزيلهم منازلهم **والمعاشرة** معطوف على الآداب اي حسن المعاشرة والاختلاط مع الناس وترك
التعجب وهجر الاخوان بغير داع **واخواتها** بالجر وهي كل ما تسعد هذه الخصال مما يأتي في الفصل
الذي يليه **وجماعها** بكسر الجيم اي يجمع هذه واخواتها ويشملها كلها وفي الحديث حدثني بكلمة تكون
جماعا اي جامعة للكلمات كما في النهاية **حسن الخلق** فانه عبارة يدخل فيها كل ما ذكر وغيره وهو معنى
كل احد بما يرضيه ولا يوحشه كما قاله ابو مدين وحسن الخلق بمعنى الخلق الحسن كما في قولهم العلم
حصول الصورة اي الصورة الحاصلة وفيه مبالغة بجعله كانه عينه اللزومه وفي تفصيل في
حواشي المطول في تعريف الفصاحة كما قيل ان الصواب الخلق الحسن لانه هو الشامل وهو المراد الا ان
يؤول بالجمع المشترك بين الكل لان الخلق هو الصفة المعنوية والصورة الباطنة ليس بصواب ولا
حاجة لما تكلفه **وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو في الغريزة** هي والطبيعة والجبلة بمعنى كما
مر **واصل الجبلة لبعض الناس** خلقه الله وانشاه عليها كما ترى من بعض كرامات الناس وحسن
خلقه من غير تعلم من احد واعلم ان مراده بالكمال الذي عقد له هذا الباب كمال الانسان في خلقه الذي
ذكره الله تع بقوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وما يلحق به من امور معاشه وما له محل فيه
كارضه واصله وما له دخل في بقائه من امور الدنيا معاشه وهو الذي اشار اليه الحكما بقولهم لما
كان الانسان خلق لاشرف الصور التي هي النفس الناطقة خصها الله باشرف الامزجة واعدلها
وجعلها بحكمته تقدست اسماؤه زينة مزينة فيها اعضاء نشيته ومروته ومراده بصفاته
الاخروية صفات محمودة فيه عقلا لا تختص بعصر ولا بنوع منه ولا بشريعة مما يدركه ويحكم
كل عقل سليم كالسخاء والشجاعة وغيرها وهذه لا يدخل فيها صرف العبادة كالصلاة والحج ونحوه
مما يخصه العرف باسم العبادة وان كانت هذه الصفات فيمن عرف نفسه وعرف ربه وقصد بها القربة
تسمى عبادة ايضا لان الشارع امر بها وحث عليها فمن فعلها امتثالا لامره كان متعبدا بها ومن
لم يعرف مقاصده خلط وتكلف توجيهات لا حاجة اليها فقوله واصل الجبلة عطف تفسير للغريزة
وهذه فيها ما هو قسم من الضروريات ايضا والاخلاق تطلق مسامحة ويشترط في كون هذه
دينية ارادة وجه الله كما عرفته فما قيل على المصنف ان مقتضى كلامه ان الجبلي والوهبي كالنبوة
لعدم القصد والعمل لا يكون دينيا وان التحقيق ان التقرب الى الله تع بتعظيمه وحسن الخلق
والحال والمال يكون لكمال في الجبلة ووهب في الحياة بل بلا اختياره فان المعرفة والتصديق
الوهبي والجبلي كما في بعض الانبيا والانتساب الى النبي بمحبته كمالات تقرب وتنفع وان لم تكن
اعمال اثاب عليها وكم في الآخرة من امر يقرب وليس بعمل وهذا لا ينكره من له انصاف والاخلاق
التي مدحها الشارع امور كسبية وان كان كمالها بكونها جبلية كما سيذكره المصنف والظاهر انها
توجب التقرب والتكريم في حد ذاتها وباب الجدال لا يسره طول المقال الى اخره مما اطال فيه وقد
عرفت انه خارج عن نهج السداد **وبعضها مما يكون فيه فيكتسبها** هذا معلوم من جعلها بعضه
وهو انما ذكرها توطئة لما بعدها وقوله فيكتسبها بالنصب كما قاله البرهان الحلبي وقال بعض الشراح

الصواب

والصواب الرفع على الاستئناف وتقدير المبتدا وهكذا كل ما اريد به نفي ما قبله واثباته
كقوله لمن يكرم اتيانه ما تأتيني فاكرمك اذا قصدت اكرامه لاجل عدم اتيانه كما ذكره ابن هشام
في الشذور وفي الافليد وكتب العربية ما يخالفه وليس هذا محل تفصيله واعلم انهم اختلفوا
في الاخلاق هل هي كلها غريزية من غير كسب او كلها كسبية او بعضها كسبي وبعضها غير كسبي
والية ذهب المحققون قال البجابي والية ذهب المصنف كما سيصرح به في الفصل الحادي عشر من
هذا الباب والشعرا في تخيلاتهم ان ما ليس بغريزي لابد من زواله كما قال المتنبي

واسرع مفعول فعلت تغيرا • تكلف شي في طباعك ضده •

وقال ذو الاصبع العدواني

كل امرئ راجع يوما لشيمته • وان تكلف اخلاقا الى حين •

ولكنه لا بد ان يكون فيه من اصولها في اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء الله تعالى
لابد من كذا اي لا محيد عنه ولا مفارقة من بدوت الشيء واصل معناه الفرقة ولا يستعمل الا في
النفي ولا يرد عليه قوله

من ظن ان لا بد عنه • فان عنده الف بد •

لقصد التمليح وهو مولد وما وقع في بعض حواشي المطول من تفسيره بالسعة وتوجيهه لا وجه له
واصل الجبلة اضافته بيانية والشعبة بضم الشين وسكون العين المهملة الحصة من الشيء واصل
معناه الفرقة والقطعة واحال المصنف على ما سيأتي في فصل الخصال المكتسبة **وتكون هذه
الاخلاق دنيوية** اي آثارها المترتبة عليها واكتسابها او التطبع بها حتى تنقلب من حسنها المحمود
المثاب عليها الى انها تكون دنيوية صرفة لا يثاب عليها كما ان الدنيوي ينقلب دينيا بالنية الصالحة
ولذا قيل طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله قيل وهو تصريح بنوع رابع غير النوعين المذكورين
اولا وهو الدنيوي المكتسب فالانواع اربعة ديني ودنيوي وكل منهما ضروري ومكتسب وقد عرفت
ما فيه **اذا لم يرد بها** بالبنا للمجهول او اذا لم يرد فاعلها بالبناء للفاعل وقد تقدم معنى الارادة
والقصد **وجه الله** اي ذاته بان يقصد عبادته والتقرب اليه واتباع امره **والدار الآخرة**
التي في مقابلة الدنيا اي نعيمها وما فيها من الثواب والجزاء وما كان لله تع ولوجهه فهو للآخرة
وبالعكس وقيل الاول اشارة لعبادة الخواص التي لا ينظر فيها لجنة ونار وانما هو لاجلال الله
وامتثال امره وقد يحمل هذا على قسمين ما قصد به الكمال بالنظر والقرب والرضى ونحوه وما
قصد به التعظيم وامتثال الامر وفعل ما يستحقه وهذه عبادة خواص الخواص قال الغزالي وهذا
قل ان يعلمه احد فضلا عن ان يأتي به واعترض على عبادة الخواص بان البراءة من الحظوظ من خواص
الالوهية ونقل عن الباقلاني تكفير من ادعى البراءة من الحظ بفعله واجاب الغزالي بانه حق ولكن
مرادهم ان فعلهم لحظ غير حظ القوم وهو التلذذ بمعرفته ومناجاته والنظر له وقيل عليه
هذا لا يصح في القسم الثاني اذ ليس نظرهم للتلذذ انفسهم ولم يبق لهم مطلب ولا مريد ولا مراد
فالحق في الجواب ان عدم الحظ بمعنى عدم التأثر عن شيء فانه غني وهذا نقص لا يليق بانه لا يلزمه
الامكان والاحتياج وهم معترفون بانهم محظوظون متأثرون ولكن يدعون عدم ملاحظة الحظ
وقصده بالفعل ولا دليل على اختصاصه فيجوز في فعلهم الغير الاختياري واما الاختياري ففيه
نظر لما تقرر من ان الفعل الاختياري من الممكن لابد ان يسبق بالتصديق بفايدة وغرض باعث
على الفعل يعود الى الفاعل ولذا نفوه عن الله فكيف تكون العبادة لمحض استحقاق الذات والظاهر
ان ذلك غير مسلم عند الحكما والثاني اشارة الى عبادة القوم بما كان لنيل النعيم والخلاص من الجحيم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهذه على مراتب ما من فيها ما يفعل لعبادة الله تع واطاعة امره راجيا النجاح بحيث لو لم يكن نيل
هذه دونها ومنها ما يفعل مع الغفلة عن امر الله وطاعته وانما القصد مجرد النجاة والنعيم الا ان هذه
حكم الرازي ببطلانها وفاقا فقال في تفسيره اجمع المتكلمون على ان من عبد الله ودعاه لاجل خوف النار
وطمع الجنة لا تصح عبادته ودعاؤه وذلك لان التكاليف بمقتضى الالوهية والعبودية عند اهل السنة
ومع كونها مصالح عند غيرهم فوجه الوجوب والحرمة الامر والنهي فمن اتى بها لا اتباع الامر والنهي صحت
ومتى اتى بها خوفا وطمعا لم تصح اتفاقا لانه لم يات بها على وجهها انتهى • ومنه يظهر ان المراد وجوب
ان يكون الغرض الامتثال ونحوه ولم ينف انضمام شيء آخر باحد الوجهين ما لم يصير رياء فلا ينافي هذا قول
النووي لو قال اصلي لاخر حصل لنفسك وعلى كذا فعلى هذه الهيئة صح ومن لم مراده توهم المنافاة هذا
ومن العبادات الظاهرة ما لا يحتاج الى نية بل يكفي عدم الصارف كالصدقة والعتق وغيره فلا يبعد ان
يكون في الاخلاق العلية ما هو كذلك واذا لم يجب في الصدقة ونحوها فبالاولى ان لا يجب في العلوم
الشرعية والعدل لله واذا كان الكلام في الآثار فقد يكون غنيا عما ذكروه وحينئذ انما تكون دنيوية
اذا اريد بها غير الله واذا اريد بها آخرة وغيرها ففيه تفصيل وخلاف ولنا هنا تحقيقات خارجة عن
مقاصد الكتاب انتهى • اقول ذكر هذا الامام في تفسير الفاتحة واستدل بقوله ادعوا ربكم تضرعا
وخفية وقد اقره على ذلك جماعة وقد قال شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمي في شرح الارشاد وهذا
عجيب فقد صرح الفقها بان من قصد بالصلاة الدنيا تصح صلاته فبالاولى هذا فالوجه خلافه وقد
حث الشارع على العبادة بذكر الثواب والعقاب ففيه دليل على ان مثله لا يضر وقد صرح في الاحيا
بان قصده لا ينافي الكمال والعامل للجنة عامل لبطنه وفرجه كالاجير السو ودرجته درجة البله
الذين هم اكثر اهل الجنة وقيد رد لما قاله الفخر ونحوه قول السبكي العاملون على اصناف صنف عبدوه
لذاته وانه لو لم يخلق جنة ولا نارا ومع ذلك يسألونه الجنة ويستعيذون من النار اتباعا للنبي صلى
الله عليه وسلم وقد قال حولها ندندن ومن اعتقد خلاف ذلك فهو جاهل وصنف عبدوه خوفا
من ناره وطمعا في جنته وهو دون الاول وكلاهما يعتقد وجوب الطاعة واستحقاقه تعالى لها انتهى
وحمله بعضهم على جعل عبادته في مقابلة ذلك وانه واجب على الله كالمعتزلة فهو غير جازم بالنية
فيبطل عمله عند اهل السنة وحمله على انه لولا ذلك ما عبد تكلف اذ الكلام في اسلامه حينئذ وفي
الاحيا عن مكحول من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجا فهو مرجئ ومن عبده بالمحبة فهو
زنديق اذ المؤمن لا بد له من الخوف والرجا لقوله خافوني ولا تيأسوا من روح الله الخ فمن عبده بالخوف
ولم يوجد منه رجاء او وجد ما لا وزن له معه فهو حروري لحكمه على العاصي بالانسلاخ من الرحمة
والخوف من الذنب كالخوارج على وهم فساق او كفرة فتجرد الخوف يوجب الالتحاق بهم • ومن عبد
بالرجا دون الخوف فهو كالمرجئة الذين يقولون لا يضر مع الايمان ذنب ومن تجرد رجاؤه قد يقال
لا تصح صلاته ولا شيء من عباداته لان نية الفرضية شرط فيها واذا انتفى الخوف بتقدير الترك
انتفى اعتقاد الوجوب لان الفرض ما يذم تاركه او يعاقب او يخاف من العقاب على الخلاف في
حده ومن اعتقد العقاب فلا بد يخاف منه العقاب فعلم ان انتفاء الخوف لا يصح معه عبادة واجبة
لانه رجاء لا يقال ينافيه قوله نعم العبد صهيب الخ لانا لم نقل ان انتفاء الخوف لا يوجب الا رجاء
مطلقا بل نريد ان تجرد الرجا هو الموجب له وثمة حالة اخرى اكمل منه وهي الحيا المانع من المعصية
ومعنى الثالث ان نفس المحبة مع انتفاء الخوف والرجا يستلزم العمل لاجلها لا لاستحقاقها واعتقاده
كفر ممن يظهر الاسلام فهو كالزنديق ومعنى قولهم ما عبدناك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك

انه لذاتك المستحقة لذلك كما مر انتهى • وانما اطلنا في هذه المسئلة لانها من المهمات والوقوف
عليها لازم الا ان ما ذكره غير منتجه بوجه من الوجوه لان كلامهم في العبادة المعروفة في علم الشرع
وما نحن فيه من هذا القبيل كما حققناه لك فليكن على ذكر منا مع ان في كلامه سقطات يعرفها من
له ذهن وقاد • وفكر لزيوف المعارف نقاد • فلنجذب عنان التحرير • ليسترح جواد القلم من التسطير
والى ما ذكر من ان ما نحن فيه ليس من قبيل العبادة المعروفة في عرف الشرع اشار بقوله ولكنها
محاسن وفضائل اي كلها امور حسنة تفضل بها صاحبها في حد ذاته بقطع النظر عن الشرع فان
صحبها مقاصد حسنة وخلوص يثاب عليها والا فلا باتفاق اصحاب العقول السليمة وان كانت
قد تذم لامر عارض كالريا والصمت عما يجب انكاره كما يعرض لبعض الكمال ما يجعله ناقصا وان
اختلفوا في موجب بكسر الجيم لا بفتحها كما توهم اي سبب حسنها وتفضيلها على غيرها هل هو
لذاتها لما يترتب عليها او لتحسين الشارع وتفضيله بناء على ان الحسن والقبح امر يعرف من الشرع لا من
غيره مطلقا كما ذهب اليه الاشعري او في بعض الامور كما ذهب اليه الماتريدي او من العقل مطلقا
كما قاله المعتزلة والخلاف في الحسن والقبح الذي يترتب عليه الثواب والعقاب لا مطلقا كما توهم ⊙

• • فصل • •

قد عرفت ان فصول هذا الباب سبعة وعشرون وانه عد ما تقدم فصلا ولم يعد الفصول
لذلك او للاختصار ولم يترجم بعض الفصول لعدم انضباطها وهذا الفصل معقود لخصال
محمودة مخصوصة به صلى الله عليه وسلم مقتبسة من الكتاب والسنة منها ما يذكر في الفصول
التي بعده اذا كانت خصال الكمال والجلال المتقدم ذكرها كما اشار اليه بقوله مما ذكرناه في اول
هذا الباب ووجدنا الواحد منا معاشر البشر وهذا معطوف على ما قبله او حال بتقدير قد والمعنى
ان الواحد منا يشرف كما وجدناه ويشرف بفتح اليا وضم الرا اي يحصل له الشرف على غيره بواحدة
او اثنتين منها اي بسببه اذا كانت فيه على ما يليق به ان اتفقت له فقيد للشرف اي الوجدان
وللحصول والمعنى لاتفاق حصولها على وجه يشرف به بغير كسب والضمير للخصلة المفهومة من
السياق والمراد نوعها وجنسها فيشمل المتعدد وتعبيره بالواحد اشارة الى ان اهل الكمال في كل عصر
قليل كما قيل ⊙ اني لافتح عيني حين افتحها • على كثير ولكن لا ارى احدا •
والعصر الدهر وكل مدة ممتدة غير محدودة يحتوي على امم وينقرض بانقراضهم والجار والمجرور
متعلق بوجدنا او بيشرف ويجوز تعلقه باتفقت والمراد بالواحد الجنس اي واحد في عصر وآخر
في آخر في عصر بعد عصر لا في ايام قلائل • واشار بقوله واحدة او اثنتين الى ان اجتماعها كلها
او اكثرها نادر وفي بعض النسخ او اوان وهو زمن مخصوص كزمن الربيع وليس من عطف الخاص
على العام كما قيل امام نسب او جمال او قوة في الاعضا او القوى وقيل بمعنى البطش والشدة او علم
من اي العلوم الشرعية او العقلية او حلم او شجاعة او سماحة وجود كما مر حتى يعظم قدره
غاية لقوله يشرف ولو صفه بما ذكر اي يرتفع حتى يصير معظما مبجلا عند الناس في حياته قيل هو
وما بعده غاية اذ العظمة اعلى من العلو والشرف او مقيدة بقوله ويضرب باسمه الامثال في حياته
ومماته كما يقال هو حاتم في الجود والامثال جمع مثل وهو المشبه به وضربه بيانه في تشبيه غيره
به وضرب الامثال باسمه ذكره بجعله مشبها به وليس اسم مقحما للتعظيم والمبالغة هنا كما قيل لان المثل
يضرب لايضاح ما يراد في معرض المحسوس ليدل على غاية وضوحه وكماله في وجه الشبه والضرب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اصله ايقاع شيء على آخر ويختلف باختلاف متعلقه فالضرب في الارض السير لايقاع الارجل
وضرب الدراهم صوغها لايقاع المطارق ومنه اخذ ضرب المثل لتاثيره في النفوس كما اشار اليه بقوله
وينفرد له بالوصف بذلك في المقلوب اثرة بضم الهمزة وكسرها وسكون المثلثة وبفتحها وهي
المأثرة والمكرمة من تلك الخصال التي وصف بها وانفرد واستاثر بها عن غيره وعظمة وهو منذ
عصور خوال اي والحال ان تلك الموصوف بها من ابتداء ازمنة خالية ماضية الى ظهور عظمة
قدره وضرب الامثال به ومنذ يبني على الضم كما قدره النحاة مختص بالزمان بخلاف من رمم بكسر الراء
وقد يضم جمع رمة او رميم وهي العظام واجزاء البدن البالية فقوله بوال جمع بالية
تاكيد كنفخة واحدة او تجريد او بيان لرمم لانه قد يغفل عن معناها وهو قريب من التاكيد فلا
وجه لرده وليس في حمل الرمم عليه وهو باعتبار اجزاء بدنه تكلف ولم يكتف بالمفرد لان
المراد ان الواحد يعظم قدره بعد موته بالاتصاف بواحدة او اثنتين منها مع صيرورته عظاما
تفرقت جموعها فما الظن بمن عظم قدره بما فوق ذلك وقد حرم جسده على الارض واحياه الله
في قبره كسائر الانبياء صلى الله عليهم وسلم وقد رايت في بعض الكتب ان السلف اختلفوا في
كفر من قال ان النبي لما انتقلت روحه الى الملا الاعلى تغير بدنه وروي ان وكيع بن الجراح
حدث عن اسمعيل بن ابي خالد ان رسول الله لما توفي لم يدفن حتى ربا بطنه وانثنى خنصره
واخضرت اظفاره لانه توفي يوم الاثنين وترك للثلاثاء الاربعا لاشتغالهم بامر الخلافة واصلاح
امر الامة وحكمته ان جماعة من الصحابة قالوا لم يمت فاراد الله ان يريهم اية الموت فيه ولما حدث
وكيع بهذا بمكة دفع الى الحاكم العثماني فاراد صلبه على خشبة نصبها له خارج الحرم فشفع
فيه سفيان بن عيينة واطلقه ثم ندم على ذلك ثم ذهب وكيع للمدينة فكتب لاهلها اذا
قدم فارجموه حتى يقتل فابرد له بعض الناس بريدا الخبر بذلك فرجع للكوفة خيفة من
القتل وكان المفتي بقتله عبد المجيد بن رواد وقال سفيان لا يجب عليه القتل وانكر هذا
الناس وقالوا رأينا بعض الشهداء نقل من قبره بعد اربعين سنة فوجد رطبا لم يتغير منه
شيء فكيف بسيد الشهداء والانبياء وهذه زلة قبيحة لا ينبغي التحدث بها فما ظنك
بعظيم قدر من اجتمعت له كل هذه الخصال اي الواحد منا اذا حصلت له خصلة او خصلتان
منها حصل له شرف قدر ورفع في القلوب ورفيع قدره لا يزول بموته وصيرورته عظاما بالية
فكيف بمن جمع جميعها وهو باق في قبره وهو خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم
وهذا جواب اذا ● والظن الاعتقاد الراجح الغير الجازم ويكون بمعنى العلم وعظيم قدره بمعنى
قدره والاستفهام انكاري بمعنى النفي والحمل على الاقرار بغاية عظمته او للتعجب وليس بعجب
كما توهم والمراد بالخصال السابقة حالة كونها متجاوزة الى ما لا ياخذه عد اي لا يعد لكثرته
ولعدم اطلاعنا على كثير منه ومعنى لا ياخذه لا يحيط به ويغلبه كقوله لا تاخذه سنة ولا
نوم فهو استعارة ولا حاجة الى ما قيل انه ادعاء او مبالغة والى ما قلناه اشار بقوله ولا
يعبر بكسر الموحدة المشددة عنه قول فاعل يعبر اي يقول وروي به مقال اي لا يعرب به
ويظهره مقال ولا ينال اي يحصل ويوصل اليه بكسب ويحصل باسباب عادية ولا حيلة
اي جد وتصرف بجودة نظر وهو اعم من الكسب الا بتخصيص الكبير المتعال استثناء مما
قبله منقطع اي لكن لا ينال الا بامر وهبي يختص به الله من يشاء وقيل يحتمل ان يكون متصلا
اي الا بالاعمال مصاحبة للتخصيص فيقدره على كسب بعض ويهبه بعضا وفيه نظر والكبير العظيم

شانه

شانه وقال الرازي الكبير ما كبر في ذاته والعظيم ما يستعظمه غيره فلذا كثر وصفه تعالى
بالكبير دون العظيم فتامله والمتعال بحذف اليا للوقف تخفيفا المتعالي عن كل ما سواه والعالي
شانه عن جميع شوائب النقص من فضيلة النبوة والرسالة بيان لما في قوله لا ياخذه عد اعلم
يذكر قبله وقيل للكل من الخصال المذكورة ومما لا يحويه العد مما هو مذكور في الكتاب ليقف
عليها الباحث عنها مجتمعة فيكون اقرب الى الضبط وادعى الى التعظيم والتخصيص اعم من النسبي
والحقيقي وان الظاهر انه لم يرد الخصائص المشتركات ولا داعي للتكلف للتخصيص والقول
بانه لا يناسب عد المواهب من الغرائب انتهى وفي قواعد العز ان النبوة افضل من الرسالة عند
العز بن عبد السلام من جهة انها عبارة عن خطاب الله نبيه بما يتعلق به وبذاته والرسالة
متعلقة بالامة وقيل الرسالة افضل لعظم ثمرتها وعموم نفعها ولكل وجهة وسياتي تفصيله
قلت وبهذا ظهر السر في ان الصلاة عليه وردت مقرونة بلفظ النبي لتعلقها بذاته
ولذا قال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي لانه اذا صلى عليه باعتبار النبوة علمت
بالاولى تلك وليس ذكر الرسالة مستدركا هنا كما توهم والخلة والمحبة والاصطفا افتعال
من الصفوة بالفتح والكسر وهي المختار والاجتبا بالجيم تناول لجنابه وجمع فيه وسياتي
الكلام على المحبة والخلة وهذه اشارة الى ما ورد في الحديث ان الله اصطفى من ولد ابراهيم
اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش
بني هاشم واصطفاني من بني هاشم والاسرا الى المسجد الاقصى وسياتي تفصيله والروية
لربه او لآياته الكبرى او جبريل في صورته الاصلية فلا يرد عليه ما قاله البرهان الحلبي
انه جزم هنا برؤية ربه وقال فيما سياتي ان ذلك لم يثبت عنده لاحتمال ان يراد بالروية
غير ما ذكر او بين كونه هنا تبعا للغير وقيل الذي رآه رفرفا اخضر سد الافق في الجنة والقرب
والدنو لقوله تعالى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى على القول ان الضمير للنبي صلى
الله عليه وسلم وليس هذا قربا مكانيا ان كان المراد به القرب من الله لاستحالة المكان والجهة
على الله وقد ذكر في الآية على سبيل المدح فالاول في قوله فكان قاب قوسين او ادنى والثاني
في قوله ثم دنى فتدلى فهما متغايران هنا او عطف تفسير والوحي مصدر وحى بمعنى اوحى
والاكثر في الاستعمال الفعل المزيد ومصدر الثلاثي وهو اعلام نبيه بما يريده من شرع وغيره
بكلام او ارسال ملك او الهام ونحوه واصل معناه الكلام الخفي والشفاعة والوسيلة
المراد مطلق الشفاعة في امته او الشفاعة العظمى وله شفاعات ستاتي والوسيلة اصلها
ما يتوسل به ويتقرب ويتوصل بالمراجعة لوليه وقيل هي الشفاعة يوم القيمة وقيل هي منزلة في
الجنة وحمله هنا عليها ارجح والفضيلة هي اما فضيلة خاصة به صلى الله عليه وسلم او
شاملة لجميع ما منحه الله من الفضائل والكمالات اذ كل صفة حادثة قابلة للزيادة ولذا قال
وقل رب زدني علما وقال ولا يحيطون بشيء من علمه انه يجوز في الدعا للنبي عليه السلام
ان يقال اجعله له زيادة في شرفه لقبول الصفات الحادثة للزيادة والنقص بخلاف
صفات الله ولذا اثنى الله على نفسه ومنع غيره من الثنا على نفسه بقوله فلا تزكوا انفسكم الا ما يتمنى
منه محالة ومنه الامين الواثق بامانته كقول يوسف اني حفيظ عليم ومنه الشجاعة كقول علي
انا مفرق الكتائب ● انا ليث بني غالب ومنه العالم او النسيب اذا لم يعرف انتهى والدرجة
الرفيعة واحدة الدرجات وهي الطبقات والمراتب وهي المنزلة المختصة به والرفيعة المرفوعة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الغالبة **والمقام المحمود** هو مقام يقوم فيه للشفاعة فيحمده فيه الاولون والآخرون ولا
شك انه مغاير للشفاعة وان احتوى عليها فهو مغاير لها لتقدمها وهذا اولى من القول بانه
الشفاعة لاخراج طائفة من النار وهو حيث يعطى لواء الحمد ويكون اقرب من جبريل ومن القول
بالعموم والخصوص او تغاير المفهومين وقال البرهان انه الشفاعة العظمى في اراحة الناس من
الموقف وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبعث الناس يوم القيمة فاكون
انا وامتي على تل فيكسوني ربي حلة خضرا فاقول ما شا الله ان اقول فذلك المقام المحمود رواه
ابو حاتم وهو لا ينافي ما تقدم كما قاله المحب الطبري بقوله فاقول الخ فيجوز التغاير وعدمه وقوله
فذلك الخ فذلكة لما قبله والاشارة لمجموعه كقوله عوان بين ذلك ولا حاجة لتقدير مضاف
اي فمقام ما ذكر او الاشارة للمقام وان لم يسبق ذكره وفيه زيادة لقبول مقاله والباسه تلك
الحلة الفاخرة ثم ان البرهان ذكر عن ابن مسعود ان عبد الله بن سلام سال رسول الله عن صفة لواء الحمد

صفة لواء الحمد

فقال طوله الف وستماية سنة من ياقوتة حمرا وقضبته من فضة بيضا وزجه من زمردة خضرا له
ثلاث ذوائب ذوابة بالمشرق وذوابة بالمغرب وذوابة وسط الدنيا مكتوب عليه ثلاثة اسطر الاول
بسم الله الرحمن الرحيم • والثاني الحمد لله رب العالمين • والثالث لا اله الا الله محمد رسول الله •
طول كل سطر مسيرة الف عام قال صدقت يا محمد • وفي الرياض النضرة وفضائل العشرة للطبري عن ابن
عباس انه صلى الله عليه وسلم سئل عن لواء الحمد فقال له ثلاث شقق كل شقة ما بين السماء والارض
على الاولى مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم الى آخر فاتحة الكتاب • وعلى الثانية لا اله الا الله محمد رسول الله
وعلى الثالثة ابو بكر الصديق عمر الفاروق عثمان ذو النورين علي الرضى انتهى • وتصديق بن سلام
اظهارا لخصوص اعتقاده او لموافقته لما في الكتب الالهية عنده لانه حبر بني اسرائيل ثم ان كونه
جسمانيا على هذه الصفة المروية خالف فيه صاحب النهاية فقال قوله صلى الله عليه وسلم لواء
الحمد بيدي اراد به انفراده بالحمد يوم القيمة وشهرته به على رؤوس الخلق والعرب تضع اللواء
موضع الشهرة انتهى • ووجه تسميته لواء الحمد كتابة الحمد عليه او انه تحمد فيه جميع الناس حامدين
له او انه حمد الله حين رفعه بمحامده اللايقة به **والبراق** تقدم الكلام عليه **والمعراج** بكسر
الميم وقد تفتح المصعد مفعال من العروج وهو اسم آلة والمراد عروجه على المعراج الى السما وفي رواية
انه راى معراجا كالسلم فسمي به بهذا الاعتبار واشتهر بذلك وان لم تشتهر تلك الرواية وفي
الصحاح المعراج السلم ومنه ليلة المعراج ولا بعد فيه كما قيل وقال التلمساني انه سلم من نور
يصعد فيه الملايكة او المراد الدرجات الصورية كالسموات او المعنوية التي عرج عليها وقد
يطلق على العروج وبه فصل في بعض المواضع وفي القاموس عرج يعرج عروجا ومعراجا ارتقى
فاذا كان خلقة فعرج يعرج او مثلث في غير الخلقة وهو اعرج بين العرج انتهى • ومن لطائف
الفاضل قوله في رسالة هج • في اعرج قامت العصا بين مقام رجله • وقلت اعواد الاغصان
من اجله يعرج به الى الارض لا الى السما • وغرس العود بكفه ولكن ما اورق ونما • ولعمري
حمل العصا هو العذاب الاليم • وما افلح من لازمها بعد موسى الكليم • تنبيه قال الحافظ
الدمياطي الاسرا عبارة عن سيره من مكة للمسجد الاقصى والمعراج سلم من نور او من جواهر
تصعد فيه الارواح الى السما ويطلق كل منهما على ما يشمل الآخر **والبعث الى الاسود والاحمر**
اي عموم رسالته كما تقدم والاسود العرب او الجن والاحمر غيرهم لان الغالب على الوان العرب
السمرة وعلى العجم البياض **والصلاة بالانبيا** اي امامته لهم حين اجتمع بهم بالمسجد الاقصى

حين

حين اسري به ولم يراع المصنف الترتيب بين ما ذكر ولو راعاه كان احسن **والشهادة بين الانبيا
والامم** يوم القيمة كما في قوله تع ويكون الرسول عليكم شهيدا كما مر **وسيادة ولد آدم** اي سيادته
لجميع الخلق وآدم وولده كما ثبت في الحديث الصحيح لانه اكرم الخلق على الله كما مر **ولواء الحمد** تقدم
الكلام عليه وسياتي ايضا واللواء اكثر من الراية ولا يشترط فيها الترتيب كما قاله التلمساني وجمعها
العلامة **والبشارة والنذارة** بكسر اولهما اي كونه بشيرا ونذيرا كما في القرآن الكريم **والمكانة
عند ذي العرش والطاعة ثم** بفتح المثلثة اي هناك **والامانة** على الوحي والاسرار الالهية
المذكورة في قوله تع انه لقول رسول كريم الآية على قول من جعلها له كما مر مع انها ثابتة له في نفس الامر
بادلة اخر **والهداية** له المذكورة في اول سورة الفتح او كونه هاديا للخلق **ورحمة للعالمين** بالنصب
بكون مقدر وروي بالجر لقوله تع وما ارسلناك الا رحمة للعالمين كما تقدم **واعطا الرضى والسول**
بضم السين وسكون الهمزة وتبدل واوا وهو المامول لكل مسؤول والرضى ما يرضيه لقوله ولسوف
يعطيك ربك فترضى والسول قريب من الرضى قيل والذي ورد في الآية الرضى والسول ورد في
موسى في قوله لقد اوتيت سؤلك يا موسى اي ما ساله بقوله رب اشرح لي صدري ويسر لي امري
قال التجاني ولا شك انه صلى الله عليه وسلم اعطي الرضى لان من اعطي ما به الرضى فقد اعطيه واما
السول فكم اعطي سؤلا وبالغ مامولا وسؤلا وان لم يعبر فيه بهذا اللفظ كما في حق موسى فلعل المصنف
اراد انه اعطي سؤل موسى السابق لقوله له الم نشرح لك صدرك الى غير ذلك مما
هو بمعناه وهذه تكلفات لا حاجة اليها ولذا لم يلتفت له الشراح **والكوثر وسماع القول** اي
سماع الله لقوله وقبوله الوارد في حديث الشفاعة الطويل بقوله قل تسمع وسل تعط ويحتمل
ان يراد بالقول القرآن وسماعه العالم بوجه او اسماع النبي لقول الله كما قيل بعيد **واتمام النعمة
والعفو عما تقدم وتاخر** المذكور في قوله تع ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر كما تقدم
وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر المذكور في قوله الم نشرح لك صدرك الخ **وعزة
النصر** كما مر في قوله وينصرك الله نصرا عزيزا **ونزول السكينة والتاييد بالملايكة** اشارة
الى قوله تع فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها يعني الملايكة ببدر كما مر • وقال
ابن العربي في احكام القرآن اتفقوا على ان الاولى في هذه الآية ان الضمير فيها عائد على ابي بكر
لا على النبي وقد تقدم ما فيه والمراد بالسكينة الرحمة وفي انوار التنزيل في تفسير قوله سكينة
من ربكم اي ما تسكنون اليه وهو التوراة وقيل صورة من زبرجد او ياقوت لها راس وذنب كراس
الهر وذنبها ولها جناحان فتزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وحصل
النصر وهو غير ملايم لهذا المقام • ثم السكينة بفتح السين وتخفيف الكاف المكسورة فعيلة من
من السكون وبه جزم ابن قرقول وغيره ومما حكاه الصاغاني من كسر السين وتشديد الكاف قول
مرغوب عنه والاظهر انها الامن والثبات والرحمة والوقار وقيل المراد الملايكة والتاييد التقوية
وعن كعب الاحبار ما من فجر يطلع الا ينزل سبعون الفا من الملايكة يضربون باجنحتهم ويصلون
على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط مثلهم فيصنعون مثلهم حتى اذا انشقت
الارض خرج سبعون الفا من الملايكة رواه البيهقي في شعبه **وايتا الكتاب والحكمة** والكتاب
القرآن والحكمة النبوة والعلم النافع **والسبع المثاني والقرآن العظيم** تقدم الكلام فيهما
وتزكية الامة لقوله تع يتلو عليهم آياته ويزكيهم وفيه فضيلة له ظاهرة **والدعا الى ربهم**
قال تع قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة وقوله وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا كما تقدم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأما قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله فعامة أو المراد به نبينا صلى الله عليه وسلم وعن
عائشة أن هذه الآية نزلت في الأذان واستشكل بأنها مكية والأذان إنما شرع بالمدينة ولكن إنما قيل
المراد بلال بخصوصه والجواب بأن المراد أن الأذان داخل فيها بإيماء ظاهر **وصلاة الله والملائكة**
عليه كما في الآية والأحاديث الآتية **والحكم بين الناس بما أراه الله** لقوله إنا أنزلنا إليك الكتاب
بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله أي عرفه بالوحي أو الاجتهاد الذي أراه طريقه **ووضع الإصر**
أي ثقل التكاليف التي كانت في الأمم السالفة **والأغلال عنهم** أي المواثيق اللازمة لهم لزوم الغل
في العنق وفيه استعارة مصرحة قال أبو علي ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم أي يخفف
ما شدد في التوراة على بني إسرائيل وأخذ عليهم العهد به كقتل القاتل بدون دية أو عفو وقطع
الأعضاء الخاطئة وقطع محل النجاسة من الثياب وضيق عليهم لأمته أولا وآخرا **والقسم باسمه** كالعمر
والاسم ما أطلق عليه فيشمل نحو والنجم أي أراد اسمه في القسم فلا يرد أن القسم إنما هو بمسماه **وإجابة
دعوته** أي دعائه في مواضع لا تحصى **وتكليم الجمادات** كالطعام والحصا والأشجار كما ورد في
الحديث إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل هو الحجر الأسود وقيل غيره والمراد تكلمها عنده ولأجله
فلا يرد قول بعضهم إنه لا يدخل فيه تسبيح الطعام في يده كما ظنه العجالي نعم هو داخل في تسبيح الحصا
لشبهه به وسيأتي والجمادات جمع جماد من الجمود ضد الذوبان والمراد به ما ليس بحيوان قال
وقبلنا سبح الجودي والجمد . وقيل إنه اصطلاح العلماء والأسماء المذكورة التي لم يسمع لها جمع تكسير
من العرب يجوز جمعها بالألف والتاء كالحيوانات وأما ما جمع جمع تكسير فلا إلا في الشاذ القليل كما قال الرضي
وظاهره أنه مقيس وكلام الحريري في الدرة مصرح بخلافه **والعجم** أي وتكليم العجم بضم العين وسكون
الجيم وليس بفتح العين والجيم رواية ودراية والمراد به الحيوان الذي ليس من شأنه النطق وأراد
به ما ورد من نطق الطير والضب والجمل والحمار المفصل في معجزاته وهو جمع أعجم كما في المنتقى
وحاشية السمين وقال ابن رسلان جمع عجماء ومنه الحديث إذا ركبتم هذه الدواب العجم وجرح العجماء
جبار وكلاهما جائز وفي النهاية ومختصرها للسيوطي وورد بعدد كل فصيح وأعجم أي آدمي وبهيمة
فقول العجالي الأعجم يطلق على من في لسانه عجمة وإن كان عربيا وليس مرادا هنا وعلى من لا يصح منه
كلام من الحيوانات غير الناطقة إن أراد به الاعتراض فغير مسلم وتفسير بعضهم له بخلاف العرب
غير صحيح وجمع بعض الناس كتابا مستقلا في هذا سماه النطق المفهوم من أهل الصمت المعلوم
فلم أره محررا وفي توثيق عرى الإيمان للبارزي اختلف أهل النظر في هذا فمن قائل إنه كلام وأصوات
يخلقها الله في الجماد ويسمعها من غير تغيير وهو مذهب الأشعري والباقلاني وذهب آخرون
إلى إيجاد الحياة فيها أولا ثم الكلام بعده . وللمنصوري في قصيدة نبوية هـ

يا ألسن فصحاء قد خرست • إن الجماد بفضله نطقا

وسيأتي الكلام فيه مفصلا **وإحياء الموتى** أي إحياؤه الموتى بحسب الظاهر والمراد إحياء الله
الموتى جمع ميت كما ورد في إحياء أبويه وغير ذلك مما سيأتي **وإسماع الصم** أي إسماع الله بنبيه
الحجارة الصم ونحوها من الجماد كالحجر جمع أصم وهو الحجر الصلب كما ورد أنه أمر الحجارة أن يحتمين لما لم
يجد ما يستتر به عند البراز كما ذكره الحلبي وهذا لا يخالف قوله تعالى أفأنت تسمع الصم أو تهدي
العمي ومن كان في ضلال مبين فإنه مستعار للكفار لكونهم غير منتفعين بحواسهم وليس المراد به
الصم المعروف . فائدة قال الحافظ ابن حجر لم يكن في حياته أحد من الصحابة أصم وهذا من كراماته
صلى الله عليه وسلم لأنه مبلغ لهم أوامر ربه والأصم يمتنع منه بسهولة بخلاف العمى **ونبع الماء من بين**

اصابعه

أصابعه أي حدوثه من بينها كما سيأتي بيانه والأصابع جمع أصبع وفيه عشر لغات نظمها ابن مالك
في فوائده تثليث الهمزة مع تثليث الباء وأصبوع كعصفور فهي عشر . ومما قلته في هذا من مقطعات النيل

لا تقل إن أصابع النيل تحكي • ما جرى من أصابع المختار
وهو عذب جرى بغير قياس • زائدا رائقا بغير انكسار

وتكثير القليل من الطعام وغيره أي تكثير الله له بسببه أو تكثيره هو بحسب الظاهر والعادة وهو
ضم الأمثال كما في قصة جابر وطلحة المروية في كتب الحديث لما أمر بجمع الزاد القليل ودعا وبرك
فيه فكثر حتى ملأ منه كل وعاء معهم **وانشقاق القمر** لأجله بدعائه كما روى أنس أن قريشا سألته
فانفلق القمر فلقتين وروي مرتين وروي أنه ذهبت فلقة وبقيت فلقة وله طرق صحيحة
وليس المراد بما في الآية أنه سينشق يوم القيامة كما في الكشاف وغيره لأنه إخراج للقرآن عن ظاهره
وترك تفسيره بما هو من أعظم معجزاته **ورد الشمس** في الخندق وصبيحة الإسراء والصلاة على
وسيأتي تفصيله وفي حواشي التلمساني أنها وقفت ليلة الإسراء للنضر بعيره وردت لعلي بعد الغروب
حتى صلى العصر وستقف في أيام الدجال لطول أيامه فيوم كسنة ويوم كشهر وجمعة قيل كان علم النجوم
صحيحا حتى وقفت الشمس ليوشع فبطل وبطل ما فيه بقصة علي . وإلى هذا أشار القائل

وردت علينا الشمس والليل راغم • بشمس لها من جانب الخدر مطلع
فوالله ما أدري أأحلام نائم • ألمت بنا أم كان في الركب يوشع

وقلب الأعيان جمع عين وهي ذاته ونفسه وهي مشتركة بين معان مشهورة كثيرة كعصا عكاشة
يوم بدر حيث ناوله إياها بيده فصارت سيفا صارما ونحوه مما سيأتي وقلب الأعيان بقدرة الله تعالى
ممكن واقع ومن ينكره وإن لم يعتد بإنكاره يقول لم تقلب وإنما عدمت وأوجد الله مكانها مثلها **والنصر
بالرعب** بضم فسكون وهو الخوف وسيأتي تفصيله **والاطلاع على الغيب** بتشديد الطاء أي إطلاع
النبي على بعض المغيبات بإقدار الله له على ذلك ليكون معجزة له ويقع مثله لبعض الأولياء كرامة
لهم خلافا للمعتزلة حيث نفوه واستدلوا بقوله فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول
والجواب عنه مفصل في التفاسير وكتب الأصول وقال التلمساني هو اطلاع بسكون الطاء ولا
يشدد لفساد المعنى لأن الله هو الذي أطلعه لا أنه اطلع بنفسه وقد يقال الاطلاع فيما يمكن
من مقدور الإنسان بخلق قدرة من الله ولا كذلك الغيب لأنه ليس من مقدوره وليس بشيء **وظل الغمام**
أي تظليلها له لئلا يؤذيه حر الشمس وقد كان ذلك في أول أمره فإن لم يثبت بعده فلاستغنائه
عنه **وتسبيح الحصا** في كفه وإن كان ما من شيء إلا وهو يسبح بحمده لأن هذا التسبيح خاص يسمعه
الناس والحصا صغار الحجارة . ومن أحسن ما قلته فيه

رسول له وادي زناد عزيمة • فليس به صم الحجارة تقدح
رمى بالحصا قوما بغاة فكفهم • بكف به بحر السماحة تطفح
فكل لسان ناطق بتعجب • كذاك الحصا في راحته يسبح

وإبراء الآلام جمع ألم وهو الوجع لغة والمراد ما يعم الأمراض والأوجاع والأحاديث فيه كثيرة
مشهورة **والعصمة من الناس** من بطشهم به بالقتل ونحوه وتقدم ما فيه **إلى ما لا يحويه محتفل**
هذا كقوله قبله إلى ما لا يحاط عن متعلقه بمحذوف معلوم من السياق أي منتهية مضمومة
إلى ما ذكر فكونه بمعنى يشمله ويحصره فيحتوي عليه ويحتفل اسم فاعل من حفل القوم في المجلس
إذا اجتمعوا ومنه المحفل ولا يحتفل به أي لا يهتم والمعنى أنه من أهم لجمع هذه الصفات وأمثالها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا يمكنه الاحاطة بها وبينه قوله ولا يحيط بعلمه بالوقوف عليه على اتم وجه الا مانحه ذلك
اي الا الله الذي اعطاه ذلك واصل المنحة كما في المصباح شاة ونحوها يعطيها رجلا لينتفع بلبنها
ثم يردها وكثر ذلك حتى صار بمعنى مطلق العطا يقال منحته منحا من بابي نفع وضرب اعطيته والاسم المنحة
ولا يلزم من الاتصاف بشيء ان يعلمه الناس لان منه امورا باطنية غير ظاهرة لغيره بل منها ما لا يعلمه
الموصوف بالكنه والكمال فلا خلل في الحصر ومفضله على غيره بما اودعه من الفضايل به اي بكل
ذلك ومجموعه لا اله غيره اشارة الى الفاعل للتفضيل والعلم على ابلغ وجه وانما للحصر اي ليس علمه
واعطاؤه الا لله الخالق لا للمخلوق العاجز لانه المعطي الحقيقي المحيط علمه بكل شيء وقد تستعمل هذه
الكلمة للتعجب كسبحان الله كما صرح به النووي في الاذكار الى ما اعد له في الاخرة اي هياه له
فيها من المنح والمنازل العلية ما لا عين رات ولا اذن سمعت قيل انه حال من معمول التجاوز المقدر
فالتجاوز الى ما لا يحويه في الدنيا الى اعلى منه في الاخرة او بدل او حال بعد حال او فرزا بالتصريح
لكثرة الانواع في الدارين من منازل الكرامة ودرجات القدس اي من مراتبه المقدسة او الموجبة
للقدس او الكاينة منه وما فوقها مما لا يتناهى فلا يقال الظاهر تقديم الدرجات على المنازل
والقدس بضمتين وسكون لا حاجة لتقديم نزول منازل الكرامة واصل معنى القدس الطهر فسمي به
المكان لانه يطهر فيه العايذ من الذنوب واسم الجبل يقال انه غير منصرف • وانشد والكثير •
كالمصرحي غدا فاصبح واقفا • في قدس بين محارم الاوعال •
قاله التبريزي في شرح ديوان ابي تمام ومراتب السعادة التي يترقى لها في رفيع الدرجات
والحسنى والزيادة معطوف على مراتب او السعادة اي والمثوبة الحسنى من اللقا والرضوان ه
ولا حاجة لتخصيص هذا ولا تخصيص ما قبله من غير داع التي صفة للزيادة او للمجموع تقف
دونها اي عندها والظاهر انه قبل الوصول اليها العقول ولا تصل لادراكها وتتقدر عليه
وتحار تتحير وهو مفتوح اليا التحتية دون ادانيها وروي دون ادراكها والاداني جمع ادنى
بمعنى انزل واسفل واقرب من الدنو لا يدرك العقل سافلها فضلا عن عاليها ولا يصل لما يقرب منها
فضلا عما يبعد عنها الوهم وهو قوة تدرك بها الجزئيات المحققة وغيرها وجناب القدس اعلى
من ان تحوم حوله الاوهام والتخيلات وان كانت تفرض المحالات وفيه من اللف ما لا يخفى
والقول بان من هذه الخصال ما هو محض موهبة فلا يناسب المقام • من جملة الاوهام • مقدمة
لا بد من التنبيه عليها قال ابو شامة فانها من المهمات • اعلم ان افعاله صلى الله عليه وسلم صنف
فيها العلامة كتابا سماه تحقيق الوصول الى افعال الرسول لم ار في بابه مثله وقد طالعته ه
ولخصته هنا وتعرض لما افعاله تبارك اقواله في حكم الاسناد وتخص باحكام ولا خلاف
في الاستدلال بافعاله فقيل يستدل بمجردها على الوجوب او الندب او الاباحة اقوال وقيل يستدل
بها باعتبار الوجه فان علم اتبع والا فضربان اما بيان لمجمل العلي وجوب او غيره اولا • والثاني
لا يدل على وجوب وغيره والاول تابع لما بينه والمختار الاول • وهي على اقسام • الاول ما فعله
امتثالا لا امر كالحج والصلاة وهو ما ولا امته فيه • والثاني ما وقع منه جبلة مما لا يخلو البشر
عنه كالاكل والشرب والحركة والسكون والسفر والقيلولة في منزل وتحت شجرة وهو سواء فيه
وامته • ومنه تتبعه الدبا • واكله القثا بالرطب ومحبته الحلوا والبارد • وسائر ما ورد في
طعامه ولباسه مما لا يظهر فيه قصد قربة • ومنه كراهة اكل الضب لا الثوم والبصل • والثالث
ما ثبت انه من خواصه كزيادة الزوجات والوصال وقيام الليل وجوبا • والرابع ما فعله بيانا لمجمل

في القرآن

في القرآن كالصلاة وقطع يد السارق من الكوع • والخامس ما صدر ابتداء وليس بيانا ولا خصوصية
له ولا جبلة وهو اما ما يعلم وجوبه او ندبه او لا • وهذا اما يظهر فيه قصد القربة اولا • فالاقسام
سبعة وفي حكمها مذاهب فما ساواه فيه امته ظاهر والجبلي والضروري لا يشرع اتباعه فيه
وكذا كل ما فعله على الاباحة من اكله ولباسه ولا يستحب كلبسه العمامة السودا وفعله وتركه سواء
الا ان يكون استمساكا عن مثله وحكى القاضي ابو الطيب قولا بان التاسي به مندوب وقال الغزالي
في المنخول انه غلط • ومن الغريب القول بانه يجب علينا فعل كل ما فعله ولا وجه له والى الاستحباب
ذهب ابن عمر اذ كان يتحرى اثاره والفقها يستحبون بعضه كاتباع منازل حجه ومقداره وصفته
واما خصايصه فمنها ما وجب عليه دون امته فيجوز التشبه به كالوتر عند الشافعي والمشاورة
لان المختص به الوجوب وكذا المحرم كالاكل من الزكاة بخلاف ما ابيح له دوننا وما فعله بيانا للمجمل
وتقييد المطلق فهو كما بينه وقيده والفعل المبتدا على وجوه ما علم وصفه من وجوب وغيره فنتعبد
به كما علم وما لم يعلم فان قصد به القربة فاصله الوجوب ما لم يدل دليل على خلافه وقيل يحمل على
الندب وقال الغزالي يحمل على الوجوب في العبادات وعلى الندب في العادات وقيل على الاباحة
وقيل على الحرمة وقيل بالوقف وقيل ما ظهر فيه القربة بين الوجوب والندب فهو مباح • فالاقوال
سبعة • وما لم يظهر فيه القربة قال الامدي فيه الاقوال ايضا غير ان القول بالوجوب
والندب ابعد مما قبله والوقف والاباحة اقرب • قال وبعض من جوز على الانبيا المعاصي قال
انها على الحظر والمختار انه محمول على القدر المشترك بين الوجوب والندب والاباحة وهو رفع
الحرج عن الفاعل والفعل دليل عليه وقال المازري افعال المكلفين دايرة بين الوجوب والحظر وغيرهما
فان قلنا بعصمتهم من الصغاير سقط عنهم قسم الحظر وان قلنا بجواز وقوعها لم يجز تكررها فيتعين
قلته فاذا صدر منهم ولم يقارنه ما يدل على انه معصية يحمل على الجواز لكن لا يقتدى بهم
وهو كما قال ومن قال بالحظر اراد حظر اتباع غيرهم لهم بنا على ان التحريم هو الاصل لا الاباحة اذا علم
هذا فافعاله الجبلية مباحة وما وقع امتثالا او خصوصية له فهو ظاهر وكذا المرسل الذي ظهر
فيه قصد القربة وعلمت صفته وما لم تعلم متردد بين الوجوب والندب والظاهر الندب ويعتقد
القدر المشترك بينهما من غير تعيين وما لم يظهر فيه قصد القربة ان كان من افعال الجبلة فمباح وان
تردد بين العبادة والعادة فالمتحقق فيه القدر المشترك بين الاباحة والندب وهو رفع الحرج
كنومه بالمحصب مباح هذا بالنسبة اليه واما بالنسبة للامة فما ظهر فيه قصد القربة وكان
معلوم الصفة فنحن مندوبون الى ايقاع مثله وكذا ما كان محتملا للقربة وغيره فيستحب التاسي
به فيها الا ان الثاني محطوط الرتبة عما قبله وقال الماوردي التاسي به اولى انتهى محصله وهو
كلام نفيس فينبغي حفظه وسياتي في عصمة الانبيا تتمة له والمقصود هنا انما هو بيان اقسام
افعاله ثم انه ذكر بعد هذا ادلة المذاهب ولا حاجة لنا به هنا ه

فصل

ثالث لما مر حتى يتم العدد ان قلت اكرمك الله وفي نسخة وان قلت بالواو دعاء له بان يكون
معظما عزيزا ببركة حبيبه جامعا للفضايل والكريم من كرمت نفسه عن التدنيس بالرذايل من
الكرم ضد اللوم والخطاب للمحب السابق اول الباب او لكل من يصلح للخطاب والجملة معترضة لا اخفا
بالفتح اي لا وخبرها انه اي في انه على القطع اي على سبيل القطع بالجملة المصنفون يقولون
في كلامهم هذا في الجملة كذا وبالجملة والجملة بمعنى الاجمال ضد التفصيل ويريدون به على كل حال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لانه اذا قطع بشيء مع الاجمال فمع التفصيل اولى فالمراد لاخفا قطعا فالجار والمجرور متعلق
بالخفا ويجوز تعلقه بالقطع والمراد به المجموع فالمعنى لاخفاء اذا قطعنا بجميع ما تقدم وقيل
المعنى لاخفا في المجمل اي لاسير على القطع بالمجمل والاجمال الذي هو صفة اعظمية القدر متعلق
بالقطع او عدم الخفا مجاز او مسامحة والمراد ان هذا المجمل قطعي لاحاجة الى بيانه بخلاف التفصيل
لان التفصيل كذلك كما توهم **انه صلى الله عليه وسلم اعلا الناس قدرا** اي في ذاته والضمير للنبي
صلى الله عليه وسلم لا للمجمل كما توهم والقدر المرتبة واثر الناس على الخلق قيل لانه ليس بواضح على القطع
واعظمهم محلا تعظيم محله ابلغ من تعظيمه كما لا يخفى ولو قال اعلاهم محلا واعظمهم قدرا كان
احسن وقدرا ومحلا تمييز من النسبة محول على ما يلزم منه والتقدير علا قدره فتامل **واكملهم محاسن
وفضلا في ذاته وعلى غيره وقد ذهبت** اي سلكت او قصدت او اعتقدت قال في المصباح
ذهب مضى وذهب مذهب فلان قصده وذهب في الدين مذهبا رأى رأيا والتاء ذهبت مفتوحة
للخطاب كما ضبطه البرهان **في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا** حسنا والمذهب المسلك
وجمعه مذاهب قال ابو فراس

• ومن مذهبي حب الديار لاهلها • وللناس فيما يعشقون مذاهب •

والمراد بتفاصيلها ما تقدم من كونه اضر ورتبة وكسبية الخ **شوقني** وفي نسخة شوقتني
الخطاب والتانيث للمذهب بمعنى الطريقة وهو تكلف لاداعي اليه والشوق الحنين ونزاع النفس يقال
شوقني الى كذا اي هيجني وقال في هياكل النور في الانسان قوة شوقية محركة طبيعته وللجلال
في شرحه كلام طويل في الفرق بينه وبين العزم لا يليق ايراده هنا لابتنائه على تخيلات فلسفية
الى ان اقف عليها اي اطلع لان من وقف على شيء عرفه ويقال وقفا الامر على كذا اي علقه عليه **من اوصافه
صلى الله عليه وسلم تفصيلا** وهو حال من ضمير عليها لانه قد وقف عليه مطلقا فلا يساق لها الا من
حيث انها من اوصافه وتفصيلا بمعنى مفصلة حالا او مفعول مطلق لمقدر **فاعلم** خطاب خاص او
عام كما مر **نور الله قلبي وقلبك** بنور منه يزيل ظلمة الغباوة حتى نعلم ما قصدته وقدم نفسه لما مر
لانه هنا تقدم رتبته **وضاعف** اي زاد وضعف الشيء مثله او اكثر وفيه كلام لاهل اللغة والعربية
طويل الذيل **في هذا النبي الكريم حبي وحبك** الجار والمجرور متعلق بالمصدر مقدم عليه وان
منعه بعض النحاة لتجويز الاكثر له اذا كان ظرفا كقوله فلما بلغ معه السعي وفي هي كما في الحديث
الحب في الله والبغض في الله وهي تعليلية كما في قوله ان امراة دخلت النار في هرة وهي ابلغ من اللام
وان كانت بمعناها لدلالته على شدة حبه له حتى كانه في ذاته والاشارة بهذا توميء له لولا كنه على
قربه وتعظيمه وقال الكريم اي الجامع للخصال الحميدة ودعاؤه بزيادة الحب مناسب جدا لان من
احب شيا اكثر من ذكره فقيه حث له على التفحص عن اخلاقه وفهمها وتفهيمها **انك اذا نظرت
الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة** اي طبيعتها واصلها والاضافة لامية او
بيانية وهذه شاملة للطبيعة وغيرها وانك الى آخره مفعول اعلم **وجدته** صلى الله عليه وسلم
اي علمت علما يقينيا انه كان **حائزا** اي جامعا **لجميعها** ومتصفا بها على اكمل وجه يليق به **محيطا
بشتات** بفتح الشين مصدر بمعنى المتفرق اريد به هنا المتفرق **محاسنها** ووجوه حسنها المختلفة
المتفاوتة اي جميع ما تفرق في غيره منها واحاط به كما ينبغي **دون خلاف** اي متجاوزا عن اختلاف
الناس الى تعاقبهم **بين نقلة الاخبار** نقلة بفتحات جمع ناقل ككاتب وكتبة اي لم يقع اختلاف
بين رواة الاخبار في جمعه المحاسن والكمالات **في ذلك** متعلق بنقلة وهو اشارة للمذكور من حيازته

المحاسن

المحاسن ثم انتقل لما هو ابلغ فقال **بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع** الجزم اليقيني لتواتره وكثرة
رواته المثمرة للجزم ومبلغ بمعنى الى مبلغ مفعول لبلغ لا مفعول مطلق ثم شرع في تفصيل
الصفات المذكورة فقال **اما الصورة** اي هيئة جسده الظاهرة وقد تطلق الصورة ويراد
بها الصفة ومنه قولهم صورة المسئلة كذا ومنه ما ورد في الحديث ان الله خلق آدم على صورته
على احد الوجوه فيه **وجمالها** حسنها **وتناسب اعضائه** اي كل عضو مناسب لمقابله
وملائمه في صفاته المستحسنة ووصفه كالطول والقصر والصغر والكبر كما مر **فقد
جاءت الآثار** جمع اثر وهو والخبر والحديث يطلق كل منها على الآخر وقد يفرق بينها **الصحيحة
المشهورة** ليس المراد منها ما اصطلح عليه المحدثون وان جاز وحينئذ الصحيح دون المشهور
فلا وهم فيه كما توهم واذا اريد به المعنى اللغوي فبينهما عموم وخصوص وجهي اي تلك
الاخبار والآثار منها ما هو صحيح ومشهور ومنها ما هو صحيح وما هو مشهور وليس فيه لف
ونشر **الكثيرة بذلك** متعلق بجاءت لانه يتعدى بالباء تقول جيت به واجاته اي الجاته
الى المجيء وذلك اشارة لما ذكر من الاخبار والآثار **من حديث علي** بيان لما قبله من الآثار
والاخبار وقد تقدم معنى الحديث وترجمة علي رضي الله عنه **وانس بن مالك** الانصاري
الخزرجي الصحابي خادم النبي وهو ابن عشر او ثمان ولازمه عشر سنين فروي عنه الفي
حديث ومايتين وستة ودعا له بالبركة في ماله وولده وعمره والمغفرة فكان من اكثر الناس
مالا وولد من صلبه بضعا وعشرين ومائة وكان له بستان يحمل في السنة مرتين وعاش
حتى سيم الحياة وتوفي سنة تسعين وله مائة سنة ودفن بقرب البصرة بقصر انس
وحديثه في الصحيحين كما قاله النووي **وابي هريرة** تقدم ان اسمه عبد الرحمن بن صخر من
ثلاثين قولا وقيل كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو او عبد شمس وفي الاسلام عبد الله او عبد
الرحمن وكنيته التي كناه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو هريرة وهو ممنوع من الصرف
على الاصح كما فصلناه قبل ذلك **والبراء** بفتح الموحدة والراء المهملة المخففة والمد على الصحيح
علم منقول من البراء كالقضا بمعنى التراب **ابن عازب** بعين مهملة وزاي معجمة وموحدة
الصحابي الانصاري اسلم في صباه قبل الهجرة وشهد احدا ومشاهد علي واسلم ابوه وتوفي
بالكوفة في ايام ابن الزبير **وعايشة ام المومنين** بهمزة بعد الالف وعامة المحدثين
يبدلونها ياء ويقال عيشة في لغة ضعيفة وهي الصديقة بنت الصديق زوج حبيب الله
المامور بحبها رضي الله عنها الطيبة الطاهرة النازل في حقها الطيبات للطيبين
تزوجها رسول الله وهي بنت تسع ولم يتزوج بكرا غيرها وقيل بنت ست وابتني بها في
السنة الثامنة من الهجرة على الصحيح ودفنت بالبقيع سنة سبع او ثمان عشرة وخمسين
وروت الفا ومائتي حديث ويستحي بعض حديثها وهذا الحديث في وصف حلية الرسول
مروي في الشمائل وعنها يروى نظرت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخصف نعله وقد
عرق جبينه وجعل عرقه يتولد نورا فبهت فقال ما لك تبهتين فقالت نظرت لعرقك
يتولد نورا فلو راك ابو كبير الهذلي لعلم انك احق بقوله

• ومبرا من كل غبر حيضة • وفساد مرضعة وداء مغيل •

• واذا نظرت الى اسرة وجهه • برقت كبرق العارض المتهلل •

فقام النبي وقبل بين عيني وقال جزاك الله عني خيرا ما سررت بشيء كسروري بهذا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال الحنفي معناه ان امه لم تحمل به في آخر الحيض بل بعد انقضائه واستقبال طهرها وهو محمود ومصلح للولد به فيكون صحيح الجبلة محكم البنية كما قال الشاعر

حملته غراً في اول الطهر • وقد لاح للصباح بشير •

وقال المعري وابى لمثريا ابن آخر ليلة • وان عز مال فالقنوع ثراه •

قال ابن السيد في شرحه اراد ان امه حملت به في آخر ليلة من طهرها حين اشتغلت الحيض وهو مذموم مفسد للولد وغبّر بضم الغين المعجمة وفتح البا الموحدة المشددة والرا المهملة بقاياه كما قاله الجوهري **وابن ابي هالة** بالها وتخفيف اللام علم منقول من هالة البدر وهي الدائرة المحيطة به وهو ابن مالك اخو بني اسيد بن عمرو بن تميم حليف بني عبد الدار واسمه هند ولابي هالة ثلاثة اولاد هند وهالة وبني كني واشهرهم هند ولاشتهاره لم يسمه المصنف ويقال له هند الوصاف لاشتهاره وصف حلية النبي عنه لانه كان ابن خديجة ام المومنين من زوجها الاول وكان ربيب رسول الله اخا واطهر وخال الحسين فكان لصغره يتسع من النظر لرسول الله ويديم النظر لوجهه لكونه عنده داخل بيته فلذا اشتهر وصف النبي عنه دون غيره من كبار الصحابة فانهم لكبرهم كانوا يهابون اطالة النظر له فاحاط به نظره احاطة الهالة بالبدر والاكمام بالثمر هنا له مع ان ما قاله قطرة من بحر •

وعلى تفنن واصفيه بوصفه • يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف •

شهد بدرا وقيل احدا وقتل مع علي يوم الجمل قال الحنفي ولهند بن ابي هالة ولد يسمى هند ايضا توفي بطاعون البصرة الذي مات فيه نحو من سبعين الفا فاشتغل الناس بجنايزهم عن جنازته فلم يوجد من يحملها فصاحت نادبته واهند بن هنداه وربيب رسول الله فلم يبق جنازة الا تركت وحملت جنازته على اطراف الاصابع اعظاما لرسول الله ذكره الدولابي وقيل الذي مات في الطاعون هند بن ابي هالة والصحيح الاول **وابي جحيفة** بضم الجيم وفتح الحا المهملة والفا مصغرا واسمه وهب بن عبد الله ويقال وهب بن واهب السوائي بضم السين المهملة وتخفيف الواو والمد نسبة لسواءة بن عامر بن صعصعة صحابي توفي النبي وهو مراهق وتوفي هو سنة اثنين وسبعين وروى له احمد وغيره **وجابر ابن سمرة** بفتح السين المهملة وضم الميم وراء مهملة بن جنادة بن جندب يكنى ابا عبد الله وهو ابن اخت سعد بن ابي وقاص توفي بالكوفة سنة اربع وسبعين وقيل وستين وفي التهذيب انه وهم ولكن الحنفي وغيره اقتصر عليه **وام معبد** بفتح الميم وسكون العين المهملة والبا والدال المهملتين واسمها عاتكة بنت خالد بن منقذ وفي الاكمال عاتكة بنت خليف بن منقذ بن ربيعة بن اصرم بن حبيش بن حرام بمهملتين بن حبشية التي نزل عليها النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته وهي خزاعية بنت كعبية صحابية خرج لها ابو يعلى الموصلي وكان منزلها بقديد ولم ينقل لها تاريخ **وابن عباس** تقدمت ترجمته **ومعرض بن معيقيب** معرض بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الراء المهملة المشددة والضاد المعجمة معناه القوي المريض ثم نقل علما وهو صحابي روى له ابن قانع من طريق العدني ولم يذكره ابن ماكولا ولا الذهبي في تجريد الصحابة اسم ابيه معيقيل باللام بدل البا قال البرهان الحلبي وكذا هو في نسختي ولا ادري اصحيح هو ام لا وفي تنقيح ابن الجوزي معيقيب بالباء وابوه شهد بدرا وتوفي في زمن علي وهو يماني **وابي الطفيل** اسمه عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو بن جابر الكناني صحابي له رواية ورواية ولد في اوايل الهجرة وروى عن ابي بكر وعمر ومعاذ وغيرهم وروى عنه الزهري وقتادة وغيرهما وكان من محبي علي مات سنة عشر ومايه وقيل سنة مايه وهو آخر من مات من الصحابة وكان شاعرا مفلقا والطفيل بطاء مهملة مضمومة مصغر **والعدا بن خالد** بعين مهملة

ودال مهملة مشددة ومد معناه الشديد الجري وهو ابن خالد ابن هوذة ابن ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة اسلم يوم حنين وحسن اسلامه وهو الذي اشترى من رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما او امة كما رواه الترمذي وذكره الفقهاء وتاخر الى بعد المائة وروى له الطبراني كان حسن السبلة والعرب تسمي اللحية سبلة **وخريم بن فاتك** بضم الخا المعجمة وفتح الراء المهملة وميم مصغر • وفاتك بفا ومثناة فوقية قيل انه نسبة لجد جده وقيل انه لقب ابيه اخرم بن شداد بن عمرو وفي التهذيب انه خريم بن فاتك بن اخرم وهو غريب شهد بدرا وقيل لم يصح ومات بالرقة في زمن معاوية وروى عنه ابن عساكر **وحكيم بن حزام وغيرهم** حكيم بفتح الحاء المهملة وكسر الكاف وحزام بكسر الحا المهملة والزاي المعجمة يليها الف وميم ابن اخي خديجة بنت خويلد ام المومنين المعمي عاش مايه وعشرين سنة نصفها في الاسلام وولد قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنه داخل الكعبة ولم يولد فيها غيره وكان من المولفة ثم حسن اسلامه ولما حج في الاسلام اهدى مايه بدنة والف شاة ووقف بمايه وصيف في اعناقهم اطواق فضة منقوش عليها عتقاء الله عن حكيم بن حزام ومات سنة ستين بالمدينة وقيل غير ذلك واكثر من ذكر من روى حديث الحلية بيانا لشهرته وتاييد الكلام قبله واشار بقوله وغيرهم الى من رواه غير هولاء ككعب بن مالك والفاروق والصديق وبنت معوذ كما في كتاب الدلايل والوفا وغيرها **مما انه صلى الله عليه وسلم** قيل انه بيان آخر لما بينه الاول بدل منه او مستانف او بيان لقوله ذلك والاظهر انه بيان لحديث وليس المراد جميع ما ذكر بل واحد منهم روى هذا الحديث بتمامه فانه ملفق من روايات والمراد بالشهرة مصطلح اهل الاثر فانه غير صحيح هنا بل الشهرة العرفية **كان ازهر اللون** صفة مشبهة مضافة للفاعل وفي الازهر هنا تفاسير منقولة عن اهل اللغة فقيل نير وقيل حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا لزينتها وقيل ابيض وقد اختلفت الرواية في لونه صلى الله عليه وسلم فقيل ابيض كما في حديث عايشة وابيض مشرب بحمرة عن علي وفي رواية انس ازهر اللون وعنه ايضا انه كان اسمر وفي الصحيح عن انس لم يكن بالابيض الامهق اي الخالص البياض كلون الجبس فانه غير محمود وما وقع في رواية امهق ليس بابيض مقلوبة او وهم من الراوي كما قاله المصنف والمهق بمعنى الخضرة كما قاله ابن حجر الهيتمي وليس بالادم بالمد اي الاسمر وورد الطبري في الاحكام رواية الاسمر ورواه غيره كالترمذي في الشمايل وعامة المحدثين فسروا الازهر بالابيض المنير المشرق وكذا ذكر في صحاح الجوهري ونقل وفق بين الروايات بان المراد بالبياض البياض المعتدل المشاد ويويده ليس بالامهق كما مر ولا ينافيه انه مشرب بحمرة وانه كان اسمر في بعض الاوقات لمقابلته الشمس فيعتريه سمرة احيانا وهو المراد بكونه آدم وليس المراد انه شديد السمرة لانه سمي به لشبهه بادم الارض كما ان الابيض الماهق الشديد البياض الذي لا يخالطه حمرة كالبرص والاحاديث دالة على انه لم يكن شديد البياض ولا شديد السمرة وعن الخطابي في الجمع بين السمرة والبياض بان السمرة فيما برز للشمس من بدنه والبياض فيما توارته الثياب ويويده رواية ابن ابي هالة انور المتجرد وايضا في الحديث انه مشرب بحمرة والحمرة اذا اشبعت حكت السمرة وقيل ان ما في الشمايل عن انس ابيض كانما صيغ من فضة لا يعارض وصف علي بالحمرة لانه عنى وجهه وانس جسده كما مر ويجي تتمته • اقول ما ذكره من انه عارضي من تاثير الشمس يا باه السياق لان الظاهر من لونه امر خلقي لا عارضي لان مثله لا يقال انه لونه والراوي له انس وكان قريبا منه ملازما له لا يخفى عليه امره قال ابن حجر الهيتمي الاولى حمل السمرة على الحمرة التي تخالط البياض وهو المراد والعرب تطلق على من كان كذلك اسمر ويويده رواية البيهقي عن انس كان ابيض بياضه الى سمرة وعن ابن عباس احمر الى البياض فثبت من مجموع الروايات وصفه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ببياض فيه حمرة وروايته انه شديد البياض محمولة على الامر النسبي فانكار رواية اسمر لا وجه له فالحق انه كان ابيض مشربا بحمرة وهو احسن الالوان لدلالته على قوة المزاج واعتداله وهذا معنى ازهر ويقال له اسمر نظرا الى ميله بحمرة ومن اطلق عليه آدم عنى هذا واما قوله كانما صيغ من فضة فلم يرد به شدة بياضه بل حسن منظره ورونقه واما جعل لونه عبارة عن لون وجهه فبعيد ايضا وقوله انور المتجرد اي ما تحت الثياب لا يباعده وقالوا البياض نصف الجمال وما سواه ملاحة • فان قلت كيف قال بعض الصحابة ان سمرته من تاثير الشمس وقد كان الغمام يظلله • قلت اجيب بان ذلك انما كان في اول امره ارهاصا للنبوة واما بعده فلم يحفظ ذلك قال ابن حجر في شرح الشمائل كيف وقد ظلله ابو بكر بثوبه لما وصل المدينة ثم وظلل بثوب وهو يرمي الجمار في حجة الوداع • تنبيه قال ابن حجر قال ائمة الشافعية من قال ان النبي صلى الله عليه كان اسود او غير قرشي او نوى في امرد كفر لان نعته بغير صفته نفي له وتكذيب ومنه نعلم ان كل صفة ثبت له بالتواتر نفيها كفر فان قلت لونه اشرف الالوان وكذلك اهل الجنة فلم جاء في صفتهم انهم بياض يشوبه صفرة كما فسر به قوله كانهن بيض مكنون قلت البياض المشوب بالحمرة يدل على غلبة الدم المورث لقوة المزاج واعتداله الناشئ عن الغذاء في الدنيا واما غذاء الاخرة فله شان آخر والصفرة فيها بريق ولمعان يناسب النساء دون الرجال ولذا قد جيء به في اشعار العرب مع انه ناش عن ترك الحركة وكثرة النوم والترفه ولذا قالوا ان الاولى ان لا يلبسن البياض لما فيه من التشبه بالرجال ٢ ادعج وعن الترمذي ادعج العينين والدعج بفتحتين شدة سواد العين مع سعتها وقيل سواد وبياض البياض ويشكل بانه ١ اشكل العين من النجلة وهي سعة الشق ومنه هم طلعة نجلا ومن فسر الدعج بشدة سواد العين مع سعتها فيه عنده تجريد او تاكيد اشكل بشين معجمة من الشكلة وهي الحمرة في بياض العينين وكان اصله مطلق الحمرة لقوله

• فما زالت القتلى تمج دماءها • بدجلة حتى ماء دجلة اشكل •

وقال ابن دريد يسمى به الحمرة والبياض المختلطين فيه وفي المفتقي في صحيح مسلم عن سماك بن حرب ان معنى اشكل طويل شق العين وهو وهم بالاتفاق وقال الحنفي الشكلة الحمرة اليسيرة في بياض العين فان كانت في السواد فهي شهلة والرجل اشهل وكلاهما مستحسن ومعنى اشكل بحر بجيم وسين وراء مهملتين وفي حديث جابر كان رسول الله ضليع الفم اشكل العينين خرجه مسلم وقال الاصمعي لا بحر الاشهل واكثر اللغويين على خلافه وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اشجر العينين ولم ترد الشهلة في وصفه ٣ اهدب الاشفار الهدب بضم الهاء والدال ويجوز سكونها الشعر النابت على الجفن والاهدب الطويل الاهداب او الكثيرة وهذه الصفة في حديث رواه الترمذي والبيهقي ووقع في رواية فيه طويل الاهداب وفي البيهقي وصفه بالكثرة وكل منهما شاهد للتفسيرين السابقين • والاشفار جمع شفر بضم الشين وقد تفتح طرف الجفن غطاء العين الاعلى والاسفل وانما خلقت هذه الاجفان والاهداب لستر العين وهي تسجد في انطباقها وانفتاحها وتذب عنه باهدابها كما قال • فلو افترقت ما ذبت عن ناظر شفر • ولذلك كان الذباب يمسح دائما بيديه عينيه لانه خلق بغير اجفان • واليه اشار عنترة في تشبيهه البديع بقوله • قدح المكب على الزناد الاجذم • وفي الجفن وطول اهدابه زينة ونفع وحسن واضافة الاهداب للاشفار من اضافة الشيء لمكانه فانه يجوز اضافته للمكان والزمان نحو عالم بغداد وعالم يوم الدين وهي لامية او على معنى في والاهدب يوصف به الرجل فيقال رجل اهدب الجفن والشفر ولكن فيه اطلاق الاشفار على الاهداب مجاز من باب اطلاق الحال على المحل كما تسمى الخمر كاسا وان جاز ⊙

وليس المراد بالشفر الجفن مجازا باطلاق الجزء على الكل ولا يحتاج فيه ولا تقدير مضاف اي شعر الاجفان كما توهم ٢ ابلج من البلج بفتحتين وهو نقاء ما بين الحاجبين من الشعر ووقع في حديث ام معبد عند البيهقي والبغوي ابلج الوجه وفسر بمضيء مشرق والمشهور في البلج الاول وضده القرن وهو ما اتصل فيه شعر الحاجبين والعرب تحب البلج وتمدح به وتكره القرن كما قال الحريري لا والذي زين الثغور بالفلج • والحواجب بالبلج • وقد ورد في حديث ام معبد وصفه بالقرن وانه اقرن وهو مخالف للرواية المشهورة في حديث الحلية ولهذا رد بعضهم هذه الرواية ووفق بينهما بانه كان بينهما شعر خفيف جدا ربما يظهر اذا وقع عليه الغبار في سفر ونحوه وحديث ام معبد سفري وفي كتاب خلق الانسان لثابت رجل اقرن وامراة قرناء فاذا انتسب الى الحاجبين قالوا مقرون الحاجبين وقد تمدحوا بالبلج قديما وحديثا كما قال بعض المحدثين ⊙

• اذا رأيت سهم الناظرين بصدره • وان كان سلما غير يوم هياج •
• على متوا تراه من حاجبيه جبينه • لها البلج الوضاح فتصدع عاج •

ومنه اخذ ابن سناء الملك قوله ⊙

• رماني من اجفانه السهم صائبا • ومن حاجبيه القوس والقبضة البلج •

والحنية بمعنى المحنية القوس والقبضة وسطها الذي يقبضه الرامي والعرب يسمي السيد بالابلج كما في قوله • وابلج يستسقى الغمام بوجهه • ثمال اليتامى عصمة للارامل • وانشد بعضهم ابيض والثمال الملجأ اسم مفرد كالغياث لفظا ومعنى ١ ازج بفتح الهمزة والزاي المعجمة وتشديد الجيم وهذا وكل ما وازنه في حديث الحلية صفات مشبهة لانها تجيء كذلك في الصفات والحلى ويوصف به الرجل والحاجب في المدح والزجج كما في تحفة العروس للتجاني رقة محط الحاجبين وامتدادهما الى مؤخر العين غير عريض ولا كثيف وضده الزبب وقال السمين ازج مقوس الحاجب مع طول وامتداد وقال حسان • ازج كمشق النون من خط كاتب •
وقال رؤبة • ومقلة وحاجبا مزججا • والزج حلقة والتزجيج ما كان بصنع كما قال • وزججن الحواجب والعيونا • اي صنعن ذلك وهو ما تسميه العامة تحفيفا بالحاء المهملة وهذا ايضا مما رواه الترمذي اقنى كما ورد في حديث هند الذي رواه الترمذي وفي حديث علي اقنى العرنين والعرنين الانف والقنا طوله ورقة ارنبته مع حدب في وسطه وفسره الجوهري بالحدب والمصنف بالسائل المرتفع الوسط وقد يترك السائلون بالرقة وقيل انه سبوغ في الوسط وضيق المنخرين وقال التجاني القنا احديداب قصبته مع نزول الارنبة وهي راس الانف ما يلي الفم والشمم استواء اعلاء قصبة الانف مع ارتفاع يسير في الارنبة وهو من صفات الجمال والمدح وعلامة السودد في الرجال قال حسان •

• بيض الوجوه كريمة احسابهم • شم الانوف من الطراز الاول •

وقال الفرزدق • من كف اروع في عرنينه شمم • بكفه خيزران ريحه عبق •
وورد في الحديث ان رسول الله كان اشم وبهذا وصفه اصحابه كما ورد في الاحاديث وينافيه ما اشتهر من انه كان اقنى وجمع بينهما بان القنا كان خفيفا فان زيادته غير ممدوحة كما مر في البلج ويدل عليه قول ابن ابي هالة • اقنى العرنين يحسبه من لم يتامله اشم فتامل ١ افلج الفلج بفتحتين تباعد ما بين الثنايا او ما بين الاسنان وهو من قولهم فلجت الشيء اذا شققته فلجين اي نصفين وتلج فلو جاظفر وقال ابن دريد وتبعه صاحب القاموس انه لا يقال رجل افلج الا اذا ذكر معه الاسنان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اي اذا قيدت بها سوآء كان بلفظ الاسنان او الثنايا او غيرهما الثلا يلتبس برجل افلج فمخالف للغة
اذ لم يستعمل الا مقيدا كما عرفته وقد استعمله الحريري كذلك ثم ان ما قاله اهل اللغة مخصوص بهذه
الصيغة فان غيرها كثير من غير تقييد كقول العجاج • ازمان ابدت واضحا مفلجا •
وفيه بحث لان هذا الاستعمال مروي في الحديث هكذا وابن ابي هالة راويه من خلص فصحاء العرب
ولا عبرة بقول بعض النحاة ان الحديث لا يستدل به في اثبات العربية • واعلم ان العرب اذا وضعت
كلمة لمعنى فقد تستعملها مطلقة وقد تستلزم تقييدها باضافة مطلقة او معينة كوجه او نحوها
وقد تستلزمه في حالة مخصوصة كاتب واخ اذا اعرب بالحروف وقد تستلزم هيئة مخصوصة
نحو كافة وقاطبة وتعريف الان وقد تستلزم تقييده بشيء كما فيما نحن فيه • ثم ان ههنا شيئا
وهو انه اذا ورد استعمال اللفظ عن العرب على هيئة مخصوصة تمامه ما المانع من استعماله في ذلك
المعنى من غير تغيير لبنيته في موضع كما في ما نحن فيه واذا جاز التجوز فيها ونقلها عن معناها فيما
فهذا بالطريق الاولى خصوصا وقد عضده السماع والفلج ممدوح لانه يطيب رائحة الفم لعدم
بقايا المأكول بينها مع المعاونة على خروج المخارج سهلة فصيحة • ومن الملح فيه قول ابن نباتة
• افدي الذي جبينه وثغره • طرة صبح تحت اذيال الدجا •
• مالي به مع قرب داري ملتقى • فصل رايت ثغره المفلجا •
مدور الوجه في الشمائل لا بالمكلثم وكان في وجهه تدوير وفسر بانه لم يكن شديد تدوير الوجه
بل فيه تدوير مع استطالة قليلة وهو اجمل واحسن وهو المراد هنا • والمكلثم بالمثلثة فسر بالمدور
والسمين والنحيف فهو ضد وفي النهاية انه كان اسيل الوجه وروى البغوي مسنون الوجه اي
فيه طول والروايات يفسر بعضها بعضا وما ورد من انه مدور الوجه كالبدر محمول على الضياء
والحسن فلا منافاة بينهما **واسع الجبين** السعة ضد الضيق والجبين والجبهة هل هما بمعنى او
بينهما فرق اكثر اهل اللغة على الفرق بينهما بان الجبهة موضع السجود المحاذي للناصية من الحاجب
الى قصاص الشعر وجانباها جبينان وقيل انه قد تطلق بمعنى الجبهة والمجموع وانكره
بعضهم وخطأ المتنبي في استعماله بهذا المعنى الا ان ابن عاصم قال في شرح زهير •
• يقبّين بالجبين ومنكبيه • وانصره بمطرد الكعوب •
انه اراد بالجبين الجبهة وسعة الجبين مما يدل على قوة العقل والفهم والحواس وذا لم يكن مفرطا
وسعة الجبهة حسنها ونحوصها او طولها كما قيل والظاهر من العبارة انه اريد بالجبين الجبهة
اذ لم يقل الجبينين بالتثنية **كث اللحية** هذه الصفة في الترمذي والبيهقي عن هند
وعلي وام معبد والكث في اللحية ان تكون كثيفة غير خفيفة يرى منها ما تحتها لكثرة اصولها
مجتمعة ملتفة وليست بطويلة ولا قصيرة الشعر في العرض والطول اشار بقوله **تملأ صدره**
يعني انها طولا وعرضا تملأ صدره فجعلها كانها حالة فيها لان المظروف لا يزيد على ظرفه
ومثله قولهم قد ملأت نحره ونحر الصدر اعلاه او موضع القلادة فمراد المصنف اعلا الصدر
والا لطالت وقد ثبت قصرها وقيل المراد انها علو ما يقابل الصدر بها فاستوت طولا وعرضا
والحاصل ان لحيته معتدلة طولا وعرضا غير خفيفة • واعلم ان اللحا واللحي ما ينبت
عليه الاسنان واللحية ماخوذة منه • فان قلت ورد في الحديث من سعادة المرء
خفة لحيته وهو ينافي كونها كثة قلت المراد عدم طولها لما ورد في مذمته • وقد قيل
اعتبروا عقل الرجل في ثلاث • طول لحيته • ونقش خاتمه • وكنيته • قال الشاعر

• ونقصان عقل الفتى عندنا • بمقدار ما طال من لحيته •
مع انه ورد خفة لحيته بالتثنية وفسر بخفته في حركته للذكر **سوآء البطن والصدر**
وهو بتنوين سواء ورفعه ونصبه واضافته اي مستويهما وهو اشارة الى اعتدال خلقهما وعدم
خروجهما او احدهما عن الاعتدال والبطن مبتدا او سواء خبر مقدم ولا حاجة لتقديره منه ولا الجمل
الى بدلا من الضمير كما قاله التلمساني فان البطن اذا كان بارزا او مضمرا لم يكن من الصفات الحسنة
ولكن لك اذا برز او نظاما وسواء الشيء قد يكون بمعنى وسطه وليس بمراد هنا كما قاله التلمساني
واسع الصدر في المواهب عن ابي هريرة رحب الصدر وفي الترمذي والبيهقي عريض الصدر
وقال البيهقي كان بطنه غير مستفيض فهو مسا ولصدره وصدره عريض مسا ولبطنه والعريض
والواسع بمعنى وقال الصفوي يجوز ان يكون مجازا عن الحلم واحتمال الامور كما يقال في ضده
ضيق الصدر وقال تعالى فلا يكن في صدرك حرج وعدول المصنف الى السعة ليكون اظهر في
احتمال المعاني • اقول هذا غير صحيح هنا لان الكلام في الحلية الحسية وليس هذا فلو قال
كما قال الدلجي ان معناه واسع الصدر حسا ومعنى ليكون كناية كان اولى فتامل **عظيم
المنكبين** مثنى منكب بفتح الميم وكسر الكاف والموحدة وهو مجمع عظم العضد والكتف
اي ضخمهما وروى البيهقي مسندا جليل مشاش المنكبين ومشاشهما بالضم رؤسهما وروى
الواقدي **ضخم العضدين** والمنكبين وفي الشمائل جليل المشاش اي روس العظام كالمرفقين
والركبتين والمنكبين وهو معنى قوله **ضخم العظام عبل العضدين** الضخم الغليظ كما في الصحاح
او العظم الجرم الكثير اللحم وفي حواشي عبد المجيد النبي ضخم العظام غليظها تقول اضخمت اذا
انتصبت قائما والمضطم المنتصب والعظام جمع عظمة وعظيم كما في حرام السقط الصدر الافاضل
وبعض الجهلة توهم ان قولهم الموالي العظام غلط لانه لا يكون الا جمع عظم وروى الترمذي وغيره ضخم
الكراديس قال ابو نعيم هي العظام اي عظيم الالواح وقيل رؤس العظام وقال البغوي الاعضاء والمراد
عظام يحسن عظمها كالجوارح والاطراف وقد ثبت انه كان عظيم الاطراف والجوارح والعظام اساس البدن
لعظمها تقوى وتحسن وتبنى الحواس وعبل بفتح العين وسكون الموحدة تليها لام بمعنى ضخم قوي العضدين
تثنية عضد بفتح العين وضم الضاد المعجمة وتسكن تخفيفا وفيه لغات وهو ما بين المرفق والكتف
ويسمى ساعدا **والذراعين** اي وعبل الذراعين والذراع هو ما بين مفصل الكف والمرفق او من
المرفق الى اطراف الاصابع **والاسافل** جمع اسفل قال التلمساني يريد به رجليه وباقي جسده وقال غيره
المراد بها الفخذان والساقان وذلك كله مما يؤذن بكمال قوته لما في الحديث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا
وفي مسند احمد عن ابي هريرة كان شبح الذراعين بعيد ما بين المنكبين والشبح بفتح الشين المعجمة
وسكون الموحدة والحاء المهملة بمعنى العريض **رحب الكفين والقدمين** اي واسعهما وقال التلمساني
اي كبيرهما وهو محمول على ظاهره من كبر الجوارح له لانه على كمال الخلق بخلاف صغرهما وتاوله
بعضهم في الكفين على انه كناية عن جوده وسماحته قال والحق انه روي بمجموع رحب الكفين
والقدمين فلا مجال لهذا التاويل للجمع بين الحقيقة والمجاز فان ورد رحب الكفين فقط فان كان
في بيان مقام خلقه بالفتح فلا مناسبة له او في مقام بيان خلقه بالضم فله مناسبة وقد ورد
انه كان شثن الكفين والقدمين والشثن بمعنى الغليظ لا الواسع وهو لا ينافي ما مر وفسر
الاصمعي الشثن بالغليظ الخشن وقيل له انه ورد في صفة النبي وقد ورد في البخاري وغيره
ما مسست حريرا ولا ديباجا الين وانعم من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم فآلى على نفسه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان لا يعتبر نبا في الحديث وقيل لين جلده ونعومة ملمسه خلقة وخشونته باعتبار عمله في جهاده
ومهنته وتفسير ابي عبيد الشثن بالغليظ القصير مردود بما صح من انه **سايل الاطراف** واعلم
ان البارزي قال في توثيق عرى الايمان انه روي انه صلى الله عليه وسلم كان خمصان الاخمصين
اي متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا يناله الارض من وسط القدم وروي انه كان مسيح القدمين
اي املسهما ولذا قال ينبو عنهما الماء وفي حديث ابي هريرة ما يخالفه لانه قال فيه اذا وطئ بقدمه
وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق رواية مسيح القدمين قال وسمي عيسى بالمسيح لانه لم يكن له
اخمص في احد الوجوه وقيل بمعنى مسيح لا لحم عليهما وهو يخالف رواية شثن القدمين انتهى وفيه
نظر ففي شرح الشمايل مسيح القدمين املسهما لينهما فليس فيهما تكسر ولا تشقق ويعتبره قوله
ينبو عنهما الماء اي يسيل سريعا لملاستهما فكان غليظ اصابعهما وروى احمد وغيره ان سبابتي
قدميه اطول من غيرها وفي البيهقي كانت خنصر رجله متظاهرة وما اشتهر من اطلاق كانت سبابته
اطول من وسطاها غلط فانه خاص باصابع رجليه انتهى وما قيل ان سعة القدمين لم ترد الا انه
بمعنى العظم المذكور في البخاري فيه نظر سايل الاطراف وفي شمايل الترمذي سايل الاطراف او
شايل الاطراف بالشك من الراوي من انه بالسين المهملة من السيلان بمعنى ممتدها امتدادا معتدلا
بغير افراط ولا تفريط او بالمعجمة من شالت الميزان اذا ارتفع احد كفتيه والمراد منه ما قبله والمراد
بالاطراف الاصابع وروى سابن بالنون المبدلة من اللام كما قاله التلمساني وطول الاصابع مما
تتمدح به العرب وسايل بهمزة مبدلة من اليا كما تقرر في الصرف وقوله في المقتفى انه بالياء اذا راد
انه روي كذلك على خلاف القياس صحيح والا فلا وفسر بالطول من غير تعقد وروي كان اصابعه
قضبان فضة قيل الاوجه في تفسيره التعميم لما روي من انه سبط القصب وفسر بكل عظم ذي مخ
والسبوطة الامتداد قاله ابو نعيم **انور المتجرد** انور بمعنى نير صفة مشبهة لانه من باب الالوان
وعليه اقتصر التلمساني والبغوي والمتجرد بضم الميم وفتح الجيم والراء المشددة والدال المهملة
بمعنى الجسد الذي من شانه ان يجرد عنه الثياب والعرب تقول فلان حسن الجرد والمتجرد
والجردة والعرية والمعري والكل بمعنى وقيل انور افعل تفضيل مضاف لغير المفضل عليه كما ذكره
النحاة اي متجرده انور من متجرد غيره والمتجرد بالضم مصدر ميمي يقال امراة بيضة المتجرد
والمجرد اي عند التجرد والتعري والمحدثون فسروه بما جرد عنه الثياب اي نوع ولبس على
القلب اي ما جردت الثياب عنه وهو اسم موضع التجرد او اسم مفعول على الحذف والايصال
كالمشترك لانه نسيء عن العرب فلا يقال انه غير قياسي واسم المفعول لا يبنى من مثله بغير صلة
كمرغوب به والقول بانه جعل تجرد بمعنى جرد المتعدي كما جعل رحم المتعدي بمعنى رحم اللازم
وبني منه الصفة المشبهة وجعله من الحقايق والدقايق من زخرف القول الذي لا طايل تحته
وتفسيره سائر البدن باعتبار ما عليه واكثره كلام حسن وجمله وهما خرافات واهية **دقيق
المسربة** دقيق بالدال المهملة والقاف والمراد انه ليس بعريض ولا متكاثف الشعر وروي
بالراء المهملة وهما بمعنى • والمسربة بفتح الميم وسكون السين المهملة وضم الراء المهملة وفتحها
والموحدة شعر مستطيل من الصدر للسرة فهو خط من الشعر بينهما قيل من اوايل الصدر الى السرة
والوصف بالرقة للمبالغة والمسربة من السرب وهو دخول الطريق والاسترسال فيها **ربعة القد**
القد بمعنى القامة ورجل ربعة وامراة ربعة بفتح الراء وسكون الباء وفي المصباح حذف الهاء
في المذكر وفتح البا لغة فيهما ورجل مربوع مثله اي معتدل وفي القاموس الربع الرجل القصير والطويل

وثانيته

وثانيته باعتبار النفس والذات وليس في اضافته للوقت تكلف كما توهم وفيه ضمير للنبي صلى الله
عليه وسلم بالتاويل المذكور وروى الترمذي وغيره انه كان اطول من المربوع وفي البيهقي عن انس
فوق الربعة فالمراد بكونه ربعة انه بين الطول الفاحش والقصر ومن نفى الطول اراد الفاحش ولذا قال
ليس بالطويل البائن في الصحيحين عن انس اي لم يكن مفرط الطول فهو من بان بمعنى ظهر لظهور
طوله او بعد لبعده عن قدر الرجال الطوال او لبعده عن الاعتدال او من المفارقة والانقطاع لانفصال
بعضه عن بعض او عن غالب الناس او عن الاعتدال **ولا القصير المتردد** اي المتناهي في القصر
من التردد بمعنى الرجوع او التدخل كان بعضه يدخل في بعض ويرجع اليه وهذه صفة خلقته لذم
الطول المفرط والقصر وللتلمساني هنا كلام في تفسيره لا محصل له **ومع ذلك** اي مع كونه ربعة
معتدلا **فلم يكن يماشيه احد** من الناس اي يمشي معه ويجنبه بحيث يعرف مقدار القدود وقيل
الاولى عدم الغاء الا ان يقال هذه بيان الحالة السابقة يعني لانه خلقة وهذه عارضة فتدبر
ينسب الى الطول الا طاله المراد بنسبته له اتصافه به وكونه معروفا به مشهورا كما يعرف
المرء بالنسبة فيقال القرشي ونحوه فهو استعارة وطاله اي غلبه في الطول وزاد عليه فهو من
باب المغالبة المعروف فلذا تعدى مع لزومه اولا واصله طال عليه على الحذف والايصال وروى
البيهقي وغيره زيادة ربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه عاد ربعة وفي
المواهب عن ابن سبع واذا جلس كان كتفه اعلى من الجالسين وهل هذا مخصوص لرائيه لذلك او تحقيقي
يرجع عنده فيه تردد ولم يخلق اطول من غيره لخروجه عن الاعتدال الاكمل المحمود ولكن جعل الله هذا
له في راي العين معجزة خصه الله بها لئلا يرى تفوق احد عليه بحسب الصورة وليظهر من بين
اصحابه تعظيما له بما لم يسمح لغيره فاذا فارق تلك الحالة زال المحدود وعلم التعظيم فظهر كماله
الخلقي **رجل الشعر** يقال شعر رجل بفتح الراء وكسر الجيم وفتحها وهو ما فيه تثن قليل وما لا تثني
فيه فهو سبط والاول احسن وامدح وروي شعره بين شعرين لا رجل ولا سبط وفي مثله مبالغة
في قلة التثني وفيه كلام بسطناه في الشرح وفي الصحيحين لا بالجعد القطط بفتح الطاء وكسرها
الشديد الجعودة والسبط بكسر الباء وسكونها وهو المسترسل بغير تكسر فشعره بين هاتين الصفتين لا
تجعيد فيه كثير **اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق** هذا رواه البيهقي مسندا
ومعنى افتر كشف عن اسنانه متبسما وضاحكا ويفتر يضحك ضحكا حسنا بمعناه وفي النهاية
تبسم حتى تبدو اسنانه من غير قهقهة وهو افتعال من فررت الدابة اذا كشفت شفتها ليعرف
مقدار سنها ومنه اجل السن بمعنى العمر وفي حواشي عبد الحميد ومنه فرة الحراله يعني
بكسر القاف وتشديد الراء وتبعه بعض الشراح ومن قال انه وهم لم يفهم مراده والسنا مقصور
ورواية مد لا اصل لها فانه الممدود بمعنى الشرف كما قال ابن عباد القرشي

ايها الصاحب الذي فارقت • عيني ونفسي منه السنا والسناء

اي اذا كشف عن اسنانه في حال ضحكه ظهر من فمه وبياض اسنانه لمعان كلمعان البرق وانما
خص التشبيه بحال التبسم والسرور وشبه ذلك بالبرق دون ما هو اضوا منه كالشمس
والبدر اشارة الى انه لا يديم ضحكه وانفتاح فمه لان كثرة الضحك غير محمودة ولم يكن ذلك
من دابه ولان تبسمه لمخاطبه يعقبه نفع وخير من عطاياه وكلامه ورضاه كما يعقب البرق المطر
والرحمة العامة وما قيل ان لا لاظهر انه اذا استمر بدا لا فيظهر تارة ويخفى اخرى فالمناسب
البرق ويؤيده رواية مثل سنا البرق اذا تلالا لا مخيلة برق خلت وهذا تشبيه لنور ثغره وقوله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وعن مثل حب الغمام في بياضه ونقائه وصفائه حب الغمام هو البرد بفتح الراء وتسكينها قال المصنف ويروى تسكينها والاول اصح وقيل حب الغمام حبابه المائية به على اسنانه من قليل الريق وبلته وهو الظلم بالفتح الذي تسميه العرب اشنبا كما قال ابن الوكيل

• يا بارقا قد حكاه في تبسمه • لقد حكيت ولكن فاتك الشنب •

والاصح الاول لرواية البيهقي عن هند عن مثل البرد المتحدر عن متون الغمام قال الشيد شبه ما يظهر من اسنانه في التبسم بذلك في البياض والصفا واللمعان والاعتدال وفي النهاية وفي البرد وهو بعيد ومن قال حبه قطرة الغمام شبهها بما يطفو على الثنايا من الريق فقد وهم لان الثنايا ليس عليها عادة الابلل فلو اجتمع لم يحسن قيل وما احسن عدوله عن تشبيهه بالحباب حب السحاب لتنزهه عن تشبيهه بامر محرم وقيل عليه ما احقه صلى الله عليه وسلم بقول البحتري

• كانما تبسم عن لولو • منضد او برد او اقاح •

وقول الحريري

• نفسي الفداء لثغر راق مبسمه • وزانه شنب ناهيك من شنب •

• يفتر عن لولو رطب وعن برد • وعن اقاح وعن طلع وعن حبب •

وليس الحبب حبابا لماء ونفاخاته ولا حباب الخمر بل نضرة الاسنان كما قاله الجوهري فلا ميل في التشبيه لما قاله وهو وهم منه فان الحبب والحباب بالمعنى المذكور مما لا شبهة فيه وما قاله الجوهري لا يصح هنا لما فيه من تشبيه الشيء بنفسه فهو كما قيل

• اقام يعمل اياما قريحته • وشبه الماء بعد الجهد بالماء •

اذا تكلم يرى كالنور يخرج من ثناياه وقع عندنا يرى مضارع له اي المجهول والذي صححه التلمساني وغيره رواية ريء براء مكسورة تليها يا ساكنة تليها همزة بوزن قيل وفي رواية رئي بضم الراء وهمزة مكسورة تليها ياء مجهول راى والكل صحيح رواية ودراية وهذا رواه الترمذي في شمائله والدارمي والبيهقي عن ابن عباس والثنايا جمع ثنية وهي ربع اسنان اثنان فوقانية واثنان في مقابلتها والمراد وصف ثناياه لشدة البياض والبريق والصفا واول الحديث كان افلج اذا تكلم الخ وروى ابن كثير رئي النور من ثنيته وهي الاظهر ولذا قيل الكاف زائدة ويحتمل انها اسم بمعنى مثل وهي والجار والمجرور نائب الفاعل وهو صفة لمقدر اي تلالوا او شيئا وضمير يخرج للنور وقيل انه للكلام المفهوم مما قبله اي يخرج كلام شبيه بالنور في ظهوره **احسن الناس عنقا** رواه البيهقي مسندا وفيه احسن عباد الله عنقا وفي رواية من احسن الناس والمراد احسن جميع الناس والناس الموجودين ولا تكلف فيه كما توهم وحسنه باعتداله وبياضه وصفا لونه ويستحسن في العنق القلع وهو اشرافه وانتصابه والتطع وهو طوله قال الحجابي وترجاه هذا في وصفه صلى الله عليه وسلم قال وطول العنق مما يستحسن ما لم يفرط فاذا افرط فهو مذموم وقد هجر واصل بطول عنقه ولقب لقابه • واعلم ان السهيلي قال في الروض الانف العنق والجيد بمعنى الا ان الجيد يستعمل في المدح والعنق بخلافه فيقال صفعت عنقه لا جيده ولما ورد عليه قوله تعالى في جيدها حبل من مسد قال انه تهكم وتمليح بجعل الحبل كالعقد لها وفيه نظر لان استعماله بخلافه كثير كما هنا وكقوله • وفي عنق الحسنا يستحسن العقد • **ليس بمطهم ولا مكلثم** المطهم كما في القاموس كمعظم السمين الفاحش والنحيف الجسم الرقيقه ضد والمنتفخ الوجه والجهمه مدوره قليل لحم الوجه ومكلثم اسم مفعول من الكلثمة وهذه الصفة مروية عن علي في سنن الترمذي والبيهقي باسناد غير متصل وسياتي وعن عائشة وله معان منها ما تقدم ومنها كما في الترمذي بادن

كثير

كثير اللحم والجاوز لونه السمرة الى السواد ويصح ارادة كل منها غير الندو بن اذا فسر به الكلثم لئلا يتكرر واعادة لا مع العاطف تنفي كونه تاكيدا واما معناه المذكور في القاموس وهو البارع في الجمال فلا يصح هنا كنفيه وقد ثبت انه وسائر اعضائه في غاية الكمال والجمال ومكلثم اسم مفعول مروي عن علي وعائشة مسندا وفسر بمدور الوجه مطلقا ومع كثرة اللحم والنائي الوجنة وقيل هو قصير الذقن وفي النهاية انه القصير الحنك الداني الجبهة المستدير مع خفة اللحم لانه كان اسيل لا مستديره ولا ينافي هذا ما مر عن علي من وصفه بانه مدور الوجه لان المنفي الاستدارة المفرطة المذمومة والمثبت خلافه كما صرحوا به الا ان في شرح السنة ان الكلثمة لا تكون الا مع كثرة اللحم وكذا في الصحاح والمراد غير المفرطة ايضا فهو من الاضداد ووالصفتان للنبي صلى الله عليه وسلم لا للعنق كما توهم وهو غلط فاحش هنا **متماسك البدن** وهذا مروي في حديث هند كان بادنا متماسكا اي معتدل الخلق كان اعضاءه يمسك بعضها بعضا لقوتها وعدم استرخائها وقال الغزالي الجمهه متماسك على خلقه الاول لم يضره السن الذي من شانه ان يسترخي اللحم فيه بخلاف الشاب **ضرب اللحم** ضرب بفتح الضاد المعجمة وسكون الراء المهملة والموحدة بزنة المصدر اي قليل لحم البدن خفيفه لا الى حد الهزال وهو يتمدح به كما قال طرفة

• ان الرجل الضرب الذي تعرفونه • خشاش كراس الحية المتوقد •

وهذا معنى قولهم لحمه بين اللحمين لا ناحل ولا مطهم وذكر اللحم مع قول اهل اللغة الضرب الرجل الخفيف اللحم لبيان معناه لانه مشترك او للتجريد وهذه الصفة في حديث ام معبد وفي حديث رواه البيهقي وهي لا تنافي ما ورد في حديث آخر من انه كان بادنا اي جسيما او كثير اللحم لان القلة والكثرة والخفة ومقابلها امور نسبية فحيث اثبتت اريد بها مرتبة معتدلة وحيث نفيت اريد الافراط او ان هذا كان في اول عمره وكونه بادنا في آخره لما في الصحيح انه لما كبر سنه كثر لحمه ولا خفا انه لم يكن نحيفا قط ولا سمينا قط وقال التلمساني يعني كونه بادنا كثير لحم البدن ولكنه بكونه متماسكا يقوي بعضه بعضا ويشده خفيف بهذه النسبة **قال البراء بن عازب رضي الله عنه** تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه الترمذي وصححه ورواه بتقديم احسن الآتي **ما رايت من ذي لمة في حلة حمرا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم** من زائدة او مبينة لمقدر اي من احد اي اللمة بكسر اللام وتشديد الميم ما طال من شعر الراس في احد جانبيه قال التلمساني قيل هي الوفرة وقيل فوقها وقيل اذا الم بالشعر بالمنكب فهو لمة وقيل اذا جاوز شحمة الاذن وقيل دون الجمة وقيل فوقها والجمة ما بلغ المنكبين انتهى • وقد اختلف في الفرق بين هذه الثلاثة اللمة والجمة بالضم والوفرة بالفتح فقيل اللمة ما جاوز من شعره شحمة الاذن وسميت بها لالمامها به قريبا كما في المصباح لا لبلوغ اولها وسقوطها ووقوعها متصلة بها منبسطا بعضها عليه قليلا وقيل يجاوزه لما ورد في الحديث شعره يضرب منكبيه وفيه نظر وفي القاموس الوفرة ما سال على الاذن وجاوز الشحمة ثم الجمة ثم اللمة ووافقه الجوهري تارة وتارة قال اللمة ما جاوز الشحمة فاذا بلغ المنكب فهو جمة فتوهم فيه التسهو والتناقض وهو محمول على ما في شرح السنة وقيل يتعين حمل كلامهم على ان ما في الجمة لغتين اي معنيين ما سقط على المنكب وما لم يبلغه لما مر فاقتصر بعضهم على احدهما والآخر على الآخر وذكرهما الجوهري وفي الشمائل جمته تضرب شحمة اذنيه فهي ثابتة من غير تناقض ومنهم من اول الحديث بانه جمة قيل وربما وصل لما ذكر بعده وهو بعيد بل غير سديد • اقول الجمة بمعنى الكثيرة الشعر ومنه الجم الغفير • والوفرة من الوفور وهو

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الكثرة والملمة من الالمام وهو القرب او النزول ولا يخفى ان الكثرة والقرب ونحوه امور نسبية
تتفاوت بحسب ما نسبت اليه فلا تعارض بين معانيها بحسب الاصل والاشتقاق فلكل منها معنى
يجوز استعماله في المعاني المذكورة بحسب القرائن فالملمة ما يلم بالاذن او يسمتها او بالمنكب
بان يقرب منه او ينزل عليه والكثرة اما في نفسها او بالنسبة بالملمة فاذا لوحظ كل من هذه صحت
المعاني فتدبر • والحلة بضم الحاء المهملة وتشديد اللام كما في القاموس ازار ورداء برد او غيره ولا
يكون حلة الا من ثوبين او ثوب له بطانة انتهى فلا يكون ثوبا واحدا ولا ثوبا له بطانة كما قاله الخليل
والثوب لا يختص بالمخيط بل يعمه وغيره وفي النهاية انها من برود اليمن ولا يكون الا ثوبين من جنس
واحد وتاؤها للوحدة الصورية كما يقال جنس واحد او للاسمية وقال التحاني في الحديث دليل على ان
الحلة قد تكون ثوبا واحدا يمشي لبناء الوحدة ووصفها بحمرا واللغويون مطبقون على انها لا تطلق الا
على ثوبين والحديث صحيح متفق على تخريجه ووهم المصنف في مشارقه انها سميت بذلك لحلولها على الجسم
او على ثوب تحتها وهو باطل لاقتضائه ان كل ملبوس يسمى حلة من اي نوع كان اقول هذا من منه غير
صحيح اما اشتراط كونها ثوبين واتفاق اهل اللغة فقد نقلنا لك عن صاحب القاموس وعن الخليل
ما يخالفه فاي اتفاق يصح بعد هذا واما اعتراضه على المصنف في وجه التسمية فليس بشيء لان وجه
التسمية مناسبة لحظها الواضع لا يلزم اضطرادها ولا انعكاسها فهو غفلة منه ثم ان الامام الشافعي
ومن وافقه استدل بهذا الحديث على جواز لبس الاحمر ولو كان قانيا كالمعصفر والمزعفر ومن ذهب
الى كراهته كراهة تحريم • اجاب بان المراد انه كان فيه خطوط حمر ولبس احمر خالصا وبانه
منسوخ قال محمد في شرح السير الكبير لبس الاحمر مكروه وفي حديث ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اياكم والحمرة فانها زي الشياطين وما روي من حديث البراء ابن عازب ما رايت ذا لمة في حلة حمرا
كان في الابتداء ثم كره استعماله للرجال بعد ذلك انتهى او هو من خصائصه وضرب عمر من لبس حلة
معصفرة وقال دعوا هذه الثياب للنساء او الكراهة تنزيهية وفعله للجواز وسئل القاسم بن قطلوبغا
عن لبس الاحمر الذي فيه النزاع وهو الاحمر الصرف هل هو مكروه ام لا فاجاب بانه مكروه كراهة
تحريم للاحاديث الواردة في النهي عنه ثم اورد كلام محمد في السير وانه كرهه بعد ذلك لما في حديث
ابن عمر نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المعصفر وانما لبسه الشعبي فرارا من القضاء لما
كلفوه مرارا فلبس المعصفر ولعب بالشطرنج وخرج مع الصبيان لينظر الفيل فتركوه ولذا اورد
ما يقتضي الاباحة وما يقتضي التحريم فالثاني ناسخ نسخا اجتهاديا كما يشير اليه كلام السير
وما ذكر عن الشعبي جواب عما يقال لو كان النسخ مشهورا لما لبسه الشعبي وقال بعض المتاخرين
حديث البراء ليس من محل النزاع لان الحلة برود اليمن المخططة انتهى وفيما قاله الشيخ نظر لان النهي
عن المعصفر العمل الذي شاع في عهد النبوة لبس النساء له لا يستلزم النهي عن الاحمر المنسوج لذلك •
وفرار الشعبي عن القضا لا يبيح له الحرام فقوله حلة حمرا في حديث البراء ابى كونها مخططة فالحق
ان الكراهة تنزيهية ولذا قال النووي في شرح المهذب لبس الاحمر جايز بالاجماع وان قال
بعض اصحابنا من المالكية بجوازه ومراده الاجماع المذهبي وما ذكره من النسخ بالاجتهاد محل بحث
فليحرر **وقال ابو هريرة** تقدم الكلام فيه وانه غير منصرف **ما رايت شيا احسن من رسول**
الله هذا ابلغ من الحديث الذي قبله لانه جعله في لباس مخصوص وخصه لانه يظهر فيه النور والحسن
اكثر من غيره • وقال في هذا ما رايت شيا من الناس او غيرهم مطلقا **كان الشمس تجري في وجهه**
كان بالتشديد في الرواية هنا وان جاز تخفيفها وهي اداة تشبيه وترد للظن والتشكيك وهو

جمعي

مبني على التشبيه والشمس منصوب اسمها وجملة تجري خبرها وجريان الشمس حركتها الفلكية ومنه
الشمس حركتها كما قال عز وجل والشمس تجري لمستقر لها قيل شبه لمعان وجهه تارة بالشمس وتارة
بجريان الشمس لا ان المنتقل لمعانه فالمناسب ان يقال كان نور الشمس او يراد بالشمس نورها فالاوجه
انه شبهه بنورها وجريانه لكنه لما كان بتبعيتها حكم بانها تجري وهو دقيق بليغ او شبه محل اللمعان
بنوصها وتغيرها تارة وتارة بجريان القرص وفيه بعد وقال الطيبي يجوز تعلق الخبر بمستقر فهو من باب
التشبيه وجعل الوجه مقر الشمس فكانه جعل تجري حالا او كان للظن او الادعا او فعلا ناقصا وهو
بعيد انتهى وقيل المعنى ان الشمس الجارية في فلكها شبيهة بما يجري في وجهه من عرق ونحوه فهي
وجهه ما هو شبيه بالشمس ولذلك التشبيه ما هو شبيه بذلك الجريان من التلالؤ والانبساط
ففيها مشبه ومشبه به وصفة هي للمشبه ظاهرا وللمشبه به حقيقة على اسلوب كاني قابل اي انا
كالرجل القابل فحول اسناد الجريان وفيه مشبهان مطويان على سنن الاستعارة وهما ما في وجهه
من الشبيه بالشمس والشبيه بالجريان كما في قوله تعـ وما يستوي البحران هذا عذب فرات سايغ شرابه
على ما فصل في شرح المفتاح اقول هذا كله تكلف وتعسف بلا طايل وبيانه ان مراده المبالغة في
وصف وجهه بالنور كما اشار اليه بقوله **واذا ضحك تلالا في الجدر** فشبه وجهه الشريف
بالشمس في الاشراق والنور ثم عكس التشبيه ليكون ابلغ فقال كان الشمس وجهه ثم زاد في المبالغة
على طريق التجريد فانتزع منه شمسا جعلها في وجهه كقولهم فيها دار الخلد والفخر تجري على انه
حال فاصلة كان وجه الشمس ثم كان الشمس وجهه وانما قيدها بكونها جارية اما لان المراد ظاهرة
سايرة على وجه الارض ولان تلالؤ النور في وجهه كتحركها وهو اقوى في التشبيه وهذا هو
الذي عناه واما حاصل التشبيه فمراده به تشبيه وجهه بالشمس لان منطوقه تشبيه الاستقرار
والجريان لما عرفته لكنه تسامح في العبارة واما ما سنح له الشراح فلا وجه له ومن الغريب هنا
قول التلمساني ان معنى تجري في وجهه تتوهج كتوهج الشمس واشار الى ظهور الاثر اذا كرهه او
اصابه كرب في وجهه كظهور ذلك في الشمس من سحاب او غيره ومنه قوله في الحديث فرايت لوجهه
صلى الله عليه وسلم ظللا وهي جمع ظلة انتهى والتلالؤ اللمعان والاضاءة وجدر بضمتين جمع
جدار وهو الحايط والناس تستعمله بمعنى الاساس واما الجدر بفتح فسكون فهو الحاجز الذي يحبس
الما كما في حديث الزبير اسق حتى يبلغ الكعب الجدر وليس مفرده كما توهم وهذا رواه احمد والترمذي
وابن حبان والحمل على ظاهره من غير حاجة الى حمل التعدد باعتبار الاوقات اي نور وجهه يشرق
اشراقا يصل الى الجدر زاد المقابلة كما يكون ذلك من الشمس والقمر وقيل انه من نور يخرج
من بين ثناياه وفيه ادا اسر وتبسم وروى ابن كثير عن ابي هريرة يكاد يتلالا في الجدر
فتفاوته بحسب الاوقات او بحسب خفة ضحكه وشدته او ما هنا محمول على المبالغة التي على
تقدير تكاد **وقال جابر بن سمرة** الذي مر ذكره وهذا مما رواه الشيخان عنه **وقال له رجل**
جملة حالية بتقدير قد او معطوفة على ما قبلها وفي الشمايل سال رجل البراء ابن عازب **كان**
وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف بتقدير الاستفهام كما ورد مصرحا به في الشمايل ونحوه
عدم التقدير هنا والظاهر الاول وتشبيهه في البريق واللمعان لا مطلقا ولا في الطول
كما توهم وروى البيهقي كان وجهه حديدا كالسيف ولا يظهر وصفه بالحدة وان اريد جدته
نفاذ امره وامضاؤه في الدين وقصد الخبر كما في النهاية فلا وجه لتخصيصه بالوجه وكذا
التعميم ولذا رده جابر **فقال لا** قيل قال تاكيدا لقال الاول وعطفه لجواز عطف المؤكد على المؤكد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالفاء وثم كما قال الله تعالى كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون وان كان اهل المعاني له غريبا او هو لتفصيل
ما قبلها وانه لم يقصد الجواب ووقع في مسلم بدون عاطف ورده بلا اما لايهامه الطول ومخالفته
في اللون اولان لمعانه اقوى والمشبه ينقص عن المشبه به كما قال الدهر •
ظلمناك في تشبيه صدغيك بالمسك • فمن عادة التشبيه نقصان ما يحكى •
بل مثل الشمس والقمر شبهه بشيئين والمشبه به قد يتعدد فيعطف باو • كقول البحتري
كانما يبسم عن لؤلؤ • منضد او برد او اقاح •
وبالواو كقول الحريري •
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد • وعن اقاح وعن طلع وعن حبب •
فلا وجه لقول السيد اللايق ان يقول الشمس او القمر او الواو بمعنى بل والشمس تمنع استيفاء النظر
من رؤيتها فاللايق القمر وما في الوفا من انه لم يتم مع الشمس قط الا غلب ضوءه ضوءها الا ينافي
التشبيه بها لانها اعرف واشهر وقال التلمساني انه اضرب عن تشبيهه بالسيف لعدم مناسبته
وانما يشبه به نفس الانسان في انفاذ امره وشدته كما قال •
وكالسيف ان لاينته لان متنه • وحداه ان خاشنته خشنان •
قال ويقال لا بل ولا بل وقابل انتهى وهو غريب وفي شرح الشمايل لابن حجر الشمس يشبه بها غالبا
في الاشراق والضيا والرفعة والقمر يشبه به في الملاحة والحسن فبين جمع وجهه للمعنيين
مع نوع استدارة وطول وفي حديث كعب ابن مالك كان اذا سر استنار وجهه كانه قطعة قمر
وفي رواية فلقة قمر وفي رواية للطبراني النعت الشاكان وجهه سعة القمر وانما اراد والتشبيه
بعض وجهه لان السرور كان يبدو في جبهته فشبه بعضه ببعضه وبهذا اندفع ما قيل ان
وجهه الاحتراز عما في القمر من السواد فشبهه ببعضه الخالي منه **وكان وجهه مستديرا** فيه
استدارة ما وهذا مؤكد للتشبيه لا لعدم المشابهة التامة اي هو احسن منه واضواء لاستدارة
دونه وهذا لا وجه له لان استدارته وكريته كساير الاجرام العلوية مبرهن عليه في الهيئة
وقيل التشبيه بالبدر انما يتبادر منه الضوء والملاحة فبين الاستدارة ليكون التشبيه فيها
ايضا **وقالت ام معبد** وهي عاتكة بنت خالد الصحابية التي كانت نازلة بخبا في طريق
المدينة وقد نزل عليها النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته لما خرج من غار ثور وقصتها مشهورة
مروية من طرق عديدة بعضها وبصحيحها وكان زوجها غايبا فلما اتاها اخبرته به فاستوصفها
اياه فقالت رايت رجلا ظاهر الوضاءة ابلج الوجه حسن الخلق لم تعبه نحلة • ولم تزر به
صعلة • وسيم قسيم • في عينيه دعج • وفي اشفاره عطف • وفي صوته صهل • وفي عنقه سطع
وفي لحيته كثاثة • ان صمت فعليه الوقار • وان تكلم سماه وعلاه البهاء • اجمل الناس
وابهاه من بعيد • واحلاه واحسنه من قريب • الى آخر ما قالته في نعته من كلام بليغ مشروح
في السير منه **في بعض ما وصفته به** اي في بعض كلام وصفته به والمراد بعض اشارة
الى انه كلام طويل مشتمل على وصفه وغيره من قصة الشاة وغيرها وما نقله المصنف بعض الصفة لا
كلها واضافة بعض لامية من اضافة البعض للجزء لا بيانية كما توهم اقول تفصيله كما في شرح
الكتاب لابن غالب تلميذ الشلوبين ان النحاة اختلفوا في اضافة بعض القوم فقال ابن خروف لا يمتنع
بعض من القوم وجزء من الشيء فهي على معنى من ولا يكون ذلك في كل فقد يكون للشيء حكم لا يكون
لمقابله ويجوز في بعض المال بعض المال ويراد به اما الباقي منه فيتصف هذا بانه بعض له كان

مضافا له والاضافة تتحقق بادنى مناسبة وقد يراد به بعض للكل المحقق وقال السهيلي
البعض في مقابلة الكل واضافة الكل على معنى اللام فيجب في بعض مقابلها ولا يضافا الاضافة
على معنى من انما تكون فيما يكون جنسا للاول يصدق عليه كخاتم حديد وليس بعض الدرهم درهما
ولا بعض زيد زيدا وهذا فيه تفصيل وهو انك اذا اضفت البعض الى الجنس كبعض الحديد
وبعض الطعام واذا اضفته لذي صورة كدرهم كان له حكمه انتهى **اجمل الناس من
بعيد** الظاهر انه صفة رجلا في قوله رايت رجلا كما سمعته آنفا ويجوز رفعه على القطع
والمدح والجار والمجرور حال من ضمير اجمل اي مشاهدا من بعيد والجمال والبهاء الحسن والكرى
في الرواية السابقة اجمل الناس وابهاه فالمصنف اما انه اسقط منه لكونهما بمعنى او ظفر
برواية فيه هكذا وكون الاطناب في المدح محمود سهل والناس اسم جمع او جمع نادر واصله اناس
كما فصله شراح الكشاف وجعل الجمال من بعيد لانه يحقق الناظر النظر فيه لمهابته بحيث لا
يطيل النظر له من قرب منه الا من يكون صغير السن كابن ابي هالة او من محارمه او من الاعراب
الجفاة فاذا فعل ذلك ادرك فوق الجمال مرتبة اخرى كما قال •
يزيدك وجهه حسنا • اذا ما زدته نظرا •
والى ذلك اشار بقوله **واحلاه واحسنه من قريب** وفي نسخة واحسنهم والعرب تفرد الضمير
في مثل هذا حملا على الجنس كانه قال واحسن هذا الجنس وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم خير نساء
ركبن الابل صالح نساء قريش احناه على ولد الحديث اي احنى هذا الجنس لان الناس والنساء من
اسماء الاجناس وفي النهاية انما وحد الضمير هنا ذهابا الى المعنى وان التقدير احنى من وجد
او من هناك كذا قرره بعض الشراح اقول تحقيق هذه المسالة ان العرب تقول احسن الفتيان
واجمله بافراد الضمير بمعنى احسن فتى وفي التسهيل انه ليس واحد مسدهم ومثله وان لكم في
الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه ان الانعام يسد مسد النعم قاله ابن مالك في شرح التسهيل
وقال ابو حيان مذهب الفارسي ان افراد الضمير لانهم يقولون تارة هو احسن فتى فيفرد دون
وتارة احسن الفتيان فيجمعون فتوهموا ذلك في حالة الجمع فافردوه والذي يدل عليه كلام
سيبويه انه افرد كما افرد في ضربني وضربت قومك على معنى من ذكر وهو الصحيح ويدل عليه
الحديث السابق فلو كان ما يقوله الفارسي قال احناها وقد يعود الضمير على الاثنين والاناث
مع افعل مفردا كقوله • ومية احسن الثقلين جيدا • وسالفة واحسنه قذالا •
وقوله • ركبت عيرا بجدح حملا • شربوا منها واغواه لها •
وضمير الاناث السابق ويكون ذلك دون افعل قليلا وفيه كلام حققناه في غير هذا المحل قال
التلمساني وهو معنى عند ابن مالك وسماع عند سيبويه وافرانه لا لارادة ما مر لا لانه اسم جنس
كما توهم واحلى من قولهم حلى بعينه وقلبه اذا اعجبه واستحسنه فعطف احسنه عطف تفسير والحاصل
ان الصورة الاجمالية المشاهدة اجمل من غيرها وكذلك التفصيلية المشاهدة من قريب وكثيرا ما يتفاوت
البعد والقرب اذا دقق النظر **وفي حديث ابن ابي هالة** الآتي ونقدمت ترجمته **يتلالا**
يضيء ويشرق **وجهه تلالؤ القمر** منصوب على المصدرية اي مثل تلالؤه **ليلة البدر** اي
عند تمامه وتمامه هو اتم نوره ما يكون واحسنه وقالوا يسمى ليلة طلوعه والثانية والثالثة
هلالا ثم يسمى قمرا الى ثلاثة عشر ثم يسمى ليلة ثلاثة عشر فيسمى ليلة السوا ثم التي تليها ليلة
البدر لانه اذا برزت الشمس للغروب بادرها بالطلوع وقابلها وقيل من البدرة وهي الف دينار لتمام

مضافا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عدده ثم يسمي ليلة النصف قمرا ويسمي ثم بدرا تاما وقال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه كما رواه
الترمذي والبيهقي عن محمد بن الحنفية في حديث مرسل ضعيف في آخر وصفه له صلى الله عليه
وسلم اي في حديث طويل في صفته وحليته آخر ما نقله المص عنه وليس المراد انه آخر مجلس
وغيره ما تحلل بعضهم من رآه بديهة اي فجاءة وبغتة قبل مخالطته ومعرفة حاله وخلقه
ويقال لكل ما يفعل عجلة من غير تامل بديهة كما قاله الغزي ان الطعام بداية الفرسان
وفي كتاب بدايع البداية البديهة مشتق من بدهه بمعنى بداه كما يقال مدح ومده واصله
في الكلام وغلب في الشعر من غير روية وتفكر والارتجال اسرع من البديهة هابه اي خافه
وقد يتعدى من يقوم بين يديه وفي النهاية هابه عظمه ووقره فالمعنى ان من رآه ابتداء
وقره ولو كان من اعدائه واذا اتبين كماله وحلمه احبه ومن احبه عظمه فالتوقير لازم له
في كل حال والمحبة تعقب الخالطة ومن خالطه اي مازجه وصاحبه وبلي منه معرفته فلذا
قال معرفة وهو حال اي ذا معرفة او مفعول مطلق اي مخالطة معرفة اولاجل المعرفة لا
لاجل النفاق والعداوة والانتقاد لما يراه من لين جانبه وحلمه وكرمه وشفقته على جميع عباد
الله احبه لظهور محاسنه التي توجب محبته ولان الله سخر القلوب لمحبته واذا احب الله
بعض عباده القى عليه محبة للناس ولا يحتاج الى ان يقال انه ربما كان يبصر منه معجزة كما
روي انه وضع يده على صدر رجل فارقها حتى صار احب الناس عليه بعد ما كان ابغضهم عنده
وفي رواية من خالطه فعرفه وهي قريبة من رواية المص بلا تعنت يقول ناعته لم ار
قبله ولا بعده مثله كلام مستانف فصله لاستقلاله وناعته واصفه اي كل من يريد وصفه
ومن من شانه نعت ما يراه والنعت يغلب في الوصف الحسن وقال الطيبي اي ناعته يقول
عند العجز عن وصفه ولا تكلف فيه كما توهم والرؤية بصرية او علمية والمثل المساوي
والمشابه ونفي المماثلة المطلقة مبالغة والمراد مثله في حسنه وكماله ونفي المثل يقتضي
نفي من يفوقه بالطريق الاولى ولان كل فايق مثل وزيادة فيلزم من نفيه نفيه كما يراد بنفي
الافضلية اثبات الافضلية كما مر وقوله كل من شانه النعت هذا يقتضي انه لا مثل له
حقيقة والا لم يكن من شان من رآه نعته بذلك كما لا يخفى والاحاديث الواردة في
بسط صفته فالجار والمجرور صفة بلا تكلف تقدير الكاينة او كاينة على انه حال
من المبتدا او من فاعل الخبر وفي الظرفية كلام مر والبسط التطويل مشهورة شهرة لغوية
لو عرفية او اصطلاحية ومما اشتهر تغني شهرته عن ذكره فلذا قال فلا نطول الكتاب
والكلام بسردها سرد الشيء تعداده متواليا متتابعا متصلا من سرد الدرع نسج حلقه
وقد اختصرنا اي اوردنا مختصرا غير مطول في وصفه صلى الله عليه وسلم نكت ما جاء
فيها اي في تلك الاحاديث والنكت اللطايف والدقايق الخفية من النكت في الارض كما مر
او المعاني اللطيفة التي تتاثر منها النفس لحسنها وجملة بضم فسكون اي مقدارا مجموعا مما
فيه الكفاية من بيانية اي جملة هي الكفاية اي الكافية او تبعيضية اي جملة هي بعض
الكافي وقيل المراد من جملة امور يكفي كل منها لا انها جزء الكافي لانه مع ما فيه ينافيه التقييد
بالمشية فتدبر في القصد الى المطلوب من وصفه صلى الله عليه وسلم متعلق بالكفاية
والقصد الوصول الى ما طلبه في هذا المقام من بيان كماله وجماله وحسن جملته وتفصيله
من قصد السهم اصاب مرماه او المراد به الاتيان يقال قصد له واليه اذا اتى له او المراد

الاعتدال

الاعتدال والتوسط بين الاختصار والتطويل فيما يفضي الى الغرض المطلوب ان شا الله تعالى
وقع في بعض النسخ هنا وليس في اصلنا وهو للتبرك والتيمن او تعليق للقصد والكفاية وقد
ختمنا هذه الفصول جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز ان تكون حالا ولا حاجة لجعل الماضي
بمعنى المضارع استعارة لتحقق وقوعه بابرازه في صورة الحاصل تفاؤلا او اظهارا للرغبة فيه او
حصل بعينه باعتبار قربه او كونه في المسودة لما فيه من المقارنة العرفية فتدبر والمراد بالفصول
فصول هذا الباب بحديث جامع لذلك اي لصفات حليته المنتشرة في الاحاديث لشتمل على اكثر انواعها
واصنافها فان فات شيء من افرادها فلا تكلف في الجامعية كما توهم وهذا الحديث وان لم يكن آخرها
بحسب الظاهر لا يضر لان ما بعده كالتتمة والخاتمة للمقصود منه وهذه زهرة لا تحتمل الفرك نقف
عليه هنالك وروي هناك وهما للمكان وقد يكونان في آخر الباب وفي زمان الوصول اليه والاول
للبعيد والثاني للمتوسط والبعد والتوسط بالاضافة لامر آخر دائر على الاعتبار فلا منافاة بينهما ان شاء
الله تعالى مند الوقوف لتوقفه على المشية وقول المص قبل هذا وقال علي ونحوه تعليق وهو حذف
اول السند وقد يسمى مثله معضلا فاذا اعتقد حامله صحته فلا كلام فيه والا فينبغي ايراده بصيغة
التمريض والكلام على هذا مفصل في كتب ابن الصلاح وغيرها

فصل

هو رابع الفصول السابق ذكرها واما نظافة جسمه عطف على قوله اما الصورة الخ في الفصل
الذي قبله اي نقاوته من نظف بالضم ضد قذر وطيب ريحه المراد بالريح هنا الرايحة التي
تدرك بالشم وروي رايحته وهما بمعنى وعرقه بفتحتين وهو ما يترشح من البدن وقد يستعار لغيره
كما الورد المستقطر منه ونزاهته عن الاقذار اي بعده وخلوه منها وتنزهه عنها والضماير للجسم
او لصاحبه المعلوم التزاما والاقذار جمع قذر والقذر والقذارة ضد النظافة وهو موكد لما قبله
وكالتفسير له وعورات الجسد اي البدن وعورات بسكون الواو وقد تحرك وبه قرئ جمع عورة وهي
كل ما يوجب خللا او يستر ويستحي منه ما يشين وينقص ولذا قيل انها مشتقة من العار الذي يذم بسببه
يقال عورات الجسد والكلام والفاء تفصيلية فكان صلى الله عليه وسلم قد خصه الله تعالى
وفضله وميزه عن من سواه في ذلك المذكور بخصايص اي فضايل لا توجد في غيره كما اشار
اليه بقوله لم توجد في غيره من الامم اصلا او لم توجد في الاكثر وهذه صفة مخصصة او مبينة
او موكدة ثم تممها سبحانه تنزيه الله المنزه له واقع في محزه والضمير للخصايص بنظافة الشرع
متعلق بتممها اي تمم ما فطر عليه من ذلك وما خصه به بما شرعه له من النظافة الدينية كالوضوء
واضافة النظافة للشرع لملابستها له وكونها بسببه فهي لامية قيل المراد انه جعل بعضها بهارا
في جبلته بحصوله فيها او باقتضاء طبعه وعقله ما لم يعط لغيره ثم امره بما لم يكن كذلك لغيره
ووفقه لاتباعه على اكمل الوجوه شرعا له واما ما نسخ فقد زال فما قيل من ان هذا انما يستقيم
ان لم يكن متعبدا بشرع من قبله او المراد بالنظافة عدم الاصر والاغلال تكلف من غير داع
وبالجملة فشرعه شامل لكل ما ينبغي على الوجه الاكمل وخصال الفطرة العشر من عطف الخاص
على العام والفطرة اصل معناها في اللغة الطبيعة والجبلة التي خلق عليها مركوزة فيه من فطر
بمعنى خلق ومنه فاطر السموات والارض واصل معنى الفطر الشق كما قاله الراغب وفسرها الحذاق
هنا بالسنة واعترض عليهم ابن الصلاح بانه لا يناسب المعنى اللغوي ووجهه بعضهم بان مرادهم
ان في الكلام مضافا مقدرا اي سنة الفطرة بمعنى الصفة الناشية عن الفطرة السليمة ورد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بانه وقع تفسيرها بها في صحيح البخاري والقول بما قالت حرام فلا عبرة بمن انكر من اللغويين
كصاحب المغرب اقول السنة الطريقة المالوفة المعتادة والانسان لا سيما الانبياء انما يالفون
ما تقتضيه فطرتهم السليمة المبنية على النظافة والنزاهة وما يعتاده ما تقتضيه الطبيعة فيحق
بها فلا يبعد في تسميته باسمها كما قالوا العادة طبيعة ثانية فالقول بانه لا مناسبة بينهما غير
صحيح والجواب المذكور اقناعي لا يجدي نفعا وللسيد هنا كلام لا محصل له رايناه تركه خيرا من ذكره
ورده واول من سن هذه السنن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وكونها عشرا رواه مسلم في حديث
مرفوع عشر من الفطرة • قص الشارب • واعفاء اللحية • والسواك • واستنشاق الماء وقص الاظفار •
وغسل البراجم • ونتف الابط وحلق العانة • وانتقاص الماء • قال مصعب نسيت العاشرة الا ان تكون
المضمضة وروى ابو داود المضمضة بدل اعفاء اللحية وقال المصنف المنسي الختان وروى ايضا في
الحديث الصحيح خمس من الفطرة فالحصر غير مقصود او ان السنن كانت تزيد شيئا فشيئا وعن ابن عباس
في قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن انه امره بعشر خصال ثم عدهن كما مر فاشار بقوله من
الفطرة الى انها غير منحصرة وهذه كلها والسنة المراد بها الطريقة فتشمل السنة والواجب والختان
سنة عند الاكثر في حق الرجال وهو قطع جلدة الكمرة وفي حق النساء مكرمة ويسمى خفاضا بكسر
الخاء المعجمة وهو قطع جلدة في اعلى الفرج على ثقب البول وقطع ادنى شيء منه كاف • واستحسن مالك
ختان الصبي من سبع الى عشر وكرهه في اليوم السابع لانه عادة اليهود ولم يعين له ابو حنيفة زمانا
وقص الشارب سنة وقيل حلقه احسن وتقصير بقص ما زاد على القبضة ويؤخذ من طولها ايضا
واما حلقها فنهي عنه لانه عادة المشركين واما السواك فسنة مطلقا وقيل انه سنة الوضوء وهو سنة
للرجال دون النساء لضعف اسنانهن واقيم العلك لهن مقامه ولذا كره للرجال الا في الخلوة لعذر
والمضمضة والاستنشاق من سنن الوضوء وانتقاص الماء هو الاستنجاء ويكون واجبا وسنة كما بينه
الفقهاء وهو بالقاف والمهملة او المعجمة والمذكور في اللغة انه بالفاء والمهملة واما بالفاء فنضحه على
الذكر فقد ورد الانتفاض بفاء ومعجمة بمعنى الاستنجاء قال في المغرب والقاف والصاد غير
المعجمة تصحيف وفيه ان رواية القاف هي المشهورة وقال الصاغاني انتفاض الماء بالفاء والمهملة
رشه على الذكر وقيل الانتقاص بالقاف تصحيف واشعر بان ما في المغرب ضعيف وقص الاظفار وتقليمها
سنة وورد النهي عنه في يوم الاربعاء وانه يورث البرص وحكي عن بعض العلماء انه فعله فنهي عنه
فقال لم يثبت هذا فلحقه البرص فراى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فشكى اليه فقال الم تسمع نهيي
عنه فقال لم يصح عندي فقال يكفيك انه سمع ثم مسح بدنه فذهب ما به فتاب عن مخالفة ما سمع
وغسل البراجم ازالة وسخها بالماء والبراجم عقد الاصابع من ظهر الكف والرواجب عقدها من بطنها
وهما بالجيم والموحدة • وقال البجائي البراجم مفاصل الاصابع كلها ونتف شعر الابط معلوم ولا باس
بحلقه وحلق العانة وهو ما حول الذكر والفرج واذا قص اظفاره وحلق شعر ابطه وعانته فينبغي
دفن ظفره وشعره لحديث ادفنوا الاظفار والشعر والدم فانه ان القاه فلا باس به ولا باس بتركه
الشارب وان طال وفي الاحياء اختلف السلف فيما طال من اللحية فقيل يقص ما تحت القبضة
وكرهه الحسن وقتادة لحديث اعفوا اللحى اي اتركوها على حالها واصل خلقتها ورجحه النووي
وما ورد من انه عليه الصلاة والسلام كان ياخذ من طول لحيته وعرضها ضعيف لا يحتج به وان احتج
به بعضهم فهو مكروه واما المراة اذا نبتت لها لحية وشارب وعنفقة فيستحب حلقها وقيل لا ينبغي
تغيير خلقها اقول انه صح في لفظة الانتقاص ثلاث روايات في الحديث الاولى انتقاص بقاف

وضاد معجمة والثانية انتفاص بفاء وصاد مهملة والثالثة انتقاص بقاف فصاد معجمة
ومعناه الاستنجاء او رش الفرج بالماء دفعا للوسواس وروي انتضاح فلا وجه لما في المغرب
وتفصيله في شرح الحديث واما تقليم الاظفار وكيفيته ففيه تفصيل افرده السيوطي بالتاليف
فلا حاجة للتطويل بذكره كما في بعض الشروح ويكره ترك العانة والاظفار اكثر من اربعين يوما
وقال ان كان معطوفا على تمم فالمعنى قال الله تعالى لرسوله وان كان مستانفا او حالا بتقدير قد
فالمعنى قال النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده انه وقع في نسخة صلى الله عليه وسلم بني
الدين على النظافة النظافة مصدر نظف وهي ضد الدنس وفي قوله بني الدين استعارة
مكنية وتخييلية بتشبيه الدين ببيت قائم على اعمدة او اساس حفظه لاهله وقيل انه تشبيه مضمر
او بمعنى الاداة او المراد النظافة الحسية من الحدث والخبث والدنس والمعنوية كالعقائد الفاسدة
والاخلاق الردية والتهاون بالعبادة والمراد انه مما بني عليه فلا يعارضه بني الاسلام على
خمس وقد ورد هذا الحديث في القوت وفي الاحياء في كتاب العلم وقال الحافظ العراقي في تخريج
احاديث الاحياء لم اجده هكذا وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام
نظيف وللطبراني في الاوسط بسند ضعيف عن ابن مسعود النظافة تدعو الى الايمان انتهى
وفي الترمذي ان الله نظيف يحب النظافة وهو بعض من حديث ذكره في كتاب الاستئذان عن
سعد بن مالك احد العشرة وقال انه حديث غريب في سنده خالد بن الياس او اياس وهو ضعيف
وقال السيوطي في تخريجه هنا بعد ما ساق العراقي قلت رواه الترمذي عن سعد بن ابي وقاص
مرفوعا ان الله نظيف يحب النظافة فنظفوا افنيتكم وروى الرافعي في تاريخ قزوين بسنده عن
ابي هريرة مرفوعا تخللوا ما استطعتم فان الله بنى الاسلام على النظافة ولن يدخل الجنة الا كل نظيف انتهى
وبما ذكرناه من ان الحديث روي من طرق متعددة تجبر ضعفه انه خرج من الضعف الى مرتبة
الحسن ومعناه صحيح موافق للشرع فلا يرد على المصنف ما قيل ان الحديث لا يؤتى فيه بصيغة الجزم
كقال النبي ونحوه لانه يقتضي صحته والجزم به فينخرط في سلك من كذب علي وهو تساهل
قبيح فينبغي ان يقول قيل او روي ونحوه من صيغ التمريض واما اضمار صيغة التمريض او حذف
مصدرها اعتمادا على القرينة فلا يتاتى مع الجزم وبقية الكلام عليه مستوفاة في اصول الحديث
فلا يلتفت لما ذكره بعض الشراح من الخرافات المزخرفة ثم ان اطلاق النظيف على الله في الحديث
السابق ولم يذكره احد في اسمائه كما قيل للمشاكلة والمتقدمون يسمونها ازدواجا ايضا فلا وجه
للاعتراض عليه لتوهم انه الازدواج المذكور في بديع المفتاح فانه من قصور النظر وقيل انه
لا حاجة للمشاكلة فيه لانه بمعنى القدوس وكفى لثبوته هذا الحديث حدثنا سفيان بن العاصي
سفيان بتثليث السين والعاص بعين وصاد مهملتين وهو سفيان بن احمد بن العاصي بن سفيان
ابو بحر الاسدي ولد سنة تسع وثلاثين واربعمائة وتوفي بقرطبة في سنة عشرين وخمسمائة
وفيها توفي ابن رشد وغير واحد تنبيه على انه رواه عن غيره ايضا قال حدثنا احمد بن عمر
هو العباس احمد بن عمر بن انس العذري صاحب كتاب الاعلام باعلام النبوة ولد ليلة السبت
لاربع خلون من ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وتوفي سنة ثمان وسبعين واربعمائة
بالمرية قال حدثنا ابو العباس الرازي نسبة الى الراز بزيادة زاي معجمة في النسبة على خلاف
القياس كما قالوا مروزي في النسبة لمرو وهو احمد بن الحسين بن بندار الخراساني حدثنا احمد
الجلودي بضم الجيم وفتحها نسبة لجلوداء قرية ببغداد او الشام او محلة بنيسابور او افريقية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اولبيع الجلود وهو محمد بن عيسى بن عمرويه الشيخ الصالح كان على مذهب سفيان الثوري
قاله الكلاباذي ولا وهم فيه كما توهم وفي اسمه ونسبته اختلاف لا حاجة لنا به حدثنا ابن سفيان
هو ابو اسحاق ابراهيم بن احمد بن سفيان بن محمد المروزي الفقيه الزاهد توفي سنة ثمان وثلاثمائة
وكان زاهدا مجاب الدعوة روى عن مسلم صحيحه قراءة عليه الا ثلاث مواضع رواها اجازة
او وجادة قال حدثنا مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري وهو صاحب الكتاب المشهور الذي
تلقته الامة بالقبول وشهرته تغني عن تفصيل حاله توفي سنة احدى وستين ومائتين حدثنا
قتيبة علم منقول من مصغر القتبة وهي الامعا وهو قتيبة بن سعيد بن حميد بن طريف بن عبد الله
الثقفي يكنى ابا رجاء سمع من الليث ومالك وابن عيينة وغيرهم وتوفي سنة اربعين ومائتين
وولد ببلخ يوم الجمعة لست مضين من رجب سنة ثمان واربعين ومائة قال حدثنا جعفر بن سليمان
البصري الضبعي بالضم لنزوله في بني ضبيعة الزاهد الامي وهو كما في التقريب صدوق
وان كان يتشيع والاصح قبول رواية من تشيع اذا لم يكن متعصبا ولا داعيا وهذا الحديث رواه
ممن لا كلام فيه توفي سنة ثلاث وسبعين ومائة عن ثابت البناني البصري ابو محمد ابن اسلم الذي هو
وهو ثقة كان من اعبد اهل زمانه وكان يلبث الثياب الثمينة عن انس بن مالك الصحابي السابق
ذكره وترجمته قال ما شممت عنبرا شممت بكسر الميم وفتحها من باب علم ونصر والعنبر طيب معروف
طاهر بلا كلام وقال الماوردي اكثر العلماء على طهارته وفيه اشعار بان فيه خلافا والاصح انه
شمع عسل ببلاد الهند يجمد وينزل للبحر وتحمله برعاه من الزهور الطيبة فيكتسب طيبه منها
وليس نباتا ولا روث دابة بحرية واجوده الابيض وما قرب الى البياض والاسود منه غير جيد
وفي الشافي ان النبي صلى الله عليه وسلم ما تطيب به قط بفتح القاف وتشديد الطا المضمومة
المبنية وفيه لغات ذكرها النحاة واصل معناه ما انقطع من الزمان اي مضى ولذا اختص
بالماضي المنفي في الاشهر وذكر ابن مالك انه اكثري وانه سمع في المثبت في احاديث عدة واما
استعماله في المستقبل فقال في الدرة انه لحن وفيه كلام لنا في شرح الدرة وقيل معناه الدهر
والابد وفيه نظر ولا مسكا هو طيب معروف وهو في الاصل دم يتجمد عند سرة بعض الظبا في
زمن معين بناحية من اقصى بلاد الترك تسمى تبت بمثناتين فوقيتين اولاهما مضمومة
بينهما موحدة مشددة بزنة سكر والصحيح انه طاهر وان كان دما لاستحالته كحل الخمر
قيل انه خصهما لانهما اشرف الطيب واشهره وقدم الاعز الاشرف منهما وعمم بقوله ولا شيئا
وان علم حال غيرهما منهما بالطريق الاولى يشمل الشيء غيرهما من كل ذي ريح طيبة مفردا كالورد
والنرجس والمركب كالغالية وقد يكون المركب اطيب رائحة والمراد ما شممت رائحة عنبر
مع ان العرب تجعل ذا الريح نفسه مشموما من غير تجوز فيه عرفا وكذا كانت رائحته صلى الله
عليه وسلم مس طيبا او لا حتى انه كان اذا مر في بعض ازقة المدينة علم مروره برائحته وهذا
الحديث رواه مسلم في صحيحه في موضعين احدهما كما ذكره المصنف من قال الذي في مسلم
عن ثابت ما شممت عنبرا ولا مسكا اطيب من ريح رسول الله ولا مسست قط ديباجا ولا حريرا
ولا شيئا الين مسا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بزيادة قط في كلام المصنف بعد العنبر ثم
في محلها وهو رواية بالمعجمة والعنبر بالنون والموحدة وكونه بالموحدة ومثناة تحتية وهو
اخلاط طيب مخصوصة تصحيف ثم انه قيل انه ترقى على حد قوله لا تاخذه سنة ولا نوم
والمعروف ان يترقى بالادنى ثم الاعلى في الاثبات ويعكس في النفي ليكون الكلام مفيدا فيقول

اعطيته

اعطيته درهما ودينارا وما اعطيته دينارا ولا درهما ولو قدم نفي الدرهم على نفي الدينار
بالطريق الاولى الا انه قد يراعى الترتيب الوجودي • اقول هذا هو المشهور وهي قاعدة كلية
الا ان التحقيق فيها انه ذكر في الكلام ادنى واعلى وقصد اثباتهما في نفسهما من غير اثبات شيء اخر
لهما فالامر كما ذكر فان اضيف الى ذلك شيء وقيد اخر فالترقي والتدلي بحسبه لا بالنظر لذاته كما في
الاية فان المنفي فيها الاخذ وهو بمعنى الغلبة وغلبة السنة دون غلبة النوم فاذا قيل لا تغلبه
السنة يتوهم ان النوم الاقوى قد يغلبه فنفى غلبته وهذا ترتيب مفيد بقطع النظر عن الترتيب
الوجودي فان لم ينظر لهما بل اريد بنفيهما التعميم فلك البداءة بايهما شئت فتقول لا اصغر ولا اكبر
ولا كبيرا ولا صغيرا كما فصله في المثل السائر وبيناه في حواشي القاضي وهذا هو المقصود •
هنا فان كان المراد انه لا طيب كطيبه مع ان طيب العنبر دون طيب المسك كما قالوا ليس الطيب
الا المسك وعزته وكونه اعلى منه لا دخل له فيما نحن فيه ثم ان وصفه بلين الملمس لا ينافي ما ورد
من انه كان شثن الكفين والقدمين فان المراد غلظ جلدهما وعظمهما لانه اقوى له ولا ينافي ملاسته
فان فسر بغلظ في خشونة فاما ان يخص بهما ولين الملمس في غير ذلك من جسده الشريف او هذا
بالنسبة لاصل الخلقة وذاك لمزاولة الاعمال والاسفار والاصح الاول اطيب من ريح رسول
الله عليه السلام ولا مثله ولا قريبا منه كما مر من ان نفي الافضلية يقصد بها نفي المساواة بطريق
الكناية وليس المراد ايضا نفي شمه له بل نفي وجوده فلا يرد ان نفي الشم لا يدل على نفي الاطيبية
وهو المقصود على انه قد يراد بنفي العلم ونفي الوجدان نفي المعلوم والوجود والمراد رائحته
الذاتية المكتسبة لانها مدح فيها بل لا يصح ارادة المكتسبة لا وجودها لان المكتسبة منه مثله
ولا مع رائحته الذاتية لان المركب مثل ريحه صلى الله عليه وسلم فتامل • تنبيه قد عرفت
ما اعترض به على المصنف من انه غير الحديث وجوابه وعلى هذا قيل انه اختصر الحديث وقد اختلف في
جوازه والصحيح جوازه ان لم يكن المذكور يتوقف فهم معناه على ما قبله بحيث يختل المعنى كالشرط
والاستثنا وما فيه ضمير راجع لمعين ولم تكن قرينة تعينه واما النقل بالمعنى فممنوع لمن لم
يكن عالما بالعربية ودقايقها فان علم بذلك جاز على الصحيح وفي جامع الاصول له تفصيل ولعل
هذا كله في غير الامثال وما جرى مجراها نحو خوتك البكري ومن اعدى الاول وله تفصيل في ابن
الصلاح وشرحه وعن جابر بن سمرة بضم الميم وقد تقدمت ترجمته انه صلى الله عليه وسلم
مسح خده هذا الحديث اخرجه مسلم ايضا واقتصر المصنف على بعضه لمناسبته للفصل هنا على جواز
الاختصار في الحديث كما مر واما مسح الخد بيده فانما ذكره توطئة لما بعده وكان من عادته صلى
الله عليه وسلم مسح وجوه الاطفال ايناسا لهم وتطييبا لقلوب والديهم وشفقة عليهم فان
زورهم عنده تيمنا وتبركا به واول الحديث صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم خرج وانا معه
فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدي احدهم واحدا واحدا واما انا فمسح خدي فوجدت ليده بردا
او ريحا كانما اخرجها من جونة عطار كذا في مسلم او ريحا بالف بدل الواو وكثيرا ما يوجد بدون ها
ولعله رواية فيه وليتقدير او قال الجابر قال اي جابر فوجدت اي احسست ليده اي كفه
وما قاربها بردا وفي صحيح البخاري فاذا هي ابرد من الثلج وهذا يدل على ان البرودة على حقيقته
وانه ليس لعارض كمس ماء ونحوه وقد قيل انه عند العرب ممدوح لا سيما عند الزمن الحار ولا بعد
في عده من خصايصه مع كمال الحرارة الغريزية وقيل انه عبارة عن لين كفه ونعومته والاقرب
انه بمعنى الراحة واللذة الطيبة وقد فسر قوله لا اين وقوله فيها بردا براحة لانها ترد بهذا المعنى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كما قال • تشبهت بالوضي بواعده • فقلت يا برد على كبدي •
وفي النهاية كل محبوب عندهم بارد وبرد الظل طيب العيش والغنيمة الباردة الهنية واللام
للاختصاص والجار والمجرور حال من النكرة التي كانت صفة لها قبل تقدمها لا يقال اذا كانت
البرد بمعنى الراحة يكون من باب وجدت للمريض راحة فيكون ذو الراحة مرة كان المريض كذلك
لانا نقول اللام تعليلية اي وجدت راحة لاجل وضع يده فان كان على ظاهره فهي اختصاصه
وريحا كانما اخرجها اي اليد لانها مؤنثة سماعية من جونة عطار الجونة بضم الجيم وسكون
الهمزة ويقال بالواو ساكنة تليها نون وهاء تانيث وهي شبه صندوق صغير مشبهي بادم
وزيد مستديرة يضع فيها العطار عطره واختلفوا هل الواو اصلية او الهمزة تبدل واوا
لضم ما قبلها كما قالوا في مؤمن تسهيلا لضم ما قبله منزلة ضمة او الهمزة اصل ابدلت واوا
على القياس كما قري يومنون ويؤمنون وكان اداة تشبيه وما كافة وهل هي مركبة او
بسيطة خلاف مشهور اي كان ريحها ريح ما اخرج من جونة العطار مضمخا بالعطر والجملة
صفة ريح او مستانفة وعطار للتشبيه لا للمبالغة وهو بايع العطر وهو كل ما طابت
رايحته وفي البخاري عن ابي جحيفة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة في البطحاء
فتوضا ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين وبين يديه عنزة يمر المارة من ورائها وقام
فجعل الناس ياخذون فيمسحون بها وجوههم فاخذت بيده فوضعتها على وجهي فاذا هي ابرد
من الثلج واطيب رايحة من المسك وهذا ظاهر في ان البرد حقيقي وانه لمسه الا ان كانت
الواقعتان واحدة او هو ماول كما مر ووضع اليد المذكور من حسن اخلاقه وتواضعه للصغير
والكبير وورد في حديث رواه ابن العماد عن انس ان ظهور نفحات الطيب منه ظهر بعد الاسرا
وهو ظاهر لانه طيب العنصر لكنه لما اتصل بالملا الاعلى والجنان وهبت عليه نفحات
القدس ازداد طيبا وكان له طيب لا يشبه طيب الدنيا فله طيب ذاتي وطيب مكتسب
من العالم الاقدس لا يفارقه وهو اطيب الطيب ولا ينافيه حديث حبب الي من دنياكم الطيب لان الطيبات
للطيبين والزايد قابل للزيادة وعن غيره اي روي عن غير جابر بن سمرة وفي نسخة وقال غيره وفي نسخها
قال بدون عاطف وهذا الحديث رواه البيهقي وابو نعيم بسند فيه ضعف وفي لفظه اختلاط فلذا
ابهمه مسها بطيب ولم يمسها اللمس والمس متقاربان الا ان المس يقال لما معه ادراك بحاسة
اللمس واللمس ادراك بظاهر البشرة ويتجوز به عن الطلب ومنه الالتماس وضمير مسها للكف واليد
وفيه قلت اذ الظاهر مسها طيبا واول الحديث فكان كفه كف عطار ولما كان قوله كانما اخرجها من
جونة عطار بمعناه اكتفي به عن سياق الحديث فلا حذف فيه وليس متعلقا بما بعده ولا اختصار فيه
كما توهم وانما هو رواية بالمعنى وهذا اشارة الى ان طيبه ذاتي والقول بان الكلام في الخلقي فلا حاجة
لهذا الكلام يصافح اي يمس النبي صلى الله عليه وسلم بصفحة يده المصافح مفعوله وهو بفتح
الفا اسم مفعول وهو من يريد مصافحته فانها سنة عند الملاقاة وفي رواية يصافحه المصافح بكسر
الفاء والرفع على انه فاعل والمصافحة مفاعلة بمعنى جعل كل يده على يد الاخر وفي النهاية انها الصاق
صفح الكف بالكف عند الملاقاة وفي معناه قول التلمساني وضع باطن الكف على باطن الكف مع ملازمة
على قدر ما يقع منه من سلام او كلام او عرض واختطاف اليد وتقبيلها وضربها مكروه وقيل يشد كل
واحد يد صاحبه وقيل لا ينبغي قبله وهي بعد الصلاة بدعة عندنا والاصح انها مباحة لما فيها من
الاشارة الى انه كان قد قدم من غيبة لانه كان عند ربه يناجيه فافهم فيظل يومه يظل بفتح الظاء

المثالة

المثالة مضارع ظللت بكسرها وظللت بفتحها ويقال ظلت بحذف احدى اللامين قال الراغب
يعبر به عما يفعل بالنهار ويجري مجرى صرت قال ثم ظلت عليه عاكفا فهو فعل ناقص لثبوت الخبر
في جميع النهار كما قاله الرضي لانه لوقت فيه ظل الشمس من الصباح للمسا او من الطلوع للغروب فاذا كانت
بمعنى صار تمت النهار وغيره وكذا اذا كانت تامة بمعنى الدوام وقوله في القاموس يظل نهاره يفعل كذا
وليله سمع في الشعر لا وجه له ويومه منصوب على الظرفية ولا توكيد فيه ولا تجريد لاسيما ثم دلالته
على الاستغراق يجد ريحها اي يجد المصافح من طيب يده واضافة ريحها للعهد اي ريحها الطيبة
طيبا خلقيا خصه الله به مكرمة ومعجزة له ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان
بريحها هذا بعض من حديث طويل رواه ابو نعيم والبيهقي مسندا عن عائشة قالت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم عبل الذراعين والعضدين طويل الزندين نعم الاطراف سبط العصب شثن الكفين
رحب الراحة سايل الاطراف كان اصابعه قضبان الفضة وكانت كفه الين من الحرير ويضعها
على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان اذ انه مسح على راسه والمخرج ظن هذا حديثا مستقلا فنبض
له وليس المراد بالصبي معينا والمراد بريحها رايحتها التي حصلت بمسه والباء السببية والمراد انه
يعرف بان النبي مسه فيتميز من بينهم وفي نسخة لريحها باللام التعليلية والمعنى واحد وفي رواية
من ريحها وذلك اما في يومه كما مر فيوكد او انه يستمر مدة طويلة والمضارع في موضع الماضي لنكتة المشهورة
ثم انه ذكر بعضا من حديث رواه مسلم واقتصر منه على ما يناسب المقام اختصارا فقال ونام رسول
الله صلى الله عليه وسلم في دار انس بن مالك الصحابي السابق ذكره على نطع بسط له وكان
النطع لامه قيل الاضافة لادنى ملابسة لان الدار كانت لامه كما في صحيح مسلم ولا خلل فيه لانه كان ساكنا
معها ولانه لو قال دار ام انس احتمل ان تكون كنية لغيرها فلا تعلم الحاجة مع ما في هذا من الدلالة
على ان رواية انس الحديث بغير واسطة فعرق فجاءت امه وهي ام سليم بضم السين المهملة والتصغير
واسمها سهلة او غيره قال النووي وهي ام انس بلا خلاف وقول الغزالي وغيره انها جدته غلط بالاتفاق
توفيت في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه وهي اخت ام حرام بنت ملحان الصحابية المدفونة
بجزيرة قبرس سيدة الشهدا وهي التي روت حديث غزاة البحر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو مشهور
وهذا الحديث في صحيح مسلم عن ثابت عن انس قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندنا
فعرق فجاءت امي بقارورة فجعلت تسلت العرق فاستيقظ النبي فقال يا ام سليم ما هذا الذي تصنعين قالت
هذا عرقك نجعله لطيبنا وهو اطيب الطيب وله روايات من وجوه اخر فيها انه كان كثيرا ما يقيل
في بيتها وينام على فراشها وكان كثير العرق فكانت تجمع عرقه من وجهه الشريف ومن نطعها وتعصره
في قارورة لها وفي رواية انها قالت نرجو بركته لصبياننا وكانت تجعله في سك لها وهو بضم
السين وتشديد الكاف طيب معروف مركب مع غيره وكانت تبسط للنبي نطعا من ادم فيقيل عندها
وروي في الوفا انه كان يدخل بيتها فينام على فراشها وليست فيه فاتت فقيل هذا النبي نايم على
فراشك فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة ادم ففتحت عتيدها وجعلت تنشف ذلك
العرق وتعصره واخذت من عرقه وشعره فجمعته في قارورة فلما حضر انس الوفاة اوصى ان
يجعل في حنوطه من ذلك وقد استشكل ذكر الشعر فيه والواقع في سائر الاحاديث العرق فقط
واجيب بانه ورد انه عليه السلام لما حلق راسه بمنى اخذ ابو طلحة شعره واتى به ام سليم
فجعلته في سكها فالمعنى انها كانت تضيف بعد ذلك ما اخذته من العرق للقارورة التي فيها
الشعر ثم ان نوم النبي صلى الله عليه وسلم عندها وعند اختها ام حرام استشكل بانه نهي عن خلوة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الرجل بغير ذي محرم وهو يقتدى بفعله فلا بد فيه من كونه معصوما واجاب ابن عبد البر وغيره
بانهما كانتا خالتاه من الرضاع فهما محرماه فلذا كان ينام عندهما ويخلو بهما ويفليان راسه
وقيل هذا من خصائصه لملكه اربه وليس هذا قبل نزول آية الحجاب كما توهم وكونه لم يخل لانه
عنده خادم ونحوه غير مسلم **بقارورة تجمع فيها عرقه** تقدم الحديث وان ام سليم لم تكن في بيتها
لما جاء كما يدل عليه قوله فجاءت ووقع فيه بذلك النائم ورده فتحت عتيدتها ولا منافاة بينهما ولا
حاجة للجمع بتعدد القصة لانه كان يعتاد القيلولة عندها لان العتيدة الصندوق الذي فيه القارورة
وهي اناء من زجاج يوضع فيه الطيب ونحوه وقد يطلق على غير الزجاج وجملة تجمع صفة قارورة او
مستانفة لا حال لتكلفه ومن فسر العتيدة بالمحض جنح لتعدد الواقعة ولا بعد فيه **فسالها رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك** كما في صحيح مسلم انه قال لها ما هذا الذي تصنعين وفي رواية
ما هذا وفي اخرى والسؤال ليعلم غرضها وقصدها بفعلها اما حقيقة او ليظهره لغيره **فقالت**
هذا عرقك **نجعله في طيبنا** وفي رواية لطيبنا اي نخلطه كما روي اذ وقع اي اخلط وتقدم
رواية نرجو بركته لصبياننا والواقعة متعددة اجيب في كل منهما بجواب فان كانت واحدة فهو
من تصرف الراوي وروايته بالمعنى والمآل واحد وقد قال لها النبي اصبت **وهو اي عرقه من اطيب
الطيب** وقع في مسلم اطيب بدل من وهي اولى فان كان الضمير للمخلوط من عرقه وغيره فظاهر لان
خالص عرقه اطيب منه ولا شك في طيبه واطيبيته كما مر ما شممت عنبرا ولا مسكا اطيب فليس خلطه
بالطيب لتطييبه بل للتبرك فقط كما توهم فان قلت اذا كان اطيب فلم خلط بالطيب قلت لانه ما
اجتمع من عرقه ليس كثيرا يكفي لطيبهم فخلط بكثير منه ليكون كثيرا **وذكر البخاري** امام اهل السنة
السابق ذكره **في تاريخه الكبير** وهو تاريخ ذكر فيه رواة الحديث واخبارهم واحوالهم وليس كغيره
من التواريخ كما يتوهم بل كتاب من كتب الحديث معنى ورواه ايضا الدارمي والبيهقي بالمعنى **وروى
المزني** بالضم ثم فتح نسبة لمزينة قبيلة مشهورة وهو ابو ابراهيم ابن اسمعيل المزني المصري الزاهد
كان مجاب الدعوة وقال الشافعي لو ناظر الشيطان لغلبه وله تصانيف مشهورة ولد سنة خمس
وسبعين ومائة وتوفي لست بقين من رمضان سنة اربع وستين ومائتين ودفن بالقرافة بالقرب
من قبر الشافعي **والحربي** هو في بعض النسخ وهو ابراهيم بن اسحق الحربي الحنبلي نسبة الى الحربية
محلة من بغداد منسوبة لحرب بن عبد الله مات سنة سبع ومائة **عن جابر بن عبد الله** الصحابي
الجليل الانصاري شهد المشاهد الا بدرا واستغفر له النبي صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين مرة
لما قضى د بن الله وهو آخر صحابي مات بالمدينة سنة سبعين وشيء وروى الفا وخمسمائة حديث
اردفني النبي صلى الله عليه وسلم اي اركبني خلفه قال البرهان الحلبي جمع الحفاظ ارداف النبي
فبلغوا نيفا وثلاثين ولم يذكر فيهم جابر وقال الشمني جمع بعضهم من اردفه النبي على فرس او غيره
فبلغوا نيفا واربعين وفي الصحاح الردف الراكب خلف غيره يقال اردفه وردفه ويقال اردفه
اعم فعلى هذا قوله خلفه لدفع توهم المعنى الاعم او تاكيد وما ذكره من التاليف لم نقف عليه • والذي
علم ممن اردفه اسامة بن زيد اردفه في مرجعه من عرفة على اكاف • والصديق في الهجرة • وعثمان
في قدومه من بدر • وعلي في حجة الوداع • وعبد الله بن جعفر واخذ ابن فاطمة خلفه • وقثم • وعبد الله
ابن عباس • واخوه عبيد الله • والفضل في نزوله من مزدلفة • والحسن • والحسين • ومعاوية •
ومعاذ بن جبل على حمار عفير • وابو ذر • وزيد بن حارثة • وثابت الضحاك • والشريد بن سويد •
وسلمة بن الاكوع • وزيد بن سهل • وسهيل بن بيضاء • وعلي بن العاص • وعبد الله بن الزبير • وغلام من بني

عبد المطلب

عبد المطلب • واسامة بن عمير • وصفية بنت حرام • وابو الدرداء • وامية الغفاري • وابو قاسم •
وابو هريرة • وقيس بن سعد • وخوات بن جبير • وجبريل على البراق في الاسراء • والعباس •
وصفية الحصينية • وعقبة بن عامر • وآخرون اهل النوبة تقضي لمن كرم على التفصيل وهذا
ما وقع في بعض النسخ وكانه من الحاقه بالاصل **خلفه** اي وراء ظهره وهو راكب **فالتقمت خاتم
النبوة بفمي** الالتقام اخذ الشيء وجعله في فيه سواء ابتلعه اولا والابتلاع والاسترط
معنى ولذا سمي الطريق سراطا ولقما كانه يبتلع السابلة وفي العبارة ما يقتضي ان خاتم النبوة
كان ناتيا مرتفعا حتى يمكن التقامه وهو بين كتفيه وفيه روايات فقيل كان كاثر المحجم وقيل
كبيضة الحمامة او التفاحة او الجمع بضم الجيم وسكون الميم وهو ضم الاصابع للكف يقال ضربه
بجمع كفه وقيل ككبد العنز وقيل كزر الحجلة وعلى هذه الروايات يمكن التقامه وروى عن
الخدري انه بضعة ناشزة هكذا ووضع طرف سبابته على ابهامه مفصل او دونه بقليل واما على رواية
انه شامة خضراء محتفرة في اللحم ان صحت فالالتقام مجاز عن اخفائه بوضع فمه عليه وزر الحجلة
بيضة طائر معروف وقيل ان الحجلة كلة الستر التي تسميها العامة الناموسية وزرها ما يدخل
في عروتها وصححه في الروض الانف وقال تفسير الترمذي له ببيضة الطائر وهم وقال الخطابي
انما هو على هذا رز بتقديم المهملة على المعجمة ومعناه البيض ومنه رز الجراد بيضه وكان الخطابي
الذي فسره وجده في رواية وتفسير الحجلة ببياض بين عيني الفرس لا وجه له فان كان مجازا
من التحجيل فبعيد جدا قال ووضع هذا الخاتم لصاحب الفاتح الخاتم هل هو من المولد خلقة او وضع
بعد ما ولد وبعد ما نبي وروى ابن ابي الدنيا عن ابي ذر مرفوعا انه قال قلت يا رسول الله
كيف علمت انك نبي واستيقنت قال يا ابا ذر اتاني ملكان وانا ببطحاء مكة فوقع احدهما
بالارض والآخر بين السماء والارض فاخرج قلبي فازال منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما
وخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن وولياعني فكاني اعاين الامر معاينة وفيه بيان
لوقت الوضع وكيفيته الا انه قيل ان قوله ببطحاء مكة وهم من الراوي لانه كان في بني سعد وهو مع
حليمة كما ياتي وقول المصنف انه اثر الشق بين كتفيه موافق لهذا الحديث سواء قرئ اثر بفتحتين
او بكسر فسكون اما على الثاني فظاهر واما على الاول فلانه لما وقع بعده وبسببه جعل اثرا له فقول
النووي انه باطل لان الشق انما كان في صدره وبطنه وكذا قال القرطبي وان اثره انما كان خطا
واضحا من صدره الى مراق بطنه كما في الصحيحين ولم يثبت قط انه بلغ بالشق حتى نفذ من وراء
ظهره ولو ثبت كان مستطيلا بين كتفيه في محاذاة صدره قالوا فهذا غفلة منه انتهى غير متجه
وكذا قال ابن حجر في شرح البخاري وذكر انه مروي من طرق اخر فالوهم انما هو في فهم كلامه قال
وهذا اصح مما قيل انه ولد به وظاهر كلامهم انه مختص به وفي كتاب القيافة انه موجود في كل
نبي وانه من علامات النبوة وكان اهل الكتاب يعرفونه به وقال البرهان الحلبي لا استحضر فيه
شيئا والذي يظهر انه من خصائصه لانه اشارة الى انه خاتم النبوة وما رواه ابن حبان في انه
كبيضة النعامة نسب فيه الى الوهم والصواب الحمامة وقيل انه شامة سوداء او خضراء مكتوب
عليها محمد رسول الله او سر فانت المنصور او الله وحده لا شريك له ونحوه فلم يثبت فيه ما
يعتد به وفي رواية كسلعة او غدة او بندقة عند نغض كتفه اليسرى ووقع عند موته
وانما وضع هناك لان الشيطان اذا وسوس وضع خرطومه ثمة وقد رآه بعضهم في صورة ضفدع
له خرطوم كخرطوم البعوضة ادخله في منكبه الايسر الى قلبه ووسوس له فاذا ذكر الله خنس الشيطان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وخاتم بفتح التا وكسرها وسيأتي تفصيله وقوله يعني تأكيد له مع توهم المجاز لانه يقال القمد كفه ركبتيه **فكان يتم على مسكا** اسم كان المستتر ضمير الخاتم ويتم من قولهم نمت الريح اذا جلبت الرايحة قال البرهان الحلبي وهو مستعار من النميمة ومنه سمي الريحان نماما الطيب رايحته وهي استعارة لطيفة شايعة استعير نمام للريحان ثم للعذار كما قال بعض المولدين

لافتضاحي في عوارضه • سبب والناس لوام

كيف يخفي ما اكابده • والذي اهواه نمام

وروي ينثج بضم المثلثة وتشديد الجيم وكسر التا لا بالفتح كما قيل وهو متعد ولازم والضمير فيه للخاتم او الفم اي تندفع رايحته مرة بعد مرة من ثج الماء وهو خروجه مترفقا رعة قال البخاري وفي بعض النسخ بكسر المثلثة والجيم اي يسيل منه المسك فمسكا منصوب تمييزا ومفعول به ويتم روي بضم النون وكسرها وهو عن المزي الكسر في اللازم والضم في المتعدي وفي القاموس نم المسك والمتعدي بمعنى ينقل ويحكي واللازم بمعنى يظهر ومسكا تمييز محول عن الفاعل ومن قال محول عن المفعول فقد وهم **وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق** في رواية البزار وابو يعلى بسند جيد عن انس كان اذا مر في طريق من طرق المدينة وجد فيه رايحة المسك فيقال مر النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الطريق **فيتبعه** بالرفع اي يأتي بعد ذهابه منه لا يمشي تابعا له والضمير للنبي عليه السلام لا للطريق كما قيل ان معناه يتبع الطريق ويدل عليه قوله الا عرف انه سلكه وذكر ضمير الطريق وهي مؤنثة لشرفها بمروره كما قيل

عليك بارباب الصدور فمن غدا • مضافا لارباب الصدور تصدرا

والمراد علوق تلك الرايحة بمكان مر فيه وهو توهم لا يساعده اللفظ ولا المعنى ويتبعه كيعلم او بالتشديد ويجوز فيه النصب والمراد انه يمشي بعده بزمان قليل فالفا للتعقيب والقول بانه لعدم المهملة عرفا وحكما بقرينة الحال لا وجه له **احد** فاعل يتبع على حال من الاحوال **الا على** حال انه **عرف انه** اي النبي صلى الله عليه وسلم سلكه اي دخله ومر فيه والضمير للطريق فانه يذكر ويؤنث فلا حاجة لتأويله كما توهم **من طيبه** اي عرف من طيب الطريق مروره او من اجل طيب الطريق برايحة الطيبة المخصوصة به الباقية بعده وهذا لا يكون الا منه **وذكر اسحاق بن راهويه** هو ابو يعقوب المروزي الزاهد الامام الثقة المجتهد امير المؤمنين في الحديث كما قال له ابن حنبل وهو الذي احيى السنة ما سمع شيا الا حفظه وما حفظ شيا فنسيه قال كاني انظر الى ماية الف حديث في كتبي وثلاثين الف حديث اسردها وراهويه لقب ابيه ابراهيم بن مخلد التميمي الحنظلي لقب به لانه ولد بطريق مكة وراه بالفارسية معناه الطريق وهو بالها والواو المفتوحتين والمثناة التحتية الساكنة والها المكسورة في المشهور ويقال بضم الها وسكون الواو وتحتانية مفتوحة كنفطويه وهو احب عند المحدثين آخره ها والتا خطا فما في بعض النسخ من التا المفتوحة على انه ممنوع من الصرف خطا **ان تلك** الرايحة التي كانت تشم منه وتبقى في الطريق **كانت رايحته** الذاتية المدركة منه **بلا طيب** يمسه ويتطيب به من خارج **صلى الله عليه وسلم** وقد تقدم ما يدل عليه من الاحاديث فما قيل انه لم يظهر من رواه والظاهر ثبوته من قلة التتبع ولا ينافيه كونه كان يستعمل الطيب ويحبه لانه لتكثيره والمبالغة فيه كما مر **وحكى بعض المعتنين باخباره** اي المهتمين بنقل اخباره واحواله **وشمايله** اخلاقه وصفاته اعتناء بتتبع وعلم واعلام **انه كان اذا اراد ان**

يتغوط اي يأتي الغايط وهو المكان المنخفض من الارض على عادتهم في البراز لانه استر قال ثم اوجا احد منكم من الغايط ثم كني به عما يقع فيه ومنه الغايط للبستان ويقال الغيط للفرق بينه وبين غيره **انشقت الارض فابتلعت غايطه وبوله وفاحت لذلك** المذكور من البول والغايط رايحة طيبة وهذا الحديث رواه البيهقي عن عايشة وقال انه موضوع وسنبينه **واسند محمد بن سعد كاتب الواقدي** الامام الكبير الحافظ الثقة وهو ابو عبد الله محمد مولى بني هاشم صاحب الطبقات مات سنة ثلاث ومايتين والواقدي هو محمد بن عمر بن واقد قاضي العراق مات في ذي الحجة سنة احدى عشرة ومايتين **في هذا** اي في ان الارض تبتلع ما يخرج منه ويفوح له رايحة طيبة **خبرا عن عايشة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك تأتي الخلاء** بالمد المكان الخالي البعيد من البيوت لانهم كانوا قبل وضع المراحيض يأتونه لقضاء الحاجة ثم عبر به بعد ذلك عن محل التغوط مطلقا ثم صار عرفا اسما للبناء المعد لذلك **فلا نرى منك شيا من الاذى** بالذال والقصر اصله ما يضر ثم اريد به هنا ما من شانه ان يكره فالمراد به الغايط هنا **فقال لها يا عايشة او ما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبيا فلا يرى منه شيء** تبتلع تفتعل من البلع في النسخة التي عندنا وضبط البلنسي تبلع من بلع يبلع كعلم يعلم واصل البلع ادخال الطعام والشراب في الحنجرة والمري فاستعير لمطلق الادخال كما في قوله يا ارض ابلعي ماءك وقوله فلا يرى منه شيء تفسير للمراد من البلع وتأكيد او بيان لحكمته فليس بمستدرك كما توهم والاخفاء مع طيبه وعدم استقذاره قيل انه لعدم الاحتياج لحمله الخارج منه اولتتبرك الارض به والظاهر انه لانه ينبغي ستره لانه من المروة اولانه يخشى من اخذ الناس له **وهذا الحديث وان لم يكن مشهورا** قال ابن دحية سنده وهو اقوى ما في هذا الباب فلذا نفي المصنف عنه الشهرة دون الصحة فلا وجه للاعتراض عليه بانه لا يلزم من نفي الشهرة نفي الصحة **فقد قال قوم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعي** المراد بالحدثين الخارجين كناية للقران من ذكر ما يستهجن وظاهره ان القول بالطهارة مبني على هذين الحديثين فكانه من وصفهما بالطيب واما ابتلاع الارض فلا يدل عليه بل على خلافه وتحقيقه على ما في الخصايص للخيضري وهو كتاب لم يصنف في بابه مثله قال الرافعي في كتاب الطهارة لما تكلم على نجاسة الفضلات وهل هي كذلك من رسول الله وجهان فقيل لا لان ابا طيبة الحجام شرب دمه ولم ينكر عليه وام ايمن شربت بوله ولم ينكر عليها وقال اذن لا تلج النار بطنك ويروى شرب علي وابن الزبير دمه وقال معظم الاصحاب حكمها كحكم غيرها وحمل الاخبار على التداوي وروي انه قال للحجام لا تعد الدم كله حرام وقال النووي حديث شرب البول صحيح حسن وذلك كاف في الاحتجاج اذ لم ينكر عليها ولا امرها بغسل فمها ولا نهاها عن العود لمثله وقال القاضي حسين الاصح القول بطهارة الجميع واختاره كثير من المتاخرين وجواب التداوي يرده لن يجعل الله شفاء امتي فيما حرم عليها والسر فيه غسل الملكين لجوفه وتطهيره والاختلاف في شعره والاحاديث في هذا الباب كثيرة كشرب ابن الزبير دمه وشرب ام ايمن بوله الذي كان في قدح يوضع تحت سريره ليبول فيه في الليل فان قلت ما الحاجة لوضع هذا القدح والارض تبتلعه فلا يرى له اثر قلت لانه كان يكره الخروج ليلا من بيته وبيته مصلى نافلته ومحل نزول الوحي والملايكة فلا يليق ان يمس باطنه وظاهره شي من الفضلات ولو كانت طاهرة تعظيما لعبادة ربه وتأدبا الا ترى الى قول القايل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مَن عَظّم الناسَ عَظّموهُ * وَفازَ بالفخرِ والرياسة
وَمَن دَراهُم لو كان مُشكا * لقيل في اصله نجاسة

واما التداوي بالحرام كالخمر فقيل يجوز اذا اخبره به ثقة بنفعه ولم يجد دوا غيره وقيل لا يجوز لحديث لن يجعل الله شفاء امتي فيما حرم عليها وقيل انه لا يباح لانه يكون حلالا له غير محرم عليه وقيل ان الله اذا حرم شيئا ابطل نفعه وكون علي شرب دمه لم يثبت كما اشار اليه الدميري في منظومته في الفقه بقوله هم

غريبة فضلة سيد البشر * طاهرة على خلاف انتشر
وابن الزبير بدم الهادي البشير * نال الذي رام كما له اشير
وهو الذي خص بويل الناس * وهم بويل له من الاناس
في مسند البزار ثم البيهقي * والطبراني رواه فاتق
والدارقطني وقول ابن الصلاح * ليس له اصل نفي في الاصطلاح
وام ايمن استزادت شربها * اذ شربت بول النبي المصطفى
وسقيت اذ هاجرت للسنه * ما روياه من شراب الجنه
فبعدها ما مس جوعها ظما * ولم تذق الى الممات الظما
صححه الحاكم والمروي في * شرب علي دمه لم يعرف
وابن الصلاح قال في ترابي * طيبة انه ضعيف السبب
قال ابن سبع ونبينا كانت * تبلعها الارض ومنها ازدانت
ولم يبل من تحته بهيمة * ولم تزل الدهر به سقيمة

وهذه فايدة تفرد بها وهي ان الدواب لم تبل وهو راكب عليها ولم تسقم دابة ركبها في حياته ثم وقع في فقه الشافعية ايضا ان حكم فضلات جميع الانبيا كذلك لحديث عايشة وفي بعض نسخ الشفا هنا حكاه الامام ابو نصر ابن الصباغ في شامله وهو الامام البحر ابو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن احمد بن جعفر بن الصباغ الذي انتهت اليه رياسة الشافعية في عصره وكان ورعا تقيا زاهدا وله كتاب الشامل في الفقه لم يؤلف مثله وهو اول من درس بالمدرسة النظامية التي بناها نظام الملك للشيخ ابي اسحاق فامتنع وابى ان يخرج من مسجده فلما تحول عليه اذن لابي نصر في التدريس بها وتوفي ابي نصر رابع جمادي الاولى سنة سبع وسبعين واربعمايه بعد ما كف بصره وقد حكى القولين عن العلما في ذلك اي في فضلات النبي والانبيا وحكمها في الطهارة وضدها وقيل قوله العلما شامل للحنفية وغيرهم ابو بكر بن سابق المالكي اي العالم المقلد وهو ابو الحسن محمد بن سابق الصقلي المالكي المذهب لا النسب في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم على مذهبهم من تفاريع الشافعية يعني انه الف كتابه المسمى بالبديع في فروع فقهية لم يذكرها علما المالكية فخرجها على حكم ما ذكره الشافعية فيها النص عليهم بها وليس هذا تقليدا لهم وانما هو نظر في دليلهم واثبات لذلك الحكم بالدليل فهو اجتهاد مذهبي ويقع مثله لغيره من الفقها ايضا والتخريج في اصطلاح الفقها ان ينص صاحب المذهب على حكمين مختلفين في صورتين متشابهتين لم يظهر فارق بينهما فينقلون نصه في كل صورة الى الاخرى كمسالتي الاجتهاد في الاواني والقبلة اذ منع في الاولى العمل بتغير الاجتهاد وجوزه في الثانية فنقلوا منعه في تلك لهذه وتجويزه في هذه لتلك فصار في كل قولان منصوص

ومخرج والتخريج عند المحدثين ان يجد حديثا في كتاب فينقله مسندا مبينا حاله في الصحة وضدها او غير مسند وشاهد هذا اي دليل القول بالطهارة انه لم يكن منه شي يكره ولا غير طيب اي من النجاسة للاستقذار وكراهة التلويث ولم يكن منه شي مكروه عند الطباع السليمة وهذا دليل عقلي مؤيد لنظر اهل الشرع فلا يرد عليه انه لا يدل على مدعاه لان من المستقذر ما هو غير نجس ومن النجس ما هو غير مستقذر ومنه اي من الشاهد على انه لم يكن منه شي يكره ولا غير طيب حديث علي الذي رواه ابن ماجة وابو داود في مراسيله غسلت النبي بتشديد السين لانه المستعمل في الميت والمخفف في غيره كالثياب فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيا ذهب هنا من افعال المقاربة اي جعلت انظر ومثله كثير في كلامهم فالقول بانه بمعنى اردت استعير للذهاب بمعنى المرور للارادة بجامع التلازم بينهما تكلف مفسد للمعنى لان فلم اجد ح لا وجه لتفريعه وتكون تامة بمعنى يوجد وما يوجد من الميت بغير رايحة وهذا من اعلام النبوة وطهارة عنصر طينته وقد مكث بعد موته يومين فلم يتغير منه شي ما وهذا مما يستانس به لان طينته يدل على ما يحصل منه كقوله وكل اناء بالذي فيه ينضح ولعله برهانا عقليا كما يرشدك اليه تعبيره بالشاهد فلا يرد عليه ان عدم وجوده كيف يدل على ما نحن فيه من طهارة الفضلات والذي غسل النبي علي والعباس وابنه الفضل يعيناه وقثم واسامة وشقران يصبون الماء وغسلوه واعينهم معصوبة تادبا ولانه قال لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه وروت عايشة انهم ترددوا في تجريده للغسل فسمعوا قايلا لم يروا شخصه يقول لا تجردوا نبيكم من ثيابه فغسلوه وعليه قميصه بسبع قرب من بير غرس ثلاث مرات الاولى بماء قراح والثانية بماء وسدر والثالثة بماء وكافور وانما قال فذهبت انظر بناه على العادة لتاخير دفنه لانه مات يوم الاثنين ودفن يوم الاربعا لاشتغالهم بامر الخلافة ولدفع وهم بعضهم انه لم يمت فقلت طبت بفتح تا الخطاب والمخاطب النبي صلى الله عليه وسلم على عادتهم في مخاطبة الاموات عند التوجع والثنا كما ورد في المراثي او لانه ليس كغيره فليسمع كما يسمع في قبره من يصلي عليه وسطعت منه ريح طيبة لم يجد مثلها قط اي ظهرت وارتفعت واصل السطوع في النور فاستعمل في مطلق الظهور ومثله اي مثل قول علي هذا قال ابو بكر حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته اشارة الى ما في الصحيحين عن عايشة ان ابا بكر لما نعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمسكنه بالسنح بضم السين المهملة وضم النون ويسكن ثم حا مهملة بعوالي المدينة على مقدار ميل من المسجد النبوي فدخل المسجد النبوي ولم يكلم احدا حتى دخل بيت عايشة والنبي مسجى ببرد حبرة فكشف عن وجهه واكب عليه يقبله وهو يبكي ويقول بابي انت وامي يا نبي الله لا يجمع الله عليك موتتين اما الموتة التي كتبت عليك فقد متها وسل عمر سيفه وجعل يتوعد من يقول انه مات ويقول انما ارسل اليه كما ارسل الى موسى فلبث اربعين ليلة والله لارجو ان تقطع ايدي رجال وارجلهم ولما كشف عن وجهه بكى وقال بابي انت وامي طبت حيا وميتا والصحابة منهم من خبل ومنهم من اخرس ومنهم من اقعد فلما خرج ابو بكر قال ايها الحالف على رسلك فجلس فصعد ابو بكر المنبر فحمد الله واثنى عليه وقال الا من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله سبحانه حي لا يموت وقد قال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية فنشج الناس يبكون ولما قبل وجهه قال طبت حيا وميتا وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت احد من الانبياء

الألوكة www.alukah.net

وهو مذكور في هذه الاصول وقد كان عليه الصلاة والسلام قال لما ولدته امه فنظر اليه
هو هو نكهت امه عن رضاعه وقال ارضعيه ولو بماء عينيك كبش بين ذئاب وذئاب عليها
ثياب ليمنعن البيت او ليقتلن دونه وهذا من معجزاته الاخبار بالمغيبات فانه بنا بني لغضبه
ثم الحجاج فان ابن الزبير بضم الزاي والتصغير استخلف سنة اربع او خمس وستين فحاصره الحجاج
عند البيت العتيق سنة ثلاث وسبعين حتى قتل شهيدا وقصته مشهورة وهو احد العبادلة الامام
الزاهد العابد الشجاع وهو اول مولود ولد للمهاجرين وحنكه النبي بتمرة لاكها بفيه فخالط ريقه
ريقه وله من شرف النسب ما لا يوصل اليه لان امه اسماء ذات النطاقين بنت ابي بكر الصديق
وابوه احد العشرة سيف الله وجدته صفية بنت عبد المطلب وعمته خديجة ام المومنين وخالته
عائشة وجده لامه ابو بكر وكان قواما لايام لليله وكان اطلس لا لحية له وقوله **وويل لك**
من الناس وويل للناس منك ويل للتحسر والتالم من الامر قال تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم
وويل لهم مما يكسبون وهو اشارة الى قتله وتعذيبه وتحقيره لقتل الحجاج له ومن عاونه ظلما
له وويل الناس منه لما اصاب الناس من خروجه ومحاصرة مكة بسببه وقتل من قتل ثمة
وما اصاب امه واهله من المصائب وما لحق قاتليه من الاثم العظيم وتخريب البيت وهدمه
بسببه وانما حمله ناشيا من شرب دمه فانه تضعضع من الشرب نورانية قلبه حتى زادت شجاعته
وعلت همته عن ان ينقاد لغيره وما قيل من انه اشارة الى ما يلحقه من قدح الجهلة بواسطة شربه
الدم وما يلحقهم من الاثم بذلك القدح مما لا ينبغي ذكره وسقوطه يغني عن رده وسياتي تحقيقه
ودمه صلى الله عليه وسلم مما تفدي فطانته بالارواح ولله در القائل

• تجري العلا في عرق جرى الندا • في عوده فهو اللباب صفاء •
• لو تقدر الاحرار حين اراقته • جعلوا الدمحت القلوب وعاء •
• او يبيعوا فطرانه معدودة • اعطوا به مهج النفوس شراء •
• واستخصوا في سعرها ان يبذلوا • عن كل واحدة حرت حوباء •

وقد شرب دمه ايضا ستة رجال • ابو طيبة دينار اسمه او نافع • وسالم بن ابي الحجام • وهو
الذي قال له لا تعد فان الدم كله حرام على ما فيه وسفينة كما رواه البيهقي • وعلي بن ابي
طالب ذكره الرافعي في الشرح الكبير وقال ابن الملقن انه غريب لم نجده ولم ينكر عليه هذا
هو محط الدليل فان عدم انكاره دليل على جوازه وطهارته • قال السخاوي سئل العلامة ابن
حجر عن حديث ابن الزبير وما لك بن سنان وقوله للاول ويل لك الخ وقوله لمالك لا تمسك النار
ما الحكمة في تنوع القول مع اتحاد السبب فاجاب بان ابن الزبير شرب دم الحجامة وهو قدر كثير
يحصل به الاعتداء وقوة جذب المحجمة تخليته من سائر العروق او كثير منها فعلم صلى الله عليه وسلم
انه يسري في جميع جسده فتكتسب جميع اعضائه منه قوى من قوى النبي صلى الله عليه وسلم
فتورثه غاية قوة البدن والقلب وتكسبه نهاية الشهامة والشجاعة فلا ينقاد لمن هو دونه بعد
ضعف العدل وقلة ناصره وتمكن الظلمة وكثرة اعوانهم فيحصل له ما اشار اليه من تلك الحروب
الهائلة تنتهك بها حرمته وحرمة البيت العتيق فقيل ويل له لقتله وانتهاك حرمته وويل
لهم لظلمهم له وتعديهم عليه وتسببه وان ما مالك فازدرد ما مصه من الجرح الذي في وجهه
وهو اقل من دم الحجامة وكانه علم انه يستشهد في ذلك اليوم فلم يبق له من احوال الدنيا ما يجرم
فاعلمه بان لا هول له بما يلقاه من انواع مسرات الجنان انتهى • ولا عطا بعد عرويين **ومن روي نحو**

نحو

من هذا المذكور في شرب دمه **عنه** صلى الله عليه وسلم **في امراة شربت بوله** سياتي بيان
هذه **فقال لها لن تشتكي وجع بطنك** اي لا يصيب بطنك وجع بعد اليوم لبركة ما دخل في جوفها
فعبر بنفي الشكاية عن نفي لازمه وهو الوجع بطريق الكناية التي هي ابلغ من التصريح **ابدا** وفي
رواية بعدها **ولم يامر واحدا منهم** اي ممن شرب دمه ومن مصه ومن شرب بوله **بغسل فم** ولو كان
نجسا لامر به ونهاه عن عوده لمثله لان اوله لم يكن باذنه فلذا قال **ولا نهاه عن عوده** ضمير
نهاه ولكن اضمير عن عوده المضاف اليه ان كان بالضمير لواحد وليس الضمير للشرب كا توهم وقال
البرهان ان عوده بناء الشاربين لكونه فكانه رواية ولو كان نجسا حرم تناوله ووجب تطهير
محله ولم يقر النبي على مثله وكونه للتداوي او العلاج خلاف الظاهر على ما فيه **وحديث هذه**
المراة التي شربت بوله صحيح الزم الدارقطني مسلما والبخاري ان يخرجاه في الصحيح يعني
انه صحيح لشرطهما فهو في اعلى درجات الصحة فكان ينبغي ذكره وليس الالزام على ظاهره والدارقطني
منسوب الى دار القطن محل ببغداد وهو الامام الحافظ الذي لم ير مثله في عصره وهو علي بن عمر بن احمد
بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله ابو الحسن الذي انتهى اليه علم الاثر والمعرفة الاثر واسماء
الرجال واحوالهم مع الصدق والعدالة والمعرفة بمذاهب الفقهاء فلذا قيل انه امير المومنين في الحديث
ولد سنة ست وثلثمائة وتوفي سنة خمس وثمانين وثلثمائة وما ذكره المصنف من ان الدارقطني قال
حديث المراة التي شربت بوله صحيح الا انه قال في علله انه مضطرب جاء عن ابي مالك النخعي وهو ضعيف
وروي عند الحاكم **واسم هذه المراة بركة واختلف في نسبها** قال البلقيني في الخصائص ان
ام ايمن وام يوسف شربتا بوله ولم ينكره وفي تجريد الذهبي ان بركة الحبشية قدمت مع ام حبيبة
وهي غير بركة بنت يسار المهاجرة الى الحبشة مع زوجها قيس بن عبد الله الاسدي وغير بركة ام ايمن
وهي بركة بنت ثعلبة ابن عمرو والدة ايمن بن عبيد وام اسامة بن زيد واسم هذه المراة بركة ولكن
في الصحابيات ممن اسمها بركة عدة نساء فاختلف في التي شربت بوله ايتهن هي والى ذلك اشار بقوله
واختلف في نسبها **فقيل هي ام ايمن** بركة بنت حصن بن ثعلبة بن عمرو بن حفص بن مالك بن سلمة
بن عمرو بن النعمان مولاة رسول الله وحاضنته الحبشية ورثها من ابيه سلمة هي وابنها ايمن بن
عبيد الحبشي ثم تزوجها زيد بن حارثة واخرج لها احاديث في كتب السنة وادركت خلافة عثمان
كما في التهذيب وذكره الواقدي ورده بما في مسلم من انها توفيت بعد النبي بخمسة او ستة اشهر
ولم يكن بام ايمن غيرها وقيل التي شربت بوله بركة بنت يسار مولاة ابي سفيان بن حرب المهاجرة
التابعة وكانت ظئرا لام حبيبة فلما تنصر عبد الله بن جحش ثبتت ام حبيبة على الاسلام
وخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها النجاشي له واصدقها عنه اربعمائة دينار وبعثها
له مع شرحبيل بن حسنة فقدمت ومعها بركة تخدمها وكان له قدح تحت سريره يبول فيه لبلا
وهذا مخالف لما قاله البرهان الحلبي من ان القادمة معها غير بركة بنت يسار ولما قاله الذهبي
من انها بركة الحبشية الا ان يريد بالحبشية المهاجرة للحبشة وهو خلاف الظاهر وروي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لها لا يبجع بطنك ابدا بفتح اليا الاولى وكسر الجيم وهما لغتان في توجع
سوى يا جم وعلى الكسر روي قوله • ولا تشكي قرح الفواد فيبجعا •
وروي لا تلج النار بطنك **وقيل هي** اي بركة المذكورة **ام ايمن وكانت تخدم النبي صلى الله**
عليه وسلم تاييد لانها التي شربت بوله ليلا لانها اذا كانت خادمة له تمكنت من الوصول
لذلك في مثل ذلك الوقت وتمكنت من الوقوف على حاله فلذا **قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه**

واسداؤها اياها

وسلم قدح من عيدان والقدح ليس المراد به ما يشرب به الشراب كما هو عند العامة بل هو الاناء
الذي يشرب منه واصغرها الغمر بضم الغين المعجمة وهو الذي لا يروي ثم القعب وهو ما يروي
ثم القدح وهو ما يروي الاثنين والثلاثة • ثم العس وهو ما يشرب منه الجماعة • ثم الوذر • ثم
التبن • ثم الجفنة • وعيدان جوزفيه التلمساني كسر العين على انه جمع عود والذي عليه الشراح انه بفتح
العين المهملة تليها مثناة تحتية ثم دال مهملة والف ونون ووزنه فيعال او فعلان والعيدان
والعيدانة النخلة الطويلة قال الشاعر •

• ان الرياح اذا ما اعصفت قصفت • عيدان نجد ولم يعبان بالرتم •

ويقال للنخل اذا طال وتناولته غصيد • فاذا فات اليد فهي الجبارة • فاذا ارتفعت فهي المرقلة
والعيدان • فكان للنبي عدة اقداح • قدح يسمى الريان • وآخر يسمى المغيث • وآخر مضبب بسلسلة
من فضة • وقدح من زجاج وهذا القدح يوضع تحت سريره فيبول فيه من الليل والسرير معروف ومن ظرفية
بمعنى في لا زايدة وقد عده من معانيها الكوفيون وابن مالك وانشدوا •

• عسى سايل ذو حاجة ان منعته • من اليوم سولا ان يتم له في غد •

وقال تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة اي فيه فبال فيه ليلة ثم افتقده الافتقاد افتعال
من الفقد وهو العدم وليس الافتقاد هنا بمعنى العدم وان ورد بمعناه كما في الصحاح بل الطلب
والتفتيش يقال افتقده وتفقده وتعهده بمعنى الا ان الفرق بينهما كما قاله الراغب ان التفقد
حقيقة تعرف فقدان الشيء والتعهد تعرف العهد المتقدم فلم ير فيه شيئا من بوله فسأل بركة عنه
فقالت قمت وانا عطشانة المذكور في كتب اللغة انه يقال عطشان وعطشى وجمعه عطاش
الا في الفاظ قليلة جاءت على فعلانة ولغة بني اسد في كل فعلان فعلانة فيصرفون فعلان لان
شرط منع صرفه وجود فعلى او فقد فعلانة كما فصله النحاة فما ورد في هذا الحديث اما سماعي على
خلاف القياس او هو على لغة بني اسد فتوقف البرهان فيه لا وجه له وقد كانت قريش تتكلم بغير
لغتها كثيرة لورود القبايل عليهم وحكى صاحب القاموس امراة عطشانة من غير تقييد بلغة وقيل
الظاهر ان من قال عطشى لا يقول عطشانة وفيه نظر وهذا يدل على طهارة بوله اذ لم ينهها عنه
ولم يأمرها بغسل فمها ولا اعادة الصلاة ان كانت صلت ولا ينافيه قولها فشربته وانا لا
اعلم لانه لبيان طيبه وانها لم تجد له ريحا وطعما كغيره اي لا اعلم انه بول لما ذكر فلا ينافي قولها
انه كان له قدح يضعه تحت سريره فتامل وقد روي حديثها اي بركة ام ايمن المذكورة ابن
جريج وغيره هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج بجيمين اولاهما مضمومة وهو امام ثقة
ولد سنة ثمانين وتوفي في سنة خمسين ومائة ويكنى ابا الوليد وهو مولى لآل حبيبة بنت
حيي قيل وهو اول من صنف في الاسلام وكان يقول ما دون العلم احد تدويني • وقيل اول
من صنف سعد بن عروبة • وقيل الربيع بن صبيح وقد اختلفوا في قوله امراة شربت بوله
وقصة ام ايمن في قدح العيدان هل هما قصتان او قصة واحدة وروى الحاكم والدارقطني
عن ام ايمن انها قالت قام رسول الله من الليل الى فخارة في جانب البيت فبال فيها فقمت وانا
عطشانة فشربت ما فيها وانا لا اشعر فلما اصبح قال يا ام ايمن قومي فاهرقي ما في تلك
الفخارة قلت شربت ما فيها فضحك ثم قال والله لا يجعن بطنك ابدا ونحوه واخرج عبد
الرزاق عن ابن جريج قال اخبرت انه عليه السلام كان يبول في قدح من عيدان ثم يوضع تحت
سريره فجاء فاذا القدح ليس فيه شيء فقال لامراة يقال لها بركة كانت تخدم ام حبيبة جاءت

معها من الحبشة اين البول الذي كان في القدح قالت شربته فقال لها صحة يا ام يوسف
وكانت تكنى ام يوسف فما مرضت غير مرض موتها واخرج ابو داود وابن حبان عن اميمة بنت رقيقة
انها قالت كان لرسول الله قدح من عيدان الخ قال ابن دحية هما قضيتان لامراتين وبركة ام يوسف
غير بركة ام ايمن وفي قوله صلى الله عليه وسلم صحة ما يدل على ان الدعا به بعد الشرب سنة لا
بدعة عامية وحكمته ان الاكل والشرب يخشى منه السقم ونحوه فلذا دعا به كما قال •

• فان الداء اكثر ما تراه • يكون من الطعام او الشراب

وفي بعض النسخ وهو ساقط من الام واكثرها وروي عن امه آمنة انها قالت ولدته نظيفا
ما به قذر اي شيء مما يكون على المولود اي نفسا من الوسخ والدرن وقد كان صلى الله عليه
وسلم ولد مختونا مقطوع السرة وفي بعض الروايات ولد مختونا مسرورا وفيه تورية
لانه من السرور او من قطع السرة ومثلها في الحسن انه ولد معذورا مسرورا ومعنى معذورا
مختونا يقال عذرته اذا قطعت عذرته وهي الغلفة وكونه ولد مختونا مقطوع السرة ورد في
حديث روي عن عبد الله بن عباس وعلى هذا فهو تكريم له صلى الله عليه وسلم حتى لا يرى احد
عورته وقد وقع هذا لكثير من الناس والعرب تسميه ختان القمر واصله ان الطفل اذا ولد
في ليلة مقمرة واتصل بحشفته ضوء القمر وهي اذ ذاك لم تنضج جلدته اثر فيها حتى تقلصت
والمحت فان القمر يؤثر ضوؤه في اللحم ويغيره الا انه لا يكون قاطعا لها بالكلية ولذا لم
يتمه جوابه قال الشاعر •

• اني حلفت يمينا غير كاذبة • لانت اقلف الا ما جنى القمر •

وقيل انه يشير الى النمو في خلقة الانسان يحصل في زيادة القمر ويحصل النقصان عند
نقصانه كالحديد والحزر فهذا النقصان منسوب لنقصان القمر وقيل ان عبد المطلب لما
ولد مختونا قال ليكونن لابني هذا شان وسند هذا الحديث ضعيف جدا والذي صححه المحدثون
كما في التمهيد لابن عبد البر ان جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه وجعل له مادبة وسماه
محمدا وكانت العرب تختتن لانه سنة توارثوها من اسماعيل وابراهيم وليس ذلك لمجاورة
اليهود وقد ورد هذا في قصة هرقل ورؤياه التي قيل له فيها ان ملك اهل الختان قد ظهر
وروي انه ختن يوم شق قلبه وهو عند مرضعته حليمة وقد ذكره ابن القيم في كتاب الهدي
النبوي وهو ارجح الاقوال وطعن في القول الاول من الاقوال الثلاثة وقال انه روي
فيه حديث لم يصح وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ومن الغريب قول الحاكم في المستدرك
ان الاخبار تواترت بانه رسول الله ولد مسرورا مختونا وضعفه الذهبي وقال لا نعلم صحة
ما ذكره فكيف يكون متواترا والقول بانه اراد بتواترها شهرته بين الناس لانما اصطلح عليه
المحدثون بعيد وقد وقع في هذه المسالة نزاع بين ابن ابي طلحة والكمال بن العديم فالف
ابن العديم في تاييده انه ختن بعد ولادته تاليفا اوضح فيه الدلايل والنقول الا انهم لم يقبلوا
قول ابن الجوزي انه موضوع وردوه ومع قوله انه موضوع نقل عن كعب الاحبار ان ثلاثة
عشر نبيا ولدوا مختونين • وهم آدم • وشيث • وادريس • ونوح • وسام • ولوط • ويوسف
وموسى • وشعيب • وسليمان • ويحيى • وعيسى • ومحمد • وزيد حنظلة بن صفوان • قيل
ولا تعارض بين كلاميه ولا يخفى ما فيه • تتمة امه صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب
بن عبد مناف زوجها عبد المطلب ابنه عبد الله فولدت له النبي عليه السلام • وفي وفاتها

اقول مع

راه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

سبعة أقوال فقيل هل هو بعد ست سنين أو سبع أو ثمان أو خمس أو أربع أو تسع أو اثني عشر
وتسعة أشهر من ولادته وغير ذلك وماتت بالأبواء راجعة من عند بني النجار أخواله وفي زيارة النبي
قبرها وإحيائها كلام سيأتي ثم إنه ورد في الحديث أن رجلا سأله ما حقيقة أمرك منذ نشأت
فقال أنا دعوة إبراهيم وبشرى أخي عيسى وإني كنت بكر أمي وإنها حملتني كأثقل ما تحمل النسا
وجعلت تشكي لصويحباتها ثقل ما تجد الحديث ويعارضه ما رواه الواقدي من أن أمه قالت
لما حملت به ما شعرت أني حملت به ولا وجدت له ثقلا كما تجد النسا وإنما أنكرت حيضي وجمع بينهما
الحافظ أبو نعيم بأن الثقل كان في ابتداء علوقها به والخفة عند استمراره فيكون في الحالين
خارجا عن المعتاد المعروف وهذا الجمع لا ينافي مع قولها كما روي إني لما أنكرت حيضي أتاني آت
وأنا بين النائم واليقظان فقال هل شعرت أنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها فكونها ثبتت
بالحمل يقتضي أن الثقل لم يكن في ابتدائه والذي ينبغي في التوفيق أن الثقل يكون معنويا
وهو الوجع والألم الذي يحصل للحوامل وهو المنفي وحسيا وهو رزانته وزيادة مقداره من غير
ألم وتعب لأنه صلى الله عليه وسلم وزن بجميع أمته فرجحهم وهذا هو المثبت وبقية أحواله حمله
ومولده مفصلة في كتاب المولد لابن حجر **وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم قط** وروي أنها قالت ما رأيت منه ولا رأى مني يعني العورة وحذف
المفعول لاستهجان ذكره وقد اختلف في نظر أحد الزوجين عورة الآخر فقيل يكره وهو الأصح وقيل
يحرم لأنه يورث العمى وورد تعليل النهي عنه بذلك ونقل عن علماء الشافعية الاختلاف في هذا
العمى فقيل عمى الناظر وقيل عمى الولد وقيل عمى القلب وسنتمم تفصيله **وعن علي رضي الله
عنه أوصاني النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يغسله غيري فإنه لا يرى أحد عورتي إلا
طمست عيناه** قال المخرج هذا الحديث رواه البزار والبيهقي أي لا يمر يده على جسده غيره لأنه من
أقرب أقربائه وأقدمهم صحبة وأما قول الحافظ مغلطاي أنه غسله علي والعباس وابنه يعينانه
وقثم وأسامة وشقران يصبون الماء عليه وأعينهم معصوبة من وراء الستر فلا ينافيه إعانتهم
بتقليب جثته والثلاثة أعانوه بصب الماء وهو يغسله بنفسه وقوله من وراء الستر يعني وعليه
قميصه من غير تجرد بل مسه كما سيأتي كما في الموطأ لما روي أنهم اختلفوا هل يجرد دونه أم لا فسمعوا
مناديا من ناحية البيت يسمعون صوته ولا يرون شخصه يقول غسلوا النبي وعليه ثيابه
فلم يجردوه وقوله وأعينهم معصوبة أي مربوطة بعصابة حتى لا ينظرون جسده وهو يحتمل خيفة
أن يبدو من بدنه ما لم يؤذن في النظر إليه وضم أعينهم للعباس وابنه وقثم وأسامة وشقران
لا للكل فعلي هنا لم يعصب عينيه لأنه المباشر فهو مأذون في ذلك وخص بالإذن لأنه كان أقدرهم
على الغض وغيره وربما حانت منه لفتة فلتة فتطمس عيناه ولذا ورد أنه نودي وهو يغسله
أن ارفع طرفك نحو السماء خوفا من أن يدوم النظر إلى جسده فربما يقع منه نظرة دون قصد للمأمور
احتياطا والعورة الفرج وما لا يحل النظر إليه وطمست بفتح الطاء والميم من الطمس وهو إزالة
الأثر بالمحو وطمس العين إزالة ضوئها وصورتها وهو لازم قال تعالى ربنا اطمس على أموالهم وقال
وطمسنا على أعينهم ويتعدى كقوله من قبل أن نطمس وجوها وكفن صلى الله عليه وسلم في ثلاثة
أثواب بيض سحولية والسحولية بضم السين وفتحها نوع من ثياب اليمن قطن وبيان الكفنة مفصلة
في الفائق وفي هذا دليل على أن الله تعالى صانه عن أن يرى أحد محل العورة منه قبل النبوة وبعدها
فمن نظر إليها من قصد عمي ولم يرد ما ينافيه إذ لم ينقل أن أحدا رآها في صغره كأمه ومرضعته

وأما

وأما ما روي من أن قريشا لما بنت الكعبة وكان النبي ينقل الحجارة معهم فكان يضع إزاره على عاتقه
ويضع الحجر فأداني من الناس لعبسه فلكمه لاكم لكمة شديدة فاستغاث شاخصا بصره للسماء
فقيل له ما شأنك فقال نهيت أن أمشي عريانا وكان أول شيء رآه من النبوة فليس فيه أن أحدا نظر
لعورته **وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه** عكرمة علم منقول من العكرمة بمعنى الحمامة
هو عكرمة بن عبد الله البربري مولى ابن عباس أحد فقهاء المدينة وتابعيها ومن الأئمة المقتدى بهم
في التفسير والحديث توفي سنة سبع ومائة وقيل غير ذلك وهذا رواه الشيخان وغيرهما وهو حديث
صحيح **أنه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط** الغطيط صوت النائم إذا ارتفع نفسه
لانطباق مجراه وضيقه وقيل خطيط بالخاء المعجمة أيضا وهي بدل من الغين كما يقال أغن وأخن
قال التلمساني وبحث به الرواية أيضا **فقام فصلى ولم يتوضأ** لأنه صلى الله عليه وسلم كان
لا ينقض وضوءه بالنوم مضطجعا بخلاف غيره وهو من خصائصه وحكى الشافعية قولا أنه كغيره
في الانتقاض والانتقاض بالنوم في المذاهب الأربعة مفصل في كتب الفقه وإنما كان ناقضا
لأنه مظنة خروج ريح ونحوه من النواقض ومذهب الشيعة وبعض السلف أنه لا ينقض وفي أحد
قولي الشافعي أنه ينقض مطلقا وليس هذا محل تفصيله والأحاديث الدالة على أن نومه مطلقا لا
ينقض وأنه تنام عيناه ولا ينام قلبه كثيرة صحيحة منها ما ذكروه وهذا مخصوص به بالنسبة
للأمة لما صح من حديث إنا معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا قال ابن عباس لأن رؤياهم وحي
فيفارقون سائر البشر في نوم القلب ويساوونهم في نوم العين فلو سلط النوم على قلوبهم لم تكن
رؤياهم مفارقة لرؤيا غيرهم وهذا فضل من الله خصهم به وأما ما روي من وضوئه بعد نومه
فلم يفعله لحدث وإنما كان أحيانا تجديدا للوضوء فإنه كان يستحبه أو هو ليسنه لأمته • فإن
قلت يشكل على هذا أنه نام في الوادي حتى طلعت الشمس ولو كان قلبه غير نائم ما أخرج الصلاة
عن وقتها • قلت قد أجيب عن هذا بأجوبة • منها أحدها أنه لا مخالفة بينهما فإن القلب يقظان
فيحس بما يدركه القلب مما يتعلق بالبدن بخلاف ما يدرك بالعين كطلوع الشمس والفجر • ثانيها
أنه كان له نومان نوم مستغرق تنام فيه عينه وقلبه ونوم غير مستغرق تنام فيه عينه
فقط قال في شرح مسلم والمعتمد هو الأول فلعل قلبه كان مستغرقا بالوحي والمشاهدة فلا
يلزم وصف قلبه بالنوم كما كان عند نزول الوحي عليه في اليقظة فلاشتغال باطنه بالقدس
تعطل عن حقوق الظواهر كما قال الشاعر

فوالله ما أدري إذا ما ذكرتها • أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا

وهذا هو الذي اختاره ابن عبد البر وابن المنير لأن ظاهر الحديث عمومه لسائر أحواله وما حاله
وجه ما ذكر وحكمة التشريع وهذا جواب ثالث • ورابعها أنه يستغرق قلبه وينام ولكن لا
يبلغ مرتبة عدم الشعور بالحدث • تنبيه على القول بأن المس ينقض الوضوء ذهب بعضهم إلى
أنه لغيره وأما هو فلا • ثم اعلم أنه إذا كان رؤياه وحيا فهل أوحي إليه في نومه بشيء من القرآن قال
الرافعي في أماليه لم يقع ذلك وإنما نزل عليه كله يقظة • وما ورد من قرآنه سورة الكوثر في
النوم محمول على أنها خطرت على قلبه بعد نزولها يقظة وقوله لم يتوضأ بسكون الهمزة لدخول الجازم
عليه ويجوز إبدالها ألفا لينة على القياس وحينئذ فيجوز فيه جزمه بحذف الحركة المقدرة
وإبقاء الألف العارضية ويجوز جزمه بحذف ألفه لمعاملته معاملة يخشى فلك أن تقول
لم يتوضا ولم يتوض كما ذكره النحاة **قال عكرمة** في بيان وجه ما ذكر **لأنه صلى الله عليه وسلم كان محفوظا**

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لكن تاما قضا

قيل هذا جواب عن الاشكال السابق حاصله ان النوم غير ناقض بنفسه وانما نقض لانه مظنة الحدث والله تعالى حفظه عن وقوع ذلك منه ولو وقع لنبهه عليه وهو مع ضعفه مخالف لظاهر الحديث فالظاهر ان المراد ان الله حفظه عن ان ينام قلبه وقد علمت مما مر ان هذه خاصة اضافية بالنسبة للامة او الامم لان سائر الانبيا كذلك وقيل ان سفيان بن عيينة كانه لم يطلع على حديث انا معاشر الانبيا تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا او لم يصح عنده فحكم بان الصلاة بعد النوم من غير وضوء من خواصه صلى الله عليه وسلم وتبعه مغلطاي في سيرته واليه ذهب بعض الشافعية ولذا قال ابن الوردي في البهجة هـ

• وبعض ما اكرمه الله به • منامه بالعين دون قلبه •

اقول لا وجه لما قالوه فان غفلة مثل سفيان او قوله فيما صح من الاحاديث انه غير صحيح مع انه لم يصرح به فالمعول عليه بمثله غير لايق وحمل المؤمن وقوله على الصلاح اولى فنقول انما اراد هو لا انه لو سلم ان الانبيا السالفة لو صح انهم كانوا يتوضؤن لصلاتهم كوضوئنا فلم يسمع من احد ان وضوءهم ينتقض بنواقض شرعنا فتكون الصلاة بعد النوم من خواص نبينا على الاطلاق وعدم نوم قلوبهم امر آخر وهذا امر اوضح من الصبح • ومما قلته فيما نحن فيه هـ •

• وعينيك ما قلب النبي غفا ولا • عيون له في بردة الليل راقده •

• ولكنما الاجفان منه تهجدت • وباتت بمحراب الحواجب ساجده •

فصل في قوة عقله وشدة ادراك حواسه وذكائه وفيه ما يدل على قوة نبوته

واما وفور عقله الوفور بضم الواو والفاء مصدر كالقعود وبمعنى التمام لا الكثرة وقيل يحتمل انه جمع وفر بمعنى كثير والعقل قوة وغريزة اودعها الله في الانسان ليتميز عن الحيوان بادراك الامور النظرية وقيل انه نور يقذفه الله في القلب يستعد به لادراك العلوم والامور العقلية وفي حقيقته ومحله خلاف وكلام لا حاجة لتفصيله واشتقاقه من العقل بمعنى المنع ومنه العقال المنعه الانسان عما لا يليق به ولذا نظر في القايل

• قد عقلنا والعقل اي وثاق • وصبرنا والصبر مر المذاق •

وهذه القوة تتفاوت بالشدة والضعف وتزيد بامور مكتسبة من التجربة ومخالطة العقلاء فلذا قيل العقل عقلان عقل غريزي وعقل مكتسب والمراد بوفور عقله تمامه وكماله لا كثرته حتى يقال ان المصدر وصف العقل بالكثرة باعتبار آثاره الصادرة عنه قال في الصحاح الموفور الشي التام ووفرت الشي وفرا ووفر الشي بنفسه وفورا يعني انه متعد ولازم والوفور لم يذكر انه جمع وذكاء لبه الذكا بفتح الذال المعجمة والمد حدة الفؤاد لسرعة ادراكه وفطنته لانه في الاصل الاشتعال والتوقد ولذا يقال للذكي متوقد الذهن وقال الشاعر ۞ لولم يحل ما النداء • دونه لاحرقه ذكاوه •

واللب بضم اللام وتشديد الموحدة التحتية بمعنى العقل ولب كل شي قلبه وخصاله فلو فسر اللب هنا بالقلب جاز ايضا يقال لب يلب اذا صار لبيبا وعلى الاول فالمغايرة بين العقل واللب تفننا ولا تكرار في كلامه كما توهم وقوة حواسه الحس الظاهرة وهي اللمس والذوق والشم والسمع والبصر وهذه مما لا كلام في ثبوتها للانسان والحيوان الا ان الحصر فيها لانا لم نعثر على غيرها لا فينا ولا في غيرنا وان امكن كما صرحوا به واما الحواس الباطنة كالحس المشترك والخيال والقوة الفكرية والوهم والحافظة ومحالها من الدماغ فلم يثبتها

اهل الشرع على انهم في اثباتها ونفيهم محالها في خيص بيص كما يعرفه من وقف على كلامهم والحاسة بمعنى المدركة من حس بمعنى احس والثاني هو الاعرف والافصح وبه جا القرآن قال تعالى فلما احسوا باسنا فلما احس عيسى منهم الكفر وهو استعارة لجعله لشدة ظهوره كالمحسوس وقوة الحواس مما يتمدح به وفصاحة لسانه هذا وما قبله مرفوع بالعطف على وفور وسياتي الكلام على الفصاحة قريبا واعتدال حركاته اي حركاته الظاهرة في بدنه واعضايه جارية على نهج الاستقامة والادب فانها عنوان لما في قلبه من الخشوع والخضوع ومراقبة ربه الذي هو دايما في حضرته ولذا قال صلى الله عليه وسلم لما راى رجلا يعبث بلحيته في صلاته لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وحسن شمايله جمع شمال بالكسر وهو الطبع والاخلاق والصفات المحمودة فلا مرية بكسر الميم وقد تضم وسكون الراء المهملة يليها مثناة تحتية اي لا شك ولا شبهة او لا جدال ولا محاجة وقال الراغب المرية التردد في الامر وهي اخص من الشك قال تعالى فلا تكن في مرية من لقايه والامترا والممارات المحاجة فيما فيه مرية وقال تعالى فلا تمار فيهم الا مرآء ظاهرا واصله من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها للحلب انه كان اعقل الناس واذكاهم اي اقواهم واشدهم عقلا واكثر فطنة وذكاء ووضح ذلك وبينه بما هو معلوم لاهل العلم والبصيرة فقال ومن تامل في الصحاح تاملته نظرت فيه مستثبتا فكانه ماخوذ من الامل وهو الرجا لان من دقق النظر في شي واعمل الفكر رجا حصوله وانكشاف كنهه تدبيره امور بواطن الخلق وظواهرهم اي الوقوف على ظواهر احوالهم وخفاياها حتى يصلحها ويرشدهم للاحسن منها واصل معنى التدبير التفكر في عواقب الامور وادبارها وتدبير مفعول تامل وامور مفعول تدبير لانه بعث داعيا الى الله وهاديا للعباد وهذا انما يكون باصلاح باطنهم وظاهرهم وهو يتوقف على معرفة ذلك وسياسة العامة والخاصة منصوب معطوف على تدبيره والسياسة مصدر ساس الناس يسوسهم اذا دبر امورهم وتصرف فيها • قالت حرقة بنت النعمان

• فبينا نسوس الناس والامر امرنا • اذا نحن فيهم سوقة نتنصف •

وقول علامة الروم انه معرب سه يسق غلط لا اصل له وقد اخذه من كلام من لا يعتد به والعامة عوام الناس وجملتهم من ارباب الصنايع والرعية ماخوذ من العموم لان اكثر الناس كذلك والخاصة خلافهم وللمسعودي والجاحظ كلام في وصف العامة منه اتباع لكل جاهل لا يفرقون بين حق وباطل فتراهم مهرعين لقايد دب او ضارب دف متشوقين الى اللهو واللعب مختلفين لمنقيد متخرق واقفين عند قاص كذاب مجتمعين حول مضروب واقفين عند مصلوب ينعق بهم فيتبعون ويصاح بهم فلا يتعدون ولا يرتدعون • اذا اجتمعوا اضروا • واذا تفرقوا نفعوا • وسياسة الخاصة بالدلالة على الخير والنصيحة • وسياسة العامة بالزجر والقهر والضرب والنهر • وسيل العتبي عن قوله تعالى انا انزلنا التورية فيها هدى ونور وقوله وانزلنا الحديد فيه باس شديد اي مناسبة بين الحديد والكتاب وما هو الا كالجمع بين الضب والنون فاجاب بان ما لك الملك ارسل رسله لاجرآء اوامره ونواهيه بين عباده وهم قسمان عقلاء ذووا بصيرة وارشادهم بالكتب الالهية وما حوته من الادلة القطعية وجهلة عوام ۞ وتسخيرهم بالقهر والارهاب بالسيف والسنان فصار المعنى ارسلناهم بضابطي العامة والخاصة واي مناسبة اتم من هذه وان تراى عدم المناسبة بحسب النظرة الحمقاء مع عجيب شمايله وبديع سيره جمع سيرة مضاف للضمير وقد تقدم انها نسبة السير ثم خصت بحاله في غزواته

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ونحوها والعجيب الامر الذي من شانه ان يتعجب منه لكونه لا نظير له وكذا البديع بمعنى
المبدع وغاير بينهما تفننا في العبارة ولم يعطفهما واتى بهما للدلالة على ان انضمام هذا الى ما قبله
سبب كونه عجيبا بديعا كما تقول فلان يجود مع فقره لان الجود في هذه الحالة اغرب يعني انه مع
سياسته للخاصة والعامة مهذب الاخلاق موطو الاكناف حسن السيرة وقلما تتفق السياسة
العظمى الامع التجبر والتعظم والتحجب كما نراه من الملوك فهذا دليل قوة عقله وفطنته ثم قال
فضلا عما افاضه من العلم اي وزاد على ما ذكر بكثرة العلم الذي علمه الناس وحمل شايعا بينهم
من افاض الحديث اذا اذاعه وقوله من العلم اي من علوم الاولين والاخرين وقرره من الشرع اي بما
قرره للناس من الامور الشرعية لمعرفته بشرايع من قبله وبيانه لامور شريعته والكلام على فضله
وتقدمه يعني مفصل في شروح المفتاح والكشاف والافاضة اصلها من فيض الماء ثم شاعت
فيما مر دون تعلم سبق متعلق بافاض وما بعده اي فعل ذلك من غير تعلم من غيره لانه لم يخرج
عن بلده ولم يفارق غير اهل جلدته ولم يكن ثمة من يمكن تعلمه منه ولا ممارسة تقدمت منه
والممارسة معالجة ومزاولة بالاعتياد على فعله اي لم يتعلم من غيره ولم يحاوله حتى يعلم من نفسه
باجتهاده في استخراجه بعقله ولا مطالعة للكتب منه اي لم ينظر في شي من الكتب لانه كان
اميا بين قوم اميين وهذا دليل على شدة ذكائه وفطنته واستقامة طبيعته وفطرته فلذا
قال لم يمتر اي لم يشك ولم يرتب في رجحان عقله اي في زيادة عقله وثقوب فهمه
اي نفوذه وظهوره وهو بالمثلثة من ثقبت النار وهو تذكيتها يقال ثقبت النار ثقوبا اذا اتقدت
لاول بديهة اي لم يمتر ولم يشك في اول نظرة نظرها فان قلت هو تعلم ما ذكر من الوحي المنزل وهو
سفير محض قلت تلقي الوحي من الملك وضبطه وفهمه واجراؤه في مجاريه من غير تكلف منه يدل
على ما ذكر وكم من عالم وفقيه ودرس العلوم اذا اراد نقل بعض ما علمه لم يجد له قدرة ولا رونقا وبعض
الفقه اذا اولي القضا لا يحسن الحكم بين الناس ولك ان تقول المراد بما ذكر امر آخر غير ما قلته من
الامور العرفية التي اكثرها برايه وحسن تدبيره فانه كان ماذونا له في الاجتهاد وهذا مما
لا يحتاج الى تجربة وبيانه بما ذكرناه لتحققه بالمشاهدة في عصره والتواتر بعد ذلك
بحيث لا يشك فيه مسلم وعاقل وبما قررناه عرفت ان قول بعض الشراح هنا ان قوله ومن تامل
الخ غير واقع موقعه لان العلم بمثل هذا يلحق بالبديهيات وقد استشعر ذلك فقال وثقوب
فهمه لاول بديهة فهذا تطويل غير مفتقر اليه من عدم التدبر وقال وهب بن منبه بضم الميم
وفتح النون وكسر الباء المشددة بزنة اسم الفاعل وهو وهب بن منبه بن سيج بسين مهملة مفتوحة
وقيل مكسورة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم جيم الانباري اليماني اخوهما م بن منبه وكنيته
وهب ابو عبد الله ويقال له الذماري نسبة الى ذمار بكسر الذال المعجمة وهي قرية بقرب صنعا
تابعي جليل شهير بكتب المعرفة القديمة سمع من جابر وقيل انه لم يلحقه وروى عن ابن عباس وعبد
الله ابن عمرو بن العاص وابي سعيد الخدري وابي هريرة والنعمان بن بشير وغيرهم واتفقوا على
توثيقه وزهده وعبادته وتوفي سنة اربع عشرة وقيل سنة عشر ومائة وهو ابن ثمانين
سنة واخرج له اصحاب السنة وله ترجمة طويلة في الميزان قرات في احد وسبعين كتابا
من الكتب القديمة النازلة على الانبيا وغيرها وقد تقدم انه كان يعرف الكتب القديمة ويقروها
قال الخفاجي في كتاب المعارف لابن قتيبة انه قال قرات من كتب الله سبحانه اثنين وسبعين كتابا
فيمكن ان يكون وجد ان رسول الله ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا في احد وسبعين كتابا

منها فقط ولم يجد ذلك الكتاب الثاني والسبعين ويمكن ان تكون الروايات مختلفة عنه
بزيادة ونقص والذي قاله وهب من انه صلى الله عليه وسلم منوه بذكره في الكتب المتقدمة
ويعضده قوله تعالى النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل فوجدت في
جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا يعني ان عقله
ازيد من عقل جميع ورايه اشد من رايهم جميعا وفي رواية اخرى عن وهب ايضا فوجدت
في جميعها اي في جميع الكتب التي قراها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس حتى الانبيا والرسل
من بدء الدنيا الى انقضايها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم اصل معنى الجنب
الجارحة ثم استعير للناحية التي تليها كاستعارة ساير الجوارح لذلك كاليمين والشمال وقوله
في جنب الله اي في امره وحده الذي حده لنا كما قاله الامام الراغب فالمراد بقوله في جنب في
حد ومقدار الذي اعطاه الله له الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا يعني ان عقله كجميع رمال
الدنيا وعقل جميع الناس كحبة منها وهذا بيان على طريق التمثيل لان عقولهم لا تقاس بعقله كما ضرب
الخضر لموسى مثلا بما فيه منقار عصفور من ماء البحر بالنسبة لسايره فشبه به علم الله وعلم ما
عداه وقد اورد على كونه افضل الناس رايا انه ورد ما يخالفه في كثير من الوقايع الثابتة في الحديث
ورجوعه عن رايه لراي غيره كما في قصة بدر ورجوعه لراي الحباب بن المنذر حيث نزل النبي
بادنى ماء من مياه بدر فقال الحباب له اهذا منزل انزلك الله فلا نتقدمه ولا نتاخر عنه او هو
الراي والحرب والمكيدة فقال بل هو الراي والمكيدة فقال ليس هذا بمنزل حتى نأتي ادنى ماء من مياه
بدر فننزله ثم نغور ما وراه وتبني عليه حوضا ونملاه ثم نقاتل ونشرب ولا يشربون فقال
اشرت بالراي ورجع لما قاله وكذا في قصة اسارى بدر والفدا وكذا في قصة تابير النخل
ونحوه مما لا حاجة للتطويل بذكره • واجاب الخفاجي بان رجحان رايه على ما سواه مخصوص
بما امضاه من سنن الشرع واجتهاداته في امور الدين فلاسيما في رجوعه في آراء الدنيا لغيره كما
صرح به في قصة التابير اذ قال انما انا بشر مثلكم فاذا امرتكم بشي من دينكم فخذوا به واذا
امرتكم بشي من رايي فانما انا بشر اخطي واصيب وهذا نص فيما ذكروه وذ بان مختار اهل الاصول
ان كان متعبدا فيما لا وحي فيه بانتظار الوحي ثم بالاجتهاد بعد وقت الانتظار وقيل له الاجتهاد
مطلقا في الامور الشرعية والدنيوية وهو مذهب مالك واحمد والشافعي والمنقول عن ابي
يوسف وغيره • واختلف في جواز خطايه في اجتهاده فذهب الرازي وغيره انه لا يجوز وفي
التوضيح يجوز لكن لا يقر عليه وعدم الاقرار بالاجماع لوجوب اتباعه المقتضي لعصمته
وجواز الخطا عقلا لا مانع منه بمقتضى البشرية وقوة عقله وكمال حدسه وسداد رايه لا
ينافيه لانه من لوازم الطبيعة البشرية واذا جاز سهوه في صلاته ومناجاته ففي غيرها
بالاولى فقول الخفاجي ان جميع اموره الدينية صواب خلاف المختار عند علما الاصول
وحينئذ فمعنى كونه افضل الناس رايا واجتهادا مع جواز الخطا احيانا ان رايه لو خلا
ونفسه من غير معارض مما تقتضيه الطبايع البشرية كان افضل من راي غيره واجتهاده
اذا خلا ونفسه ايضا مع رجحان رايه بعدم التقرير عليه اذا خالف الاولى واراوه كلها
صواب بعد التقرير عليها وقوله لا الا على قول من يقول كل مجتهد مصيب والحاصل ان كون
رايه افضل الاراء لا ينافي رجوعه ومشاورته فان العبرة بما وقع عليه القرآن لا بمبادي الاراء
فافهم وقال مجاهد تقدم الكلام على ترجمته كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام في

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه قال البرهان في الاصل الذي وقفت عليه من بفتح الميم
موصولة وخلفه صلة منصوب على الظرفية وكذا من بين يديه وفي غيره بحرف الجارة وهذا الحديث
رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال هل ترون قبلتي هاهنا فوالله ما يخفى على ركوعكم ولا سجودكم
ولا خشوعكم واني لاراكم من وراء ظهري ورواه مالك واحمد وغيرهما وفي لفظه اختلاف والمعنى
متفق واختلفوا في حال الرؤية هل هي مختصة بحال الصلاة ام لا وهل هي رؤية حقيقية ام
علمية قلبية فقال ابن الصباغ في الشامل ان المراد بها الحس والتحفظ وقيل المراد العلم بان يوحى
الكيفية فعلهم او يلهم ذلك وفيه نظر لانه حينئذ لا معنى لتقييده بقوله من وراء ظهري وقيل
المراد من عن يمينه وشماله وهو تكلف والصواب انه محمول على ظاهره وان الابصار حقيقي خاص
به على خرق العادة ولذا اخرجه البخاري في علامات النبوة ثم انه يجوز ان تكون برؤية عينه خرقا
للعادة فكان يرى بها من خلفه كما يرى ما يقابله لانه لا يشترط في الرؤية المقابلة ولا العضو
المخصوص عند اهل السنة كما قرروه في رؤية الله وهذه امور عادية يجوز الرؤية مع عدمها عقلا
واذا قلنا الرؤية علمية فمعنى اري من خلفي اراكم وانتم من خلفي وقال الزاهد الحنفي صاحب القنية
في رسالته الناصرية انه كانت له عينان بين كتفيه كسم الخياط يبصر بهما لا يحجبهما ثوب
ولا غيره والظاهر ان مثله لا يقال بالراي وقيل كانت صورهم تنطبع في حائط قبلته كما تنطبع
في المرآة فيشاهد افعالهم ولا ينافي هذا ما ورد انه وضع شابا من وفد عبد القيس خلفه لئلا
يراه ولا قوله اني لا اعلم ما وراء جداري هذا ان صح ولا قوله في الحديث ايكم الذي ركع دون الصف
وقال ابو بكر انا يا رسول الله فلو كان يرى ما احتاج للسؤال لان الاول للتشريع والثاني المراد
به نفي علمه بالمغيبات مع ان عدم رؤية ما وراء الجدار لا ينافي الرؤية من غير حايل وهذا ان لم
نقل انه مخصوص بالصلاة كما في الاقناع ● واجاب ابن عبد البر عن حديث ابي بكر بان هذه القصة
قبل ان فضله الله بهذه الفضيلة فان ثبوته تزايد دائما وقيل اني لا اراكم ان قصدت ذلك ولم
يكن قصد ذلك كان الانسان قد لا يستعمل نظره احيانا او انه رآه ولم يعلم عينه او اراد تقريره
لينكر له ما ذكر وارتضاه بعضهم وارتضى غيره انه كان خلفه صفوف كثيرة فلا يرد عدم رؤيته
لانه لم يكن خلفه في الصف الاول فلا حاجة لما تكلفوه من الاجوبة وهو كلام حسن ويرفنس
بالبنا للفاعل اي فسره مجاهد او مبني للمجهول اي فسره العلماء او بعض المفسرين قوله تعالى
وتقلبك في الساجدين اي نرى تقلب بصرك في المصلين خلفك لتراهم وتعلم ما يفعلون
وهو امتنان بهذه النعم وهذا مؤنس لاختصاصه بالصلاة كما ورد التصريح به في بعض الاحاديث
وفي الموطا بصيغة المفعول المسند الى المأمون سمي به لما فيه من احاديث الاحكام الممهدة
للشريعة وسياق هذا الحديث للاستدلال على قوة حواسه فيناسب التفسير بانه يراهم بعينيه حقيقة
كما مر اني لاراكم من وراء ظهري ونحوه عن انس في الصحيحين وعن عائشة مثله قالت
زاده الله اياها في حجته وفي نسخة بحجته والاولى اصح وفي بعض الروايات اني لانظر من
ورائي كما انظر الى من بين يدي وفي اخرى اي في رواية اخرى اني لابصر من قفاي
كما ابصر من بين يدي والمراد بحجته الدلايل الدالة على نبوته وصدقه وقيل في حجته على الكفار
لان هذه معجزة من معجزاته خارقة للعادة وقوله زيادة بالرفع اي هذه زيادة ويجوز نصبه
وقول عائشة هنا لاثبات رؤيته من خلفه واكثر المفسرين في هذه الاقوال فمنها ما ذكره المصنف عن عائشة
هنا ومنها ما مر من ان المراد انتقاله من صلب نبي لنبي وسياتي تتمته وقيل تردده في تصفح

احوال المتهجدين لانه لما نسخ فرض الليل دار على بيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على
طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير من الذكر والتلاوة وقيل معناه نرى تقلبك في جماعة المصلين
اذا اممتهم ومما ذكره المصنف عن الموطا بعض حديث رواه مالك عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل ترون قبلتي هاهنا فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم واني لاراكم
من وراء ظهري ومما رواه عن الصحيحين بعض حديث فيهما وفي لفظه اختلاف كما اشرنا اليه
واول الحديث قال انس صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلما اقبل علينا بوجهه
قال ايها الناس اني امامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالقيام ولا بالانصراف فاني اراكم امامي
ومن خلفي الى آخر الحديث والكلام عليه مستوفى في شروحه وحكى بقي ابن مخلد عن عائشة بقي
بفتح الموحدة وتشديد القاف المكسورة تليها ياء مثناة ومخلد بفتح الميم واللام وخاء معجمة ودال
مهملة هو الامام ابو عبد الرحمن القرطبي الجياني الحافظ الزاهد العابد الثقة صاحب المسند
الكبير والتفسير الجليل الذي قال ابن حزم لم يصنف في التفسير مثله مولده في رمضان سنة احدى
ومايتين وسمع من ناس كثيرين منهم يحيى بن يحيى الليثي القرطبي واخذ عن مصعب الزهري
ويحيى بن بكير وابراهيم بن المنذر الحيّاني وابن ابي شيبة وطرق الشرق والغرب وشيوخه
مايتان ونيف وثمانون وروى عنه كثيرون كابنه احمد وكان مجتهدا لا يقلد احدا وعد من
اضرابه اهل السنن وكان مجاب الدعوة يقال انه كان يختم القرآن كل ليلة في ثلاث عشرة
ركعة ويسرد الصوم وحضر سبعين غزاة وتوفي سنة ست وسبعين ومايتين رحمه الله تعالى
كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء لا شك انه كان كامل الخلقة
قوي الحواس ومثل هذا غير بعيد وقد رواه الثقات كابن بقي فلا وجه لانكاره وقد اخرجه البيهقي
عن عائشة ايضا ونقل ابن دحية في كتاب الايات البينات عن ابن بشكوال انه ضعيف لان في
سنده ضعيفا واخرجه عن ابن عباس بلفظ كان يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء
ثم قال ليس بالقوي وذكره ابن الجوزي في العلل من حديث عائشة وقال لم يصح وقال العقيلي في سنده
من لا يعتمد عليه كما فصله وذكر هذا الحديث الذهبي في ميزانه في ترجمة عبد الله بن محمد بن المغيرة
الكوفي مع جملة احاديث قال انها موضوعة وقال السهيلي في الروض ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما ابتنى بام سلمة دخل عليها بيتها في ظلمة فوطئ على زينب فبكت فلما كان من الليلة الاخرى دخل
في ظلمة ايضا فقال انظروا زينبكم ان لا اطأ عليها وفي هذا الحديث توهين لحديث انه كان يرى
بالليل كما يرى بالنهار انتهى ولا يخفى انه لا معارضة بين الحديثين يقتضي ما ذكره لان زينب
كانت بنتا صغيرة نايمة مغطاة بازار ونحوه في جانب من البيت ومثلها قد لا يرى بالنهار ايضا
وهذا على ما فيه اقرب مما قيل ان عدم رؤيته كان لتغير حصل في بصره لان الاعراض البشرية
كانت تعتريه كما في قصة السحر فكان اذ ذاك كذلك فان مثله لا يقال بالراي من غير سند
ورواية مجازفة والاحاديث كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم الملايكة والشياطين
هذا مما لا اشتباه فيه ومما ذكره المصنف دليلا على قوة بصره وانه يرى ما لا يراه غيره اما رؤيته
الملايكة فورد في احاديث كثيرة منها ما في البخاري من انه قال لعايشة هذا جبريل يقرا عليك
السلام فقالت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته انك ترى ما لا نرى والاحاديث في رؤيته
الملايكة حيث لا يراها غيره كثيرة كما في حديث العقبة ورؤيته تلك الجبال المشهورة وفي هذا
دليل على قوته حيث يرى ما لا يراه غيره وليس هذا مخصوص بتشكل الملايكة فانها جواهر مجردة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قابلة للتشكل عندنا وعند الحكما للقوله تم فتمثل لها بشرا سويا وليس هذا النقص فيها
او زيادة بل للطافتها تنتشر تارة وتنضم اخرى كما تراه في لهب النار عند تلاعب الرياح
بها وكذلك الجن فانها مخلوقة من النار الا ان الملايكة من نورها الصافي والجن من النار المختلطة
بالدخان ولهذا ذهب بعض الحكما الى انهما جنس واحد وان الاستثنا متصل وفي بعض الشروح *
فان قلت فما معنى تشكل الملايكة والجن في صور مختلفة ولا قدرة لمخلوق على تغيير خلقته
قلت قال القاضي ابو يعلى لا قدرة للجن على تغيير خلقتهم ولا على نقل صورهم الى صورة اخرى
لان ذلك انما يكون بنقض البنية وتفريق الاجزا وان انتقضت البنية بطلت الحياة واستحال
وقوع النقل من الجملة فكيف تنقل نفسها وانما ذلك باعتبار جواز ان يعلمهم الله كلمات وضروبا
من الافعال اذا فعلها او تكلم به نقله من صورة الى صورة فيقال انه قادر على التغيير والتخييل
وحمل عليه تصور جبريل في صورة دحية وتصوره لمريم بشرا سويا ويجوز ان يكون الله تعالى
قد جعل لهم قوة التشكل عند ارادتهم ذلك لانهم ارواح انتهى وفيه كلام آخر ليس هذا محله
واما رؤيته للجن فقد ثبت في احاديث كثيرة منها ما رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله قال كنا معه صلى
الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا اغتيل او استطير فبتنا
بشر ليلة فلما اصبحنا اذا هو جا من قبل حرا فقلنا له فقال اتاني داعي الجن فذهبت معه
فقرات عليهم القرآن وسالوه الزاد فقال لكم كل عظم لم يذكر اسم الله عليه فهو طعام لكم وكل بعر
علف لدوابهم وورد احاديث اخر في رؤيته لهم واتيانهم به مفصلة في كتاب لقط المرجان
في احكام الجان قال بعض اهل عصرنا ظاهر كلام المص ان رؤية الملايكة والشياطين
من خصايص النبي فلا يراهم غير الانبيا وفي حاشية الحلبي في سفره الى الشام في قول الراهب
رايت ملكين يظلانه من الشمس فيه ما يدل على جواز رؤية الملايكة كالجن وقد صرح حولا
به وقوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم محمول على الغالب ولو كانت رؤيتهم محالة
ما قال صلى الله عليه وسلم ان اربطه حتى تنظرون اليه كلكم وقال المص رؤية الجن على صورهم الاصلية
ممتنعة الا للانبيا ومن خرقت له العادة وانما يراهم بنو آدم في غير صورهم ورده النووي
بانه دعوى مجردة لا مستند لها **ورفع النجاشي له حتى صلى عليه** يعني ان الله رفع ميتة
النجاشي وجنازته وهو ببلاد الحبش فراه من المدينة وصلى على جنازته وهذا دليل على قوة بصره
بحيث راه مع ما بينهما من المسافة البعيدة والبحر ورفع مبني للمجهول وتقديره رفعه الله هم
وصلى فاعله ضمير النبي صلى الله عليه وسلم قيل ويجوز ان يكون رفع مصدرا مضافا لمفعوله
مبتدا خبره مقدر اي ثابت او معجز ويجوز ان يجر رفع عطفا على قوله في رؤيته الملايكة
والاول اولى واظهر والنجاشي ملك الحبشة واسمه اصحمة بفتح الهمزة وسكون الصاد المهملة
وفتح الحا والميم والها ابن ابحر بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها جيم مفتوحة ورا مهملة
وقال مغلطاي ابن عجري • وقيل اسمه صحمة بمهملتين مفتوحة فساكنة وقيل صحمة بتقديم الميم
وقيل بالخا المعجمة كما نقله البرهان الحلبي عن بعض مشايخه • وقيل سلهم بضم السين • وقيل
حازم وقيل مكحول بن صصه بمهملات اولاها مكسورة والادغام والنجاشي بفتح النون وكسرها
وتشديد اليا وتخفيفها • وصوب المحب الطبري التخفيف كما قيل في جني ابن جني لانه معرب
كنبي والنجاشي علم على المذكور كالنجم للثريا وهو في الاصل كل من ملك الحبشة كقيصر لكل
من ملك الروم • وكسرى لمن ملك الفرس • وخاقان لمن ملك الترك • وفرعون للقبطي • والعزيز

ولكن بالحبشة النجاشي اسلم في عهده صلى الله عليه وسلم قاموس ... صح

لملك مصر • وتبع لملك حمير • ودهمي وفغفور لملك الهند • وغانة للزنج • وبطليوس
لليونان • وفطيون او مالخ لليهود بفتح اللام او شالخ • وللصابية نمرود • وتبع ملك
اليمن • وجالوت من ملك البربر • واخشيد من ملك فرغانة • ونعمان من ملك العرب من قبل
العجم • وشرحبيل من ملك افريقية • وشهريار من ملك خلاط • وفور من ملك السند • والاصفر
من ملك علوي • ورتبيل من ملك الخزرج • وكابل من ملك النوبة كذا في المقتفي وغيره وفي
سيرة مغلطاي ان من ملك اليمن يسمى تبعا فان تزحزح الملك سمي قيلا بفتح القاف وسكون المثناة
التحتية وهو الوزير واصله قيل بالتشديد كما خففه اهل اللغة وفرعون من ملك مصر والشام
فان اضيف اليها الاسكندرية فهو العزيز او المقوقس • ومعنى اصحمة عطية او عطية الله هم
واصحمة هذا هو النجاشي وهو ملك جليل القدر آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان يتلقاه
وبينه مهاداة ومكاتبة الا انه لم يلقه ولم يجتمع به ولذا لم يعد في الصحابة لان شرطها اللقا
الا على قول ضعيف ذكره في التقريب انه يكفي فيها المعاصرة مع المهاجرة والايمان لا سيما
من كان له عذر في التخلف وله اخبار حسنة منها انه لما بلغه وقعة بدر بعث لمن قبله من المسلمين
فلما دخلوا عليه وجدوه مسجى وقعد على التراب فقالوا له ما هذا ايها الملك فقال انا نجد
في الانجيل ان الله سبحانه وتعالى اذا انعم على عبده بنعمة وجب عليه ان يحدث له تواضعا
وان الله احدث لنا ولكم نعمة عظيمة وهي ما بلغني ان النبي محمدا صلى الله عليه وسلم التقى هو
واعداؤه بواد يقال له بدر كنت فيه ارعى غنما لسيدي فهزم الله اعداءه ونصر دينه
وروت عايشة انه لما مات كان يرى على قبره نور • وقوله كنت ارعى الغنم يدل على انه
دخل بلاد العرب • واما ما رواه النجاشي من انه من بيت الملك وان الحبشة قتلت اباه وملكوا
عمه وكان له مثل ابنه فخافوا انه يملكه بعده فيقتلهم بابيه فقالوا له لابد من قتله او اخراجه
من ارضنا فباعوه ثم ان الله جعله ملكا عليهم بعد ذلك فلا دلالة له على ما ذكر كما توهمه لان بقية القصة
مذكورة في الروض الانف وفيها ما يدل على خلاف ما ذكره ثم ان ما ذكر من رفع النجاشي للنبي حتى راى
جنازته قال السيوطي في كتابه مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا انه لم يجده في كتب الحديث
وانما الوارد فيها انه رفع اليه معاوية المزني حتى صلى عليه والنبي صلى الله عليه وسلم بتبوك كما اخرجه
ابو يعلى والبيهقي عن انس انتهى • اقول الذي انكره انما هو رفع جنازته اليه فانه روي في
خصايصه الكبرى من طرق متعددة انه نعى لاصحابه النجاشي لما مات وخرج وصلى عليه مع اصحابه
وكبر اربع تكبيرات والصلاة عليه ثابتة في الصحيحين وانما ذكر المص قصة الرفع مدرجة في
الحديث بنا على الاختلاف في الصلاة على الغايب فمن جوزها كالشافعية ذكر صلاته عليه من غير
تاويل ومن انكرها تاول الحديث بانه رفع اليه جنازته حتى راها وصلى او هو من خصايصه فلا يدل
على الصلاة على الغايب وصحتها مطلقا كما ياتي وكانت وفاته في السنة التاسعة من الهجرة في
رجب وعن ابي اسحق ان نيزرا وابا نيزر بنون وشاة تحتية وزاي معجمة ورا مهملة ابن
النجاشي كان مولى لعلي بن ابي طالب بعد موت ابيه وطلبته الحبشة ليتوجوه فابى وقال لا اريد
الملك بعد ان من الله تعالى علي بالاسلام وكان طويل القامة صبيح الوجه ورؤية النور على قبره
غير مستغرب فانه يرى على قبور بعض الشهدا ويصدقه قوله تعالى والشهدا عند ربهم لهم اجرهم ونورهم واعلم
ان قصة النجاشي في الصحيحين وهي من اعلام النبوة لاخباره بموته في اليوم الذي مات فيه
مع بعد المسافة ولما صلى عليه قال بعض المنافقين صلى على علج من علوج الحبشة فنزل وان من اهل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الآية واستدل به من قال بالصلاة على الغائب وبه
قال احمد والشافعي وبعض السلف لان الصلاة على الميت دعاء له فكيف لا يدعى له وهو غائب او في
قبره كما يدعى له وهو حاضر وذهب الحنفية والمالكية الى انه لا يشرع ذلك وعن بعضهم يجوز لمن
كان في جهة القبلة بخلاف مستدبرها • واجاب من قال بعدم الصلاة على الغائب عن هذه
القصة بامور منها انه كان بارض لا يصلى بها فشرعت لذلك ولذا قال الخطابي لا يصلى على الغائب
الا اذا مات بارض لا تعرف بها الصلاة على الميت كبلاد اهل الشرك وكذا قال ابو داود فاما ثمة
وجب على المسلمين ان يقوموا بحقه في الصلاة فلو علم انه صلى عليه لا يصلى عليه من كان غائبا فان
لم يصل عليه لعذر او عائق سن الصلاة عليه ولا يترك لبعد المسافة • ومنها ان هذا مخصوص بالنبي
لما روي انه سويت له الارض حتى ابصر النجاشي وقد رد هذا بانه اذا فعل شيئا من افعاله الذين كان علينا
اتباعه والتخصيص لا بد له من دليل ونقل ثابت لا بمجرد الاحتمال ولو فتح هذا الباب لم يبق شيء يوثق
به ولو كان كذلك توفرت الدواعي بنقله وقولهم احضرت الجنازة بين يديه ورفع له كما اشار اليه المصنف
قال ابن حجر ان ثبت ما اهل لذلك والله قادر على ما هو اعظم من ذلك لكنا لا نخترع حديثا ونقوله من
عند انفسنا ومثل هذه الامور الضعاف تلاق وملا تلاف • وقال الكرماني رفع الحجاب ممنوع ولئن سلمنا
فهو غائب في حق الصحابة الذين صلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد وقع في حديث مجمع بن جارية
ما يؤيده فان فيه فصففنا خلفه صفين وما نرى شيئا كما في سنن ابن ماجة والطبراني واجاب
الحنفية بانه يصير كالميت الذي يصلي عليه الامام وهو يراه والمأموم لا يراه فانه جائز اتفاقا
واورد عليه انه ليس النزاع في الرؤية وعدمها فانه لا يشترط في صحة الصلاة رؤية الميت ولا
سريره وانما النزاع في كون الميت في بلد والمصلي في اخرى وعلى تقدير انه رآه لا يرتفع النزاع
فان قلتم ان سريره رفع ووضع عنده لم يكن غائبا والحاصل ان هنا ثلاثة امور • احدها ان النبي علم بموته
وهو بالحبشة وصلى عليه بالمدينة هو والصحابة وعلى هذا هو دليل الشافعية • الثاني ان يكون رفع
له سريره او روحه وهو في مكانه وازيل الحجاب فهذا ايضا صلاة على الغائب ثم انا نطالب
من عنده بنقل صحيح • الثالث ان يحمل جثته لحضرة النبي فيصلي عليه وهو صلاة على حاضر ولم ينقل
احد انه ورد ولا ثبت فقول الحنفية انه دليل فاسد لا وجه له وكان الاولى استدلال المصنف على
قوة بصره بحديث معاوية المزني الذي رواه ابن عبد البر في الاستيعاب عن انس بن مالك ان
جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد مات معاوية بن معاوية المزني افتحب ان تصلي
عليه قال نعم فضرب بجناحه الارض فلم يبق شجرة ولا اكمة الا تضعضعت ورفع له سريره حتى نظر
اليه فصلى عليه وخلفه صفان من الملائكة في كل صف سبعون الف ملك فقال النبي صلى الله عليه
وسلم بم نال هذه المنزلة من الله عز وجل قال بحبه قل هو الله احد وقراءته اياها جائيا وذاهبا وقائما
وقاعدا وهذا حديث صحيح كما في شرح البخاري لابن حجر • اقول بعد صحة هذا وبيان كيفية الصلاة
فيه على الغائب والاحاديث يفسر بعضها بعضا علم ان قصة النجاشي ورفع السرير وازالة الحجاب
امر خارق للعادة لا يتيسر لغير النبي فتبين صحة جواب الحنفية وقوته وسقط الاعتراض عن المصنف
ايضا وقد اختلف في النجاشي كما في بعض الشروح اهو علم شخص ام علم جنس لكل من ملك الحبشة كفرعون
وقد جزم بانه علم شخص نقل العلمية للحبشة ولا وجه لانكار النقل فيه كما مر • تنبيه في حديث
النجاشي امران احدهما انه وقع فيه نعي موت النجاشي وقد ورد في الحديث انه نهى عن النعي ولذا اختلف
الفقهاء فقيل مكروه وقيل انه مستحسن ولا اختلاف بينهما فان معنى النعي الاخبار بالموت فاذا فعل من

تلاوة الاخلاص

غير صراخ

غير صراخ واطراء بما لا ينبغي فهو سنة ولو بالنداء في الاسواق لما فيه من الدعاء للميت وتكثير
الجماعة والاتعاظ فان كان بخلافه على عادة الجاهلية فمكروه الثاني ان الشافعية قالوا بعد
ما ذكروا دليل الخصم في التأويل قالوا لا دليل فيه فقيل انه فاسد لان الدليل ملزوم ولا يلزم
من نفيه نفي اللازم ودعوى الفساد غير ظاهرة فان مرادهم ان الصلاة على الغائب ثابتة بالاحاديث
الصحيحة فتأويلها من غير مستند لا يكون دليلا اذ لا بد لكل مدع من النقل فالجواب الصحيح ما قلناه
اذ المنع المجرد لا يسمع في مقابلة النص • ورفع بيت المقدس حين وصفه لقريش بالرفع عطف
على النجاشي ويجوز جره كما مر ومقدس بوزن مجلس اسم مكان او مصدر ميمي من القدس وهو الطهارة اي
المكان الذي يطهر فيه الله العباد من الذنوب او يطهر من الاصنام وجاء فيه ضم الميم وفتح القاف
والدال المشددة اسم مفعول من التقديس وهو التطهير وجاء بكسر الدال اسم فاعل لانه يقدس
العابدين فيه من الآثام ويقال البيت المقدس بالتوصيف والاشهر فيه الاضافة وقدس بضمتين
وضم فسكون الطهور واسم جبل معروف قال ابن بري يقال انه غير منصرف ولا ممتنع واستشهد
للاول بقول كثير • كالمضرحي غدا فاصبح واقعا • في قدس بين مجاثم الاوعال •
انتهى • فانظر دخول الالف واللام عليه ورفع بيت المقدس اشارة الى ما وقع في حديث الاسراء الذي
رواه الشيخان وغيرهما عن جابر بسند متصل صحيح وهو انه صلى الله عليه وسلم لما اسري به واصبح
بمكة اتاه عدو الله ابو جهل فقال له هل كان من شيء قال اني اسري بي الليلة الى بيت المقدس
قال ثم اصبحت بين اظهرنا قال نعم قال فان دعوت قومك اتحدثهم بهذا قال نعم فقال يا معشر
بني كعب بن لؤي فانفضت اليه المجالس حتى جاءوا فقال حدث قومك فحدثهم فصاروا بين مصفق
وواضع يده على راسه متعجبا فقالوا هل تستطيع ان تنعت لنا بيت المقدس وكم باب فيه فكربت
كربا شديدا لم اكرب مثله قط فجلى الله لي بيت المقدس وكشف الحجب بيني وبينه حتى رايته فنعته
لهم وانا انظر اليه وجاءوا ابا بكر وقصوا عليه القصة وقالوا انه تصدقه فقال نعم اني اصدقه
باخبار السماء فسمي لذلك صديقا ولا استحالة فيه فقد احضر عرش بلقيس في طرفة عين وهذا مؤيد
لما ذكره المصنف من قوة بصره حتى رآه مرفوعا ولم يغب عنه شيء منه فما قيل من انه لا يليق درج هذا
فيما له عليه الصلاة والسلام من الكرامات والمعجزات لانه امر زائد على تحمل الذات لا وجه له • والكعبة
حين بنى مسجده اي رفعت له الكعبة وهو بالمدينة حين بنى مسجده بها على الوجهين السابقين
في الاعراب قال السيوطي في مناهل الصفا رفع الكعبة له حين بنى مسجده رواه الزبير بن بكار
في اخبار المدينة عن ابن شهاب ونافع بن جبير وابن مطعم مرسلا ثم ما ذكره المصنف مشكل لانه صلى
الله عليه وسلم لما اتى المدينة نزل بقبا اياما ثم اسس مسجدها وهو اول مسجد اسس على التقوى
ثم خرج منها راكبا ناقته الى دور بني النجار فبركت ناقته في موضع مسجده فبناه على ما فصل
في السير والاحاديث الصحيحة وكانت القبلة بيت المقدس اذ ذاك خمسة عشر شهرا او نحوها
فكيف يصح ان يقال ان الكعبة رفعت له حين بنائه كما وقع في حديث الشفا بنت عبد الرحمن
الانصارية انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بنى مسجده يؤمه جبريل الى الكعبة
ويعلم له القبلة وهذا كله في غاية الاشكال مع وروده في هذا الحديث وفي الحديث المرسل الذي
نقله السيوطي في تخريجه ولذا قال الحلبي في شرحه انه غريب والمعروف ان جبريل عليه السلام
اعلمه بحقيقة القبلة واراه سمتها الا انه رفع له الكعبة حتى راها ولهذا جاءت الآثار من غير
تعدد وفي العتبية من سماعات مالك انه قال سمعت ان جبريل عليه السلام هو الذي اقام لرسول

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الله قبلة مسجده مسجد المدينة قال ابن رشد في البيان والتحصيل يعني اراه السمت
اليه وبين له جهتها فالصواب انه ذلك كان حين تحولت القبلة لا حين بناه مسجده وكون جبريل
اراه سمتها لا يقتضي رفعها وسنده لا يقدم عليه من غير رواية وما في حديث الشفا من ان جبريل
حين بنى مسجده كان يومئذ الى الكعبة في غاية الاشكال لان القبلة لم تكن اذ ذاك الكعبة بل
بيت المقدس اللهم الا ان يقال ان توجهه اليها لم ينسخ وكان مخيرا بين التوجه لها وللصخرة
وقد وقع في كتاب الناسخ والمنسوخ نحوه واما ما قاله ابن الحنبلي في شرحه من ان معنى قول
الشفا يومئذ اي بصيره اماما اي متبعا في التوجه الى الكعبة لاجل اقامة القبلة وبيان جهتها
ليريك سمته فمع تكلفه لا يجدي شيئا ولما استشعر هذا حاول توجيهه بما ذكره تاج العرافي بسبب
نزول قوله تعالى سيقول السفهاء الآية انه صلى الله عليه وسلم كان يحب التوجه للكعبة قبل تحويل
القبلة فلما قوي رجاؤه عليه السلام يمكن ان يكون سأل جبريل ان يبين له جهتها عسى ان تكون
قبلة ففعل او سأل اسوة للناس والامام المتبع في الاقوال والافعال مطلقا كما في عمدة الحفاظ وبه
فسر اي جاعلك للناس اماما ومجرد هذا الاحتمال لا يدفع الاشكال وفي الشرح هنا كلام طويل
بغير طائل رأيت تركه اكثر فائدة من ذكره ثم اني رأيت في تذكرة الحافظ العلامة العلائي بخطه
ان الراجح عند العلماء ان الكعبة كانت قبلة الانبياء اما انها كانت قبلة ابراهيم فمما لا شك
فيه وفي الاحاديث انه كان يحب ان يتوجه الى قبلة ابيه ابراهيم الكعبة وفي الآثار ما يقتضي
ان توجه اليهود الى بيت المقدس كان عن اجتهاد منهم او عناد وفي كتاب الناسخ والمنسوخ لابي
داود سنين الى الجنس في قوله تعالى ان اول بيت وضع للناس الآية قال العلم قبلته فلم يبعث نبيا
الا وقبلته البيت ووقع في قصة ذكرها مع سليمان بن عبد الملك ان خالد الرائي قال قرات التوراة
فلم اجد قبلة بيت المقدس فيه ولكن تابوت السكينة كان على الصخرة فلما غضب الله على بني اسرائيل
رفعه فكانت صلاتهم الى بيت الصخرة عن مشاورة منهم وقال ابو داود وخاصم يهودي ابا
العالية في القبلة فقال ان موسى كان يصلي عند الصخرة مستقبل البيت الحرام فقال له
بيني وبينك مسجد النبي صالح فقال اني صليت فيه وقبلته الكعبة فهذه الآثار تدل على ان
الكعبة كانت قبلة الانبياء كلهم انتهى باختصار اقول وكذا قبلة عيسى وانما غيرها المشرق بولص
كما صححوه اذا عرفت هذا علمت ان النبي كانت قبلته قبل الهجرة الكعبة ولكن يجعلها بينه
وبين بيت المقدس لانه كان يوافق اهل الكتاب فيما لم يوح اليه فلما هاجر استمر على ذلك وهو
يعلم ان القبلة الحقيقية الاصلية انما هي الكعبة وهي قبلة ابراهيم وقد امره الله بالاقتداء
به ولم ينص على القبلة فعنده علم بانه سيصرفه اليها ولكنه منتظر لامر الله مراعيا للادب
فلا مانع من ان يسأل جبريل ان يريه سمتها حتى اذا وقع ذلك لم يتردد ويتحير فيه وهذا هو الحق
الحقيق بالقبول فاعرفه ثم ذكر ما يدل على قوة حواسه فقال وقد حكي عنه انه صلى الله عليه
وسلم كان يرى في الثريا احد عشر نجما قال السيوطي في مناهل الصفا هذا لم يوجد في شيء من
كتب الحديث والثريا مصغر ثروى من الثروة وهي الكثرة وهي منزل من منازل القمر فيه نجوم مجتمعة
جعلت علامة فقول بعض الشراح انها كوكب وهم منه قال في مناهج الفكر هي ستة انجم صغار
طمس ونظمها من لا معرفة له سبعة وهي مجتمعة بينها نجوم صغار كالرشاش وحكي ان الثريا اثنى
عشر نجما لم يتحقق الناس منها غير ستة او سبعة ولم ير جميعها غير النبي صلى الله عليه وسلم لقوة
جعلها الله تعالى في بصره والنجم علم لها بالغلبة كالكوكب للزهرة وذكر السهيلي انه صلى الله عليه وسلم

كان يرى

١٦٤

كان يرى فيها اثني عشر نجما وقال القرطبي في كتاب اسماء النبي انها لا تزيد على تسعة فيما
يذكرون ونظمه في ارجوزته فقال ¤

وهو الذي يرى النجوم الخافيه ¤ مبينات في السماء العاليه ¤
احدى عشرة تعد في الثريا ¤ لناظر سواه ما تهيا ¤

وفي كتاب التفهيم لابي الريحان البيروني بكسر الموحدة والنون انها ستة كواكب كعنقود عنب
ويظن العوام والشعراء انها سبعة وهو ظن غير مصيب قيل وهو غير مصيب لنقصه عما رآه صلى
الله عليه وسلم وقد علمت انه لم يثبت ما نسب للنبي هنا وقال الامام الخيضري في خصائصه
ما ذكره القرطبي والسهيلي لم اقف له على سند ولا اصل يرجع اليه وقال التلمساني انه جاء في
حديث ثابت من طريق العباس ذكره ابن خيثمة وهذه كلها من رؤيته النجاشي والكعبة والثريا
وغيرها مما ذكر محمولة على رؤية العين اي مفسرة بما ذكر وهو المراد منها والحمل يستعار لذلك في
كلامهم استعارة مشهورة من حمل الاثقال بجعل اللفظ كحمل على ظهر المعنى وكثيرا منه الاحتمال وهو
قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم اي الى تأويل الرؤية بالعلم
وصرفها عن ظاهرها فتعبيره بالرد توطئة لقوله والظواهر تخالفه اي ظاهر العبارة
يخالفه ولا مقتضي لصرفها عن الظاهر ولا احالة في ذلك اي ليس في حملها على الرؤية البصرية
امر محال يقتضي العدول لاجله وهي من خواص الانبياء وخصالهم اي قوة البصر والحواس
من صفات الانبياء فلا وجه لاستبعادها وتأويل ما يدل عليها ثم ايد ذلك بالنقل فقال اخبرنا
ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه قال التلمساني هو التميمي مات بسبتة سنة احدى
وخمسمائة وهو من شيوخ المصنف وقوله من كتابه اشارة الى انه قرأه وهو يسمعه من كتابه لا من
حفظه وقد اختلف في من لا يحفظ ويحدث من كتابه فالصحيح انه يجوز روايته ويحتج بها واليه
ذهب ابن الصلاح وقيل لا يحتج الا بما يرويه من حفظه واختلف ايضا فيما اذا لم يتذكر ما في كتابه
وتفصيله في ابن الصلاح وحواشيه حدثنا ابو الحسن المقري الفرغاني بالفاء والغين المعجمة
نسبة الى فرغانة بلدة مشهورة بالمشرق ويحتمل نسبته لفرغان بلدة بفارس وباليمن وهو علي
ابن عبد الله المقري نزيل مكة حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر عن ابيها هي بنت ابي بكر محمد بن
يعقوب البخاري الزاهد الصوفي المعروف بالخفاف صاحب كتاب الاخبار بفوائد الاخبار
حدثنا الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسني هو الشريف ابو الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى
الرضا بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب توفي في خلافة المعتز بالله لاربع بقين
من جمادى الآخرة سنة اربع وخمسين ومائة وهو ابن اربعين وقيل غير ذلك حدثنا محمد بن محمد
بن سعيد حدثنا احمد بن سليمان حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق حدثنا همام هو همام بن الحارث
النخعي الكوفي سمع حذيفة وعمارا وروى عنه ابراهيم النخعي وتوفي في خلافة الحجاج بن يوسف
حدثنا الحسن هو الحسن بن جعفر الجفري بضم الجيم والفاء نسبة للجفر وهو مكان بالبصرة
عن قتادة بن دعامة التابعي الجليل وقد تقدمت ترجمته عن يحيى بن وثاب بفتح الواو وتشديد
المثلثة والف وموحدة وهو يحيى بن وثاب الاسدي مولاهم روى عن ابن عباس وعمر وعلقمة
وروى عنه الاعمش وغيره وهو ثقة محدث مقرئ توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة واخرج
له اصحاب السنن الا ان روايته عن ابي هريرة ليست في الكتب الستة عن ابي هريرة تقدم الكلام
في اسمه وترجمته عن النبي عليه السلام قال لما تجلى الله لموسى كان يبصر النملة على الصفا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الصفوان والصفا الحجر الصلد الاملس في الليلة الظلما مسيرة عشر فراسخ جمع فرسخ وهو ثلاثة
اميال والميل اربعة الاف ذراع كل ذراع طوله اربعة وعشرون اصبعا وعرض كل اصبع ست حبات شعير
ملصقة ظهر البطن وقيل ثلاثة اميال والميل اربعة الاف خطوة والخطوة ثلاثة اقدام يوضع قدم امام
قدم ويلصق به • وشين عشرة ساكنة ومفتوحة ولفظ الفرسخ معرب وقيل عربي معناه السكون
لانه بقطعه يسكن وقيل معناه الراحة والفرجة وقيل معناه ساعة من ساعات النهار • والتجلي قال
الراغب في مفرداته الكشف والظهور وقد يكون بنفسه بالذات نحو والنهار اذا تجلى وقد يكون بالامر
والفعل نحو فلما تجلى ربه للجبل انتهى واذا كان التجلي بعين الذات يشمل الخطاب والكلام فيحمل على الله
لموسى على خطابه وتكليمه وتجليه للجبل امر آخر فلا يرد على المص انه مخالف للقرآن فان التجلي فيه
للجبل لا لموسى مع انه غير مسلم فان القرطبي نقل في تفسيره قولا بان موسى رأى ربه ولذا خر صاعقا
وانما تجليه للجبل وانه كان دكا فاما بمعنى امره وفعله به ما اراد او نقول بان الله خلق فيه ادراكا علم
به تجلي الله فتفتت وانهدم من هيبته ولعل المص ارتضى هذا وعليهما فاللام صلة التجلي لانه يتعدى
بها وقول التجاني في الجواب ان اللام تعليلية بتقدير مضاف فلما تجلى لاجل سؤال موسى رؤيته وان
هذا لا بد منه في الحديث للتوفيق بينه وبين الاية وقال بعضهم المراد تجلى امره او نوره والمقدر هنا
من المعتزلة لانكارهم الرؤية ومن اهل السنة لاستبعاد ان يكون للجبل ادراك او روح يدرك
وليس بمستبعد من القدرة • اقول قد ارتضى هذا بعضهم وهو غير ثابت هنا لوجهين الاول انما
ذكره خلاف الظاهر لا يجوز الحمل عليه من غير قرينة • الثاني انه لا يناسب سياق الحديث ولا كلام المص
لان تجلي الله للجبل حتى صار دكا وخوف موسى حتى خر صاعقا لا يقتضي التاثير في حواسه
حتى يرى النملة المذكورة بل يقتضي خلافه ولا يصح تفسير كلام المص به لمنافاته لغرضه فالحق
ما قلناه وتحقيقه ان الله لما قربه حتى سمع كلامه النفسي بناء على ما قاله الاشعري من انه
يجوز سماعه او كلاما بغير واسطة يدل عليه انه لم يقل بعدم الالفاظ كما ذهب اليه كثير من السلف
حصل له قوة روحانية واتصل به نور الهي اثر في الروح الحيوانية وزاد في نورها الذي بانتشاره
في البدن يحصل الادراك على ما حققه الحكما في الحواس فادرك بذلك ادراكا خارقا للعادة •
فاذا كانت زرقا اليمامة ترى من اميال وهي امرأة من الجاهلية فما بالك بهؤلاء وفي تخصيص النملة
والظلمة والصخرة الملساء مبالغة لا تخفى وقيل معنى الحديث ان الله لما خص موسى بمناجاته ظهرت
له انوار ربانية ساطعة اضاءت بها الارض اضاءة عجيبة حتى صار يرى الصغير من بعيد كما يرى
الكبير من قريب والمه المقدم فان صحت فهو نور على نور وهذا الحديث رواه الطبراني في مسنده
الصغير وصححه ولما كانت هذه القوة حصلت للكليم بالتجلي فحصولها للنبي بعد الاسرا اعم مما
رآه اظهر ولذا قال ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا بما ذكرناه من رؤيته للملائكة والجن
ورؤيته بالليل كما يرى بالنهار من هذا الباب اي من نوع هذه الرواية فان الباب والبابة وردت
بهذا المعنى بعد الاسرا قيده به لانه وقع بالمدينة والاسرا كان بمكة ولانه يكون بعد تجلي الله له
ورؤيته على ما عليه الاكثر فتزيد قوته الروحانية والجسمانية كما سمعته آنفا والحظوة بما
رآه من آيات ربه الكبرى الحظوة زيادة القرب مع المحبة وزيادة بضم الحاء وكسرها ولما آيات
ربه الكبرى فسيأتي الكلام عليها في الاسرا وقد جاءت الاخبار بان صرع ركانة اشد اهل
وقته اشد اعظم قوة بدنية من جميع من كان بالقوة الجسمانية وهذا اثبات لتفوقه على غيره في
قوته البدنية بعدما اثبت قوة ادراكه وركانة بضم الراء المهملة وكافه مفتوحة تليها الف

ونون

ونون وهكذا قال الحافظ برهان الدين الحلبي في المقتفي هو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم
القرشي المطلبي الحجازي المكي ثم المدني اسلم يوم الفتح وهو صارع النبي صلى الله عليه وسلم فصرعه
قال الحافظ عبد الغني المقدسي وهذا مثل ما روي في مصارعته صلى الله عليه وسلم لغيره ورواه
ابو داود والترمذي مرسلا قال الترمذي وليس اسناده بالقائم واخرجه ابو داود عن قتيبة عن
محمد بن ربيعة عن ابي الحسن العسقلاني عن ابي جعفر محمد بن ركانة عن ابيه انه صارعه فذكره واخرجه
الترمذي بهذا السند وزاد المزي ما لفظه هكذا رواه ابو الحسن بن العبد وغير واحد عن ابي داود •
مثل رواية الترمذي ورواه البيهقي في المراسيل عن سعيد بن جبير قال البيهقي وهو مرسل جيد
وروي باسناد آخر متصل الا انه ضعيف واشار اليه ما تقدم وقد رأيت ما نقله في مراسيل ابي داود
في اطراف المزي كما قاله لكن فيه انه عليه الصلاة والسلام كان بالبطحا فاتاه يزيد بن ركانة او
ركانة بن يزيد فذكره بالشك والله اعلم • وتوفي ركانة بالمدينة سنة اثنين واربعين وقيل في خلافة
عثمان وقال النووي في تهذيبه وقع في المهذب في باب المسابقة انه عليه الصلاة والسلام
صارع يزيد بن ركانة وهو خطا والصواب ركانة ابن يزيد انتهى • وقال السهيلي في روضه ان
ابا الاسد بن الجمحي واسمه كلدة بن اسيد بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح وكان بلغ من شدته فيما
زعموا ان يقف على جلد البقرة فيجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح
عنه وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتني آمنت بك فصرعه عليه السلام
مرارا ولم يؤمن انتهى • والحاصل ان الذي صارعه ركانة في اصح الروايات وكان دعاه الى الاسلام
فلم يسلم اولا ثم اسلم بعد ذلك كما تقدم وصارع ابا ركانة في الجاهلية اي قبل ظهور الاسلام
بمكة قال البرهان الذي صح انه ركانة واما ابو ركانة فلم يصح والصواب ركانة وكذا ما نقل ان ابا
جهل صارعه لم يصح ايضا وذكر السهيلي ان ابا الاسود الجمحي صارعه وكان من اشد الناس وغير هذا
لم يصح والجاهلية منسوبة اي في الامة الجاهلية او الفترة والجاهلية تطلق على ما قبل مبعثه عليه
السلام وعلى ما قبل الفتح قيل والمراد هنا الثاني وكان اي ابو ركانة شديدا وعاوده ثلاث
مرات اي صارعه مرة بعد مرة كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم كل منصوب بنزع
الخافض اي يصرعه في كل ذلك قاله البرهان وغيره وحديث ركانة الذي رواه البيهقي انه
قال كنت انا والنبي في غنيمة لابي طالب نرعاها فقال لي ذات يوم هل لك ان تصارعني فقلت
له انت قال انا فقلت على ماذا قال على شاة من الغنم فصرعني واخذ مني شاة فجعلت التفت هل
يراني انسان من الرعاة فيجترئ علي وانا في قومي اشدهم فقال في الثالثة ولك شاة قال
ثم فصارعته فصرعني فقعدت كئيبا حزينا فقال ما لك فقلت ارجع لصاحب الغنم وقد
اعطيت ثلاثا من غنمه وكنت اظن اني اشد الناس فقال هل لك في الرابعة فقلت لا بعد ثلاث
فقال اما الغنم فاني اردها عليك فردها فلما ظهر امره اتيته واسلمت وفي رواية راهنه على
غنم ولانه قال له ما هذا الاثر فان قلت ما حكم المصارعة شرعا قلت ذهب البعض
الى تحريمها لانه لا منفعة لها في الحرب والاصح انها تجوز من غير عوض لانه ربما تدعو اليه الحاجة
وبهذا افتى شيخنا الرملي واما اخذ النبي العوض منه فانما كان بنية رده وليس عبثا في المصارعة
وليكون ذلك سببا لاسلامه مع ان المروي ان ركانة هو الذي طلب العوض ثم ذكر ما يدل على
قوته فقال وقال ابو هريرة ما رأيت احدا اسرع من رسول الله في مشيته بكسر الميم
وسكون الشين المعجمة والتاء الفوقية تليها تاء تانيث مضافا لضمير النبي وهي هيئة المشي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وَرُوِيَ مِشْيَة بفتح الميم دون تاء قاله التلمساني وقال الحجازي كثيرًا ما يقع في الشفاء وغيره مكسور الميم والصواب فتحها لان المِشْيَة بالكسر هيئة المشي وبالفتح مصدر فاذا فتحت كان المعنى اسرع من مشي رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كسرت فالتقدير اسرع من هيئة مشيه ولا معنى له ورُدَّ بان المشي والمشية بمعنى ولم يرد الهيئة والمقصود واحد لان المشية تكون مصدرًا اذ هو كما تقول جمال زيد اكمل وانت تريد زيد اكمل في جماله فالمعنى اسرع من مشيه في هيئته المخصوصة ولم يرد تفضيل الهيئة كما في قولك فلان احسن الناس جِلسة اي هيئته احسن من هيئة غيره في الجلوس اقول هذا تكلف نشأ من توهمه ان المشية مفضل عليها وليس كذلك فان المفضل مطلق حركته ومشيه وفي بمعنى مع اي لا ارى اسرع من حركته مع هيئته المخصوصة في مشيه فليس المقصود تفضيل الهيئة بمعنى انه مع تؤدته واعتدال حركاته تراه تسرع **كانه الماء الجاري** من غير اضطراب ولولا هذا لناقض هذا ذكر اعتدال حركاته في اول الفصل فلذا قال **كانما الارض تطوى له** فانه يدل على ان مشيه ليس بالجري والهرولة وورد ان الارض كانت تطوى له ولا منافاة بينهما انما يحمل هذا على غالب احواله وذاك على اسفاره ونحوها وقيل انهما بمعنى فان احدهما استعارة او تشبيه بليغ وهذا تشبيه صريح كما يقول زيد هو الاسد **انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث** نجهد مضارع اما من الجهد بفتح الجيم وهو المشقة والتعب وبضمها وهو الطاقة والمقدرة اي انا نتعب انفسنا في مساواة مشيه وهو مستريح لا يرى له مشقة ببذل وسعنا وطاقتنا وهو غير مبال بمشيه ومكترث بالكاف والتاء المثناة والراء مهملة ومثلثة اسم فاعل من الاكتراث وهو المبالاة والاعتناء بالامر قالوا ولا يستعمل الاكتراث الا في النفي وورد في الاثبات نادرًا في حديث ذكره صاحب النهاية وقد ورد في صفة مشيه في الحديث عن علي اذا مشى مشى تكفيًا كانما ينحط من صبب واذا وطئ وطئ بقدمه كلها ذريع المشي اي خطاه متباعدة وكان اصحابه يمشون بين يديه وهو خلفهم ويقول خلوا ظهري للملائكة ومما ذكره المصنف بعض من حديث اوله ما رايت شيئًا احسن من رسول الله كان الشمس تجري في وجهه وما رايت احدًا اسرع الخ رواه صاحب الشمائل والمصنف اختصره وغير بعض الفاظه وفي نسخة المصححة مشيته موافق لاصل النسخة من هنا وقد علمت ما ورد عليه وجوابه فلا حاجة لما قيل ان المشية اعم من المشي لدلالة الاول على الحدث والثاني على الحدث مع الهيئة وكلما دل على الحدث مع الهيئة دل على الحدث ولا عكس والحدث المطلق اذا اضيف الى من صدر عنه استفيد منه خصوص الهيئة لان الهيئة التي يدل عليها فِعلة المكسورة الفا حاصلة التي عليها الفاعل عند تلبسه بالفعل وهو لازم لكل مصدر فكل مشي مشية من غير تكلف **وفي صفته ان ضحكه كان تبسمًا** الضحك انبساط الوجه وظهور الاسنان فلذا سمي مقدمها الضواحك والتبسم ابتداؤه والاخذ فيه وقيل هو الضحك من غير قهقهة وفي الحديث كان ضحكه تبسمًا كذا في عمدة الحفاظ وعلى كل حال فالتبسم بعض من الضحك او نوع منه وعليه قول النحاة في قوله تعالى فتبسم ضاحكًا من قولها ان ضاحكًا حال مؤكدة وقول الزمخشري اي جاوز حد التبسم الى الضحك لا يقتضي التفرقة لان المراد بالضحك امرًا مخصوصًا فلا اعتراض على النحاة ولا على الزمخشري كما توهم وقد ورد في بعض الاحاديث ان ضحك النبي لم يكن الا تبسمًا وورد في بعضها انه ضحك حتى بدت نواجذه وورد في بعضها وصفه بمطلق الضحك وجمع بينها بان التبسم كان غالب امره وان غيره وقع منه احيانا على الندرة فلا منافاة بينهما وقيل المراد بقوله ضحك حتى بدت نواجذه

المبالغة لا حقيقة ولا حاجة اليه فان الانبياء والصحابة كانوا يضحكون اذا راوا عجبًا او ما يسرهم ولنا فيهم اسوة حسنة وانما المكروه الاكثار كما ورد في الحديث كثرة الضحك تميت القلب لمن غلب عليه ذلك من اهل اللهو والبطالة وورد في قوله فتبسم ضاحكًا انه كان فرحًا بفضل الله عليه ولم يكن بطرًا ولا اشرًا لا سيما ما فيه من تانيس الناس وتعليمهم لحسن العشرة • واما ما روي عن الحسن من انه ما رئي ضاحكًا ولا مبتسمًا الا في اهله ولا وحده ولا مع جماعة فذلك غير منكر لشدة خوفه من الله ومراقبته له وهو مقام آخر لا يخالف فعل النبي واصحابه فلا وجه للاعتراض به ولا عليه **واذا التفت التفت معًا** فلا يسارق النظر ولا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة كما يفعله من به طيش وخفة بل يقبل جميعًا ويدبر جميعًا ويعني فيه بجميعه **واذا مشى مشى تقلعًا** رواه الترمذي في الشمائل اذا مشى تقلع وفي رواية اذا زال زال قلعًا يمشي تكفيًا ويمشي هونًا وفي النهاية الاثيرية ان المراد انه يرفع رجليه من الارض رفعًا قويًا من غير مقاربة للخطا فانه مشي النساء والخائلين وتقلعًا روي بفتح القاف وضمها مصدر بمعنى الفاعل اي قالعًا رجليه وفي غريب الانباري والتهذيب بفتح القاف وكسر اللام وهو قريب من قوله كانما ينحط او ينحدر من صبب اي يمشي من غير عجلة ومبادرة شديدة **كانما ينحط من صبب** وروي في صبب بفتح الصاد المهملة وفتح الموحدتين وهو الموضع المرتفع او ما انحدر منه كسفح الجبل على ظاهرها وقيل انها بمعنى الى وينحط بمعنى ينزل وكذا ينحدر وفي رواية كانما يهوي من صبوب بفتح الصاد وضمها مصدرًا وجمع صب وهو وصف بغاية السرعة كالنازل من علو

فصل واما فصاحة لسانه وبلاغة القول

معنى الفصاحة في اللغة كما في كتاب الصناعتين لابي هلال الاظهار تقول العرب افصح الفصيح اذا اضاء واللبن اذا تخلت عنه الرغوة وظهر وتمامه بتمام آلة البيان وهي اللسان قال وتتضمن الفصاحة معنى الآلة يوصف بها اللسان فيقال لسان فصيح ولا يوصف بها الله فلا يقال فصيح وان وصف به كلامه والبلاغة من بلغت الغاية اذا انتهيت اليها وبلغتها فسميت بلاغة لبلوغها النهاية او لابلاغها المعنى لفهم السامع ومعنى الفصاحة عند اهل المعاني معلوم في كتبه ويوصف بها اللسان والمفرد والكلام والمتكلم وفي وصف المفرد بها كلام ليس هذا محله والمراد بالقول هنا جنس اللفظ الموضوع مطلقًا او تعريفه للاستغراق اي جميع اقواله بليغة واضاف الفصاحة للسان والبلاغة للقول تفننًا او للدلالة على كمال الكلامية وآلة نطقه فان من العرب من كان كلامه بليغًا مع نقص لثغة كزياد الاعجم فانه كان لا يقيم الحروف فيقول للحمار همار ولذا لقب بالاعجم ويحتمل ان يريد باللسان اللغة **كان صلى الله عليه وسلم من ذلك** المذكور وهو الفصاحة والبلاغة **بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل** المحل والموضع بمعنى وان تغاير مفهومهما لان الاول مكان الحلول والثاني مكان الوضع ففي عبارته تفنن فرارًا من التكرار اي كان افصح البشر وابلغهم بكنى عن ذلك بجعله في افضل محل للبلاغة وفي موضع لها لا يجهله احد كما في قوله •

ان الفصاحة والسماحة والندى • في قبة ضربت على ابن الحشرج •

فهو كالاثبات بدليل ومرتبته في ذلك دون مرتبة الاعجاز وهو قريب اليها من كل بليغ وقوله بالمحل خبر كان ومن بيانية على القول بجواز تقدمها وقيل تبعيضية والجار والمجرور حال من المحل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والموضع اي كان بالمحلين كاينين بعض ذلك اي بعض مطلق الفصاحة والبلاغة والمرتبة
التي له من ذلك ويؤثر عنه من الكلمات البليغة ما لا تصل اليه القوى البشرية **سلاسة طبع**
وفي نسخة مع سلاسة طبع والسلاسة السهولة اي كانت طبيعته في البلاغة تنقاد له
بسهولة من غير تكلف وسلاسة وقع بالنصب على نزع الخافض وهو مفعول له ولو رفع بتقدير
له سلاسة طبع جاز ومن الغريب ان الشارح القرضي بعد ما اعربه مفعولا له قال انه في جواب
سؤال تقديره هل كانت فصاحته طبيعة او تتبع تراكيب البلغا ووقفوا بينهم **وبراعة منزع**
البراعة بفتح البا والرا المهملة من برع الرجل بضم الرا وفتحها اذا فاق غيره وكثيرا ما يستعمل بمعنى
الفصاحة ولذا فسرها هنا بعض الشراح وليس ببعيد والمنزع من نزع الى اهله اذا اشتاق واراد
الرحيل اليه ونزع القوس جذبها والدلو استقى بها فالمنزع ان كان بفتح الميم فاسم مكان او مصدر
ميمي وفسروه هنا بالمأخذ وما يرجع اليه الرجل من رأيه وامره والظاهر ان المراد اصله ومعناه
يعني انه مع بلاغته الجبلية من قوم وجلدة هم افصح الناس وان كان بكسرها كما عليه التلمساني
فهو اسم آلة كالمفصل وفسره باللسان واصله السهم يقال نزعت في القوس نزعا وانتزعت بمنزع
اي سهم وفي المثل عاد السهم الى النزعة اي رجع الحق لاهله **وايجاز مقطع** الايجاز التعبير
عن معان كثيرة بلفظ قليل ويقابله الاطناب والمساواة كما بينه اهل المعاني والمقطع بفتح
الميم اسم مكان او مصدر اي يوجز في محل القطع والفصل للامور فانه محل الايجاز لا كمقام
الخطابة فانه يحمد فيه التطويل فلذا اقتصر عليه لا لانه يعلم من البلاغة كما قيل وجوز فيه كسر
الميم على ان المراد به القول ويفسره بتمام الكلام لظهوره عنده تكلف **ونصاعة لفظ**
النصاعة الخلوص والوضوح اي ان لفظه خالص من كل بشاعة وركة واضح لكل احد لمخاطبته
كل احد على قدر عقله بلغته **وجزالة قول** بفتح الجيم والزاي المعجمة وهو القوة والاتقان وضدها
الركاكة **وصحة معان** اي مع فصاحة الفاظه ووضوحها معانيه صحيحة لا فساد فيها
لاجترائها على الاحكام والحكم والحكم الفصل **وقلة تكلف** لانه يتكلم عن روية وسلاسة
طبع من غير تشدق ورعاية سجع ومشقة والمراد انه لا يتكلف فالقلة هنا بمعنى النفي كما اثبته
النحاة واهل اللغة **اوتي جوامع الكلم** اي آتاه الله قوة ناطقة بحيث ينطق بالكلمات
الجامعة للمعاني التي هي بمنزلة الامثال فان من تأمل كلامه رأى فيه من المعاني مع الوجازة
التي يستخرج الطبع من الغوامض منها جواهر تحار فيها العقول وقيل المراد به القرآن والحديث
وفيه نظر **وخص ببدايع الحكم** اي خص بنطقه بكل حكمة بديعة لم يسبق اليها والحكمة العلم
النافع المانع لمن وعاه من الزيغ والضلال وقال ابن عرفة الحكمة عند العرب ما يمنع من الجهل
ولذا سمي الحاكم حاكما لمنعه التعدي **وعلم السنة العرب** اي يعلم لغاتهم لان اللسان يطلق
على اللغة وعلم مخفف ماض مبني للفاعل او مشدد مبني للمجهول اي علمه الله او مصدر
مجرور معطوف على بدايع الحكم **يخاطب كل امة منها** اي كل قبيلة وجماعة منهم **بلسانها**
اي لغتها لاختلاف لغاتهم **ويحاورها** اي يصاحبها ويراجعها بلغتها **ويباريها في منزع**
بلاغتها المباراة بالراء المهملة غير مهموز والمباراة والمجاراة المعارضة وفعله مثل
فعله **حتى كان كثير من الصحابة** مع انهم فصحاء علما وهذا غاية لجميع ما قبله اي لقوة
فصاحته قد لا يفهمون كلامه لما فيه من المعاني البديعة التي لم يسمعوا بها او لما يليها
من تكلم بجميع الالسنة لان السامع قد لا يعرف لغة غيره **يسألونه في غير موطن** اي في مواطن

كثيرة

كثيرة **عن شرح كلامه وتفسير قوله** لانه لما ارسله الله لجميع الناس علمه جميع اللغات
قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وهو مرسل للجميع **من تأمل حديثه وسيره** وروي
سبره بسين مفتوحة وبا موحدة كما ذكره البرهان اي تتبعه وتفتيشه واصله سبر الجرح اذا تتبع
غوره **علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد** قريش قوم
من ولد النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر سموا بذلك لتقرشهم اي لجمعهم بعدما
كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم مضر او لانهم كانوا يفتشون الباعات والامتعة اي يجمعونها
او سموا بالقرش وهو دابة بحرية يخافها دوابه ۰ والانصار جمع ناصر ونصير سموا بذلك في الاسلام
لنصرتهم لرسول الله وهم الاوس والخزرج قبيلتان سموا باسم جدهم كتميم والحجاز مكة والمدينة
والطايف وما يليها سمي به لانه حجز بين تهامة ونجد او بين نجد والسراة او احتجز بحرات
خمس معروفة ونجد بفتح وسكون ما ارتفع من الارض ويقابله تهامة وهي اعمال اليمامة كما بين في
معجم البلدان وغيره **ككلامه مع ذي المشعار الهمداني** بسكون الميم ودال مهملة يليها الف
ونون ويا نسبة لهمدان وهي قبيلة عظيمة باليمن واما همذان بهاء وميم مفتوحتين وذال
معجمة فبلدة بخراسان بناها همذان بن الفلوج ابن سام بن نوح والمعروف بين العجم اهمال الذال
فكان هذا تعريب له وذو المشعار بميم مكسورة ثم شين معجمة ساكنة وقال التلمساني انه بسين
معجمة ومهملة وعين معجمة ومهملة واقتصر في القاموس على الثاني وراء مهملة وفي الروض
الانف انه ابو ثور مالك بن نمط وهو من بني خارف او من يام وكلاهما من همدان وهو صحابي
وفد على النبي صلى الله عليه وسلم بعد مرجعه من تبوك وخارف بخاء معجمة وراء مهملة وفاء
ويام بمثناة تحتية ويقال ابام بهمزة وهو الذي ذكره المصنف وهو همداني خارفي ارحبي
ووهم ابن اسحق في قوله في سيرته مالك بن نمط وابو ثور وكان ان يقول انه من عطف الكنية
على الاسم ولا بعد فيه والذي صححه الصغاني في كتاب الذيل والصلة ان المشعار بعين مهملة
وانه بما قبله والمشعار لان المشعار موضع باليمن ينسب اليه وسيأتي ما قاله للنبي لما قدم
وطهفة النهدي بكسر الطاء المهملة وسكون الها والفاء تليها ها تانيث وهو ابن زهير
ويقال ابن ابي زهير وسماه الذهبي في تجريده طهية بالمثناة التحتية وقال ابن الجوزي طخفة
بالخاء المعجمة وقيل طغية بالغين المعجمة وقيل طقفة بقاف وفا وقيل قيس بن طخفة وقيل اسمه
نغيش واسم ابيه ابوذر قال التلمساني انه في بعض الشروح بطاء مثلثة مفتوحة ويقال
بكسرها والنهدي بالنون والدال المهملة منسوب لنهد وهو اسم قبيلة باليمن وهو خطيبها ووافدها
للنبي صلى الله عليه وسلم في سنة تسع لما قدمت عليه وفود العرب ولما قدم قام وقال ۰
اتيناك يا رسول الله من غوري تهامة ۰ باكوار الميس ۰ ترمي بنا العيس ۰ نستحلب الصبير ۰
ونستخلب الخبير ۰ ونستعضد البرير ۰ ونستخيل الرهام ۰ ونستجيل الجهام ۰ من ارض غايلة
النطاء ۰ غليظة الموطاء ۰ قد نشف المدهن ۰ ويبس الجعثن ۰ وسقط الاملوج ۰ ومات العسلوج
وهلك الهدي ۰ ومات الودي ۰ برئنا يا رسول الله من الوثن والعنن ۰ وما يحدث الزمن ۰ لنا دعوة
السلام ۰ وشريعة الاسلام ۰ ما طما البحر وقام تعار ۰ ولنا نعم اغفال ۰ ما تبض ببلال ۰ ووقير
كثير الرسل ۰ قليل الرسل ۰ اصابتها سنية حمراء مؤزلة ۰ ليس لها علل ولا نهل ۰ فقال رسول الله
بارك الله لهم في محضها ومخضها ۰ ومذقها ۰ وابعث راعيها في الدثر ۰ بيانع الثمر ۰ وافجر له الثمد ۰
وبارك له في المال والولد ۰ الى الكلمات اخر ۰ وهذا ما اشار اليه المصنف **وقطن بن حارثة العليمي**

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قطن بفتح القاف والطا المهملة ونون والعليمي بعين مهملة مصغر وحارثة بحا وراء مهملتين ومثلثة وهو منسوب لبني عليم بن جناب بن كلب فهو كلبي وقيل عليم بن جناب بن هبل من بني عذرة من قبايل كلب ايضا وهو صحابي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وافدا لقومه فكتب له كتابا بعد ما كلمه بكلام فصيح غريب وصورة الكتاب هذا ما كتبه محمد رسول الله لعمائر كلب واحلافها ومن ظاره الاسلام من غيرهم مع قطن بن حارثة العليمي باقام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة بحقها في شدة عقدها ووفاء عهدها بمحضر من المسلمين سعد بن عبادة وعبد الله بن انيس ودحية بن خليفة الكلبي عليهم في الحمولة الراعية البساط الظفار في كل خمسين ناقة غير فات عوارا والحمولة المايلة لاغية وفي الشوي الوري مسنة حامل او حايل وفيما سقى الجدول من العين المعين العشر من ثمرها ومما اخرجت ارضها وفي العذي شطره بقيمة الامين لا تزاد عليهم ولا يفرق شهد الله ورسوله وكتب ثابت بن قيس بن شماس والاشعث بن قيس بن معدي كرب ابو محمد وهو من ولد آكل المرار الكندي الشريف الصحابي توفي بالكوفة بعد موت علي باربعين ليلة وصلى عليه الحسن وكان شريفا مطاعا في قومه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر في ستين راكبا فاسلموا ورجعوا الى اليمن قال في الاستيعاب ثم ارتد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع الى الاسلام بعد ما اتى به ابو بكر اسيرا فجعل يعدد عليه افعاله وهو في الحديد حتى تم مقالته فقال له الاشعث استبقني وزوجني اختك فراى ابو بكر انه الراي ففعل وزوجه اخته ام فروه وروي انه لما خرج من عنده اشتل سيفه فلم يلق ذات اربع من الانعام الا عقرها فقيل لابي بكر انه قد ارتد ثانية فقال انظروا في شانه فراوا الناس اجتمعوا عليه وهو يقول يا قوم هذه وليمتي ولو كنت بارضي اولمت كما يولم مثلي فاغدوا على وضعوا اثمان ما عقرت لكم وفي ذلك يقول ابن قيس الخزرجي ⊙

• لقد اولم الكندي يوم ملاكه • وليمة حمال لثقل الجرايم •

• فقل للفتى الكندي اذا ما لقيته • ذهبت باشنى مجد اولاد آدم •

ولقب بالاشعث لانه كان راسه اشعث دايما • وقد اخرج للاشعث اصحاب السنة واحمد في مسنده وصرحوا بانه صحابي بنا على ان الردة لا تبطل الصحبة اذا رجع للاسلام قبل موته وهو الاصح وبه صرح الشافعي في الام ونقل عن ابي حنيفة وقيل انها تحبطها مطلقا ولم يذكر المص كلام النبي معه ولا كلامه حين وفد عليه وهو كما في تاريخ ابن عساكر ونقله الذهبي ومن خطه نقلت عن هشام بن الكلبي ان الاشعث وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من كندة فقال له هل لك من ولد فقال غلام ولد مخرجي اليك ولوددت ان بشبع القوم مكانه وروي لوددت ان لكم به قصعة من خبز ولحم فقال له رسول الله لا تقولن ذا فان فيهم اجرا اذا قبضوا وانهم لمجبنة ومحزنة وانهم لثمرة القلوب وقرة العين انتهى وهو من بليغ الكلام ومن الحديث اخذ ابن الهبارية قوله في الصادح والباغم لا خير في الاولاد والاهل والسفاد ⊙ • وليس فيهم فايده • الا ظنون فاسده • مجبنة ومبخلة مخزلة ومقتله • اولاهم مادلاه دوادب وقلاه وَوائل بن حجر الكندي نسبة لكندة بكسر الكاف وسكون النون ودال مهملة وهاء وحجر بضم الحا المهملة وسكون الجيم وراء مهملة ووائل بواو والف يليها همزة لا يا مثناة كما في حواشي التلمساني ويقال له ابو هنيدة ويقال ابو هنيد بغير هاء بن ربيعة بن نمر الحضرمي كما قاله ابن عبد البر وفي شرح الحجازي انه ابن حجر ابن ربيعة بن وائل ابن نمر الحضرمي وما في الشفا

من انه

من انه وائل بن حجر الكندي غلط بغير شبهة والصواب ما تقدم ولعل الكندي كان وصفا للاشعث بن قيس مقدما على قوله ووائل بن حجر فاخره الناسخ سهوا وجعله وصفا لوائل وفيه خلاف ذكره ابن الجوزي في كتاب الجمان فقال وائل بن حجر بن سعد بن مسروق ابو هنيدة الحضرمي او ابو هند الكندي الصحابي ووافقه ابن عساكر فقال وائل بن حجر بن سعد بن مسروق بن وائل بن صمح فيمكن ان يكون كنديا عند المص فليس وصفه به غلطا فيكون كنديا حضرميا وهو قبيل من اقيال حضرموت وابوه ملك من ملوكهم فدعوى انه غلط غلط قال في العباب كندة ابو حي من اليمن وهو لقب له واسمه ثور بن عفير بن عدي ولقب به لانه كند نعمة ابيه وبخوه باحواله فقال له ابو كندة ولما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر به قبل قدومه بثلاثة ايام وقال يا تيكم وائل بن حجر من ارض بعيدة من حضرموت راغبا في الله ورسوله طايعا وهو بقية من ابناء الملوك فلما دخل عليه رحب به رسول الله وادناه منه وبسط له رداءه واجلسه عليه وقال اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده وفي التهذيب للازهري عن وائل بن حجر انه قال كتب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا جلب ولا جنب ولا شغار ولا وراط ومن اجبى فقد اربى وفسر من اجبى من عين وهو حسن وعن ابي عبيدة الاجبا الحرث قبل ان يبدو صلاحه انتهى وله قصة مع معاوية لما ارسله النبي معه وتوفي في زمن معاوية سنة ست واربعين في ذي الحجة وغيرهم اي غير من ذكر من العرب من اقيال حضرموت وملوك اليمن الاقيال جمع قيل بفتح القاف واسكان المثناة التحتية واللام وهو الملك من ملوك حمير واليمن وقيل الملك مطلقا وقيل من دون الملك الاعظم كالوزير وفي النهاية الاثيرية انه صلى الله عليه وسلم كتب لوائل بن حجر الى الاقوال العباهلة وفي رواية الى الاقيال فقيل انه من القيالة وهي الامارة وقيل من القول لنفوذ قوله وامره واصله على هذا قيل بتشديد اليا على اعلال ميت ولولاه لم يكن لقلب الواو ياء وجه واقوال على الاصل واقيال على لفظ قيل كما قيل ريح وارياح والقياس رواح لكنه لم يرجع لاصله فرقا بينه وبين جمع روح والعباهلة هم الذين قد ملكتهم وبقي متروكا على ما كان عليه من عبهلت الابل اذا تركتها ترعى متى شاءت واحدها عبهل فالتاء لتاكيد الجمعية كقشعم وقشاعمة او جمع عبهول واصله عباهيل فحذفت اليا وعوض عنها التا كما في فرازنة وفرازين وفي اللسان الباهلة بالباء الموحدة هم الذين لا يد عليهم لاحد وبالمثناة التحتية الشان وكلاهما مر قال التلمساني وحضرموت بفتح الحا المهملة واسكان الضاد المعجمة وفتح الميم وقال صاحب المطالع انه بضم الميم وجعله بعضهم وجها جايزا فيه وهو علم مركب تركيبا مزجيا غير مختوم بويه وفي مثله ثلاثة اوجه فتح رايه واعرابه اعراب ما لا ينصرف للعلمية والتركيب واجراء الاول على حسب العوامل واضافته للثاني وبناوهما على فتح خمسة عشر وقال النووي في تهذيبه حضرموت اسم بلدة باليمن واسم قبيلة واليمن الاقليم المعروف وينسب اليه يمني ويمان بالتخفيف وبالتشديد وهو شاذ وسمي به لانه عن يمين الكعبة ويجمع يمن على يمنين ويمانون بالتشديد وانظر اي اعرف وقف عليه باي طريق كان من استعمال المقيد في المطلق في كتابه اي كتاب النبي الذي كتبه الى همدان بسكون الميم والدال المهملة كتبه لما وفد عليه ذو المشعار الهمداني فهذا رجوع الى بيان كلامه مع غير اهل الحجاز وتقدم ان همدان قبيلة من بطون كهلان فيام بالتحتية ويقال ايام وكذا نسب لبنية اهل الحرث ايامي وقال ابن دريد ان هذا اسم لابي القبيلة وقيل اسمه اوسله وانه اخبرهما نحمة فقال لهم دان فلقب به وليس هذا مما يلتفت

شبكة الألوكة
www.alukah.net

البيد انتهى كلامه في الجمهرة ولم يذكر فيه مادة مفرد بالاعجام لانه غير عربي عندي وتقدم الكلام عليه وقصة الكتاب ان ذا المشعار قال لرسول الله لما لاقاه بتبوك يا رسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد اتوك على قلوص نواج متصلة بحبائل الاسلام لا تاخذهم في الله لومة لائم من مخلاف خارف ويام وشاكر اهل السود والقود اجابوا دعوة الرسول وفارقوا المسيد الانصاب عيدهم لا ينقض ما اقام لعلع وما جرى اليعفور بصلع فكتب لهم رسول الله كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من رسول الله لمخلاف خارف واهل جناب الهضب وحقاف الرمل وافدها ذي المشعار ولمالك ابن نمط ومن اسلم من قومه على ان لهم فراعها ووهاطها ما اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ياكلون علافها ويرعون عافيها لهم بذلك عهد الله ورسوله وشاهدهم المهاجرون والانصار وروي هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف ويام عهدهم لا ينقض عن سنة ما حل واهل جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافدها ذي المشعار مالك بن نمط ومن اسلم من قومه على ان لهم فراعها ووهاطها وعزازها ما اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ياكلون علافها ويرعون عافيها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح فقال في ذلك مالك

ذكرت رسول الله في فحمة الدجا • ونحن باعلى رحرحان وصلدد
وهن بنا خوص طلائح تغتلي • بركبانها في لاحب متمدد
حلفت برب الراقصات الى منى • صوادر بالركبان من هضب قردد
بان رسول الله فينا مصدق • رسول اتى من عند ذي العرش مهتدي
فما حملت من ناقة فوق رحلها • اشد على اعدائه من محمد
واعطى اذا ما طالب العرف جاءه • وامضى بحد المشرفي المهند

والى بعض من هذا اشار بقوله **ان لكم فراعها** بالفاء المكسورة وراء وعين مهملتين بينهما الف وهي ما ارتفع من الارض من مرتفعات البقاع او اعالي الجبال جمع فرعة بفتح فسكون يعني انه اقطعهم ذلك **ووهاطها** بكسر الواو والهاء والطاء المهملة جمع وهطة كصرحة وهي الوهدة وما سفل وانخفض والضمير للارض المخصوصة والوهاط والوهاد بمعنى ويحتمل ان احدهما مبدل من الاخر **وعزازها** بفتح العين المهملة وزاءين معجمتين مخففتين وهو ما اشتد وصلب من الارض مما لا ملك لاحد عليه فيوطا ويعرس فيصير دخولا ومنه العز لصلابة جانبه **ياكلون علافها** بكسر العين المهملة واللام والفاء قال في النهاية جمع علف وهو ما تاكله الماشية مثل حمل واحمال وفي قوله مثل حمل لطف لا يخفى لا انه اذا كان علف الماشية فقوله ياكلون بالخطاب لهؤلاء القوم غير مناسب هنا الا بتجوز بان يقدر تاكل دوابكم او يحملون او يجعل ياكلون بمعنى تملكون ولعل العلاف معنى غير هذا في لغة اهل اليمن والشراح لم ينبهوا على هذا **ويرعون عافيها** بفتح العين والفاء والمد وفسروه بما ليس لاحد فيه ملك ولا اثر من عفا الشيء اذا درس اومن عفا يعفو اذا خلص وصفا ومنه الحديث اقطعهم ما كان عفا وقوله خذ العفو وامر بالعرف وقال التجاني روي عفا بكسر العين جمع عفو كحبل وحبال وهو بمعنى الاول وفي قوله يرعون ايضا ما مر وجوابه لان الرعي مخصوص باكل البهائم ولذا لما قال بعض الجهلة لبعض الادبا انت عندي كالاب بتشديد البا قال له فلذا تاكلني قال الدماميني في كتاب نزول الغيث لو قال

فلذا

فلذا نرعاني كان الطف لما فيه من التورية لاحتمال ان يكون من الرعي والرعاية كما في الاب من احتمال تمني الولد على الجد فيه ومعنى الاب لانه عني انه لجهله كالانعام **لنا من دفئهم وصرامهم** الدفء بكسر الدال المهملة وسكون الفاء والهمزة فسروه هنا بالابل والغنم سميت بذلك لانه يتخذ من اصوافها واوبارها اثاث يتدفا به ويجعل منها البيوت من الشعر ليتدفا بها وقال تعالى لكم فيها دفء ومنافع اي ما يتدفا به من الصوف والوبر وهو في الحديث بمعنى الانعام التي يوخذ منها ذلك **والصرام** بكسر الصاد المهملة جمع صرمة بكسر فسكون وهي القطعة من النخل ويجوز فتح الصاد لانه يقال صرمت النخل صراما وما قيل من انه لا يجوز ان يكون جمع صرمة كما توهم لانها القطعة من الابل من الثلاثين والقطعة من السحاب ولا يصح ساقط الوجهين **ما سلموا بالميثاق والامانة** ما موصولة مبتدا خبرها مقدم والمراد العهد الذي اخذ عليهم والاسلام والمراد بما سلموا بتشديد اللام ما يعطوه من الزكاة المفروضة والامانة اي كونهم مامونين على اموالهم لان رب المال في الزكاة يصدق بقوله وقال التلمساني اراد بها الطاعة والغنا والعبادة وهو بعيد اي لا يوخذ شيء قهرا بل عن طيب نفس وغنى من غير تجاوز عما حده الله ولم يبين لمن يسلمون فيجوز انهم يسلمونه بانفسهم او للسعاة فلا يتكلف له ويقال ان المراد الاول لان النبي علم منهم الرغبة في رضى الله ورسوله وانهم يؤدون ما يجب عليهم بلا سعاة وانما يجب بعث السعاة اذا لم يتيسر وصول الصدقة بدونهم **ولهم من الصدقة الثلب** المراد من الصدقة الزكاة والثلب بمثلثة مكسورة ولام ساكنة وموحدة معناه الجمل المسن الهرم الذي سقطت اسنانه والانثى ثلبة فهو مخصوص بالذكر كما قاله الهروي **والناب** مثل الثلب معنى الا انه مخصوص بالنوق الاناث لا يقال للجمل ناب وان اسن وانما سميت نابا لانها اذا هرمت طال نابها **والفصيل** ولد الناقة الصغير الذي فصل عن رضاع امه والفصيلة انثاه والجمع فصال وفصلان وقيل هو من اولاد البقر المعروف في اللغة الاول **والفارض الداجن** الفارض البقرة الهرمة المسنة قال تعالى لا فارض ولا بكر وقال الراغب الفارض المسن من البقر قيل سمي به لكونه فارضا للارض اي قاطعا او فارضا لما يحمل من الاعمال الشاقة من الفرض وهو القطع وقيل لان فريضة البقر تبيع ومسنة فالتبيع يجوز في حال دون حال والمسنة يجوز بذلها في كل حال فسميت المسنة فارضا فعلى هذا يكون اسما اسلاميا انتهى والداجن الشاة التي تكون في البيت لا ترسل للمرعى وكذا الراجن بالراء كما في الصحاح وعلى هذا فالداجن غير الفارض فينبغي عطفها كغيرها وهو في النسخ بغير عطف اللهم الا ان يقال ما ذكر معناه الحقيقي وهي هنا صفة مجردة عن كونها شاة جعلت وصفا للفارض قلت ضمير لهم لاصحاب المال ومن توخذ منهم الصدقة والمعنى ان ما ذكر يترك لهم ولا يوخذ منهم لمقابلته بقوله لنا والذي يوخذ في الصدقة من وسط مالهم لا اعلاه ولا ادناه كالصغير جدا والمسن الهرم فالفارض لما كان بمعنى المسن الذي يوخذ في الصدقة والمراد خلافه هنا وصفه بقوله الداجن بمعنى الذي يربض حول المنازل من شدة الهرم فلا يسرح للمرعى ولا يصلح للعمل والحمل هذا هو المراد من غير حاجة لتكلف ودعوى تحريف وقيل الفارض المسن من الابل وفي بعض النسخ والراجز بالعطف ومعناها شاة صغيرة تربى في البيت كما وقع في حديث الافك **والكبش الحوري** الكبش الذكر الكبير من الغنم يقودها غالبا ولذا اطلق على الرئيس في المدح بخلاف التيس والحوري اختلفوا فيه فقيل انه بحاء مهملة وواو مفتوحة وراء مهملة يليها ياء نسبة وفي النهاية الاثيرية انه منسوب الى الحورة وهي جلود تتخذ من

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الضان وقيل هو ما دبغ من الجلود بغير القرظ وهو احد ما جاء على اصله ولم يعل اعلال باب
انتهى • وقال ابن رسلان الحوري بفتح الحاء وسكون الواو نسبة للحور وهي الجلود المذكورة
والذي في الصحاح ان الحورة جمع الحور بفتح الواو فيهما واقتصر ارباب الحواشي كالشمني
والحلبي والقسطلاني على ما في النهاية ونقل عن الكاشغري في كتابه مجمع الغرائب ان الحوري
المكوي نسبة الى الحور وهي كية مدورة يقال حوره اذا كواه وانه على هذا بسكون الواو ولان الحورا
بالمد والقصر الكية ساكنة الواو وقال البجاني الحوري بفتح الواو ضرب من الكباش حمر الجلود
وروي الحواري بزيادة الف ومعناه الابيض لا الاحمر ولذا قيل الحواريين لانصار عيسى
لانهم قصارين يبيضون الثياب ولذا فسر بعض ارباب الحواشي الحوري بغير الف بالابيض
الجيد لما ذكر اولان موضع الكية يبيض • اقول الحاصل ان في لفظ الحديث وكلام المص
ثلاثة اوجه اشهرها الحوري بفتح الواو والثاني الحوري بسكونها الثالث الحواري بالالف
بعد الواو وكلها بمعنى والمراد الكبير من الغنم وهو لا يوخذ في الصدقة انفسها ولانه مما
يحتاج اليه في الضراب فلا يوخذ منه الا اذا اعطاه كما لا يوخذ ما ذكر من الهرم وكل ناقص
كما فسر في كتاب الزكاة وعلى الاول لم يقل مع تحرك الواو وانفتاح ما قبلها اما على خلاف
القياس كما هو ظاهر كلام النهاية او تبعا لفعله وهو حور كفرح او لئلا يلتبس الواوي باليائي
الذي من مادة الحيرة وقول البجاني انه من الكباش اذ لم ينقله احد من اهل اللغة ففيه نظر لانه
كان ينبغي له ان يقول الكباش التي تتخذ منها الجلود الحمر ولبعضهم هنا كلام طويل بلا طائل
وعليهم فيها الصالغ والقارح الصالغ بصاد مهملة ولام وغين معجمة ويقال سالغ فانه
كل ذات ظلف اسنانها مع العين كما فصل في محله وهو من البقر والغنم ما كمل وانتهى سنه في السنة
السادسة وقيل هو من ذوات الاظلاف كلما اكمل ست سنين ودخل في السابعة لان ولد البقرة
في اول سنة عجل • ثم تبيع • ثم جذع ثم ثني • ثم رباع ثم سديس • ثم صالغ وسالغ سنة وسنين
وما وقع هنا في بعض النسخ ضالع بضاد معجمة وعين مهملة تحريف ونقله عن النهاية وهم
والقارح بقاف وراء وحاء مهملة من بعد الالف وهو الفرس الذي دخل في الخامسة وفي القاموس
القارح من ذي الحافر بمنزلة البازل من الابل وقال البجاني القارح ذوات الحافر ما اكمل خمس
سنين وهو في السنة الاولى حولي بسكون • ثم جذع • ثم ثني • ثم رباع • ثم قارح • وفي هذا
المكتوب زيادة على ما قاله المص وروايات اخر منها ما قدمناه ومعنى قوله وعليهم الى اخره
انه اذا وجد عندهم هذا النوع يوخذ منه ما ليس هرما ولا معيبا كما مر وهذا مبني على ان الخيل
تجب فيها الزكاة اذا كانت سايمة وذكورا واناثا لا صرف ذكور وان شاء اعطى عن كل فرس دينارا
او قومها واعطى زكاتها اذا حال الحول وتم النصاب والشافعي يحمله على ما كان معدا للتجارة
وادلتهما مبسوطة في كتب الفقه **وقوله لنهد** لهذه قبيلة من اليمن تقدم الكلام عليها وهذا اشارة
لما قاله لطهفة النهدي السابق ذكره فاللام صلة القول بتنزيل قوله لبعضهم منزلة قوله
لكلهم او لتنزيل عائده منزلة خطابه او هي للتعليل وقيل ان هذا متعين لان هذا ليس مقولا لهم
والمخاطب بهذا الكلام هو الله عز وجل لما سالوه ان يستسقي لهم فدعا لهم وقال **اللهم** اي يا الله
بارك لهم اي اجعل البركة وزيادة الرزق ونباته متنوعا وفاضلا لهم قال الامام الراغب اصل
البرك صدر البعير وان استعمل في غيره وبرك البعير القى بركه واعتبر فيه معنى اللزوم ومنه
بروكات الحرب لمكان يلزمه الابطال والبركة لمحلس الماء والبركة ثبوت الخير الالهي في الشيء

قال تعالى لفتحنا عليهم بركات من السما لثبوت خيرها ثبوت الما في البركة والمبارك ما فيه
ذلك الخير ولما كان الخير الالهي يصدر من حيث لا يحس على وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل
ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة مبارك وفيه بركة والى هذه الزيادة اشير بما روي لا
ينقص مال من صدقة لا الى النقصان المحسوس كما قال بعض الخاسرين حيث قيل له ذلك بيني
وبينك الميزان وقوله تبارك وتعالى تبارك الذي جعل في السما بروجا تنبيه على ما يفيض
علينا بواسطة هذه البروج والنيران المذكورة في هذه الاية وكل موضع ذكر فيه تبارك فهو
تنبيه على اختصاصه تع بالخيرات المذكورة مع ذكر تبارك انتهى • وهو تحقيق لا مزيد عليه ومنه
اخذ صاحب الكشف ما قاله في اول سورة الملك وقد تقدم ان طهفة وفد من قومه على النبي
صلى الله عليه وسلم وهم في قحط شديد اصابهم فشكا له ما مسهم في كلام مر ذكرناه اولا فدعا
لهم وقال اللهم بارك لهم **في محضها ومخضها** متعلق ببارك والمحض بفتح الميم وسكون الحاء
المهملة والضاد والمخض مثله الا ان خاءه معجمة ومعنى الاول الخالص ومادته كلها تدل على
الخلوص والصفا ومنه محض الايمان في الحديث ومحضت له الود وعربي محض ونحوه والمخض
اصله تحريك السقا الذي فيه اللبن حتى يتميز زبده فيوخذ منه ويسمى اللبن الذي اخذ زبده
مخيضا وهو صفة لا مصدر ميمي كما توهم **ومذقها** بفتح الميم وسكون الذال المعجمة والقاف
واصل معناه الخلط والمزج ثم استعمل في اللبن المخلوط بالما قال •
جاؤوا بمذق هل رايت الذيب قط • والضمير راجع لارضهم او لانعامهم المذكورة
في كلام طهفة السابق الذي شكا محل بلادهم فدعا لهم صلى الله عليه وسلم بان يبارك الله لهم
في البانهم باقسامها ما كان خالصا زبده لم يتميز وما يميز منه زبده وما مزج بالما ومجموعه
كناية عن خصب ارضهم وسقيها فان الالبان انما تكثر بنبات المرعى وهو انما يكون بالمطر
ولذا قال المص اسق بلادهم واجعلها مخصبة ملبنة كما يدل عليه قوله **وابعث راعيها
في الدثر** ابعث بمعنى ارسل يقال بعث الله رسوله للناس اي ارسله والراعي الذي يرعى
الابل وغيرها والدثر بفتح الدال المهملة وسكون المثلثة والراء المهملة وهو الابل الكثيرة
ويقع على الواحد فما فوقه ويجوز فتح ثانيه وقيل الدثر والخصب وكثرة النبات لانه من الدثار
وهو الغطا لانه يغطي وجه الارض **وافجر له الثمد** افجر بضم الجيم من فجر يفجر كقعد يقعد
من تفجر الما وهو جعله جاريا معينا والثمد بفتح المثلثة وفتح الميم وقد يجوز تسكينها واخره
دال مهملة وهو الما القليل والفجر هنا مجاز عن معنى التكثير للزومه له غالبا فالمراد اكثر ما
قل من مائه وضمير له للراعي واذا اكثر له كثر لغيره **وبارك لهم في المال والولد** معطوف
على ما قبله او على بارك الاول كما يتقول وعلك وهو في كلام العرب في الاكثر يخص بالابل ونحوه
ارادة كل منهما هنا **من اقام الصلاة كان مسلما** اي مسلما كاملا كقوله المسلم من سلم الناس
من يده ولسانه او المراد انه يحكم باسلامه بحسب الظاهر او المراد الحث على اقامة الصلاة المداو
والمحافظة عليها كما حقق في الكشاف وشروحه وقيل انه على ظاهره لان من تركها مستحلا لتركها
اولان تاركها كافر في احد قولي احمد وهو في حكم الكافر لانه يقتل كما سياتي بيانه **ومن اتى الزكاة**
بمد اتى اي اعطاها واداها **كان محسنا** اي منعما منفضلا على الفقراء اي اتيا بامر حسن مطلق
في الدين **ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا** اي من اتى بكلمة التوحيد واعلن بها كان مخلصا
في ايمانه لان الظاهر مطابقة قوله لما في قلبه وهذا من باب حمل حال المومن على الصلاح والمراد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالاخلاص عدم النفاق وقيل المراد من قال كلمة الشهادة وهي لا اله الا الله محمد رسول الله نصق
كما يقال قرا حم والكتاب المبين اي السورة بتمامها وعليه تحمل نظائره الواردة في الحديث **لكم يا بني**
نهد ودايع الشرك لكم خبر مقدم للاهتمام لا للحصر لفظي بناء علي ما سياتي من تفسيره وجملة الندا
معترضة لبيان المخاطب وودايع الشرك المراد بها كما في النهاية العهود والمواثيق التي كانت بينهم
وبين من جاورهم من الكفار في المهادنة يقال توادع الفريقان اذا اعطي كل واحد الاخر منهم عهدا
ان لا يغزوه ويسمي ذلك العهد وديعا بغير ها فيقال اعطيته وديعا اي عهدا والظاهر ان المراد
عهودهم التي وقعت بينهم بعد الحروب بعدم المواخذة بما قتلوا او حاربوا وقتل بعضهم بعضا وما
ارا قوا من الدما كما في الحديث الاخر كل دم في الجاهلية تحت قدمي هدر اي متروك هدرا وقيل
انهم كانوا التزموا مهادنة بعض الكفار فغير الاسلام ذلك الحكم فلم يبق عليهم الوفا بما التزموه
لامرهم بغزوهم لمن خالف دينهم فاطلقوا من قيود ما التزموه في الشرك من ذلك ولا يخفي بعده
وتكلفه ثم قال في النهاية ويحتمل ان يراد انما استودعوه من اموال الكفار الذين لم يسلموا احلا
لهم لانها مال اخذ من الكفار من غير ايجاف خيل وقتال وهو في وهكذا احكم ودايع الكفار فهو
ودنعة بالها علي هذا ولا بنا فيه ان النبي لما هاجر خلف عليا ليرد ما كان عنده من الودايع ۞
والامانات لانه كان قبل حل الغنايم لنا ولانه فر من نسبته للخيانة وذهاب شهامته وامانته
فيطعنوا في الاسلام ويبعدوا من الايمان **ووضايع الملك** الوضايع جمع وضيعة بمعني
موضوعة والملك بكسر الميم اي ما كان يوضع علي الاملاك من الزكاة والصدقة ثابت لكم كسائر
المسلمين يلزمكم ما يلزمهم من الوظايف من غير زيادة ولا نقص والملك بضم الميم والمعني ما كانت
ملوك الجاهلية يوظفونه علي الرعايا ويستاثرون به من غنايم الحروب لا يوخذ منكم فهو لكم
فلام لكم علي ظاهرها بتقدير التفسيرين الاخيرين للودايع والوضايع وبمعني علي كما في قوله
تعالي وان اسأتم فلها علي التفسيرين الاولين لهما وقيل عليه ان العهد اذا لزم الوفا به يكون علي
المعاهد لانه فرض مطلوب منه وعهود مهادنتهم قبل الاسلام بعد الاسلام لا يجب الوفا بها
والقايل ظن وجوب الوفا بها فحمل اللام علي ما حمله وليس كذلك كما مر لان امان الكافر لا يعتد به واما
الوضايع بمعني تكاليف الزكاة فهي وان تعلقت علي بعضهم لهم باعتبار الاجر عليها وقد علمت ان هذا
مبني علي تفسيره وليس بمتعين كما مر مع ما فيه **لا تلطط في الزكاة** بضم التاء المثناة وسكون
اللام وكسر الطاء المهملة الاولي وجزم المهملة الثانية بلا الناهية وفي الزكاة متعلق به اي لا
تمنعها قال ابن الاعرابي لط الغريم اذا منع حقه واصله من لطت الناقة فرجها بذنبها اذا
ضمته عليه وقد ارادها الفحل • وفي شعر الاعشي الحرماري في امراته وقد نشزت •
اخلفت الوعد ولطت بالذنب • وهو شر غالب لمن غلب •
ولط الغريم اذا اختفي **ولا تلحد في الحياة** هو مضبوط بضم المثناة اوله ولام ساكنة
تليها حا مكسورة ودال مجزومة مهملة من الحد الحادا اذا جار وعدل عن الحق واصله مطلق
العدول ويقال الحد ولحد قليلا والذي في الشفا وهو الذي رواه العتبي بالفعل وخطاب
الواحد والذي رواه غيره ما لم يكن عهد ولا موعد ولا تثاقل في الصلاة ولا تلطط في الزكاة ۞
ولا تلحد في الحياة بالاسم المصدر وبشرعين الاخيرين وهو الوجه لانه خطاب للجماعة واقع
علي ما قبله كذا في النهاية الاثيرية يعني هذه الرواية بلفظ المصدر من التفاعل والتفعل
هو الوجه الواضح لانه كلام خوطب به جماعة في قوله يا بني نهد وهذا جار علي سلوبه لتوجه

لخطاب

الخطاب الواحد من بينهم وان كان ما قبله مشتملا علي ضمير الجماعة المخاطبين دونه وقد
جا التلطط بمعني الانطاط المتقدم يقال تلطط والطط والطي بابدال الاخيرة ياء للتخفيف
وقال ابن رسلان لا تلطط وتلحد بالنون من باب نهي الانسان نفسه لينتهي غيره قيل والاصح
في رواية العتبي اذ الخطاب فيها لمن يلقي الكلام له النبي من بين جميع من خوطبوا ابتداء ونظره
في افصح الكلام ثم عفونا عنكم من بعد ذلك حيث خوطب من يلقي الكلام بلفظة لك ولم يقل
ذلكم وتخصيص واحد من الحاضرين بخطاب النهي للتعريض بالباقين والصوب لهم عن توجه
صيغة اليهم رجاء الانقياد للامتثال بالطف وجه ويحتمل ان الخطاب لهم برمتهم او لانه توجه
لواحد في المجلس خارج عنهم فنهاه تعريضا بهم او نهاهم نهي غيبة لتنزيلهم منزلة الغايبين
عند توجيهه الي غيرهم ولم يقل لا يلطوا او يلحدوا بلفظ جماعة الذكور الغايبين بل لا تلطط
وتلحد اي هي والضمير لبني نهد وبنو وان كان جمع مذكر سالم ومثله لا يعود له ضمير المونث
ولا يلحقه التا فلا يقال الزيدون قامت ولا قامت الزيدون ولا العمرون تقعد بخلاف
قامت الرجال والرجال تقوم بنا التانيث الا انه لما تغير مفرده عند جمعه اشبه جمع التكسير
فاعطي حكمه فجاز الحاق التا بفعله نحو قامت البنون ومنه قال تع امنت به بنو اسرايل فصار
ذلك داعيا الي جواز البنون قامت وتقوم ونحوه بنا التانيث وذهب بعض النحاة الي انه جمع
تكسير بدليل جواز الحاق التا قال في ضوء الدر ما اله هذا مذهب غريب ورأي غير مصيب
قلت المخطي مخطي وهذه المسالة مذكورة في شروح كتاب سيبويه والذي قال انه قول
غريب ارتضاه ابن خروف ولولا خوف الملل فصلناه فقيل عليه ان قياس الضمير علي حرف الخطاب
المتصل باسم الاشارة لا وجه له للفرق بينهما وما في الحديث يوجه بانه خاطب القوم اولا بقوله
يا بني نهد وعلم ان فيهم واحدا مستبعا الهوي نفسه فخصه من بينهم بالخطاب بما يليق به او
جعله تعريضا للباقين لئلا يثقل عليهم المواجهة بالنصيحة ونقل عن ابن الباذش ان الخطاب
المفرد بعد الجمع له تا ويلان اما تخصيص واحد من بينهم اوتا ويله بمفرد لفظا مجموع معني
كالفريق وجوز فيه ان يكون التفاتا واني بالا بهمن ولا يخفي من خروج علي عادته في التطويل
الممل من غير فايدة • وانا اقول هذا كله مبني علي قاعدة ذكرها النحاة كما في شرح الكافية
للرضي وهي انه لا يكون في كلام واحد خطابان لمخاطبين متغايرين من غير عطف ولا جمع وتثنية
وهذه القاعدة ذكرت في باب الاشارة وقد تتبعت كلامهم فرايتها مقيدة باربع قيود • الاول
ان يكون ذلك في جملة واحدة فلو قلت انت يا زيد تضرب انت يا عمرو وتشتم لم يمتنع • الثاني
ان لا يتغايرا فلو كان احدهما عين الاخر جاز نحو اذكر اذ قال ربك كما قدره المفسرون في مثله
وغفل عنه بعضهم فاعترض بما لا محصل له • الثالث ان لا يكون احدهما بعض الاخر نحو ايتكما
كما ذكره النحاة في افعال القلوب وصرح به المرزوقي في قوله • احدروا فوقها لكم جزوك
قال الجوهري انه جمل حمل اول الكلام خطابا بالجماعتهم ثم خص بالندا واحدا منهم جملة الماثور
بما اراد كقول الهذلي ۞ • احيي اباكن يا ليلي الاماديح • فقال اباكن ثم قال يا ليلي
انتهي • الرابع ان يبقي الخطاب علي حقيقته كما ذكره الرضي في باب التعجب وقد بسطنا
الكلام علي هذه المسالة في كتاب طراز المجالس والمعترض والمجيب خبطا هنا خبط عشوا ۞
فان هذا التركيب صحيح من وجهين لكونه بعضا في جملة اخري فاحفظه فانه من نفايس الرجاير
ثم انه ذكر في اعرابه قوله لا نوعد كلاما يقضي منه العجب واجاب عنه تلميذه باعجب واعجب

لامرهم صح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الا ان المصنف كفانا مؤنته لانه لم يذكره فلذا اضربنا عنه صفحا فان اردت فانظره وقوله
في الحياة اي لا تلحد ما دمت حيا **ولا تتثاقل عن الصلاة** بجزم الاول والكلام فيه
كالذي قبله اي لا تتوانى وتكسل عن الصلاة وتتركها والتثاقل يجعل كناية كان عليه ثقلا
يمنعه عن الحركة اليها **وكتب لهم في الوظيفة** اي امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يكتب كتابا
يبين فيه ما يلزمهم بعد الاسلام والوفا باركانه وضمير لهم لبني نهد وهو متعلق بكتب
والوظيفة بالظا المشالة والفاء بزنة سفينة وهي المعين في كل يوم او في زمان معين من الطعام
وغيره من الرزق ويطلق على العهد والشرط وجمعه وظايف ووظف بضمتين كسفن كما قاله اهل اللغة
والمراد الاخير اي كتب في العهد وما شرط عليهم في الزكاة لهم مما يوخذ منهم من الوظايف المرتبة
عليهم **الفريضة** اي ما فرض عليهم ففريضة بمعنى مفروضة فان كانت الفريضة بمعنى الهرمة
المسنة كالفارض لعوضها سهام اي قطعها الداو لانقطاعها عن الحمل والانقطاع فهي غير مرادة
هنا لانه روى عليكم في الوظيفة اي في كل نصاب ما فرض فيه وهذه الرواية مفسرة للمراد به
ولان قوله **ولكم الفارض** يا باه لما بينهما من التدافع غاية ما فيه اطلاق الوظيفة على
النصاب لانه وظيفة لاصحاب الارزاق مقدرا لهم كوظيفة الارض المعينة التي وضعها عمر
رضي الله تعالى عنه كما ذكر في باب الوظايف فلا تجوز فيه كما توهم والفارض بالفاء كما ضبطه البرهان
الحلبي وقد تقدم تفسيرها ويؤيده ما في الحديث الآخر ولكم الفارض والفريض يعني لا يوخذ
منكم ولا يكون على لانصبا لانه لا تصح به الزكاة وضبطه البجاني بالعين المهملة بدل الفاء
وقال العارض المريضة التي اصابها كسر وهي لا تقبل في الصدقة فهي باقية لاصحابها
وفي مرتيل انه وقع في بعض النسخ وفي الغريبين في بعض نسخه الفارض بالفا وقيل بالعين
التي اصابها كسر ولم يتعرض لمرضها يقال عرضت الناقة اذا اصابها آفة او كسر وبنو فلان
اكالون للعوارض اذا لم ينحروا الا ما اصابه مرض او كسر خوفا ان يموت فلا ينتفعون به
والعرب تعير باكله • قلت كانه سقط عن عبارة البجاني لفظ او اوعن الكسر مرضا وفي
الشرح خلط هنا لم نسود به وجه الطرس **والفريش** بفتح الفاء وكسر الراء المهملة والمثناة
التحتية والشين المعجمة الحديثة العهد بالنتاج كالنفسا من النسا وحكي انه ما لا يطيق حمل
الاثقال من الابل لصغره لما حكي انه يقال فرش وفريش بمعنى وان كان المشهور فيه الفرش
كما في الآية ومن الانعام حمولة وفرشا وقيل الفرش ما انبسط على وجه الارض من النبات وهو
تعسف هنا يعني ان هذه كلها لا توخذ في الزكاة اما على الاول فلانها لم تبق نفيسة واما على
الثاني فلخستها **وذو العنان الركوب** بكسر العين ونونان بينهما الف والركوب بفتح الراء
هو المركوب الذلول قال تعالى فمنها ركوبهم ووصفه بذي العنان في محله يعني لا توخذ الزكاة
من الفرس المعد لركوب صاحبه فلا يوخذ في الزكاة وان قلنا بزكاة للخيل وكذا الصغير
لانه ليس من اوسطها والركوب بالرفع صفة ذي وروى بالجر صفة العنان **والفلو** بفتح
الفاء وضم اللام وتشديد الواو وروى الفلو بوزن دلو والاول اصح المهر الصغير من الخيل
لا يوخذ في الزكاة وسمي فلوا لانه تفلى من امه اي تقلع بالفطام عنها قال الجوهري يقال
فلوته اذا فطمته وعن ابي زيد اذا فتحت الفاء شددت الواو واذا كسرتها خففت فقلت
فلو كجرو • وفي القاموس انه يقال كجرو • وعدو • وسمو • وقال انه الجحش والمهر • وقيل
صغارد واب الحافر مطلقا **الضبيس** بفتح الضاد المعجمة ووهم من قال المهملة والموحدة

المكسورة

المكسورة والمثناة التحتية والسين المهملة اي المهر العسر الركوب الصعب وهو من
الرجال كذلك وكانه كني به عن صغيره ولو عطف كان المراد به الحروف الا انه وقع بلا
عاطف **لا يمنع** بالبنا للمفعول **سرحكم** باهمال السين المفتوحة وسكون الراء المهملة والحاء
المهملة وهي الماشية التي تسرح بالغداة للمرعى والمراد ان مطلق الماشية لا تمنع عن مرعاها
يقال سرحت الماشية لتسرح اذا خرجت وفعله يتعدى ولا يتعدى فاذا رجعت قيل اراحت
قال تعالى حين تريحون وحين تسرحون وهذا كما قال في كتاب اكيدر لا تعدل سارحتكم
وفاردتكم من مرعى الا انه عبر بالسارحة لمشاكلة الفاردة كما عبر هنا بالسرح لمشاكلة قوله
ولا يعضد طلحكم يعضد بمعجمة بين مهملتين بمعنى يقطع يقال عضده عضدا اذا قطعه
والطلح بفتح الطا المهملة وسكون اللام والحاء المهملة شجر عظام يقال له العضاة وام
غيلان وكل شجر عظيم له شوك يقال له عضد والطلح في قوله تعالى وطلح كفعل هو الطلح
وقيل شجر الموز والمراد لا يقطع لكم شجر طلحا كان او غيره وخصه لانه لا ثمر له ولا ينتفع
به فاذا منع قطعه علم منع قطع غيره بالطريق الاولى **ولا يحبس دركم** بفتح الدال وتشديد
الراء المهملتين واصل معناه اللبن والمراد به هنا الانعام ذوات الدر لا تحبس عن المرعى
في مكان تجتمع فيه ليعدها من ياخذ الصدقة لما فيه من ضرر صاحبها بعدم رعيها ومنع
درها عنه وروى لا يحشر دركم اي لا يجمع في مكان عند المصدق وهما بمعنى لما مر من الضرر
وما قيل من ان ما رواه المصنف لا يختص بالحبس عن المرعى لشموله لحبسها عن صاحبها على وجه
يمنعها عن الرعي وحبسها عند المصدق ليعدها عليه مع مخالفته لكلامهم وللسياق لا طائل
تحته وكذا ما قيل ان معناه لا يوخذ الدر نفسه الا ان منحه وكل هذا مناف للغرض وقد
ورد في صلح اهل نجران لا يحشروا ولا يعشروا ومقصوده صلى الله عليه وسلم الرفق بمن يوخذ
منهم الزكاة فيوفي لمنازلهم من غير سوق لمواشيهم وحبسها **ما لم تضمروا الرماق**
تضمروا تخفوا وتكتموا والرماق بكسر الراء المهملة وميم والف وقاف هو النفاق يقال
رامقه رماقا وهو النظر الشزر من العدو والمعنى ما لم تضق قلوبكم عن الحق يقال عيش رماق
اي ضيق يمسك الرمق وهو بقية الروح وآخر النفس كما قال ابن الاثير **وتاكلوا الرباق**
بكسر الراء المهملة والموحدة والقاف قال الشمني جمع ربقه وهي حبل فيه عرى يشد به
البهايم وفي الحديث خلع ربقة الاسلام عن عنقه قال ابن الاثير شبه ما يلزم من العهد
بالرباق واستعار الاكل لنقضه فان البهيمة اذا اكلت الربق خلصت من الشدة وما نصبه
ظرفية وهو اما قيد لما قبله او لجميع ما تقدم والمعنى ان هذا امر مقرر عليكم منا ما لم تنقضوا
العهد وترجعوا عن الاسلام فاذا كان ذلك فعليهم ما على غيرهم من الكفرة وهذا معنى
لا غبار عليه والترتيب في محزه لان المعنى ما لم يضمروا النفاق ثم يظهروا نقض العهد
وقريب منه تفسيره بالغدر والنكث والعداوة فانها اذا اضمرت كانت نفاقا واما تفسير
اضمار الرماق باخفاء فطيم من الغنم يعني عن المصدق فانه خيانة تقتضي تضييق المصدق
بحشر الانعام درهم وحبسها وهو على هذا المتعلق بقوله لا يحبس دركم وهذا معنى صحيح موافق
للغة لان الرمق الفطيم من الغنم فارسي معرب كما قاله الجوهري الا ان المشهور الماثور في
تفسير الحديث ما تقدم فاعتراض البرهان عليه بانه لم ينظره في غير الصحاح والاخشى
ان لا يكون احد قاله قبله مما لا يليق ذكره وكذا القول بان النفاق اضمار الغدر مع اظهار

شبكة الألوكة
www.alukah.net

خلاف فتفسيره غير مستقيم فليس بشيء وكذا تفسير الرباق بالوحدة بالغنم مجازا لعلاقة المجاورة فكله بعيد بمراحل عن المرام وفي الكلام استعارة تمثيلية او تصريحية والمراد بالعهد التزام اوامر الله ورسوله ونواهيه وفي الشرح الجديد قال البرهان عن المعلق ان الرباق مجاز عن الغنم ولا ادري من هذا المعلق وعلى هذا التقدير معناه ما لم ياكلوا الغنم ولا معنى لهذه الظرفية هم حينئذ اذ يؤول الى ان كانكم انكم تاكلوا الغنم ومثله سمج لا يليق بحديث الرسول المسوق لبيان فصاحته وفي الحواشي التلمسانية تضمروا الاماق بهمزة مكسورة وميم ساكنة وهمزة ممدودة تليها قاف بزنة الاكرام ومعناها الغدر والبعض يقال اماق يموق رباعيا وقد تخفف همزته هكذا ثبت عند العرفي وفي بعض نسخ الشفا الرماق انتهى وارباب الحواشي متفقون على الرواية الثانية **من اقر فله الوفا بالعهد والذمة** الخ في العهد للعهد فالمراد ما عرف من عهود الاسلام او ما عاهدهم الله ورسوله فيما كتبه لهم والذمة قال البرهان الحلبي بمعنى العهد والامان والضمان والحرمة والحق والمراد الاولان وسميت الذمة ذمة لان تركها يوجب الذم ثم سمي محل الالتزام بها في قول الفقها ثبت في ذمته كذا ومن الفقها من قال انها معنى يصير به الادمي على الخصوص اهلا لوجوب الحقوق له وعليه كما قاله تاج الشريعة في شرح الهداية قال القرافي في قواعده لم يعرف اكثر الفقها معناها المستعملة فيه وحقيقتها حتى ظنوا انها الاهلية المعاملة او صحة التصرف وليس كذلك لان كلا منهما يوجد بدون الاخر وهي عبارة عن معنى مقدر في المكلف قابل للالتزام واللزوم مسبب عن اشيا خاصة في الشرع وهي البلوغ والرشد وعدم الحجر وهي من خطاب الوضع انتهى • وسمي اهل الذمة بذلك لدخولهم في عهد المسلمين وامانهم والمراد ان من اعترف وصدق بما جاء به الرسول فله الوفا بالعهد والذمة **ومن ابى** اي امتنع من قبول العهد او نقضه بعد قبوله ودخوله فيه من منع الزكاة هم **فعليه الربوة** والربوة بتثليث الرا المهملة وسكون البا الموحدة والواو اهملكا في القاموس فالاقتصار على بعضها تقصير وهي الزيادة ومنه الربا لاخذ زيادة على ما اعطاه وفسرت الربوة بان يوخذ منه زيادة على فريضة الزكاة عقوبة له وروي من اقر بالجزية فعليه الربوة اي من امتنع عن الاسلام لاجل الزكاة كان عليه من الجزية اكثر مما يجب عليه بالزكاة قاله ابن الاثير وقال الخطابي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ابى من ادا الزكاة اخذ منه الفرض وزيد عليه مثله كما في حديث ابي هريرة والصحيح ان رسول الله ندب الناس الى الصدقة فقيل له منعها خالد بن الوليد وفلان وفلان فقال اما خالد فالناس يظلمونه لانه احتبس ادراعه واعتدها في سبيل الله واما فلان فلم ينقم منا الا ان كان فقيرا فاغناه الله ورسوله واما فلان فانها عليه ومثلها معها وروي فانها عليه صدقة ومثلها معها وهي رواية البخاري اي عليه صدقة واجبة تؤخذ منه وليس معناه انه يعطيها ويعطي مثلها معها لان المذكور من اهل البيت لا تحل له الصدقة وذهب ابو عبيد في هذا الحديث الى ان رسول الله اخر الزكاة اباها ومثلها معها لانه كان قد اخر عنه صدقة العام الماضي ومثله جائز للامام اذا علم حاجته وفقره لكن ظاهر الحديث يخالفه لانه في معرض العقوبة والجزا فلو كان كذلك لم يكن فيه ردع له انتهى وفي رواية البخاري احتمال انها كانت قبل تحريم الصدقة على اهل البيت كما في بعض شروح مسلم واعلم انه لم ينقل الحديث على وجهه فانه هكذا في الصحيح عن ابي هريرة بعث رسول الله عمر على الصدقة فقيل منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس فقال عليه السلام

ما نقم

ما ينقم ابن جميل الا ان كان فقيرا فاغناه الله واما خالد فانكم تظلمونه وقد احتبس ادراعه في سبيل الله واما العباس فهو علي ومثلها معها اما شعرت ان عم الرجل صنو ابيه وفي رواية البخاري فهي عليه صدقة ومثلها معها وفي رواية لم يقل صدقة ففيه ثلاث روايات ومعنى الاولى انه التزم باخراج ذلك عنه وبين سببه بقوله عم الرجل الخ تشريفا له ويحتمل ان يكون انه تحملها عنه لتعلق الزكاة بالذمة وجمع ابن الجوزي بين رواية علي وعليه فانهما بمعنى وزيد في الثالثة ها السكت في علي وقيل معنى علي انها عندي لاني اخذت منه صدقة عامين وقد ورد مصرحا به في رواية اخرى بنا على جواز تعجيل الزكاة وفي الحديث وجوه اخر في شرح الصحيحين لا حاجة لبيانها هنا ومن هذا علمت ما في قوله ان الحديث يخالفه لانه ورد في معرض العقوبة فانه لا زجر فيه الا لابن جميل لا للمقول في حقه فهي عليه ومثلها كما سمعته آنفا **ومن كتابه لوائل بن حجر** تقدم الكلام عليه **الى الاقيال العباهلة** اي الى الملوك المقام ملكهم وقد تقدم تفسيره وبيان لغته وضبطه **الارواع** بهمزة ورا مهملة وعين مهملة وهم السادة الزهر الالوان الحسان الوجوه وقيل انه جمع رايع وهم الذين يروعون الناس اي يخوفونهم بمنظرهم لجمالهم وهيبتهم قاله ابن الاثير والاول اولى وجمع فاعل على افعال نادر جدا • اقول ما قاله ابن الاثير هو الذي ارتضاه المبرد في الكامل لما فيه من البلاغة فان الحسن الرائع اذا رآه من لم يدركه ادهشه وحيره فيشبه بالخايف الفزع ومن وقف على كلام المبرد عرف حسنه وقيل انما كان هذا غير موجه لان الهيبة التي كانت لهم هيبة تجبر وظلم ازالها الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم انما اراد مدحهم بالحلم والرافة وليس بشيء **المشابيب** بفتح الميم والشين المعجمة ثم موحدتين قبلهما الف وبينهما مثناة تحتية جمع مشبوب وهو الحسن الازهر اللون وقال ذو الرمة هم

• اذا الاروع المشبوب اضحى كانه • على الرحل مما منه السير احمق •

والمراد السيد الطاهر الازهر اللون المنير كانه اوقد في وجهه سراج منه وهو يجمع مع الاروع في كلامهم كما في البيت فان النار مما يروع ناظره وروى الاشابية الاخلاط جمع شيب كخليل وقيل الرجال الذين وجوههم بيض وشعورهم سود فهذا كما الحسان ذات الذوايب السود شعرها يشب لونها اي يظهره ويحسنه وقيل المراد الاذكيا **وفيه** اي في كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل **التيعة شاة** التيعة بكسر المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية والعين المهملة الاربعون من الغنم وقيل الخمس من الابل وقيل هي ادنى ما يجب فيه الصدقة من الغنم والابل وهو المقدار المذكور وقيل هي ما ياخذه الساعي من الزكاة وهو غير مناسب هنا وهو من التيع وهو القي وقد وقع التشبيه به في حديث الراجع في هبته كالراجع في قيئه ويقال اتاع قيئه فتاع ويقال تاع بمعنى ذهب قيل ووجه المناسبة سرعة المبادرة اليها كسرعة القي او الذهاب الساعي اليها والاحسن ان يقال انها فضلة ووسخ يستريح من دفعها الا ان الصدقة اوساخ الناس كما ورد في الحديث ولذا منع اهل البيت منها لشرفهم **لا مقورة الالياط** مقورة بميم مضمومة وقاف مفتوحة مخففة ورا مهملة مشددة من الاقورار لمحترة من الاحرار وهي المسترخية الجلد من الهزال فلا توخذ في الصدقة لرداءتها وقيل هي المنتجة من الهزال ايضا وقيل هي السمينة فهي من الاضداد كما ذكره الصاغاني في كتاب الاضداد وهذه لا توخذ لانها اعلى والمامور باخذ الوسط وفي بعض

شبكة الألوكة
www.alukah.net

النسخ مفورطه قال التلمساني ولا اعلم معناه ولعله مفريطه يقال افرمط الجلد اي انضم بعضه لبعض او مقريطة وهو بمعناه والالياط بلام وياء مثناة تحتية وطاء مهملة جمع ليط بكسر اللام وهو قشر العود فاستعير للجلد من لاطه يلوطه اذا الصقه وقيل المقورة المقطوعة والمقبي بها الناقصة فالتفاسير متقاربة **ولا ضناك** بفتح الضاد المعجمة وكسرها قال التجاني ويجوز ضمها وخطي فيه لانه بمعنى الزكام ولا مناسبة له هنا وفي ضبطه نظر لما في العباب للصاغاني الضناك بالفتح قاله الفارابي وقال غيره هو بالكسر وهو الصواب وهي الكثيرة اللحم السمينة فلا توخذ لجودتها **ولا انطوا الثبجة** انطا بمعنى اعطا لغة لاهل اليمن او لبني سعد وروي في الدعا لا مانع لما انطيت وقرئ شاذا انا انطيناك والثبجة بفتح المثلثة وفتح الموحدة والجيم والهاء للنقل من الاسمية الى الوصفية وقال التجاني ان الباء مكسورة ومنه ثبج البحر لوسطه وفي الحديث خيار امتي اولها وآخرها وبين ذلك ثبج والمقصود انه في الزكاة لا الاعلى لاضراره برب المال ولا الادنى والمعيب الا ان يكون الكل كذلك لان الجود بالموجود وتفصيله في كتب الفقه قال البرهان في بعض النسخ بكسر وتشديد الجيم وفيه نظر قال التلمساني وروي الثبجة بالثاء والجيم من ثبج شاد بشدة واراد اعطا القوي الضعيف فتامله **وفي السيوب الخمس** السيوب بضم السين المهملة والمثناة التحتية وواو وباء موحدة جمع سيب وهو الركاز بمهملة وكاف وزاي معجمة بزنة كتاب بمعنى مركوز وهو المال المدفون الجاهلي من ركز الرمح اذا غرزه في الارض او من الركز وهو الاخفا قال تعالى تسمع لهم ركزا اي صوتا خفيا وسمي سيبا لانه عطية من الله وقيل هو الذهب والفضة المعدني من تسيب بمعنى تكون من غير صاحب له فكانه مسيب والخمس بضمتين وضم فسكون ويقال له خمس ومنه اسم الجيش لانه خمسة اقسام ميمنة وميسرة ومقدمة وساقة وقلب وقوله في الحديث المعدن جبار وفي الركاز الخمس يدل على ان الركاز غير المعدن واتفقوا على وجوب الخمس في الركاز الا الحسن البصري فقال ان وجد في دار الحرب ففيه الخمس وفي غيره الزكاة ولا فرق فيه بين النقدين وغيرهما والقليل والكثير ولا يشترط الحول كالزكاة وعند الشافعي انه ان كان في ملكه فهو له ان ادعاه والا فهو لقطة **ومن زنا مم بكر فاصقعوه مائة** قوله مم بكر وما ياتي من قوله مم ثيب اصله كما في النهاية من بكر ومن ثيب اصل كما في النهاية فقلبت النون ميما لانها اذا سكنت قبل البا تقلب ميما سوا كان من كلمة نحو عنبر او من كلمتين نحو من بكر وتقدم ان لام التعريف تبدل الاما في لغة حمير نحو ليس من امبر امصيام في امسفر فاما ان يكون ما نحن فيه من الثاني فاصله من السكن فحذفت نون من على حد قولهم في بني الحارث بالحارث فيكون بكر حينئذ غير منون واستعمل البكر موضع الابكار والاسد ان يكون نكرة منونة فابدلت نون من ميما انتهى وقيل عليه ان كون بكر بمعنى ابكار لا اصل من التبعيضية فمعناه من زنا بكر من الابكار ويجوز ان يكون لبيان الجنس فبكر على اصلها وهو على هذا يحتمل ان يكون بمعنى الابكار لما في من من العموم ثم انه اذا كان قلب النون ميما على نهج الاقلاب النحوي لا يتاتي في قوله مم ثيب فلذا قال في مزيل الخفا انه من باب الازدواج والمشاكلة كما في قولهم ما قدم وحدث بضمهما مع ان حدث بالفتح فاذ قلنا انه انما قيل مم بكر بقلب النون ميما لانها تقلب كثيرا كما في قولهم نبان ونبام ودان ودام كما قاله التجاني لم يحتج لما ذكر وقوله فاصقعوه اي فاضربوه ويقال

اسقعوه بالسين ايضا من الصقع وهو الضرب واصله الضرب على الراس وقيل هو الضرب ببطن الكف وضبطه بعض الشراح فاصفعوه بالفا بدل القاف كما نقله التلمساني يقال صفعت فلانا اصفعه اذا ضربت قفاه بجمع كفي فهو صفعاني والعامة تقول لمن سرقت عمامته انه صفع وهي استعارة عامية ركيكة قال ابن نباته

اسفت لشاشي الذي قد مضى • وفاز به سارق خاشه
ووالله ما بي مما جرى • سوى قولهم صفعوا شاشه

وتطفل عليه الصفدي على عادته فقال

لئن سرق الشاش بليل وما • قدره الله فما يندفع
الحمد لله الذي لم يكن • شاشي على راسي لما صفع

والمراد هنا حد الجلد والمراد بالبكر غير المحصنات كما بين في الحدود **واستوفضوه عاما** بهمز وصل وسين مهملة ومثناة وفا وضاد معجمة بمعنى انفوه وغربوه من وفض الابل اذا تفرقت والعام والسنة بمعنى هنا وان كان الامام السهيلي فرق بينهما في الروض الانف باعتبار اصل الوضع فان السنة من دور الشمس الى عودها لمحلها لانها من سنى بمعنى دار ومنه السانية والعام ما اشتمل على الفصول الاربعة بتمامها **ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم** ضرجوه بضاد معجمة مفتوحة وراء مهملة مكسورة وجيم من التضريج وهو التدمية اي ارجموه حتى يسيل دمه ويقتل قال • ان بني ضرجوني بالدم والاضاميم بفتح الهمزة والضاد المعجمة الحجارة واحدها اضمامة بكسر الهمزة او اضموم بضمها كافقوم وسميت بها لانها يضم بعضها البعض ويطلق على كل مجتمع من الناس وغيرهم والمراد الرجم الذي هو حد المحصن كما فصل في كتب الفقه واختلفوا في كون التغريب من الحد ام لا مشهور في الفروع شهرته تغني عن ذكره **ولا توصيم في الدين** توصيم تفعيل من الوصم بالصاد المهملة وهو العيب والعار اي لا كبر ولا عيب ولا عار ولا كسل في اقامة حدود الله فلا تحابوا فيها وهذا في معنى قوله تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ولذا حرم الفقها الشفاعة في الحدود دون التعزير **ولا غمة في فرائض الله** الغمة بضم الغين المعجمة وتشديد الميم اي لا تخفى وتستر فرائضه بل تظهر ويجهر بها اقامة واظهار الشعائر الدين وهذا يقتضي ان اظهار الفرائض كلها فينبغي اظهار اداء الزكاة دون اخفائها فقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتوتوها الفقرا فهو خير لكم محمول على صدقة التطوع فان الافضل اخفاؤها وقيل انه شامل للزكاة وقد يستحب اخفاؤها اذا خاف الريا ونحوه وقيل انه يختلف باختلاف الاحوال والزمان ولو قيل ان المراد هنا ان الحرام بين والحلال بين لم يحتج للتقييد وهو معنى قول التجاني الغمة الستر والغطا والمعنى لا اخفاء لفرائض الله ولا التباس فيها ويؤيده انه روي هنا لا عمة بفتح العين المهملة والميم المخففة والها لا حيرة ولا تردد فيها وروي لا غمد بكسر الغين المعجمة وسكون الميم والدال المهملة ومعناها الا ستر ولا اخفا كتغمدنا الله برحمته اي سترنا بها والنساها **وكل مسكر حرام** هذا حديث صحيح رواه مسلم وهو انه قال كل مسكر خمر وكل مسكر اي كل ما من شانه الاسكار فهو حرام ولو قطرة منه والخلاف في المثلث بشروطه معلوم ويدخل فيه الحشيش على الاصح وللزركشي فيه تاليف مستقل وانما ذكر هذا لانهم سالوه وقالوا له يا رسول الله ان شرابا يصنع بارضنا يقال له البتع والمزر واهل تلك الديار لهم ولع به فلذا بينه لهم والكلام على الحديث

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مفصل في شروح مسلم **ووائل بن حجر** تقدم بيانه **يترفل على الاقيال** يترفل بالراء المهملة ثم
والفاء واللام والترفل اصله تطويل الرداء والثوب ومثله يكون تجبرا وعظمة فاستعير او جعل كناية ثم
وهذا اظهر لجعله رئيسا عليهم محكما في اخذ صدقاتهم لان الترفل للتعظيم والرئيس والحاكم يعظم
لحمل هذا عبارة عن ان النبي جعله واليا على امورهم وقبض صدقاتهم قال التجاني اي يتامر ويترأس
وهذا كقوله في كتاب آخر له وقد وجه معه المهاجر بن ابي امية من محمد رسول الله الى المهاجر بن ابي امية
ان وائلا يستشعر ويترفل على الاقيال حيث كانوا من حضرموت اي هو مشتمل على الصدقات
واميرا على الاقيال كما قال الشاعر

اذا نحن رفلنا امرا ساد قومه * وان لم يكن من قبل ذلك يذكر

وقد تقدم معنى الاقيال واصله ومن الترفل هذا الترفيل المذكور في العروض وقوله ابن ابو امية
كذا صحت روايته بحكاية اول احواله واشرفها كما يقال علي بن ابو طالب قال التجاني وقريش
لا تغير الاب في الكنية فتجعله بالواو في احواله الثلاثة وحكاه ابو زيد عن الاصمعي في
نوادره فليس بلحن كما يتوهم كما يقولون يا ابن ابن فصيح لغة خاصة لكنها لكونها مخصوصة بالكنية لم
يذكروها **اين هذا من كتابه لانس في الصدقة المشهور** اين استفهام عن المكان والمراد ان
بينهما بونا وفرقا فان ذاك جاء بلغة اهل اليمن وهذا بلغة قريش وتهامة المالوفة بينهم ففيه
اشارة الى فصاحته ومعرفته باللغات وخطابه كل احد بلسانه ولغته وهذا اشارة الى الكتاب
الذي دفعه ابو بكر لانس حين ارسله في خلافته الى البحرين وامره ان يعمل به وهو من كلام رسول
الله عليه السلام وبعضهم وقفه على ابي بكر وبعضهم رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال انه
كان عند ابي بكر يعمل به وهو الذي سلمه لانس ولما دفعه اليه كان عليه خاتم رسول الله وهذا
الكتاب ذكره البخاري في صحيحه والنسائي وابو داود والترمذي وغيرهم على اختلاف بينهم
في كثير من الفاظه والبخاري ذكره مفرقا في كتابه ولم يخرجه مسلم واختلف في سبب تركه مع
صحته وشهرته فقيل للاختلاف في كونه من كلام النبي او من كلام ابي بكر وقيل لاختلاف المحدثين
وله طرق مختلفة واوله بسم الله الرحمن الرحيم هذه فريضة الله التي فرضها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمن سالها من المسلمين على وجهها فليعطها ومن سئل فوقها فلا يعطه فيما دون خمس
وعشرين من الابل الغنم في كل خمس ذود شاة فاذا بلغت خمسا وعشرين ففيها بنت مخاض وبقية
الكتاب مذكور فيه احكام الزكاة وهو مذكور في المطولات ولكن ذكرنا هذا المقدار منه تبركا
لان الثمرة تدل على الشجرة وفي منزل الخفا قيل لم يكتب النبي صلى الله عليه وسلم الى انس وانما ابو
بكر هو الذي كتبه اليه واجيب بان الدارقطني ذكر باسناد صحيح روايته هذا الحديث عن
النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ابو داود عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب كتاب الصدقة
ولم يخرجه فعمل به ابو بكر رضي الله عنه ثم عمر وعلى هذا ففي كلام المصنف مقدر دل عليه خصوص أن صح
الواقعة اي في كتابه الذي كتبت نسخته لانس لما في صحيح البخاري ان انسا حدث ان ابا بكر كتب
له هذا الكتاب لما وجهه الى البحرين ثم ان المصنف بين وجه التباين فقال **لما كان كلام**
هؤلاء الاشارة الى جميع من تقدم من الانصار وقريش واهل نجد والحجاز والهمدانيين والنهديين
او الى الاخيرين من لفظ بهم **على هذا الحد** اي على هذه الصفة قال الراغب حد الشيء الوصف المحيط
بمعناه المميز له عما عداه **وبلاغتهم على هذا النمط** اي على هذه الطريقة **واكثر استعمالهم**
هذه الالفاظ استعملها معهم يعني ان استعمال هذه الالفاظ مع من هي لغتهم لا تخل بالفصا

بل هي من اعلى طبقاتها وان كان فيها ما هو غريب ووحشي بالنسبة لغيرهم فان الجاحظ نص
في البيان على ان كلام اهل البادية الوحشي بالنسبة لهم فصيح وان كان كلام اهل المعاني قد يوهم
خلافه وانه مخل بالفصاحة مطلقا وهذا مما غفلوا عنه وله في هذا فصل من نبح منه من راغ معنى
معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما ان يصونهما عما يفسدهما
ويهجنهما ولا تعود من اجلهما ان يكون اسوأ حالا منك قبل ان تلتمس اظهارهما فكن في ثلاث منازل
اولها ان يكون لفظك رشيقا عذبا وفخما سهلا ويكون معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا اما
عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت واما عند العامة بان تكون للعامة اردت والمعنى ليس
يشرف بان يكون من معاني الخاصة ولا يتضع بان يكون من معاني العامة وانما مدار الشرف على الصواب
واحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال الى آخر ما فصله **ليبين للناس**
ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون اشارة الى انه لما كان مبعوثا لجميع الناس كان يتكلم
بكل لغة مع اهلها لانه ابلغ في الابلاغ وانفع **وكقوله في حديث عطية السعدي** منسوبا
لقبيلة بنو سعد بن بكر * وفي العرب سعود غيرهم * سعد تميم * وسعد قيس * وسعد هذيل *
وسعد بكر هؤلاء وغيرهم وعطية هذا هو ابن عروة السعدي ويقال عطية بن عامر ويكنى ابا محمد
روى عنه اهل اليمن والشام وهو جد عروة بن محمد بن عطية روى ابن عبد البر بسنده الى عروة
بن محمد بن عطية قال حدثني ابي ان اباه حدثه انه قدم على رسول الله في ناس من بني سعد
قال وانا اصغرهم فخلفوني في رحالهم ثم اتوه صلى الله عليه وسلم فقضى حوائجهم ثم قال هل
بقي منكم احد قالوا يا رسول الله غلام منا خلفناه في رحالنا وامرهم ان يبعثوا اليه فاتوا الي
وقالوا اجب رسول الله فاتيته فلما رآني قال ما اغناك الله فلا تسال الناس شيئا **فان اليد**
العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة وهذا حديث صحيح رواه الحاكم وصححه من طريق
عروة وتمامه كما رواه الواقدي في قصة ثمامة ومال الله مسؤول ومنطا وروي تورك وينطي
وفود السعديين عن ابن النعمان منهم عن ابيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وافدا في نفر من قومي وقد اوطا رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاد الى ان قال ثم انصرفنا
الى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها اصغرنا فبعث رسول الله في طلبنا فاتي بنا اليه فتقدم
صاحبنا فبايعه على الاسلام فقلنا يا رسول الله انه اصغرنا وخادمنا فقال اصغر القوم خادمهم
بارك الله عز وجل عليه فكان والله خيرنا واقرانا للقرآن لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
له ثم امره رسول الله علينا وكان يؤمنا ولما اردنا الانصراف امر بلالا فاجازنا باواقي فضة
لكل رجل منا فرجعنا الى قومنا فرزقهم الله الاسلام وهذا يشعر بانه كان امير القوم واذا كان هو
فلذا نصحه النبي صلى الله عليه وسلم بما ذكره المصنف **قال** اي عطية السعدي **فكلمنا رسول**
الله بلغتنا ورواه السيوطي في تخريجه فكلمني ولا تخالفه مع رواية المصنف لانه القي اليه
الكلام وتوجه اليه لما تعرض فيه الخير لمخايل نجابته والقوم يسمعون فيصح ان يقال
كلمهم وكلمه وقيل اراد بقوله كلمنا نفسه بنون العظمة اظهارا لانعام الله عليه بخطاب النبي
له وبعثه اليه وتامره عليهم فقامه يا باه وقوله بلغتنا اي بلغة بني سعد لانهم يقولون
انطى ينطي انطاء يعني اعطا ولا ينافيه ما قيل انها لغة يمانية لانه يجوز كونها لغة لهم اذ قال
الثعالبي قيل لغة حمير انط يعني اسكت سير السرة واليد العليا اليد المعطية والسفلى
يد الاخذ السائلة وهي المعطاة وقد جاء تفسيره بذلك في حديث آخر وهو انه قال وهو على

الألوكة
www.alukah.net

المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة اليد العليا خير من اليد السفلى واليد العليا
المنفقة والسفلى السائلة وهو حديث صحيح رواه الشيخان والمنفقة بنون وفاء وقاف ويروى
المتعففة بعين وفائين اي التي لا تسأل احدا وقيل المتعففة بتشديد الفاء وروي يد الله
فوق يد المعطي ويد المعطي فوق يد المعطى بالفتح فهي اسفل الايدي والايدي ثلاثة وقيل اليد
السفلى الآخذة بسؤال ودونه ◦ وما قيل ان هذا لا ينبغي لان الصدقة تقع اولا في يد الله ليس بشيء
لان هذا ليس على حقيقته لان المراد انه يقبلها ويربيها لصاحبها ◦ وقيل اليد العليا المعطية والسائلة
المانعة ◦ وقيل اليد العليا يد الفقير لتحصيلها الثواب لصاحب المال ودفع البلاء عنه واختاره
بعض مشايخ الصوفية فيد الفقير افضل عند الله قال ابن قتيبة وما ارى هذا الا كلام قوم استحبوا
السؤال وحسنوه وكل هذا مضمحل بعد التصريح بتفسيره في الاحاديث الصحيحة فان قيل الله مدح
فيه والخلاف مبني على ان المراد بالعلو الحسي من بنائه على الغالب او المعنوي من علو الشرف
كما قال الشاعر ◦ اذا كان باب الذل في جانب الغنى ◦ سموت الى العليا في جانب الفقر ◦
والتعبير عن المعطي بالمنفق وذي اليد العليا بناء على الغالب المتبادر فلا يقال يد السائل قد تكون
فوق اذا اخذ من كفه وان المنفق قد لا يكون متصدقا وان الآخذ قد لا يكون سائلا بان يعطي ابتداء
والسائل قد لا يكون متصدقا عليه كسائل القرض ونحوه ومثل هذا من باب سفساف الامور فلا
حاجة للتطويل بمثله ففي الحديث ثلاثة تفاسير الاول ان معناه يد المعطي ويد السائل بطريق
الكناية الثاني ان معناه المنفق والآخذ ◦ الثالث عكس الاول والاول اصح رواية ودراية
ونو في عطية هذا في حدود الثمانين وفي العقد لابن عبد ربه ان هذا العامري هو لقيط
بن عامر بن المنتفق وساق له حديثا على وجه آخر **وقوله في حديث العامري حين سأله** نسبة
لعامر اسم قبيلة وتسمى بني عامر لانهم سموا باسم جدهم كتميم وكانوا وفدوا على النبي صلى الله
عليه وسلم وفيهم عامر بن الطفيل واربد وكان عامر واربد تواعدا ان يقتلا النبي صلى الله عليه
وسلم غيلة فحماه الله وعصمه فلما رجعا من عنده هلكا في الطريق اما اربد فاصابته صاعقة
اهلكته واما عامر فاصابه طاعون مات منه في بيت امرأة سلولية فكان يقول اغدة كغدة البعير
وموت في بيت سلولية فجرت مثلا لاجتماع امرين حقيرين واربد هو اخو لبيد الشاعر وقد هداه
الله للاسلام بعد موت اخيه وحسن اسلامه ◦ ولم يقل شعرا بعد اسلامه غير قوله ◦
الحمد لله اذ لم ياتني اجلي ◦ حتى اكتسيت من الاسلام سربالا ◦
سل عنك اي سل عم شئت وهي لغة بني عامر وروي عمن شئت والاول اصح رواية
وعنك بفتح العين وسكون النون وكاف الخطاب وهذا الحديث رواه ابو نعيم في الدلائل عن شداد
بن اوس ولم ار من صحح لغة بني عامر هذه وبين وجهها غير اني رايت في شرح ديوان الاعشى
لابن حبيب في قوله ◦ فاذهبي ما اليك ادركني الحلم ◦ عداني عن هيجكم اشغالي ◦
ان العرب تقول اذهب اليك وسر عنك بزيادة اليك وعنك انتهى والمصنف نقله والاسم الاطلاع
ووقف على ان هذه اللغة لغة بني عامر او غالبة فيهم ووجه البلاغة فيها انها جعلت كناية
عن سل كل شيء فان كل احد ادرى بنفسه فانا امرك بسؤاله عنها فكانه قال له انا اعلم بك منك
واذا كان كذلك فهو عليم بجميع احواله فصار يدل على المراد بطريق برهاني بليغ ◦ واما قوله
عم شئت فوقع في بعض النسخ عما بالالف وهي ظاهرة لانها موصولة لا يسقط الفها اذا دخل عليها
الجار واما على النسخة المشهورة فقال بعض الشراح انها استفهامية اي عن اي شيء ولا يخفى ان

المعنى

المعنى لا يتأتى عليه الا بتكلف مع ما فيه من تأخيرها عن العامل مع ان لها الصدر فالصواب
انها موصولة ويجوز حذف الفها اذا اجريت حملا لها على ما الاستفهامية لمشابهتها لها في اللفظ
قال ابو حيان في شرح التسهيل قال الاخفش في الاوسط وذكر ابو زيد ان كثيرا يقولون سل عم
شئت كانهم حذفوا الفها لكثرة استعمالهم اياها انتهى ولعل المصنف وقف على انها لغة بني عامر
فقصد بمجانسة المغتفر والمفتقر ◦ واما ما قيل من انه لا وجه لهذه النسخة فمن قصور النظر ◦
واما كلامه المعتاد اي كلام النبي صلى الله عليه وسلم الذي اعتاده مع قومه من قريش واهل
ارضه **وفصاحته المعلومة** لكل احد من كلامه **وجوامع كلمه** لما ورد في الحديث اوتيت
جوامع الكلم والجوامع جمع جامعة اي كلمة فصيحة جامعة لمعان كثيرة والكلم اسم جنس جمع كلمة
لا جمع على الاصح والمراد ان الله من عليه باقداره على التكلم بكلمات بليغة جزلة حاوية لمعان
نافعة من المواعظ ونحوها وقيل المراد القرآن والاصح الانسب بالمقام الاول وقال الهروي
يعني بجوامع الكلم القرآن جمع الله له فيه معاني كثيرة في الفاظ يسيرة وكلامه صلى الله عليه
وسلم كان كذلك وقال ابن شهاب بلغني ان جوامع الكلم جمعه الله له من معاني الكتب التي
كانت قبله في الامر الواحد والامرين ونحوه والحاصل انهم عدوا من فضائله وكمالاته انه كان
يتكلم في معان وردت بقليل الالفاظ المحتوية على المعاني التي لا حصر لها ومنه ما روي
انه كان يستحب الجوامع من الدعا وهو ما يجمع الاغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة او يجمع
السؤال وآداب المسالة **وحكمه المأثورة** اسم من الاثر وهو ما يدل على الشيء من اثاره وعلاماته مائة
واثرت العلم رويته اثره اثرا واثارة واثرة واصله آثرة كما قال الراغب فالمأثورة المنقولة
المروية والحكم جمع حكمة وهي الكلمات النافعة فيشمل المواعظ والامثال فالحكم اعم
من جوامع الكلم **فقد الف الناس فيها الدواوين** الفا في جواب اما والضمير اما للمذكور
كلها والدواوين جمع ديوان بكسر الدال وتفتح على لغة كما في المقتفى وعن ابي عمرو ان الفتح
خطأ ولو صح قيل في جمعه دياوين ولم يسمع كما قاله الجواليقي وقال الماوردي في الاحكام
السلطانية الديوان موضوع لحفظ الحقوق والاموال والاعمال ومن يقوم بها من الجيوش
والعمال وفي سبب تسميته وجهان ◦ احدهما ان كسرى اطلع يوما على كتاب ديوانه فراهم
يحسبون مع انفسهم فقال ديوانه اي مجانين فحذف الهاء والثاني ان الديوان
بالفارسية اسم للشياطين فهو جمع ديو بكسر الدال والالف والنون علامة الجمع بالفارسية
يقال زاهد وزاهدان فسموا به لحذقهم وحدقهم واطلاعهم على الخفي والجلي ثم سمي به
مكانهم واول من وضع الديوان عمر فهو فارسي معرب كما في كتاب المعربات للجواليقي
واطلق لكالدفتر ثم استعمل في كل كتاب وهو المراد هنا وخص في العرف بما يجمع فيه اشعار شاعر
مخصوص على طريق الاستعارة او المجاز المرسل وشاع حتى صار حقيقة فيه فله معان خمسة
الكتاب ◦ ومحله ◦ ودفتر الاموال ◦ ومطلق الكتاب ◦ وديوان الشعر ◦ **وجمعت في الفاظها
ومعانيها الكتب** المراد بالاول الكتب التي جمع فيها الاحاديث واطرافها مسندة وغير مسندة
كالكتب الستة والمسانيد وبالثاني شروحها وجمعت مبني للمفعول فلا وجه لما قيل ان
الالفاظ قوالب المعاني فهي ان تجردت عنها كانت مهملة وهو كلام مهمل **ومنها ما لا يوازى
فصاحة** يوازى مبني للمجهول معناه يماثل ويقابل ويساوي من وهي المقابلة وواوه مبدلة
من الهمزة يقال آزى الشيء يوازيه اذا حاذاه وفي شرح الكرماني للبخاري آزيته ولا يقال

www.alukah.net

وارثيته يعني لا يقال ذلك في ماضيه وأما المضارع فيجوز ابدالها واوا لانضمام ما قبلها
فتدبر **ولو يباري بلاغة** أي لا يعارض فيؤتى بمثله وهو مجهول بضم المثناة التحتية والموحدة
وراء مهملة بين الفتح والنهاية لم يمكن معارضته لقربه من مرتبة الاعجاز ففي تعبيره بالموازاة في
الفصاحة وبالمباراة في البلاغة حسن لا يخفى وجهه فلا يرد عليه أن الذي لا يعارض
هو الكلام المعجز والاعجاز مختص بالقرآن كما توهم وفصاحة وبلاغة منصوب على التمييز ۞
كقوله صلى الله عليه وسلم **المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم
يد على من سواهم** التكافؤ التماثل من الكفوء بالهمزة وهو المثل أي متساوون في القصاص
والدية فشريفهم ومشروفهم وصغيرهم وكبيرهم وفقيرهم وغنيهم وأميرهم وسوقتهم سواء وهذا
كقوله تعالى النفس بالنفس خلافا لما كان عليه الجاهلية من قتل الجمع الكثير بواحد كما في قصة كليب
وغيرها فجاء الشرع بابطاله وهذا الحديث استدل على أن المسلم لا يقتل بكافر ولا ذو عهد
في عهده والقائل بقتل المسلم بالكافر الذمي قال المراد بالكافر هنا الحربي وفي وجه التخصيص
كلام للفقهاء والأصوليين وقد أفرد هذا الحديث بتحرير مستقل وهذا الحديث أخرجه أبو داود
والنسائي عن علي وصححوه والى عدم قصاص المسلم بالكافر ذهب أبو حنيفة خلافا للشافعي
وتساوي دمائهم كناية عن تساويهم في القصاص والدية وقوله ويسعى بذمتهم أدناهم
المراد بالذمة العهد والامان فانه اذا أمن أحد من المسلمين الكفار كان ذلك جاريا على جميع
المسلمين لا يجوز نقضه لأحد منهم وأدناهم أقلهم مقدارا فيشمل كل وضيع بالنص وكل شريف
بالفحوى فيدخل فيه الصبي والمرأة ۞ واختلف في امان العبد فقيل يقبل وقيل ان كان
مقاتلا جاز والا فلا والصبي قيل ان امانه يقبل وقيل ان كان مراهقا قبل والا فلا والمجنون
لا يصح امانه بلا خلاف ومنهم من استثنى الأجراء والأسراء في دار الحرب ومعنى يسعى يباشر
ويفعل ۞ وقوله وهم يد على من سواهم في النهاية معناه أنهم يجتمعون على أعدائهم يعاونون
بعضهم بعضا فلا يخذله فجعل أيديهم كاليد الواحدة في الاتفاق ولذا لم يقل أيدي
واليد تستعمل في القهر والقوة والقدرة أي هم مستولون قاهرون لغيرهم من أهل الملل
فهم في الاتفاق كاليد الواحدة فهو تشبيه بليغ أو استعارة وفي الحديث رد عليهم أيضا وغيره
مذكور في كتب الحديث **وقوله الناس كأسنان المشط** مناسبة لما قبله ظاهرة والمشط بضم
الميم وكسرها وفتحها وشينه معجمة مثلثة أيضا ويقال ممشط كمنبر وهو آلة معروفة يسرح
بها الشعر وهذا الحديث أخرجه ابن لال عن سهل بن سعد في مكارم الأخلاق واعترض على هذا
التفسير وجعل نظيرا لما قبله بأن تفاوت الناس في الأخلاق مقرر فالظاهر أن المراد
تساويهم في الأحكام الشرعية والمراد بالناس المسلمون لأن غيرهم لا يساويهم في ذلك
أو الجميع باعتبار أغلب الأحكام أو المراد تساويهم في الأنساب فانهم كلهم أولاد آدم كما قال
تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى الخ فالمراد نفي ما كان عليه الجاهلية من التفاخر
بالنسب فلا شرف الا بالعلم والتقوى كما ورد في الحديث يا أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم
واحد لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي الا بالتقوى ۞ وفي معناه ما ينسب لعلي

الناس في عالم التمثيل أكفاء ۞ أبوهم آدم والأم حواء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ۞ والجاهلون لأهل العلم أعداء

والشعر بتمامه مشهور وليس المراد أن النسب لا يعتبر مطلقا **والمرء مع من أحب** رواه

الشيخان

الشيخان عن أنس وغيرهما وهو حديث صحيح يروى من طرق منها ما أسند الى ابن مسعود
قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوما ولم
يلحق بهم فقال المرء مع من أحب فمن أحب الأبرار فهو مع الأبرار ومن أحب الفجار فهو مع
الفجار وفي الحديث لا يحب الرجل قوما الا حشر معهم وفيه يحشر المرء مع خليله فلينظر من يخالل
وروي من يخالل بالتشديد وبصيغة قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين
أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وأمثاله
كثيرة لا تحصى والمرء بمعنى الرجل والمراد به هنا مطلق الانسان الشامل للمرء والمرأة بطريق
التغليب ويحتمل التخصيص لأن المرأة تحشر مع زوجها ولو أحبت غيره والمراد المعية
في الحشر ومنازل الآخرة فينزل في منزلته لمنزلتهم بسبب خلوص المحبة قال الغزالي وهذا
لمناسبة روحانية باطنية خفية وأسباب لا يطلع عليها كما ورد في الحديث لو أن مؤمنا
دخل مجلسا فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه فالمعية لدنو وقرب رتبي لا
في مجرد الاكرام وصلة فضلا من الله لا يعلمه الا مؤمن ولذا قال في آخر الآية السابقة ذلك
الفضل من الله وكفى بالله عليما وان لم يعمل عمل من أحبه ولو كانت المعية في مطلق الاكرام خصه
الله بدرجة رفيعة لا يصل اليها وهذا الداعي لمن جعل المعية في مجرد الاكرام يقطع النظر عن
خصوص مرتبته قلت هذا ارتضاه بعضهم وقد عرفت ما فيه وقد ارتضى غيره خلافه
وقال يدل عليه ما قال الشيخ محي الكفائين ولا يلزم مساواته من كل الوجوه وقد أطال
في الشرح الجديد هنا بما لا محصل له على عادته ويجوز أن يراد به كونه في الجنة ۞ ولابن حجر رحمه الله

وقائل هل عمل صالح ۞ أعددته ينفع عند الكرب
فقلت حسبي خدمة المصطفى ۞ وحبه فالمرء مع من أحب

وقلت أنا

وحق المصطفى لي فيه حب ۞ اذا مرض الرجا يكون طبا
ولا أرضى سوى الفردوس مأوى ۞ اذا كان الفتى مع من أحبا

ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له هو حديث رواه ابن عدي في الكامل بسند
ضعيف كما قاله السيوطي في تخريجه وأوله كما قاله الثعلبي المرء على دين خليله ولا خير في
صحبة من لا يرى لك من الخير مثل ما ترى له وروي من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه قال
وروي نرى له بالياء والتاء والبناء للفاعل والمفعول والصحبة بضم الصاد وسكون الحاء
المهملتين والموحدة مصدر كالرفقة أي يكون عنده من الرغبة والمودة والنفع مثل ما عندك
له كما قال ابن الأحنف هـ

اذا كان لا يدنيك الا شفاعة ۞ فلا خير في ود يكون بشافع

والناس معادن رواه الشيخان عن أبي هريرة وتمامه الناس معادن كمعادن الذهب والفضة
خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها
ائتلف وما تناكر منها اختلف والمعادن جمع معدن بكسر الدال وفتحها خطأ منبت الذهب
والفضة ونحوه من عدن بمعنى أقام لاقامة أهله فيه أو لانباته فيه ويطلق على مكان كل
شيء فيه أصله وعلى كل أصل وعلى بيوت العرب يعني صلى الله عليه وسلم أن بني آدم مختلفون
باختلاف أصلهم فمن كان أصله شريفا أعقب مثله وسرى طيب عرقه لفرعه ومن كان دونه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ذلك كان عقبه مثله ومن كان خبيثا كان فرعه خبيثا الا ترى ان الشجرة الكريمة تنبت
فرعا طيبا وثمرة حسنة وضدها كذلك فمن ورق الحنظل لا ينبت الا حنظلا ولو سقيت شهدا على
ومنبت الذهب لا يتكون فيه الحديد والنحاس لكن خيارهم حسبا لا يصير خيارا في الاسلام الا بالتقوى
والعفة والعلم فاذا كان كذلك طاب اصله وفرعا والا فلا ينفعه حسبه كابي جهل واضرابه
وههنا نكتة فانه قال كمعادن الذهب والفضة ولم يذكر معادن غيرهما من الامور الخسيسة
كالحديد والملح اشارة الى ان اصل خلقة الانسان وجبلته خلقت على الكرم والشرف كما قال
تعالى ولقد كرمنا بني آدم وقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وفقهوا بضم
القاف من الفقه وبكسرها بمعنى الفهم ويجوز في الاول الكسر ايضا والفقه حذق الرجل بما
يعلمه وعلمه فيه ثم خص بعلم الشريعة مطلقا ولذا قال ابو حنيفة هو معرفة النفس ما لها
وما عليها وسمى كتابه في العقايد الفقه الاكبر ونقل لعلم الفروع وتعريفه والكلام عليه مفصل
في كتب اصول الفقه وقوله الارواح جنود مجندة يعني انها خلقت قبل الاجساد اقساما مجتمعة
فمن وافقت روحه الروح التي هي من قسمتها الفتها كما قال ابو نواس ۞

ان النفوس لارواح مجندة • لله في الارض بالاهواء تاتلف
فما تعارف منها فهو موتلف • وما تناكر منها فهو مختلف

ومن جوامع الكلم قوله صلى الله عليه وسلم ما هلك امرؤ عرف قدره قال السيوطي قال
السمعاني انه حديث روي مسندا عن علي وفي سنده من لا يعرف حاله وقال الصغاني لا اعرف
له سندا صحيحا الى النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو من كلام اكثم بن صيفي في وصيته فان ثبت عن
النبي فلعله تمثل به واكثم هذا بالمثلثة من بلغاء العرب وعده بعضهم في الصحابة والاكثر على خلافه
وفي كتاب جوامع الكلم وبدايع الحكم وهو من كلامه صلى الله عليه وسلم وذكره مسندا ايضا ان
من عرف مقدار نفسه ونزلها منزلتها نجا في الدنيا والآخرة من الهلاك ومن تعدى طوره فتكبر
ورفع نفسه فوق حده هلك وهو ظاهر والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ۞
المستشار اسم مفعول من المشاورة وسينه للطلب اي طلب رأي من يشاوره والمشورة بفتح الميم
وسكون الشين والافصح فتحها وضم السين وكلاهما جاير بمعنى الشورى من شار العسل اذا اجتناه
لانه باراه الصواب كانه اطعمه شهدا او من شار الدابة اذا عرضها ومنه المشوار لمكان تعرض فيه الدواب
والعامة تطلقها على جريها من اطلاق اسم الحال على المحل فاختر لنفسك ما يحلو فسميت بها العرض
امره على من استشاره وانما كان المستشار مؤتمنا لانه اودعه سره وما خفي من امره وجعل امانة
عنده فعليه ان يحفظه ولا يظهره وان ينصحه فيما استشاره فيه وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم
بالمشاورة وناهيك بعلو مقامه ومعرفته بعواقب الامور حتى قيل انه كان واجبا عليه في الحروب
تشريعا للامة وتطييبا لقلوب اصحابه كما قيل ۞

شاور صديقك في الخفي المشكل • واقبل نصيحة ناصح متفضل
فالله قد اوصى بذاك نبيه • في قوله شاورهم وتوكل

وقوله وهو بالخيار الخ معناه انه مخير ان شاء اشار عليه بما شاوره فيه وان شاء سكت ولم
يتكلم فاذا تكلم لزمه بيان رايه ونصحه وذكر الصواب عنده وهذا الحديث اخرجه احمد عن ابن مسعود
ولفظه المستشار مؤتمن وهو بالخيار ان شاء تكلم وان شاء سكت فان تكلم فليجتهد رايه اي فليجتهد
في رايه ويتفكر في الصواب فيه واخرج صدره فقط الاربعة من حديث ابي هريرة والحاكم من حديث

ابن ع

ابن عمر ومن جوامع الكلم النبوية قوله صلى الله عليه وسلم ورحم الله عبدا قال خيرا
فغنم او سكت فسلم هذا الحديث اخرجه ابو الشيخ عن ابي امامة والديلمي عن انس لكنه رواه
رحم الله امرأ بدل عبدا والعسكري رواه عبدا مرفوعا عن انس ايضا وله شواهد وروايات تقويه
وتصححه ورواه البيهقي في الشعب والخرايطي في الاخلاق اما كونه اذا قال الخير كالذكر والعلم
والعظة فانه يغنم الاجر والذكر الجميل وربما يحصل الغنم في الدنيا وقوله او سكت عن خلاف الخير
فيسلم من وباله وما يترتب عليه كما لا يخفى واسلم تسلم يوتك الله اجرك مرتين من حديث رواه
الشيخان فمن كتابه الذي كتبه لهرقل ملك الروم وروي اسلم تسلم واسلم يوتك الله الخ وهو
ظاهر وعلى الاول فالثاني بدل مما قبله او جواب بعد جواب او مجزوم بجازم مقدر وفيه من
البديع التجنيس والانسجام والايجاز ومعناه تسلم من عذاب الدارين وذل الجزية ويوتك الله
اجرا باتباعك عيسى وايمانك به واجرا اعظم منه بالاسلام واتباع خير النبيين عليه افضل
الصلاة والسلام ومرتين منصوب على الظرفية وهذا كما ورد في حديث آخر ثلاثة يوتون
اجرهم مرتين فذكر منهم رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه وادرك النبي صلى الله عليه وسلم وآمن
به الخ بخلاف المشركين وكتابه كان في سنة ست حين مادد قريشا وقيل في سنة خمس وصورته
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد
فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم واسلم يوتك الله اجرك مرتين الخ وهو مذكور في
الصحيحين مشروح في شروحهما والدعاية بكسر الدال مصدر بمعنى الدعوة وكتب الى المقوقس
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله رسول الله الى المقوقس وقال فيها عظيم الروم عظيم
القبط ولم يقل ملك الروم ولا ملك القبط لانه لا يستحق ذلك العنوان الا من كان مسلما
ومع ذلك فلم يخل من تعظيم تمليكا للقلوب بها في اول الدعوة الى الحق وهرقل بكسر الهاء وفتح الراء
المهملة وسكون القاف كما قال جرير ۞

والارض هرقل قد قهرت وزاهرا • ويسعى لكم من آل كسرى النواصف

وقيل انه بسكون الراء وكسر القاف ولعلها لغة فيه لتلاعبهم بالاعجمي وهو علم ممنوع من
الصرف ولقبه قيصر ويلقب به كل ملك الروم ولم يقل ويوتك بالعطف لتكرار اسلم لفظا
او تعذرا تاكيدا في حثه على الاسلام ومناسبته لكونه اجره مرتين فدعاه مرتين ليكون
له اجرين اولا الامر الاول للدخول في الاسلام والثاني للدوام عليه ايضا ووصل الكتاب
مع دحية وهو بحمص في المحرم سنة سبع فلما قراه كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم اني مسلم ولكني
مغلوب فقال صلى الله عليه وسلم كذب عدو الله على نصرانيته وقيل انه آمن قال ابن عبد البر
كيف وقد قاتل الصحابة بتبوك وواعد النبي ان ياتيه في العام المقبل فنزل النبي لاجله الى
تبوك فلم يجي ثم اخذت البلاد منه فهرب بالقسطنطينية الى ان هلك على نصرانيته سنة
عشرين ولذا لم يلقبه الرسول بالملك مع انه اعترف بانه مغلوب والمتغلب المغلوب معزول
عند الجرح ففي هذا الاخبار بالغيب فان قلت قوله تم اولئك يوتون اجرهم مرتين نزلت في
اهل الكتاب من التوراة والانجيل وهو في النصارى صحيح اما في اليهود فلا اذ لا يوجرون على
دينهم بعد نسخه بشريعة عيسى صلى الله عليه وسلم فان قلت قد قيل انها نزلت في عبد الله
بن سلام واضرابه ممن اسلم من اليهود واستمر على اليهودية ولم يتبع عيسى فقيل انهم لايمانهم
بمحمد ودينه يوجرون عليه وان كان منسوخا واما على القول بانهم لم تبلغهم دعوة عيسى فنصيبه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولانهم ثماة وليس بانه مبعوث لبني اسرائيل خاصة وهو من العرب لاسيما وهم ينكرون النسخ
واما القول بانها نزلت في كعب الاحبار فغير صحيح لانه ليس له صحبة ولم يسلم في زمن النبي عليه
السلام الا ان يؤول بانها نزلت في امثاله ممن آمن من اهل الكتاب وهو بعيد وقال الكرماني ان
هذا مخصوص بمن آمن به في عصره لان من انتسخ دينه وبلغته دعوة الاسلام وصحح غيره انه عام
لكل من اسلم من اهل الكتاب لما مر وبه افتى الامام البلقيني فلا اشكال **وان احبكم الي**
واقربكم مني مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يالفون
ويولفون هذا ايضا من جوامع كلمه وبدايع حكمه وهذا الحديث رواه الترمذي عن ابن مسعود
وعن جابر ورواه الطبري وزاد فيه وان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا يوم القيمة الثرثارون
المتفيهقون المتشدقون وزاد غيره المشاؤن بالنميمة المفرقون الاحبة الملتمسون للبرآء العيب
واقتصر المصنف على بعضه وفيه روايات مختلفة بالزيادة والنقص واحب افعل تفضيل من المبني
للمجهول وفعله ثلاثي لانه يقال حبه بمعنى احبه فهو محبوب وان كان قليلا وصوغه من المجهول
مقصور على السماع في الاصح ومجالس جمع مجلس وهو محل الجلوس منصوب على انه تمييز والتمييز
يجوز افراده وجمعه كما بينه النحاة ونسبة القرب له كناية عن رضاه عنهم وشفاعته لهم
في الموقف واحاسن جمع احسن افعل تفضيل وجمع لمطابقة ما هو له وهو المضاف اليه واستدل
النحويون بهذا الحديث على ان افعل التفضيل اذا اضيف لمعرفة يجوز ان يطابق موصوفه
وان لا يطابقه لان افراده احب واقرب وجمع احاسن بخلاف ما اذا اضيف لنكرة فانه يلزمه
الافراد والتذكير ولا حاجة الى القول بانه انسلخ عن معنى التفضيل وصار بمعنى حسن وانه
ورد كثيرا في كلامهم كما قال ابن مالك بناء على ان الاجتبية وكثرة الثواب بحسن الخلق في الجملة
والاخلاق جمع خلق وقد تقدم بيانه والموطئون بضم الميم وفتح الواو والطا المهملة المشددة
بعدها همزة مضمومة جمع موطا اسم مفعول وقال البرهان الحلبي انه في الاصل الذي وقف
عليه بفتح الطا من غير تشديد وهو من فيه لين ورفق وهو ماخوذ من التوطئة وهي التمهيد والتذليل
يقال دابة وطيئة اي لا تحرك راكبها وفراش وطي لا يوذي جنب النائم عليه وهو في الاصل
على طريق التمثيل والاستعارة كانه يمكن غيره من وطئه باقدامه فاريد به ما مر والاكناف
جمع كنف بفتحتين وهو الناحية والجانب اي من يلين جانبه لغيره والمراد من يلتجا اليه ويحتمي
عليه والاول انسب بما بعده من قوله الذين يالفون ويولفون اي الذين يالفهم الناس ويالفونهم
من الالفة بالضم وهي الاجتماع مع حسن المعاملة والعشرة والثرثار الكثير الكلام فيما لا
يعني مستعار من عين ثرثارة اذا كانت كثيرة الما وكذا المتفيهقون وهو تفعيل من الفيهقة
من فهق الغدير يفهق بفتح الها فيهما اذا كثر ماؤه والمتشدقون الذين يتكلمون بفتح اشداقهم
كما قيل
تشادق حتى مال بالقول شدقه • وكل خطيب لا ابا لك اشدق •
وورد في هذا الحديث ان الصحابة قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون
فما المتفيهقون قال المتكبرون وهو غير مخالف لما تقدم لان المعجب بنفسه وكلامه
ترفعه حاله الى التكبر وفي التقريب الفهق الاتساع وكل شي توسع فهو تفهق وانشد المبرد
تفهق بالعراق ابو المثنى • وعلم قومه اكل الخبيص •
وفهق الغدير يفهق فهقا وفم الرجل بالكلام امتلا انتهى ثم عقبه بما يناسبه من جوامع
الكلم فقال **وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه** هذا حديث صحيح روي

من طرق بعضها موافق لكلام المصنف وفي بعضها ما لا ينقصه وفي بعضها ما لا يضره وضميره
راجع للرجل المذكور في اول الحديث الذي رواه البيهقي عن انس في الشعب ان رجلا من الصحابة
استشهد باحد فقالت امه يا بني لتهنك الشهادة فقال رسول الله لها وما يدريك لعله الخ
واخرج الترمذي من حديث حفصة بنت غياث عن الاعمش عن انس قال توفي رجل من الصحابة
فقالوا ابشر بالجنة فقال اولا تدرون فلعله قد تكلم بما لا يعنيه او بخل بما لا ينقصه واخرجه
البيهقي من هذا الوجه ايضا وقال هذا هو المحفوظ قاله خاتمة الحفاظ الجلال السيوطي ومعناه
انه لا ينبغي ان يبشر بالجنة الا من لم يصدر عنه مثل هذا فلعله يعاقب عليه ويعنيه بفتح المثناة
التحتية وسكون العين المهملة والنون بمعنى يهمه وينفعه من عناه يعنيه ومنه الحديث
من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وفيه نهي عن التكلم بما لا يلزم ولو مباحا لما فيه من
تضييع الاوقات وترك الاهم كذكر الله وتلاوة القرآن واذا نهي عن هذا فما بالك بالتكلم بكل
قبيح كالغيبة والنميمة وقوله ويبخل الخ يغنيه بضم المثناة التحتية وسكون الغين المعجمة
وبين يعنيه ويغنيه تجنيس والبخل ترك البذل ومنع العطا اللازم كالزكاة والنفقة على من
تلزمه نفقته والمستحسن مروءة كالتصدق على الفقراء وتفريج ضيق الاخوان واطعام
الطعام وتخصيصه بالاول غير ظاهر وكان الظاهر ان يقال بما لا يحتاج اليه كما في الرواية
الاخرى لا يضره ولا ينقصه فعدل عنه لانه ابلغ فهو كناية عما ذكر لانه يعلم منه بالطريق
الاولى او المراد بما لا اغناء له عنه والبخل صفة ذميمة لا يعقب الا الخسارة كما ورد بشر
مال البخيل بحادث او وارث • وقال الشاعر •
يفني البخيل بجمع المال مدته • وللحوادث والوراث ما يدع •
كدودة القز ما تبنيه يهلكها • وغيرها بالذي تبنيه ينتفع •
وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها هذا حديث رواه ابو داود عن عمار بلفظ ذو
الوجهين ذو لسانين في النار فيقال ذو الوجهين وذو اللسانين ويقال له ذو الاوجه كما
قال الشاعر • وكم من فتى يعجب الناظرين • له السن وله اوجه •
واذا كان ذو الوجهين كذا فذو الاوجه معلوم بطريق الاولى وبين الوجه والوجيه
جناس اشتقاق كقوله فاقم وجهك للدين القيم وفيه لطافة لما فيه من جعل كونه له
حالين متخالفين وكلامين غير متوافقين عند رجلين على وجه الافساد اذا كانا متحابين
او على وجه الاضرار اذا كانا متعاديين بمنزلة من له وجهان ياتي هذا بوجه وهذا باخر كما
قالوا اخرج بوجه وآتي بوجه غيره والوجيه الذي له قدر ومنزلة والمراد بكونه لا منزلة
له عند الله انه لا يرضاه ولا يحبه لقباحة فعله اما لو فعل ذلك لاصلاح ذات البين
وازالة ضغاين القلوب ونحو ذلك فهو امر حسن ليس داخلا فيما ذكر وقال الجاحظ والوجهين
هو الذي ياتي كل قوم بما يرضيهم خيرا كان او شرا فيظهر لاهل المنكر انه عنهم راض فيستقبلهم
ببشر منه وترحيب ويظهر لاهل الحق انه عنهم راض فيريد ارضا كل فريق منهم ويظهر انه
معه وان كان ليس كذلك باطنا وروى ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان
من شر الناس ذا الوجهين الذي ياتي هولاء بوجه وهولاء بوجه خرجه مسلم وعن انس عنه
عليه السلام من كان ذا لسانين في الدنيا جعل الله له لسانين من نار يوم القيمة **وقوله ونهيه عن**
قيل وقال هذا حديث صحيح رواه الشيخان عن مغيرة بن شعبة فيه ثلاثة اوجه فقيل القال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مصدران بمعنى القول وقيل فعلان احدهما مبني للمجهول والثاني غير مجهول وجوز فيه
ان يحكى مبنيا على الفتح وان يعرب اعراب الاسماء وينون ومنه قيل ان نقل الجمل يجري في غير
الاعلام كما صرح به الكرزوني وذكره نظاير هذا مما يتعلق بلفظه واما معناه فالنهي من كثرة
الكلام لما يؤدي اليه من الخطا وكونهما بمعنى لا وجه له فقيل انه اشارة الى حكاية كلام الناس
والاول حكاية عن غير معين والثاني عن معين وقيل الاول عبارة عن السؤال والثاني عن الجواب
فالمعنى انه نهى عن كثرة البحث والجدال في الدين وغيره مما لا يلزم وقيل انه نهي وزجر عن كثرة
الكلام مبتديا ومجيبا **وكثرة السؤال** اي سؤال الناس ما بايديهم استعطاء وهو للقادر على
الكسب من غير ضرورة حرام وهو الذي ارتضاه علماؤنا وقيل مكروه او السؤال عن اخبار
الناس واحوالهم قيل وهذا يغني عنه قوله عن قيل وقال او السؤال عن المشتبهات والبحث عنها
والتكلف في تخريجها وتوجيهها وقد ورد النهي عن ذلك او المراد نهيهم عن سؤال الرسول
عن امور لما يؤذون في السؤال كما قال تع يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم
ويرد عليه انه لو اريد هذا قال وعن السؤال من غير ذكر الكثرة واجيب بان كثرته تضمنه لما
اذن في السؤال عنه وهذا يتضمن النهي عن احدهما لان النهي عن مجموع امرين احدهما هو المنهي
عنه في نفس الامر نظرا الى هيئتهما المجموعة تتضمن النهي عن خصوص ذلك المنهي عنه ولا يخفى
ما فيه من التكلف لادعاء امر لا يدل عليه اللفظ **واضاعة المال** باي طريق كان سواء كان
ماله او مال غيره كالانفاق في الحرام واهمال ماله وعدم تنميته حتى يهلك ودفع ماله
للسفيه والاسراف فيما لا فايدة فيه كل ذلك منهي عنه وعد من اضاعته حبسه وعدم صرفه
فيما لا يليق كما قيل • وما ضاع اورث المجد اهله • ولكن اموال البخيل تضيع •
ومن هان عليه المال توجهت اليه الامال • ومن بسط راحته اتسع ساحته • وكما قلت •
وتكرم نفس المرء ان هان ماله • وكل كريم النفس فهو كريم •
وقيل تصدق المديون والمحتاج حرام وكذا تصدقه بجميع ماله وقال السبكي في فتاواه
الضابط في اضاعة المال ان لا يكون لغرض ديني او دنيوي فاذا انتفيا كان اضاعة ومحل
حرمته ما اذا لم يتصبر ويتوكل على الله حق التوكل لقوله تع ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم
خصاصة **ومنع وهات** منع منون مجرور ويجوز فيه ان يكون فعلا ماضيا وهو بعيد
والمراد منع بذل ما يجب او يستحسن او مطلق الامساك وهات بكسر المثناة الفوقية اي طلب
ما عند غيره وسؤاله وهو فعل امر من آت فقلبت همزته هاء وهو مذهب الخليل وعليه اكثر النحاة
وعقوق الامهات العقوق مخالفة الوالدين وايذاؤهم ضد البر من العق وهو القطع
والامهات جمع امهة وهي الام واصل الام امهة لجمعه على امهات وتصغيره على اميهة وقد جاء
اصله من المضاعف لقولهم امات واميمه وقال بعضهم اكثر ما يقال امات في البهايم ونحوها
مما لا يعقل وامهات في الانسان وخص الامهات مع ان عقوق الوالدين اكبر جميعا من الكباير
لانهن اكثر حقا وشفقة على الولد ولذا لما سال سايل رسول الله من احق الناس بحسن صحابتي
قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك ثلاثا قال ثم من قال ابوك وهو
حديث صحيح وايضا لم يكن للنسا تلك الحرمة عند العرب فخصهن لينبههم على برهن وينبه
على ما يجب لهن قيل ويؤخذ منه انه اذا اعطى والديه شيا ينبغي تقديم عطية الام على عطية الاب
واكثر العقوق يكون لهن • وقال حكمة الثلاث في الحديث مشقة الحمل • والوضع • والرضاع

وذهب

وذهب الجمهور لتفضيل الام على الاب في البر ونقل عن مالك وبعض الشافعية التسوية
بينهما والاصح الاول **ووأد البنات** الوأد بفتح الواو وسكون الهمزة والدال المهملة
الصوت الشديد وهو دفن البنات في حياتهن اما انفة وغيرة من النكاح او خوفا من الفقر
والمدفونة حالة الدفن تصيح غالبا وما في الشرح الجديد من انها سميت بذلك لما يطرح عليها
من التراب فيؤودها اي يثقلها ومنه ولا يؤوده حفظهما غلط فاحش لاختلاف مادتيهما فان
مادة الاول وأد والثاني أود ذا اختلاف تصريفهما كما بينه اهل اللغة وأد عادة العرب لا
حاجة اليه وكان هذا في الجاهلية واول من فعله قيس بن عاصم التميمي فتبعه العرب على
ذلك وكان يقتل اولاده مطلقا وكان صعصعة بن ناجية جد الفرزدق منع الوأد في الجاهلية
كما قال • وجدي الذي منع الوائدات • واحيى الوئيد فلم يوأد •
وخص البنات لانه الغالب وكانوا على فريقين فمنهم من يحفر حفيرة تلد المراة عندها فان
وضعت ذكرا ابقته وان وضعت انثى القتها في الحفيرة وردم عليها التراب فان لم تفعل ذلك
وصارت سداسية ذهب بها للبئر ورماها فيها بعد ما طيبتها امها وزينتها وفي الجاهلية
من نهى عن ذلك كزيد بن عمرو فلما جاء الشرع ابطل ذلك وقد جعلوا العزل وأدا خفيا
وهي المؤودة الصغرى ووجهه ظاهر وهو حرام او مكروه وفيه تفصيل ذكره الفقهاء ثم نهيه
صلى الله عليه وسلم عن الثلاثة الاول من هذه الامور الستة نهي كراهة وعن البقية نهي
تحريم لكنه ليس بصيغة النهي بل بمقتضى الحديث الاخر الصحيح وهو ان الله حرم عليكم عقوق
الامهات الخ ويبقى كلام زايد على مقتضى المقام • **وقوله اتق الله حيث كنت** وفي نسخة الله
حيث ما كنت وهذا الحديث رواه الترمذي والحاكم عن ابي ذر ولا فرق بين الروايتين
معنى لان ما زايدة والتقوى حفظ النفس عن ارتكاب المعاصي ولها مراتب فصلها القاضي
في سورة البقرة وحيث ظرف مكان يضاف للجمل والمراد بها هنا التعميم اي في مكان واي حال
وقيل انها هنا ظرف زمان بناء على مجيئها للزمان لان التقوى في جميع الازمنة اعم منها في
جميع الامكنة وقيل ان الرواية حيث ما كنت • وقال غيره انه روي بحذفها ايضا والامر
لراويه او لكل من يقف عليه ليعم كل مامور وباعتباره افرد الضمير كما في قوله تع ولو ترى
اذ وقفوا على النار ولنا فيه كلام ليس هذا محله **واتبع السيئة الحسنة تمحها** هذا وما
قبله وما بعده حديث واحد رواه الترمذي وقال انه حديث حسن صحيح والمراد باتباعها
اياها فعلها بعدها وجعلها تابعة لها اي واقعة بعدها بقرب منها وفي معنى الحديث
قوله تع ان الحسنات يذهبن السيئات ونحوها واذهابها بمعنى تكفيرها وعدم مؤاخذة الله بها
فكانها لم تكن والمراد بالسيئة الصغيرة لقوله في الحديث الصلاة الى الصلاة كفارة لما
عدا الكباير وقالت المرجئة انه شامل للكباير والصغاير وقال بعض المعتزلة المراد
ان الحسنة تكون سببا لترك الذنب ولا تكفر شيئا اصلا ويحتمل ان المراد بالمحو حقيقته والمعنى
انها تمحى من كتاب اعماله وتمحها مجزوم في جواب الامر وهذا مقيد بغير حقوق العباد كالغيبة
فانه لا يمحوها الا الاستحلال بعد بيان جهة الظلامة ان امكن والا فقالوا ينبغي ان يكثر
من الاستغفار والدعاء له ويكثر من فعل الحسنات لحديث اذا اغتاب احدكم اخاه من خلفه
فليستغفر له فان ذلك كفارة ولهذا زيادة بيان وتفصيل في كتاب المكفرات للسيد السمهودي
وقوله **وخالق الناس بخلق حسن** خالق امر من خالقه يخالقه بمعنى عاشرهم وخالطهم

شبكة الألوكة www.alukah.net

وعاملهم بما يحب أن يعاملوك به فليس المقصود المفاعلة بل هو لأصل الفعل أو هو على أصله
بجعل المطلوب منهم بمنزلة الواقع والخلق بضمتين وضم فسكون السجية والطبيعة التي
طبعوا عليها وفيه إشارة إلى أنه يمكن اكتسابه وإلا لم يكن للأمر به فائدة كما ورد يا معاذ حسن
خلقك مع الناس أي عاملهم بطلاقة وجبر الخواطر وكف الأذى فإن ذلك يؤدي لاجتماع القلوب
وانتظام الأحوال وهو جماع الخير وملاك الأمر كما قلت

إن رمت أن تحظى بعز وهنا • فاجتنب الناس وكن عنهم غني
وإن تخالطهم فكن ذا عفة • وخالق الناس بخلق حسن

وخير الأمور أوساطها لما كانت الملكات المحمودة لها طرفا إفراط وتفريط من مذمومات
والمحمود منها ما بينهما وهو الوسط كالكرم بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن
جعل الوسط منها مطلوبا على ما بين في علم الأخلاق وبه ورد التصريح في الحديث الذي
رواه العسكري عن الأوزاعي بسنده وهو ما من أمر أمر الله به إلا عارض الشيطان فيه بخصلتين
إنهما أفعل أصاب الغلو والتقصير • وروى أبو يعلى بسند عن وهب بن منبه أن لكل شيء طرفين
ووسطا فإذا أمسك بأحد الطرفين مال الآخر وإذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان
فعليكم بالأوساط من الأشياء ويشهد له قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أي بين غلو النصارى
وتفريط اليهود • قال الشاعر

عليك بأوساط الأمور فإنها • نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

وقول الحريري • حب التناهي غلط • خير الأمور الوسط

وقال • خير الأمور عندنا الأوساط • ويكره التفريط والإفراط

وليس الوسط بمعنى الخير والحسن مطلقا بل في أمور مخصوصة اقتضى توسطها خيريتها
ألا ترى إلى قولهم أحوال الدون الوسط وقولهم النقل من معتق وسط لا مطرب ولا مضحك كما في الروض
الأنف وهذا الحديث أخرجه السمعاني في ذيل تاريخ بغداد عن علي عنه صلى الله عليه وسلم
وابن جرير في تفسيره عن مطرف بن عبد الله ويزيد بن مرة الجعفي وكذا أخرجه البيهقي بلا سند
وذكره الديلمي بلا سند عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه دوموا على أداء الفرائض
فخير الأعمال أوسطها ويناسبه قوله وقوله أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك
يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما • والهون بفتح الهاء وسكون
الواو والنون مصدر كالقول من هان عليه الشيء إذا خف وسهل ومنه الهون في المشي وهو الرفق
واللين فأرشد صلى الله عليه وسلم المتحابين إلى الاقتصاد في المحبة وعدم المبالغة فيها وكذا
المتباغضين اللذين بينهما عداوة لا ينبغي لهما المبالغة في العداوة وإظهارها فليكن ذلك على
قدر متوسط فإن خير الأمور الوسط فقد ينتقل الحب إلى البغض والبغض إلى الحب فيقبح تفاوت
حالك وتغير أقوالك وأفعالك فالهون هنا بمعنى التوسط وعدم الإفراط وقد فسره به أهل
اللغة قال في النهاية أي لا تسرف في الحب والبغض فعسى أن يصير الحبيب بغيضا والبغيض
حبيبا فتندم وتستحي وقد حل هذا الحديث تحت ما قبله • قال أرسطاطاليس للإسكندر لا تملأ
قلبك بمحبة شيء ولا تستولين عليك بغضه واجعلهما قصدا فإن القلب كاسمه ينقلب وقال
بعض العرب

وأحبب إذا أحببت حبا مقاربا • فإنك لا تدري متى أنت نازع
وأبغض متى أبغضت غير مباين • فإنك لا تدري متى أنت راجع

وبين علته ابن الرومي بقوله

احذر صديقك مرة • واحذر عدوك ألف مره
فلربما انقلب الصديق • فكان أعرف بالمضره

فإن قلت كيف يدل هذا على التوسط وقد قالوا إن ما تدل على التقليل سواء قلنا إنها زائدة
أو اسمية على ما فصله المفسرون في قوله مثلا ما بعوضة وهي هنا للتقليل لقلب النون ميما وإدغامها
فيها قلت لأن الوسط قليل بالنسبة للأعلى • وقيل إنها مشددة تفيد تقليل التوسط • والحب
إذا كان على وجه التوسط القليل كان قليلا ولكن غير خارج عن مراتب التوسط بل عن مرتبة التوسط
الوسطى ومن الجائز أن يكون له مراتب متفاوتة قربا من الطرفين وبعدا منهما وعدم قرب وبعد
منهما وعند عدم البعد والقرب منهما يكون التوسط الكثير ويعنى به التوسط التام كما يعنى
بالتوسط القليل التوسط الناقص والحق أنه لا تقليل فيه وإنما المراد أي هونا مطلقا كان
للتأكيد كما في الآية والتقليل لو سلم يفيد تكثيرا هونا انتهى • وفيه نظر وهذا الحديث كما قاله
السيوطي أخرجه البخاري في الأدب والترمذي عن أبي هريرة وقال العجلوني الأكثر على أنه موقوف
على علي ورواه الحسن بن أبي جعفر مسندا عن علي رفعه للنبي صلى الله عليه وسلم بإسناد ضعيف •
وقال الترمذي الأصح أنه موقوف على علي • وذكر الترمذي أنه ورد عن محمد بن سيرين عن أبي
هريرة قال وأراه رفعه وهو غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه وممن رفعه القضاعي
في الشهاب ورواه الماوردي مرفوعا في أدب الدين والدنيا وكذا الغزالي في الإحياء ورواه
في مسند الفردوس والظلم ظلمات يوم القيامة الظلم وضع الشيء في غير موضعه وقد يكون
بمعنى النقص قال ولم تظلم منه شيئا أي لم تنقص منه شيئا وأرض مظلومة أي لم تمطر فكأنها
نقصت عن غيرها والمراد به التعدي للحدود وتجاوز الحقوق سواء كانت في حق نفسه أو في
غيره ويعني به يراد به العموم وأفرد وجمع الظلمات إما لأنه جمع معنى لاستغراقه فيكون
كمقابلة الجمع بالجمع أو إشارة إلى أن الظلم الواحد يعقبه ظلمات متعددة لعظا عنه وقال
ابن الجوزي أن من ظلم نفسه أو غيره نشأ ذلك عن قسوة قلب ثم تعقب ذلك تعديه ومبارزة
ربه بمخالفته فلذا تعدد جزاؤه وتلك الظلمة إما حقيقية حسية كما أن المؤمن المطيع له
نور في القيمة قال الله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم الآية ومنهم من حمل الظلمات
على الأهوال والشدائد كما فسر به قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر أي من شدائدهما
قيل ولا حاجة إلى صرفه عن حقيقته مع إمكانها وهذا الحديث صحيح أخرجه البخاري وترجم له
وأسنده إلى ابن عمر ورواه كما رواه المصنف الظلم ظلمات يوم القيمة واتقوا الشح فإن الشح أهلك
من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وبذلك علم أن ما ذكره من حذف إن
روايته فيه فلا يقال إنه أخل بلفظ أو وقع على رواية فيه غير مشهورة وحمل على الظلم الظلمات
وجعلها عينه لأنه سببها مبالغة وقوله أي النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه أي في بعض
دعواته المأثورة وقد جمع أدعيته في كتب مستقلة من وقف عليها رأى فيها من هذا النمط
أمورا عجيبة وهذا الحديث رواه الترمذي عن ابن عباس وقال إنه غريب قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته اللهم إني أسألك رحمة من عندك وفي
روايته عن المصنف رحمة بدون قوله من عندك والأولى هي المذكورة في الترمذي وعند إذا أضيف
إلى الله لها معان منها العلم كقوله وكان عند ربه مرضيا • وتكون بمعنى الحكم نحو وكان عند الله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وبمعنى التفضل والانعام من غير مقابلة عمل نحو قالت هو من عند الله وبهذا فسره البرهان
هنا اي اطلب منك إحسانا بمجرد فضلك لا في مقابلة عمل وقيل بل معناها قرب المنزلة اي
اسالك رحمة تقربني لديك والهداية وغيرها بمحض فضل الله اذ لا يجب عليه شيء فقوله من عند
ليس معناه لا في مقابلة طاعة لاشعاره بان ما في مقابلتها ليس بمحض الفضل فذلك لنسبة
تشريف وتعظيم وتنزيه وتكريم انتهى وليس بوارد لان ما في مقابلة العمل ليس بطريق الوجوب
بل بمقتضى وعده وحكمه السابق وهو تفضيل مخصوص منه ايضا وقيل معنى العندية عموم نعمها
وجل واهابرون وسايط كونه وهو تكلف لا يساعده اللفظ والرحمة بمعنى الانعام او ارادته
كا تحقق في محله **تهدي بها قلبي** اي تدله او توصله الى ما يقربني من حضرة قدسك لانه شاهد
تجليات انسك **وتجمع بها امري** اي تنتظم بها اموري وشاني حتى لا يكون لها تشتت **وتلم بها
شعثي** اي تلم برحمة من عندك وتجمع ما تشتت وتفرق من امري وهو كالتفسير لما قبله قال
الجوهري الشعث انتشار الامر يقال لم الله شعثك اي جمع امرك انتهى واصله انتشار الغبار
في الهوى **وتصلح بها غايبي** بالغين المعجمة والبا الموحدة فسروه بباطني اي ما خفي من اموري
عني وعن غيري وقيل المراد قلبي وصلاحه بصلاح صفاته من الاخلاص والصدق والتوكل ۞
والتوحيد **وترفع بها شاهدي** اي ظاهري من الشهود وهو الحضور والمعاينة وهو مقابل
لقوله غايبي وبينهما صنعة الطباق وقيل اراد بها الدنيا والاخرة ورفعها جعلها غالبة رفيعة
بالاعمال الصالحة والصفات الحسنة وقيل المراد بظاهره جسده ورفعته بسلامته من الافات
وعصمته من البليات وقدر له صلاح قلبه عليه لان بصلاحه صلاح غيره لقوله ان في الجسد مضغة
اذا صلحت صلح الجسد كله **وتزكي بها عملي** اي برحمة وتفضل منك تجعل عملي كله مباركا مقبولا سالما
مما ينقصه كالريا او هو من تزكية الشهود اي يجعله ممدوحا وهما متقاربان **وتلهمني بها رشدي**
الالهام ايقاع الخير في القلب والرشد والرشاد السداد والاستقامة والرشيد في اسماء الله هو
الذي يرشد عباده لمصالحهم ويدبرهم **وترد بها الفتى** بضم الهمزة وكسرها وسكون اللام
وفتح الفا يليها تا تانيث ويا متكلم مصدر بمعنى المفعول اي ما كنت الفه كالاليف ما تحبه
وتميل اجتماعه ورده عوده الى ما كانت عليه والمراد عشيرته واقرباؤه واهل بلدته فرعا
الله ان يولفهم وبضدهم للاسلام كما يقال رد الله عليه ضالته اي جمع بينه وبينها وقيل
المراد حالة التي كان عليها في عالم الذر والارواح من حب الله وتعظيمه وخلوصه من الكدورات
الجسمانية وهو بعيد **وتعصمني بها من كل سوء** اصل معنى العصمة المنع والحماية اي تصونني
وتحفظني مما يسوءني والبا في المواضع كلها سببية وزاد النجاري هنا اللهم اعطني ايمانا ويقينا
ليس بعده كفر ورحمة نال بها شرف كرامتك في الدنيا والاخرة **اللهم اني اسالك الفوز في القضا**
وروي في العطا الفوز النجاة والظفر في القضاء والقدر بالفتح والسكون بمعنى في اللغة
ومنهم من يفرق بينهما فيجعل القدر تقدير الله الامور قبل ان تقع والقضا انفاذ ذلك القدر
وخروجه من العدم الى حد الفعل وهو الصحيح لانه قد جا في الحديث انه صلى الله عليه وسلم مر
بكهف مايل للسقوط فاسرع المشي حتى جاوزه فقيل له اتفر من قضاء الله فقال افر من قضاء
الله الى قدره ففرق بين القضا والقدر وبين ان الانسان يجب عليه ان يتوقى قال البطليوسي
فالمعنى انه سال الله النجاة من كل سوء قضاه عليه او على غيره او عليه متعلقا على امر وفقده له **ونزل
الشهدا** النزل بضم النون والزاي وتسكن وهو مصدر جعل اسما لما يعد للضيف اذا نزل

من العز والكرامة اراد ما لارواحهم في البرزخ ولهم في الجنان من الاكرام والرزق
والثواب وقد فاز بذلك لما منحه الله من الشهادة مع ما لا عين رات ولا اذن سمعت **وعيش
السعدا** اما ان يريد بالعيش الحياة الدنيوية بان يكون سعيدا في الدنيا معززا مكرما موفقا
لما يرضاه فانه اجل شيء يتمناه او في الاخرة بان يحييه حياة مخلدة متنعما فيها بما يليق بجنابه
لقوله واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها الاية والاحسن ان يريد مجموعهما والعيش اصل
معناه الحياة والسعدا جمع سعيد ضد الشقي وبعده في الدعا موافقة الانبيا **والنصر على
الاعدا** اي الانتصار عليهم وغلبتهم والاعدا جمع عدو وضده الصديق وتمامه اللهم انزلت بك
حاجتي يا قاضي الامور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور ان تجيرني من عذاب السعير ومن
دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم وما قصر عنه رايي وضعف عنه عملي ولم تبلغه
نيتي وامنيتي من خير وعدته احدا من عبادك او خير انت معطيه احدا من خلقك فاني ارغب
اليك فيه واسالك يا رب العالمين ۞ اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين حربا
لاعدايك وسلما لاوليايك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم
هذا الدعا وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم ذو الحبل
الشديد والامر الرشيد اسالك الفوز يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود ۞
الركع السجود والموفين بالعهود فانك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد سبحان من تعطف بالعز
وقال به ۞ سبحان الذي لبس المجد وتكرم به ۞ سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له ۞ سبحان
ذي الفضل والنعم ۞ سبحان ذي القدرة والكرم ۞ سبحان الذي احصى كل شيء بعلمه ۞ اللهم اجعل
لي نورا في قلبي ونورا في قبري ۞ ونورا في سمعي ونورا في بصري ۞ ونورا في شعري ۞ ونورا
في بشري ۞ ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ۞ ونورا بين يدي ونورا من خلفي
ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ۞ ونورا من فوقي ونورا من تحتي ۞ اللهم اعط لي نورا واجعل
لي نورا ۞ اعطني باللام لمشاكلة اجعل لي فلا وجه لما قيل صوابه اعطني لانه لا يتعدى باللام
ان صحت الرواية وما وقع في هذا الدعا من السجع لا ينافي ما قيل من انه كان يكرهه لان ما كان
عن تصنع وتكلف ملتزما فاما ما جا من غير تكلف فلا باس به وقد روي عن ابن عباس انه كان
يكره السجع اذا كان عن تعمد لانه من التكلف وهو براءة منه كتكلمه بالنظم المتزن عنه اما صدور
منه احيانا والتزمه كما هنا فغير مكروه كما ورد في القران ولذا قيل انه لا يصح اطلاق السجع
عليه ۞ ثم اشار الى ما ذكره قطرة من بحر فان شيت الوقوف على غيره فاطلب ما ذكر **الى ما رويته
الكافة** عن الكافة اي مما رواه كثير من الناس لا يحصون فكافة وان كان بمعنى جميعا لانه اسم
فاعل او مصدر كالعافية والعاقبة في قول من كف اذا جمع اطرافه او من كف بمعنى منع لانه كان
يمنع من الزيادة عليه اريد الكثرة كما روت كل ذلك كثيرا اذا لم يروه جميع الناس ولا جميع المحدثين
لكنه لما شاع وذاع فكانه كذلك ثم ان سيبويه ان كافة تلزم التنكير والنصب على الحالية هم
كعامة وقاطبة وطرا ونحوه وزاد غيره انها لا تثنى ولا تجمع ولا تطلق على غير العقلا ولم يرد
ذلك في كلام الله ولا كلام العرب وهو من استعملها على خلاف ذلك كابن نباتة في خطبه
وصاحب الكشاف في كشافه وفي قوله خطبة المفصل محيط بكافة الابواب لاخراجه عن النصب
والتنكير واستعمالها فيما لا يعقل واما قول الجوهري الكافة الجميع من الناس فلا وهم فيه لانه
النكرة اذا اريد لفظها يجوز ان تعرف فلا وهم فيه كما توهم صاحب الدرة وتبعه بعض الشراح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فانه ليس مما نحن فيه ❊ **أقول** هذا وان اتفقوا عليه لا وجه له دراية ورواية اما الاول
فلان العرب اذا استعملت لفظا في معنى وضعت له على وجه مخصوص من الاعراب لم يلزم غيرهم
اتباعهم فيه ولو قلنا بذلك لادى الى تضييق على الناس في استعمال الالفاظ العربية وعد هذا
ونحوه لحنا كما قاله الحريري لا وجه له واما الثاني فلانه روي عن عمر رضي الله عنه استعماله
في كتابه للنبي كالكلام المروي عنه رواية ثابتة وعن علي في ذلك ايضا حيث كتبه بعينه بين
جمع من الصحابة وناهيك بهم فصاحة فان اردت تفصيله فانظره في شرحنا لدرة الغواص
من مقاماته ومحاضراته بيان لما في ماثوره والمقامات بفتح الميم جمع مقامة مفتوحها
وهي اسم لمكان القيام ثم توسعوا فيها فاستعملوها لمطلق المكان كقوله ❊
❊ وكالمسك ترب مقاماتهم ❊ وترب قبورهم اطيب ❊
ثم كثر فيه فاستعملوه لمن قام فيه كما سموه مجلسا في قوله ❊
❊ واستبّ بعدك يا كليب المجلس ❊ وزادوا في التوسع حتى سموا به الكلام
الصادر فيه مقامة كمقامات البديع والحريري ومثله من التجوز كثير ومنه يعلم ان المجاز على
المجاز لا يقتصر على مرتبة واحدة كما يوهمه كلامهم فالمراد به الكلام الصادر منه في مجالسه
وخطاباته في حال حكمه وحروبه ولا يختص بالخطب لكونه يخطب فانما لذكره غيره وان المقام
مقام خطابة يغتفر فيه الاسهاب ولما اريد به هنا الكلام وقع بيانا لما مر رويته والمحاضرات
جمع محاضرة لا محضرة كما توهم بضم الميم وحاء مهملة وضاد معجمة وراء مهملة اصل معناها
كما قاله الجوهري من حاضرته اذا جاثيته اي جالسته عند السلطان وهو كالمغالبة والمكاثرة
وحاضرته حضارا عدوت معه انتهى يعني انه مفاعلة من الحضور عنده او من الحضر بالضم فمعناها
مجاراة الجليس جليسه في الكلام بان يتكلم بما عندك فيما يخطر على بالك ويتكلم هو في ذلك
معك فالمراد مصاحبة النبي مع اصحابه احيانا ومصاحبتهم له كالتحدث بامور سلفت
ونحوها مباسطة وملاطفة ومنه كتب المحاضرات الادبية كمحاضرات الراغب **وخطبه** جمع
خطبة بضم فسكون من خطب الخاطب خطابة بالفتح وخطبة بالضم اذا تكلم في امر مهم
بكلام سواء كان قائما على منبر والكلام مسجع ام لا وهي معروفة **وادعيته** جمع دعاء كوعاء واوعية
وهي سؤال الله والتوجه اليه فيما يهمه **ومخاطباته** اي توجيه الخطاب لغيره حسبما اتفق
وعهوده اي كلامه اذا اخذ العهد والميثاق على غيره من المسلمين كما في كتبه للملوك وغيرهم
وقيل المراد وصاياه **مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره** انه بتقدير في انه
لاطراد حذف الجار قبل ان وان كما ذكره النحاة والضمير للنبي اولا وذلك اشارة الى البلاغة
والفصاحة لسبقهما او للعلم بهما من سياق كلامه ونزل منزلة ومرتبة اي محلا عاليا ووصل
الى محل لا يصل اليه غيره والمنزلة تستعمل في الشرف فالتاء للنقل وفي بعض النسخ مرقبة بالقاف
اي محلا عاليا من شانه ان يرقب فيه ويطلع على احوال غيره وقوله لا يقاس الخ اي لا يساويه
غيره وضمير بها للمرتبة وضمير غيره للنبي او للكلام والقياس يتعدى بالباء وعلى يقال قاسه
بغيره وعليه كما في القاموس والاساس وفي حواشي العضد للابهري القياس تقدير شيء باخر
وعدي بعلى لتضمنه معنى البناء وهو مخالف لما في القاموس مع ان تعدي البناء بعلى فيه كلام
في حواشي تهذيب المنطق واما تعديته بالى في قول المتنبي ❊
❊ بمن اضرب الامثال ام من اقيسه ❊ اليك واهل الدهر دونك والدهر ❊

فلتضمينه

فلتضمينه معنى الضم والجمع كما قاله الواحدي **وحاز فيها سبقا** حاز بالحاء المهملة والزاي
المعجمة بمعنى حوى واشتمل وضمير فيها للمرتبة والسبق بفتح السين وسكون الباء الموحدة مصدر
سبق واما السبق بفتحهما فما يجعل من المال للمراهنة في المسابقة اي ما يوعد باعطائه
لمن سبق غيره وهو اولى هنا فكانه لتحقق سبقه احد وفاز بما يعد للسابقين واما السبق في
قول صدر الشريعة حفظته سبقا سبقا فالورد المعين لحفظ الاطفال وهو مولد ماخوذ من هذا
لا يقدر بضم المثناة التحتية وفتح الدال المهملة المخففة مبني للمجهول **قدره** بسكون الدال
اي مقداره اي سبق كثير لا يلحقه فيه احد ولا يعرف حقيقته كما في قوله وما قدروا الله حق
قدره **وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها** ضبطه الدلجي والشارح الجديد بالبناء للمفعول
وسكون تاء التانيث والجار والمجرور نائب الفاعل ومن للتبعيض اي جمع الرواة بعض كلمات
لم يسبق اليها ولم يتكلم بها غيره او من زائدة وكلماته نائب الفاعل الا ان فيه زيادة من في الاثبات
ومدخولها معرفة او نائب الفاعل ضمير للكلمات المعلومة من السياق وهذا كله تكلف حملهم عليه
انه روي كذا والفعل المجهول لا يؤنث اذا كان نائب فاعله جارا ومجرورا يؤنث فلا يقال اخذت
من هند وعدوه خطا لكن ابن جني قال في اعراب الحماسة انه سمع نادرا وبه قرئ في الشواذ
في قوله ان يعف عن طائفة منكم فمن خطا صاحب التلخيص في قوله صوحت منها لم يصب
وسياتي وجه آخر اظهر من هذا وهو ان نائب الفاعل ما الموصولة في قوله ما يدرك ولو قرئ
بالبناء للفاعل وحذف المفعول جاز **ولا قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها** فقدر بالتخفيف
من القدرة ويفرغ بضم المثناة التحتية وسكون الفاء وكسر الراء المهملة والغين المعجمة وهو
صب المائعات في ظرف وقالب بفتح اللام اسم آلة كالخاتم على خلاف القياس وقد تكسر
لامه وقيل انه معرب كالب وقيل انه غير صحيح والقالب ما ينصب فيه ما يذاب من الجواهر
كالفضة لتصاغ ففيه استعارة مكنية تخييلية لجعله الكلام بمنزلة الجواهر واسلوبه
بمنزلة هيئة صياغته واثبات له القالب تخييل وعليها بتقدير على هيئتها بان يحاكي وفيه
من البلاغة والمبالغة ما لا يخفى وقيل المراد بالقوالب الالفاظ لانها قوالب المعاني
قال الجاحظ استعمل النبي صلى الله عليه وسلم المتوسط وهجر الغريب ورغب عن الهجر
فلم يات الا بكلام حف وشد بالتاييد جمع الرقة والجزالة فدخل الاذن بغير اذن ليحفظ
وينقل عنه **كقوله حمي الوطيس** هذا في حديث مروي عن العباس ورواه مسلم والبيهقي
عن جابر بن عبد الله وانه قاله يوم حنين وقيل انه اول ما قاله يا اوطاس ففي التعبير به مناسبة
لفظية مضمنة لبلاغته والمراد اي اشتدت الحرب والوطيس بفتح الواو وكسر الطاء المهملة
بعدها مثناة تحتية وسين مهملة وهو التنور او شيء يشبهه ومن فسره بضراب الحرب اراد المعنى
المجازي وقيل هو الوطء الشديد الذي يطس الارض اي يدقها وقيل هو حجارة مدورة اذا حميت
لم يقدر احد ان يطاها قيل ولم يسمع هذا الكلام من احد قبل النبي صلى الله عليه وسلم وهو من
بليغ الكلام وفيه استعارة مصرحة مرشحة بقوله حمي اي اتقد وقد حماه اذا سخنه
وهي عامية وهو من حديث طويل في مسلم وما هو بعضه فانهم قالوا ان كان الوطيس بمعنى
الحجارة ففيه مناسبة **ومات حتف انفه** اي من غير ضرب ولا قتل ولا حرق وغرق
ونحوه على فراشه كانه سقط على انفه فمات والحتف الهلاك وقيل كانت العرب تتوهم
ان روح المريض تخرج من انفه وروح المجروح من جراحته فكلمهم النبي صلى الله عليه وسلم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

علی قدر عقولهم وهذا بعض حدیث صحیح رواه بن عتیك قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم في الذي یخرج مجاهدا في سبیل الله ان لسعته دابة او اصابه شيء فهو شهید ومن مات حتف انفه فقد وقع اجره علی الله ومن قتل فقد استوجب المآب قال بن عتیك فوالله ما سمعت قوله حتف انفه من احد من العرب قبل رسول الله صلی الله علیه وسلم وعلی هذا بنی المصنف كلامه وعدها من كلامه الذي ابتدعه وهو المشهور وذهب بعض اهل اللغة الی ان هذه الكلمة تكلمت بها العرب قبل رسول الله وصححه في المصابیح واستدلوا بقول السموال

وما مات منا سید حتف انفه • ولا طل منا حیث كان قتیل

واجیب بان هذه القصیدة اختلف في قایلها فقیل هو السموال وهو شاعر وقیل عبد الملك الحارثي وهو اسلامي وقیل ان الروایة لیست هكذا • وانما هي وما مات منا سید في فراشه فعلی هذا لا یرد علی من عدها من مبدعاته لان الشاعر الجاهلي لم یقلها والاسلامي اخذها من كلامه كقول عبید بن عمر التابعي ما مات من السمك حتف انفه فلا تاكله اي ما طفا علی الماء من غیر سبب ظاهر لموته او انه لم یسبقه احد من اهل زمانه ولم یسمعه من غیره فتامله

ولا یلدغ المؤمن من جحر مرتین هذا حدیث رواه ابو هریرة وفي لفظه اختلاف لا یضر ففي بعضها من جحر واحد وفي بعضها تقدیم المؤمن وهو من الامثال النبویة وفي كتاب ابن مسكویه المسمی جاویدان خرد الذي جمع حكم الیونان ان من امثالهم لا یری العاقل بجحر مرتین فانظر الفرق بین كلام النبوة وغیرها فان العاقل اذا ادخل یده في جحر فلدغ هل یدخلها مرة اخری وقد قیل من لسعته الحیة من الحبل یخاف یعني المؤمن الفطن لا یخدع مرة بعد مرة ولا یؤتی من جهة الغفلة فیقع في مكروه وهو لا یعلم فینبغي ان یكون متیقظا في امر دنیاه وآخرته ویلدغ بالیا المضمومة المثناة التحتیة واللام الساكنة والدال المعجمة والعین المعجمة واما بالمهملة فهو احراق النار والجحر بضم الجیم وحاء ساكنة وراء مهملة حفرة في الارض یكون فیها الحیات والحشرات وهذا قاله النبي صلی الله علیه وسلم لابي عزة الشاعر وكان یحرض الناس بشعره علی النبي صلی الله علیه وسلم فاسر مرة فقال اني محتاج ذو بنات فمن علیه النبي واطلقه بغیر فداء واخذ علیه ان لا یظاهر علیه احدا فقال یمدحه

من مبلغ عني الرسول محمدا • فانك حق والملیك حمید
وانت امرؤ تدعو الی الدین والهدی • علیك من الله العظیم شهید
وانت امرؤ بوئت فینا مباءة • لها درجات سهلة وصعود
فانك من حاربته لمحارب • شقي ومن سالمته لسعید

ثم نقض عهده وانی مع الكفار لحربه فاخذ باحد فقال اني من علیه علی مثل الشرط الاول وقال غلبت فاقلني فلم یفعل وقال لا ادعك تمسح عارضیك بمكة تقول خدعت محمدا مرتین وان المؤمن لا یلدغ من جحر مرتین وامر بضرب عنقه فقتل صبرا ومرتین اریدبه التكرار كقوله تعالی فارجع البصر كرتین لكنه اقتصر علی الاول لانه انسب بالحزم فكان مجازا شقیا كما قال في شعره والفال موكل بالمنطق ولما فیه من المثل المحكم جرد من نفسه مؤمنا یقظا متقیا لا ینخدع لغادر یتجدد مرة فانتقم ولم یعف فان غضبه لله تابی الحكم كما قیل

ولا خیر في حلم اذا لم تكن له • بوادر تحمي صفوه ان تكدرا

• • • وان كان یغضي عن امور كثیرة ویتغافل عنها في مقام آخر كما قال ابو فراس

لیس الغبي بسید في قومه • لكن سید قومه المتغابي

قال الثعالبي وما وقع في شعر ابي عروة من مدح النبي والتصریح برسالته لیس له مخرج الا ان یكون قصد به خداعه ولئلا یعد اسلاما وفیه معجزة له لعلمه انه لم یكن عن صمیم قلب وانه سیغدر ویهلك • وفي الحدیث اشارة الی ان اللدغ مستعار للخداع والسعید من وعظ بغیره المراد بالسعید المبارك المرضي عند الله والناس والوعظ ذكر ما یلین القلب من ثواب وعقاب اي من نصحته الحوادث النازلة بغیره وذكرته عواقب الامور من خیر وشر فاتعظ بها فتنبها فهو سعید ومن وعظ به غیره فهو شقي وابلغ من هذا وان كان معنی آخر ما ورد في الحدیث اذا اراد الله بعبد خیرا جعل له واعظا من نفسه كما رواه الماوردي في اعلام النبوة وفي معناه قول الشاعر

لا تنتهي الانفس عن غیها • ما لم یكن منها لها زاجر

وفي معناه قلت

الزهد في الدنیا وترك الهوی • عن كل امر ضایر حافظ
ومن یرد خیرا به ربه • كان له من نفسه واعظ

وما ذكره المصنف بعض حدیث طویل رواه مسلم عن ابن مسعود فیه الشقي من شقي في بطن امه والسعید من اتعظ بغیره والسعید سعید في بطن امه واخرجه العسكري مرفوعا الی النبي صلی الله علیه وسلم فلیس من كلام بن مسعود كما توهم وانما تمثل به كما قاله الحافظ ابن حجر وشیخه العراقي في اخواتها جمع اخت اي في الكلمات المشابهة لها بعجب البلاغة یقال هذا اخو هذا لمشابهته مواخاته لعلیة المشابهة بین الاخوات فهو استعارة او مجاز مرسل وفي بمعنی مع كقوله ادخلوا في امم او هي علی اصلها كان اخواتها لكثرتها محیطة بها احاطة الظرف بالمظروف ففیه استعارة وهي في الحقیقة اكثر من ان تحصی كقوله انما الاعمال بالنیات والمجالس بالامانات والحرب خدعة وایاكم وخضراء الدمن وغیره مما لا یحصی وقد افرد بالتالیف وذكر الشارح الجدید منها جانبا فیه وفي شرحه وهو بمعزل عن شرح الكتاب فلذا اضربنا عنه صفحا ما یدرك الناظر العجب في مضمنها قیل ما نایب فاعل جمعت المبني للمجهول كما تقدم ضبطه وانث رعایة لمعناه لانه بمعنی الكلمات المجموعة وجملة یدرك بمعنی یلحق والعجب فاعله او الناظر فاعل والعجب مفعول ویدرك من الادراك بمعنی التصور ومضمنها بضم وفتح الضاد المعجمة والنون اسم مفعول اي ما تضمنته من المعاني البدیعة والتراكیب الفصیحة اي یتعجب في ذلك كل من رآها وتذهب في اداني حكمها به الفكر اي تذهب بالناظر فكره في اقلها واقل ما تضمنته من الحكم فالضمیر في به للناظر واداني جمع ادنی بمعنی اقل عددا او كلما فاما لك بالاكثر ومعمول تذهب محذوف لقصد العموم اي في كل مذهب بمعنی الذهاب به اي یتحیر فیها فهو علی حد قوله الم تر انهم في كل واد یهیمون ففیه استعارة تمثیلیة او كنایة وقد قال له اصحابه ما راینا الذي هو افصح منك هذا الحدیث رواه البیهقي في شعب الایمان مسندا وذكره القالي في امالیه وشرحه وهو انه كان یوما جالسا مع اصحابه فنشات سحابة فقال كیف ترون قواعدها الحدیث وستراه قریبا ومثله ما رواه ابو نعیم في الدلایل لما خطب عنده بعض خطباء الوفود فاجابه بكلام عذب فصیح فقال له علي یا رسول الله نحن وانت بنو اب واحد ونشانا في بلد واحد وانك تكلم العرب بلسان ما نفهم اكثره فقال ان الله عز وجل ادبني فاحسن تادیبي ونشات في بني سعد بن بكر والحاصل ان الصحابة اكثر من فصحاء العرب وخلصها وكانوا لا یفهمون

شبكة الألوكة
www.alukah.net

احيانا كلامهم حتى يفسره لهم وقد ورد ايضا ان لغة اسماعيل كانت اندرست فعلمها
جبريل كما علم آدم الاسماء **قال وما يمنعني وانما انزل القرآن بلسان عربي مبين** اي ما يمنعني
من ان اكون افصح الناس او من ان لا اتكلم افصح مني والكتاب الذي انزل علي بافصح اللغات وفي
اعلى طبقات البلاغة هذا من تتمة الحديث السابق في وصف السحابة وهو حديث صحيح رواه
الخطابي مسندا عن عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب عن موسى بن محمد بن ابراهيم التيمي عن ابيه عن
جده قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالس مع اصحابه اذ نشأت سحابة فقالوا
يا رسول الله هذه سحابة فقال كيف ترون قواعدها قالوا ما احسنها واشد تمكنها قالوا وكيف
ترون رحاها قالوا ما احسنها واشد استدارتها قال وكيف ترون بواسقها قالوا ما احسنها
واشد استقامتها قال وكيف ترون برقها او ميضا ام خفيا ام يشق شقا قالوا بل يشق شقا
قال وكيف ترون جونها قالوا ما احسنه واشد سواده فقال عليه السلام الحيا فقالوا يا رسول
الله ما رأينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني من ذلك وانما انزل القرآن بلسان عربي مبين
وقواعد السحابة اسافلها واحدها قاعدة واما القواعد من النساء فواحدها قاعد وهي التي
قعدت عن الولد ورحاها وسطها ومعظمها وكذا رحا الحرب وسطها ومعظمها حيث استدار
القوم وقال الجوهري مستدارها وبواسقها ما علا منها وارتفع وكل شيء علا فقد بسق وقال ابن
الاثير ما استطال من فروعها والوميض اللمع الخفي يقال اومض ايماضا واومض بعينه غمز والخفي
بزنة الضرب والاعجام البرق الضعيف كما قاله العالم البجاني النقد بن زوينه وميضا او ذا
خفي لقول الجوهري خفي البرق يخفو خفوا او يخفي خفيا اذا لمع لمعا ضعيفا معترضا في نواحي
الغيم فان لمع قليلا ثم سكن فهو الوميض فان شق الغمام واستطال فهو العقيقة وجونها اسودها
وهو من الاضداد لانه يكون بمعنى الابيض والحيا بالقصر الغيث وجمعه احيا كما قاله العالي
والعناية بوصف السحاب مشهورة بين فصحاء العرب **وقال** صلى الله عليه وسلم **مرة اخرى بيد
اني من قريش ونشأت في بني سعد** قال السيوطي هذا الحديث اورده اصحاب الغريب ولا
يعرف له اسناد وللطبراني من حديث ابي سعيد الخدري ولفظه انا اعرب العرب ولدت في قريش
ونشأت في بني سعد فاني يأتيني اللحن وقال فطلبتها في تخريجه اخرجه ابو عبيد بلا اسانيد
لعله في بيد وتقدم بعضه واخرج الطبراني في الكبير عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب انا اعرب العرب ولدت في قريش
ونشأت في بني سعد فاني يأتيني اللحن وفي سنده معال واما ما اشتهر من انا افصح من نطق
بالضاد بيد اني من قريش فقالوا انه لم يثبت وان ذكر في كتب النحو والاصول وبيد فيها لغتان
اخريان ميد بالميم وبايد كما ورد في الحديث قال في النهاية ولم اقف عليه ولعله باين اي بقوة
فحرف فسر بغير الاستثنائية وبمن اجل التعليلية وبعلى ان كما يقال هو كثير المال على انه بخيل
وتلزم الاضافة لان المشددة وصلتها وهي في الحديث بمعنى غير والاستثناء منها منقطع على احد
قوليه هم   ولا عيب فيه غير ان نزيله • يعاب بنسيان الاحبة والوطن •
واستدل ابو عبيد على مجيئها بمعنى من اجل بقوله هم •
• عمدا فعلت ذاك بيد اني • اخاف ان هلكت ان ترني •
وقولهم لم نر الذي هو افصح منك عنوا • ولا يساويك كما مر تحقيقه وجوابه بقوله بيد الخ
ان فسر بغير فظاهر لافادته لانه افصح من جميع العرب واما تفسيرها بمن اجل فقد استشكل بانه

مفهومه انه من قريش وهم افصح العرب ولا يلزم منه ان يكون افصح العرب بل من افصحهم وهذا
الاشكال اورده بعض الشراح على انه من بنات افكاره وقد سبقه اليه الكوراني في شرح جمع الجوامع
ووجهه ان العلة موجودة في غيره وهو نقض للحكم لوجود علته في غيره واورد عليه ان كثيرا
من الاصوليين كالبيضاوي والهندي ذهبوا الى ان تخلف الحكم ان كان لمانع او فقد شرط لا يقدح
في علية العلة مطلقا سواء كانت منصوصة ام لا والتقدير هنا مع كونه نبيا فالتعليل هنا صحيح
مطرد على ما فصل في العضد وغيره ويسمونه خصوص العلة وهذه حيرة لان الحديث بيد اني
من قريش واسترضعت في بني سعد وفي رواية وانزل علي القرآن بلسان عربي مبين والمجموع
هو العلة ولا يوجد في غيره اي اني من قبيلتين هما افصح العرب وقد نشأت في الحاضرة والبادية
فجمع لي من الرقة والجزالة ما لم يجتمع لغيري والمعنى اني انزل علي القرآن على اسلوب لا يوجد في غيره
جامع لزبد جميع اللغات فاثر في سلامة طبعي وانتقش في صحف ذهني ما لا يتصور لغيري
واما النبوة فلا دخل لها هنا او يقول كونهم افصح من قريش معلوم لان القائلين لهم منهم وهو
بين اظهرهم لا يخفى عليهم حاله واما كونه نشأ في بني سعد واسترضعوه فلان حليمة السعدية
ارضعته بعد ثويبة جارية ابي لهب وحليمة بنت ابي ذؤيب وزوجها الحارث ابوه من الرضاعة
لان الرضاع يؤثر في الطباع ووقع عندها شق صدره وسيأتي بيانه وانه وقع مرارا ثم ان الخطابي
قال اختلف المتكلمون في كلام النبي هل منه ما هو معجز كالقرآن بناء على هذه الاحاديث ام لا فذهب
بعضهم الى اعجازه وان اعجازه دون اعجاز القرآن وذهب الباقون الى انه مثناه في الفصاحة
ولكن لا يبلغ الى رتبة الاعجاز وهذا هو الصحيح واحتج الاولون بما روي عن ابن مسعود انه اثبته
على كون المعوذتين من القرآن وعن بعض الصحابة القنوت من القرآن وهم فصحاء عالمون بمراتب
الاعجاز وان هذا باطل لم يثبت عن ابن مسعود وغيره او متأول بانه لم ينكر كونهما من القرآن ولم يشك
فيه وانما انكر كتابتهما في المصحف لانه لم يبلغه انه امر بكتابتهما وهو محجوج بقراءته وقراءة
الصحابة بهما في الصلاة • فان قلت ما مر من تكلم النبي بالوحشي الغريب يخالف الفصاحة
قلت لا نسلم ان الوحشي من اهله وممن يتكلم معهم فصيح فلا حاجة الى القول بانه غير غريب
لثبوته في كتب اللغة من غير احتياج لتفسير وتفحص والى ما ذكرناه اشار بقوله **فجمع له صلى الله
عليه وسلم بذلك قوة عارضة البادية** جمع مبني للمجهول واصله جمع الله فحذف العلم به
وذلك اشارة لكونه من قريش ونشأ في بني سعد وانما نشأ فيهم على عادة قريش في دفعهم اولادهم
لمرضعات بالبادية ليتفرغ النساء لبناتهن لان هواءها اصح وليكون مع اولاد الاعراب
فيتدرب لترك الترفه ولذا كان عادة ملوك بني امية والعارضة التجلد والقدرة على الكلام
ويقال بغير عوضة للشعر اي قوي عليه واضافة القوة لها بيانية والبادية والبدو والبداوة
خلاف الحاضرة وتبدى اي البادية وتبادى تشبه باهلها وهو خلاف الحاضرة اي الامصار
والمراد بالبادية اهلها او هو بتقدير مضاف وجزالتها بفتح الجيم والزاي المعجمة خلاف الركاكة
اي جزالة كلامها يقال كلام جزل اي قوي شديد ومنه الحطب الجزل الغليظ وليس من الركيك
وهو الضعيف من الالفاظ المحلول التركيب فتنكير السواد به هنا غير مناسب **ونصاعة
الفاظ الحاضرة** النصاعة كالفصاحة مصدر بمعنى الخلوص والمراد خلوصها من التعقيد
والغرابة الوحشية وصاده وعينه مهملتان من نصع الشيء اذا تميز جيده من رديه والحاضرة
خلاف البادية سكان القرى والامصار **ورونق كلامها** الرونق البهاء والحسن فان كلام اهل البادية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قوي متين لعدم تصنعهم وكلام اهل الحاضرة رقيق لطيف فجمع كلامه بين هاتين الصفتين
مضموما لذلك الى التاييد الالهي الذي تمده الوحي ومدده بمعنى مده لا بمعنى زيادته
والتاييد التقوية من الايد وهو القوة وامده باعانته وايد الله عليه كلامه المعجز ولذا صح ان
اهل الجنة يتكلمون بلغة محمد ولغة اهل الجنة فلا صحة لما رواه بعضهم ان لسان اهل الجنة
الفارسية الدرية وهذا في معنى ما روي عن ابن عمر قال ما لك افصحنا ولم تخرج من بين اظهرنا
فقال كانت لغة اسماعيل قد درست فجاءني بها جبريل فحفظتها **الذي لا يحيط بعلمه بشري**
اي انسان منسوب للبشر وهم الناس والضمير للتاييد الالهي **وقالت ام معبد** عاتكة بنت
خالد بن زمعة احدى نساء بني كعب بن عمرو بن خزاعة وزوجها عبد الملك بن وهب وقيل لا يعرف
اسمه توفي في حياة النبي وقيل انه صحابي له رواية وكانت تنزل بين مكة في خيامها فنزل
عليها النبي وابو بكر لما هاجر فقرته فلما جاء زوجها اخبرته بذلك ووصفته في حديث
ذكره اهل السير اورده الحافظ العلائي بالشرح **وفي صفتها له** مصدر مضاف لفاعله
وضمير له للنبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون له خبر مقدم والاول اولى **حلو المنطق** الحلو
في المطعومات مستلذ فاستعير لما يعجب السامع ويستلذ بسماعه ذوقا او كالحسن المسائغ
فصل مصدر بزنة ضرب بفاء وصاد مهملة ولام اي فاصل بين الحق والباطل او بين
ظاهر قاطع للشك لا لبس فيه او تفسير قوله **لا نزر ولا هذر** كما قاله العلائي او ذو
فصل بين اجزائه لقول عائشة ما كان رسول الله يسرد سردكم هذا ولكن كان اذا تكلم بكلام
بينه فيحفظه من يجلس اليه كما في المصابيح ونزر بفتح النون وسكون الزاي قليل لا يفهم
والهذر بالهاء والذال المعجمة المفتوحتين يليه راء مهملة كذا ضبطه العلائي وهو رداءة
نعته وتبعه بعض ارباب الحواشي وضبطه ابن الحنبلي بسكون الذال مصدر هذر يهذر
في كلامه والاسم الهذر بالتحريك وهو كثرة الكلام بحيث يمل وهذا غير مناف لما ورد في
الحديث اوتيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصارا لان المنفي الايجاز المخل لا المقبول منه
كان منطقه اي ما ينطق به **خرزات نظمن** اي متناسبة لها رونق كالعقد المنظوم من الجواهر
والخرز ما ينظم من الجواهر وليس كما تفهمه العامة من تخصيصه بنوع كما في الصحاح من الخرز وهو الثقب
وكان جهير الصوت حسن النغمة العرب تمدح بعلو الصوت وتذم ضآلته ولذا تمدحوا بسعة
الفم وذموا صغره كما قاله الجاحظ في كتاب البيان وقد ورد في وصفه صلى الله عليه وسلم في حديث
ابي هالة انه كان يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ● كما قال الغز السلولي

جهير ومجرى العنان مناقل ● بصير بعورات الكلام خبير
لوان الصخور الصم يسمعن صوته ● لرحن وفي اعراضهن فطور

والجهير والجهوري العالي الصوت فليس فيه خفاء ولا تكسر ككلام النساء ● اقول هذا لا ينافي
ما ورد من ذم التفيهق والتشدق في الكلام فان ذلك اذا افرط وكان تصنعا ثم ان المدح بسعة
الفم لدلالته على الفصاحة وقوة القدرة على الكلام بخلاف غيره والمراد ما لم يفرط بحيث يشوه
الخلقة لا سيما مع غلظ الشفتين ولا عبرة بمدح شعراء العجم ومن تبعهم من المتاخرين لضيق الفم
فانه مقصر فاسد كما قال ابن سنا الملك

كم فم ضيق لم يستطع ● ان يخرج اللفظ بتقويم
ولفظة سكراه من ريقه ● فهو لهذا غير مفهوم

فقال ايضا

وقال ايضا

يعجبني افديه من ● فصيح لفظه معجم
لا يستطيع اللفظ ان ● يخرج من ضيق فمه

وكان صلى الله عليه وسلم اذا قرا بالليل او خطب يسمع صوته واما حسن نغمه فلما ورد في
الحديث عن علي لم يبعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان داود عليه السلام اذا قرا الزبور
لم تبق دابة الا انصتت له الا ان قراءة نبينا لم تكن على طريقة الالحان والموسيقى فانه غير ممدوح
وحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن والكلام فيه مشهور ● غريبة ● ذكرها التلمساني هنا قال قال
سيدي الحسن كان شيخنا ابو زكريا يحدث عن شيخه منصور بن علي التجاني عن ابيه وغيره من شيوخه
ويقول انما كانت المصادمة فيهم بركة لانه وفد منهم رجل وقيل رجلان وقيل بل هم سبعة على النبي صلى
الله عليه وسلم حين بعث فلما دخلوا المسجد الحرام لم يعرفوا النبي ولا يعرفون العربية فقال رجل
منهم بلغته ● من دنور اسران ● واسر بلغتهم النبي او الرسول اي ايكم رسول الله فلم يفهم الحاضرون
قوله فقال النبي ● اشكد اورو ● معنى اشكد تعال واقبل وهلم وهو بهمزة وشين معجمة ساكنة
وكاف مفتوحة ودال مهملة مشددة واو ر معناه هنا او البنا وجعل رسول الله يجيبه بلغته ولا يفهم
القوم فاسلم وبايع وانصرف لقومه وكان النبي اخبرهم بقدومه ولغته قال ابو زكريا كان منصور
يحدث بهذا الحديث في هذا الفصل فسبحان من علمه ذلك انه المنعم الكريم ● قال وقبورهم موجودة الى الآن

فصل واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشائه

الشرف رفعة القدر والكرم يجمع انواع الخير وان خصه العرف بمعنى الجود والمنشا محل نشاته فيهم
وتربي **فمما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه** لظهوره **ولا بيان مشكل ولا خفي منه** المراد انه لا خفاء
فيه ولا اشكال حتى يحتاج الى البيان على حد قوله ● ولا ترى الضب بها ينجحر ●
فانه نخبة بني هاشم النخبة بضم وسكون المعجمة وفتح الباء الموحدة المختار من بينهم المنتقى **وسلالة
قريش وصميمها** السلالة بالضم بمعنى النسل المستخرج منهم والصميم الخالص **واشرف العرب
واعزهم نفرا** اي قوما والنفر رهط الانسان وعشيرته وهو اسم جمع لا واحد له يقع على الرجال
خاصة من الثلاثة الى العشرة وذكر الكرماني انه يقع على الواحد كما فصلناه في شرح الدرة **من قبل
ابيه وامه** كما هو مبين في السير **ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله** لتشريفها وجعلها
قبلة الانبيا ومعقد الحجيج **وعلى عباده** اذ لم تزل الناس تعظمها في الجاهلية والاسلام وقال
التجاني وتبعه بعض الشراح هنا بعد ما ذكر حديث انك لاحب ارض الله الي ولاحب ارض الله الى
الله الذي قاله عند ما خرج منها مهاجرا اجمعوا على ان مكة والمدينة افضل البقاع ● وانما
اختلفوا ايهما افضل فذهبت المالكية لتفضيل المدينة والشافعي وابو حنيفة والاكثر على تفضيل
مكة لما لها من المزية بان الله حرمها وحرم صيدها وقيل بتغليظ فيها وانه لا يباح القتل فيها وغير ذلك
من الحرمة التي ليست لحرم المدينة والصلاة ثوابها زيادة على غيرها وهذا في غير البقعة التي فيها
النبي وسياتي ان المصنف فضل عليها المدينة فجعلها اشرف واكمل فكلامه هنا مناف لمذهبه وكلامه
الآتي وفيه خلاف عند المالكية ايضا كما سياتي فلا حاجة لما قيل من ان كلام التجاني يكفي دليلا
على فضل مكة في مذهب مالك ولهذا اعترضوا عليه وقال الطبري بيت خديجة يلي المسجد
الحرام في الفضيلة ● واجيب بانه غير مناقض لما سياتي لانه لم يقل مكة اكرم واشرف البلاد
بل من اكرم البلاد ومن فيه تبعيضية لا بيانية وكون الشيء بعض الاشرف لا يقتضي انه اشرف

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فان البلاد الثلاث التي تشد لها الرحال شريفة وهذا منها. اقول لو قال اشرف لم يشكل
ايضا لان الكلام في منشائه ومولده وهو زمن ولادته وقبل هجرته كانت اشرف البقاع على الاطلاق
اذ المدينة انما صارت حرما مكرما بعد هجرته تكريما له وكان المعترض لاحظ ان المراد تفضيل النبي
على جميع خلقه بشرف منشائه فيناسب كونه اكرم من جميع ما عداه فتدبر. ووقع في نسخ بعض
الشراح اكرم بدون من فلعل كلامهم مبني على هذه النسخة حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد
الصدفي نسبة الى الصدف وهو اسم قرية من قرى القيروان ووقع للفقهاء اختلاف في جواز
اطلاق قاضي القضاة فقال بعضهم لا يجوز كملك الملوك وشاه شاه اي سلطان السلاطين
فانه هو الله والحق جوازه كما افتى كثير به من ارباب المذاهب الاربع فان القرينة ظاهرة في ان المراد
قضاة عصره ومملكته فانه يطلق على من يكون قاضيا في تخت الملك ويؤذن له في تولية قضاة
الاطراف ولهذا عدلوا عنه وقالوا قاضي العسكر ولكن قوى بعضهم معناه لورود التصريح
في الحديث والصدفي هو ابو بكر وهو امام ثقة ترجمته مشهورة حدثنا القاضي ابو الوليد
سليمان بن خلف هو الامام العلامة الحافظ ابو الوليد الباجي وقد تقدمت ترجمته ايضا
حدثنا ابو ذر عبد بن احمد هو الامام الحافظ ابو ذر الهروي وقد تقدمت ترجمته وعبد اسمه من غير
اضافة حدثنا ابو محمد السرخسي بفتح السين وفتح الراء بلد عظيم بخراسان وهذا هو المعروف
واما قول التلمساني نقلا عن ابن مرزوق انه بكسر السين وفتح الراء وانه يقال بزنة درهم وجعفر
فلا نعرفه وابو اسحاق المستملي واسمه ابراهيم بن احمد بن داود المستملي الامام الثقة وابو الهيثم
محمد بن يوسف هو محمد بن المكي بن ذراع الكشميهني بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وكسر الميم
وسكون المثناة التحتية وفتح الهاء وكسر النون وياء النسبة نسبة لقرية من قرى مرو قرية
خربت وكان تخرج منها جماعة قاله ابن الاثير قال التلمساني ويقال الكشماهني حدثنا محمد بن
يوسف هو الفربري وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا محمد بن اسمعيل هو حافظ الاسلام
البخاري وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا قتيبة بن سعيد تقدمت ترجمته حدثنا يعقوب
بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله القاري منسوب للقارة قبيلة المدني نزيل الاسكندرية وهو
يروي عن زيد بن اسلم وسهيل بن ابي صالح وغيرهما وروى عنه قتيبة ويحيى بن بكير توفي سنة
احدى وثمانين ومائة واخرج له اصحاب السنن ووثقه ابن معين عن عمرو بن عمرو ويقال ابن
ابي عمرو مولى المطلب روى عن انس وعكرمة وطايفة وروى عنه مالك والدراوردي ووثقه
وقال النسائي انه ليس بالقوي وقال احمد ليس به باس وقال ابو زرعة انه ثقة واخرج له
الايمة الستة وتوفي في اول خلافة المنصور وله ترجمة في الميزان عن ابي سعيد المقبري
بتثليث الباء سمي به لسكنه بقرب المقابر كذا وقع في بعض النسخ قال البرهان الحلبي وضرب
المصنف على ابي وهو الصواب فانه سعيد بن ابي سعيد المقبري واسم ابي سعيد كيسان وكنية
سعيد ابو سعيد وفيه نظر وهو يروي عن ابيه وابي هريرة وعايشة وغيرهما وروى عنه
الليث ومالك وخلق ووثقه النسائي وابو زرعة وغيرهما وقال احمد ليس به باس توفي سنة
ثلاث وثلاثين وقيل خمس وعشرين ومائة واخرج اصحاب الكتب الستة له عن ابي هريرة تقدمت
ترجمته والكلام في اسمه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم
هذا حديث صحيح انفرد البخاري باخراجه وعنه روى المصنف وفي القرن اقوال عشرة
فانه مقدار من الزمان ويطلق على معنى القرن فقيل عشرة وعشرون وثلاثون واربعون

وسنون

وستون وثمانون ومائة وعشرون ومطلق الزمان كما قاله البرهان الحلبي قال وابتداء قرنه
عليه الصلاة والسلام من بعثته او من حين نشا الاسلام وقيل القرن كل عصر فيه نبي او كبار
من العلماء فليس زمان الفترة بقرن نقله التلمساني. وقال الحجابي القرن في اللغة كل طبقة
من الناس مقترنين في زمن واحد وربما سمي الوقت قرنا لانه يقرن ناسا بناس واحتج القايلون
بانه مائة سنة بان رسول الله مسح راس غلام وقال عش قرنا فعاش مائة سنة كما ذكره الهروي
والمختار ما قيل ان القرن كل امة هلكت فلم يبق منها احد انتهى وفيه نظر. والظاهر ان المراد بالقرن
في الحديث طايفة وجيل من الناس في عصر واحد وزمان متقارب اشتركوا في امر من الامور
المقصودة وقوله من خير الخ من فيه لابتداء الغاية او بيانية للتبعيض لان المراد قرنه الذي
بعث فيه خير القرون الا انه بعث في بعض القرن بدليل ما روي في الحديث الصحيح خير القرون
قرني والمراد به عصره وعصر صحابته لانهم انقرضوا بعد مائة من انتقاله وكثر اختلاف فيها
قيل وهذا الحديث يدل على ان اصحابه افضل هذه الامة وساير الامم غير الانبيا وان ذلك ثابت
لكل واحد منهم لا لمجموعهم واليه ذهب الجمهور لان فضل الصحبة ونورها لا يعدله شي ولا يساويهم
في الفضل وان تفاوتوا بمزيد الصحبة ونحوه خلافا لابن عبد البر حيث جوز ان يكون بعض الصحابة
من هو افضل من بعضهم الا من قاتل معه وانفق ماله في سبيله فانه لا يعدله غيره بالاتفاق
واستدل بحديث امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير ام آخره وهو حديث صحيح واجاب النووي بان
المراد بآخره من ادرك عيسى عليه السلام وراى في زمانه من الخير والبركة وانتظام كلمة الاسلام
واضمحلال كلمة الكفر وهو متوق وآخره من لم يدركه في صدر الاسلام غير الصحابة وسياتي الكلام
عليه مفصلا قرنا فقرنا هذا كقولهم قرات النحو بابا بابا فهو حال بتاويل مرتبا ولم يذكره
النحاة معطوفا وكانه الحامل لبعض الشراح على جعله معمولا لحال مقدرة والفاء للترتيب
في الوجود او الفضل بعوض الافضل فالاكمل وسنده والصافات صفا فالزاجرات زجرا وهذا
قريب من قول ابن الرومي

وكم من اب قد علا بابن ذوي شرف ° كما علا برسول الله عدنان

حتى كنت من القرن الذي كنت فيهم قيل حتى غاية لبعثته اراد به تقلبه في اصلاب
ابايه من ابراهيم ثم من ثابت بن اسماعيل ثم من النضر بن كنانة ثم من قريش بن النضر ثم من عبد
الله بن عبد المطلب ثم ايد هذا بحديث رواه البيهقي مسندا في دلايله والترمذي وحسنه وهو
مما اشار اليه بقوله وعن العباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق اي
المخلوقات كلها من انس وملك وجن فجعلني من خيرهم اي وجدني وصيرني من خير جنسيهم
وهم الانس ومن خير نوع وهم العرب ومن خير قرن وهو قرنه وقرن اصحابه فلذا ابدل منه قوله
من خير قرونهم بدل البعض من الكل ثم تخير القبايل فجعلني من خير قبيلة من العرب وهم قريش
القبايل الجماعة من اب واحد والقبيل بغير هاء بنو آباء مختلفة او هو اعم وقد يكونان بمعنى والقبيلة
تحتوي على جماعات من آباء منتسبة للاب الاول تسمى بيوتا وبطونا لانهم من بطن واحد ويجمعهم
بيت واحد واصل البيت المسكن الذي يسكنون فيه فاطلق على اهله وصار حقيقة فيهم فلذا قال
ثم تخير القبايل فجعلني من خير قبيلة البيوت بضم الباء ويجوز كسرها فجعلني من خير
بيوتهم يعني به بني هاشم وقيل المراد بالبيت هنا الشرف اي تخير الله جهات الشرف واسبابه
المقتضية له واختار لي اعلاه والاشرف والاول هو الموافق للغة ثم البيت يخص من له شرف

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فانا خيرهم اي جميع من ذكر نفسًا اي ذاتا وروحًا وخيرهم بيتا اي حسبًا وشرفا واصلا وفيما ذكر اشارة الي الطبقات الست من الناس فان العرب تقسم الناس لشعب • وقبيلة • وعمارة • وبطن وفخذ • وفصيلة • كل طبقة تجمع ما بعدها وما قيل من انه لا يلزم من كونه من خيرهم بيتا ان يكون هو خير المباركة اهل البيت له في شرفه • والجواب ان المراد انه خيرهم بالقياس الي غير بيته لا الي غير واحد من اهل بيته ليس بشي لانه لو كان لم يصح تفريعه علي كونه خيرهم نفسا فهذا كقولهم فلان من العلما وهو امدح من قولهم عالم كما قرره اهل المعاني لسوق فضله مساق المعلوم المسلم وبيان عراقته واصالته في ذلك كقوله وكانت من القانتين ولذا ازده في المصنف بما يفسره فقال وعن واثلة بن الاسقع في التذكرة في رجال الكتب العشرة لابي المحاسن العلوي واثلة بمثلثة ولام ابن الاسقع بن كعب بن عامر ابو الاسقع ويقال ابو قرصافة الليثي اسلم قبل تبوك وشهدها وكان من اهل الصفة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابي مرثد الغنوي وعن ابي هريرة وام سلمة وروى عنه بنانه ومكحول وجماعة قالوا مات سنة ثلاث وثمانين وعمره مائة وخمس سنين وقال البرهان خمس وتسعون سنة وخدم النبي ثلاث سنين وذكر نسبه مخالفا لما ذكرناه فقال ابن عبد العزى بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن بكر بن عبد مناف بن كنانة وقيل بن عبد الله وقيل غير ذلك والاسقع بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح القاف وعين مهملة قال قال رسول الله ان الله اصطفي اي اختار وارتضى من ولد ابراهيم اسمعيل فهو افضل اولاده وكان له غير اسمعيل واسحاق ستة اولاد من قنطورا واصطفي من ولد اسمعيل بني كنانة قال السهيلي ولاسمعيل ثبوت ذكر اسماهم ابن اسحاق وهم اثنى عشر منهم نابت بالنون وهو جد كنانة وبينه وبينه ثلاثة عشر ابًا وسمي بكنانة السهام التي تسمى جعبة ولقب به وحكى ابو حاتم عن الاصمعي ان رجلا وقف مع اخيه اسد يسلخان جزورا لهما فقال الرجل ما خلوا الكاسطين فقال له خابية المصارع ومصارع الاقران فقال يا كنانة ويا اسد اطعماني من جزوركما فاطعماه فكنى له الرجل عن كنانة بخابية المصارع يعني السهام لانها تصرع ما اصابته وروي المصادع بالدال نزل المراجم تصدر والنضر من صفات الاسد وجلا بكسر الجيم والمد اي ما اسمهما الذي يكشف اللبس عنهما والكشط بمعنى السلخ والولد صفة مشبهة جرى مجرى الاسما يشمل الواحد وغيره هـ واصطفي من بني كنانة قريشا ولد كنانة لصلبه النضر وله اربعة اولاد ومن ذريته قريش واول قريش في الاصح فهو بن مالك بن النضر وقيل النضر اول قريش واختلف هل قريش اسمه او لقبه واسمه فهر وبه جزم العراقي في الفية السيرة ويطلق قريش على بنيه فيصرف ولا يصرفون باعتبار القبيلة كما يقال تميم وربيعة وكذا النضر فمن لم يكن من ولد النضر ليس بقرشي وقال الشعبي النضر بن كنانة هو قريش وانما سمي قريشا لانه كان يتقرش عن ارباب الحاجات ليقضي حوائجهم والتقريش التفتيش وقيل التقرش التجمع فسموا به لتجمعهم فيكون اسم القبيلة ولذا جاز منع صرفه وقيل هو اسم سمكة عظيمة سمي به القبيلة لانه ياكل السمك ويقهرها فسمي به القبيلة او ابوها لشدتهم وتصغيره للتعظيم قال الشاعر

• وقريش هي التي تسكن البحر • بها سميت قريش قريشا •

واصطفي من قريش بني هاشم واسمه عمرو وهو علم منقول من معان منه العمر بالضم وواحد عمور الاسنان وهو اللحم المطيف بها وهاشم اسم فاعل من هشم بمعنى كسر لانه هشم الثريد في سنة مجدبة قال •

عمرو العلا هشم الثريد لقومه • ورجال مكة مسنتون عجاف •

او كان يهشمه للحاج وهذا الشعر لمطرود بن كعب الخزاعي والقافية مرفوعة وتوارد مع عبد الله بن الزبعري في قوله هـ

• يا ايها الرجل المحول رحله • الا نزلت بآل عبد مناف •
• الخالطين غنيهم بفقيرهم • والقايلين هلم للاضياف •
• عمرو العلا هشم الثريد لقومه • ورجال مكة مسنتين عجاف •

وخلط الرواة في الشعرين فزعموا انه اقوى وليس كذلك واصطفاني من بني هاشم هذا الحديث رواه مسلم والترمذي وما قاله المصنف بلفظه في الترمذي ولفظ مسلم ان الله اصطفي كنانة من ولد اسمعيل واصطفي قريشا من كنانة واصطفي من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وفيه دليل على تفاضل العرب فيما بينهم الا انهم اختلفوا في التفاضل بين قريش على ما فصله الفقها في باب النكاح في احكام الكفاءة وقد تبرع بذكره هنا ولا داعي له قال الترمذي هذا حديث صحيح ونقل المزي عنه انه قال انه حديث صحيح غريب وفي حديث عمر بن عمر رواه الطبراني في الاوسط بسند حسن رواه الطبراني هو الامام الفرد الحافظ بن جرير ابو جعفر احد الاعلام صاحب التصانيف المشهورة من اهل طبرستان كان كثير الطواف والعبادة وسمع بن محمد بن ابي الشوارب والسكوني واسحق بن ابي اسرائيل وغيرهم واخذ القراءات عن جماعة وروى عنه كثير توفي ودفن ببغداد وولد سنة اربع وعشرين ومائتين وترجمته مشهورة انه عليه السلام قال ان الله عز وجل اختار خلقه اي اراد ان يخلق خلقه ويوجدهم فلما اوجدهم تخيرهم فاختار منهم بني ادم وقيل اختار خلقه بمعنى اختار منهم ففيه حذف وايصال وقوله فاختار الخ بيان له وكذا قوله ثم اختار بني ادم فاختار منهم العرب وهم الجيل المعروفون كما تقدم وقيل معناه متفرق بني آدم ثم دام على اصطفائه اياهم وكثيرا ما تضمن الافعال معنى الدوام نحو يا ايها الذين آمنوا آمنوا والا فلا معنى لاصطفائهم واختيارهم مرة بعد اخرى وليس العرب كلهم من ولد اسماعيل كما قاله بعضهم فانه قول غير صحيح لشهرته لا حاجة لذكره ثم اختار العرب اي نظر من خيارهم ليزيدهم لطفا فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني منهم فلم ازل خيارا من خيار اي لم ازل من اصل منتخب واصولي الي ان انا نبي الله خيارا مخلوقا من خيار وشرفا من شريف الا حرف استفتاح وتنبيه على ما علم مما قاله وتحقيق لما بعده من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم الظاهر ان الباء السببية اي من احبهم لمحبة النبي لهم ومحبته فان من احب احدا يحب لاجله قومه واصوله وكذا البغض وهو عدم المحبة ولا يكمل ايمان المرء حتى يكون الله ورسوله احب اليه من نفسه ونقل عن بعض المالكية ان من سبهم وجب قتله وهذا ينبغي ان يقيد بحيثية فانه ملاحظ في كثير من القضايا اي من حيث كون النبي منهم او من حيث انهم عرب لا من بغضهم او ذمهم لامر آخر كقوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا • ويدل عليه حديث احب العرب لثلاث لاني عربي والقران عربي ولسان اهل الجنة في الجنة عربي والمراد الحث على محبتهم وقد صنف العراقي في هذا سماه نيل القرب في محبة العرب وفي هذا رد على الشعوبية وهم قوم يفضلون العجم على العرب ولهم ادلة على مقالتهم بينوها وما عليها واوردوا احاديث نصرة لهم • منها ان الله اذا تكلم بالرضا تكلم بالفارسية واذا تكلم بالغضب تكلم بالعربية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

١٨٧

وفي الشرح الحديث الاحاديث الواردة في فضل اللغة الفارسية كلها موضوعة وفضلهم
في الكرم والشجاعة والحلم والعلم اكثر من ان تحصى وقيل ان ابا عبيدة كان شعوبيا وصنف
كتابا في مثالب العرب وقد قيل انه كذب عليه فان قلت ان تقديم المتعلق اعني يحبني
ويبغضني يقتضي الحصر ومحبتهم لشرف نسبهم وحسبهم وما فيهم من الامور المحمودة لا تتوقف
على محبته صلى الله عليه وسلم قلت اذا كانت الباء للالية لا الدعائية كما في نحو نظرت
بعيني وسمعت باذني فلا اشكال لان المعنى من احبهم او ابغضهم فينبغي له ان محبتهم بمثل حبي
وبمثل بغضي وهو الحب في الله والبغض في الله وان كانت للسببية فالمراد انه بسبب حبي
يحبهم لا للعصبية وامور الجاهلية فتدبر قلت ورواه البيهقي عن محمد بن ذكوان عن عمرو
بن دينار عن ابن عمر قال انا لقعود بفناء النبي صلى الله عليه وسلم اذ مرت امراة فقال
بعض القوم هذه ابنة رسول الله فقال ابو سفيان مثل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط
النتن فانطلقت المراة واخبرت النبي فجاء يعرف في وجهه الغضب فقال ما بال اقوام
يبلغني ما يبلغني ان الله عز وجل خلق الخلق واختار من الخلق بني آدم واختار من بني آدم
العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم واختارني
من بني هاشم فانا خيار من خيار الى خيار فمن احب العرب الخ وعن ابن عباس قال السيوطي
هذا الحديث رواه ابن ابي عمر العدني في مسنده ان قريشا بفتح المشددة والمصدر مستتر اخبره
الجار والمجرور قبله كانت نورا بين يدي الله تعالى هو مستعار مما بين الحضنين المسامتين
لبدن الانسان لانهم من الله بمنزلة توجب اجلالهم ومحبتهم تفخيما لشانهم وحثا على محبتهم وقيل
انه كناية عن غاية القرب من محل رضاه كما يقال فلان بين يدي الملك وان كانت الحقيقة
هنا متعذرة فهو مجاز متفرع على الكناية كما في قوله لا ينظر الله الى فلان كما في شرح المفتاح
قبل ان يخلق آدم بالفي عام هو على حقيقته او المراد طول المدة اي اظهره في عالم الشهادة
ثم بين حكمة اظهاره بقوله يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة اقتداء بتسبيحه
اي بتقديسه وتنزيهه لله والمراد بكون قريش نورا ارواحها او ان الله مثلها بصور امثال
وابرز صورها في الملاء الاعلى تسبحه ليعلم انها بشرية ملكية ولذا قال الله لهم لما قالوا
اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا
تعلمون يعني انهم سبحوا قبل ما سبحتم في الازل فهم لم يعلموا ذلك لانهم ظنوا ان تلك الانوار
ملكية صرفة وكان نور محمد المدرجا ذاك في اصوله من قريش وغيرهم تحملته اصلابه
المسبحة وان لم يشعروا به وان من شيء الا يسبح بحمده فلما خلق الله ذات وجسم آدم القى
ذلك النور في صلبه والصلب والصالب عمود الظهر ويقال بضم الصاد وفتحها
فالوعد فيه كما سياتي تحقيقه ثم فصله بقوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاهبطني الله في صلب آدم اي انزل نوري الذي في صلبه الى الارض وجعلني
في صلب نوح اي نقل نوري من صلب آدم الى صلب نوح وقال وقذف بي في صلب
ابراهيم ولم يقل حملني لما بين نوح وابراهيم من البعد لان القذف الرمي من بعيد واصله
الرمي بالحجارة يقال هم ما بين حاذف وقاذف والحذف رمي الحصا ثم لم يزل الله ينقلني
من الاصلاب الكريمة يعني اصلاب اجدادي والارحام الطاهرة من خبث الزنا وغيره
ووصف الاصلاب بالكريمة والارحام بالطاهرة في غاية الحسن لانها مقر الطمث والدم

والنطف

١٨٨

والنطف والارحام جمع رحم وهو وعاء الولد ويطلق على القرابة حتى اخرجني من بين
ابوي اي ابي وامي على التغليب المشهور واخراجه من بينهما تولده منهما وخلقه من نطفتهما
لم يلتقيا على سفاح قط جملة حالية والسفاح الزنا من سفح الماء ونحوه من [illegible]
اذا اراقه اي لم تلتق نطفة احد من ابويه وآبائه في غير الارحام الطاهرة من الزنا ونكاح
الجاهلية كما مر وقط لتعميم الازمنة الماضية يقال ما رايته قط بفتح القاف وضمها وتشديد
الطاء وبفتح القاف وتخفيف الطاء المضمومة واذا كانت بمعنى حسب فبفتح وسكون ويشهد
بصحة هذا الخبر شعر العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فانه اشتمل على معناه في مدح
النبي صلى الله عليه وسلم وهو الشعر المشهور الذي اوله هـ

من قبلها طبت في الظلال وفي • مستودع حيث يخصف الورق

الابيات وستاتي بتمامها مع الكلام عليها وقد قيل انها لحسان والصحيح الاول واليه ذهب ابن عساكر
في تاريخه الى الثاني في حديث اخرجه عن ابن عباس الا انه ضعيف جدا ه

فصل واما ما تدعوه ضرورة الحياة اليه مما فضلناه

فيما تقدم اول الباب وتدعوه بمعنى تقتضيه وتلزم حتى كانه تطلبه منه فهو استعارة في
الاصل وضرورة الحياة ما لا بد منه فيها مما يضطر الحي اليه فعلى ثلاثة ضروب جمع ضرب
وهو القسم والنوع من الشيء وفي بعض النسخ ضروب وفي بعضها اضرب بجمع القلة وهو
انسب بالثلاثة والاولى لان الجمعين يقام كل منهما مقام الاخر كثيرا كقوله ثلاثة قروء
وفيه تفصيل ليس هذا محله ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب
يختلف الاحوال فيه وافرد لكل منهما فصلا كما سياتي فاما ما التمدح اي حسنه بحيث
يستحق المدح به وليس المراد به التكلف كتحلم والكمال بقلته اتفاقا شرعا وعادة كما
بينه بقوله وعلى كل حال عادة وشريعة والمراد بالعادة ما اعتاده الناس مما يؤدي
اليه العقل اذا خلي ونفسه وطبعه والشريعة ما امر به الشارع ونهى عنه مما تضمنه الوضع
الالهي السائق لذوي العقول باختيارهم الى الامر المحمود كالغذاء والنوم بكسر الغين وفتح
الذال المعجمتين هو كل ماكول ومشروب به قوام البدن مطلقا واما بفتح المعجمة ودال مهملة
فما يوكل في اول النهار والنوم معروف ولم تزل الحكماء اراد بالحكماء اليونان والهند والفرس
ونحوهم ولذا قابلهم بالعرب وهم يمدحون قلة النوم والسهر بالامرية عليه قال في هياكل النور النور صح
الناطقة من جواهر الملكوت وانما يشغلها عن عالمها القوى البدنية ونشاطها وضعف سلطان
القوى البدنية بتقليل الطعام وتكثير السهر فتخلص احيانا الى عالم القدس وتتلقى منه
المغيبات والعرب تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما تتمادح تتفاخر لفظا والمقصود المكثر
لا التفاعل وخص العرب لانهم اكثر الناس مدحا للصنفين بخلاف غيرهم كالروم والعجم فانهم يفتخرون
بكثرة الاطعمة وتنعمهم بها ولهم حرص عليهما وذكر الحكماء منهم ومن غيرهم لاعتنائهم بالرياضة
وقلة التنعم في ماكل ومشرب مع سداد عقولهم وصفاء اذهانهم واعتنائهم بمهمات امورهم
وعباداتهم وهو ظاهر وورد في الحديث ابغضكم الى الله كل اكول نؤوم وقال عيسى للحواريين
اجيعوا بطونكم لعلكم ترون ربكم بقلوبكم وقال البطنة تذهب الفطنة والاحاديث في هذا
اكثر من ان تحصى وقال تعالى الذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام لان كثرة الاكل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والشرب دليل على النهم بفتح النون والهاء وهو الافراط في شهوة الطعام ومنه الحديث منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال والشرب مثلث الشين **والحرص والشره** اي الحرص على الاكل والشره بفتح الشين المعجمة والراء المهملة والهاء زيادة فيه ترقي **وغلبة الشهوة** المراد غلبة شهوته للطعام على تحمله وصبره وعقله فيما فيه صلاحه فليس في ما فيه صلاحه فليس في كلامه تكرار وهذه كلها صفات مذمومة كما ورد في الحديث الحرص والشره داء عضال والحريص اسير شهوته وعبد بطنه والحرص قوام الجسد وهو هادم الجسد والحرص قد يكون محمودا اذا كان في محله قال حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم وانما يمدح قلة الغذاء والنوم اذا لم يفرط حتى يؤدي لضرر بلا ضرورة كما قال

واخش الدسائس من جوع ومن شبع • فرب مخمصة شر من التخم •

ثم ان ترك من ابتلي بذلك اذا عسر عليه ينبغي قطعه بالتدريج كما في منظومة ابن سينا

وكل عادة تضر اهلها • فاقطع بتدريج الزمان اصلها •

مسبب لمضار الدنيا والآخرة خبر بعد خبر لان وهو بكسر الباء المشددة اسم فاعل لم يقل سبب مع انه اخف واظهر لانه امر مباح لا ضرر فيه دنيوي ولا اخروي بل ربما يترتب عليه نفعهما كراحة البدن والقيام بعده للعبادة كمن لو لم ينم اول الليل لم يدرك صلاة الصبح فحيث انه يترتب نفع تارة وضرر اخرى علم انه ليس سببا بل قد يتأتى عنه سبب ضررهما فهو مسبب لا سبب فان النوم يكون منه ترك الصلاة وهو سبب لضرر الآخرة والاكل يكون منه الامتلاء وهو سبب للتبلد والبلل وشرب بعد النوم يورث الامراض وقيل انه بمعنى السبب هنا المفضي الى المسبب بالفتح والفصل المتقدم فمعنى مسبب موجد الاسباب وهذه الشهوة والحرص عليها يؤدي الى جلب المال وكراهة الدعة والراحة هـ

وان انت اعطيت بطنك همه • وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا •

ويقع في بعض النسخ وغلبة الشهوة مسبب برفعهما على انه مبتدأ وخبر وليس بشيء لان غلبة الشهوة ليس سببا للمضار وانما سببه الاكل والشرب كما قاله الانطاكي ثم اشار الى ذلك على طريق اللف والنشر فقال **جامع لادواء** جمع داء **الجسد** اي امراضه واسقامه فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب فهذا راجع لكثرة الاكل والشرب اذ بهما تمتلئ المعدة والعروق بالدم وتزيد الاخلاط فيتولد منه الامراض واجتمع اربعة اطباء • هندي • ورومي • وعراقي • وسوداني عند الرشيد فقال لهم ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء معه فقال الهندي هو الاهليلج الاسود • وقال الرومي حب الرشاد الابيض • وقال العراقي الماء الحار • فقال السوداني وكان اعلمهم الاهليلج يقبض المعدة وهذا داء • وحب الرشاد يضعفها وهذا داء • قالوا فما هو قال ان لا تأكل الطعام حتى تشتهيه وفي الطب النبوي في معناه احاديث كثيرة بخصوصها صوموا تصحوا **وخثارة النفس** بفتح الخاء المعجمة والمثلثة والراء المهملة عند ابن رسلان وبضم الخاء عند البرهان الحلبي والاول هو الظاهر لموافقته للقياس كالكثافة والضلالة قال ابن الاثير هو ثقل النفس وعدم نشاطها والظاهر انه راجع لكثرة النوم فانه يورث لا سيما بالنهار ضعف البدن ووقع في بعض النسخ خسارة بالسين وهو تصحيف وتحريف من الكاتب وهو مجرور ومعطوف على ادواء وكذا قوله **وامتلاء الدماغ** بابخرة رطبة تتصاعد عند النوم ترخي عصب

الدماغ

الدماغ وتضعفه وتذهب صفاء الذهن وتورث البلادة وقلة الحفظ ويصح رجوع هذا وما قبله للجميع لكن يأباه ما بعده من قوله **وقلته دليل على القناعة** بالنصب عطفا على كثرة الاكل ويجوز رفعه على الابتداء لان من اعتاد قلة الاكل قنع باليسير فاستراح واستغنى عن الناس فعز وتخلى للعبادة وكان من رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله **وملك النفس** معطوف على القناعة اي ملك نفسه الامارة فلا تعصيه لانه اذا شبع عصته نفسه وتحركت شهوته كما قال ذو النون ما شبعت الا هممت بمعصية والجوع يقمع الشهوات **وقمع الشهوة** معطوف على القناعة والقمع القهر اي قهر شهوته وغلبتها واضعفها حتى لا تخالفه وما بعده خبر مبتدأ مقدر والظاهر انه مبتدأ خبره **مسبب للصحة** او هو خبر ثان لقلته اي موجد لاسباب الصحة من الامراض والكلام فيه كالاول **وصفاء الخاطر وحدة الذهن** الخاطر يطلق على ما يخطر على القلب من الافكار ويطلق على القلب نفسه وصفاؤه من الكدورة بحسن فهمه والذهن قوة الفهم وحدته سرعته وهذا يكون عند الجوع اقوى واصفى وبه تصل للمعارف الربانية وتلتذ بالمناجاة والاذكار والعبادة وقال الجنيد يجعل احدكم بينه وبين قلبه مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة وهذا كله راجع للاكل وما بعده لما بعده والحدة القوة كقصده **كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة** بضم الفاء والسين المهملة واللام وهي الرذالة وعدم الهمة في امور الدنيا والآخرة هـ

فيا نايم الليل هنيته • فقبل الممات سكنت القبور •

لانه يميت القلب ويورث الكسل ولا يصح اعجامه وان كان بمعنى الحشن لعدم مجيء مصدره على فعولة **والضعف** اي ضعف القوى والادراك **وعدم الذكاء والفطنة** هما متقاربان او الفطنة الفهم والذكاء سرعته فقدم نفي الاخص على نفي الاعم ليفيد المبالغة على قاعدتهم في النفي فيه وعدم الذكاء مرفوع مبتدأ وخبره مسبب كما في الاصول والاظهر جره عطفا على ما قبله فمسبب خبر بعد خبر كما مر **مسبب للكسل ومعاودة العجز وتضييع العمر في غير نفع** اما كون كثرة النوم مسببا للتواني عن نيل المهم فلتعطل الحواس فيه وارتخائها بعده فاذا الف ذلك عجز وضاع عمره بلا فائدة هـ

اليس من الخسران ان لياليا • تمر بلا نفع وتحسب من عمري •

فتلك لا يعد عمرا لانه ما عمر الانسان الا احد داريه هـ

اذا كان راس المال فاحذر • عليه من الانفاق في غير واجب •

وقساوة القلب وغفلته وموته لعدم قبول الموعظة بسبب غفلته به عن ما يهمه وموته بعدم ادراكه لانه صفة تبطل الحس والارادة كالموت واليه الاشارة بقوله الله يتوفى الانفس حين موتها الآية فالنوم اخو الموت **والشاهد على هذا** اي الدليل عليه ولانهما يورثان ما ذكر **يعلم ضرورة** اي يعلمه كل احد علما بديهيا ضروريا **ويوجد مشاهدة** منه ومن امثاله ويتفق منوا ترا بحسب المعنى **من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين** المتقدمين على ملة الاسلام من حكماء الهند والعجم واليونان والعرب وغيرهم كقول الحارث بن كلدة حكيم العرب افضل الدواء الازم اي قلة الاكل وقال داود اياك وكثرة النوم فانه يفقرك اذا احتاج الناس لاعمالهم واشعار العرب واخبارها كقوله

فما رب قد بيتك اذا كلت • وان شربت وان عشيتا •

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وانا الكفيل لك الحياة • وان تعافا ما حييتا •
وقال قيصر لقس بن ساعدة ما افضل الاكل قال ترك الاكثار وصحيح الحديث النبوي
مثل بعضكم الى الله كل يوم ماكول ومشروب وغيره وآثار من سلف وخلف الاثر ما اثرته اي نقلته
عن غيرك فيشمل الحديث ويطلق ويراد به ما يقابل الحديث والمراد بمن سلف من تقدم عصر النبي
ومن خلف ما عداهم كالصحابة والتابعين مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اي طلب
شاهد ودليل عليه وبين وجه ترك الاستشهاد بقوله اختصارا واقتصارا على اشتهار
العلم به المغني عن التطويل بذكره والاختصار عند اهل العربية الحذف لدليل والاقتصار حذف
بلا دليل وعند المحدثين ان يكون للحديث طرق فيكتفي باحدها والمراد هنا عدم التطويل اكتفاء
بشهرة العلة فكان عليه السلام قد اخذ من هذين الفنين اي النوعين وهما الاكل والنوم باوفر
عداه بالباء وان كان متعديا بنفسه لتضمينه معنى التمسك او الاتصاف اي لازم اقل قليل
منهما لما فيه من الكمال والملكة المرضية واتى باسم الاشارة القريب تحقيرا لهما نحو ما هذه
الحياة الدنيا وتبعيدا لها عن ساحة الاعتبار لعدم المبالاة بهما وما قيل من انه كان ينبغي للمصنف
ان يقتصر على كلامه صلى الله عليه وسلم فانه معه لا يحتاج لغيره من شعر وحكمة ليس بشيء فان
مراده ان صفاته مما اتفق العقلاء وجميع الامم على حسنها وكونها مرضية محمودة وان كلامه
زبدة حكم الامم وان لم يرهم ولم يقرا كتبهم وكفاك قصص القرآن نظرا لصنيعه هذا اي
ما ذكر من قلة الاكل والنوم مما لا يدفع اي لا ينكر ولا ينازع فيه من سيرته اي من طريقته
وصفته وهو بيان لما حال من ضمير يدفع اي لشهرته وتواتره لا ينازع فيه احد وهو الذي
امر به امته دون ضده وضميره به لهذا او للاول وحض عليه بحاء مهملة وضاد معجمة اي
حث الناس ورغبهم في التخلق به لما علم من شرفه وكماله لا سيما بارتباط احدهما بالآخر
لا سيما بمعنى لا مثل والكلام عليها مفصل في العربية وتذكر مع ما هو اولى بالحكم نحو اكرم
الناس لا سيما العلماء الا ان في كونها هنا كذلك خفاء لم يتعرضوا له غير ان بعضهم قال
المعنى لا سيما الامر بالاخذ بالاقل والحض عليه مع ارتباط احدهما بالآخر لانه اذا شبع نام كثيرا
ففاته خير كثير يعقبه ندم كثير وهو لا يجدي نفعا والبيان الشافي ان كل واحد منهما من نوم
مع انفراده ينبغي الحث على تركه فكيف اذا اجتمعا وهما كذلك غالبا لاستلزام احدهما للآخر
فان النوم يلزم الاكل والباء بمعنى مع فما قيل ان لا سيما ليست على وفق استعمالها ليس بشيء
وهو توطئة للحديث المتضمن لملازمتهما فلذا قال ومن هنا قال ان المصنف استعمل لا سيما على
خلاف ما جاء في قوله • ولا سيما يوم بدارة جلجل • وقد قال ثعلب من
استعملها على خلافه فهو مخطئ وحذف الواو والمستثنى منه وتقديره لا سيما اخص بارتباط الخ
حدثنا ابو علي الصدفي هو الحافظ بن سكرة تقدم بيانه بقراءتي عليه بين طريق روايته
عنه بانه قرا وشيخه يسمع الا ان قراءة الشيخ والسماع منه اعلى رتبة في الرواية لكن صار المعروف
اليوم القراءة على الشيخ ولذا قيل انها ارفع وقيل انهما سواء حدثنا ابو الفضل الاصفهاني
بفتح الهمزة وكسرها والباء والفاء وهي بلدة عظيمة وهو احمد بن خيرون وقد تقدم ومعنى اصفهان
عسكر الفرسان لان اصب بمعنى فرس وهي لا تخلو ابدا من ثلاثين يستجاب دعاؤهم لان نمرود
حمل منهم ثلاثين رجلا لحرب الخليل فلما راوه آمنوا به فدعا لهم بذلك ان يستجاب دعوتهم كما
اجابوا دعوته قال حدثنا ابو نعيم بالتصغير وهو حافظ عصره ومحدثهم احمد بن عبد الله

بن

بن احمد بن اسحاق بن موسى بن مهران الاصبهاني الصوفي سبط الزاهد محمد بن يوسف
البنا ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وتوفي في المحرم سنة ثلاثين واربعمائة وعمره
اربع وتسعون سنة وسمع من كثير وسمع منه الحفاظ وله ترجمة في الميزان وتصانيفه مشهورة
قال حدثنا سليمان بن احمد بن ايوب بن مطير الشامي مسند الدنيا الامام الجليل ولد
بعكا في صفر سنة ستين ومائتين واعتنى به ابوه فرحل به في حداثته وسمع في سنة ثلاث
وسبعين وبعدها من ابن الشام والحرمين ومصر وبغداد والكوفة واصبهان والبصرة والجزيرة
وغيرها وحدث عن اكثر من الف شيخ وصنف المعجم الكبير ولم يذكر مسند ابي هريرة فانه افرده
بمصنف والمعجم الاوسط وهو كتاب جليل تعب فيه وكان يقول هو روحي والمعجم الصغير
ومصنفات اخر جليلة وتوفي لليلتين من ذي القعدة من سنة ستين وثلاثمائة وله
مائة سنة وعشرة اشهر تقريبا وترجمته في الميزان قال حدثنا ابو بكر بن سهل ابو محمد
مولى بني هاشم بن عبد الله بن يوسف الدمياطي روى عنه الطحاوي والطبراني وغيرهما
توفي سنة تسع وثمانين ومائتين عن نيف وتسعين سنة وهو مقارب الحال وقيل
ضعيف كما في الميزان قال حدثنا عبد الله بن صالح هو ابو صالح الجهني مولاهم كاتب الليث
روى عن معاوية بن صالح وموسى بن علي وغيرهما وروى له البخاري واصحاب السنن وهو
زاهد حسن الحديث توفي سنة مائتين وثلاث وعشرين وعمره ست وثمانون سنة وله
ترجمة مطولة في الميزان قال حدثني معاوية بن صالح الحضرمي قاضي الاندلس وهو امام
صدوق وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة وله ترجمة في الميزان ان يحيى بن جابر
حدثه عن المقدام بن معدي كرب هو يحيى بن جابر الطائي قاضي حمص مات سنة مائة
وستة وعشرين واخرج له اصحاب السنن والمقدام بن معدي كرب بن عمرو الكندي
صحابي نزل حمص وترجمته مشهورة وتوفي سنة سبع وثمانين واخرج له اصحاب السنن
واحمد قال السهيلي معنى معدي كرب وجه الفلاح وفيه لغات اسكان يا معدي ولو في
النصب مع فتح باء كرب بلا تنوين لبنائه واعرابها بالاضافة مع الصرف وعدمه ان
رسول الله عليه السلام قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه وهذا الحديث رواه
الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان واخرجه المصنف عن الطبراني ولم يروه عن الترمذي
لان سند معجم الطبراني اعلى من غيره لان بينه وبين المقدام ثمانية في رواية الطبراني
وبينه وبينه في الترمذي من احد طريقيه احد عشر ومن الاخرى عشرة والحديث صحيح
وفي الرواة اختلاف يسير وفي الترمذي بدل ابن آدم آدمي وبلفظ بطن بلا اضافة
وبحسب بالباء الجارة والوعاء ظرف الطعام والمراد انه لا وعاء اشر منه ولا يساويه
في الشر فجعله بطنه كالوعاء المبتذل تحقيرا له ثم جعله شر الاوعية زيادة في تحقيره
لان امتلاءه يورث البلادة ويحرك شهوته فيرتكب المعاصي ويحصل له من الامراض ما
يضره ويؤدي الى هلاكه ولا شر اعظم من هذا فحسبه منه ما يقيم صلبه ويعينه على عبادة
ربه ونظام امور دنياه فلذا قال حسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه حسب بسكون
السين اسم بمعنى كافي يقال اعطيت الرجل ما احسبه اي اعطيته ما يكفيه وهو مبتدا
خبره اكلات بضم الهمزة والكاف معا والرواية به ويجوز فتح الكاف وتسكينها جمع اكلة
بضم الهمزة وسكون الكاف اسم لما يوكل ويقمن بمعنى يقوم من اقام بمعنى دام وثبت وصلبه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بضم الصاد وفتحها عظام سلسلة ظهره لانه عموده وفيه النخاع الذي يمد العصب الممسك فاذا افرط جوعه ضعف واغشي صلبه وفي القاموس ما يخالف ما قاله الشراح لانه جوز في الكلمة الفتح والضم واقتصر في جمعه على فتح ثانيه كصرد وقال البرهان الاكلات بضم الهمزة جمع اكلة بفتحها وهي اللقمة **فثلث** من بطنه **لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه** بفتحتين وهو الهواء الخارج من الجوف وروى الدلجي طعامك وشرابك ونفسك بكاف الخطاب على الالتفات من الغيبة للخطاب اعتناء بشان من ارشده فيما ارشده اليه وانه لا ينبغي تجاوزه وفي الاول حث على الاقلية وفيما بعده تجويز لما فوقه من غير افراط والشراب هنا بمعنى الماء **ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب** هذا من كلام المص لا من الحديث الا ان الشراح لم يبينوا وجه ارتباطه بما قبله ولا على م عطف والظاهر انه عطف على قوله بارتباط احدهما بالاخر لان السبب والعلة في معنى واحد فالمراد بارتباطهما ان احدهما يستدعي الاخر فان الاكل يقتضي الشرب ثم بين انهما وكثرتهما يقتضيان كثرة النوم لما يصعد منهما **قال سفيان الثوري** بكسر السين وضمها وهو سفيان بن سعيد بن مسروق ابو عبد الله الثوري نسبة لثور بن مناة وقيل من ثور همدان وهما قبيلتان الكوفي عالم عصره الزاهد المحدث توفي سنة احدى وستين ومائة وعمره اربع وستون وهو ثقة ولا عبرة بمن يتكلم فيه وهو من اقران مالك **يملك سهر الليل** يملك بضم اليا وفتح اللام مبني للمفعول وسهر مرفوع نايب فاعله اي يقوى ويقدر عليه من غير مشقة فتسمية قدرته تملكا له فهو استعارة لان النفس تقهر بقلة الطعام تجد ان كانت قاهرة **وقال بعض السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا** زاد الغزالي في الاحيا فتخسروا كثيرا وزاد غيره فتندموا عند الموت لقلة الزاد لانه اكل زاده فضيعه في غير وقته هـ **وقد روي عنه** اي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السيوطي رواه ابو يعلى عن انس وجابر بسند جيد ولفظه كما قال الشيخ قاسم في تخريجه انه لم يجتمع له غداء وعشاء من خبز ولحم الا على ضفف وسنده جيد واخرج ابو عبيد في الغريب انه لم يشبع من خبز ولحم الا على ضفف واخرج الترمذي في الشمايل عن مالك بن دينار قال ما شبع رسول الله صلعم عليه السلام من الخبز قط ولا من لحم الا على ضفف قال مالك سالت رجلا من اهل البادية ما الضفف قال ان يتناول مع الناس واخرج الطبراني عن جابر عن النبي احب الطعام الى الله ما كثرت عليه الايدي انتهى **انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي** لما فيه من السخا بالطعام وقلة الاكل والبركة والضفف بفتح الضاد المعجمة والفاءين اولاهما مفتوحة فسرها المص بما ذكره اهل اللغة وتفسير ما نورد كما سمعته آنفا وهو من قولهم بير ضفوف اذا كثر الناس عليها وقال يحيى بن احمد الضفف ان تكون الاكلة اكثر من الطعام والحفف بالحاء ان يكون بمقداره وقيل الضفف الضيق والشدة اي لم يكن صلى الله عليه وسلم محبا للترفه في ماكله ولا متنطعا فيه وفي رواية لم يشبع رسول الله من طعام الا على ضفف وروي على شظف اي ضيق وشدة والضفف والشظف رويا بمعنى الضيق والحاصل انه كان يحب الاكل مع الجماعة وان قل طعامه وضاقت معيشته والاحاديث في معناه كثيرة كطعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الاربعة وطعام

الاربعة يكفي الثمانية وهو حديث صحيح وقيل الضفف كثرة العيال وقيل قلة الطعام وكثرة الاكلين ويقال ضف بالادغام وقال ابن السكيت الضف الاكل باليد ففيه لغتان وله معان **وعن عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي عليه السلام شبعا قط** وروي عنها ايضا ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله وهذا يقتضي بمفهومه انه شبع في بعض الايام دون الثلاثة وهو معارض للاول وكلاهما صحيح ويجمع بينهما بان دلالة المفهوم لا تعارض المنطوق عند من قال بها ومن لم يقل به كابي حنيفة لا تعارض بينهما بالطريق الاولى او يقال الامتلاء شبعا صفة زايدة على الشبع فالشبع الاعم كان يقع منه احيانا واما الامتلاء من الشبع فلم يقع اصلا والشبع مباح والزيادة عليه محرمة الا للتقوي على صوم الغد او لموانسة الضيف حتى لا يستحي من الاكل كما قاله الحنفية وعند الشافعية محرمة من مال الغير ان لم يعلم رضاه ومن مال نفسه مكروه مع ان ما ذكر من تعارض الحديثين غير مسلم لان ما ذكره المص ذكره في الاحيا وتمامه وربما بكيت رحمة له لما ارى به من الجوع وامسح بطنه بيدي واقول نفسي لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك منها ويمنعك من الجوع فيقول يا عايشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم عز وجل فاكرمهم فاجزل ثوابهم واجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شي احب الي من اللحوق باخواني وخلاني قالت فوالله ما استكمل بعد جمعة حتى قبضه الله وقد ذكر المص صدره فقط وقال العراقي في تخريج احاديث الاحيا لم اجد هذا الحديث فلم انقله رضيه وشبعا تمييز او مفعول له او مفعول مطلق وشينه مفتوحة وتكسر وتفتح البا وتسكن وصواب بن مكي كسر الشين وسكون البا كما قاله التلمساني ثم انه ورد في الاحاديث الصحيحة انه كان يشبع ويجوع وفي البخاري ما شبع آل محمد قط وهذا محمول على غالب احواله فان الغالب ينزل منزلة الكل كثيرا وهذا لم يكن من احتياج حقيقي لما رواه الترمذي عن ابي امامة عرض علي ربي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك واذا شبعت شكرتك كما قال الابوصيري ح

وراودته الجبال الشم من ذهب • عن نفسه فاراها ايما شمم

فجوعه كان فضلا ولكنه يظهر انه احتياج تطييبا لقلوب الفقرا وتنزها عن الرياء وتبريا من رياضة اهل الكتاب والحكما كما قال لا رهبانية في الدين وهذا مما ينبغي التنبيه له ويجب اعتقاده والتاسي به فيه فافهم **زاد** معطوف على ما قبله من قوله انه كان احب الخ وقوله **في اهله** اي اهل بيته وعايلته وهو حال من فاعل يسال او خبر وجملة **لا يسالهم طعاما** حال منه وعدم سواله لعدم اهتمامه به والتفاته لما هو اهم منه **ولا يشتهيه** مضارع تشتهي بتشديد الهاء تفعل من الشهوة وهي الميل الى ما يستلذ وقيل هي ادراك الملايم من حيث هو ملايم وقيل الشهوة لا تحد والفرق بينها وبين الارادة ان الانسان قد يريد ما لا يشتهيه ويشتهي ما لا يريده كالمريض المحتمي عما يشتهيه والارادة قد تتعلق بنفسها بخلاف الشهوة فانها لا تتعلق بنفسها بل تتعلق بالذات المغايرة لها فاذا ذكرت متعلقة بنفسها كانت مجازا عن الارادة كما قال المريض ما تشتهي فقال اشتهي اذا اشتهي وفرق بينه وبين الجمع

شبكة الألوكة www.alukah.net

ايضا فانك تقول احب الله ورسوله ولا تقول اشتهيهما فالمحبة اعم والشهوة في الاصل تكون وجدانية غير اختيارية بخلاف المحبة ولذا فرق النحاة بين قوله احب الي واشهى الي فجعلوا الي في الاول للتبيين وفي الثاني بمعنى عند وفيه كلام لنا في نكت المغني من باب الهمزة فان اردته فراجعه ثم بين ما ذكر بقوله **ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب** يعني انه ياكل ما قدم له اهله ونحوهم من الطعام ويقبله من غير ان يعيبه وكذا كل ما قدم له من الما وهذا كان غالب حاله فلا ينافي ما وقع نادرا على خلاف مقتضى طبعه كما في مسلم عن عايشة انها قالت قال لي رسول الله ذات يوم يا عايشة هل عندكم شي فقلت يا رسول الله ما عندنا شي قال فاني صايم الحديث وسقي واسقى بمعنى وزاد الدلجي فقط بعد قوله لا يسالهم طعاما **ولا يعترض على هذا** بمبنى المجهول **بحديث بريرة** اي على هذا المذكور من عدم سواله وبريرة بفتح الموحدة وراءين مفتوحتين اولاهما مكسورة بينهما مثناة تحتية من البر بمعنى برورة او بارة هي بنت صفوان وهي قبطية وحبشية عند الذهبي مولاة عايشة اشترتها من عتبة بن ابي لهب وقيل من بني كاهل وقيل كانت لناس من الانصار وحديثها اخرجه مالك في الموطا عن القاسم بن محمد عن عايشة ورواه الشيخان وهو قالت عايشة كان في بريرة ثلاث سنن وكانت احدى السنن انها اعتقت فخيرت في زوجها وقال فيها رسول الله الولا لمن اعتق • ودخل صلى الله عليه وسلم والبرمة تفور باللحم فقرب اليه خبزا وادما من ادام البيت فقال الم ار البرمة فيها لحم فقالوا بلى يا رسول الله ولكن هو لحم تصدق به على بريرة وانت لا تاكل الصدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لها صدقة ولنا هدية فاخبرهم صلى الله عليه وسلم ان هذا اللحم باهدايها اياه انتقل من حكم الصدقة الى حكم الهبة وانما حرم عليه ما تصدق عليه بنفسه وجعل محلا لقبوله ولو كان ما تصدق به مرة يثبت له حكم الصدقة لما جاز للفقير اذا تصدق عليه بشي ان يبيعه من غني فقد سالهم الطعام واجاب عنه المصنف بقوله بيانا بان سواله المقتضي والمنفي السوال بغير مقتض **وقوله الم ار البرمة** بضم الموحدة وسكون المهملة والميم وهي عند العرب قدر تنحت من الحجارة وقيل اعم من ذلك فيشمل النحاس والحديد وغيرهما **فيها لحم** الضمير للبرمة لانها مؤنثة كالقدر الا ان تانيث الثانية سماعي واللحم بسكون الحا المهملة وتفتح وقد قيل انه لغة مطردة في كل ما ثانيه حرف حلق كالبحر والنهر والبعل والنعل والنخل وانكره البصريون **اذ لعل سبب سواله عليه السلام ظنه عليه السلام اعتقادهم** اي اعتقاد عايشة الخادم وغيرها من الناس ممن كره تغليبا **انه** اي بسبب انه صدقة في الاصل **لا يحل له** صلى الله عليه وسلم كالصدقة عليه بالذات **فاراد بيان سنته** اي طريقته المشروعة له وهي جواز اكل الصدقة وان كانت صدقة على مهديها لو اراد بها بالسنة المستحب لانه يستحب له الاكل منها وقبولها تطييبا لقلب مهديها **اذ راهم لم يقدموه** اي اللحم **اليه مع علمه انهم لا يستاثرون عليه به** اي لا يخصون انفسهم ويقدمونها على النبي في شي من الطعام وغيره **فصدق** بتخفيف داله ويجوز تشديدها **عليهم ظنه** بالنصب اي صدق في ظنه جهلهم بذلك فهو متعد بنفسه او على الحذف والايصال كما في صدق وعده او بالرفع على انه فاعل اي تحقق ظنه او وجد صادقا في جهلهم ذلك **وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية** وهذا جواب ثان حسن فان الرجل اذا راى طعاما اهدي له

فقال

فقال عنه وطلب اذ يوتى به لا يلزم وانما لا يسال عما عهده من طعامه ويحث عنه واتى بالفعل الذي للتراخي لانه لم يجزم به وتقدم جواب آخر وهذا الحديث يدل على ان الصدقة حرام عليه لشرف قدره وعلو منصبه وغناه حقيقة وسوا فيه صدقة التطوع والفرض كالزكاة وفي حل التطوع قول الشافعي وكذا اهل بيته وقيل لا يحرم عليهم الصدقة العامة كماء السبيل والابار المسبلة وهل ذا للتحريم على سائر الانبيا ام خاص به فيه خلاف والاصح اختصاصه به وفي الاحاديث ما يدل عليه ونقل عن ابي حنيفة جواز الصدقة على اهل البيت مطلقا وقيل اذا حرموا اسهمهم من بيت المال كما نقله الطحاوي وهو وجه عن الشافعي ومالك وهم بنو هاشم وكذا بنو المطلب بخلاف غيرهم من قريش وازواجه **وفي حكمة لقمان** بن عنقا بن سرون واسم ابنه ثاران وقيل غير ذلك وقيل انه ابن اخت داود وعنه اخذ وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل والاصح انه حكيم وقد جمعت حكمه في كتاب مستقل بسند المراد بالحكمة الموعظة الحسنة لفظا ومعنى ولقمان هو المذكور في القرآن وكانت تجري على لسانه لما آتاه الله من العلم والنفس القدسية وهو ولي عند الاكثر ونبي عند بعضهم وكان عبدا حبشيا نجارا بالراء وقيل نجادا بالدال او خياطا او راعيا وقيل نوبي وقيل انه تلمذ لالف نبي وتلمذ له الف نبي وهو غريب وهو من اهل ايلة وقيل انعم وقيل اشكم وقيل ماتان وقيل انه ابن اخت ايوب او ابن خالته وقيل انه كان في زمن داود وقيل انه بعد ابراهيم والاصح الاول وقيل بعد عيسى والقول بانه عاش الف سنة قيل انه غلط من لقمان بن عاد **يا بني** بالتصغير والاضافة واسمه مشكم بكسر الميم وسكون المعجمة وميم على الاصح وقيل غيره كما مر **اذا امتلات المعدة نامت الفكرة** المعدة بفتح الميم وكسر العين وبكسر الميم مع سكون العين مقر الطعام وهي للانسان كالكرش للبهائم والحوصلة للطير والفكرة والفكر قوة تدرك في الدماغ عند من يثبت الحواس الباطنة في بطون الدماغ كما فصل في كتب الحكمة ومن لم يثبتها يقول هي القوة للنفس تدرك بها الامور الدقيقة فعلى الاول نومها استعارة تبعية لبطلان عملها او شبهت الفكرة بشخص واثبت له النوم على طريق المكنية والتخييلية وكذا على الثاني او المراد نام صاحبها والنوم مبطل للحس والادراك والمراد على كل غلبة الغفلة والذهول والبلادة على من يشغله بطنه عن مهماته ومثله ما ورد في الحديث لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الما فيذبر عما يهمه من العلم النافع والعبادة والجهل يستعار له الموت كما قيل

لا يعجبن الجهول بزيه • فذاك ميت وثوبه كفنه •

وخرست الحكمة هو كالذي قبله في الاستعارة ونحوها اي خرس اللسان التي تجري عليه والحكمة النطق بما فيه كمال النفس واقتباس العلوم النظرية والملكات التامة والافعال الفاضلة اي تركت ذكرها واكتسابها **وقعدت الاعضاء عن العبادة** اي كسل صاحبها فلم يستعملها في عبادة الله بان تعطل بدنه عن القيام لها واللسان عن ذكرها والقلب عن فكرها وهكذا افسده تركه بالقعود او استعماله في لازمه ونحوه مما مر فقسه على ما قبله **وقال سحنون** الفقيه المالكي وهذا لقبه واسمه عبد السلام بن سعيد التنوخي قاضي افريقية وكنيته ابو سعيد وهو بضم السين وصوب القاضي فتحه وقال ان الضم زعمه بعض النحاة وعليه ابن الحاجب في الشافية حيث قال سحنون ان صح الفتح ففعلون كحمدون وهو مختص بالعلم لندور فعلول وهو ضعفون وخرنوب ضعيف وقال غيره انه صحيح على انه فعلول

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالنون وهو اولى لكثرته في الاعلام كحمدون وزرقون وزيدون خصوصا بالمغرب وهو اسم
طاير كثير الحركة في الاصل وقيل هو البلبل وادرك مالكا ولم يقرا عليه وقرا على ابن القاسم
واشهب وهو واضع كتاب المدونة وانتهت اليه رياسة العلم بالمغرب وحصل له ما لم يتفق لغيره
وولد في رمضان اول سنة ستين ومايتين ومات لتسع خلون من رجب سنة اربعين ومايتين
وقيل الظاهر ان سحنون فعلول من السحنة وهي الهيئة الحسنة وهو ممنوع من الصرف للعلمية
وشبه العجمة وهو مضموم وان كان فعلولا وقال التلمساني وقع في نسخة العو في هنا ذو النون
بدل سحنون وهو العابد الزاهد المشهور واسمه ثوبان وقيل الفيض بن ابراهيم المصري فيمكن ان
يكون احدهما روى عن الاخر لانهما في عصر واحد لا يصلح العلم لمن ياكل حتى يشبع يفيد
الاستمرار التجددي اي من يكون دابه كثرة الشبع بكثرة نومه ويصير بليدا بطالا فلا يحصل
العلم ولا يليق به طلبه فان البطنة تذهب الفطنة ولانه يشتغل باصلاح ماكله وكسب ما
يحصله فيفوته العلم وكل خير وفي صحيح الحديث الذي رواه البخاري ويجوز ان يريد الصحيح
بصحيح الحديث كتاب البخاري لان الصحيح غلب عليه اما انا فلا آكل متكئا هذا الحديث في
الصحيحين مروي بروايات منها ما ذكره المصنف ومنها اني لا آكل متكئا ومنها لا آكل وانا متكئ قال
الكرماني هذا ابلغ في الاثبات والاول ابلغ في النفي فقيل المراد انه اكثر مبالغة لا بلاغة ووجهه
ان متكئ اسم فاعل فيه ضمير مستتر فاسند الاتكا اليه مع اسناده مقدما الى انا فهو ابلغ في اثبات
الاتكا لتكرار اسناده وان لم يكن متكئا مع فاعله جملة بخلاف لا آكل متكئا فانه لم يتكرر فيه
الاسناد فهو في النفي ابلغ وعندي ان الثاني ابلغ لنفي المقيد والمقيد انتهى • اقول هذا
كلام لا محصل له مع عدم استقامته والظاهر ان مراد الكرماني بالنفي والاثبات نفي الاكل في
حال الاتكا واثبات الاكل في حال عدم الاتكا الذي يقتضيه مفهومه بناء على الفرق بين الحال
المفردة والجملة فان النفي في الاولى ينصرف الى القيد والمقيد فيقتضي نفيهما والثانية لا
تقتضي ذلك نحو وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فانه يقتضي انهم يعذبون بعده كما يقتضي
هذا انه ياكل اذا زال الاتكا وفيه بحث ليس هذا محله وسبب هذا الحديث ما اخرجه ابن ماجة
باسناد حسن وهو ان اعرابيا اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فجثى على ركبتيه ياكل فقال
له الاعرابي ما هذه الجلسة فقال ان الله جعلني عبدا كريما ولم يجعلني جبارا عنيدا والاتكاء
هو التمكن للاكل والتقعدد التقعدد تفعلل من القعود ومعناه التثبت والتمكن من
القعود الا انه قيل انه لم يوجد من هذه المادة تفعلل والمصنف ثقة ما يقوله بمنزلة ما يرويه
وللجلوس انواع بينها الثعالبي في فقه اللغة في الجلوس له اي لاجل الاكل كالتربع
وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته من ارض وفراش ونحوه
التربع يكون بمعنى التردد في الربيع وجعل الشي رباعيا ونوع من الجلوس ماخوذ من الاخير لبسط
اربعة من اعضايه الساقين والوركين مع انضمامهما على هيية معلومة وقوله من تمكن الخ •
بيان للتربع وشبهه والتمكن تفعل من المكان اي تثبت في المكان والاعتماد بمعنى الاتكا
كما في الصحاح وهذا اشارة الى ما ارتضاه في تفسير الاتكا فان اهل اللغة اختلفوا فيه فذهب
بعضهم الى انه الميل الى احد جانبيه مع اعتماده على شي كالمخدة والوسادة وهو المشهور وذهب
الخطابي وتبعه المصنف الى انه الاعتماد على ما تحته من غير ميل كما بينه هنا وسياتي تحقيقه ثم
اشار الى وجه كون الاتكا بهذا المعنى في حالة الاكل لم كان غير محمود فقال والجالس على هذه

الهيئة

الهيئة يستدعي الاكل اي يطلب الاكل ويرغب فيه ويقتضي تناوله ويستكثر منه
اي يكثر منه كثرة مفرطة متجاوزة حد الاعتدال حتى كانه يطلبه من نفسه لاقباله عليه وقوة
شهوته لغلبة حيوانية والنبي صلى الله عليه وسلم لاعراضه عن مثله وتناوله منه مقدارا
ضروريا بسرعة انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا المستوفز الذي لا يكون
مطمينا بل مستعجلا للقيام ومنه نحن على اوفاز اي على سفر • كما قلت في الفصول القصار •
• من كان في الدنيا على اوفاز • استراح لتهنيه بعيشة اوفاز •
والاقعا بقاف وعين مهملة ممدود له تفاسير والمعروف منه اثنان احدهما ان يلصق اليتيه
بالارض وينصب ساقيه وفخذيه ويلصقهما ببطنه وربما يكون مع وضع يديه على الارض مع
الجلوس بينهما مثل جلوس الكلب وهو المصطلح والثاني ان ينصب قدميه واضعا على عقبيه اليتيه
ضاما ساقيه وفخذيه واضعا ركبتيه على الارض وهذا استحبه الشافعي اذا رفع راسه من
السجود الاول وبه ورد الحديث وقال الشافعية ان عليه العبادلة وكرهه الحنفية واما
الاول فمكروه بلا خلاف في الصلاة واما اقعاوه صلى الله عليه وسلم للاكل فقد فسر بالصاق
مقعده بالارض ناصبا ساقيه وهو الاحتفاز والاستيفاز وقول الخفاجي ان قول المصنف
ان جلوس النبي صلى الله عليه وسلم للاكل مستوفزا مقعيا ظاهره انه كان عادة له في كل احواله
والذي ورد في الحديث انه اكل مرة هكذا كما قال انس رايته ياكل مرة مقعيا لا وجه له لان ما
قاله هو المصرح به في عامة الكتب ورويه انس مرة لا تصلح سندا للنفي في غير تلك المرة ثم
وانما امتنع الاتكا في اكله لانه من الكبر والترفه الذي تنزه طبعه عن الميل له ولانه يضر ايضا
كما قال ويستدعي كثرة الاكل اذا نعم وهل كان الاكل متكئا مكروها في حقه كسائر الامة او حراما
عليه وان ذلك من خصايصه ذهب الى الثاني بعض الشافعية والاصح الاول واختياره غيره
دايما لا يدل على حرمته ويقول انما انا عبد لله لا ملك لاختياره العبودية التي هي اشرف
الصفات وهذا من حديث رواه البخاري عن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله
والاطرا المبالغة في المدح والى هذا اشار الابوصيري بقوله هـ
• دع ما ادعته النصارى في نبيهم • واحكم بما شيت مدحا فيه واحتكم •
وهذا من تاكيد المدح بنفيه اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد في حال الاكل
وغيره تواضعا لله فلا يمد حينيذ رجليه عند جلسايه تكريما وتعظيما لعباد الله وارشادا لغيره
ولا يفعل ما يعبا بترفع ذوي الوجاهة والمتكبرين من الملوك وغيرهم به اقتدى خلفاوه
رضي الله تعالى عنهم لان الله رقيب عليهم وهو معهم فاد بهم ما هو معه وقد ضيف بعض الاكابر
بعض الامرا وهيا له محلا ينام فيه فلما دخله وجد فيه مصحفا فلم يزل قايما على قدميه
الى الصباح فلما اتاه رب المنزل راه قايما فقال له لم لا تجلس فقال اجلس وانام في محل
فيه كلام الله فقال له من عظم الله عظمه فلم يمض زمن حتى صار سلطانا واستمر الملك في
عقبه الى الان فلما طغوا وتكبروا وحتى طلب بعضهم سجود الناس له قصمه الله وصار
ملكهم على شرف الزوال ومالك الملك يوتيه من يشاء وليس معنى الحديث في الاتكاء
المذكور سابقا الميل الى شق عند المحققين من اهل اللغة والحديث بل هو ما مر وهو
احد قولين لهم واعلم ان الصاغاني قال في المجمع رجل متكاه مثل تودة كثير الاتكا واصله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكاه والمتكاء ايضا ما يتكأ عليه وهو المتكا قال تع واعتدت لهن متكأ قال الاخفش
هو في معنى مجلس وطعنه حتى اتكاه اي القاه على هيئة المتكي واوكات فلانا نصبت
له متكأ وفي نوادر ابي عبيد اوكات عليه اي توكأت انتهى وكذا قاله غيره فهو واوي من
الوكاء واصل معناه الشد والمتكي على شي يتقوى ويشتد به فالاعتماد حالة الجلوس على
الارض او غيرها متكي والمائل على احد شقيه المستند الى الارض والوسادة متكي ايضا
فكلا التفسيرين صحيح والمراد به في الحديث صالح لكل منهما ومن فسره بالميل جنح الى انه عادة
المتكبرين المترفهين او المشهور في الاستعمال فحيث طابق الوضع كان اظهر فرد المصدق لم
يصادف محزه واكثرهم على خلافه الا الخطابي والحق احق بالاتباع فالحاصل ان حقيقته انما
هي الاعتماد الحسي فالمتربع معتمد والمائل معتمد على احد شقيه فلا خطا في كلا التفسيرين
عند من له معرفة باللغة والتحقيق خلاف ما ادعاه المصدر من التحقيق وانما جعل النبي هذه
حالة العبد لانه لاشتغاله بالخدمة والمهنة لا يستقر ويطمئن فيكون مستوفزا مستعجلا
والمعنى اني لست مخلوقا للدنيا وترفهها ونظري انما هو لعبادة الله وتبليغ اوامره فلا
التفت اليها وانما اتناول منها بشرعة مقدار اليسير لدفع الجوع كالعبد الموكل بخدمة
سيده وثمة نكتة اخرى تدرك بالذوق اي انه لا ياكل ويشرب كالبهائم وكذلك اي كقلة
الاكل وشربه وعدم ترفهه فيهما نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا بيان لوجه الشبه
شهدت بذلك اي قلة نومه دلت عليه الاثار الصحيحة اي الاحاديث الصحيحة
المسندة في كتب الحديث التي اغنت شهرتها عن ذكرها كما مر وهذا كان اكثر حاله وربما
خالف هذا احيانا اذ قد ورد ما يؤذن بان نومه زاد على يقظته او ساواها كحديث النسائي
عن انس قال ما كنا نشاء ان نرى رسول الله بالليل مصليا الا رايناه ولا نشاء ان نراه
نائما الا رايناه ومع ذلك اي مع قلة نومه غالبا فقد قال ان عيني تنامان ولا
ينام قلبي فنومه ليس كنومنا بل هو يقظة فكانه لا نوم له اصلا بحسب الحقيقة فقلبه
مستيقظ دائما يدرك ما لا يدركه غيره في يقظته ولذا كانت رؤياه قسم من الوحي
لاتصاله بعالم الملكوت في نومه وكذلك سائر الانبياء تنام عيونهم ولا تنام قلوبهم
فهذه خصوصية اضافية بالنسبة لامته وهذا ايضا باعتبار غالب احواله فانه صلى
الله عليه وسلم نام مرة هو واصحابه حين فاتتهم صلاة الصبح وادركهم حر الشمس ۞
وقد اجيب عنه ايضا بان القلب وان كان يقظان لا يدرك ما تدركه العيون النائمة وانما
يدرك ما يتعلق به من الحدث والالم ولذا ذهب بعض الفقهاء الى ان نومه لا ينقض وضوءه وبانه
شغل الله قلبه بمشاهدة ملكوته مع نوم عينيه فلم يدرك خروج الوقت للتشريع لامته وكان
صلى الله عليه وسلم نومه على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم اي استعانة فان
الاستظهار استفعال من الظهر بمعنى التقوية والاستعانة لان قوة البدن واستمساكه
بظهره فكان من عادته اذا نام ينام على شقه الايمن وحكمته ان القلب مائل الى جانب اليسار
فاذا نام المرء على يساره يستقر القلب فيزيد نومه لراحة قلبه فاذا نام على يمينه تعلق القلب
ولم يسترح فيخف نومه ويكثر سرعة يقظته من نومه وانما كان مقتضى الحكمة كون القلب
في جانب اليسار ليعادل الكبد الذي في جهة اليمين غالبا ولموا فقدمه لما كان يحبه
من التيامن في اموره لما فيه من اليمن لفظا ومعنى وما قيل من انه حال امتهان لا تناسبه

اليمين

على الجانب الذي ينام عليه لا وجه له فان النوم راحة تعين على العبادة والاتكاء عليه كالاتكاء
على اعضاء السجود وكذا ما قيل انه مع قوة رواحه ويقظة قلبه غالب لنومه غير محتاج
لذو ستظهار عليه وانما هو التيمن والتشريع فان القوي اذا تقوى كان شديد القوة والنوم
امر طبيعي في جميع الخلق غالب وقد عرفت ان يقظة قلبه كانت هي الحالة الغالبة فالتقوي
احتراز عما يعرض نادرا لانه اي النوم على الجانب الايسر اهنا اي افعل تفضيل مهموز الاخر
من الهني اي اسهل والذ والهني ما اتاك من غير مشقة فالنوم على الايسر ايسر وفعله هنو بالضم
ويكسر هاه قيل وانما الطائف البيت عن يساره لتوجه قلبه اليه بدعوة واجعل افئدة من
من الناس تهوي اليهم فجعل جانب القلب واهناه واعلاه محاذيا له وقيل لان اليسار محل الوسوسة
وكاتب السيئات واليمين محل الرحمة كما ان البيت محل الرحمة فجعل اليسار بين رحمتين لتعلق صدره
وقال ابن عبد السلام الحكمة فيه ان القادم يستقبل البيت بجبينه كرامة من ناحية باب
بني شيبة فيبقى ركن البيت الذي على يمينك يساره ويسارك يمينه والذي يليك فيك من
البيت وجهه وهو الباب لان باب كل بيت وجهه والادب ان يؤتى الكبير من قبل وجهه
ولهذا ابتدئ بتثنية كرامة والافضل في القربة التيمن فلو ابتدئ بالحجر وجعل البيت
على يسار فكان قد ابتدئ بالوجه واليمين معا فيجمع بين فاضلين ولو ابتدا بالحجر وجعل
البيت على يمينه ترك الادب ويمين البيت الحائط الذي من ركن الحجر الى الطرف الاخر وغيره
ما يقابله وهو معنى حسن كما قاله ابن مرزوق لهدو القلب تعليل لكونه اهنا اي لراحته
واستراحته لسكونه والهدو بزنة السكون ومعناه مهموز الاخر وتبدل همزته واوا ۞
وتدغم وتسهل ايضا وهو قريب من الهدوء ولامهما همزة في الاصل وما يتعلق به اي والهدوء
ملا قد الذي يتعلق به ويناطه وكلاهما من الاعضاء الباطنة اي الموجودة في
داخل الانسان حينئذ اي حين نومه على جانبه الايسر لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي
ذلك اي يقتضي ذلك الهدو ويسلن من بعت الطبع الاستثقال فيه اي ثقل بدنه
في نومه وغلبة النوم حتى يستغرق فيه وهو جواب اذا او مسبب عما قبله والطول اي
طول نومه وطول زمان بطالته واذا نام النائم على جانبه الايمن تعلق القلب وقلق
اي لم يستقر ويطمئن فاسرع الافاقة اي التيقظ من نومه ولم يغمره بفتح اليا وسكون
الغين المعجمة وضم الميم وجزم الرا المهملة الاستغراق في النوم وهو انقطاع احساسه
انقطاعا تاما طويلا وعمره له تغطيته وشدة استيلائه عليه من غمره الما اذا علاه
فهو استعارة كما استعيرت الغمرة للشدة فبينه وبين الاستغراق مناسبة لطيفة لانه من
الغرق وذلك لان القلب مائل طرفه الاسفل الى اليسار لتوفر الحرارة منه عليه فيعتدل الجسم
فان الحرارة كلها في الايمن لكون الكبد فيه والله اعلم ۞

فصل والضرب الثاني ۞

ما تدعو ضرورة الحياة وهو الفصل التاسع وعقبه بما قبله لانه ضده اذ فيما قبله
يتمدح بقلته وبضدها تتميز الاشياء وهو ما يتفق التمدح بكثرته يتفق اما من قولهم
اتفق كذا او وقع اتفاقا اي وقع من غير قصد لصاحبه او من الاتفاق وهو اجتماع الكلمة
فالاصل ما يتفق الناس على التمدح اي كثرة المدح وقوته والمراد الاول لان صاحبه لم يقصد
ولم يقصد مدح الناس له بسببه او كان قد يقصد ذلك والفخر بوفوره اي الافتخار به

شبكة الألوكة
www.alukah.net

دون قلته ووجوده فإنه موجود في كثير مما لا يعتد به وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ منه بالحظ الأوفى الأوفر **كالنكاح** أي الجماع فإنه يطلق عليه وعلى العقد والمراد الأول **والجاه** وهو علو القدر عند الناس والمهابة ونفوذ الكلمة والاشتهار بذلك وهو من الوجاهة والمواجهة وأصله وجه فقلب وأعل **أما النكاح فمتفق فيه** أي في مدحه وشأنه اتفق العلماء وأصحاب النظر والتمييز شرعا كما سيأتي بيانه **وعادة** أي فيما اعتاده الناس وتعارفوه كما لا يخفى ونصب شرعا وما بعده على التمييز أو المصدرية ثم بين ذلك على اللف والنشر المشوش فقال **فإنه** أي النكاح **دليل الكمال** في الخلقة والجسم بقوته واعتداله **وصحة الذكورة** الظاهر أنها مصدر كالصعوبة والأنوثة والمشهور أنها جمع ذكر خلاف الأنثى ويصح إرادته أيضا إلا أن الأول أولى وصحة الذكورية بمعنى قوتها وسلامتها من الضعف والآفة **ولم يزل التفاخر بكثرته عادة** للناس **معروفة** بينهم لا تنكر **والتمادح به سيرة** أي طريقة **ماضية** أي قديمة أو نافذة مقررة من مضى الأمر إذا قضي وقرر **وأما الشرع فسنة مأثورة** أي في الشرع مسنون منقول في آثار السلف والأحاديث الصحيحة أي المراد أنه طريقة مشهورة قال الراغب سنة النبي طريقته التي كان يتحراها **وقد قال ابن عباس** وهو حديث صحيح رواه البخاري **أفضل هذه الأمة** أي أفضل أمة الإجابة لنبينا صلى الله عليه وسلم ولذا عبر باسم الإشارة **أكثرها نساء مشيرا إليه صلى الله عليه وسلم** يعني أن المراد بالأفضل في كلامه هو النبي عليه السلام فإنه أبيح له جمع ما فوق الأربعة وهو من خصائصه دون أمته فدلت الأكثرية على تعيينه بصلاح الأفضلية ولذا عبر عنه بالإشارة فإنها تطلق على مقابل الصريح وهو وإن كان أفضل من أمته أجل وأعلى من أن يقال إنه أفضل مع أنه لا فائدة فيه في بادي الرأي إلا أنه رضي الله عنه قصد الحض على النكاح والإكثار منه ولذا كان مفيدا وهذا الكلام قاله لسعيد بن جبير لأنه سأله ألك زوجة فقال لا فقال له تزوج فإن خير هذه الأمة من كان أكثرها نساء كما في صحيح البخاري ولا بد من جعل النبي داخلا في الأمة لأن أفعل التفضيل في الأصل إنما يضاف لما هو بعضه وإن جاز يوسف أحسن إخوته على ما ارتضاه بعض النحاة على تفصيل فيه شهرته تغني عن ذكره وهذه الكثرة باعتبار ما أبيح له بعد التزوج من شاء أن يجمع ووقف وإلا فعنده لا يجوز لا بمجرد الدخول والعقد فإنه ثابت لغيره أيضا وكان اللاتي تزوج بهن بإجماع أهل السير إحدى عشرة امرأة ستة من قريش وأربع من سائر العرب وواحدة من بني إسرائيل من نسل هارون وهي صفية وأما التي اختلف فيهن من فارقها أو عقد عليها ولم يدخل بها أو خطبها ولم يقع العقد فاختلف فيهن وفي سبب فراقهن والذي ذكره بعضهم أنهن سوى من تقدم سبع فالجميع ثمان عشرة امرأة غير السراري ويمكن أن يكون المراد بالأمة هم ما يشمله وأمته ولا يعد فيه كما قيل والتمدح به لما فيه من الفوائد كالولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وترك ما لا يشغل عن القيام بأوامر الله مع امتثال أمر الله كقوله خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ولأن ذلك سبب للألفة والمودة واتصال القرابة ولأن فيه تبليغ الأحكام التي لا يطلع عليها إلا النساء ولما فيه من معجزته لقوة قدرته على الجماع مع قلة الأكل وشغله والمشاهدة لذلك ومع ذلك لم يشغله ذلك عن تعبده بأمر الجهاد والتبليغ إلى غير ذلك مما لا يحصى وقد عد من النسك والعبادة بل قيل إنه أفضل منها أحيانا وهو من أخلاق الأنبياء

وتركه للقادر عليه مكروه إلا أن يخرجه لكسب ما لا يقدر عليه وارتكاب محظور كما في آخر الزمان ولذا ورد خيركم الخفيف الحاذ الذي لا زوجة له ولا ولد وإنما قيد بصدر الأمة ليخرج سليمان وداود فإنهما كانا أكثر منه نساء وفيه تأمل **وقد قال عليه السلام تناكحوا تناسلوا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة** ووقع في بعض النسخ تناكحوا فإني مباه بكم إلى آخره بدون تناسلوا والتناكح تفاعل من النكاح بمعنى التزوج كما ورد بهذا اللفظ والمفاعلة على ظاهرها بأن يراد لينكح أحدكم بنت غيره وينكح الغير بنته وهو عبارة عن مصاهرة المسلمين بعضهم من بعض والتناسل كثرة النسل وهم الأولاد والذراري أو المراد بالتفاعل لازم معناه وهو كثرة النكاح وهذا أنسب بالمقام وبما بعده وتناسلوا أصله تتناسلوا بتاءين في أول المضارع وحذف على القياس في كل ما في أوله تاءان وهو أمر بدل مما قبله أو بتقدير العاطف والأول أولى لأن التناسل ليس باختيارهم وإنما هو فعل الله فيحتاج إلى تأويل بأن اطلبوا التناسل واحرصوا عليه بأن تنكحوا غير العقيم والآيسة من الولد بأن يعلم ذلك منها إن كانت ثيبا أو يكون الظاهر ذلك منها لشبابها ففيه نهي عن نكاح العجائز من غير داع وإشارة إلى أنه ينبغي أن يكون المقصود من النكاح مع دفع الشهوة وجود ذرية تعبد الله ويحصل بها كثرة الأمة والمباهاة المفاخرة وهي على ظاهرها بأن تقع منه المفاخرة حقيقة أو بجعل مسرته بهم ورؤية غيرهم لهم كالمفاخرة ويؤيده ما روي عن أبي هريرة أنه قال في يوم القيامة يهل السيل فيحطم الناس فتقول الملائكة لم جاء مع محمد أكثر مما جاء مع الأمم والأنبياء وهو صلى الله عليه وسلم أكثر الناس أمة لعموم بعثته وبقائها وكثرة أتباعه وجنده المؤيدين لدين الله فيه فخر عظيم وهذا الحديث أخرجه ابن مردويه في تفسيره بسند ضعيف إلا أنه حسن لكثرة متابعيه لفظا ومعنى فإنه رواه الطبراني في الأوسط من حديث سهل بن حنيف تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم وعن معقل بن يسار تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة **ونهى** صلى الله عليه وسلم **عن التبتل** كما رواه الشيخان عن سعد بن أبي وقاص والحديث صحيح قال فيه رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن لنا لاختصينا فهذا النهي الذي كان استأذنه في التبتل فرده ونهاه عنه وروي أن جماعة من الصحابة منهم علي لما رأوا عبادة النبي وقد غفر له ما تقدم وما تأخر قالوا نلزم الصوم والعبادة ونترك نساءنا ونطلقهن وننقطع للعبادة فنهاهم عن ذلك والاختصاء الشق على الأنثيين وانتزاعهما وهو التبتل من البتل وهو القطع والمراد الانقطاع عن النكاح بالكلية ويقال رجل بتول وامرأة بتول إذا انقطعت عن الرجال ولذا قيل لمريم البتول وأما فاطمة الزهراء فسميت بتولا لانقطاعها عن الدنيا وزهدها أو لانقطاعها لعبادة الله أو لانقطا عنها عن نساء زمانها فضلا ودينا وحسنا وأما قوله تعالى وتبتل إليه تبتيلا فليس منافيا للحديث لأنه بمعنى آخر أي انقطع في الليل لعبادة الله والتهجد وأخلص واقرأ القرآن والنهي عنه مخالفتهم للنصارى وما كانوا عليه من الرهبانية وأما قوله لو أذن لنا لاختصينا فلا يدل على جواز الاختصاء إن كان على حقيقته فإنه قد يستعمل بمعنى آخر كما سمي الصوم وجاء وهو جائز في البهائم في صغرها لغرض كتسمين المأكول وهو في الآدميين حرام لأنه مثلة ويكره استخدام الخصي ويمنع من دخوله على النساء ثم إن النهي عن ترك النكاح للقادر عليه يفيد كراهيته لأنه مستحب وعند المالكية واجب فالنهي على ظاهره قال الجابي

المتاخرون من المالكية يجعلونه في حق بعض الناس واجبا وفي حق بعضهم مندوبا اليه
وفي حق بعضهم مباحا التفاتا للمصلحة وهذا نوع من القياس يسمى القياس المرسل والذي
ليس له اصل يستند اليه وانما هو لاقتضاء المصلحة وقد انكره كثير من العلما والظاهر من مذهب
اصحاب مالك القول به انتهى **مع ما فيه** اي في النكاح او في التبتل وقيل الاول متعين بقرينة
ما ياتي **من قمع الشهوة** اي قهرها والغلبة واصله ضرب الراس ومنه مقامع من حديد
والمراد بالشهوة شهوة النكاح والنسا **وغض البصر** اي خفض البصر وتخفيضه عن النظر عما
يحرم وجعل غض البصر كانه فيه مبالغة لانه حامل عليه وقيل انه مجاز لان من لم يتوق
لا من يغض عنه عينه فكانه لا يبصره ويجوز جعله حقيقة او كناية **اللذين نبه عليهما**
صفة لقمع الشهوة وغض البصر **بقوله صلى الله عليه وسلم** في الحديث الذي رواه ابن ماجة
عن عايشة الا ان في سنده مقالا وفي الصحيحين عن ابن مسعود انه عليه السلام قال
يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج واخرجه
الطبراني بلفظ المصنف بدون فانه الخ **من كان ذا طول** بفتح الطا المهملة وسكون الواو واللام
وهو سعة الرزق والمال بحيث يكون له قدرة على نفقة زوجه واهله بحيث لا ينظر الى
مال امراته وغيرها فانه ورد في الحديث ايضا لا تنكح المراة لمالها فلعل مالها ان يطغيها
ولا لجمالها فلعل جمالها ان يرديها وعليكم بذات الدين فانهن في النسا مثل الغراب الاعصم
قال ابن رشد وهذا نهي ارشاد لا تحريم وورد في الحديث استوصوا بالنساء خيرا فانهن خلقن
من ضلع وان اعلاه اعوج فان اردت تقيمه كسرته وقد نظمه القايل

هي الضلع العوجا لست تقيمها • الا ان تقويم الضلوع انكسارها
اتجمع ضعفا واقتدارا على الفتى • اليس عجيبا ضعفها واقتدارها

ومنه اخذ الشهاب المنصور قوله

اذا انعمت عرسك وانت تحبها • فدع عن رهوا ولا تترك الموجا
ولا تطمعن الدهر في ان تقيمها • فقد خلقت في الاصل من ضلع عوجا

فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج اي فان التزوج اكثر حملا على غض البصر
وكفه عن النظر لما يحرك الشهوة واكثر تحصينا اي حفظا للفرج عن الزنا والمفضل عليه
التبتل وتحصين الفرج بقمع الشهوة ففيه تنبيه على الامرين المذكورين ثم لما كان في
التبتل زهد ظاهر ربما يتوهم انه افضل من التزوج دفعه بقوله **حتى لم يره** اي التزوج
والنكاح **العلما** بالدين والشرع **مما يقدح** القدح والطعن في الشي ذكر عيوبه اي
ليس مما ينقص الزهد حتى يجتنبه الناس فاسند القدح اليه مبالغة **في الزهد** اي ترك الدنيا
ولذاتها لانه من جملة التلذذ لان القصد به التعفف والنسل وهذا مروي عن عمر فانه
قال ليس في النساء سرف ولا في تركهن عبادة وزهد كما في تحفة العروس للتجاني **قال سهل
بن عبد الله** التستري وقد تقدمت ترجمته **قد حبب** بالبنا للمجهول والتشديد اي خلق الله
فيه تحبيبن والضمير للنساء **الى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن** اي اذا كان الله جعل
حبهن مركوزا في جبلة من هو ازهد الخلق فكيف ينبغي لاحد ان يزهد فيهن وفي سراج المريدين
في قوله تع والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين
اماما ان هذه الاية تدل على فضل التزوج على العزوبة لبقاء الذرية ودعايها الذي هو

عمل لا ينقطع بموته قلت ويدل على انه الافضل في حق من يقتدي به الناس **ونحوه**
اي مثل المروي عن التستري مروي **عن ابن عيينة** علم منقول من تصغير العين وهو سفيان
بن عيينة بن عمران الكوفي احد الايمة الاعلام الامام الحافظ روى عن كثير كالزهري وابن
دينار واحمد والزعفراني روى عنه خلق كثير وخرج له اصحاب الكتب الستة وكان يسكن
مكة وتوفي في رجب سنة ثمان وتسعين ومايه ومولده سنة سبع ومايه وكان اعور وترجمته
مشهورة وهو من تبع التابعين ادرك منهم ستة وثمانين نفسا **وقد كان زهاد الصحابة
كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح** كثيري النكاح بيا بين اصله كثيرين بصيغة
الجمع فحذفت نونه للاضافة يعني كانوا يكثرون من النساء حراير واماء اوانهم كانوا يطلقون
كثيرا فتكثر زوجاتهم بهذا الاعتبار كما قاله البجابي وكان علي عنه على اربع نسوة وتسع عشر
وليدة الا انه لم يتزوج غير فاطمة حتى ماتت وولد منها الحسن والحسين ومحسنا وتوفي صغيرا
في حياة رسول الله وهو الذي سماه محسنا كما ذكره الدار قطني والحسن كان من اشد الناس
حبا للنسا وكان مطلاقا قيل انه احصن سبعين على ما قيل حرة والسراري بتشديد اليا
وتخفيفها جمع سرية بالتشديد وكل ما كان مفرده مشددا كامنية وامنية يجوز في جمعه
التخفيف والتشديد والسرية هي الامة المنكوحة ولو مرة فلا تسمى سرية قبل الوطي حتى
ان من حلف بعتق زوجته عتق كل سرية له لم يكن لها عتق التي لم يطاها وهي منسوبة الى
السر الذي هو الجماع او الاخفا لانه كثيرا ما يخفيها عن زوجته فضم سينها من تغييرات النسب
كما قيل في النسبة للدهر دهري بالضم وقيل انها مشتقة من السرور لانه يسر بها فا بدل
احدي راءيها كما قالوا فطنت وتظننت وضم سينها لازم ولذا قيل عليك بضم صاد السرية
والتسري سنة وقد قال النبي عليه السلام عليكم بالسراري فانهن مباركات الارحام
وقد تسرى الانبيا والصحابة **وحكي** بالبنا للمجهول **في ذلك** المذكور من التزوج والتسري
وكثرته **عن علي والحسن** ابنه كما مر لانه المنقول عنه ذلك ولذا قدمه للحسن البصري فانه
لم ينقل عنه ذلك **وابن عمر وغيرهم** من الصحابة **غير شي** هذا هو نايب فاعل اي حكي عنهم
اشيا كثيرة في ذلك الاشياء واحدا وابهمه لكثرته كما في قوله **وقد كره غير واحد** من السلف
الصالحين **ان يلقى الله** اي يموت لان لقاء الله يكنى به عن الموت كما جاء في الحديث من احب
لقاء الله احب الله لقاءه وقال الراغب لقاء الله عبارة عن القيمة وعن المصير اليه قال تع
الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم واللقاء الملاقاة واصل معناه مقابلة الشي ومصادفته
معا وقد يعبر به عن كل واحد منهما **عزبا** بفتح العين المهملة والزاي المعجمة والبا الموحدة
هو الذي لا امراة له من عزب بمعنى تباعد يقال رجل عزب وامراة عزبة وعزب عنه علمه اذا
غاب عنه ولم يعلمه وهذا مروي عن ابن مسعود فقد حكي عنه انه كان يقول لو لم يبق من عمري
الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج لئلا القى الله عزبا • وماتت امراتان لمعاذ بن جبل
في الطاعون وكان هو مطعونا ايضا فقال زوجوني فاني اكره ان القى الله عزبا اي بعيدا
عن النساء وقال في الدرة العزب يقال للذكر والانثى وقد يقال للمراة عزبة ولا يقال
للرجل اعزب بالهمزة او هي لغة قليلة وفي التقريب قال ابو حاتم لا يقال اعزب قال النووي
هو في جميع نسخ بلادنا بالالف وهي لغة مشهورة وما وقع في بعض النسخ تقييده عزب بسكون
الزاي بالقلم كما قاله البرهان لا وجه له فانه خلاف المنقول في كتب اللغة **فان قلت كيف**

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا جعلها الشهوتهما وشهرة اتصافهما بما
ذكر بمنزلة المحسوس المشاهد ويحيى وزكريا بلغاته اعجميان وقيل انه عربي مشتق من الحياة لا
كالمفازة لان الله احيا قلبه بانوار النبوة الزاتية المقتبسة منه فقال انا نبشرك بغلام اسمه
يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال قتادة والكلبي لم يسم احد قبل يحيى بذلك فاحيا الله به دين عيسى
واشتق له من اسمه الحي اسما كما اشتق اسم سيدنا ونبينا محمد من اسمه المحمود كما قيل وكان عيسى ابن خالة
وكانت امه تقول لمريم اني اجد الذي في بطني يسجد للذي في بطنك ويحيى اكبر من عيسى وفي
عمره اختلاف فقيل مائة وعشرين سنة وقيل ثمانية وتسعين وقيل اثنين وسبعين ۝ واما زكريا فمن
ذرية سليمان وكان اخر من بعث من بني اسرائيل قبل عيسى ولما اراد بنو اسرائيل قتله فر منهم
فانفلقت له شجرة فدخلها فاخذ الشيطان بهدب ثوبه فلما راوه نشروا الشجرة حتى قطعوه في
جوفها ۝ واما يحيى فقتل بسبب امراة اراد ملكهم تزوجها فقال له يحيى انها لا تحل لك لانها بنت
امراته فتوصلت لقتله قيل ان يرفع عيسى فكان دمه يفور حتى قتل منهم بخت نصر سبعين
الفا وهذا قصاص الانبياء كما ان قصاص الملوك خمسة وثلاثين الفا كما قاله ابن عباس وقد قيل
ان الموت بعد استقرار اهل النار في النار واهل الجنة في الجنة يؤتى به بصورة كبش املح فيذبحه
يحيى وقيل الذي يذبحه جبريل والثاني روي في بعض التفاسير واما الاول فلا مستند له
وان ذكره بعض الصوفية قد اثنى الله تعالى عليه انه كان حصورا في قوله وسيدا وحصورا
والسيد الرئيس الشريف وفيه تفاسير ستاتي واما الحصور فمن الحصر وهو المنع ولذا اشتهر تفسيره
بمن انحصر عن النساء بحيث لا ياتيهن واخرج ابن جرير عن ابن عمر وعمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما من عبد يلقى الله الا ذا ذنب الا يحيى بن زكريا فان الله عز وجل يقول وسيدا
وسيدا وحصورا قال وانما كان ذكره مثل هدبة الثوب واشار بانملته وبه فسر ابن عباس
واورد شاهدا له من كلام العرب وعلى هذا بنى المصنف السؤال كذا في الشرح الجديد اقول
هذا الحديث لم يثبت وسئل النووي عن حديث ما منا الا من عصى الا يحيى بن زكريا واجاب في
فتاويه انه حديث ضعيف لا يحتج به رواه ابو يعلى في مسنده عن زهير عن عفان عن حماد
بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان بضم الجيم واسكان الدال المهملة عن يوسف بن مهران عن
ابن عباس قال ما احد من ولد ادم الا قد اخطا او هم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا واسناده
ضعيف لان ابن جدعان ضعيف ويوسف بن مهران مختلف في جرحه فكيف يثني الله عليه
في القران بالعجز عما نعده فضيلة وهو النكاح وكثرته وهذا عيسى بن مريم تبتل
من النساء اي انقطع عنهن بالكلية ولم يتزوج ولو كان كما قررتم ان النكاح بل كثرته فضيلة
ممدوحة لنكح اي لتزوج ليحوز هذه الفضيلة فاجاب بقوله فاعلم ان ثناء الله على يحيى
بانه كان حصورا ليس معناه كما قال بعضهم كما مر انه كان هيوبا اصل معنى الهيوب
الجبان من الهيبة وهي المخافة والهيبة ويأتي بمعنى من يخافه الناس وليس مرادا هنا بل المراد
انه كان جبانا عن النكاح او لا ذكر له الذكر بفتحتين معروف لم يرد ظاهره وانما اراد انه
صغير جدا او لا حركة له اصلا ولما ورد في بعض الاحاديث الضعيفة ان النبي اخذ نواة او قذاة
وقال ذكره مثل هذه وفي اخرى مثل هدبة الثوب وقال ابن المنذر كان عنينا وقد يطلق الحصور
على المجبوب الذكر والانثيين في حديث القبطي الذي امر النبي عليا بقتله قال فرفعت الريح
ثوبه فاذا هو حصور بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء حذاق جمع حاذق

بعني

بعني ما هو في علم التفسير والنقاد جمع ناقد وهو الذي يميز جيد النقد من رديه واصل
معناه الوزن وخلاف النسيئة ولم يذكر الاول القاموس وهو المراد هنا وقالوا هذه نقيصة
وعيب ولا تليق بالانبياء اي لا تصلح ولا تناسبهم من لاق الدواة يليقها اذا اصلحها
وانما معناه انه كان معصوما من الذنوب والعصمة عندنا ان لا يخلق الله فيهم ذنبا
وعند الفلاسفة ملكة تمنع الفجور وسياتي الكلام على تفصيل عصمة الانبياء اي لا ياتيها
كانه حصر عنها اي منع عنها فحصور بمعنى محصور قال البقاعي هذا الجواب ضعيف لما ورد
في حديث بشر بن عطية قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من تحصر في الاسلام وقال
لا حصور الا يحيى بن زكريا كما خرجه الماوردي وغيره وفيه نظر سياتي وقيل مانعا نفسه
من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النساء يعني ان له قدرة على الجماع ولكنه يمنع نفسه
عنها باشتغاله بغيرها من العبادة او له قدرة ولكن لا تتوق نفسه له ولا تريده فانهم عرفوا
الشهوة بانها توقان النفس الى الامور المستلذة وفرقوا بينها وبين الارادة بان الارادة اعم فان
الارادة قد تتعلق بما لا يشتهى كارادة شرب الدواء والاشتهاء ميل طبيعي غير مقدور ولذا
يعاقب بارادة المعاصي عند بعض ولا يعاقب باشتهائها فالمعنى ان الله عصمه بان لم يخلق
فيه ميلا للمشتهيات ولو لم يعتبر ما ذكر لما صح تعقيبه بقوله فقد بان لك من هذا ان عدم
القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها وهذا معنى ما
قاله البسيلي في تفسيره ان الظاهر ان كونه حصورا كان عن اختيار منه لان خلافه نقص في
الخلقة وعيب تنزه عنه الانبياء وما ذكره ابن حزم في الملل والنحل من ذمه انما يتمشى فيما كان
لمجرد الشهوة البهيمية اما ما كان لتكثير النسل في الاسلام فلا ذم فيه وقال ابن العربي
قول من قال الحصور هو الذي يكف عن النساء عن قدرة هو الصحيح لوجهين احدهما انه اثنى
به عليه ومثله انما يكون على المكتسب لا الجبلي الثاني ان حصورا فعول من صيغ المبالغة وهي
انما تكون في الافعال الاختيارية فهو كف عن قدرة وهو في شرعه مطلوب بخلاف شرع نبينا
لنهيه عن التبتل انتهى فاندفع ما قيل ان قوله لا شهوة له في النساء لا وجه لذكره هنا لانه في
مقام الجواب عما اورده وهذا مما لا يراد لا جواب عنه وما ذكره في هذا المقام هو وجه تفضيل
البشر على الملك ۝ فان قلت فما تقول فيما ورد في الحديث على فرض صحته من انه عنين او
ما له كقذاة او نواة او هدبة ثوب ۝ قلت اجيب عنه بانه لغلبة خوف الله عليه وشدة الرياضة
التي كانت مشروعة له وبليت اعضاؤه واضمحلت حتى صار كانه مثل ما ذكر لا انه لنقص في
خلقته فهو على طريق التشبيه والتمثيل اما بمجاهدة متعلق بقمع والمراد يعني ان الله خلق
الانبياء على احسن تقويم فلهم قوة على الجماع زائدة على غيرهم الا ان منهم من قهر شهوته وغلبها
حتى اضعفها وذلك اما بمجاهدة كافراط الرياضة بجوع وسهر وخلوة عنهن للعبادة وهو
المراد بالمجاهدة لانه بمجاهدة نفسه يمنعها عما تريده من الشهوات وهو الجهاد الاكبر كعيسى
عليه الصلاة والسلام او بقهرها بعدم مطاوعتها على ما تريد بل لان الله خلقه وجعل فيه
ملكة تعينه على ترك الشهوات من غير مجاهدة وهو المراد بقوله او بكفاية من الله كيحيى عليه
السلام فان الله صرفه عن شهوة الجماع قيل والاليق ان يكون له قدرة قمعها بالمجاهدة كعيسى
ولذا فسر البيضاوي حصورا بمبالغ في حبس نفسه عن الشهوات والملاهي والتبتل في حق
المعصوم امر مطلوب وفي غيره منهي عنه وكان مشروعا في دينهم كما ان فترك التزوج عبادة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عندهم لمن قدر على صون نفسه عن الشهوات وكان يحيى عليه الصلاة والسلام شديد الخوف
من الله حتى قيل انه وضع وجهه على الارض وبكى حتى ذهب لحم خديه وبدت اضراسه
للناظرين **فضيلة زائدة** مرفوع خبر للمبتدأ وهو قمعها في قوله ثم قمعها اي ترك الشهوة
والجماع بعد القدرة والقوة عليه فضيلة محمودة وصفة حميدة زائدة في الخلقة على اصلها
لكونها شاغلة وفي نسخة مشغلة قال التلمساني مفعلة من الشغل وروي مشغلة اسم فاعل
من اشغل وهو قليل وروي شاغلة انتهى قلت الاخير هو الصحيح رواية ودراية لان الاشغال
لغة ردية ولذا وقع الصاحب على رقعة فيها الاشغال من قال اشغالي لا يصلح لاشغالي
وهو لم يقع في النسخة المنزل ولذا **في كثير من الاوقات** اي لكون الشهوات تشغل الانسان كثيرا
عن العبادة والمهمات **حاطة الى الدنيا** اسم فاعل من الحط وهو الانزال من علو الى اسفل وهو
منصوب خبر بعد خبر لكون اي تنزل الانسان الى شهوات الدنية لمن لم يعصمه الله عن التخلي
لها ويمنعه عن اشتغال قلبه بها **ثم هي** اي الشهوة لا الفضيلة الزائدة في الجماع **في حق**
من اقدر عليها بالبناء للمفعول اي من اقدره الله على شهوته فلم تغلبه **وملكها** اي تصرف
فيها كما يريد منعا وفعلا وهو بفتح الميم واللام المخففة مبني للفاعل وبضم الميم وكسر اللام
المشددة والبناء للمجهول وقال التلمساني هو اولى ليكون على نسق اقدر والحق هنا بمعنى الشأن
والحال كما يقال الغنى في حق الكريم حسن **وقام بالواجب فيها** معطوف على ملكها اي من
ملك شهوته ولم تمنعه من القيام بما يجب عليه من مهمات دينه ودنياه لان ما يمنع عن ذلك
ينبغي تركه وفيها متعلق بقام اي قام بما يجب عليه وهو ملتبس بها **ولم تشغله عن ربه**
شغل يشغل كسأل يسأل وقوله **درجة عليا** مرفوع خبر هي اي مرتبة رفيعة عند الله وعليا
بفتح العين والمد وهي في الاصل كل مكان مشرف اي مرتفع والمراد به علو المنزلة **وهي**
درجة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اي هذه الدرجة العليا عند الله التي وصل اليها في
الدنيا مع انها غير شاغلة له عن التقرب الى الله بفعل ما يجب عليه من العبادة ودعوة الخلق
الذي لم يشغله صفة لمحمد صلى الله عليه وسلم مبينة لما قلناه **كثرتهن** اي النساء **عن**
عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة على عبادته المعروفة من الصلاة والصوم وقيام الليل
لتحصينهن اي جعلهن محصنات متعففات بنكاحه لهن **وقيامه بحقوقهن** من النفقة
والكسوة وغير ذلك فان فيه اجرا ايضا **واكتسابه لهن** فان الكسب الحلال للعيال عبادة
وارشاد للخلق وان كان الله لو سأله ذلك اوصله له من غير كسب لكنه ملتزم لمقام العبودية
وهدايته اياهن بتعليم الدين بعد خلوص الايمان بالله ورسوله ثم ترقى لمرتبة اعلى من هذه
بين وقته ان حظوظه الدنيوية ليست ناشئة عن ميل قلب وتوجه فكر حتى يشغله عن ربه فاضرب
عما يوهم ذلك فقال **بل صرح بانها ليست من حظوظ دنياه** هو جمع حظ كحاظ واحظ وهو
النصيب المقدر بما يسر به ويقال حنظ بالنون وهي لغة يمانية **وان كانت من حظوظ دنيا**
غيره من الناس فانهم يسرون بها ويعدونها لذة عظيمة واضافة الدنيا ومحبتها فان قلبا
امتلا بمحبة الله لا يدخله محبة غيره كما قيل

تملك بعض حبك كل قلبي * فان ترد الزيادة هات قلبا

ثم فسر تصريحه بانها ليست من حظوظه بالحديث فقال **حبب الي** بالبناء للمجهول **من دنياكم**
النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة قال السيوطي هذا الحديث رواه الحاكم والنسائي

عن انس

عن انس بدون لفظ ثلاث الا ان احمد رواه عن عائشة ولفظه كان يحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الدنيا ثلاثة اشياء النساء والطيب والطعام فاصاب اثنين ولم
يصب واحدة اصاب النساء والطيب واسناده صحيح الا ان فيه رجلا لم يسم وقد روي
هذا الحديث من طرق اخر يقوي بعضها بعضا فهو صحيح الا ان اكثر الحفاظ على انه ليس فيه
لفظ ثلاث كابن حجر العراقي وابن القيم وانها مدرجة في الحديث ومن رواها فيه فقد وهم
وخالفهم في ذلك ابن فورك وقال انها مروية في الحديث والف جزءا مستقلا صحح فيه روايتها
ولم اقف عليه وتبعه في اثباتها الزمخشري في سورة آل عمران والراغب وابن عربي في الفصوص
وغيرهم ومن وهمهم قال الصلاة ليست من امور الدنيا فلا يصح عدها منها فجعلوه وهما لفظا
ومعنى ومن اثبتها افترقوا فرقتين فرقة قالت ان المراد بامور الدنيا ما وقع في الدار الدنيا
لزمن كان او عبادة فالصلاة من امورها على هذا وفي لفظ ثلاث تغليب للمؤنث على المذكر عكس
القاعدة المشهورة لنكتة وغير الاسلوب في الثالث فعبر عنه بالفعل اشارة لمغايرته لما
قبله وفيه عطف الفعل على الاسم الجامد والمعروف عطفه على المشتق كما قال ابن مالك

واعطف على اسم شبه فعل فعلا * وعكسا استعمل تجده سهلا

وفرقة قالت زيادة مخلة بالمعنى كما توهم وفرقة ذهبت الى انه نوع من البديع يسمونه الطي وهو
ان يذكر جمعا مرتبا تفصيله فيذكر بعضا منه ويترك بعضا فالثالث يطوى ذكره في الحديث
لنكتة كابهامه على السامع لعدم ارادته ووقوف السامع عليه لنكتة فان كان هنا الطعام
كما ورد التصريح به في رواية احمد فطيه لخسته عنده واستشهد والده بقوله

ان الاحامرة الثلاثة اهلكت * مالي وكنت بهن قدما مولعا
الخمر واللحم الغراء والطلا * بالزعفران فلا ازال مولعا

وقوله

كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم * من العبيد وثلث من مواليها

وفيه مع النكتة المذكورة تقليل اللفظ مع تكثير المعنى وقد يقال لا شاهد فيما ذكر اما الاول
فالثالث قوله والطلا الخ على نهج ما تقدم في الحديث واما الثاني فلانه ذكر قبيلة حنيفة
وجعلها اثلاثا عبيدا وموالي وحلفا فنفى نفس القبيلة وضمها وهي مذكورة اولا وقال حبب
بالبناء للمجهول ودنياكم بالاضافة اليهم ولم يقل احببت من دنياي اشارة الى ان محبته ليست
باختياره لشهوات نفسه بل بفعل الله فمحبته انما هو لله وذاته لما اراده ورضيه له لانه بشري
الظاهر ملكي الباطن لا يتحلى باحوال البشر الا اذا امره به ليتاسى به امته ويتشرف
بما رضيه له فعده من البشر كعد الياقوت من الاحجار وكان اذا دخل في الصلاة اشتغل ظاهره
وباطنه عن الخلق لوقوفه بين يدي خالقه وبذاته قربا ومشاهدة فيتصل نور بصره بنور
بصيرته فلذا جعلها قرة عينه ولذا شرع السلام لعوده الى من عنده من معراجه ولذا كان
بعض الناس يصافح من عنده فافهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم جلس مع اصحابه الاربعة
فقال حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة فقال ابو
بكر وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا ثلاث الجلوس بين يديك والنظر اليك وانفاق
جميع مالي عليك وقال عمر وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا ثلاث الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وحفظ الحدود وقال عثمان وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا ثلاث افشاء السلام
واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وقال علي وانا يا رسول الله حبب الي

شبكة الألوكة www.alukah.net

من الدنيا ثلاث إقراء الضيف والصوم بالصيف والضرب بين يديك بالسيف • فنزل
جبريل وقال وأنا يا رسول الله حبب إلي من دنياكم ثلاث حب المساكين وتبليغ الرسالة للمسلمين
وأداء الأمانة • وأتى نداء من قبل الله وهو يقول إن الله يحب من دنياكم ثلاث بدن صابر
ولسان ذاكر وقلب شاكر فالخطاب على هذا للخلفاء الأربعة ويجوز أن يكون لجميع الناس والأخير
فدل على أن حبه لما ذكر من النساء والطيب الذين من دنيا غيره أي دل ما ذكر من بناء حبب
للمجهول وإضافة الدنيا لغيره **واستعماله لذلك** بالنصب عطفا على اسم أن والمراد باستعماله
مباشرته للجماع وتطييبه وتضمخه بالطيب **ليس لدنياه** والتلذذ فيها **بل لآخرته** أي
استعمالها بنية العبادة التي هي من أمور الآخرة **للفوائد التي ذكرناها في التزويج** من
تحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه وهدايته لهن **وللقاء الملائكة في الطيب**
أي استعماله لأجل محبة الملائكة وهو بلا فيهم كثيرا ولذا ترى أصحاب العزائم والهياكل
يلازمون البخور لمحبة الروحانية له **ولأنه أي الطيب مما يحض على الجماع ويعين عليه** أي
مما يحرك داعية الجماع ويقويها لانتعاش الروح **ويحرك أسبابه** أي يهيج مقدماته كالشهوة
والقبلة أو المراد آلته فكنى عنها تأدبا واحتشاما وهو تعبير حسن **وكان حبه لهاتين
الخصلتين** الجماع والطيب **لأجل غيره** أي الزوجات والملائكة **وقمع شهوته** لا لمجرد الملذة
والتنعم كغيره وإن كان قادرا على ذلك ولذا كان لا يرد الطيب إذا أهدي إليه وفي الحديث
من عرض عليه طيب فلا يرده فإنه طيب الريح خفيف المحمل وإذا أعطي أحدكم ريحانا فلا يرده والمراد
الريحان المعروف أو كل ذي رائحة طيبة **وكان حبه الحقيقي المختص بذاته** لا لأمر آخر عرضي
يرجع بالآخرة إلى الدين والثواب **في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته** الجبروت فعلوت
كالرهبوت والملكوت والمراد عظمة الله سيده ومولاه والمناجاة المسارة بتلقي وحيه ودعائه
وقراءة القرآن وقال الدواني في شرح هياكل النور الجبروت يراد به عالم العقول أي الملائكة
ويسمى أيضا بالملكوت الأعلى والأعظم قيل إنما سمي بالجبروت لأنها مجبورة على كمالاتها الفطرية
أو لأنه جبر نقصها الإمكاني بحصول ما يمكن لأنها بالفعل انتهى **ولذا ميز بين الحبين** أي
حب ما هو من أمور الدنيا ظاهرا وبين حب ما هو حقيقة لله **وفصل بين الجانبين** أي حال
المحبتين لتغير العبارة والأسلوب كما هو **فقال وجعلت قرة عيني في الصلاة** فأوردها
جملة فعلية معطوفة على اسم قبلها لعظمها شأنها وتحتمها لأمرها لكونها محبوبة لذاتها فليست
معطوفة على حبب عطف الفعلية على الفعلية كما ذهب إليه من جعل الثالث مطويا كما عرفته وقرة
العين ما يسر من ينظر من قر يقر بالفتح إذا برد لأنه كما قيل دمعة السرور باردة أو من القرار
والسكون لسكونها إذا نظرت من تحب أو ثبوتها لأن الحزين يسهر وقد قيل عيني تقر بكم
عند تقربكم ولو لم يغير الأسلوب قال والصلاة التي بها قرة عيني أو وقرة عيني في الصلاة
فلا يحصل التمييز بين ما حبه عرضي وبين ما حبه ذاتي وحقيقي وبهذا القول علم أنها ليست
من دنياهم وهذا إنما يتوهم إذا كان الحديث بما لفظ والمصنف ممن لا يقول بصحته كما سيأتي في فصل
وقارورة والمراد بالصلاة الصلاة المعروفة لما يشاهد فيها كما مر وقيل المراد صلاة الله وملائكته
عليه قال ابن قرقول والأول أظهر **وقد ساوى يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن**
يعني أن يحيى وعيسى تبتلا وتركا التزوج مع القوة والقدرة خوفا من فتنة النساء وهي
تمكن حبهن في قلبه والاشتغال بهن عن العبادة في مشاهدة عالم الملكوت وهن لم يشغلنه ولم

يمنعه

يمنعه في حال من الأحوال فسواهما عدم الاشتغال حتى كان الوحي ينزل عليه وهو في فراش
زوجاته وإعانة خديجة في مبتدأ أمره فلا يقال إنه حال مضاجعتهن مشغول عن عبادته
لأن نعد جماعه عبادة **وزاد فضيلة عليهما بالقيام بهن** أي له فضيلة بقيامه على
زوجاته وكسبه لهن وهدايته لهن مع عدم غفلته طرفة عين عن الله فكان صلى الله عليه وسلم
ممن أقدر بالبناء للمجهول أي ممن أقدره الله على القوة في هذا أي أمر النكاح مع القيام بحقه
وحق الله وليس في هذا دلالة على أن غيره أقدر منه كما توهم **ولهذا أبيح له من الحرائر** جمع حرة
على خلاف القياس لكونه بمعنى فعيلة يجمع جمع فعيلة • كما قال النابغة

حلالا على أن لا تنال مقادتي • ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا •

ما لم يبح لغيره من جمع ما فوق الأربعة وهو من خصائصه بالنسبة لأمته فأبيح له أن ينكح من
النساء ما شاء في أول أمره ثم حرم عليه بعد ذلك أن يزيد على ما في عصمته من أزواجه فقال لا
يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك قاله
اليماني وقال مغلطاي له في خصائصه صحة منها إباحة تسعة نسوة والصحيح أن له الزيادة
وقد روينا عن أنس قال السيوطي هذا الحديث عزاه المصنف للنسائي قال بعض الشراح من
قال لا تزيد على التسعة استدل بقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع وهو
خطأ بالإجماع لأنه ليس معنى الآية وليست الآية في حقه وإنما هي في حق الأربعة والزيادة
على الأربعة لهم ممنوعة بالإجماع الدال على معنى حديث غيلان ولم يخالفه مستند لا بهذه الآية
إلا بعض الروافض والزيادة كما فصله ابن حزم في كتاب النحل وهو عند البخاري ورويناه بفتح الراء
والواو المخففة وقال الشمني من أنه بضم الراء وكسر الواو المشددة لا وجه له **أنه كان صلى
الله عليه وسلم يدور على نسائه** أي يجامعهن من دار على كذا وطاف به إذا مشى حوله
فجعل كناية عما ذكر **في الساعة من الليل والنهار** أي في مقدار ساعة منهما فقدرته على ذلك
مع ما كان عليه من قلة الأكل والشرب معجزة في حقه قيل والتبتل في حق يحيى وعيسى عليهما السلام
لتشبههما بالملائكة كان أفضل في زمانهم وورد عليهن كان برضاهن فلا ينافي القسم **وهن
إحدى عشرة** أي نساؤه اللاتي دار عليهن كذلك عدتهن قال البرهان كذا في صحيح البخاري
من حديث أنس وقال ابن خزيمة لم يقل أحد من أصحاب قتادة بأنهن إحدى عشرة إلا معاذ بن هشام
عن أبيه وعن أنس رواية أخرى في البخاري أنهن تسع وجمع بينهما بأن أزواجه كن تسعا في
ذلك الوقت كما في رواية سعيد وسريتاه مارية وريحانة عند من قال إن ريحانة كانت
أمة وبعضهم قال إنها زوجة وروى أبو عبيد أنه كان مع ريحانة فاطمة بنت شريح وقال
ابن حبان كان هذا أول ما قدم المدينة فكانت تسعا لأنه جمع نسائه لم يقع مرة واحدة ولا
يستقيم إلا في آخر أمره حيث اجتمع عنده تسع نسوة وجاريتان ولا يعلم اجتماع إحدى عشرة
امرأة أولاهن خديجة ولم يتزوج عليها حتى ماتت انتهى ما ذكره البرهان وكلام ابن خزيمة يدل
على أن رواية الإحدى عشرة مرجوحة والتسع راجحة وجمع بينهما بأن مع التسع فاطمة بنت
شريح وريحانة على القول بأنها زوجة فصدق الجمع منه مرة تسعا ومرة إحدى عشرة وأيضا
قيل الأولى محمولة على الحقيقة والأخرى على تغليب الزوجات على السريتين وهما ريحانة
ومارية فإن قيل الرواية بلفظ النساء وهن حقيقة في غير الرجال فلا حاجة إلى التغليب
قيل لا يقال إنه حقيقة في ذلك إلا إذا لم يضف للأزواج الإماء كما في الحديث وقوله تعالى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والذين يظاهرون من نسائهم فان اضيف لم يتناول الاماء حقيقة ولذا احتج علماونا بهذه
الاية على عدم ظهار الاماء خلافا لمالك وقد تبعه النجاني اذ جمع بين روايتي انس بانهن تسع
حرائر واخرى عشرة منكوحة وسريتان لدخول السراري في النساء كالاية والنساء والنسوة
والنسوان جمع المراة من غير لفظها كالقوم في جمع المرء وقد مر ان طوافه على نسائه في ساعة واحدة
لا ينافي القسم اذ قلنا بوجوبه عليه ولم يقل انه من خصايصه اذ لا يجب عليه القسم وقد ذهب
الى هذا الزيلعي من ايمتنا وبعض المحدثين فقسمه انما كان تطييبا لخاطرهن تفضلا منه وتعليما
لامته ولذا كان يقرع بينهن اذا اراد السفر مع ان القسم انما يجب عليه في الحضر او نقول هذا برضاهن
مع ان هذا لا يفوت القسم لمساواتهن فيه والاختيار في القسم للزوج ويدل على عدم الوجوب
انه روي انه كان يقسم لثمان ويترك واحدة منهن قيل انها صفية بنت حيي كما في مسلم وعليه قوله
ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء وقال المنذري كان ممن يؤوي عايشة
وام سلمة وزينب وحفصة وممن ارجاه سودة وجويرية وام حبيبة وصفية وميمونة
واستدل القايل بالوجوب بحديث الترمذي انه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول اللهم
هذا قسمي فيما املك فلا تواخذني فيما تملك ولا املك وقد يقال هذا قبل اعلامه بعدم الوجوب
عليه او لعدوله عن الافضل في حقه والكلام على زوجاته مفصل في السير والواو في
قوله من الليل والنهار بمعنى او قال انس وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا في الجماع
وهذا تتمة الحديث قبله خرجه اي رواه مسندا النسايي وقد تقدم ان البخاري رواه ايضا
وروي بالبنا للفاعل والمفعول لان هذا الحديث مروي عن ابي رافع ايضا في سنن ابي داود
والبيهقي والنسايي ولفظه طاف على نسائه في يوم او ليلة واحدة وكان يغتسل عند هذه
وهذه ولذا قال نحوه لاختلاف لفظه وزيادته وابو رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو قبطي واسمه ابراهيم وقيل اسلم وقيل ثابت وقيل هرمز وقيل صالح وقوله قوة ثلاثين قال
البرهان الحلبي في الصحيح للاسماعيلي عن معاذ اعطي قوة اربعين رجلا وفي حلية ابو نعيم عن
مجاهد قوة اربعين رجلا من رجال الجنة وفي الترمذي ان قوة كل رجل من رجال الجنة قوة
سبعين رجلا يعني من اهل الدنيا وصححه وفيه قوة مائة رجل وقال انه صحيح غريب وقال
ابن حبان قوة كل رجل في الجنة قوة مائة رجل والنسايي هو الامام الحافظ الحجة ابو عبد الرحمن
احمد بن شعيب بن علي صاحب السنن سمع من قتيبة وطبقته واصحاب مالك وحماد بن زيد وانتهى
اليه علم الحديث وروى عنه كثيرون وتوفي سنة ثلاث وثلثمائة ومولده قيل انه سنة خمس
عشرة ومايتين ولم يبق من اصحاب الكتب الستة بعد البلاد ثمانية غيره فعلى هذا قوته قوة الوف
ووقع في بعض النسخ هنا برواية اللخمي عن المصنف وعن طاوس اعطي عليه السلام قوة اربعين
رجلا وقد تقدم من رواه وما فيه وطاوس هو الامام عبد الرحمن بن كيسان وهو من ابناء الفرس
وقيل من النمر بن قاسط وقيل اسمه ذكوان ولقب بطاوس لانه كان طاوس القراء وروى عن
عايشة وابي هريرة وابن عباس وغيرهم وروى عنه الزهري والتيمي وابنه وغيرهم وتوفي بمكة
سنة ست ومائة واخرج له اصحاب السنن وغيرهم وعن صفوان بن سليم بالتصغير وهو امام
عابد قيل انه لم يضع جنبه على الارض اربعين سنة حتى ثقبت جبهته من السجود وتوفي في
سنة اثنين وثلاثين ومائة وهو تابعي روى عنه اصحاب السنن وقالت سلمى مولاته بفتح السين
بلا خلاف وغلط من ضمها كما قاله النووي والضمير للنبي لا خادمه ونقل انها مولاة صفية عمته

وهي زوج

وهي زوج ابي رافع داية فاطمة الزهراء وروى عنها ابن ابنها عبيد الله وهو الحديث الصحيح
رواه ابو داود كما قاله السيوطي طاف النبي عليه السلام على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة
اي من جماع كل واحدة منهن قبل ان ياتي الاخرى وقال هذا اي الغسل من كل جماع اطهر واطيب وروي
ازكى واطيب اما كونه اطهر فظاهر واما كونه اطيب فلانه يقوي البدن بانعاشه وقيل الطيب
للباطن والطهر للظاهر وهذا الحديث لان سلمى روته عن زوجها ابي رافع وفيه دليل
على ان الغسل على الفور لا لكل جماع وقيل انه لم يغتسل يستحب له الوضوء وضوء الصلاة وروي
عنه عمر انه لازم وورد في الصحيح انه كان يطوف على نسائه بغسل واحد لبيان الجواز وحمل بعضهم
الوضوء في قوله اذا اتى احدكم اهله فليتوضا على الوضوء اللغوي اي فليغسل فرجه وهذا بناء
على ان الوضوء لا يستحب كما قاله ابو يوسف وذهب بعضهم الى انه انشط كما ورد في الحديث وقال
سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك
الطواف عليهن وجماعهن كما قاله في صحيح مسلم عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال قال سليمان
بن داود لاطوفن الليلة على سبعين امراة كلهن تاتي بغلام يقاتل في سبيل الله فقال له صاحبه
او الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسي فلم تات واحدة منهن بولد ولا واحدة جاءت بشق غلام فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال ان شاء الله لم يحنث وكان له دركا لحاجته وفي رواية على ستين
امراة وفي رواية على تسعين وفي اخرى على تسعة وتسعين وسياتي الزيادة وما فيها قالوا
ولا تعارض بين الروايات لان اثبات القليل لا ينفي الكثير والعدد لا مفهوم له ثم ان هذه النساء
ان كانت اماء او بعضها حرائر وبعضها اماء فلا اشكال وان كانت حرائر فلان الحصر في الاربع
لم يكن شرعا لمن قبلنا وانما صار شرعا لنا لضعف الابدان وقلة الاعمار ويقال طاف به اذا
دار حوله وقد قدمنا انه كناية عن الجماع وعلى اختلاف اللفظين جاءت روايتان لاطوفن ولاطيفن
وفي الحديث جواز القسم والتعليق بالمشية واما كون سليمان لم يقلها وانه نسيه فسيذكره
المصنف في اول القسم الثالث وقوله في الحديث لم يحنث بمعنى لم ياثم ويخطي لانه فعله ولم يقسم
عليه الولد لانه ليس في قدرته ومثله لا يخفى عليه والدرك بفتح الراء بمعنى الادراك
والتحصيل وفي البخاري كان ارجى لحاجته وسليمان نبي الله امره ونسبه مفصل في القصص
والتواريخ قال ابن عباس كان في ظهر سليمان ماء مائة رجل المراد بالماء المني ومنبعه
من الرجال صلب الرجال كما ذكروه في قوله ثم يخرج من بين الصلب والترائب والمراد ان قوته
مائة رجل في الجماع وكانت له ثلثمائة امراة وثلثمائة سرية وحكى النقاش في
ترجمته انه كان له سبعمائة امراة وثلثمائة سرية وروي ان له الف امراة وسبعمائة
سرية وهذا الحديث فيما تقدم من العدد وقد تقدم مما اجابوا به عنه الان بعضهم ضعفه
وجمع بين الروايات بان بعضها محمول على الحرائر وبعضها محمول على الحرائر والسراري ولا يخفى
ما فيه ولو قيل ان الاختلاف لاختلاف احواله باعتبار الزمان فكانت تزيد وتنقص بهذا
الاعتبار وفي تفسير النسفي عكس ما حكى المصنف عن النقاش فقال كان لسليمان ثلثمائة حرة
وسبعمائة سرية وكذا في الكشاف والله اعلم بالصواب وقد كان لداود واكله من عمل
يده لان الله الان له الحديد فكان يصنع منه الدروع ويبيعها وياكل هو واهله من ثمنها
مع ما آتاه الله من الملك وافضل ما انفق المرء ما كان من كسب كالصنعة والتجارة والزراعة
واختلفوا في الافضل منها وفضلوه بما لا مزيد عليه ولا حاجة لنا به بتسع وتسعين امراة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كما ذكره القشيري في تفسيره **ويمّت بزوج اوريا مائة** يقال لكل قرينين من ذكر وانثى
زوج وزوجة ردية واوريا علم الرجل من بني اسرائيل عبراني واختلفوا في ضبطه بعد
الاتفاق على انه بهمزة وواو مهملة ومثناة فقيل ممدود وقيل مقصور وهمزته مضمومة وواوه
ساكنة وراوه مكسورة وياؤه مفتوحة بعدها الف وقيل همزته مفتوحة وهو اوريا بن حنان
وقال ابو الفرج الاصبهاني في كتاب النساء هو اوريا السعدي وزوجته هي ام سليمان النبي
صلى الله عليه وسلم وقصته هي المذكورة في القرآن في قوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون
نعجة وقصتها ستاتي وما فيها في القسم الثالث من هذا الكتاب ولكنا نورد هاهنا تبعا لما في
بعض الشروح ان داود كان في ملاء من بني اسرائيل فاعجب بعلمه وانه لا يخاف الفتنة ويقال
انه قال للملكين الحافظين له اني لا اتم في مكروه عشيتها او حضرتما فانفرد في محرابه يوما
فوقع بين يديه طاير حسن الهيئة يقال انه ابليس فمد يده لياخذه فزال من موضعه غير بعيد
فتبعه فخرج من مدخله فاطلع داود منه فرأى امراة جميلة تغتسل فاعجبته فلما شعرت به
ارسلت شعرها وابيها ليسترها فزاده ذلك عجبا وميلا لها فانصرف وسال عنها فقالوا انها
امراة رجل من جنده يسمى اوريا وكان مع جيش له بعثه للقتال فارسل الى الامير ان يجعله مع التابوت
في المقدمة وهو معترك الحرب واشده فقدمه فاستشهد فلما جا خبر الشهيد كان كلما اخبر
برجل منهم توجع فلما اخبر به قال الموت على كل نفس وخطب امراته وتزوجها فولدت له سليمان
فبعث الله له خصمين ليعلمه بحكمه ان ما فعله ظلم وهو اشد عليه فتسورا حائطه ودخلا
عليه ففزع منهما لخوف انهما من اهل مملكته بغاه لان التسور في العادة كذلك لانه كان ليلا
بلا استيذان ففهما منه الخوف وقالا لا تخف وقصا امرهما وقالا له احكم ولا تجر كما قصه
الله وقدرا كلامهما على لسان اوريا وقوله ثم اكفلنيها اي اجعلها في كفالتي او كفلي بمعنى
زوجني والنعجة كناية عن المراة وقوله عزني اي غلبني لقوته وقهرني فقال داود لخصمه
ما تقول فاقر فزجره وامره بالرجوع للحق وقال لقد ظلمك فبتسما وذهبا وقيل ارتفعا الى السما
فشعر بما ارادا وقيل بينا له ما فعل وعرفاه انه ما اتاه تمثيل له فخر ساجدا واناب فغفر الله
له فقال يا رب ما اصنع اذا طالبني بريته فقال استرضيه فسر بذلك قالوا وهذه القصة مما
افتراه القصاص واهل الكتاب حتى روي عن علي من حدث بقصة داود جلدته مائة وستين
وهو حد قذف الانبيا عنده والمعتمد ان داود رأى امراته فاعجبته فساله تطليقها فطلقها
بطيب خاطره فتزوجها ومثله في شرعهم جائز وقد كان مثله في صدر الاسلام مع المهاجرين ۞
وسياتي بقية الكلام على هذا **وقد نبه الله على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا
اخي الاية** حكاه عن الخصمين اللذين نزلا نفسهما منزلة اوريا ونزل احدهما الآخر منزلة الاخ
لان الصحبة كالاخوة كما قال ۞

صحبة يوم نسب قريب • وذمة يعرفها اللبيب •

استدل بالظلمة والعرب تكني عن المراة بالنعجة وهي في الاصل الانثى من الضان وتاؤها
لتاكيد التانيث لان مذكرها لفظ مخصوص هو خروف وتطلق على البقرة الوحشية ايضا
فاستعيرت للمراة كما استعير لها الشاة في قوله ع

يا شاة ما قنص لمن حلت له • حرمت علي وليتها لم تحرم •

وفي مصحف بن مسعود نعجة انثى لمزيد تاكيد التانيث او لبيان المراد كحديث لاولى رجل ذكر

وقيل انثى بمعنى امراة مؤنثة ليست انس بها وجها وضدها امراة مذكرة وهي التي لا
تلين لزوجها ولا يانس بها ووصفها بواحدة تشنيع على ظلم صاحبه بانه مع كثرة نعاجه حاله
مع قلة ما عنده **وفي حديث انس عنه عليه الصلاة والسلام** رواه الطبراني في الاوسط
بسند جيد كما قاله السيوطي **فضلت** بالتشديد والبنا للمجهول **على الناس باربع السخا
والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش** البطش هو قوة السطوة والاخذ بعنف وعطف على
كثرة الجماع لما فيه من اذهاب القوة لانه ما الحياة يصب في الارحام ولنور العين ومخ العظم
اشارة الى انه لم يضعف قوته وانه مزاد امده وسياتي معنى السخا والشجاعة **واما الجاه** وهي
كونه وجيها عند الناس بتسخير القلوب وطاعتها ومحبتها والانقياد لها له بحيث يقدر على استعمال
اربابها في مقاصده وهي لا تنقاد الا باعتقاد الكمال التام عندها حتى يستعبدهم كما يستعبد
الارقا **فمحمود عند العقلاء عادة** منصوب على الظرفية او الحالية اي جرت عادة العقلاء
بحمده ويجوز جعله تمييزا وعند متعلق بمحمود ظرف لغو وقيل انه حال وكونه محمود عقلا يقتضي
انه محمود شرعا بحسب ذاته واصله وان كان قد يذم شرعا بحسب ما يعرض له عند بعض الناس
وهو اعظم نفعا من المال يكتسب به ولا يخشى عليه ما يخشى على المال **وبقدر جاهه** اي الانسان
يعظم في القلوب بمقدار عظمة جاهه وقيل المراد جاه النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا
بالنبوة وفي الاخرة بلواء الحمد والشفاعة يكون **عظمه** بكسر العين وفتح الظاء المشالة وفي
آخرها الضمير كما قاله البرهان الحلبي **في القلوب** لان الجاه كما تقدم متفرع على اعتقاد
الكمال والقدرة وكلما ازداد اعتقاده زادت عظمة شانه في قلوب الناس وقد كان صلى الله
عليه وسلم مهيبا معظما حتى عند اعداء الله ثم ايد كونه محمودا بقوله **وقد قال الله تعالى
في صفة عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا والاخرة** اي عظيما ذا جاه عند الله
في الدارين وفيه دليل على ان الجاه من الوجاهة فقلبت وكان اصله وجه فوزنه عفل
ووجيها منصوب على انه حال مقدرة من كاف قوله ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله
ووجاهته في الدنيا بالنبوة وفي الاخرة بعلو رتبته ثم استدرك على كونه محمودا بدفع
ما يتوهم من انه مذموم لما فيه من العلو فقال **لكن افاته كثيرة** جمع آفة وهي العاهة
والمفسدة اي يعرض له ما يفسده ويجعله مذموما كثيرا **فهو مضر لبعض الناس** باعتبار
ما يعرض له **لعقبى الاخرة** باعتبار ما يعقبه ويترتب عليه في الاخرة فاللام لتقييد
التاقيت والتخصيص بالوقت كما قيل ويجوز ان تكون تعليلية **فلذلك** اي لضرره في
العاقبة **ذمه من ذمه ومدح ضده** وهو الخمول وعدم الشهرة بين الناس اي انما ذمه
من ذمه لهذا لا لانه في نفسه امر مذموم كما ورد في الحديث الصحيح ما ذيبان جائعان
ارسلا في غنم بافسد لها من حب المال والجاه لدين المؤمن وقد فصله في الاحيا فقال
طلب رفعة المنزلة في القلوب باعتقاد صفة ليست فيه كالعلم والزهد حرام لانه كذب
وتلبيس وطلبها بما فيه ليجعلها وسيلة لنفع الناس ونفعه في الاخرة جائز ممدوح كقول
يوسف اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وقد تضمن هذا قوله صلى الله عليه وسلم
حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه او دنياه
رواه البيهقي **وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض** معطوف على قوله
ذمه وهذا كما في الحديث ان الله يحب الاتقيا الاخفيا الذين اذا غابوا لم يفتقدوا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وإذا حضروا لم يعرفوا وقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض
ولا فسادا وإن كان العلو في الآية مقيدا بصفة زائدة عليه من ظلم أو غيره والخمول بضم
الخاء المعجمة وفتحها خطأ ضد الظهور وكون الخمول فضيلة محمودة لا ينافي مقام الأنبياء الذي
لم يرضوه والخلفاء الراشدون والأئمة العلماء فإن المذموم هو طلب الشهرة فأما وجودها
من الله من غير تكلف من العبد فليس بمذموم بل أفضل من الخمول في حق من قدر على نفع الناس
مع خلوص نيته وسلامة طويته ولذا قال الله يريدون علوا دون يعلون ومن لم يقدر
ويصبر فالخمول في حقه أحسن كما أشار إليه في الإحياء وإليه الإشارة في حديث المال
والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل ولذا قال الشاعر • من أراد العز
والراحة في الدهر الطويل • فليكن فردا من الناس ويرضى بالخمول • ويرى أن قليلا كافيا
غير قليل • **وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة** أراد بالحشمة المهابة
والعظمة في أعين الناس ولذا عطف عليه **والمكانة** وهي المنزلة الرفيعة رفعة معنوية
كالعطف التفسيري وتبع في هذا الاستعمال المشهور لأنها وردت في كلام الناس بمعنى الاستحيا
فأريد به لازم معناه وهو المهابة وتحقيقه كما في شرح أدب الكاتب لابن السيد أن الحشمة
تضعها الناس موضع الاستحيا وعليه قول المتنبي • ضيف ألم برأسي غير محتشم • وليس كذلك
إنما هي الغضب يقال هذا ما يحشمه أي يغضبه وهذا قول الأصمعي وهو المشهور وذكر غيره أنها بمعنى
الاستحيا وروي عن ابن عباس أنه قال طاعم حشمه وقال الطرماح •

وأرى الشريف في أعين النا • س وضيعا وقل منه احتشامي •

في القلوب والعظمة معطوف على الحشمة **قبل النبوة عند الجاهلية** أي عند أهل الجاهلية والمراد
بالجاهلية ما بين المولد والمبعث ويطلق على ما كان قبل البعثة ومنه ولا تبرجن تبرج الجاهلية
الأولى وبه جزم النووي في شرح مسلم فإذا أضيف للشخص أريد ما قبل إسلامه وقد يراد بها ما
قبل فتح مكة **وبعدها** أي بعد النبوة **وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه ويقصد من أذاه في
نفسه خفية** بضم الخاء وكسرها كما قاله البرهان لأنه لمهابته عندهم وعظمته في قلوبهم لا يواجهونه
بما يؤذيه وهو منصوب مفعول مطلق لمذكور أو مقدر أو حال **حتى إذا واجههم أعظموا
أمره وقضوا حاجته وأخباره في ذلك معروفة وسيأتي بعضها** وهذا بالنسبة لما في
نفس الأمر وأكثر الأحوال كما روي عن أبي جهل أنه ساوم رجلا من بني زبيد ثلاثة أبعرة هي
خير إبله بثلث ثمنها فامتنع الناس من الزيادة لأجله فأخبر رسول الله بذلك فزاده حتى رضي
فاشتراها منه ثم باع منها بعيرين بالثمن ثم باع الثالث وأعطى ثمنه أرامل بني عبد المطلب وأبو
جهل مخزي ينظر ولا يتكلم ثم قال صلى الله عليه وسلم له إياك أن تعود لما صنعت بهذا الأعرابي
فترى مني ما تكره فقال لا أعود يا محمد فقال له أمية بن خلف ذللت في يد محمد فقال إن الذي
رأيتم مني لما رأيته رجالا يمينا ويسارا يشرعون رماحهم إلي لو خالفته لكانت إياها أي
لأهلكوني في وقائع أخرى مثلها وهذا لا ينافي أنهم في بعض الأحيان قد آذوه جهرة كوضعهم
الجزور على ظهره وهو ساجد وتكذيبهم له في قصة الإسرا وقول أبي جهل لأبي طالب عند موته
لا نطعه أترغب عن ملة عبد المطلب وتحمل رسول الله أحيانا لذلك لحكمة يظهرها غيرة الله وأمره
بقتالهم **وقد كان يبهت** بلا في مبني للفاعل أو للمفعول بمعنى يتحير ويدهش كما في قوله
فبهت الذي كفر **ويفرق لرؤيته** بالبنا للفاعل من باب علم أي يخاف **من لم يره** فاعله **كما روي**

عن قيلة

عن قيلة بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ولام وهاء وفي الصحابيات من يقال له قيلة
ثلاث قيلة أم بني أنمار ويقال أخت بني أنمار وقيلة الخزاعية أم سباع • وقيلة بنت مخرمة
العنوية بفتح العين المعجمة والنون كما قاله البرهان والمراد قيلة بنت مخرمة وحديثها المذكور
في شمائل الترمذي وفي سنن أبي داود وأخرجه ابن سعد بتمامه كما قاله السيوطي وهي أنها رأته في
المسجد وهو قاعد القرفصا قالت فلما رأيته متخشعا في الجلسة أرعدت من الفرق وهذا هو
المراد وإن اختلفت بعض لفظه وقال البخاري هي ابنة مخرمة العنوية أو العنبرية ويقال
التميمية ولا تنافي بين الأخير وغيره لأن العنبرية نسبة لبني العنبر والعنبر أبو حي من تميم
كما أن العنزة حي من ربيعة بن نزار ومثل هذه القصة وقعت لعمر رضي الله عنه وكان مهيبا
إنها لما أرعدت بضم الهمزة وكسر العين وفتح الدال المهملة مبني للمجهول أي لحقتها رعدة
من الخوف **من الفرق** بفتحتين وهو شدة الخوف وفي نسخة ارتعدت **فقال يا مسكينة
عليك السكينة** وصفها بالمسكنة ترحما لها والسكينة هنا بمعنى الطمأنينة أي الزمي
الاطمئنان وعدم الخوف والسكينة ثبت في النسخ المعتمدة بالرفع على أنها مبتدأ وخبره جملة
خبرية مراد بها الأمر أي اسكني وبالنصب أي الزمي السكينة لا غير أو عليك اسم فعل
بمعنى الزمي ولم يثبت هنا ما قيل أنا ابن امرأة تأكل القديد وبين سكينة ومسكينة تجنيس
ومسكين بكسر الميم على الأفصح وبفتح وحق مسكينة أن لا تلحقها الهاء لأن باب مفعيل مفعال والتخفيف صح
مما لغة لا تلحقه الهاء لكنه حمل على فقيرة ومسكينة بالفتح والتشديد مع الكسر وتفتح وتشدد
وهو قليل جدا **وفي حديث أبي مسعود** هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجي البدري كما في
البخاري وقال ابن عبد البر إنه لم يصح أنه شهد بدرا وإنما شهد العقبة الثانية وعليه الأكثر
ورواه أحمد وأصحاب السنن ومات سنة أربعين أو إحدى أو اثنتين وأربعين وهذا الحديث رواه
البيهقي من طريق قيس عنه موصولا وعن قيس مرسلا وقال هو المحفوظ وأخرج الحاكم مثله وصححه
أن رجلا قام بين يديه فأرعد بضم الهمزة وكسر العين المهملة أي أخذته رعدة من خوفه
وفي رواية أتى رسول الله رجل فكلمه فجعلت ترعد فرائصه بالفاء والصاد المهملة كالغرائض
بالمعجمة وهي لحمة بين الجنب والكتفين ترعد من الخوف **فقال هون عليك فإني لست بملك
الحديث** وإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وهون بتشديد الواو المكسورة أمر من الهون
وهو الأمر الهين السهل والعرب تقول هون عليك بمعنى لا تخف قال •

فهون عليك فإن الأمو • ر بكف الإله مقاديرها •

ولا وجه لتفسيره بالقصد في المحبة ولا تبالغ في التعظيم وملك بفتح الميم وكسر اللام ويجوز
تسكينها بمعنى السلطان يعني لست من الملوك الجبابرة حتى تخاف مني لأن جبريل جاءه من
الله وخيره بين أن يكون ملكا نبيا أو عبدا نبيا فاختار أن يكون عبدا نبيا ولم يرض بوصفه
بالملك وكذا الخلفاء الأربعة وأول ملك في الإسلام معاوية فلا وجه لقول بعضهم هنا
إن هذا لا ينافي أنه ظهر ملكه وإن كان ملكه نبوة فإنه لم يرد إلا نفي أنه ملك كسائر الملوك
عند المخاطب انتهى وهذا الرجل لم يسمه أحد من شراح الحديث **فإنما عظم قدره بالنبوة**
وصف قدر نبوته بالعظم لأن النبوة مقربة له من الله وفيه من التعظيم ما لا يخفى **وشرفه
منزلته بالرسالة** جعل منزلته رسالته شريفة لأنها واسطة بين الله وخلقه وفي تأهله
لذلك دون غيره شرف له على من عداه وجعلها منزلة لنزوله إليهم بتبليغه عن اتصاله بالملأ الأعلى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأنافة رتبته بالاصطفا الانافة بالنون والفا بمعنى الاعلا والاشراف على ما تحته
والمراد بالاصطفا ولايته وهي اقرب مقاماته من الله لتخصيصها بالطرف الاعلى ولذا جعلها مرتبة
لانها من الرتوب وهو العلو والمرتبة كالمرقبة اعلى الجبل كما في الصحاح فتفطن لتعبيره اولا بالعلو
وثانيا بالمنزلة وثالثا بالرتبة ومصادفة ذلك لمحزه وفي نسخة بدل انافة انابة بالنون
والموحدة **واكرامه في الدنيا** لانها محل ظهور امره وفي الاخرة مما لا شبهة فيه كما سيذكره
فامر هو مبلغ النهاية اي ليس فوقه مرتبة اخرى تكون نهاية اي هو نهاية النهاية **ثم هو
في الاخرة سيد ولد آدم** عطف بثم لتراخيه زمانا ومعنى ورتبة وهذا بعض من حديث
البخاري وهو انا سيد ولد آدم ولا فخر وقوله ولا فخر سقط من نسخ الشفا وثبت في بعضها
وهو الاكثر الاولى لانه من كلام المصنف لا من كلام النبي كما قاله التلمساني والمراد انا اشرف هذا
النوع آدم وولده لما ورد ان آدم ومن دونه تحت لوائي ومعنى قوله ولا فخر انه لم يرد به الفخر
ومدح نفسه بل البيان الواقع تحدثا بنعمة الله او المراد به اني لا افتخر بهذا فان لي ما هو اعظم
منه من المنزلة عند ربي ولا حاجة للاستدلال عليه بكنتم خير امة لانه يلزم من تفضيل امته
على الامم تفضيل نبيهم لان اجر اعمالهم له **وعلى معنى هذا الفصل** المشتمل على اوصاف يتمدح
بكثرتها او يتميز باشتهاره بها **نظمنا هذا القسم** الاول من الكتاب اي جعلناه موضوعا لبيانه
وهو المقصود منه بالذات فجعل ما فيه كالعقد المحتوي على اللآلي والغرر كناية واثبات له
النظم تخييلا كما قيل ولك ان تقول المراد بالفصل المشار اليه ما تضمنه قوله فاما اعظم قدره الخ
باسره اي جميعه واصل الاسر شد الاسير بما يربط به ويطلق على ما يربط به فاذا قيل احل
الاسير برباطه فالمراد خذه بجميع ماله ثم تجوز به عن معنى الجميع

فصل واما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات

جمع حالة والحال يذكر ويؤنث والغالب عليها التانيث **في التمدح به** هو تفعل لكثرة او
بمعنى المجرد لا للتكلف **والتفاخر بسببه** بين الناس **والتفضيل من الناس** لصاحبه
لاجله غاير بين العبارة تفننا وهربا من التكرار في مقام اسهاب الخطابة **ككثرة المال**
ثم بين اختلاف الناس فيه فقال **فصاحبه على الجملة** هذا كما يقال في الجملة والمال اذ اجمالا
لا في كل حال **معظم عند العامة** اي عوام الناس او اكثر الناس الناظرين للدنيا ووجه تعظيمه
لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه مجرور معطوف على حاجاته
بسببه اي المال **والا** اي وان لم يكن ذلك او ان يعتقد فيه ذلك وجواب الشرط محذوف
تقديره فلا يعظمه احد واقيم سببه مقامه وهو قوله **فليس له فضيلة في نفسه** ثم فسر
ما اجمله فقال **فمتى كان المال بهذه الصورة** اي مصروفا في هذه المصارف **وصاحبه
منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه** بمهملتين بينهما مثناة فوقية اي من ورد عليه
وقصده من الضيوف والاخوان وارباب الحاجات من عراه اذا غشيه ودخل عليه كما قيل

يا لهف قلبي على مال اجود به ... على المقلين ارباب المروات

واملّه اي رجاه ورجا احسانه واكرامه ولو قرئ امّه بمعنى قصده صح ولكن لا يساعده
الرسم كما قيل ... من امّله ينال ما امّله **وتصريفه في مواضعه** تصريفه مرفوع
معطوف على المال اي كان تصريفه في مواضعه اي وتصريفه واقع موقعه ويصح عطفه

علي قوله

على قوله صاحبه وهما سواء معنى ويجوز جره على مهماته وكذا ضبط بالقلم في بعض النسخ
اي صاحبه منفقا له في مهماته ومنفقا له في تصريفه في موضعه لكن الاظهر على هذا ان يقول
صرفه بدل تصريفه وتصريفه مضاف للفاعل الى ضمير صاحب اي للمفعول اي ضمير ماله والاول
اولى لقوله **مشتريا به المعالي والثنا الحسن** فانه حال منه اي حال كونه مشتريا بماله
وتصريفه معالي الامور وثناء الناس عليه والمراد بالمعالي جمع معلاة وهي الجاه والرتب العالية
والثنا الذكر الجميل وذلك انما يكون بصرفه واعطائه لطالبه فجعل تحصيل ذلك وخرجه
بمنزلة الشراء امر تخييلي كما في قوله تعالى هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ومثل هذه الاستعارة
شايع في الكلام القديم وغيره وقوله الحسن صفة مؤكدة **والمنزلة من القلوب** اي كونه له
مهابة وعظمة في قلوب الناس لانها جبلت على حب من احسن اليها وهو منصوب معطوف على
المعالي مفعول الحال **كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا** جواب متى المسبب عنه
وقيده بقوله عند اهل الدنيا لان نظرهم لهذا فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم
يسخطون لا لانه ليس فضيلة عند الله كما توهم لانه اذا اقترن بنية صالحة كان فضيلة عند
الله ايضا **واذا صرفه في وجوه البر** اي اذا صرف المال في انواع الاحسان كالصدقة
والصلة والهدية والوجوه بمعنى الجهات او هو مستعار لما ذكر استعارة تصريحية او مكنية
وانفقه في سبيل الخير اي في طريقه كالحج والجهاد وصلة الرحم **وقصد بذلك** المذكور
من الصرف والانفاق او المصروف والمنفق **الله والدار الاخرة** اي قصد ان يكون ذلك
لله وثوابا بالاخرة **كان فضيلة** اي امرا فاضلا محمودا **عند الكل** اي كل الناس من اهل الدنيا
وغيرهم العامة والخاصة وادخال ال على كل ونحوه منعه بعض النحاة ولم يسمع من العرب
الا ان القياس لا يأباه **بكل حال** اي سواء اكتسب به المعالي والثنا ام لا **ومتى كان صاحبه
ممسكا له** اي لا يصرفه بل يخزنه لشحه به ومحبته له **غير موجهه وجوهه** اي غير صارف
له في مصارفه من مهماته ووجوه الخير **حريصا على جمعه عاد** اي رجع **كثره كالعدم** الكثر
كالكثير معنى وهو بضم الكاف وكسرها وظاهر كلام اهل اللغة جواز فتحها فهو مثلث ومثلثه
ساكنة وهو المال الكثير يقال ماله قل ولا كثر ومقابلته بالعدم ابلغ من مقابلته بالقليل
ولذا عدل عنه فان كانت القلة تكون بمعنى العدم ايضا وانما كان كالعدم لعدم انتفاعه فانه
خازن لغيره حارس لنعمته يستعجل الفقر الذي هرب منه ويفوته الغنى الذي طلبه فيعيش
عيش الفقرا ويحاسب حساب الاغنيا كما قيل

يعني البخيل بجمع المال مدته ... وللحوادث والوراث ما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها ... وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

وكان منقصة في صاحبه لذم الناس له ووصفه بالبخل والرذالة وقبحه عقلا وشرعا
ولم يقف على جدد السلامة اي لم يحصل ما يسلم به من النقص والوبال والذم والجدد
بفتح الجيم والدالين مهملتين اولاهما مفتوحة وهي الارض الصلبة وفي المثل من سلك الجدد
امن من العثار فالمراد به الطريق المسلوكة وهكذا هو مضبوط في النسخ وارتضاه البرهان
ومن قال انه وهم فقد وهم وانما ضبطه بعضهم له بضم الجيم والدال على انه جمع جدد فلا وجه له
وفي بعض الحواشي انه بضم الجيم وفتح الدال على انه جمع جدة كمدة ومدد اي طرق ومنه قوله
تعالى ومن الجبال جدد بيض اي طرق وهو صحيح ايضا ومنه ركب فلان جدة في الامر اي رأي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فيه رأياً باطلاً اي لم يقف في امر يوصله للسلامة وهو عدم الجمع او صرف ما جمعه في مصارفه فعدل عن طريق السلامة فضلك كما اشار اليه بقوله **بل اوقعه** ماله الذي جمعه في بخله به **في هوة** بضم الهاء وتشديد الواو وهي والاهوية للحفرة العميقة وهو مضاف لقوله **رذيلة البخل** اي اوقعه في وهدة دناءته وخسته التي حفرها لنفسه وفيه استعارة مكنية وتخييلية كالذي قبله فشبه السماحة بطريق يسلم سالكها ويأمن من كل عثرة وشبه ضده بحفرة يقع فيها من اتاها **ومذمة النذالة** هي الرذالة والخسة وهو معطوف على رذيلة ففيها الاستعارة السالفة او على هوة وهدة من آفات المال المقابلة لمحاسنه السالفة الدالة على انه في نفسه ليس ممدوحا وانما يمدح بما يكتسب به كما بينه بقوله **فاذن التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله** اي عند من مدحه ومدح صاحبه ومفضله بكسر الضاد المشددة وفتحها **ليست لنفسه** من حيث هي **وانما هو التمدح به بالتوصل به الى غيره** من الثناء الجميل والاجر الجزيل وهو انما يكون بمبذلته **وتصريفه في منصرفاته** وفي الحديث يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فابقيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت فمن لم يتوصل بماله لما ذكر ولم ينتفع فهو كمن لا مال له قال ابو العتاهية هـ

• اذا المرء لم يعتق من المال نفسه • تملكه المال الذي هو مالكه •
• الا انما مالي الذي هو منفق • وليس لي المال الذي انا تاركه •

فجامعه اذا لم يضعه مواضعه بصرفه في مهماته ومهمات من امله **ولا وجهه وجهه** من انواع البر وسبل الخير وعملا للتعميم في كل منهما **غير ملي** اي غير غني يقال ملؤ ملاءة هـ بالمد اذا استغنى **بالحقيقة** اي في نفس الامر لان الغني هو المغني لصاحبه عما سواه وهو محتاج لماله ولغيره في اكتسابه وقد قال الحكما الغني هو الذي لا يحتاج في ذاته وكماله **ولا غني بالمعنى** المقصود منه وهو كفاية المهمات واكتساب المحمدات فكانه فقير **ولا متمدح به** بفتح الدال **عند احد من العقلاء** بالجر معطوف على ملي اي من كمل عقله لا يمدح بمثله **بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه** وهو كما قيل

• ومن ينفق الساعات في جمع ماله • مخافة فقر فالذي فعل الفقر •

وكونه لم يصل لغرضه لعدم انفاقه وكسبه به ما يريد كما اشار اليه بقوله **اذ ما بيده** اي في ملكه وتصرفه **من المال الموصل لها** بكسر الصاد وتخفيفه ومشدده اي اغراضه **لم يسلط عليه** بالتشديد والبنا للمجهول اي لم يرزقه الله ويقدر له الانفاق منه في اغراضه **فاشبه خازن مال غيره** في حراسة المال وعدم قدرته على الانفاق منه **ولا مال له جملة خالية من خازن فكانه** اي صاحب المال **ليس في يده شي منه** كما قيل

• اذا كنت جماعا لمالك ممسكا • فانت عليه خازن وامين •
• تؤديه مذموما الى غير حامد • فياكله عفوا وانت دفين •

ولمحمود الوراق

• تمتع بمالك قبل الممات • والا فلا مال ان انت متا •
• شقيت به ثم خلفته • لغيرك بعدا وسحقا ومقتا •
• فجادوا عليك بزور البكا • وجدت عليهم بما قد جمعتا •
• وارهنتهم كلما في يديك • وخلوك رهنا بما قد كسبتا •

والمنفق

والمنفق ملي غني فالممسك كما انه فقير بالقوة فكذا المنفق غني بالقوة لان له خلفا من الله بمنزلة الحاصل عنده كما قيل

• واني لارجو الله حتى كانني • ارى بجميل الظن ما الله صانع •

بتحصيله **فوايد المال وان لم يبق في يده من المال شي** وهذا كله توطية لبيان امر النبي بالنسبة للمال عدما ووجودا كما قال **فانظر سيرة نبينا** اي طريقته وهديه **وخلقه** بضمتين او ضم فسكون **في المال** اي في شان المال وما له بالنسبة اليه **تجده قد اوتي خزاين الارض ومفاتيح البلاد** اي آتاه الله ذلك كما ورد في الحديث الصحيح بينما انا نايم اوتيت مفاتيح خزاين الارض فوضعت في يدي وفي كتاب الوفا عن جابر مسندا قال سمعت رسول الله عليه السلام يقول اتيت بمقاليد الدنيا على فرس ابلق عليه قطيفة من سندس واليه اشار الصرصري بقوله هـ

• بعثت مقاليد الكنوز جميعها • تهدي اليه على سراة حصان •
• جعلت عليه قطيفة من سندس • فلها استقام الزهد عن امكان •

ومثله ثابت من طرق عديدة وهذا يدل على ان الله اعطاه ذلك حقيقة وخزاين الارض دفاينها ومعادنها بان يطلعه الله عليها ويجعل الملايكة الموكلين بها طوع يده فان السلطان خزينته بيد خازنها حاضر مطيع لديه فهذا معنى كونها في يده عرفا واما المفاتيح فان كانت بمعنى الخزاين فكذلك وان كانت جمع مفتح او مفتاح بمعنى آلة الفتح فاعطاوها ارسالها مع خدامها كما هو ظاهر الحديث السابق وقيل انه كناية عن فتح البلاد على امته وجباية اموالها لهم والمفاتح روي في الصحيح بدون ياء جمع مفتح وروي بياء كما في كلام المصنف جمع مفتاح والاول اصح كما قيل **واحلت له الغنايم ولم تحل لنبي قبله** الغنيمة ما يوخذ من الكفار وكذا الفي وفرق الفقهاء بينهما بان الفي ما يحصل بلا قتال ولا ايجاف خيل ولا ركاب كسرقة وهبة ونحوه والغنيمة ما حصل بقتال ولو قبله او بعده وقد يستعمل كل منهما لما يعم الاخر كما فيما نحن فيه وكان قبل ذلك ما يحصل من اهل الحرب كما يقرب من القربان تنزل نار من السما فتحرقه ان قبل فان قيل كيف هذا وقد كان لسليمان وداود سراري ولا شك انها تحصل من اهل الحرب غنيمة حتى تملك **قلت** قالوا ان الذي كانت تاكله النار سهام الانبيا دون سهام الامة وفرا بينهم فكانت تحل لهم فاذا اشترى النبي من امته شيا منها كان له كما ذكره ابن الجوزي في الوفا **وفتح عليه في حياته بلاد الحجاز** بمعنى الحاجز وسميت به لانها تحجز بين نجد وتهامة او بين اليمن والشام وهي مكة والمدينة والطايف واليمامة وقراها وخيبر وطرقها الممتدة بينها وقيل غير ذلك وقيل المدينة نصفها حجازي ونصفها تهامي **واليمن** وهو معروف وسمي به لانه عن يمين الكعبة او لتيمنه او لانه عن يمين الشمس **وجميع جزيرة العرب** الجزيرة فعيلة من جزر الماء وهو انكشافه ورجوعه ضد المد وجزيرة العرب ما بين اقصى عدن الى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها الى اطراف الشام عرضا عند الاصمعي ومن حفر ابي موسى الى اقصى اليمن طولا ومن رمل تبرين الى منقطع السماوة عند ابي عبيدة وقال مالك هي الحجاز واليمن واليمامة وما لم يبلغه ملك فارس والروم مع اقوال اخر وسميت جزيرة لان بحر فارس وبحر الحبشة ودجلة والفرات احاطت بها **وما داني ذلك** اي قرب منه او من

شبكة الألوكة
www.alukah.net

جزيرة العرب فتذكيره باعتبار المكان ونحوه **من الشام والعراق** الشام بهمزة وتبدل
الفا وقد تمد همزته فيقال شام وبعضهم ابى هذه وتذكر وتؤنث كغيره من اسماء البلدان
وينسب اليه شامي بهمزة وبالف وشآمي بالتخفيف والتشديد كيمان فيقال امراة شاميه
وشاميه مخففا ووجه تسميته بها انها على شمال الكعبة او لانه تشائم بها قوم او باسم صاحبها
وهو سام بن نوح فعربت بابدال سينها شينا معجمة وانكر بعضهم هذا وقال لم ينزلها سام قط
وانما سميت بها لان في ارضها شامات حمر وسود وبيض وحده من العريش الى الفرات او الى
بالس طولا وعرضه من جبل اجا وسلمى الى بحر الروم وما شامنه وقد دخله النبي صلى الله عليه
وسلم الا انه لم يدخل دمشق والعراق اقليم معروف وهو عراق العرب وفيه مدن عظيمة
وقرى وطوله من تكريت الى عبادان وهي قرية ولذا قيل في المثل ما وراء عبادان قرية وعرضه
من القادسية الى حلوان ودجلة وسط جانبها الايمن الى العراق واليسار لفارس واما عراق
العجم فهو اقليم خراسان ولفظ العراق عربي وقيل انه معرب ايراق وفيه كلام ليس هذا
محله واليمن فتحها علي في سنة عشر من الهجرة والشام فتح منها دومة الجندل فتحها عبد
الرحمن والعراق فتح منها البحرين وقدم اهلها عليه صلى الله عليه وسلم على ما فصل في السير
والتواريخ ومن لم يقف على هذا قال انها انما فتحت في زمن ابي بكر لكنه اوفى مما تبعها ووعد
بفتحها **وجلبت** بالبنا للمفعول نائب فاعله ما لا يحصى واثبه باعتبار المعنى وهو الاموال
من اخماسها اي غنائمها لان الغنائم تجعل خمسة اجزا خمس للامام واربعة اخماس للجند او
المراد نفس الخمس لانه الذي يختص به **وجزيتها** بكسر فسكون وهو ما يوخذ من الكفار من الخراج
على الرؤس سمي بها لانها تجزي او هي من المجازاة او من الاجزا بمعنى الكفاية وقيل انها فرية معرب
كزيت واحكامها مفصلة في كتب الفقه **وصدقاتها** المراد ما كان يوخذ من الزكاة لبيت
المال لانه يسمى صدقة **ما لا يجبى** اي يجمع يقال جباه اذا جمعه **لملوك الا بعضه وهادته**
اي اهدت اليه وليس المراد المفاعلة **ملوك الاقاليم** المتقدمون قسموا الارض سبعة
اقسام سموا كل قسم منها اقليما كما يعلم من علم مساحة الارض المسمى جغرانيا وحد كل اقليم
وما فيه من البلدان مفصل في كتب الهيئة والمساحة قيل المصنف اراد بالاقاليم النواحي
والبلدان وان كانت من اقليم واحد او اقليمين من السبعة بطريق المجاز وهو بهذا المعنى
مستعمل ايضا كما يقال اقاليم مصر فسموا كل ناحية منها اقليما والهدية ما يبعث بلا عوض الى
المهدى اليه اكراما قال السبكي الاكرام ليس شرطا فيها وانما الشرط كونها من المنقولات فلا يقال
للعقار هدية وهي اخص من الهبة او الظاهر ان قيد الاكرام بنا على الظاهر فرقا بينها وبين
الصدقة ومن هداياه المقوقس ملك القبط اهدى له جاريتين وكسوة وبغلة بيضا وهي الدلدل
وهاداه فروة بن عمرو الجذامي عامل قيصر بعدما تبرع بالاسلام واهدى له بغلة بيضا بسمر
فضة وفرسا واثوابا وقبا من سندس ولما بلغ ذلك قيصر حبسه مدة طويلة ثم ارسل له
ارجع لدينك اطلقك واعيد لك ملكك فابى وقال لا افارق دينه وانك لتعلم انه حق
ولكن ضننت بملكك فقال فقد صدق والانجيل ومنهم اكيدر دومة الجندل كما في البخاري
والنجاشي واما هدايا غير الملوك التي كانت تصل مع الوفود فكثيرة لا تحصى كما يعلم من السير واهدى
له الرهبان ايضا كراهب نجران ولا منافاة بين قبوله هدية من لم يسلم منهم كالمقوقس والنجاشي
ورده بعض هدايا المشركين وقوله انا لا نقبل زبد المشركين اي عطيتهم لانه كان يقبل من يرجوا

اسلامه استيلافا له لما فيه من المصلحة للمسلمين ويرد غيرها او ذلك خاص بالمشركين ومن
قبل منه من اهل الكتاب فيقبل كما تؤكل اطعمتهم وذبائحهم وقيل ان عدم القبول منسوخ باحاديث
القبول لا العكس على الارجح ثم ان قبول النبي صلى الله عليه وسلم الهدية مع انه لا يجوز لغيره
من الحكام من خصائصه لانتفا التهمة في حقه وقيل انه رد ما اهدي اليه خاصة دون ما اهدي
الصحابة **فما استاثر بشيء منه** اي ما اختص به دون اصحابه لرؤيته انه احق به كما يفعله
الملوك فيما يليق بها وهو استفعال من الاثرة وهي المكرمة والخصوصية كما قال تعالى ويؤثرون
على انفسهم **ولا امسك منه درهما** اي لم يبق لنفسه منه شيئا ولم يجعله عنده او في يده
بل صرفه في مصارفه باعطائه لمن يستحقه وفي وجوه الخيرات **واغنى به غيره** من الجند
والمؤلفة قلوبهم فكان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر **وقوى به المسلمين** بصرفه في مهماتهم
وفيما ينصرهم على اعدائهم **وقال** اي النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه الشيخان مسندا
عن ابي هريرة منه **ما يسرني** اي يجعلني في سرور وفرح **ان لي احدا** اي مثل احد او نفس
احد يكون ملكا لي وهو ذهب حقيقة **ذهبا** تمييز اي من ذهب واحد بضمتين وقد تسكن حاوه
اسم جبل معروف قريب من المدينة سمي به لتوحده وانقطاعه عما هناك من الجبال وقال فيه جبل
يحبنا ونحبه **يبيت عندي منه دينار الا دينارا ارصده لديني** وقد روي هذا الحديث
بروايات مختلفة اللفظ متقاربة المعنى ففي الصحيح تاتي علي ثالثة وعندي منه دينار
او امسي ثالثة وعندي منه دينار وروي قوله ذهبا وبصيره ذهبا والا دينارا روي
بالرفع والنصب وارصده بفتح الهمزة وضم الصاد ويجوز ضم الهمزة وكسر الصاد المهملة لانه
يقال رصدته وارصدته بمعنى اي اعددته للخير او الشر وقيل رصدته بمعنى راقبته
وارصدته بمعنى اعددته وهو المشهور وقوله لديني بفتح الدال المهملة وسكون المثناة
التحتية والنون وارصاده للدين اما لان صاحبه غائب او لانه لم يحل اجله وفيه دليل على
جواز الاستقراض وانه لا ينبغي ان يكون المرء مستغرقا في الدين حتى لا يجد له وفاء وبقية
الحديث في الصحيحين وشروحهما فان اردته فانظره وفي بعض النسخ هنا زيادة من الحاق
المصنف • وهي واتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها ستة فدفعها لبعض نسائه فلم ياخذه
نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت انتهى • وقوله دفعها روي رفعها بالراء قال السيوطي
هذا الحديث رواه ابن سعد عن عائشة بهذا اللفظ وفي الشرح لم اقف عليه الا ان له
نظائر اوردها وكانت هذه الدنانير من الصدقات وانما لم ياخذه النوم لخوفه ان يفجاه
الاجل قبل تفرقتها فانظر هذا مع انه غفر الله له ما تقدم وما تاخر بعد ما عصمه مع اشقيا
الزمان وصرفهم بيت المال في هوى انفسهم قاتلهم الله **ومات ودرعه مرهونة في نفقة
عياله** جمع عيل وهو من يلزم مؤنته والدرع مؤنثة وهي الزردية وكان له عدة ادراع ذات
الفضول سميت بها لطولها اهداها له سعد بن عبادة لما خرج لبدر وذات الحواشي ودرعان
اصابهما من بني قينقاع السغدية وفضة ويقال ان السغدية كانت درع داود التي لبسها
لقتال جالوت والبترا والخرنق فهذه سبع وقال ابن الاثير في مادة س ب غ درع النبي
ذات السبوغ لتمامها وسعتها فيحتمل انها احدى ما ذكر او غيرها فتكون ثمانية وقال ابن الجوزي
ان التي رهنها هي ذات الفضول ورهنها عند يهودي يسمى ابا الشحم ووقع في فقه الشافعية
تسميته بابي شحمة والمعروف الاول والسغدية لم يتعرضوا لتحريك سينها المهملة ويكون فيها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

صحيح

وضمها والمشهور الثاني وهي بغين معجمة منسوبة للسعد وهو جبل معروف وقال مغلطاي
انها بعين مهملة وفي معرب الجواليقي انه بالسين والصاد لانه ماس في كل سين معها حرف
استعلاء قال شقيق الاسدي • وخافت من جبال السعد نفسي • وذكر مغلطاي
ايضا انه كان له مغفر يسمى السبوغ والحديث المذكور في حديث مسلم مسندا عن عائشة انه
اشترى من يهودي طعاما نسيئة فاعطاه درعا رهنا وفي رواية فرهنه درعا له من
حديد ورواه البخاري ايضا بزيادة ثلاثين صاعا من شعير ومنه علم جواز معاملة الكفار مع
ان كسبهم لا يخلو من خبث وجواز الرهن بالمسلم فيه وادخار القوت خلافا للزاهد في الاول
وقال المصنف في شرح مسلم انه مكروه عند مالك واحمد واجمعوا انه يجوز معاملة اهل الذمة
وغيرهم لا في آلات الحرب وما يستعان به عليه وقال الحنفية يكره بيع السلاح والكراع من
اهل الحرب وتجهيزه اليهم قبل الموادعة وبعدها واما رهنه فان خشي التقوي به فهو كالبيع
فما فعله النبي اما لانه لم يكن من اهل الحرب او لانه كان بين اظهر المسلمين فلا يخشى تقويه به
وفي رواية انها رهن في عشرين صاعا وفي اخرى اربعين وفي رواية وسق شعير والاجل
سنة فحل الاجل قبل الاجل وجمع بين الروايات بتعدد الواقعة وكان موسرا وقد تيسر لانفاقه
جميع ما عنده ولا يفعل احد ابين لك اذ لو علم الصحابة ذلك واسوه بجميع مالهم كما كانوا يواسوا
له بارواحهم لانه يكتمه يصير مثل ذا بالرضى بما قسم وفي قوله في نفقته للتعليل واقتصر
من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعو اضطرور ته اليه ووجد بصيغة الماضي
معطوف على اقتصر فيما سواه اي ما سوى مقدار الضرورة ووقع في بعض النسخ زهده
بصيغة المصدر المضاف للضمير وهو مرفوع على ضرورته او مجرور بالعطف على مجرور الى من
غير اعادة الجار والنسخة الاولى اوضح فكان يلبس ما وجد حاضرا عنده من غير تكلف
فيلبس في الغالب الشملة هي كساء يشتمل به وقيل يختص بالمهدب وقال ابن دريد هو كساء
يؤتزر به وهي البردة واما تسمية العوام ما يلف على الراس شملة فلا اصل له والكساء الخشن
اي الكسوة الملبوسة والكساء قريب من البرد وخشن بزنة حسن ضد اللين والرقيق والبرد
الغليظ البرد بضم اوله ثوب له خطوط ومطلق الثوب ثم اشار الى ان هذا اللبس من عجزه عن
فاخر الالبسة بل لعدم ميله لها بقوله ويقسم ما عنده من الغنائم والهدايا على من حضره
اقبية الديباج المخوصة بالذهب الاقبية جمع قبا وهو المخيط من اللباس والديباج نوع
من اقبية الحرير معرب ديبا بالدال المهملة فيهما بكسر داله وقد تفتح والمخوصة بضم الميم وفتح
الخاء المعجمة وتشديد الواو ويليها صاد مهملة وهاء اي منسوجة بامثال من ذهب كالخوص ونقل
يأتي للتشبيه كثيرا فلا وجه لانكارهم شرح بمعنى كالسراج في كتب المعاني وقيل هو المكفوف
بالذهب او المطوق او المزرر به اما نفقته في ماكله فكان التمر والماء وجده فكان يمضي
عليه الشهر لا يوقد في بيته نار وهو يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا او كفافا واما ملبسه
في الاكثر اكسية الصوف الغليظة الخلقة مع انه لبس ثياب الكتان والقطن ايضا خشنها
اتفق له وكان له حلة حمراء وبرد احمر يلبسه في العيدين وعند قدوم الوفود عليه وكانت
له جبة رومية ضيقة الكمين وكان احب اللباس اليه القميص القصير الكمين فوق الكعبين
مساو كمه لاطراف اصابعه وكانت عمامته قصيرة صغيرة كما بيناه في العمامة في صفة
العمامة وله قلنسوة وتسمية ما ذكر مروية في البخاري وهذا اما ان يكون قبل تحريم الحرير

والذهب

٢٠٦

والذهب او كان يقسمه ليباع او يعطى للنساء والصغار ويرفع لمن لم يحضر اي من قومها
من مجلسه حتى يعطيه لمن لم يحضر القسمة وهو اشارة لقصة مخرمة التي رواها الشيخان عن
مسور بن مخرمة قال قال لي ابي بلغني انه صلى الله عليه وسلم جاءته اقبية فاذهب بنا اليه
فذهبنا فوجدناه في منزله فقال ادعه لي فاعظمت ذلك فقال يا بني انه ليس بجبار فدعوته
فخرج وتقدم قباء من ديباج مزرر بالذهب فقال يا مخرمة خبات لك هذا فجعل يريه محاسنه
ثم اعطاه له فنظر اليه وقد رضي وكان فيه شدة واستنفار اذ المباهاة اي اظهار الفخر
باللباس والتجبر به والتزين واصل معنى المباهاة المفاخرة فنزل ذلك بمنزلتها في الملابس
جمع ملبس وهو واللباس بمعنى والتزين بها اي اظهار الزينة بالملابس ليست من خصال
الشرف والجلالة اي المغالاة في ذلك واظهاره لبس ما يعد شرفا ولا مما يقصده الاشراف
وقال الفقهاء رضي الله عنهم لبس الثوب الجميل للتزين مباح في الجمع والاعياد ومجامع الناس وما
يستر العورة ويدفع الحر والبرد واجب وما فيه جمال لصاحبه مستحب بشرط ان لا ينوي به العظمة
والزينة بل اظهار نعمة الله وتعظيم من يجتمع لملاقاته وقد كان صلى الله عليه وسلم يفعله وقلت
في ذلك • نصيحة لطيفة قالتها الاكياس • كل ما اشتهيت والبس ما يشتهيه الناس •
وهي من صفات النساء اي المباهاة والتزين انما يقصده النساء ومن في حكمهن كالاطفال واكثر
ما رايناه ذلك في محدث النعم ومن لا قدر له والمحمود منها اي المحمود عند الله وعند الناس من
صفات الملابس نقاوة الثوب بفتح النون وضمها اي كونه نقيا من الوسخ والنجاسة وهو مصدر
ونهمر فيقال نقاه بمعنى نقاوة وفي الكشاف يستحب للرجل الذي له مروءة وعلم ان يكون ثيابه
نقية من غير كبر ورأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا وسخة ثيابه فقال اما وجد هذا شيئا ينقي
ثيابه وقال ايضا ما على الرجل حرج ان يتخذ ثوبين سوى ثوبي مهنته وفي المثل المروءة
الظاهرة في الثياب الطاهرة وقال البرهان النقاوة بضم النون والقاف والظاهر هنا فتحها
وهي النظافة كالنقاوة بزنة السحاب والتوسط في جنسه اي المحمود في اللباس استعمال الوسط
منه فلا يكون نفيسا جدا ولا خسيسا وكونه لبس مثله بضم اللام اي كونه مما يلبسه امثاله من
جنسه فينبغي ان يوافق اقرانه في لباسهم فلا يخالفهم فيلوكه الناس في الغيبة ونهى النبي صلى
الله عليه وسلم عن الشهرتين في اللباس المرتفعة جدا والمنخفضة جدا وقال مبارك الموصلي
اكثر الناس في مدح الملابس وذمها واللازم ان يلبس كل احد على قدر حاله فلا يلبس الغني ما هو
دون حاله ولا الفقير ما هو فوق حاله ولا يتزين العالم بزي الجاهل ولا الجاهل بزي العالم
وعنه صلى الله عليه وسلم لا يشبه الزي بالزي حتى يشبه القلب بالقلب والبه اشار بقوله
غير مسقط لمروءة جنسه اي مما يعد مسقطا لمروءة امثاله مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين
اي غاية التعظيم وغاية الخسة فتكون بين بين وخير الامور اوسطها والشهرة اسم من الاشهار
وهو الظهور بين الناس لامتداد النظر لما لا يعهد وقال النووي كانوا يكرهون الشهرتين الثياب
الجياد والثياب الرذلة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وبهذا ورد الحديث فلبس المرقعات امر
مكروه شرعا وربما يكون حراما اذا قصد اظهار الزهد للطلب كما تراه اليوم وما نهى الشرع عنه
كالحرير خارج عما نحن فيه واما توسيع الاكمام كما يفعله الفقهاء فمخالف للسنة كتكبير العمائم وقد
قال ابن الحاج انه مكروه وبدعة قبيحة وسرف وتضييع للمال لا ان ابن عبد السلام والسبكي
قالا اذا كان شعارا للعلماء يندب ليعرفوا فيسألوا ويطاعوا فاذا كان كذلك في نفس الامر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا يسقط المروءة وقال السبكي استنبط من الآية في نساء النبي يدنين عليهن من جلابيبهن ④
ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وسئله لباس الخضرة للأشراف فاختار علماء الشافعية أنه سنة
وليس من الشهرة المنهي عنها لأهله ولبس ثياب الفقراء مع القدرة على غيره ليروج حاله عند الظلمة ويجلبه
مكسب الله منهي عنه وفي الحديث من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيمة وقد
ذم الشرع ذلك كما عرفته وذلك إشارة إلى المباهاة في الملابس والتزين بها وغاية الفخر فيه
عند الناس إنما يعود إلى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال غير أن كثرة المال والملابس عند
العقلاء غير محمودة لأنها من مومة شرعا غير مقصودة لذاتها وأما العوام فيفتخرون بكثرتها وتعددها
حتى رأينا بعض الحمقى يلبس في المجلس الواحد ألوانا من الثياب والغاية النهاية وأصلها غيية بياءين
أعلت أولاهما لحس الثانية بتاء التأنيث وكثرة الموجود المراد به ما عنده من المال ونحوه ووفور
الحال المراد به قوة حاله وقدرته على ما لا يقدر عليه غيره فالوفور على ظاهره أو بمعنى القوة وكذلك
التباهي أي مثل التفاخر بما ذكر التفاخر بجودة المسكن والجودة بفتح الجيم وجوز ضمها ابن رسلان
وهو كذلك في القاموس أي حسنه بحسن بنائه وزخرفته وعلوه وسعة المنزل لأنه ما يتمدح
أهل الدنيا به وقد قالوا خير المنازل ما يسافر فيه النظر وقالوا الدار الضيقة العمى الأصغر ثم
اتبع ذلك بما تبعه فقال وبكثير آلاته آلات جمع آلة والآلة ما يصنع به الأعمال كالقدوم للنجار
والإبرة للخياط والمراد هنا لوازمه كالفراش وأوانيه وخدمه جمع خادم وفعل بفتحتين لجمع
منه ألفاظ معدودة ومركوباته كالخيول والبغال وغيرها وإضافتها للمنزل لأدنى ملابسة
أو لأنها فيه فمثل هذه الأمور لا يفتخر بكثرتها إلا غير ذوي العقول ومن له حرص على حطام الدنيا
ثم بين أن النبي صلى الله عليه وسلم حائز للفضيلة التالية أيضا وواصل منها إلى ما لم يصل إليه غيره ولذا
قالوا لا يجوز أن يقال في حق النبي إنه فقير فقال ومن ملك الأرض بتمليك الله إياها له
فلو أراد ملكها من المشرق للمغرب يسره الله في طرفة عين وقد خيره الله بين الملك والعبودية فاختار
العبودية وجبى إليه ما فيها أي جمع له ما فيها من الغنائم وجزيتها وصدقاتها مما فتح في زمانه
فترك ذلك أي المال المجبي زهدا وتنزها أي لأجل الزهد والتنزه عن قبوله والزهد هو
الترك لأجل الله فالزهد أخص من الترك وكلاهما مفعول لأجله ويجوز جعلهما تمييزا والزهد لغة
عن الدنيا مع القدرة عليها رغبة في الآخرة ولا يتصور ممن لا مال له ولا جاه وقيل لابن المبارك
يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز إذ جاءته الدنيا راغمة فتركها أما أنا ففيم زهدت
جمة وهو من أعلى المقامات وفي الحديث ازهد في الدنيا يحبك الله ويقال زهد فيه وعنه فهو حائز
جواب من أو خبرها وحائز بالحاء المهملة والزاي المعجمة أي جامع ومحصل لفضيلة المالية إذ أي
من كان كذلك حاز فضيلة المال التي يفتخر بها أهل الدنيا وقادر على التنعم والتلذذ بها إلا أنه
لا يريد ذلك وما لك الفخر بهذه الخصلة المالية إلا أنه لا يفعله كأهل الدنيا وقيل المراد
خصلة الزهد والتنزه وهذا هو الذي يلتئم مع قوله إن كانت فضيلة زائدة عليها إذ كانت
بفتح الهمزة مفسرة بمعنى أي كما قاله التلمساني وهو تحقيق وإثبات للفضيلة التي حازها من الزهد
والتنزه عن الدنيا الفانية وكان تامة أو ناقصة والتقدير كانت تلك فضيلة زائدة على فضيلة
المال ولكن الظاهر أن قوله زائدة وزائد على هذا منصوب صفة وقيل إن صح نصبه فهو حال
من فاعل حائز وقال بعض الشراح فيه دليل على عدم الجزم بكونها فضيلة وفيه نظر إذ لا يتحقق
الكرم بدونها قطعا انتهى وهذا مبني على أن أن شرطية مكسورة الهمزة وهو مبني على أن المراد بالفضيلة

المالية لا الزهد وفي الشرح الجديد ما ذكر من نصب زائدا على الحالية إن صحت روايته في
بعض النسخ مرفوع ومعرق مرفوع في جميع النسخ وعندي أن يفسر زائدا على أنه حال من فاعل مالك
لا حائز أي هو مالك للفخر بهذه الخصلة حال كونه زائدا عليها في الفخر لعدم التفاته لها وأكثر أنه
بها فهو في ملكها غير مساو لغيره ممن ملكها وفخره بهذه الفضيلة على تقدير كونها فضيلة ليس مساو يا
لفخر من افتخر بها فقد ملكها حال كونه زائدا عليها في الفخر على سائر ملاكها بإعراضه عنها فزائدا
وصف له صلى الله عليه وسلم والأولى أنه صفة مصدر هو مفعول مطلق لمالك أي مالك ملكا زائدا
على هذه الفضيلة بإعراضه عنها انتهى وهذا محصل ما في جميع الشروح وقوله في الفخر متعلق
بقوله زائد وأقول لا يخفى أن هذا كله كلام مظلم لم يتنور به كلامه وتحقيقه أن يقال هو
مبتدأ حائز خبره وما لك معطوف عليه وإن مكسورة شرطية وكانت ناقصة اسمها ضمير للفضيلة
أو للمالية وفضيلة منصوب خبرها وقوله زائد خبر ثالث والخبر إذا تعدد يجوز عطف الجميع وترك
عطفها وعطف بعضها دون بعض كالصفات وترك العطف فيه لأنه ليس من جنس ما قبله لأن
الفضيلة الدنيوية ليست من جنس ما يزاد عليها في الفخر والفضيلة لأن الأول أمر دنيوي لا
فخر فيه باعتبار ذاته بل باعتبار ما يترتب عليه إذا صرف في وجوه الخيرات من الثواب ونصرة
الدين ولذلك أتى فيه بإن الشرطية لأنه لكونه ذا وجهين إذ لا أفضلية له بحسب ذاته يتوهم
أنه لا فضيلة له أصلا فإن نظر لما يترتب عليه فإنه فضيلة لكنها لكونها غير ذاتية كأنها غير
محققة أي هو زائد على تلك الفضيلة المالية في فخره بالأمور الدنيوية لو أراد إذ ما الزيادة
ما يأتيه لو بقي على ما عند غيره أو يكون مكسبه طيبا ومصرفه في محله وفيه من الفوائد ما لا
يتيسر لغيره فحاصل المعنى أنه صلى الله عليه وسلم حاز من الغنى وفضل المال والفخر به وإن لم
يعبأ به ما لم يحز بعضه غيره ولذا قال بعض العرب إن محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفقر ولأن
غناه على غنى غيره فوائد لا تتيسر لغيره ويجوز نصب زائدا على أنه حال من ضميره صلى الله عليه
وسلم وما مر من لا يتحقق الكرم بدونه فكيف لا يكون فضيلة ليس بشيء فإن المراد أنه ليس
فضيلة ذاتية وما ذكره لا ينافيه كما لا يخفى ومعرق بضم وسكون العين المهملة وكسر الراء
المهملة المخففة وفتحها مع التخفيف والتشديد والأول هو القياس من أعرق الرجل والشجر
إذا اشتدت وامتدت عروقه والمعنى أنه أصيل في الكرم والحسب قال ⑤

المجد يا خير من كرنية • في قومها والفحل فحل معرق

وقد يقال في اللؤم تهكما وعرق الثرى آدم قال امرئ القيس

إلى عرق الثرى وشجت عروقي • وهو مرفوع معطوف على قوله زائد فإن
نصب نصب يعني أن الناس تتمدح بالمال بكثرة جمعه وكذلك النبي جمع له ما جمع لأهل الدنيا
وهو زائد عليهم وذلك أصيل في المدح بذلك لأنها لا قيمة لها عنده كما أشار إليه بقوله بإضرابه
عنها أي بسبب إعراضه عن الجهة المالية وزهده في فائتها بالفاء ومثناة تحتية ثم
فوقية أي يزهد فيما هو فائت منها أي ذاهب كما قال تعالى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما
آتاكم وفي بعض النسخ فانيها بنون بعد الألف وبذلها بموحدة وذال معجمة أي إعطائها
في مظانها من المظنة بالضاد المعجمة والنون أي يجود في محال تبخل فيها الناس كذا ضبطه
وفسره التلمساني وهو في غاية الحسن والظهور وضبطه البرهان الحلبي بالظاء المشالة وعليه
الرواية في أكثر النسخ جمع مظنة بالكسر وهي الموضع الذي يظن كونها فيه فالمعنى أنه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يبذلها في محلها الذي ترجى فيه كمحال البر والصلة فهم

فصل واما الخصال المكتسبة

اي الصفات الحميدة التي ليست ضرورية لا طبيعية **من الاخلاق الحميدة** من هنا تبعيضية او بيانية **والآداب الشريفة** جمع ادب وهو الافعال المستحسنة في معاملة الناس ومخالطتهم **التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها** اي من قامت به واتصف بها **بالخلق الواحد منها** اي يمدح بكل واحد منها منفردا **فضلا عما فوقه** اي عما زاد على الواحد منها وفضلا يفيد ان ما بعده اولى بالحكم مما قبله كقولهم فلان لا يملك درهما فضلا عن دينار ولابن هشام فيه رسالة مستقلة في بيان اعرابه ومعناه وهي مشهورة الا انهم قالوا انها تلزم الوقوع بعد نفي صريح او مأول كقوله هم

قلما يبقى على هذا القلق • صخرة صما فضلا عن رمق •

لان قل ورد بمعنى النفي لان القلة اخت العدم ولا يختص هذا بكونها مكفوفة بما كما قاله ابن هشام والمص استعملها في الاثبات لان معنى الواحد الذي لا يتعدد فلا اشكال في كلامه **واثنى الشرع على جميعها وامر بها** فيدل ثناؤه عليها على حسنها والامر بها على انها مكتسبة والا لم يكن الامر بها فايدة وفيه دليل على جواز تغير الطباع وتبدلها وقوله والطبع في الانسان لا يتغير مأول او اكثري **ووعد السعادة الدائمة** منصوب بنزع الخافض اي وعد بالسعادة وهو مضمن معنى اعطى **للمتخلق بها** اي الذي اتخذها خلقا واتصف بها اذا قصد بذلك وجه الله وليس المراد المتكلف المتصنع باظهار ما ليس فيه فانه مذموم كما قيل

يا ايها المتحلي غير شيمته • ان التخلق يأبى دونه الخلق •

ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة كما ورد في الحديث السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من اربع وعشرين جزءا من النبوة وورد في حديث آخر ان الهدي الصالح والسمت الصالح جزء من خمس وعشرين جزءا من النبوة وهذا هو الذي اشار اليه المص اي هذه الخصال من شمايل الانبياء وفضائلهم وليس معناه ان النبوة تتجزا او تكتسب بجمع هذه الخصال لانها كرامة يخص الله بها من شاء من عباده **وهي المسماة بحسن الخلق** قيل اطلق عليها خلقا لكونها ناشئة عنها والا فحسن الخلق هيئة للنفس باعثة على الافعال الحسنة والشيم الشريفة وههنا اربعة امور صدور الفعل الحسن والقدرة عليه ومعرفته والهيئة الحاملة للنفس على صدور ذلك عنها وليس حسن الخلق عبارة عن الاول لان ذلك قد يصدر عنه تكلفا او رياء ونحوه ولا عن الثاني لان تعلق القدرة بالشيء والحسن على السوية ولا عن الثالث لذلك فتعين الرابع انتهى وقيل ان المص جعل الخصال الحميدة حسن خلق وجعلها مكتسبة فانها كسبية في اول امرها ثم تصير سجية وطبيعة وهو مبني على الاصح من ان الاخلاق مكتسبة قابلة للتغير كما عليه المحققون والخلق هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الافعال بسهولة ثم اطال بما لا طائل تحته والثمرة تدل على الشجرة فكن على بصيرة **وهو** اي حسن الخلق **الاعتدال في قوى النفس واوصافها** قوى جمع قوة وليست الشدة وضد الضعف كما توهم بل الامور المركوزة في الخلق كما تسمى المتخيلة قوة ونحوها من ساير القوى النفسية واعتدال القوى ان لا تخرج الى الافراط والتفريط واعتدال قوة العقل يعبر عنه بالفطنة والكياسة فان مالت الى الافراط تسمى مكرا او خداعا وان مالت الى التفريط تسمى بلها وحمقا وكذا اعتدال قوة الغضب شجاعة فان افرطت فهي تهور وان

مالت الى التفريط تسمى جبنا فطرفا كل قوة مذموم والاعتدال هو الوسط المحمود وهو المعبر عنه بحسن الخلق كما اشار اليه بقوله **والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها** منحرف بكسر الراء من اضافة الصفة الى موصوفها اي اطرافها المنحرفة والمنحرف بمعنى المائل والمراد بالاطراف ما بيناه ويجوز فتح رائه على انه مصدر ميمي بمعنى الانحراف والاول اولى **فجميعها** اي جميع الخصال المحمودة **قد كانت خلق نبينا عليه السلام** انث ضميره لاكتسابه التانيث من المضاف اليه **على الانتهاء في كمالها** حال من ضمير كانت مستقرة تلك الاخلاق الحسنة على انتهاء الكمال شبه تمكنها واستقرارها بتمكن الراكب على مركوبه كما تقرر في قوله على هدى من ربهم **والاعتدال الى غايتها** معطوف على كمالها اي وصلت الى غاية الاعتدال والسداد حتى غاية للغاية **اثنى الله عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم** اي مستقر ثابت على خلق يستعظمه كل واقف عليه لحسن مداراته وتحمله اذى قومه وملاطفته لهم كما تضمنه قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين **قالت عائشة كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه** اي كان متمسكا باوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب لا يتعداها يرضى بكل ما يرضي الله ويسخط بكل ما لا يرضاه كل ذلك لله لا لحظ نفسه وقال السهروردي قدس الله روحه في عوارف المعارف في كلام الصديقة بنت الصديق سر غامض وذلك ان النفوس البشرية مجبولة على صفات وطبائع شيطانية وبهيمية وسبعية والى الاولى اشار بقوله خلق الانسان من صلصال كالفخار لدخول النار في الفخار وخلق الجان من مارج من نار والله يعظم عنايته نزع حظ الشيطان منه كما ورد في حديث شق صدره فبقيت نفسه الزكية على حد النفوس البشرية مبقاة فيها امهات تلك الصفات الا انها غير ممتزجة بظلمة الطباع لتفاوت حاله عن حالهم فتنزل الآيات لقمعها تاديبا من الله لنبيه رحمة خاصة به وعامة موزعة على الاوقات عند ظهور الصفات كما قال كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا فتثبت فؤاده بها عند ظهور بعض الصفات لارتباطه بنفسه فعند كل اضطراب تنزل آية لمصالح سنية كما وقع في احد اذ شج فقال كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل عليه ليس لك من الامر شيء فليس قلبه لباس الاصطبار وفاء بعد الاضطراب الى القرار فلما توزعت الآيات على تلك الصفات بحسب الاوقات صفت الاخلاق النبوية بالقرآن وفي امهات امهات تلك الصفات تهذيب للامة وتاديب لنفوسهم ولا يبعد ان يقال في كلامها رمز ولما خفي الى الاخلاق الربانية فاحتشمت ان تقول كان متخلقا باخلاق الله وعبرت بقولها كان خلقه القرآن استحيا من سبحات الجلال وسترا للحال بلطيف المقال لوفور علمها وكمال ادبها انتهى ولا يخفى ان خلقه في كلامها اسم كان والقرآن خبرها وما قيل من انه على العكس بضبط النسخ الصحيحة ويجوز بحسب العربية عكسه لانهما معرفتان لا وجه له فان خلقه معلوم والذي قصد اثباته انما هو بيان حاله وما تخلق به وهذا ما اتفق عليه النحاة واهل المعاني فالوجه هو الاول وهذا الحديث رواه البيهقي في دلائل النبوة بتمامه والسخط ضد الرضى وقد يقال الرضى بالاكراه فله معنيان وعليه مبنى الخلاف في رضي الله بالكفر وعدمه كما فصلناه في حواشي البيضاوي وقوله وقال عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق حديث صحيح رواه احمد عن معاذ والبزار عن ابي هريرة بهذا اللفظ ورواه مالك في الموطا وغيره بغير هذا اللفظ ومكارم الاخلاق كانت موجودة قبله لا سيما في العرب فتممها صلى الله عليه وسلم

بع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بشريعته السمحة وزاد فيها ما لم يسبق اليه وجمع ما تفرق منها فيه وفي امته فهذا على
حقيقته وليس من قبيل قولهم ضيق فم الركية كما لا يخفى **قال انس كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم احسن الناس خلقا** وهو حديث صحيح رواه الشيخان وقال الحليمي وصف خلق
عظيم والآية والغالب وصفه باحسن كما في هذا الحديث لان حسن الخلق وكرمه يراد به
اللين والسماحة ولم يكن خلقه مقصورا على ذلك بل كان رحيما رؤوفا بالمؤمنين عسيرا على
الكفار مهيبا في صدورهم فكان وصفه خلقه بالعظم اولى ليشمل الانعام والانتقام ولهذا
ازداد في المتن بحديث انس خادم النبي صلى الله عليه وسلم وفي مسلم عنه خدمت النبي صلى الله عليه
وسلم عشر سنين والله ما قال لي اف قط **وعن علي بن ابي طالب مثله** اي وروي عن علي مثل ما قاله
انس بلفظه كما ذكره ابو عبيدة في الغريب **وكان صلى الله عليه وسلم فيما ذكره المحققون مجبولا**
اي مخلوقا مطبوعا **عليها** اي على مكارم الاخلاق **وفي اصل خلقته واول فطرته** التي فطره
الله عليها من غير تكلف ولا تعلم **لم يحصل باكتساب ولا برياضة الا بجود الهي وخصوصية**
بفتح الخاء وضمها **ربانية** منسوب للرب على خلاف القياس **وهكذا** اي مثل هذا من جمع مكارم
الاخلاق وفطرة **ثبت لسائر الانبيا** اي لباقيهم او جميعهم انهم مجبولون على كرم الاخلاق
وحسنها واما غيرهم فبعضها فيهم فطرة وجبلة وبعضها مكتسب واما الخلاف في الاخلاق هل هي
جبلية او كسبية فليس هذا محله كما ذكره بعضهم والحق ان بعضها جبلي وبعضها مكتسب والجبلي
يقبل التغير والزوال كما سبق تفصيله وفي قوله فيما ذكره المحققون اشعار بان خلافهم ذهب
الى انها كسبية في الانبيا فيعلم حال غيرهم بالطريق الاولى ولذا اعترض عليه بانا لا نعلم خلافا
في ذلك وخلط بعض الشراح هنا فادخل نفس النبوة في كلامه وجعل هذا اشارة الى مذهب الحكما
في ان النبوة تحصل بالرياضة والتصفية ولا حاجة لمثله من التكلف فان مراده الاشارة الى
الخلاف في مطلق الاخلاق والفضائل النفسية كما ذكر في كتب الاخلاق وهو اشهر من ان يذكر
ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك اي كونها خلقية جبلية وانما قيد بقوله
الى مبعثهم لان بعد البعثة ونزول الوحي لا يظهر كونه جبليا لتعليم الله له ذلك حينئذ فلا
تقوم الحجة على من يقول انه جبلي ح اما قبله فامره ظاهر لا تشتبه **كما عرف من حال موسى
وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام** قيل انما خص هؤلاء بالتمثيل لما اشتمل عليه
موسى بن سليمان من الشهامة ويحيى وعيسى من الانقطاع عن الخلق والسياحة ولذا قدم موسى
على عيسى وهو قبله ويحيى على سليمان او لذكر اخبار هؤلاء في الطفولية وهذا الثاني هو الحق
فان هؤلاء وقع منهم امور في طفوليتهم وامور الطفولية جبلية من غير شبهة عندنا كما اشار
اليه بقوله **بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم والحكمة في الفطرة**
غرزت بالبنا للمجهول واصل معنى الغرز ادخال شيء في شيء فكان الطبيعة اذ خلت فيهم ومنه
الغريزة وهي الطبيعة وقال البرهان معنى غرزت خلقت والفطرة الخلقة وفاطر السموات
بمعنى خالقها واودعوا مجهول نضا من الوديعة ففيه استعارة مكنية وتخييلية وما ذكره
من الترتيب في النسخ عندنا ما يخالفه وسياتي من المصنف ما يبين ما قلناه **قال تعالى وآتيناه
الحكم صبيا** الحكمة والحكم من الحكم وهو المنع ومنه الحكمة بفتحتين سمي به لمنعه من الفساد
وكل ما لا ينبغي واختلف في تفسيرها هنا **قال المفسرون اعطي يحيى العلم بكتاب الله** يعني
يعني التوراة في حال صباه اشارة الى ان قوله صبيا في الآية حال وهذا احد التفاسير فيها

وقيل

وقيل هو الفهم والعلم وقيل هو النبوة وعن ابن عباس كل من قرأ القرآن قبل ان يحتلم
فقد اوتي الحكم صبيا وعلى تفسيره بالنبوة فالمراد انه بظهور آثارها كانه اوتيها فهو مجاز
بناء على ان الله لم يبعث صبيا قط وكذا اول قول عيسى وهو طفل اني عبد الله آتاني الكتاب
وجعلني نبيا وقيل الحكم مع العلم العمل **وقال معمر كان** اي يحيى **ابن سنتين او ثلاث** في
بعض النسخ معمر بدون ابن ومعمر بميمين مفتوحتين بينهما عين مهملة ساكنة وراء مهملة وهو
معمر بن راشد ابو عروة الازدي مولاهم عالم اليمن روى عن الزهري وغيره وروى عنه واحتج
له الائمة الستة وهو ثقة الا ان له اوهاما تحتمل في جنب سعة علمه توفي سنة ثلاث وخمسين
ومائة باليمن وله ترجمة في الميزان ابن سنتين او ثلاث قيل هذا غريب في الرواية والاصح انه كان
ابن ثمان وقيل لا غرابة فيه فانه منقول عن قتادة ومقاتل من طرق والغريب ما انفرد به رواته
فكيف يكون غريبا **فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال ما للعب خلقت** قال السيوطي رواه
الديلمي عن معاذ بن جبل ولم يسنده والحاكم في التاريخ عن ابن عباس مرفوعا وسنده واه واخرجه
احمد في الزهد وابن ابي حاتم في تفسيره عن معمر قال بلغني فذكره والاستفهام انكاري
في معنى النفي ولذا روي لم اخلق للعب والمشهور انه لم يبعث الله نبيا طفلا بل روي انه لم
يبعث الله نبيا قبل الاربعين فقيل هو المطرد وهذا نادر لا يرد نقضا ومن الغريب ما قيل ان
الله خلق عيسى بالغا عاقلا وان كان في صورة طفل كما خلق آدم وحتى قيل الهم التوراة في
بطن امه وروي عن الحسن فلا حاجة الى تاويل ما ورد فيه بالتأويل المشهور **وقيل في قوله مصدقا بكلمة
من الله صدق يحيى بعيسى** هذا بناء على ان المراد بالكلمة عيسى لانه بدون اب فشابه ما
ابدع من عالم الامر كما قال البيضاوي او لكونه وجد بكلمة كن او لاهتداء الناس به كما يهتدون
بكلام الله كما سمي النبي ذكرا ورسول قاله الراغب وقال الصدر القونوي في نفحاته لصورة كل
في عرصة العلم الالهي الازلي مرتبة الحرفية فاذا صبغه الحق بنور الوجود الذاتي
وذلك بحركة معقولة معنوية يقتضيها شان من الشؤون الالهية المعبر عنها بالكتابة تسمى
صورة ومعلومية الشيء المراد بكونيته كلمة وبهذا الاعتبار سمى الله الموجودات كلمات وسمى
عيسى كلمة وقال اليه يصعد الكلم الطيب اي الارواح الطاهرة انتهى وهذا يحتاج لذوق
شهودي فافهم ولا حاجة لحمل من زائدة على هذا كما قيل **وهو** اي يحيى **ابن ثلاث سنين فشهد
له انه كلمة الله وروحه** قد بينا معنى كونه كلمة الله وكان يحيى وعيسى ابني خالة كما مر ويحيى
اكبر سنا منه واطلاق روح الله عليه اما لان جبريل المسمى بالروح نفخ في روع امه فيكون
من نفخته فاضافته الى الله اضافة ملك وتشريف ولانه خلقه من غير واسطة بشر ولذا اوقع
النصارى فيما وقعوا فيه وعن كعب ان الله خلق ارواح بني آدم قبل اجسادهم لما اخذ عليهم
الميثاق فامسك روح عيسى فلما اراد خلقه ارسلها لمريم فلذا كان روحا نبيا وقيل الاضافة
للتشريف كبيت الله وقيل معنى روح الله نعمة الله لان الروح تطلق على النعمة وفي صحيح البخاري
مسندا عن النبي صلى الله عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله وان عيسى عبد الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق
ادخله الجنة **وقيل صدقه يحيى وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما
في بطني يسجد لما في بطنك تحية له** منصوب مفعول له اي سجوده له سجود تحية وتعظيم
لا سجود عبادة وكان السجود مما يعظم به المخلوق قبل الاسلام وهذا الحديث رواه احمد وابن

الألوكة
www.alukah.net

جرير عن مجاهد من طرق متعددة فهو حديث صحيح الا انهم لم يرفعوه للنبي ومثله لا يقال من قبل الرأي فهو في حكم المرفوع قالوا وهذا هو المراد بقوله مصدقا بكلمة من الله وهذا يقتضي ان حمل مريم بعيسى طالت مدته وفي تلك المدة اختلاف وقيل انها ولدته في ساعة نفخ الروح وقد نص الله على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لها لا تحزني وهذا احد من تكلم في المهد وفي عددهم خلاف وفي الصحيحين عن ابي هريرة لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وغلام كان يرضع في حجر امه ومر راكب فقال اللهم اجعل ابني مثله فظاهره الحصر اذ لم يذكر فيهم الصبي المذكور في حديث الساحر الذي قال لامه اصبري فانك على الحق وهو في صحيح مسلم واجيب بانه لم يكن في المهد وان كان صغيرا لم يبلغ حد التكلم ورد بان ابن قتيبة حكى انه كان ابن سبعة اشهر فلعله صلى الله عليه وسلم انما اطلع اولا على ثلاثة ثم اطلعه الله بعد ذلك على غيرهم لثبوته في صحيح مسلم وقالوا تكلم في المهد ابراهيم كما ذكره البغوي والقاضي في التفسير • وروي ان نبينا صلى الله عليه وسلم تكلم في المهد عند حليمة واول كلمة تكلم بها الله اكبر وحكي عن الواقدي وشاهد يوسف كما حكاه القرطبي وقيل انه كان رجلا وابن ماشطة فرعون كما في مسند احمد وفيه زيادة لقوله ابن ماشطة ابنة فرعون وروى الضحاك تكلم يحيى في المهد ايضا ومبارك اليمامة الذي كلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الدلائل فهم عشرة كما فصله البرهان الحلبي ونظمهم القائل بقوله •

اذا رمت سرد الناطقين بمهدهم • فمنهم رسول الله احمد ذو المجد
خليل وعيسى ويحيى وطفل من • دعته لاتيها فورا كذي شارع فرد
فقال الا لا تجعلني مثله • ورد عليها قولها افصح الرد
كذاك الذي قد قال بن جريجنا • بري فلا تؤموه بعد بما يردي
ومنهم عجيب كان يدعى مباركا • وقال رسول الله قد جاء بالرشد
وماشطة كانت لفرعون تنتمي • وكان لها طفل تكلم في المهد
كذا شاهد في شان يوسف منهم • فدونك جمعا زان الحسن في العقد

وقوله بقوله الخ يعني انها لما حملت بلا زوج فرت وهي حامل لمكان بعيد خوفا من اهلها فلما وضعته قال لها لا تحزني على قراءة من قرأ من تحتها بفتح الميم على ان من موصولة وتحتها بنصب الناظرة صلته وقد اورد على المصنف هنا امران الاول ان تخصيصه لا دلالة للاية على ان المتكلم عيسى في المهد بهذه القراءة لا وجه له فان القراءتين على حد سوا في احتمال ان يكون المنادي عيسى او جبريل وبعض الملائكة وكيف لا ومعنى النظم على القراءتين واحد فان المعنى ناداها مناد من تحتها قائلا لا تحزني فان قيل لو كان جبريل كان فوقها لا تحتها لاتيانه من الافق قيل ان جبريل كان منها مكان القابلة وقيل انها كانت على اكمة هو تحتها واذا كان عيسى قال الخفيري معنى كونه تحتها انه كان تحت ثيابها الثاني انه قيل ان كلام المصنف في حسن الاخلاق وانها جبلية وكلام من في المهد ليس من هذا القبيل بل من قبيل خوارق العادة كنطق الجوارح يوم القيامة وتسبيح الحصى ونطق الشجر وهو لم يدم فانه ينقطع ويعود في زمنه ولم يقولوا باستمراره ولو استمر كان مناسبا لما ذكر والجواب ان ما ذكره بحسب الظاهر لانه لو كان جبريل وقد ذكرها بقوله انما انا رسول ربك كان الظاهر ان يقول فناداها كما في القراءة الجارة بين فلما عبر عنه بالاسم الظاهر وعدل اليه في محل الاضمار علم انه غيره وليس ثمة احد فعلم انه عيسى

ومعنى كونه تحتها ان المرأة في حال الوضع ترتفع عن الارض فيقع الولد تحتها فلا حاجة لما قاله الخفيري واما السؤال الثاني فساقط لانه وان كان خارقا للعادة يدل على انه بما يأتي بعد من جنسه امر جبلي وقراءة الكسر بمن الجارة والفتح بمن الموصولة كلاهما متواترة من السبعة وعلى قول من قال ان المنادي بكسر الدال عيسى لا الملك ونص على كلامه في المهد المهد كالمهاد بمعنى الفراش الممهد ثم خص بما يبسط فيه الطفل لنومه وقراره فيه فقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا فلم تكلم علموا براءة مريم ثم سكت حتى بلغ مدة الكلام لامثاله وجعل اول كلمة الاقرار بالعبودية ابطالا لقول النصارى انه ابن الله لان الولد لا يكون عبدا ولو ملكه عتق عليه والكتاب الانجيل ويجوز ان يريد التوراة لعمله بها والاعم وتعبيره بالماضي باعتبار ما قدره الله له او جعله بمنزلة الواقع لتحققه وقيل انه نبي في صغره حقيقة كما روي عن الحسن وقال الله ففهمناها سليمان وكلا اي من سليمان وداود آتيناه حكما وعلما اشارة الى قصة سليمان اذ اوتي الحكم صبيا وعمره اذ ذاك احد عشر سنة في

اي القصة الآتية صح

التي نفشت في الحرث اي رعته ليلا وافسدته والنفش الرعي بالليل بلا راع فان كان بالنهار فهو همل وكان يجلس على الباب الذي يخرج منه الخصوم الداخلين عليه من باب آخر فتخاصم رجلان لاحدهما حرث وهو زرع وقيل كرم والحرث يطلق عليهما وللآخر غنم دخلت حرثه فافسدته فحكم داود بدفع الغنم لصاحب الحرث على ان يبقى الحرث بيده وقيل بدفع الغنم لصاحب الحرث ودفع الحرث لصاحب الغنم فدارا ورأى على القول الاول ان الغنم تقاوم الغلة الفاسدة وعلى الثاني رأى انها تقاوم الحرث والغلة معا فلما خرجا على سليمان سألهما عما حكم به فرجع لابيه وقال ارى ما هو ارفق بالجميع وهو ان ياخذ صاحب الغنم الحرث فيقوم عليه حتى يعود لما كان وياخذ صاحب الحرث الغنم فينتفع بنسلها وريعها فاذا عاد الحرث لحاله صرف مال كل صاحب له فقال اصبت وحكم بما قاله قال العلامة ابن القيم في كتابه معالم النفوس ثم حكم داود بقيمة المتلف فاعتبر الغنم فوجدها بقدر القيمة فدفعها لصاحب الحرث اما لانه لم يكن له دراهم وتعذر بيعها ورضوا بدفعها واخذها عدلا عن القيمة وسليمان قضى بالضمان على اصحاب الغنم وان يضمنوا ذلك بالمثل بان يعمروا البستان حتى يعود كما كان فلم يضيع عليهم شيئا من حين الاتلاف الى حين العود فاعطى اصحاب البستان الماشية لياخذوا من نمائها بقدر نماء البستان فيستوفوا من نماء الغنم بقدر ما فاتهم من نماء حرثهم وقد اعتبر النمائين فوجدهما سواء وهذا علم خصه الله به واثنى عليه بادراكه وقد تنازع العلماء في ضمان النفش وفي المثل وهو الحق وهو احد القولين ومذهب احمد والشافعي ومالك والمشهور خلافه والقول الثاني موافقته في ضمان النفش دون التضمين بالمثل وهو المشهور عن احمد ومالك والشافعي والثالث موافقته في التضمين بالمثل دون النفش كما اذا رعاها صاحبه باختياره دون ما اذا انفلتت ماشيته ولم يشعر بها وهو قول داود ومن وافقه والقول الرابع ان النفش لا يوجب الضمان بحال وما وجب من ضمان الرعي بغير النفش فانه يضمن بالقيمة لا بالمثل وهو مذهب ابي حنيفة وما حكم به سليمان اقرب الى العدل والقياس وقد حكم رسول الله ان على اهل الحوائط حفظها بالنهار وما افسدت المواشي بالليل ضمان على اهلها فصح بحكم ضمان النفش وصح بالنصوص السابقة والقياس الصحيح وجوب الضمان بالمثل وصح بنص الكتاب الثناء على سليمان بتفهيم هذا الحكم فصح انه الصواب انتهى وقال البجاني اختلف في حكمهما

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في هذه القضية هل كان بوحي فالثاني ناسخ للاول او باجتهاد بناء على ان كل مجتهد مصيب
وكونه فتيا يرده ان فتيا الانبيا حكم مع انه يأباه قوله اذ يحكمان وكنا لحكمهم قيل ويؤيد انه
اجتهاد قول سليمان اني رايت ما هو اوفق بالجميع وهو مبني على جواز خطاء الانبيا في اجتهادهم
وانه لم يقروا عليه وفي التلويح هنا كلام يلوح عليه اثر الضعف على ان شريعة من قبلنا ليست
شريعة لنا مطلقا وقد ورد في الحديث ما يخالفه كما سمعته آنفا وقول ابي السعود ان راي
سليمان استحسان وراي داود قياس قيل انه غير سديد لان الاستحسان اما دليل ينقدح في
نفس المجتهد والهام الانبيا لا يكون الا صوابا او هو العدول عن قياس الى قياس اقوى منه وحينئذ
كل منهما قياس واجتهاد او هو العدول عن الدليل الى العادة لمصلحة ومثله من الانبياء جائز
ولا يخفى ما فيه وفي الكشاف ان حكم داود لان الضرر وقع بسبب الغنم فسلمت بجنايتها الى المجني
عليه كما قال ابو حنيفة في العبد اذا جنى جناية على نفس فيدفعه سيده او يفديه وعند الشافعي
يبيعه بذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت قدر النقصان في الحرث وسليمان جعل الانتفاع
بالغنم بازاء ما فات واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث ما به يزول ضرره كما لو غصب عبدا
فابق في يده فان قيمته تدفع لسيده ينتفع بها فاذا ظهر رد وفي هذا المقام كلام طويل لا حاجة
لنا به فان اردته فارجع اليه **وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة**
المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به ابوه داود كما اقتدى به في قصة الحرث وذلك
كان في صباه واول امره فهذا واشباهه مما يدل على انها امور جبلية غير كسبية وقصة المرجومة
كما حكاه التلمساني ان امراة كانت بارعة الجمال وهي من اهل الدين ولها حق فرفعت امرها الى احد
قضاة بني اسرائيل فلما رآها افتتن بها وراودها عن نفسها فامتنعت ثم ذهبت لثان وثالث
ورابع فكل راودها عن نفسها وانت لداود نبي الله فحجبت عنه فاجمع الاربعة ان يقولوا لداود
ان لها كلبا تمكنه من نفسها وزنى بها ففعلوا وامر برجمها فرجمت فبينما داود يوما في علية له
مشرفا على صبيان يلعبون مع سليمان وفيهم صبي جميل فجعلوا سليمان قاضيا والصبي كمراة
ذات حق واربعة منهم قضاة وفعلوا مثل تلك القضية بتمامها من المراودة والتهمة وذلك بمراى
من داود كما في قصة المرجومة ففرقهم سليمان وقال لاحدهم ما لونه فذكر لونا وكذا كلا
بانفراده فذكر كل لونا يخالف الاخر فامر الصبيان فضربوهم فقتلوا وهكذا نقله غير من الشراح
عن ابن عساكر مسندا وكذا نقله السيوطي في تخريج هذا الكتاب ولم يتعقبه فقول ابن رسلان
المراد المرجومة التي اريد رجمها لان داود اراد ان يرجمها ثم لما راى صنيع سليمان درا عنها
الحد فسماها المص مرجومة باعتبار ما يؤول او لانه اريد رجمها وتبع فيه غيره ولا يخفى انه
مخالف للظاهر فلا وجه لكلامه ولا لمن تبعه فيه ثم انه قيل ان هذا يقتضي انه كان في شريعتهم
ان المراة الممكنة من نفسها حيوانا ترجم وان شاهد الزور يقتل وفي الشريعة المحمدية ان حكمها
التعزير وقصته هي ما رواه الشيخان عن ابي هريرة قال بينما امراتان معهما ابنان لهما فاخذ
ذيب احدهما فتحاكمتا الى داود فقضى به للكبرى فدعاهما سليمان وقال هاتوا السكين اشقه بينهما
فقالت الصغرى رحمك الله هو ابنها لا تشقه فقضى به لها لشفقتها عليه ورضي الاخرى
بشقه ليتشاركا في المصيبة قال البجاني هذا مما لا شبهة في صحته واما الحديث الاول فالله
اعلم بصحته وقد ورد في الاسرائيليات على غير رواية ابن عساكر وان داود لم يرجمها وانما امر
برجمها فمروا بها على سليمان فاوقفها واحضر الشهود وفرق بينهم كما مر فرجع سليمان عن حكمه وعلى

هذا

هذا معنى ما مر من ان المرجومة هنا مجاز عمن اريد رجمها وفيه قول بل منها انه اذا تجوز
بالفعل عن ارادته لا يلزم وقوعه ومنها ان ابا هريرة قال والله ان سمعت بالسكين الا
ذلك اليوم ومنها ان داود يحتمل انه قضى به للكبرى لشبهه بينهما وانه كان في شريعته يجوز
الالحاق بالشبه او لكونه في يدها والترجيح باليد شرعية واما سليمان فتوصل بلطف لمعرفة
باطن القضية فاوهمهما ارادة شقه ليسوي بينهما ومثله يفعله حذاق الحكام فيقضون
بامور لو جرت لم يقض بها شرعا ولعل الكبرى اقرت بانه ليس ولدها فرده باقرارها لا بمجرد
الشفقة فلذا نقضه داود وحكمه او ان في شرعهم انه يجوز للمجتهد نقض حكم المجتهد كما مر في
مزيل الخفا ومنها انه وقع في مسلم ان الصغرى قالت لسليمان لا يرحمك الله ويرحمك
الله جملة مستانفة دعائية لكنها موهمة للدعا عليه وفي الاكمال ان السلف كرهوا مثله
لما فيه من الايهام بدليل ما روي عن ابي بكر الصديق قال لمن قال له مثله لا تقل هذا وقل لا
لا ويروي بعضهم لا ويرحمك الله اقول يعني ان الواو تزاد لدفع الايهام كما تحذف له في
نحو قوله   وتظن سلمى انني ابغي بها • بدلا اراها في الضلال تهيم •
فانه لو قال واراها ربما ظن انه معطوف على ابغي وليس مراده ذلك وسال الرشيد رجلا عن
شيء فقال له لا وايد الخليفة فاستحسنه منه فلما سمعه قال هذه الواو احسن من واوات
الاصداغ في خدود الملاح وهذه الواو اما زائدة او اعتراضية او لعطف الانشا على الخبر فكونها
قصة فرعون واخذه بلحيته وهو طفل فرعون لقب لكل من ملك القبط وهذا هو مصعب
ابو الوليد بن ريان كان من القبط العمالقة عمر من الزمن اربعمائة سنة وسن موسى اذ اخذ بلحيته
ابن عامين وكان فرعون استعبد بني اسرائيل واستخدمهم وضرب عليهم الجزية فراى في منامه
واخبره الكهنة ان زوال ملكه على غلام من بني اسرائيل فامر بقتل كل مولود يولد منهم فراى
اهل مملكته ان في ذلك ضررا عليهم لانهم خدمهم ويكفونهم المؤنة فعزموا على قتلهم عاما بعد
عام قيل وهو بعيد لاحتمال انه يولد عام استحيائهم واتفاق العقلاء على مثله غير ظاهر ثم
ان عام ولادته زوجا او فردا او غيرهم وولد هارون في عام الاستحيا وولد موسى في
العام الرابع من ولادته وكان عام قتل فخافت امه عليه فاوحى الله اليها على لسان ملك
او الهام في منامها والقول الاول اما لان من لا يكون نبيا قد يرى الملك وقد جوزه جماعة من
السلف او لان امه كانت نبية والمشهور ان النبي لا يكون الا ذكرا قال البجاني وقد ذهب علما
قرطبة الى صحة نبوة المراة وصححه ابن السيد ونسبه ابن الهمام الى بعض اهل الظاهر فاوحى
الله اليها ان تتخذ تابوتا تضعه فيه وتقذفه في النيل ففعلت وكان النيل يدخل منزل
فرعون فبينما هو جالس دخل التابوت به عنده فاخذه آل فرعون ففتحته آسية امراة
فرعون فلما راته رحمته وسالت من فرعون ان تتخذه ابنا فاجابها لذلك فكانت تدخل عليه
به فاخذه وحمله يوما في حجره فمد يده للحيته وجذبها جذبا شديدا فغضب وقال
هذا عدو لي فامر بذبحه فناشدته الله وقالت انه لا يعقل فقال بل يعقل فقالت جربه
فجعل بين يديه تمرة وجمرة وقيل درة وجمرة وقال ان اخذ التمرة او الدرة فهو يعقل والا عذر
فلما مد يده للتمرة صرفه جبريل فاخذ الجمرة فاحرقت لسانه ومنها كان في لسانه عقدة
تمنعه ابانة بعض الحروف وهي التي ازالها الله بدعائه فعذره فلم يزل في حجره الى ان
كان ما كان وموسى وقصصه ونسبه مذكور في محله والطفل يكون للواحد وغيره وقد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يختص بالواحد فيجمع على اطفال • فائدة قيل كل مولود ذكرا او انثى يزيد كل سنة اربع اصابع
باصابع نفسه وكل احد طوله اربعة اذرع مقبوضة الاصابع بذراع نفسه والقوة تزيد الى
اربعين وتقف الى ستين وتنقص بعد ذلك وفرعون هذا غير فرعون موسى وقيل انه هو وانه
اسلم ثم ارتد وقيل ان موسى قال يا رب امهلت فرعون مع كفره فقال انه كان سهل الحجاب فكافأته
على ذلك في الدنيا وقال ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل اي هديناه صغيرا قاله مجاهد
وغيره هذا اصل التفاسير في العلم السابق وقيل المراد قبل موسى وهارون • والرشد الاهتداء
لوجوه الصلاح ويقال رشد ورشد وبهما قرئ قال في الكشاف معنى اضافة الرشد اليه انه
رشد ثابت له ورد بان هذا المعنى حاصل بدون الاضافة لو قيل آتيناه رشدا له افاد ذلك
مع التعظيم ولم نفهم مراده اذ مراده انا آتيناه رشدا معلوما من حاله لا يقاس به وبامثاله من الرسل
لا كرشد غيره وقال ابن عطا اصطفاه قبل ابتداء خلقه اي اختاره رسولا خليلا لا في علمه
فانه لا يختص به بل المراد انه حين اراد خلقه في بطن امه فامر الملايكة ان تكتب اصطفاه
وخلقه تنويها به وتعظيما لقدره بخلاف غيره فانه انما يكتب حاله بعد خلقه والظاهر ان المعنى
انه اصطفى روحه في عالم الذر قبل خلق جسده كما في حديث كنت نبيا وآدم الخ • وفي نسخة
قبل ابراء خلقه قيل لما كان من قبل هذا المعنى قبل خلقه ولا معنى لهدايته قبل خلقه اول له
باصطفاه اللازم له لصحة اصطفاء المقدوم • وقال بعضهم لما ولد ابراهيم بعث الله اليه
ملكا يامره عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك
رشده يعني عبر بالماضي الدال على وقوعه قبل امره فيكون المعنى آتيناه رشده قبل امره فدل
ذلك على ان الايمان واشتغاله بذكر ربه امر جبلي مجبول عليه او امر عرفه به في عالم الذر
والارواح فيكون بمعنى ما قاله عطا او المراد انه عبر بالماضي لسرعة امتثاله حتى كانه وقع
منه فمعنى من قبل على هذا من قبل امره لا من قبل بلوغه كما قيل وقيل ان القاء ابراهيم في النار ومحنته
التي وقعت له مع نمرود فانه كما رواه ابو صالح عن ابن عباس ولد في زمنه وكان له كهنة فقالوا
له يولد في هذه من يفسد الارض ويدعوهم الى غير دينهم وهلاك اهل بيتك على يديه فعزل
النساء عن الرجال ودخل آزر الى بيته فوقع على زوجته فحملت فقال له الكهان ان الغلام قد
حمل به الليلة فقال اقتلوا كل غلام ولد فلما اخذ ام ابراهيم المخاض خرجت هاربة فوضعته في
نهر يابس ولفته في خرقة ووضعته في حلفا واخبرت به اباه فاتاه وحفر له سربا وسد عليه
بصخرة فكانت امه تختلف اليه فترضعه حتى نشأ وتكلم فقال لامه من ربي فقالت انا فقال
من ربك فقالت ابوك قال فمن رب ابي فقالت له اسكت فسكت فرجعت الى زوجها فقالت
له الغلام الذي يتحدث انه يغير دين اهل الارض ابنك فاتاه فقال له مثل ذلك كانت وهو
ابن ستة عشر سنة قال اليماني المعروف انه ابن ست وعشرين كذا في الكشاف والذي اشار
باحراقه رجل من اعراب العجم وهو الكرد ولما هموا باحراقه حبسوه وبنوا حظيرة وجمعوا الحطب
الكبار الصلاب شهرا حتى كان من مرض ينذر جمع الحطب له ثم اشعلوا نارا عظيمة اذا مرت بها
الطير احترقت لشدتها ثم وضعوه في منجنيق مقيدا مغلولا ورموه فيها فناداه جبريل يا نار
كوني بردا وسلاما على ابراهيم فلم يحترق غير وثاقه فقال له حين القي الك حاجة فقال اما اليك
فلا حسبي من سؤالي علمه بحالي وقيل نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل واشرف عليه نمرود من
صرحه فاذا هو في روضة معه جليس من الملايكة فقال اني مقرب الى الهك فقرب اربعة الاف

بقرة

بقرة وكف عنه وقصته مذكورة في القرآن مفصلة في التفسير • واعلم ان نمرود
كما قاله السهيلي بضم النون والذال المعجمة وقد تهمل انتهى قيل لما ارادوا رميه لم يقدروا على
القرب منه فعلمهم ابليس صنعة المنجنيق فلما ارادوا رميه لم يقدروا على القرب منه ولم
يتم لمنع الملايكة له فامرهم ابليس بان يحضروا نساء مكشوفة الفروج فصعدت الملايكة سمته
وان ابتلاء اسحاق بالذبح وهو ابن سبع سنين وقيل ثلاثة عشر سنة وهذا بناء على ان
الذبيح اسحاق كما عليه اهل الكتاب وكثير من المفسرين والمحدثين حتى صنف السيوطي في تصحيحه
رسالة مستقلة والمشهور وهو مذهب الجمهور انه اسمعيل وهو قول اكثر الصحابة كابن عباس
وابن عمر ومعاوية وهو الظاهر فان سارة زوجة ابراهيم كانت لا ولد لها وهاجر جاريته قد
ولدت اسمعيل فغارت منها وكرهت مقامها معها فنقلها الى مكة ومعها اسمعيل وكان بنيانها فلما
كبرت سارة وشاخ ابراهيم بشرتهما الملايكة باسحاق فقالت االد وانا عجوز الاية كان الذبيح
اسحاق ناقض ذلك اخبار الله بانه سيولد له يعقوب ولا يصح ان امر بذبحه بعد ما ولد له
يعقوب للاجماع على انه في صغره كما مر ولقوله فلما بلغ معه السعي ولانه في الصافات ذكره
بشره باسحاق بعد قصة الذبح وبهذا احتج مالك وغيره وورد في الحديث انا ابن الذبيحين
يريد عبد الله واسمعيل وفي تفسير الطبري عن ابن عباس تزعم اليهود ان اسحاق هو الذبيح
وكذبوا وقال بعض من اسلم من احبارهم انهم يحسدونكم معشر العرب ان تكون هذه الفضيلة لكم
وقال الاصمعي سالت ابا عمرو عن الذبيح فقال اعزب عنك عقلك الم تر الموضع الذي اضطجع
فيه الذبيح بمكة ومنى ومتى دخل اسحاق مكة وقال ابن الجوزي هو الصواب والقول بانه اسحق
باطل باكثر من عشرين وجها واطال فيها ابن القيم في الهدي وقال المحب الطبري الاكثر على انه
اسحاق ورجحه هو وغيره والصحيح ما مر ويدل له حديث انا ابن الذبيحين وقصة ذبح ابيه عبد
الله مشهورة لان عبد المطلب نذر ان بلغ بنوه عشرة ان يذبح واحدا منهم تقربا الى الله فلما كملوا
اتى بهم البيت وضرب عليهم القداح فخرج قدح عبد الله ففداه كما هو مشهور والقول بان المراد ابن ابيه
عبد الله وهابيل بناء على ان الذبيح اسحاق كما نقله مغلطاي مع غرابته لا يعلم له وجه لانه لم
يتعين انه من ولده وهابيل الا ان يحمل العم منزلة الاب ولا يخفى ما فيه من التعسف وان استدلال
ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا ووجه الاستدلال ان
الاجرام السماوية آفلة وكل آفل فهو متغير وكل متغير حادث ولا شيء من الحادثات بصانع فلا شيء
من هذه الاجرام بصانع وتلك الاصنام كهذه الاجرام في التغير فلا شيء منها بصانع بل هي دونها
فيثبت لها ذلك بالطريق الاولى فالصانع المغاير لها موجود اذ لا بد للعالم من صانع فثبت
المطلوب بدليل مؤلف من قضايا تستلزم لذاته قولا آخر هو النتيجة والدليل ما يدرك بالقوة وان
كان مفردا وهو المعرف بما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى العلم بمطلوب خبري كالعالم المستدل به على
وجود الصانع والاجرام المذكورة وكان ابراهيم لما اخفته امه في غار خوفا عليه كما مر مكث في
الغار عشرة اعوام كما في عيون المعاني او خمسة عشر شهرا كما حكاه المص فلما عقل سال امه من
ربي كما مر فقالت انا فقال من ربك قالت ابوك فقال من رب ابي فقالت الملك فعرف جهلها
ونظر ما يستدل به عليها فراى النجم فقال هذا ربي الى آخر ما قصه الله والاقوال بناء على ان هذا
قبل بلوغه في الغار وقيل انه بعد بلوغه في الغار او بعد بلوغه وخروجه منه وقد بعثه الله
نبيا وعمره اكثر مما ذكر وهو الذي يتضمنه ظاهر القرآن لانه حكى عنه انه قال لابيه اتتخذ اصناما الخ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ثم عقبه بقوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات الخ ثم ربط به قوله فلما جن عليه الليل الخ فدلت الفا على كونه بعد هذا كله وقوله وتلك حجتنا الخ يدل على مناظرته مع قومه لارشادهم للايمان بالصانع لا لنفسه ويبينه قوله يا قوم اني بري مما تشركون ولو كان في الغار نظرا ⊙ لنفسه قال اني بري من الاشراك فاذا ثبت هذا وانه موحد جازم بعدم ربوبية الكواكب فقوله هذا ربي اما لانه اتى في المناظرة بما قالوه ليكر عليه بالابطال لا انه مسلم عنده او قوله هذا ربي على تقدير الاستفهام والاستفهام انكاري او هو على تقدير اي يقولون هذا ربي وتقدير قالوا هو البحر حذف عنه ولا حرج وهو في القرآن كثير او انه عرف بعد مطباعهم عن قبول الحق لو صرح به ابتدا فاتى بما يستدرجهم الي استماع حجته بان اسمعهم ما يوهم موافقته لهم فاذا اصاخوا له اورد الدليل المبطل لما يعتقدونه بما هو اتم وانفع وهذا قريب من الاول والفرق بينهما بما في هذا من الايهام وعدم اظهار الانكار وسياتي في القسم الثالث ما يتعلق بهذا وقول المصنف استدلالا وهو ابن خمسة عشر شهرا ان كان قصد به دفع ما قيل ان الانبيا موحدون لا يتصور منهم شك في الله ووحدانيته فكيف صدر هذا من الخليل بانه صدر منه قبل سن التمييز وهو غير مكلف فليس بكفر ولا جهل بالله فغير مناسب فانه يجب ان يعتقد انهم اعرف الناس وانهم مجبولون على فطرة سليمة موحدون فالاولى ما قدمناه من التاويل وقد تقدم ان الاصح انه صدر منه بعد بلوغه وبعثته فان سياق الاية ناطق به كما قررناه اولا وهو ما ارتضاه القرطبي في تفسيره وقيل انه قاله في طفوليته من غير اعتقاد ولا قصد كذب والقول بانه بعد البعثة فاسد وقوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض قصة اخرى لانه قصد النظر لنفسه والفا ليست لتعقيب كلامه هذا على ما قاله لابيه وانما هو من قبيل المعاريض تعريضا بجهل عبدة الاصنام وتضليل قومه والقول به على تقدير مضاف اي هذا مخلوق ربي ولا يخفى بعده **وقيل اوحى الله الي يوسف وهو صبي** هذا الوحي يحتمل ان يكون برسول من الملايكة ارسله الله اليه وهو طفل ان لم يقل انه لم يبعث نبيا الا بعد الاربعين وهو وان اشتهر فقد روى المحدثون والمفسرون ما يخالفه ويحتمل انه بالهام او رويا منام وقد ذهب الي كل من هذه الاقوال طايفة وفي الكشاف ان يوسف كان اذ ذاك مدركا وعمره سبع عشرة سنة وهو مخالف لما قاله المصنف من انه كان صبيا عند ما هم اخوته بكسر الهمزة وضمها جمع اخ **بالقايه في الجب** بضم الجيم وتشديد البا وهو البير غير مطوية بالحجارة وسميت بالجب من الجب وهو القطع والجب ببيت المقدس وقيل بالاردن على ثلاثة فراسخ **من منزل يعقوب** وقصة القايه مشهورة غنية عن البيان وسياتي ذكر اخوته وقصتهم **بقوله تعالى** فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب واوحينا اليه لتنبينهم اي لتخبرن يا يوسف اخوتك بامرهم هذا وهم لا يشعرون وهذه جملة حالية اما معارضة بقوله اوحينا او بقوله لتنبينهم وذلك لانه كان صغيرا كما قاله المصنف وقيل بل كان ابن اثني عشرة سنة او ثمانية عشر فعلى الاول هو ممن نبي واوحي اليه في صباه كيحيي وعيسى فالوحي في الاية على ظاهره كما ذهب اليه المصنف وقوله هم هو معنى قوله اجمعوا امرهم لان معنى اجمع عزم وهم كانه جعل رايه جمعا بعد ما تفرق وهو يقتضي ان الوحي وقع له حين هموا بالقايه وفي الاية ما يقتضي انه وقع بعد القايه قال القاضي انهم اتوا بيوسف الي البير ودلوه فتعلق بشفيرها وربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم حيلة منهم فقال ردوا

فقضي

فقضي اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا يلبسوك ويونسوك فلما بلغ نصفها القوه فيها وفيها ما فاوى الي صخرة بها وقام عليها يبكي فجاءه جبريل بالوحي كما قال الله انتهى وهذا يقتضي ان الوحي بعد الالقا تطييبا لقلبه وهم يظنون انه معذب مذلل وهم لا يشعرون ان الله اراد بما بشره به من نصره فالحال من ضمير اوحينا والاولى جعله حالا من قوله هم لتنبينهم اي لتحدثنهم بما فعلوا وهم لا يشعرون انك يوسف لبعد العهد وتغير حالك فهو اشارة لما وقع لهم لما اتوا ممتارين ليتعلم ان المحنة تنقلب منحة **الاية** اي اذكر الاية التي فيها ضاما الحقها **الي غير ذلك ومن اخبارهم** اي اخبار الانبيا **الدالة على انهم مجبولون على الكمال** من ابتداء امرهم في صغرهم **وقد حكى اهل السير مما يدل على ذلك ان امنة بنت وهب** ام النبي صلى الله عليه وسلم **اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حين ولد** اي خرج من بطنها حين اراد الله اخراجه منها فلا لغوية فيه وقيل حين ظرف متعلق بباسطا وهو حال من الضمير المستكن في ولد الاول والظرف موكد لدفع ان الحال مقدرة **باسطا يديه الي الارض رافعا راسه الي السما** رواه ابن الجوزي في الوفا عن ابي الحسين ابن اسيد مرسلا قال قالت امنة ولدته جاثيا على ركبتيه ينظر الي السماء ثم قبض قبضة من الارض وهوى ساجدا وولد وقد قطعت سرته وكنت وضعت عليه انا فوجدته قد تفلق الانا عنه وهو يمص ⊙ ابهامه يشخب لبنا انتهى وروى الطبراني انه لما وقع الي الارض وقع مقبوضة اصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وله نظاير ذكرها ابن حجر في كتاب المولد قيل ولا منافاة بين قبض اصابعه في هذا الحديث من قبض اصابعه وبين ما في سيرة ابن اسحاق من انه ولد واضعا يديه في الارض رافعا بصره وانه كان مسبحا اقول اما التسبيح فلا دلالة في الحديث عليه واما عدم المنافاة فلما في سيرة ابن اسحاق فمسلم لكنه مناف لما ذكره المصنف الا ان تاول بعيد ولله در الابوصيري في قوله

رافعا راسه السماء وفي الرفـ ... ع الي كل سودد ايماء

وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشات اي صرت شابا وهذا الحديث رواه ابو نعيم في الدلايل عن شداد بن اوس **بغضت** بالبنا للمجهول اي بغضها الله الي **الاوثان** جمع وثن وهو حجارة كانت تعبد من اوثنته اذا اجزلت عطيته واوثنت كذا اكثرت منه قاله الراغب وقيل الوثن ما له جثة مما يعبد والصنم الصورة بلا جثة ومنهم من سوى بينهما ويطلق على الصليب وكل ما يشغل عن الله **وبغض الي الشعر** اي استماعه والتلفظ به **ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد** وكونه بغض اليه الشعر لا ينافي قوله ان من الشعر لحكمة لان منه ما يحمد كالحكم والمواعظ ومدح النبي وهجا الكفار كما قال تع وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقد استمعه صلى الله عليه وسلم واجاز قايله وقال لقايله لا يفضض الله فاك لان الامر المذموم قد يحمل لعارض او يقال تعريف الشعر للعهد وقوله اهم بفتح الهمزة وضم الهاء كما قاله البرهان الحلبي وفسر بمعنى لم ارد واقصد وهذا اشارة الي حديث صحيح رواه م البزار مسندا عن علي بلفظ ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد ثم ما هممت بعدها بشيء حتى اكرمني الله برسالته ورواه في المستدرك بلفظ اخر قلت ليلة لفتى من قريش كان باعلى مكة يرعى غنما ابصر لي غنمي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حتى استمر هذه الليلة بمكة كما يسمي الصبيان فجئت ادنى دار من دور مكة فسمعت غناء
وصوت دفوف ومزامير فقلت ما هذا فقيل فلان تزوج فلانة فلهوت بذلك الغناء وبذلك
الصوت حتى غلبتني عيني فما ايقظه الا حر الشمس ثم رجعت الى صاحبي فقال لي ما فعلت
فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى والله ما هممت بغيرهما مما يفعله الجاهلية وروي ان الله
القى عليه النوم في المرتين صيانة له وليس في هذا ارتكابه لمحرم لانه قبل تحريم السماع
ولان ضرب الدف في العرس غير ممنوع واما النهي عن سمر الليل فليس نهي تحريم مطلقا وكان
مباحا اذ ذاك مع انه شرعا قد يكون افضل من النوم كمذاكرة العلم وانما يحرم او يكره لعارض
كما ذكره الفقهاء وقوله فعصمني الله اي حفظني من ذلك لما غلب عليه من النوم حتى لم
يسمع وما وقع في بعض الشروح من كلامه اشارة الى انه كان لقريش صنم يسمى بوانة يجتمع
عنده في كل عام فقال له والده انك لا تجتمع مع قومك ولا تكثر لهم جمعا فذهب ثم عاد مرعوبا
لرؤية رجل طويل حال بينه وبينها فغير مناسب هنا مع ان في روايته كلاما للسهيلي
ليس هذا محله والمراد بالجاهلية ما كان قبل البعثة في زمن الفترة كما تقدم **ثم يتمكن الامر**
منهم وتترادف نفحات الله عليهم الضمير للانبيا والظاهر انه معطوف على غرزت
بتوالد بل غرزت فيهم الاخلاق الخ وعطفه بثم نبيه او زمانه باعتبار لابتدا او الانتها
وتمكن بمعنى تقر وتثبت لا بمعنى تزداد لانه تفعل من المكان والمراد بالامر ما اودع
فيهم من الكمال والعلوم والحكم وتترادف تفاعل من الردف وهو الركوب خلف غيره والمراد
تتوالى فيأتي بعضها عقب بعض ونفحات بفتحتين جمع نفحة بالسكون وهي في الاصل
رائحة تاتي مع هبة من النسيم طيبة وهي هنا بمعنى الهبة والعطية قال

لما اتيت ارجوا فضل نائلكم   نفحتني نفحة طابت لها العرب

والمراد هنا امداد الله لهم بوحي وغيره واطلاق النفحة على ما يصيب من الشر مجازا نحو ولئن
مستهم نفحة من عذاب ربك وفي الحديث ان لربكم نفحات الا فتعرضوا لها **وتشرق**
انوار المعارف في قلوبهم تشرق بمعنى تضيء يقال اشرقت الشمس اذا اضاءت وشرقت
اذا طلعت والمعارف العلوم الربانية **حتى يصلوا الغاية** اي غاية الكمال في التخلق
باخلاق الله **ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم** اي بجعلهم من صفوة خلقه الذين اختارهم
بالنبوة متعلق بيبلغوا او باصطفاء **في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية** التي
لا يصل اليها غيرهم والغاية والنهاية واحد **لكنه تفنن في العبارة دون ممارسة**
اي من غير تكرار عمل ومزاولته **ولا رياضة** اي تمرين على العمل باعتباره من رضت الدابة
روضا اذا عودتها السير والجري **قال الله تعالى ولما بلغ اشده** اي موسى بلغ نهاية
قوته وتمام عقله وهو من ثلاثين الى اربعين اي ما بين ثماني عشرة الى ثلاثين وهو مفرد
او جمع لا واحد له او واحده شدة او شد بالفتح او الكسر وقيل خمسا وعشرين لما روي عن
عمر انه قال منتهى لب الرجل اذا بلغ خمسا وعشرين فعلى هذا الابنا فيحمل ما ذكره الفقها
من ان رشد البالغ بلوغ هذا السن لانه حال كمال لبه كما مر عن عمر **واستوى** ذكر الاستوا
في قصة موسى ولم يذكره في قصة يوسف قال التلمساني لان الاستوا كمال العقل ووقت
الرسالة وموسى ارسل في ذلك الوقت ويوسف لم يرسل حينئذ ونقل ابن مرزوق عن ابن
عرفة انه قال قال ابن جماعة من استوى في خمسين سنة فقد بلغ انتهاء الكهولة وهو مجتمع

الاشد

الاشد ومن بلغ اربعين فقد بلغ حد الاستوا ومنتهى الكمال انتهى **آتيناه حكما** اي نبوة
وعلما بالدين وسياسة الامة وكذلك نجزي المحسنين على وقوع الجزاء بالاحسان
والتنبيه على انه انما جازاهم لكونهم محسنين اي مخلصين مراقبين لله في افعالهم وهل
جزاء الاحسان الا الاحسان واستشهد المصنف بهذه الآية لانه تعالى اخبر فيها بكمالهم
وترادف نفحات الله عليهم حتى ارتقوا الى اقصى الدرجات من غير سبق ممارسة ورياضة
وقد نجد غيرهم اي غير الانبيا **يطبع** اي يخلق مجبولا **على بعض هذه الاخلاق الشريفة**
دون جميعها وفي نسخة دون بعضها **ويولد عليها** موجودة فيه وجودا امتاصلا وهذا
كالتفسير لما قبله **فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله عز وجل** منصوب بنزع
الخافض اي بعناية الله ولطفه اذ جبله على اصولها **كما يشاهد من خلقة** بكسر الخاء المعجمة
وسكون اللام وهاتا نيث او بفتحها مضافا الضمير لله والاول اولى وعليه اقتصر ابن
رسلان **بعض الصبيان على حسن السمت** السمت الطريق وهيئة اهل الخير يقال
ما احسن سمته اي هديه وسيرته وقد ورد في الحديث بهذا المعنى **او الشهامة**
اي او خلقه على الشهامة بفتح الشين المعجمة والهاء والميم اي حدة الفؤاد والذكاء والجراءة
والنفاذ في الامور يقال رجل شهم اذا كان ستيرا نجيبا نشيطا في اكتساب المعالي
وعدم الالتفات لملاحات والخصومة وفي الحديث من لاحى الرجال سقطت مروته هـ
وذهبت كرامته وما زال جبريل ينهاني عن ملاحات الرجال كما ينهاني عن عبادة الاوثان
او صدق اللسان او السماحة كان الظاهر عطفها بالواو لكنها لما اتى بها ان البعضها
راى او الفاصل انسب **وكما نجد بعضهم على ضدها** اي ضد هذه المذكورة كالكذب
والبخل وعبر بعلى لانه متمكن منها تمكن الراكب من مركوبه كما في قوله على هدى **فبالاكتساب**
يكمل ناقصها فان قلت لم عبر هنا بالكمال وقبل بالتمام وهل هو تفنن في التعبير او
بينهما فرق • قلت قال العتبي بينهما فرق الا انه لم يفصح عنه وقال ابن ابي الاصبع
في كتاب التوكيد الفرق بينهما ان التمام لا لاتيان بما نقص من الناقص والكمال الزيادة
على التمام • فاذا قلت رجل تام الخلق لم يفهم منه السامع عربيا كان او غيره الا انه تام
الخلق ليس في اعضائه نقص فاذا قلت انه كامل فهم وصفه بمعنى زائد على التمام كالحسن
والفضيلة الذاتية او العرضية وهذا هو المتداول بينهم فالكمال تمام وزيادة فهو اخص
منه وقد يطلق كل منهما على الآخر تجوزا وعليه قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتي انتهى • وما ذكره المصنف يمشي على الآخر حيث جعل ما في حق الانبيا تماما وفي حق
غيرهم كمالا ولو عكس كان احسن **وبالرياضة والمجاهدة يستجلب** بالجيم والبنا
للمجهول اي يكتسب ويحصل الذي لم يطبع على شي منها وطبع على ضدها وان لم يكن الطبع كالطبع
وهذا قسم آخر غير ما تقدم فان الاول وهو مرتبة الانبيا ان يطبع على جميعها والثاني
ان يطبع على بعضها ويكتسب البعض وهذا ان يطبع على عدمها او بكونه ناقصا لم يتعرض له
اولا فسقط ما قيل ان الرياضة والمجاهدة طريق الاكتساب وقد قرر انه يطبع على بعض
منها وبالاكتساب يكون كمالها الى كمال البعض الخلقي الا انه بعينه استجلاب المعدوم
بالنسبة لذلك البعض **معدومها ويعتدل منحرفها** المراد بمنحرفها المائل عن الاعتدال
المحمود لانه هو الطريق فمن فرط او افرط فقد مال عنه وهذا بناء على القول الاصح ان الطباع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يمكن تغييرها والا لضاقت المواعظ والنصائح وكان الانسان دون البهائم التي برياضتها
قد يتعلم ما ليس في طباعها وقد قال تع وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وقول الشاعر

• تكرم لتعتاد الجميل فلن ترى • اخا كرم الا بان يتكرما •

كما فصل في علم الاخلاق **وباختلاف هذين الحالين** الجبلي والكسبي **تتفاوت الناس فيها** اي في الصفات المحمودة قلة وكثرة وقوة وضعفا **وكل ميسر لما خلق له** هذا من الامثال النبوية وجوامع الكلم وهو بعض من حديث واوله اعملوا فكل ميسر لما خلق له فمن خلق سعيدا يعمل عمل اهل السعادة والتوفيق خلق قدرة الطاعة والخذلان خلق قدرة المعصية وقال تع فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى **ولهذا** اي التفاوت بين الناس فيها **ما قد اختلف السلف فيها** ما في اكثر النسخ وهي موصول اسمي او حرفي او زائدة ولذا سقطت من بعض النسخ وهو الاظهر والمراد بالسلف من تقدم من العلما **هل هذا الخلق الحسن** الذي يحمد به الناس **جبلة او مكتسبة** الجبلة والغريزة والطبيعة والسليقة بمعنى وهي بكسر الجيم والبا وتشديد اللام وتخفيفها **فحكى** الامام المفسر محمد بن جرير **الطبري عن بعض السلف الخلق الحسن** الذي يجمع اكثر الطبايع المحمودة **جبلة وغريزة** خلقها الله **في العبد** وتعبيره بالعبد ايما الى تخلقه باخلاق السيد **وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن** البصري **وبه قال هو** اي ابن جرير صرح به لانه لا يلزم من حكايته اعتقاده له **والصواب ما اصلناه** اي قدمناه وجعلناه اصلا وقاعدة فيما مر من ان منها ما هو جبلة غير مكتسبة ومنها ما هو مكتسب بالتعلم والرياضة وقد تقدم الكلام عليه **وقد روى سعد** بن ابي وقاص رضي الله عنه **عن النبي صلى الله عليه وسلم كل الخلال** بكسر الخا المعجمة بوزن رجال جمع خلة بالفتح وتشديد اللام وهي الخصلة والصفة **يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب** وهو حديث صحيح رواه احمد في مسنده والبيهقي في شعب الايمان وابن ابي شيبة في المصنف عن ابي امامة ورواه ابن ابي الدنيا عن سعد مرفوعا وموقوفا وقال الدارقطني في العلل الموقوف اشبه وعنه صلى الله عليه وسلم كما رواه الذهبي يطبع المؤمن على كل شي الا الخيانة والكذب والخيانة ضد الامانة وهي تشمل امورا كالسرقة وانكار الوديعة وخيانة غيره بالنظر لزوجته ونحو ذلك والكذب معروف يعني ان هذين لا تكون طبيعة مخلوقة في المؤمن مطلقا لان المؤمن جبلته وفطرته سليمة وهاتين الخصلتين في غاية القبح فلا يختار اتصافه بهما وان كانت هذه الخصلة لا تقتضي كفرا او المراد المؤمن الكامل **وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه** قال السيوطي رواه عنه سعيد بن منصور في سننه وابن جرير وابن ابي حاتم في حديثه **والجراة** بوزن الجرعة وقد تنقل حركة الهمزة للام وتحذف وهي الشجاعة او اعم منها ومقابلها ما اشار اليه بقوله **والجبن** بضم الجيم والبا وتخفيف النون وقد تسكن باؤه او هو عدم الاقدام لخوف وضد الشجاعة واما الجبن الماكول فبتثقيل البا والنون وقد تخفف فيكون كهذا ولذا تلمح القائل

• يقولون لي هلا اجترات لدى الوغى • وكنت شديد الباس في الضرب والطعن •
• فقلت دعوني فانما بسلامتي • فاني ممن ياكل الخبز بالجبن •

غرائز يضعها الله حيث يشاء وفي هذا وما قبله دليل لما صوبه فانه فيما قبله جعل الخيانة غير مطبوعة وفي حديث عمر جعل الخيانة والجراة غريزتان فدل لا على ما ادعاه من ان منها ما هو طبيعي ومنها ما هو غير طبيعي **وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الشريفة كثيرة** لا يمكن استيعاب اقسامها تفصيلا **ولكنا نذكر اصولها** التي تتضمن باقيها اجمالا **ونشير الى جميعها** اشارة لا تصريحا **ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى** اي المقصود من ذكرها

فصل اما اصل فروعها

هذا الفصل معقود لبيان اصول الاخلاق صريحا والاشارة الى جميعها تلويحا لتحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها وضمير فروعها للاخلاق المذكورة قبله **وعنصرها** هو بضم الصاد وفتحها والاول اشهر والثاني افصح ومعناه الاصل والمادة والعناصر اذا اطلقت يراد بها التراب والما والهوا والنار لتركب جميع الاجسام منها والينابيع في قوله **ينابيعها** جمع ينبوع وهو ما ينبع منه الما كالعين وكل ما يتفجر منه الما **نقطة دائرتها** والنقطة جزء من الخط والسطح مركب من خطوط مسطحة فاذا كان السطح مستديرا يكون في حاق وسطه نقطة جميع الخطوط الخارجة منها الى الخط المستدير الذي يحيط بالسطح متساوية فتلك النقطة تسمى مركزا وذلك السطح يسمى دائرة وكذا الخط المحيط به ويصح ارادة كل منهما هنا فشبه العقل الذي مبنى الاخلاق عليه بشجرة اصلها العقل وفروعها الاخلاق ونورها وثمرتها ما يظهر منها وينتفع به غيره منها ثم شبهه بنقطة في الوسط المعتدل بتساوي جميع جوانبها والاخلاق كسطح او خط يحيط بها فقال **فالعقل** وهو مشتق اي ماخوذ من عقله اذا شده ومنعه من الحركة لانه يمنع صاحبه مما لا يليق او من المعقل وهو الملجا لالتجاء صاحبه اليه وهو كما قاله الراغب يقال للقوى المتهيئة لقبول العلم ويطلق على العلم المستفاد منه ولذا قال علي رضي الله عنه العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مطبوع اذا لم مسموع كما لا ينفع ضوء الشمس وضوء العين ممتنع وفي الحديث ما كسب احد شيا افضل من عقل يهديه الى هدى او يرده عن ردى وقال بعض الحكما هو جوهر وقال آخرون جسم شفاف محله الدماغ او القلب والصحيح انه قوة نفسية وهي منشا الادراك وليس المراد به هنا العقل المعاشي المسمى بالعقل الكفافي كما قيل لان اهل الشرع لا يقولون بمثله وقوله **الذي ينبعث منه** اي ينشا ويخرج وهذا ناظر لكونه ينبوعا وقوله **العلم والمعرفة** بمعنى يطلق الادراك وبمعنى ادراك الكليات والمعرفة ادراك الجزئيات وقيل انها ما سبق بالجهل وقال البيضاوي انها تكون بمعنى العلم كما ان العلم يكون بمعنى المعرفة كما في قوله تع وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم اي الله يعرفهم والعلم بمعنى المعرفة قال الفاضل المحشي معترضا عليه صرحوا بان العلم بمعنى المعرفة لا يطلق على الله لاقتضائه سبق الجهل وتبع فيه السيد في شرح المواقف في قوله علم الله لا يسمى معرفة لا اصطلاحا ولا لغة اجماعا وخطاه فيه الحافظ العراقي في نكته على المنهاج فقال ان امام الحرمين فسر العلم به واطلاق المعرفة على علم الله ورد في الحديث وكلام الصحابة واهل اللغة والمتكلمون انتهى فاي اجماع مخالف هنا ومثله عجيب من الشريف **ويتفرع** اي ينبني ويظهر ناظر لكونه اصلا **عن هذا** عداه بعن لتضمنه معنى ينشا والمعروف تعديته بعلى وهذا اشارة للاصل

بيكن مح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الذي هو العقل **ثقوب الراي** اي نفاذ رايه فيما يتفكر فيه ويدرك منه عواقب الامور ومنه كوكب ثاقب اي مضيء فقوله **وجودة الفطنة وهي الحذق وسرعة الانتقال والاصابة** اي موافقة الصواب فيه تفسير لثقوب الراي **وصدق الظن** اي موافقته للواقع كاليقين كما قال ~

الالمعي الذي يظن بك الظن • كان قد راي وان سمعا

والنظر للعواقب اي كانه ينظر عواقب الامور ويشاهدها كما قال ~

واني لارجوا الله حتى كانما • اري بجميل الظن ما الله صانع

ومصالح النفس مجرور معطوف على العواقب او مرفوع معطوف على ثقوب الراي اي ما فيه صلاحها وخيرها **ومجاهدة الشهوة** اي مخالفتها وممانعتها عما تريده فانه جهاد اكبر واعدي عدوك نفسك التي بين جنبيك **وحسن السياسة** لغيره بامره من ساسه اذا حكم عليه وهو لفظ عربي لقوله ~

وكنا نسوس الناس والامر امرنا •

وليس معربا كما توهمه ابن كمال في رسالة التعريب **والتدبير** النظر في ادبار الامور وعواقبها وهو عطف تفسير لما قبله ايضا **واقتناء الفضائل** اي اكتسابها والتحلي بها **وتجنب الرذائل** اي ترك كل ما يذم وينقص به الانسان كالكذب والخيانة **وقد اشرنا** اي ذكرنا فيما تقدم مما اوردناه في صفاته والاشارة وان كانت تطلق على ما يقابل العبارة قد يراد بها العبارة ايضا لنكتة **الى مكانه منه عليه الصلاة والسلام** الضمير الاول له صلى الله عليه والثاني للعقل والمكان المرتبة المعنوية في الفضائل يقولون فلان بمكان من الفضل يريدون علو رتبته فيه وقيل المراد كانه من العقل بمعنى انه حائز له ومالك لامره على طريقة التجريد مبالغة في تمكنه منه ولا يخفى ما فيه من التكلف من غير داع له **ومن العلم الغاية التي لا يبلغها بشر سواه** كما سنبينه **واذ جاوز له محله من ذلك** قيل الظرف متعلق بقوله حازت العقول التي في آخر الفصل اي حازت العقول وقت حلوله الخ واذ تعليلية اي حازت العقول لاجل الخ • وقيل انه علة للاشارة الى مكانه منه وبلوغه غايته اي من اجل ان جاز له محله الخ واذ تعليلية كما في قوله تع ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم • وقيل المعنى من اجل ان جاز له محله تحقق بحسب اعتقاد ذلك ويجوز ان يكون لمجرد التحقق ولا يخفى ما في هذا كله من التكلف والذي ظهر لي انه معطوف على ما قبله لانه يعلم من اشارته الى مكانه منه لم يبلغه غيره علو ظاهر فيه فكانه قال اذ علا قدره فيه محسوس مشاهد واذ جاز له محله امر متحقق بالدليل القاطع فاستدل عليه بالحس والعقل ومثله يسمى العطف على المعنى وهو من القرآن وكلام العرب متداول • قال ناظر الجيش في شرح التسهيل في قوله ~

اراك لن ترا ثعيليات • ولا ابيران ناحية زمولا
ولا متدارك والليل طفل • ببعض نواشئ الوادي حمولا

متدارك بالجر لان المعنى لست براء ولا متدارك وجعله ابو حيان من العطف على التوهم كقوله ~

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة • ولا ناعب الا ببين غرابها

والاولى انه من العطف على المعنى وفرق بينه وبين العطف على التوهم وفيه كلام وقد بيناه في نكت المغني وذلك اشارة للاصل ولو سلمنا صحة تعلقه بقوله حازت كان معطوفا على ما قبله ولا وجه له **ومما تفرع منه** من الاخلاق الشريفة وثمراتها **متحقق** لا

فيه

فيه لتواتره بحسب المعنى **عند من تتبع** اي علم فخبر بالسبب عن مسببه كما قالوه في تتبع خواص التراكيب **مجاري احواله** جمع مجرى بالفتح او مجرى بالضم واصله مسيل الماء والمراد ما جرت عليه عادته ولا يخفى لطفه مع ملاحظة قوله اولا ينابيعها فانه جار على مجراها ومتحدر الينا **واطراد سيره** الاطراد افتعال من الطرد وهو الجري خلف شيء من عبد او غيره ومنه مطاردة الفرسان في الميدان ومناسبته للسير وان كان المراد بها مطلق الصفات لانها تختص بالغزوات وقيل المراد محال اطراده هنا ليوافق قوله مجاري احواله اي محال جريانها والاطراد مصدر اطرد الشيء تبع بعضه بعضا فجرى والانهار تطرد اي تجري ومنه الاطراد البديعي كسرد اسماء الممدوح وابائه مرتبة والمعنى جري سيره في جداول الكتب منسجمة فهو استعارة وجه الشبه فيها الكثرة ولا يخفى ما فيه من البعد **وطالع جوامع كلامه** اما جمع جامع والمراد الكتب الجامعة للحديث الشريف او كلماته الجامعة للحكم التي تتحير فيها عقول البلغا والحكما **وحسن شمائله** بالجر معطوف على كلامه وهي جمع شمال بمعنى الخلق والصفة قال ~

فما لومي اخي من شماليا •

اي من خلقي وعادتي **وبدايع سيره** اي سيره البديعة وينبغي ان يراد بها كتب السير حتى لا يكون مكررا مع ما مر **وحكم حديثه** بكسر الحاء وفتح الكاف وهي القول المصيب غرض الحق والحديث معروف **وعلمه بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة** بالتشديد والتخفيف على الانبياء عليهم السلام كالزبور والصحف اي علم علمه بذلك والتوراة اجل الكتب المنزلة قبل القرآن واصلها وورية ابدلت الواو تاء ووزنها تفعلة بفتح العين وكسرها وقيل وزنها فوعلة • والانجيل بالكسر وقد تفتح من النجل وهذا امر تقديري لتجري عليه احكام الالفاظ العربية اذ الاشتقاق لا يجري في غير كلام العرب **وحكم الحكما** جمع حكمة اي ما لهم من الحكم في كلامهم فانهم كان لهم اعتناء بذلك وقد جمعها ابن مسكويه في كتاب كبير سماه جاويدان خرد وقد طالعته فرايت اكثره ورد في الاحاديث الشريفة ولكن اين الثريا من الثرى فان رونق الالفاظ النبوية لا يمكن مضاهاته **وسير الامم الخالية** اي ما وقع في زمنهم من الاحوال كما كان صلى الله عليه وسلم يحدث عن بني اسرائيل وما كان من عجائبهم **وايامها** اي وقائعها في حروبها ومجاولتها فان الايام شاعت بهذا المعنى كما يقال يوم حليمة ويوم بعاث وهو اطلاق شايع صار حقيقة ومما قلت في هذا ~

تمنيت من دهري زمانا مسالمي • زمان به طيف السرور كاحلامي
فجاء باتيام على اثر ما مضى • ولكن حروب قد تسمت باياميِ

وضرب الامثال الامثال جمع مثل وهو كلام شبه مضربه بمورده الذي وقع فيه اولا مستعار من ضرب الخاتم او اللبن كما حققه اهل المعاني والتفسير وهو مما يعتني به البلغا لكشف المعنى الممثل له وابرازه في صورة المشاهد الى غير ذلك والامثال النبوية افردت بالتاليف **وسياسات الانام** السياسة ضبط امور العامة باللسان والسنان وتدبير احوالهم وليس المراد حسن المداراة كما قاله التلمساني **وتقرير الشرائع** اي بيان ما يتعلق باحكام الشرع في المعاملات وغيرها **وتاصيل الاداب النفيسة** اي بيان اصول الاداب التي يتداولها الناس في مجالسهم ومحاوراتهم كقوله • اكرموا عزيز كل قوم • ونهيه عن الملاحات والمجادلة • وقوله تهادوا تحابوا • وسماها نفيسة لانها مما يتنافس فيها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المتنافسون **والشيم الحميدة** جمع شيمة وهي العادة قالوا الانصاف من شيم الاشراف
اي عاداتهم والحميدة بمعنى المحمودة مضمونا لما ذكر **الى فنون العلوم** التي كانت في الامم
السالفة كالطب وغيره مما لم ينه الشرع عنه **التي اعجز اهلها كلامه فيها فرقوة** اقتدوا
به فيها واستدلوا به عليها واشاراته في اثنا كلامه بها **حجة** دليلا عليها **كالعبارة** بفتح
العين بمعنى تفسير الرؤيا وهو علي فيه من في الرؤيا الصحيحة لانها على ثلاثة اقسام رؤيا
باطلة من الشيطان ومن عوارض بدن الانسان كمن غلبت عليه الحرارة فرأى نارا توقد
عنده او البرودة فرأى ماء وجمدا او اكل ماكل غليظة سوداوية كالباذنجان فرأى سوادا
ويسمى اضغاث احلام ولا تاويل لها وكذا من غلب تفكره في شيء فرآه كما قال المعري

الى الله اشكوا انني كل ليلة • اذا نمت لم اعدم خواطر اوهامي
وان كان شرا فهو لابد واقع • وان كان خيرا فهو اضغاث احلامي

ورؤيا من الله يريها له ملك الرؤيا عند اهل الشرع او يريها الروح اذا انقطعت عنها
علائق البدن واتصلت بالملإ الاعلى فيلقيها الى القوة المتخيلة فترتسم في الحافظة
وتبقى مشاهدة فيها حتى يستيقظ فان كانت النفس قدسية والقوى قوية وقع ما رآه
بعينه ولم يحتج للتاويل وهو الاكثر في رؤيا الانبيا ومن كان على نسقهم ولذا اراد الخليل
ذبح ابنه ولم يأول رؤياه بالفدا حتى امره الله به والا فيأول بما يناسبه معنى او لفظا
او يحاكيه صورة وفعلها عبر بالتخفيف يعبر بالضم عبارة بالفتح كعلاقة وطلاقة
او عبارة كرسالة وقد يشدد فيقال عبر تعبيرا قال في الكشاف في سورة يوسف رأيتهم
يكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت انشده المبرد في
الكامل يدل عليه وهو رأيت رؤيا ثم عبرتها • وكنت للاحلام عبارا •
انتهى • هذا ما ذكره من يوثق به في اللغة كالجوهري وصاحب القاموس وغيره وقال
في عمدة الحفاظ العبارة بكسر العين تختص بالكلام لعبور الهوا من لسان المتكلم لسمع السامع
ولا يستعمل في تفسير الرؤيا انتهى • يعني انها مفتوحة لا غير فتوهم بعض الشراح انها بكسر العين
لا غير وانه انكر هذا اللفظ مطلقا واسا سمعا فاحش جاير ثم جاء من بعده فضاربه مضاربة
العميان فقال انه كلام ضعيف مردود به فلم يقف على المراد ولم يات بما يدفع الايراد فاخطا
في المعنى والعبارة واما تحقيق معنى الرؤيا فليس هذا محله ولعل النوبة تفضي اليه
في بحث النبوة وقد افردناه له تعليقة **والطب** مثلث الطا الا انه لم يستعمل فيما عرفه
الا بالكسر وهو في اللغة الحذق والمداواة والعادة والمراد به علم يتعلق ببدن
الانسان من حيث الصحة والمرض وهو من علوم الاوايل وللعرب بدايع فيه وقد افرد الطب
النبوي بالتاليف **والحساب** بكسر الحا مصدر حسب بمعنى عد ثم صار علما لعلم تعرف به
احوال المقادير وهو من العلوم الرياضية القديمة **والفرايض** ذكره بعد الحساب
لتوقفه عليه وهو علم يعرف به احوال المواريث وهو جمع فريضة بمعنى مفروضة لان الله
فرضه وهو من العلوم الاسلامية واطلاق هذا اللفظ عليه بعد نزول القرآن ومعناه
ظاهر **والنسب** اي معرفة انساب الناس من آدم الى كل عصر وهو من علم التاريخ وكانت
العرب تعتني به وهو اعلم الناس به واعلم الناس به بعد النبي صلى الله عليه وسلم الصديق
وهو من نسب الرجل اذا عرفه لابيه ومناسبته للفرايض ظاهرة وهذه العلوم كلها شرعية

وفي

وفرض كفاية لا سيما الفرايض وكذا الانساب فان النبي امر بالمحافظة عليها ولعن
من انتسب بغير نسب فقال من خرج من نسبه وانتمى لغير قبيلته فعليه لعنة الله
والملايكة والناس اجمعين كما نقله التلمساني **وغيره لما سنبينه في معجزاته
دون تعليم** من احد من البشر والظرف متعلق بقوله علمه السابق **ولا مدارسة** من درس
الكتاب اذا قرأه وحفظه لشيء من العلوم عن غيره **ولا مطالعة كتب** يقال طالعت
الشيء اذا اطلعت عليه اي لم يطلع على شيء من الكتب بقراءتها او سماعها لانه كان اميا بين
قوم اميين لم ير احد قرأ ولا تعلم من قراءة واستعمال المطالعة بمعنى القراءة وهو مجاز
مشهور قريب من معناه اللغوي **من تقدم** لكتب الانبيا والحكما **ولا الجلوس الى علمايهم**
اي لم يعرف احد انه جلس عند احد ممن يعلم كتب من تقدم ليأخذها عنه والضمير لمن
باعتبار المعنى وكل ذلك انما هو علم لدني غير مكتسب من البشر • واما قوله ولقد نعلم انهم
يقولون انما يعلمه بشر فكذب محض يشهد العيان ببطلانه وقد تولى تكذيبهم في ذلك
كما هو مبسوط في التفسير **بل نبي امي لم يعرف بشيء من ذلك** التعلم والمدارسة والمطا
والمجالسة اي منبئ عن الله او منبأ عنه لا عن مخلوق والامي منسوب الى الام لانه	لعله
كيوم ولدته امه او الى ام القرى او امة العرب لان القراءة والكتابة كانت عزيزة فيهم
والامي الذي لا يكتب ولا يقرأ الكتب وقيل هو الذي لا يكتب وبما شرحناه علمت مناسبته
ذكر النبي هنا • وفي الحديث انا امة امية لا نحسب ولا نكتب اي على جبلتنا لم نتعلم
الكتابة ولا كتابة فلا ينافي ما مر من علمه بالحساب **حتى شرح الله صدره** اي وسعه ونوره بالعلم
والحكمة وهداه لكل خفي من العلوم **وابان امره** اي اظهر امره في العلم للناس باياته
الظاهرة ومعجزاته الباهرة واقامته الحجج المتواترة وعلمه من لدنه العلوم المعهودة
وغيرها **واقراءه** اي اقدره على القراءة كما القاه او بما اوحاه اليه بواسطة الملك
فالاسناد مجازي او التجوز في الظرف كقوله سنقريك فلا تنسى **يعلم** بالبنا للمجهول
ذلك اي ما بلغه من العقل والعلم من غير تعلم **بالمطالعة** اي بالاطلاع على سيره
وشمايله من كتب الحديث **والبحث عن حاله** وفي نسخة من حاله والظاهر الاول لتعديه
بعن وهو بمعنى التفتيش عنه بالسؤال وغيره **ضرورة** منصوب بنزع خافض متعلق
بيعلم اي من وقف على احواله علم ذلك بمجرد التفات الذهن اليه من غير احتياج
الى دليل **وبالبرهان** القاطع على نبوته **نظرا** اي ويعلم ذلك ايضا بالبراهين
القاطعة **الدالة على نبوته** لمن نظر فيها فقوله بالبرهان معطوف على قوله ضرورة
وعلى نبوته حال من البرهان ونظرا تمييز والنظر اصله تقلب البصر للادراك
ثم استعمل في التامل والفحص والمعرفة الحاصلة منه والاستدلال وهو المراد هنا
اي من نظر في دلايل نبوته علم قوة عقله وانه احاط بعلوم لا نهاية لها **فلا نطول
بسرد الاقاصيص** السرد تعداد امور من القصص ونحوها متتابعة متوالية
من سرد حلق الدرع وخيوط النسج والاقاصيص جمع اقصوصة كاعجوبة بمعنى قصة
او جمع قصص على خلاف القياس كما قاله التلمساني يقال قص واقتص بمعنى اخبر والقصص
اسم مصدر وقيل انه يحتمل ان يكون جمع اقصاص جمع قصص كانعام وانعام في جمع نعم
نعم الا انهم تركوا استعمال اقاصيص فانه لم يسمع وفيه تكلف لا يخفى **واحاد القضا**

احاد بمد الهمزة جمع احد بمعنى مفرداتها وفي العباب سئل ابو العباس عن الآحاد
اي جمع الاحد فقال معاذ الله ليس للاحد جمع ولكن ان جعلتها جمع الواحد فهو محتمل
كشاهد واشهاد وليس للواحد تثنية ولا للاثنين واحد من جنسه انتهى والقضايا
جمع قضية وهي الجملة من الكلام الدالة على معنى من الاحكام وهي قريبة من قول اهل الميزان
القول المحتمل للصدق والكذب كالخبر فهي اخص من الكلام ووزنها فعالى عند الكوفيين
وفعايل عند البصريين اذ مجموعها اي جمع قضيته وقضاياه مما اوياخذه حصر اصل
معنى الاخذ حوز الشيء وتحصيله ثم استعمل بمعنى الغلبة والقهر كقوله لا تاخذه سنة
ولا نوم وهذا هو المراد هنا وجعل مجازا او كناية على انه لا يمكن حصره وكذا قوله ولا
يحيط به حفظ اي لا يحفظ والاحاطة الاخذ بجوانب الشيء واريد به ما ذكر وبحسب
عقله قال البرهان هو في الاصل بسكون السين وينبغي ان تفتح اي بقدر عقله وادراكه
وقد جوز فيه السكون لكنه ضرورة والذي في القاموس هذا بحسب ذا اي بقدره وقد
تسكن ولم يخصه بالضرورة كانت معارفه عليه السلام جمع معرفة اي علومه
الى سائر ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان اي مضمومة الى جميع او
باقي ما اطلعه الله عليه مما تقدم في الكون من احوال الامم الخالية وكتبهم وشرايعهم
وما اطلعه الله من المغيبات التي ستاتي ، ولما كانت جلالة قدره بواسطة علمه بما يكون
اقوى منها بواسطة علمه بما كان قدم ما يكون في المستقبل على ما كان الماضي مع سبقه
اهتماما بشانه ومقتضى الترتيب العكس وعجايب قدرته وعظيم ملكوته مجرور
معطوف على علم المراد ما اطلعه الله عليه في الاسرا من خلق الملايكة والسموات واقداره
على ذلك في برهة من الزمن والملكوت مبالغة في الملك كالرحموت والجبروت ويطلق
ويراد به عالم الامر ويقابله الملك قال الله تعالى وما يضرونك من شيء وانزل الله
عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما اي علمك
ما لم يكن من شانك وفي قدرتك علمه كالمغيبات والاطلاع على احوال الملكوت ولذا امتن
عليه بانه فضل عظيم فضله به على خلقه فانه لانه كقولهم ما يكون لك ان تفعل كذا
اي لا ينبغي ولا يليق اي لا يصح ولا يمكن ولذا ختم الآية بهذه المنة دون قوله علم الانسان
ما لم يعلم الا انه يبقى لسوال حينئذ على الآية الثانية بانه اي فايدة في ذكر هذا المفعول
والتعليم معلوم انه لا يكون الا لغير المعلوم وقال في عروس الافراح تقدم ما ذكر ان لم
النافية يجوز فيها اتصال النفي وانفصاله وانهما اجتمعا في قوله وعلمكم ما لم تكونوا تعلمون
انتم ولا اباؤكم وفايدة ذكر المفعول في قوله علمك ما لم تكن تعلم فان كان الانسان لا يعلم
الا ما لا يعلم التصريح بذكر حالة الجهل التي انتقلوا عنها فانها اوضح في الامتنان انتهى ©
وفي حاشية السيرافي على المطول ان الشارح قال في بعض دروسه الاولى ان يقول
اي صاحب التلخيص ما لم يكن يعلم كما في قوله وعلمك ما لم تكن تعلم اذ لا فايدة في ذكر المفعول
اذ التعليم انما يكون لما لم يعلم لم يكن فيه اشعار بانه لو لم يعلم لم يحصل بها العلم لخفايه على
غير علام الغيوب وهو مفيد اذ ربما يتوهم حصوله من غير تعليمه ثم ورد بانه كقوله ثم علم
الانسان ما لم يعلم الآية فالاولى ان يحمل ذكره على افادة العموم لئلا يتوهم اختصاصه
ببعض الافراد كقوله وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه فتركت للتاكيد

لكن قوله

لكن قوله من البيان يابيه ويحتمل انه ذكر للتسجيع انتهى • اقول هذا كله كلام سطحي
والذي ظهر لي في الآية ان جملة علم الانسان مفسرة للصلة وما الموصولة عبارة
عن الكتابة والقراءة فانه لما قال له اقرا فقال ما انا بقارئ سواء اريد النفي او الاستفهام
قال له كيف لا تقرا ولك رب اكرم تفضل على عباده بنعم من اجلها ان كل انسان كان
اميا مثلك في ابتداء امره فعلمه الكتابة وقراءتها بالهامه فكيف لا يعلمك وانت اعزهم
عليه واقواهم بصيرة فاي فايدة اتم من هذه وكل فعل متعد ينزل على فاعل ومفعول مما التزاما
ولذا لم يعد ضرب ضارب وضرب المضروب فان اريد عموم او خصوص افاده هنا علم انه
لو قال ما لم يكن يعلم او عقبه بما عقب به تلك الآية لم يصادف محزه وما قيل من انه
لم يذكر الكون في هذه الآية وذكره ثمة لانه ورد في مقام خال عن اعتبار القوة والاجتهاد
فلا يناسبه ذكر الكون المؤذن بهما بخلاف ذلك ويؤيده قول الكرماني في قوله ثم وما كان
الله ليضيع ايمانكم ان كان ذكرت للتاكيد لان معناه كما في الكشاف ما صح ويعني به نفي امكان
الاضاعة وهو ابلغ من نفي الاضاعة نفسها ومنه يعلم السر في انه اردف قوله وعلمك
ما لم تكن تعلم بقوله وكان فضل الله عليك عظيما ولم يردف هذه به لما في الاول من المبالغة
والتاكيد انتهى وانت تعلم ما فيه مما تقدم وقوله حارت العقول في تقدير فضله
عليه المذكور في الآية لانه لا يمكن الوقوف عليه ولذا وصفه بانه عظيم ونكره وما يكون
عظيما عنده كيف يعلمه سواه وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك الفضل ما
لا يدرك كيف يوصف وفي قوله خرست دون سكتت وصمتت مبالغة لانه يقتضي
سلب القوة الناطقة ثم ترقى فقال او ينتهي اليه اي كيف يحيط بما لم تصل اليه هم

فصل واما الحلم ©

اي حلمه صلى الله عليه وسلم وهو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب وعدم
اظهاره والاحتمال هو افتعال من الحمل وهو يكون على الظهر وفي البطن ففرق بينهما لفظا
ثم استعمل في التكليف كقوله لا تحملنا ما لا طاقة لنا به والصبر على المكاره مع الخوف
وعدم التاثر منها كما في المثل لا يحمل الخبث وهو المراد هنا والعفو عدم المواخذة بالذنب
وعفوه وهو قريب من الحلم وبينهما فرق مع القدرة وفي نسخة المقدرة بفتح الدال وضمها
وميم مفتوحة مصدر ميمي بمعنى القدرة ومن كلامهم المقدرة تذهب الحفيظة اي الغضب
والحمية والصبر على ما يكره وكان له صلى الله عليه وسلم من هذا مرتبة لا تدرك وبين
هذه الالقاب اي بين مسمياتها فرق يتميز بها عن غيره واحتاجت الى الفرق لتقارب ب
معانيها والمراد باللقب اللفظ الجامد الدال على صفة لا ما اصطلح عليه النحاة وهو كما
قال الراغب اسم يسمى به الانسان غير اسمه الاول ويراعى فيه المعنى بخلاف الاعلام ©
فان الحلم حالة توقر بفتح المثناة وضم القاف اي اظهار الوقار وهو السكون يقال
هو وقور ووقار ومتوقر اي ساكن غير مضطرب وثبات عند الاسباب المحركات
كالغضب قيل ولا بد من اعتبار كون هذا بسهولة حتى يخرج التحلم وان كان بعد الاعتياد
يصير كذلك والاحتمال حبس النفس عند ورود ما يعتريها من الآلام بمد الهمزة
جمع الم وهو ما يولم وهو والمؤذيات بالهمز والواو جمع موذية والاذى كل ما يتاذى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

به والمراد بحبس النفس ضبطها حتى تخضع لسلطان العقل وتطمئن لما يامرها وفي
نسخة الضرر وانه كما قاله التلمساني المرديات بالراء والدال المهملتين من الردى بمعنى
الهلاك **ومثلها** قيل المراد مثل المذكورات وقيل المراد مثل الاحتمال وانث ضميره باعتبار
انه حالة ولو قال ومثله كان احسن واسلم من التكلف **الصبر** فان معناه لغة الحبس ومنه
قتله صبرا اذا اهلكه ليقتله في غير قتال وهذا يؤيد ارجاع الضمير للاحتمال **ومعانيها**
متقاربة قال الراغب الصبر الامساك في ضيق وحبس النفس عما يقتضيه العقل او
الشرع او عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام وربما خولف بين اسمائه بسبب
اختلاف مواقعه فان كان حبس النفس لمصيبة سمي صبرا لا غير ويضاده الجزع وان كان
في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في نائبة مضجرة سمي رحب الصدر
ويضاده الضجر وان كان في الكلام سمي كتمانا ويضاده الذل انتهى ومنه يعلم ان له معنيين
خاص وعام فلو حمله المصنف على الخاص غاير اخويه وهو الاولى **واما العفو فهو ترك**
المؤاخذة بالهمز وبالواو غير فصيحة وهي الجزاء على ما فعله غيره قيل وفي تعبيره بالترك
اشعار بانه لا يكون الا عن قدرة الناس لا يقال لعاجز لا تارك فتقييده به اولا للتاكيد
كنظر بعينه كقوله وان في الحلم ذلا انت عارفه • والحلم عن قدرة فضل من الكرم •
لانه اذا لم يكن عن مقدرة فعجز • وما احسن قول ابن زيدون •

• اري الدهر ان يبطش فانت يمينه • وان تبسم الدنيا فانت لها ثغر •
• عطاء ولا من وحكم ولا هوى • وحلم ولا عجز وعز ولا كبر •

وهذا كله مما ادب الله به نبيه اي اداب ومحاسن علمها الله تعالى لنبيه وارشده
لها ما خلق فيه استعدادا تاما لها كما قال ادبني ربي فاحسن تاديبي وهو احد الحكم في
كونه يتيما حتى يعلم ان ربه يربيه من غير حاجة لامه وابيه **فقال خذ العفو وامر**
بالعرف الآية وتمامها واعرض عن الجاهلين وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق اي
تعاطى العفو عن الناس وترك مؤاخذتهم وفي عدوله عن اعف لا يظهر الاخصر نكتة يعرفها
من له المام بالادب كما ان في قوله وامر بالعرف دون اعمل اشارة الى انه متصف به مركوز
في جبلته ومن تامل مثله استخرج منه فوائد لا تحصى ومنهم من فسر العفو بالمساهلة
وترك المؤاخذة والبحث عن مرام الاخلاق فامره باخذ ما سهل من اخلاق الناس وافعالهم
من غير كلفة وطلب لما يشق واعترض عليه بانه غير مناسب لقوله **وروي ان النبي صلى**
الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية وهذا الحديث كما قاله السيوطي رواه ابن جرير
وابن ابي حاتم وابو الشيخ في تفاسيرهم وابن ابي الدنيا في مكارم الاخلاق ووصله ابن مردويه
من حديث جابر وقال الشيخ قاسم للبخاري عن عبد الله ابن الزبير في قوله خذ العفو الى اخره
انه قال ما انزل الله هذه الآية الا في اخلاق الناس وله في رواية اخرى تعليقا عن عبد الله
قال امر الله نبيه ان ياخذ العفو من اقوال الناس او من اخلاق الناس واما قوله واعرض
عن الجاهلين اي عن معاينتهم ولا تمارهم فان كان شاملا لمداراة الكفار فهو منسوخ باية
السيف فان كان امرا بمكارم الاخلاق وعدم مقابلة من سفه فليست منسوخة قيل ويعين
هذا ما رواه البخاري من ان عيينة ابن حصن استاذن له الحر بن قيس من عمر فدخل عليه
وقال له يا ابن الخطاب ما تعطينا الجزل وتحكم بيننا بالعدل فغضب عمر فقال له الحر

يا امير

يا امير المومنين ان الله قال لنبيه خذ العفو الآية وان هذا من الجاهلين فما جاوزها
عمر وكان وقافا عند كتاب الله فهذا يدل على انها منسوخة وليس كما قال فانه يجوز ان يكون
استشهد بها لشمولها غير الكفار لا ان هذا هو معناها فقط **سال النبي عليه السلام عن**
تاويلها اي تفسيرها وبيان المراد منها فانه احد معنيي التاويل **فقال له حتى اسال العالم**
يعني الله عز وجل كالعليم من اسماء الله ويوصف بهما غيره تعالى اما الاول فظاهر واما الثاني
في حق الله فظاهر واما في غيره فكقوله م

• فان تسالوني بالنساء فانني • عليم بادواء النساء طبيب •

والثاني في حق الله اشهر وقيل المراد بالعالم الكامل في العلم كما في قوله ذلك الكتاب
يختص بالله فانه مساو لبصلة المعنى للعليم واما العليم فاطلاقه على غير الله لم يسمع والبيت
المذكور لابن الوردي وهو من المتاخرين لا استدلال به وهذا الحديث يكفي شاهدا لاطلاق
العالم على الله فهو كاف في ثبوته اقول هذا عجيب من مثله وفيه من الخلط ما لا يخفى
اما قوله ان الشعر لابن الوردي فافتراء عليه لانه شعر فصيح لبعض العرب وهو مذكور في
الشواهد واما استدلاله على العالم بالحديث وهو مذكور في القرآن كقوله عالم الغيب
والشهادة فمما يقضى منه العجب واما قول جبريل اسال العالم دون اسال الله فكانه تادب
منه لايهام انه لا يسال الله بالذات فكان بينه وبينه واسطة او هو عالم بالتفسير وفيه اي من حج
ارشاد لمن سئل عن شيء لا سيما القرآن فينبغي ان يتثبت فيه وفي جبريل تسع لغات جبريل
بالكسر وجبريل بالفتح مهموزا مشددا اللام وجبرائل بهمزة بعد الالف وجبرئل بهمزة مفتوحة
بلا الف وبياء وجبريل وجبرين بنون وفتح الجيم وكسرها وفيه لغات اخر وقال الجوهري
والازهري وكثير من المفسرين في جبرائيل ان جبر وميك معناهما عبد وايل وال
اسم الله وقال ابو علي الفارسي هذا خطأ لان ال لم يذكر احد انه من اسماء الله ولانه لو كان
كذلك كعبد الله يلزم اخره حالة واحدة ولا يعرب بحسب العوامل قال النووي وهو الصواب
ولا يخفى ما فيه فان ال اذا كان اسما لله فهو سرياني ولا يابى عدم معرفة العرب له
واما اعرابه فانه لما اعرب غير عما كان عليه وجعل اسما واحدا ولذا رجحوه لاوزانهم
والعرف هو الخصال المحمودة لا العرف الشرعي كما توهم **فاتاه** الفاء فصيحة اي انفصل
عنه وفارقه ثم اتاه **فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك** الظاهر ان المراد
به صلة الرحم والرحم بمعنى القرابة وصلتهم بالاحسان اليهم وفعل الجميل وقوله كالهدية
والزيارة وارسال السلام ونحو ذلك وضده قطع الرحم ويحتمل التعميم لتعليم الخلق وترك
التهاجر المنهي عنه كما في قوله **وتعطي من حرمك** يقال حرمه واحرمه بمعنى اي احسن
الى من لم يحسن اليك وهذا ارشاد له ولامته وان كان لا يرجوا غير الله واحسانه **وتعفو**
عمن ظلمك هذا معنى قوله خذ العفو وما قبله يعني امر بالمعروف ولم يتعرض لقوله
واعرض عن الجاهلين اما لظهوره او للاشارة الى انه في معرض النسخ او لان المراد بالجاهلين
من قطع وظلم وهذه اشارة الى اصول الاخلاق واعظمها واحبها الى الله فتدبر **وقال**
له واصبر على ما اصابك الآية وهذه الآية من وصية لقمان لابنه اذ قال له يا بني
اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر كما قصه الله في كتابه الكريم وكل ما قصه الله
من قصص الانبياء فهو ارشاد لنبينا صلى الله عليه وسلم ولامته فكانه مما امر به ابتداء فلا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يتوهم انها ليست في حقه اذا امرت بمعروف ونهيت عن منكر واصابك بسبب ذلك مكروه
فاصبر له **وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل** قال العز ابن عبد السلام اولوا العزم
اولوا الجد والجهد والصبر وهم المامورون بالجهاد او الرسل من العرب وقيل من لم تصبه
فتنة وقيل من اصابه بلاء بغير ذنب وهم نوح • وابراهيم • ومحمد • وقيل ابراهيم • وموسى •
وداود • وسليمان • وعيسى • ومحمد • وقيل هم المذكورون في الانعام اولئك الذين هدى
الله فبهداهم اقتده • الا يونس لقصة الحوت انتهى ولا يخفى عد محمد صلى الله عليه وسلم هنا
لقوله كما صبر وهم كلهم من الرسل وقد اختلف فيهم فقال مجاهد هم خمسة وهم اصحاب الشرائع
وقيل ثلثة وقيل ستة وقيل جميع الرسل اولوا عزم وقيل كل الانبيا اولوا عزم الا يونس
لعجلته والفا في قوله فاصبر فصيحة لان قبلها ويوم يعرض الذين كفروا على النار اي
اذا كان عاقبة الكفرة ما ذكرنا فاصبر وقد صبر مثل صبرهم وزاد عليهم ومن في من الرسل
بيانية او تبعيضية والخلاف دائر على تفسير العزم بالصبر كما هو ظاهر الاية او الجد
والاجتهاد او الجهاد **وقال وليعفوا وليصفحوا الاية** الا تحبون ان يغفر الله لكم
عدم المواخذة بالذنب والصفح الاعراض عنه وعن ذكره لان من اعرض عن شي ولاه صفحة
عنقه وهذه الاية وان نزلت في الافك وفي حق ابي بكر اذ كان ينفق على مسطح لقرابته
منه فلما خاض في الافك آلى ان لا ينفق عليه فقال الله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم
والسعة ان يؤتوا اولي القربى والمساكين الخ فقال ابو بكر بلى والله اني لاحب ان يغفر
الله لي وعاد الى انفاقه عليه فالنبي داخل في عمومها كما في سائر الخطابات فلا يرد على المصنف
ان هذه الاية ليست في حقه صلى الله عليه وسلم **وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك
لمن عزم الامور** اي من اهم الامور التي ينبغي التصميم والعزم عليها واللام موطية للقسم
ان قلنا ان من شرطية او لام ابتداء ان قلنا انها موصولة كما فصله المعربون وهذه الاية
مع ما قبلها نزلت في ابي بكر وقد سب بعض الانصار واستشهد بها المصنف لانه صلى الله عليه
وسلم كان احق الناس بذلك معتمدا عليه **ولا يخفى ما يؤثر من حلمه واحتماله** الا بمعنى في
ويؤثر بمعنى ينقل ويروى من حلمه وتحمل الاذى فانه شايع غير خفي على احد **وان كل
حليم** اي ولا خفاء ان كل حليم غيره **قد عرفت منه زلة** بفتح الزاي المعجمة وهي الخطيئة
والسقطة قال الشاعر • فهي لا تترك الجزلة ليس يعدها • حتى وزلات النساء كثير •
وحفظت عنه هفوة بفتح الها وسكون الفاء وهي قريبة من الزلة معنى وقال التلمساني
هي بالفاء وهو اكثر وبالقاف وهي السقطة وهو غريب منه وهي من هفى بمعنى زل
وسقط او تحرك واسرع وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف
الجاهل الا حلما جملة حالية اي مع انه لا بد من الزلة والهفوة في الغضب والمكاره فهو لا
يزداد مع ذلك الا صبرا وحلما والمراد بالجاهل ليس ضد العالم وان كان اشهر معنييه بل هو
السيء الخلق المجازف في اموره قال الشاعر
• الا لا يجهلن احد علينا • فنجهل فوق جهل الجاهلينا •
فالجهل بهذا المعنى خلاف الحلم ويتعدى بعلي وقد تترك تعديته كقول الحماسي •
وبعض الحلم عند الجهل للذلة اذعان • وقال بعض الحكماء • لا يحلمنا
الجهول لك وجرأة السفيه عليك على اجابته له وقوته عليك بحلمه يعني صبرك خير من سفه

يشفي وهو ما يدل على مغايرة الحلم للصبر وان كان مقارنا له كما مر وهذا هو المعروف
عند العرب في الجهل والاسراف بمعنى الزيادة وتجاوز الحد **حدثنا القاضي ابو عبد الله
محمد بن علي التغلبي وغيره** هو محمد بن علي ابن محمد بن عبد العزيز بن احمد بن تونة غلبون
التغلبي بفتح المثناة الفوقية وسكون الغين المعجمة منسوب لتغلب سميت باسم ابيهم كهم
ولامه مكسورة تفتح في النسبة استيحاشا من توالي كسرتين وبا ولد سنة تسع وثلاثين
واربع مائة ومات يوم الخميس لثلاث بقين من المحرم سنة ثمان وخمس مائة وكان فقيها ثقة
تولى القضا في ايام المرابطين ولاه يوسف بن تاشفين فسار بناحية بن سترة وبقي مدة عمره
وسمع من شيوخ الاندلس واخذ عنه المصنف في رحلته لقرطبة **قالوا حدثنا محمد بن عتاب**
بفتح العين وتشديد المثناة الفوقية والف موحدة وهو ابن محسن الجذامي المحدث الفاضل
توفي ليلة الثلاثا العشر بقين من صفر سنة اثنين واربعمائة **حدثنا ابو بكر بن وافد وغيره**
هو يحيى ابن عبد الرحمن بن وافد بالفاء والدال المهملة علم منقول من الوافد بمعنى القادم
قال ابن سهل في احكامه كان ابن وافد متقدما في اصحاب ابن زرب ثم سقط بعد موته
والزم داره ثم اعاده المنصور بن سليمان الى مرتبته وجعل اماما بجامع الزهرا ثم
وقعت له امور اقتضت موته في الحبس ودفن بمقبرة الربض سنة خمس واربعمائة والشيم
الله من قاتله بعض ايام وفي بعض الحواشي انه وقع هنا في اصل السماع وافد بالفاء وفيما
سياتي في كيفية الصلاة على النبي وافد بالقاف وهو الصواب والاول هو الذي صححه
البرهان الحلبي والتلمساني **حدثنا ابو عيسى** هو الليثي واسمه يحيى بن عبد الله
بن ابي عيسى يروي عن ابيه عبيد بن يحيى توفي لخمس بقين من رمضان سنة ثلاث
وثلاثين وثلاثمائة **حدثنا عبيد الله** قال البرهان الحلبي هو يحيى بن كثير الليثي مولاهم
البربري المصمودي القرطبي الفقيه ابو محمد عالم الاندلس لم يخرج له في الكتب الستة
شي والموطا مشهور به وموطاؤه اصح وقد سمعته بحلب وقراته بالاسكندرية اما الذي
له في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي فهو يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن بن
يحيى بن حماد التميمي ابو زكريا النيسابوري احد الاعلام انتهى **حدثنا مالك** بن انس بن
مالك بن ابي عامر الاصبحي امام دار الهجرة ومن اليه الرحلة بها صاحب المذهب الجليل واختلف
فيه هل هو تابعي او من تبع التابعين ولد سنة ثلاث وتسعين وتوفي في ربيع الاول سنة تسع
وسبعين ومائة ومات وهو ابن اربع وثمانين واختلف في جده ابي عامر له صحبة ام لا **عن ابن
شهاب** هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري توفي سنة اربع وعشرين ومائة
وقيل غير ذلك **عن عروة** بن الزبير بن العوام اخو عبد الله بن الزبير احد فقهاء المدينة السبعة
روى عن ابويه الزبير واسما بنت ابي بكر وخالته عائشة وغيرهم وتوفي سنة اربع او
خمس وتسعين بعد الهجرة وولد لسنة اثنين وعشرين وهذا حديث صحيح في الصحيحين
والموطا واختار المصنف طريق الموطا فقال **عن عائشة** ام المؤمنين وبرة الصديق وبنيم
الدهر **ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما** قال البرهان
هذا ما اخرجه المصنف من موطا يحيى بن يحيى وقد اخرجه البخاري ومسلم واصحاب السنن ولم
يخرجه المصنف من غير هذه الطريق لانه امام مذهبه ولاهل المغرب اعتبار به وترجيح على غيره
من كتب السنة ولان سنده فيه من هذه الطريق اعلى من سنده في غيره لان بينه وبين مالك

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في هذه الطريق سمعه بالسماع وبينه وبينه في رواية الصحيحين سمعه وفي ابي داود سمعه الا انه بالاجازة فلهذا اختار هذه الطريق على غيرها لما طاس الشان عنده وفي هذا الحديث الاخذ بالاسهل والارفق ما لم يكن حراما او مكروها ونقل النووي عن المصنف انه يحتمل ان يكون تخييره هنا من الله فيخيره فيما فيه عقوبتان او فيما بينه وبين الكفار من القتال واخذ الجزية او في حق امته في المجاهدة في العبادة والاقتصاد فيها فيختار الايسر واما قوله ما لم يكن اثما فيتصور اذا خيره الكفار او المنافقون اما اذا كان التخيير من الله او من المسلمين يكون الاستثنا منقطعا انتهى قال بعض الشراح ان من نهم من قوله ما لم يكن الخ اي موجب اثم من حرام او مكروه ما يفهم من الاستثنا فسماه استثناء وجعله منقطعا لاستحالة ان يخيره الله او خلص المومنين بين امرين احدهما اثم وهو مبني على ان ما في معنى الاستثنا له حكم الاستثنا الا ترى الى قول النحاة لا لزمنك او تقضيني حقي بمعنى الا ان تقضيني حقي فكانه قال هنا الا ان يكون اثما فان قلت هذا مناف لما ورد ان افضل العبادة احمزها اي اشقها على البدن فكيف يختار غير الافضل قلت انما كان يوثر الايسر لامته تخفيفا عليهم لا في حق نفسه لانه ارسل بالحنيفية السمحة ولذا كان يقوم حتى تتورم قدماه ويوثر ما في نفس الامر قوله في محل الحديث انه ما انتقم لنفسه يعني ان التخيير بين الاثم وغيره من العباد متصور واما من الله فلا فاذا اول بما يوجب الاثم او يفضي اليه في حق غيره صح او المراد بالاثم ما لا يليق به لعصمته كما اذا خير بين ملك كنوز الارض وعيش الكفاف ويدل على انه في حقه قوله **فان كان اثما كان ابعد الناس منه** اقول قال العز بن عبد السلام وتبعه الزركشي في قواعده ان قولهم الاجر على قدر المشقة وما ورد في حديث عايشة اجرك على قدر نصبك كما في مسلم ليس على اطلاقه انما هو اذا اتحد العملان في الشرف والشرايط والسنن وكان احدهما شاقا فيثاب على تحمل المشقة وذلك كالغسل في الصيف والشتاء اما اذا لم يتساويا فلا فان الايمان افضل من الاعمال مع خفته والمختار ان افضل الاعمال انما هو بالمصالح الناشية عنها فتصدق البخيل افضل من قيامه بالليل وكلمة انتقاد الحاكم مظلوما بكلمة افضل من قيام الليل وصيام النافلة انتهى وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه فلا حاجة لما اطالوا به من غير طايل **وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه** اي لا يعاقب احدا بتقصير وقع منه في حقه بحيث يكون فاعله لم يخالف امر الله فيما فعله لانه بري من الحظوظ النفسانية والاعتبارات الدنيوية **الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها** اي بسبب حرمة الله وانتهاكها وحرمة الله ما حرمه الله او جعله محترما ممنوعا وانتهاكه التعدي والتجاوز فيه من نهكت الثوب اذا لبسته اي اخلقته ويقال نهكته الحمى اذا اضعفته واضنته فانتهاكها تناولها بما لا يحل وانتهك فلان محارم الله اي فعل ما حرمه الله فعله عليه لما فيه من ضعف الدين وابتذال حكمه وليس الانتهاك المبالغة في اتيان ما حرمه الله كما توهم حتى يرد انه لا يغضب لمجرد فعل محرم او صغيرة مرة واحدة ويحتاج الى الجواب بانه من فعل ذلك فقد بالغ في الجراة على الرب العظيم او يقال انه كان يغضب عند الصغاير ويغضب اذا فعلت الكباير فان هذا مما لا ينبغي فانه كيف يخطر بالبال انه يغضي عن الصغاير من غير نظر لغاية علمها ولا حاجة ايضا الى حمل هذا على ما يتعلق بالمال فانه اقتص ممن نال من عرضه كما امر بقتل ابن خطل الاخطل وان حرمة الله

اعظم من حرمة نبيه ومن آذاه فقد آذى الله وان المراد ما كان يقع من بعض جفاة الاعراب كالاعرابي الذي امسك برد آيه وجذبه حتى اثر في جسده وقول بعضهم اعدل في القسمة فانك لا تعطي من مالك ابيك ونحو ذلك مما صدر منهم لغلظة طباعهم مما لا يفضي الى ارتكاب محرم فمن ارتكب شيا من محارم الله التي من جملتها احترامه انتصر وعاقبه لله لا لحق نفسه فان تعلق بها انتقام كان لدين الله ورسوله **وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته** رباعية بوزن ثمانية سن بين الثنية والناب من اليمين واخرى من اليسار ويقابلهما مثلها من فوق فالرباعيات اربع **وشج وجهه يوم احد** الشجة جراحة في الوجه او الراس **شق ذلك** الكسر والشج على اصحابه شديدا اي حصل من ذلك في نفوسهم مشقة وامر شديد عظيم **وقالوا لو دعوت عليهم** اي على الكفار بان يهلكهم الله ويستاصلهم باشد العذاب **فقال اني لم ابعث** بالبنا للمجهول اي لم يبعثني الله **لعانا** اي داعيا على الناس بالطرد والبعد من رحمة الله **ولكني بعثت داعيا** للناس الى الله **ورحمة** للناس اجمعين باخراجهم من الكفر للايمان وبتاخير العذاب عمن كفر لا لطردهم عن رحمة الله وابعادهم عنه ثم قال داعيا **اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون** دعا لهم ان يهديهم الله للاسلام فانهم لا يعلمون طريق الحق ولا معرفة قدر نبيه وما يوصل بهم من الخير ولو علموا ذلك لم يصدر منهم ما صدر وفي سيرة ابن هشام وغيره ان عتبة بن ابي وقاص رماه صلى الله عليه وسلم فكسر رباعيته اليمنى والسفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهري شجه في وجهه وان ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر وشقت شفته السفلى وصرح ابن قتيبة ان محلا قد قتل وقد اختلف في اسلام عتبة بن ابي وقاص اخي سعد والصحيح انه لم يسلم وابن شهاب اسلم واما ابن قمئة فنطحه تيس فتردى فهلك ولكل شي آفة من جنسه ويقال ان حاطبا تبع عتبة فقتله ولم يولد احد من نسل عتبة الا المراهق فيري خزية لعقبه فنحوا اولاده لفساد جلهم وقد قالوا ان رباعيته عليه السلام لم تنكسر من اصلها وانما شظيت وذهبت منها فلقة وكانت فاطمة تغسل دمه وعلي يصب الماء بالمجن فلما رات فاطمة ان الماء يزيد الدم كثرة اخذت قطعة من حصير واحرقتها وذرتها فامسكت الدم وكسرت البيضة التي على راسه وقال الامام الخيضري في خصايصه ان هذا كان قبل نزول قوله والله يعصمك من الناس والمراد عصمته من القتل لا من مطلق الاذية وما احسن قول ابن الفارض في الاشارة الى ذلك

عيني جرحت وجنته بالنظر	من رقتها فانظر لحسن الاثر
لم اجن وقد جنيت ورد الخفر	الا ترى كيف انشقاق القمر

وهو كقول ابن عطية البلنسي

وما شق وجنته عابثا	ولكنه آية للبشر
جلاها لنا الله كيما نرى	بها كيف كان انشقاق القمر

وبقية قصة احد وما فيها مفصل مشهور فلا نكثر السواد به كما في الشرح الجديد تنبيه قال الامام السمرقندي في تفسير قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير حق ظن الملحدة لعنهم الله ان الله اخبر ان الكفار قتلوا الانبيا وقد قال الله انا لننصر رسلنا وقال انهم لهم المنصورون وما في معناه من الآيات ومن كان الله ناصره فهو منصور ابدا فاما الجو

في وجنته وفي الروض الباسم انه اصيب وكسرت رباعيته ... وشج في جبهته ... عبد الله بن قمئة وضربه بالسيف على وجنته فدخلت فيه حلقتان من المغفر صح

قتلوا فهو تناقض واجيب بوجهين الاول انه لم يثبت في الكتاب ولا خبر متواتر قتل رسول
من الرسل الذي اخبر بنصرهم وان ثبت قتل الانبيا لان الرسل الذين اوتوا المعجزات لاظهار
الدين الحق ودعوة الخلق فكان عصمتهم عن القتل من آياتهم الحسية الدالة على صدق دعواهم
الرسالة وولاية القتل مما توهن دعوتهم بخلاف الانبيا اذ ليس دعوة وشريعة • والثاني ان
المراد النصرة بالحجج لا بالعصمة انتهى **وعن عمر** قال السيوطي ان هذا لا يعرف عن عمر في
شيء من كتب الحديث وبيض له الشيخ قاسم في تخريجه لاحاديث هذا الكتاب فكانه لم يقف له
على اصل ايضا **في بعض كلامه** اي في كلام قاله لما راى ما اصابه من كسر رباعيته وشجة
في غزوة احد **بابي انت وامي** هذا الجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره افديك وتسمى
هذه البا باء التفدية ومعناه اي اجعل ابوي فدا دونك واتيهما في حمايتك بقوله الرجل
لمن هو اعز عليه من نفسه واهله وماله لانهم كانوا يبذلون الانفس في صيانة اهلهم وقد تكلم
بمثله النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الكلمة جارية مجرى المثل في ذلك وقد يظهرون
متعلق الجار والمجرور والفدا بكسر الفاء والمد وفتحها مع القصر فكاك الاسير يقال فداه يفديه
فدا وفدى وفاداه اذا بذل فداه وفداه بالتشديد اذا قال جعلت فداك وهي كلمة تقال
في التعظيم وتدخل البا على المبذول المفدى به وقد يعكس كما في قوله

• فديت بنفسه نفسي ومالي • وما آلوك الا ما اطيق •

وحمله في المغني من المقلوب كعرضت الناقة على الحوض وقد جرى عمر في هذا على ما الف
العرب والا فهو حقيق بان يفدى بالنفوس فضلا عن الآباء والامهات فلهذا قال الآخر

• نفسي الفداء لقبر انت ساكنه • فيه العفاف وفيه الجود والكرم •

فانظر قصة علي كرم الله وجهه اذ فداه بنفسه ونام مكانه لما هموا بقتله وهو اول من
اشترى نفسه من الله ومقامه دون عمر كما هو معلوم **لقد دعا نوح على قومه فقال
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا** ولعل ما قاله هذا لان مشربه كان مشرب نوح كما
ان مشرب الصديق مشرب ابراهيم الخليل وتذر كتدع بمعنى تترك وديارا بمعنى احد
وهو مختص بالنفي فيقال ما في الدار ديار وروى اي احد واصله ديوار فاعل اعلال
سيد وصيت وان عم والفا عاطفة للمفصل على المجمل **ولو دعوت علينا** اي على الناس
كلهم **مثلها** اي مثل دعوة نوح **لهلكنا من عند آخرنا** هذا التركيب وقع في كلام العرب
والمراد به من اولنا الى آخرنا اي جميعنا ولشراح الكشاف فيه كلام فقيل تقديره من اولنا
الى آخرنا وعند مقحمة وقيل من بمعنى الى وقيل انه كناية عن هلاك الجميع لانه لا يكون الهلاك
عند آخرهم الا اذا شملهم جميعا فان اردت تحقيقه فانظر شروح الكشاف في اول سورة
البقرة **ولقد وطئ ظهرك** الوطء الدوس بالقدم وفي الشرح الجديد انه لم ينقل ان احدا
من المشركين وطئ ظهر رسول الله بقدمه ولعله عبارة عما روي في الصحيحين انه صلى الله عليه
وسلم كان يصلي عند البيت وثمة قريش في مجالسهم فقال ابو جهل الا رجل يقوم الى
هذا القذر فيلقيه على محمد وهو ساجد فانبعث له اشقاها وهو عقبة بن ابي معيط فالقاه
عليه فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف وكان ابو جهل
وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وعقبة بن ابي معيط وامية بن خلف
وعمارة بن الوليد وهم المستهزءون فاهلكهم الله جميعا فاما ان يكون سمى هذا وطئا لما فيه من

وطأتك

الاهانة

٢٢٢

الاهانة المشددة كما يسمى الغزو وطئا او وقع هذا في قصة لم نقف عليها **وادمي
وجهك** اي جرح في وقعة احد يقال ادميته اذا جرحته فسالت دمه والذي فعل
ذلك به عتبة بن ابي وقاص اخو سعد وفيه يقول حسان

• اذا الله جازى معشرا بفعالهم • ونصرهم الرحمن رب المشارق •
• فاخزاك ربي يا عتيب بن مالك • ولقاك قبل الموت احدى الصواعق •
• بسطت يمينا للنبي تعمدا • وادميت فاه قطعت بالبوارق •
• فهلا ذكرت الله والمنزل الذي • تصير اليه عند احدى البوائق •

وشج وجهك وقع في نسخة التلمساني زيادة هذا هنا وقد شجت وجنته وجبهته
باحد ودخل في وجنته حلقتا الدرع فنزعهما بفمه ابو عبيدة بن الجراح حتى سقطت
ثنيته والذي جرحه عبد الله بن قميئة فقيل نطحه تيس وتردى من شاهق فمات وقيل
قتله عتبة بن ابي وقاص فادركه حاطب فقتله فجا بفرسه **وكسرت رباعيتك** تقدم
بيانه وما فيه وعليه **فابيت ان تقول الا خيرا** اي لم تدع عليهم كما دعا نوح على قومه
ثم فسر الخير بقوله **فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون** الحق ولا يهتدون
الى الصواب وفي النسخ المروية هنا اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وهي مفسرة للرواية
الاولى على ان المراد بالمغفرة سببها وهو الهداية اول التقدير اللهم اهدهم واغفر لهم فلا
يرد عليه ما قيل ان الدعا المذكور صدر منه باحد وكانت على احد وثلاثين شهرا من الهجرة
فكيف يسال لهم المغفرة وهم كفار وقد نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية ولو قلنا ان
مغفرة الشرك جائزة عند بعض المتكلمين فانه ممنوع شرعا فما وجه وقوعه في كلام الشارع
ولا حاجة الى الجواب بان هذه من سورة النسا وهي مدنية نزلت بها او هذه الآية مخصوصة بها
فيجوز ان دعاه كان قبل نزولها وعلمه بمنع الدعا لهم بالمغفرة لجوازه سوا قلنا المدني
ما نزل بالمدينة او بعد الهجرة او المراد مغفرة ما وقع منهم من كسر الرباعية ونحوه لا مغفرة
الشرك وقيل ان هذا انما صدر من النبي على سبيل الحكاية عن نبي كان قبله كما رواه مسلم في
صحيحه قال عبد الله بن عباس كاني انظر الى النبي صلى الله عليه وسلم يحكي عن نبي من الانبيا
ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
ومثله في البخاري والمراد بهذا النبي نوح بانه كان يضرب ثم يلف في لبد ويلقى في بيته
يرون انه قد مات ثم يخرج ويدعوهم الى الله فلما ايس منهم دعا عليهم فالنبي لما وقع به ما
وقع حكى ذلك عنه تسلية له وللمؤمنين وقوله لقومي ذكر نسبته لهم تحننا عليهم وبيانا
لسبب ذلك درجا لرحمة الله بهدايتهم واضافتهم اليه موافقة لما في نفس الامر وان قيل
انه ليس من اهلك كما لا يخفى وقوله فانهم لا يعلمون اعتذار لهم بالجهل الحقيقي وانما هو
في حكمه لعدم جريهم على مقتضى علمهم كما تقول لتارك الصلاة الصلاة واجبة والجهل وان
لم يكن بعد مشاهدة الآيات الباهرة عذرا شرعا وليس بمنج من العذاب وقد اختلف فيما
قبل البعثة ايضا كما هو معلوم في كتب الاصول لكنه جرى فيه على حكم الظاهر تضرعا
الى الله ان لا يعجل عذابهم ويمهلهم حتى يكون منهم مؤمنا او من ذريتهم وقد حقق الله رجاه
لانه جعل ذلك عذرا حقيقيا لهم فلا يرد هنا شيء كما توهمه بعضهم **قال المصنف انظر
ما في هذا القول** المذكور في كلام عمر وفي الحديث الذي قبله **من جماع الفضل** الجامع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بكسر الجيم ما يجمع كل الشر كالخمر جماع الاثم ومظنته **ودرجات الاحسان** بالجر معطوف
على الفضل اي ما يجمع مراتب الاحسان وكذا قوله **وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر**
والحلم ففيه ما يدل على نهاية هذه الصفات **اذ لم يقتصر على السكوت عنهم** مع ما فعلوه
معه مما لا يحتمل بعضه احد فضلا عن اعز الناس نفسا واشرفهم واعلاهم حسبا ونسبا وجرح
ذوي القربى اشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند **حتى عفا عنهم** مع عظيم جرمهم
في حقه اذ قال اني لم ابعث لعانا **ثم اشفق عليهم** اي ابدى شفقته ورحمته لهم **ورحمهم**
ودعا وشفع لهم فقال اغفر او اهد كما مر بيانه مفصلا **ثم اظهر الشفقة بقوله لقومي**
فان الطبع البشري يقتضي الحنو على الاهل والاقارب باي حال كانوا **ثم اعتذر عنهم**
بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون وقد تقدم بيانه ونسبتهم اليه ليبلغهم ذلك فتنشرح
صدورهم لاجلها فيختاروا الايمان على الكفر ولذا لم يعبر بالجهل لعدم العلم غشيانا لهم
العبارة التي بهم يوما لطفه الى الايمان ويدخلوا حرم الامان وان كان جهلهم لا يعتد به
بعد اتضاح برهان التوحيد وقيام الحجة الباهرة بالمشاهدة والتواتر الا انه اعتذار ظاهري
اعتبر سعيا في تسخير قلوبهم والا فهم عالمون جاحدون مكابرون وليس لهم عذر يقبل شرعا
كما مر تفصيله ولما قال له الرجل هو ذو الخويصرة التميمي ويقال له حرقوص بن زهير راس
الخوارج قال البرهان قتل يوم النهر وان كان في تجريد الذهبي وفي صحيح البخاري عن ابن ذي
الخويصرة التميمي قال في المقتفي ولعلهما قالاه والصواب ان والده هو القائل والنهر النهر صح
وان بفتح والزاي اسم موضع فارسي معرب قال الطرماح

قل في شط نهروان اغتماضي ● ودعاني هوى العيون المراض

وحكى الجواليقي انه سمع من العرب ضمها وكان حرقوص مع علي في حروبه ثم اتبع الخوارج وزعم
ان ذا الثدية وليس كذلك ومقول القول **اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله**
اي عادلا فيما قسمته فان هذه القسمة ليست عادلة موافقة لامر الله ولرضاه والمقسوم
كان من غنائم خيبر او تمرا ارسله علي بن ابي طالب من اليمن وهذا الحديث رواه مسلم عن جابر
ونحوه في صحيح البخاري واخرجه البيهقي وهو حديث صحيح وفي الفاظه اختلاف والمال واحد
لم يزد النبي صلى الله عليه وسلم **في جوابه ان بين ما جهله** اي لم يزده على ان بين
له ما جهله من عدل الله في قسمته حيث قال من يعدل اذا لم اعدل **ووعظ نفسه وذكرها**
التذكير والوعظ بمعنى فعدل عن وعظ القائل الى وعظ نفسه وهو نهاية الحلم منه **لما قال**
ويحك ويح كلمة ترحم وتوجع لمن وقع فيما لا يرضى وقيل انها كلمة مدح وتعجب وهي منصوبة
على المصدرية مضافة وقد ترفع فتترك اضافتها فترحم له لما خالف رضى الله او تعجب من
صدور مثله من مسلم ووقع في رواية ويلك **فمن يعدل اذا لم اعدل** وفي مسلم او لست احق
اهل الارض ان يطيع الله عز وجل وغضب حتى احمرت وجنتاه **خبت وخسرت ان لم اعدل**
روي بفتح التاء فيهما على الخطاب وضمها على التكلم واقتصر بعضهم على الفتح اي خبت وخسرت
ايها القائل ان لم اعدل انا لاتباعك واقتدائك بغير عادل وعلى الضم اقتصر الشمني لانه معلق
بعدم العدل الذي عصمه الله عنه وهو المناسب لقوله وعظ نفسه وذكرها ونقل النووي
في شرح مسلم الوجهين وفسرهما بما تقدم وقال الفتح اشهر وقيل المعنى على الفتح ان لم اعدل
خبت لاني اقتلك لنفاقك ونطقك بما ينافي الاسلام لكني عدلت نظرا لظاهر اسلامك

وان ما وقع من سوالك جهلا منك غير مخل بمقامي **ونهى من اراد من اصحابه قتله** وهو
عمر بن الخطاب كما في البخاري قال ائذن لي اضرب عنقه فقال معاذ الله ان يتحدث
اني اقتل اصحابي وفي مسلم ان القائل خالد بن الوليد وجمع بينهما بان كلا منهما اراد ذلك
وقد صرح به في مسلم وان عمر لما قال ذلك قال دعه وادبر فقام اليه خالد بن الوليد
فهذا نص على ان كلا منهما قال ذلك وقال المصنف في شرح مسلم من سب النبي كفر وقتل وهذا
الرجل لم يقتل وقال الماوردي يحتمل انه لم يفهم منه الطعن في النبوة وانما نسبه لترك العدل
بناء على تجويز صدور المعاصي من الانبياء عند القائل وانه لم يصب وانه لم يسمعه منه وانما
نقل له ولم يثبت عنده لان المخبر له واحد ومثله لا يراق به الدماء وهذا تاويل باطل فان
المروي يا محمد اتق الله بخطاب المواجهة بحضرة الصحابة حتى استاذنوه في قتله وانما الوجه
انه سلك به مسلك غيره من المنافقين استبقاء لانقيادهم وتاليفا للقلوب عنهم لئلا
يتحدث الناس بانه يقتل اصحابه فينفروا ويرتدوا فاختار اهون الشرين حكمة والحديث
مصرح بهذا **ولما تصدى له غورث بن الحارث** تصدى بالتاء المفتوحة والصاد
المهملة والدال المشددة والالف اي اتاه وتعرض له وغورث بغين معجمة مفتوحة وتضم ايضا
وواو ساكنة وراء مفتوحة وثاء مثلثة وقال بعضهم يجوز اهمال عينه كما نقله البرهان
الحلبي قال وعند بعضهم مصغر يعني غويرث كغويرث ونويرث فانه تصغير بالفارسية
ولم يرد انه كتصغير العرب غويرث وقال التلمساني انه غويرث ايضا وفي بعض الروايات
تسميته دعثور وانه اسلم لكن قيل انهما روايتان **ليفتك به** الفتك مثلث الفاء ساكن
التاء هو ان ياتي رجل آخر وهو غافل فيهجم عليه فيقتله وقد فتك به بالفتح يفتك بالكسر
والضم وهذه القصة كانت في غزوة ذات الرقاع في السنة الرابعة من الهجرة **ورسول**
الله منتبذ تحت شجرة بضم الميم وسكون النون وفتح المثناة الفوقية وكسر الموحدة
وذال معجمة اي جالس في ناحية معتزل **وحده** بقرب من الناس ليستريح بظلها وتلك
شجرة عضاه وهي التي تسمى ام غيلان وهي شجرة عظيمة ذات شوك وكان ذلك دابه في
سفره **قائلا** حال اي مستريحا في وقت القيلولة وهي وسط النهار اذا اشتد الحر وان لم
ينم **والناس قائلون** اي كل منهم في قيلولة منفردا عن اصحابه **في غزاة** تقدم ذكرها
والاختلاف في زمنها ووجه تسميتها مفصل في السير والغزاة اسم مصدر بمعنى الغزو
فلم ينتبه اي لم يتنبه لمجيئه او لم ينتبه من نومه **وهو** استئناف من اعم الاحوال
فضميره هو لغورث **قائم والسيف صلتا** بفتح الصاد المهملة او ضمها ولام ساكنة ومثناة
فوقية اي مسلولا مجردا من غمده ويجوز في السيف رفعه على انه مبتدا ونصبه على انه مفعول
معه وصلتا حال على كل حال في يده فقال **غورث له صلى الله عليه وسلم من يمنعك مني**
لانه وجده خاليا ليس معه احد ولا سلاح وهو جالس وغورث قائم عليه بسيفه المجرد
وفي رواية انه كرر ما اجمعه ثلاث مرات **فقال الله** اي الله الذي عصمني من الناس
فسقط السيف من يده لما ارعبه من قوله الله وفي رواية ان جبريل دفعه فسقط
وفي رواية فشام سيفه اي اغمده وهو من الاضداد وكان غورث من اشجع الناس توعد
ان يقتل رسول الله فقيل له امكنك محمد فاختار سيفا من سيوفه واقبل حتى قام على راسه
فاخذه اي السيف الذي سقط منه **فقال من يمنعك مني** اي من ان اقتلك والسيف بيدي

شبكة الألوكة www.alukah.net

فقال كن خير آخذ بالمد اي خير رجل آخذ خصمه وتمكن منه **فتركه وعفا عنه** مع القدرة
عليه وقيل الاخذ الاسر والاخيذ الاسير كما في النهاية وهو غير تقييد ايضا وفي البخاري مسندا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل الغزوة ذات الرقاع ونحن معه فادركتنا القايلة في واد
كثير العضاه فتفرق الناس يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة علق
بها سيفه فنمنا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فجيناه فاذا عنده اعرابي جالس
فقال ان هذا اخترط سيفي وانا نايم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال من يمنعك مني
قلت الله فها هو ذا جالس ثم لم يعاقبه قالوا ولما راى كرمه وحلمه اسلم وهو من غطفان فانزل
الله يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية **وجاء**
قومه وفي نسخة فجاء قومه **وقال جئتكم من عند خير الناس** حلما وكرما **ومن عظيم خيره**
صلى الله عليه وسلم في العفو **عفوه عن المراة اليهودية** وهي زينب بنت الحارث بن سلام
وقيل امراة سلام بن مشكم اخت مرحب اليهودي كما ورد في الحديث الصحيح الذي اخرجه الشيخان
عن انس **التي سمته** اي جعلت له السم **في الشاة** المشوية من الغنم **بعد اعترافها** بوضع
السم له في الشاة **على الصحيح من الرواية** متعلق بقوله عفوه لا باعترافها لعدم اختلاف
الرواة فيه ولذا قيل كان الاحسن ان يقدم هذا على قوله بعد اعترافها لانها اهدت شاة مصلية
اي مشوية بخيبر فقال ما هذه فقالت هدية لك ولم تقل صدقة لانه لا ياكل منها فاكل هو
واصحابه ثم قال امسكوا وقال لها هل سممت هذه الشاة قالت من اخبرك بهذا قال هذا العظم
لساق بيده قالت نعم قال لم قالت اردت ان كنت كاذبا ان يستريح منك الناس وان
كنت نبيا لم يضرك فاحتجم صلى الله عليه وسلم ثلاثا على كاهله لقربه من القلب وقد اختلف
فيها فقال عفا عنها • وروى ابو داود انه قتلها وصلبها ونقل البرهان عن كتاب شرف المصطفى
ذلك وجمع بين الروايتين بانه صفح عنها في حق نفسه لانه كان لا ينتقم لنفسه كما مر فلما مات
بشر بن البراء من اكلة منها قتلها قصاصا به لانه لم يزل متألما الى الحول حتى مات وقيل انه مات
في الحال وروى معمر في جامعه عن الزهري انها اسلمت فتركها وغيره يقول انه قتلها ولم
تسلم وفي جامع معمر ايضا ان ام بشر بن البراء قالت له في مرض موته اني لا اتهم لبشر يعني الا
الاكلة فقال وانا لا اتهم بنفسي الا ذلك وهو ظاهر في ان المرض الذي مات منه كان من
تلك الاكلة على سبيل الظن لا القطع لكن ذكر صاحب المواهب في الطب النبوي انه احتجم
من السم فخرجت المادة السمية مع الدم لا خروجا كليا بل بقي اثرها مع ضعفه فاثر فيه لما
يريد الله من تكميل مراتب الفضل بالشهادة زاده الله فضلا وشرفا وفي الرواية اختلاف ففيما
مر ان الذي قدم له ساق وفي اخرى انه كتف او ذراع لانها سالت عن احب اللحم اليه فقالوا
الذراع فاكثرت فيه السم وانه لاك منها مضغة ولم يسغها واساغ بشر لقمته وهذا يؤيد
عدم القطع بتاثيره فيه لكن يؤيده ما في المواهب ما ورد في الحديث انه قال في مرض موته
ما زالت اكلة خيبر تعاودني حتى قطعت ابهري فانظر في التوفيق بين الروايتين في
الاكل وعدمه • واعلم ان في هذه المسئلة اختلافا للفقهاء فيمن وضع طعاما مسموما لغيره
فاكل منه ومات هل عليه قصاص ام لا وهو مبني على انه اذا اجتمع السبب والمباشرة فالاكثر
على تقديم المباشرة وقولها انها اسلمت فتركها على بعض الروايات فيه ان الاسلام لا يسقط
حقوق العباد الا ان يكون هذا من خصايصه صلى الله عليه وسلم وفيه نظر **وانه لم يؤاخذ**

لبيد بن

لبيد بن الاعصم الاعصم بزنة احمر بمهملات ويقال له اعصم بدون الف ولام وهو
رجل من بني زريق وهم بطن من الانصار وكان بينهم وبين اليهود حلف قبل الاسلام فلما
جاء الاسلام تبرؤا منه واختلف في لبيد هذا ففي الصحيحين انه يهودي وهو المشهور
وقيل انه منافق كان يحالف اليهود وسيأتي عن المصنف رحمه الله حكم باسلامه وقال البرهان لا اعلم
احدا عده من المنافقين فلعل المراد بالنفاق معناه العرفي كما ورد في الحديث ان المنافق
اذا حدث كذب واذا ائتمن خان وقد يطلق النفاق على الكفر ايضا **اذ سحره وقد اعلم به**
واوحي اليه بشرح اي ببيانه مفصلا **امره** في سحره وما فعله **ولا عتب عليه فضلا**
عن معاقبته وذلك كما رواه النسائي والبيهقي في الدلائل عن زيد بن ارقم قال سحر
النبي رجل من اليهود فاشتكى لذلك اياما فجاءه جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك
عقد لك عقدا في بير كذا فبعث فاستخرجها فجاءه بها فحلها فقام كانما نشط من عقال
فما ذكر ذلك لليهودي حتى مات وكانت له امراة يهودية تسمى زينب تفعل ذلك قال
التلمساني وهو من افعال النساء في الاكثر ولذا قال ومن شر النفاثات في العقد دون النفاثين
تغليبا وقال الواقدي لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة
سنة ست جاء اليهود الى لبيد بن الاعصم وقالوا له انت اسحرنا وقد سحرنا محمدا فاصنع
له سحرا ونجعل لك جعلا فصنع ما سياتي فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين يوما
وقيل ستة اشهر يخيل اليه انه فعل الشيء وما فعل فبينما هو ذات يوم قال لعايشة ان الله
افتاني فيما استفتيته اتاني رجلان فقعد احدهما عند راسي والاخر عند رجلي فقال
احدهما ما وجع الرجل قال مطبوب اي مسحور قال من طبه قال لبيد بن اعصم قال في
اي شيء قال في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر في بير ذروان او ذي ذروان فاتاها ها
رسول الله مع بعض الصحابة وماؤها كنقاعة الحناء ونخلها كانه رؤوس الشياطين وقيل انه
ارسل عليا والزبير وعمارا فنزحوا ماءها واستخرجوا السحر من تحت صخرة وتحتها مشاطة
من راسه واسنان مشطه ووتر عقد فيه احدى عشرة عقدة قيل وتمثال له من شمع مغروز
فيه ابر فنزل عليه المعوذتان فكان كلما قرا اية انحلت عقدة واخرجت ابرة حتى زال
المه والرجلان اللذان راهما في منامه جبريل وميكائيل وما كان يخيل له من انه فعل
ولم يفعل من امور الدنيا وجماع زوجاته لا مما يتعلق بالنبوة والوحي فانه معصوم فيه • واعلم
انهم اختلفوا في السحر هل هو امر حقيقي او محض تخييل لا اصل له والصحيح انه حقيقي
بفعل الله بواسطة فان كان بمجرد توجه النفس فهو سحر وان كان باستعانة بخواص سفلية
فعلم الخواص وان كان ببعض الكواكب ودعوتها بدعوة الكواكب وان كان باستخراج القوى
السفلية والعلوية بالطلسمات فان اعتقد تاثيرها بالذات فكفر والا فحرام وفاعله
لاضرار الناس يقتل شرعا على تفصيل فيه ذكره الفقهاء ليس هذا محله **وكذلك لم يؤاخذ**
عبد الله بن ابي هو عبد الله بن ابي بن سلول بن مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم
بن غنم بن عوف بن الخزرج كان قبل هجرة النبي للمدينة راس الانصار مرشحا ان يكون
حاكما عليهم فلما هاجر النبي اسلم فكان كما حادهم وفيه حمية الجاهلية وغلبه حب الرياسة
فكان بسبب ذلك راس المنافقين يصدر عنهم امور يكرهها الله ورسوله وكان يبلغ النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك فيغض عنه لانه يداري المؤلفة قلوبهم بامر من الله لئلا يتحدث

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الناس بانه يقتل اصحابه وكان ابنه من كبار الصحابة وخلص المؤمنين فكان يكرمه
لاجله وسلول علم لام ابي ممنوع من الصرف فابي منون وابن بعده يرسم بالالف لانه لم يقع
بين علم ابن وعلم اب على الاصح وهو راس المنافقين هلك في السنة التاسعة بعد مقدمه عليه
الصلاة والسلام من تبوك مرض في شوال عشرين ليلة وهلك في ذي القعدة فصلى عليه
النبي صلى الله عليه وسلم وكفنه في قميصه قبل نزول النهي عن الصلاة على المنافقين كرامة
لابنه **واشباهه** جمع شبه بمعنى شبيه اي لم يؤاخذه ولم يؤاخذ من يشبهه **من المنافقين**
بعظيم ما نقل بالبنا للمجهول **في حقه** اي في حق النبي صلى الله عليه وسلم او في حق المؤمنين
قولا وفعلا كقوله ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل نبي الله قال ابن
عباس رضي الله عنه كان المنافقون من الرجال ثلثمائة ومن النسا مائة وسبعين كما فصله البرهان
الحلبي في شرح سيرة ابن سيد الناس وشرحه للبخاري في تفسير سورة المنافقين **بل قال**
لمن اشار بقتل بعضهم وهو عمر رضي الله عنه لما هزم بنو المصطلق فبلغه قول ابن ابي
وقد لطم حليفا له وكان من فقراء المهاجرين وساعده لاخير لعمر ما صحبنا محمد الا لنلطم والله ما
مثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا ليخرجن الاية ثم قال لقومه
والله لئن امسكتم عن جعال وذويه فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا
من حول محمد فقال له زيد بن ارقم انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز
من الرحمن وقوة من المسلمين ثم اخبره به فقال عمر يا رسول الله دعني اضرب عنقه فقال له رسول
الله لا اذن لك في ذلك **يتحدث الناس** من قبائل العرب **ان محمدا يقتل اصحابه** علة لتركه
رعاية للظاهر من اسلامه وصحبته وفي اكثر النسخ يتحدث بدون ذكر الناس مبني للمفعول
ولا ليت لنفي التحدث اذ هو مستانف معلل لما قبله وهذا الحديث رواه الشيخان عن جابر
وروى الطبراني ان ابنه لما بلغه مقالة ابيه قال لرسول الله دعني اقتله وآتيك براسه
فقال لا تقتل اباك وفي الكشاف فان قلت كيف جاز له تكرمة المنافق وتكفينه
في قميصه قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع له لان عمه العباس لما اسر ببدر لم يجد
له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه ابن سلول قميصه وكان نجاريا على عادة العرب في المكافاة
وروي ان ابنه قال لرسول الله لما مات ابوه اسالك ان تكفنه ببعض قمصانك وان تقوم على
قبره ولا تشمت به الاعداء • فعمل ذلك فقيل له لم فعلت ذلك وهو كافر فقال ان قميصي لن يغني
عنه من الله شيئا واني لارجو ان يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب فقيل انه اسلم الف
من الخزرج بسبب ذلك **وعن انس كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم** قال السيوطي
هذا الحديث رواه الشيخان الى قوله من مال الله الذي عندك قال فضحك وامر له بعطا
واخرجه بلفظ المصنف البيهقي في الادب من حديث ابي هريرة ولفظ مسلم كنت امشي مع النبي
صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجبذه جبذة
شديدة الخ **وعليه برد غليظ الحاشية** البرد والبردة كساء كانت العرب تلتحف به
والحاشية جانب الثوب وفي رواية الاوزاعي غليظ الصنيفة بفتح الصاد المهملة وكسر
النون والفا وهي طرف الثوب ايضا **فجبذه اعرابي** جبذ لغة في جذب او مقلوب منه وهما
بمعنى **بردائه جبذة شديدة** وهذا يقتضي انه كان عليه رداء فوقه وان الجذب وقع بهما
حتى اثرت بتشديد المثلثة مبني للفاعل اي اظهرت اثرا او علامة **حاشية البرد في**

صفحة

صفحة عاتقه الصفحة الجانب او العرض والعاتق ما بين العنق والكتف او موضع
الرداء من المنكب وهو يونث ويذكر وفي رواية ان البرد انشق **ثم قال الاعرابي يا محمد** قيل
مناقضته بهذا يقتضي انه لم يكن مسلما والسياق يقتضي خلافه وليس فيه ما ينافيه غير
ندائه باسمه فلعله كان قبل تحريمه والنهي عنه بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم الخ او الاعرا بي
قريب عهد باسلام في طبعه غلظة وجفا فهو معذور وطلبه عطاء الرسول واخذه من
الزكاة يدل على انه من المسلمين المؤلفة قلوبهم وفي كتاب الامتاع من خواصه صلى الله عليه
وسلم انه لا يجوز لاحد ان يناديه باسمه فيقول يا احمد يا محمد ولكن يقول يا نبي الله يا رسول
الله قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول الخ وقال تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض
اي لا تدعوه باسمه فان قيل ثبت عن انس ان رجلا من اهل البادية جاء فقال يا محمد الخ اجيب
بانه يحتمل ان ذلك صدر منه قبل اسلامه او في حال اسلامه قبل النهي او قبل بلوغه فلو ناداه
بالكنية هل يحرم ام لا فيه نظر انتهى • اقول الظاهر ان هذا في حياته مواجهة اما في غير
ذلك فلا يحرم الا ذكره بما لا يشعر بتعظيم فلا يرد انه وقع كثيرا في المدائح النبوية وغيرها
كقول حسان •

هجوت محمدا واجبت عنه • وعند الله في ذاك الجزاء •
فان ابي ووالده وعرضي • لعرض محمد منكم وقاء •

فلا حاجة الى ان يقال انه مخصوص بغير الشعر لانه قد يقتضيه الوزن وما قيل هنا ايضا
ان الرسول ورسول بدون اضافة لله كاسمه حتى اعترض على ابن مالك في قوله •

مصليا على الرسول المصطفى •

ولا وجه له **احملني** قال التلمساني
همزته همزة قطع رباعي اي اعني على الحمل ويجوز احمل لي اي اعطني ما احمل والاول اولى
لوجود المحمول انتهى وتبعه بعض المحشين فيجوز فيه الوصل ايضا الا ان فيما رجحه الاول
نظرا **على بعيري بالمعجمة مضافا الى ياء المتكلم هذين من مال الله الذي عندك**
فانك لا تحملني بضم التاء وفتحها على ما مر وروي لا تحملني اي لا تعطيني **من مالك ولا**
من مال ابيك وقيل انه اسند الحمل اليه لانه سبب امر به فهو مجاز عقلي فعلى هذا همزته
همزة وصل ايضا ثم رد على من قال ان همزته مقطوعة بانه ظن انه من احمل احمالا اي جعل
البعير حاملا فلم يستعمل اسناده له وهو مجاز مشهور وليس بشي لان ما ذكره معنى آخر
حقيقي صرح به الجوهري وكان الرواية عليه **ثم سكت رسول الله ثم قال المال مال الله**
وانا عبده المتصرف باذنه واعطي من يامرني باعطائه فرد عليه بالطف وجه **ثم قال**
ويقاد منك بالبنا للمجهول وتقدير همزة الاستفهام اي او يقاد منك من القود وهو
القصاص وهو هنا مجاز عن مطلق المجازاة اي اتجازى على ترك ادبك ولم يقل او اقتد
نفسي منك كراهة ان لا يذكر ما يشعر بانتصاره لنفسه **ولو مستفهما** وقيل انما بناه
للمجهول للتعميم فيمن يشتري القود اهو الله ام غيره من المسلمين وقوله **يا اعرابي** اشارة لانه
معذور لما فيه من غلظة الاعرابية وهم اهل البادية **ما فعلت بي** من جذب بردي بان يفعل
به مثله او يعذر بما يليق به وسياتي تحقيقه في القصاص باللطمة **قال لا قال لم لا يقاد**
منك قال لانك لا تكافي بهمزة من المكافاة وهي المجازاة او بالياء اصلية او مبدلة
منها **بالسيئة السيئة** فيه مشاكلة لان الجزاء ليس بسيئة او استعارة لانها مثلها
بحسب الصورة **فضحك النبي عليه السلام** سرورا بما رآه من حسن ظنه به وانه لم يفعل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ذلك بقصد التشفي منه وتطيبا لقلبه إذ أبرى المسرة بمقالته ثم أمر أن يحمل له
على بعير شعيرا وعلى الآخر تمرا وفيه من حلمه صلى الله عليه وسلم وتحمله الأذى وعدم
الفضيحة ما لا يخفى وهو إرشاد لأمته لا سيما من يتولى أمور المسلمين ثم أتى بما يدل على ما في هذا
الحديث من خلقه العظيم فقال قالت عائشة في حديث أخرجه الشيخان وأحمد والترمذي
في الشمائل مع مخالفة يسيرة في لفظه ما رأيت رسول الله أي بصرية أو علمية منتصرا
أي منتقما وناصرا لنفسه على غيره من مظلمة أي من ظلم وهو بفتح الميم وكسر اللام وفتحها واقتصر
في التقريب على الأول ظلمها مبني للمفعول وهو مؤكد أو رفع كون الظلم الغير قط لاستغراق
ما مضى ما لم يكن حرم من محارم الله أي ما لم تكن المظلمة بارتكاب أمر حرمه الله وليس بضرب
حق له ولا يرد عليه أن قتل ابن خطل والقينتان اللتان كانتا تغنيان بهجو رسول الله فإنه
حق لله فإن ابن خطل ارتد وهجو رسول الله وسبه كفر كما ذكرته بخلاف الأعرابي فإنه مسلم
حمله على ما فعله غلظة طبعه وظهر من جوابه أنه لم يقصد بذلك الإهانة مع ما فيه من حكم
خصه كاستعطاف قلوب أهل البادية ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وما
ضرب بيده شيئا قط من دابة وإنسان وغيرهما إلا أن يجاهد في سبيل الله كما في ضربه
ابن خلف بأحد وما ضرب خادما له ولا امرأة من نسائه وفيه دليل على جواز تأديب
الرجل امرأته وضربها ولولا ذلك لم يمدح به وجيء إليه برجل هذا الحديث أخرجه أحمد
والطبراني بسند صحيح ولم يسميا الرجل فقيل له هذا أراد أن يقتلك فقال له صلى الله
عليه وسلم لن تراع أي لا تخف مني وكرره ليطمئن قلبه والروع الخوف والفزع
ولن هنا بمعنى لا أي لا خوف عليك لا مني ولا من غيري ولو أردت هذا لم تسلط علي
لأن الله عصمني فلن يصل إلي ما أردته أنت ولا غيرك فإن قلت قوله لو أردت يقتضي
أنه لم يرده مع أنه أراد ذلك لقولهم أراد قتلك قلت المراد بالإرادة مسببها وهي مباشرة
ما هم به أي لو باشرت ذلك لم تصل لذلك وجاءه زيد بن سعنة بفتح السين المهملة وسكون
العين المهملة وفتح النون وقيل إنها مضمومة وهو غريب وهو حبر من أحبار اليهود كما في الإكمال
وفي التهذيب هو صحابي من أحبار اليهود الذين أسلموا وهو من أكثرهم مالا وعلما حسن
إسلامه وشهد المشاهد وتوفي مرجعه من تبوك ويقال إنه سعية بالياء التحتية حكاه
ابن عبد البر وقال النووي أشهر فيه وعليه اقتصر الجمهور وقال الدماميني إنه أصح وأما أسيد
بن سعية بالتحتية فهو أصح وأسيد بفتح الهمزة أو مصغر وهو حديث طويل رواه البيهقي
مفصلا عن ابن سلام ووصله ابن حبان والطبراني وأبو نعيم عن عبد الله بن سلام وسنده صحيح
كما قاله السيوطي قبل إسلامه يتقاضاه دينا عليه أي يطلب منه دينا كان له عليه والتقاضي
بمعنى المطالبة من كلام العرب قال الحماسي

لحى الله دهرا شره قبل خيره * تقاضى فلم يحسن إلينا التقاضيا

قال الشراح أي طالبنا ومثله كثير في كلامهم وكلام أهل اللغة فقول شيخنا المقدسي في الرمز
التقاضي معناه لغة القبض لأنه تفاعل من قضى يقال تقاضيت ديني واقتضيته بمعنى أخذته
وفي العرف الطلب انتهى لا وجه له والذي غره قصور كلام القاموس فظنه غير لغوي بل معنى
عرفي وهو غريب منه قال كنت أريد أن أعلم حال النبي ليطابق ما في التوراة من حليته فخرج
يوما ومعه علي فجاءه رجل كالبدوي فقال يا رسول الله إن قرية بني فلان أسلموا وأعلمهم أنهم

إن أسلموا أتاهم أرزاقهم رغدا وقد أصابهم سنة وشدة وإني مشفق عليهم أن
يخرجوا من الإسلام فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء يعينهم فقال زيد بن سعنة أنا أبتاع
منك بكذا وكذا وسقا فأعطيته ثمانين دينارا فدفعها إلى الرجل وقال اعجل عليهم بها
وأغثهم فلما كان قبل المحل بيوم أو يومين أو ثلاث خرج رسول الله إلى جنازة في نفر
من أصحابه فلقيته وتقاضاه فجبذ ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع ثيابه ضمنه معنى
أزاله فعداه بعن ومنكب بكسر الكاف بمجمع الكتف والعضد والمجامع جمع مجمع وهو
أطرافه وحواشيه وقيل هو التلبيب أي أخذ بطوقه وما تحت لبته وغيره وهذا هو
الصحيح المعروف لما قيل أنه ما بين الكتفين فإن الثياب كلها كالرداء والقميص يجمع هذا
وأغلظ له أي قال له كلاما غليظا فاحشا مع تعبس وتجهم وجه ثم قال إنكم
يا بني عبد المطلب مطل بضم الميم والطاء جمع ماطل والمطل التطويل في تأخير الحق
أو خلف الوعد فيه مرارا من مطل الحديد إذا مده وفي القاموس المطل التسويف
بالعدة والدين فانتهره عمر بالراء المهملة افتعال من النهر وهو الزجر ونهره وانتهره
بمعنى وقال ابن فورك الانتهار الإغلاظ في القول مع صياح وقيل النهي عن الشيء
بغلاظة وشدد له في القول قال له أي عدو الله أتقول هذا لرسول الله وتصنع ما
أرى وتقول ما أسمع فوالذي بعثه بالحق لولا ما أخاف فوته لسبقني رأسك والنبي
صلى الله عليه وسلم يبتسم من مقالتهما لشدة حلمه ولعلمه كشفا بمراد ابن سعنة وأنه
عمر لو كشف له الغطاء لم يصعب عليه ذلك فقال رسول الله أنا وهو أي ابن سعنة
صاحب الحق كنا إلى غير هذا المقال الذي قلته منك أحوج يا عمر أي أكثر حاجة
وهو أفعل تفضيل من حاج بمعنى احتاج وليس من احتاج على حذف الزوائد شذوذا كما
توهم فإن ثلاثيه مسموع والمفضل عليه محذوف وهو خبر أنا وما عطف عليه ثم بين
الغير الذي هما أحوج إليه من هذا التشديد بقوله تأمرني بحسن القضاء أي وفاء
ما له علي وتأمره بحسن التقاضي والطلب بلطف ثم قال صلى الله عليه وسلم دفعا
لما عسى يتوهم أنه وقع مطل أو تأخر منه لقد بقي من أجله أي من تأجيله دينه ثلاث
أي ثلاثة أيام فلذا لم يحسن تقاضيه بخلاف قضائه النبي فإنه وقع على أحسن وجه فإنه
فعل وعد وزيادة وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده على حقه عشرين صاعا من تمر لما
روعه مما قصد ريبة أي لأجل ترويع عمر له إذ هم بقتله وقال له ما مر فكان فعل النبي
صلى الله عليه وسلم سبب إسلامه لأنه كان عالما بالتوراة ورأى فيها ذكره وعلاماته
فحقق تلك العلامات كلها غير علامتين لشدة حلمه فلما رآها تيقن أمره وزالت شبهته
فحسن إسلامه وأراد الله سعادته وذلك أنه كان يقول لمن عنده من اليهود ما بقي
من علامات النبوة أي علامات نبوة محمد المذكورة في التوراة التي قرأها وعرفها شيء
إلا وقد عرفته أي شاهدته فيه وفي نسخة إلا وقد عرفتها باعتبار أن الشيء بمعنى
العلامة إلا علامتين اثنتين لم أخبرهما أي لم أعرفهما وهو بضم الباء يقال خبرته أخبره
خبرا إذا اختبرته فصدق الخبر الخبر ثم فسر الثنتين اللتين لم يعرفهما بقوله يسبق
حلمه جهله تقدم أن الجهل في كلام العرب قد يأتي بمعنى المبادرة للغضب ومقتضاه بالإيقاع
بمن يغضبه وهو مقابل الحلم لا العلم كقوله هـ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ألا لا يجهلن احد علينا • فنجهل فوق جهل الجاهلينا •

لان النبي كان يغضب احيانا لله وينتقم فلا يتوهم من لا يعرف كلام العرب هنا ما لا يليق
بصفاته صلى الله عليه وسلم فالمراد ان حلمه يغلب حدته كما في قوله سبقت رحمتي غضبي
اذ السبق على ظاهره فمن قال النبي يغلب حلمه على جهله لو كان له جهل كقولهم تبارك الله احسن
الخالقين وليس المراد ان له جهلا وتسبقه حلمه لانه لقبحه لا يصلح الا ان تعد من علامات
النبوة وحينئذ فليس من قبيل سبقت رحمتي والجهل هنا وفيما بعده مصدر جهل عليه لانه اشهر
لم يصب مع ما في كلامه من التناقض **ولا تزيده شدة الجهل الا حلما** هذه العلامة الثانية
اي جهل غيره بمعنى اذيته وسفاهته كلما ازدادت واشتدت عليه زاد حلمه وصبره ما لم
يتجاوز حد ود الله ويتوخى حرماته فانه حينئذ يغضب لله لا لنفسه وهذا من صفاته الخارقة
للعادة كما عرفته في هذه القصة مع زيد ولذا قال زيد لعمر رضي الله عنه لما اقتضاه
وزاده اشهد ان لا اله الا الله وانه رسول الله وما حملني على ما رأيتني صنعت يا عمر الا اني
كنت رأيت صفاته التي في التوراة كلها الا الحلم فاختبرت حلمه اليوم فوجدته على ما وصف
في التوراة واني اشهدك ان هذا التمر وشطر مالي في فقراء المسلمين واسلم اهل بيته كلهم
الا شيخا غلبت عليه الشقوة والى هذا اشار المصنف بقوله **فاختبره بهذا فوجده كما وصف
والحديث** اي الاخبار المستفيضة بين الناس ليس المراد المصطلح ولذا عداه بمن فقال
عن حلمه وصبره وعفوه عند المقدرة قيده به لانه هو المحمود **كما هو اكثر من ان ياتي
عليه** يقال اتى على الكتاب قراءة والمال انفاقا اذا استوعبه كله وهذا التركيب كقولهم
اكثر من ان تحصى والكلام عليه مشهور فالمعنى انه لا يمكن استيعابه واستقصاؤه **وحسبك
ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة** اي يكفيك ما تقدم مما ثبت بنقل
الثقات فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فيكفي هذا منضما **الى ما بلغ لك وعندك**
متواتر تواترا معنويا من مجموعها **مبلغ اليقين** اي وصل بالتواتر مرتبة اليقين الذي
لا يشك فيه احد ولو قال مبلغ الضروري كان اولى والقول بانه ارادة لا يخفى ما فيه
ثم بين ذلك بقوله **من صبره على مقاسات قريش** المقاسات تعاني امور صعبة شاقة
بحيث لا يحتمل مثلها وهذا في اول بعثته كما يعرفه من طالع السير **واذي الجاهلية**
اي تحمله اذى الجاهلية اي اهل الجاهلية وهم الكفار **ومصابرته الشدائد
الصعبة معهم** في الحروب الواقعة بينه وبينهم وهي وان كانت سجالا الا انه
صب العذاب عليهم فالمصابرة مفاعلة من الصبر على شدائد الحروب وهم صناديد كان لهم
صبر على اصطلاء نارها لكنه صلى الله عليه وسلم صابرهم وزاد عليهم على الظفر والانتصار
الى ان اظفره الله عليهم وحكمه فيهم اي جعله قاهرا غالبا وهم في قبضة تصرفه
يحكم فيهم بما يريد من قتل واسر وعفو ان شاء **وهم لا يشكون في استيصال شافتهم**
الاستيصال قطع الشيء من اصله وازالته بالكلية وشافة بشين معجمة مفتوحة وهمزة ساكنة
وفاء تليها هاء تانيث وتبدل الهمزة الفا وهي قرحة تخرج في اصل القدم فتكوى فتذهب
وان قطعت مات صاحبها يضرب مثلا وقد يلحق به والمراد ازالة الشيء من اصله بحيث
لا يبقى له عين ولا اثر ولا اصل ولا فرع وفيه اشارة الى جهلهم وانهم كقرح في البدن تخبثه
مهلك لصاحبه شبه هلاكهم اجمعين بقطع تلك القرحة وفيه بلاغة لا تخفى **وابادة**

حضرائهم

خضرائهم الابادة بالدال المهملة بمعنى الاهلاك وهذا مثل كالذي قبله والخضراء كالسواد
يطلق على الناس والقوم فمعنى ازالة سوادهم وخضرائهم هلاكهم قال في النهاية في الحديث
ابيدت خضراء قريش اي دهماؤهم وسوادهم والمراد الجماعة وذهب بعض اهل اللغة الى ان
صوابه غضراءهم بغين معجمة وهي عضاداتهم وخيرهم وحصنهم او طبيعتهم التي خلقوا عليها
والمراد على كل حال استيصالهم والصواب ما تقدم رواية ودراية والمعنى انه ظفر بهم
في حال تيقنوا هلاكهم باسرهم بحيث لا تبقى منهم باقية **فلما زاد** صلى الله عليه وسلم **على ان عفا
وصفح** اي مع شدة اذاهم ونصره عليهم بحيث صاروا في قبضة تصرفه وقد احاط بهم
الهلاك من كل جانب ما زاد ما كان عليه من حاله الا العفو والصفح لا اشفاء النفس بالانتقام
وفعل ما يستحقون بحيث لو فعل لم يلم والعفو والصفح متقاربان عدم المؤاخذة بالذنب
وقال تلويحا للطفه بهم مستنطقا منهم ما في ضميرهم مفوضا ذلك اليهم تكرما منه **ما
تقولون** ما استفهامية والقول بمعناها بمعنى الظن كما صرح به النحاة فقوله **اني فاعل
بكم** بفتح همزة اني وهي وما معها سادة مسد مفعولين وهذا متعين وحمل القول على اصله
بناء على انه سالهم عما قالوه في انفسهم او فيما بينهم تكلف مخالف للاستعمال الفصيح **قالوا
خيرا** منصوب بمقدر يدل عليه فاعل قبله اي تفعل خيرا او انت فاعل خيرا **اخ كريم** اي
انت اخ كريم وهي جملة مستانفة لبيان انه يفعل الخير **وابن اخ كريم** هذا على عادة العرب
في تسمية الغريب اخا قال ثم والى عاد اخاهم هودا والكريم الجامع للخير والفضائل كما في
الحديث الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف الخ **فقال اقول كما قال اخي يوسف** فيه بلاغة
وطي بديع ابلغ من قول لسدهم

• لصبت من الاعمار ما لو حويته • لهنيت الدنيا بانك خالد •

لما فيه من الايماء الى شفقه عصا القرابة بينهم وحسدهم له وكيدهم عليه وقطع رحمه
مع ما لهم من الشرف القادح فانه الكريم ابن الكريم وان حسدهم وبغيهم كان سببا لعلو مقامه
وتملكه لنواصيهم وذلتهم له معترفين بقصورهم **لا تثريب عليكم** اليوم يغفر الله لكم
وهو ارحم الراحمين التثريب التعيير والتوبيخ اي لا اوبخكم او اعيركم بما فعلتموه ويحتمل
ان المراد لا عتب عليكم لعدم ما لا يليق بكم من الثرب وهو الشحم الذي يغشي الكرش ومعناه
ازالة الثرب كما ان التجليد ازالة الجلد لانه اذا ذهب كان غاية الهزال فضرب مثلا للتقريع
الذي يمزق العرض ويذهب بماء الوجه وفيه جواز الاقتباس من القران ولو مع تغيير
ما في المعنى وقد جوز المصنف على قوله عليكم والظرف متعلق بيغفر وفيه المسارعة بالمغفرة
في وقت يرجى فيه خلافه واليوم بمعنى مطلق الوقت ويجوز ان يوقف على اليوم اي لا اعيركم
اليوم لان المقدرة تذهب الحفيظة اذ ابدل الله من العسر يسرا ومن الحزن سرورا ومن
الفرقة الفة ومن الغربة ملكا وبسطة فلا تثريب في زمان فيه مثل هذا الخبر ويصلح الوقف
قراءة القراء ويغفر جملة دعائية او خبرية مفسرة لهم بذلك **اذهبوا فانتم الطلقاء** بالمعجم طليق وهو
الاسير يطلق ويخلى سبيله قيل وهو مخصوص بمن كان من قريش ومن ثقيف يقال لهم العتقاء
تمييزا بينهم وهذا بعض حديث طويل وهو انه لما نزل بمكة واطمان الناس جاء البيت وطاف به
سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجنه فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فاخذ منه مفتاح
الكعبة ففتحت له فدخلها ثم وقف على بابها وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده

الوقوف صح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وعلا ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده • ثم قال يا معشر قريش اني فاعل الخ فخرجوا كانما نشروا من القبور وقال انس هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح منصوب على الظرفية اي وقت صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله الهبوط النزول من علو لسفل وهو يتعدى ولا يتعدى قال العباس • ثم هبطت البلاد لا بشر • وبابه منصوبة في الماضي مكسورة في المضارع وضمها لغة شاذة وقال ابن عطية ان الضم لغة شاذة كثير في غير المتعدي وقيل عليه انه لا توجد العبرة بين المتعدي وغيره بتمييز بحركة عند المضارع وحدها والتنعيم بفتح التاء اسم موضع عن يمينه جبل يقال له نعيم وعن يساره جبل يقال له ناعم والوادي هو نعمان فقيل فيه التنعيم لذلك وقالت امراة تذكرهم •

اباجبلي نعمان بالله خليا • نسيم الصبا يخلص الي نسيمها •

وهو على اربعة اميال من مكة وهو طرف الحرم من جهة المدينة فاخذوا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله في هذه القصة وهو الذي كف ايديهم عنكم الاية وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم اي اظهركم ونصركم عليهم فهزمتموهم حتى ادخلتموهم بطنها وحديث انس المذكور رواه مسلم والترمذي وابو داود والمراد ببطن مكة الحديبية وضمير الخطاب للنبي ومن معه وكان ذلك وهو في اصل الشجرة فبينما هو كذلك اذ خرج ثلاثون رجلا وقال ابن هشام سبعون او ثمانون واخذوا اسرا والشجرة يسوقون بالصلح فاطلقهم وهم العتقاء وقيل ان رسول الله اخبر ان عكرمة ابن ابي جهل خرج اليه في خمسمائة فارس فقال رسول الله لخالد هذا ابن عمك خرج في خمسمائة فارس فقال انا سيف الله وبذلك سمي يومئذ فقام اليه في خيل فهزمه الى حوائط مكة وقيل انه كان يوم مكة وبه استدل بعض الحنفية على انها فتحت عنوة • ورد بان الاية نزلت قبل الفتح وان الكف يناسب الصلح وهو بصيغة الماضي والاية نزلت بالحديبية قبل ومن العجب على قول ابي السعود ان الاية نزلت لما خرج عكرمة ابن ابي جهل في خمسمائة فارس الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بجند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة يوم الفتح انتهى • وهو كلام متناقض لان الحديبية سنة ست في ذي القعدة وفتح مكة في رمضان سنة ثمان وقصة خالد كانت يوم الفتح • اقول من قال المراد فتح مكة فهو ضعيف فان السورة مدنية نزلت قبل الفتح والحمل على ان الماضي اغنى كف للتحقيق بمعنى المضارع بعيد جدا وايضا ما ذكر ان عكرمة ابن ابي جهل خرج في عسكر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد من الحديبية فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة غلط فان خالد بن الوليد لم يكن اسلم يومئذ بل كان طليعة المشركين كما في البخاري ولا حاجة لتاويل كلامه بانه اراد بالفتح فتح الحديبية لانها سميت في القرآن فتحا مع انه تابع في هذا الغلط لغيره وعمدته على من قاله اولا وليس ما نقله ايضا مطابقا لما قاله في تفسيره وفي فتح مكة خلاف في كتب الفقه وفي الكشاف كف ايديهم قضى بينكم وبينهم بالمكافة والمحاجزة وهي نزعة اعتزالية ولذا تركه القاضي ❊ وقال صلى الله عليه وسلم لابي سفيان صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف وقد سيق اليه جملة حالية اي قال له القول الاتي وسيق مبني للمجهول ساقه اي سوقا والسائق هو العباس عم رسول الله لما سار النبي لفتح مكة ونزل مر الظهران عشاء واوقد واعشر الاف نار وجعل على الحرس عمر واراد دخولها قهرا لقتل الكفار فرق نفس العباس لاهله فخرج على بغلة النبي حتى اتى الاراك فقال لعلي اجد ذا حاجة ياتي مكة فيخبرهم برسول الله ❊

صحـ

٢٢٨

حتى يخرجوا ويستامنوه قبل ان يدخلها عنوة فسمعت صوت ابي سفيان يقول لبديل ما رايت كالليلة نيرانا ولا عسكرا فقلت ابا حنظلة فقال ابو الفضل قلت نعم قال ما لك فداك ابي وامي قلت هذا رسول الله في الناس واصباح قريش قال الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله فاستامنه لك فركب خلفي فكنت كلما مررت بنار قالوا بغلة رسول الله عليها عمه حتى مررت بعمر فلما رآه قال ابو سفيان عدو الله الحمد لله الذي امكن منك بلا عقد ولا عهد وخرج يشتد نحو رسول الله فركضت البغلة ودخلت عليه وعمر معه فقال هذا ابو سفيان دعني اضرب عنقه فقلت اني قد اجرته فلما اكثر عمر في شانه قال مهلا يا عمر اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا اصبح فاتني به فغدوت به صباحا فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم علم انه جاء ليسلم منقادا فعفى عنه ما سبق منه في كفره لان الاسلام يجب ما قبله واوطف في القول اذ خاطبه بقوله ويحك يا ابا سفيان اي التعجب لك من عقلك وذهابك وظهور خفية الاسلام وعبر بفاعل للتلطف كل منهما في تعالى الله واللطف الرفق والبر ويكون بمعنى الدقة والصغر الم يان لك اي الم يان وقت علمك يقال انى يانى اذا حان وقته وجاء زمانه ان تعلم ان لا اله الا الله اي توحد الله وتصدق به فتسلم اسلاما صحيحا فقال ابو سفيان بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك لرحمك اذ خاطبتني بلطف وهديتني الى الحق مع ما واسيته بني ثم اجابه مصدقا فقال لقد ظننت ان لو كان مع الله الها آخر غيره لقد اغنى شيئا بعد فقال له رسول الله ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم اني رسول الله فقال بابي وامي انت اما هذه ففي النفس منها شيء فقال له العباس ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان يضرب عنقك فشهد شهادة الحق واسلم والحديث مذكور بتمامه في السنن واسلام ابي سفيان رضي الله عنه مشهور وفي بعض النسخ بدل ما احلمك ما اجملك من الجمال ويحتمل انه من التجمل وهو صيغ تعجب وكل هذا اجابوه في تاريخ قزوين للامام القزويني روى علي بن احمد بن صالح قال حدثنا ابو العباس العبدي القزويني حدثنا الحسين بن الفضل حدثنا محمد بن غزوان البغدادي حدثنا الاصمعي حدثنا مالك بن مغول عن الشعبي عن ابن عباس قال لطم ابو جهل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت الى ابيها فقال ائتي ابا سفيان فاتته فاخبرته فاخذ بيدها حتى وقف على ابي جهل وقال لها الطميه وقال اللهم لا تنسها اي لابي سفيان وقال ابن عباس ما شككت ان كان اسلامه الا لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم انتهى نقله السيوطي في كتاب تحفة الاديب ومن خطه نقلت لعن ان جلب اليه الاحزاب جلب بالجيم والموحدة بمعنى ساق وجمع واصله من الجلبة وهي اصوات المحاربين والاحزاب جمع حزب وهي الناس المجتمعة من قبائل شتى للحرب ويقال تحزبوا اجتمعوا او تجمعوا وهذه غزوة الخندق التي كانت في سنة خمس واسناد جلب الاحزاب اليه لانه كان قائد جيشهم وصاحب رايتهم والا فسبب التحزيب انما كان جماعة من اليهود دعوا القبائل وحركوا فتن الزلال كما فصل في السير وقتل عمه حمزة سيد الشهداء واصحابه اي اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعود الضمير لعمه وان صح بعيد ومثل بهم بالتشديد اي شوهت خلقتهم بقطع الاطراف وشق البطن واخراج القلب وغيره وهو من المثلة بضم وهي العقوبة الشنيعة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومنه وقد خلت من قبلهم المثلات ويقال مثل بالتخفيف ايضا ونسب قتل حمزة والتمثيل
به وقتل اصحاب النبي له مع ان قاتل حمزة وحشي ابن حرب واسلم بعد ذلك ولم يباشر هو
ابو سفيان الا انه هو الباعث والسبب لذلك القتال والمهيج له ولكون قتل حمزة مشهورا انه
باحد لا يقال ان عبارة المصنف توهم انه بالاحزاب والمراد بالاصحاب من قتل باحد وكانوا اكثر
من سبعين ولذلك نسب التمثيل له مع المثلة زوجته هند لان فعل اهل الرجل كفعله لاسيما
النسا وقد مثل بجماعة غيره ايضا كما اشار اليه المصنف بقوله ممن مثل به انس بن النضر وعبد
الله بن جحش كما فصل في السير **وكان رسول الله عليه السلام ابعد الناس غضبا
واسرعهم رضى** اي غضبه بعيد لا يكون منه الا بعد امور كثيرة بخلاف رضاه فانه يرضى
باقل شي بما لكرمه وحلمه وهذا لانه متخلق باخلاق الله وهو رحمة من الله ورحمته قد سبقت
غضبه وفي الحديث المؤمن بطي الغضب سريع الرضا وهذا في غير حقوق الله وفي غيره يؤدي
الى عدم الحمية والمروة فلا ينافي هذا قوله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم
يرض فهو شيطان ⊙

• فصل واما الجود والكرم والسخا والسماحة •

جواب اما قوله فكان صلى الله عليه وسلم لا يوازي الخ وما بينهما جمل معترضة ومعانيها
متقاربة بعضها قريب من بعض حتى توهم بعضهم انها مترادفة وقد فرق بعضهم بينها بفروق
واهل اللغة يعرفون الفرق في امثاله بمقابلها واضدادها كما قيل وبضدها تتبين الاشيا
ولابن هلال كتاب في الفروق مفيد جدا وفرق بتخفيف الرا وتشديدها بمعنى الا ان بعضهم
قال الاكثر في التفريق استعماله في الاجسام والفرق في المعاني وهذا لا ينكر استعمال
احدهما مكان الاخر فهو كلام قليل الجدوى وجمع فروق باعتبار وقوعه بين كل واحد وغيره
والا فهو في الحقيقة فرق وبدا المصنف بالجود اولا وفي التعريف اخره لانه عنده بمعنى السخا
ولذا قيل كان الاولى تركها وعطفه على السخا وتاخيره فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس
فيما يعظم خطره بضم العين فيهما اي مقداره وخطره بفتحتين وقد يسكن قدره ووقعه
والنفع لمن يعطى له وذلك انما يكون بكثرته وهذا يختلف باختلاف المعطي والاخذ وكان
هذا معنى في عرف اللغة والا فالكرم بمعنى الشرف والمجد وهو لا يختص بالاعطا ولذا
قال **ويسمونه ايضا حرية** بضم الحاء المهملة وكسر الراء المهملة المشددة ويليها يا تشبهي
بالمصدرية وهي اذا الحقت الاسما الجامدة والصفات تصيرها مصدرا ولا بد في اخرها
من ها التانيث ولم يفصل النحاة حاله هذه الا انها شايعة في الاستعمال وما وقع في بعض
النسخ هنا من انه جراة بجيم مضمومة وراء ساكنة تليها همزة وها كما في حواشي ابن رسلان
فهو من تحريف الكتاب وانه لا مناسبة هنا وان كانت الجراة والكرم اخوان لا يفترقان لا
سيما في زمان فيه غاض الكرام وفاض اللئام واما تسمية الكرم حرية فلان الحر خلاف
العبد فالحرية الخلاص من رق الناس فاذا طوقهم منته خلصت له الحرية لان الانسان
عبد الاحسان وهذا من كلام الصوفية فانهم قالوا الحرية صفة يتولد عنها الايثار وهاية
السخا لانه بذل ما له اليه حاجة وهو نهاية السخا واعلا منه قول بعضهم الحرية ان لا يكون
العبد بقلبه تحت رق شي من المخلوقات ولا من اعراض الدنيا والاخرة ويكون فردا للفرد
تسترقه دنياه ولا هواه ولا حظ بتماه من كتاب المنتهى في التصوف **وقال القرطبي الحرية**

المحضة

المحضة الخروج من ملك او سلطان الشهوة والغضب والقهر **وهو ضد النذالة** بفتح
النون والذال المعجمة واللام والخسة والحقارة وهي من لوازم البخل المقابل للكرم كما قيل
وفيه اشارة الى انه ليس مقابلا له حقيقة **والسماحة** والسماح التجافي تفاعل من الجفا
وهو غلظة الطبع وحقيقته التباعد والترفع يقال جفا السرج عن ظهر الدابة اذا تباعد
عنه كما قال عز وجل تتجافى جنوبهم عن المضاجع اي لا يكثرون النوم عما يستحقه الحق عند
غيرهم بطيب نفس **وهو ضد الشكاسة** بشين معجمة وكاف وسين مهملة بينهما الف وهي
كما قاله التلمساني سو الخلق وفي القاموس انها البخل والاول انسب بتفسير السماحة بالجود
كما قاله ابن القوطية **والسخا سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد** من الصنايع
المذمومة كالحجامة واخذ ما لا يحل له **وهو الجود** وفرق بعضهم بينهما قال ابن عصفور
في الممتنع السخا ماخوذ من الارض السخاوية وهي الرخوة ولذا وصف الله بجواد دون سخي
لانه اوسع في معنى العطا وادخل في صفة العلا انتهى فعلى هذا هو اخص منه وقال ابن
مالك في الكفاية السخي هو الجواد فهو موافق لما قاله المصنف وقال سقراط الجواد هو
الذي يعطي بلا مسالة صيانة للاخذ من ذل السوال وقال الشاعر ⊙

• وما الجود من يعطي اذا ما سالته • ولكن من يعطي بغير سوال •

وهو ضد التقتير المعروف في اللغة ان الجود ضد البخل والتقتير التضييق في الانفاق
وهو ضد الاسراف والتبذير وهما بمعنى وفرق بينهما صاحب الكشف في سورة الاسرا يقال
قترت الشي واقترته اي ضيقت الانفاق فيه وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم
يقتروا وكان بين ذلك قواما والبخل والتقتير متلازمان لا مترادفان حتى يكون كل منهما
ضدا للسخاء • واعلم ان كلام المصنف هنا غير موافق للغة ولا للعرف ولا ادري من اين اخذه ولكن
الامر في مثله سهل وهو محتاج للتهذيب وسنكر عليه مرة اخرى **فكان صلى الله عليه وسلم
لا يوازي** بالهمز مبني للمفعول اي لا يساوي ولا يقابل ولا يماثل يقال فلان يوازي فلانا
اي يقاربه ويساويه وقال الكرماني كالجوهري يقال آزيته ولا يقال وازيته والذي
عندنا في النسخ يوازيه بالواو المبدلة من الهمزة وقد اجازه بعضهم بقلب الهمزة واوا اذا انضمت
وانضم ما قبلها نحو جونة وجزم البرهان الحلبي بانه في كلام المصنف بالواو وعمل انه
في كلام المصنف بالهمزة ورسمت واوا على قاعدة الرسم في مثله اي هو صلى الله عليه وسلم
لا يساويه احد **في هذه الاخلاق الكريمة** والاوصاف الحسنة من الجود والسخا والكرم
والسماحة كقوله •

فاق النبيين في خلق وفي خلق • ولم يدانوه في حلم ولا كرم •

ولا يباري بالبنا للمجهول وهو بالموحدة والراء المهملة ومعناه يعارض والمعارضة ان
يفعل مثله وهما عبارتان **بهذا وصفه كل من عرفه** بالمشاهدة او بما اشتهر عنه شهرة
لا يبقى معها ريب ولا شبهة **حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي** هو الحافظ
ابو علي بن سكرة وقد تقدمت ترجمته وهو منسوب لصدف بفتح الصاد والدال وهي
قبيلة بقرب القيروان **حدثنا القاضي ابو الوليد الباجي** تقدمت ترجمته **حدثنا
ابو ذر الهروي** تقدم ايضا **حدثنا ابو الهيثم الكشميهني** قال البرهان الحلبي هو
بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وكسر الميم وسكون المثناة التحتية وفتح الهاء
بعدها نون كما في لباب الانساب لابن الاثير وضبطه بالقلم الحافظ عبد الهادي ⊙

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في طبقاته بفتح الكاف وكذا صحح في نسخ السماع والصواب ما ذكرته والنسبة لقرية من قرى
مرو قديمة خرج منها جماعة وقد خربت انتهى وفي آخره ياء نسبة لم يصرح بها لانه معلوم
من السياق فما في بعض الشروح انه لا ياء في آخره لم يصرح به لانه معلوم وان النسبة فيه
على خلاف القياس مما يقضي منه العجب وابو محمد السرخسي نسبة لسرخس بلدة عظيمة
بخراسان وقد تقدمت ترجمته وابو اسحق البلخي ابراهيم بن احمد بن ابراهيم بن احمد بن
داود المستملي الامام المشهور كما تقدم منسوب لبلخ بلدة عظيمة فيما وراء النهر قالوا اخبرنا
ابو عبد الله الفربري تقدمت ترجمته وان فربر بزنة سعل بلدة بخاري حدثنا البخاري
تقدم وشهرته تغني عن ذكره حدثنا محمد بن كثير بلفظ كثير ضد القليل العبدي البصري
الحافظ روى عنه اصحاب السنن وتوفي في سنة اثنين وعشرين ومائتين وله ترجمة
في الميزان فيها كلام لابن معين وقال الذهبي انما هو ابن كثير المصيصي وفيه تعقب لكلام
المزي لانه قال العبدي حدثنا سفيان هو ابن سعيد الثوري كما تقدم وهذا الحديث
رواه ايضا سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر عن جابر واخرجه مسلم والبخاري والترمذي
في الشمائل وهو حديث صحيح عن ابن المنكدر وهو محمد بن المنكدر بن عبد الله التيمي
المدني الحافظ عن ابيه وعن عائشة وابي هريرة واخرج له اصحاب السنن قال
سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي عليه السلام شيئا فقال لا وهذا
حديث اخرجه الترمذي في الشمائل وغيره وفي معناه قول حسان

ما قال لا قط الا في تشهده • لولا التشهد لم تسمع له لا لا

ومعنى الحديث انه اذا اتاه مستحق يطلب عطاء لا يخيبه ويقول له قط بل لينيله او له
حتى اذا لم يجد شيئا اقترض او قال ابتغي غدا ونحوه وهذا هو الذي عناه حسان وهو
باعتبار الغالب فان النادر كالعدم فهو مبالغة معروفة ما الوقة ولم يرد انه لم يتلفظ
بلا اصلا حتى يرد عليه انها الاحاديث المصدرة بلا نحو لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين لا يحصى
كثرة كما قيل ويجاب عنه بما لا حاجة لذكره قال واما قوله في البردة

نبينا الآمر الناهي فلا احد • ابر في قول لا منه ولا نعم

فهو انما يقتضي صدور لا عنه مطلقا وذا لا ينافي انها لم تكن لتصدر عنه اذا سئل عن شيء
من متاع الدنيا الجواز صدورها منه في غير تلك الحالة اقول قد عرفت مما قدمنا اولا
بعينها في البيت اشكال كان يحوك في الصدر قديما وهو ان الامر والنهي انما لا يجاب
بلا ونعم فالتفريع بالفاء لا يصادف محله هنا ولم يحم حول هذا احد من الشراح مع ظهوره
وقد ظهر لي ولله الحمد وجهه فمعنى نبينا الآمر الخ انه لا حاكم سواه فهو حاكم غير محكوم
عليه فاذا قال في امر لا او نعم وهو لا يقول الا صوابا امرا فما لاحد محيص عنه لا يخالفه
الا منشق فاسق وليس غيره حاكم ينقض ما حكم به ويرد احكامه وهو اصدق القائلين
واصدق الناس فيما يقوله وقال ابن عباس كان النبي عليه السلام اجود الناس بالخير
اي بما فيه نفع الناس واجود ما كان في شهر رمضان رمضان اسم للشهر ويقال رمضان
وشهر رمضان وكون العلم المضاف اوهما كلام لا حاجة لذكره ولا يكره ان يقال رمضان
وما روي من حديث لا تقولوا رمضان فان رمضان اسم من اسماء الله عز وجل ولكن قولوا شهر
رمضان ضعيف لا يعمل به لصحة ما يخالفه كما فصله شراح البخاري وهذا الحديث

رواه

رواه الشيخان وروي اجود ما يكون ووقع في بعض النسخ هنا واجود الثاني يجوز
رفعه مبتدأ او نصبه عطفا على خبر كان وعلى الاول خبره محذوف وجوبا كما قرره النحاة
في نحو اخطب ما يكون قائما والكلام عليه في الذيل ليس هذا محله وما مصدرية وكان تامة
وليقتصر من القلادة على ما احاط بالعنق وانما اراد جوده في رمضان لحاجة الصائمين
ولانه موسم الخيرات الذي يتفضل فيه الله بما لم يتفضل في غيره فاتبع سنة الله في عباده
وتخلق باخلاقه وكان اذا لقيه جبريل اجود لانه يسر بمكانه ولما يزداد له بالتكرير
والكرامة ويحسن كما احسن الله اليه وكان اكثر مجيئه له في رمضان لتنزل فيه القرآن
ويعارضه به يقراه كل منهما على صاحبه بالتجويد ووجوه القراآت بالخير من الريح المرسلة
قال الكرماني الجود اعطاء ما ينبغي لمن ينبغي والخير شامل لجميع انواعه مما يقرب العبد
الى الله وارسال الرياح اطلاقها باذن الله فترسل بالرحمة والمطر قال ثم وهو الذي يرسل
الرياح نشرا بين يدي رحمته وقال والمرسلات اي الرياح المرسلة بالمعروف على احد
التفاسير وهو من التشبيه البليغ على سبيل الترقي فجعله اجود الناس ثم ذكر ان جوده
في رمضان وعند ملاقاة جبريل ازيد منه في غيره والمراد بالمرسلة خلاف العظيم قيل
وفي قوله اجود من الريح جمع بين الحقيقة والمجاز وفيه بحث يعلم من كلام اهل المعاني في
تحقيق وجه الشبه في قولهم كلامه احلى من العسل وتقديم قوله بالخير اهتماما به وللدلالة
على تعديه مثله فيما بعده او اشتراكهما فيه لا لدفع توهم تعلقه بالمرسلة وليس من الاكتفاء
وفي تشبيهه بالريح اشارة الى سرعة مبادرته له والمراد بالريح المرسلة التي ترسل
بالغيث لا مطلقا لانها في القرآن مخصوصة بها فان قلت ذكر الريح وقد قيل انها اذا كانت
مفردة تكون في العذاب والشر واذا جمعت ففي النفع والخير قلت هذا قيل انه مخصوص
بما وقع في القرآن بالاستقراء لا مطلقا فلا ينافيه ما وقع في هذا الحديث وغيره ويؤيده ما
اخرجه ابن ابي حاتم عن ابي بن كعب انه قال كل شيء في القرآن من الرياح فهو رحمة وكل شيء فيه
من الريح فهو عذاب وما ورد في الحديث كما رواه البيهقي عن ابن عباس انه ما هبت ريح
الا جثا النبي صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا
اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا لا يدل على عدم اختصاصه بما وقع اتفاقا في القرآن
لانه قيل انه صلى الله عليه وسلم اراد اللهم اجعلها من جملة رياح القرآن ولا تجعلها من ريحه
اي مما ذكر بهذه العبارة فلا دليل فيما ذكر كما قيل الا ترى الى قوله ارسلنا عليهم الريح العقيم
وريحا صرصرا ونحوه وقوله وارسلنا الرياح لواقح وارسلنا الرياح مبشرات وقد
ترى في بعض آيات الرحمة بالافراد والجمع وورد مفرده في ذلك فكانه اغلبي واما تاويل
ما جاء في الحديث بما جاز فيه الجمع فضعيف وقيل يحتمل انه صلى الله عليه وسلم انما قال ذلك
لان ما هب ان كان ريحا واحدة لم يلقح السحاب وتنزل المطر غالبا وان كان رياحا فهو علاقة
ويحتمل ان يكون معناه لا تهلكنا بريح واحدة لا تهب بعدها ريح اخرى وطول اعمارنا حتى
تهب علينا رياح كثيرة وعن انس كما رواه مسلم في صحيحه ان رجلا هو صفوان
بن امية كما في سيرة ابن سيد الناس وغيرها سأله فاعطاه غنما كثيرة كانت بين جبلين
اي ما لا سده واديا بين جبلين كما يفهم منه ذلك بحسب العرف وان كان يقال ذلك للغنم السارحة
بينهما قليلة او كثيرة ذلك فان كان اسلم قبل سؤاله فهو ظاهر وقوله فرجع الى قومه

وهو

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قريش لانه من اهل مكة وفي نسخة الى جبل وقال اسلموا لا ينافيه وان كان قبل
اسلامه سؤاله فاما انه كان في صدر الاسلام يجوز اعطاء المؤلفة قلوبهم من الكفار من الزكاة
او من بيت المال ثم نسخ وقول الصرصري •

• واتاه اعرابي التمس البري • اعطاه شاء ضمها جبلان •

لعله قصة اخرى فانه من اكابر قريش ويؤيده قوله وان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة
فان قريشا كانوا يعلمون كرم خيمه وجزل عطائه فانه لا يخشى فاقة وما بارئ احد له في الجود
الا فاقه والفاقة الفقر او اشده وهكذا اولياء امته وفي الحديث دعائم امتي عصائب اليمن
وان يعون رجلا بالشام كلما مات رجل منهم ابدل الله مكانه آخر اما انهم لم يبلغوا ذلك بكثرة صلاة
ولا صيام ولكن بسخاء الانفس وسلامة الصدر والنصيحة للمسلمين واعطى غير واحد
مائة من الابل الابل اسم جنس جمعي لا واحد له من لفظه كخيل وغنم والذين اعطاهم مائة ناس كثير
منهم ابو سفيان وابنه معاوية والحارث ابن هشام وقد عدهم البرهان الحلبي وقال انهم يبلغون
ستين من المؤلفة قلوبهم وكذلك الشيخ قاسم في تخريج احاديث هذا الكتاب واعطى صفوان
بن امية مائة ثم مائة ثم مائة وصفوان بن امية بن خلف بن وهب بن خزاعة بن جمح قرشي
له صحبة وكنيته ابو وهب اسلم بعد الفتح وشهد حنينا والطائف وهو مشرك فلما اعطاه رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الفيء قال اشهد بالله ما طابت بهذا الا نفس نبي فاسلم وروى
له اصحاب الكتب الستة وتوفي في خلافة معاوية سنة ثنتين واربعين بمكة وعلى هذا
فاعطاه من المال غنما وابلا فلا منافاة بينه وبين ما سبق وعطاؤه له كان غنائم حنين وهذا
الحديث رواه مسلم وهذه اي الخصلة والسجية في الكرم والعطا كانت حاله صلى الله عليه
وسلم قبل ان يبعث اي نبيا او رسولا وقد قال له ورقة ابن نوفل ورقة بواو وراء مهملة
مفتوحتين وهو ورقة بن نوفل بن اسد ابن عبد العزى كان من اعقل اهل زمانه واعلمهم شاعر
بليغ متأله كان يقرأ القرآن ويكتب الكتب القديمة بالعبرانية والعربية ويتأله ويتعبد وقد
سمى القس وتهود في اول امره ثم تنصر وهو عم خديجة ام المؤمنين وله اشعار كثيرة في التوحيد
والتزهيد لم يكن عقب وورد في الحديث لا تسبوا ورقة فان له جنة او جنتين بعينه وورد من
طريق آخر انه رآه في منامه وعليه حلة بيضاء او خضراء او نحوه كثياب من حرير وحلة من سندس
وكان حيا في بدء الوحي اليه ان تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع بالنبي صلى الله
عليه وسلم وآمن به كما في اول البخاري وقال ليتني ادركت زمانك لانصرنك نصرا مؤزرا
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيا ولم يؤمر بالدعوة ومات ورقة بعد نبوته وقبل رسالته
ولذا قالوا انه اول من آمن بالنبي من الرجال وهو ثان بالنسبة لخديجة وصحابي ولذا عرفوه
بانه من اجتمع بالنبي مؤمنا به ولم يقولوا بالرسول وهذا مما ينبغي التنبيه له • وفي نظم
السيرة للعراقي • فهو الذي آمن بعد ثانيا • وكان من اصاد قاموا اثنا •

• والصاد فالمصدوق قالا • رآه له تخطط في الجنة •

وهذا هو الصحيح من انه صحابي وقيل انه ليس بصحابي لانه لم ير النبي ولم يؤمن به بعد
بعثته وقول المص وقد قال الخ ان كانت الجملة معطوفة على ما قبلها فهو صادق على القولين
وان كانت حالا من الضمير في قوله قبل ان يبعث يكون على القول الثاني وهو مؤمن على كل
حال ولذا رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة والاكثر على انه صحابي انك تحمل

(في الهامش:) انه ورقة بعد النبوة وقبل رسالته

الكل هذا بعض من حديث رواه الشيخان قال السيوطي في تخريجه القائل له هذا انما هو
خديجة في قصة مكالمتها لورقة في شأن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى جبريل وخاف
على نفسه وكذا اعترض عليه الشيخ قاسم في تخريجه فقال لا اعلم هذا من قول ورقة والذي
في صحيح البخاري وغيره انه من قول خديجة رضي الله عنها وما قيل من ان القاضي جليل القدر
لا يخفى عليه مثله ولا يبعد صدوره منه ايضا لا يجدي نفعا مع نقل الصحيح بخلافه
وليس مثله محل بحث والكل جواد كنبوة والكل بفتح الكاف وتشديد اللام مصدر
بمعنى الكلال وهو الاعيا وفسر بالثقل فقيل انه لازم معناه وهو المناسب للحمل لانه لا
يقال حمل الاعيا والذي في البخاري من قولها ايضا حين قال لها لما رأى جبريل لقد
خشيت على نفسي فقالت كلا والله ما يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب
المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق والحديث في اول البخاري والكلام عليه
مفصل في شرحه وحامل الكل هو كما تقول العرب حمال اثقال في المدح اي تحمل ثقل غيرك من
الضعفاء والعيال واعانة الخلق بالانفاق عليهم واطعامهم واعطائهم كل ما يحتاجون
اليه وكفالة الايتام وغيره من وجوه البر وهو استعارة شائع في هذا المعنى وتكسب
قال ابن فرقول بفتح التاء وكسر السين المهملة في اكثر الروايات واصحها اي تكسب لنفسك
بتحصيل ما يهمك وقيل تكسب غيرك اي تعطيه لان كسب جاء لازما ومتعديا وانكر الفراء
وغيره اكسبه في المتعدي وصوبه ابن الاعرابي وانشد • اكسبني مالا واكسبته حمدا
فيتعدى بالهمز لمفعولين وكسب يتعدى لمفعول وقيل يتعدى لمفعولين ولمفعول وقيل
يتعدى لمفعولين ككسب والمعدوم الشيء الذي لا وجود له واما الفقير فيقال له معدوم
كمكرم قال الشاعر

• قالت بنات العم يا سلمى وان • كان فقيرا معدما قالت وان •

قيل ويطلق عليه معدوم ايضا لانه كالمفقود لفقره فاحد المفعولين محذوف وان بني
للمفعول • ومذكور ان بني للمجهول والمراد على الوجهين انك تعطي الناس الفقراء ما لا
يجدونه عند غيرك لما فيك من مكارم الاخلاق وقول الخطابي صوابه المعدم من يريد
انك تعطي السائل الفقير الذي لا يجد شيئا خطأ لان هذه الرواية صحيحة مشهورة عند
رواة الحديث وفيما خشيه على نفسه وجوده واصحها انه خشي الهلاك فارادت خديجة
لا تخف فانك لا يصيبك مكروه لما فيك من جميل الصفات ثم ذكر قصة هوازن وهي
صحيحة رواها البخاري وغيره فقال ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة
الاف نفس من النساء والذرية غير الاموال التي من غنائمهم لما غزاهم وكانت اربعة وعشرين
الفا من الابل واكثر من اربعين الف شاة من الغنم واربعة الاف اوقية من الفضة والاوقية
اربعون درهما وعن ابن فلان حسن انه قومها وهبة لهوازن فكان خمسمائة
الف الف وقيل الف الف وهوازن اسم قبيلة منسوبة لهوازن بن اسلم وكان يسكن حنينا
وهو موضع سمي بحنين بن نابة بن مهلائيل وغزوته لهم تسمى غزوة حنين وغزوة هوازن
وكانت في شوال او رمضان وامرها معروف مفصل في السير ولما غزاهم وحاز غنائمهم
قدم وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم اربعة عشر رجلا رئيسهم زهير بن صرد
وفيهم ابو برقان عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع فسألوه ان يمن عليهم بما اخذ منهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لما بينهم وبينه من مناسبة الرضاعة فقال ابناؤكم ونساؤكم احب اليكم ام اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيا فقال اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم وسا للناس سال منهم فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله وقال جماعة من المولفين اما ما كان لنا فلا فاخذ منهم قرضا على ان يعوضهم عنه من اول ما يجي فسلموهم جميعا وكان صلى الله عليه وسلم كساهم وانما فعل ذلك لانه كان بعد القسم وليس للامام ان يمن بعده والسبايا جمع سبية بمعنى مسبية قال التلمساني ولا يكون السبي الا في النسا **واعطى العباس** ابن عبد المطلب عم رسول الله كما رواه البخاري عن انس تعليقا **من الذهب ما لم يطق حمله** وقد اتي بمال من البحرين وكان اكثر مال اتي فنثر في المسجد فاتاه العباس وقال اعطني فاني فاديت نفسي وعقيلا فقال خذ فحثى في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال من يرفعه فقال لا فقال فارفعه انت علي فقال لا فنثر منه ثم ذهب ليقله فلم يقدر فقال له كالاول فنثر منه ثم احتمله على كاهله وانطلق فاتبعه بصره تعجبا منه ولم يقم حتى فرقه ولم يبق منه درهم وانما اعطاه لانه خرج لبدر مكرها وكان يخفي اسلامه ثم فدى نفسه وعقيلا كما فصلوه **وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سايلا حتى فرغ منها** رواه ابو الحسين ابن الضحاك في شمايله من سلا الا انه قال ثمانون الفا واخرجه ابن الجوزي في الوفا وقال سبعون الفا كما قال الشيخ قاسم في تخريج احاديث الشفا والسيوطي في تخريجه بلفظ سبعين بتقديم السين على الموحدة ويوافقه قول الصرصري في حل يجرهم

سبعون الفا فضها من مجلس • لم يبق منها عنده فلسان •

قوله حتى الخ غاية لقوله قسمها وقيل لرده سايلا وليس المراد انه يرد بعد الفراغ فهو على حد قوله ان الله لا يمل حتى تملوا **وجاءه رجل فساله** عطا شي يحسن به له **فقال ما عندي شي** ولم يقصد منعه بزوال حتى يبادي ما مر من انه ما قال لسايل قط لا لان المراد انه لم يمنعه ما سال من متاع الدنيا وانما مراده اخباره بعذره في عدم التعجيل له بدليل قوله **ولكن ابتع علي** بموحدة ساكنة بعد همزة الوصل ومثناة فوقية مفتوحة وعين مهملة افتعال من البيع بمعنى الشرا فانه يطلق عليهما وفي القاموس ابتاعه اشتراه اي اشتر بثمن يكون ذلك الثمن علي وفي دمتي كذا ثبت في الحديث وفي شرح الدلجي بتقديم المثناة على الموحدة اي اشتر واستلف ما تختار انتهى وليس هذا ضمان بل وعد منه الا ان وعده كان ملتزم الوفا لان وعد الكريم دين ولذا صح انه لما توفي نادى ابو بكر من كان له عند رسول الله عدة او دين فليأتنا فجاءه جابر وقال ان رسول الله كان وعدني كذا فاعطاه له **فاذا جانا شي** مما من الله به من الغنايم او غيرها وفي قوله جانا يعني مما يسر المسلمين اشارة الى انه ما مال لعباده لا لي وحدي **قضيناه** ويحتمل ان الضمير هنا وفيما قبله للتعظيم اي قضيته قضا انا اهل التعظيم منه تعالى واختاره بعضهم ولذا لم يقل جاني وقضيته مع قوله علي فتامل والقضا يشعر بانه لزم ذمته كالدين **فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره عليه السلام ذلك** اي بان في وجهه اثر عدم رضاه به لان فيه كسر خاطر السايل ولان مثله لا يعوق تكليفا لما اقدره الله عوده مما الله من فيض نعمه عليه فقال رجل من الانصار كان حاضرا لما راى من رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال البرهان هذا الرجل لا اعرفه وفي حفظي ان القايل بلال لكنه مهاجري لا انصاري فيكون قد قال ذلك بلال والانصاري فان الذي فيه ذكر بلال قصة اخرى الماموره فيها بالانفاق بلال وهو ما رواه الطبراني والبزار مسندا عن ابن مسعود قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بلال وعنده صبرة من تمر ودوي انه قال له يوما اطعمنا يا بلال فقال ما عندي الا صبرة خباتها لك ولضيفانك فقال اما تخشى ان يقذف بها في نار جهنم **انفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا** ومن العجب ايراده هنا ولا مناسبة لما نحن فيه ووقع في بعض كتب الحديث انفق بلال لا ووجه توجيهه منها ان اصله بلالي بالاضافة لياء المتكلم وحذف حرف الندا وابدال اليا الفا كيا غلاما وقيل بلالا هنا ليس علما بل فعال من البلال اي انفاقا وطيبا تبلي به قلبي الكلمة ولو قيل انه رد لاصله من النصب واطلق لمشاكلة اقلالا لم يبعد وقد اخرجه العسكري في الامثال مرفوعا ومعنى اقلالا ان يقل الله الرزق ويجعله قليلا لان لكل منفق خلفا وقوله لا تخش الخ نصف بيت وقع اتفاقا وقيل بلالا كلمتان اي بغير لا ويا باه رواية يا بلال بحرف الندا والذي رواه المصنف ولا تخف دون لا تخش **فتبسم صلى الله عليه وسلم** وعرف البشر في وجهه بانبساطه وتهلل اسارير **وقال بهذا امرت** اي بالانفاق من غير مخافة فقر والتبسم انفتاح الفم من غير قهقهة وهو مبادي الضحك وقول بعض الشراح الصواب لا تخش لبصيرة يرد وبا غير صواب من وجهين وقد استشكل هذا بان الله امره بقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط قال صاحب الكشاف اي مملولا لان الاسراف غير محمود وكان صلى الله عليه وسلم ينفق جميع ما عنده ويجوع حتى يربط الحجر على بطنه فاجاب القاضي ابو يعلى بان المراد بهذا الخطاب غيره صلى الله عليه وسلم وغير خلص المومنين الذين كانوا ينفقون جميع ما عندهم عن طيب قلب لتوكلهم وتيقنهم بما عند الله اما من كان ليس كذلك يتحسر على ما ذهب منه فمنهم المحمود منهم المتوسط وهم الذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا الا انهم لا صبر لهم على الفاقة ولذا صعب عليه كلام عمر لما راى عظاهر الحال وامره بصيانة المال شفقة على النبي صلى الله عليه وسلم لعلمه بكثرة السايلين له وتهافتهم عليه ولكل مقام مقال والانصاري راعى حاله صلى الله عليه وسلم فلذا سره كلامه وقوله بهذا امرت اشارة الى انه امر خاص به وبمن مشى على قدمه **ذكره الترمذي** اشارة الى من روى هذا الحديث **وذكر عن معوذ بن عفرا** ذكر بالبنا للمجهول قال السيوطي ذكر هذا الحديث الترمذي في الشمايل والطبراني عن الربيع بنت معوذ وسنده حسن يعني ان المذكور انما هو الربيع بنت معوذ بضم الرا المهملة والمصغر مشدد اليا التحتية اسم امراة منقول من مصغر الربيع وكذا قال البرهان وقال لعله سقط من النسخ لفظ الربيع او وقف عليه القاضي عن معوذ الا ان معوذا لا اعلم له رواية ووقع في نسخة على الصواب ومعوذ بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الواو المشددة • وحكى ابن قرقول فتحها وغيره لا يعرفه وكذا ضبطناه عن الصدفي ثم ذال معجمة وقال التلمساني قيل ان الدال مهملة مع الفتح والكسر والاولى اولى وعفرا بعين مهملة مفتوحة وفا ساكنة ورا مهملة وهمزة ممدودة اسم امه وهي عفرا بنت عبيد بن ثعلبة وشهر بذلك واسم ابيه الحارث بن رفاعة ابن الحارث

فمنهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابن سواد ومعوذ استشهد ببدر قتله ابو مسافع وقيل انه هو الذي قتل ابا جهل وفيه
كلام في النسب **قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع** بقاف مكسورة ومضمومة
فنون والف فعين مهملة ويقال قنع بفتح القاف وقيل قناع جمع قنع وظاهر قوله **من رطب**
يريد طبقا على انه مفرد وكذا قوله في حديث آخر يهدي لنا القناع فيه كعك حيث افرده
واجر زغب بفتح الهمزة وسكون الجيم وكسر الراء واصله اجري فسقطت الياء كما في جمع دلو
وهو جمع جرو بكسر الجيم بوزن علم وهو صغير القثا وزعم ابن قرقول ان جروا جمعه اجرا على افعال
وهو جمع جرو وزغب بضم الزاي المعجمة وسكون الغين المعجمة وبوحدة جمع ازغب وهو ما عليه
زغب والزغب صغار الريش والشعر فشبه به ما يكون على الفاكهة ونحوها من الزئبر
وقوله **يريد قثا** بكسر القاف وضمها وتشديد المثلثة والمد وهي معروفة وهي ضرب من الخيار
والفه للتانيث او للالحاق وهو اسم جنس يطلق على الواحد وغيره فلذا فسر به الجيم فلا
حاجة لتقدير من جنس هذه وعلى كل حال فلا يقال ان زغب هنا كالدبار الصغر كما توهم
وهو تفسير لقوله اجر وروى الهروي اجن بالنون بدل اجر وهو جمع جنا وهو الغض الرطب
والمشهور الاول وكان صلى الله عليه وسلم يحب القثا **فاعطاني ملء كفه حليا وذهبا**
بالواو العاطفة وفي الترمذي او قال ذهبا مما كان عنده مما جاءه من البحرين وهذا مما يدل
على الوهم في رواية معوذ فانه قتل ببدر ومال البحرين انما اتاه بعد ظهور الاسلام ۞
والحلي بفتح الحاء المهملة واللام بزنة ضرب وجمعه حلي بضم الحاء اللام ووزنه فعول
وهو كل مصاغ من الذهب والفضة وضبطه التلمساني بالمفرد هنا فان كانت الرواية به
والا يجوز قراءته بالوجهين **وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيا لغد**
اخرجه الترمذي وشيا اعم من المال والقوت وهذا بالنسبة لاغلب احواله وقد وقع خلافه
تعليما وتطييبا لقلوب اهله وهو لا ينافي التوكل كما لا يخفى **والخبر بجوده** اي في بيان
جوده **وكرمه صلى الله عليه وسلم كثير وعن ابي هريرة ان رجلا اتى النبي** هذا الرجل لم يبين والحديث
لم يخرجه السيوطي ولا غيره **يسأله فاستلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم** اي افترض
والسلف والقرض بمعنى **نصف وسق** بفتح الواو وكسرها وهو ستون صاعا وعند اهل الحجاز
ثلثماية وعشرون رطلا واربعماية وثمانون رطلا عند اهل العراق على اختلافهم في مقدار الصاع
والمد كما قاله البرهان الحلبي والوسق ايضا مصدر بمعنى ضم الشيء **فجاء الرجل** الذي افترض
منه **يتقاضاه** يطلب منه كما مر **فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاء** وقال رسول
الله **نصفه قضاء** لما اخذ منك **ونصفه نائل** اي عطا وهبة لك ووقع في بعض النسخ
زيادة سقطت من اكثر النسخ وهي وقد قال ابو علي الدقاق من شيوخ المتصوفة المشاهير ۞
وعلمائهم المحاربين وتكلم في الفتوة وهي غاية الكرم والايثار على رايهم واصطلاحهم في
الفاظهم ان هذا الخلق لا يكون الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كل احد في القيامة يقول
نفسي نفسي ويقول هو صلى الله عليه وسلم امتي امتي انتهى ما زيد هنا واثبتها محمد بن مرزوق
في شرحه وتبعه التلمساني وشرحها فلنتمم الفائدة ببعض فوائدها وبيان ما فيها فاعلم
ان الدقاق هو ابو علي الحسن بن علي شيخ القشيري تفقه في اول امره على القفال وغيره ثم
انقطع حتى صار رشيدا او فقيها والمتصوفة والصوفية واحده صوفي ويقال تصوف اذا

انقطع الى الله كما يقال تقيس اذا انتسب لقيس وهذا لفظ مولد واصطلاح حدث بعد
القرن الاول فقال بعضهم الصوفي هو المنقطع بهمته الى ربه وهم متعبدون باهل الصفة
وهي سقيفة اتخذها ضعفاء الصحابة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وكان قبل الاسلام
حتى يقال لهم صوفة يخدمون الكعبة فقيل الصوفي نسبة لهم وقيل لانهم يجتمعون كما تجتمع
الصوفة وقيل لانهم لخشوعهم كصوفة مطروحة على الارض وهم منسوبون لصوفة للينهم
وسهولة اخلاقهم او للبسهم الصوف لاختيارهم الفقر وهذا اظهر الاقوال لفظا ومعنى
وقيل منسوب للصفة فالاصل صفي فابدل احد حرفي التضعيف لينا وقيل انه من الصفا
ومنه قلب • وصحح هذا بعضهم بقول البستي

تخالف الناس في الصوفي واختلفوا • جهلا وظنوه مشتقا من الصوف •
ولست انحل هذا الاسم غير فتى ۞ • صافى فصوفي حتى سمي الصوفي •

ولا شاهد فيه لانه على مذهب الشعرا وقد بين المصنف معنى الفتوة بقوله •

فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل

هذا معنى ما قاله الحكما في علم الاخلاق ان الله ركب في الانسان قوة هي مبدأ الاقدام على
الاهوال والمهالك لتصوره ان من خاطر بنفسه ملك النفس وانه لا يغني حذر من قدر ۞
وهي القوة الغضبية والشجاعة انقياد هذه القوة لسلطان العقل والنفس الناطقة
ليكون اقدامها على حسب الروية من غير اضطراب حتى يكون فعلها جميلا محمودا وافراطها التهور
وهو الاقدام حيث لا ينبغي وتفريطها الجبن وبهذا عرفت معنى الشجاعة والجراءة اعم
منها وهذه تختص بالانسان وفسرها ابن القوطية بالاقدام وهو تفسير لفظي بالاعم ۞
والنجدة بفتح النون وسكون الجيم ودال مهملة كما في النهاية وهي شدة الباس ويقال هم انجاد
نجاد اي اشدا شجعان والواحد نجد ككتف واكتاف وقيل انه جمع الجمع جمع نجد على نجاد ونجاد
على انجاد وفسرها اهل اللغة بالشجاعة على عادتهم في التسامح فلا ينافي تغايرهما كما توهم
ويؤيده ما في الحديث ما رايت اشجع ولا انجد ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم
واشتهرت النجدة في معنى المساعدة ايضا **ثقة النفس** في بعض الشروح وثق الشيء بالضم
وثاقة صلب واشتد ومنه الوثاق وثقت به بالكسر اثق ثقة اعتمدت عليه وائتمنته
كما في التقريب والمصنف استعمل الثقة موضع الوثاقة ولم اظفر به قلت هذا عجيب
منه فانه بمعنى اعتماد النفس على جلدها واعتماده على نفسه **عند استرسالها** اي انطلاقها
واخذها فيما يؤدي **الى الموت** او لاستيناسها وطمانينتها بلا خوف كما ورد في الحديث ايما مسلم
استرسل الى مسلم فغبنه وحديث غبن المسترسل ربا **حيث يحمد فعلها دون خوف**
قيل ومنشاؤه قوة النفس وشدتها وليس غير الشجاعة ففسر الشارح بما نشا عنها
انتهى وكلامه ماش على تغايرهما والشراح لم يفرقوا بينهما والفرق مثل الصبح ظاهر فان
الشجاعة جراة واقدام يخوض به المهالك كما ينبغي والنجدة ثباته على ذلك مطمئنا ۞
من غير خوف من ان يقع على الموت او يقع الموت عليه حتى يقضي الله باحدى الحسنيين ۞
الظفر او الشهادة فيحيي سعيدا او يموت شهيدا فتلك متفرعة وهذه نتيجتها ولذا اخرها
المصنف في الذكر **وكان صلى الله عليه وسلم منهما** اي من الشجاعة والنجدة **بالمكان الذي**

لعله بكسر

وكسر

بالنفس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا يُجْهَل اي كان متصفا بهما على اعظم وجه ومشتهرا بذلك اشتهارا لا يخفى على احد وعدم جهل المكان لعلوه وسرعة بيانه كالجبل والقصر فكنى بذلك عن علو قدره وشهرته على حد قوله • ان الشجاعة والسماحة والندى • في قبة ضربت على ابن الحشرج •
قد حضر المواقف الصعبة اي مواضع القتال الشديد ومصافها فجعلها نفسها صعبة لصعوبة ما فيها **وفر الكماة والابطال عنه غير مرة** الفر اي الرجوع بسرعة والكماة بزنة قضاه جمع كمي على خلاف القياس لانه مخصوص بفاعل المعتل او هو جمع كام بمعنى كمي والكمي الشجاع وهو من تكمى اذا تستر واصله الشجاع اللابس للدرع والبيضة ثم استعمل في مطلق الشجاع كالشعر فان قيل انه سمي به لانه يستر شجاعته ووقايعه كان الثاني حقيقة ايضا لكن المعروف هو الاول والابطال جمع بطل كحسن هو الشجاع المعروف بالشجاعة سمي به لانه يبطل عنده دم الاقران وغير مرة بمعنى مرات والعرب تجعل غير مرة بمعنى مرات مع صدقه على مرتين للابهام ونحوه من الفوايد **وهو ثابت لا يبرح** اي لا يفارق مكانه كقوله فلن ابرح الارض اي لا ازال ازم **ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح** اي لا يزول عن مقره قال تعالى فمن زحزح عن النار وهذه حالات تدل على ثباته اي تارة يقبل على الحرب وتارة يثبت كالجبل الراسي فلا يتحرك فان اريد بالاقبال مجرد توجهه بوجهه وبعدم الادبار التفاته لغيرها فهما حال واحدة واصل معنى التزحزح التباعد والتنحي عن المكان قال الزبيدي زحزحه اذا دفعه وكذلك زحزح عنه وقيل هو من زاحه يزيح او من الزوح وهو السوق الشديد ويقال زحزحته فتزحزح ولا تزاح اذا تباعد ومنه المزاح والصحيح الاول اذ عطفه على الادبار من عطف الخاص على العام وكان من خصايصه انه يجب عليه مصابرة العدو وان كثروا زاد على ضعف عسكره واما الآن فان زاد على العدو وعلى ضعف المسلمين جاز انصرافهم عن القتال والا فلا يجوز الا بالتحيز الى فية فان الفرار من الزحف كبيرة كما فصله الفقهاء والمفسرون **وما شجاع الا وقد احصيت له فرة** احصيت بالبنا للمجهول من الاحصا وهو العد والحفظ والفرة المرة من الفرار وهو المصيبة والفار الهارب **وحفظت عنه جولة سواه** الجولة بفتح الجيم وسكون الواو واللام المرة من الجولان في المكان وقيل هي الانكشاف والزوال عن الموقف من غير تقييد بالمرة وفي النهاية جال واجتال اذا ذهب وجا ومنه الجولان في الحرب والجايل الزايل عن مكانه وقول الصديق للباطل نزوة وللحق جولة يريد به غلبة من جال على قرنه يجول انتهى ﴿﴾ والجولة هنا صفة ذم بمعنى فرة لا غلبة وفي الحديث للباطل جولة وتضمحل والحاصل ان الجولة تكون بمعنى الفرار وبمعنى الذهاب ليعود والتردد في المكان ويصح ارادة كل منهما هنا ويكون صفة ذم ومدح ثم ذكر ما يدل على ما ذكره فقال **حدثنا القاضي ابو علي الجياني فيما كتب لي** هو الامام الحافظ ابو علي الغساني الجياني بفتح الجيم وتشديد المثناة التحتية ثم الف ونون ويا نسبة لبلدة منها ابن مالك وابو حيان وغيرهما من الايمة وقوله وكتب لي دون الي يشعر بانه وقع له ذلك مع ملاقاته بدليل قوله حدثنا فان الكتابة تكون للغايب والحاضر وتتضمن الاجازة وابن الصلاح لم يفرق بين كتب له واليه اذ قال كثيرا ما يوجد في مسانيدهم ومصنفاتهم كتب الي فلان وهو معمول به عندهم معدود في المسند الموصول وفيه اشعار قوي بمعنى الاجازة وان لم يقترن بها وعند السمعاني وامام الحرمين انه اقوى من الاجازة المجردة **حدثنا القاضي سراج** بكسر السين كالسراج المنير وهو سراج بن عبد

الملك ابن محمد بن سراج الاموي توفي لست بقين من جمادى الاولى سنة ثمان وخمسماية والذي روى عنه الجياني هو جد سراج بن عبد الملك كما قاله التلمساني **حدثنا ابو محمد الاصيلي** هو ابو محمد عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الاصيلي ويقال الازيلي بالزاي والسين ايضا نسبة لاصيلة بلدة بالمغرب معروفة كما قاله ابن قرقول وقال الصاغاني في الذيل واصيلة كقبيلة بلد من اعمال الاندلس **حدثنا ابو زيد الفقيه** هو ابو زيد المروزي وقد تقدمت ترجمته **حدثنا محمد بن يوسف** هو الفربري وقد تقدمت ترجمته ايضا **حدثنا محمد بن اسمعيل** هو الامام البخاري وقد تقدمت ترجمته **حدثنا ابن بشار** الامام الحافظ ابو بكر محمد بن بشار بفتح الموحدة التحتية وتشديد الشين المعجمة والف وراء مهملة المعروف ببندار روى عنه اصحاب الكتب الستة عاش ثمانين سنة ومات سنة اثنين وخمسين ومايتين وقيل احدى وخمسين وترجمته مفصلة في الميزان **حدثنا غندر** بضم الغين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وتضم وراء مهملة وهو محمد بن جعفر الهذلي مولاهم البصري الحافظ ﴿﴾ روى له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة ثلاث وتسعين ومايه وترجمته في الميزان **حدثنا شعبة** ابن الحجاج العتكي امير المومنين في الحديث ولد بواسط وسكن البصرة روى له اصحاب الكتب الستة وروى عنه نحو الفي حديث ومات في اول سنة ستين ومايه وهو ثبت حجة وترجمته في الميزان ايضا **عن ابي اسحق** عمرو بن عبد الله السبيعي الهمداني الكوفي احد اعلام الحديث عد من الصحابة وعدة ايمة من التابعين وروى عنه خلق كثير ولد نحو ثلثماية شيخ وهو يشبه الزهري في الكثرة وكان صواما قواما غازيا مات سنة سبع وعشرين ومايه وله خمس وتسعون سنة واخرج له الستة وله ترجمة في الميزان **سمع البرا** ابن عازب الصحابي المشهور **وقد سأله رجل** وهذا الحديث اخرجه القاضي كما ترى في الجهاد ورواه مسلم في المغازي والنسائي في السير **افررتم** معاشر الصحابة **يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم** وحنين بن قاسة بن مهلاييل وبه سمي الموضع المعروف وسميت غزوة حنين او اوطاس باسم الموضع الذي كانت فيه الوقعة سنة ثمان من الهجرة في شوال ووقع في البخاري انه صلى الله عليه وسلم خرج الى حنين في رمضان والمعروف انه في شوال وما ذكره المصنف ورد في بعض طرق الحديث وفي بعضها افررتم ولم يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي رواية مسلم وعلى هذه الرواية قال النووي جواب البرا من بديع الادب لان تقديره افررتم كلكم فيقتضي انه صلى الله عليه وسلم وافقهم في ذلك فقال البرا لا والله ما فر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن جماعة من اصحابه جرى لهم كذا وكذا انتهى وهذا الجواب لا يتاتى الا على الرواية الثانية وكان ينبغي للشيخ ان يجيب بجواب غير هذا لان هذا اللهم احترز عنه السايل بقوله عن رسول الله ولم يجي انه صلى الله عليه وسلم انهزم قط ولم ينقله احد وقد نقل الاجماع على انه لا يجوز ان يعتقد انه انهزم ولا يجوز ذلك عليه بل كان العباس وابو سفيان اخذين بلجام بغلته يكفانها عن اسراع التقدم الى العدو وقد صرح به البرا في حديثه كذا قال البرهان وقيل عليه انه يتاتى الجواب على ما رواه المصنف ايضا لان قول السايل عن رسول الله وان دفع وهم انه ما فر معهم لا يدفع انه فر بعد فرارهم فكان تاسيا فيما طواه البرا في الجواب الذي تقديره فر من فر عن رسول الله الذي دفعه بقوله **لكن رسول الله لم يفر** لانه استدراك لدفع توهم من الكلام

السابق وان لم يصرح به وما قيل من انه يمكن ان يقال قصد البرا ان يبين ان فرارهم لم يكن بالكلية وانما تحولنا عن وجه العدو وتحملنا حوله ثم عدنا وكيف نبرح رسول الله وهو عز من انفسنا او هو من الاسلوب الحكيم فكانه لما سأله عن فرارهم قال له هذا لا يهمك شانه وانما الذي ينبغي ان نعتقده انه صلى الله عليه وسلم لم يفر تكلف ليس في الكلام ما يدل عليه **ثم قال لقد رايته على بغلته البيضا** التي يقال لها فضة اهداها له فروة بن نفاثة كما في مسلم وقال العصام ركب في حنين بغلة تسمى دلدل قال النووي في شرح مسلم والمعروف الاول ودلدل اهداها له المقوقس وكبرت وبقيت الى زمن معاوية وقيل انه وهبها لابي بكر وكان لديه بغلات او خمس كما ذكره الحفاظ وذكروا من اهداها له **وابو سفيان** بن الحارث بن عبد المطلب بن عم النبي صلى الله عليه وسلم واسمه المغيرة او اسمه كنيته وكان اخاه من الرضاع والف الناس به قبل النبوة وكان يشبهه ايضا وكان شاعرا مطبوعا فلما ظهر الاسلام اظهر العداوة وهجا النبي واجابه حسان بما هو مذكور في السير ثم اسلم وحسن اسلامه وابلى بلاء حسنا يوم حنين وتوفي سنة عشرين وصلى عليه عمر وهو احد من ثبت يوم حنين وهم عشرة او اكثر كما فصل اصحاب السير **اخذ بلجامها** اي ممسك عنان بغلته من جانب والعباس من الجانب الاخر فالتفت رسول الله لسفيان وقال له من انت قال اخوك ابو سفيان بن الحارث فداك ابي وامي فقال نعم اخي ناولني حصى من الارض فناولته فرمى به فاصاب اعينهم كلهم ولم ينهزموا وانما امسكا باللجام لئلا يسرع للاتصال بالعدو ولما رواه من اقدامه ومسارعته فاشفقا عليه بمقتضى المحبة الاسلامية والرحم وان علما عصمته وحماية الله له **والنبي صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب • انا ابن عبد المطلب** هذه الرواية المشهورة بسكون البا للوقف وروي بتحريك البا فيهما وروي بلا كذب على هاتين الروايتين لا اشكال وعلى الرواية المشهورة اشكال مشهور وهو انه يكون موزونا من بحر الرجز والنبي صلى الله عليه وسلم لا يصدر منه الشعر لقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له فكيف يصدر عنه هذا ونحوه كقوله

هل انت الا اصبع دميت • وفي سبيل الله ما لقيت •

ووقع مثله في كتاب الله واجيب عنه بان الرجز ليس من الشعر كما ذهب اليه بعضهم ويسمى قايله راجزا لا شاعرا وبان المراد من الشعر المنزه عنه ان يكون بنظم انواعه فيكون بحجة وما وقع نادرا لا يعد قايله شاعرا ونظيره ما قاله الباقلاني في كتاب الاعجاز ان القرآن يقع فيه ذلك حتى يكون جامعا لانواع الكلام وبمثله لا يكون القرآن شعرا كالبيت او المصراع اذا وقع في اثنا رسالة او خطبة والجواب المشهور ان الشعر هو الكلام الموزون المقفى بالقصد وما وقع في الحديث كهذا وفي القرآن كقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره لم يقصد وزنه فلا يسمى شعرا وهذا في الحديث الصحيح واما في القرآن فلا لانا اذا سلمنا وقوعه فيه لابد ان يكون بالقصد والارادة لانه لا يمكن ان يقع شي في الخارج بغير ارادته وقد ذكرت هذا لبعض مشايخي ثم رايته في بعض شروح المفتاح وقد اجبنا عنه في كتابنا طراز المجالس وكان ابن قدامة في كتاب التكملة لحظ هذا فذهب الى انه ليس في القرآن موزون لانه لا يجوز ان نقراه على هذه الطريقة بل نصل الكلام ولا نقف على ما يشبه العروض والضرب وحينئذ لا يكون موزونا وهو كلام حسن وقوله لا كذب اذا حرك يلزمه الوقف على متحرك وهو لحن لا يصدر عمن هو افصح الناس وفيه نظر ونفيه الكذب عنه

لانه

225

لانه مصون عنه مطلقا اذ معناه لا كذب في الظفر والنصر وما وعد نبي الله او لا اكذب في دعوى النبوة لظهور آياته ووضوح برهان معجزاته والمقصود تنبيههم حتى لا يفر احد منهم • وقوله انا ابن عبد المطلب كما يقول المحارب انا فلان اشارة الى شجاعته وصوله وانما انتسب لجده دون ابيه لاشتهاره بذلك لان اباه مات شابا في حياة جده وهو طفل فكفله وكانوا يقولون له ابن عبد المطلب لعلو مقامه وكونه سيد اهل مكة وخصه بالذكر وقد ابهموا عنه تثبيتا لنبوته ولازالة للشك فيها لما عرف من رؤياه المبشرة بذلك كما انبت بذلك الاحبار والكهان فكانه يقول انا ذلك الموعود به فلا بد مما وعدت به لئلا يفروا ويظنوا انه مقتول او مغلوب وكان عبد المطلب راى في منامه ان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الارض وطرف بالمشرق وطرف بالمغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور فاذا اهل المشرق والمغرب كانوا يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود له من صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السماء والارض فلذا سماه محمدا كما قاله حين قيل له لم سميته بهذا وليس لاحد من ابائك ولا قومك مثله فقال رجوت ان يحمده اهل الارض وقيل ان امه لما حملت به قيل لها انك حملت بسيد هذه الامة فسميه محمدا وقوله انا النبي الخ ليس من كلام الافتخار المنهي عنه لانه جائز في الجهاد لارتياب العدو وكان ينصر بالرعب وهذا جار على عادتهم كقوله

• اقول له والرمح ياطر متنه • تامل خفافا انني انا ذلكا •

قيل فما رئي يومئذ احد كان اشد منه اي لم ير في حرب هوازن اقوى واشجع من النبي صلى الله عليه وسلم وقد ركب بغلته وقد ظاهر عليه درعا ومغفرا وطاف على الصفوف يحضهم على القتال ويبشرهم بالفتح ان صدقوا وصبروا وكانوا برزوا للقتال في كتايب لم ير المسلمون مثلها عددا وعدة وحملوا حملة واحدة وكانوا ارموا الناس بالسهام واعرفهم بالثقاف فانهزم الناس والنبي ثابت يلتفت يمنة ويسرة لمن فر منهم وهو يقول يا انصار الله وانصار رسوله انا عبد الله ورسوله ثم تقدم بحربته امام الناس فلم يمض قليل حتى هزمهم الله وانما قال العصام قيل لان هذه اللفظة بعينها لم تثبت عنده بطريق صحيح واما كونه اشد من حضر تلك الوقعة واشجعهم فهو مما لا شبهة فيه ولا يمكن احد انكاره **وقال غيره** اي غير البخاري الذي الحديث من روايته لكنه لم يذكر فيه انه **نزل عن بغلته** فانه في رواية مسلم رواه سلمة بن الاكوع قال لما غشوا رسول الله عليه السلام نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الارض ثم استقبل بها وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق احد حتى امتلات عيناه من تلك القبضة ترابا وهزمهم الله ولا شك ان النزول في وقت المحاربة فيه من الشجاعة ما لا يخفى وتسميته العرب بن الا **فلما التقى المسلمون والكفار وولى المسلمون مدبرين** هذه حال مؤكدة وهي قد تكون موافقة لعاملها معنى لهذه الاية وقد تكون موافقة له لفظا كقوله

• اضحى مضيعا لمن ابدى نصيحته •

والاول اقوى لما فيه من ترك التكرار بحسب الظاهر وفي قولهم وولى المسلمون ان اريد جميعهم مجاز بجعل الاكثر بمنزلة الجميع والا فلا تجوز خلافا لمن ظنه وقد ثبت جماعة من المسلمين اختلف في عددهم كما فصل في السير وكتب الحديث **وذكر مسلم في صحيحه رواية عن العباس عم النبي**

صلى الله عليه وسلم قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق
اي جعل وشرع في فعل ذلك يركض بغلته نحو الكفار اي يسوقها ويسرع بها والركض الضرب
بالرجل فمتى نسب الى الراكب فهو اعمال مركوبه نحو ركضت الفرس ومتى نسب الى الماشي
فهو وطي الارض نحو قوله اركض برجلك ونحو منصوب على الظرفية اي في جهتهم وانا آخذ
بلجامها اي ممسكه اكفها اي امنعها من السرعة ارادة ان لا تسرع اي لاجل ارادة
ان لا تسرع نحو العدو وتقتحم به وابو سفيان بن الحارث ابن عمه آخذ بركابه هذه رواية
وفي اخرى ان ابا سفيان كان يقود بغلته آخذا بلجامها من احد جانبيها فلعله تارة كان
يفعل كذا وتارة كان يفعل كذا فلا تعارض بين الروايات ثم نادى اي العباس رضي الله عنه
وكان جهوري الصوت يا للمسلمين بفتح اللام الاولى لدخولها على المستغاث به كسرت
نحو يا لله للمسلمين وكان نداؤه بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال له يا عباس ناد
اصحاب السمرة فناداهم فعطفوا وقاتلوا احتى هذا والله اعز الدين وقال رسول الله حمي
الوطيس وهذا الحديث نقله المصنف عن مسلم بالمعنى اذ ليس فيه نداء العباس وخص العباس
لانه كان صيتا يسمع صوته من ثمانية اميال واصحاب السمرة هم اصحاب الشجرة وانما خصهم
بالنداء لانهم تبايعوا تحتها بان يموتوا على الموت وان لا يفروا فذكرهم بذلك ومن خصائص
الخيضري كان يجب عليه صلى الله عليه وسلم مصابرة العدو وان كثر ولا لامة انما يلزمهم
الثبات ان لم يزد عدد الكفار على الضعف كذا قالوه من غير دليل لكن ذكر الماوردي ان من
خصائصه انه اذا بارز رجلا لم ينكف عنه وانه لا يفر من الزحف وخوفه من القتل غير جائز
لان الله عصمه انتهى وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولم يغضب
الا لله لم يقم لغضبه شيء اي لمهابته كل احد له وخوفه منه لا يتحرك احد عنده وقال شيخ
دون احد مبالغة كان العاقل وغيره سواء في ذلك ففي هذا اشارة الى انه كان يعتريه الغضب
والحدة احيانا ولكن ذلك لغيرة على حدود الله لا لنفسه ومناسبة هذا الماخذ بصدده
من ذكر شجاعته ان الغضب مقتض للبطش والاقدار وهو من غطها وهو بعض من حديث صحيح
في شمائل الترمذي وقال ابن عمر من حديث صحيح رواه الدارمي مسندا ما رايت اشجع
ولا انجد ولا اجود تقدم الفرق بين الشجاعة والنجدة فليس عطفه عليه عطف
تفسيري كما توهم ونفي الافضل هنا يفيد نفي المساوي بطريق الكناية تقول ما في البلد
اعظم من زيد كما تقدم تحقيقه ولا ارضى من رسول الله اي اكثر رضى منه لانه كان
يرضى بكل شيء من ملبوس وماكول وغيره ويحتمل ان المراد بالرضى عدم الغضب اي كان
اكثر حاله عدم الغضب لان الرضى يكون مقابلا للسخط ويكون بمعنى الارادة وعدم الكره
وبكل منهما فسر الرضى اذا كان صفة لله وعلى ذلك مبنى اختلاف الاشاعرة والماتريدية
في رضى الله للكفر في قوله ولا يرضى لعباده الكفر والظاهر ان هذا مراد المصنف لانه
المناسب لما قبله وهذا الحديث رواه احمد والنسائي والطبراني والبيهقي قيل عطفه
اجود على انجد لما بينهما من المناسبة فان الجواد لا يخاف الفقر والشجاع لا يخاف الموت
كقوله • ان الذي جمع السماحة والنجدة والبر والتقى جمعا •
لان الاول بذل النفس والثاني بذل المال والجود بالنفس اقصى غاية الجود وقال علي
رضي الله عنه كنا اذا حمي الباس بالموحدة وهمزة او الف وهو الشدة والمراد به

الخوف

الخوف او الحرب وحمي بزنة علم اوقد ففيه استعارة مصرحة او مكنية اي اشتد
القتال وهذا بمعنى ما وقع في الرواية الاخرى حمي الوطيس فان الوطيس التنور وتلك
ابلغ مع نكتة لانه قال في غزوة اوطاس ويروي اشتد الباس وهذه الرواية
مفسرة للاولى واحمرت الحدق جمع حدقة وهي ما تحت الاجفان واحمرارها يكون عند
الغضب لان الدم يهيج فيه وفي الحديث الغضب جمرة توقد في قلب ابن آدم اما ترى
انتفاخ اوداجه واحمرار عينيه وفسر بشدة الغضب وهو غير مناسب هنا وان كان
كل عدو غضبان على عدوه ولذا فسر بكثرة الموت والظاهر انه كناية عن زيادة هيجانها
لانه يقال اشتعلت واوقدت ومن قرب من النار ولازمها تحمر عينه فالمعنى اشتد القتال
ودام مدة اتقينا برسول الله اي جعلناه وقاية لنا من العدو بان يتقدم علينا فيهزم
العدو ونحن خلفه كما يشير اليه قوله فما يكون احد اقرب الى العدو منه ولذا اشتكوا
بثباته يوم حنين ولم ينكر عليهم وقد صارت هذه سنة في الملوك بوقت القتال حتى ان
آل عثمان يقتدون فرسه ولقد رايتني بضم التاء وهذا من خصائص افعال القلوب
وما الحق بها من راي البصرية والحلمية ان يكون فاعلها ومفعولها ضميرين متصلين
بشيء واحد وراي هذه بصرية كما في قوله •
ولقد اراني للرماح دريئة • من عن يميني تارة وامامي •
وقد اختلف في تعليل هذا كما فصل في كتب النحو وكان الظاهر لقوله بعده يوم بدر
ونحن نلوذ بالنبي عليه السلام ان يقول رايتنا فكانه عدل عنه اشارة الى ان كل
احد مشغول بنفسه لا براي غيره ومعنى نلوذ نستتر ونلتجي اليه قال عز وجل قد يعلم الله
الذين يتسللون منكم لواذا وهو اقربنا الى العدو من الشدة شجاعته والمراد بالعدو
وكان من اشد الناس يومئذ باسا اي نكاية في العدو كقوله تع والله اشد باسا كما
قاله الراغب وهذا الحديث اخرجه احمد والنسائي والطبراني والبيهقي في الدلائل
من طرق عدة واخرج مسلم بعضه من حديث البراء ابن عازب كما قاله السيوطي في مناهل الصفا
وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنى العدو اي قرب
من المسلمين وقت المقاتلة لقربه اي النبي منه اي العدو وهذا من كلام البراء ابن عازب
الذي رواه مسلم في صحيحه ولذا قيل ان قول المصنف قيل ليس في محله لايهامه ضعفه وعن
انس هذا حديث صحيح اتفق عليه الشيخان كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن
الناس كلهم خلقا وخلقا واجود الناس اي اكثر عطا واحسانا واشجع الناس
افعل تفضيل ولا وجه لما قيل انه للتعجب ثم ذكر ما يدل على شدة شجاعته فقال لقد
فزع اهل المدينة اللام في جواب قسم مقدر والمدينة مدينة الرسول علم لها
بالغلبة والفزع انقباض ونفار يعتري المرء مما يخاف وهو قريب من الجزع ولذا يقال
فزعت الى الله ولا يقال فزعت من الله كما قاله الراغب قال تع ولا يحزنهم الفزع الاكبر
اي من دخول النار ويكون الفزع بمعنى الاستغاثة قال كنا اذا اتانا صارخ فزع ليلة
منصوب على الظرفية اي في ليلة فانطلق ناس اي خرجوا من المدينة قبل بكسر
القاف وفتح الباء بمعنى الجانب والجهة ظرف اي نحوه يقال ذهب قبل السوق قال تع
فمال الذين كفروا قبلك مهطعين ويكون بمعنى عند يقال لي قبله حق ويستعار للوسع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والطاقة بحولها بينهم بجنود لا قبل لهم بها الصوت الذي سمعوه وخرجوا ليعرفوا
خبره لظنهم انهم غزوا ثم اغار على من هناك وكان رسول الله خرج قبلهم وحده لذلك
فعرف ذلك ورجع فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حال كونه راجعا من
جانب سمع الصوت منه قد سبقهم الى الصوت اي المكان الذي سمع منه جهته وقد
استبرأ الخبر بمهملة ومثناة وموحدة وهمزة وقد تبدل الفا اي وقف على حقيقته وفي
الاساس استبرأت الشيء طلبت آخره لاقطع الشبهة عني واستبرأ الارض قطعها انتهى
راكبا على فرس لابي طلحة زيد بن سهل بن الاسود بن حرام الانصاري الصحابي وكان
ذلك الفرس يسمى المندوب اي المطلوب ولانه كان فيه ندب اي اثر جرح عري بضم العين
وسكون الراء المهملتين مجرور صفة فرس ويقال في الآدمي عريان اذا لم يكن له لباس
ولغيره عري وقيل انه عري بفتح العين وكسر الراء وتشديد المثناة التحتية بمعنى عري
وليس في اللغة ما يساعده اي ليس على ظهره شيء من سرج او غيره والسيف في عنقه
اي حمايله متعلقة في عنقه متقلدا به واعلم ان هذا هو السنة في حمل السيف كما قاله ابن
الجوزي لا كما في الوسط كما هو المعروف الآن وهو يقول لمن لقيه من اهل الفزع لن تراعوا
لن هنا بمعنى لم ونفي الروع بفتح الراء بمعنى الخوف والمراد نفي سببه اي ليس هناك شيء
تخافونه واستدل بهذا الحديث على طهارة عرق الخيل وهذا الحديث صحيح في الصحيحين
وقال عمران بن حصين بكسر العين المهملة وسكون الميم وراء مهملة وحصين بمهملتين
تصغير حصن وهو صحابي خزاعي كان من فقهاء الصحابة وفضلائهم ما لقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتيبة بفتح الكاف وكسر التاء المثناة التحتية وباء موحدة هي
الجيش المجتمع وقيل جماعة الخيل المغيرة من تكتبوا بمعنى تجمعوا ومنه الكتابة لجمعه الحروف
الا كان اول من يضرب بسيفه ويقاتل وهو من قصر الصفة على الموصوف وهذا الحديث
رواه ابو الشيخ في الاخلاق وفيه راو مجهول ولما رآه ابي بن خلف يوم احد ابي بن خلف
بن وهب بن حذافة بن جمح الكافر المشهور الذي طعنه رسول الله بحربته في وقعة احد فوقع
عن فرسه ولم يخرج منه دم وكسر ضلعه فهلك عدو الله وقول المزي في تهذيبه انه صلى
الله عليه وسلم اخبر بانه يقتل ابي بن خلف فخدشه يوم بدر واحد فمات ذكره بالمزيد
بين بدر واحد ولا وجه له ويوم احد ظرف لرؤيته وهو يقول حال من ابي اين محمد
سؤال عن المكان فان قلت كيف يسال عن مكانه وهو قال انه رآه قلت ان قلنا
ان السؤال ليس على حقيقته بل مجاز عن تمكنه منه وظفره به او التقدير اي اين يذهب
محمدا والظرف ممتد وقع جميع ذلك فيه ويتوفى وقت واحد وان تقدم وتاخر لا نجوت
ان نجا دعا على نفسه بالهلاك ان نجا الله حبيبه ورسوله وقد اجاب الله دعاءه فاهلكه
ونجا رسوله والفال موكل بالمنطق وقد كان ابي يقول حين افتدي يوم بدر قيل
يوم بدل من حين وافتدي مبني للفاعل ومفعوله محذوف اي اسيره وهو ابنه عبد الله
والافتداء اعطاء الفدية لا فكاك الاسير فالمراد بحين الافتداء يوم بدر بتمامه لان
الزمان الضيق الذي وقع الافتداء يوم بدر فيه لان الظاهر انه لم يقل وعنده له صلى الله
عليه وسلم الا قبل ان يفتدي لا حين الافتداء وقيل يوم بدر ظرف لمحذوف بدل عليه
افتدي اي افتدي اسيره يوم بدر فهو متعلق باسيره اي من اسر يوم بدر وهو ابنه

ولا يستقيم

ولا يستقيم كونه لا من حين لان الافتداء وقع بعد وقعة بدر بالمدينة وابي قال
ما قال حين افتدي لا بعده وكان من قال ان ذلك وقع قبل ان يفتدي ظن ان الكفار
لم يكونوا يتخلصوا الى المدينة بالامكان فالاشبه وقع ببدر والافتداء بالمدينة فلا يأتي البدلية
فقال عندي فرس الفرس يقع على الذكر والانثى واشهرها هنا لانها كانت انثى وقد ورد
في الحديث تذكيرها وتانيثها بحسب المراد والقرائن وقال التلمساني اعلفها هو الصواب
وفي النسخ اعلفه بضمير المذكر واصل الفرس الانثى وقد يقال للانثى فرسة وتصغير
على فريس وان اردت الانثى خاصة لم تقل الا فريسة بالهاء عن ابي بكر بن السراج انتهى فلا
وجه لقوله الصواب واسم فرسه العود بوزن الضرب وعينه وداله مهملتان والعلف
ماكول الحيوان كل يوم فرقا بفتح الفاء وفتح الراء ويجوز تسكينها وقيل لا يجوز وهو مكيال
يسع ستة عشر رطلا وبتحريكه وتسكينه بمعنى وقيل المسكن مائة وعشرون رطلا والمحرك
ستة عشر رطلا من ذرة بيان للفرق بضم الذال المعجمة وفتح الراء المهملة المخففة وهي نوع
من الحبوب معروف وغزوة احد كانت في شوال سنة ثلاث وقيل الظاهر ان المراد هنا الفرق
بالتحريك لان الفرس لا يعلف ذلك المقدار كما لا يخفى اقتلك عليها صفة بعد صفة او
هي جملة مستانفة في جواب سؤال مقدر وقيل انها حال وهو بعيد وان صح ان يكون حالا
منتظرة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله تحقق ما اوعده
وكانما علف فرسه لتشرفه لهلاكه كالحافر بظلفه على حتفه ولكل باغ مصرع فلما
رآه اي رأى ابي النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد اليوم على ظاهره او بمعنى مطلق الزمان
او المراد به الوقعة على حد قولهم ايام العرب شد ابي بن خلف الشقي اي عدا واسرع
قال الراغب يقال شد فلان واشتد اذا اسرع ويجوز ان يكون من قولهم اشتدت الريح
واصل معنى الشدة القوة على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجاران
متعلقان بشد وان كان لا يجوز تعلق شيئين حرفي جر بمعنى متعلق واحد اما لانه قيد الشد
والعدو بانه على فرسه لا على رجليه ثم قيده به بعد تقييده بالاول فيتغاير المتعلق معنى
لان الاول تقييد به وهو مطلق والثاني تعلق بالمقيد كما حققه صاحب الكشاف
في قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا او ان الاول مستقر حال اي راكبا على فرسه والثاني
لغو وشد جواب لما الثانية والاعلى جواب الاولى فاعترضه رجال من المسلمين
اي حالوا بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمنعوه ويصدوه عنه وقصدوا
نحوه وجهته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا اي تنحوا ولا تحولوا وتعرضوا
بيني وبينه فهكذا هنا اسم فعل امر بمعنى اتركوا سبيله قال السهيلي فلا يعمل فيه ما قبله
كما اذا قلت جلس هكذا اي على هذه الحالة او يقدر له عامل تقديره ارجعوا هكذا ثم استغني
عنه وقام هكذا مقامه واصله مركب من هاء التنبيه وكاف التشبيه وذا اسم اشارة ثم
والى كونه انسلخ عن معناه اشار بقوله اي خلوا طريقه اي اجعلوا حالته من حائل بيني
وبينه وتناول اي اخذ بيده الحربة بوزن الضربة وهي واحدة الحراب بوزن رجال
وهي قناة صغيرة سميت بها لانها من آلات الحرب وقيل ان هذه الحربة كانت للنبي صلى الله
عليه وسلم لانه كان لا يرى مشاركة في جهاده وسفره في سبيل الله ولذا اشترى من ابي
بكر راحلته التي هاجر بها والاظهر انها كانت للحارث وربما استعار بعيرا من اصحابه من الحارث

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بن الصمة بكسر الصاد المهملة وفتح الميم المشددة وهاء تانيث ومعناه الشجاع المصمم في اموره ثم نقل علما وهو الحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك الانصاري الصحابي ه شهد مع رسول الله بدرا وغيرها من المشاهد وقتل ببير معونة وذكر ابن الاثير ان الذي ناول رسول الله الحربة كعب بن مالك وبين الروايتين مخالفة وجمع بينهما بانه تناولها من ه احدهما فسقطت منه فناولها له الآخر او ان احدهما وهو الذي معه الحربة كان بعيدا منه فناولها آخر قريبا فسلمها له بيده ولا بد من التوفيق فان الروايتان صحيحتان والقصة واحدة فانتفض بها انتفاضة اصل معنى النفض بالنون والفاء والضاد المعجمة ازالة الغبار ونحوه عن ثوب او شجر قال ابو ذويب ه

تنفض مهده وتذود عنه • وما تغني التمايم والعكوف

ويقال نفض وانتفض اذا اهتز ونفض الصبغ اذا اثر لونه في غيره وذكر نصيب بن نباتة فقال • نفضت عليهن من لوني • فعلت في اول قصيدة ه

نفضت على صباغها اباهي • نفض البياض بها قليل مقلم

وهو هنا استعارة اي قام بها قومة سريعة وضميرها للحربة وما قيل من انه مستعار من انتفاض الطائر قال • كما انتفض العصفور بلله القطر • غير مناسب هنا الا ان يقال بان الباء للتعدية والمعنى انه هزها وقيل معناه تحرك وحركها والابلغ الاحسن ان يقال انه استعارة تمثيلية يلزمها تشبيههم بالغنم كالذباب المودي الواقع المتهافت فيفيد هجومهم عليه وشبه نهوضه لهم بها بفحل اهتز ليزيل ذبابا وقع عليه بقوله تطايروا عنه تطاير الشعرا عن ظهر البعير اذا انتفض وتطايروا بمعنى تفرقوا فارين بسرعة كالطيور والشعرا بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وراء مهملة بعدها همزة ممدودة ذبابة لها ابرة وفي نسخة البرهان بفتح العين الا انه لم يثبت وقال القتبي الشعر جمع شعرا وهي ذباب احمر يوذي الدواب وقيل زرق وقيل كبيرة الشعر وفي رواية تطاير الشعارير وهي جمع بمعنى الشعر وقياس واحده شعرور وقيل هي ذباب يجتمع على دبر البعير وفي الروض الانف الشعرا ذباب صغير له لذع وفي المثل قيل للذيب ما تقول في غنيمة تحرسها جويرية قال شعرا في خلقي • قيل فما تقول في غنيمة يحرسها غليم قال شعرا في ابطي اخشى خطواته وهي بهام يتعلل الغلمان بها الومي وروى القتبي هنا الشعر جمع شعرا ذباب صغار وروى فرحل بالحربة اي رمى بها انتهى • قيل رواية الشعرا انسب لان الواحد لا لا يتطاير • اقول هذا ناشي من القيل والقال وما انكر من فتح العين لا وجه له فان تحريك حرف الحلق لغة قال بعض النحاة تطرد فيقولون في نحو شعر بحر وشعر والشعرا ليس مفردا بل اسم جمع كالطرفا فلا وجه لما قيل ان الانسب الشعر وقول بعضهم الشعرا جمع شعر كانه تحريف ثم استقبله اي قام النبي ومشى اليه بالحربة واعلم ان ضمير تطايروا للكفار الذين كانوا هجموا مع ابي وقيل انه للصحابة وتطايرهم عنه باذنه ليكشفوا له عن ابي ولا يخفى انه لا يناسب هنا بوجه تشبيههم بالشعرا ولا تطايرهم كما لا يخفى فطعنه في عنقه طعنة تدادا منها عن فرسه مرارا تدادا بمثناه فوقية ودالين مهملتين وهمزتين اي تدحرج وسقط وقيل مال وضمير منها للطعنة ه ومثله تدهدى وقيل الهاء بدل من الهمزة وفي رواية تودى اي وقع وقيل لم يطعنه في

عنقه

عنقه بل كسر ضلعا بكسر الضاد المعجمة وفتح اللام ويجوز تسكينها مع كسر الضاد وفتحها عظم معروف وقال الاخفش في الجنب الايمن تسع اضلاع وفي الايسر ثمان وما نقص منه تام في النسا وهو الذي خلقت منه حوى ولكن روي عن ابي حنيفة في الخنثى المشكل انه يحكم فيه بتمام اضلاعه وعكسه من اضلاعه قال التلمساني رواية طعنه اقوى لان المعروف الطعن بالرمح وفيه نظر وقيل انه طعنه فوقع عن فرسه فكسر ضلعه وفيه جمع ه بين الروايتين وهو حسن فرجع الى قريش يقول قتلني محمد جملة يقول حالية اي قايلا وعبر بالماضي لتحققه الموت وهم يقولون لا باس بك الباس بهمزة ساكنة وتبدل الفا وهو اسم لا يبنى على الفتح والباس الشدة والموت والالم وهذا هو المناسب ولا يقال لا باس عليك ولا باس بك للتسلية او الدعا له بان لا يصيبه شي من الباس وفي نسخة عليك بدل بك وهما بمعنى فقال لو كان ما بي من الالم والشدة التي اجدها في نفسي موزعا وحالا بجميع الناس لقتلهم فكيف احمله انا وحدي هذا واسلم منه اليس قد قال صلى الله عليه وسلم حين توعده انا اقتلك قيل اصله اقتلك انا فقدم المسند اليه للحصر اي انا لا غيري اقتلك وحدي لا يشاركني احد ونيا عني في قتلك الا الله حتى قيل ان قوله تعالى وما اذ رميت نزلت فيه فالقصر قصر افراد والظاهر انه قصر قلب وهو المناسب المردود عليه اي انا اقتلك لا انت تقتلني فتدبر والله لو بصق علي لقتلني البصق رمي ماء الفم ويقال بالصاد والسين والزاي وانما قاله لتحقق صدقه فيما قاله فمات من تلك الطعنة بسرف بسين مهملة مفتوحة وراء مهملة مكسورة وفاء اسم موضع وقيل اسم جبل قريب من مكة على ستة اميال او سبعة او تسعة او اثني عشر على اختلاف فيه واسم مكان موته مناسب لانه كان مسرفا على نفسه كما قيل ه

اختبر الارض باسمائها • واختبر الصاحب بالصاحب

في قفولهم الى مكة اي مات وقد رجعوا من احد الى مكة والقفول معناه الرجوع وتسميتهم القافلة تفاولا برجوعها تفاولا كما يسمى الملدوغ سليما فانكار الحريري وتخطيته فيه لا وجه لها وهذا الحديث صحيح رواه البيهقي في الدلايل عن عروة ابن الزبير وسعيد ابن المسيب مرسلا وعبد الرزاق في مصنفه والواقدي في مغازيه وابن سعد في طبقاته وقيل انه قال هذه المقالة بمكة لما خلص ابنه من الاسر ورجع به وكان ابن عمر يقول انه مات ببطن رابغ وان اسيرا من المسلمين مر وهو اسير برابغ راى هدوا من الليل نارا تاججها فلما دنا منها خرج رجل في سلسلة يصيح العطش ومعه رجل يقول لا تسقه فانه ابي بن خلف قتيل رسول الله فقلت سحقا له ه

فصل واما الحيا والاغضا

الحيا ممدود وهو في اللغة ضد الوقاحة وفعله استحيا يستحيي بياءين وتحذف احداهما تخفيفا والاغضا اصل معناه ارخا الجفون قريبا من الانطباق وهما متغايران لغة وعرفا ويدل عليه قول الفرزدق ه

يغضي حياء ويغضى من مهابته • فما يكلم الا حين يبتسم

فالحيا رقة الرقة ضد الغلظ ورقة القلب ان لا يكون فيه قسوة وجفا قال الراغب الرقة كالدقة لكن الدقة يقال باعتبار جوانب الشيء والرقة باعتبار عمقه وهي في الجسم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عند الصفاقة وفي النفس يضادها الجفوة والقسوة **تعتري** اي تعرض وتحدث في **وجه الانسان** فيكون فيه ما يدل عليه كحمرته عند الخجل **عند فعل ما يتوقع كراهته** لم يقل ما يكره لان من يراه قد لا يكرهه والمراد ما من شانه ان يكره **او ما يكون تركه خيرا من فعله** وان لم يكره وقال الراغب الحيا انقباض النفس عن القبائح وتركها وفي الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ليس المراد به انقباض النفس لتنزه الله عنه وانما المراد به ترك تعذيبه. وقال النووي هو خلق يمنع من القبيح والتقصير في الحقوق وقال الزمخشري هو تغير وانكسار يلحق من فعل او ترك ما يذم به وله تفصيل في تفسير البيضاوي كما بيناه في حواشيه فانظره **والاغضاء في عرف اللغة التغافل** اي اظهار الغفلة ممن ليست فيه والمراد التجاوز **عما يكره الانسان بطبيعته** وان لم يكره شرعا **وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات** جمع عورة وهي كل ما يقبح اظهاره ولذا كني عن سوأة الانسان وعن المراة بالعورة وهي ماخوذة من العار **اغضاء** اي سكوتا وتجاوزا والاغضاء يتعدى بعن وعلى وعبر في جانب الحيا بالاشدية وفي الاغضاء بالاكثرية لان الحيا كيفية نفسانية تتبعها كيفية حسية تقبل الشدة والضعف والاغضاء فعل من الافعال يكثر ولا تتميز بكيفيته من حيث هو وقيل لان الاغضاء نوع احتمال وحلم وعفو عمن وقع في مكروه وهو تسبب عن الحياء والسبب اقوى باعتبار انه منسوب للمسبب عنه وفيه نظر. ثم استدل على ان هذه الصفة الحميدة موجودة فيه صلى الله عليه وسلم فقال **قال الله سبحانه ان ذلكم كان** اي مكثكم في بيت النبي متانسين بحديث بعضكم لبعض **يؤذي النبي فيستحيي منكم الاية** والله لا يستحيي من الحق وكان صلى الله عليه وسلم بنى بزينب ابنة جحش واولم بشاة وتمر وسويق وامر انسا بدعوة الصحابة فدعاهم فجعلوا يجيئون وياكلون ويخرجون ويجي اخرون الى ان بقي ثلاثة نفر فاطالوا المكث يتحدثون فتاذى رسول الله بذلك وكان شديد الحيا فنزلت الاية في حقهم اي ان ذلكم اللبث كان يؤذي النبي لضيق منزله فيستحيي منكم ان يامركم بالخروج منه وهذا من الاداب الشرعية فيستحب لمن زار احدا ولو بدعوة ان ينظر القيام للذهاب ثم يذهب ما لم يقل له امكث عندي وقد قال السلف رحم الله من زار وخفف. وقيل لبعضهم هل نزل في الثقلاء قرآن فقال نعم نزل فاذا طعمتم فانتشروا وللسيوطي تاليف لطيف في هذا **حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه** تقدمت ترجمته وقيد روايته عنه بقراءته عليه وهو يسمع وهو العرض والصحيح صحة ذلك الا انه اختلف في كونها دون قراءة الشيخ او مثلها او فوقها على ثلاثة اقوال وتفصيله في كتاب ابن الصلاح **حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد** بن عبد الرحمن بن حاتم المعروف بابن الطرابلسي وتكنيته بابي القاسم غير مكروهة لاختصاصه بحياته او لانه انما يكره الجمع بين الاسم والكنية والخلاف فيه مشهور **حدثنا ابو القاسم القابسي** بن محمد بن خلف الامام الحافظ منسوب لقابس بلدة بالمغرب وتقدمت ترجمته **حدثنا ابو زيد المروزي** بفتح الميم وسكون الرا المهملة وفتح الواو والزاي تقدم الكلام فيه وفي نسبته **حدثنا محمد بن يوسف** هو الفربري وقد تقدم **حدثنا محمد بن اسمعيل** هو البخاري وقد روى هذا الحديث مسندا في صفته صلى الله عليه وسلم وكذا اخرجه مسلم في فضائله **حدثنا عبدان** بفتح العين المهملة وسكون الموحدة والدال المهملة

والف ونون وهو عبد الله بن عثمان بن جبلة العتكي الحافظ توفي سنة احدى وعشرين ومائتين وخرج له اصحاب الكتب الستة **اخبرنا عبد الله** بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي الزاهد شيخ خراسان وسيدها له مناقب مشهورة روى عنه اصحاب الكتب الستة هم وغيرهم وتوفي سنة احدى وثمانين ومائة وولد سنة ثمان عشرة ومائة وقبره مشهور يزار **اخبرنا شعبة** تقدمت ترجمته **عن قتادة** تقدم ايضا **قال سمعت عبد الله مولى انس** هو ابن عتبة مولى انس وقيل اسمه عبيد الله مصغرا وذكره ابن حبان في الثقات مكبرا وهو يروي عن انس وعائشة وروى عنه كثير واخرج له اصحاب الكتب الستة وهو بصري صدوق ثقة **يحدث عن ابي سعيد الخدري** ابن مالك بن سنان وقد تقدم الكلام عليه وان الخدري بدال مهملة **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها** وهذا الحديث صحيح اخرجه الشيخان والترمذي وابن ماجه والمصنف اخرجه من طريق البخاري حياء ممدود تقدم معناه وبالقصر المطر وهو منصوب على التمييز المحول عن الفاعل والعذرا بعين مهملة وذال معجمة وراء مهملة وممد البكر الباقية بعذرتها وهي جلدة تلتحم بها الفرج فاذا جومعت زالت فيقال افتضها وازال عذرتها. والخدر بالخاء المعجمة المكسورة وسكون الدال المهملة وراء مهملة هو البيت او ستر في جانبه للبنت او قبة تضرب لها فان قلت البكر في خدرها بين اهلها وابويها وهي لا تحتجب عنهم ولا تستحيي منهم كما تستحيي من الاجانب فكان الظاهر ان يقال العذرا في غير خدرها المنافيه من المبالغة. قلت المراد بكونها في خدرها انه ما لم تخرج بسبا وتزوج ونحوه لانها اذا خرجت بذلك قل حياؤها وزال حجابها. وقيل المراد التقييم وان العذرا في خدرها اشد حياء لكنه مظنة للاجتماع بها والظاهر ان المراد تقييده بما اذا دخل عليها في خدرها لاجنبي تكون منفردة فالقياس محو ولا يخفى ما فيه فانه لا دلالة في اللفظ على ما قالوه فالحق ما سمعته اولا **وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه** كتغيره وغض بصره ونحوه والمراد انه اذا لم يكن في حد من حدود الله وحقوقه فلا يواجه احدا بما يكره كما قال الصرصري

فاق العذارى في الخدور حياؤه • لا جفوة فيه لصاحب او شاني

وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة البشرة بفتح البا الموحدة والشين المعجمة والرا المهملة هي ظاهر جلد الوجه والجسد كله ومنه البشارة لظهور آثار الفرح بها في الوجه وهذا كالعلة المتروكة لذلك في وجهه لانه للطف بشرته تظهر فيها ذلك وكذا قوله **رقيق الظاهر** اي ما يظهر من بدنه رقيق يظهر فيه لسرعة آثار الانفعالات النفسية ولا وجه لتفسيرها بانه يستحيي كما قاله التلمساني **لا يشافه احدا** اي لا يكلم احدا ولا يواجهه **بما يكرهه حياء وكرم نفس** منصوب مفعول له اي يترك ذلك تكرما منه لا خوفا ومداراة **وعن عائشة** هذا حديث رواه ابو داود في سننه مسندا **كان رسول الله عليه السلام اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا** البال هو الحال والشان وما استفهامية مبتدا او خبره عن بال وجملة يقول حال او مفسرة للبال **ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا** اشارة وكناية عما يكره فلا يعين الصانع او القائل وفلان وفلانة كناية عن اسماء الادميين والفلان والفلانة كناية عن اسماء غيرهم **ينهى عنه ولا يسمي فاعله** بصريح اسمه بل يكني عنه وينهيه عما انكره ماخوذ من

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الاستفهام الانكاري وسياق الكلام في قوله ما بال فلان يقال انه ليس في الكلام نهي وروى
انس هذا الحديث رواه ابو داود والترمذي والنسائي قالوا انه دخل عليه رجل به اثر
صفرة الصفرة اللون المعروف والمراد بها لون الورس والزعفران يعني انه كان خضب بذلك
فبقي بقية منها ولم يسم هذا الرجل فلم يقل له شيئا من نهيه عن ذلك ونحوه مما يكرهه كما اشار اليه
بقوله وكان لا يواجه احدا بما يكره اي لا يخاطبه شفاها ويقول في وجهه شيئا يكرهه وان
قاله احيانا في غيبته فلما خرج ذلك الرجل من مجلسه قال لو قلتم له يغسل هذا اي اثر
الصفرة والخضاب او ينزعها بفتح الزاي المعجمة يقال نزعه كسأله اذا ازاله والضمير
للصفرة والشك من الراوي وهما بمعنى ولو شرطية جوابها محذوف لتذهب لنفس كل مذهب
وتقديره اصبتم ونحوه وقيل انها مصدرية اي وددت قولكم هذا وخضاب هذا الرجل ان كان
في لحيته دل على منع خضاب اللحية بالحنا ونحوها ولا يعضده ما في البخاري عن قتادة انه سأل
انسا هل خضب النبي عليه السلام قال لا انما كان شيء في صدغيه اي شيء قليل من الشيب
لا يحتاج للخضاب لانه لا يدل على تركه لانه منهي عنه شرعا لعدم الحاجة اليه وكذا ما روي عنه
انه لم يخضب قط اي لعدم الحاجة اليه الا انه روي عن انس انه رأى شعر رسول الله مخضوبا
يعني بعد موته كما نقله ابن الجوزي فاختلف فيه الروايات روى جماعة انه كان يخضب بالصفرة
والورس والزعفران وكان عمر يفعله وجمع الكرماني بين الروايات بانه صبغ في وقت وتركه
في معظم الاوقات فاخبر كل بما رأى وقد امر بالخضاب بالصفرة وحث عليه وفعله وتبعه على
ذلك اكابر الصحابة فهو سنة من تركها فقد ترك سنة وانما ترك بعضهم لما فيه وهو احب
للنساء وارهب للعدو وكذا الخضاب بالسواد وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الخضاب
بالسواد وحمل على ما اذا كان فيه تدليس على النساء فما في هذا الحديث محمول على غير خضاب
اللحية بان يخضب يديه ورجليه او يجعل الصفرة في ثوبه فانه منهي عنه • وفي فتاوى ابن حجر
الهيتمي انه من غير حاجة كجرب ونحوه حرام لما فيه من التشبه بالنساء وصنف فيه رسالة
مستقلة وقوله يغسله او ينزعها دليل على انه كان في ثوبه ولو لم يحمله على هذا اشكل الحديث
والشراح لم يتعرضوا له قالت عائشة في الصحيح اي في الحديث الصحيح المروي عنها
كما اخرجه الترمذي لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا الفحش كل امر
قبيح او شديد القبح قولا او فعلا والفاحش من يصدر عنه ذلك والمتفحش من يتعمده ويبالغ
فيه والظاهر ان المراد به بذاءة اللسان هنا ويؤيده قوله ولا صخابا في الاسواق صخاب
بفتح فتشديد صيغة مبالغة من الصخب وهو رفع الصوت بمبالغة فيه وهو بالصاد والسين
وهكذا كل ما كان معه حرف حلق يجوز ابداله قياسا مطردا وخص الاسواق لانه فيها اقبح
ولانها محله واما في المنزل ونحوه فلا حاجة اليه ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن
يعفو ويصفح يعني انه كثير العفو فيما لا يكون من الحدود وحقوق الله والعفو ترك المؤاخذة
بالذنب والصفح الاعراض عن المسيء بحيث لا يخجله وقد تقدم شرحه وهذا الحديث مروي
في الصحيحين بطريق آخر عن عمرو بن العاص عن عطا بن يسار انه قال له اخبرني عن صفة
رسول الله في التوراة فساقه له في حديث طويل واليه اشار بقوله وقد حكي بالبناء للمجهول
مثل هذا الكلام الذي قالته عائشة عن التوراة من رواية عبد الله بن سلام بفتحتين
مخفف اللام وهو الصحابي المشهور وعبد الله بن عمرو بن العاص وهو وان كان قرشيا

٢٤

لكنه قرأ الكتابين وكان عالما بما فيهما ولذا سألوه عن صفة النبي فيهما • وقد اختلف في
تحريف اهل الكتاب كتبهم هل كان بتغيير عباراتها بنقص وزيادة او انه انما كان بمجرد التأويل
وصرف ما فيها عن ظاهره والصحيح ان كلا منهما واقع واذا كان كذلك علم وجه المنع من قراءتها وانه
حرام ولا يرد عليه ان بعضهم كان يقرأها لانهم تعلموها قبل اسلامهم وهم لا يخفى عليهم ما غير منها
والظاهر انه لا يمنع منه من عرف ذلك وقصد الرد عليهم وروي عنه اي عن النبي صلى الله
عليه وسلم هذا ذكره الامام الغزالي في الاحيا وقال الحافظ انه لم يجده في كتب الحديث ؃
ولذا قال السيوطي انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد ثبات البصر بمعنى اطالة
النظر من غير تخلل اغماض جفن ونحوه حتى كانه صار بصره قارا في المرئي كما قال المتنبي ؃

وخصر تثبت الابصار فيه • كان عليه من حدق نطاقا

فتخيل حقيقة الثبات فبنى عليه جعله كالنطاق وان كان فيه للادباء كلام وانه
كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره اي يورد المعنى القبيح عادة بطريق الكناية
لشدة حيائه كقوله حتى تذوقي عسيلته لان الجماع وذكره للمرأة يستحيى منه وذكره في الحديث
كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج رسول الله قط مع انه يجوز رؤية كل
احد من الزوجين فرج الآخر وفي حديث رواه ابن حبان النظر الى الفرج يورث الطمس اي العمى
فقيل عمى الناظر وقيل عمى اولاده وقيل المراد عمى القلب والمعنى انه لشدة حيائه لم يكشف
عورته عند احد قط كما ورد من كرامتي على الله اني لم يطلع احد على عورتي احد فاذكر ينطبق على
ما سيق له الكلام فان عائشة رضي الله عنها زوجته واقرب الناس واحبهم اليه وكان يضاجعها
وينام عندها فاذا لم تر ذلك لزم عدم كشفه عندها واذا لم يكشف عندها فبالطريق الاولى
عند غيرها وانما كنت عن ذلك ولم تصفه فتاولها فلله درها فهو كقولهم لا ارينك هنا
فلا يرفع الثياب الا وقد لاصقها فيكون سترة له حينئذ وهذا معنى قوله هن لباس لكم فلا
يتوهم ان عدم رؤيتها لغض بصرها حياء منه لا انه لم ينكشف عندها فافهم ؃

فصل وانما حسن عشرتهم

بكسر العين المهملة وسكون الشين المعجمة اختلاط المرء مع اهله واصحابه ومعاملتهم
وادبه بالرفع معطوف على حسن ويجوز جره ورجحه بعض الشارحين فلما ورد عليه ان
الادب لا يكون الا حسنا دفعه بان منه ما لا يحسن كادب اهل الدنيا مع كفارهم وهو انسب
بقوله ادبني ربي فاحسن تاديبي والادب استعمال ما يحمد قولا وفعلا والاخذ بمكارم
الاخلاق من المادبة وهي الطعام الذي يدعى له الناس وبسط خلقه تقدم معنى الخلق
وانه بضمتين او ضم فسكون والبسط نشر الشيء وتوسيعه ومنه البساط وورد البسط بمعنى
المسرة وعليه استعمالهم • وورد في الحديث فاطمة يبسطني ما يبسطها فليس من كلام المولدين
كما توهم ومن امثال العامة البسط صرف والمعنى هنا سعة خلقه ويجوز رفعه وجره نظرا
والاول اولى وليس بمتعين كما توهم ومعنى بسط الخلق هنا سعته لانه نال من الاخلاق الحسنة
اقصاها وغايتها مع اصناف الخلق تنازع فيه الالفاظ الثلاثة فهو قيد للجميع كما في
فبحيث انتشرت اي كثرت واشتهرت وهو جواب اما وهو خبر مبتدأ مقدر اي فهو بحيث
اي بمحل معلوم لكل احد به الاخبار الصحيحة قال علي في وصفه عليه الصلاة والسلام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي في شمائله **كان اوسع الناس صدرا** المراد
بسعة صدره تحمله المشاق وكثرة تكاليفهم قال تعالى فلا يكن في صدرك حرج اي ضيق **واصدق**
الناس لهجة في الصحاح اللهجة اللسان وقد تحرك واطلق واريد به الكلام مجازا مرسلا من
اطلاق المحل على الحال ووضع فيه الظاهر مقام الضمير لان كلا منهما صفة مستقلة ولا ينافيه
حديث ما من ذي لهجة اصدق من ابي ذر لان المراد تفضيله على امثاله والصدق ضد الكذب
وهو معنى وفيه ان في التفضيل في الصدق سؤالا وهو ان الصدق هو المطابقة للواقع فما
طابق فهو صدق وما لم يطابق فهو كذب فكيف يتصور التفاوت فيه حتى يكون هذا صادق
وذاك اصدق وهذا انما يرد لو كان التفضيل في كلام واحد او انواع منه محصورة اما لو اريد
كل كلام صدر عن متكلم فلا يرد ما ذكر **والينهم عريكة** اي اسهل الناس طبعا فهو دائم سلس مطاوع
منقاد قليل المخالفة لا تنفر فيه واصل العريكة السنام فهو في الاصل مجاز شاع حتى صار
حقيقة فيما مر **واكرمهم عشرة** اي يعامل الناس في معاشرته ومخالطته بكريم الاخلاق
فيعظم من يستحق التعظيم ويتلطف مع من دونهم **حدثنا ابو الحسن محمد بن مشرفة** بضم الميم
وفتح الشين المعجمة وفتح الراء المشددة وفا واسمه علي وله ترجمة في الميزان وسمع منه السلفي
وفيه كلام **الانماطي** جمع نمط وهو ثوب من صوف يطرح على الهودج والنسبة الى الجمع على راي
او لانه ملحق بالعلم كالانصاري لان المراد به صنعة مخصوصة وقيل انه على خلاف القياس
فيما اجازنيه وقراته على غيره فيه بيان لطريق التحمل وانه رواه عن غيره فانجبر الطعن
فيه وهذا الحديث رواه ابو داود والنسائي **قال حدثنا ابو اسحاق الحبال** بفتح الحاء المهملة
وتشديد الباء المشددة الموحدة والف ولام وهو الامام الحافظ المتقن محدث مصر ابو
اسحاق ابراهيم بن سعيد بن عبد الله النعماني التجيبي الفرا الوراق المصري ولد سنة احدى
وتسعين وثلثماية وسمع من احمد بن عبد العزيز بن صاحب المحامل وغيره وتوفي في سنة اثنين
وثمانين واربعماية وله احدى وتسعون سنة وترجمته مشهورة **حدثنا ابو محمد بن النحاس**
بحاء مهملة مشددة وهو الامام ابو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد بن اسحاق المصري
البزار سمع ابا سعيد بن الاعرابي وسليمان بن داود العسكري وجماعة كثيرين وكان ثقة
كما قاله ابن ماكولا **حدثنا ابن الاعرابي** هو الامام ابو سعيد الذي تروى سنن ابي داود
عنه **حدثنا ابو داود** سليمان بن الاشعث صاحب السنن الاربعة المشهورة **حدثنا هشام**
ابو مروان ومحمد بن المثنى قالا هشام بن خالد بن يزيد بن مروان الازرق الدمشقي الثقة
الثبت توفي سنة تسع واربعين ومايتين وترجمته في الميزان ومحمد بن المثنى ابو موسى
العنزي الحافظ توفي سنة اثنين وخمسين ومايتين **حدثنا الوليد بن مسلم** الحافظ احد
الاعلام اخرج له الجماعة الا انه رمي بالتدليس **حدثنا الاوزاعي** هو عبد الرحمن بن عمرو
بن محمد نسب للاوزاع وهي قبيلة من حمير او اسم قرية وهو عالم فقيه زاهد روى عن عطا
ومكحول وروى عنه كثيرون واخرج له اصحاب الكتب الستة وهو ثقة وله ترجمة مشهورة
سمعت يحيى بن ابي كثير بمثلثة كبير ضد القليل وهو من العباد وائمة الحديث توفي سنة
تسع وعشرين ومائة واخرج له الستة وترجمته في الميزان **حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن**
اسعد بن زرارة بضم الزاي المعجمة وهو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد
والي المدينة وهو ثقة اخرج له الستة وتوفي سنة اربع وعشرين ومائة **عن قيس بن سعد**

بن عبادة

بن عبادة بن دليم الخزرجي سيد الخزرج وصاحب شرطة رسول الله صلى الله عليه
وسلم اخرج له الستة واحمد وكان من الدهاة ذوي الراي طويل القامة جميلا جوادا
توفي بالمدينة في آخر خلافة معاوية رضي الله عنه **قال زارنا رسول الله** على عادته
في تفقد اصحابه وكان سعد بن عبادة دعاه رجل ليلا فخرج له فضربه بسيف فاشواه فجاءه
رسول الله يعوده **وذكر قصة** هي ما وقع له مع ابي بن سلول اذ مر به وهو جالس مع
اخلاط من المسلمين وغيرهم فغشي المجلس غبار دابته فخمر ابي بن سلول انفه بردائه
وقال لا تغبروا علينا ارجع الى رحلك فمن جاءك منا فاقصص عليه فاستب المسلمون
مع المشركين حتى هموا ان يتواثبوا فمنعهم رسول الله ثم ركب دابته حتى دخل على سعد
وذكر له ذلك فقال اعف عنه واصفح فلقد اتفق اهل هذه البحرة على ان يعصبوه
فلما رد الله ذلك بالحق الذي جئت به شرق بذلك فعفا عنه **في آخرها** اي آخر
القصة **فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا** ليركبه **ووطا عليه بقطيفة**
هي كساء له وبر وضعه على ظهر الحمار ووطاه له ليركب عليه ووطا بتشديد الطاء وهمزة
فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد لابنه **يا قيس اصحب**
رسول الله اي كن معه في خدمته وفي هذا الحديث انه لما جاء كان على حمار مردفا
خلفه اسامة بن زيد فسعد انما اعطاه حمارا ليركبه وحده ويبقى اسامة على الحمار الذي
جاء به ووهب سعد له ذلك الحمار **فقال قيس فقال لي رسول الله** اركب معي على
الحمار فابيت الركوب معه تادبا وفوزا بالمشي في خدمته **فقال اما ان تركب واما ان تنصرف**
اي ترجع ولا تمشي معي **فانصرفت امتثالا** لامره وفي رواية اركب امامي فصاحب
الدابة احق بصدرها وهذا وقع هنا في بعض النسخ والمراد بصدرها مقدمها وفيه
دليل على جواز الارداف ولو صاروا ثلاثة اذا لم تكن الدابة ضعيفة لا تطيق ذلك
وقيل ما فوق الاثنين مكروه وقوله صاحب الدابة باعتبار ما كان او هو لم يعلم بانه وهبها
له **وكان صلى الله عليه وسلم يؤلفهم** اي يؤلف المسلمين بايناسهم ومداراتهم
ليزداد من كان قريب عهد بالاسلام وليحسن من كان مخلصا بجبر خاطره والتودد اليه
ولا ينفرهم اي لا يتلقاهم بما يصير سببا لنفورهم وذهاب من كان قريب عهد من
المؤلفة قلوبهم **ويكرم كريم كل قوم** برعايته بما يليق به كما فعل مع عدي بن حاتم وغيره
ممن فيه في النسب **ويوليه عليهم** اي يجعل شريف القوم واليا عليهم اذا رجعوا الى ديار
كما ولى على وفد همدان مالك بن نمط **ويحذر الناس ويحترس منهم** لانه من الحزم
ان لا يركن لكل احد حتى يجربه **من غير ان يطوي عن احد منهم بشره** مع احترازه
منهم يلقاهم ببشره وبشاشته ولا يغير حاله معهم فبشره وانبساطه بساط
ممهد لهم فلا يطوي عنهم ما داموا عنده كما قال الشاعر

انما مجلس الكرام بساط ... فاذا ما مضى طوينا بساطه

ولا خلقه المشهود منه **يتفقد اصحابه** اي من فقده من اصحابه يسال عنه او
يزوره او يرسل اليه من يتعهده قال الراغب الفقد اخص من العدم لانه العدم بعد
الوجود والتفقد التعهد لكن حقيقة التفقد تعرف فقدان الشيء والتعهد تعرف
العهد المتقدم **ويعطي كل جلسائه نصيبه** اي يعطي كلا منهم ما يليق به ومما

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بشره ولو يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه اي لما يراه من لطفه به يظن
ان رسول الله يحبه اكثر من غيره من جالسه جلس عنده في ناديه او قاربه لحاجة
اي كان معه حال مشيه او سيره صابره اي صبر على سؤاله وذكر حوائجه حتى يكون
هو المنصرف عنه اي الراجع عن مقارنته ومجالسته ومن ساله حاجة لم يرده الا بها
اي اعطاه حاجته التي سالها منه او بميسور من القول كوعده او تسليته واو لتنويع
الخلق قال تعالى وقل لهم قولا ميسورا قد وسع الناس بسطه وخلقه بسطه مصدر بزنة
ضرب مضاف لضمير عائد له صلى الله عليه وسلم وهو مرفوع فاعل وسع بزنة علم وكذا خلقه
المعطوف عليه وقد تقدم معنى الخلق والجبلة فجعل بسطه بمعنى توسعته على الناس وبمعنى
بشره كالمكان الرحب وكذا خلقه الحسن جعله لين الجانب لهم كالمكان الرحب الذي تمكنوا فيه
فصار لهم ابا اي صار لجميع امته بمنزلة الاب في التلطف بهم والشفقة عليهم وهو لا ينافي
قوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم لان المنفي الابوة الحقيقية الا ان بعض علماء الشافعية
ذهب الى انه لا يجوز ان يقال له ابو المومنين كما يقال لنسائه امهات المومنين عملا بظاهر
هذه الاية وانما يقال انه كالاب ونص الشافعي على جوازه وهو الحق وكذا كل نبي اب
لامته ذكورا واناثا وكونه ليس ابا حقيقيا معلوم بالبداهة وانما نفاه في الاية ردا على
من انكر تزوجه بابنة زيد الذي تبناها وصاروا عنده في الحق سواء لان الله عصمه
من الاغراض النفسية الحاملة على الميل مع الهوى وكذا وصفه به ابن ابي هالة ربيبه
في الحديث الصحيح المروي عنه كما اشار اليه المصنف بقوله بهذا وصفه ابن ابي هالة
ابن خديجة ام المومنين بنت خويلد واسمه هند وابوه ابو هالة حليف عبد الدار
اختلف في اسمه فقيل نباش بن زرارة وقيل مالك بن النباش بن زرارة وكان تزوج خديجة
قبل النبي فولدت له هندا وهندا ولد يسمى هندا ايضا عده ابن منده وابو نعيم في الصحابة
وابوه هند من كبار الصحابة قتل مع علي في وقعة الجمل قال اي ابن ابي هالة في وصفه
صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث وكان دايم البشر بكسر الباء وسكون المعجمة
اي طلاقة الوجه وبشاشته لا يعبس في وجه احد سهل الخلق لا صعبا ولا حزنا
لين الجانب استعارة مصرحة شبه وصول كل احد له ولما يريده منه بشيء لين ياخذ منه
من جانبه ما يطلبه وقيل شبهه بجانب لين من الارض ليس بحزن ليس بفظ ولا غليظ الغليظ
الكريه الخلق مستعار من الفظ اي ماء الكرش وهو مكروه لا يتناول الا في شدة الضرورة
كما قاله الراغب والغلظ ضد الرقة واصله في الاجسام فاستعير للمعاني كما تقدم ولا صخاب
ولا عياب ولا فحاش اي لا ينطق بالفحشاء كالشتم ولا يعيب احدا اي يذكر عيوبه
ولا مداح لاحد بما يؤدي الى اضطرابه ولا لنفسه وهذه كلها صيغ مبالغة والمقصود
بها النسبة كتمار ولبان او المبالغة راجعة للنفي كما قالوه في قوله تعالى وما ربك بظلام
للعبيد وقيل المقصود به اصل الفعل وقول انس لعمر انت افظ واغلظ من رسول الله يقتضي
ثبوت ذلك له فقيل المقصود وجود اصل الغلظ فيه ونفيه عنه صلى الله عليه وسلم لا
حقيقة التفضيل والمراد اثبات ذلك على المشركين كما في قوله وليجدوا فيكم غلظة
كما ان المزح قد يستحسن في مقام دون مقام اذا كان في محله بخلاف ما اذا كان كذبا
ولذا قال احثوا التراب في وجوه المداحين على اصل الوجوه فيه يتغافل عما لا يشتهيه

فعله اذا راي شيئا لا يرضاه تغافل عنه حتى يظن انه ما رآه اذا كان ذلك مما لا يترتب
عليه اثم ولا يوبس منه مبني للمفعول وضمير منه له صلى الله عليه وسلم اي والحال
الهمزة التي كانت مفتوحة ومفعوله محذوف لقصد التعميم اي لا يوبس احدا منه اي يجعله
ذا الياس بحيث لا يرجوه فالضمير لما تغافل عنه وعلى هذا اقتصر بعض ارباب الحواشي
وقال تعالى فبما رحمة من الله الاية ما زائدة للتاكيد وقيل نكرة موصوفة ورحمة
بدل منه وقيل استفهامية للتعجب اي باي رحمة عظيمة لنت لهم ورده في المعنى بثبوت
الفاء وقال ان ما قبله ايضا لا يتجه كما فصله شراحه وليس هذا محل تفصيله والمعنى
انك لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا عنك اي تفرقوا ولم يجتمعوا عليك ولكنك بلين
جانبك لهم وشفقتك عليهم تولف قلوبهم وتزيل محبتهم وهذا امتنان عليه بما جعله الله
عليه من الاخلاق الحسنة وقد تقدم الكلام عليه وقال ادفع بالتي هي احسن الاية
التي هي احسن الصفح والتجاوز والاحسان في مقابلة السيئة ولا حاجة لتقييدها بما
لم يكن فيه وهن في الدين لانه لا يكون دفعا بالاحسن فان المراد به الاحسن عند الله
وقيل التي هي احسن كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل الامر بالمعروف والسيئة المنكر
وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام وقصد الحصر اي ادفع بهذا لا
بغيره وكان يجيب من دعاه لطعامه او لمنزله جبرا للخاطر وتعليما وتشريعا لامته سواء
كان المدعو اليه وليمة عرس او غيرها وفي الحديث اذا دعا احدكم اخاه فليجب وما قيل من
ان اجابة دعوة العرس واجبة لورود الامر في الاحاديث الصحيحة فلا يكون ذلك
للتفضيل ومكارم الاخلاق غير وارد لان المختار عدم الوجوب عند الشافعية
ايضا كما صرح به السبكي ولو سلم فهذا محمول على الاعم من الولائم وغيرها وليس في العبارة
ما يقتضي التخصيص ويقبل الهدية لا الصدقة ولو كانت كراعا لانه مقتضى التحابب
وكراع بضم الكاف وفتح الراء المهملة المخففة والعين المهملة وهي ما تحت الركبة الى الخف
والحافر والظلف ولو وصلية هنا تفيد التقليل كاتقوا النار ولو بشق تمرة وقيل الكراع
ما دون الكعب من الدواب وقيل كراع كل شيء طرفه وفي الترمذي عن انس بن مالك قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اهدي الي كراع لقبلت ولو دعيت الي كراع لاجبت
وكراع الثاني اسم مكان وهو كراع الغميم موضع بين مكة والمدينة والصحيح انه بالمعنى
السابق والمقصود المبالغة في ذلك اي اقبل الهدية ولو كانت حقيرة واجيب الدعوة
ولو كانت الى مكان بعيد ويطلق الكراع على الشاة نفسها وفي الحديث اذا دعي احدكم
فليجب فان كان مفطرا اكل وان كان صائما دعا بالبركة ويكافي عليها بالهمزة اي يجازي
على الهدية بشيء مثلها او اكثر لان المكافاة اصل معناها المساواة والمماثلة ومنه المسلمون
تتكافا دماؤهم اي تتساوى في القصاص وفي البخاري كان يقبل الهدية ويثيب
عليها واستدل به بعض المالكية على وجوب عوض الهدية اذا اطلق الواهب وكان ممن
يرجو الثواب كالفقير الذي يهدي للغني ولم يوافق عليه وقال انس وهو خادم النبي
صلى الله عليه وسلم خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين وفي رواية
مسلم تسع سنين ولا منافاة بينهما لانه خدمه تسع سنين واشهرا فتارة نظر للكسور وجعلها
سنة وتارة الغاها وكان عند ابي طلحة فانطلق به الى رسول الله وقال ان انسا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

غلام كيس فلينحمل مني فما قال أف قط هي كلمة تقال لما يكره ويتضجر منه وهي اسم فعل فيه لغات نحو الاربعين اشهرها ضم الهمزة وكسر الفاء المشددة قال الراغب اصل الاف كل مستقذر من وسخ وقلامة ظفر وما يجري مجراهما ويقال لكل مستقذر ويستخف به وافففت لكذا اذا قلت له اف وهمزته مثلثة وكذا فاؤه مع التنوين وعدمه وقد فصل لغاتها في البحر ومن لطائف السراج الوراق في مدح ابنه هـ

بني آذري بالكتاب العزيز • فزدت سرورا وزادا ابتهاجا
وما قال لي اف في عمره • لكوني ابا ولكوني سراجا

اي لم يتضجر من امر غير مرضي وقع مني وفيه دليل على زيادة حلمه وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وهذا الحديث رواه الشيخان وللسيوطي في نظم لغات اف ابيات مشهورة وعن عائشة رضي الله عنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بينت بعض ذلك بانه ما دعاه احد اي ناداه فقال يا رسول الله من اصحابه ولا اهل بيته خصهم لان العادة جارية بالمسامحة معهم الا قال لبيك قال السيوطي رواه ابو نعيم في دلائل النبوة بسند واه ولبيك كلمة يجاب بها المنادي والتلبية اجابة المنادي من ألب بالمكان اذا اقام بمكان لم يفارقه فكانه يقول انا ثابت على اجابتك ولا يستعمل الا بلفظ التثنية كانه قال اجابة بعد اجابة والمراد التكثير كقوله فارجع البصر كرتين وهو منصوب على المصدرية بعامل لا يظهر وتغلب اضافته لضمير المخاطب وقد يضاف لغيره كما فصله النحاة ولا يجاب به الا من يعتنى باجابته ويعظم ولذا يقول الحاج ففي اجابة الرسول اتباعه بذلك رعاية مقامهم وتعظيمهم وهو من خلقه العظيم كما كان يخاطب القادم مرحبا كقوله مرحبا بام هاني وقال جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك البجلي سيد قومه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر من الهجرة على الصحيح لا قبل موته باربعين يوما كما قيل ولما قدم قال يطلع عليكم خير ذي يمن وكان جميلا حتى قال عمر انه يوسف هذه الامة وارسله النبي لذي الخلصة وهي الكعبة اليمنية وكان فيها صنم فخربه وقد قيل من عنده ما حجبني رسول الله منذ اسلمت قط اي ما منعني من الدخول عليه في بيته وقد استاذنته لا مطلقا حتى يقال كيف يدخل على غير محرم حتى يجاب بان المراد في مجلس يختص بالرجال والمراد ما منعني ما سالته واسلامه كان في رمضان سنة عشر ولا رآني الا تبسم وفي رواية الا ابتسم في وجهي وهذا الحديث رواه الشيخان والتبسم مبادي الضحك بحيث يبدو اقل الاسنان فان زاد بلا صوت فضحك فان كان بصوت فهو قهقهة وضحكه صلى الله عليه وسلم في اغلب احواله التبسم وربما زاد على ذلك كما ورد انه ضحك حتى بدت نواجذه وقيل انه اريد به مجرد المبالغة لا الحقيقة بناء على انه لم يقع منه ذلك والاصح الاول وكثرة الضحك تذهب الوقار وهو مكروه لحديث كثرة الضحك تميت القلب فان لزمه استهزاء باحد وغيبة فحرام وكان يمازح اصحابه الممازحة تكون بالكلام والفعل ملاطفة وكونه انما يحمل من الكبار احيانا بحيث لا تؤدي الى اذية صاحبه والمداعبة قريبة منها ولكن بينهما فرق وكان صلى الله عليه وسلم يمزح احيانا ولا يقول الا حقا ولكنه يوري في كلامه كما قال لبعض العجائز انه لا تدخل الجنة عجوز لانهم يعودون في سن الشباب ولله در القائل هـ

افد طبعك المكدود بالهم راحة • بانس وعلله بشيء من المزح
ولكن اذا اعطيته المزح فليكن • بمقدار ما يعطى الطعام من الملح

والمزاح بضم الميم اسم وبكسرها مصدر كالمزح وكثرته مذمومة كما قال هـ

فاياك اياك المزاح فانه • يجري عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه من كل سيد • ويورثه من بعد عزته ذلا

والصحيح انه جائز وقيل انه مكروه والاصح الاول بشروط وكان كبار السلف يمزحون وقد قيل الناس في سجن ما لم يتمازحوا وورد في الحديث انه كان افكه الناس وكان مزاحا ولا يقول الا حقا ويخالطهم ويحادثهم تانيسا لهم وجبرا لقلوبهم ويداعب صبيانهم يداعب بالدال المهملة والمداعبة الممازحة مع لعب ولذا خصه بالصبيان كما قال محمود بن الربيع الجزري عقلت مجة مجها في وجهي النبي صلى الله عليه وسلم وانا ابن خمس سنين ويجلسهم في حجره كما فعل مع ام قيس اذ اتته بابن لها صغير لم ياكل الطعام فاجلسه في حجره فبال على ثوبه فدعا بماء فنضحه ولم يغسله وحجر بكسر الحاء المهملة وفتحها معروف وهو ما كان من ثوبه على فخذيه وهو جالس ويجيب دعوة بفتح الدال المهملة العبد والحر والامة والمسكين قال السيوطي اجابته دعوة العبد رواها البزار عن جابر والترمذي وابن ماجه عن انس فلا وجه لما قيل اني لم اقف عليه الا في صحيح البخاري من انه اتى غلاما خياطا فاتاه بقصعة فيها ثريد فجعل يتتبعه وكان صلى الله عليه وسلم يعلم طيب انفسهم بما يملكونه لهم فلا يقال كيف اكل ما في يد العبد وهو مما يملكه لسيده او يقال كان مكاتبا او المراد بالعبد من مسه الرق ولو قيل دعوته وقدم العبد اهتماما لبيان انه كان يجيب دعوته مع حقارته بالنسبة للحر واخرج الترمذي بسنده عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المرضى ويشهد الجنائز ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد وروى البيهقي دعوة المملوك في اقصى المدينة اي في ابعد مكان منها وعيادة المريض سنة مؤكدة لا سيما ممن يتبرك بعيادته لما فيه من التسلية وتاليف القلوب وقيل انها فرض كفاية ولا تختص بمرض وقيل ثلاثة لا عيادة فيها رمد العين ووجع الضرس وانه لا يعاد المريض الا بعد ثلاثة ايام وورد ذلك في حديث ضعيف واختلف في عيادة الذمي فقيل تجوز اذا كان يرجى اسلامه او تضمن مصلحة ويقبل عذر المعتذر المعتذر كل من ابدى عذرا سواء كان له حقيقة ام لا وسواء كان من شانه ان يقبل ام لا ولذا لم يقل المعذور لان من له عذر وعدم قبوله منه مذموم وقبول اعتذاره عفوه عن جنايته وعدم مؤاخذته به لانه من تمام المروءة وهذا كما قيل عذر من تخلف عن تبوك ووكل سرائرهم الى الله وكقبوله عذر حاطب بن ابي بلتعة لما كتب لاهل مكة يخبرهم بمسيره صلى الله عليه وسلم لاهل مكة وقبل صلى الله عليه وسلم اعذار المنافقين حتى كذبهم الله وقال انس قال السيوطي هذا الى قوله بين يدي جليسه رواه ابو داود والترمذي والبيهقي في الدلائل واخرجه البزار عن ابي هريرة وابن عمر ما التقم احد اذن رسول الله عليه الصلاة والسلام اي ما جعل احد اذنه مقابلة لفمه ليحادثه وقال الشمني ما حادثه احد عند اذنه فجعله استعادة ولم يحمله على حقيقته وانه فعله للتبرك كما وقع لجابر في التقامه خاتم النبوة لانه لفظ مشعر بكثرة ذلك ووقوع مثله كثيرا مستبعد جدا فقصة جابر لما اردفه وامكنه ذلك لسهولته وايضا في مثله

محادثه

سوء ادب ومنافاة لغرضه فانه اذا ادخل اذنه في فيه لم يمكنه ادارة لسانه ومناجاته
وفي النهاية في الحديث ان رجلا القم عينه خصاصة الباب اي جعل الشق الذي في الباب
محاذي عينه فجعله للعين كاللقمة في الفم انتهى فجعله استعارة كما هنا وهذا لاينافي ما
في الصحيح عن ابن مسعود انه قال والله لآتين النبي فاتيته وهو في ملاء فساررته
فغضب حتى احمر وجهه وقال رحم الله موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر لانه لم يغضب
من المسارة بل مما كلمه به والاذن بضم الهمزة وضم الذال المعجمة وقد تسكن **فينحي رأسه**
عنه اي يبعدها ويجعلها في ناحية منه **حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه** اي حتى
يفارقه او ينفصل منه قليلا **وما اخذ احد بيده** اي امسكها **فيرسلها بيده** اي يطلقها
ويفكها من يده وهو مجاز من ارسل الرسالة اذا بعثها وظاهر كلام ابن القوطية انه معنى حقيقي
ان كانت اليد الثانية يد الآخذ فليس من وضع الظاهر موضع الضمير والا فهو منه **حتى
يرسلها الآخذ** غاية لترك ارسالها اي الى ان يرسلها الآخذ بالمد اسم فاعل من الاخذ
وفي البخاري ان كانت الامة لتاخذ بيد رسول الله فتنطلق به حيث شاءت وعن احمد فما
ينزع يده من يدها وهو عبارة عن الانقياد لشدة تواضعه وتنزهه من التكبر وقوله **ولم
ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له** من جملة حديث انس ففي المصابيح انه كان اذا
صافح الرجل لم ينزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه
حتى يكون هو الذي يصرف وجهه او هو رواية اخرى وهو الظاهر لما بينهما من المخالفة
في معنى لم ير مقدما الخ انه يخفض ركبتيه تعظيما لجلسائه وقيل المراد بالركبتين الرجلين
اي كان لا يمد رجليه في مجلسه لما روي في حديث آخر انه لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه
كما سيأتي يعني انه كان يساوي جلسته ولا يتقدم عليهم بركبته حتى كان الغريب يجيء
فلا يعرفه ويسال عنه **وكان يبتدئ** اي يبتدئ **من لقيه بالسلام** من تعميم العموم
اي كل احد لقيه صغيرا او كبيرا الا في موضع لا يستحب السلام فيها واما الكفرة فلا يسلم
عليهم وجوز بعضهم ابتداءهم بالسلام ايضا **ويبدأ اصحابه بالمصافحة** مفاعلة
من الصفح اي يجعل صفحة يده على صفحة يدهم وفي الحديث تمام تحيتكم بينكم المصافحة وهي
سنة عند التلاقي وكانت الصحابة تفعله واذا قدموا من سفر لقيا تعانقوا وكانت الصحابة
تقبل يده ايضا وهي مستحبة ايضا للكبير وكرههما مالك اما اذا كان على وجه التكبر فيكره
وقال النووي انه يستحب لاهل الشرف والصلاح واما لاهل الدنيا فمكروه ٭ وقال فقهاؤنا
لا باس بالمصافحة لانها سنة متوارثة لما ورد في الحديث تصافحوا وقيل انه من الصفح ٭
والعفو اي ليصفح احدكم عن غيره ولا يناقشه والمشهور الاول واما بعد صلاة الجمعة ٭
والعيد فقالوا انه بدعة وهو من فعل المشايخ كانهم كانوا في الصلاة غائبين عمن حضرهم
ومن كان هذا حاله لا يكره منه **لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما
على احد** هذا اشارة الى انه كان ذلك في مجلس يكثر فيه الناس اما اذا كان وحده او في
قليل من خواصه فكان قد يتكئ وقد يضع رجله على الاخرى كما ورد في بعض الاحاديث
يكرم من يدخل عليه بالقيام له وبسط طنفسة كقيامه لسعد بن معاذ ولما قدم قال
قوموا لسيدكم وكره بعضهم القيام مطلقا لحديث من احب ان يتمثل الناس له قياما وجبت
له النار وحمل هذا على عادة الاعاجم في وقوف الناس بين ايديهم اما القيام للعلماء والصلحاء

فمستحب

فمستحب وكان النبي اذا جاء قام له الصحابة وممن ذهب للكراهة ابن حجر وقال قوله
قوموا لسيدكم انما كان لانه قدم على حمار وكان مريضا وفي رواية قوموا اليه فانزلوه
ورد بانه لو كان كذلك لم يامر جميع الناس بالقيام له ولذا استدل النووي به وفيه نظر
وربما بسط له اي لمن يدخل عليه **ثوبه** تعظيما له كما فعل ذلك لعدي بن حاتم ولاخته من
الرضاعة لما اتته **ويؤثره بالوسادة** الايثار تقديم غيره بالوسادة على نفسه في بعض
الامور والوسادة ما يتوسد اي يوضع تحت الرأس وهي التي تسمى مخدة ويقال الاسادة بالهمزة
ووساد بدون هاء وقضية قوله التي تحته كما في البخاري انها فراش يجلس عليه وكانت
محشوة بالليف وقال عدي بن حاتم دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من الرجل فقلت
عدي بن حاتم فقام وانطلق بي الى بيته فوالله لعامد بي اذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة
فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها فقلت في نفسي والله ما هذا بملك ثم
مضى حتى دخل بيته فتناول وسادة من ادم محشوة ليفا فقذفها وقال لي اجلس على هذه
فقلت بل انت فاجلس عليها فجلس على الارض وصارت الوسادة بيني وبينه فانظر لمكارم
هذه الاخلاق فقلت والله ما هذا بملك وهذا يدل على ان الوسادة فراش لا مخدة ولا عبرة
بتفسير الجوهري لها بالمخدة فقط **ويعزم عليه بالجلوس** اي يقسم عليه ان يجلس
على وسادة بان يقول بالله اجلس انت قال في التهذيب يقال عزمت عليك لتفعلن كذا
اي اقسمت انتهى وهو ماخوذ من العزم وهو التصميم في الامر **عليها** اي على الوسادة
ان ابى اي امتنع من الجلوس حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم **ويكني اصحابه**
اي يضع لهم كنية كابي فلان او يدعوهم بالكنية تكرما **ويدعوهم** اي يناديهم **باحب
اسمائهم تكرمة لهم** اي يفعل ذلك لاجل اكرامهم وتعظيمهم تلطفا وتاديبا معهم فان
نداء المرء بكنيته تعظيم ولذا كان يكني من لا كنية له كما قال للطفل الذي كان معه طائر
يسمى نغيرا يا ابا عمير ما فعل النغير وفيه دليل على جواز تكنية من لا ولد له على عادة
العرب تفاؤلا بان يعمر ويرزق اولادا خلافا لمن منع ذلك وقال انه خلاف الواقع فهو
كذب واخرج الطبراني عن ابن مسعود قال كناني النبي صلى الله عليه وسلم ابا عبد الرحمن
قبل ان يولد لي وسنده صحيح وعن بعض السلف بادروا ابناءكم بالكنى قبل ان تغلب
عليهم الالقاب وكره بعضهم تكنية المرء نفسه الا لقصد التعريف وقال النووي يجوز
تكنية الكافر بشرطين الاول ان لا يعرف الا بكنيته الثاني ان يخاف من ذكر اسمه فتنة فالاول
كابي طالب والثاني كابي الحباب لابن سلول وفيه نظر وقد تكون لامر آخر كابي لهب فانه
اشارة الى انه جهنمي وفعل به ذلك لحسن وجهه **ولا يقطع على احد حديثه** اي من يحدث
عنده يصغي اليه ولا يقطع حديثه بكلامه بكلام آخر او قيامه او نهيه عن الكلام فان
مثله يؤذي المتكلم **حتى يجوز** بياء وتاء مفتوحتين وواو مشددة وزاي معجمة غاية
لترك قطع حديثه اي حتى يكثر فيتجاوز الحد او يخرج الى ما لا يليق من الكلام فهو من التجاوز
او من الجواز **فيقطعه بنهي** عن الكلام **او قيام** من مجلسه اعراضا عنه وهو مفرد لنهيه
عنه **ويروى بانتهاء او قيام** والنهي بمعنى الانتهاء اذ الروايات تفسر بعضها بعضا وهنا
وقع في بعض النسخ فالمعنى حتى يجوز ذلك في حديثه فيقطع حديث نفسه اما بسبب انه
انتهى ولم يبق منه شيء او لقيامه عن المجالس والتجوز على هذا بمعنى التخفيف والتقليل منه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقيل معناه ينطق بما هو غير حقيقي كان يتكلم بما يليق ويروى انه كان لا يجلس اليه احد
اي لا يجلس متوجها اليه وهو المراد بلا يجلس عنده وهو يصلي الا خفف صلاته اي
اسرع فيها فقطعها والتخفيف ضد التطويل وسأله عن حاجته واذا فرغ من كلامه وبان
حاجته عاد صلى الله عليه وسلم الى صلاته التي كان فيها وقال البرهان الحلبي هذا الحديث
منكر وقد ذكره في الاحيا في آداب المعيشة وقال العراقي في تخريج احاديث الاحيا لم اجد
له اصلا انتهى ولذا قيل لو اورد حديث الصحيحين اني لاقوم الى الصلاة اريد ان اطول فيها فاسمع
بكاء الصبي فاتجوز في صلاتي كراهة ان اشق على امتي فانه متفق عليه وهو في معنى حديث
الاحيا وكان اكثر الناس تبسما وقد تقدم معنى التبسم وما يتعلق به واطيبهم نفسا
اي لم يكن مغتاظا وعبوسا في مجلسه لطيب نفسه وهذا وما بعده حديث رواه احمد والترمذي
بسند حسن ما لم ينزل عليه قرآن او يعظ او يخطب قال الشيخ قاسم ابن قطلوبغا
في تخريج احاديث هذا الكتاب عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال ما رايت اكثر تبسما
من رسول الله رواه الترمذي وقال غريب وقد تقدم وعن علي والزبير كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه اخرجه احمد وابو
يعلى في حديث الزبير من غير شك وعن جابر بن عبد الله كان اذا خطب النبي صلى الله عليه وسلم
اذا نزل الوحي عليه قلت نذير قوم فاذا سري عنه فاكثر الناس ضحكا اخرجه الطبراني في
وفيه ابن ابي ليلى سيء الحفظ وعن علي والزبير كان رسول الله يخطب فيذكرنا بايام الله حتى
يعرف ذلك في وجهه فكانه نذير قوم يصبحهم الامر غدوة اخرجه احمد وابو يعلى في حديث
الزبير من غير شك وعن جابر بن عبد الله كان اذا خطب احمرت وجنتاه واشتد غضبه
انتهى وكونه لا يتبسم في هذه الحالات لتوجهه عند نزول الوحي وتادبه معه وفيما بعده
لانه مقام انذار وخوف وتخويف قال عبد الله بن الحارث بن جزء بن عبد الله بن معدي كرب
بن عمرو الزبيدي الصحابي سكن مصر ومات بها سنة خمس او سبع وثمانين وهو آخر من مات بها
ببلدة تسمى سفط قريبة من سمنود بالغربية وقيل مات باليمامة حكاه ابن منده عن ابن يونس
وقال انه شهد بدرا ولا يصح وفيه كلام ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى
الله عليه وسلم لان طلاقة الوجه من مكارم الاخلاق وفي الحديث تبسمك في وجه اخيك
صدقة وعن انس كان خدم المدينة خدم بفتحتين بزنة حسن جمع خادم وفعل جمع فاعل
جا في الفاظ محصورة نظمها ابن مالك وقيل انه اسم جمع وهو بالتاء كثير نحو كملة جمع كامل
والمراد بالخدم العبيد والجواري وهذا الحديث رواه مسلم وهو حديث صحيح ياتون رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة اي الصبح بآنيتهم فيها الماء جمع اناء ككساء
واكسية وهو ما يوضع فيه الشي والاواني جمع الجمع وكثير من الناس يظن الآنية مفردا
وظاهر قوله فما يؤتى باناء الا غمس يده فيها يوهم ذلك وربما كان ذلك اي
اتيانهم بالاواني وغمس يده فيها في الغداة الباردة والغدوة والغداة اول النهار
ووقع في القرآن الغدو والآصال والغداة والعشي ووصفها بالبرد اشارة لما فيه من
زيادة تحمل المشاق لاجل التلطف مع الناس وانما فعلوا ذلك تبركا باثاره وما مسته يده
الشريفة يريدون التبرك به يحتمل انه من كلام المصنف فان البغوي رواه في مصابيحه
بدون هذه الزيادة وفيه ارشاد للتبرك بآثار العلما والصلحا والله اعلم •

فصل واما الشفقة

فصل واما الشفقة والرافة والرحمة لجميع الخلق

والفرق بين هذه الثلاث ان الشفقة رحمة ورقة قلب وخوف من نزول مكروه بمن
يشفق عليه كما في الاساس والرافة التلطف بمن يريد اكرامه بالبشر والايناس كما قال قيس
الرقيات
ملكه رافة ليس فيه • جبروت يرى ولا كبرياء
فمقابلتها بالجبروت صريح فيه وليست اشد الرحمة كما توهمه وان استعملته بهذا المعنى كما مر
تحقيقه فما قيل انها ارق من الرحمة ولا تكاد تقع في الكراهة كالرحمة وقوله لجميع الخلق يعني
انها لا تختص باحد كرحمة غيره لقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فقد قال الله تعالى
عنه اي في حقه وصفته عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم
عزيز من عز بمعنى اشتد وصعب والعنت المشقة اي يصعب عليه مشقتكم وما يؤلمكم
لرافته ورحمته وقد تقدم الكلام على هذه الآية وقوله بالمؤمنين لا ينافي قوله لجميع الخلق
فلا يرد انه ينبغي ان يقتصر على قوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقد اشار المصنف
لدفع هذا في الفصل الاول من ان صدر الآية عام والرحمة المخصوصة بالمؤمنين لا ينافي العموم
فكانه يشق عليه لعموم رحمته كلما يقع بهم لحرصه على هدايتهم وارشادهم فهي مطابقة لهذه
الآية كما يعلم من كلامه هناك وقد تقدم ما ذكر لانه اسم وذكره هنا لغرض آخر كالآيات المكررة
في القرآن فلا وجه لما قيل انه تكرار لا فائدة فيه لزيادة على المقصود ولو تركه على ما قلنا
كان اولى به لكنه حريص على العنت كما لا يخفى قال بعضهم من فضله عليه السلام ان الله
اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤوف رحيم تقدم الكلام على هذا واعاده هنا
لمعنى آخر فلا تكرار فيه • فائدة قال السيوطي ظاهر كلام المفسرين ان الرحيم يوصف به
غير الله بخلاف الرحمن لكن اخرج ابن ابي حاتم الرحيم لا يستطيع الناس ينتحلونه ويظهر لي ان
مراده المعرف باللام دون المنكر والمضاف انتهى وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك
تقدم الكلام عليه وعلى اسمه واسم ابيه وهو امام جليل بلغت تصانيفه اكثر من مائة مصنف
جليل توفي سنة ست واربعمائة حدثنا الفقيه ابو محمد بن محمد الخشني بقراءتي عليه
وهو عبد الله بن ابي بكر بن ابي جعفر بن محمد الخشني بضم الخا وفتح الشين المعجمتين ونون
نسبة لخشينة مصغر اسم قبيلة ولد سنة سبع واربعين واربعمائة ومات بمرسية من
بلاد المغرب سنة ست وعشرين وخمسمائة وتقدم الكلام على قوله بقراءتي عليه حدثنا
امام الحرمين ابو علي الطبري هو الامام ابو عبد الله ويقال ابو الحسين بن علي شيخ الحرمين
ومحدثه بمكة والطبري منسوب لطبرستان او لطبرية والاول اصح حدثنا عبد الغافر
الفارسي الامام الزاهد العدل ابو محمد عبد الغافر بن محمد الفارسي احد رواة مسلم المشهور
بالرواية عن الجلودي ولد سنة احدى وخمسين واربعمائة وتوفي سنة سبع وعشرين [illegible]
وعمره ثمان وسبعون سنة حدثنا ابو احمد الجلودي تقدم الكلام عليه وعلى نسبته
وانه يجوز فيه فتح الجيم وضمها وقد قيل هنا ان عبد الغافر لم ير الجلودي ولا روى عنه صحيح
مسلم وانما الراوي جده ابو امه واسمه عبد الغافر ايضا لجده لكنهما اختلفا كنية واسما
فان كنية الاول ابو الحسين مصغرا واسم ابي الاول محمد وهذا اسماعيل وتاريخ موتهما مختلف
وهذا لم يدرك الجلودي وقال السبكي في طبقاته بين هذا وبين الجلودي اثنان وهذا مما لم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ينبه عليه البرهان مع اطلاعه وهو مما ينبغي التنبه له حدثنا ابراهيم بن سفيان
تقدم ايضا وسين سفيان مثلثة حدثنا مسلم بن الحجاج الامام المشهور صاحب الصحيح
وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو الطاهر احمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح بمهملات
بن نه ضرب الاموي مولاهم المصري روى عنه اصحاب السنن وغيرهم ووثقه النسائي
وقال ابو حاتم لا باس به وكان فقيها صالحا ثبتا توفي في ذي القعدة سنة خمسين ومايتين
انا ابن وهب ابو محمد عبد الله الفهري احد الاعلام روى عنه الستة الا .... وتوفي في سنة
سبع وتسعين ومائة اخبرنا يونس بن يزيد الايلي بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية
واللام وياء النسبة احد الاثبات روى له اصحاب السته وهو ثقة ثبت توفي سنة تسع
وخمسين ومائة وله ترجمة في الميزان وفي يونس ست لغات تثليث النون مع الواو والهمز
عن ابن شهاب الامام ابو بكر بن مسلم الزهري وقد تقدم قال غزا رسول الله غزوة
وذكر حنين تقدم الكلام على حنين قال البرهان الحلبي الراوي اذا قدم الحديث على السند
كان يقول كان رسول الله كذا اخبرني به فلان ويذكر سنده او قدم بعض الاسناد ثم المتن
كما هنا فيه قال بعد هذا قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان بن امية الخ فهو اسناد
متصل ولا يمنع ذلك الحكم باتصاله كما لو ذكر الاسناد بتمامه اولا وقال ابن الصلاح ينبغي
ان يكون فيه خلاف كتقديم بعض المتن على بعض وحكى الخطيب المنع من ذلك على القول بان
الرواية بالمعنى لا تجوز والجواز على القول بانها تجوز ولا فرق بينهما في ذلك انتهى وفي جعله
كالرواية بالمعنى خفاء قال فاعطى رسول الله صفوان بن امية بن وهب بن
خلافة بن جمح القرشي الجمحي الصحابي وكنيته ابو وهب اسلم بعد الفتح وشهد مع رسول الله
حنينا والطايف وهو مشرك ثم اسلم وحسن اسلامه بعد ما كان من المولفة قلوبهم
وكان رئيس بني جمح وكان يعادي النبي ويوذيه اذية زايدة مع ما بينهما من الرحم
فجازاه على اساته بالاحسان الزايد اليه مائة من النعم ثم مائة ثم مائة والنعم
اسم جمع للابل ولا واحد له من لفظه وجمعه انعام وقال العزيزي هو الابل والبقر
والغنم قال ابن شهاب حدثني سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطاني
ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي
بعد ما كان اشد الناس عداوة للنبي الله يوم بدر ولما شهد وهو كافر حنينا ثم رجع
رسول الله الى الجعرانة فبينا هو يسير في الغنايم ينظر اليها ومعه صفوان جعل صفوان
ينظر الى شعب ملى نعما وشاء وادام النظر اليها ورسول الله يرمقه فقال له ابا وهب
يعجبك هذا الشعب قال نعم قال هو لك وما فيه فقال صفوان ما طابت نفس بهذا الا نفس
نبي اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واسلم وكانت زوجته اسلمت
قبله واقر النبي صلى الله عليه وسلم نكاحه عليها واختلف فيما كان يعطيه للمولفة هل
هو من خمس الخمس الذي هو حقه او من الخمس او من الغنايم واما اعطا مولفة الكفار
فكان جايزا في صدر الاسلام وهل هو من الزكاة او من بيت المال ثم سقوا منه في
خلافة الصديق او في خلافة عمر فان قلت ما مناسبة هذا الحديث لما عن
فيه قلت لانه اعطى صفوان فيما بينه وبينه من الرحم خوفا عليه ان يستمر على عداوته
وكفره فيهلك فاحسن اليه حتى يحسن اسلامه شفقة عليه من ان تحل به النقمة

والعذاب وقد تقدم اعطاوه اكثر من ذلك ويروى ان اعرابيا جا يطلب من النبي
شيا فاعطاه هذا الحديث رواه البزار عن ابي هريرة بسند ضعيف وابن حبان ولم
يسموا الاعرابي ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت الذي في
النسخ احسنت بهمزة واحدة فهمزة الاستفهام مقدرة كقوله

ثم قالوا تحبها قلت بهرا • عدد الرمل والحصى والتراب •

ومثله كثير مقيس والاستفهام استفهام تقريري وقوله لا رد لقوله احسنت واجملت
بمعنى فعلت فعلا جميلا محمودا وقال معناه ما اعتدلت في الاخذ والعطا وما اكثرت
وهذا اولى والا للغة لا اتساع له وانما جملة عليه المصوب من التكرار ولا تكرار فيه لانه من
ذكر العام بعد الخاص ومثله لا يعد تكرارا لما فيه من المبالغة وفي هذا غلظة وسوء ادب
فغضب المسلمون من كلامه وجراته عليه صلى الله عليه وسلم وقاموا اليه
ليضربوه ويجازوه بما يستحقه فاشار اليهم ان كفوا اي اشار بيده اليهم اشارة
يفهم منها الامر بكفهم اي تركهم ما ارادوه وان تفسيرية او مصدرية على الخلاف
المشهور عند اهل العربية وهذا من جملة رافته وشفقته تالفا ليحسن اسلامه ثم
قام من مجلسه ودخل منزله وارسل اليه عطية وزاده اي زاد على ما اعطاه
اولا ثم قال احسنت اليك فيه مقدر وهو خرج وقال له ذلك قال نعم
احسنت الي فجزاك الله على احسانك ولطفك بي من اهل وعشيرة خيرا فقوله
جزاك وما بينهما اعتراض والفا تفريعية وسببية لما تضمنه وقيل انها فصيحة
في جواب شرط مقدر او عاطفة على مقدر اي احسنت واجملت فجزاك الخ ومن في من
اهل قيل انها بدلية مثلها في قوله جعلنا منكم ملايكة في الارض اي بدلكم فالمعنى بدلا
من اهلي وعشيرتي الذين لم يحسنوا الي وقيل ليس هذا مراده بل مراده انه صار اهلا
له وعشيرة اي قبيلة اما الفضل فعل العشيرة وهذا كما يقولون للقادم اهلا وسهلا
او لما تقدم من ان له في كل قبيلة قرابة وعرفا ومن اما فعلية كما في قوله فويل للقاسية
قلوبهم من ذكر الله اي لاجل ذكر الله واما كونها للفصل والتمييز كما في قوله انا نوت
الذكران من العالمين اي ممتازين من بين العالمين بهذا الفعل القبيح فبعيد جدا
ثم انه صلى الله عليه وسلم زاد لطفا فارشده بقوله انك قلت ما قلت في جوابك
وردك علي وفي انفس اصحابي من ذلك شي تنكيره اما للتحقير اي شي حقير لا
يعتد به عندي او للتعظيم اي امر عظيم عندهم لاذيته النبي صلى الله عليه وسلم
ووضع اسم الاشارة موضع الضمير لجعله كالمشاهد المحسوس لاستحضاره فيذكرهم
بما وقع منه من الامر العجيب فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي
على قوله علي محبته وازادته لطفا منه واي لطف مع انه ذنب عظيم ينبغي التنصل
منه وفيه من الشفقة بالامة ما لا يخفى وبين الايدي كناية عن حضوره وعقله لهم
وليس المراد البينية الحقيقية بل المقابلة مع القرب وقد يعبر به عن المستقبل نحو يعلم
ما بين ايديهم وما خلفهم حتى يذهب ما في صدورهم عليك اي الغضب والاثم الذي
في قلوبهم بسبب ما قلته اولا قال نعم اي اقول لهم ما قلت لك فلما كان الغد
والعشي المراد بالغد صبيحة اليوم الذي بعد اليوم الذي كلمه فيه النبي والمراد

الألوكة
www.alukah.net

من طلوع الفجر الى الزوال والعشي ما بعد الزوال والشك من الراوي هنا جاء اي الاعرابي الى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه الحاضرين عنده ان هذا الاعرابي قال ما قال اي اولا اذ اساء ادبه لغلظ طبعه ولذا وصفه بالاعرابي لما عرف من حال الاعرابي فزدناه على عطايه الاول فزعم انه رضي بجملة ما اعطيناه له والزعم هنا بمعنى القول الحق وهو يستعمل بهذا المعنى كثيرا كقول الشاعر هلكنا ولكن ان هلكت فانما • على الله ارزاق العباد كما زعم • ويكون بمعنى القول الباطل كقوله هذا لله بزعمهم ولذا قالوا الزعم مطية الكذب وفي التعبير ايماء الى ما في نفسه من الحرص والطمع ثم التفت الى الاعرابي وقال له اكذلك فالاستفهام متوجه منه صلى الله عليه وسلم للاعرابي اي الامر كذلك من انك رضيت وان كان ما قبله كلاما منه متوجها لاصحابه رضي الله عنهم فالجار والمجرور خبر مبتدا مقدر اي الامر كذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا تقدم ما فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا الاعرابي المثل يكون بمعنى القصة وبمعنى الكلام المشبه مورده بمضربه ويكون استعارة تمثيلية او تشبيها تمثيليا مركبا كقوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا الاية ويكون ذلك لزيادة التوضيح والتقرير فانه اوقع في النفس لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا لما فيه من البيان العجيب وهو في الايات والاحاديث النبوية كثيرة مثل رجل له ناقة شردت عليه اي نفرت منه وذهبت في الارض يقال شردت الدابة والانسان اذا نفر وجرى جريا شديدا لا يلحق شرودا وشرادا واصل الشراد الفرار خوفا قال تعالى فشرد بهم من خلفهم قال ابن عرفة اي افعل بهم فعلا يخيف من وراءهم فيشردهم فاتبعها الناس افتعال من الاتباع اي مضوا وجروا خلفها ليمسكوها فلم يزيدوها الا نفورا اي لم يحصل باتباع الناس الا زيادة هربها ونفورها لخوفها منهم فناداهم صاحبها اي الناقة خلوا بيني وبين ناقتي اي وقال لهم خلوا الخ وهو مفعول نادى لتضمنه معنى القول او مقول قول مقدر كما عرف في محله اي لا تتبعوها واتركوها واتركوني احتال في امساكها فاني وفي نسخة فانا ارفق بها منكم واعلم اي انا اشفق عليها واعلم بحالها منكم فتوجه لها بين يديها اي جاءها من امامها فاخذ لها من قمام الارض القمام جمع قمامة ككناسة لفظا ومعنى والمراد بها النبات الذي ترعاه الدواب شبهه به لخسته ولانه مما يطرح كالقمامة فاستعير لذلك فردها حتى جاءت فيه مقدر اي قربت منه لتاكل ما في يده من الحشيش فامسكها وردها حتى اتى بها محله واستناخت اي بركت ومكنت عنده من ناخ الجمل وبوخه اذا بركه وشد عليها رحلها الرحل للابل كالسرج للفرس وهو معروف واستوى عليها اي على ظهرها وركبها يقال استوى على الدابة اذا علا ظهرها وركبها واني لو تركتكم اي لم اكفكم عنه واتبعتكم حيث قال الرجل ما قال اي حين قال لي الرجل مقالته السيئة فقتلتموه دخل النار عقوبة له باساءته على النبي صلى الله عليه وسلم شبه المال لخسة الدنيا عنده بالقمامة وشبه نفسه بالرجل وشبه الاعرابي بدابة شاردة عن ربها وشبه الصحابة لما غضبوا وقاموا له بالناس التابعين لها الذين نفروها عن ربها وشبه قوله كفوا عنه بقوله خلوا بيني وبين ناقتي

وفي قوله فاني ارفق بها منكم بيان لانه اعظمهم رفقا واقواهم شفقة على خلق الله وهو تشبيه في اعلى طبقات البلاغة لتضمنه هذه المعاني اللطيفة قيل ويحتمل ان الرجل انما قال اولا ما قال ليطلع على حلمه صلى الله عليه وسلم لانه سمع صفاته من اهل الكتاب والنبي علم بذلك وقيل انه جزم بدخول النار لكفره بما قاله لرسول الله صلى الله عليه وسلم والنبي تلطف به حتى امن وخلص من النار رفقا به وهذا الحديث رواه البزار وابو الشيخ بسند ضعيف عن ابي هريرة وابن حبان في صحيحه وابن الجوزي في الوفا وروي عنه بالبنا للمجهول وضمير عنه للنبي صلى الله عليه وسلم والراوي له ابو داود والترمذي عن ابن مسعود لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا هذا نهي عام عن الغيبة والنميمة ونقل ما يكره نقله من قول او فعل او ترك فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر سلامة الصدر كناية عن كونه ليس في قلبه بغض لاحد ولا غضب على احد ومثله يقال له سليم القلب قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم اي بريء من الكفر والنفاق وهذا معنى اخر وقد صح عن ابن مسعود فيما رواه ابن مسعود قال قسم رسول الله قسمة فقال رجل من الانصار والله ما اراد محمد بهذا وجه الله فاتيت النبي فاخبرته فتمعر وجهه وقال رحم الله موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر رواه البخاري والمراد سلامة صدره للمنقول عنه او الناقل كما قيل سبك من بلغك والاولى ابقاؤه على اطلاقه ليشمله وغيره والنميمة والغيبة حرام الا في اماكن استثناها الفقها وقد نظمها الجوجري من فقهاء الشافعية في قوله •

• بيت غيبة جازت لخذها • منظمة كامثال الجواهر •
• تظلم واستفت واستغث حذر • وعرف واذكر فسق المجاهر •

ومن شفقته على امته عليه السلام تخفيفه عنهم التكاليف الشاقة التي كانت في الامم ومجاوزته من ربه ان يجعل الصلاة خمسا بعدما كانت خمسين وتسهيله في امورهم كقوله لعبد الله ان لبدنك عليك حق ولزوجك عليك حق لمن اراد قيام الليل كله وكراهته اشيا مخافة ان تفرض عليهم الكراهة والكراهية من المكروه ضد المحبوب والكره ضد الطوع والمخافة بمعنى الخوف منصوب على انه مفعول له ثم بين ذلك بقوله كقوله لولا ان اشق على امتي اي لولا مخافة المشقة على امتي لامرتهم بالسواك اي امر ايجاب والا فامر الاستحباب ورد في الحديث كقوله عليكم بالسواك واستاكوا حتى تمسك بظاهر الحديث بعضهم فجعله واجبا ولذا بهذا الحديث فهو سنة ومحل سنيته قبل حال المضمضة وقيل قبل الوضوء وقيل مطلقا من غير تعيين وقت له وهو من سنن الدين لا من سنن الوضوء كما اختاره الزيلعي • والسواك مصدر بمعنى الاستياك واسم للعود نفسه والمراد هنا الاول والثاني يتعين بتقدير مضاف اي استعماله وهو مذكر وجوز بعض اهل اللغة تانيثه مع كل وضوء وفي مسلم عند كل صلاة وهذا الحديث رواه اصحاب الكتب الستة والوضوء بضم الواو مصدر وبفتحها ما يتوضا به كالطهور واجاز بعضهم في المصدر الفتح وقد جاء في المصادر الفتح ايضا وقال ابو شامة في كتاب السواك السواك ماخوذ من قولهم تساوكت الابل اذا اضطربت من الهزال فتمايلت من الضعف لما فيه من الحركة وقوله مع كل وضوء روي مع كل صلاة وعند كل صلاة وهل هو عام لكل صلاة فرضا او نفلا او للصلوات الخمس ذهب الى كل جماعة وقال الشافعي احب السواك للصلاة عند كل حالة تغير فيها الفم كالاستيقاظ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من النوم وهو يشمل الصايم وفيه كلام للفقها ورواية الموطا مع الوضوء قال ابو شامة يحتمل معنيين لامرتهم بالسواك مصاحبا للوضوء او لامرتهم به كما امرتهم بالوضوء ولهم فيه كلام طويل **وخير صلاة الليل** هو ما قال الشيخ قاسم بن قطلوبغا في تخريجه لاحاديث الشفا وهو من خطه نقلت عن زيد بن ثابت قال احتجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حجيرة بخصفة او حصير في المسجد في رمضان فخرج فصلى فيها قال فتتبع رجال وجاوا يصلون بصلاته قال ثم جاوا فحضروا وابطا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يخرج اليهم فرفعوا اصواتهم وحصبوا الباب فخرج اليهم مغضبا فقال لهم ما زال بكم صنيعكم حتى ظننت انه سيكتب عليكم فعليكم بالصلاة في بيوتكم فان خير صلاة المرء في بيته الا المكتوبة اخرجه الشيخان وفي رواية خشيت ان تفرض عليكم فتعجزوا عنها انتهى وهذا هو المناسب للمقام ولما قبله واليه اشار السيوطي في مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا لا ما قيل انه اراد به حديث صلاة الليل مثنى مثنى وبه استدل على ان الافضل في النفل ليلا ان يكون ركعتين ركعتين وعند ابي حنيفة الافضل ليلا او نهارا الاربع لدليل لاح له والاول هو المناسب هنا ويناسبه ما روي خذوا من العمل ما تطيقون اذا نعس احدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم وهذا هو الذي قاله التلمساني في حواشيه ايضا فان قلت كيف يخشى افتراضه بعد فرض الصلوات في الاسرا وقول الله لا يبدل القول لدي قلت قيل انه يحتمل ان الله اوحى اليه انك ان واظبت على هذه الصلاة بجماعة افترضتها عليهم او انه وقع في نفسه ذلك والمعنى اني خشيت ان يظنوها فرضا اذا داوم عليها ولا يخفى بعده وان قيل ان ما في الاسرا هي وظيفة كل يوم وهذه مخصوصة برمضان او انه لما كان قيام الليل فرضا عليه خشي ان يسوى به غيره من الامة وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا واظب على شي من اعمال البر واقتدى الناس به يفترض وفيه انه صلى الله عليه وسلم واظب على اشيا كثيرة ولم تفترض كرواتب الفرايض والسنن المؤكدة وقيل المراد بالفرض فرض الكفاية وقول الكرماني ان قوله لا يبدل القول لدي معناه نفي النقص لا الزيادة بعيد جدا وهذا لا يقبل النسخ لانه خبر واحتمال انهم لرغبتهم في العبادة يفرضون ذلك على انفسهم كالنذر فيشق على من بعدهم بعيد جدا ايضا وعلى كل حال فالمقام لا يخلو من الاشكال **ونهيهم** مصدر مضاف لمفعوله اي نهي النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة **عن الوصال وكراهته** لهم والوصال في الصوم هو ان يصوم يومين فاكثر من غير اكل وشرب بينهما ونهيه عن الوصال ثابت في الصحيحين فانه لما واصل واصل الناس وشق ذلك عليهم فلما بلغه ذلك نهاهم عنه فقالوا له انك تواصل فقال انكم لستم مثلي اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فمن خواصه انه يجوز له الوصال ويمنع منه غيره واختلف فيه هل كراهته تحريمية او تنزيهية او يفرق بين من يطيق ومن لا يطيق وعلم من الحديث وجه اختصاصه ومعنى كون الله يطعمه ويسقيه انه يعطيه قوة روحانية ويغذيه بانوار ربانية بحيث لا يضعف بدنه بترك الطعام والشراب بل يزداد قوة وذلك باتصال روحانيته بعالم الغيب حتى يحصل له ما به بدل ما يتحلل بحيث لا يشعر وليس هذا حاصلا له في كل الاوقات الا ترى ان المريض يمكث مدة طويلة لا ياكل ولا يشرب ولو فعل ذلك في حال صحته لم يطقه لاشتغال روحه عنه وقد اتفق على هذا علماء الشرع والحكما كما فصله ابن سينا في مقامات العارفين فلا يرد عليه انه كان في بعض الاحيان يجوع جوعا شديدا حتى يشد الحجر على بطنه والترمذي الحكيم لما لم يقف على هذا انكره لتوهم ان بين الحديثين

تنافيا

تنافيا حتى ادعى انه تصحيف وتحريف ممن رواه وانما هو الحجز بضم الحاء المهملة وفتح الجيم والزاي المعجمة حجزة وهي من شد الحزام فقال ما يعني شد الحجز ولم يدر انه يثقله ويرده بجمع الامعا وبين زها وبقيم الصلب وانكاره للحديث الصحيح وحمله على غير ظاهره كما قيل بان يعذيه حقيقة من طعام الجنة يا باه المقام لانه لو كان كذلك لم يكن وصالا **وكراهته دخول الكعبة** اي من شفقته على امته كراهته دخول الكعبة في الحديث الذي رواه ابو داود والترمذي عن عائشة وصححاه وكذا رواه ابن خزيمة والحاكم عنها ايضا مصححا وهو انه خرج من عندها وهو قرير العين ثم رجع وهو كئيب اي حزين فسالته عن ذلك فقال حسبت ان اكون شققت على امتي وكان ذلك في حجة الوداع وكانت عائشة معه وبه جزم البيهقي والطبري وفي بعض شروح البخاري يحتمل ان يكون دخوله الكعبة وقع مرتين صلى في احدهما ولم يصل في الاخرى وكونه دخل الكعبة متفق عليه قال ابن عمر دخل رسول الله البيت هو واسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة واغلقوا عليهم الباب فلما فتحوه كنت اول من ولج فسالت بلالا هل صلى رسول الله فيها قال نعم بين العمودين اليمانيين فكان ابن عمر اذا دخل يستقبل الوجه ويجعل الباب قبل ظهره حتى يكون بينه وبين الجدار قريب من ثلاثة اذرع فيصلي يتوخى المكان الذي صلى فيه رسول الله ولا باس على احد ان يصلي في اي جهة شاء وهذه الرواية مرجحة على رواية اسامة بن زيد انه دعا ولم يصل لان المثبت مقدم على النافي لزيادة علمه وكان قدم مكة بعد الهجرة مرات الاولى في عمرة القضا ولم يدخل فيها الكعبة لما فيها من الاصنام والكفر باق بها والثانية في فتح مكة وفيها دخل الكعبة وامر باغلاق بابها فلبث فيها مليا ثم فتح الباب قال عبد الله بن عمر فلقيت رسول الله خارجا وبلال على اثره فقلت له هل صلى رسول الله فقال نعم قلت اين قال بين العمودين تلقا وجهه ونسيت ان اساله كم صلى والثالثة في حجة الوداع واختلف في انه دخل الكعبة فيها ام لا وانما كره دخولها في حجة لئلا يجعلها الناس من المناسك اقتداء به وقد لا يتيسر لهم ذلك وقد اختلفوا في كونها من المناسك والصحيح انها ليست منها تمسكا بهذا الحديث **لئلا تعنت امته** بتائين مفتوحتين وعين مهملة مفتوحة ونون مشددة ومثناة فوقية تفعل من العنت كما قاله التلمساني وامته فاعل على هما وروي تعنت بضم الفوقية وسكون العين وكسر النون من اعنته بمعنى عنته فامته منصوب مفعول وبالتحتية والتشديد ايضا ونصب امته فعنته وجوه مروية **ورغبته** اي طلبه صلى الله عليه وسلم **لربه ان يجعل سبه لهم** اي لامته اي لاحد منهم **رحمة بهم** والسب والشتم بمعنى واصله من السبة وهي مخرج الغير من الدبر فنقل لما ذكر وسياتي بيان هذا **وانه كان يسمع بكا الصبي وهو في صلاته فيتجوز في صلاته** التجوز تفعل من الجواز والمراد به هنا ان يخففها ويسرع فيها مستعار من تجوز عن ذنبه اذا لم يواخذ به كتجاوز او هو من الجواز في السير والصبي المراد به الطفل الرضيع وهذا رواه الشيخان في حديث صحيح عن انس كما قاله السيوطي ورواه م الشيخان عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال اني لادخل في الصلاة وانا اريد اطالتها فاسمع بكاء الصبي فاتجوز في صلاتي مما اعلم من شدة وجد امه من بكائه ولا دليل فيه على جواز دخول الصبي والنساء المسجد لاحتمال ان يكون من بيوت مجاورة له ولا دليل فيه ايضا على جواز تطويل الصلاة لاجل من يلحق الجماعة كما قيل والمراد بالتخفيف ما لا يودي الى عدم تعديل الاركان والاخلال بالواجبات كما لا يخفى **ومن شفقته صلى الله عليه وسلم** على امته ورحمته لهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان دعا ربه وعاهده هذا مفسر لما مر ولو اقتصر على هذا كان اخصر واظهر
والمراد بالمعاهدة الزام ما لا يلزمه شرعا كالنذر وكما قاله الراغب اي دعا بذلك ونذر
قصده ما ذكر **فقال ايما رجل سببته او لعنته** تفسير لما دعا به وعاهد الله واللعن
اصل معناه الطرد والابعاد ثم خص بالبعد من رحمة الله **فاجعل ذلك** السب واللعن **زكاة**
اي تطهيرا له مما ارتكبه ما اقتضاه **وصلاة ورحمة وطهورا** اي تطهيرا له من ذنوبه
وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة كان رواه الشيخان عن ابي هريرة وروي هذا الحديث
من طرق اخر فيها ايما رجل من المسلمين ومن المومنين وروي اوجلدته ومعلوم انه كان لا يغضب
لنفسه وانما يغضب لله فاذا راي احدا من المومنين وقع منه ما يخالف امر الله بما حصلت
له غيرة لامر الله فبادر زجره وشتمه او ضربه ثم انه رجا من الله ان يكون ذلك مكفرا لما
صدر منه ورحمة عظيمة مقربة له من الله لان المومن اذا راي غضب النبي عليه حصل له
خوف شديد يفتت قلبه فيكون شدة خوفه جزاء عمله وزجر النبي زيادة في حسناته تقربه
من ربه وهذا لا ينافي ما ورد في حديث اخر اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة
اما لان المنفي هناك المبالغة والكثرة ان لم نقل بالمبالغة في النفي فان قلنا بها فالمعنى انه
ليس هذا مقصود ابن بعثته فلا ينافيه وقوع ما يخالفه للتاديب نادرا واما حمل ما صدر منه
على ما قبل البعثة فينافيه قوله من المومنين او المسلمين وسياق الحديث وقوله جلدته باباه
او انه لما رجا من الله ان يكون ذلك رحمة لهم لم يكن لعنا حقيقيا بل رحمة فلا لعن منه لاحد
من امته اصلا وبالجملة فهو رحمة واذيته نعمة لا نقمة بخلاف غيره من الانبيا فان دعاهم
نقمة عاجلة على اممهم وفي المصابيح ان الله اجاركم ان لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا وسياتي
تتمة لهذا في القسم الثالث فصار دعاوه عليهم دعا لهم على حد قولهم قاتله الله وتربت
يداه وفي هذا نهاية الشفقة • واول الحديث اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني
اتخذت عندك عهدا لن تخلفه فايما رجل الخ وهذا لما مر لا ينافي دعاه على بعض الكفرة
والمنافقين ومن عظيم شفقته ما اشار اليه بقوله **ولما كذبه قومه اتاه جبريل فقال
ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك الى قوله ولا يشرك به شيا** هذا الحديث
رواه الشيخان واصحاب السير وكان ذلك لما مات ابو طالب ونالت قريش منه صلى الله عليه
وسلم ما لم تنله في حياته فخرج للطايف ومعه زيد بن حارثة يلتمس النصرة منهم والمنعة
فعمد الى نفر من روسايهم فجلس اليهم وكلمهم ودعاهم الى الاسلام فكذبوه وسلطوا عليه غلمانهم
وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويصيحون به ويرضخونه بالحجارة حتى ادموا رجليه وهم
يضحكون وزيد يقيه بنفسه حتى انتهى الى حائط استظل بكرمة من كرومه وهو مكروب
موجع فاذا بقرب الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة فلما راهما كره ذلك لما يعلم من عداوتهما
له وحماه ودعوا غلاما لهما يقال له عداس وقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه في طبق
واذهب به له لياكل منه فلما وضعه قال بسم الله ثم اكل فقال ان هذا الكلام لا يقوله
اهل هذه البلاد فقال له من اي البلاد انت وما دينك قال نصراني من اهل نينوي فقال من
قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال وما يدريك بيونس قال ذاك اخي من انبيا الله فاكب
يقبل راسه ورجليه فلما رجع قالا له ما لك قبلت رجليه قال ما في الارض خير من هذا لقد
اعلمني بامر لا يعلمه الا نبي قالا ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك وقد قال صلى الله عليه وسلم

ان هذا

ان هذا من اشد ما لقيته والقصة مفصلة في السير • وقوله ردوا عليك اي ما اجابوك
به اوردوا قولك وخالفوه وكذبوك وقوله فناداه اي قال له يا رسول الله السلام عليك
وقوله اطبق بضم الهمزة وسكون الطا المهملة وكسر الموحدة مخففة ومشددة وقاف
اي ضمهما واجمعهما حتى يهلكوا بجمعهما وملك الجبال هو الملك الموكل بها بامر الله والاخشبين
تثنية اخشب بخاء وشين معجمتين وموحدة بزنة افعل جبلان يضافان تارة لمكة وتارة
لمنى فيقال اخشبا مكة واخشبا مني وهما ابو قبيس وقيقعان بالتصغير ويسميان الجبجبان
وهما تحت العقبة التي بمنى فوق المسجد كما قاله البرهان الحلبي وقيقعان هو الجبل المشرق
الاحمر ولهم قعيقعان ايضا بالبصرة وسميا اخشبان لغلظ احجارهما وخشونتهما
واصلاب جمع صلب الظهر والمراد بالخروج منها ان يخلق لهم نسلا وذرية وقد حقق
الله رجاه **وعن ابن المنكدر** هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزى
المدني توفي سنة ثلاثين او احدى وثلاثين ومائة وهم ثلاثة اخوة وكان يدخل
على عائشة رضي الله عنها وهو تابعي وقد تقدم فقوله **ان جبريل عليه السلام قال
للنبي عليه الصلاة والسلام** باسقاط الصحابي فهو مرسل قال البرهان وانما يكون
مرسلا اذا قلنا ان الصحابي اذا قال قولا لا مجال للاجتهاد فيه يكون مرفوعا كما
ذكره الشافعي فيكون ما قاله التابعي مرسلا وفي بعض الشروح نعم هو مرسل الا ان
ارساله لا يمنع من قبوله اذ مرسل اصحاب القرون الثلاث مقبول عندنا وعند مالك
بل هو فوق المسند لبرهان قام عليه عنده وعند الشافعي مرسل الصحابي مقبول
دون المسند وفي التنقيح الاصولي حكاية قبول مرسل الصحابي بالاجماع وفيه نظر
لمخالفة انعقاد الاجماع في المعصر الاول ومثله لا يضر وفيه نظر ولنا في اطلاق
هذه المسئلة بحث ذكرناه في حواشي النخبة **ان الله امر السما والارض ان تطيعك**
المراد باطاعة السماء له ان اراد ان تخرص اعقها على من عصاه فتهلكهم كان ذلك
والارض ان اراد خسفها بهم وانطباق جبالها عليهم كان ذلك من غير مهلة ووحد ضمير
تطيعك مع عوده على شيئين معطوفين بالواو لجعلهما كشي واحد لتاويلهما بالعالم
او الدنيا وكان الظاهر تطيعاك وفي بعض النسخ والجبال وعلى هذا لا حاجة للتاويل
لان الجمع يجوز عود ضمير المفرد المونث عليه وفيه مراعات النظير وحسن الترتيب
اي بان تطيعك في كل ما تريد فقال صلى الله عليه وسلم لا امرهما بشي فيه هلاكهم
او اوخر عن امتي ايقاع ما يهلكهم **لعل الله ان يتوب عليهم** رجاء انهم يتوبون عن مخالفتي
ويوفقهم الله للايمان فيتوبون ويقبل الله منهم ذلك او يكون منهم من يعبد الله ولا
يشرك به واصل معنى التوبة الرجوع وهي من العباد الرجوع عن المعاصي ومن الله هو
قبول ذلك او الرجوع عن الغضب عليهم والعقوبة لهم ولا منافاة بين هذا وبين قوله
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ولا بين ما وقع منه في غزواته من القتل والسبي كما
توهم لانه عذاب مخصوص لان التاخير لا ينافي ما وقع بعده كما لا يخفى والاحسن ان
جوابه معلوم من قوله ما لم يكن اثما تقديرا **قالت عائشة رضي الله عنها ما خير
رسول الله بين امرين الا اختار ايسرهما** تقدم هذا الحديث وانما اعاده هنا تاييدا لما

قوله وَايسرهما اي اسهلهما واهونهما على الامة شفقة ورحمة منه على الامة وبقية الحديث
ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه كما رواه الشيخان وتقدم الكلام عليه **وقال**
ابن مسعود في حديث رواه الشيخان **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا**
بالموعظة بفتح المثناة التحتية وفتح التا الفوقية والخا المعجمة واللام والضمير للصحابة
اي يتعهدنا يقال فلان خائل مال وهو الذي يصلحه ويقوم عليه ومنه الخولي الراعي الغنم
والمواشي وقيل الصواب يتحولنا بالحاء المهملة اي يطلب الحال التي ينشط فيها للاستماع
موعظة فيتعظ فيها ولا يكثر **مخافة السآمة علينا** اي لئلا نمل ونسأم وقيل انه يتخوننا
بنونين اي يتعهدنا كما يتعهد الضيوف بالخوان والمائدة والرواية الصحيحة بالاعجام
مع اللام والنون وكان فعل ماض اذا اخبر عنه بالمضارع الدال على الاستمرار التجددي دل
على التكرار عرفا والموعظة مصدر ميمي بمعنى الوعظ وهو التذكير والتخويف من سوء العاقبة
ومخافة منصوب مفعول له وهو مصدر بمعنى الخوف والسآمة بالملل وعلينا متعلق بمخافة
وتعلقه بالسآمة بتضمين السآمة تكلف وان جاز وقيل انه حال من السآمة وهو الارجح
او صفة لانه في معنى النكرة كقوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وفي افادة كان التكرار كلام مفصل
في كتب الاصول **وعن عائشة انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة** اي شدة بحيث لا ينقاد
لراكبه اذا وقفه واذا سيره **فجعلت تردده** اي تمشي به وترجع واصل التردد عدم
البقاء على حالة ومنه تردد الانسان في الاماكن لحاجة تعرض له ومنه التردد في الخواطر
وانما فعلت ذلك لتروضه حتى ينقاد لها **فقال صلى الله عليه وسلم لعائشة عليك**
بالرفق اي استمسك بالرفق في امورك ولا تتعبي الدابة بركض ففيه دلالة على شفقته
على خلق الله حتى الحيوانات وعليك بكسر الكاف اسم فعل يتعدى بنفسه وبالباء كما ذكره
النحاة والبعير بفتح اوله وبكسره وكذا كل فعيل ثانيه حرف حلق ويطلق على الجمل والناقة
وقيل هو الجمل البازل وهو الموافق للاستعمال وهذا الحديث اخرجه البيهقي في سننه
عن المقدام عن ابيه عن عائشة انها كانت على جمل فجعلت تضربه فقال يا عائشة عليك
بالرفق فانه لم يكن في شي الا زانه ولا نزع من شي الا شانه وختم بهذا الحديث لما فيه من
العموم كالعنوان لكله لهذا الفصل والله اعلم

فصل وأما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفا

هو ضد الغدر ونقض العهد **وحسن العهد** اي ما عاهد عليه والتزمه وهو عطف
تفسير لما قبله **وصلة الرحم** هو الاحسان الى الاقارب والاصهار والرفق بهم وغفر
زلاتهم ونصحهم والتودد اليهم وضده قطع الرحم وهذا اذا لم يكونوا كفارا اعدا الله كابي
لهب وابي جهل والرحم اصله مقر الولد ثم استعمل بمعنى القرابة بعيدة او قريبة بواسطة
ودونها **حدثنا القاضي ابو عامر محمد بن احمد بن اسمعيل** بن ابراهيم الامام المحدث
الطليطلي ولد سنة ست وخمسين واربعمائة ومات بقرطبة في ربيع الاول سنة ثلاث
وعشرين وخمسمائة **حدثنا ابو بكر محمد بن محمد** تقدم **حدثنا ابو اسحاق الحبال** بفتح الحاء
وتشديد الموحدة وهو ابراهيم بن سعيد بن عبد الله المهدي الثقة المشهور وقد تقدم

حدثنا

حدثنا محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس النيسابوري الامام الحافظ الجليل القدر
توفي سنة ثمان وخمسين ومائتين اخرج له اصحاب السنن وغيرهم **حدثنا محمد بن سنان**
بكسر السين ونونين بينهما الف العوقي بفتح العين المهملة والواو وتسكن وبالقاف نسبة
للعوق بطن من عبد القيس غير مشهور **حدثنا ابراهيم بن طهمان** بفتح الطا المهملة وسكون
الها وهو الامام ابو سعيد الخراساني المشهور روى عنه اصحاب الستة توفي في بضع وستين
ومائة وترجمته مبسوطة في الميزان **عن بديل** بضم البا الموحدة وفتح الدال المهملة وسكون
اليا المثناة التحتية غلام ابن ميسرة العقيلي **عن عبد الكريم عن عبد الله بن شقيق**
العقيلي الامام الثقة **عن ابيه** عبد الله بن شقيق الامام المعروف توفي في زمن الحجاج
عن عبد الله بن ابي الحمسا بحاء مهملة مفتوحة وميم ساكنة وسين مهملة ومدة العامري
الصحابي وفي المقتفي الاصح انه عن ابي الجدعاء وسيأتي حديثه في انتظاره عليه الصلاة
والسلام الى يوم ثالث وشقيق والد عبد الله اخرج له ابو داود فقط قاله المزي تفرد ابن بريدة
طرقه من عند ابي داود وليس هو عند غيره وذكر كلام ابي داود الذي نقله عن محمد بن يحيى شيخه
وذكر زيادة على ما في نسخة عندي من السنن والظاهر انه من بعض النساخ وليس هو من
كلام ابي داود وما لفظه كذا وهو من زوائده ورواه عثمان بن خرزاد عن محمد بن سنان هكذا
وقال قال عبد الرحمن بن مهدي ما اظن ابراهيم بن طهمان الا اخطا وعبد الكريم وانما هو
عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن ابن ابي الحمسا ورواه ابو عون الزيادي عن
ابراهيم بن طهمان فلم يذكر عبد الكريم في اسناده وقال عن بشر بن السري رواه عن عبد الكريم
بن عبد الله بن شقيق وقال البزار اظن فيه غلطا من الناقل لان شقيقا والد عبد الله هو
جاهلي لا اعلم له اسلاما انما عبد الكريم بن شقيق عن ابيه قال اذ لا يعلم انه روى عبد الله
بن ابي الحمسا الا هذا الحديث انتهى ووقع في الشفا نسختان احدهما الخنسا بمعجمة ونون
والاخرى وعن ابي الحمسا باسقاط عبد الله بن والاولى تصحيف والثانية خطا لان ابا الحمسا
لا اسلام له ولا رواية وانما الرواية لولده عبد الله بن ابي الحمسا انتهى **قال بايعت النبي**
صلى الله عليه وسلم ببيع اي باع مبيعا للنبي صلى الله عليه وسلم **قبل ان يبعث وبقيت**
له اي لذلك المبيع **بقية** لم تسلم له **فوعدته ان آتيه بها في مكانه** اي في مكان وقع فيه
البيع **فنسيت** الوعد الذي جرى بيننا **ثم ذكرت بعد ثلاث** اي ثلاثة ايام ولم يقل ثلاثة
لان المعدود اذا حذف يجوز تذكيره مع المذكر وتانيثه مع المونث كما قالوه في قوله واتبعه
ستا من شوال وانما يلزمه تانيث العدد اذا ذكر المعدود **فجئت فاذا هو في مكانه** اي
مستقر في مكانه لم يفارقه **فقال يا فتى لقد شققت علي انا هنا منذ ثلاث انتظرك**
وفي هذا الحديث دليل على وفائه بعهده ووعده وهذا الحديث رواه ابو داود وهو من افراده
واخرجه ايضا ابن منده في المعرفة والخرائطي في مكارم الاخلاق **وعن انس كان اذا**
اتي بهدية اي مبني للمجهول اي اتاه احد بهدية **قال اذهبوا الى بيت فلانة** لم يسمها
الرواة لعدم تعلق غرض بتعيينها **فانها كانت صديقة لخديجة** وفي رواية انها كانت
تحب خديجة وهذا الحديث رواه البخاري في الادب المفرد **عن عائشة رضي الله عنها**
قالت ما غرت على احد اي من نسائه صلى الله عليه وسلم يقال غار الرجل والمراة اذا
غضب من فعل يقتضي امرا لا يرضاه وغيرتها كانت من رسول الله لشدة محبتها له وارادتها الصرف محبته

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لها دون غيرها وهذا امر طبيعي لا لوم فيه واما كون الغيرة من خديجة فلا وجه له لتقدم
موتها لما كنت اسمعه يذكرها تعليل للغيرة وما مصدرية اي لسماعي ذكرها ولو شرط
وجعلت لما خبئته جاز ولكن النسخ متفقة على الاول وعلى على اصلها وقيل انها بمعنى البا كما في قوله
اكب على اسم الله وقال في الاكمال مغاضبة عائشة لرسول الله من الغيرة التي عفي عنها للنساء
حتى ذهب مالك الى اسقاط الحد عن المراة اذا قذفت زوجها غيرة منها ولولا هذا لكان على عائشة
في مغاضبتها النبي اعظم الحرج لانه كبيرة عظيمة وقد صرحوا بانها مغفرة عند الله وفي الشرع
وان كان بكسر الهمزة وسكون النون وهي مخففة من الثقيلة ليذبح الشاة ليس المراد انه
يذبحها بنفسه فيهديها بضم اليا الاولى لانه في الحديث فيهدي ما يسعهن او يشبعهن الى
خلايلها بالخا المعجمة جمع خليلة بمعنى الصاحبة والصديقة واستاذنت عليه اي طلبت
الاذن في الدخول له اختها اي اخت خديجة وهي هالة بنت خويلد بن اسد وهي ام ابن
العاص ابن الربيع الصحابية المشهورة رضي الله عنها فارتاح اليها اي حصلت له راحة إذ
دخلت واظهر البشر والمسرة برؤياها وهذا الحديث في البخاري وفيه رواية ارتاع بالعين
بدل ارتاح بمعنى مال اليها واعجبه مجيئها مجازا ودخلت عليه امراة فهش لها اي
تبسم قليلا واظهر المسرة بدخولها كما يفعل الناس باضيافهم ومن يحبونه يقال هش بش
إذا فعل ذلك استيناسا وهو هش بش إذا كان طلق المحيا غير عبوس شامخ الانف كما يفعله
المتكبرون واحسن السؤال عنها فيه مضاف مقدر بقرينة المقام وال في السؤال للعهد
او بدل من المضاف اي احسن اليها سؤالها عن حالها وما هي عليه كما تقول لمن تزوره ما حالك
وما انت عليه تلطفا به واعتناء بشانه كما هو عادة الناس بمن يحبونه ووقع في الحديث انه
قال لها كيف حالكم كيف انتم فقالت بخير وهو مفسر لما هنا فلما خرجت من عنده وذهبت من
مجلسه قالت بيانا لسبب معاملته معها وهي امراة اجنبية انها كانت تاتينا ايام خديجة
اي انها كانت في حياة زوجته خديجة تدخل منزله لانها من معارفها واصدقائها فان حسن
العهد اي رعاية العهود القديمة ورعاية من يحبك ويحب من يحبك من الايمان اي من
شعب الايمان ومقتضياته لان من كمال الايمان مودة عباد الله ومحبتهم كما انه من تعظيم السيد
اكرام عبيده ومناسبة هذا لما عقد له الفصل ظاهرة ووصف بعضهم فقال ايضا وصف
بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم كان يصل ذوي رحمه اي من صفته التي كانت منه
دائمة وكان يدل على التكرار والدوام كثيرا وان لم تكن موضوعة لذلك نحو كان حاتم يقري
الضيف وكان الله غفورا رحيما كما فصل في الاصول اي يحسن اليهم ويوادهم ولما كان هذا
يوهم الاختصاص بهم احترز عنه فقال من غير ان يوثرهم اي يخصهم ويقدمهم على من هو
افضل منهم من سائر الناس وهذا ايضا من حسن العهد فقال صلى الله عليه وسلم ان آل بني
فلان ليسوا لي باولياء الآل بمعنى الاهل والاتباع وفلان كناية عن الاعلام التي للعقلا والمراد
به هنا كما مر ابو العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف والكناية من الراوي لا من كلامه صلى
الله عليه وسلم وابو العاص هو ابو الحكم ابن ابي العاص كان منافقا في اول الامر ثم حسن اسلامه وهو عم
عثمان بن عفان رضي الله عنه وما ذكر كذا في نسخة البرهان الحلبي قال ابن قرقول وفي الحديث
المشهور ان آل ابي فلان بالكناية عمن ذكر وفي بعض الروايات اسقاط آل والاولياء جمع ولي وهو
القريب ومن يتولى امره اي لا اتولاهم ولا احسبهم من اوليائي لما علمت منهم والمراد به القدح لقوله

تعالى

تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم اي ولي لهم ولا ناصر غير
ان لهم رحما اي قرابة سابلها ببلالها لان ابا العاص احد بني امية وهم قرشيون منافقون
وولد امية العاص وابو العاص والعيص وابو العيص وهم الاعياص وحرب وحريب وابو حرب
وسفيان وابو سفيان واسمه عنبسة وعمرو وابو عمرو وابو سفيان هذا هو صخر بن حرب بن
امية وهو غير ابي معاوية رضي الله عنه وقوله سابلها اي سأصل رحمها بصلتها اللايقة بها
والبلال بكسر البا الموحدة مصدر كالقتال او جمع بلل كجبل وجبال وهو الافصح والاصح رواية
وروي بفتح البا ايضا والمعنى واحد وهو الرطوبة والنداوة لجمع الاشيا وكلما يبل الحلق من الماء نبات
كالماء واللبن فاستعير للصلة والاحسان كما استعير اليبس للقطيعة والشح وفي الحديث بلوا
ارحامكم ولو بالسلام لان الرطوبة والنداوة تجمع الاشيا واليبوسة تفرقها وايضا ان بل
الارض يجعلها منبتة فاستعيرت لما ذكر لتاليفها القلوب وتنميتها المودة كما قال

كيف اصبحت كيف امسيت مما * ينبت الود في قلوب الرجال

ففيه استعارة مصرحة او مكنية وتخييلية وقد صلى صلى الله عليه وسلم اي دخل في
الصلاة بامامة بضم الهمزة وميمين علم ابنة ابنته زينب اكبر بناته توفيت سنة ثمان
من الهجرة وتزوجها ابو العاص بن الربيع لا ابن ابي ربيعة كما في البخاري فانه غلط مشهور وولد
له منها امامة وكان صلى الله عليه وسلم يحبها وتزوجها علي بعد فاطمة ثم تزوجها المغيرة
بن نوفل فماتت عنده قال البرهان الحلبي ليس لزينب بنت رسول الله ولا لرقية ولا ام كلثوم
عقب وانما العقب لفاطمة رضي الله عنها ولذا سادت جميع بناته وامهاتها خديجة وهي سيدة نساء
اهل الجنة الا مريم وقال السهيلي فضلت على اخواتها لانها بضعة منه وزوجة خليفته وام ريحا نتيه
ولانها اصيبت برزء لا يساويه رزء وهو موت ابيها في حياتها فصبرت واحتسبت ومن ذريتها
المهدي وهذا الحديث رواه البخاري في صحيحه كغيره وفيه انه كان اذا سجد وضعها واذا قام
رفعها وقد اشكل هذا على الفقها لان هذه اعمال كثيرة مبطلة للصلاة فقيل انه من خصائصه
وقيل انه منسوخ وقيل انه لا عمل له لانها المحتاجة له كانت تتعلق به وتعلق عليه من غير عمل ويؤيده
رفعها ووضعها اياها وقيل انه كان في النافلة ضرورة لانه لم يكن ثمة من يكفيه امرها وقيل انه
كله باطل لانه وقع قبل الهجرة وتحريم الاعمال بعدها وكان في صلاة الصبح وهو يوم الناس
كما ورد التصريح به والصواب انه عمل قليل لا يبطل الصلاة وكانت طاهرة مطهرة ليس معها
ما يبطل الصلاة قيل وانما فعل ذلك ارغاما للعرب في عدم محبتهم البنات يحملها على عاتقه
اي كتفه وعلى عنقه يحمل لا حال من امامة او من ضميره كما قيل فاذا سجد وضعها على
الارض واذا قام حملها بيانا للجواز وقال الخطابي اسناد وضعها وحملها مجاز فانها كانت
تالفه فاذا سجد جلست على عاتقه فلا يرفعها فتبقى محمولة حتى يركع فيرسلها فاذا سجد
فعلت كذلك وتقدم ما فيه وعن ابي قتادة الصحابي الانصاري فارس رسول الله واختلف
في اسمه فقيل الحارث بن ربعي بكسر الراء بن عمرو وقيل النعمان توفي بالمدينة سنة اربع وخمسين
وقيل ثمان وثلاثين وهو ابن سبعين سنة وروى احمد واصحاب السنن له وفد وفد
للنجاشي وفد بمعنى قدم ويختص بقدوم الرسول ووفد بسكون الفا اسم جمع بمعنى
الوافدين والنجاشي بفتح النون وكسرها وتشديد اليا وتخفيفها واسمه اصحمه وقيل صحمه
بفتح الصاد وسكون الحا المهملتين وقيل صمحة بتقديم الميم وقيل خاؤه معجمة وقيل اسمه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكحول بن صصة، وقيل سليم، وقيل خازم وهو اسم لكل من ملك الحبشة وكان رضي الله عنه
ممن أعان المسلمين لما هاجروا إليه وكاتب النبي صلى الله عليه وسلم وأهدى له الهدايا
وزوجه بأم حبيبة وكتب له النبي صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه للإسلام فأسلم على يد جعفر
بن أبي طالب سنة ست وكان بينه وبينه صلى الله عليه وسلم محبة عظيمة فلما توفي في رجب
سنة تسع قام النبي صلى الله عليه وسلم وصلى على جنازته وبه استدل الشافعي على الصلاة على
الغائب وقصته مشهورة ولما توفي خلفه نجاشي آخر دعاه النبي للإسلام فأبى ومات كافرا
فقام النبي عليه السلام يخدمهم بنفسه تواضعا منه وإرشادا للغير **فقال له أصحابه**
أي النبي **نكفيك** أي نحن نخدمهم ونكفيك من تعاطي خدمتهم فأبى **فقال إنهم كانوا**
لأصحابنا الذين هاجروا لأرضهم **مكرمين وإني أحب أن أكافيهم** أي أجازيهم على إكرامهم
لأصحابنا بإكرامهم ولا إكرام أعظم من تعاطيه أمورهم بنفسه وهذا الحديث رواه البيهقي في
دلائله مسندا **ولما جيء** مبني للمفعول أي جاء الصحابة **بأخته من الرضاعة** بفتح الراء
وكسرها بمعنى الرضاع **الشيماء** بفتح المعجمة وسكون المثناة التحتية والميم وهمزة ممدودة
ويقال لها الشما بتشديد الميم بدون ياء كما قاله الطبري ويحتمل أن تكون اسما أصلها شيما
فأبدلت إحدى الميمين ياء كما قيل في أما إيما فتكون صفة بمعنى ذات شيم ثم نقل وجعل علما
لها وهي بنت حليمة التي أرضعت النبي وقيل أختها وزوج حليمة هو الحارث بن عبد العزى
وحليمة أسلمت وعدت من الصحابة واسمها جدامة بجيم مضمومة ودال مهملة وقيل حذافة
بحاء مهملة وذال معجمة وفاء وقيل خزامة بمعجمتين واختلف في زوجها أبي النبي من الرضاعة
فلم يذكر أهل السير إسلامه وذكره يونس بن بكير في روايته فقال حدثنا ابن إسحق عن أبيه
عن بعض بني سعد بن بكر أن الحارث بن عبد العزى أبا رسول الله من الرضاع قدم عليه بمكة
بعد بعثته فقال له قريش يا حارث ما يقول ابنك هذا فقال ما يقول قالوا يزعم أن الله يبعث
بعد الموت وأن لله دارين دارا يعذب فيها من عصاه ودارا يكرم فيها من أطاعه وقد شتت
أمرنا وفرق جماعتنا فأتاه وقال يا بني ما لك ولقومك يشكونك ويزعمون أنك تقول إن
الناس يبعثون بعد الموت ثم يصيرون إلى جنة ونار فقال نعم ولو كان ذلك اليوم يا أبت أخذت
بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم فأسلم وحسن إسلامه وكان يقول حين أسلم لو أخذ ابني
بيدي فعرفني ما قال لم يرسلني إن شاء الله حتى يدخلني الجنة انتهى **في سبايا هوازن**
السبايا جمع سبية بمعنى مسبية أي مأسورة وهوازن اسم قبيلة من بني سعد بن بكر سميت
باسم الأب الأعلى كتميم وهو هوازن بن نصر بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن غيلان بن نصر والمراد
بكونها فيهم أنها كانت مسبية معهم أيضا **وتعرفت له** يقال تعرف إذا أعلمه باسمه وشأنه
في إعلامه بأنها أخته رضاعا فقال لها ما علامة ذلك فقالت عضة كنت عضضتنيها في
ظهري فعرف ذلك رسول الله وصدقها **بسط لها رداءه** أي فرشه لها لتجلس عليه إكراما
لها **وقال لها** بعدما جلست عنده **إن أحببت أقمت عندي** مفعول أحببت مقدر
تقديره أحببت الإقامة عندي وهذا يدل على أنها أسلمت كما تقدم **مكرمة محببة** بالنصب
على الحالية فيهما ومكرمة بضم أوله وسكون ثانيه وتخفيف رائه اسم مفعول أكرمه إذا
فعل به ما يحبه من إحسان قولا وفعلا وكذا محببة فإنه اسم مفعول من أحبه ويقال حبه وأحبه
بمعنى والأكثر والأفصح في اسم المفعول أن يكون من الثلاثي فيكثر فيه محبوب ويقل محب

لكنه هنا أحسن لاقترانه بمكرم وغلبة الاستعمال كقول عنترة شعر
ولقد نزلت فلا تظني غيره • مني بمنزلة المحب المكرم •
وقولها جارية حدبته • مكرمه محببه • وجبروا ذلك فصاغوا اسم الفاعل من المزيد فقالوا
محب ولم يقولوا حاب **أو متعتك ورجعت إلى قومك فاختارت قومها فمتعها**
ورجعت لقومها وتفصيله ما قاله أصحاب السير أنه لما قدمت أخته الشيماء بنت الحارث بن عبد
العزى وعرفته بنفسها فعرفها وبسط لها رداءه وأجلسها عليه وخيرها فاختارت الرجوع
لقومها وأرضها وأن يمتعها بالإحسان إليها فأعطاها عبدا وجارية وقال ابن عبد البر إنها
أسلمت فأعطاها ثلاثة أعبد وجارية ونعما وشاء وهذا منه صلى الله عليه وسلم صلة لرحمه
لأن الرضاع له حكم النسب والقرابة واللبن كالأبوين **وقال أبو الطفيل** بضم الطاء
المهملة وفتح الفاء منقول من مصغر الطفل جعل علما لعامر بن واثلة بالثاء المثلثة الكناني
الصحابي وهو آخر من مات من الصحابة ووقع في بعض النسخ ابن أبي الطفيل وليس بصحيح كما
قاله البرهان الحلبي **رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام** الغلام كما في كفاية
المتحفظ عن بعض أهل اللغة الصبي إذا فطم إلى سبع سنين ثم يصير يافعا إلى عشر ~~سنين~~
حجج وقد يطلق الغلام على الشاب التام الرجولية والمراد هنا الأول **إذ أقبلت امرأة حتى**
دنت منه أي قربت من مكانه الجالس فيه وفي بعض النسخ تأخير قوله وأنا غلام عن
قوله إذ أقبلت الخ وهذا الحديث رواه أبو داود في سننه بسند حسن فقال حدثنا
ابن المثنى قال حدثنا أبو عاصم قال حدثني جعفر بن عمارة قال أخبرنا عمارة بن ثوبان
أن أبا الطفيل أخبره قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة وأنا يومئذ
غلام أحمل لحم الجزور إذ أقبلت امرأة وساقه وقوله إذ يحتمل أن يكون ظرفا لرأيت أي
رأيته وقت إقبال المرأة ويحتمل أن تكون للمفاجأة بتقدير بينا أي رأيته يقسم لحما
وبينا هو كذلك إذ أقبلت إلى آخره أو هي بمعنى قد والوجه هو الأول وفي هذا دليل
على قبول رواية الصغير وفيه كلام مفصل في مصطلح الحديث قالوا هذه المرأة هي حليمة
أمه صلى الله عليه وسلم من الرضاع ومجيئها له كما في الاستيعاب كان يوم حنين وقال
الحافظ الدمياطي لا نعرف لها صحبة ولا إسلاما وما قاله ابن عبد البر من أنها أتته
يوم حنين وبسط لها رداءه وروت عنه وروى عنها عبد الله بن جعفر لم يصح وابن جعفر
لم يدركها والتي جاءته إنما هي بنتها الشيما وإنما حليمة فإنما جاءته بمكة قبل النبوة في
زمان خديجة فأعطاها أربعين شاة وجملا ثم انصرفت لأهلها وما هنا يقتضي مجيئها
له بعد النبوة بالجعرانة بعد انقضاء حرب هوازن ومجيء وفدهم وليس كذلك إنما هي
ابنته وجوز الذهبي أن تكون المرأة التي جاءته ثويبة مولاة أبي لهب ويرده أنها
ماتت سنة سبع قبل هوازن ولما فتح مكة سأل عنها مسروحا فأخبره بموتها وصحح بعضهم
خلافه وذكره ابن الجوزي في الوفا وصنف الحافظ مغلطاي جزءا في إسلامها سماه
التحفة الجسيمة في إثبات حليمة وأيده ولم يرتضه علماء عصره وممن أنكره أبو حيان **وعن**
عمرو بن السايب عمرو بفتح العين والراء وهو ابن واش المصري وقيل الله عمر بالضم وحذف
الواو وقال الحلبي والفتح غلط وصوابه الضم كما ذكره ابن حبان وقال إنه من الثقات
وروى عنه أسامة بن زيد وجماعة وروى عن جماعة وأخرج له أبو داود فقط

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كذا قاله التلمساني في حواشيه وهو من اجلة التابعين وهذا الحديث رواه ابو
داود بلاغا كما قاله السيوطي في تخريجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا
يوما قيل ظاهره ان عمر شاهد هذه القضية وهو تابعي فالحديث مرسل زيد كما في سنن
ابي داود وقال عن احمد بن سعيد الهمداني قال حدثنا ابن وهب قال حدثني عمرو بن الحارث
ان عمر بن السائب حدثه انه بلغه ان رسول الله كان جالسا الى اخره فلو ذكره المصنف
كما قاله ابو داود لكان اولى فاقبل ابوه من الرضاعة وهو الحارث بن عبد العزى
وقد تقدم الكلام فيه وفي اسلامه وكون زوج المرضعة يسمى ابا ويثبت بارضاع زوجته
له بمعنى له حكم النسب كما ان المرضعة امه لان الفحل يحرم وان لم يكن له حكم النسب من كل
وجه وله ذهب الفقهاء كافة غير الظاهرية والكلام عليه مفصل في كتب الفروع فوضع
له بعض ثوبه وفرشه له في الارض ليجلس عليه فقعد عليه ثم اقبلت امه وهي
حليمة كامر فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة
فقام رسول الله فاجلسه بين يديه يعني انه اجلس اباه عن يمينه وفرش له جانبا
من ثوبه واجلس امه حليمة عن يساره وفرش تحتها جانبا من ثوبه اكراما لها فلما قدم اخوه
وهو عبد الله بن الحارث بن عبد العزى لم يبق جانب من ثوبه يفرشه فقام له لئلا يقصر
في توقيره عن ابويه وفيه دليل على انه يجوز القيام تعظيما لمن يستحق التعظيم خلافا
لمن قال انه مكروه وللنبي صلى الله عليه وسلم عدة مرضعات منهن حليمة هذه
وثويبة مولاة ابي لهب وخولة بنت المنذر بن زيد بن لبيد وام ايمن وثلاث نسوة من
سليم تسمى كل واحدة منهن عاتكة وهو اصل القولين في قوله انا ابن العواتك وقيل انهن
جدات له ومعنى عاتكة متضمخة بالطيب وكان يبعث الى ثويبة عم منقول من
تصغير الثوب وهي مولاة ابي لهب اي جارية معتقة له وابو لهب كنيته واسمه عبد
العزى وكنى بذلك لتوقد لونه وذكره هذه الكنية في القرآن للاشارة الى انه جهنمي
بصلة اي عطية يحسن بها لها وكسوة بضم الكاف وكسرها اي ثياب تلبسها فلما ماتت
بمكة بعد هجرته سال من بقي من قرابتها اي عمن بقي فهو منصوب بنزع الخافض وتقديره
وقال عن بقي فمن اما موصولة او استفهامية والقرابة مصدر بمعنى قرب النسب وجمع
اسم جمع بمعنى الاقربا كما ذكره ابن مالك وغيره خلافا للحريري اذ انكره وقال لا يقال
للاقربا قرابة كما قال الشاعر

يبكي عليه غريب ليس يعرفه ٭ وذو قرابته في الحي مسرور

فقيل لا احد اي لا احد من قرابتها باق واحد مرفوع بفعل مقدر اي لم يبق احد
او مرفوع اسم لا العاملة عمل ليس او مفتوح اسمها والخبر مقدر عليهما وقوله وكان
الى هنا سقط من بعض النسخ وما ذكر من حسن الوفا وصلة الرحم فيه من مكارم اخلاقه وحسن
عهده ما لا يخفى وهذا الحديث رواه الواقدي وغيره ٭ واما ارضاع ثويبة فثابت في
الصحيحين وهي اول من ارضعته مع ابنها مسروح اياما قبل حليمة فارضعت قبله
حمزة وابا سلمة واختلف في اسلامها فاثبته بعضهم وعدها في الصحابة وانكره
ابو نعيم وكان ابو لهب اعتقها لما بشرته بولادة النبي صلى الله عليه وسلم ورئي
في المنام وهو يقول خفف عني العذاب باعتاقي ثويبة لما بشرتني به وفي السير انه

اعتقتها

اعتقها قبل ولادته بدهر طويل وهو المروي في السير وفي المواهب ما يخالفه والذي
رآه في المنام بشر حيبة بفتح الحا المهملة او بكسرها وياء مثناة تحتية وباء موحدة وقيل انه
بخاء معجمة وقيل بجيم وهو تصحيف اي بسوء حال فهو من الحوبة وهي المسكنة والحاجة قالوا
وانقلبت يا لانكسار ما قبلها او على خلاف القياس وتخفيف عذابه لا يعارض قوله تعالى في اعمال
الكفرة جعلناه هباء منثورا لانه بعد الحشر ولانه لما لم ينجهم من النار فكانه لم يفدهم اصلا
وتفصيله في حواشينا على القاضي وفي حديث خديجة رضي الله عنها الذي رواه
الشيخان عن عائشة بسند صحيح انها قالت له في ابتداء امره لما راى جبريل فحصل له
رعب شديد ابشر امر بفتح الهمزة وهي همزة قطع يقال ابشر وبشر بمعنى ويجوز وصلها
وفتح الشين من بشر يبشر كعلم يعلم وهو امر المقصود منه تعجيل المسرة بالبشرى التي بعده
وهو انشاء اريد به الخبر السار الذي يظهر اثره في البشرة وهذا الحديث تقدم وشرحه في
فصل الجود والكرم فوالله لا يخزيك الله ابدا من الخزي وفي رواية يحزنك بضم اليا واعجام
الخا من الخزي وهو النكال والفضيحة وبه روى لفظ المصنف هنا كما ذكره البرهان الحلبي
واهمال الحاء من حزن واحزن وهي دون الاولى فلذا تركها المصنف وروى لا يحزنك الله ابدا
عن الزهري بزيادة ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتكسب
المعدوم وتعين على نوائب الحق ۵

فصل واما تواضعه صلى الله عليه وسلم

التواضع بضم الضاد اظهاره انه وضيع وهو اشرف الناس فالصيغة للتكليف في الاصل
على علو منصبه قد قدمنا لك ان المنصب في كلام العرب بمعنى الاصل والحسب كما في قول
ابي تمام ٭ ومنصب نماه ٭ ووالد سما به وان استعماله في تولي الاعمال السلطانية
كقول ابن الوردي ٭ نصب المنصب اوهى جلدي ٭ وعنائي من مداراة السفل ٭
مولد لم يسمع من العرب ولذا عطف عليه قوله ورفعة رتبته فهو كالتفسير له والرتبة
كالمنزلة رفعة القدر كالمنزلة فكان صلى الله عليه وسلم اعظم الناس تواضعا منصوب
على التمييز واقلهم كبرا وفي نسخة واعدمهم كبرا لا افعل تفضيل من العدم وهذه انسب
بمقامه لان اللائق به عدم الكبر لا قلته ووجه هذه البرهان بان القلة بمعنى النفرة
وقال ابو حيان في قوله تعالى فقليلا ما تؤمنون ان القليل يرد بمعنى النفي المحض كما في
قولهم اقل رجل يكون ذلك وقلما يقوم زيد وقليل من الرجال يقول ذاك وقال الحافظ
السخاوي في كتابه جواهر الدرر في مناقب ابن حجر ان ابن حجر سئل عن هذه العبارة
فان بعضهم شنع على المصنف فيها وبما هامش النسخ فاجاب بان الاعتراض باطل لانهم تكلموا
على الحديث الذي رواه النسائي عن عبد الله بن ابي اوفى قال كان رسول الله يكثر الذكر ويقل
اللغو فقالوا يقل اللغو بمعنى لا يلغو اصلا قال ابن الاثير في النهاية لان قل يستعمل في
النفي كما في الاية السابقة فمعنى هذه النسخة انه لا يقع منه كبر اصلا كما في ذلك الحديث
وليس افعل فيه للتفضيل فانه قد يخرج عنه كما في قوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
ومثله افظ واغلظ فانه بمعنى فظ غليظ وقال المصنف في شرح مسلم يصح حمله على المفاضلة
والقدر الذي فيه منه اغلاظه على الكفرة والمنافقين كقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

واغلظ عليهم لانه كان يغلظ عليهم ويغضب عند انتهاك حرمات الله انتهى • فقوله اقلهم
كبرا بمعنى اسقا الكبر عند البتة او يحمل على شدته على الكفار والمنافقين كما في الذي قبله
لان تواضعه وما فيه كانت بالمومنين روف رحيم • وقوله في التورية ليس بفظ ولا غليظ
اي بالمومنين ونظيره اشدا على الكفار رحما بينهم بمعنى اذلة على المومنين عاطفين عليهم
اعزة على الكافرين متكبرين عليهم نعادونهم فلا معنى لمحو النسخ واثباته انتهى • واستدرك
عليه عز الدين الحنبلي بان تاويله الشدة والغلظ لكونه على الكفار والمنافقين فيه ان شدته
وغلظه على هولا كانت اشد من عمر بلاشك انتهى • اقول الجواب هو الثاني لانه كان متخلقا
باخلاق الله ومنها المتكبر فانصافه بهذه الصفة في محلها مدح ولذا قيل التكبر على المتكبر
صدقة فالتكبر على الكفرة والمنافقين احيانا في محله ممدوح وليس مثل قوله فقليلا ما يومنون
والمانا ويل التفضيل فانفي وخلع المفاضلة منه فمجاز على مجاز وصنعت على بابه والما
اعتراض الحنبلي فلا وجه له ولبعض الشراح والمحشين هنا كلام ركيك تركه خير منه **وحسبك**
اي يكفيك في اثبات ما ذكر **انه خير بين ان يكون** خير مبني للمجهول اي خيره الله على لسان
ملك يكنه في الحديث المشهور **بين ان يكون نبيا ملكا** بكسر اللام اي سلطانا **او نبيا عبدا**
فاختار ان يكون نبيا عبدا فخيره الله بعد تفضيله بالرسالة ان تكون شوكته كالملوك
في اتخاذ الجنود والحجاب والخيول والخدم والقصور فاختار مع الرسالة العامة مقام العبودية
والخدمة بنفسه في مهنة اهله تواضعا منه وزهدا في الدنيا ولذا وصفه الله بالعبودية
في عظيم مقاماته كقوله سبحانه سبحان الذي اسرى بعبده وهذا من صحيح رواه احمد عن
ابي هريرة والبيهقي عن ابن عباس **فقال له اسرافيل عند ذلك** اي حين اختار العبودية
على الملك **فان الله قد اعطاك** هذه الفا فصيحة عاطفة على مقدر اي اصبت وجزاك الله
خيرا مما تركته **بما تواضعت له** الباء سببية وما مصدرية اي بسبب تواضعك له **انك**
سيد ولد آدم بفتح همزة انك وهي وما بعدها مفعول اعطى والسيد من يفوق غيره في الشرف
وهو يطلق على الله وعلى غيره في اصح الاقوال الثلاثة المشهورة وخصه بقوله **يوم القيمة** لانه
لا اعلى من هذه السيادة حيث يسود فيه على الرسل وسائر البشر وفيه نكتة لتبين اضمحلال كل
ملك لغنا به حيث يقول الله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار في ملكه لسائر مخلوقاته فتدبر
واول من تنشق عنه الارض معطوف على سيد خبر ان وانشقاق الارض لتخرج الموتى من قبورهم
للبعث فلا يتقدمه احد حينئذ واما حديث فان الناس يصعقون اي يغشاهم غشية كالموت
يوم القيمة فاصعق معهم فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادري اكان
ممن صعق او كان ممن استثنى الله بقوله الا من شا الله فلا ينافيه لان هذه الصعقة كما قال التوربشتي
فزع بعد البعث ويويده قوله يوم القيمة **واول شافع** يوم القيمة او في الجنة لرفع درجات
الناس لان مقام الشفاعة متعدد وفي قوله اول اشارة الى ان غيره من الملائكة وغيرهم يشفعون
بعد ذلك واعلم ان سفير الوحي بين الله وبين نبينا صلى الله عليه وسلم جبريل وعن الشعبي
ان اسرافيل كان ياتيه بالوحي في اول بعثته وبقراءته ثلاث سنين وياتيه بالكلمة والشي
ثم وكل به جبريل قال ابن عبد البر في الاستيعاب انزلت عليه النبوة وهو ابن اربعين سنة
فقرن نبوته اسرافيل عليه السلام ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشي ولم ينزل عليه
القران على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن به جبريل فنزل بالقرآن عليه عشرين سنة

فرغ

وفي شرح البخاري لابن التين ميكائيل بدل اسرافيل ونقل البرهان عن ابن الملقن ان
المشهور ان الذي ابتداه بالوحي جبريل ولا ينكر ان يكون غير جبريل وكل به وقال السيوطي
في كتاب الحبائك لم اقف على ان جبريل افضل او اسرافيل ثم نقل احاديث متعارضة في ذلك
وفيه ايضا ان اسرافيل نزل عليه باية ذكرها **حدثنا الفقيه ابو الوليد بن العواد** بفتح
العين المهملة وتشديد الواو والف ودال مهملة وهو هشام بن احمد القرطبي وقد تقدمت
ترجمته **بقرائتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة** وفي هذه السنة توفي
رحمه الله **حدثنا ابو علي الحافظ** الغساني وقد تقدم والحافظ اذا اطلق يراد به حافظ
الحديث بالرواية **حدثنا ابو عمر** يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي الامام
الجليل صاحب التاليف المشهورة كما تقدم **حدثنا ابن عبد المومن** ابو محمد عبد الله بن محمد
بن عبد المومن كما تقدم **حدثنا ابن داسة** ابو بكر محمد بن بكر وقد تقدم وان داسة بدال مهملة
وسين مهملة مفتوحة بينهما الف **حدثنا ابو داود** صاحب السنن المتقدم **حدثنا ابو بكر**
بن شيبة عبد الله بن محمد بن ابي شيبة العبسي احفظ اهل عصره له ترجمة في الميزان
مفصلة واخرج له الايمة الستة **حدثنا عبد الله بن نمير** بالنون مصغر النمر الهمداني
ابو هشام بن هشام بن عروة الاعمش الحافظ اخرج له اصحاب الستة وتوفي سنة تسع
وتسعين ومائة **عن مسعر** بكسر الميم وسكون السين المهملة وفتح العين وراء مهملة هو
ومعناه موقد النار ويقال هو مسعر حرب للشجاع وهو مسعر بن كدام ابو سلمة الهلالي
الكوفي المسمى بالمصحف لاتقانه وحفظه وممن اخرج له الستة وتوفي سنة خمس وخمسين
ومائة وله الف حديث **عن ابي العنبس** بفتح العين وسكون النون وفتح الباء الموحدة وسين
مهملة وهو الحارث بن عبيد بن كعب العدوي الكوفي لم يخرج له غير ابي داود وذكره في الميزان
ولم يذكر فيه شيئا **عن ابي العدبس** بفتح العين والدال المهملتين وتشديد الباء الموحدة
المفتوحة وسين مهملة وهو تبيع بن سليمان وتبيع بضم المثناة الفوقية ثم باء موحدة ثم
عين مهملة بزنة المصغر كما في الميزان وتهذيب الذهبي والاكمال الا ان ابا خليل الحافظ
كتب في حواشيه ان هذا وهم منه وانما هو منيع بالميم بدل المثناة كما قاله البرهان الحلبي
عن ابي مرزوق التجيبي واسمه كنيته وله ترجمة في الميزان قال فيها ان ابن حبان قال
انه لا يحتج بما انفرد به **عن ابي غالب** الراسبي واسمه حزور وقيل سعيد بن حزور وقيل
نافع وروى عنه اصحاب السنن واختلفوا في ضعف روايته ومنهم من وثقه **عن ابي**
امامة الباهلي والسهمي وهو صدي ابن عجلان بن وهب توفي سنة احدى او ست وثمانين
واخرج له الستة وهو من بقايا الصحابة بحمص وهذا الحديث رواه ابو داود وابن ماجة
مسندا قال **خرج علينا رسول الله متوكيا** بكاف مشددة وهمزة اي معتمدا متحاملا وهو
منصوب على الحال **على عصا** وقال ابن عباس التوكؤ على العصا من سنن الانبيا وكان له صلى
الله عليه وسلم عصا فيها قضيب ومخصرة قصيرة ومحجن وكانت في يده اذا خطب وكانت
عند الخلفا • وقال الصرصري
• وعصاه لما مستها بيمينه • فضلت عصا صارت الى ثعبان •
فقمنا له تعظيما واجلالا **فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا**
هذه الجملة بدل مما قبلها او مستانفة استينافا بيانيا والاعاجم جمع اعجم او اعجمي اذا عجم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

على خلاف القياس او جمع اعجام جمع جمع وهم من عدا العرب وقد يخص بفارس وقد اختلف
العلما في القيام للتعظيم المعتاد هل هو مكروه ام لا فقيل بكروه استدلالا بظاهر الحديث
وبحديث من احب ان يتمثل له الناس قياما وجبت له النار ونحوه حتى ذهب بعضهم الى حرمته
والاحسن ما قاله القاضي زكريا في شرح الروض انه يستحب لاهل العلم والصلاح والحكام
العدول بل قد يجب اذا خشي من تركه ضررا كجبابرة الملوك ويستحب لمن قدم من سفر ولذوي
الارحام تكريما وبرا بهم ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم للانصار لما قدم عليهم سعد
قوموا لسيدكم والمنهي عنه انما هو ما كان على سبيل الريا والتكبر وحمل حديث سعد على انه
كان مريضا وقدم راكبا فامرهم بالقيام ليعينوه في النزول عن دابته خلاف الظاهر وقد
فعله صلى الله عليه وسلم وكان يقوم لفاطمة اذا جاءته ولعله نهاهم لئلا يظنوه سنة ويتخذوه
عادة **وقال** صلى الله عليه وسلم **انما انا عبد** للحصر فيه اضافي اي لست بسلطان ثم انه
ان اريد بالعبد معناه العرفي وهو الرقيق المملوك للناس فهو استعارة فشبه نفسه تواضعا
لله بالرقيق لتعاطيه خدمة نفسه وبيته فانه كان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويكنس بيته
ويلبس الغليظ فقوله **اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد** بيان لوجه الشبه
وان اريد عبد الله وكل الناس عبيد الله الملوك وغيرهم سواء في ذلك فالمراد انه متمحض
لهذه العبودية لا يشوبها بشي من امور الدنيا ولا يتخلق بشي من اخلاق اهلها في لباسهم
وماكلهم ومشيهم وقولهم فانه كان يجلس على الارض ولا ياكل على خوان ولا يغلق عليه
باب ولا يتخذ حجابا **وكان يركب الحمار** وكثير من الاغنيا يانف ركوبه وكان له حمار يسمى عفير
واخر يسمى يعفور وهو ماخوذ من العفرة وهي التراب لشبه لونه له وليسا اسمين لحمار
واحد كما توهم فان عفيرا اهداه له فروة بن عمرو وقيل بالعكس
ومات يعفور بمنصرفه من حجة الوداع وقيل القى نفسه في ابن التيهان يوم موته وقيل انه كان
من جنس من الحمير لم يركبه الا نبي وانه كان يرسله للرجل فياتي بابه ويقرعه براسه فيعلم
انه يطلبه **ويردف خلفه** ويردف بضم المثناة بمعنى يجعله رديفا له اي راكبا خلفه
على دابته التي ركبها ويقال ردف واردف واصله الركوب على الردف وقد يجعل غيره قدامه
ايضا ولم يذكر من اردفه اشارة لعمومه فيشمل الذكر والانثى والصغار والكبار • وقد
ذكروا ان من اردفه بلغ الاربعين في سفر وحضر وهذا من تواضعه • وهم اسامة بن
زيد ردفه من عرفة • والصديق في الهجرة • وعثمان راجعا من بدر • وعلي في حجة الوداع •
وعبد الله بن جعفر بين يديه • وسبطه مع غلام من بني هاشم • واولاد عباس الثلاثة في نزوله
من المزدلفة • والحسن والحسين • ومعاوية • ومعاذ بن جبل على عفير • وابو ذر على حمار •
وزيد بن حارثة • وثابت بن الضحاك • والشريد بن سويد • وسلمة بن الاكوع • وزيد بن
سهل • وابو طلحة الانصاري • وسهيل بن بيضا • وعلي ابن بنته زينب • وعبد الله بن الزبير
وغلام مطلبي • واسامة بن عمير • وصفية بنت حيي مقدمه من خيبر • وابو الدردا • وامنة
بنت ابي الصلت • وابو اياس • وابو هريرة • وقيس بن سعد • وخوات بن جبير • وجبريل على
البراق في الاسرا • وام حبيبة الحصنية • وزيد بن ارقم • وجابر بن عبد الله • وزاد ابن سيد
غير هولاء • ونظمهم ابو ذر بن مو فوق الدين فقال •
واردا فه جم عفير فمنهم • علي وعثمان شريد وجبريل •

ولاده

واولاده ذوو الرشد والتقى • اسامة والدوسي وهو نبيل •
معاوية قيس بن سعد صفية • وسبطاه ماذا عنهم شا نول •
معاذ ابو الدردا سويد وعقبة • وامنة بان قام ثم دليل •
كذلك خوات طريف وسبطه • علي ووجد النقل فيه جميل •
اسامة والصديق ثم ابن جعفر • وزيد وعبد الله ثم سهيل •
كذا بنت قيس خولة وابن اكوع • وقد رهم في العالمين جليل •
كذلك زيد صابر ثم ثابت • فمن جبهم والله لست اجول •
ثلاثة غلمان وزد معهم ابا • اياس وحسبي الله وهو وكيل •
ويعود المساكين ويجالس الفقرا الفرق بين المسكين والفقير مشهور في بحث الزكاة
الا ان كلا منهما يطلق على الاخر من غير فرق في العرف • والعيادة سنة للغني والفقير
وانما خصهما هنا لانه يعلم منه غيرهم بالطريق الاولى والمسكين بكسر الميم وفتحها ماخوذ
من السكون ويكون بمعنى المتذلل الخاضع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم احيني
مسكينا وامتني مسكينا ولا يجوز ان يطلق على النبي صلى الله عليه وسلم انه فقير او مسكين
وان اطلقه على نفسه **ويجيب دعوة العبد** اذا علم انه يكون له طعام غيره لكونه
ماذونا ونحوه **ويجلس مع اصحابه مختلطا بهم** فلا يختار مكانا رفيعا ولا يتقدم عليهم
قال ابو هريرة حتى كان الغريب اذا اتى نادية لا يعرفه حتى يسال عنه ثم ان الصحابة
سالوه ان يجعل له مكانا مخصوصا حتى اذا اتاه الغريب عرفه وساله فجعلوا له من طين
تارة يجلس عليه وتارة يجلس بجنبه **حيث ما انتهى به المجلس جلس** حيثما يفيد العموم
اي اي مكان وجده خاليا وفيه محبة يجلس فيه صدرا او غير صدر وكل هذا التواضع
وارشاد امته **وفي حديث عمر عنه** صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث رواه البخاري
لا تطروني مضارع اطراه اذا بالغ في مدحه وتجاوز الحد فيه قال •
لا يلحق الواصف المطري محاسنه • وان يكن محسنا في كل ما وصفا •
وهو ماخوذ من الطراوة يقال طرا وطراه ومدحه صلى الله عليه وسلم مطلوب من
كل احد والنهي انما هو عما لا يليق به ولذا قال **كما اطرت النصارى** جمع نصراني
منسوب لناصرة او نصرة او نصوريه على خلاف القياس وتلك القرية كان فيها اول
امره **ابن مريم** فانهم قالوا فيه انه ابن الله وغيره مما هو مشهور وهذا كقول الابي •
دع ما ادعته النصارى في نبيهم • واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم •
ومنه اخذ الحلبي قوله في بديعيته •
دع ما تقول النصارى في نبيهم • من التغالي وقل ما شئت واحتكم •
وما احسن قول ابن الفارض •
وعلى تفنن واصفيه بحسنه • يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف •
انما انا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله ولا تقولوا ما قاله اهل الكتاب ونحوه
فالحصر اضافي **وعن انس** رواه مسلم **ان امراة** من الصحابة تسمى ام زفر وهي
ماشطة خديجة ام المومنين وتردد البرهان فيها هل هي هذه او غيرها وجزم به غيره
كان في عقلها شي من الجنون ولم يصح به اشارة لحفظه ولانها لم تستغرق فيه فان

تقعد

حيرى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لفظ شي يشعر بالعلة جاءته فقالت ان لي اليك حاجة اي لي حاجة اريد ان انهيها اليك واعلمك بها قال لها اجلسي يا ام فلان الابهام من الراوي لانه لم يحضر اسمها في اي طرق المدينة شيت اجلس اليك بجزوم في جواب الامر والي بمعنى عند عبر به تلطفا كله حتى اقضي حاجتك فجلست فجلس اليها حتى فرغت من حاجتها التي اعلمته بها تواضعا منه وملاطفة وفيه استحباب الملاطفة بمثلها الا ان كان فيه جنون مطبق وكانت جارية سوداء تصرع احيانا فشكت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وقالت اني اصرع واني انكشف فادع الله لي فقال ان شيت فاصبري ولك الجنة وان شيت دعوت الله ان اعافيك فقالت اصبر ولكن ادع الله ان لا انكشف فدعا لها فكان ابن عباس يقول الا اريكم امراة من اهل الجنة فيشير اليها وقيل ان التي كانت تصرع سعيرة الاسدية وقال انس في حديث رواه بتمامه ابو داود والبيهقي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد كما تقدم بيانه وكان صلى الله عليه وسلم يوم بني قريظة يوم واحد الايام واليوم بمعنى الوقعة والغزوة شائعة يجب اذا اطلقوه انما يفهم منه هذا وبنوا قريظة بصيغة التصغير والقاف والراء المهملة والظا المشالة ثم هاء قوم من اليهود بقرب المدينة غزاهم النبي صلى الله عليه وسلم قبل غزوة الخندق كما فصل في السير راكبا على حمار وهو صاحب الرياسة والرسالة العظمى تواضعا ومن هو من اقل عبيده يركب الحمار في مثله ويجتنب الجنايب اظهار الشوكته وعظمته من ذاته لا لعرض الدنيا الذي لا يستقر وما في بعض الشروح نقلا عن بعض الحواشي من انه بفتح اليا التحتية والهمزة المضمومة الموسومة واو والميم المشددة بمعنى يقصد تحريف لا وجه له مخطوم بحبل من ليف اسم مفعول من الخطام بخاء معجمة فطاء مهملة وهو ما تقاد به الدابة كالرسن والليف بكسر اللام والفاسي يتخذ من النخل ويفتل حبالا وعليه اي على الحمار اكاف بكسر الهمزة وكاف والف وفاء بزنة كتاب ويضم كغراب ويقال وكاف بالواو وهو رحل يوضع على ظهر الحمار المركوب بمحليه وهو البرذعة وهذا من حديث رواه ابو داود والبيهقي قال اي انس بن مالك وكان يدعى الي خبز الشعير والاهالة السنخة الاهالة بكسر وتخفيف الهاء ولام وهو كل ما يؤتدم به من الدهن او ما يذاب من الالية او الدسم الجامد وسنخة بفتح السين المهملة وكسر النون وفتح الخا المعجمة وهاء بمعنى متغيرة الرايحة يقال سنخ الدهن وزنخ اذا تغير فيجيب دعوة من دعاه وهذا الحديث رواه الترمذي في شمايله وابن ماجة في سننه قال انس ايضا وحج صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة في حجة الوداع كما في البخاري بدل عليه قوله وقد فتحت الارض عليه على رحل رث الرحل للجمل كالسرج للفرس فيختص به ورث بفتح الراء المهملة وتشديد المثلثة بمعنى بال خلق وعليه قطيفة اي كسا من صوف له خمل ما تساوي اربعة دراهم اي لو قومت لم تكن قيمتها اربعة دراهم ويقال هذا يساوي ويسوى كذا القيمته والحج من اعظم شعاير التواضع واظهار الافتقار الى الله ومنع النفس من التلذذات والملابس ولذا شرع الاحرام فيه والتجرد في الموقف المقتضي للعرض على الله وهذا من محاسن التشريع والارشاد للاخلاص ولذا تمم فقال اللهم اجعله اي اجعل حجي هذا حجا لا رياء فيه ولا سمعة

بل خالصا

بل خالصا لوجهه الكريم والريا مشتق من الروية وهو ما يفعل من عبادة ونحوها الاجل ان يراه الناس فيمدحوا صاحبه به والسمعة بضم فسكون ما يفعل ليشيع ويسمع الناس به وهما بمعنى بحسب الماصدق وان اختلف مفهوماهما ومنهم من فرق بينهما بان عبد السلطان اذا عمل عملا ليراه سيده وحده رياء لا سمعة ومن اشاع امرا لم يرو سمعة لا رياء فيه وقال القرافي في قواعده الريا موجب للاثم والبطلان عند كثير لظاهر قوله وما امروا الناس فقط ويسمى رياء الاخلاص وهو لاغراض شتى والتشريك كمن جاهد طاعة لله مع قصد الغنيمة وهذا يضر بنقص الثواب ولا يحرم بالاجماع بخلاف من فعل ليقال انه شجاع او ليحظى عند الامام او يكثر عطاوه وهو محرم ليس كقصد الغنيمة من العدو ومن حج وشرك مع الحج المتجر لا ياثم ولا يقدح ذلك في صحة حجه ولو كان جل قصده او كله التجارة كمن صام ليصح بدنه ويعتني نفسه لا يقدح في فعله لان الشارع امر به في حديث يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء اي قاطع للشهوة فامر بالصوم لغرض اخر غير العبادة ولو كان قاد حالم يامر به كمن توضا للتبريد والتنظيف فان تلك اغراضا ليس فيها تعظيم غير الله بفعله فانه هو المضر انتهى والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من الريا والسمعة وانما دعا بذلك تعليما للامة وتواضعا كقول يوسف وما ابري نفسي لان النفس قد يدخلها الريا باظهار الزهد هذا اي فعله هذا واختياره رث اللباس والمركب ليس عن عجز وقد فتحت عليه الارض فتح يتعدى بعلى لما كثر ابتهو من الله كانه افاضه عليه وفتح الارض ان اريد به بعضها كالحجاز فظاهر وان اريد جميعها فقد يحمل تمكنه منها بمنزلة وقوعه وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اتيت بمقاليد الدنيا على فرس ابلق عليه قطيفة سندس وفي رواية بمفاتيح خزاين الارض فوضعت بين يدي وهو محمول على ظاهره وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو او هو كناية عن ان الله مكنه من ذلك ولو اراده صرفه بالفعل فيها وقاد جميع اهلها وما فيها له واهدى في حجه ذلك مائة بدنة اهدى بمعنى بعث الهدية بوزن الرمي مخفف لينا وقد تشدد فتكسر داله وهو ما يرسل للبيت الحرام ليتحر فيه ويتصدق به من الابل والبقر وكذا البدنة تطلق على الجمل والناقة والبقرة واكثر ما يطلق على الابل وقد تسمى الابل مطلقا هديا وسميت بدنة لكبر بدنها وفي البخاري لما حج النبي حجة الوداع اهدى مائة بدنة نحرها وقسم لحمها وجلودها وجلالها ونحر بيده منها ثم امر عليا ينحر باقيها واختلف فيما نحر بيده اهو ثلاث وثلثون او ستون ولما فتحت مكة ودخلها بجيوش من المسلمين وذلك في شهر رمضان ثاني عشره او ثالث عشره او ثامن عشره وصحح النووي انه تاسع عشره واختلف في الجيش ايضا فقيل اثني عشر وقيل عشرة الاف وقيل ثمانية طاطا على راحلته راسه حتى كاد يمس قادمة الرحل له مقدم ومؤخر مرتفع عن محل الراكب وفيهما لغات قادم وقادمة ومقدم ومقدمة بكسر الدال المخففة وفتحها مشددة وكذا آخرة الرحل تواضعا لله تعالى ومن تواضعه انه ركب الجمل دون الفرس وعلى راسه مغفر فوقه عمامة سوداء واردف خلفه اسامة ومن تواضعه قوله لا تفضلوني على يونس بن متى قال شيخ مشايخنا الجلال السيوطي لم اقف عليه بهذا اللفظ والذي في البخاري عن ابن مسعود لا يقولن احدكم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اي خير من يونس بن متى وفي سنن ابي داود ما ينبغي لنبي ان يقول انا افضل من يونس
بن متى وفي الصحيحين لعبد بدل النبي وفي رواية لا اقول ان احدا افضل الخ انه سبح الله
في الظلمات وفي البخاري ونسبه لابيه وفيه اشارة الى ان متى بفتح الميم وتشديد التا المفتوحة
اسم ابيه وقيل معناه انه ذكر اسم ابيه بدل متى اسم امه وهذا هو المشهور وانه لم ينسب لامه
الا يونس وعيسى واختلف في المراد منه فقيل انه قاله تواضعا منه وان كان هو افضل
من جميع الرسل بالاتفاق وكلام المصنف يميل لهذا فان الافضل قد لا يطلب تفضيل احد له وقيل
انه كان قبل ان يعلم بتفضيله والاذن فيه لقوله تع تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وخص
يونس لئلا يتوهم احد تنقيصه اذا سمع قصته وقوله ولا تكن كصاحب الحوت وقصته مفصلة
في التفسير **وقوله لا تفضلوا بين الانبيا** لا ينافي هذه الاية لان المنهي عنه تفضيل
يؤدي الى التنقيص والخصومة والنزاع او التفضيل من سائر الوجوه لانه قد يكون في المفضول
ما ليس في الفاضل او التفضيل في نفس النبوة لا في الخصائص وعموم الرسالة والا فيجب
علينا اعتقاد افضليته لقوله انا سيد ولد آدم وقوله ان الله اختارني على جميع العالمين
من الانبيا والمرسلين **ولا تخيروني على موسى** اي لا تقولوا اني خير منه وافضل وخصه
لئلا يظن احد تنقيصه لقوله فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان والاقرب
الظاهر لا تفضلوا تفضيلا يؤدي للنزاع والمخاصمة فان هذا من بعض حديث في الصحيحين
ان رجلا من المسلمين استب مع يهودي فقال اليهودي والذي فضل موسى على العالمين
فلطمه فاشتكى للنبي فقال ذلك وسياتي الكلام على هذا **ونحن احق بالشك من ابراهيم**
اذ قال رب ارني كيف تحيي الموتى وحمله بعضهم على ظاهره وانه كان قبل البعثة في سن
الطفولية ومن قال بعصمة الانبيا مطلقا قال انه نفي للشك لا اثبات له وانما قاله
على سبيل التواضع اي نحن احق بالشك منه لو شك ولكنه لم يشك فكانه قال انا لا
اشك فكيف ابراهيم وقيل انما قاله جوابا لمن قال شك ابراهيم ولم يشك نبينا ولا تنافي
بين القولين وسيشير اليه المصنف في القسم الثالث وقيل يصح ان يكون المراد انه احق
بالشك منه اولم تؤمن قال بلى الخ وتسميته شكا بالنظر للظاهر لاقتضائه عدم الاطمئنان
وهو ينافي عدم التردد والشك ولذا احتيج لتاويله بان الخليل قطع بالقدرة على احيا الموتى
بدليل قطعي لكنه اشتاق لمشاهدة كيفية هذا الامر العجيب الذي جزم بثبوته فنفسه
لا تطمئن حتى يشاهده قال ابن ابي شريف وهذا التاويل يشير الى ان المطلوب بقوله ولكن
ليطمئن قلبي سكون قلبه عن المنازعة الى رؤية الكيفية المطلوبة التي تمناها ليحصل له
العلم البديهي بعد العلم النظري ولما كان هذا الشك ظاهره جائزا على الانبيا قال صلى
الله عليه وسلم ما قاله كناية عن انه جائز منه الا انه اورده بهذه الصورة تادبا مع الله
وانه لم يكن احق بذلك الشك منه وكيف يتصور جوازه عليه وعلي يقول لو كشف الغطا
ما ازددت يقينا الا ان في هذا اشكالا اورده ابن العماد لاقتضائه تساوي علمه البديهي
والنظري فيتجاوز المقام الخليلي وقد اجاب عنه في كتاب كشف الاسرار فقال قال العز
بن عبد السلام المراد ما ازددت يقينا بالايمان وان كان اذا رآها ابصر من التفاصيل والهيئات
ما لم يحط به قبل ذلك علما وكذلك ابراهيم لما رأى كيفية لم يزدد يقينا بالايمان بقدرته
تع على الاحيا وان وقف بمشاهدة كيفية الاحيا على ما لم يقف عليه من الايمان كمن راي

بنا

بنا عجيبا وعرف بتتابعه علم قدرته وصنعه وتحققه وان لم يعرف كيفية بنائه وصنعة عمله
فاذا طلب مشاهدة عمله ورآه لم يزد علمه بقدرته وصنعته وهيئته بذلك لكن اطمأن قلبه بحصول
ما طلبه من كيفية صنعه وقال السبكي سئل الغزالي عن هذا فقال اليقين يتصور عليه الجحود
كما قال تع وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم والطمانينة لا يتصور عليها الجحود وهو جواب حسن
في الفرق بين اليقين والجحود انتهى وفيه نظر وقول ابن عباس هذه الاية ارجى اية في القرآن معناه
ان سؤاله الاحيا في الدنيا يدل على انه يحيي وينعم في الاخرة او ان الايمان بالغيب اجمالا كاف لنا **ولو**
لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي لبث في السجن بضع سنين اي لبث
خمسا ثم سبعا بعد رؤيا الفتيين اللذين دخلا معه في السجن وقيل غير ذلك وورد في الحديث رحم
الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك ما لبث في السجن سبعا بعد خمس اي لو لم يستعن بغير الله
ما طالت المدة والمراد باجابة الداعي اجابة رسول الملك الذي دعاه للخروج منه قال الكرماني
وصفه بالصبر حيث لم يبادر الى الخروج وقال ذلك تواضعا الا انه كان فيه مبادرة وعجلة لو
كان مكان يوسف والتواضع لا يصغر كبيرا بل يزيد قدره اجلالا وذلك منه صلى الله عليه وسلم
اشارة الى مقام التفويض وتلقي كل ما ياتي من الله بالقبول ورفض الوسائط والمعنى لو كنت مكانه
لتلقيت دعوة الداعي مستعينا به ثم مفوضا امري له وقد كان يوسف عبر رؤيا الفتيين ثم
رؤياه الملك فطلبه فلما جاءه الرسول ليخرجه من السجن لم يبادر للخروج وطلب الكشف عن امره
حتى يعلم انه مظلوم وقال القرطبي الوجه عندي في ذلك انه صلى الله عليه وسلم اخذ لنفسه
وجها آخر من الراي وهو ان يفعل امرا ليقتدى به فيه وهو ان يخرج سريعا ثم يبرئ ساحته
بالتنزيه من غير الحاج وهو الحزم ويوسف سلك مسلكا آخر وهو الصبر وقيل انه صلى الله عليه
وسلم لم يلتفت لما التفت له من براءة الساحة اكتفاء بعلم الله واعتقاده لانه يبرئ ساحته من
غير طلب منه في هذا المقام ولكنه قال ما قال تواضعا وفي يوسف ست لغات تثليث السين مع
الهمز وعدمه **وقال للذي قال له يا خير البرية ذاك ابراهيم** وهذا من تواضعه ايضا
والا فهو خير البرية من غير شك وليس فيه اخبار بغير الواقع اذ المعنى لا اقول ذلك الخبر النفسي
والبرية الخلق من براء بمعنى خلق لكن همزته متروكة كما في الذرية والنبي والخابية وهذا
الحديث رواه مسلم في صحيحه وغيره وخص ابراهيم لان الله امره باتباع ملته في قوله واتبع
ملة ابراهيم **وعن عايشة والحسن وابي سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم يزيد**
على بعض قدم عايشة لانها ادرى بحاله في بيته ولذا عقبها بالحسن بن علي لانه من اهل
البيت ايضا وابو سعيد الخدري كان يخدمه فلذا خص هؤلا ورتبهم الاقرب فالاقرب **كان**
في بيته في مهنة اهله خبر بعد خبر او بدل مما قبله بدل اشتمال والمهنة بكسر الميم وفتحها
الخدمة ماخوذة واختلف في ايهما الافصح والاكثر على انه الفتح والاشهر انه الكسر ليوافق الخدمة
لفظا ومعنى وانكر بعضهم الكسر والاصح انه لغة وانه ثابت بالوجهين **يفلي ثوبه** بيان
هو وما بعده لما قبله لان هذا مما ينبغي ان يفعله اهله ويفلي بفتح المثناة التحتية وسكون الفا
يقال فلاه يفليه كرماه يرميه اذا فتش ما فيه من قمل وغيره وهذا احتمال وهو يقتضي انه يكون
في ثوبه قمل وقد قالوا انه يكون ذكر ما له ولانه يتولد من العفونة والعرق وجسده وعرقه
طيب لا يكون فيه عفونة والقول بان فيه قملا تنقيص لا ينبغي ان يقال الا ان نقل انه لم يكن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الذباب يتعلق عليه وان القمل لا يؤذي بدنه تعظيما له وتكريما فقيل المراد بنفي اذيته
نفيه لانه من لوازمه وقيل انه كان فيه ولكن لا يؤذيه والاول مناف لحديث المتن ولما روى
ان ام حرام كانت تفلي راسه واللفظ شاهد لخلافه نعم نفي اذاه مستلزم لنفيه لان اذيته
بتغذيه من البدن فاذا امتنع غذاؤه لم يعش وحينئذ لم يكن في وجوده الا قذارته والاحتياج
لتفليه ولذا قيل المراد بتفليه تفتيشه لخرق فيه او تعلق شي به من شوك ونحوه وكل ذلك
للتشريع واظهار التواضع واحتمال ان يكون القمل جاءه من غيره لكثرة مجالسته الفقرا الا يا باه
تفلي ام حرام لراسه كما قيل على انه يحتمل انها كانت تبحث عن هذا وان لم تجده **ويحلب شاته**
ويرقع ثوبه بفتح اليا وسكون الرا المهملة وفتح القاف المخففة ويجوز الضم والتشديد
الا ان الضبط بالاول لمناسبة ما معه ويرقع الثوب اي يضع فيما تخرق رقعة من غيره يسدها
به **ويخصف نعله** اي يخرزها وفي النهاية انه تطبيق بعض جلود النعل على بعض وهو في
قوله ثم يخصفان عليهما من ورق الجنة استعارة من هذا واصل معنى الخصف الضم والجمع **ويقم**
البيت اي يكنسه ويزيل قمامته من قم يقم بضم القاف اذا كنس **ويعقل البعير** اي يربطه
من رجله بالعقال ويعقل لوزن يضرب **ويعلف ناضحه** بنون وضاد معجمة وحاء مهملة وهو
البعير الذي يستقى عليه من النضح **ويخدم نفسه** اي يفعل ذلك كثيرا الا دايما مع كثرة
عبيده وخدمه وتشوق الناس لخدمته لكنه يحب فعل ذلك تواضعا وتشريعا **وياكل مع**
الخادم الخادم من يتعاطى الخدمة ذكرا او انثى حرا او عبدا واكل الانسان مع خادمه سنة
قال القاضي زكريا في شرح الروض ان السنة ان يجلسه معه ويلبسه من لباسه فان ابى فليناوله
من ما كله ومن الغريب ما نقل عن الشافعي انه واجب للامر به في الحديث وفيه نظر **ويعجن**
معه الضمير للخادم لانه يطلق على الانثى كامر والعجين من عمل النسا **ويحمل بضاعته**
بكسر الموحدة وهي ما يشتريه **من السوق** وفيه دلالة على انه كان يدخل السوق قالوا وهو
عادة الانبيا قال تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في
الاسواق ولذا كان دابا الصحابة لا ينافيه احب البقاع الى الله المساجد وابغضها اليه الاسواق
لان المراد بغض ما فيها او النهي عن الجلوس فيها من غير حاجة **وعن انس** بن مالك خادم النبي صلى
الله عليه وسلم وهذا الحديث رواه البخاري تعليقا ووصله ابن ماجة **ان كانت الامة من اماء**
المدينة بكسر همزة ان المخففة من الثقيلة كقوله وان كانت لكبيرة وهي مهملة او اسمها ضمير شان
مقدر **لتاخذ بيد رسول الله لتنطلق به حيث شاءت** اي تمسك يده وتذهب معه الى اي
الى محل تريد لاجل حاجتها **حتى تقضي حاجتها** وليس فيه افراط في التواضع المذموم لان
قضا حاجة المسلمين امر محمود ودخل عليه رجل فاصابته رعدة بكسر فسكون لخوفه من مهابته
اذ كان لم يره قبلها واعاد هذا الحديث لما فيه من الزيادة والرعدة ان يرجف ويضطرب **فقال**
له هون عليك امر من التهوين اي عد ما رايته امرا هينا غير صعب تخشى منه اي لا تخف
ولا تفزع **فاني لست بملك من الملوك** الجبابرة التي تخشى بوادرهم **انما انا ابن امراة**
تاكل القديد هو اللحم الذي يقطع ويجعل في الشمس حتى ييبس وكانت عادة العرب اكله
وهكذا عادة فقرائهم فكانه كنى به عن عدم تكبره وتجبره وترفعه **وعن ابي هريرة**
قال السيوطي هذا الحديث رواه الطبراني في الاوسط بسند ضعيف قال **دخلت السوق**

مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل في حواشي الشمني ذكر المصنف اشتراه
للسراويل الا انهم قالوا انه لم يثبت انه لبسها ولكنه اشتراها ولم يلبسها وقال ابن القيم في
الهدي انه لبسها فقالوا انه سبق قلم وقال السيوطي في فتاواه قد رايت الحديث الذي ذكره
المصنف في معجم الطبراني الاوسط ومسند ابي يعلى وفيه انه لبسها ولفظه عن ابي هريرة قال
دخلت يوما السوق مع رسول الله فجلس الى البزازين واشترى سراويل باربعة دراهم وكان لاهل
السوق وزان فقال له زن وارجح واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السراويل فذهبت لاحمله عنه
فقال صاحب الشي احق بشيئه ان يحمله الا ان يكون ضعيفا فيعجز عنه فيعينه اخوه المسلم يا رسول
الله وانك لتلبس السراويل قال اجل في السفر والحضر وبالليل والنهار فاني امرت بالستر فلم
اجد شيا استر منه اخرجه من طريق ابن زياد الواسطي واخرجه احمد وفي سنده ابن زياد وهو
وشيخه ضعيفان انتهى • اقول بخبر ضعفه بمتابعته ومنه تعلم ان تخطية ابن القيم لا وجه
لها وكون الثمن اربعة دراهم هو المروي لا ما في الاحيا انه بثلاثة وكونه اشتراها ولم يلبسها
بعيد جدا وقد لبسها عثمان وهو محاصر قضا رشنده والسراويل يذكر ويؤنث ولم يعرف فيه
الاصمعي الا التانيث وجمعه سراويلات وهي مصروفة في النكرة عند سيبويه فان سمي
بها رجل لم تنصرف وكذا ان صغرت بعد التسمية لانها مونثة على اكثر من ثلاثة احرف كعنيق فان
صغرت من غير علمية صرفت وقال الجوهري من النحويين من لا يصرفه في النكرة ايضا لانه
عنده جمع سروالة وانشد • عليه من اللوم سروالة • ويقول ابن مقبل
فتى فارسي في سراويل رامح • والعمل على الاول والثاني اقوى انتهى ومن رد قول
من قال انه ممنوع من الصرف بالاتفاق وقول الحديثي انه لم يصح انه جمع في الاصل لخصا
للصنع فتعتبر فيه الجمعية الاصلية قال ولذا اضطربوا فيه فقيل انه عجمي معرب سروال
حمل على موازنه في العربية كمصابيح وقيل عربي جمع سروالة تقديرا وهي لغة في سراويل ويقوي
عجمته لانه لا نظير له في العربية وعلى هذا فتصرف الجواليقي في معربه انه لا انه قيل انه معرب
شلوار بالمعجمة والاشهر انه معرب سراويل اي بدل الرا نون لان سر معناه الراس وواو
معناه مدلى **وقال للوزان** الذي يزن الدراهم وينقدها وهو الصيرفي **زن وارجح**
اي زن لصاحب السراويل ثمنها وزد عليه حتى ترجح الميزان بزيادة الكفة التي فيها الدراهم
وبهذا استدل الامام مالك على جواز هبة المجهول وفيه نظر لانه من حسن القضا وكلام
ابي حنيفة في الصفة المحضة والرجحان نزول كفة الميزان لزيادة ما فيها **وذكر القصة**
كما سمعتها آنفا **قال** اي ابو هريرة راوي هذا الحديث فقال الوزان هذه كلمة ما سمعتها
من احد فقال له ابو هريرة كفى بك من الوهن والجفا في دينك انك لا تعرف نبيك **فطرح**
الميزان ووثب اي قام بسرعة **الى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها** اي قام ليقبل
يده لما راى منه ولمعرفته انه رسول الله **فجذب** اي نزع صلى الله عليه وسلم **يده** من يده
وقال هذا اي تقبيل اليد امر **يفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم**
معاشر العرب او الناس وهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم او لانه علم انه انما قبل يده لامر
دنيوي فتقبيل يد الرجل لعلمه او صلاحه او شرفه سنة مستحبة وقد كان الصحابة يقبلون
يده ويد الخلفا وقيل لبعض المشايخ انقبل يد المشايخ فقال انهم رياحين الله فشموها بالتقبيل
ثم اخذ رسول الله بيده **السراويل** ليحملها بنفسه **فذهبت لاحمله** اي شرعت في حمله عنه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يقال ذهب يفعل كذا وقام يفعله اذا شرع في الفعل ولذلك عدت من افعال المقاربة فليس المراد بالذهاب معناه المشهور وضميره لاحمله للسراويل لانه يجوز تذكيره وتانيثه فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم لابي هريرة صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله بدل من شيئه اي احق بحمله من غيره وهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم واقتدى به الصحابة فكان الخلفاء منهم يحملون امتعتهم في السوق كما فصله الغزالي في الاحياء ۞

فصل واما عدله صلى الله عليه وسلم ۞

العدل مصدر بمعناه العدول عن الظلم والجور ويكون بمعنى العادل فيستوي فيه الواحد المذكر وغيره ويجمع على عدول واما امانته في كل شي يحفظه قولا كان او فعلا او غير ذلك مما يجعل عنده وكونه موثوقا به في اموال الناس واحوالهم وعفته في نفسه بترك كل قبيح وترك السؤال والنزاهة عن كل شي وصدق لهجته اللهجة اللسان والكلام ويقال لهجة بكذا اذا ولع به ولا يخفى تقارب معاني ما ذكر ولذا جمعها في فصل فان في العدل عفة عن الظلم وفي الصدق امانة على ما يسمع وعفة عن الكذب وهذا ظاهر لمن له بصيرة فكان صلى الله عليه وسلم آمن الناس آمن بمد الهمزة بمعنى اكثرهم واشدهم امانة واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان اي من ابتداء خلقته الى نهايتها وكان تامة بمعنى وجد اعترف له بذلك محادوه جمع محاد بتشديد الدال المهملة بمعنى المعادي والمخالف له الذي في حاد وجانب عنه ويكون بمعنى المحارب قال ومن يحادد الله ورسوله وعداه بكسر العين جمع عدو واسم جمع وهو في الصفات وقد تضم عينه قال ابن اسحق محمد بن اسحاق بن يسار صاحب السير كما تقدم وهذا حديث صحيح رواه احمد في مسنده والحاكم والطبراني عن علي كان في ابتداء امره قبل نبوته يسمى الامين لامانته وصدق قوله في جميع احواله بما جمع الله له من الاخلاق الصالحة اي بسبب ما جمعه الله فيه من الاخلاق الصالحة الذي ابتعثه الله والبا بمعنى مع اي مع ما جمعه الله له من الصالحات التي عرف بها عندهم وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه اي المطاع الامين في هذه الاية محمد عليه السلام وكثير منهم على انه جبريل كما يشهد به سياق النظم ولذا ارتضاه المحققون وكونه على الاكثر فيه نظر ولما اختلفت قريش وتحازبت بالحاء المهملة والزاي المعجمة والموحدة اي صارت احزابا وفرقا لاختلاف آرائهم ولو قيل تحاربت بالراء المهملة كما في السير انهم تحالفوا حتى اعتدوا للقتال ثم بدا لهم فتشاوروا واصطلحوا الا انه بعيد والنسخ مضبوطة خطا بخلافه عند بناء الكعبة قال السهيلي كان بناؤها خمس مرات • الاولى حين بناها شيث بن آدم • والثانية حين بناها ابراهيم على القواعد الاولى • والثالثة حين بنتها قريش قبل الاسلام بخمسة اعوام • والرابعة حين احترقت في عهد ابن الزبير بشرارة طارت من ابي قبيس او بشرارة طارت من مجمر امراة ارادت ان تجمرها فتعلق باستارها فتحرقها فشاوروا من حضرها في هدمها فهابوا وقالوا يصلح ما انهدم منها فقال لو احترق بيت احدكم لم يرض له الا بكمال صلاح ولا يكمل صلاحها الا بنقضها فهدمها حتى افضى الى قواعد ابراهيم فامرهم ان يزيدوا في الحفر فحركوا حجرا منها فراوا تحته نارا افزعتهم فامرهم ان يقروا القواعد وان يبنوها من حيث انتهى الحفر الى ان قام عبد الملك بن مروان فهدمها وبناها • فهذه المرة الخامسة ولا منافاة

بينه وبين ما في التواريخ من ان الخامسة بناء الحجاج لانه كان بامر عبد الملك لانه اميره وكان ارسله لمحاربة ابن الزبير وقيل غير ذلك والكلام مفصل في تاريخ مكة فيمن يضع الحجر الاسود في موضعه ويرفعه لمكانه بمباشرة ذلك من الزرق والجار والمجرور متعلق باختلفت حكموا بفتح الحاء وتشديد الكاف اي ارتضوا بان يكون الحاكم في ذلك اول داخل عليهم وحكموا جواب لما فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم اذا الفجائية اي فاجاءهم دخوله بغتة من غير طلب وميعاد منهم داخل وذلك قبل نبوته وهو ابن خمس وثلاثين سنة وقيل خمس وعشرين سنة او حين بلغ الحلم ولا شك في ان هذا كان قبل النبوة والاول اصح فقالوا هذا محمد الامين قد رضينا به حكما في هذه القضية فلما انتهى اليهم ذكروا ذلك له فقال ابسطوا ثوبا وضعوا فيه الحجر وارفعوه جملتكم من كل بيت رجل فلما فعلوا وضعه بيده ثم بنى عليه فكان شرف الوضع له وكان مع العباس ينقلون الحجارة فقال له العباس اجعل ازارك على رقبتك ليقيك الم الحجارة فلما فعل انكشف منه ما لا بد من ستره فخر مغشيا عليه وطمح عيناه الى السما فقال ازاري فشد عليه ازاره لانه نودي يا محمد غط عورتك فلم تر له عورة بعده ولا قبله وروى انه وقع مثله وهو يلعب صغيرا وعن الربيع بن خثيم بضم الخا المعجمة وفتح المثلثة وسكون اليا المثناة التحتية والميم وهو الربيع بن خثيم بن عايذ بن عبد الله بن موهب ابو يزيد الثوري ينسب الى ثور بن عبد مناة بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر وينسب اليه سفيان وغيره والربيع يروي عن ابن مسعود وابي ايوب وروى عنه خلق كثير وكان ثقة عابدا زاهدا واخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي في سنة وستين كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية فسر الجاهلية بقوله قبل الاسلام لانها تطلق بهذا المعنى في الاكثر وهذا شاهد له والمراد قبل بعثته وتطلق الجاهلية كما في النهاية على صفاتهم وان كانت في الاسلام كقوله في الحديث انك فيك جاهلية وحقيقتها الاولى وهذا معنى مجازي اللهم الا ان يراد بها المعنى اللغوي وهو النسبة الى الجهل مطلقا فتكون حقيقة وهذا نظر ابن حجر في شرح البخاري ويتحاكم بضم المثناة مجهول اي يتحاكم اليه قريش او العرب وقول الربيع هذا رواه ابن سعد وله حكم الرفع ويعني انه يدل على عدله وانصافه وقال صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السماء امين في الارض يعني انه مشهور بذلك بين الملأ الاعلى وبين اهل الارض لانه لم يتهم قط بكذب وجور في احكامه وهذا الحديث رواه ابن ابي شيبة في مسنده عن ابي رافع وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه موكدا بالقسم واعادا امين لاختلاف الاماكن حدثنا ابو بكر ابو علي الصدفي في نقوا في علية تقدمت ترجمته وحكمه حدثنا ابو الفضل بن خيرون تقدم انه احمد بن الحسن بن احمد بن خيرون الحافظ والدخيرون ممنوع من الصرف حدثنا ابو يعلى بن زوج الحرة تقدمت ترجمته حدثنا ابو علي السنجي تقدم ضبطه وترجمته حدثنا محمد بن محبوب المروزي محمد بن احمد بن محبوب راوي جامع الترمذي كما تقدم حدثنا ابو كريب بضم الكاف وفتح الراء المهملة ويا تصغير وباء موحدة وهو الامام الحافظ محمد بن العلا الهمداني اخرج له الستة ووثقه النسائي وغيره توفي في سنة ثمان واربعين ومائتين حدثنا معاوية بن هشام القصار الكوفي

هلية

كمهم

نبين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الثقة وقال ابن معين صالح وليس بذاك توفي في سنة خمس وعشرين ومائة عن سفيان
الثوري فيما يظهر الا ان المزي والذهبي لم يتعرضا له عن ابي اسحاق عمرو بن عبد الله الهمداني
السبيعي احد الاعلام عن ناجية بنون وجيم بن كعب العنزي او الاسدي الثقة وتوقف
ابن حبان في توثيقه وله ترجمة في الميزان عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهذا الحديث
رواه الترمذي كما ذكره المص وانفرد باخراجه من طريقين احدهما ما ذكره المص والثانية
عن اسحاق بن منصور عن ابي مهدي عن سفيان عن ابي اسحاق عن ناجية قال وهذا السياق
اصح وكذا رواه عبد العزيز ابن ابي عثمان ان ابا جهل بن هشام فرعون هذه الامة
قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به فانزل الله فيما
قاله وهو سبب نزول هذه الاية فانهم لا يكذبونك الاية ولكن الظالمين بايات
الله يجحدون وروى ابو ميسرة انه صلى الله عليه وسلم مر بابي جهل واصحابه فقالوا والله
يا محمد ما نكذبك وانك عندنا الصادق ولكنا نكذب ما جئت به فنزلت هذه الاية وقرئ
يكذبونك مخففا ومشددا فقيل معناهما واحد لانه يقال كذبته واكذبته لغتان واحسنه
واختار ابو عبيدة قراءة التخفيف وهي مروية عن علي وقيل معنى يكذبونك بالتشديد اي
ينسبونك الى الكذب ويردون ما قلته ومعناه بالتخفيف يجدونك كاذبا كما تقول احمدته
اذا وجدته محمودا والمعنى على التشديد لا يكذبونك بحجة وبرهان قيل في كلام المص اشارة
الى دفع التناقض في الاية فانه قال اولا انهم لا يكذبونه ثم اخبر انهم يجحدون بما جاء
به من الايات وجاحد كلامه مكذب له ويجحدون مضمن معنى يكذبون ولذا عداه
بالباء وهو متعد بنفسه ويدل على انهم كذبوه قوله بعده ولقد كذبت رسل من قبلك فليس المراد
لا يكذبونك نفي تكذيبه مطلقا فاما ان يقال في دفع توهم التناقض ان معنى لا يكذبونك
بالتشديد لا يحكمون عليك بانه يحصل الكذب لانك موصوف بالصدق عندهم في جميع
شؤونك ما عدا قولك الذي جئت به من عند الله وهو الايات فانهم يجحدونه وهذا مراد
المص في استشهاده بهذه الاية او يقال المراد انهم لا يكذبونك في الحقيقة وفي نفس الامر
وفي نفوسهم اذا خلوا ولكنهم يظهرون التكذيب حسدا وبغيا او انهم لا يكذبونك
اذا امعنوا النظر وتدبروا ولكنهم عموا عن نور الصدق انتهى وفي الاية كلام فصلناه
في حواشي البيضاوي وروى غيره اي روى غير الترمذي او الصدق في هذا الحديث زيادة
وزيادة الثقة مقبولة لا نكذبك وما انت فينا بمكذب اي معروف بالكذب في
غير هذا وقيل ان الاخنس بن شريق بن ثعلبة الثقفي الصحابي واسمه ابي وهو بهمزة
وخاء معجمة ونون وسين مهملة بزنة افعل التفضيل وشريق بفتح الشين المهملة وقاف
على وزن فعيل وهو قديم الوفاة كذا قاله البرهان الحلبي وقال التلمساني انه حليف
قريش قتل يوم بدر كافرا يعني به شريقا او الاخنس وهذا الحديث رواه ابو اسحاق
والبيهقي عن الزهري واخرجه ابن جرير عن السدي لقي ابا جهل يوم بدر وكان يوم
الجمعة سنة اثنين من الهجرة في تاسع عشر رمضان فقال له يا ابا الحكم بفتحتين
وهذه كنيته القديمة ثم غلب على كنيته بابي جهل ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا
تخبرني عن محمد جملة خبرية والمراد اخبرني عنه صادق ام كاذب يعني اصادق
ام فحذف الهمزة تخفيفا والاستفهام حقيقي او تقريري فقال ابو جهل والله ان محمدا

المجد وكثر الرأي

لصادق وما كذب محمد قط هذا يدل على انهم لا يعتقدون كذبه وسال هرقل عنه
بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف ويقال باسكان الراء بين كسرتين وهو علم غير منصرف
قال البرهان هلك على كفره وفي الاستيعاب انه صحابي قيل وهو ما قول ابا سفيان
صخر بن حرب بن امية القرشي الاموي اسلم يوم الفتح فكان من المؤلفة ثم حسن اسلامه وكان
رئيس قريش واكثرهم مالا وقصة ابي سفيان مع هرقل مشهورة مروية في الصحيحين ن
مفصلة في اول باب في البخاري وكان النبي صلى الله عليه وسلم كاتبه في سنة ست
فلقيه رسول الله بحمص فلما قراه الكتاب امر مناديا ينادي الا ان قيصر قد اسلم واتبع محمدا
وترك النصرانية فهاج جنده وتسلحوا فامر مناديا ينادي الا ان قيصر راض بدينه وهو
راض عنكم ثم قال لرسول الله اني مغلوب على مملكتي وكتب الى رسول الله اني مسلم وبعث
له دنانير فقال كذب عدو الله لانه علم انه ليس قوله عن صميم قلبه ولو سلم فدعواه بانه
راض رده فلذا قالوا ان القول باسلامه بناء على ظاهر قوله واه وقد قاتل المسلمين يوم
موته وواعدهم ان ياتيهم في العام المقبل فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجله الى
تبوك فلم يجئ واخذت منه البلاد وهلك سنة عشرين بالقسطنطينية على نصرانيته
وقوله فقال اي ابو سفيان هل تتهمونه اي وقع في قلوبكم انه صدر منه كذب في اقواله
قال في الاساس وهمت الشيء اهمه وهما وتوهمته وقع في خلدي وشيء توهم وتوهم انتهى
وانما سالهم عن توهم الكذب ولم يقل هل علمتم وتحققتم لانه يعلم من انتفاء التوهم انتفاء غيره
بالطريق الاولى بالكذب قبل ان قال ما قال قال لا فقال هرقل قد عرفت انه لم يكن ليدع ع
الكذب على الناس ثم يكذب على الله وانما لم يقل انه يكذب لئلا ياثر الناس عليه الكذب وهو عار عند العرب او يقول
ما لا يقبل منه ثم قال ابو سفيان الا اخبرك عنه خبرا تعرف العرب عنه قال ما هو قال انه يزعم انه
خرج في ليلة من الحرم الى مسجد ايلياء ثم رجع فيها قبل الصباح وعنده بطريق ايليا فقال صدق
اني كنت لا انام حتى اغلق ابواب المسجد فلما كانت تلك الليلة اغلقت الابواب غير باب منها
غلبني فاستعنت بمن حضرني فلم يمكنهم تحريكه وقالوا انه سقط عليه البنا فلما اصبحت غدوت الذي
عليه فاذا الحجر في زاويته منقوب فيه اثر ربط دابة فقلت ما حبس هذا الباب الليلة الا
على نبي فقد صلى في مسجدنا فقال قيصر يا معشر الروم الم تعلموا ان بعد عيسى نبيا بشركم
به وكنا نرجو ان يكون فينا فجعله في غيرنا وهو رحمة من الله يضعها حيث شاء ولم يعتد ولم
ينصح بعد هذا حتى يكون مؤمنا لتلبسه بما يخالفه قولا وفعلا قلت وبهذا علم ان مربط
البراق بالمسجد الاقصى صحيح وسئل ابا سفيان عن اسئلة اخرى مذكورة في البخاري
وقال النضر بنون مفتوحة وضاد معجمة ساكنة وراء مهملة ابن الحارث في حديث
رواه ابن اسحاق والبيهقي عن ابن عباس والنضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بفتح
الكاف بن عبد مناف القرشي وكان شديد الاذية للمسلمين فظفر به النبي صلى الله عليه وسلم
ببدر صبرا فرثته اخته قتيلة بابيات مشهورة اولها

يا راكبا ان الاثيل مظنة ... من صبح خامسة وانت موفق

وقيل انها مصنوعة وقتيلة بالمثناة الفوقية مصغرة اختلف في اسلامها وكونها صحابية
قد كان محمد فيكم غلاما حدثا بفتحتين قال الجوهري فان ذكرت السن من الحدوث
لقرب عهده بالوجود والغلام الذي لم يبلغ ارضاكم فيكم اي اكثركم رضى وصبرا او فعالا

شبكة الألوكة www.alukah.net

مرضية **واصدقكم حديثا واعظمكم امانة** منصوب هو وما قبله على التمييز وهذه شهادة
العدو وكفا بالك بغيره **حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب** الصدغ ما بين لحظ العين والاذن
والشعر الذي فيه من اعلى العذار وجانب الراس كبير اما بيننا والشيب فيه قبل غيره فكنى بذلك
على انه تمت رجوليته وكمل عقله بمجاوزته سن الشباب وهذا اشد في الانكار عليهم **قلتم ساحر**
اي قلتم انه ساحر فهو خبر مبتدا مقدر اي هو ساحر بدليل قوله **والله ما هو بساحر** وهذا منه
غاية الانصاف ولكن غلب عليه الشقا فقتل صبرا بالصفرا كما قرا في منصرف بدر بالصفرا
كما ذكره الشيخان عن عايشة وهذا الحديث رواه ابن اسحاق والبيهقي عن ابن عباس والذي قال
انه ساحر الوليد بن المغيرة وسبب قول النضر ان ابا جهل لما اراد ان يرضخ راس رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحجر تمثل له جبريل في صورة فحل فعفها ربا ويبست يده على الحجر كما ياتي
فلما سمع ذلك النضر قال يا معشر قريش والله قد نزل فيكم امر ما انتم فيه بحيلة بعد قد كان فيكم
محمد الى قوله ما هو بساحر وقد راينا السحرة نفثهم وعقدهم وقلتم كاهن والله ما هو بكاهن وقد
راينا الكهنة وسمعنا سجعهم وقلتم شاعر والله ما هو بشاعر وقد راينا الشعر وحفظنا اصنافه
رجزه وهزجه وقلتم مجنون والله ما هو بمجنون فما هو بخنقه ولا تخليطه ولا وسوسته فانظروا
في شانكم فان والله قد نزل بكم امر عظيم والنضر بن الحارث كان من شياطين قريش وهو الذي
جا بقصة رستم واسفنديار وكان يجلس يحدث بها ويقول ما جا به محمد ليس باحسن مما جيت
ان هو الا اساطير الاولين فنزل فيه واذا تتلى عليهم اياتنا قال اساطير الاولين في ايات اخر
وفي الحديث ما مست يده يد امراة قط لا يملك رقها وهذا من عفته وهذا الحديث رواه
الشيخان عن عايشة وسكت عن زوجاته لان جواز مسهن معلوم وانما يحرم مس الاجنبية التي
ليست بمحرم فيعلم جواز مس المرقوقة بالطريق الاولى وقيل انه داخل في ملك الرق لتملكه البضع
وقد سمي بذلك في قوله انما التزويج رق المراة فلتنظر اين تضع رقها ولانا في هذا امر ان
الامة من اما المدينة تاخذ بيده فلا ينزع يده من يدها حتى تقضي حاجتها لانه كان بحايل من كمه
او كمها وكلام هذا ورد في مبايعته للنسا فان بعضهم توهم انه كمبايعة الرجال باليد من غير
حايل فقالت رضي الله عنها انما كان يقول لمن هاجر من المومنات مما امر الله به في قوله يا ايها النبي
اذا جاءك المومنات يبايعنك الى قوله غفور رحيم فيبايعهن على ذلك لمن اقر به قال قد بايعتك
كلاما من غير مس وما ورد في المبايعة من امساك الكف فان كان بلامس من غير مصافحة فهو والا
فهو بحايل لانه ورد انه اتى بثوب ووضعه على يده وقال لا اصافح النسا وروي انه كن ياخذن
بيده من فوق ثوب وفي المغازي عن ابان بن صالح انه كان في المبايعة يغمس يده في ماء في
اناء تغمس من بايعته يدها فيه وقيل انه بايع النسا بواسطة عمر بن الخطاب وكلام عايشة يقتضي
انه لم يبايعهن الا بالكلام فلعله تعدد **وفي حديث علي في وصفه اصدق الناس لهجة**
رواه الترمذي في شمايله وتقدم بيانه لعصمته عن الكذب ولو سهوا المنافاته للابلاغ ووجوب
تصديقه في كل ما يقول كما ياتي **وقال في الصحيح** اي في الحديث الصحيح وفي صحيح
البخاري لانه حيث اطلق الصحيح انه وهذا اولى **ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت
وخسرت ان لم اعدل** وتقدم ضبطه على الخطاب والتكلم والكلام عليه الا ان الذي في البخاري
في باب الادب ويلك وقدم وقد فرق بينهما فقال ويل كلمة زجر وتوبيخ وويح كلمة ترحم
وفي ويس ترحم دون ترحمها وهو معنى قول الاصمعي انه تصغيرها وقيل الاصل ويل وفي زيادة فيها

اللام وقد تقدم انه قال لمن قال له ليس لمثلك يعدل وانه اختلف في اسمه وانه
عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي او حرقوص بن زهير الخارجي او هو والشبهة وقد مر
الكلام فيه مفصلا فتذكره **قالت عايشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله
عليه وسلم في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد
الناس منه** اعاد المصنف هذا الحديث وقد تقدم بعينه لما فيه من عدله وعفته فلا وجه
للاعتراض عليه والامران من امور الدنيا والخيران كان الناس فلا اشكال فيه وان كان الله
وهو الظاهر فالمراد بالاثم ما يؤدي الى وقوع امته فيه لان الله لا يخيره بين اثم وغيره
كاختياره الرزق الكفاف على فتح الكنوز له ولامته فان الدنيا تشغلهم عن العبادة وتوقعهم
في المهالك وقد تقدم تفصيله **قال ابو العباس المبرد** وهو محمد بن يزيد بن عبد الاكبر امام
العربية وترجمته مشهورة في التواريخ وما نقله عنه انما ذكره ليعلم بذلك جلالة قدره
صلى الله عليه وسلم وما بين حاله لحال اهل الدنيا وما هم عليه من اللهو فلا يرد عليه ما قيل
انه لا فايدة فيه **قسم كسرى** بكسر الكاف وقد تفتح وهو اسم لكل من ملك الفرس معرب خسرو
الا انه غلب على كسرى انوشروان الذي ولد في زمنه النبي صلى الله عليه وسلم لانه اشهرهم
واعظمهم **ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم** والتغطي حتى يسلم من مس الريح الشديد
المصدع **ويوم الغيم للصيد** الذي كان يتقيد به الملوك لعدم اذية الشمس وحرها
ويقال له يوم فاختي وسنبلي **ويوم المطر للشرب واللهو** لقلة المصالح فيه والتلذذ
من البلال والنظافة من الوحل والمراد باللهو سماع الغنا ومنادمة الندما **ويوم الشمس
للحوايج** وروي يوم الصحو اي خلو الجو من الغيم والمطر والمراد بالحوايج مصالح الناس
وهو جمع حاجة على خلاف القياس او جمع حايجة وانكره بعض اهل اللغة وقد رده الجوا[لبقي]
فانه ورد في كلام الفصحا كثيرا وفي الحديث اطلبوا الحوايج عند حسان الوجوه فلا وجه
لانكاره كما فصلناه في شرح الدرة وانما اختير للحوايج لعدم المانع فيه وما اشتهر من انه
صلى الله عليه وسلم قال ولدت في زمن الملك العادل كسرى فقد قال الحافظ السخاوي
والسمعاني انه لا اصل له فهو موضوع ولو صح لم يكن في وصفه بالعادل باس كما توهم
فانه كان لا يجور على احد من رعيته ولا يظلمهم في حقوق الدنيا فعدله بالنسبة لا ينافي
كفره وظلمه لنفسه لجهله ومحبته للدنيا وقيل انه وصف بذلك لشهرته اذ عامتهم
لا انه شهد له بالعدل له حقيقة وذكر قصة طويلة لعوله **قال ابن خالويه** بفتح اللام
والواو وسكون المثناة التحتية والمحدثون يضمون اللام مع سكون الواو وفتح الياء
وهو الحسين بن محمد بن خالويه النحوي اللغوي الاديب الهمداني دخل بغداد ثم انتقل الشام
وصحب سيف الدولة لتاديب اولاده واخذ العربية عن ابي بكر بن الانباري والسيرافي
وتصدر للافادة وله تاليف جليلة وتوفي بحلب سنة سبعين وثلثماية **وما كان اعرفهم**
اي الفرس الدال عليهم ذكر كسرى **بسياسة دنياهم** اي تدبير امورها لان هذا معنى
السياسة لغة قال
فبينا نسوس الناس والامر امرنا ... اذا نحن فيهم سوقة نتنصف
وقول ابن كمال في رسالة التعريب انه معرب خطا **يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا
وهم عن الاخرة غافلون** يعني انهم عرفوا امر معيشتهم واكلهم وحركتهم وتقيدوا بذلك
وغفلوا عن المعاد وما يليق به وهذا مراده فيما اقتبسه كما قال الشاعر

حسن وبات صح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وَمِنَ البَلِيَّةِ اَنْ تَرَى لَكَ صَاحِبًا • فِي صُورَةِ الرَّجُلِ السَّمِيعِ المُبْصِرِ
فَطِنٌ بِكُلِّ مُصِيبَةٍ فِي مَالِهِ • وَاِذَا يُصَابُ بِدِينِهِ لَمْ يَشْعُرِ

ويقرب منه ما قاله المفسرون نقلا عن ابن عباس انهم يعلمون امر معايشهم ودنياهم متى يزرعون ومتى يحصدون وكيف يغرسون ويبنون **ولكن يتسا جزاء نهاره ثلاثة اجزاء** يعني انهم قسموا ايامهم والنبي قسم اوقاته وهو اكثر من ما العدو مضياع جزء من عمره فيما لا يعنيه وشتان بين القسمين والمقسمين وفي نسخة لكن بدون واو **جزء لله** اي لعبادته وتلقي وحيه **وجزء لاهله** اي لمصالح اهله وبيته **وجزء لنفسه** مخصوصا باكله وشربه ونحو ذلك من اموره الدنيوية وجزاه في المواضع الثلاثة يجوز نصبه ورفعه وكذا روي **ثم جزا جزءه بينه وبين الناس** اي جعله قسمين قسم لخاصة نفسه وقسم الخاص به قسم له في نفسه وقسم ينظر فيه امور الناس وحوائجهم **فكان** صلى الله عليه وسلم **يستعين بالخاصة** من اصحابه وهم خلفاؤه ووزراؤه ومن تقرب منهم **على العامة من المسلمين ويقول** للخاصة **ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي** اي اخبروني واوصلوا الي ما يطلبه العوام ممن لا يقدر ان يبلغني حاجته اما لعدم الجراءة على كلامه لمهابته او لعجزه عن الوصول اليه ثم رغب في ذلك فقال **فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع آمنه الله يوم الفزع الاكبر** وهو يوم البعث والحشر وحين يكون الناس كلهم في فزع اي خوف من العذاب وقيل هو يوم النفخة او يوم الانصراف الى النار وهذا من حديث هند بن ابي هالة آمنه بالمد بمعنى يجعله في امن من اهوال القيمة **وعن الحسن بن علي** كما رواه ابو داود في مراسيله **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احدا بقرف احد** الاخذ مجاز عن العقوبة من اخذه السلطان اذا حبسه وجازاه على ما صدر منه والقرف بفتح القاف وسكون الراء المهملة والفا التهمة واسناد الذنب وقال البرهان الحلبي يقال قرفت الرجل عبته واتهمته فهو مقروف وفي نسخة بقذفه بالذال المعجمة بدل الراء وكتب عليها **ولا يصدق احدا على احد** اي لا يحكم بصدق مقالة صدرت من احد في حق احد غيره باسناده اليه امرا يقتضي عقوبة او حقا من الحقوق بمجرد قوله من غير اثبات لمقالته وهذا من عدله صلى الله عليه وسلم وهذا ليس على عمومه فانه ربما كان المخبر ممن يعلم صدقه ويعتمد على خبره وينكشف بنور النبوة عليه الحال له **وذكر ابو جعفر الطبري** هو الامام محمد بن جرير الطبري المشهور وقد تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه البزار الى قوله برسالته واخرجه ابن راهويه بتمامه في مسنده والبيهقي في الدلايل كما في مناهل الصفا للسيوطي **عن علي ما هممت بشيء** وقد تقدم هذا الحديث والكلام فيه وانما اعاده المصنف لغرض آخر وهو بيان عفته عن اللهو وان الله عصمه عن ذلك من اول امره وقيل انما اعاده لزيادة فيه لم تذكر اولا وهي قوله **غير مرتين** الخ **مما كان اهل الجاهلية يعملون به** كما تقدم بيانه **كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك** استعارة الحائل الحاجز بين شيء وشيء ما نعم كما في قوله تعالى يحول بين المرء وقلبه قال ابو عبيد اي يملك عليه قلبه فيصرفه كيف يشاء وذلك الثاني اشارة لما كان عليه اهل الجاهلية والمعنى انه عصمه عنه **ثم ما هممت بسوء** اي صرف الله قلبي عن ان يهم بسوء اي بقبيح شرعا كاللهو حتى اكرمني الله برسالته اي حتى من الله علي بالبعثة وجعلني نبيا رسولا ثم بين ما هم به في المرتين فقال **قلت ليلة لغلام كان يرعى معي** يعني انه صلى الله عليه وسلم كان يرعى غنما لبعض قريش في صغره وهكذا كان الانبياء يرعون لغيرهم ايضا والغلام

كان اجيرا ايضا يرعى غنمه ويوافقه في البادية وفي هذا كله حكمة وتدريب لرعاية الخلق كما ورد كلكم راع ومسئول عن رعيته مع ما فيه من الانس بالوحدة والخلوة وفي الحديث ما من نبي الا وقد رعى الغنم قيل ولا انت يا رسول الله قال نعم كنت ارعاها على قراريط بمكة وقيل حكمة ذلك اي رعي الغنم صحبة السياسة فكان ذلك لتانيس سياسة الخلق والقراريط جمع قيراط وهو نصف دانق وقيل انه اسم جبل بمكة وانكروه لانه لم يسمع به وتمسكوا بما في الحديث ستفتح عليكم مصر فاستوصوا باهلها خيرا الحديث والقيراط فيه قيل انه بهذا المعنى وقيل انه نسب بينهم وقيل غير ذلك وعندي انه بمعنى مقدار الارض المعروف بينهم في المساحة لانه مخصوص بها وانما غيره فلا اختصاص له بها وفي هذا معجزة له لاخباره بالغيب **لو ابصرت لي غنمي** اي لو حرستها وحفظتها لان البصر والنظر يستعار لذلك **حتى ادخل مكة فاسمر بها** سمر يسمر كقتل يقتل والسمر التحدث بالليل واصل معناه ضوء القمر من السمرة وهي السواد القليل فسمي به حديثهم لئلا يغلوا نسبهم به فيه قال

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا • انيس ولم يسمر بمكة سامر •

كما يسمر الشباب والشباب بفتح الشين مصدر بمعنى صار شابا او اسم جمع له كالعقود والشاب حديث السن كالفتى **فخرجت** من البادية التي فيها الغنم **حتى جئت اول دار من مكة** غاية لمجيئه من المرعى **سمعت فيها عزفا** بعين مهملة وزاي معجمة وفاء بزنة ضرب وهو ما يلهي الانسان وفي مختصر العين العزف اللعب بالمعازف وهي الملاهي وواحدها عزف على خلاف القياس او معزف والمعزف الطنبور والدف وقيل كل لعب عزف **فجلست انظر** ما يلعبون به والذين يلعبون **بالدفوف** بضم اوله وفتحه وتشديد الفاء وهو الذي تضرب به النساء وهو معروف ويسمى عند العامة دراجا وطارا وفيه شبه الجلاجل قال

كان في الدف الذي يفصله • ذما ردف تغني بجلجله •

واختلف فيه فجوزه بعض الشافعية وكرهه مالك **والمزامير لعرس بعضهم فضرب على اذني فنمت** بكسر النون واذن بضمتين وضم فسكون تخفيفا وضرب الله على اذنه اذ رفعه النوم واصله منع السمع لان من نام لا يسمع وهو مستعار من ضرب الخيمة العظيمة لمن تحتها فكان اذا نام تحت غطاء يحجبه عن السمع قال الراغب ضربت عليهم الذلة التحفتهم التحاف الخيمة لمن ضربت عليه ومنه استعير فضربنا على اذانهم في الكهف وفيه لطف هنا لانه ذهب ليسمع ضرب الدف فضرب على اذنه صيانة من الله له **فما ايقظني الا مس الشمس** اي حرها فكانها مسته على وجهه حتى نبهته ففيه استعارة ولطف كما في قول ابن المعتز

والريح تجذب اطراف الغصون كما • افضى الشفيق الى تنبيه وسنان •

وكما قيل
بت تحت اذيال النسيم حتى • التفت علي الشمس ردآها •

فرجعت من المكان الذي ضرب فيه الدفوف **ولم اقض شيئا** من قضى وطره اذا كان نائما يعني انه جلس قبل تعاطيهم اللهو فغلبه النوم حتى لم يسمع شيئا من ذلك لعصمة الله له وتحقق حمده بذلك وارادته لا حرج فيه والفاشاهرة لعدم سماعه على انه لم يكن حرم عليه شيء من ذلك وكونه محرما في شرع من قبلنا وهو متشرع به غير مسلم واعلم ان المعازف حرام في ملتنا للنهي عنها في الاحاديث المشهورة كقوله ليكونن في امتي اقوام يستحلون الخمر والمعازف واختلف في بعضها فمنهم من جوز الدف في العرس ومنهم من جوز ضرب العود لتسلية الاحزان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كالماوردي وكان الاستاذ محمد البكري يقول عطروا مجلسنا بالعود الماوردي لكنه قول ضعيف وفي منظومة الدميري

ونغمات العود في الالحان • قالوا تزيل اثر الاحزان •
فاجزم على التحريم اي جزم • والحزم ان لا تتبع بن حزم •
فقد ابيحت عنده الاوتار • والعود والطنبور والمزمار •

ثم غرّ ابي اي طرا علي وعرض لي وغشيني مرة اخرى في وقت آخر مثل ذلك من الهم بالسماع والذهاب له ثم لم اهمّ قال الشمني هو بضم الهاء وعليه اقتصر الجوهري بعد ذلك بسوء اي بما فيه اثم فسماه سوءا لانه يكرهه ويلومه

فصل وامّا وقاره

اي سكونه وطمانينته ورزانته يقال وقر يقر وقرا ووقارا وفسروه هنا بالحلم وهو غير مناسب هنا كما لا يخفى ويجي الوقار بمعنى العظمة كما في قوله ما لكم لا ترجون لله وقارا واصله من الوقر وهو الثقل وصمته اي سكونه وهو من الوقار وتؤدته بضم التاء الفوقية وفتح الهمزة والدال المعجمة وهي التاني يقال اتاد في فعله اذا تثبت ولم يعجل وتاؤه منقلبة عن واو وحسن هديه بوزن ضربه بمعنى سيرته وطريقته وسمته في سلوكه فحدثنا ابو علي الجبائي بالمد وقد تقدم ضبطه وترجمته الحافظ اجازة قال ابن فارس في مجمله هو من جواز الماء الذي تسقاه الماشية يقال منه استجزت فلانا فاجازني اذا اسقاك ماء لارضك وماشيتك قال القطامي وقالوا فلان قيم الماء فاستجز • عبادة ان المستجيز على قتر • اي على ناحية وجزت الموضع سرت فيه واجزته خلفته وقطعته واجزته انفذته قال امرؤ القيس • وما اجزنا ساحة الحي وانتحى بنا • بطن خبت ذي قفاف عقنقل • وقوله • حتى يقال اجيزوا آل صوفانا • يمدحهم بانهم يجيزون الحاج انتهى قال ابن الصلاح قلت وللمجيز على هذا ان يقول اجزت فلانا مسموعاتي ومن يقول بغير حرف جر من غير حاجة الى ذكر الرواية او نحو ذلك ويحتاج الى ذلك من يجعل الاجازة بمعنى التسويغ والاذن والاباحة وذلك هو المعروف فيقول اجزت لفلان رواية مسموعاتي ومن يقول منهم اجزت له مسموعاتي فعلى سبيل الحذف الذي لا يخفى نظيره انتهى اقول اعلم ان اصل الاجازة في كلام العرب قديما كما ذكره اهل اللغة الاذن في الانصراف ولما كان من يأخذ عن شيخه ينصرف عنه اذا اخذ عنه كما يقتضيه الاستعمال وكلام اهل اللغة قاطبة لانها من جاز المكان اذا تجاوزه ومر عليه ثم عدي بالهمزة للمفعول الثاني وقد يقتصر على احد مفعوليه لانه من باب كسا ومعنى اجازه اذن له في الجواز والمرور ثم استعمل في مطلق الاذن وشاع حتى صار حقيقة فيه بمعنى اجازة الشيخ اذنه في الرواية عنه وهذه لفظة قديمة كما سمعته وكذا الجائزة بمعنى العطية ليست محدثة كما قاله الحافظ ابن حجر لا انه يحتمل انها من هذا الاذن المعطي لجائزة باذن لمن اعطاه في الانصراف عنه ولا يختص بالماء كما يوهمه كلام المجمل وهو الذي غر ابن الصلاح فقوله ماخوذة من جواز الماء لا وجه له بل من اجازه اذا جعله جائزا نقل لمعنى اذن له وكذا قوله وقد تبين ان يجوز به عن معنى لفظ اخر وبينهما مخالفة في التعدية يجوز عمله عمل حقيقته وعمل مجازه فلك حينئذ ان تعديه لمفعولين ولك ان تعديه لواحد بحرف وبدونه فيعمل عمل اذن واجاز من غير تكلف وعارضت بكتابه

لعله المهملة

اي قابلت نسختي بنسخته حال القراءة لانه يقال عارضه اذا قابله والكلام على هذا مبين في مصطلح الحديث فالمعنى انه حدثه به قراءة منه وهو مقابل له وفي بيده كتابه قال حدثنا ابو العباس الدلائي بكسر الدال المهملة وتخفيف اللام المفتوحة ثم الف ممدودة وياء نسبة مشددة نسبة الى دلاء جمع دلو وقال البرهان الحلبي لامه مشددة ووجد في بعض النسخ مضمومة الهمزة والظاهر انها مكسورة بعدها ياء نسبة انتهى والظاهر انه مفتوح الدال وهو صانع الدلو وهو ابو العباس احمد بن انس العذري المعروف بابن الدلائي من مدينة بالشام اخبرنا ابو ذر الهروي تقدمت ترجمته وهو عبد الله بن احمد بن محمد الهروي اخبرنا ابو عبد الله الوراق ابو الحسن عبد الله محمد بن علي الانطاكي المعروف بابن الغنوي الوراق حدثنا اللؤلؤي ابو علي محمد بن احمد بن عمرو المشهور برواية السنن عن ابي داود حدثنا ابو داود سليمان بن اشعث صاحب السنن الامام الحافظ المشهور حدثنا عبد الرحمن بن سلام بفتح السين المهملة وتشديد اللام وهو جد عبد الرحمن نسب اليه وابوه محمد بن سلام الجمحي ادمي الثقة روى عنه ابو داود والنسائي وقال لا باس به قال حدثنا حجاج بن محمد بن عبد الرحمن بن ابي الزناد هو الاعور المصيصي الحافظ الثقة اخرج له اصحاب السنن الستة قال ابن حزم توفي سنة اربع وستين ومائة عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب ويقال له اهيب بالهمزة وهو بركة قيابي وهو انصاري مولى لزيد بن ثابت وهو يروي عن خارجة واخرج له ابو داود في المراسيل هذا الحديث وقال الذهبي لا يعرف من هذا كما في الميزان سمعت خارجة بن زيد يقول هو خارجة بن زيد بن ثابت الانصاري المدني التابعي احد فقهاء المدينة السبعة وهم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وخارجة بن زيد وسليمان بن يسار وفي السابع اقوال فقيل هو سالم بن عبد الله بن عمر وقيل ابو سلمة بن عبد الرحمن وقيل ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وهم انما لقبوا بالفقهاء بالمدينة وان كانوا اكثر لانما حصل الاجماع على رايهم والانقياد لهم لفتواهم لمعرفتهم بالفضل والصلاح حتى كان لا يقضى في امر حتى يرفع اليهم وكان الناس يتبركون بهم حتى قيل ان اسماءهم اذا علقت على نحو مريض او اذا وضعت في البرهم لم يدخله سوس ولم يفسد وقد نظمهم القائل

الا ان من لم يقتدي بائمة • فقسمته ضيزى عن الحق خارجه •
فخذهم عبيد الله عروة قاسم • سعيد ابو بكر سليمان خارجه •

وهذا الحديث من المراسيل يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم يعني ان هذا كانت عادته ودابه بحيث لا يتخلف عنه فكان وان كان بحسب الاصل يفيد المضي لكنها قد تستعمل للاستمرار نحو وكان الله غفورا رحيما والتكرار نحو كان حاتم يقري الضيف لقريه وهو استعمال مشهور ولكثرته عده بعض الاصوليين معنى لها ولم يحققه احد كابن جني في كتاب الخصائص فان اردته فانظره اوقر الناس في مجلسه اي اعظمهم وقارا اذا برز للناس وجلس معهم بخلاف ما اذا خلا مع اهله او مع خاصته فانه ينبسط معهم ويلاطفهم لا يكاد يخرج شيء من اطرافه اي اطراف بدنه كرجليه ولا يكاد يخرج فيه لمبالغة اي لا يخرج ولا يقرب من الخروج ولذا عدل عن لا يخرج وهو اخصر ويخرج

تبع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد تقدم مني

بفتح اوله مضارع خرج يخرج كقتل يقتل او بضمه مضارع اخرج الا ان الفتح على الاول
وروى ابو سعيد الخدري هو سفيان بن مالك بن سنان الخدري كان صلى الله عليه وسلم اذا
جلس في المجلس احتبى بيديه والاحتباء بالحاء المهملة ان يجمع ظهره وساقيه بيديه او عمامة ونحو
والحبوة بضم الحاء وكسرها ويقال الحبوة وحبية ايضا ويقال الاحتباء حيطان العرب لانهم اهل بوادي
لا حيطان لهم يستندون لها فالاحتباء قائم مقامها وليس هذا معارضا لما ورد في الحديث من انه نهى
عن الاحتباء في ثوب واحد اذ النهي لم يرد على الاحتباء وانما ورد على كونه في ثوب واحد لانه ربما تحرك
فيزول الثوب وتنكشف عورته واما قوله

وإذا احتبى قربوسه بعنانه • علك الشكيم الى انصراف الزائر •

فاستعارة ونهي عن الاحتباء يوم الجمعة والخطيب يخطب لانه يؤدي للنوم وهذا الحديث رواه
ابو داود والترمذي في شمائله وعن جابر بن سمرة رواه مسلم وابو داود انه تربع اي جلس
متربعا وهو ان يقعد الرجل على وركيه ويمد ركبته اليمنى الى جانب يمينه وقدمه اليسرى الى
جانب يمينه وهذا في خارج الصلاة كما ورد في الحديث كان اذا صلى الفجر جلس متربعا حتى تطلع
الشمس وهو في الصلاة كما صرح به الفقهاء مكروه واما خارجها فلا يكره وقيل انه سنة وقول بعض
فقهائنا انها جلسة الجبابرة مع فعله صلى الله عليه وسلم لها فيه نظر وانما جلس القرفصاء
بضم القاف والفاء ويجوز كسرهما ويمد ويقصر وهو جلوس على الية كجلوس المحتبي بيديه
من غير احتباء كما يدل عليه ما بعده وقال الفراء اذا ضممت مددت واذا قصرت كسرت وهو اي
جلوس القرفصاء ورد في حديث قيلة بفتح القاف وسكون الياء التحتية ولام بنت مخرمة
العنبرية كما في المغني وقال السمني العدوية وقيل الصوية وهو الصحيح وفي حديثها انها رأت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وهو قاعد القرفصاء فلما رأت رسول الله المتخشع في الجلسة
ارعدت من الفرق وليس هذا في رواية الترمذي ومسلم التي ذكرها المصنف وفي كلامه اشارة الى
انه زيادة عليها والمتخشع ان كان صفة فالرؤية بصرية وان كان مفعولا ثانيا فهي علمية وزعمت
من مهابته لا من تخشعه وكان كثير السكوت لا يتكلم من غير حاجة يدعو للكلام ولم يكن يسرد
الحديث بعجلة ليفهم عنه وهذا مروي عن عائشة يعرض عمن تكلم بغير جميل لا يرضاه فيعلم
باعراضه عنه انه غير مرضي له وهذا من وقاره ايضا وليس المراد به ان يكون حراما كما قيل لانه لا
يقر على مثله وكان ضحكه تبسما بدون قهقهة لسترة ووقاره والضحك انبساط الوجه حتى
يظهر منه السرور وبين الثنايا فقط واما ما ورد من انه ضحك حتى بدت نواجذه فمحمول على المبالغة
لزيادة فيه على ما عهد منه او هو نادر لا يعتد به وكلامه فصلا بفاء وصاد مهملة اي
فاصلا بين الحق والباطل او مفصل لتمهله فيه وقال تعالى انه لقول فصل وما هو بالهزل لا فضول
مصدر اي لا زيادة فيه وقيل انه في الاصل جمع فضل بمعنى الزيادة فخص بما ذكر ولذا قيل
في النسبة له فضولي وينسب للجمع ولا تقصير فيه حتى يخل بفهم السامع وكان ضحك اصحابه
عنده التبسم توقيرا له واقتداء به لتخلقهم باخلاقه وتأدبهم بآدابه مجلسه مجلس حلم
بكسر الحاء وسكون اللام وفي نسخة حكم بضم الحاء مع الكاف وحياء منه ومن اصحابه وخير لاحسانه
ولطفه وتعليمه وامانة يأمن المتكلمون فيه على اسرارهم فلا ينقل منه ما لا يحبون افشاءه كما ورد
في الحديث المجالس بالامانة لا ترفع فيه اي في مجلسه الاصوات لادبهم وتوقيرهم له وكان
ذلك محرما عليهم لقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي واما كونه رفع

مثله بحضرته في قصة الافك فنادر لا يعتد به ولا تؤبن فيه الحرم بضم المثناة الفوقية وهمزة
ساكنة وتبدل واوا وتؤبن من ابنه يابنه اذا عابه ورماه بقبيح فاصله الابنة وجمعها ابن العقدة
في العصي لتفسدها وتعابها ووقع في بعض الحواشي تؤبن براء بدل النون وفسره بما ذكر على انه ماخوذ
من المآبر التي واحدها مئبرة او من ابرة العقرب اذا لدغته بابرتها وهي آخر عقدة ذنبها وهو تصحيف
كانه وجده في بعض النسخ فاتبعه والمذكور في كتب اللغة كالنهاية والجوهري وغيرهم هو الاول وصرح
ابن فارس في المجمل بان الحديث مروي هكذا والحرم جمع حرمة وهو كل ما يحرم هتكه واما استعماله بمعنى
المرأة فعامية وان كان لها وجه وقيل انها صحيحة مراد به هنا النساء لانه ورد في الحديث نهيه
صلى الله عليه وسلم عن شعر يؤبن فيه النساء وفي حديث الافك اشيروا علي في اناس ابنوا اهلي انتهى
يعني انه محفوظ من الرفث ولغو القول من وقاره ايضا كقوله اذا تكلم اطرق جلساؤه اي طأطؤوا
رؤوسهم توقيرا له منصتين لكلامه كان على رؤوسهم الطير وصفهم بالسكون وعدم الخفة والطيش لان
الطير لا يكاد يقع الا على شيء ساكن ولك ان تقول انه شبههم بغصون مغروسة في رياض
مجالسه كما قال في البردة

كانهم في ظهور الخيل نبت ربى • من شدة الحزم لا من شدة الحزم •

وقلت في المقصورة

كانما الطير على رؤوسهم • من كل غصن في ربا المجد سما •

والطير جمع او اسم لطائر وهو معروف وفي صفته صلى الله عليه وسلم في مشيه وهو خبر مقدم
وقوله يخطو تكفؤا مبتدأ لانه اريد به لفظه فهو كقوله لا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة
اي قيل في وصفه هذا ويخطو مضارع خطا المتنقل اذا مد رجله ومشى والخطوة بالضم ما بين
القدمين وبالفتح المرة وتكفؤا بفتح المثناة والكاف وفاء مضمومة مشددة بعدها همزة مصدر
كتقدم تقدما بمعنى مال الى قدام والاصل فيه الهمز وبه روي فان اعتل كسرت الفاء وكان بالياء
كتسمى تسميا وقال شمر معناه مال يمينا وشمالا كمشي المختال والصواب لا تمايل فانه غير مناسب
وقد ورد في حديث ابن ابي هالة انه ذريع المشي اذا مشى مشى تقلعا اي يرتفع من الارض بجملته ورفع
قلعا بفتح القاف وكسر اللام وهو ادل على التثبت والشجاعة وهكذا كان اولو العزم ويمشي
هونا بفتح الهاء وسكون الواو اي برفق ولين من غير تمايل مع الرفق والتثبت قال تعالى يمشون
على الارض هونا قال مجاهد بالسكينة والوقار كانما ينحط من صبب بفتحتين اي ينزل
من صبب وهو الموضع المنحدر وفي رواية كانما هو من صبوب بالضم والفتح وهو ما يصب من
ماء ونحوه اي لم يكن يستعجل واما قول ابي هريرة ما رأيت احدا اسرع مشيا من رسول الله كنا
نجهد انفسنا وهو غير مكترث فانما السرعة خطوته حتى لا يلحق مع تثبته وتمهله وفي الحديث
الا وخر اذا مشى مشى مجتمعا اي يتنقل اعضاءه كلها دفعة واحدة من غير تحريك لرأسه ويديه
فهو في مشيه قوي غير مسترخ يعرف في مشيته بكسر الميم وفتحها انه غير غرض بفتح الغين
المعجمة وكسر الراء المهملة والضاد المعجمة اي غير قلق ولا ضجر ولا ملل ولا وكل بفتحتين وهو
البليد والجبان والعاجز الذي يكل امره لغيره وحكي ثمر فيه كسر الكاف كما قال التلمساني والذي
هو انسب هنا الموازنته لما قبله وفسره بكسلان وقوله اي غير ضجر ولا كسلان لف ونشر
فان ظاهره انه تفسير لما قبله على اللف والنشر المرتب وضجر كحذر من الضجر وهو القلق والكسلان
من الكسل وهو الفتور وعدم النشاط من العزم ويكون بمعنى سوء الخلق ويكون غرض بمعنى مشتاق كقوله

اني صبوت الى تناصف وجهها • غرض المحب الى الحبيب الغائب •

وليس مرادا هنا وقال ابن مسعود رواه البخاري واصحاب السنن ان احسن الهدي هدي

محمد صلى الله عليه وسلم الهدي بدال مهملة بوزن الرمي السمت والسيرة والطريقة والحالة التي يكون عليها وهذا الحديث وان كان موقوفا على ابن مسعود فله حكم المرفوع وكذا سائر الاحاديث المتعلقة بالشمائل فان مثلها لا يقال من قبل الرأي وقد روي مرفوعا ايضا وكان ابن مسعود اشبه الناس هديا بهدي رسول الله وكذا عمر وابنه فلذا كان اصحابه يتشبهون به في هديهم وبقية الحديث وشر الامور محدثاتها وهو حديث طويل قال ابن قرقول وروي بضم الهاء وفتح الدال ضد الضلال وعن جابر بن عبد الله اخرجه ابو داود والامام احمد في الزهد كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترسيل كذا في النسخ باو اشارة الى انه روي بكل منهما على حدة وفي المصابيح بالواو ولتقاربهما معنى فالعطف تفسيري فلا منافاة بينهما كما قيل اي تبيين الكلام من غير عجلة وغموض حتى يسبق فهم السامع اليه وقيل الترتيل التبيين والترسيل التؤدة والترتيل من قولهم ثغر مرتل وهو المفلج كالاقحوان قال ابن ابي هالة المتقدم ترجمته كان سكوته صلى الله عليه وسلم على اربع اي يقع على اربع خصال فيه على الحلم اي يسكت تارة لحلمه على من تكلم عنده بما يقتضي المؤاخذة والحذر اي الاحتراس من كلام ربما اذى لامر يحسن منه والتقدير اي يتدبر في نفسه وسكوته ما يليق به ولغيره والتفكر في مصنوعات الله ونحو ذلك قالت عائشة كما رواه الشيخان عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد احصاه اي لو اراد عده عده لسهولة او لو عد حصره بحيث لا يفوت منه شيء لقلته وتثبته وعدم سرعته فيه وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة الطيب كل ما يتطيب به من بخور ومسك وزعفران ونحوه والرائحة الحسنة تشمل ما يجده وغيره كالريحان وسائر الزهور العطرة ولذا كان لا يرد هديتها ويستعملها كثيرا اي في اكثر اوقاته لما فيه الملائكة فانها تقوي الحواس والملائكة تحبها وتكره الرائحة الخبيثة بعكس الشياطين ويحض عليهما بضمير التثنية للطيب والرائحة وفي نسخة عليها والضمير لها لانها هي المقصودة من الطيب لانها اعم كما قيل المغايرة اي يحث الناس ويحرضهم على استعمال ذلك لما لهم فيه من الفوائد ولحضور الملائكة الحفظة والكتبة عندهم ولما فاتهم له بما يجده ومن مروءة الانسان نظافته وطيب رائحته ويقول حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة وقد تقدم هذا الحديث وان لفظ ثلاث الموجودة في التفاسير غير ثابتة عند اكثر المحدثين وما في عطف جعلت فان محبة النساء من هدي الانبياء كداود وسليمان وكان فيه من قوة الجماع ما ليس في غيره وقال فضلت على الناس باربع هن السماحة والشجاعة وقوة الجماع وشدة البطش وكان فيه قوة اربعين رجلا من رجال الجنة وكل رجل منهم فيه قوة مائة رجل من رجال الدنيا وهذا مع قلة اكله وشربه وهذا الحديث اخرجه اصحاب الكتب الستة وكان اكثر طيبه الذريرة وهو طيب يجيء من الهند معروف مركب وتقدم انه قال حبب بالبناء للمجهول لان تلك المحبة جعلها الله فيه طبيعة لا شهوانية وعلى تسليم رواية ثلاث اما ان يكون اكتفى باثنين منها وحذف الثالث لتذهب نفس السامع كل مذهب والعرب تفعله كقوله

كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم ... من العبيد وثلث من مواليها

او الثالث الصلاة وقرة عينه فيها وجعلها من الدنيا لوقوعها فيها ويكون تغيير العبارة اشارة لمغايرتها لما قبلها وانها ليست من جنسها ووقع في بعض النسخ هنا زيادة لفظ ثلاث بعد قوله من دنياكم وتقدم الكلام فيها وانها ليست ثابتة وان اثبتها الزمخشري والغزالي في الاحياء والمصنف تبعا لهما

وقد افردنا هذا الحديث بتعليقة مستقلة والحديث رواه النسائي والحاكم في مستدركه بسند جيد وقال العقيلي انه ضعيف ومن مروءته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب المروءة من المرء وهو الانسان فهي بمعنى الانسانية ومعناه التلبس بما يليق بالرجال وترك ما يخل به فارتكاب ما يكرهه الصاحب يخل بالمروءة والنفخ اما للتبريد او لازالة قذى على وجهه وقد يخرج معه ريق المرء فيكره تناوله او يكون النفس متغيرا فيؤثر فيه ولو توهما والغرض منه يحصل بالصبر واماطة ما عليه بازالته وخلاله ونحوه ولذا نهى عن التنفس في الاناء حال الشرب واما ما ورد من انه صلى الله عليه وسلم كان يتنفس اذا شرب مرتين ونحوه فليس معناه ذلك بل انه يقطع الشرب وينحي الاناء ويتنفس خارجه فانه يستحب عدم العب والقطع في الشرب وقد ورد ان النفخ يذهب البركة منه كما ورد ابردوا بالطعام فان الحار غير ذي بركة وليس المراد بابراده نفخه حتى يبرد بل اكله باردا اما ان يصبر حتى يبرد فلا منافاة بينهم كما توهم وقلة بركته لانه يلتذ بمضغه وبلعه او انه لشدة حرارته ينهضم سريعا فلا يشبع شبع غيره ومن مروءته الامر بالاكل مما يلي كل احد من الطعام لحديث عمرو بن ابي سلمة ربيب رسول الله قال كنت غلاما في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم لان امه ام سلمة زوجته وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال رسول الله سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك اي لا من الوسط ولا مما يلي غيره فصار امر منه وورد مثله في احاديث اخر وقال ايضا تنزل البركة في وسط الطعام فكلوا من حافته ولا من حاشيته وهذا الامر ندب وذهب بعض الشافعية الى انه للوجوب ولعله اذا علم عدم رضى صاحبه وجليسه قيل وهذا اذا لم يكن الاكل بقصد التبرك بسر بين وعليه حمل ما في حديث الدبا انه جعل يتتبعها وهذا انما في غير الفاكهة فان له الاكل والاخذ من جانب قال بعض المدققين واليه الاشارة بقوله وفاكهة مما يتخيرون وفيه لطف خفي والامر بالسواك امر ندب وشذ بعض الشافعية فاوجبه للصلاة والسواك اسم للعود يستاك به وللفعل وهو الاستياك والمراد الثاني او الاول بتقدير مضاف اي استعمال السواك وعده من المروءة لما فيه من النظافة وطيب رائحة الفم والانقاء بكسر الهمزة وسكون النون وقاف بعدها مدة من انقاه اذا نظفه كنقاه البراجم بباء موحدة وراء مهملة والف وجيم وميم جمع برجم او برجمة بضم الباء والجيم وهي مفاصل الاصابع التي بينها والسلاميات من ظهر الكف التي ترتفع اذا قبض الانسان كفه وهي المفاصل الظاهرة والرواجم البا طنة

وقيل صح

وقيل هي مفاصل الكف كلها والاشاجع جمع اشجع وهي اصول الاصابع المتصلة بالكف والرواجب براء مهملة وواو والف وجيم وباء موحدة جمع راجبة على القياس جمع رجبة بضم فسكون على خلافه وهي المفاصل التي تلي الانامل وقيل هي مفاصل اصول الاصابع وقيل قصب الاصابع وقيل السلاميات وقيل ما بين البراجم والسلاميات وقيل ظهور السلاميات وقيل مفاصل الاصابع وواحد السلاميات سلامى بضم السين وفتح الميم مقصور وتفصيله في كتاب خلق الانسان وجزم البرهان الحلبي بان البراجم العقد المتشنجة في ظهور الاصابع قال وهي مفاصلها ونقل عن ابي عبيد ان البراجم والرواجب جميعا مفاصل الاصابع كلها وهو اللائق بكلام المصنف لا على ما في الصحاح من ان البراجم مفاصل الاصابع التي بين الاشاجع والروا جب والاصابع وواحدة الرواجب وهي المفاصل التي تلي الانامل ثم البراجم ثم الاشاجع التي تلي الكف انتهى لئلا تكون المفاصل التي تلي الكف خارجة اذ هي على ما فيه غيرهما وعند ابي عبيد داخلة فيهما مع ان الظاهر انها تنفى كما تنفى التي تلي الانامل والتي بينها كما قيل واستعمال

شبكة الألوكة www.alukah.net

الفطرة الخمس فيما رواه الشيخان الختان والاستحداد اي حلق العانة بالحديد وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط وزاد مسلم المضمضة واعفاء اللحية والاستنجا وابو داود الانتضاح وزاد غيره عن ابن عباس فرق الراس كما تقدم تفصيله المغني عن اعادته والفطرة بكسر الفا معناها الخلقة كما قال تع فطرت الله التي فطر الناس عليها والمراد السنة التي امر بها النبي صلى الله عليه وسلم كما مر

فصل واما زهده في الدنيا

الزهد معناه ترك الدنيا ولذاتها رغبة فيما عند الله وهو ثلاثة اقسام ترك الحرام وهو زهد العوام وترك فضول الحلال وهو زهد الخواص وترك كل ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين واما من لم يرض وصف اوليا الله فضلا عن انبيائه بالزهد لان الدنيا لا تساوي عند المتخلقين باخلاق الله جناح بعوضة وما ينال اعظم ملوكها بعض منها بل اقل قليل من باقيها فعنده معنى الزهد ترك ما ترغب نفسه فيه فمن لا رغبة له في شي منها لا يسمى زاهدا وغيره يعرفه بترك الدنيا مطلقا او بترك ما من شانه ان يرغب فيه والى هذا اشار الغزالي في الاحيا فمن وصفه باعلى طبقات الزهد نظر الى الاول وجنح الى انه من مقامات الكاملين فله منه الحظ الاوفى ومن نفاه عنه ولا يرضى وصفه به نظر الى الثاني واما طلبه للدنيا الضرورية في المعاش فليس لرغبته فيها بل لدفع ضعف بدنه المانع عن اداء حق العبودية فلا ينافي الزهد ايضا واليه يشير صاحب البردة بقوله هم

واكدت زهده فيها ضرورته • ان الضرورة لا تعدو على العصم

ومن شرط الزهد ايضا القدرة وقال ابن المبارك لما قيل له يا زاهد قال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها وقد تقدم من الاخبار التي في صفاته في اول الباب في اثنائه اي في خلاله وما بينه جمع ثنا مقصور كما قاله ابن هشام اللخمي في شرح المقصورة ومعناه ما انثنى وتداخل بعضه في بعض هذه السيرة اي هذا الكتاب المتضمن لسيرته وطريقته او المراد صبغة النبي وصفاته ما يكفي طالب سيرته يعني عن اعادته هنا وحسبك من تقلله اي يكفيك في معرفة تقلله اي قنعه بالقليل منها اي من الدنيا لزهده فيها واكتفائه في ضرورياته بالامر الزهيد القليل وهذا لا ينافي زهده واعراضه عن زهرتها اصل معنى الزهرة النضارة والزينة مستعار من الزهر بفتحتين وهو نور النبات ويمكن اي تركه مما يرغب الناس من زخرف الحياة الدنيا ومما قلته في الرباعيات

من حرصك بالمنى كم تشتغل • والعمر مضى فما يفيد الامل

ما زهرة هذه الحياة الدنيا • للعزك بانمل المنايا تحتمل

وقد سيقت اليه اي ساقها الله اليه مستعار من سوق البهيمة للتسخير والتمكين منها بحذافيرها اي بجملتها وكليتها من جميع نواحيها يقال ملك كذا بحذافيره اي جميعه بحيث لم يبق منه شي جمع حذفور وحذفار وهو الناحية وفي النهاية الحذافير الجوانب وقيل الاعالي فكنى به عما ذكر وهو اشارة لما تقدم من ان زهده ليس لعجزه عن تحصيلها بل هو مع غاية القدرة عليها والتمكن منها وهذا هو الزهد الممدوح كما تقدم وترادفت عليه فتوحها اي تتابعت وتوالت فاتته الدنيا راغمة بما يسر الله له من الغنائم والاموال والارزاق الواسعة الطيبة بحيث لو اراد لتوسع فيها واقتطف زهرتها فلم يرضها واكتفى باقل قليل منها والحالتان

او معترضتان

او معترضتان بين المبتدا وخبره افادتا كمال زهده لان من كان هذا حاله وزهد فزهده ابلغ زهد واتم عفاف وحسبك اي كافيك مما ذكرنا لحصول ما ذكر ان توفي بالبنا للمجهول اي وفاته ودرعه مرهونة عند يهودي اي والحال هذه والدرع معروفة تذكر وتؤنث والاكثر تانيثها واليهودي كان يسمى ابا الشحم من بني ظفر من موالي الانصار وهذا الحديث صحيح رواه الشيخان عن عائشة وانما عامله ولم يطلب من الصحابة لانه لم يحضره اذ ذاك منهم من يقترض منه ولانه لو طلب منهم واعلمهم بضرورته وهبوه ذلك ولم يرضوا باقراضه منهم فاخفى حاله مع ما فيه من بيان جواز معاملة الكفرة واهل الذمة في نفقة عياله في للتعليل كقوله ان امراة دخلت النار في هرة اي عن نيتها والعيال اهل البيت ومن تلزمه نفقته والذي اقترضه ثلاثون صاعا وروي عشرون صاعا من الشعير وكان في حال اقتراضه وهو يدعو ويقول كما رواه الشيخان اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا القوت كل ما يتقوت به الانسان من الطعام اي اجعله بمقدار ما يسد الرمق من غير زيادة وقد استشكل كل هذا بانه مات وله حصون وارض وعنده مما افاء الله عليه ارض خيبر وفدك وغيرهما فكيف مع ذلك يكون به فاقة تحوجه الى رهن درعه على اصوع شعير واجاب عنه ابن الصلاح في فتاواه بانها كانت مصروفة لنوائبه موقوفة ولذا لم تورث عنه وقال انا لا نورث ما تركناه صدقة فلا يقدح فيه ما كان في ملكه وقد اعده لمصالح المسلمين واخراجه ما يحصل منها في ذلك والفقرا يدخلون الجنة قبل الاغنيا بخمسمائة عام وقد اختار الفقر ولم يتصرف فيما عنده لنفسه وعياله ولذا لا يجوز ان يقال في حقه انه فقير واقول هنا دقيقة وهي ان رياضة النفس بالجوع تصفي الذهن وتقوي الروح وتجعل النفس قدسية ملكية وقد كان اهل الملل يتعبدون به ولما لم يكن في الدين المحمدي لمنافيها من الحرج فعله لذلك واختاره لنفسه خاصة ولم يبرزه بصورة الفقر لئلا يتعبد به امته فيه والحجة لذلك طلبه من الله له ولاهله فافهمه فانه دقيق جدا حدثنا سفيان بن العاصي هذا الحديث رواه مسلم والبخاري وسفيان هذا هو ابن سكرة لان المصنف سمع منه صحيح مسلم وليس هو الغساني لانه لم يسمع منه وانما روى عنه بالاجازة والحسين بن محمد الحافظ بن عيسى قاضي سبتة شيخ المصنف احد الاعلام وقد اكثر المصنف الرواية عنه توفي في جمادى الاخرة سنة خمس وخمسمائة والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا حدثنا احمد بن عمر قد تقدمت ترجمتهما قالوا حدثنا ابو العباس الرازي قال حدثنا ابو احمد الجلودي بفتح الجيم نسبة لقرية بافريقية وقيل بالشام وقيل انه بضم الجيم وقد تقدم حدثنا ابن سفيان حدثنا ابو الحسين بن الحجاج مسلم صاحب الصحيح وقد تقدم هو ومن قبله حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة تقدمت ترجمته حدثنا معاوية محمد بن خازم بمعجمتين الضرير الحافظ احد الائمة الاعلام الا انه كان مرجيا روى له الستة وتوفي سنة خمس واربع وتسعين ومائة وترجمته مفصلة في الميزان عن الاعمش ابو محمد سليمان بن مهران الكاهلي احد الاعلام روى عن انس وابن ابي اوفى وغيرهما وروى عنه شعبة ووكيع وكثيرون نحو الف وثلاثمائة حديث وعاش ثمانيا وثمانين سنة ومات في ربيع الاول سنة ثمان واربعين ومائة واخرج له الستة وترجمته في الميزان عن ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الاسود بن عمرو بن ربيعة النخعي الكوفي الفقيه

شبكة الألوكة www.alukah.net

الزاهد راس عصره راى عايشة اخرج له الستة وتوفي سنة ست وتسعين عن الاسود
بن يزيد النخعي العابد حج ثمانين مرة وصام حتى اخضر جلده وكان يختم في كل ليلتين وتوفي سنة
اربع او خمس وسبعين وهو ثقة اخرج له الستة عن عايشة قالت ما شبع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا اي متتابعة متوالية من خبز بر كان او شعير حتى
مضى لسبيله اي حتى توفي لان الموت طريق يسلكه كل احد واول منزل منه القبر وفي رواية
اخرى رواها البخاري من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء الدنيا وتوفيتها ونعيمها
لاعطاه الله عز وجل ما لا يخطر بباله البال القلب والعقل والفكر وخطر يخطر بضم الطا وكسرها
خطورا اذا ذكر وتصور اي يعطيه منها كل امر نفيس لم يتصوره احد من الناس لجلالته وعظمه
وكونه لم يعهد مثله حتى يعرف وفي رواية اخرى رواها مسلم ما ترك اي ما خلف تركة
رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي رواية ولا اشيا قال عبد الله بن ابي
اوفى ما اوصى رسول الله عند موته لانه لا مال عنده يوصي به وانما اوصى بكتاب الله وادعا
الشيعة انه اوصى وان عليا اوصى لا اصل له ولم يثبت وفي رواية في الصحيحين ما شبع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله عز وجل وفي البخاري ما شبع ال محمد
منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال حتى قبض وهو المراد بلقا الله وفيه روايات كثيرة متقاربة
المعنى وانه ما جمع بين غدا وعشا وفي رواية من خبز وزيت وفي رواية ما اكل الطين في يوم
قيل وهذا مشكل بما ثبت انه كان يرفع لاهله قوت سنة وانه ساق مائة بدنة ووهب قطيعا من
الغنم والف بعير ونحوه كما رووا ان اصحابه كابي بكر وعمر وعثمان وطلحة كانت لهم اموال كثيرة وهم يبذلون
له اموالهم وانفسهم واجيب بان ذلك كان في حالة دون حالة وان ذلك للارشاد وكراهة
الشبع لا لضيق اليد وعن عايشة من حدثكم انا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم فلما فتحت قريظة اصبنا
شيا من التمر والودك وروي لما فتحت خيبر قلنا الان نشبع من التمر والحق ان كثيرا منهم كانوا في ضيق
قبل الهجرة وبعدها وواساهم الانصار بالمنايح فلما فتحت النضير وما بعدها ردوها عليهم اقول
هذا ينافيه ما ثبت من انه مات ودرعه مرهونة فكيف يكون العسرة زالت بعد الهجرة فالحق الاحق بالاتباع
ما قاله ابن الصلاح وما قاله لا يسمن ولا يغني من جوع وفي حديث عمرو بن الحارث الذي
رواه البخاري ما ترك اي ما خلف تركة لاهله الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة
هذا حديث اوله ما ترك رسول الله عند موته دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا امة ولا شيا الا بغلته البيضا
وسلاحه وارضا جعلها صدقة وتفصيله في السير فانهم قالوا كان له تسعة اسياف لكل منها اسم
ودروعه سبع وقسيه ست وثلاثة اتراس وخمسة رماح وقال مغلطاي اربعة ومغفران
وراية سودا يقال لها العقاب مربعة وراية بيضا او صفرا وكان مكتوبا على رايته لا اله الا الله
محمد رسول الله وفي الميزان انها لم تكن الا بيضا ولم يبين ما وجد منها عند موته واما بغلته فهي
الدلدل التي اهداها له المقوقس وعاشت بعده حتى ذهبت اسنانها وكان يجش لها الشعير ثم
ماتت بالبقيع وقيل انها بقيت لخلافة معاوية وان عليا قاتل عليها واما بغلته فضة فوهبها
لابي بكر والارض المذكورة فدك والنضير وارض بخيبر وهي مفصلة وبقي كونها صدقة انه وقفها
لمصالح المسلمين والوقف يسمى صدقة وكان ياخذ منها نفقته ونفقة عياله بقدر الحاجة ويصرف
باقيها فكل ما عنده كان مرصدا او لاملاك فلذا لم يورث كسائر الانبيا وقوله يرثني ويرث من
ال يعقوب المراد انه يرث علمه وحكمته وشرفه كما صرحوا به وضمير جعلها للارض والجملة صفة

اومشانقة

او مشانقة استثنيا فابيا نيا والضمير للمذكورة وقالت عايشة في حديث رواه الشيخان
ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في بيتي شي ياكله ذو كبد وهو كناية عن كل
حيوان انسانا او غيره والكبد معروفة وهي احد الاعضاء الرئيسة وخصه لان منه يصل الغذا الى
الجسد كله وهذا مناف لقولها ما ترك درهما ولا دينارا ولا شيا ووفق بينهما بان المنفي هنا ما كان
مختصا بها من بقية نفقتها الا شطر شعير او المراد بالشي وان كان عاما ما كان من جنس المال والمتاع
او هو لعدم الاعتداد بما ذكر لقلته والشطر النصف كالشطير او البعض مطلقا وفي النهاية اراد به نصف
مكوك او نصف وسق والمكوك المد وقيل الصاع في رف لي بفتح الرا المهملة وتشديد الفا شبه
الطاق في الحائط ويطلق على خشبة عريضة ترفع عن الارض تغرز لوضع ما يراد حفظه وهو
الوقوف ايضا والاول اقرب لان الخشبة لا تحتمل وضع هذا المقدار عليها وتتمة الحديث فاكلت
منه طويلا ثم كلته ففني وفيه اشارة الى ان الكيل كالعد يذهب البركة وقد ورد ان له نظائر كما في
مسلم عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال هو
وامراته وضيفه ياكل منه حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره
فقال لو لم يكله لم ينفد قيل لما فيه من الحرص وعدم التوكل وللتمسك بالاسباب المعتادة واما ما ورد
في حديث المقدام كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فاجيب عنه بانه عند التبايع لحق المشتري فتامل
وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم لي اي لعايشة وفي شرح ابن اقرس قال الي بدل الام اعني
ادن واقرب الي فطلب دنوها منه ليسارها وقال حكاية لحالة ماضية الي عرض علي بالسابهة
وفي رواية عرض على ربي ليجعل عوضا له وعليه اذا اظهره له واراه اياه والمراد اعلمه بالوحي ان
يجعل لي بطحا مكة ذهبا البطحا والابطح وادي تيل وتجري فيه السيول او بطن واد فيه رمل
او مكان لا ينبت لانه مسيل وهو ما غلب عليه الاسمية والمراد بجعله ذهبا ان يملاه وان تقلب حصاه
ورماله ذهبا وقلب الاعيان كانشايها من العدم غير مستحيل الوقوع والله قادر على كل شي فقلت لا
يا رب اي لا اريد جعل البطحا ذهبا اجوع يوما واشبع يوما استينافا كانه قيل له فما تريد فقال
اريد الفاقة وان اكون تارة جايعا وتارة شبعان لزوم المقام العبودية والافتقار الى الله ثم بين ما
يكون عليه فقال فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك فيه والتضرع الدعا بتذلل
وانكسار من الضراعة وهي الذلة والالتجا فادعوك اي اطلب منك وفي الدعا مناجاة والتعاو معا ملة
مع الله وان كان عالما بذلك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك لما انعمت به
علي ولا وجه لما قيل هنا انه تعليم لفقراء امته والا فلو جعلت له الدنيا ذهبا لم يشغله ذلك عن الله
طرفة عين الى غير ذلك مما طال فيه بغير طايل على عادته وهذا الحديث رواه الترمذي عن ابي
امامة بلفظ فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك وفي حديث
اخر قال السيوطي لم اجده هكذا ولكن البيهقي اخرجه في الزهد من طريق عطا عن ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال يوما ما امسى لال محمد كف سويق ولا سفة دقيق فاتاه اسرافيل فقال
ان الله سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح الارض وامرني ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك
جبال تهامة زمردا وياقوتا ذهبا وفضة فعلت الى اخره واخرج ابن سعد وابن عساكر في تاريخه
من حديث عايشة لو شيت لسارت معي جبال الذهب ولاحمد في الزهد عنها والله لو شيت لاجرى الله
معي جبال الذهب والفضة والطبراني نحوه وفي حديث الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له
ولها يجمعها من لا عقل له مختصرا عن عايشة قلت فما ذكره المصنف رواية بالمعنى من عدة احاديث

شبكة الألوكة
www.alukah.net

إن جبريل قال له إن ربك يقرئك السلام أي يسلم عليك ويحييك تحية إكرام قال
في الإكمال أقرأته السلام وهو يقرئك السلام بضم اليا من أقرأ فإذا قيل يقرأ عليك السلام بعلى
فيفتح اليا لا غير وقيل هما لغتان وهو مهموز لا معتل ويجوز إبدال همزته واوا ويا ومعنى إقرائه
حمله على أن يقرأ عليه سلامه أي يبلغه إياه فهو مجاز مرسل لمطلق التبليغ مأخوذ من القراءة ومعنى
قراءته عليه ذكره ويقول لك إن شئت أن أجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما
كنت أي تسير معك وتتوجه إلى أي توجهت فأطرق ساعة أي طأطأ رأسه يتفكر فيما يجيبه
به ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له الدنيا تقابل الآخرة
لأنها فعلى من الدنو وهو القرب وتطلق على هذا العالم المشاهد وكل ما فيه من المال وغيره وعلى
الأرض التي هي مقر العالمين وبهذا الاعتبار سميت دارا وقوله لا دار له لأنها فانية لا يقيم فيها
أحد ولذا شبهت بالخان الذي ينزله المسافرون وبالقنطرة بل بالسفينة كما قال

وإنا لفي الدنيا كركب سفينة • نظن وقوفا والزمان بنا يسري

وقوله مال إلخ أي إن ما يملكه المرء فيها سلسلة منها هو عارية أو وديعة فصاحبه لا ملك
له حقيقة فكل غني فيها فقير وليس هذا من قبيل فرط من لا فرط له ودكي من لا [illegible] ولها يجمعها
من لا عقل له قد للتحقيق لأن من جمع الدنيا كثيرا أو هي لتقليل جمعه وحيازته لها فإنه يجمعها
بعد بلوغه ورشده لمونه ثم يعقبها إلى ما لا نهاية له أو لتعلق الفعل فإن متاع الدنيا بالنسبة لغيره
قليل وعلى هذا حمل قوله قد يعلم ما أنتم عليه فإن ما هم عليه بالنسبة لبقية معلوماته أقل قليل أو هي
مستعارة هنا للتكثير كقوله قد أترك القرن مصفرا أنامله • وإن كان في البيت
نزاع ليس هذا محله وجعله لا عقل له لتنزيل وجود عقله منزلة العدم إذ لم يصرفه فيما يتعلق بالآخرة
وبصيرته إلى الاكتفا من الدنيا بزاد المسافر الذي يبلغه منزله فإن العاقل من كان كذلك ولذا قال
الفقها لو أوصى لأعقل الناس صرف للزهاد وقال الشاعر

إن لله عبادا فطنا • طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا • أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا • صالح الأعمال فيها سفنا

فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت المراد بالقول الثابت الحق لأنه دائم لا يزول
أو المراد به حق مخصوص بقالته وهو إما دعا له أو إخبار بأن الله ثبتك عليه فإنه بمحض فضل الله
ولطفه فإنه الذي ثبته على هذا وعن عائشة في حديث صحيح رواه الشيخان إن كنا آل محمد
المراد بآله أهل بيته وله معان أخر مشهورة وإن مخففة من الثقيلة لنمكث شهرا ما نستوقد
نارا أي ما نوقد نارا فالسين للتأكيد أو المراد ما نطلب من أحد نارا نوقدها وهذا كناية عن أنه
ليس لهم ما يطبخ إن هو إلا التمر والما وإن نافية وهو ضمير الطعام والمأكول أي ما عندنا
ما يؤكل ويتغذى به إلا التمر والما وروي وإنما هو الأسودان التمر والما قيل هذا كان في بعض
الأحوال وعن عبد الرحمن بن عوف الصحابي المشهور وهذا الحديث رواه الترمذي والبزار
بسند جيد وغيرهما هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أي توفي والهلاك بمعنى الموت مطلقا
يستعمل في حق النبي وغيره قال الله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه وأما اختصاصه بميتة السوء
كالقتل فهو فطار ولذا أكثر استعماله في الأعداء فيقال هلك عدو الله وقد ورد في الحديث ولا
إنما يفهم من ذكر العدو ونحوه قلت فلا يجوز لنا الآن إطلاقه على من كرهه والصحابة ويقتضي

فيه على ما ورد منه من غير نكير كما قيل في حق يوسف حتى إذا هلك وكذا ورد في غيره من الأنبيا
فلا يختص بمن استحق العذاب الأخروية ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير وأول
الحديث عن نوفل بن إياس الهذلي كان عبد الرحمن بن عوف جليسا لي وكان نعم الجليس وإنه انقلب
بنا ذات يوم حتى إذا دخلنا بيته دخل فاغتسل ثم خرج وأتانا بصحفة فيها خبز ولحم فلما وضعت
بكى عبد الرحمن بن عوف فقلت يا أبا محمد ما يبكيك قال هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع
هو وأهل بيته من خبز الشعير فلا أرانا أخرنا لما هو خير لنا وقد تقدم أنه ورد في معناه أحاديث
كثيرة متقاربة المعنى وتقدم ما فيه من الإشكال وجوابه وإلى هذا أشار بقوله وعن عائشة رضي
الله عنها وأبي أمامة وابن عباس نحوه أما في حديث عائشة فما في الصحيحين عنها أنها قالت
ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين حتى قبض وحديث أبي أمامة في الترمذي
بهذا اللفظ أيضا وحديث ابن عباس مما ذكره المصنف عنه عقب هذا بقوله كان النبي إلخ كما قاله السيوطي
وسياق كلامه يأباه ولو كان مراده هذا لاكتفى بذكره والأحسن ما في الصحيحين أيضا عن ابن عباس
ابن عمر حديثه أنه دخل عليه وقد اعتزل نساءه فإذا هو مضطجع على حصير قد أثر بجنبه فقلت عيني
في خزانته فإذا هي ليس فيها شيء غير قبضتين من شعير وقبضة من قرظ فابتدرت عيناي فقال ما
يبكيك يا ابن الخطاب فقلت ما لي لا أبكي وأنت صفوة الله من خلقه وهذه الأعاجم والنمارق
والأنهار وأنت هكذا قال يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا قلت بلى يا رسول
الله قال فاحمد الله عز وجل قال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله
الليالي المتتابعة طاويا حال من ضميره صلى الله عليه وسلم ولم يقل طاوين لأن المقصود
حاله وحال أهله يعلم من حاله لأنهم يتبعونه في كل حال وطاويا بمعنى جائعا لأن الطوى الجوع
كما ذكره الجوهري والليالي منصوب على الظرفية وقوله لا يجدون عشا بفتح العين والمد
الطعام الذي يقابل الغدا وخصه لقوله يبيت والمراد به مطلق الطعام وهذا الحديث أخرجه
الترمذي وابن ماجه وعن أنس في حديث رواه البخاري قال ما أكل رسول الله على خوان بكسر
الخا المعجمة وضمها فارسي معرب ويقال إخوان بزنة إكرام وهو والمائدة والمنديل بمعنى وإن
فرق بينهما في الأصل بأن الخوان ما يوضع عليه الطعام قبل وضعه وبعده يسمى مائدة ولأ كل
عليه عادة المتكبرين حتى لا يحتاجون للانحنا إذا أكلوا وقيل إنه عربي من التخون وهو التنقص
ويجمع على أخونة وخون وأما السفرة بالضم فالطعام المعد للسفر وتكون بمعنى ما يوضع عليه
الطعام من الأديم أيضا ولا في سكرجة قال الحنفي هي بضم السين المهملة وضم الكاف وفتح
الرا المهملة المشددة وجيم وها وهي أعجمية معربة وقيل الصواب أسكرجة بهمزة مضمومة
وقد جا في الحديث الصحيح بدون همزة ومعناها مقرب الخل ولذا قيل معناها قصعة صغيرة
يوضع فيها الكوامخ والجوارشات في جوانب المائدة فيها ما يعين على الهضم وقيل قصعة مدهو نه
وقيل إنها مائدة صغيرة وعلى كل فهي مما يصنعه العجم والمعتادون لهم من المتكبرين والجيم والها
علامة التصغير عندهم وقيل فيها أيضا سكرجة ولا خبز له مرقق بالبنا للمجهول ومرقق
بوزن معظم رقيق الخبز كالرقاق وقيل هو المنبسط الرقيق وقيل هو الحواري والسميد
بدال مهملة أو معجمة وفي رواية مرققا بالنصب تمييزا أو مفعول ثان لخبز لتضمنه معنى
الجعل والمراد أن خبزه لم يعمل من بياض الدقيق لأنهم لم يكن لهم مناخل ولا رأى شاة سميطا
قط سميط فعيل بمعنى مفعول أي لم يطبخ له شاة بتمامها بعد سمطها أي غليها في الما الحار

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حتى يذهب شعرها ثم تشوى وظاهر كلامهم انها لم تسلخ وانما ذكر في الحملان الصغيرة وعن
عائشة في حديث رواه الشيخان انما كان فراشه الذي ينام عليه ادما بفتح الهمزة والدال
المهملة وميم اسم جمع لاديم وهو الجلد المدبوغ اللين وقيل انه مخصوص بالاسود وحشوه ليف
والليف ما يكون من النخل وهو معروف وعن حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ام المؤمنين
وحديث حفصة رواه الترمذي في الشمائل منقطعا وحديث حفصة لا ينافي حديث عائشة
المتقدم لجواز كون ان كلا منهما ذكرت فراشه الذي كان عندها كان فراش رسول الله في
بيته مسحا بكسر الميم وسكون السين المهملة وبعدها حاء مهملة وهو ثوب مستعد للفرش شبه
الكسا ويقال له حنبل وقيل هو ثوب اسود من شعر يلبسه الزهاد وهو ثوب من الشعر والوبر
والصوف يلبس ويجلس عليه وجمعه مسوح وعلى كل حال فهو شي غليظ يتنزه عن مثله اصحاب
الترفه نثنيه ثنيتين فينام عليه الثني بكسر فسكون والمثنى ما ثني بعضه على بعض
وعطف اي يجمع بعضه على بعض مرتين حتى يكون الين واوطا للنوم عليه وتثنية ثنتان
وجمعه اثناء وروي ثنتين بمثناة فوقية مكان اليا المثناة التحتية والمعنى واحد والنسخة
الاولى اصح واشهر فثنيناه له ليلة باربع طاقات ليكون الين منها ومن الثنتين فلما
اصبح قال ما فرشتم لي الليلة فذكرنا ذلك له وهو انا جعلنا فراشه اربع طاقات
فقال ردوه لحالته الاولى وهو الثنتين فانه وطاته بفتح الواو والطا المهملة والمد وتاء
تانيث مضاف لضمير الفراش فوزنه فعالة او فعلة بفتح فسكون وهمزة غير ممدودة على وزن
فعلة اي لينه ويجي بكسر طاقاته وتضعيفها منعتني الليلة صلاتي اي انه للينه
لذ له النوم فنام اكثر من معتاده لان فراشه مهد لم يوذه حتى ينبهه فانقطع عن بعض القيام
لتهجده لتلك لزيادة نومه وكان ينام احيانا على سرير مرمول ونومه الاول على فراش
على الارض ومرمول براء مهملة وميمين بمعنى منسوج بشريط او غيره والشريط بشين معجمة
وراء وطا مهملتين بينهما يا مثناة تحتية حبل مفتول من خوص النخل او سعفه مع حبال السرير
وواحده شريطة حتى تؤثر حبال شريطه في جنبه لكونه بغير فراش يحول بينه وبينه وهذا
من حديث طويل رواه الشيخان والترمذي وفيه وتحت راسه وسادة من ادم حشوها ليف
وفي معناه احاديث اخر وعن عائشة قالت لم يمتلي جوف النبي صلى الله عليه وسلم
شبعا قط قال التلمساني فيه اربع لغات فتح الشين المعجمة وكسرها مع سكون الموحدة وفتحها
وقال البرهان هو بفتح الموحدة نقيض وبسكونها ما يشبع والظاهر هو الاول وقيل عليه ان
كان ظهوره بحسب الرواية فسلم واما بحسب الدراية فالظاهر الثاني لانه اسم عين وعلى
الاول اسم معنى والامتلا منه مجازي كامتلا غضبا وقيل عليه ان المجاز ابلغ من الحقيقة
فهو اولى رواية ودراية فالبرهان مع البرهان وفيه نظر وهذا يقتضي انه كان يشبع ولكنه
لا يملي جوفه بتمامه منه فان المطلوب تقليل الطعام والاقتصار على ما يقوم به الاود ع
ثم ملي ثلث بطنه ٭ فان ثلثا للزاد ٭ وثلثا للما ٭ وثلثا للنفس فان زاد فضعفا وما زاد
على ذلك حرص وبطنة غير محمودة وقد يجر الى وصل الضرر والتخمة فضلا كما ان
اول ما ابتدع ولم يبث شكوى الى احد بفتح اليا التحتية وضم البا الموحدة وتشديد
المثلثة بمعنى ينشر ويظهر يقال بث الخبر وابثه اذا نشره ويقال ايضا بثه بالنون وبهما
روي قيل ٭ اذا جاوز الاثنين سر فانه ٭ ببث وتكثير الحديث قمين ٭

والشكوى

٢٦٩

والشكوى من موجبة فالذي يليق بمقام العارفين الصبر وكتم ما به لاسيما والنبي
صلى الله عليه وسلم كان يبش لكل ما ياتيه من الله ولا يعده مولما بل يتلذذ به فكيف
يتصور شكواه والى هذا اشار بقوله وكانت الفاقة وهي الحاجة والفقر احب اليه من الغنى
قيل هذا يقتضي ان الفقر افضل من الغنى وقد اختلف فيه على قولين ولكل منهما ادلة كقوله ووجدك لك
عائلا فاغنى حيث امتن عليه بالغنى ولا دليل فيه لانه امتن عليه بقضاء حاجته والمفضول
قد يكون في مقام له مزية على الفاضل ولا في قوله ان الانسان ليطغى ان راه استغنى فانه
لم يذم الغنى بل ما قد يترتب عليه وكذا كون حساب الفقراء اخف والمختلف فيه هل الغني الشاكر
او الفقير الصابر فقد ذهب الى كل منهما قوم من العلما لحديث ذهب اهل الدثور بالاجر وحديث ان
الفقرا يدخلون الجنة قبل الاغنيا بنصف يوم من ايام القيمة وهو خمسماية عام الى غير ذلك
من الاحاديث الواردة في الجانبين وقال الغزالي قد انكشف ان الفقر هو الافضل لكافة الخلق
الا في موضعين غني يستوي فيه الوجود والعدم ويستفاد به دعاء المساكين وقضا حوايجهم
كغنى بعض الصحابة وفقر يكون مع الضرورة حتى يكون كفرا فالاول خير محض وهذا الاخير
فيه بوجه من الوجوه والممدوح غنى النفس لا غنى المال من حيث هو والفضل كله في الكفاف
والاقتصار على قدر الحاجة ولذا طلبه صلى الله عليه وسلم له ولاله وان كان ليظل جائعا
ان مخففة من ان المكسورة الهمزة المثقلة والجملة حالية ويظل بفتح المثناة من اخوات كان
واصل معنى ظل فعل نهارا لانه زمان بين وفيه الظل ثم استعمل لدوام الفعل ليلا ونهارا وهو
المراد يلتوي طول الليلة من الجوع بتقديم اللام على التا الفوقية وواو مخففة مكسورة
وفي نسخة يتلوى بيا مثناة مفتوحة وفوقية مفتوحة ولام وواو مشددة مفتوحة
تليها الف ومعناه يتقلب على فراشه من الم الجوع من لواه يلويه ليا اذا صرفه عن جانب
لاخر قال تعالى لووا رؤسهم وهذا الزهد في الدنيا وصبره على فاقتها ليقمع شهوته ونفسه
ويقهرها ويرشد امته لذلك كما بينه بقوله فلا يمنعه صيام يومه بالنصب بمنعه او من ع
الخافض اي عن صيام يومه يقال منعت الرجل عن الشي فامتنع بقوله ولو شاء صلى الله
عليه وسلم الغنى او الشبع وشاء كثيرا ما يحذف مفعولها بعد لو لدلالة جوابها عليه جميع كنوز
الارض وثمارها ورغد عيشها ما بعد الكنوز يجوز جره عطفا عليه ونصبه عطفا على
جميع والكنوز جمع كنز وهو معروف والثمار جمع ثمرة وهي ما يحصل من الاشجار ونحوها
وقد يراد به كل ما يستفاد من غيره كما يقال ثمرة العلم العمل ويجوز ارادة هذا هنا ورغد
بفتحتين وقد يسكن ثانيه ويقال فيه رغيد والرغد والعيش بمعنى المعيشة والمراد ما
يتعيش به واصل معنى الرغد الواسع يقال ارغد فلان اذا اصاب رغدا اي سعة وخصبا
وعزة ولقد كنت ابكي رحمة له مما اراه به وفي نسخة مما اري به اي مما اشاهده به
او مما اعلم به وامسح بيدي على بطنه كانه يستريح بذلك كما كان يضع الحجر عليه ليقوي ده
ويشد صلبه وهذا للشفقة مما به من الجوع اي من المه ثم تبين ان ذلك شفقة بقولها
واقول نفسي لك الفدا تقدم ان الفدا بالكسر والفتح والقصر والمد وهو ما يفدى به
الاسير ونحوه فيجعل عوضا عنه ويقال فديته بنفسي بابي وامي ومالي وقد يقال بنفسي
من غير ذكر للفدا وتسمى البا با التعدية وهذا جائز بل مستحب لجل قدره منه صلى الله عليه
وسلم فيقال لمن له شرف كالحكام والعلما والصلحا واعزة الاخوان قصدا للتوقير

شبكة الألوكة
www.alukah.net

واستعطافه ولو كان محظورا كما قبل ما قاله ولنهي عنه من قال له وقد قال له ابو بكر فديناك بابائنا وامهاتنا وقال صلى الله عليه وسلم ارم فداك ابي وامي ومنعه قوم لحديث مالك بن فضالة ان الزبير دخل عليه وهو شاك فقال كيف تجدك جعلني الله فداك فقال له ما تركت على جهلك بعد قيل ولا حجة فيه لما ادعوه لان هذا الحديث الواحد لا يقاوم الاحاديث الصحيحة الواردة بخلافه ولاحتمال انه انما نهاه عنه لوروده في غير محله لانه لا ينبغي ان يقال لمريض بل يتوجع له ويقال لا باس عليك وعافاك الله وشفاك ونحوه ولكل مقام مقال لا لان القائل له كان ابواه مشركين ولا لانه من خصوصياته لان من قابلية من ليس كذلك والاصل عدم الخصوصية لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك التبليغ مفعل من البلاغ وهو بمقدار الكفاية يقال تزود منه بلاغا بالبلاغ ما يؤخذ من الزاد الذي يبلغ به المسافر منزله والمعنى هنا معنى اكتفيت منها بالكفاف من القوت من غير ضرورة ومخمصة وكونه للتمني فيقول يا عائشة ما لي وللدنيا قيل ما نافية اي ليس لي الفة ومحبة مع الدنيا حتى ارغب فيها او استفهامية اي اي الفة ومحبة ورغبة لي في الدنيا وهذا من اشارة الزهد واظهاره لغنى القلب ومحبة نركه لها انه يتبع الله مقام عظيم سبقه به الرسل يجري على طريقتهم فقال اخواني من اولي العزم من الرسل تقدم انهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى على خلاف فيهم وفي وجه تسميتهم بذلك صبروا على ما هو اشد من هذا كالحبس والعرض على القتل وغير ذلك مما علم من التفاسير فمضوا على حالهم اي استمروا راضين بقضا الله لهم الى ان ماتوا فقدموا على ربهم اي لاقوه وشاهدوا اما الكشف لهم من احوال الاخرة في البرزخ فاكرم مآبهم اي اكرمهم في مرجعهم الله يقال آب يؤوب اذا رجع فهو اسم مكان او مصدر ميمي واجزل ثوابهم اي كثر لهم العطا والجزا في دار المقامة فاستحي من الله عند لقايه ان ترفهت في معيشتي اي ان تنعمت وتوسعت في العيش والترفه تفعل من الرفاهة والرفاهية وهي كالرغد السعة وقد كان الله خيره قبل موته بين الخلد في الدنيا ولقايه فاختار لقاه كما قاله ابن العربي وان شرطية ويجوز فتحها على المصدرية بتقدير لام قبلها اي لان فهي ووقع في نسخة في معيشتهم اي في جنس معيشتهم والاصح الاول ان يقصر بي غدا يقصر مبني للمجهول مع التشديد اي ان يقع التقصير او المقصر بالكسر خالد وعمله دونهم اي فيكون مقامي دون مقامهم لتنزل عن تبني عن مرتبتهم والمعيشة مفعلة وجمعه معايش بلا همز وقد همز قليلا كما بينه النحاة وهي ما يتعيش به وغدا بالمعجمة اليوم الذي بعد يومك والمراد به الاخرة جعل الدنيا بمنزلة اليوم الحاضر والاخرة لكونها بعدها بمنزلة غد استعارة وما من شيء هو احب الي من اللحوق باخواني واخلاي بالمد مضاف لياء المتكلم جمع خليل وهو قياس في المضاعف والمراد بالاخوان والاخلاء الانبياء السابق ذكرهم والرفيق الاعلى وعن عايشة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ويخير بين ذلك فلما حضرته الوفاة شخص بصره وهو يقول اللهم اغفر لي والحقني بالرفيق الاعلى كما في البخاري وفي النهاية الرفيق الاعلى جماعة الانبياء الذين يسكنون اعلى عليين او المراد به الله عز وجل فالرفيق بمعنى الرؤوف وهو من اسماء الله كالاعلى والتحق بهم بمعنى كونه معهم وقالت عايشة فما اقام بعد بالبناء على الضم اي بعد مقالته هذه الا اسبوعا حتى توفي صلى الله عليه وسلم اي انتقل للاخرة • واستق في اتمام عمره •

فصل واما خوفه ربه •

لما كان الزهد ترك الدنيا باختياره وحبسه نفسه عن الشهوات وذلك انما يكون بعد تحقق الخوف والرجا عقب الزهد بالخوف من الله وربه منصوب مفعول المصدر • واعلم انهم اختلفوا في خوف النبي صلى الله عليه وسلم من عقاب الله ثم قال الامام ابو الحسن الاشعري في كتاب الايجاز كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف الله ثم بلا خلاف الا ان خوفه كان لماذا فقال اهل الحق كان خوفه قبل ان آمنه الله من عقابه وتقدم كان من عقابه ولونه في الدنيا كما قيل له لما اعرض عن ابن ام مكتوم عبس وتولى الاية فاما بعد ان آمنه الله من عقابه فلا يجوز ان يخاف عقابه ثم علمه بانه آمنه منه فاخبره بانه لا يخاف عقابه خلافا للرافضة والقدرية حيث زعموا ان الله وسائر المكلفين ما داموا مكلفين في الدنيا لا بد ان يخافوا عقابه سوا آمنهم ام لا ودليلنا ان الخوف لا يجوز الا ممن يجوز ان يوقع به وانما مع القطع بانه لا يحصل ابدا فمحال حصول الخوف منه لا يجوز عندنا قال فلو قلنا انه صلى الله عليه وسلم كان يخاف عقاب الله ثم تامين الله له من ذلك يؤدي الى كونه شاكا في خبره وانه صادق او كاذب في اخباره بانه لا يتعلق به عقاب ولما بطل هذا بالاتفاق علم ان الخوف لا يصح مع القطع بانه لا يعاقب اصلا انتهى • وسئل ابن حجر الهيتمي عن الانبيا والملايكة والعشرة المبشرين هل كانوا يخافون عقاب الله بعد اخبار الله لهم بانهم لا يعذبون • فاجاب بان نفي الخوف واثبات الامن لمن ذكر مطلقا باطل مصادم للنصوص من وجوه احدها ان حقيقة الخوف كما في الاحيا الم القلب لتوقع مكروه في المستقبل وهو اقسام منها خوف ضعفا القوة عن الوفا بحقوق الله على ما ينبغي والخوف بهذا المعنى محقق في جميع الانبيا وبلزم عدم الامن من مكر الله ولا يا منه احد الا ان المامون منه الانسلاخ عن النبوة والملايكة والايمان في العشرة على انه قيل بوقوعه لبعضهم والرجا والخوف مثلا زمان واشتراط الرجا والخوف بما هو مشكوك فيه لا باس فيه لانهم لا يخافون لانهم على بينة ويقين من ربهم كما قيل بل هو حجة عليه لما مر من معنى الخوف فالكمل على يقين من اصل الكمال وقد يوهم عدم استشعار قدرة الله واستغنايه عن خلقه وانه لا يسأل عما يفعل ولا يجب عليه شي وقد يشترط ما اخبرهم به بما انطوى عن علمهم فيوجب الخوف حتى من سلب اصل الكمال الثاني ان الشافعي صرح بان الملايكة داخلون في قوله لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون لما اخرج ابن ابي حاتم من ان الله ثم قال لهم ما هذا الخوف الذي بلغ بكم هذا وقد امنتكم منزلة لم ينزلها غيركم فقالوا ربنا لا يامن مكرك الا الخ • الثالث ما في الاحيا من ان الانبيا يخافون المكر لما روي ان النبي وجبريل بكيا خوفا من ان يكونا تامنيهم امتحانا ومكرا وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين فلا شبهة في ذلك لقوله لا ادري ما يفعل بي ولا بكم • فان قلت يرده ما روي عن الحسن انه لما نزلت هذه الاية خاف زمانا فلما نزل انا فتحنا الخ جد في العبادة وقال افلا اكون عبدا شكورا وروي انه قال في الاية اما في الاخرة فمعاذ الله لانه اخبر بانه في الجنة فالمعنى ما ادري ما يفعل في الدنيا فاخبره بنصره واظهار دينه • قلت المراد خوفه من امور الدنيا واستيصال امته فامنه الله منه واما الخوف من الله فلا يامنه احد الرابع انه ورد في ادعيته كثير ما يدل عليه نحو اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك وقوله اللهم اني اعوذ بك من عذاب النار وفتنة المحيا والممات وليس هذا تشريعا للامة اذ يقولوه لانه لم ينقل قولا ولا قرينة على تقديره انتهى • وقد اختلف الفقها في الامن من مكر الله واليأس من رحمته فقال الشافعية انهما من الكباير وقال الحنفية انهما كفر لقوله تع انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وتمسك الشافعية لعدهما من الكباير

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بما ورد في حديث ابن مسعود وقال ابن ابي شريف ان اريد باليأس انكار سعة الرحمة لكثرة
الذنوب وبالامن انه لا مكر فهو كفر وفاقا لانه رد للقرآن وان اريد استعظام الذنوب واستبعاد
العفو عنها استبعادا يدخل في حد اليأس وغلبة الرجا المدخل له في حد الامن فهو كبيرة لا كفر فان
ورد اطلاقه عليه فللتغليظ او اراده كفران النعمة انتهى وبهذا وفق بينهما ابن نجيم في رسائله
وعلى ما مر عن الاشعري يحصل الامن بغيرهم ممن مر وعلى غيره هو باق على عمومه هذا جملة ما قاله الفقها
والاصوليون في هذه المسئلة وههنا بحث فيما قالوه وهو ان الاشعري امام اهل السنة وقد
جزم بانهم مما ذهبوا الى امنهم من العقاب دون العتاب وقوله افلا اكون عبدا شكورا يوتيه وما
ذكر من الخوف والادعية فالظاهر الذي يقتضيه النظر الدقيق ان مكر الله ليس بمعنى عقابه بل بمعنى
ان يقدر عليهم امرا يقتضيه اذا صدر منهم لانه وان كان له ان يعذب كل احد لكن عدله وحكمته
تقتضي ان لا يعم ذلك منه بل يجوز جوازا عقليا ومن علم هذا ونظر لعظمته واستغنائه عن جميع
مخلوقاته خاف منه وخشي منه وهذا مقام الكاملين ولذا قال انما يخشى الله من عباده العلماء وهذا
الخوف لابد منه لكل احد واما خوف العقاب بدون هذا ما دام على حال العصمة والتقوى فلا
يجوز عليهم فانه يلزمه عدم الوثوق بخبره وعلى هذا يحمل كلام الاشعري وهو مناسب لما قاله ابن
حجر وكذا ان تقول انه لشدة خوفه من الله تع فمن يذهل عن تأمين الله له لا سيما مع ما مر ونظيره
ما قاله السيوطي في اجوبة الاسئلة التكرورية في قول يوسف توفني مسلما وهو يعلم ان كل نبي
لا يموت الا مسلما انه دعا بذلك في حالة غلبة الخوف عليه حتى ذهلته عن علمه ساعة الدعا او قال
ذلك اظهارا للعبودية والافتقار وشدة الرغبة في طلب سعادة الخاتمة وتعليما للامة انتهى
ثم رأيت ما قلناه صرح به ابن عربي في سراج المريدين فالحمد لله على الوفاق اذا عرفت هذا فقوله
في شرح جمع الجوامع الامن من مكر الله معناه الاسترسال في المعاصي اتكالا على العفو ليس بسديد
وليس محلا للخلاف ثم اقول الحق ما قاله الاشعري والذي ندين الله به انا نعتقد ان العقاب
لا يعم وان الانبيا خصوصا نبينا لمن عصمه ومغفرة ما تقدم وما تأخر له لا يخشى احد عليه العقاب
ولا يجوز عليه انما هو لعظمة الله ومهابته عنده وعلمه بانه غني عن خلقه له ان يفعل بهم ما
اراد ليخافه خوفا شديدا ويستعيذ من عقابه وان لم يجوزه عقلا وفي قوله تع لا خوف عليهم ولا
هم يحزنون اشارة لذلك دقيق وما قاله ابن حجر لا دليل له فيه وكلام الغزالي لا حجة له فيه والاية
التي ذكرها مخصوصة بالدنيا او منسوخة كما في الكشاف وانما اطلنا الكلام في هذا المقام لانه
من مزال الاقدام فعليك باعادة النظر فان مورده لم يصف من الكدر وطاعته له وشدة
عبادته قرنهما مع الخوف لتلازمهما معه فعلى قدر علمه بربه قال القشيري العلم والمعرفة
عند العلما بمعنى وعند القوم معرفة الحق باسمائه وصفاته ومن عرفه صدق في معاملاته
وتنقى من رذائل اخلاقه وآفاته ومن امارات المعرفة حصول الهيبة والهيبة الخوف مع الاجلال
والجهل اشار المص فان من قدر الله حق قدره اشتد خوفه واطاعه وعبده على قدر طاقته وانما
يعصي الله من جهل ربه ونفسه فان الايمان محبة الله ومن احبه اطاعه وتحت الرغوة اللبن الصريح
حدثني ابو محمد عتاب قراءة مني عليه تقدم ترجمته حدثنا ابو القاسم الطرابلسي حاتم
بن محمد بن عبد الرحمن التميمي المعروف بابن الطرابلسي كما تقدم عن البرهان فالنسبة اليه طرابلسي
والطرابلسي بزيادة في اوله وهي مدينة بالشام وبالمغرب والمشهور فيها ترك الهمز بالتا وهو صحيح
ايضا لانه اعجمي عرب بابدال التا طا فلا حكاية اصله والنطق بمعربه حدثنا ابو الحسن

القابسي علي ابن محمد بن خالد المعافري الامام الحافظ الفقيه وقد تقدم حدثنا ابو زيد
المروزي تقدم ايضا حدثنا ابو عبد الله الفربري تقدم ضبطه وترجمته حدثنا محمد بن
اسمعيل الامام البخاري صاحب الصحيح وقد تقدم حدثنا يحيى ابن بكير المخزومي الحافظ
ابو زكريا المصري روى عنه البخاري وغيره وهو ثقة وان ضعفه بعضهم توفي في سنة احدى
وثلاثين وثلاثمائة عن الليث بن سعد بن عبد الرحمن بن حمزة عالم مصر واصله من اصفهان
وكان نظير الامام مالك وكان اسخى الناس فقيل انه كان دخله في كل يوم الف دينار ولم تجب عليه
زكاة توفي في يوم الجمعة نصف رمضان سنة خمس وسبعين ومائة وقيل غير ذلك وادرك ناسا
من التابعين عن عقيل مصغرا وهو عقيل بن خالد الحافظ اخرج له الائمة الستة وله ترجمة في
الميزان توفي سنة احدى واربعين ومائة عن ابن شهاب تقدم انه ابو بكر بن محمد الامام المشهور
بالزهري عن سعيد بن المسيب تقدم ضبطه والكلام عليه ان ابا هريرة تقدم ايضا كان
يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم من عظمة الله تع وجلاله وكبريائه
هذا هو المناسب بالترجمة او ما اعلم من احوال الاخرة واهوالها وما سيلقاه الانسان وفي الآ ية
طباقان او ثلاثة بين القلة والبكا والعلم وبين الكثرة والضحك وعدم العلم فقد بر لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا وهذا الحديث رواه المص عن صحيح البخاري وله فيه رواية اخرى عن الترمذي
اشار اليها بقوله زاد في رواية عن ابي عيسى الترمذي رفعه الى ابي ذر بصيغة الماضي
اي زاد هذا الكلام او مصدر وهو مفعول اي زاد يعني ان رواية البخاري السابقة رواية ابي
هريرة وهذه رواية عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد خالف المص في عبارته ما اصطلح
عليه المحدثون فان المرفوع عندهم ما اتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم بان يقول صحابيه قال
النبي كذا فيقال رفعه الى النبي لا الى الصحابي وقيل الجار والمجرور متعلق بحال مقدرة
نقل بن عازيا الى ابي ذر فلا مخالفة فيه لاصطلاحهم وسيأتي تتمته اني ارى ما لا ترون
واسمع ما لا تسمعون المراد بما الموصولة مغيبات ولم نر في الملا الاعلى اطلعه الله عليها
وغيره لا يراها كرؤية الملائكة والجنة والنار وعذاب القبر والاطلاع على الموتى واحوال
البرزخ وسماعه لاصوات المعذبين في القبور ولاطيط السما المشار اليه بقوله اطت
السما اصل معنى الاطيط صوت الابل اذا حنت والقتب اذا ضغطته ثقل ما عليه ونحو ذلك
اي ان السما لكثرة ما عليها من الملائكة اذا تحركوا يسمع لها صوت سمعه النبي صلى الله عليه وسلم
وحق لها بالبنا للمجهول وهو مصدر مرفوع خبر مقدم لقوله ان تئط اي تصوت ويسمع
لها صرير لثقل ما عليها وعلى الاول هو نائب الفاعل وقد قيل ان صريرها يسمع منه الحان
متناسبة مطربة منها اخذ الحان الموسيقي ولذا تطرب الارواح لسماعه لتذكرها معاهدها
وقيل انه انين من خشية الله وقال التلمساني هذا ايذان بكثرة ما في السما من الملائكة وان لم
يكن ثمة اطيط والمراد تقرير عظمة الله ثم استأنف ما يبين سبب اطيطها فقال ما فيها
موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله اي ليس فيها مكان خال
منهم ومن هنا علم ان الملائكة اكثر المخلوقات والله لو تعلمون ما اعلم من احوال الدنيا
والاخرة الدالة على عظمة الله وقدرته لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا اي لضحكتم ضحكا
قليلا اذا سررتم برجا عفو الله ونظرتم ما انعم به عليكم وبكيتم للخوف منه حتى يشغلكم ذلك
عن التنعم والتفكه بلذائذ الدنيا وما تلذذتم بالنسا على الفرش بضمتين جمع فراش وكني

شبكة الألوكة www.alukah.net

بذلك عن مضاجعة النسا **ولخرجتم الى الصعدات** بضم الصاد المهملة وضم العين المهملة
وفتح الدال المهملة جمع مؤنث سالم الصعد بضمتين جمع صعيد كطريق وطرق لفظا ومعنى اي
لخرجتم من دوركم للطريق وممر الناس وقيل جمع صعدة كظلمة وهي فناء الدار **تجأرون** اي
تضجون وتصيحون من الجؤار بضم الجيم وفتح الهمزة والف وراء مهملة وهو الصياح ورفع الصوت
اي تستغيثون الله وتتركون اهاليكم ومساكنكم **لوددت انى شجرة تعضد** اي تقطع من اصلها
يقال عضدت الحشب والنبات اذا قطعته واللام في جواب قسم مقدر ووددت بزنة علمت بمعنى
تمنيت والعرب تقول وددت وبودي اذا تمنت قال البحتري

وبودي لو استطعت لخففت • بصبر عن سيدي حين مات •

وهو مستعار من المودة المعروفة قال الراغب الود محبة الشيء وتمني كونه ويستعمل في كل
واحد من المعنيين على ان التمني يتضمن معنى الود لان التمني يتمنى حصول ما يوده انتهى
والمراد تمنيه ان يكون غير ذي روح فلا يبعث ولا يسال وعضد الشجر موته وآخر العهد به **وروي
هذا الكلام** يعني قوله لوددت انى شجرة تعضد فهو بدل من الكلام مبين له **من قول ابي
ذر نفسه** لا من الحديث وكلام النبي صلى الله عليه **وهو** اي كونه قول ابي ذر **اصح** وفي نسخة
واصح والصحيح اصح اي من كونه من الحديث مرفوعا له صلى الله عليه وسلم وهو الىق بحاله
والانسب لكلامه بخلاف ما قبله فانه من الحديث بلا خلاف والى هذا اشار بقوله سابقا زاد في
رواية عن ابي عيسى الترمذي رفعه الى ابي ذر واذا كان من كلام ابي ذر فهو مدرج في الحديث
اذا لم يبين لفظه عن لفظه فاعتراض البرهان الحلبي عليه بانه كان ينبغي له ان يقول انه مدرج
لا وجه له نعم في عبارته السابقة كدر لا يخفى قيل وكونه صلى الله عليه وسلم تمنى ما ذكر مشكل
لانه مقطوع له بانه آمن من كل سوء موفق بالدرجات العلى وخوفه انما هو خوف اجلال وهيبة
لا خوفا من غضب الله وسوء الخاتمة وقول بعض الصحابة المبشرين بالجنة ليتني طائر وليتني لم
اخلق بشرا او كبشا اذبح وتوكل الحمد ليس لعدم الوثوق بالوعد ولم يكن الا خوفا من مخالفة امره
فانهم يجلونه ويخافون من مخالفته وان لم يعاقبهم وهذا من مخالفة امره فانهم يجلونه كلام من
لم يحقق المقام وقد تقدم في هذا الفصل ما فيه كفاية **وفي حديث المغيرة** المتفق عليه في
رواية الشيخين والمغيرة بضم اوله وكسر ثانيه ابن ابي شعبة من الصحابة وهو احد دهاة العرب
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي صلاة التطوع والتهجد لان الزيادة المذكورة انما
تتاتى فيها **حتى انتفخت قدماه** وفي رواية ساقاه وروي تورمت وتزلعت بزاي وعين
مهملة اي تشققت **فقيل له اتكلف هذا** بهمزة استفهام وفتح التا الفوقية واصله اتتكلف
فحذفت احدى التائين تخفيفا اي تحمل مشقته وكلفته **وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما
تاخر** جملة حالية معترضة بين الاستفهام وسابقه في اضافة الذنب له مع انه معصوم من
الصغاير والكباير على الاصح بان المراد لو صدر منك او ما بعد من الذنوب بالنسبة لتنزهك
وعلو مقامك وسيتم تفصيله في محله **قال افلا اكون عبدا شكورا** لما انعم الله به علي من جلائل
النعم التي لا تحصى ومن اجلها عصمته لي ومغفرته لذنبي قبل وقوعه والاستفهام انكاري
والفا سببية اي اترك الصلاة لمغفرته وهي سبب موجب للعبادة لا للترك لها وقوله شكورا
لانه نعم جليلة تستوجب مزيد شكره وقوله عبدا تلويح لغاية اكرامه له بتقريبه ونسبته لسيده
وكل يقتضي اجل الشكر وهو العبادة **ونحوه عن ابي سلمة** واسمه عبد الله او اسمعيل او اسمه كنيته

ابن عبد

ابن عبد الرحمن ابن عوف الزهري التابعي احد الفقها السبعة المشهورة بروايته عن ابي هريرة
وغيره وفي الصحابة ابو سلمة عبد الله بن عبد الملك المخزومي مات في حياة النبي ولا يعرف له
الا حديث آخر واخوان غير مشهورين ولا الرواية عنهم مشهورة **وابي هريرة** قال البرهان
هكذا في النسخ قال المحشي وانا اخشى ان يكون هذا غلطا والصواب فيه عن ابي سلمة عن ابي
هريرة فانه وقع هكذا في الشمائل في باب عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان ذكر حديث
المغيرة الذي ذكره المصنف هنا فقال بعده حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي
هريرة كان يصلي الخ ولكنه عطف احدهما على الاخر وهو بعيد ايضا **وقالت عائشة** كما رواه
الشيخان **كان عمل رسول الله ديمة** بكسر الدال وسكون اليا المنقلبة عن الواو لانه من الدوام
ومعناه الدائم واصل معناه المطر الدائم في سكون وهدو وفي الحديث احب الاعمال ما دووم
عليه وان قل لان ترك الشيء بعد فعله كالاعراض بعد الاقبال ولذا وقع الوعيد لمن حفظ القرآن
ثم نسيه **وايكم يطيق ما كان يطيق** اي ايكم يقدر ان يعبد الله كما عبده كما وكيفا **وقالت
عائشة كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم** روي نقول بالنون
والتا الفوقية وبرفع نقول ونصبه كما قرر في قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول اي انه كان
في بعض الازمنة يوالي الصوم حتى يتوهم انه صائم الدهر ونادرة يكثر الفطر حتى يظن انه لا يصوم
نافلة وقيل المراد انه كان يصوم من اول الشهر ووسطه واخره حتى يتوهم من صادف ايام صومه
انه دائم الصوم ومن صادف افطاره كذلك وهو بعيد وهذا لا ينافي كون عمله ديمة لانه بالنسبة
لما كان راتبا كصوم ثلاثة من كل شهر وهذا بالنسبة لغيره ولك ان تقول الاول في صلاته
وقيامه وهذا في صيامه ويؤيده لفظ العمل لكن يأباه قوله ونحوه عن ابن عباس وام سلمة واسم
ام سلمة هند على الصحيح وقيل رملة والاحاديث التي رواها هؤلاء بمعنى ما تقدم مع اختلاف
في بعض الفاظها وكلها صحيحة مروية في الصحيحين وابن حبان وقد ذكرها بعض الشراح
ولكن لا حاجة لايرادها هنا كما في الشرح الجديد **وقال عوف بن مالك** هو ابو عبد الرحمن
الاشجعي الصحابي الجليل العدد سكن الشام وتوفي به في ايام عبد الملك سنة ثلاث وسبعين
وهذا الحديث رواه ابو داود والنسائي **كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك
ثم توضا ثم قام يصلي فقمت معه** اي لتهجد واقتدي به وفيه دليل على الاقتدا في صلاة
النافلة من غير نزاع واليه ذهب الشافعي وبعض الحنفية **وبدا الصلاة** وفي نسخة فبدا
الصلاة بالفاتحة اي شرع في الصلاة **فاستفتح البقرة** اي شرع في قراءتها وفيه دليل على انه
يقال البقرة وسورة البقرة من غير كراهة كما ورد في حديث لا يحصى واسماء السور توقيفية
على الاصح خلافا لمن قال انه يكره وانما يقال السورة التي تذكر فيها البقرة السورة التي تذكر
فيها النسا وهكذا لما روى الطبراني والبيهقي عن انس مرفوعا لا تقولوا سورة البقرة
ولا سورة آل عمران ولا سورة النسا ولكن قولوا السورة التي تذكر فيها البقرة وهكذا وهو
ضعيف بل قال ابن الجوزي انه موضوع والاحاديث المعارضة له صحيحة فهي ارجح عليه العمل
او نقول ان هذا كان في اول الاسلام ثم نسخ لان المشركين كانوا يستهزؤن بهم اذا قالوا سورة
العنكبوت ونحوه فلما كفاه الله المستهزئين وكف السيف ايديهم والسنتهم قيل ذلك من غير حرج
فلا يمر على آية رحمة الا وقف فسال ولا يمر باية عذاب الا وقف وتعوذ وهذا الحديث
اخرجه ابو داود والنسائي ويؤخذ منه انه ينبغي لمن قرا القرآن ان يتدبره ويتفكر في معانيه

شبكة الألوكة www.alukah.net

وان الدعا بما يناسبه مستحب ومستجاب فيدعو بما يناسب واذا ذكر الايمان بالله يستحب ان يقول
امنت بالله ونحوه ونحو هذا ما ورد ان من قرا سورة تبارك فبلغ فمن ياتيكم بماء معين فليقل الله رب
العالمين واذا قرا سورة التين فبلغ اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين
واذا قرا لا اقسم وبلغ قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى واذا قرا المرسلات وبلغ
فباي حديث بعده يومنون فليقل امنا بالله واذا قرا سبح اسم ربك فليقل سبحان ربي الاعلى واذا
قرا سورة الرحمن فليقل عند كل فباي الاء ربكما تكذبان ولا بشي من نعمك ربنا نكذب وكل ذلك في الاحاد
الصحيحة وهذا نظير تجويد التلاوة الان من الناس من فعل امورا زايدة على ما ورد كالدعا بين
الجلالتين في سورة الانعام وقد قال البقاعي انه بدعة لم ترد في اثر ولا حديث ثم ركع فمكث
بضم الكاف وهي لغة القران وبفتح في لغة ومعناه انتظر وتوقف نحوا من قيامه يقول سبحان
ذي الجبروت والملكوت والعظمة هذه الصيغة صيغة مبالغة كالرهبوت والرحموت والرغبوت
وهي مصادر في الاكثر ووردت في الاسما ايضا كجالوت والجبروت مبالغة في الجبر وهو القهر والملكوت
الملك العظيم وعقبهما بالعظمة لانهما كالدليل عليها ولانها اعم ويكون ذكر ذلك مرارا كثيرة حتى يكون
بمقدار قيامه كما لا يخفى ثم سجد فقال مثل ذلك ثم قرا ال عمران اي السورة التي ذكر فيها
قصة ال عمران وقد تقدم جوازه وما فيه ثم سورة سورة اي ثم قرا في صلاته في كل ركعة
سورة بعد سورة وهما منصوبان على الحالية كما قرره النحاة في قولهم قرات النحو بابا بابا وجعله
التلمساني منصوبا مفعولا لقرا المقدر وفيه نظر والسورة مهموزة من السور وهو بقية الشي
الباقي في الاناء وتبدل همزته واوا لسكونها وانضمام ما قبلها وقيل ان واوه اصلية على انه من السور
لاحاطتها بالايات او من التسور لرفعتها والسورة مقدار من القران مشتمل على ايات اقلها ثلاثة
مسماة باسم ولا يرد عليه اية الكرسي لان لي الاية يفعل مثل ذلك المذكور من القراة والتسبيح
وعن حذيفة ابن اليمان الصحابي المشهور وهذا الحديث رواه عنه مسلم مثله اي مثل الحديث
السابق وقال حذيفة سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه اصل معنى
النحو القصد ومنه علم النحو ويقال هذا نحو هذا اي مثله او قريب منه فان قلت ذكر الفقها
ان الجلوس بين السجدتين ركن قصير غير مقصود لذاته بل للفصل بين السجدتين حتى قال بعض
الشافعية ان تطويله قصدا مبطل للصلاة ومخل بالموالاة وحديث حذيفة صحيح رواه مسلم
وهو مناف لما ذكر قلت قالوا انه انما يضر اذا طوله بسكوت او ذكر غير مشروع فلو طول
بغير ذلك كما في صلاة التسبيح فلا يضر وقد يستحب كما ذهب اليه النووي تبعا لامام الحرمين
استدلالا بحديث حذيفة حتى قرا البقرة وال عمران والنسا والمايدة اي قرا في
كل ركعة بسورة من هذه السور وعن عايشة في حديث صحيح اخرجه احمد والنسائي عن ابي ذر
في قولها قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من القران اي يرددها
طول ليله ويكررها في كل ركعة وهي كما صرح به ان تعذبهم فانهم عبادك الاية في سورة المايدة
وانما كثر ترداده لها لتدبره والتفكر فيها فان القران له بطون ففي كل قراة يظهر له ما لم يظهر
قبل والله تعالى يتجلى لخلص عباده في كلامه ولكن لا يبصرون كما روي عن جعفر الصادق ففي كل
قراة يتجلى له الله في مراة كلامه ومثل هذا لا تفي به العبارة اللهم نور مشكاة قلوبنا حتى تنطبع
فيها صور الحقايق وعن عبد الله بن الشخير بكسر الشين المعجمة وكسر الخا المعجمة المشددة ومثناة
تحتية ساكنة وراء مهملة وهو ابن عوف بن كعب المعافري الصحابي البصري المخضرم الذي ادرك

الجاهلية

الجاهلية والاسلام وروى له اصحاب الكتب الستة وهذا الحديث رواه ابو داود والتر مذي
والنسائي اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل
جوف كل شي باطنه والمراد به ما تحت باطنه واضلاعه والازيز بهمزة مفتوحة وزايين معجمتين
بينهما ياء مثناة تحتية وهو صوت الغليان اذا اشتد وهو الغشيان والمراد انه لشدة خوفه
وخشيته من الله يسمع حركة قلبه اذا دق صدره وقيل صوت الحنين من البكا والمرجل بكسر الميم
وسكون الراء المهملة وفتح الجيم واللام القدر مطلقا وقيل من نحاس قال ابن ابي هالة الصحابي
المتقدم كان صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان اي حزينا حزنا يتصل بعضه ببعض
بحيث لا ينفصل بينهما فرح ومسرة وهذا يقتضي الدوام ولذا قرنه بقوله دايم الفكرة اي تفكره
دايم في امره وامر امته ومن كان هكذا ليست له راحة لاستغراق اوقاته في الذي كلفه من
اعباء الرسالة وتبليغ الاحكام وتدبير الحروب والوقايع ومن ينط به امور جميع الخلايق
كيف يفضي من الهم فان الهموم بقدر الهمم والظاهر ان هذا حاله اذا لم يكن متكلما مع الناس
في مصاحبته لهم وحكمه بينهم وملاقاة من يقدم عليه من الوفود وعرض الناس عليه امورهم
وفي عشرة اهله وانما ذلك حال سكوته وهو بين الناس وفي خلوته بنفسه ومشيه وتعبده
اما في غير ذلك فكان طلق المحيا متبسما متهللا بالبشر ودوام كل شي بحسب زمانه فاقسم
لكل زمان ما يليق به فان للزمن حليا ليس للعنق فسقط ما قيل انه وصف في غير هذا الحديث
بانه دايم البشر وهذا مما فضله وقد ورد عليه ايضا ان الحزن فضلا عن رويته غير محمود وقد
نهى عنه الله ثم فقال ولا تهنوا ولا تحزنوا وقال لا تحزن ان الله معنا وقال انما النجوى من الشيطا ن
ليحزن الذين امنوا واستعاذ منه فقال اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن والفرق بينهما ان الهم
لما يقع في المستقبل والحزن لما مضى وكلاهما مفتر للعزم مضعف للقلب غير معدود من مقامات
العارفين ولذا قال اهل الجنة الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وقوله صلى الله عليه وسلم ما يصيب
المومن من هم ولا نصب ولا حزن الا كفر الله به من خطاياه يدل على انه مصيبة يوجر المرء عليها والحديث
الذي ذكره المصنف رواه الطبراني والقضاعي وقال ابن القيم انه لم يثبت وفي سنده من لا يعرف
ولا اعلم صحته وفي التوراة اذا احب الله عبدا جعل في قلبه نايحة واذا ابغضه جعل في قلبه
مزمارا قال ابن القيم اجمع اهل السلوك على ان الحزن ليس من مقامات السايرين الى الله الا ابو عثمان
الحيري فانه قال الحزن فضيلة زيادة للمومن ما لم يكن على معصية لانه ان لم يوجب تخصيصا
اوجب تمحيصا فهو بلاء ومحنة كالمرض لا مقام كما قاله الحليمي وحزنه صلى الله عليه وسلم لما اودعه الله
من الرحمة ورقة القلب فكان يحب هداية الامة فاذا راى ما هم عليه من عنادهم وتخلفهم حزن لذلك
وخاف من ان يجب لمنه قصور في دعوتهم وبما قررناه ظهر انه ليس فيما ذكر اشكال بوجه من الوجوه
ولا حاجة لتعسف وادام الفكرة بانها في ذات الله وصفاته حتى يرد عليه انه منهي فيجاب بان النهي
عن الكمال كما قيل وقال عليه الصلاة والسلام اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي
سبعين مرة هذا حديث صحيح وياتي الكلام عليه وقوله استغفر بمعنى اطلب منه المغفرة
اذا ذكر هذا اللفظ بعينه والسبعون عدد معلوم وقد يراد به مجرد التكثير وعلى هذا تكون الروا يتان
بمعنى وطلب المغفرة وان اقتضى الذنب وهو معصوم من الكباير والصغاير مطلقا على الاصح
المراد به انه لما كان يشهد في نفسه قصورا نزله منزلة الذنب فاستغفر له او عد اشتغاله
بما ابيح له كالاكل واشتغاله بامور الناس ذنبا لعلو قدره عن الشهود او تشريعا لامته او كان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

استغفاره لذنوبهم وان لم يزل مترقيا في المقامات فكلما ترقى لمرتبة رأى ما دونها نقصا فاستغفر منه وسيأتي تتمته **وعن علي سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته** اي سيرته وطريقته التي هو عليها وهذا الحديث ذكره في الاحيا وقال الحافظ العراقي لا اصل له وقال السيوطي انه موضوع وآثار الوضع لايحة عليه وهو يشبه كلام الصوفية **فقال المعرفة راس مالي** راس المال هو المال المعد للتجارة وما يكتسب به هو الفائدة والمراد بالمعرفة معرفة الله وصفاته والوقوف على غوامض الامور مما لم يكن تعلمه وهي تختص بالعلم المسبوق بالعدم او بالجزئيات ولذا قيل ان علم الاسمي معرفة ولا يقال لله عارف الا اذا جاءت بمعنى العلم ايضا والمراد هنا الاول لمقابلتها بالعلم وهذا تشبيه بليغ كما قيل

اذا كان راس المال عمرك فاحترس ● عليه من الانفاق في غير واجب

والعقل اصل ديني والعقل قوة غريزية في الانسان يستعد بها لادراك العلوم اي دينه وشرعه او ما تعبد به ومن لم يقبل البعثة او قبلها ونقد هاسيئي على ما او دعه الله فيه من كمال عقله الذي هداه الى النظر في مصنوعات الله الدالة على وحدانيته وعظمته فانه هو الحقيق بالعبادة وفي الحديث ان عائشة قالت يا رسول الله بم تتفاضل الناس قال بالعقل في الدنيا والآخرة فقالت اليس يجزون باعمالهم فقال يا عائشة هل يعمل الا بقدر ما اعطاهم الله من العقل فبقدر عقولهم يعملون وبقدر ما عملوا يجزون وقد اتفقوا على ان ما اعطي الناس من بدء الدنيا الى آخرها من العقل بالنسبة لعقله صلى الله عليه وسلم كحبة رمل من رمال الدنيا كلها **والحب اساسي** اي محبة الله بعد معرفته لان من لم يعرف لا يحب اساسي اي تبنى عليه اموري في اتباع اوامر الله ونواهيه كما انه موجب لاتباع الناس لي كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولا يكمل ايمان احد حتى يكون الله احب اليه من نفسه واهله وماله وجميع هذه الامور في نسق لان راس المال والاس والاصل من واد واحد وتغاير العبارة انما هو لتكوين الخطاب **والشوق مركبي** اي شوقي الى المطالب العالية والى لقاء الله هو الذي حركني حتى وصلت لمرادي كما قيل

وقالوا اذا تبت لهم سريعا ● مجدا في سبيلي السلامة ●
ركبت على البراق فقلت كلا ● ولكني ركبت على اشتياقي ●

والشوق اعلى من المحبة لانه ناشئ عنها فانه انجذاب النفس لقوة ميلها الى لقاء من تشتاقه **وذكر الله انيسي** وفي نسخة انسي يعني انه يانس في خلوته وجلوته بذكر الله لانه اذا اكثر ذكره صار نصب عينه حتى كانه معه ومن كان الله معه انس به واستوحش مما عداه ومن كان له ورد في الصباح والمسا كان من الذاكرين الله وانظر قوله فاذكروني اذكركم وقال يحيى حقيقة الذكر ان تنسى ما سواه وتستغرق الاذهان فيه

لالاني انساك اكثر ذكراك ● ولكن بذكراك يجري لساني ●

والثقة بكسر المثلثة مصدر كالسعة بمعنى الوثوق بما عند الله وما يطلب منه **كنزي** الكنز المال المدفون وفيه بلاغة ونكتة بديعة لان من له مال مدفون لا يراه ولكنه انفع مما يراه فكذا ما نرجوه من الله قبل حصوله انفع من الحاصل عند الثقة كما قيل

واني لارجو الله حتى كانني ● ارى بجميل الظن ما الله صانع ●

وعلامة الثقة بالله بذل الموجود وترك طلب المفقود **والحزن رفيقي** اي لا يفارقني وذكره مع الانيس لان الرفيق انيس وهذا بمعنى ما تقدم من قوله متواصل الاحزان وقد علمت ما فيه **والعلم**

سلاحي

سلاحي اي علمي بالله وبما علمني من لدنه واوحاه الي ادفع من يجادلني ويخاصمني وادفع الشيطان ووساوسه كما يدفع العدو بالسلاح والآلات **والصبر** في المكاره وتحمل المشاق وعدم العجلة في الامور **ردائي** الرداء ما يكون فوق اللباس وبه يتجمل ظاهر المرء ولما كان الصبر فيه سكون وتحمل وحلم ووقار يشاهده الناس شبهه بالرداء لتجمله به ودفعه ضرر البرد فما قيل من انه لو شبهه بالدرع واللحاف صح كما قيل

تدرعت صبري والتحفت صبوره ● وقلت لنفسي الصبر اوفا هلكي اسي

ليس بشيء **والرضا** بالقصر مصدر وبالمد اسم كما في الصحاح والذي في النسخ بالمد **غنيمتي** جعله غنيمة لانه يظهر به عن نفسه اللوامة وياسرها اذ الراضي بما قسمه الله لا يتمنى ما لم يكن فيحصل له غنى القلب والراحة كما قيل

هل هي الا مدة وستنقضي ● ما يغلب الايام الا من رضي ●

ولا شك ان الرضى بما قدره الله واجب وقوله في الشرح الجديد اختلف العلما في الرضا هل هو واجب او مستحب فقيل هو مستحب لانه لم يرد الامر به وانما ورد الثنا على المتصف به والى هذا ذهب محققو العلما مما لا ينبغي ذكره **والعجز فخري** وفي نسخة البرهان وغيره والفقر بدل العجز اي اظهاري انه عاجز ضعيف وان القدرة والقوة لله وهو يقتضي مقام العبودية كما قال تعالى خلق الانسان ضعيفا والعجز المذموم الذي استعاذ منه الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل بمعنى آخر وهو التثاقل عن العبادة والتواني كما قيل

اذا ما التواني انكح العجز بنته ● فساق اليها حين اصدقها مهرا ●
فراشا وطا ثم قال لها اتكي ● فصار اخاها لا شك ان تلد الفقرا ●

وقال ابن تيمية الفقر فخري ليس بحديث ومن قال انه حديث فقد كذب وقيل الظاهر ان المراد بالعجز بفتح فسكون هو العجز عن طلب الدنيا والتمكن في الثروة والشوكة وارتبطه لا رفعة وهو الفقر لا وجه له فانه ليس بعاجز عما ذكر وانما تركه واعرض عنه باختياره كما في حديث لا يدخل على الا عجزة الناس اي ضعفاؤهم وفي آخر اهل الجنة كل ضعيف متضعف وفي حديث هم ضعفاء الناس اتباع الرسل وفي حديث لا سوال امتك اضعف الامم وهم اكثر اهل الجنة قيل فقوله الفقر فخري قد يقال انه رواية بالمعنى فليس بكذب وفيه نظر وقال الحافظ ابن حجر انه باطل موضوع وان ورد مدح الفقر في الحديث كحديث تحفة المؤمن في الدنيا الفقر وقد يروى بسند لا باس به ولاثبات الفخر له وقد نفاه في قوله لا فخر لانه ليس من شانه لان المراد به الخصلة الحسنة التي من شانها الافتخار بها او المراد فخري لو كنت ذا فخر كما قيل في قراءة انما يخشى الله من عباده العلماء برفع الجلالة اي انما يخشاهم لو كان يخشى غيره وان كان المشهور ان المراد بالخشية لازمه وهو التوقير والتعظيم والفقر مع الصبر صفة محمودة فان الغني هو الله كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد **والزهد حرفتي** الحرفة بكسر الحاء وسكون الراء المهملتين والفاء هي الصناعة التي يرتزق منها الانسان والزهد ترك ما يرغب فيه من الدنيا وقال الجنيد الزهد خلو الايدي من الاملاك والقلوب من التتبع وليس الزهد عدم ملك فان سليمان كان زاهدا مع ان الدنيا كلها في قبضته والتعبير بالحرفة ليس في محله فانه يوهم انه جعلها مكسبا وفيه تساهل للوضع ومما قلته في مشايخ زماننا

قد قام في سوق الريا تاجرا ● وباع للسوقة ارشاده ●

غنيمة

قل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حرفته الزهد ودكانه • يبيع فيه الكذب بجاده •

واليقين قوتي اليقين الاعتقاد الجازم وهو قوت لقلب من قام به لاطمئنانه وعدم خوفه من غير الله وهذا شامل لحق اليقين وعين اليقين والفرق بينهما مشهور في النحو وكتب الكلام والصدق شفيعي الصدق بمعنى مطابقة للخبر والمراد به ما اصطلح عليه المشايخ من انه استواء السر والعلانية والوفاء لله عز وجل بكل ما عهده اليه ويصح ارادة المعنى الاول والمراد بكونه شفيعه انه سبب مصالحه عند الله او المراد شفيع امته والطاعة حسبي بفتحتين هو ما يعده المرء من مفاخر ابائه اي طاعة الله في السر والعلانية هي التي افتخر به واعدها ثمرة لا ما يفتخر به الناس او هو بسكون السين اي الطاعة تكفيني والجهاد في سبيل الله او مجاهدة النفس بمخالفتها خلقي اي طبعت على محبته وقرة بضم القاف وتشديد الراء المهملة عيني الباصرة اي مسرتها وفرحها في الصلاة لما اشاهد فيها من التجليات الالهية فانها المعراج الاصغر والقرة ماخوذة من القر وهو البرد لان دمعة السرور باردة او من القرار لان بلوغ الامنية برؤية ما تسر تسكن به العين فلا تستشرف لغيره وقد تقدم ما فيه وفي حديث آخر لم ير من خرجه المخرجون لاحاديث هذا الكتاب وثمرة فؤادي في ذكره الفؤاد ذو القلب او داخله وهو محل العقل على الاشهر فجعله كشجرة مثمرة وجعل ذكر الله المقصود منه وغمي لاجل امتي لخوفي عليهم في الدنيا والاخرة وشوقي الى لقاء ربي ومناجاته والتوجه اليه ه

فصل اعلم وفقنا الله واياك

تقدم الكلام عليه ان صفات الانبياء والرسل من عطف الخاص على العام اعتناء بشأنهم وبيانا لشرفهم صلوات الله وسلامه عليهم سيأتي تفصيله من كمال الخلق وحسن الصورة الخلق بفتح فسكون والمراد خلق مادة جسمه واعضائه والصورة هيئة بدنه وتناسب اعضائه ومقاديرها ولون بشرته وشرف النسب اي شرف ابائه وامهاته واجداده وجداته الى ان ينتهي الى آدم فليس فيهم خسيس ولا وضيع وحسن الخلق بضمتين او ضم فسكون وقد تقدم بيانه وجميع المحاسن في هذه الصفة كذا في بعض النسخ وفي غيرها وعليه الشراح هي بالضمير بدل في الجارة وقال القسطلاني هذه الصفة خبر ان ووقع بين اسم ان وخبرها ضمير الفصل لقصر الصفة على الموصوف كان زيدا هو المنطلق اي لا غيره واتى بها على لفظ الافراد ليغاير بين المبتدا والخبر فان الاتحاد غير جائز وعرفها بالالف واللام ليشعر بان المراد استغراق ما ذكره من كل الصفات المذكورة انتهى وتبعه بعض الشراح ولم يبينه غيرهم وجميع المحاسن على هذا معطوف على اسم ان فهو منصوب فالمعنى ان كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق صفات جامعة لجميع المحاسن وهي صفة الرسل وهي على الوجه الاتم الاكمل لا تجتمع في غيرهم ومن بيانية مبينة لصفات جميع الانبياء والرسل والصفة بمعنى الصفات المذكورة ولا يخفى ما فيه من القلاقة والخفا وان قوله هذه الصفات هذه الصفة ركيك جدا ولو قيل ان قوله من كمال الخلق الخ وجميع المحاسن مجموعة فيهم كان اظهر واحسن لانها صفات الكمال اي هذه الصفات بها يكمل البشر والكمال والتمام البشري تقدم الفرق بين الكمال والتمام والفضل الجميع

مبتدا وكان الاحسن ان يقول والفضل جميعه لهم خبره اي ثابت للانبياء اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات فيه اشارة الى تفضيلهم على الملائكة كما سيأتي ولكن فضل الله بعضهم على بعض استدراك لدفع ما عسى يتوهم من تساويهم رتبة ثم اشار على طريق اللف والنشر المشوش الى الدليل اي الى عدم تساويهم بقوله تلك الرسل المذكورين في سورة البقرة فالتعريف عهدي او جميع الرسل الذي يعلمهم فضلنا بعضهم على بعض بمواهب سنية ومراتب علية غير اصل النبوة والرسالة ه منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وهو محمد او ابراهيم واشار لتفضيلهم على من عداهم بقوله وقال ولقد اخترناهم على علم منا باحوالهم على العالمين وهذا من المصنف يعني عن الانبياء مطلقا والمراد بالعالمين جميع العالمين لا على من اختاره من انه لبني اسرائيل والعالمين عالمي زمانهم لكثرة الانبياء فيهم وقال عليه الصلاة والسلام في حديث رواه الشيخان عن ابي هريرة ان اول زمرة اي طائفة وجماعة يدخلون الجنة على صورة القمر اي وجوههم مشرقة مضيئة وليس المراد انه مثله في الاستدارة وغيرها لذلك ولذا قال ليلة البدر وهي ليلة اربعة عشر وهو اضوأ ما يكون فيها ويسمى بدرا لامتلائه بالنور او لمبادرته مغيب الشمس بالطلوع وهو يسمى هلالا في اول الشهر ثم يسمى بدرا اذا تم كما قال

ان الهلال اذا رايت نموه • ايقنت ان سيعود بدرا كاملا •

والقمر يطلق عليه دائما كما بينه اهل اللغة وتمام الحديث ثم الذين يلونهم كاشد كوكب دري في السماء اضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون آنيتهم الذهب والفضة وامشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الالوة ورشحهم المسك على خلق رجل واحد على صورة آدم والى بقية الحديث اشار بقوله على صورة ابيهم آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا في السماء والمراد بهذه الزمرة الانبياء وبالذين يلونهم الاولياء والعلماء الراسخون وقيل المراد بهم الانبياء والاولياء وبالذين يلونهم بقية المؤمنين الاتقياء وقوله آنيتهم الذهب والفضة اما على اللف والنشر فآنية الغرفة الاولى من الذهب والثانية من الفضة او هما لهما بقرينة جعل امشاطهم كلها من الذهب ويحتمل ان يكون اكتفاء اي من الذهب والفضة ورجح بعضهم ان تكون هؤلاء من امة محمد صلى الله عليه وسلم لحديث الصحيحين يدخل الجنة من امتي سبعون الفا تضيء وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر ويعلم منه حال الانبياء بالطريق الاولى او هم مسكوت عنهم وعلمهم عند الله وجعلهم على صورة آدم لانه كان اجمل الناس ولانهم خلقا والستون ذراعا بذراعه نفسه او بذراع معهود عند المخاطبين والاول اظهر وورد ان عرضه سبعة اذرع والحديث يدل على تبدل الوانهم فمن كان اسود او اشقر صار ابيض بياضا مشربا لا وقوله في السماء يحتمل ارادة الحقيقة منه اي كان ابتداء خلقه وصورته اذا كان في السماء او المراد جهة العلو اي طول ذلك اذا كان منتصبا قائما وفي حديث ابي هريرة الذي رواه الشيخان ايضا رأيت موسى ليلة الاسراء عيانا لا مناما لان الانبياء احياء لا تبلى اجسادهم فاذا رجل ضرب اذا فجائية اي فاذا هو

شبكة الألوكة
www.alukah.net

رجل ضرب بفتح الضاد المعجمة وسكون الراء المهملة والموحدة ورجل هنا بفتح وضم بمعناه
المشهور وهو الذكر من بني آدم ومعنى ضرب بالسكون أن جسمه بين الهزال والسمن وقال
الخليل إنه القليل اللحم ووقع في رواية الأصيلي بسكون الراء وكسرها والأول أصح وروي ما يوافق صح
مضطرب وهو الطويل غير الشديد الطول وفي مسلم عن ابن عمر أنه جسيم سبط وحمل هذا على رواية
مضطرب لا على كثير اللحم كما وقع في صفة الدجال فهو من الأضداد رجل بفتح المهملة وكسر الجيم
وجاء فتحها في لغة قليلة أي شعره متكسر قليلا ليس بسبط لا تكسر فيه ولا جعد منكسر قليلا
أقنى بقاف ونون من القنى بالفتح والقصر وهو طول الأنف ودقة أرنبته فقال رجل أقنى
وامرأة قنواء وقيل القنا احديداب في الأنف فمعناه محدودب وليس بعيب في الناس وفي النهاية
القنا في الأنف طوله ودقة أرنبته مع حدب في وسطه وأما قول كعب ره
قنواء في حرتيها للبصير بها • عتق مبين وفي خديه تسهيل •
فمعنى آخر لا حاجة لنا به هنا كأنه من رجال شنوءة بفتح الشين المعجمة وضم النون وواو
ساكنة وهمزة وقد تبدل الهمزة واوا وتدغم وهاء على وزن فعولة وهو اسم قبيلة ويقال لها
أزد شنوءة وأزد شنوة وهي باليمن مشهورة وهي من الشنآ وهي التباعد مما يدنس يقال رجل
شنوءة إذا كان طاهر النسب ذا مروءة سميت بذلك لعلو نسبهم وحسن سيرتهم وأفعالهم وهذا
الحديث متفق عليه وفي رواية البخاري كأنه من رجال الزط وهم نوع من السودان او الهنود
طوال الأجسام مع نحافة وهذا هو وجه الشبه أي أنه طويل غير جسيم ورأيت عيسى ليلة
الإسراء كما سيأتي فإذا هو رجل ربعة بفتح الراء المهملة وسكون الباء الموحدة وفتحها أي بين الطول
والقصر معتدل القامة كثير خيلان الوجه بكسر الخاء المعجمة والمثناة التحتية جمع خال وهو الشامة
السوداء المعروفة وما قيل من أن كثرة الخيلان مذمومة غير مسلم وفي رواية واختلفت الرواية في
لونه فروي أنه آدم أي أسمر وروي أحمر كأنما خرج من ديماس بكسر الدال المهملة والمثناة التحتية
وميم أصله وألف وسين مهملة وهو الحمام والكن وأصله السرب في الأرض والمراد صفاء لونه
مع حمرة فيه فرواية آدم بمعنى شديد الحمرة لا تنافي هذه وفي حديث آخر لم نعرف روايته مبطن
بالتشديد والطاء المهملة أي ضامر البطن كما يفسره قوله مثل السيف أي في استوائه ودقته
وقد تعددت الرواية برؤيته للأنبياء يقظة في السماء والأرض لأنهم أحياء وصنف البيهقي في هذا
جزءا مستقلا قال وما أشبه ولد إبراهيم به فجلبته ولونه كجلبته ولونه فهو أكثر شبها
به من سائر الأنبياء والناس كلهم وقال في حديث آخر في صفة موسى رواه البخاري في صحيحه
كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال ما موصولة والعائد محذوف أي الذي أنت رائيه وأدم من
الأدمة وهي سمرة اللون قيل وهي في الأصل بمعنى البياض وفي الظبا سمرة الظهر وبياض البطن وبنو
أدما وأدم هنا بضم الهمزة وسكون الدال المشددة والميم جمع آدم كأسمر وسمر وهي السمرة مطلقا
أو الشديدة وقيل إنها البياض والأول أصح واستدل عليه بقوله تخرج بيضاء من غير سوء أي عيب كالبرص
وإنما يكون هذا إذا كان أسمر وخالف لونها لونه ويحتمل أنها خالفته لشدة بياضها كما قيل إنها كانت كشعاع
الشمس وفي حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم رواه أبو يعلى وابن جرير من طرق وأخرجه سعيد وهو م
بن منصور في سننه عن ابن عباس موقوفا ما بعث الله من بعد لوط نبيا وهو لوط بن هاران ابن أخي
إبراهيم وخص بما ذكر بما يورده لأنه من الشام فبعثه الله إلى أهل قرية يقال لها سدوم وليست من بلاده
وليست موطنا لقومه ومن بعده من الأنبياء لم يبعث نبيا إلا في ذروة من قومه ويروى ثروة أي كثرة والذروة

بكسر

بكسر الذال المعجمة وضمها وسكون الراء المهملة أعلى كل شيء أي بين قومه ذوي جاه وسعة
وشرف لا غرباء ولا من قوم ليسوا كذلك وأشار بهذا الحديث إلى أن الأنبياء كلهم شاركوا نبينا صلى
الله عليه وسلم في علو النسب وشرف القوم والثروة بمعنى الكثرة مطلقا وقد تختص بالمال وقيل
الذروة المكان المرتفع وهي مثلثة الذال ومنعة بفتح الحروف وميم ونون وعين جمع مانع كخدمة
جمع خادم ويجوز تسكين نونه أو هو اسم مصدر في الأصل كصدقة أي قوم يمنعونه ويحمونه وقصة
لوط مفصلة في كتب التفسير وفي قوله لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد إشارة إلى ما ذكر من
أنه لم يبعث في قومه الذين ينصرونه ويحمونه فإن قلت كيف يكون في منعة وثروة وقد قال
في بعضهم وما آمن معه إلا قليل وقد عاداهم قومهم وقتل بعضهم وما مناسبة ما ذكر لما عقد له
الفصل من محاسن الخلق والخلق من الصفات الزائدة قلت قد يوهم بعضهم ورود ما ذكر وليس كذلك
لأن ما ذكر من شرف القوم والأصالة يدل على المحاسن الزائدة لاشتماله لها وكونهم كثيرين لا ينافي
عزهم وأما المنعة فباعتبار من اتبعه منهم ولذا ورد رحم الله لوطا لقد آوى إلى ركن شديد
وهو لا ينافي الآية لأن المراد الملائكة وما أمده الله به وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدا رقطني
من حديث قتادة عن أنس تقدم ترجمة الترمذي وقتادة والدارقطني منسوب لدار قطن وهي
محلة ببغداد كان يسكنها وهو الحافظ الإمام الجليل المشهور إمام عصره في الحديث والفقه والقراءات
وغيرها من العلوم الشرعية والحديث المذكور في الشمائل وغيرها مرسلا ما بعث الله نبيا إلا وقد
خلقه حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم من ابتداء وجوده وخلقته أحسنهم أي الأنبياء
وجها وأحسنهم صوتا لأن حسن الصورة يدل على كمال الخلق والخلق إذ الظاهر عنوان الباطن
كما قيل • يدل على معروفه حسن وجهه • وما زال حسن الوجه أهدى الدلائل •
وقال • يدل على قبح الطوية ما ترى • بصاحبها من قبح بعض ملامحه •
وحسن الصوت بكونه جهوريا يسمع من بعيد مع لطف فيه يدرك بالذوق ولا يلزم منه كونه على رسم
الموسيقي وهذا يدل على أنه كان أجمل من يوسف وأحسن صوتا من داود وكانت قراءته ليلا في بيته
يسمع عند الكعبة وفيما بعد من منازل المدينة وما ورد في حديث الطبراني في يوسف فإذا أنا برجل
أحسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن فالمراد تفضيله على من عداه إن قلنا إن المتكلم لا يدخل في
عموم كلامه كما ذهب إليه بعض الأصوليين ويدل عليه ما ورد أنه أعطي الحسن كله وأوتي يوسف
شطره أي نصفه أي أن الحسن كله جمع له صلى الله عليه وسلم من ثبات وصفاء لون وغيره مما
يدرك ولا يوصف ويوسف أعطي من جنس الحسن الكامن فيه نصفا وجميع الخلق وزع بينهم ما يعدل
ي نصفه الآخر فدل ذلك على أنه أحسن الناس كلهم كما صرح به في الحديث نحن فيه وما قاله السخاوي
في كتاب الامتنان من أن الجلال المحلي سئل عن حديث أعطي جميع الحسن ويوسف شطره فقيل كيف
يكون الشيء الواحد جميعه في شيء ونصفه في آخر فقال لم يظهر لي جوابه وكذا قال ابن حجر وقد
تأملت قوله في البردة هم • منزه عن شريك في محاسنه • فجوهر الحسن فيه غير منقسم •
فبان لي جوابه وهو أن حسن النبي غير منقسم بينهم وبين يوسف انتهى وهذه مما لطافته
وذهنه لا تحتمل الترك ومعناه عدم الفرق بين تقسيم بعينه وتقسيم أفراد نوع من الأنواع
عة فتدبر وفي حديث هرقل الإضافة لأدنى ملابسة لذكره في الحديث كما يقال حديث الشفاعة
والأصل إضافته لراويه الصحابي أو التابعي أو من خرجه كالبخاري ومسلم وهذا الحديث رواه
الشيخان عن ابن عباس وابن عباس نقله عن أبي سفيان حين أرسل إليه هرقل وهو بالشام للتجارة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في ركب من قريش في مدة دعاء رسول الله كفار قريش فاتوه بايليا فدعاهم وحوله عظماء قريش فسالهم عن احوال النبي صلى الله عليه وسلم فكان اول ما سالهم عنه ان قال كيف نسبه فيكم فقالوا هو فينا ذو نسب الخ فقال له وسالتك عن نسبه فذكرت انه ذو نسب فيكم اي نسب عظيم فالتنكير للتعظيم لشرف اصوله وانه ليس في امهاته سفاح ونكاح الجاهلية كامر ونقلته في الاصلاب الطاهرة من الانبيا وقبيلته اشرف القبايل وبيته اشرف بيوتهم وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها اي كل نبي له نسب عال في قومه لان من اختاره الله لنبوته مختار له عنصرا مناسبا ولم يتخذ وليا من الذل فشبه اتصاله باتصال الظرف بمظروفه وقال تعالى في ايوب صلى الله عليه وسلم وكان ببلاد حوران وقبره مشهور عندهم بقرب قرية قرب نوى وعليه مسجد وقريته موقوفة على مصالحه وعنده عين جارية فيها اثر قدم في حجر يقال انه اثر قدمه والناس يشربون من عينه ويغتسلون فيها للتبرك ويقولون انه المذكور في القرآن انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب كثير الرجوع لربه بمراجعة دعائه وامتثال اوامره ونواهيه واستشهد بهذه الآية على حسن خلق الانبيا فان الصبر امر عظيم وخلق كل كريم حليم ولذا اثنى عليه بقوله نعم الخ ووصفه بالعبودية المناسبة للصبر وقد صبر على ما ابتلاه الله به كما صبر يعقوب وغيره من الرسل ونبينا صبر على قومه وما قاساه منهم وقصته ونسبه مذكور في التفسير واختلف في زمن نبوته فقيل كان قبل موسى فانه من بني اسرائيل ومدة بلائه ثلاثة عشر سنة او ثلاث سنين وامراته اسمها ليا وقيل رحمة بنت يوسف وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى آخره وقوله ان الله يبشرك بيحيى الآية واستشهد المصنف بما ذكر على محاسن الانبيا واخلاقهم اذ تلقى الكتاب التوراة او غيرها بقوة فهم وعزيمة على العمل بما فيها وقد آتاه الله الحكم صبيا وهو يدل على سلامة فطرته وخلقته وكان تحنانا في طبعه الرحمة وانه كان تقيا برا بوالديه مطهرا من النقايص وانه سلمه الله من يوم ولد الى مماته وقال ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين الآيتين استشهد بهاتين الآيتين على ما حواه الانبيا من الصفات الجليلة ومكارم الاخلاق وانه جعلهم صفوة خلقه فآل ابراهيم اسحاق واسمعيل واولادهما وآل عمران عيسى ومريم بنت عمران ذرية بعضها من بعض على سنن واحد وقال في نوح انه كان عبدا شكورا لانه كان لا يفعل شيا الا قال بسم الله والحمد لله وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الآية استشهد بهذه الآية على ما لعيسى صلى الله عليه وسلم من النعوت السنية والمحاسن الجليلة اي وصفه الله بانه وجيه اي شريف قدره في الدارين وانه تكلم في مهده وقد تقدم ذكر من تكلم في المهد غيره والكهل الشاب وقيل من وخطه الشيب او من جاوز الثلاثين الى خمس وخمسين وكونه رفع ابن ثلاث وثلاثين وان جزم به القاضي في تفسيره غير متفق عليه فقد ذكر ابن حجر في الاصابة اقوال آخرها انه بلغ المائة او زاد عليها وقد تقدم معنى كونه كلمة الله وقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا قيل انه نبي وهو صبي والهم حفظ التوراة والانجيل ووصف نفسه بالعبودية ردا لما اعتقده فيه النصارى وكان نطقه تبرئة لامه وقال يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية وذلك لانهم مما يوم لشدة تستره حياء منه بان في بدنه برصا او به ادرة فبراه الله من ذلك وبين انه كامل الخلق والخلق ولذلك ساق المصنف الآية وقال قال النبي صلى الله عليه وسلم كان موسى رجلا حييا بحاء مهملة ويائين ثانيتهما مشددة بزنة صبي اي كثير الحيا ستيرا بكسر السين المهملة وكسر

التاء المثناة المشددة بزنة سكيت اي شديد الستر لبدنه وقد اشار الى تفسيره بقوله ما يرى من جسده شي استحياء وهذا يدل على عفته وحيائه وهو خلق حميد وقال البرهان انه بفتح السين وكسر التاء المخففة فعيل بمعنى فاعل والذي احفظه انه بكسرها وتشديد التاء الفوقية كسكيت وسكير وكذا ضبط في بعض نسخ البخاري انتهى ومن كان يستحيي من كشف عورته وبدنه فهو اشد حياء من كشف غيره الحديث بالنصب اي اقرا الحديث الذي رواه البخاري عن ابي هريرة او تذكره وتتمته انه لما كان يكثر التستر ويغتسل وحده قالوا انما يفعل هذا لبرص او ادرة به فذهب مرة ليغتسل ووضع ثوبه على حجر فلما اراد ليلبسه فر الحجر وجرى خلفه يقول ثوبي حجر حتى مر على بني اسرائيل فراوه اكمل الناس واصحهم بدنا فبرى مما اسموه واذوه به وقال تعالى عنه ضمنه معنى حكى فعداه بعن اي عن موسى ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما الآية اي علما ونبوة وفراره لما قتل القبطي وذهب بكلمة الله كما هو مشهور وقال في وصف جماعة منهم اي من الانبيا اني لكم رسول امين وقع هذا من نوح وصالح ولوط وشعيب حكاه الله عنهم على وجه الرضى والتصديق فلا يتوهم انه مدح لانفسهم فليس مما نحن فيه وقال موسى لشعيب ان خير من استاجرت القوي الامين وقصته معه انه لما فر من القبط اذ خافهم لقتل رجل منهم ومر بابنتي شعيب جالستان تنتظران فراغ الناس ليستقي غنمهما لهما قال لهما لم تاخرتما فقالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء فقال اما عندكم بير غير هذه فقالتا عندنا بير انطبق عليها حجر لا نطيق رفعه وكان لا يرفعه الا نحو عشرة من اشد الرجال فقال اذهبا فارياها فرفعه وحده وسقى لهما فقالتا له اذهب معنا ليجزيك ابونا على ما فعلت فقال ارشداني الطريق وامشيا خلفي لاني رجل من ذرية ابراهيم لا احب ان ارى منكما ما لا يحل لي فاخبرا اباهما بقوته في رفعه ذلك الحجر وامانته لامتناعه من النظر لهما فاستاجره على ما قصه الله تعالى عنه قال البيضاوي الجملة معللة لما قبله وكلما لغة جعل خير اسما ان حصر فيه يعني لم يقل ان من استاجرته قوي امين بل اتى بالجملة معرفة الطرفين لحصر الخيرية فيه فتدبر وقال فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل فوصفهم بالصبر وهو من احسن الاخلاق والعزم التصميم على نفاذ الامر والحزم في الشدايد وقد اختلف في اولي العزم كما مر وقال ووهبنا له اسحاق ويعقوب الى قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد وقع في هذه بحث ذكره الطوفي في تفسيره وهو انه استدل بهذه الآية على ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل من جميع الانبيا لان الله امره بالاقتدا بهديهم جميعا ولا شك في امتثاله واقتدائه واذا اتى به جميعا مع ما خص به كان افضل من كل فرد فرد بلا شبهة ومن المجموع ونقل عن العز ابن عبد السلام انه قال انه افضل من كل واحد منهم لا من المجموع ولا دلالة في الآية عليه قال ولما نقل عنه هذا قام عليه الناس ونسبوه في هذه المقالة الى ما وصل للتكفير وانا اقول اني بريء من نسبة مثله للعز والقايل بهذا توهم انه مثل ما لو قسم عشرة دنانير على خمسة رجال واعطى اربعة منهم دينارا دينارا واعطى ستة لخامس فهو يزيد على كل واحد منهم لا على المجموع فلا يلزم من زيادته على كل واحد من الجماعة زيادته على الجميع فالآية لا دليل فيها لما ادعوه وهذا انما يتم لو لم يثبت له غير ما لجميعهم وهو امر مقرر ظاهر وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا المحل والهاء في اقتده هاء السكت تثبت وقفا على القياس ووصلا اجراء له مجرى الوقف وحذفها حمزة وصلا وكسرها هشام اختلاسا وصلا ووصلها ابن ذكوان تشبيها لها بها

ص

ق

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الضمير وقيل هذا لا يصح وانما هي ضمير المصدر كقوله هذا سراقة للقرآن يدرسه
فوصفهم باوصاف جمة اي كثيرة من الصلاح ليس المراد بالصلاح المعنى المشهور في قولهم رجل
صالح حتى يقال انه ليس بمدح للانبيا ومن توهمه قال المراد مدح الصفة لا الموصوف كما حقق
في شروح الكشاف بل الصلاح صفة جامعة لكل خير فهي ابلغ من غيرها كما فصله السبكي في فتاواه
والهدى والاجتبا وهو الاصطفا والاختيار للرسالة والحكم والنبوة اي الحكمة وفصل الامر
على مقتضى الحق فقال وبشرناه بغلام عليم وحليم وهو اسحاق فوصفه بالعلم والحلم وهما امران
عظيمان قال الانطاكي كذا في النسخ والذي في القرآن فبشرناه بغلام حليم وانا بشرناه بغلام
عليم ولو قدم حليم وعطف عليه عليم هان الامر وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم
رسول كريم الى قوله امين والمراد بالفتنة الاختبار والامتحان يقال فتنت الفضة اذا دخلها
النار فتنتهم باتباعه بمعاملة المحسن او المراد انه ابتلاهم كما ابتلى العرب بنبينا صلى الله
عليه وسلم فوصفهم الله في هذه الآية بصفات حميدة من الكرم والامانة وغيرهما وقال الحكاية
عن الذبيح ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح مسلما لله ولذا سماه الله وفداه هو
وقال في اسمعيل انه كان صادق الوعد الامين صرح باسمعيل مع ان المذكور قبله في حقه
اشارة للاختلاف فيه فانه قيل انه اسحاق وقيل انه اسماعيل بن حزقيل وهو نبي بعثه الله لقومه
فسلخوا راسه فخيره الله بين تعذيبهم وعفوه فاختار العفو والرضا بثوابه والجمهور على انه
اسمعيل الذبيح ابن ابراهيم وهو رسول نبي وصدق وعده لانه وعد اباه بالصبر على الذبح فوفى
بوعده وقدم الرسالة هنا على النبوة لانها اشرف على قول وقال في موسى انه كان مخلصا في
طاعته لا يقصد الا وجه الله والتقرب اليه وفي سليمان نعم العبد انه اواب اي مسبح او
رجاع اليه بالتوبة وقيل الاواب المطيع وقيل الرحيم او كثير الصلاة وقال واذكر عبادنا
ابراهيم واسحاق ويعقوب وهو اسرائيل ابو الانبيا بني اسرائيل اولي الايدي والابصار
الايدي جمع يد بمعنى القوة والابصار جمع بصر بمعنى بصيرة فانه يطلق على الحاسة الظاهرة
وقوتها على القوة الباطنة المدركة ولا يقال للجارحة بصيرة كما في عمدة الحفاظ ومعنى اخلصناهم
بخالصة ذكرى الدار جعلناهم خالصين فانهم لا يذكرون الا الدار الاخرة واطلق الدار اشارة
الى ان الدنيا ليست دار بل معبر وعندنا للعرب والاخيار جمع خير او خير المشددة بعد
التخفيف وفي داود انه اواب تقدم تفسيره ثم قال في حقه وشددنا ملكه واتيناه الحكمة
وفصل الخطاب اي قويناه لان بني اسرائيل لم تجتمع على ملك غيره وكان يحرس محرابه ثلاثون
الف مسلح او قويناه بالعدل والتوفيق له وفصل الخطاب اي الكلام الفاصل بين الحق والباطل
وقيل هو اما بعد وهو اول من قالها وقيل هو البينة على المدعي واليمين على من انكر وقيل غير ذلك
وقال عن يوسف اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم قيل الارض هنا ارض مصر
وفي الآية دليل على جواز طلب الحكم لمن وثق بنفسه وتوليته من الكافر وقيل ان فرعون يوسف
اسلم وقصة يوسف اشهر من ان تذكر وفي موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك
امرا وهذه قصته مع الخضر المشهورة وقال عن شعيب ستجدني ان شاء الله من الصالحين وقال
ما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت شعيب من نسل ابراهيم
ارسل الى مدين والايكة وهما امتان وقيل امة واحدة فوصفه الله تعالى بالصلاح والاصلاح
والله لا يامر الا بما فعله وهو خطيب الانبيا وقال ولوطا اتيناه حكما وعلما ولوط ابن اخي ابراهيم

والحكمة والحكم بمعنى هنا وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات الاية اي شانهم المبادرة الى
فعل انواع الخير وسوال الله في الرغبة والرهبة وقال سفيان الثوري وابن عيينة في تفسير
هذه الاية هو الحزن الدائم قيل ضميره هو راجع الى الخشوع في قوله ثم كانوا لنا خاشعين وفي الشرح
الجديد يريد ان ما ذكر من الخيرات في الاية هو الحزن الدائم الذي ينشا عن خبرة من سلك طريقها
فقد وصل الى مقامه ولا يخفى بعده والظاهر هو الاول في آي جمع آية كثيرة ذكر فيها من خصالهم
ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وهذا ابتدا كلام لا تعلق له بكلام سفيان اي ما ذكر من الايات
مندرج في آيات كثيرة دالة على كمالهم وليس ما ذكر محيطا بما قبله بل هو بعض منه وكذا من الثنا
اي وصف كلامهم في غير القرآن في الاحاديث كثير قوله انما الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحاق ابن ابراهيم نبي بن نبي بن نبي بن نبي هذا الحديث في البخاري
يرويه انما وقوله نبي بن نبي الخ والكريم ليس بمعنى السخا فانه استعمال طاري وانما هو بمعنى جامع
للخير والشرف ومكارم الاخلاق قيل وانما خصه لما جمع الله له مع علو النسب جعله رابع اربعة من
الانبيا مع الحسن المفرط والعفة والملك والعلم والحكمة الى غير ذلك مما لم يجتمع لغيره وفيه التكرار
المعدود من المحسنات البديعية كقول ابراهيم يا ابت لم تعبد الآية كرر يا ابت لم تصب مبالغة في
استعطاف ابيه والاطناب وقوله ثم واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب والسجع وهو من
المحسنات احيانا وانما انكاره لمن خاطبه به وقوله اسجع كسجع الكهان لانه ليس في محله وهو معارض الحكم
وقيل عليه ان ما ذكر ليس من قبيل التكرير لان كرر ما ليس معناه واحدا في الحديث وانما ذكر ليس من
قبيل السجع وليس بشي لان الكريم مفهومه متحد وان اختلف ما صدق عليه والسجع ما عدت
قافيته وفي حديث انس الذي رواه البخاري وكذلك الانبيا تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم
فهو من خصايص الانبيا والخصايص تنقسم الى اقسام فمنها ما اختص به دون ساير الناس من الانبيا
وغيرهم ومنها ما اختص به دون امته كالجمع بين زوجات فوق الاربع وان جاز لغيره في الشرايع السابقة
ومنها ما اختص به دون الامم كلها وان كان لغيره من الانبيا كما نحن فيه ولذا كان وضوءه لا ينتقض
بالنوم كما صرح به الشافعية ومنها ما اختص به دون الامم السالفة وانبيائهم كالتيمم فان
قلت كيف هذا وقد نام عن صلاة الصبح حتى طلعت عليه الشمس ولا يصح ان يكون هذا تشريعا
لامته لانه لا يفعل ما يمتنع شرعا للتشريع وان لزمه ذلك من غير قصد له قلت اجيب عنه
باجوبة احدها وهو الاصح انه كان له حالان حال لا ينام فيه قلبه وهو الغالب عليه وحال
نادرة فيها ينام قلبه الثاني انه يغيب عنه في نومه ما يحس بالبصر لا ما يدرك بالقلب كالحدث
والالم ونحوهما ورجح بعضهم هذا الثالث ان قلبه لا يستغرق حتى يتعطل احساسه وقد
يستغرق لاشتغاله بوحي كما كان يشاهد منه اذا نزل عليه الوحي في اليقظة وقيل ان المراد
انه لا يستغرق قلبه حتى لا يدرك الحدث قال ابن دقيق العيد وهو بعيد قال ابن حجر ومن الاجوبة
الضعيفة ان قلبه كان يقظان وعلم بخروج الوقت ولكن فعله تشريعا للامة وفي هذا اشارة
الى يقظة قلبه وانه لا يغفل وهذا من جملة الكمال فبان للترجمة مناسبة تامة وروى رواه
الطبراني عن ابي هريرة ان سليمان كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا
وتواضعا لله وذلك لتعظيم ملكوت الله وملايكته استصغارا لنفسه لا لان الله في جهة
وحيز كما يتوهم وكذا كان ابوه داود كما ذكره الغزالي في الاحيا حياء من الله اي حياء من ملايكة
الله لفضول علمه عن عالمهم التي لا يفترون عنها طرفة عين ولانه في هذا قوله افلا ينظرون

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الى الابل كيف خلقت والى السما كيف رفعت لانه مقام آخر وكان يطعم الناس لزايد الاطعمة
ويأكل خبز الشعير جمع لذيذ وهو ما يشتهي ويميل اليه الطبع من الماكولات واوحى الله اليه
يا راس العابدين اي اعلام ورئيسهم وابن محجة الزاهدين اصل المحجة الطريق المسلوك فاستعير
لجمعهم ومقصدهم او مقتداهم الذين يأتمون بسنته ومسلكه وفي نسخة حجة وزهده لا
ينافي ملكه وقدرته بل حقيقة الزهد انما تتم بذلك وكانت العجوز خصها لحقارتها لتعترضه
اي تجي له وتقف مقابلته وهو راكب على الريح في جنوده وعزة سلطانه فيأمر الريح فتقف
فينظر في حاجتها او يمضي لقصده وقيل ليوسف ما لك تجوع وانت على خزاين الارض فقال
اخاف ان اشبع فانسى الجايع المراد بخزاين الارض المخزون من الاموال والارزاق وروى
ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم رواه البخاري عنه خفف على داود القرآن هو مصدر بمعنى
القراءة كالغفران والمراد قراءة كتابه وهو الزبور والمقرو وقيل ان اطلاقه هنا مع انه علم
لما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطلق على المعنى القايم بذاته ثم اشتراكا او مجازا على
طريق الاستعارة او المجاز المرسل والمراد بتخفيفه سرعة قراءته في زمن يسير فكان يامر
بدوابه فتسرج ورُوي بدابته والمراد الجنس المختص به فيقرأ القرآن قبل ان تسرج
قالوا هذا من بسط الزمان او من البركة في الزمن اليسير حتى يتم فيه العمل الكثير قال النووي وبلغنا
ان من الناس من قرأ اربع ختمات بالليل واربعًا بالنهار ولا يأكل الا من عمل يده مع انه ملك
خزاين الارض بيده وكان آدم حراثًا ونوح نجارًا وادريس خياطًا وموسى راعيًا وفيه
دليل على فضل الكسب الحلال وانه لا ينافي في توكل الخزاين ثم بين عمله بقوله قال الله تعالى
والنا له الحديد فكان اذا مسه بيده كالشمع والعجين من غير نار وضرب ان اعمل سابغات
اي دروعا طويلة تامة من السبغ وهو السعة وقدر في السرد وسرده نسجه اي عمله واصل
معناه التتابع ومنه سرد الكلام ومعنى تقدير جعل لقو بطر في الحلق وقيل ان دروعه
كانت بلا مسامير لا لنيابها اللينها وان في قوله ان اعمل تفسيرية او مصدرية بتقدير الجار
قيل كان يكتسب لانه اختفى ودار يسال الناس عن سيرته فيهم فلقي ملكا في صورة رجل فساله
عن نفسه فقال له نعم الرجل لو كان لا يأكل من بيت المال واصول المكاسب التجارة والزراعة
والصنعة وافضلها التجارة وقيل الزراعة لانها اقرب الى التوكل وقيل صنعة اليد وفوق
ذلك الجهاد ومن فضيلة الجهاد والكسب الاشتغال عن البطالة وكان سال ربه ان يرزقه
عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله وسببه ما مر ومن هنا يعلم ان السلطان ينبغي ان يكون له
مال يكتسبه لئلا يأكل من بيت المال فانه يأكل من بيت المال الا بقدر الحاجة فالاسراف منه
حرام عليه فالويل كل الويل لسلاطين زماننا الذين يظنون ان بيت المال ليس لاحد فيه
حق غيرهم وعليه الصلاة والسلام في حديث صحيح رواه الشيخان الى قوله يفطر يومًا وما
بعده سياتي من نقله احب الصلاة الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام
داود وبين ذلك بقوله كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيامه في وقت
يتجلى الله فيه ويقول هل من سايل فاعطيه وليس المراد بقوله ينام سدسه انه ينام الى طلوع
الشمس بل الى قبيل الفجر ليستقبل الصبح بنشاط لاستراحته وهكذا ينبغي للمتهجد ولم يتعرض
احد لصلاة الامم السابقة وصلاته صلى الله عليه وسلم قبل الاسرا وبيان كيفيتها الا ان السيوطي
نقل في الخصايص الكبرى انها كانت بغير ركوع ولذا قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا

يكن له صنعة لا مع

ويصوم

ويصوم يومًا ويفطر يومًا وفيه اشارة الى ان صوم الدهر دون هذا وقد ورد النهي
عنه مع ان هذا اشق منه لان من اعتاد شيا صار طبيعة لا يضر وهذا آخر الحديث وقوله
وكان اي داود يلبس الصوف ويفترش الشعر اي ما نسج منه لانه خشن يمنعه لذة النوم
والاستغراق فيه المانع له عن ورده وهذا شعار الانبيا والصلحا ويأكل خبز الشعير
بالملح والرماد الملح ادام والرماد فكانه كان يأتدم به على خلاف المعتاد ويضعه
في ادامه لئلا يلتذ به ويمزج شرابه بالدموع لكثرة بكائه وعدم خلوه منه ولم ير ضاحكا
بعد الخطيئة وهي تزوجه بامراة اوريا بعد ما سأله ان ينزل له عنها ففعل فتزوجها
فجاءه ملكان في صورة رجلين يختصمان نعاجا على ما قصه الله وليست هذه خطيئة
ولكن علو مقامه وزهده يقتضي خلاف ذلك فلذا عوتب عليه وكان يبكي وقد ذكر الله مرحمه
وعصمته بما لا مزيد عليه ولا شاخصا رافعًا وفاتحا بصره نحو السما اي جهة العلو
حياء من ربه كعادة من اذنب فانه يطاطي بصره ولم يزل باكيا حياته منصوب على
الظرفية اي مدة حياته وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه لكثرتها وهذا رواه ابن
ابي حاتم عن انس مرفوعًا وعن مجاهد وغيره موقوفًا وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودًا
هو في الاصل الشق المستطيل في الارض استعير لتاثير الدموع في مجراها الى العلم
وبين الخد والاخدود تجنيس اشتقاقي وقيل كان يخرج من منزله متنكرًا اي مستخفيا
من معرفة الناس يتعرف سيرته جملة مستانفة لبيان سبب تنكره فيسمع الثنا عليه
فيزداد تواضعا لله لما منحه من السيرة الحسنة والذكر الحسن لا كمن يزداد بمدح الناس
له غرورًا وقيل لعيسى عليه السلام كما اخرجه احمد بن حنبل وابن ابي شيبة عن ثابت
لو اتخذت حمارًا تركبه لتستريح من المشي قال انا اكرم على الله ان يشغلني بحمار
هذا من زهده وستر حاله ايضا اذ لم يقل انا اتواضع بالمشي وشغله يشغله كساله يساله
واشغله لغة ردية وكان يلبس الشعر اي ما ينسج منه زيادة في تقشفه وانما كره ما
لبس الصوف لمن يتخذه شعارًا له اظهارا لزهده فان اخفاءه افضل لما فيه من الريا
ويأكل الشجر اي اوراقه والمراد به مطلق النبات تجوزا ولم يكن له بيت يملكه ويختص به
اينما ادركه وقت النوم نام اي ينام في اي مكان جن عليه الليل فيه وكان احب
الاسما اليه اي الالفاظ التي ينادى بها ان يقال له يا مسكين رغبة في التواضع لعظم
الله عز وجل قيل عليه نحن مامورون بتعظيم الانبيا ومحبتهم وتعظيمهم تعظيم لله هم
فاذا قال احد للنبي يا مسكين كان تحقيرا له وتحقيرهم كفر وتنقيصه فلا ينبغي لنبي ان
يرضى به وقد امرنا بتعظيم نبينا وان لا ننادية باسمه بل لا نجهر له بالقول ولا نرفع اصواتنا
عنده توقيرا له وحرمته ميتا كحرمته حيا وهذا مما اشترك فيه سائر الانبيا فكان يجب
على امة عيسى ان يوقروه ويجب على عيسى ان لا يرضى بعدم توقيرهم فان قيل انه فرار من
العجب قيل مثله لا يطرأ عليه عجب ولا يخشاه اجيب بحمل هذا على صدر ممن لم يؤمن به فكانوا
يقصدون بذلك تنفير الناس عن الايمان به والاتباعه كما وقع مثله من المشركين في حق
نبينا صلى الله عليه وسلم فكان عيسى اذا بلغه ذلك عنهم احبه واما المؤمنون به فيجب عليهم
تعظيمه او ذلك ممن آمن به اذا سألهم عنه اهو ذو مال ام فقير فيقولون مسكين كما كان
صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة

المساكين وكما قال ابو العتاهية

اذا اردت شريف القوم كلهم • فانظر الى ملك في زي مسكين

والكلام على الفقير والمسكين اشهر من ان يذكر اقول لا وجه للسؤال ولا للجواب اما
الاول فلان عيسى صلى الله عليه وسلم غلب على امته الرهبانية واظهار المسكنة فيكون في شرعهم
يجوز مناداته وخطابه بمثله من مؤمنيهم وخواص حوارييهم وان لم يجز مثله لان اظهار محبته وقوله
يقال وحرف النداء مناد على خلافه وصرح به في عكسه لمن لا ادب فيهم • وروي مما من كلمة
تقال لعيسى احب اليه الخ وقيل ان موسى لما ورد ماء مدين هذا الحديث رواه احمد في
الزهد وابو حاتم عن احمد موقوفا وورود ماء مدين لما فر من قبط مصر فلقي ابنتي شعيب على
ذلك الماء وبينه وبين مصر ثماني مراحل او اكثر في قصته السالفة المذكورة في القرآن وكان
حافيا من غير زاد وبه جوع شديد حتى كانت ترى امعاؤه كانت ترى خضرة البقل الذي
ياكله اذ لم يجد غيره والبقل ما ليس بشجر من النبات التي لا تبقى عروقه واصوله بعد اخذه وهو
معروف في بطنه من الهزال بضم الهاء وزاي معجمة وهو ضعف من ذهاب اللحم وقال عليه الصلاة
والسلام رواه الحاكم عن ابي سعيد وصححه ولقد كان الانبياء قبلي يبتلى بالبناء للمفعول ويبتليه
احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك الابتلاء احب اليهم من العطاء اليكم لتنفيسهم بما اعد الله
اليهم في مقابلته وهو ان نعيم الدنيا عندهم والحديث ليس كما ذكره المصنف وهو ما قال ابو سعيد
الخدري قلت يا رسول الله من اشد الناس بلاء قال الانبياء قلت ثم من قال العلماء قلت
ثم من قال الصالحون كان احدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله ويبتلى بالفقر حتى لا يجد الا العباءة يلبسها
ولاحدهم اشد فرحا بالبلاء من احدنا بالعطاء وهو صحيح على شرط مسلم والمراد مما يعطى من
السعة في الدنيا قيل وهو دليل على ان الانبياء يشق عليهم القمل ويعرض لهم لانه من الاعراض البشرية
الا ان ابن الملقن نقل عن ابن سبع ان القمل لم يكن يؤذيه تكريما له ونقل ابن عبد البر في التمهيد ان
نعيم بن حماد ذكر عن ابن المبارك بن فضالة عن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقتل القمل في
الصلاة والظاهر ان جسده الشريف لا يتولد منه القمل لاعتدال مزاجه وانما كان يوجد في ثيابه
من الفقراء المجالسين له وكذا سائر الانبياء ولو قيل ان ضمير يبتلى في حديث الحاكم للصالحين كان
اقرب انتهى وهذا ينافيه ما نقله عن التمهيد وقد تقدم وفيما قاله دليل على صبر الانبياء وعلو
هممهم في النظر للآخرة وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه المراد به الحيوان المعروف
ويجوز ان يراد به الكافر او العدو او الجاهل وان كان صحيحا غير مناسب هنا اذهب بسلام
اي اذهب مصحوبا بالسلامة فقيل له في شان ذلك القول الذي قاله فانه لا ينبغي فقال
اكره ان اعود لساني المنطق بسوء عملا بنحو قوله ادفع بالتي هي احسن وترغيبا في العمل
به وقال مجاهد كما رواه احمد وابن ابي حاتم كان طعام يحيى العشب وهو النبت الذي
يخرج بغير زرع وعينه مضمومة وكان يبكي من خشية الله عز وجل والخشية خوف مع تعظيم
حتى اتخذ الدمع مجرى في خده اي جاري محل جريانه متحققا متميزا عن غيره لما يرى من دوام
جريانه فيه وكان ياكل مع الوحش اي كان ياكل العشب في القفار الخالية التي يسكنها الوحش
او يأويها لهم فيها ويكون معهم لئلا يخالط الناس اي يعاشرهم ويختلط بهم فيشغلونه عن العبادة
وذكر الله تعالى وما ذكر رواه احمد في الزهد عن الخولاني وحكى الطبري عن وهب ان موسى
كان يستظل بعريش هو كل ما يستظل به خيمة كان او خباء او بناء وياكل في نقرة من حجر يوزن

حمرة

حمرة فلا ياكل في آنية ويضع طعامه في الارض ويكرع فيها اي يضع ما يشرب به في نقرة
يكب عليها او يشرب منها بفيه واصل معنى الكرع شرب الدابة بفمها من ماء في الارض وضمير فيها راجع
للنقرة المذكورة او لغيرها مما من جنسها كما تقول اعطيته درهما ونصفه وبه فسر قوله تعالى وما يعمر من
معمر ولا ينقص من عمره اذ المراد ان يشرب مما يكون في تلك النقرة اي يشرب بفمها بلا آنية وقيل معنى
كرع دخل النهر وصوب راسه ليشرب لو اصطفيتها الكرامة من كلامه اذ كلمه بلا واسطة
كما قال تعالى وكلم الله موسى تكليما واخلافهم اي الانبياء في عيشهم من المعيشة التي تقدمت في هذا
الفصل وعند مسطورة في كتب الحديث والتفسير المعول عليها وصفاتهم في الكمال وحسن
الاخلاق كما تقدم من الصبر والقناعة والتواضع وحسن الصورة والشمائل جمع شمال وهي
الخلق والسجية ويحتمل ان يراد بالاخلاق القوى الطبيعية وبالشمائل ما ينشأ عنها من الآثار
معروفة مشهورة وعبر في الاولى بانها مسطورة وفي هذا بانها مشهورة تفننا في العبارة
او لان الاولى اخبار يحتاج لنقلها من الكتب المعتبرة وهذه كمالات لا تليق بهم تدرك بالعقل
ولكونها معلومة مشهورة غير محتاجة للاعادة ولكن ذكر منها ما ذكر ليعلم فضلهم وفضائلهم فلا
نطول بها مع انها معلومة لهم لما كانت في بعض الكتب المؤلفة المتعلقة بالانبياء غير لائقة بهم
جل ربهم فقال ولا نلتفت اي لا نعتني ونشتغل واصل الالتفات في العنق او انعطاف
بالجانب لينظر ما بين يديه من معرفته فيجوز به كما ذكر ومنه الالتفات البديعي الى ما تجده
في كتب بعض جهلة المؤرخين جمع مؤرخ بالهمز وقد تبدل واوا وهو الماهر في التاريخ
وهو فن معروف وهو لفظ عربي اصله من الارخ وهو فتى البقرة الوحشية من ولد البقرة او هو معرب
ماه روز وهو بمعنى حساب الشهور وانما حدث في زمن عمر والمفسرين مما يخالفه امثال هذا المذكور

فصل قد آتيناك اكرمك الله

جملة اعتراضية والخطاب لمن سأل تصنيف هذا الكتاب كما مر او لكل من يقف على كتابه ولم يره
تحرزا يخاطب من نفسه كما قيل ومفعول آتيناك مقدر اي بما عرفته وسمعته او بما فيه مقنع بقوله
مما ياتي من ذكر الاخلاق الحميدة اي المحمودة المحمدة وهو بيان لمقدر او لما الآتية مبالغة على
جواز تقدمه والفضائل الجميلة اي الكريمة الشريفة وخصال الكمال العديدة اي الكثيرة المتعددة
وقد تقدم انه قد يعنى بالكثيرة لكن الغالب لاحتياج للعدد وقد يراد به القلة والمراد الاول وارينا
اي اعلمناك او وضحنا لك صحيحها له صلى الله عليه وسلم اي كونها صحيحة في حقه لائقة به
وجليناها بفتح الجيم واللام ومثناة تحتية اي اوضحنا وبينا وفي نسخة جليتها بباء موحدة اي
بيناه وعلمناه وفي بعض النسخ حكيناها بالكاف بدل اللام والمعنى واحد من الآثار جمع اثر وهو
ما يبقى من عمل ما ان النبي او آله عليه ويطلق على الحديث وقد خص بالموقوف وكلام الصحابة
ويراد به مطلق الخبر الشامل للحديث المرفوع والموقوف وكلام الاكابر وهو المراد هنا ما فيه
مقنع بفتح الميم والنون وقاف ساكنة مصدر ميمي بمعنى القناعة او هو صفة مشبهة بمعنى
ما به القناعة والرضى وفي القاموس يقال شاهد مقنع وقنعاء اي رضي ويكتفى بشهادته
وقد قال ابن الحاجب ان مفعلا يكون صفة نحو مركب بمعنى مركوب الا انه نادر وعلى هذا فما
ذكره هو المقنع نفسه فهو عدل عنه للمبالغة وهو تجريد كقوله تعالى لهم فيها دار الخلد والتجريد يكون في
وفي البا وما قيل من ان المراد به الدليل وهذه الآيات والاخبار تتضمن الدليل تضمن اللفظ للمعنى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بمعنى يتكلف مذهب لتزويق الكلام والأمر أوسع جملة حالية اي شانه عليه الصلاة
والسلام ومقامه اعظم مما ذكرناه وأكثر فان محاسنه لا تطيق العبارات حصرها ۝
وعلى نفنى كواحيفه عشيه • يعني الزمان وفيه عالم الوصف •
فمجال هذا الباب بفتح الميم والجيم من جال يجول اذا طاف ودار اي محل تجول فيه الافكار
حول نعوته وصفاته وهذا الباب عبارة عن خصاله ومحاسنه في خلقه صلى الله عليه وسلم
اي مما يقال للنبي الله لعموم وشانه الذي يحق له ممتد اي واسع فكنى عن كثرتها وعظمها بسعة
محلها كما يقال المجلس والمقام العالي عبارة عمن هو فيه ثم بيّن سعته بقوله ينقطع دون
نفاده الأدلا جمع دليل وهو من يتقدم الركب ليهديهم الى الطريق وانقطاع سالك الطريق
ان يعجز ويقف دون بلوغ غايتها ففيه استعارة تمثيلية شبه صفاته بطريق ممتد طويل
وشبه العلماء الذين يريدون معرفتها بركب سلكوا طريقها وشبه من يستقصون منهم بها
ويمعن بهم في الطريق ويعجز عن الوقوف على كنهها بمن انقطع ووقف فيها لا يصل لسبيله
والادلا جمع دليل بمعنى الحجة بل بمعنى هادي القافلة كانبيا جمع نبي واصله ادللا وقيل انه
جمع أدلة جمع دليل فهو جمع الجمع والمعنى ان محاسنه وكمالاته لو استدل عليها بالادلة
كالايات والاحاديث واقوال الصحابة لم تكن الادلة يراد بيان المقصود منه ونفاده بالدال
المهملة بمعنى الذهاب والفنا فالمعنى ان هذا الموصوف ما له من نفاد ولا وجه لتفسيره بفراغه
ويحور على حضائصه واخر من اضافة المشبه به للمشبه كلجين الماء وقد يعكس لكنه قليل
لا تكدره الدلاء جمع دلو وهو ما يؤخذ به الماء من الادم وعدم تكديرها عبارة عن بلوغ نحوه
لانه اذا بلغه حرك طينه فيتكدر ماؤه وهو ترشيح للتشبيه فان الترشيح لا يختص بالاستعارة ذه
من الكدرة خلاف الصفو وفيه اشارة لصحته وكثرته لكننا اتينا فيه بالمعروف المشهور
الذي يعرفه الناس مما اكثره في الصحيح اي الكتب الصحيحة كالكتب الستة واشار بقوله
اكثره الى ان فيه احاديث غير صحيحة اعتمد على شهرتها وذكر بعض المصنفين لها اوردها الفضائل
لما فيها من الفضائل كما اشار اليه بقوله والمشهور من المصنفات التي لم يلتزم فيها الصحيح ۝
واقتصرنا في ذلك التي اتيناك به واريناه اي اكتفينا بقل من كل وفي نسخة من كثير
والاصح ما ذكرناه والقل بضم القاف وتشديد اللام بمعنى القليل او بمعنى القلة كالذلة بمعنى
الذلة اي ذكرنا امرا قليلا منه لا كثيره او دون الجميع لانه لا يمكن الاحاطة به وغيض من فيض
الغيض بفتح الغين المعجمة وسكون المثناة التحتية والضاد المعجمة من غاض الماء اذا نقص والنكب
والمراد انه كثير وفيه طباق وافتنان ورأينا هو من الرأي لا من الرؤية اي خطر له خاطر
ان نختم هذه الفصول اي نجعل خاتمة هذه الفصول التي سبق ذكرها في هذا الباب
بذكر حديث الحسن بن علي بن ابي طالب الذي رواه الترمذي في شمائله واخرجه ابن سعد
والبيهقي والطبراني ورواه المصنف عن مشايخه عن ابن ابي هالة وهو هند ابن ابي هالة
الصحابي ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه ابن خديجة بنت خويلد ام المؤمنين رضي
الله عنها وقد تقدم الكلام عليه وترجمته لجمعه الضمير للحديث وهو علة لذكره وجملة من
من شمائله واوصافه عطف تفسير كثيرا مفعول جمعه المصدر المضاف لفاعله وادماجه
اي اشتماله من ادرج الشيء اذا لفه وستره وقيل المراد لاحكامه واتقانه ولانه اولى ۝
جملة كافية من سيره وفضائله مفعول الادماج لما فيه من معنى الادخال قال الجوهري

درج درجا اذا دخل واستحكم وفضله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله اي بيّن
في التنبيه ما في الحديث من غريب اللغة وما يشكل من تركيبه حدثنا القاضي ابو علي
الحسين بن محمد بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة هو الحافظ الامام ابو علي ابن سكرة الذي
تقدمت ترجمته حدثنا الامام ابو القاسم الكنية بهذه الكنية جائزة وما ورد في حديث
سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي محمول على حياته او على الجمع بينهما ابو القاسم اسم عبد الله بن طاهر
بطاء مهملة تقدمت ترجمته التميمي منسوب لبني تميم قبيلة مشهورة قرأت عليه اخبركم الفقيه
الاديب ابو بكر محمد بن الحسين النيسابوري الاديب هو العارف بعلوم الادب الاثني عشر
المشهورة والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحمدي منسوب للمحمدية قرية من قرى
تونس ويسمى بهذا الاسم قرى اخر بنواحي مصر وبغداد واليمامة والقاضي ابو علي الحسين
بن علي بن جعفر الوخشي بواو مفتوحة وخاء معجمة وشين معجمة نسبة لوخش قرية من قرى أعمال
بلخ وقيل بحاء مهملة والصحيح الاول وعليه اقتصر البرهان وهو الحافظ الرحلة الحسن بن علي
ابن محمد بن احمد بن جعفر البلخي روى عن جماعة وحدث عنه الخطيب وهو من اقرانه وسمع منه
الحسن بن علي البلخي سنن ابي داود وهو ثقة ترجمته معروفة الا انه اتهم بالقدر توفي في خامس
ربيع الاول سنة احدى وسبعين واربعمائة ببلخ وعمره ست وثمانون سنة قالوا حدثنا ابو
القاسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي بضم الخاء نسبة لخزاعة قبيلة معروفة اخبرنا
ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي نسبة لشاش بلدة معروفة بما وراء النهر وهو الحافظ
الثقة ابو سعيد الهيثم بن كليب بن سريج بن معقل صاحب المسند محدث ما وراء النهر سمع من
الترمذي وغيره توفي سنة خمس وثلاثين وثلثمائة اخبرنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحا فظ
الامام الترمذي صاحب السنن وسورة بفتح السين المهملة وسكون الواو وراء مهملة كما تقدم
حدثنا سفيان بن وكيع بن الجراح ابو محمد روى عنه اصحاب السنن وله ترجمة في الميزان توفي
سنة سبع واربعين ومائتين حدثنا جميع مصغر جمع ضد المفرد بن عمر بن عبد الرحمن العجلي
الكوفي وعجل اسم قبيلة املاء من كتابه الذي بيده او بيد غيره وهو احد طرق الرواية المقبولة
من الثقة المصحح لكتابه وما روي من منع الرواية من كتابه الصحيح خلافه كما فصلوه قال حدثنا
رجل من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها يكنى ابا عبد الله
هذا الرجل هو عبد الله بن ابي هالة الذي كان تزوج خديجة قبل النبي صلى الله عليه وسلم وهذا
الرجل اخرج عنه الترمذي في شمائله عن ابن لابي هالة قال الذهبي وتبعه البرهان هذا
الرجل لا يعرف اسمه فهذا الحديث منقطع لان فيه راويا مجهولا وهالة علم منقول من هالة القمر
وهي دارته عن الحسن بن علي بن ابي طالب قال سألت خالي هند بن ابي هالة لانه اخو
فاطمة الزهراء لامها قال القاضي ابو علي بن سكرة المتقدم فروى هذا الحديث من طريقين ۝
وقرأت على الشيخ ابي طاهر احمد بن احمد بن خداداد الكرجي الباقلاني وخداداد بضم الخاء
المعجمة وفتح الذال المعجمة والف ودال مهملة والف ثم ذال معجمة والف مقصورة كذا ضبطه
البرهان وهو معرب خداداد بدالات مهملة ومعناه عطية الله والكرجي بفتح الكاف والراء المهملة
ثم جيم منسوب للكرج اسم بلدة نسبه لابي دلف العجلي واسم بلدة بالديلم وبضم فسكون
اسم مملكة معروفة والباقلاني بتشديد اللام قال الجوهري الباقلاني اذا شددت اللام
قصرت وان خففت مددت قال ابو علي واجاز لنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون

هو الحافظ المتقدم ترجمته قال اخبرنا ابو الحسن علي بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن
شاذان بشين معجمة والف وذال معجمة والف ونون ويعرب ومعناه بالفارسية السرور بن
حرب كضد السلم بن مهران بكسر الميم الفارسي منسوب لفارس ديار العجم قراءة عليه فاقر به
هو شرط لقبول الرواية عمن قرئ عليه فيقال له اخبركم فلان عن فلان فيقول نعم اخبرني به
فلذا قيده المصنف بقوله اخبرنا ابو محمد الحسن ابن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن
علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي هذا الرجل ترجمه الذهبي في الميزان ونسبه كما
هنا وروى حديث علي وذريته معصومون الاوصيا الى يوم هذا الحديث يدل على كذبه ورفضه وهو
متهم بالكذب ولولا هذا لازدحم الناس عليه لانه معمر توفي سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة حدثنا
اسمعيل بن محمد بن اسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب قال حدثني علي بن
جعفر بن محمد بن علي بن الحسين علي هذا هو جعفر بن محمد الصادق عن ابيه واخيه موسى روى
عنه الترمذي دون اصحاب السنن الا انهم لم يوثقوه وانفرد بالرواية عنه الترمذي موسى بن
جعفر هو موسى بن جعفر بن محمد الكاظم وهو امام ثقة عن جعفر بن محمد هو الصادق وقد تقدم
عن ابيه محمد هو محمد بن علي بن جعفر الباقر عن علي بن الحسين هو ابن زين العابدين الامام المشهور
قال قال الحسن بن علي واللفظ بهذا السند يعني اللفظ المذكور مخصوص بالطريق الثاني والسند
بالنون بمعنى الاسناد وليس السيد بمثناة تحتية لانه لم يذكر انه رواه عن علي ابن الحسين زين العابدين
وكذا لم يذكر انه رواه احد مع الحسن وهو ابن علي كما في المقتفي وهذا سند شريف لان رواته كلهم
من اهل البيت ومثله حديث صفة الصلاة حتى نقل التلمساني انه اذا قرئ على مصاب برئ ورجال
سنده كلهم معروفون سألت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحلية بمعنى ما يتحلى به الانسان مما يرى من وجهه الشريف وبدنه وهي بكسر الحاء المهملة وسكون
اللام وكان وصافا اي كان فصيحا له خبرة بوصف الناس لحذقه او كان معروفا بذكر النبي
صلى الله عليه وسلم وانا ارجو جملة حالية اي راجيا ان يصف لي منها اي من حلية النبي صلى الله
عليه وسلم شيئا اي قدرا منها لان جميعها لا يحصى وبعضها لا تفي العبارة به اتعلق به
اي احفظه واتشبث به بين كما قال كان فخما مفخما بفتح الفاء وسكون الخاء المعجمة والمفخم بوزن
مكرم والفخم بمعنى العظيم واصل الفخامة والعظمة في الاجسام ثم شاعت في المقدار والشرف
فالمراد ان كان الاول وهو الظاهر فالمعنى ان اعضاءه تامة الخلقة واسعة سعة غير مفرطة
كما تقدم في الباب الثاني انه كان واسع الصدر وعينه نجلا اي واسعة الشق ووجهه
ممتلئ باللحم وان قامته غير قصيرة والمراد بكونه مفخما انه كذلك في العيون الناظرة اليه ويحتمل
ان يراد بكونه فخما هذا المعنى وان يراد بكونه مفخما هذا المعنى انه له مهابة في العيون والصدور
مع الجمال يتلألأ وجهه اي يضيء ويشرق وهو ماخوذ من اللؤلؤ لصفائه ولمعانه تلألؤ
القمر ليلة البدر اي فيه نور كنور القمر في ليلة البدر وقد تقدم الكلام فيه وتفسيره اطول
من المربوع وهو الذي بين الطويل والقصير كالربعة وقال التلمساني المراد به هنا القصير
الذي تحت الربعة لئلا يناقض ما ورد من وصفه بانه ربعة واصل المربوع الحبل المفتول
على اربع طاقات فاستعير لما ذكر انتهى اقول لا حاجة لما ذكر من صرفه عن ظاهره لان المراد
انه يزيد على الربعة زيادة يسيرة لا تخرجه عن كونه ربعة فهو امر تحقيقي وربعة امر تقريبي
فلا منافاة بينهما ولذا قال واقصر من المشذب بضم الميم وفتح الشين المعجمة وفتح الذال

المعجمة

المعجمة والبا الموحدة وهو المفرط في الطول كالبائن وهو مستعار من النخلة المشذبة
وهي التي قطع بعض جريدها والتشذيب قطع كالتقليم عظيم الهامة بالهاء وتخفيف الميم
وهي الراس وليس المراد انها مفرطة في الكبر بل كبيرة لان صغرها وافراط كبرها غير ممدوح لدلالته
على قلة العقل وقيل الهامة وسط الراس وقيل مخه وللهامة معان اخر غير مناسبة هنا رجل
الشعر بكسر الجيم على وزن حذر والشعر معروف ويجوز فتح عينه وسكونها والمراد ان فيه
تجعدا قليلا وهو من الصفات الممدوحة فيه ويقال لضده قطط وهو الشديد الجعودة
والسبط وهو المسترسل ان انفرقت عقيقته فرق انفرق اي صار شعر راسه فرقتين
والعقيقة الشعر على راس المولود الذي يخرج عليه حين يولد من عق اذا قطع لانه يحلق في اليوم
السابع فسمي به شعر النبي صلى الله عليه وسلم على طريق المجاز المرسل لاستعمال المقيد في المطلق
وليس استعارة تحقيقية كما قيل ومعنى فرق ابقاه متفرقا على حاله اذا انفرق بنفسه يقال
فرقه فانفرق والفرق والمفرق البياض الواقع بين شعر الراس وفي رواية عقيصته بالصاد
المهملة بدل عقيقته والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنه وفي رواية اذنيه بالتثنية وهما
بمعنى كما يقال نظرت بعيني اذا نظر بعينيه وهكذا في كل عضو كان كذلك كما تقرر في علم
العربية وشحمة الاذن ما لان منها حيث يعلق القرط وتقدم في هذا الحديث ما رايت من ذي
لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله واللمة الشعر الذي يجاوز شحمة الاذن فاذا وفر
شعره صار لمة اي ما يلم بالمنكبين واللمة دون الجمة والوفرة دون اللمة والجمة اكثر من الوفرة
وهي ما سقط على المنكبين والوفرة ابلغ منها واللمة ابلغ منهما وفيه كلام تقدم والفرق سنة بخلاف
السدل من قدام او خلف ومعنى قوله والا وان لم يفرق فعلم منه انه اذا فرق جاوز الشحمة ووصل
بالمنكب فاحواله تختلف في الطول ولذا قيل لمة وجمة اذا هو وفره وفي بعضها بدون ضمير
وهو المعروف رواية الاول كما قاله المزي ووفره بخففه ومشددة اي كثره وقد يقال بعد
الحلق وغيره كما عرفته وهذا اولى من حمل اختلاف الروايات على التقريب ازهر اللون
سياتي معنى الازهر ومعناه ابيض مشرب بحمرة وقد ورد انه ليس بالابيض الامهق
ولا بالادم ولهذا ما روي انه كان اسمر ولعله رآه عقب سفر ونحوه اذ لم يحققه
لانه لمهابته لا يحدون النظر في وجهه وفي رواية انه كان ابيض شديد الوضح والمراد
بالوضح البياض وقد يطلق على البرص ولذا سمي جذيمة الابرش الوضاح ونحوه انه ورد
كان عنقه عود فضة وكان ساقه جمارة وكشف ظهره فكانه سبيكة فضة وقيل [illegible]
ولذا قيل في الجمع بين الروايات انه كان يميل الى السمرة او البياض لونه وهذا عرض له بعد
ذلك لكثرة اسفاره واسع الجبين في القاموس الجبينان حرفا الجبهة وجانباها عنقا
الصدغين وبعد الحاجبين والجبهة وسطها وهو جميع ما بين الصدغين فيدخل فيه الجبهة
اذا قص الشعر ازج الحواجب ازج افعل كاحمر والزجج تقوس في الحواجب مع طول في
طرفه وامتداد بريقه في طرفيه واراد بالحواجب الحاجبين وجمع لان اقل الجمع اثنان او
لاطلاقه على اجزائه وهما العظمان فوق العينين بلحمهما وشعرهما ويطلق على الشعر وسمي
به لانه يحجب العين عن الشمس وغيرها سوابغ بالسين والصاد جمع سابغ لانه لما لا يعقل
وقيل جمع سابغة وفيه اي طوال كاملة من غير قرن بفتحتين اي اقتران واتصال
لانه غير ممدوح عند العرب وما وقع في حديث ام معبد من وصفه بالقرن فيحتمل انه كان

شبكة الألوكة www.alukah.net

بينهما شعر دقيق جدا اذا سافر وعلاه غبار السفر ظن قرنا ومما قيل انه بطريق الرأي او انه لاختلاف الرؤية قربا وبعدا او انه حدث له بعد ذلك بعض جدل بل لا وجه له **بينهما** اي بين الحاجبين وهذا يدل على ان الجمع بمعنى المثنى هنا **عرق يدره الغضب** بضم اليا مضارع الادرار من ادر الضرع والسحاب اذا كثر دره وهو لبنه ومائه فحلب والمراد انه يظهر لغليان الدم بالغضب بعدما كان خفيا لا انه يحدث بعد ان لم يكن وهذا لا ينافي ما ورد من انه حليم لا يغضب لانه باعتبار اكثر احواله وانه لا يغضب لنفسه ولا لامر دنيوي ولكنه قد يشتد غضبه لله اذا انتهكت حرمه وفي حربه للاعدا كما قال الصرصري

يجيبه عرق يدر اذا سطا • غضبا على الاقران يوم طعان •

والغضب يهيج الحرارة الغريزية فيغلي الدم منها ولذا يحمر الوجه وتنتفخ العروق **اقنى العرنين** القنا في الانف طوله ودقة ارنبته اي طرفه مع ارتفاع يسير في وسطه والعرنين بكسر العين الانف او ما صلب منه او ما تحت مجمع الحاجبين وهو اوله حيث يكون الشمم والجمع عرانين ويكنى به عن الاشراف لشموخ انفهم وارتفاعه على اقرانه قال

ان العرانين تلقاها محسدة • ولن ترى للئام الناس حسادا •

له نور يعلوه الضمير له صلى الله عليه وسلم وجوزوا ان يعود للعرنين لانه وان كان وجهه كله نورا لكنه اولى بما يتعلق به ولذا سمي انفا ايضا **يحسبه من لم يتامله اشم** الشمم في الانف ارتفاع وسط قصبته مع استواء اعلاه واشراف ارنبته قليلا يعني ان وسطه فيه استواء مع اعلاه واسفله ولكنه لتلألؤه يظن ان فيه ارتفاعا او ان فيه ارتفاعا قليلا جدا لا يعد شمما والشمم قد يعبر به عن عزة النفس وعدم التنزل للامور وهو مما يمدح به كما قال كعب

شم العرانين ابطال لبوسهم • من نسج داود في الهيجا سرابيل •

والتامل اعادة النظر وتكراره ليتثبت فيه ويقف على كنهه وهو في الاصل تفعل من امل والرجا لان الانسان لا يعيد النظر غالبا الا لما فيه له امل فاطلق على لازمه وشاع حتى صار حقيقة فيه وقيل الشمم طول الانف مع سيلانه ودقته والاول اصح واشهر **كث اللحية** بفتح الكاف وتشديد المثلثة والكثة كون اللحية كثيرة الشعر من غير طول ولا دقة شعر ومما اشتهر من قوله من سعادة المرء خفة لحيته لم يثبت انه حديث مع انه قيل انما هو خفة لحيته مثنى وان معناه كثرة تحريكهما بذكر الله او المراد عدم طولها **ادعج** اي سواد عينيه شديد مع بياضها ويقال له رجل ادعج اي اسود وليس بمراد وسيأتي فيه كلام **سهل الخدين** اي غير مرتفع الوجنة وكثير اللحم فيهما فانه غير محمود وقيل المراد انه طلق منبسط **ضليع الفم** بضاد معجمة مفتوحة اي عظيم اللحم فيهما فانه غير محمود وقيل المراد انه طلق منبسط **ضليع الفم** بضاد مفتوحة معجمة اي طويل انشقاق الفم وواسعه وهو مما يتمدح به ويعاب ضده لدلالته على الفصاحة وليس المراد به عظم الاسنان وتراصها كما قال التلمساني وشعراء المولدين يمدحون صغر الفم وهو خطا منهم او لمعنى آخر لا يلتفت اليه كما مر **اشنب** بنون بين شين معجمة وباء موحدة اي ذو شنب وهو كما في النهاية بياض وبريق وصفاء وتحديد في الاسنان وقيل هو رونقها ومائها وقيل برد وعذوبة فيها وقيل نقط بيض وتحديد فيها وسئل رؤبة عن قول ذي الرمة

لميا في شفتيها حوة لعس • وفي اللثات وفي انيابها شنب •

فاخذ حبة رمان وقال هذا هو الشنب اي انه صفاء وما فيها كهذا ومن امثال المولدين فاتك الشنب لمن اراد التشبه بمن لا يشبهه وقال ابن الوكيل

يا بارقا باعالي الرقمتين بدا • لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

مفلج الاسنان تقدم ان الفلج عدم تلاصق الاسنان وهو لا ينافي للفم واطيب وفي حديث على مفلج الثنايا وهو المراد بالاسنان او المراد الثنايا والرباعيات لان تباعد الاسنان كلها معيب وقد تقدم كلام فيه ومفلج مضموم الميم مشدد اللام ويشبه به تقارب الدار مع عدم التلاقي كقوله ما لي به عن قرب داري ملتقى • فصل رايت ثغره المفلجا •

دقيق المسربة بميم مفتوحة وسين مهملة ساكنة وراء مهملة مضمومة وموحدة مفتوحة تليها هاء وهي شعر كالخيط سائل من الصدر الى السرة وصفه بالدقة لانه غير عريض ولا متكاثف طويل **كان عنقه جيد دمية** الجيد العنق الا ان السهيلي قال ان العنق يستعمل في غير المدح والجيد يستعمل في مقام مدح وان قوله في جيدها حبل من مسد تهكم لجمل الحبل عقدا لها وما هنا على اصل اللغة لا على نهج الاستعمال فلا اعتراض بضم الدال المهملة وسكون الميم وتخفيف المثناة التحتية وهي الصورة من رخام او عاج والمراد شدة بياضه وطوله ويؤيده ما روي من ان عنقه كابريق فضة ويشير اليه بقوله **في صفاء الفضة** اي بياضها الخالص وهذا يؤيد ما مر من انه ليس باسمر وانما يشبه الدمية لان صانعها يبالغ في تحسينها ولهذا ضرب به المثل **معتدل الخلق** بفتح فسكون اي متوسط الخلقة بين الطول والقصر والسمن والهزال والضخامة والصغر فهو متناسب الاعضا مستقيم في احسن تقويم **بادنا** اي ضخم البدن غير دقيق الاعضا صغيرها واردفه بقوله **متماسكا** اي كان اعضاه يمسك بعضها بعضا لشدة ارتباطه به ومناسبته له وهو منصوب صفة بادنا وروي بالرفع خبر مبتدا مقدر **سواء البطن والصدر** اي متساويهما لم يرتفع احدهما على الآخر **مشيح الصدر** بضم الميم وكسر الشين المعجمة ومثناة تحتية وحاء مهملة بمعنى عريض متسع مع مساواته لبطنه من غير تقاعس وانخفاض فيه وروي بفتح الميم وكسر السين المهملة وهو بمعناه **بعيد ما بين المنكبين** تثنية منكب بفتح الميم وكسر الكاف ونون بينهما وآخره باء موحدة وهو ما بين الكتف والعنق والمراد بعدهما سعتهما وهو اقوى للبدن والبطش وعبر عنه بالبعد وثنا بالعظم والكل واحد وما موصولة **ضخم الكراديس** جمع كردوس وهي راس العظم او ملتقى كل عظمين ضخمين كالمرفقين وضخم بمعنى كبير وكل عظم كثير اللحم كردوس **انور المتجرد** اسم مفعول بمعنى ما خفي من البدن من التجرد وهو الكشف ورفع الثياب وانور بمعنى نير مشرق او افعل تفضيل لان ما تحت الثياب من البدن لعدم ملاقات الهواء والشمس ابيض من الاطراف المكشوفة وورد في وصفه انه اجرد وهو ضد الاشعر والشعر كان على اماكن مخصوصة من بدنه كالمسربة والساعدين والساقين وقال الشريف الغرناطي في شرح البردة قال بعض الصحابة رايت ساق النبي في غزوة كانه جمارة يعني في بياض اللون والطراوة • فان قلت الوارد في صفته انه ازهر اللون اي مشرب بحمرة وبياض الجمار خالص • قلت يمكن الجمع بان ما تحت الثياب ما لم يباشره خالص البياض بخلاف غيره انتهى **موصول ما بين اللبة** بفتح اللام وتشديد الباء الموحدة وهي النحر وقيل الصدر وقيل موضع القلادة وما موصولة لا زائدة **والسرة** وهي موضع ما يقطع من المولود والمقطوع سر **بشعر** متعلق بموصول **يجري كالخط** وهو المسربة السالفة وجريانه امتداده كالماء الجاري والخط الطريقة جعل اللبة وهي النقرة التي فوق الصدر نقطة والسرة نقطة اخرى والشعر الرقيق بينهما خطا **عاري**

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الثديين تثنية ثدي بفتح المثلثة وكسرها ابن كو ويونث وروي الثندوتين بنون وهما بمعنى قال الجوهري الثدي يكون للرجل والمراة ووافقه الصاغاني وفي درة الغواص الثدي خاص بالمراة والذي للرجل ثندوة وهو غير مهموز كفعلوة على فعلوه وهو معرب الثدي او راسه فان ضممت همزته وهو فعلوه وفيه تفصيل بيناه في شرح الدرة وعلى ما قاله الحريري تبعا لبعض اهل اللغة صوب بعضهم رواية الثندوتين وزعم ان غيره خطا لعدم ثبوته في اللغة وما قيل من انه صحيح على الاستعارة غير صحيح ومعنى عاريتهما انه لا شعر عليهما وقيل لا لحم عليهما لما سياتي من انه اشعر الخ وفيه نظر لانه لم يذكر فيه ان على ثديه شعرا كما ستسمعه قريبا ما سوى ذلك اي ما سوى الشعر الذي بين اللبة والسرة وهو بدل من الثديين وفيه نظر وروي ما سوي دين وهو لا ظهر اشعر اي كثير الشعر الذراعين بكسر الذال المعجمة ما بين المرفق وطرف الاصابع والمنكبين تقدم بيانهما واعالي الصدر طويل الزندين تثنية زند وهو طرف الذراع المتصل بالكف وطرفاه وهو راس الذراع مما يلي الابهام والكرسوع مما يلي الخنصر وهما العظمان اللذان في ظاهر الساعد والمراد عظم الذراع فسماه باسم بعضه ولذا وصفه بالطول رحب الراحة اي واسع الكف والكف والراحة بمعنى والراحة من الروح وهو الاتساع شثن بفتح الشين المعجمة وسكون الثاء المثلثة والنون وهو الضخم الممتلي لحما ويؤيده انه ورد في رواية اخرى انه ضخم الكفين والقدمين وما في النهاية من تفسيره من انهما يميلان الى الغلظ والقصر غير مناسب لقوله رحب الراحة وقيل هو الذي في انامله غلظ بلا قصر وذلك محمود في الرجال دون النسا لانه اشد للقبض والبطش وقال ابن بطال كانت كفه ممتلية لحما وهي مع ضخامتها لينة وفي حديث انس رضي الله عنه ما مسست حريرا الين من كفه وقول الاصمعي الشثن غلظ مع خشونة لم يوافق عليها ولا حاجة لتاويله بانه لا مر عارضي في اسفاره وجهاده واستعمال يديه في مهنة بيته فانه مناسب لعده من الحلية وهي الصفات الخلقية فان الذي ارتضاه اهل اللغة انه الضخم ولا بنا فيه قوله سايل الاطراف وسط الكفين اوسط الكف كما قيل لان المراد بالاطراف الاصابع والكف والقدم معربها فلست داخلة في معناها ومعنى سايل بالام طويل فكانه شبهها بقنى سالت من بركة لطولها وصفائها وبياضها ولينها لان راحته نبعت منها الخيرات والمياه كما قلت في قصيدتي الهمزية

• نبع الما من اصابع كف • بايادٍ ما غاض فيها الماءُ •
• لا تقسها على اصابع نيل • كم بكف من جبرهن وفاءُ •

او قال ساين الاطراف شك من الراوي في قول ابن ابي هالة انه قال ساين بنون بدل من اللام كما قالوا في جبريل وجبرين واسماعيل واسماعين وساير الاطراف بالراء المهملة مكان اللام ومعناه باقي او جميع وليس الثاني خطا كما قاله الحريري وتبعه في الشرح الجديد كما فصلناه في شرح الدرة على هذا الاخير وهو مجرور معطوف على القدمين اي ضخم اطرافه كلها وليس شكه لتقارب الحروف الثلاثة في الخط والمخرج كما قيل وقد ضبب في بعض النسخ على قوله ساين بالنون والصواب اثبات الالفاظ الثلاثة لما سياتي في تفسيرها كما قاله في المقتفي وجاء هذا في بعض الروايات من غير شك سبط العصب بسكون البا الموحدة وكسرها بمعنى ممتد ليس فيه تعقد ونتو كما في النهاية والعصب

وقع في اصل البرهان بعين وصاد مهملتين مفتوحتين كما ضبطه ابن الانباري والذي اتفق عليه ابن الاثير كل عظم عريض لوح وكل اجوف فيه مخ قصبة وجمعها قصب ويشهد له ان العرب تتمدح به كما قال

• فجاءت به سبط العظام كانما • عمامته بين الرجال لواءُ •

لانه يدل على قوة البدن والشجاعة والعصب بالعين مما يمتد من البدن لربط الاعضاء وتحريكها كما بين في علم التشريح وهو اطناب المفاصل وقيل المراد به هنا عظام الساقين والساعدين مجازا لما بينهما من المجاورة فتتحد الروايتان وهو بعيد جدا خمصان الاخمصين خمصان بضم الخاء المعجمة وفتحها وسكون الميم لا ضمها كما توهمه عبارة القاموس وتبعه بعضهم هنا وبهما ضبط لفظ الشفا ومعناه الضامر البطن وهو هنا بمعنى المتجافي عن الارض المرتفع والاخمصين مثنى اخمص بوزن احمر وهو ما دخل من باطن القدم ولم يصب الارض لعدم مساواته العقب ومقدم القدم وسمي به لضموره ودخوله ولما كان اخمص القدم قد يطلق على ما يلي الارض منها مطلقا اتى بقوله خمصان مضافا اليه ليبين انه على ظاهره وهو المحل المرتفع وليس المراد به المبالغة في ارتفاعه كما فسره بعضهم هنا بالتشديد التجافي لهذا فجعله كظل الليل وقد قال ابن الاعرابي اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو اسفله فهو احسن فان استوى او ارتفع جدا فهو مذموم فمعنى خمصان الاخمصين انه مرتفع باعتدال وقال البرهان وسياتي ما ينافي هذا يعني قوله مسيح القدمين قال البارزي في كتاب توثيق عرى الايمان خمصان الاخمصين متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الارض من وسط القدم مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اي املسهما ولذا قال ينبو عنهما الماء وفي حديث ابي هريرة خلافه فمنه اذا وطئ بقدميه وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وقد قالوا سمي عيسى بن مريم مسيحا لانه لم يكن له اخمص وقيل معنى مسيح لا لحم عليهما وهو يخالف قوله شثن القدمين انتهى وتبعه صاحب المقتفي وفي الشرح الجديد في النهاية معنى مسيح القدمين انهما ملسا وان ليس فيهما تكسر وانشقاق فاذا اصابهما الماء نبا عنهما قلت وهذا من حيث الظاهر والعجب مما في قصيدة الصرصري النونية ليس المسيح باطن القدمين الذي هو محل خلط فيهما وليت شعري ما يقول في حديث ابي هريرة الذي نقله البارزي فالاشكال الذي ذكره البرهان غير مندفع اللهم الا ان يقال ان الخمصة فيه قليلة جدا ومعنى تنبو يرتفع والمراد به فقار رقة الماء وانضبابه مجازا او اشير اليه هنا لبعضهم

• يا رب بالقدم التي اوطاتها • من قاب قوسين المحل الاعظما •
• وبحرمة القدم التي جعلت لها • كتف الموتى بالرسالة سلما •
• ثبت على متن الصراط تكرما • قدمي وكن لي منقذا ومسلما •

والقدم الاولى قدمه صلى الله عليه وسلم والثانية قدم علي رضي الله عنه لما قال له اصعد لكسر اصنام الكعبة فصعد على كتفه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه صاحب الصفوة ومسيح بفتح الميم وكسر السين المهملة ثم يا وحاء مهملة وفي بعض النسخ مشيح بضم الميم وشين معجمة ولم يفسر وها لانه غريب من النساخ او معناها خفيه المشي اذا زال زال تقلعا وروي اذا مشى تقلع اي رفع رجليه رفعا قويا بالثبت في مشيه فكانه يقلع رجليه من الارض فيقارب خطاه من غير احتيال واسرع كانما يحط من صبب وروي اذا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

زال زالـ قلعًا بفتح القاف وسكون اللام وكسرها وروي بالضم ايضا ويخطو تكفؤا
اذا مد خطاه يميل الى قدامه كمن يتكفى وتكفوا الذي همزته فاؤه كالمصادر الصحيحة
مثل تقدم تقدما الا ان المهموز حرف صحيح فان ابدلت ياء كسر ما قبلها فقيل تكفيا كتسمى
تسميا ونحوه من المصادر المعتلة الآخر ويمشي هونا بفتح الهاء اي اذا مشى مشى برفق
ولين ووقار لانه ممدوح قال تعالى يمشون هونا ذريع المشية بفتح الذال المعجمة وكسر الراء
والذريع الواسع ما بين قدميه واسع الخطى مع سرعته يساوي مشيه المشي السريع او يفوته
كانما ينحط من صبب اي ينحدر من مكان عالي والمنحدر من عال يكون له سرعة مع سهولة
وانما قال كانما لانه ليس منحدرا على الحقيقة وانما هو كالمنحدر في السرعة وفي رواية كانما
يهوي من صبوب بالفتح والضم فشبهه بالماء السايل من عال المنخفض في السرعة والسهولة
واذا التفت التفت جميعا اي اذا اراد ان يدور لما خلفه او في جانبه لا يلوي عنقه
بل يصرف جميع بدنه فيقبل جميعا من غير مسارقة نظر فانه خفة وطيش خافض الطرف
الخفض ضد الرفع مصدر بمعنى تحريك الجفنة صار بمعنى تحريك العين وفسر هذا بقوله
نظره في الارض اطول من نظره في السماء يعني ان نظره لجانب السفل اكثر من نظره في
جانب العلو لخشوعه وحيائه ووقاره وليس هذا مخصوصا بالصلاة والدعا فانه مكروه
فيهما ولا ينافي قوله قد نرى تقلب وجهك في السما لان هذا باعتبار الاغلب كما يشعر به قل
جل نظره الملاحظة جل بضم الجيم بمعنى المعظم والاكثر والملاحظة النظر باللحاظ وهو
طرف العين مما يلي الصدغ ومما يلي الانف موق وماق اي ينظر بطرف العين تادبا وحياء
يسوق اصحابه اي يمشي خلفهم في ساقتهم ولا يدع احدا يمشي خلفه كما هو عادة المتكبرين
وكان يقول خلوا ظهري للملائكة او في قوله يسوق اشارة الى انه هو المحرك لهم فكما قيل من
الله لا يتقدم الصغار الكبار الا اذا سروا ليلا او خاضوا سيلا ليس على وفق السنة ويبدأ
من لقيه بالسلام لانه من السنة ان يسلم الاكبر على الاصغر والسلام دعاء وتحية وهي تحية
اهل الجنة كما ورد في السنة فهو دعا بالسلامة واسم من اسمائه تعالى وجوز ارادته هنا بمعنى ان
الله معك ويطلع عليك وابتداؤه سنة لا واجب بالاجماع وفيه قول ضعيف لا يعتد به
ورده فرض كفاية لا على كل واحد لان السلام معناه الامان فاذا سلم احد ولم يجب توهم الشر
فيجب دفعه كما قاله الحليمي وهذا منه صلى الله عليه وسلم تواضع ولطف مناسب لما عن
فيه من حسن الخلق • قال الحسن الراوي لهذا الحديث قلت لخاله ابن ابي هالة
صف لي منطقه مصدر ميمي اي نطقه وكلامه صلى الله عليه وسلم والنطق هو اللفظ الدال
على معنى وقول سليمان علمنا منطق الطير وقول الشاعر • لقد نطق اليوم الحمام ليطربا
تنزيلا له منزلته لفهم سليمان منه معنى ولادعا الشعراء شوقه وطربه كما قاله الهروي
قال كان صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان هذا مشتمل على الجواب وزيادة فالجواب
قوله لا يتكلم في غير حاجة فكانه قال كان كلامه موجزا قليلا وقيل معناه ان كلامه لم يكن بفرح
وبطر بل بحزن واسف وقال ابن امام الجوزية قول ابن ابي هالة متواصل الخ لم يثبت
عنه وفي سنده مجهول كيف وقد صانه الله عن الحزن واسبابه ونهاه عنه بقوله لا تحزن
وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فلا خوف عليه ولا حزن في الدنيا والاخرة فمن اين ياتيه
الحزن وقد ورد وصفه بانه كان دايم البشر ضحوك السن وقد استعاذ من الهم والحزن والهم

عينه

لما سيأتي والحزن لما مضى وقال ابن تيمية حديث ابن ابي هالة انه كان كثير الصمت
دايم الفكر متواصل الاحزان وليس المراد بالحزن الالم على فوت مطلوب او حصول مكروه فانه لم
يكن من حاله وانما المراد به التيقظ لما يستقبل من الامور وهو مشترك بين العين والقلب انتهى
قيل وهو لم ينه عن ذلك لانه ليس باختياره وانما نهى عن تعاطي اسبابه كما قيل
ومن سره ان لا يرى ما يسوءه • فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا
انتهى وقال ابن قيم الجوزية في شرح منازل السايرين ليس الحزن من منازل السالكين وقد
ورد النهي عنه فقال ولا تهنوا ولا تحزنوا وقد استعاذ منه صلى الله عليه وسلم وحزن المومن
يسر الشيطان لانه يفتر العزم ولذا قال اهل الجنة الحمد لله الآية وهو من المصايب واما
خبر ان الله يحب كل قلب حزين فلم يثبت اقول هذا تطويل بغير طايل وانكار الحديث لانه ثابت
كما قاله الحافظ بن تيمية وغيره واما كونه ليس من المقامات فهو كذلك غير مسلم كما مر فلا نضر
والمراد انه كان على هيئة الحزين حال سكوته لكثرة افكاره في امور امته واحوالهم كما يدل
عليه قوله دايم الفكرة ليست له راحة وكيف لا وقد قاسى في التبليغ ما لا يوصف واما
وصفه بالبشر والتبسم فهو من حال آخر وهو مخالطته للناس والنظر في امورهم ولا يتكلم
في غير حاجة مما لا يعنيه نفعا لكثرة افكاره ودوام اذكاره طويل السكوت يفتتح الكلام
ويختمه باشداقه جمع شدق بفتح اوله وكسره وسكون داله المهملة وهي جوانب الفم
وذلك لسعة فمه الدال على فصاحته كما مر وهو مما يتمدح به العرب واما قوله ابغضكم
الى الله المتشدقون فمعناه من يتكلف الكلام بلا احتياط فيه فيسقط ما قيل انه من سعة
الفم ولا مدخل له في الجواب ويتكلم بجوامع الكلم وهي الكلمات الموجزة المشتملة على الحكم
النافعة السابق تفسيرها آنفا جمع جامعة ويطلق على القرآن فصلا بفتح الفاء وسكون
الصاد المهملة اي كلاما فاصلا للخصومة وفارقا بين الحق والباطل لا فضول فيه
اي لا زيادة فيه على اداء المراد وهو اسم مفرد وقيل انه جمع فضل خص بما ذكر ونقل لمعنى
آخر ولذا نسب اليه فقيل فضولي كما في المغرب ولا تقصير فيما يريده بتعليل مخل بالفهم
دمثا بفتح الدال المهملة وسكون الميم والثاء المثلثة من الدماثة وهي سهولة الخلق
مستعار من الارض الدمثة وهي ذات الرمل المتلبد اي لين الخلق لطيف المعاملة ليس
بالجافي اي ليس غليظ الطبع وهو اصل معنى الجفا او لم يكن يجفو اصحابه ولا المهين
روي بضم الميم وفتحها والاول من الاهانة والميم زايدة اي لم يكن يهين احدا من الناس
والثاني من المهانة وهي الحقارة والميم اصلية اي لم يكن حقيرا ممتهنا لا لاحد من الناس
لشرف نفسه وعزه وهذا وصف لذاته ويحتمل ان يكون وصفا لمنطقه يعظم النعمة وان
دقت اي يعد كل ما انعم الله به عليه عظيما وان لم يكن كذلك ومعنى دقت صغرت وقلت
لا يذم منها شيئا اي شيئا يستحق الذم لم يكن يذم ذواقا بفتح الذال المعجمة وفتح الواو
المخففة والف وقاف يقال مصدر ذاق بمعنى ما يذاق من ماكول ومشروب فما قدم
له من طعام ونحوه ان اعجبه اكل منه والا كف عنه ولا يقول فيه شيئا فلا يذمه ولا يمدحه
ولا يقام لغضبه من قام اذا ثبت اي لا يثبت له احد او من قام بمعنى امر اي لا
يقدر احد على تحمل غضبه ويقام بضم المثناة التحتية مبني للمجهول وفيه دلالة على انه
كان يغضب لله احيانا وقد ورد ما يدل على ذلك اذا تعرض للحق بشيء بضم التاء الفو

مردود صح

رس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكسر العين وكسر الراء المهملة المشددة والضاد المعجمة اذا اعترض احد للحق بما يبطله
او يقتضي خلافه بشين بالباء واللام وعاملها اما يقاوم او يتعرض **حتى ينتصر له** اي للحق
فيوبخه ويبطل خلافه **ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها** اي اذا اذاه احد من الاعراب
وغيرهم مما يتعلق بنفسه كالاعرابي الذي امسك بردائه ولببه والذي قال هذه قسمة غير
عادلة ونحو ذلك لكلام بعض المنافقين كابن سلول راس المنافقين وما كان يصدر منه
اذا اشار اشار بكفه كلها اي اذا اشار لشيء خارج الصلاة اشار بيده واما في الصلاة
اذا اشار بالتوحيد اشار باصبعه السبابة والمسبحة ليفرق بين الاشارتين وله اشارات
اخر عينها بقوله **واذا تعجب قلبها** اي قلب كفه وجعل باطنها نحو السماء وظاهرها للارض
وانث الكف لانها مؤنث سماعي وهو اشارة لانقلاب الحال عما يعتاد من غير اظهار للتعجب
والاستغراب لامر وهذا مما يدل على سكونه وعدم خفته وهو امر ممدوح **واذا تحدث افصل**
بها في شرح الدلجي بهمزة وفاء وصاد مهملة ولام والضمير للكف اي وصل كفه من فصل
عليتا اذا اخرج من طريق او ظهر من حجاب فاصلا بها اي بكفه ولم يبينه غيره ووقع في بعض
النسخ اتصل بها بمثناة فوقية بدل الفاء وفي حاشية التلمساني والحديث يتصل بها اي لا
يزال يحركها وذلك اثبت لانه قول وفعل انتهى وهذا ان اتصل بها رواية والظاهر ان
المعنى انه صلى الله عليه وسلم يشير بجميع كفه اذا كان مع اصحابه على وجه متعارف
كالاشارة للذهاب والجلوس ونحوه فاذا تحدث وضع يده على راحته وقت حديثه
لتثبيت حديثه او انتهائه فاعرفه ففي العبارة ثلاثة وجوه افصل واتصل ويتصل
والمعنى انه فصل حديثه باشارته بيده لجهة من يخاطبه كعادة من يهتم بكلامه في امر
مهم اقول هنا كلام مع غموضه غير محرر مع ما فيه اما ما ذكره من انه افصل بهمزة وفا
فتحريف لانه لم يسمع في هذه المادة من باب الافعال فالصواب فصل او اتصل ومعناه
انه فصل كلامه باشارته او وصل احدى يديه بالاخرى ورايت في كتاب النعمة في الصلاة
على شفيع الامة ذكر هذا الحديث وانه اتصل فقال من الوصل وهو الصحيح وذكر انه صلى
الله عليه وسلم كانت له اشارات مختلفة فيشير بالمسبحة للتوحيد ويجمع كفه لغيره فرقا
بينهما فانه كان اذا حدث وصل حديثه بالاشارة بيده توكيدا له والظاهر ان الفاء في قوله
فضرب تفصيلية كقوله نادى فقال رب الى اخره ولم يبينوا معناه **فضرب بابهامه**
اليمنى راحته اليسرى كذا في اكثر الروايات وفي بعضها فضرب براحته اليمنى
باطن ابهامه اليسرى والابهام معروف يذكر ويؤنث وجمعه اباهيم واباهم قالوا وهذا
عادتهم اذا تحدثوا **واذا غضب اعرض** عمن غضب عليه من غير لوم له لسترة خلقه
واشاح بشين معجمة وحاء مهملة بينهما الف فمعناه صرف وجهه فهو تاكيد لما قبله وقيل
معناه قبض وجهه وزواه من غير لوم وعتاب وهذا من حلمه فلا يقال كيف ادرج هذا
في صفات المدح فيجاب بان الغرض بيان صفاته للسائل لان المقام ياباه وسياتي من
المصنف تفسيره بما يقارب هذا وقيل انه في النهاية ان المشيح الحذر والجاد في الامر والمقبل
عليك المانع لما وراء ظهره وفي حديث سطيح اقبل على جمل مشيح اي جاد مسرع فيجوز ان
يريد احد هذه المعاني اي حذر من موجب غضبه او جد في الامر ليشعر باعراضه عن
موجب غضبه او اقبل عليه ليمنع من وراه من ضرر المنصوب عليه ولا يخفى انه تكلف مخالف

لما اختاره المصنف مما هو الظاهر هنا **واذا فرح** لرؤية ما يسره او سماعه **غض طرفه** اي
ارخاه واطرق تباعدا من الاشر والمرح **جل ضحكه التبسم** اي اكثره وقد تقدم بيانه وقد
يضحك احيانا حتى تبدو نواجذه والتبسم مبادي الضحك **ويفتر** بفتح الياء وسكون الفاء
وفتح التاء الفوقية وتشديد الراء المهملة من قولهم افتر ضاحكا اذا ابدى اسنانه قال

يفتر عن لولوء رطب وعن برد • وعن اقاح وعن طلع وعن حبب •

وهو من فترت الدابة اذا كشفت فمها لتعرف سنها من سنها وذلك هو الفرار بالضم **عن مثل**
حب الغمام متعلق بيفتر والغمام السحاب واحده غمامة كسحابة وحبه هو البرد المعروف لا قطر
المطر كما توهم فانه مع عدم مناسبته لا يسمى حبا لان الحب للجامد دون السائل وتشبيه اسنانه
به لصفائه ولمعانه ورطوبته دون جرمه حتى يقال انه لنوع منه وهو مشهور في كلامهم
كما مر **قال الحسن** بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما **فكتمتها** اي خبيت صفاته صلى الله
عليه وسلم التي سمعتها من ابن ابي هالة **الحسين** مفعول ثان لكتم **زمانا** مدة من الزمان
ثم حدثته بما سمعته من صفته **فوجدته قد سبقني اليه** اي الى الحديث المعلوم من قوله
حدثته اي حفظه قبلي لانه رواه عن ابيه علي رضي الله عنه **فسال اباه عن مدخل رسول**
الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وفي نسخة وملبسه بدل مجلسه فان كانت الثلاثة
مصادر • فظاهر والا فالمراد سالته عن حاله في مخرجه ومدخله والمراد دخوله
للناس ودخوله بيته وجلوسه كما سياتي عندهم وقيل المراد بمجلسه بكسر اللام هيئة جلوسه
وانما ذكر استيعابه لجميع احواله يعني الحسن انه سمع هذه الصفات من ابن ابي هالة ولم يخبر
اخاه بما سمعه منه والحسين لم يسمعها من خاله فلما حدثه بها وجد عنده علما منها من طريق روايته
عن امير المومنين ابيه مع زيادة وانما كتم ذلك عنه مع النهي عن كتمان العلم عن اهله لانه لم
يساله ولم يخص علمها فيه ولو كان كذلك لدخل في حديث من كتم علما الجمه الله بلجام من نار
وعنه انما كتم عنه كلام ابي هالة الوصاف البليغ دون معناه لعلم اهل البيت بذلك فان
البيت والحديث لهم **وشكله** بفتح اوله اي هيئته في ذلك الحال ونعته بمعنى الهدي والسمت
قاله التلمساني **فلم يدع منه شيئا** اي لم يترك شيئا من احواله الا بينه لي قال
الحسين سالت ابي رضي الله عنه عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله
لنفسه اي دخوله منزله ليجتمع باهله لمصالحه وقضاء مآربه وخلوته **ماذونا له**
في ذلك من الله اذنا عاما بحيث يدخل اي بيت من بيوته في اي وقت من غير استيذان من
زوجاته لانه لا يجب عليه القسم وقيل المراد دخوله بيوت اصحابه وهو بعيد لقوله **فكان**
اذا اوى الاصح قصره ويجوز مده **الى منزله جزأ دخوله** اي قسم زمن دخوله البيت
ثلاثة اجزاء جزءا لله اي لعبادته والتفكر في ملكوته **وجزءا لاهله** يدبر امورهم
ويصلحها ويتلطف بهم **وجزءا لنفسه** من ماكل ومشرب وراحة وغيرها مما يليق بها
لقوله **ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس** اي قسم الزمن الذي جعله لنفسه فجعل قسما منه
مخصوصا بذاته واحواله في نفسه وجزءا اخر للناس وسائر الامة وهو في منزله ولا
يلاقيه فيه الا اهله او خواص اصحابه الذين يؤذن لهم في الدخول عليه وغيرهم لا يصل اليه
ثمة فلذا قال **فيرد ذلك على العامة بالخاصة** يرد يعني يوصل ويعطي كانه لما كان لهم
حق في الجملة اخذ منهم ثم رده اليهم وقيل معناه يستعين لانه ورد انه كان يستعين بالخاصة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

على العامة وهو بيان لمحصل المعنى وذلك اشارة لما فهم من السياق وهو جزء الناس والعامة
من عدا الخاصة التي عرفتها فكانت الخاصة تخبر العامة بما سمعته منه اذا لم يكن ينبغي كتمه
عنهم والباء في بالخاصة للسببية وكونها للبدل كقوله فليت لي بهم قوما اذا ركبوا •
لانه ليس المراد انه يجعل وقت العامة بعد الخاصة وبدلا منه وعلى على ظاهرها وقيل بمعنى
الى وروي بدل يرد يبذل بالمعجمة والمهملة مع ضم الياء المثناة التحتية وفتحها فيهما ولا يدخر
عنهم شيئا اي عن المذكورين من الخاصة والعامة وقيل عن الداخلين عليه والمال واحد
ويدخر بالدال المعجمة مشددة واصله يذتخر بالمعجمة وبالافتعال من الذخر فقلبت تاؤه
دالا والذال دالا وادغمت به كما علم من كتب الصرف وكذا ما له من ادكر ويجوز يذخر بالمعجمة
مشددة فكان من سيرته في جزء الامة وهو الجزء الذي جعله للناس وافرزه مما كان
لنفسه اي كان دابه وعادته في هذا الجزء ايثار اهل الفضل باذنه الايثار تقديم ما
يؤثره على غيره والمراد باهل الفضل كبار الصحابة كالعباس والخلفاء الراشدين والمراد باذنه ..... أنه بإذن
لهم في الدخول في خلوته وبينته كما مر وما قيل من ان المراد باهل الفضل اغنياء الصحابة والفضل
زيادة ما لهم على حاجتهم والمعنى انه يأذن لهم ان يؤثروا بصدقاتهم اقرباءهم كما وقع لابي
طلحة في بئر حاء فمخالف لما وقع فيه قوله وقسمه على قدر فضلهم في الدين فتوهم ان
المراد تقسيم المال والعطاء وانما معناه قسمة جزئه في حديثه معهم واشتغاله باحوالهم
وقوله في الدين لانه اكرمهم عند الله اتقاهم فتفاوتهم عنده بذلك بالنسبة والمال في بعض
النسخ وقسمه بدون تاء بيان سبب تفاوتهم بقوله منهم ذو الحاجة الواحدة ومنهم ذو
الحاجتين ومنهم ذو الحوائج الثلاثة فاكثر فيتشاغل بهم اي بقضاء حوائجهم وارشادهم
لما يصلح معاشهم ومعادهم ويشغلهم بفتح الياء المثناة التحتية مضارع شغل واما اشغل
فلغة ردية كما مر اي يجعلهم مشغولين بما امرهم به فيما اصلحهم وفي نسخة يصلحهم اي مما
فيه صلاحهم والامة بالنصب اي واصلح الامة بتبليغه لهم ما يليق بهم بعد معرفته
بحالهم من مسالته عنهم وهو بيان لما اي سؤاله عن احوالهم وروي مسالتهم اي
الخاصة ذوي الفضل واخبارهم اي اخبار ذوي الفضل بالذي ينبغي لهم اي يليق ويناسب
حال المسؤول عنهم من الامة وهو مطاوع بغى بمعنى طلب قال الراغب اذا قيل ينبغي ان يكون
كذا فهو على وجهين احدهما ما يكون مسخرا للفعل نحو النار ينبغي ان تحرق الثاني الاستهال
نحو فلان ينبغي ان يعطى لكرمه قال تع وما علمناه الشعر وما ينبغي له ويقول لمن حضر
عنده ليبلغ الشاهد امر وهو للوجوب في الامور الشرعية وهو بتخفيف اللام بقرينة ذكر
الابلاغ بعده ويجوز تشديدها والاول اصح هنا والشاهد الحاضر عنده لمقابلته الغائب
وهو من لم يكن حاضرا او موجودا فهو من كبار الصحابة والغائب من صغارهم او هم الصحابة
والتابعون قيل ويحتمل ان المراد العالم والجاهل واهل الحضر والبادية والسامع ومن لم
يسمع والمسلم والكافر وهذه احتمالات عقلية اوهي تاويلات وتعميم بمخصوص فقدس وابلغوني
حاجة من لا يستطيع ابلاغها قيل يريد ان من ابلغ سلطانا حاجة لها هذا الجزاء العظيم فكيف
بمن بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والا فهو اجل من ان يكون ملكا او سلطانا وقد قال لست
بملك قلت فيه نظر وقد يقال المراد بالسلطان هنا الامام الاعظم خليفة الله وقد اطلق
الفقهاء ذلك عليه كما بيناه في حكمه بالسلطنة والفتيا والقضاء المذكور في القواعد للسبكي

ومن

وهذا حديث مستقل رواه الاصبهاني وفي بعض الفاظه اختلاف ثبت الله قدميه يوم القيمة
على الصراط يوم تزل الاقدام كما ورد مصرحا به في رواية لابن ابي الدنيا وذلك لانه مشى بقدميه
وسعى لحاجة اخيه فهو جزاء من جنس العمل وهو كناية عن نجاته من اهوال الموقف لا يذكر عنده اي
لا يذكر في مجلسه الا ذلك الاشارة لجميع ما تقدم من ذكر مصالحهم وسؤاله عن الامة والامر
بالتبليغ والحث والتي غيب فيه ولا يقبل بالبناء للفاعل والمفعول غيره اي لا يرضى كلاما غير
ما يكون من هذا القبيل وقال اي علي رضي الله عنه في رواية في حديث سفيان بن وكيع بن الجراح
ابو محمد الكوفي وهذا امام حافظ روى عنه الترمذي والدارقطني وغيرهما توفي في سنة سبع ومائتين
والده امام جليل حافظ يدخلون اي اصحابه روادا بضم الراء المهملة وتشديد الواو وبدال
مهملة جمع رائد واصله من يتقدم القوم المسافرين ليختار منزلا لهم فيه الماء والكلأ فاستعير هنا للطالبين
المحتاجين لحاجتهم وما يرشدهم وقيل يفتحون وقت الوصول اليه وفي حديث علي بن حلوان روادا
ويخرجون ادلة اي هداة مرشدين للناس وسياتي مثله وقال الطلساني انه رواد بكسر الراء
وتخفيف الواو مصدر راود وروي لواذا بلام وذال معجمة اي ملتجئين لائذين به ولا يتفرقون من مجلسه
الا عن ذواق بفتح الذال المعجمة وفتح الواو المخففة والف وقاف فعال من الذوق بمعنى المذوق
وهو المأكول فاستعير للعلم الذي يتعلمونه ويحتمل ان يراد حقيقته لانه كان عادته ان يطعم
شيئا لمن يدخل بيته وعلى هذا جرت عادة السلف الصالحين وحقيقة الذوق كما قال الراغب
وجود الطعم بالفم واصله فيما يقل تناوله وفيه تفصيل ذكرناه في كتابنا طراز المجالس اي لا يتفرقون
الا عن علم وادب هو غذاء لارواحهم وسبب لبقائهم ويخرجون من عنده ادلة يعني فقهاء
عالمين بامور الدين ليهتدي بهم غيرهم فادلة جمع دليل بمعنى هاد او بمعناه المشهور كما يقال فلان
حجة الاسلام والصحابة كلهم مجتهدون خلافا لبعض الحنفية كما في تحرير ابن الهمام قلت
قائله الحسين لابيه فاخبرني عن مخرجه اي عن حاله بعد خروجه من بيته له كيف كان يصنع
فيه بعد خروجه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من وضع الظاهر موضع الضمير للاهتمام
والتلذذ بذكره يخزن لسانه بالخاء وضم الزاي المعجمتين والنون اي يصونه ويحفظه لانه لا
يحب كثرة الكلام قال • اذا المرء لم يخزن عليه لسانه • فليس على شيء سواه بخزان •
ولما فيه من المنع عداه بعن فقال الا فيما يعنيهم وفي نسخة الا بما يعنيه بفتح المثناة اي يهمهم وينفعهم
من جوامع كلمه وزواجر حكمه ويؤلفهم ولا ينفرهم اي يجعلهم مؤتلفين به غير متفرقين عنه لمداراته
ولطفه بهم كما قال تع ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ويجعل بينهم الفة لحثهم على
التحابب والمواخاة بينهم ويكرم كريم كل قوم كما قال اكرموا عزيز كل قوم لمعرفته بمقادير الناس
ويوليه عليهم اي يجعله حاكما عليهم فلا يولي احدا من اصحابه غيرهم عليهم ولا يولي صغارهم عليهم
رعاية لاهلية ذوي الولايات وتجنيبا لاعلاء الاسافل في الاسلام ويحذر الناس ويحترس
منهم لان من الحزم سوء الظن وعدم الوثوق بكل احد وقال عمر احترزوا بسوء الظن وهو من بديع
حكمه وليس المراد بالناس جميعهم بل عوامهم بخلاف خواصهم والاحتراس والاحتراز والحذر الفاظ
متقاربة وقيل الاحتراس التحفظ والاحتراز التعوذ والحذر الخوف من غير ان يطوي اي يخفي
ويمنع استعارة من طي الثياب عن احد بشره اي طلاقة وجهه والانبساط معه تاليفا له
وتاليفا لقلبه واذهابا للخوف من هيبته وخلقه اي حسن خلقه ولم يذكر الحسن اشارة الى انه
مجبول على الحسن فيه ويتفقد اصحابه اي يسال عمن لا يحضر عنده ويفقد من مجلسه وقد يذهب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لمن له اذا طالت غيبته ويطلبه ويسأل الناس عما في الناس من احوالهم وامورهم
ليعلم امورهم فيفعل ازاك ما ينبغي تداركه وينصح من لم يلزمه نصحه وليس هذا من التجسس
والغيبة المنهي عنه بل من سؤال الطبيب ليشفي المريض فاذا اخبروه عما حسن يحسن الحسن
ويصوبه اي يبين حسنه وكونه صوابا ويمدح فاعله ترغيبا له فيه ويقبح القبيح ويوهنه
بضم اوله وهائه وتشديد ثانيهما والنون والياء التحتية من الوهي بمعنى الوهن وهو الضعف اي
يقول هو فعل قبيح وضعيف ساقط تنفيرا وتحذيرا ونصحا نافعا والمراد بالحسن والقبيح
عادة او شرعا وفيه صنعة الطباق معتدل الامر اي اموره كلها معتدلة فلا يبالغ
في تحسين وتقبيح وغيره غير مختلف اي على سنن واحد في جميع اوقاته لا يغفل عن شيء
من احوال الناس مخافة ان يغفلوا عما يصلحهم وهو بضم الفاء فيهما او يملوا اي يحصل
لهم فتور وكسل عن صالح امورهم اذا لم ينبههم عليه ولو ارجع هذا لقوله معتدل الامر لم يبعد
ويجمع هذا قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة لكل حال من احوال الناس
عنده عتاد بعين مهملة مفتوحة ومثناة فوقية ودال مهملة وهو كالعتيد المعد هـ
والحاضر المعتد لاصلاحه وتداركه اذا وقع ودال المهملة وهو كالعتيد فهو متعلق بقوله
رتب عتيد وقيل اصل العتاد عداد لانه من العدة فابدلت داله تاء هربا من التكرار
ولا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره اذا رآه عمله واذا رأى منكرا ازاله من غير تأخير
الذين يلونه من الناس اي يقربون منه في مجلسه ونحوه خيارهم اي افاضلهم واشرفهم
وافضلهم عنده اعمهم نصيحة اعم هنا بمعنى اكثر نصيحة واكثر منصوحا بان ينصح في
كل امر كل احد بارشاده لما هو خير له ولذا قال صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة لله هـ
ورسوله وكتابه ولائمة المسلمين فنصيحة لله اصلاحه في اعتقاده له بما يليق به من
توحيده وعبادته مخلصا لوجهه ولكتابه فهم معانيه والعمل بما فيه والنصيحة لرسوله
الايمان به واجتناب نواهيه وامتثال اوامره ولائمة المسلمين طاعتهم وعدم الخروج عليهم
ونصيحة العامة ارشادهم لمصالحهم والنصح ارادة الخير لمن ينصحه باخلاص وهي كلمة
جامعة يقال نصحه ونصحت له واعظمهم عنده منزلة اعظم رتبة وشرفا احسنهم
مواساة لكل احد لان حذف المتعلق يفيد العموم والمواساة اعطاء من يريد ما يريد وبذله
له يقال اساه وواساه بواو مبدلة من الهمزة اذا جعله اسوة او موازرة اي اعانة لمن
التجا اليه يقال آزره ووازره اذا اعانه وقواه وساعده من الازر وهو الظهر لان قوة
البدن به او من الوزر وهو الملجأ ومنه الوزير وفي الحديث ما احد عندي اعظم يدا من ابي
بكر واساني بنفسه وماله وهذا يدل على انه افضل الصحابة قال حسين رضي الله عنه فسألته
يعني عليا والده عن مجلسه اي عن حاله في مجلسه خارج بيته مع الناس ومعاملته
لهم فيه ولذا ارفده بقوله ما كان يصنع فيه فقال كان لا يقوم من مجلسه الا على ذكر
الله يجعله ختام مجلسه فكان اذا قام منه قال سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت
فيجعل ذلك علامة لانصرافه عن الصلاة والذكر بالذال المعجمة اذا اطلق اريد به ذكر الله
وان كان عاما وقال التلمساني وقد يهمل داله قليلا فقيل انه لثغة وقيل لغة ولا ذاله لمستمعه
لقائله في نحو هل من مدكر فانه معنا لطه ولا يوطن بضم المثناة التحتية وسكون الواو وكسر
الطا مخففة وفتحها مشددة كما في بعض الشروح وفي بعضها انه بالكسر من اوطنه ووطنه

اذا اتخذ

اذا اتخذه وطنا الاماكن جمع امكن وامكنة جمع مكان فهو جمع الجمع ففي ميمه خلاف هل ميمه
اصلية او زائدة وينهى عن ايطانها اي اتخاذها وطنا والمراد ملازمة محل مخصوص في غير
بيته مما ليس بملك كالمسجد وغيره من الاماكن المباحة لان لكل احد حقا فيه والنهي الوارد
عنه صلى الله عليه وسلم انما هو في حق المسجد بان يتخذ مصلى بعينه امنه ولذا نص فقهاؤنا
على كراهة ارسال السجادة للجامع وفرشها وفي الحديث نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يوطن الرجل
المكان بالمسجد قيل وهو عام مخصوص بما لم يتضمن مصلحة كمن الف مكانا للافتاء والتدريس
فله ايطانه واقامة غيره منه اذا كان من لا يعرفه ياتي لاستفتائه فيعرفه في مكانه وقوله
ايطانها بوزن اذ يوطن مخفف ولا يضره كما قيل انه لا يجوز ان يذكر فعل من باب ويذكر له مصدر
واسم فاعل او مفعول واسم مكان وغيره من باب آخر نحو تبتل اليه تبتيلا وقوله هـ

وداع دعا يا من يجيب الى الندا • فلم يستجبه عند ذاك مجيب

ويجوز في نحو اجراه مجراه ضم الميم وفتحها وقد تكون المغايرة ابلغ واكثر معنى وهذا مما ينبغي
التنبه له واذا انتهى مشيه قاصدا الى القوم الذين يريد الجلوس معهم جلس حيث ينتهي
به المجلس اي في اي مكان خال منه من غير تصدر على اصحابه وينتهي من النهاية ويأمر اصحابه
بذلك تشريعا وتأديبا فعلم ان تحري الصدر مكروه شرعا لما فيه من الكبر والترفع على اصحا به
لا سيما اذا لم تطب انفسهم بذلك فيتأذون به فانه قد يحرم كما يفعله علماء السوء في زماننا
ويعطي كل جلسائه اي كل احد منهم نصيبه اي ما يستحقه من ملاطفته وكان به سؤاله وبشره
له حتى لا يحسب اي يظن جليسه ان احدا اكرم عليه منه اي يظن انه اكرم الناس واجلهم عنده
لما يرى من لطفه به فهو كقولهم ليس في البلد اعلم منه كما مر تحقيقه فهو غاية لذلك الاعطاء من جالسه
او قاومه اي من جالسه او قام معه قيامه لغرض حاجته او لغير ذلك ففي مفاعلة من الجلوس
والقيام صابره اي صبر عليه او صبر مقدار صبره فلا ينصرف عنه حتى ينصرف هو كل ذلك
لاستمالتهم وتطييب قلوبهم فلا يملهم حتى يملوا وحتى يكون هو المنصرف عنه الحصر بتعريف
الطرفين في محزه هنا من سأله حاجة لم يرده الا بها اي رده مقضي الحاجة غير خائب
او بميسور من القول اي اورده بقول لين سهل لا غلظة فيه كوعده وقد تقدم بيانه قد وسع
الناس بالنصب مفعول وسع بسطه وخلقه باضافته لضميره ورفعه على الفاعلية له اي
عمهم ببسطه اي بسط يده وسماحته اي بشره وطلاقة وجهه وابتداء سروره وحسن خلقه هـ
فشبهه بمكان متسع رحب واثبت له السعة والبسط بمعنى المعنى مشموع وليس لغة مولدة كما
يتوهم كما ذكره المصنف في المشارق وفي الحديث فاطمة مني يبسطني ما يبسطها فصار لهم ابا
اي بمنزلة الاب في البر وقصد الخير وفيه دليل على انه يجوز ان يقال ابو المؤمنين كما يقال
لزوجاته امهات المؤمنين ولا ينافيه قوله تع ما كان محمد ابا احد من رجالكم لان نفي الحقيقة لا
ينافي المجاز وصاروا عنده في الحق متقاربين اي يقرب بعضهم من بعض اذا كانوا على
الحق او في اداء حقوقهم اي في اصل الحق فلا ينافيه قوله متفاضلين فيه بالتقوى اي
بحسب مراتبهم في تقوى الله لآية ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال صلى الله عليه وسلم انزلوا الناس
منازلهم وسيأتي في الرواية الاخرى وصاروا عنده في الحق سواء فلا تنافيه هذه الروا ية
لان بينهم تماثلا وتناسبا وفي الحديث لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا فاذا تساووا هلكوا اولا
كانوا كاسنان المشط ليس فيهم فضلا وتنافسوا في الفضائل فانكروا فضل بعضهم على بعض ⊙

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وما عِبْرُ الانسان عن فضل نفسه • كمثل اعتراف الفضل في كل فاضل

وفي الرواية الاخرى صاروا عنده في الحق سواء كما بيناه مجلسه مجلس حلم وحياء اي
يظهر فيه حلمه عليهم وحلمهم على غيرهم بحيث لا يستفزهم الغضب وهم مظهرون للحياء لا يرفعون
رؤسهم واصواتهم ولا يتكلمون ما لا ينبغي قولا وفعلا قيل ولو قدم هذا وادرجه في جواب السؤال
عن مجلسه كان احسن قلت لما بالعهد من قدم وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات احتراما
له ولوقارهم وادبهم ولا تؤبن فيه الحرم كالكتب جمع حرمة وهي ما لا يحل والمراد العيال والنظر
لهن ونحوه اي لا يذكر بسوء من ابنته وابنيته اذا ذكرته بما يكره ماخوذ من الابنة والابن وهي
عقد في القصب يعاب بها اي لا يذكر فيه الخنا لانه رفث من القول او لا يذكر فيه ما يحرم كالغيبة
وسياتي تفسيرها ولا تنثى فلتاته بتاء مثناة مضمومة ونون مفتوحة ومثلثة مقصورة من النثا وهو ذكر
القبيح ضد الثنا بتقديم المثلثة وهذا هو الموافق لما سابق وروي ولا ينثى بتقديم المثلثة
على النون اي لا تعاد والفلتات بفتحات جمع فلتة بفتح فسكون ويجوز تسكين لام فلتات وضم
فاء فلتة كما قاله التلمساني وهي ازالة القبيح اي يقع بغتة والمراد انه لا فلتة فيه حتى يذكر في
مجلس آخر فيعاد ذكرها فنفي الشيء ينفي لازمه لانها لو وقعت ذكرت كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر
وهذه الكلمة اي قوله لا تنثى فلتاته من غير رواية الحسن عن خاله وروايته للحسين عن ابيه
ويجوز ان يراد ظاهره اي ان الفلتة اذا وقعت لا تذكر بل تستر متعاطفون بالتقوى اي يعطف
بعضهم على بعض ويشفق عليه ويرحمه بسبب تقوى الله لا سمعة ولا خوفا ولا تقاة شيء فالبا
سببية كقوله رحماء بينهم متواضعين اي يتواضع بعضهم لبعض لا يتكبر احد على احد فيحقره
ويخفض جناحه له يوقرون فيه اي في المجلس الكبير سنا ويرحمون الصغير شفقة عليه
ورأفة وهو مفتوح الصاد ويكسر في لغة رديئة ويرفدون بفتح المثناة التحتية وضمها اي
يعينون ويواسون يقال رفده يرفده بالكسر وارفده بمعنى ذا الحاجة اي كل من كانت له حاجة
وسؤاله لهم اولى صلى الله عليه وسلم اعانوه بقضائها او بابلاغها او الشفاعة ويجوز ان يراد
به الفقير المحتاج ويرحمون الغريب اي يشفقون عليه ويعطفون بانيسه له وازالة لوحشة
غربته قال الحسين فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال كان صلى الله عليه
وسلم دائم البشر اي طلاقة الوجه وبشاشته واظهار السرور في مجالسه العامة وهذا لا ينافي
ما مر من قوله دائم الاحزان كما مر فتذكر سهل الخلق اي خلقه وبجبته التهوله وعدم الشدة
في اقواله وافعاله وقد جاء السمحة السهلة لين الجانب بتشديد الياء وسكونها اي لا غلظة فيه
ولا جفا متذللا متواضعا ليس بفظ اي سيء الخلق ولا غليظ اي شديد متوعد لاحد ممتك
عنه لطفه ورفقه ولا صخاب بالصاد والسين اي لا يرفع صوته جدا في خصومة ونحوها
ولا فحاش اي لا يتكلم بقبيح كالشتم ولا عياب اي ذكار العيوب الناس ونقايصهم ولا
مداح اي لا يكثر المدح لغيره ونظرته بمبالغة قوة ما فيه وان كان يذكر الحسن والقبيح بما فيه
كما مر وذكر هذه بصيغة المبالغة اشارة الى انه قد يصدر قليلها احيانا منه لمقتضى الحال
ومثله لا يعاب والمدح انما يذم اذا كان زيادة على حده لانه كذب ومداهنة واما مدح من يستحق
المدح بما فيه اذا لم يلزمه محذور فامر حسن الا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم لو وزن ايمان
ابي بكر وايمان العالم لرجح وقوله لعمر لو لم ابعث لبعثت انت يا عمر فاي مدح يزيد على
هذا لكنه صدق ناشئ عن بصيرة ولا يورثهم ذلك اعجابا ولا فتورا وما من نبي الا وهو ممدوح

من وجه

من وجه مذموم من آخر يتغافل عما لا يشتهي اي يتغافل عما ليس بمنكر شرعا لكنه
غير مستحسن عادة او طبعا اذ لو كان منكرا شرعا نهى عنه ولم يقر عليه وهذا من مكارم
الاخلاق كما قال ابو نواس

ليس الغبي بسيد في قومه • لكن سيد قومه المتغابي

ولا يؤيس منه قال في المغني يؤيس بضم اوله وسكون الواو وهمزة مكسورة وهي بين
ياء ويجوز فتحها على انه مبني للفاعل او المفعول وهو من اليأس ضد الرجا يعني اذا سئل
عما لا يليق تغافل عنه ولم يرد السائل حتى ييأس او يبين له انه سأل ما لا يليق به فيخجل سائله
وقد ترك نفسه من ثلاث اي نزهها عنها ومنعها وقيل فيه قلب اي ترك ثلاثا من نفسه
الريا والاكثار وما لا يعنيه بفتح المثناة التحتية اي يهمه وهي بدل من ثلاث مبينة
لها والريا اظهار ما فيه من الصفات الحميدة والافعال الجميلة للناس حتى يحمد بها وتسمع
وهو الشرك الاصغر وهو منزه عنه بلا شبهة فان قلت كونه غير ثابت له امر ظاهر لا انتفا
عنه فما الحاجة لذكره قلت كانه ذكر هذه الجملة الحالية لبيان وجه تغافله عما لا يحبه من غير ان
يقنط راجيه يعني انه لم يقل انا لا احب هذا فلذا لم اجبك عنه حتى يتوهم انه سيفعله لما فيه
من الريا ولذا قال وترك الناس من ثلاث اي ابعدهم عنها او من ترك ذكر الناس ونحوه من اجل
ثلاث تضمنها قوله كان لا يذم احدا من الناس يستحق الذم كالمنافقين ولا يعيره بعين مهملة
يقال عيره كذا وبكذا اي ذكر ما فيه مما هو عار عليه وعيب فيه قد سلف منه فالفرق بينه وبين
ما قبله انه اخص منه وليس عينه حتى لا يكون امور الناس المتروكة اربعة كما ذكره التلمساني
ولا يطلب عورته اي لا يتجسس عن معايب الناس ويبحث عنها كما كان يفعل مع المؤلفة قلوبهم
واصل العورة الخلل وما يجب ستره كما في حديث ابي داود يا معشر من اسلم بلسانه ولم يفض
الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة اخيه
المسلم تتبع الله عورته وهذا كما قيل في المثل من عير ابتلي وهذا اذا لم يلزم اظهاره شرعا
كالمتجاهر بفسقه ونفاقه وقوله ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه صفة اخرى مرتبطة بما قبله
وليست من الثلاث وهذا كنصيحة الامة وارشادهم وتعليم الخير والتبليغ اذا تكلم اطرق
جلساؤه اي خفضوا رؤسهم تأدبا وانصاتا كانما على رؤوسهم الطير اي بسكون ووقار
من غير طيش وخفة لان الطير لا يقع الا على ساكن وهذا مثل مشهور واذا تكلموا فلا يقطعون
حديثه بحديثهم تأدبا معه وتوجها لفهم مقاله لحرصهم على حفظه مراعاة لعظيم قدره
لا يتنازعون عنده الحديث اذا كانوا في مجلسه لا يدورون الحديث بينهم فيحدث بعضهم
بعضا كما هو جار بين الناس اذا اجتمعوا في نادي وهذا بيان لقوله تكلموا او ان المراد انهم
يتكلمون مع النبي بسؤالهم له ونحوه من مهماتهم لا انهم يدورون الحديث بينهم وهذا هو معنى
تنازع الحديث في كلامهم ومن فسره بالتخاصم لاعتراضه بظاهر التنازع لم يصب لعدم مناسبته
للمقام ولا يخفى انه لا معنى لقولك تخاصموا الحديث الا بتاويل اي تخاصموا في الحديث وهو
ركيك قال امرؤ القيس

فلما تنازعنا الحديث واسمحت • هصرت بغصن ذي شماريخ ميال

وقال ابن السيد في شرح ادب الكاتب تنازعنا الحديث اي تداولناه فحدثتني مرة وحدثتها
اخرى • وههنا بحث وهو ان سيبويه قال في كتابه تفاعلت لا يكون الا وانت تريد فعل اثنين

فضاعدا ولا يجوز أن يتعدى لمفعول ينصبه وفي تفاعلنا تلفظ بالمعنى الذي في
فاعلنه كتضاربنا وتقاتلنا وقد يجيء تفاعلت على غير هذا كتقاضيته انتهى فلم يجز تعدي
تفاعل المفعول إلا إذا كان لواحد لأن تفاعل قد تضمن الفاعل والمفعول الذي كان في فاعل ألا
تراك تقول ضاربني زيد فتأتي بفاعل ومفعول فإذا قلت تضاربنا لا يتعدى لاشتماله
على فاعل ومفعول ليس لنا غيره وليس تنازعنا كذلك لأن نازع يتعدى لمفعولين تقول نازعته
الحديث فإذا قلت تنازعنا لم يكن بد من ذكر المفعول الثاني لأن تنازع لم يتضمنه كذا قاله ابن
السيد في المقتضب شرح أدب الكاتب أقول في كلام سيبويه قصور لأنه كان عليه أن
يقول إن باب تفاعل بمعناه الأصلي ينقص عن فاعل مفعولا وإن كان متعديا لواحد كان لازما وإن
كان متعديا لاثنين تعدى كما ذكره بعض النحاة فإطلاقه لا ينبغي وقد نقل ابن السيد هذا في محل
آخر عن الكوفيين فقال قال ثعلب فلان يتعهد ضيعته ولا يقال يتعاهدها قال ابن درستويه
إنما أنكرها لأنها على وزن يتفاعل وهو عند أصحابه لا يكون إلا من الاثنين ولا يكون عندهم متعديا
لمفعول مثل تقاتلا وتعاملا وهو غلط لأن تفاعل قد يكون لواحد ويكون متعديا كقول امرئ القيس

تجاوزت أحراسا وأهوال معشر • على حراص لو يسرون مقتلي

وتفاعل لاثنين متعديا كقوله فلما تنازعنا الحديث الخ قال الخليل التعاهد والتعهد الاحتفاظ
بالشيء وإحداث العهد به وقول سيبويه السابق قول الكوفيين انتهى والتنازع هنا كالتجاذب
مجاز بديع كقوله صلى الله عليه وسلم لمن قرأ خلفه ما لي أنازع القرآن من تكلم عنده أي في مجلسه
صلى الله عليه وسلم من الصحابة أو غيرهم أنصتوا له حتى يفرغ من حديثه وفي بعض النسخ من كلامه
وأنصت يكون لازما بمعنى سكت ومتعديا يقال أنصته إذا أسكته حديثهم حديث أولهم مبتدأ
وخبر وحديثهم فاعل يفرغ فجمع الضمير وهو من رعاية المعنى وحديث أولهم بدل منه أي لا يقطع
كلام من تقدم بكلام آخر ولا يخاصم لهذا في معنى لا يتنازعون وهو مرتبط بما قبله فإن كان مستدلا
بدليل رواية من كلامه فهو تشبيه أي حديث كل واحد منهم إنما هو حديث من قبله يعني أنه لا حديث
له لعدم يقطعه كقوله ذكاة الجنين ذكاة أمه وقد خفي هذا على الشراح فأنصتوا يضحك صلى
الله عليه وسلم مما يضحكون منه أي الضحك ويعجب مما يعجبون وفي نسخة يتعجبون لأنه
من حسن الصحبة أي يسره ما يسرهم ويرضيه ما يرضيهم وهم على نهج واحد وطباعهم سليمة فلا يضحكون
ويعجبون من غير مقتض فلا يقال إنه لا يليق من ضحك أحد وتعجبه قبل غيره مثله لأنه أمر طبيعي
وهذا في أحيان قليلة فلا ينافي قولهم كان على رؤوسهم الطير ويصبر للغريب على الجفوة
أي الغلظة وكلمة بما يؤلم في المنطق في تكلمه مع النبي صلى الله عليه وسلم كتحليف الأعرابي وقوله
آلله أرسلك بهذا وإنما قيد بالغريب لأنه معذور لأنه لا يعرف أحواله وهذا كله من مكارمه
ومعاملة كل أحد بما يليق به ويقول لأصحابه إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرفدوه
بوصل الهمزة وقطعها من رفده وأرفده إذا أعانه وأعطاه لأن الرفد العطية والإرفاد الإعانة
وكل منهما قابل هنا ولا يطلب بمعنى يقبل كما ورد في رواية فهو مجاز مرسل أو استعارة الثناء
الذكر الحسن والمدح إلا من مكافئ بالهمزة اختلف في تفسيره أي ممن أثنى أجرا على نعمة وإحسان
تقدم له منه وقد صرح به في بعض الروايات بقوله عن يد ولا يرد عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم
نعمه عامة ما من أحد إلا وله عنده يد لصواب سيره أي غيره متجاوز في المدح نظرا لأن القرينة
قائمة على أن المراد نعمة حادثة خاصة ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه أي يخففه

يقال

٢٩-

يقال تجوز في الصلاة إذا أسرع وخفف فيقطعه بانتهاء أي إتمام لحديثه به ينقطع
الكلام أو قيام من المجلس لأنه انقطع كلامه فمضى لشأنه هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع
السابق ذكره وزاد الآخر صاحب الرواية الأخرى القائل أحد السبطين كما مر قلت كيف
كان سكوته قال كان سكوته على أربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر لما كان الحلم
والحذر من جميع الناس معلوم وقد تقدم تفسيره قال فأما تقديره أي كم ينظر مقداره إذا
صدر منه أو من غيره ممن يقتدي به ففي تسوية النظر في الأمور وما يترتب عليها من المنافع
الدنيوية والأخروية والاستماع أي استماع الناس به صلى الله عليه وسلم أو بأمورهم فيما بينهم
ومعنى الاستماع الانتفاع وقوله بين الناس متعلق بالتسوية وهم جملتهم متساوين وليس
المراد تساويهم حقيقة بل أن يكون لكل أحد مقدار يليق به وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى
أي في أمور الدنيا والآخرة الباقية الخالدة فإن قلت كيف يعلم هذا وهو أمر مضمر في نفسه
لا يطلع عليه إلا الله قلت هذا بطريق الاستدلال العقلي والفراسة الصادقة الشاهدة لما
ما يظهر من آثاره ويتعلق به إذا تكلم فإن الظاهر عنوان الباطن وجمع بالبناء للمفعول أي جمع
الله له وكذا ما يأتي بعده الحلم باللام أي جمع له سائر جزئيات الحلم المختص كل حلم ببعض منه
وفي بعض النسخ الحكم بالكاف وله وجه في الصبر أي مع الصبر على أمور الناس والأئمة
فكان مع علمه صابرا لا يضيق ولا يقلق كما أشار إليه بقوله فكان لا يغضبه شيء مما يقلق
به في نفسه وإن كان قد يغضب لله يستفزه بكسر الفاء وتشديد الزاي المعجمة أي تستخفه
بحيث يبدو منه خفة وقلق لأمور الدنيا والأعراض وجمع له في الحذر أي في حال حذره واحترازه
من الناس ومع ذلك أربع نائب الفاعل أخذه بالحسن وفي بعض النسخ ترك قوله أربع وهو في
نائب الفاعل أو منصوب مفعول لأجله أي تمسكه بكل أمر مستحسن مشروع ليقتدى به ويتبعه
الناس فيه واجتهاد الرأي أي اجتهاده فيما يراه رأيا بما أصلح أمته أي فيما يصلحهم أي بسببه
والقيام لهم أي الأمة بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة في المعاش والمعاد ومعنى القيام التعهد
والالتزام والاجتهاد بذل ما في وسعه وطاقته من إصلاحهم وهو بمعناه المصطلح بناء على
جواز اجتهاده صلى الله عليه وفيه اختلاف مذكور في كتب الأصول قال الأبي في شرح مسلم
نقلا عن المصنف لا خلاف في أنه صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في أمور الدنيا ويرجع إلى رأي
غيره في ذلك كما فعل في تلقيح النخل واختلف في أنه هل له أن يجتهد في الشرعيات وهل هو معصوم
في اجتهاده أم لا والصواب أنه له ذلك وأنه معصوم وتفصيله في أصول الفقه فلا حاجة
للتطويل به

فصل في تفصيل غريب هذا الحديث ومشكله

المراد بالغريب ما لم يكن استعماله مشهورا بين العرب بحيث يخفى على غير العرب إلا أن يكون جاريا
على قوانين اللغة كما قيل المشكل ما لم يكن واضح الدلالة بحيث يحتاج للتأويل المشذب بضم الميم
وفتح الشين المعجمة وتشديد الذال المعجمة المفتوحة والموحدة أي البائن أي الظاهر احترازا عن
فوق الربعة بقليل في نحافة وهي قلة اللحم وضدها الضخامة وقيل الطويل مطلقا الممغط
بضم الميم الأولى وفتح الثانية وتشديدها وكسر الغين المعجمة وطاء مهملة وأصله منمغط فأبدلت
النون ميما وأدغمت بمعنى الطويل من انمغط النهار إذا امتد ويقال بالعين المهملة بمعناه كما في
النهاية وقال التلمساني بالمهملة والمعجمة والميم الثانية مشددة أو مخففة وهو الطويل في غاية

الألوكة www.alukah.net

اوالطول الذي ليس بنابق فليس بذم وَالشعر الرَجِل بفتح الراء المهملة وكسر الجيم من الترجيل
وهو تسريح الشعر وتمشيطه والمرجّل الذي سُرّح بمشط والرجل الذي يجالسه حلق كما في الاكمال
واليه اشار بقوله الذي كان مُشط بالتخفيف والتشديد فتكسّر قليلا والتكسير التثني
كانه كسر ليس بسبط بفتح الباء وكسرها وهو المرسل الذي فيه تثنٍّ كما قاله ابن عبد البر ولا جَعْد
بفتح فسكون اي كثير التثني كشعر الزنج وقال المازري شعر رجل ورجل ورجل بفتح فكسر وسكون
وبكسر والثلاث لغات بين السبوطة والجعودة وقيل كانه مشط والعقيقة وهي في الاصل
الشعر الذي يولد به الطفل لانه يعق اي يقطع سريعا ومنه العقيقة للطعام الذي يصنع
عنه والشاة التي تذبح له شعر الراس واصله شعر المولود اذا اطلق على غيره اراد اي ابن ابي
هالة في وصفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ان انفرقت من ذات نفسها وذات
مقحمة تاكيد لنفسها اي ان وقع تفرقها من غير صنع فرقها بالتخفيف اي تركها متفرقة
غير ملتفة ولا تركها معقوصة اي ان لم تتفرق بنفسها والتفت واجتمعت تركها على حالها
والعقص ضفر الشعر على الراس وليّه وقيل هو لي الخصلة من الشعر ثم عقدها ثم ارسالها وعقص
شعره عقده في قفاه ويروى عقيصته بدل عقيقته وهي الشعر المعقوص اي المضفور من
العقص وهو اللي وارخاء اطراف الشعر في اصوله كما في المقتفى والمشهور عقيقته
لانه لم يكن يعقص شعره وقيل ان هذا كان في صدر الاسلام لانه كان يحب موافقة اهل الكتاب
فيما لم يؤمر فيه بشيء وكانوا يسدلون شعورهم والمشركون يفرقون فسدل صلى الله عليه وسلم
ناصيته ثم فرق بعد وقال النووي المختار جوازهما والفرق افضل ومن زهرة الحياة
الدنيا اي زينتها من ازهر السراج اذا نوره ومما قلته

من حرصك بالغنا كم تشتغل • والعمر مضى فما يفيد الامل
ما زهرة هذه الحياة الدنيا • للفرك بانما المنا تحتمل

والامهق الناصع اي الخالص البياض المهق شدة البياض من غير مخالطة حمرة وقيل ما
يقرب بياضه من الزرقة ويقال امهق بتقديم الهاء ايضا وهو من القلب ابيض مشرب
بالتشديد على زنة اسم المفعول المزيد ويقال مشرب بالتخفيف والتشديد للتكثير والمبالغة
والاشراب خلط لون بلون فكانه شربه واكثر ما يقال في الحمرة والقرن بفتحتين ضد
البلج تقدم ما فيه ولا حاجة لقول التلمساني في ابلج صباحة الوجه فلا ينافي ما في حديث
ام معبد من وصفه بالقرن ورواية مثله عن ابي عبيدة فان المشهور خلافه ويؤيده ان العرب
تكرهه والادعج الشديد سواد الحدقة في الصحاح الدعج شدة سواد العين مع سعتها
وكذا في غيره وهو لا ينافي قوله في الحديث الاخر اشكل العين واشجر العين بسين مهملة
وجيم وهي الذي في بياضها حمرة اي اللون في بياض العين وحمرة بدل منه بناء على جواز
ابدال النكرة من المعرفة او الذي صفة لمقدر وحمرة خبر آخر وهو ممدوح لانه في البياض لا
في الحدقة وقيل الاشكل طويل شق العين كما في المصابيح الا انه غلط كما مر في الفصل الثاني
ومنهم من قال الدعج لغة زرقة في بياض مستدلا بقوله

يا رب ان العيون السود قد فتكت • فينا وصالت باسياف من الدعج

اذ السيوف زرق اي مخلوقة من الدعج كقولهم انت ما يفعل وخلق الانسان من عجل على قول وقيل
لا حجة فيه لاحتمال انه من الدُعج بضمتين على انه عربي وهو جمع ادعج وتشبيهها بالسيوف في فتكها

لا في لونها فانها يقال لها البيض كما يقال للرماح والزرق انما هي السهام قال امرؤ القيس

انقتلني والمشرفي مضاجعي • ومسنونة زرق كانياب اغوال

والشنب رونق الاسنان وماؤها الى اخره تقدم ما فيه وماؤها صفاؤها كما يقال
الجمال والماء يستعار لمعان فصلها الثعالبي في المضاف والمنسوب وقيل المراد بالمبارق
الفم والمراد بتحزيزها بزائين معجمتين كون اطرافها دقيقة كالشرفات لها بادن ذو لحم متماسك
اي لا سمين فانه لم يكن كذلك وهو ممدوح وهو معتدل الخلق في المقتفى هو اشارة لدفع احتمال
السمن وكذا قوله لم يكن بالمطهم اي فاحش السمن منتفخ الوجه ومشيح بضم الميم والشين المعجمة
كما مر اذ صحت هذه اللفظة في صفته فيكون من الاقبال في صدره والمراد به لم يكن
في صدره قعس بفتحتين وعين وسين مهملتين بعد قاف وهي نتا من فيه اي في الصدر
وقيل ان هذا مخالف لقول الجوهري القعس خروج الصدر ودخول الظهر ضد الحدب لان
التطامن الانخفاض كقول ابن مالك في نظم الكفاية هـ

والمثل من ارنبة الانف خنس • وعرض انف مع تطامن فطس

وفي الروض لان الحدب انحنا في الظهر وقد يكون مستعملا في معنى المخالفة اذا قرن
بالقعس كقوله هـ فان حدبوا فاقعس وان هم تقاعسوا • لينتزعوا ما خلف ظهرك فاحدب
قلت وكذا فسره الشراح والظاهر ان مراده عدم الارتفاع بقرينة انه مستوي البطن
والصدر وقد صرح به المصنف في قوله وبه يتضح قوله سواء البطن والصدر اي ليس
متقاعس الصدر ولا مفاض البطن والعجب منه بعد هذا كيف يعترض عليه وكيف يصح
تفسيره بغير ما ذكر ومفاض بضم الميم وفتح الفا وآخره ضاد معجمة ضخم البطن وقيل مسترخي
اللحم وقيل عظيم البطن او عظيمها مسترخي اللحم جليل المشاش والكتد جليل بفتح الجيم يعني
عظيم والمشاش بضم الميم وشينين معجمتين واحده مشاشة وهي رؤوس العظام كالمرفقين
والكتفين والركبتين وفي الصحاح رؤوس العظام اللينة التي يمكن مضغها ويقال تمششها
والكتد بفتح الكاف وكسر المثناة الفوقية ويجوز فتحها فسره المصنف وسياتي الكلام عليه
مفصلا ابن الانباري محمد بن قاسم بن بشار اللغوي نسبة للانبار بفتح الهمزة قرية من
العراق ولهم انباري آخر ليس بلغوي ولا محدث وهو محمد بن سليمان والانبار معربة معناها
مخزن القمح يخالف قوله شثن القدمين اذا فسر بلحمهما واما اذا فسر بميلهما الى غلظ
وقصر وكغلظ الاصابع فلا وزعم ابو عبيدة ان شثنهما بمعنى غليظهما مع قصرهما قال
في المطالع وقد جاء ضد هذا وهو سائل الاطراف يشير الى رد زعمه قال وليس الشثن بعيب
في الرجال بخلاف النسا ولذا لمن زعم انه معيب على يد اي نعمة واليد تطلق على الجارحة
وعلى النعمة لانها بمنزلة العلة الفاعلة لها لصدورها عنها الا انه خولف بينهما في
الجمع فقيل في الجارحة ايد وفي النعمة ايادي ويدي بضم المثناة التحتية وكسر الدال
المهملة وتشديد اليا كقوله فان له عندي يديا وانعما والاصح انهما في الجمع سواء كما اثبته
اهل اللغة بشواهد فلا حاجة للاطالة بذكره منهوس العقب بسين مهملة ومعجمة اي
قليل لحم العقبين وقيل بالمعجمة معناه ناتي العقبين منهوس وفيهما قاله ابن قرقول بن منده واول
هذين التفسيرين يوافق كلام المصنف والمراد جنس العقب لا عقب واحد كما تقدم مثله
وبا بينهما ما يخالفه لانه اعتبر فيه النتو مع قلة اللحم لان معنى المعروف قليل اللحم كما في الصحاح

قريبة صح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

أهدب بدال مهملة الأشفار بشين معجمة وفاء وراء مهملة وهي حروف الأجفان التي ينبت عليها الشعر بالهدب واحدها شفر بضم فسكون كضرب ويكون مطلق الطرف

الباب الثالث فيما ورد من صحيح الأخبار

المراد ما رواه الثقات بسند متصل وسلم من العلة القادحة وقد يطلق على الأعم الشامل له ولغيره وعلى هذا فالصحيح بمعناه اللغوي وما ثبت صدقه فقوله مشهورها الكثير من عطف الخاص على العام ومن قاله كأنه أراد به قسما وهو ما اشتهر بين المحدثين إذا رجع الضمير للصحيح الأخبار وأنثه رعاية لمعناه أو لاكتسابه التأنيث من المضاف إليه فلا وجه لتخطئته فيه بعظيم قدره عند ربه متعلق بورد والباء للتعدية أو للإلصاق ومنزلته عطف تفسير والقدر والمنزلة والمرتبة والرتبة بمعنى الشرف وما خصه به في الدارين الدنيا والآخرة على إطلاقه وعليهما من كرامته صلى الله عليه وسلم بيان لما وكرامته جلالته وعزته وضمير خصه له أو لما وكذا به والباء داخلة على المقصور أو المقصور عليه وكل منهما جائز بلا خلاف إنما الخلاف في أصله وحقيقته لا خلاف أي لأحد من المسلمين بل العقلاء لانعقاد الإجماع عليه ولا يعتد بما زعمه بعض أهل الكتاب أنه أكرم البشر والنوع الإنساني وتقدم في أنه وحذف الجار في مثله مقيس مطرد وسيد ولد آدم السيد من ساد غيره أي فاقه في الشرف والكمال وفي إطلاق السيد عليه وعلى الله وعلى غيره أقوال قال البيهقي في كتاب الأسماء والصفات السيد اسم لله لم يرد في القرآن وورد في الحديث فعن مطرف انطلقت في وفد عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا أنت سيدنا فقال السيد الله قلنا وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا فقال قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان قال الحليمي ومعناه المحتاج إليه بالإطلاق فإن سيد الناس إنما هو رأسهم الذي يرجعون إليه وبأمره يعملون وعن رأيه يصدرون ومن قوله يستمدون إلخ فهذا دليل على إطلاقه على الله ودليل إطلاقه على غيره سواء كما بينا كما في هذا الحديث وغيره كقوله ثم والفقه سيدها الذي الباب فهذا يدل على إطلاقه على الله وعلى غيره مطلقا وهو القول الأصح وحكي عن مالك امتناع إطلاقه على الله وعلى غيره وهو القول الثاني والثالث أنه لا يطلق إلا على الله لحديث السيد الله بالحصر والرابع أنه إذا عرف بالألف واللام اختص بالله كما ذكره الدماميني في أول شرح التسهيل وهو إذا أطلق على الله فمعناه المحتاج إليه في جميع الأمور وإذا أطلق على غيره فمعناه الرئيس الذي يتبعه قومه كما فصلناه في شرح أسماء الله الحسنى وقد ورد في الحديث النهي عن تسميته سيدا وهو إما تواضع منه أو المراد نهيه عن سيادة دنيوية فلا منافاة بينه وبين هذا وأما في الصلاة عليه فاختلف في الأفضل فيها هل هو صلى الله على سيدنا أو على محمد ولابن حجر فيه كلام في الفتاوى سيأتي في محله والولد يطلق على الواحد الذكر وغيره والمراد سيد آدم وولده ولذا عقبه بقوله وأفضل الناس منزلة عند الله وإذا كان أفضل الناس علم أنه أفضل الثقلين ولا حاجة أن يقال إن الناس يطلق على ما يشمل الجن وإذ ذهب إليه بعض اللغويين في قوله ثم قل أعوذ برب الناس وقالوا في قوله من الجنة والناس بيان له والعرب تقول ناس من الجن وذهب السبكي في فتاواه إلى أنه يطلق على ما يقابل الجن وعلى ما يشملهما وأنه على الأول أصله أناس من الإنس وعلى الثاني هو من نوس فالناس الأول غير الثاني وهو كلام حسن وأعلاهم درجة

الدرجة واحدة الدرج وهي مواطئ السلم لما يعلو وذكره بعد المنزلة فيه لطف لأن علو المراقي يقتضي زيادة علو المنازل وأقربهم زلفى أي قربى وهو كحد جده وقيل هو اسم أقيم مقام المصدر المؤكد فهو في معنى أقربهم تقريبا وليس تمييز المنزلة ودرجة وأعلم أن الأحاديث جمع حديث على خلاف القياس ولا يناسب أن يكون جمع أحدوثة لأنها تختص بالمضحكات والشرور دون أنها تستعمل في الخير أيضا كقوله هم

من الخفرات البيض ود جليسها • إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

وقول القاضي في سورة المؤمنين في قوله ثم جعلناهم أحاديث إن أحاديث اسم جمع للحديث وقد شرطوا فيه أن لا يكون على وزن مختص بالجمع أو يغلب فيه وصيغة منتهى الجموع لا توجد في المفردات يدفع بما في الكشف من أن اسم الجمع يطلق بمعنى آخر وهو ما كان على خلاف القياس كما يقال في ليال أنه اسم جمع والحديث ما يضاف للنبي صلى الله عليه وسلم من أقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته وسائر أحواله في منامه ويقظته الواردة في ذلك أي في عظيم قدره كثيرة جدا بكسر الجيم وتشديد الدال المهملة وهو مفعول مطلق محذوف وعامله وجوبا لجريه مجرى الأمثال وهو مؤكد لما قبله أي متناه في الكثرة وأصله من الجد بمعنى الاجتهاد لأن المراد أنه اجتهد في كثرته وبولغ فيها وقد اقتصرنا منها أي من تلك الأحاديث الكثيرة على صحيحها الصالح للاعتماد عليه والاحتجاج به ومشهورها أي مشهورها وحصرنا من حصر الكل في أجزائه لا الكلي في جزئياته معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا فيه مسامحة لأن الفصول اسم للألفاظ وهي مغايرة للمعاني فيحتاج لتقدير مضاف في الأول والثاني

الفصل الأول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه

المكانة كالمنزلة علو قدره ويجوز أن يكون من التمكن وهو الثبوت كما يقال له مكنته وتمكن من السلطان أي قرب والاصطفا أي اختياره على غيره وتقديمه والتفضيل بالسيادة ولد آدم كما مر وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب جمع مزية بزنة برية وهي الفضيلة التي تقدم بها على غيره وفي شرح المفتاح أنه لا فعل له وغلطه في الأساس من أنه يقال تمزيت عليه وفسرها الزمخشري بالتمام والكمال وبركة اسمه الطيب أي كونه يتبرك باسمه المشهور وهو أحمد ومحمد والطيب صفة لا بدل لأن الطيب ليس من أسمائه المشهورة وهذا إشارة لما ورد في الحديث كل أمر لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة علي فهو أبتر أي ممحوق البركة ذكره السخاوي في شرح ألفية الحديث قال وهو وإن كان ضعيفا لكنه يذكر في الفضا أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل لقب له وهو إمام حافظ تميمي توفي سنة إحدى وخمسمائة إذنا بلفظه أراد بالإذن الإجازة بروايته عنه وقال بلفظه لأنه لم يكن من كتابه وهو يقرأ الحمام وهذا جائز حدثنا أبو الحسن الفرغاني بالفاء والراء المهملة والغين المعجمة نسبة لفرغانة بلدة بما وراء النهر وهو الإمام علي بن عبد الله المقرئ ووقع في بعض النسخ الحسن والأصح الأول أخبرنا حاتم وهو ابن عقيل بفتح العين وكسر القاف وهو ابن المهتدي بن المرادي ابن اللؤلؤي المشهور عن يحيى الحماني بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم والألف ونون وياء نسبة وهو يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن ميمون أبو زكريا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الكوفي وهو ثقة وضعفه بعضهم وقال انه كذاب وله ترجمة في الميزان حدثنا قيس بن الربيع
ابو محمد الكوفي اختلفوا فيه ايضا فقيل ثقة وقيل ضعيف واخرج له اصحاب السنن توفي سنة خمس
او سبع او ثمان وستين ومائة وترجمته في الميزان عن الاعمش سليمان بن مهران تقدمت ترجمته عن
عباية الربعي بفتح العين وآخره تاء ويقال عباءة بالهمزة علم منقول من اسم الكساء والربعي بكسر الراء المهملة
وسكون الموحدة وعين مهملة وياء نسبة من غلاة الشيعة وله ترجمة في الميزان عن ابن عباس وهذا
الحديث رواه الطبراني والبيهقي في الدلائل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين
قيل هذه تقديرية في علم الله وقيل حقيقية كما بينه في قوله فجعلني من خيرهم قسما منصوب على
التمييز اي من القسم الذي هو خير يعني اصحاب اليمين المشار اليهم في قوله فذلك التقسيم ما تضمنه
قوله اصحاب اليمين واصحاب الشمال لا العرب كما يوهم لقوله فانا من اليمين من تبعيضية او
ابتدائية وانا خير اصحاب اليمين اي اكرمهم وافضلهم ثم جعل القسمين اثلاثا اي جعل مجموع القسمين
ثلاثة اقسام لا كل قسم منهما كما يتبادر الى الذهن فجعلني من خيرها قسما وقيل اصحاب اليمين هم الذين
توخذ ذات اليمين الى الجنة واصحاب الشمال الذين يوخذ بهم ذات الشمال الى النار او هم الذين كانوا
عن يمين آدم والذين كانوا عن شماله في عالم الذر او الذين اخذ وامن شقه الايمن او الايسر او من
اعطي كتابه بيمينه وشماله او الذين رآهم في الاسراء عن يمين آدم وشماله وذلك اي التقسيم الثلاثي
ما بينه قوله اصحاب الميمنة اي اليمين او اليمن على انه مصدر ميمي وهو بمعنى السعداء غير السابقين
لئلا تتداخل الاقسام والمشامة هو كالميسرة بمعنى الشمال لان العرب تقول لليد الشمال شومى
ومنه الشام لانه عن شمال الكعبة في قول والشامة والسابقون وفي بعض النسخ والسابقون السابقون
بالتكرير كما في الآية ولا بد من تغايرها ليفيد الحمل فهو اذا كقوله انا ابو النجم وشعري شعري
اي الذين عرفوا بكمال السبق او الاول بمعنى السابقين للايمان والطاعة والثاني بمعنى السابقين الى
الجنة ونعيمها وهو اهل التقاسيم وقيل هم الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه
ويحكمون لغيرهم بما يحكمون به لانفسهم وقيل السابقون للصلوات والتوبة وقيل هم الانبياء فانا من
السابقين وانا خير السابقين فهو من اعلى الاقسام لا قسم مستقل حتى تكون القسمة رباعية كما توهم
فمن هذا القسم الانبياء فهو افضل من كل واحد منهم ومن مجموعهم كما تقدم ثم جعل الاثلاث قبائل اي جعل
كل ثلث او مجموعها وهذا اظهر والقبائل جمع قبيلة وهم بنو اب واحد والقبيل بدون ها الجماعة
مطلقا ثلاثة فصاعدا فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل
الآية والشعوب جمع شعب بالكسر وقيل انما هو بالفتح والذي بالكسر طريق بين جبلين واختلف في
تقسيم الناس فقيل الشعب اكبر من القبيلة وبعدها الفصيلة ثم العشيرة ثم الذرية ثم العترة ثم الاسرة
وهذا مخصوص بالعرب وقيل هو ست طبقات شعب وقبيلة وعمارة وبطن وفخذ وفصيلة والشعب
الطبقة الاولى وبعدها القبيلة ثم العمارة بكسر العين المهملة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة بالصاد المهملة
فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع
الفصائل فمضر شعب وكنانة قبيلة وقريش وهو النضر بن كنانة عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ
وعبد المطلب والعباس فصيلة وقد تطلق القبيلة على ما دونها تجوزا ولما لم يكن في الآية ما يوذن
بشرف القبيلة في نفسها فان الشرف انما هو بالفضيلة لا بالقبيلة ولكن شرف الاصل يستلزمه غالبا
فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله تعالى ولا فخر جملة حالية اي لا اقول هذا تفاخرا وتباهيا
وتعظيما وانما هو تحدث بنعم الله وبيان للامة ما يجب عليهم اعتقاده توقيرا واحتراما له وامتثالا

بتكرم

بتكرم ربي وفضله وكل مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله وقال العيسى من سره ان يكون
اكرم الناس فليتق الله ويقال هو اكرم عند الله وعلى الله لكونه بمعنى اعز المتعدي بعلى حملا له على
نظيره ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني من خيرها بيتا بيوت بضم الموحدة وكسرها جمع بيت وهو المنزل
والمسكن والظاهر ان المراد بالبيوت هنا الفخذ او الفصيلة لا البطن كما قيل والبيت يطلق مجازا
على المجد والشرف كما في قوله

• انا الذي سمك السماء بنى لنا • بيتا دعائمه اعز واطول •

وعلى الاصول والقارب كما يقال هو من بيت علم اي من قوم علماء وفي اضافته لله كان اثبات لمن فيه
بطريق الكناية التي هي ابلغ من التصريح كما في كتب المعاني وذلك اي كونه من خير بيت واشرفه
ما دل عليه قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وهذا يدل
على ما فسرنا به البيت والرجس النجس المستقذر استعير للمعاصي والتطهير ترشيح للمعاصي وما
استعير لها لانها تلوث الاعراض واهل البيت والاول الاقربا وقول الشيعة انهم علي وفاطمة والحسنا
وادعاؤهم عصمتهم وان اجماعهم حجة استدلالا لا بهذه الآية ينافيه السياق وفي الآية مبالغة في
شرفهم بليغة لذكر تطهير اعراضهم من دنس المعاصي وهو اصل النعم وتعريف الرجس بلام الاستغراق
الدال على اطلاقه في مقام المدح والتعبير بالاذهاب والازالة بالكلية وحذف مفعول يريد للتعميم
ليذهب النفس كل مذهب ونصب اهل البيت على المدح والندا وتعريف البيت العهدي والتعبير
بالتطهير الدال على التكثير وتاكيده بالمصدر وسياتي تتمة لهذا وعن ابي سلمة هو ابن عبد الرحمن
بن عوف احد الفقهاء السبعة كما تقدم عن ابي هريرة عبد الرحمن بن صخر على الاصح من نحو ثلاثين
قولا كما تقدم وهذا الحديث رواه الترمذي وصححه وقال انه حسن غريب قالوا اي بعض الصحابة
متى وجبت لك النبوة اي في اي زمان ثبت لك اذ لا يجب على الله شيء قال وآدم بين
الروح والجسد الجسد والبدن والجسم بمعنى وهذه الجملة حالية من الجواب المقدر لمتى الزمانية
اي ثبتت لي في هذه الحالة وفي هذا الحديث روايات متعددة صحيحة منها اني عند الله لخاتم
النبيين وان آدم لمنجدل في طينته ومنها متى استنبئت قال وآدم بين الروح والجسد وفي
رواية بين الماء والطين وقال ابن تيمية والزركشي وغيرهما حديث كنت نبيا وآدم بين الماء والطين
وكنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين لا اصل لهما يعني بهذا اللفظ قلت ليس موضوعا كما توهم فانه
رواية بالمعنى وهي جائزة لانه بمعنى الحديث السابق ومعنى منجدل ساقط على الجدالة وهي الارض
وليس المعنى انه كان نبيا في علم الله كما قيل لانه لا يختص به بل ان الله خلق روحه قبل روحه وسائر
الارواح وخلع عليها خلعة التشريف بالنبوة اعلاما للملاء الاعلى به واذا كانت النبوة صفة
لروحه علم انه بعد موته نبي رسول ولا يضر انقطاع الاحكام والوحي وقد اكمل دينه وانكار ذلك
جهل فاحفظه فانه نفيس جدا وهذا هو المراد بقوله ان الله خلق نوره قبل ان يخلق آدم باربعة عشر
الف عام كما رواه ابن القطان وفي رواية يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه وهذا يدل
انه مرسل للملائكة كغيرهم فهذا صريح في ان نبوته ظهرت في الوجود العيني قبل نبوة آدم وغيره
وان الملائكة لم تعرف نبيا قبله وانه النبي المطلق وسائر الانبياء خلفاؤه والشرائع شريعته
ظهرت على لسان كل نبي بقدر استعداد اهل زمانه فهو اول الانبياء وآخرهم ولا يمكن ان يجري على
شريعته قلم نسخ ولا يكتب على نسخة رسالته حواشي زيادة كما قيل ابن احد بكي ليس بالمنسوخ الا
في الدفاتر وقيل انه سابق على سائر الانبياء روحا ومادة وجسدا لان مادة جسده خلقت قبل

ل

ن وهم اهل الكساء صح

ين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

سائر المواد لما روى ابن الجوزي في الوفا عن كعب الاحبار انه تعالى لما اراد ان يخلق محمدًا
صلى الله عليه وسلم امر جبريل ان يأتيه بالطينة البيضا فهبط في ملائكة الفردوس وقبض
قبضة من موضع قبره بيضا نيرة فعجنت بماء التسنيم في معين الجنة حتى صارت كالدرة البيضا
لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي والسموات والارض حتى عرفته
الملائكة قبل ان يعرف آدم اي عرفت روحه وعنصره والبينة في هذا الحديث الظاهر ان المراد
بها عدم الطرفين الروح والجسد اي لا روح ولا جسد كما صرح به في رواية لا آدم ولا ما ولا
طين لانك اذا قلت مسكني بين البصرة والكوفة علم انه ليس بهما فاريد به لازم معناه بطريق
الكناية وليس المراد انه قريب منهما كما يقال لون بين البياض والحمرة ومزاج بين الصحة والمرض
كما قيل وليس معنى بين الما والطين انه لم يكن ماء صرفًا لنبو المقام عنه وعدم ملائمته لما قررناه
وقد حققنا هذا المقام بما لم نسبق اليه ولله الحمد **وعن واثلة بن الاسقع** بمثلثة ولام
والاسقع بسين مهملة وقاف وعين مهملة الصحابي الجليل القدر من اهل الصفة اسلم ورسول
الله صلى الله عليه وسلم متوجه لتبوك بخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد مشاهد الشام
وتوفي بدمشق سنة خمس او ست وثمانين وله ثمانون سنة ويكنى ابا محمد وفضائله لا تحصى
نفعنا الله ببركاته ورزقنا زيارته وهذا الحديث رواه مسلم وقد تقدم **قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى ابراهيم** اصطفى ابراهيم اختاره من الانبيا **واصطفى
من ولده** اي من اولاده **اسمعيل** فهو افضل من اسحاق **واصطفى** اي اختار لشرفه **من ولد
اسمعيل بني كنانة** وهم اربعة النضر وعبد مناف ومالك وملكان وكنانة علم منقول من كنانة
السهام وجعبتها قال الشاعر

صاح في العاشقين يا لكنانه • رشا في الجفون منه كنانه

واصطفى من بني كنانة قريشًا وهو النضر بن كنانة وقيل قريش بن فهر بن مالك بن النضر
بن كنانة وقد تقدم سبب تسميته قريشًا **واصطفى من قريش بني هاشم** بن عبد مناف بن قصي
بن كلاب فبنوه مصطفون من قريش **واصطفاني من بني هاشم** ابو عبد المطلب **ومن
حديث انس** بن مالك بن النضر خادم النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له واحاديثه والرواية
عنه كثيرة مشهورة وتوفي سنة ثلاث وتسعين وقد جاوز عمره المائة وهذا الحديث والذي بعده
اخرجه الترمذي **انا اكرم ولد آدم** اي اعزهم واشرفهم والولد يطلق على الواحد المذكر وغيره
على ربي ولا فخر تقدم معناه وفي حديث ابن عباس انا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر قيل
قال في حديث انس من حديث انس في حديث ابن عباس اشارة الى ان الاول بعض حديث طويل وهذا
حديث مستقل وفيه نظر **وعن عائشة** كما رواه الطبراني وابو نعيم والبيهقي في الدلائل
مسندًا **عنه عليه الصلاة والسلام اتاني جبريل** لم يذكر اتاه لاجله لان قوله **فقال
قلت** بتشديد اللام بمعنى فتشت وليس المراد بها قلبها ظهرًا لبطن ولم يذكر فيه انه اوحي اليه
بهذا **مشارق الارض ومغاربها** جمع مشرق وهو الجهة التي تطلع منها الشمس وجمع مغرب
وهو مقابله وجمعهما الكل لان الشمس في كل زمان تشرق تغرب من درجة غيره وكذلك المغرب
واذا افردا فباعتبار الجهة واذا ثنيا فباعتبار المشرق الجنوبي والشمالي ولذا ورد في القرآن
بالوجوه الثلاثة كما بيناه في حواشي البيضاوي واختار الجمع هنا لانه انسب للعموم والمراد انه
فحص عن جميع اهل الارض مشرقًا ومغربًا ونظر احوالهم كمالًا ونقصًا **فلم ار رجلًا افضل من**

محمد

محمد صلى الله عليه وسلم الظاهر ان رأي علمية ونفي الافضلية يدل على نفي المساواة
ايضًا كما بيناه سالفًا **ولم ير ابًا افضل من بني هاشم** الذين هم عشيرته وبنيه فهو خيار من خيار
وعن انس في الحديث الحسن الذي رواه الترمذي وقد تقدم **ان النبي صلى الله عليه وسلم
اتي بالبراق** مبني للمجهول اي اتاه جبريل به ليركبه للاسراء به وقد مر ان البراق بالضم
على شكل دابة فوق الحمار ودون البغل سمي به للمعانه وبريقه او لسرعته كالبرق الخاطف
ليلة اسري به ظرف اتي وهي ليلة سبع عشرة رمضان او سبع عشري رجب قبل الهجرة وبعد
بعثته بخمس سنين او بخمسة عشر شهرًا كما سيأتي **فاستصعب عليه** اي لم ينقد وامتنع لبعد
عهده بركوب الانبيا لطول الفترة او لسبب آخر لقول جبريل له لعلك مسست الصفرا اي الذهب
او صنم اصفر فقال انما مررت عليه فقلت تبا لمن يعبدك من دون الله **فقال له** اي للبراق
جبريل ابمحمد تفعل هذا الاستصعاب وقيل تعلق بالفعل اي بفعله به دون غيره والاستفهام
انكاري بينه بقوله **فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقًا** اي سال عرقه كما مر بيانه
وعن ابن عباس رواه ابن الجوزي في الوفا وابو نعيم في الدلائل قال السيوطي رواه ابن عمر
العدني في مسنده **لما خلق الله آدم اهبطني في صلبه الى الارض** يعني ان الله خلق نوره
وعنصره الذي عجن بالتسنيم وهو الطف شي واودعه في صلب آدم واهبطه فيه كما مر ثم نقله
منه بوسائط **وجعلني في صلب نوح في السفينة** فكان ببركته وباسم الله مجراها ومرسلها
وقذف بي في النار في صلب ابراهيم فكانت بردًا وسلامًا عليه ببركته وفي المكرر هنا
اما لان الاول يتبدل منه او لانه يطلق ويتبدل كما قرره في قوله كلما رزقوا منها من ثمرة رزقًا
يتنزل ذلك منزلة التغاير فلا يرد عليه ان لا يتعلق عامل حرفي جر بمعنى **ولم يزل
ينقلني في الاصلاب الكريمة** الشريفة **الى الارحام الطاهرة** من دنس الزنا ونكاح الجا
وفيه كلام تقدم **حتى اخرجني** الى الدنيا اذ خلقني بين ابوي يعني اباه عبد الله الذبيح
وامه آمنة بنت وهب بن عبد مناف واختلف في زمن موتهما فقيل مات ابوه وامه حاملة
به وقيل في المهد وقيل ابن شهرين وقيل ابن سنة ومات عند اخواله بني النجار وامه وقد بلغ
سنه خمسًا او ستًا او سبعًا او اثني عشر على اختلاف فيه **ولم يلتقيا على سفاح قط** جملة
حالية والمراد بالسفاح نكاح بغير عقد او عقد جاهلي وهذا علمه بالوحي او تعلمه باخبار
الجاهلية لابالالهام كما توهم **والى هذا** المذكور في الحديث بجملته اشار عمه **العباس
بن عبد المطلب بقوله فيه** يمدحه وهذا الشعر رواه الطبراني وصاحب الغيلانيات
وفي الزاهر لابن قتيبة ان العباس اتى اليه وقال يا رسول الله اني امدحك فانشده هذه الابيات
فقال لا يفضض الله فاك ولا يفضي الله فاك وكان ذلك لما رجع من غزوة تبوك

من قبلها طبت في الظلال وفي • مستودع حيث يخصف الورق

اي من قبل هذه النشاة او الدنيا وقيل قبل النبوة او قبل الولادة واعاد الضمير على غير مذكور
لعلمه من السياق والجار متعلق بطبت وقدم لافادة ان طيبه ثابت له قبل ظهوره لا بعده
فقط وطبت اي تطهرت من الادناس البشرية لطيب عنصره والظلال جمع ظل وليس المراد
به المتعارف الذي تنسخه الشمس اذ لا شمس في الجنة ولا قمر وقد ورد في الحديث ظل الجنة
سجسج اي لا حر فيه ولا برد بل المراد الكن والمقر او كما في قولهم انا في ظل فلان اي في حمايته

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومُستودَع بفتح الدال المهملة وضم الميم قال ابن قتيبة هو المحل الذي كان فيه آدم من الجنة كانه وداعة فيه وفيه ايماء الى اخراجه منه الى الارض او اراد به الرحم وكان ابو عبيدة يقول في قوله مُستقر ومُستودع المستقر القلب والمستودع الرحم وخصف الورق الصاق بعضه ببعض ومنه الخصاف وروي حيث يستتر الورق يعني به الجنة والورق ورق الجنة الذي كان يستتر به آدم قبل ان يعلم الحياكة فلما اهبط الى الهند تفتت الورق الذي عليه قيل ومنه حصل العود والعنبر وغيرهما من الطيبات فاوحى الله اليه صنعة النسج واتخاذ الثياب للسترة

ثم هبطت البلاد لا بشر • انت ولا مضغة ولا علق

اي هبطت في صلب آدم من الجنة الى الدنيا وهي المراد بالهبوط والبلاد كما قال الراغب الانحدار قهرًا وهو متعد قال تعالى اهبطوا مصرًا ولا يحتاج لتاويله بالدخول كما قيل والبلاد ان اختصت بالبنيان فهو باعتبار الاول هنا ولما كان هبوطه هبوط هوي قال لا بشر وهي جملة حالية اي في حال كونك غير جسد كاجساد البشر والمضغة قطعة لحم بمقدار لقمة تمضغ غير مخلقة والعلق بفتحتين جمع علقة وهي دم متجمد من المني

بل نطفة تركب السفين وقد • الجم نسرا واهله الغرق

النطفة الماء الصافي والمني في الاصلاب والسفين جمع سفينة وهي المركب والجم وصل الى الفم وعلا محلا يوضع فيه لجام الفرس والنسر طائر معروف سمي به صنم كان يعبده قوم نوح وهو المراد هنا واهله قوم نوح والمراد بالغرق الماء المغرق او هو على ظاهره والجم بمعنى ادرك الانسان اذا عم المانعه والسفين المراد سفينة نوح فان كان مفردا فهو ظاهر والا فهو جمع اريد به واحد تجوزا فلا اشكال فيه هـ

تنقل من صالب الى رحم • اذا مضى عالم بدا طبق

الصالب والصالب والصلب بفتحتين وبضمتين وضم فسكون وفتحتين ففيه لغات اقلها صالب كما قاله ابن قتيبة وهو فقار الظهر والرحم مقر الولد من المراة والعالم المراد به هنا قرن من القرون وبدا بمعنى ظهر ووجد وطبق بمعنى قرن ايضا لانه يطبق وجه الارض اي لا تزال تنظهر في عالم بعد عالم وروي هنا بيت هو

وردت نار الخليل مكتتما • تجول فيها ولست تحترق

ومعنى مكتتما محفوظا في كنف ابيك او يحيط بك نارها ولست تحترق وروي مكتتما اي مستترا

حتى احتوى بيتك المهيمن من • خندف علياء تحتها النطق

احتوى بالحاء المهملة افتعال من حوى بمعنى حاز والبيت بمعنى الشرف والنسب كما مر والمهيمن بمعنى الشاهد على فضلك او الامين وخندف بكسر الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة وبنون وفاء اسم امراة الياس بن مضر وهو من الخندفة وهي المشي السريع والعلياء العز والشرف وتحتها روي دونها والمعنى واحد والنطق بضمتين جمع نطاق وهو ما يشد في الوسط كالمنطقة استعارته العرب لجبال واسعة فوق بعض وبيتك فاعل احتوى وهو تمثيل لشرفه اي ان شرفك وعلو نسبك واصلك من خندف اشتمل على عليا دونها الجبال الشامخة وقال ابن قتيبة في هذا البيت اقوال احدها انه اعلا قومه وهم دونه كالنطاق له والثاني انه يريد العفاف من نطاق المراة الذي تحتها اي تحتها العفاف والحسب والثالث

اذ النطق

اذ النطق المتكلمون جمع ناطق اي كل خطيب في العرب فهو دونه فلسان قومك من قوله بل هم قوم خصمون انتهى وروى في هذا الشعر زيادة ذكرها الغساني وهي

وانت لما ولدت اشرقت الا • رض وضاءت بنورك الافق

فنحن في ذلك الضياء وفي النو • ر وسبل الرشاد نخترق

يا برد نار الخليل يا سببا • لعصمة النار وهي تحترق

ومعنى نخترق بالخاء المعجمة نقطعها ونجاوزها وضاء يكون لازما ومتعديا والافق الناحية وانثه هنا لتاويله بها قال العارف بالله ابن عربي ذهب بعضهم الى ان عالم الاجسام من وقت خلقه لم يزل في سفر الحيا لا نهاية له فاذا لاح له منزل يقول هذا هو الغاية القصوى فاذا وصلت اليه لم يلبث ان يخرج منه راحلا فكم سافرت في اطوارك الى ان تكونت بين ابيك وامك اذا اجتمعا من اجلك ثم انتقلت الى نطفة ومن علقة الى مضغة الى عظم كسي لحما ثم انشيت نشاة اخرى واخرجت الى الدنيا فتنقلت في اطوارك من الطفولية والصبا والشباب الى الكهولة والشيخوخة الى الهرم ومنه الى البرزخ ثم الى الحشر ثم الى دار القرار انتهى من كتاب الاسفار له **وروي عنه صلى الله عليه وسلم** وهذا الحديث مشهور رواه ابو ذر واخرجه احمد والبزار والبيهقي وابن عمر واخرجه الطبراني وابو نعيم في الدلايل وابن عباس واحمد والبزار وابن ابي شيبة والبيهقي وابي هريرة واخرجه الشيخان وجابر وابن عبد الله اخرجه الشيخان ايضا فاخرجوه عن جماعة من الصحابة بين رواياتهم مغايرة في بعض الالفاظ وقد ساقها كلها وذكر رواية كل واحد منهم على حدة الشيخ قاسم ابن قطلوبغا في تخريجه لاحاديث هذا الكتاب كما رايته بخطه ولولا خوف الاطالة اوردت كلامه على حدة والى هذا اشار المصنف بقوله **ابوذر وابن عباس وابو هريرة وجابر بن عبد الله** بن عمرو بن حزام الانصاري روى كل واحد منهم عنه صلى الله عليه وسلم **انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها** اي في بعض طرق هذا الحديث المعلومة من تعدد رواتها ورواياتها **ستا** اي ست خصال وخصايص ولذا حذف التاء مع انه غير لازم اذ المميز كالمعدود **لم يعطهن نبي قبلي** ولا رسول لان نفي الاعم يستلزم نفي الاخص ولا تنافي بين الروايتين اذ قلنا ان مفهوم العدد غير معتبر وان قلنا به فنقول انه اطلع اولا على بعض خصايصه فاخبر ثم اطلع على باقيه فاخبر به ثانيا وروى احد قبلي اي لم يعط واحد منهن واحد ثم **نصرت بالرعب مسيرة شهر** اي نصرني الله على اعداء الدين الكفرة فالرعب بضم الراء المهملة وهو شدة الخوف الذي القاه في قلوبهم فاذا سمع بي من بيني وبينه مسيرة شهر ارتعد وخاف من غزوي له وانما خص مسافة شهر وان خافه من هو ابعد منه قيل لانه لم يكن بينه وبين من اظهر له العداوة له اكثر من ذلك وقد قال ذلك في غزوة تبوك آخر غزواته والبعدها كما ذكر بان لما وقع له حال تكلمه فلا ينافي الزيادة وهذا من خصايصه حتى لو سار وحده بغير عسكر ارتعد اعداؤه وقد وقع هذا لبعض خلفائه ومن ابقى من امراء الاسلام فهذه الخاصة بالنسبة لمن قبله من الامم وعليه يحمل رواية لم يعطهن احد او نقول ان ذلك لا يتيسر لغيره اذ فعل اتباعه كفعله **وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل** قال العلامة الزركشي في كتاب احكام المساجد قال القاضي عياض هذه من خصايص هذه الامة لان من قبلنا كانوا لا يصلون الا في موضع يتيقنون طهارته ونحن خصصنا بجواز الصلاة في جميع

الامم

ارتعب

الارض الا ما تيقنا نجاسته وقال القرطبي هذا مما خص الله نبيه وكانت الانبيا قبله انما
ابيحت لهم الصلاة في مواضع مخصوصة كالبيع والكنايس وقال المهلب في شرح البخاري
المخصوص به جعل الارض طهورا واما كونها مسجدا فلم يات في اثر انها منعت من غيره وقد كان عيسى
عليه السلام يسيح في الارض ويصلي حيث ادركته الصلاة فكانه قال جعلت لي الارض مسجدا وطهورا
وجعلت لغيري مسجدا ولم تجعل طهورا انتهى اقول حاصله انه لو كان كل منهما مخصوصا به وبامته
لزمه اشكال وهو ان الانبيا السالفة وامهم كانت لهم صلاة مفروضة وكانوا يسافرون فلو لم تجز
لهم الصلاة الا في مساجدهم لزمهم اما ترك الصلاة او عدم صحتها وهو مخالف للظاهر فاجابوا
عنه بالوجوه المذكورة وهو ان الخاص بهذه مجموع الامرين لا كل واحد منهما او جعل جميع الارض
مسجدا حتى تتيقن نجاستها وهي لم تحل لهم الصلاة الا فيما تيقن طهارته وعلى هذا قوله ثم واحلوا
بيوتكم قبلة في بعض التفاسير فقوله فايما رجل الح معناه على ظاهره او لم تيقن نجاسته ولك ان
تقول انه مخصوص بغير حال السفر والضرورة لان الضرورات تبيح المحظورات كقصر الصلاة
ويويده جعله قرين التيمم المخصوص بالضرورة وهذا اقرب ثم ان طهارة التيمم حكمية لا حقيقية
كما بينه الفقها وفي قوله الارض دون التراب نص لمن جوز التيمم بجميع اجزا الارض ولم يخصه
بالتراب وهو المناسب بالمقام وان خصه الشافعي بالتراب لرواية وتربتها طهورا والمطلق يحمل
على المقيد وتخصيص الرجل عن مراد لدخول النسا في هذا الحكم ايضا وانما خصوا بالذكر لانهم الاصل
وتعلم النساء بالطريق الاولى ومعنى ادركته الصلاة ادركه وقتها اذا دخل لا ينافيه ايضا
النهي عن الصلاة في بعض الاماكن لثبوت المنع فيه بدليل آخر والمراد بالارض جميعها لا امكنة وما
حولها ولامارة انه مسجد او محل الصلاة وقوله فايما الح احترز لدفع توهم انه مخصوص به وحده
واحلت لي الغنايم ولم تحل لنبي قبلي تحل بفتح المثناة الفوقية وكسر الحا المهملة وروي بضم التا
وفتح الحا وكان من قبله من الانبيا منهم من لم يوذن له في الجهاد فلم تكن له مغانم ومنهم من اذن له
فيه ولم يوذن له في الاكل منها فكانت الغنايم تجمع في محل فتاتي النار من السما فتحرق ما يتسلمه
وكانت في صدر الاسلام تحل له فقط ثم امر بنوع ذلك بتخميسها كما بينه الفقها والغنايم جمع غنيمة
ما يوخذ من الكفار بقتال ونحوه والفي مما حصل منهم بدون ذلك **وبعثت** بالبنا للمجهول بمعنى
ارسلت وطوى ذكر الفاعل للعلم به اي ارسلني الله **الى الناس كافة** المراد بالناس جميعهم او ما يشمل
الانس والجن كما مر وروي الى الخلق كافة وكافة حال بمعنى جميعا وفي ارساله للملايكة كلام سياتي
وعموم البعثة مخصوص به بالاحاديث الصحيحة ولا يرد عليه ان نوحا كان مبعوثا لاهل الارض
بعد الطوفان لانه لم يبق الا من كان مومنا معه وقد كان مرسلا اليهم لان هذا العموم لم يكن في اصل
بعثته وانما اتفق لحادث اقتضى انحصار الخلق في الموجودين على ان ارساله انما كان لقومه ولم يدل
على عموم رسالته واما دعاوه على جميع اهل الارض اهلاكهم فلا يدل على ذلك لجواز ان يرسل غيره في
مدته ولم يومنوا به فلذا دعا عليهم قال ابن حجر هذا جواب حسن الا انه لم ينقل انه نبي في زمنه غيره
ويحتمل ان خصوصيته ببقاء شريعته الى يوم القيمة بحيث لا ينسخها غيرها ويحتمل انه دعا الناس
للتوحيد فاشركوا واستحقوا العقاب والدعوة للتوحيد يجوز ان تعم وان كانت فروع شريعته
غير عامة كما قاله ابن دقيق العيد واشار اليه ابن عطية في سورة هود وانه لم يكن في عهده غير قومه
واولاده كادم فلا يرد نقضا على هذه الخصوصية مما ذكر **واعطيت الشفاعة** اللام اما للعهد
فالمراد الشفاعة العظمى في فصل القضا لاهل الموقف اجمعين بعد مراجعة سائر الانبيا واظهارهم

النحر

٢٩٦

النحر فياتونه فيشفع وتقبل شفاعته وهو المقام المحمود او هي للاستغراق كانت الرجل
اي الشفاعة الكاملة وله شفاعات كثيرة يشاركه في بعضها بعض الانبيا كشفاعته في قوم يدخلون
الجنة بغير حساب وهذه مخصوصة وشفاعته في قوم استحقوا دخول النار فلا يدخلونها وفي
بعض اهل النار فيخرجون منها وفي تخفيف عذاب بعض اهل النار كابي طالب وشفاعته لمن بالمدينة
ومن صبر على لاوايها وشفاعته لمن صلى عليه بعد الاذان وغير ذلك مما ورد في الاحاديث الصحيحة
وفي رواية بدل هذه الكلمة اراد بالكلمة قوله اعطيت الشفاعة وسماها كلمة لانها كلمة لغوية
وهي تطلق على الجمل وفي نسخة الكلمات **وقيل لي سل تعطه** اي قال الله لي حذف الفاعل للعلم
به وقيل له ذلك لما انحصرت الشفاعة فيه ولم يلتزمها احد من الرسل فقال انا لها وخر تحت العرش
ساجدا فقال له الله ارفع راسك يا محمد وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع وفيه كمال الادب اذ
لم يسال حتى اذن له في السوال وامر به وهذا في القيمة ويحتمل انه اشارة له في الاسرا كما ياتي
في حديث ابن وهب واصل سل اسال خفف بنقل حركة الهمزة واسقاطها واسقاط همزة الوصل وفي
حذف المفعول عموم كرم اي سل كل ما تريد تعطه اكثر مما تسال وتعط مجزوم في جواب الامر والها للسكت
او ضمير عايد على مقدر **وفي رواية اخرى وعرض** بالبنا للمجهول **على امتي فلم يخف علي التابع**
من المتبوع اي الشريف والوضيع ويحتمل ان الله عرض عليه بالوحي تفصيل احوالهم وذواتهم وصفاتهم
وساير تصرفاتهم في زمنهم اوانه ابرزهم له حقيقة فوجا فوجا متلبسين باعمالهم على وجه لا ينقف
على حقيقته وذكر العراقي في شرح المهذب انه صلى الله عليه وسلم عرضت عليه الخلايق من لدن
ادم الى قيام الساعة فعرفهم كلهم كما علم ادم الاسما وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله
قد رفع لي الدنيا فانا انظر اليها والى ما هو كاين فيها الى يوم القيمة كانما انظر الى كفي هذه وحديث
حذيفة الطويل المذكور فيه الفتن وما يكون حديث مطول ذكره العراقي قال فيه ما ترك شيا
الا سماه باسمه واسم ابيه وقبيلته الى يوم القيمة ومنه اخذ الجفر والجامعة الذي رواه جعفر
الصادق عن علي رضي الله عنه وان توقف بعضهم في صحته كما ذكره ابن خلدون في اول تاريخه **وفي**
رواية بعثت الى الاحمر والاسود اي الى جميع الناس او جميع الخلق كما يكنى عن مثله بالعرب
والعجم اي الى كل فرد فرد والمقصود عموم رسالته للجن والانس وفيه رد على من زعم من اهل الكتاب
ان بعثته مخصوصة بالعرب كالعيسوية لانه يعود بالنقض عليهم اذ يقال لهم اذا اعترفتم بنبوته
وجب تصديقه فيما قاله وقد صح عنه انه قال بعموم رسالته واشار المصنف الى معناه بقوله
السود جمع اسود العرب وهذا مذكور في الحديث معنى لان تعريف الاسود ليس للعهد بل للاستغراق
فهي بمعنى السود وبين علته فقال **لان الغالب على الوانهم** اي العرب **الادمة** بضم الهمزة
وسكون الدال المهملة وهي في الادميين السمرة وفي الظلف بياض يشوبه سمرة **فهم السود**
اي فهم المقصود دون من قوله الاسود الذي بمعنى السود كما عرفته **والحمر** جمع احمر وعبر عن
الاحمر بالحمر لما في الحمرا اي المراد بهم في الحديث العجم والمراد بهم من عدا العرب وقد يخص باهل
فارس ولم يعتد لقلته اي لقلة كون الحمرة عليهم فاعتبر الغالب لان النادر لا حكم له لان القلة
اخت العدم ولذا لم يعتبر عنده **وقيل البيض** جمع ابيض يعني قيل المراد بالحمر البيض اي بالاحمر
الابيض لان العرب تقول امراة حمرا بمعنى بيضا وقال ثعلب العرب لا تقول ابيض من بياض اللون
فاذا ارادوه قالوا احمر والابيض عندهم بمعنى النقي من العيوب قال ابن الاثير وفيه نظر فانهم قد
استعملوا الابيض في الوان الناس وغيرهم وهو اعتراض وارد وما قيل من ان مراده انه لا يستعمل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في محل اللبس كما هنا فانه لو قال بعثت الى الابيض لتوهم انه اريد به السالم من العيوب لايجدي نفعا وكيف يراد المجاز من غير قرينة وقيل الحمر الانس والسود الجن وهذا مبني على انما في مخيلتهم من انهم سود وفي الحديث الاخر الذي رواه البخاري ومسلم واورده لما فيه من الزيادة على قوله نصرت بالرعب قوله واوتيت جوامع الكلم اسم جنس جمعي للكلمة لا جمع ولا اسم جمع على الاصح وهو من اضافة الصفة للموصوف وفسرت بالقرآن لما جمعه من المعاني في الفاظه الموجزة وقيل المراد به كلماته الموجزة المتضمنة للحكم والمنافع في نسخة وخواتمه فقيل هي بمعنى الجوامع وقيل التي ختم بها الكلام فلا ياتي بعدها ما يقرب منها لعدم الحاجة له وبينا انا نائم اصله بين فاشبعت فتحتها حتى صارت الفا وهو ظرف زمان كبينما المتصلة بما المزيدة ويجي بعدها اذ كقوله اذ جي بالبنا للمجهول اي جاءني ملك ارسله الله واذ للمفاجاة وهو جواب لها ولقلته بعدها كقوله

استقدر الله خيرا وارضين به • فبينما العسر اذ دارت مياسير •

وقد يخلو عنها لقولك بين انا جالس دخل علي عمرو وهي مضافة لجملة انا نائم وقيل مضاف لمحذوف تقديره بين اوقات النوم موجود كما فصله اهل العربية بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي بتشديد اليا يعني مضافا وبالتخفيف مفرد مفاتيح جمع مفتاح وهو آلة تفتح بها الاقفال معروفة والخزائن جمع خزينة او خزانة وهو ما يحرز فيه المال والامور النفيسة لتحفظها والمراد ما في الارض من الكنوز والاموال فاما ان يكون رأى في رؤيا نومه تملك الرؤيا وضع في يده مفاتيح حقيقة وقال له هذه مفاتيح خزائن الارض ارسلها الله اليك ورؤيا الانبيا وحي يقع بعينها تارة ويعبر بما يحكيه اخرى وهذا تعبير بان امته تملك الارض وتحوز اموالها وفي المواهب اللدنية انها خزائن اجناس العالم بقدر ما يطلبون فان الاسم الالهي لا يعطيه الا محمد الذي بيده مفاتيح الغيب التي لا يعلمها الا هو فالمراد ان الله خصه بتمكين امته من الارض ويحتمل ان الملك اخبره وناوله ذلك فيكون استعارة لما مر والقول بان المراد العناصر وما يتولد منها وانه لم يقبلها لذلك تعسف وكونه لم يقبله باباه عزه خاصته له بل قبله فان عطا الكريم لا يليق رده ولكنه ادخره لامته وفي رواية لمسلم عنه اي عن ابي هريرة وختم بي النبيين اي جعلني خاتمهم وآخرهم حتى لا يبعث نبيا بعده نبيا غيره فلا يرد عيسى ومجيئه آخر الزمان لانه يجي على انه من امته ايضا واما الخضر فعلى تقدير نبوته قبله فلم ينبأ بعده وفي هذا الختم تكريم له حيث لا ينسخ شريعته ولا يبطل حكمه امته في التوراة واشارة الى ان دينه كامل جامع لجميع الكمالات لا يحتاج الى ملة اخرى تتممه وما روي من قوله لا نبوة بعدي الا ما شا الله الاستثنا لا يقتضي وقوع مشيئته على فرض صحته والمنفي النبوة لا النبي فيحتمل ان الذي تحت المشيئة الرؤيا الصالحة لانها جزء من اجزاء النبوة وعن عقبة بن عامر وهو ابو اسد او ابو حماد او ابو عمرو الجهني الصحابي الفصيح السن الجليل توفي في مصر سنة ثمان وخمسين وهذا الحديث رواه الشيخان وابو داود والنسائي قال عقبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض الفرط بفتحتين والفارط الذي يتقدم القوم ليهيئ لهم في منازل اسفارهم الما والكلا ونحوه مما يحتاجون له ويقال رجل فرط وقوم فرط ايضا وفي الدعا للطفل الميت اللهم اجعله فرطا اي آجرا يتقدمنا حتى نرد عليه والحوض هو حوضه صلى الله عليه وسلم الذي يسقي منه عطاش امته يوم القيمة وعلى متعلقة بفرط او حال من المضمر فيه لانه صفة مشبهة وهل الحوض الكوثر او غيره اختلف فيه وعليه آنية كالنجوم وفي الحديث بلاغة بديعة اذ المراد ان موته قبلهم فيه مصيبة عظيمة هي سبب لدخولهم الجنة واجر عظيم فشبههم

بقوم مسافرين وشبه نفسه بمن تقدمهم لنفعهم والفرط من يسبق للما فذكر الحوض فيه مناسبة عظيمة وان متاع الدنيا قليل فهم على اثره وارد ون حوضها جمعنا الله به وسقانا من يده شربة لا نظما بعدها وانا شهيد عليكم شهيد بمعنى شاهد قال تعالى ويكون الرسول شهيدا عليكم اي يوم القيمة فان الله يسال اهل بلغتم فيقولون نعم فيقول لاممهم هل بلغوكم فيقولون ما اتانا من نذير فيقول للرسل من يشهد لكم فيقولون امة محمد فيشهدون بتبليغهم وهذا هو قوله شهدا على الناس ويشهد لهم صلى الله عليه وسلم بصدقهم وتزكيتهم وهذه شهادة لكنه عداها بعلى حثا على الطاعة لانه رقيب عليهم ومهيمن واني والله لانظر الى حوضي الآن اي اشاهده الآن لان الجنة والنار موجودتان الآن وتاكيده بان والقسم يقتضي انه رؤية بصرية حقيقية لانكشاف الغطا عن بصره الحائل عن رؤيته وليس بطريق الكشف ونحوه وفي هذا بيان لما مر لانه لما قال انه فرط على الحوض حقق ذلك بانه مشاهد له لا شبهة فيه والآن مبني على الفتح ولا يستعمل الا بالالف واللام واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض تقدم قريبا بيانه واني والله ما اخاف عليكم الصحابة او معاشر الامة ان تشركوا بعدي اي من ان تكفروا بعد موتي فمن مقدرة لانها تحذف هنا وجا مجردا لان من ذاق حلاوة الايمان لا يرجع عنها ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها اي في الدنيا اي اخاف من رغبتكم في نفائس الدنيا وانهماككم في تحصيلها حتى يؤديكم ذلك الى الهلاك وارتكاب ما يلهيكم عن الله وهذا تنبيه لهم على ان لا تلهيهم الخزائن عن المعاد وعن عبد الله بن عمرو كما رواه عنه احمد بسند حسن انا محمد النبي الامي هو الذي لا يقرا ولا يكتب نسب لامه كانه على حالة يوم ولدته امه او الى ام القرى لان الكتابة كانت عزيزة في اهلها او الى امة العرب وهذه الصفة في حقه من اجل النعم عليه واعظمها اذ اعطاه علم الاولين والآخرين وحفظه هذا الكتاب الذي لا يماثله كتاب وهو لا يقرا ولا يكتب ولم يدارس ولم يتلمذ في اجل الدهر لذلك • تنبيه كون النبي اميا من معجزاته الشريفة الباهرة كما اشار اليه الابوصيري • كفاك بالعلم في الامي معجزة •

وهذا كان في اول امره الا ان بعضهم ذهب الى انه بعد ذلك قرا وكتب من غير تعلم وهو معجزة اخرى الا ان الجمهور على خلافه كما ذكره الحافظ ابن حجر في تخريج احاديث الرافعي وقال ابن عربي في سراج المريدين رحل ابو الوليد الباجي وابعد رحلته فلما عاد اقرا البخاري وقال في درسه انه صلى الله عليه وسلم في الحديبية محا الكتاب وكتب بيده الا ترى انه قال فاخذ رسول الله الكتاب وليس يحسن الكتابة فكتب هذا ما قضى الى آخره فاشتد زجل معترض وصاح في المسجد انه زنديق الا ان الامير كان منتبها فزجرهما الفقها وسالهم فشغلوا وقالوا انه كفر فاستظهر الباجي بالحجة وقال ان هؤلا جهلة فاكتبا الى علما الآفاق فكتب الى علما افريقية وصقلية فجاءت الاجوبة بتصديق الباجي الى آخر ما فصله ورايت في بعض الكتب ان مما يدل على ذلك قال لكاتبه طول السين وقوله تعالى ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فقوله من قبله يدل على انه بعد ذلك كان يكتب نادرا فاعرفه لا نبي بعدي تقدم بيانه اوتيت جوامع الكلم وخواتمه تقدم معناه ولفظه ولعلما كرره هنا ليتبين انه مع كونه اميا اوتي ما لم يوته احد ممن فني عمره في القراءة والكتابة وعلمت خزنة النار جمع خازن ككتبة وكاتب وهم الملائكة الموكلون بها وحملة العرش جمع وهم الملائكة يعني انه علم ما لم يعلمه غيره بمشاهدته لهم الا ترى لما ورد في الاحاديث من وصفه لهم وبيانه هيئتهم بما كان له راي عين وحملة العرش اليوم اربعة ويوم القيمة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ثمانية كما نطق به القرآن العظيم وعن ابي هريرة كما رواه احمد بسند حسن بعثت بين يدي
الساعة اي القيمة سميت ساعة لانها قريبة عند الله قليلة تشبيها لها بالساعة التي هي جزء
من اجزاء الزمان وقال الراغب لسرعة الحساب فيها كما قال وهو اسرع الحاسبين او لما نبه عليه
بقوله كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة وقيل الساعات التي هي القيمة ثلاث
ساعات الكبرى وهي بعث الناس للحساب والوسطى وهي موت اهل القرن الواحد والصغرى
وهي موت كل انسان وقد وردت الساعة بهذه المعاني في الحديث والمراد هنا الاولى والمراد
بكونه بين يديها اي قريب منها ففيه استعارة مكنية وفي الحديث بعثت انا والساعة كهاتين
يشير بالوسطى والسبابة وفيه اشارة الى بقاء دينه ولعدم نسخه ولاجل هذا ذكره المصنف ومن
رواية ابن وهب من تبعيضية التي بها اشارة الى انه بعض من حديث الاسرا الطويل الذي رواه
البيهقي في الدلائل وغيره عن ابي هريرة وابن وهب هو عبد الله ابو محمد بن وهب بن مسلم القرشي
المصري احد الاعلام في الحديث وغيره روى عن مالك والليث وخلق كثير وروى عنه خلق
كثير وكان افقه من ابن القاسم وطلب للقضا فتجنن وانقطع الى ان مات سنة سبع وتسعين ومائة
والجار والمجرور خبر مقدم لقوله انه اي النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى له
صلى الله عليه وسلم حين كلمه بغير واسطة في الاسرا كما يدل عليه سياق الحديث سل يا محمد
حذف احد مفعوليه للتعميم اي كل ما تريد والاخر للعلم به فانه المسؤول ولدلالة قوله فقلت
ما اسال يا رب عليه ورب بكسر الباء وضمها ولم يقل اسالك تادبا يعني ان جميع الكمالات
استوعبتها الانبيا قبله فلم يبق ما يختص به حتى يساله ثم فصل بعض ما اجمله فقال اتخذت
ابراهيم خليلا اي اصطفيته وخصصته بالخلة وكرامتها وسياتي تحقيقها واتخذت موسى
كليما اي اصطفيته وفضلته بان كلمته بنفسك بكلامك القديم قبلي فلا يرد انه كلمه ايضا
واصطفيت نوحا اي فضلته على غيره بان جعلته اول رسول اهلك من عصاه كما قال الله
ثم ان الله اصطفى آدم ونوحا ابو البشر واول الرسل واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد
من بعده اي لا يتيسر لغيره من الرسل الملوك كتسخير الجن والانس والريح وملك الدنيا كلها بعظمة
البتة اباها من عظمتك فقال الله تعالى له صلى الله عليه وسلم ما اعطيتك خير من ذلك
كله وهو مبتدا وخبر بينه بقوله اعطيتك الكوثر فوعل من الكثرة وذكر البيضاوي فيه
سبعة اقوال اشهرها انه نهر في الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل في وسط الجنة
حصباؤه الدر والياقوت وقيل هو القران وقيل النبوة وقيل غير ذلك وجعلت اسمك مع
اسمي اي مقرونا باسمي في التشهد والاذان وكلمة الشهادة وغير ذلك ولذا قال ينادي
به في جوف السما اي تنادي الملائكة به الله وتصلي عليه لامر الله لهم بذلك او لما راوا من
منزلته وقربه من ربه وكتابته على ساق العرش وتعبير السما هنا بالامكنة العالية كمنارة
الاذان كما قيل لا وجه له وجعلت الارض طهورا لك ولامتك لان الله شرفها بك اذ كانت
طاهرة مطهرة وهذا من خواص هذه الامة تسهيلا لها وما احسن قول ابن الرشيق القيرواني

سالت الارض لم كانت مصلى • ولم كانت طهورا وطيبا
فقالت غير ناطقة لاني • حويت لكل انسان حبيبا

وقد تقدم هذا الحديث وشرحه وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر اي لو صدر
كان مغفورا فلا ينافي هذا عصمته او المراد بالذنب التقصير وان لم يكن صغيرة ولا كبيرة

واعلامه

واعلامه بمغفرة كل متقدم ومتاخر تشريفا وتطمينا لقلبه وقد قال العز بن عبد السلام ان
هذا من خصائصه ولم يعلمه الله لغيره من الانبيا ولذا قالوا في الموقف نفسي نفسي والى
هذا اشار بقوله فانت تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك فليس
المراد باحد غير الانبيا كما قيل وجعلت قلوب امتك مصاحفها اي مننت عليك بان
جعلت في امتك حفظا لم يكن في غيرهم من الامم السالفة حتى ان من كان يحفظ التورية وغيرها
من الكتب الالهية افراد معدودون في كل عصر وحفظة القرآن والحديث من هذه الامة لا
يحصون في كل عصر والمصحف ما كان جامعا للصحف المكتوبة وجمعه مصاحف ثم خص
بالصحف المكتوب فيها القرآن وقد قيل انه لفظ حدث في الاسلام وكونه معربا من اللغة الحبشية
لا اصل له وهذا تشبيه بليغ اي جعل قلوبهم كالمصاحف التي تحفظ القرآن وقيل انه استعارة
تصريحية وله وجه وفي رواية صدور بدل قلوب وهذا بنا على ان محل الحفظ والادراك
القلوب والاضافة للصدور لانها محلها والحكما يقولون ان محل الحفظ الخيال الذي هو خزانة
الحس المشترك في الدماغ واهل الشرع والمتكلمون من اهل الاسلام لم يثبتوا الحواس الباطنة
مع ان كلام الحكما مضطرب فيها وفي محالها كما ذكره الجلال الدواني في شرح هياكل النور وليس
هذا محل تفصيلها وخبات بخاء معجمة مفتوحة موحدة وهمزة اي اخفيتها واخرتها الى يوم القيمة
شفاعتك المراد بها الشفاعة العظمى في فصل القضا ونحوها من الشفاعات الخاصة به
ونحوه كما تقدم ولم اخباها لنبي غيرك وفي نسخة قبلك وان كان لهم شفاعات غير هذه
وفي حديث آخر رواه حذيفة بن اليمان العبسي الصحابي صاحب سر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بشرني يعني ربه ولم يذكر الفاعل في اصل روايته هذا الحديث للعلم به كما في قوله حتى
توارت بالحجاب اول من يدخل الجنة مبتدا وجملة يدخل صلته ومعي ظرف متعلق به ومن
امتي حال من عائد من المستتر تحت يدخل سبعون الفا خبره ليس عليهم حساب صفة
سبعون او حال منه اي لا يحاسبون ولا يناقشون بل يؤمر بادخالهم الجنة تكريما لهم مع كل
الف سبعون الفا جعلهم معهم لانهم اتباعهم ومن زادهم وليس الجملة صفة للالف الثانية
فيعلم منه عدم محاسبة الاولى بالطريق الاولى وفي البخاري انه دخل بيته فخاض الصحابة
في هؤلاء فقيل العلماء الذين صحبوه وقيل العلماء الذين ولدوا في الاسلام ولم يشركوا الى غير
ذلك فخرج وسالهم عما خاضوا فيه فاخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون وعلى
ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم ثم قام آخر
فقال سبقك بها عكاشة وفي الحديث ايضا وعدني ربي ان يدخل الجنة من امتي سبعين الفا
مع كل الف سبعون الفا لا حساب عليهم ولا عذاب وثلاث حثيات من حثيات ربي رواه
ابن ابي شيبة والطبراني وقد حسب ما في الحديث فبلغ اربعماية الف الف وسبعماية الف
وفي هذا الحديث كلام ذكره ابن القيم في حادي الارواح واعطاني ان لا تجوع امتي
اي لا تبتلى بالجدب والقحط حتى يهلكوا عن آخرهم ويستاصلوا جميعهم فلا ينافيه ما وقع في
بعض الازمنة في بعض الاقطار بخصوصها اذ لم يعم ولم يستمر ولا تغلب بضم المثناة الفوقية
اي الامة جميعها او تستمر مغلوبيتها او هذا مشروط بطاعته فاذا بدلوا وغيروا اخرجوا
عن اضافة التشريف بقوله وقد شاهدناه في بعض السنين والله الاشارة بقوله ان تنصروا
الله ينصركم واعطاني النصر اي على من يعاديني ولو مع قلة العدد في بدء الامر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وَالعزة اي الغلبة والقوة عليهم والرعب بسعي بين يدي امتي شهرا اي قبل شهرا
مفعول مطلق لا ظرف اي العدو الذي بينه وبينهم مسافة شهر يخافهم خوفا شديدا وهذا
من خواصه وخواص امته وخص هذه المسافة لانها ابعد مسافة اعدائه الموجودة في زمانه
وبهذا يعلم ان قوله في المواهب في حديث نصرت بالرعب وكون هذا له ولامته غفلة عن
هذا الحديث وفي قوله يسعي تشبيه للرعب بمقاتلة يتقدم وفيه مبالغة بليغة كما قلت في
قصيدة هي

ولم يهزم عداه جيوش جند • وجيش الرعب قد هزم القلوبا •
ولو شتوا الفرا الهام منهم • وارواح وما عرفوا الحروبا •

وطيب بالتشديد والبنا للمجهول اي احل لقوله تعالى احل لكم الطيبات لي ولامتي الغنائم
هي شاملة هنا وقد شرحه واحل لنا كثيرا مما شدد اي شدد الله على من قبلنا من الامم السالفة
كقطع الاعضا والتوبة بقتل النفس وقرض محل النجاسة ووجوب القصاص في العمد والخطا
الى غير ذلك مما ذكروه وتفنن في العبارة ولم يراع التقابل ولو راعاها قال سهل علينا ما شدد
مع انه لو عبر به توهم انه رخصة وليس كذلك على انه قد يقال لعل فيه طباق او ايهامه لحل الذي
هو ضد الشد ولم يجعل علينا في الدين من حرج اي شدة وضيق وقال علينا لانه له ولامته
فوسع لهم بالرخص كترك القتال لمن له عذر واكل الميتة للمضطر وقصر الصلاة والتيمم
وعن ابي هريرة في حديث صحيح رواه الشيخان عنه صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبيا
زاد من وبينه بقوله من الانبيا للتعميم الا وقد اعطي من الايات ما مثله آمن عليه البشر
اي كل نبي جعل الله له معجزة اظهرها على يديه اطاعه الناس كعصا موسى واحياء الموتى
لعيسى الى غير ذلك مما هو مشهور ماثور وهذا مناسب لزمانه الا ان تلك الايات انقطعت بانقطاع عصره
ومضت بمضيه بخلاف اعظم معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم فانها باقية غير منقطعة غضة
طرية في كل عصر تتلى وتشاهد بركاتها ويستخرج من جواهر معانيها ما لا يفنى وهي القرآن
كما اشار اليه بقوله وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحي الي وما نافية ومن صلة لتاكيد
النفي ونبي مبتدا وسوغ الابتداء به وقوعه بعد النفي ومن الثانية تبعيضية او بيانية
والجار والمجرور صفة نبي وقوله الا وقد اعطي خبر والواو من بدر فيه لتاكيد الاتصال
والمنسوق والضمير المستتر في اعطي مفعوله الاول وما الموصولة او الموصوفة مفعول
ثان ومثله مبتدا ايضا والجملة بعده خبر له او من مضمن معنى غلب ولذا عداه بعلى وهي بمعنى
الباء والضمير المجرور بعلى عائد على ما والجار والمجرور متعلق بآمن او حال منه اي مغلوبا
عليه والمراد بالايات المعجزات ومفعولا اوتيت محذوف اي اوتيته والحصر في انما
ادعائي او باعتبار الاعظم او المعظم ووحيا بمعنى كلام موحى به او هو قصر افرادي اي
اوتيته انا لا غيري من الانبيا فليس حصرا حقيقيا بمعنى انه لم يعط غيره اذ المعنى انه ما من
معجزة اعطيت لنبي الا اعطيها او زاد عليها بما هو مخلد في صحائف الدهر يعرف في كل زمان
ولذا رتب عليه قوله فارجو ان اكون اكثرهم اي الانبيا تابعا يوم القيمة وذلك
لان هذه المعجزة لما كانت باقية الى يوم القيمة وهي باهرة ظاهرة يؤمن بها كل من وقف
عليها من الناس لزم كثرة من آمن به واتبعه على من آمن بغيره من الرسل وصدق بمعجزته
المخصوصة بعصره فاذا مات انقطع التحدي بمعجزته وغابت عن الادراك وصارت خبرا
كغيره من الاخبار اذ لم يات احد منهم بمعجزة يدرك بعده اعجازها فاما التوراة وسائر الكتب

السماوية

السماوية فلبثت بمعجز نظمها ولذا وقع فيها التحريف والتبديل وترجمت بلغات
مختلفة وسياتي الكلام على الاعجاز مفصلا وقد حقق الله رجاوه والى هذا اشار بقوله
ومعنى هذا الحديث عند المحققين بقاء معجزته المذكورة ما بقيت الدنيا
اي مدة بقائها وكون القرآن يرفع في آخر الزمان كما ورد في حديث حذيفة بن اليمان الذي رواه
ابن ماجة ان الاسلام يدرس ويرفع كتاب الله في ليلة حتى لا يبقى منه في الارض آية ويبقى
ناس يقولون ادركنا اباءنا على هذه الكلمة كلمة لا اله الا الله فقال له شخص ما تنفعهم هذه وهم
لا يدرون صلاة وصياما ونسكا فقال تنجيهم من النار لا ينافيه لانما هو باعتبار الاكثر والظاهر
فانه محقق بقاؤه في نفس الامر لم ينسخ ولم يبدل وقيل ان زمن يسير بقاؤه كالعدم وسائر
معجزات الانبيا اي جميعها ذهبت للحين المراد بالحين عقيب وقوعها وانقراض عصره اذ المراد
ذهبت بذهابه ولم تبق بعده وبينه بقوله ولم يشاهدها الا الحاضر لها بخلاف من اتى بعد
ومعجزة القرآن اي القرآن المعجز او المعجزة التي هي القراءة فالاضافة بيانية يقف عليها
اي يعلمها ويحيط بها مجاز لان من وقف على شي اطلع عليه كما في الاساس قرن فاعل يقف
بعد قرن اي يطلع عليها جميع القرون والناس الذين حدثوا بعد عصر النبوة بخلاف غيرها
عيانا بكسر العين اي مشاهدة لا خبرا اي لا باخبار غيرهم لهم الى يوم القيامة
اي الى آخر الزمان وقيام الناس الى الحشر وهو كناية عن التابيد في البقا في الدنيا وفيه
اي في هذا الحديث ومعناه كلام للعلما يطول هذا نخبته بضم النون وسكون الخاء
المعجمة والبا الموحدة اي مختاره وزبدته قال في الاساس نخب الشي وانتخبه اذا نزعه
ومنه الانتخاب للاختيار كانك تنزعه من بين الاشيا وهؤلا نخبة قومهم اي خيارهم انتهى
وقد بسطنا اي فصلنا من بسط يده اذا مدها وعن علي رضي الله عنه في حديث رواه
ابن ماجة والترمذي وحسنه وهو موقوف على علي له حكم المرفوع لان مثله لا يقال بالراي
وسياتي رواية ابي نعيم له مرفوعا كل نبي اعطي سبعة نجبا جمع نجيب وهو الكريم الحسيب
ويكون بمعنى الرفيق المعين في المهمات والشدايد وهو المراد هنا واعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم
اربعة عشر نجيبا اي رفيقا كاملا شريفا وجعلهم ضعف ما لكل نبي مرتين تكريما
له واشارة لكثرة امته حتى يحتاج زيادة في وزرائه والمراد بهؤلاء كما رواه ابو نعيم عن
علي ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن نبي الا وقد اعطي سبعة رفقا
نجبا ووزرا واني قد اعطيت اربعة عشر • وهم حمزة • وجعفر • وعلي • وحسن • وحسين •
وابو بكر • وعمر • وعثمان • وعبد الله بن مسعود • وابو ذر • والمقداد • وحذيفة • وعمار •
وسلمان • وفي رواية بلال انتهى • وقد وقع في انفسهم اختلاف اقول وبعد عصره خليفته
القطب ووزراوه النقبا والنجبا والبدلا ومن فسر الاربعة عشر هنا بهؤلاء [illegible]
وقد ورد التصريح بهؤلاء في احاديث جمعها السيوطي في رسالة مستقلة ومن العجب ان هذا
مع انه متفق عليه بين اهل الشرع والحكما كما قال صاحب حكمة الاشراق في كتابه لا بد
من خليفة في ارضه وانه قد يكون متصرفا ظاهرا فقط كالسلاطين او باطنا كالاقطاب
وقد يجمع بين الخلافتين كالخلفا الراشدين كابي بكر وعمر بن عبد العزيز وانكره بعض الجهلة
في زماننا • قال ذو النون النقبا ثلثماية والنجبا سبعون والبدلا اربعون والاخيار سبعة
والعمد اربعة والغوث واحد • وحكى ابو بكر المطوعي عمن لقي الخضر انه قال له لما قبض رسول الله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

صلى الله عليه وسلم بكت الارض وقالت الهي وسيدي بقيت لا يمشي على نبي الى يوم القيمة
فقال احمل على ظهرك من هذه الامة من قلوبهم على قلوب الانبيا لا اخليك منهم فقالت الله كم هم
قال ثلثمائة وهم الاوليا وسبعون وهم النجبا واربعون وهم الاوتاد وعشرة وهم النقبا وسبعة وهم
العرفا وثلاثة وهم المختارون وواحد وهو الغوث فاذا مات جعل واحد من الثلاثة مكانه وينقل
من السبعة الى الثلاثة ومن العشرة الى السبعة ومن الاربعين الى العشرة ومن السبعين الى الاربعين
ومن الثلثمائة الى السبعين ومن سائر الخلق الى الثلثمائة هكذا الى ان ينفخ في الصور منهم ابو بكر
وعمر وابن مسعود وعمار وقد بينا لك وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل
وهو حديث مشهور رواه الشيخان عن ابي شريح قاله يوم فتح مكة يوم الجمعة تاسع عشر رمضان
سنة ثمان من الهجرة ومعنى حبس منع وفي رواية القتل بقاف وتا فوقية وقصة اهل الفيل مشهورة
غنية عن البيان وسلط عليها رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ولم يقل سلطني اشارة الى انه مامور
من الله لا حظ له في ذلك من نفسه لتنزهه عن الحظوظ والاغراض النفسانية والمومنين من امته
وجنده وانها اي مكة لا تحل لاحد بعدي وفي نسخة من امتي وفي نسخة لم تزل لا وفيه اشارة
الى ان تحريمها سابق في علم الله وفي زمن ابراهيم فانه حرمها وجعلها حرما آمنا وكان ذلك اظهارا
لما سبق في علمه وحكمه وانما احلت لي ساعة من نهار اي انما اعطى الله حلها لي وكان حل القتال لي
فيها في ساعة من يوم الفتح وكان ذلك من الصبح وجعله ساعة تقليلا لزمانه لا انه ساعة حقيقة
كما قال تع ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام الخ والحرم مثل المسجد في ذلك وهذه الاية محكمة عند
ابن عباس ومجاهد تمسكا بهذا الحديث وقوله فيه ثم عادت حراما الى يوم القيمة وروى بمعناه
من طريق آخر وقتاله صلى الله عليه وسلم بقتل من لجا الى الحرم كابن خطل من خصائصه كما روي
عن السلف وقيل عليه ان قوله احلت يدل على تقدم حرمته فيكون نسخا ولو كان نسخا لم يكن
رخصة لانه اباحة مع المانع وبه قال ابو حنيفة وقال قتادة والضحاك هي منسوخة بقوله
اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبآيات اخر في معناها وتمسكوا بقوله صلى الله عليه وسلم ولا
دليل فيه لتصريحه بالتخصيص وبه قال الشافعي وعن العرباض بن سارية في حديث رواه احمد
والبيهقي والحاكم وقال انه صحيح الاسناد والعرباض بكسر العين وسكون الرا المهملتين وموحدة
وآخره ضاد معجمة معناه القوي نقل العلمية وهو من كبار الصحابة من اهل الصفة سكن الشام ومات
بها سنة خمس وسبعين سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جملة حالية او مفعول ثان على
الخلاف في سمع اذا تعلق بالذوات الغير المسموعة كما يعرفه من يتجر في علم العربية اني عبد الله
وفي رواية اني عند الله مكتوب خاتم النبيين قدم على هذه الكلمات وصفه بالعبودية اشارة الى
انه اشرف عنده مما سواه وانه انما نالها بمحض كرم الله وفضله واحترازا ممن نظر فيه ان يتجاوز فيه
الحد كما وقع للنصارى في عيسى ولذا قال اني عبد الله آتاني الكتاب الآية وان آدم لمنجدل في
طينته اي مختلط في تربته او ساقط فيها كما تقدم وخاتم بكسر التا وفتحها آخرهم ومن به كمالهم وفي
طينته خبر ثان لان ظرف لمنجدل ثم اخبركم باول امري دعوة ابراهيم بكسر العين وتخفيف الدال
مصدر بمعنى الوعد كالزنة وفي نسخة دعوة ابي ابراهيم وهي اشهر واظهر لانه اشارة الى قوله ربنا
وابعث فيهم رسولا منهم ولثقته بالله انه لا يخيبه جعل ذلك وعدا منه لذريته وجعله نفس الدعوة
مبالغة باقامة السبب مقام المسبب لانه دعا ان يجعل من ذريته وذرية اسماعيل رسولا ولم يكن
من ذريتهما معا غيره مرسلا فان الانبيا من ذريته كداود وسليمان ليسوا من ذرية اسمعيل فتعين كونه

محمد

محمدا صلى الله عليه وسلم وبشارة عيسى بن مريم فيما حكاه الله عنه بقوله ومبشرا برسول ياتي
من بعدي اسمه احمد وجعله نفس البشارة مبالغة وهي بكسر البا مصدر كالبشرى وبضمها ما يعطى البشير
واسم مصدر بمعنى المبشور وتكون في الخير والشر اذا اطلقت ثم خصت بالخير وصارت حقيقة ونحو
فبشرهم بعذاب اليم تهكم على هذا وعلى الاولين حقيقة مطلقا واذا قيدت وسميت بشارة لتاثيرها
في بشرة الوجه ما يسمى ورد السرور وفي شرح الجامع الصغير للعلقمي ان البشارة تختص بالصدق
وجهتي المخاطبة والخبر لان ذلك يغير بشرة الوجه للفرح وهي في اللغة خبر يغير بشرة الوجه مطلقا
الا انه صار فيما ذكر حقيقة عرفية والاصل ما في الحديث من انه لما قال صلى الله عليه وسلم من اراد ان يقرا
القران غضا طريا كما انزل فليقرا بقراة ام عبد فابتدر ابو بكر وعمر ليخبراه بذلك فسبق ابو بكر
فكان يقول بشرني ابو بكر واخبرني عمر قال العلامة ابن كمال فان قلت الخبر الكاذب يغير البشرة ايضا
وليس من شرط الحنث بقاء المعلق عليه كما لو قال ان دخلت الدار فانت طالق فدخلت ثم خرج حنث
قلت والكاذب لم يتم البشارة فوزانه وزان ما لو حلف على لبس خفيه فلبس احدهما ولم يذكر الصدق
في الهداية وفيه قصور ومن ثمة قالوا لو قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم زيد فهو حر عتق الاول
لانه الذي ظهر السرور بخبره دون الثاني وبشرهم بعذاب تهكم ومن هنا علم ان البشارة مشروطة بجهل
المخبر اذ البشرة لا تتغير بما علمه قال وفي هذا الحديث دلالة على ان الانبيا قبل عيسى لم يخبروا
باتيان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بخصوصه فقوله في الكشاف في تفسير قوله تع ومن يرغب عن ملة
ابراهيم الا من سفه نفسه ان ابن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام وقال قد علمتما انه
تعالى قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به اهتدى ورشد ومن لم
يؤمن به فهو ملعون فيه انه صريح في بشارة موسى بمحمد باسمه الخاص وهو مخالف لنص القرآن والحديث
الصحيح لا يقال اليهود حرفوا التورية فان الحكم بتلك البشارة وصح ان عيسى هو المبشر لانا نقول
انما كان هذا بعد عيسى لقوله مصدقا لما بين يدي من التوراة فنسبة البشارة لعيسى ظاهرة في عدم
البشارة قبله والا لقال بشارة اخي موسى وكذا قولهم في الخطب المبشر به في التوراة والزبور والانجيل
انتهى • اقول هذا غير وارد بل غير صحيح من وجهين الاول كونه مبشرا به قبل الانجيل في الكتب
السماوية كلها اوجلها مما لا شبهة فيه وقد صنف في ذلك كتابا مستقلا سماه خير البشر بخير البشر
الحافظ ابن ظفر ولولا خوف الحوف لاوردت ما فيه هنا • الثاني انه مخالف للقران والحديث كلام ناش
من عدم تدبر معنى البشارة والفرق بينها وبين الخبر الصادق فان كل بشارة على ما قرره خبر بلا
عكس والبشارة خبر سار بما فيه نفع المخبر في زمن ما بعيدا او قريبا كالبشارة بالجنة ولما كان من
قبل عيسى بينهم وبين نبينا رسل وامم لم يكن ذلك بشارة لعلمهم بان المخبر لا يدركه بخلاف عيسى
فان امته ومومنيهم ادركوا نبينا كسلمان ونحوه فكان اخباره به بشارة لمن اتبعه منهم وحثا لهم
على اتباعه كما اشار قوله من بعدي فلم يخالف النص الا ابن اخت خالته فاعرفه وعن ابن عباس
في حديث رواه البيهقي والدارمي وابن ابي حاتم قال ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم
على اهل السماء يعني ملائكة السما وهم افضل من ملائكة الارض فيعلم منه تفضيله على جميع الملائكة
حتى الخواص منهم ورسلهم خلافا للمعتزلة والحليمي من الشافعية القائلين بتفضيل خواص الملائكة
على الانبيا ولم يختلفوا في تفضيلهم على ملائكة الارض كما سياتي وعلى الانبيا كلهم فردا فردا
وعلى المجموع فلا وجه لتخصيصه بالاول كما توهم فتذكره قالوا فما فضله على اهل السماء اي ما
سببه ودليله قال ان الله قال ومن يقل منهم اي من اهل السما اني اله من دونه اي من يثبت

يجيل

ان قوله صح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

منكم الصبية غيرهم فمن ذلك القائل نجزيه جهنم تهديداً لمن اشرك منهم وتعظيما لامر الشرك وتعظيما
لتوحيده وقال لمحمد انا فتحنا لك الآية فجملة مغفور له غير مؤاخذ بما صدر وما يصدر
واورد عليه انه لا دلالة فيما ذكر على المدعى لانه على سبيل الفرض مع القطع بعصمتهم وقد خاطبه
بمثله في قوله لئن اشركت ليحبطن عملك ولك ان تقول وجه الدلالة انه هددهم على سبيل الفرض
بعذاب جهنم ودخولها ولم يهدده بمثله وهذا يدل على انحطاط رتبتهم عنه عن رتبته فتامل
قالوا فما فضله على الانبيا قال ان الله قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وقال
لمحمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس اي ان هذه الآية تدل على عموم رسالته
وتخصيص رسالة كل رسول بقومه وكافة صفة مفعول مطلق مقدر اي ارسالة كافة اي عامة للناس
متعلق به والحاصل ان ابن عباس فهم من هذه الآية العموم والخصوص فاستدل بها فلا يقال انه
لا يلزم من انه لا ينطق الا بلسان قومه انه لم يرسل الا لهم لانه على مقتضى الظاهر فلا يعدى عنه الا
بدليل والدليل قايم على خلافه فتامل وعن خالد بن معدان هذا الحديث روي من طرق كما اشار اليه
المصنف فما عن ابن معدان رواه ابن اسحاق مفصلا والدارمي واحمد موصولا عن خالد عن عبد الرحمن
السلمي عن عتبة بن عبد السلمي بطوله ومعدان حمصي تابعي من كبار التابعين وزهادهم
ادرك سبعين من الصحابة وتوفي في سنة اربع ومائة ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك اي عن حالك وشانك من ابتداء امرك
وقد روي نحوه اي نحو ما رواه خالد عن ابي ذر الغفاري الصحابي اخرجه الدارمي وشداد
بن اوس بن ثابت بن المنذر بن حرام وهو ابن اخي حسان ابن ثابت الصحابي نزل بيت المقدس
وتوفي بالشام سنة ثمان وخمسين والرواية عنه اخرجها ابو نعيم في الدلائل وانس بن مالك
اخرجه ابو نعيم ايضا فقال صلى الله عليه وسلم لمن ساله عن نفسه نعم جواب لسؤالهم اي
اخبركم بذلك انا دعوة ابراهيم بدل من انا او عطف بيان اي اثر دعوته او عينها مبالغة
ونعته بانه ذات لاطلاقه على الحدث ولبيان انه من ذريته الذين دعا لهم بقوله ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم فهو المراد بالرسول في دعوته المجابة وبشرى عيسى تقدم بيانه ورات
امي اراد رؤيا امي فغير الاسلوب لانه نوع مغاير لما قبله فهو على نهج قوله وجعلت قرة عيني
في الصلاة كما تقدم حين حملت بي وفي رواية حين وضعتني فالرؤيا وقعت مرتين وهذا
يحتمل انه رؤيا منام ورؤية يقظة والمرئي محذوف دل عليه قوله انه خرج منها نور اضاءت
له قصور بصرى بضم البا والقصر بلدة من اعمال دمشق هنا وهي ايضا اسم بلدة اخرى من قرى
بغداد بقرب عكبرا كما في معجم ياقوت وهي مدينة حوران وقيل قيسارية او خولان وزعم وهو غير صحيح
لان قوله من ارض الشام ياباه فهو غفلة من قايله انها هي والصحيح انها مدينة بين المدينة
ودمشق وهي اول بلاد الشام فتوحا فتحت سنة عشرة والشام الاقليم المعروف يهمز ويجوز ابدالها
الفا كراس وفيه لغة اخرى شام بالمد قال ابن قرقول يا ايها الكبرهم وحده طولا من العريش الى
الفرات وقيل الى نابلس وعرضا من جبل اجا وسلمى الى بحر الروم وما سامته ودخلها من الصحابة
كثيرون ودخله صلى الله عليه وسلم اربع مرات مرة مع عمه ابي طالب لما راه بحيرا ومرة في تجارته
لخديجة مع غلامها ميسرة ومرة حين اسري به ومرة في غزوة تبوك قال ابن عساكر رؤية
آمنة النور بعينها حقيقة حين وضعته واما رؤيتها له حين حملت فكانت في المنام كما
قال الواقدي ثم حقق الله لها ذلك اذ وضعته لانها كما ورد في الحديث اتيت وقيل لها انك

حملت

حملت بسيد هذه الامة وآية ذلك ان يخرج معه نور يملا قصور بصرى فحقق الله لها
ما راته اولا وهو كلام حسن وتخصيصه لانه اول فتح في الاراضي المقدسة واسترضعت
بالبنا للمجهول اي طلبت امي ان اكون رضيعا في بني سعد بن بكر ارضعته منهم حليمة
بنت ابي ذويب زوجة الحارث بن رفاعة بعد ما ارضعته ثويبة مولاة ابي لهب وله اخوة
من الرضاع مذكورون ثم قصة ارضاعه في كتب السير فبينا انا مع اخ لي من الرضاع لا
من النسب اذ ليس له اخ ولا اخت من النسب وبينا ظرف والالف للاشباع او كافة كبينما
والكلام عليها مفصل في كتب العربية خلف بيوتنا اضاف البيوت له باعتبار السكنى او
التغليب لان المراد بيوت بني سعد نرعى بهما الرعي اكل الحيوانات النبات والذهاب بها
لترعى وهو المراد هنا والمراد انه كان مع الرعاة لا راعيا لصغر سنه والبهم بفتح البا المو حدة
وسكون الها وميم وهي جمع بهمة اسم لاولاد الضان واولاد المعز سخال ويطلق على ما يعمهما
قال: صغيرين نرعى البهم يا ليت اننا * الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم
اما اضافتها له معهم لاختلاطه باصحابها لانه بني ملابسة اذ جاءني رجلان اي ملكان
في صورة رجلين ففيه مجاز عليهما ثياب بيض وفي حديث آخر ثلاث رجال وهم جبريل
واسرافيل وميكائيل كما اشار اليه بقوله وفي رواية اخرى رجال وجمع بينهما بانه
جاءه اثنان اولا لشق صدره والثالث اتى بعد مباشرته بطست من ذهب مملوءة ثلجا
وفي رواية ملكان وفي رواية كوكبان كانهما انقضا عليه كوكبان ثم تمثلا بصورة رجلين
والطست بفتح الطا وسكون السين المهملة ومثناة فوقية وفيه لغة اخرى طس بتشديد
السين وطسة بها وفي طايه الفتح والكسر ففيه خمس لغات وهو اناء معروف واستعمال
الذهب لم يكن حراما اذ ذاك لا سيما وهو من الجنة لا من جنس ذهبنا فلا حاجة للجواب بانه
يجوز للصغار وانه يجوز تحليته لان الطاعة كالمصحف والسيف مع ما فيه وفي رواية
انه من زمرد اخضر وانه صب عليه من ابريق فضة واما الطشت بشين معجمة فقيل انه من
غلط العامة وقيل انه لغة فيه ومملوءة بالتانيث لان الطست يذكر ويؤنث او هو لتاويله با نية
ومملوءة مجرور صفة او منصوب حال والمراد انه نقي بالثلج او بمائه ولا حاجة للبحث فيه
هل هو مطهر ام لا لان هذه الامور لا نطلع عليها وروي انه غسل بماء وبماء الجنة
وبماء زمزم وهذا كان في حال الطفولية ووقع في رواية انه كان بعد البعثة لما اسري به
فمنهم من قال الروايتان متعارضتان ورد هذا وقال السهيلي لا تعارض بينهما وانه وقع
مرتين الاولى لتنقيته من الحظوظ النفسانية والاخرى ليتقدس فيقوى على العروج ومشا هدة
الانوار العلوية وكونه مخلوقا من النور لا ينافيه كما توهم وروي ان الطست مملوء حكمة وايمانا
وان الثلج لبرد اليقين ايمانا وبه او بتجسم الاعراض وليس ذلك على الله بعزيز والثلج
بسكون اللام وقال الكلماني بفتحها بمعنى اليقين فيجوز قراءته بالفتح فتكون هذه الروا ية
كروايته مملوء حكمة وايمانا فاخرجا اي امسكاه واضجعاه فشقا بطني قال في غير هذا
الحديث من نحري الى مراق بطني النحر على الصدر ومراق بفتح الميم وتشديد القاف
وهو ما دق ولان من البطن لا واحد له من لفظه والميم زائدة ثم استخرجا منه عائد
على الجوف المعلوم من السياق او للبطن لتاويله به قلبي مفعول استخرجاه فشقاه اي
القلب وهذا من المعجزات لان الاطبا اجمعوا ان القلب لا يحتمل جراحة اصلا فكيف يعيش

شبكة الألوكة
www.alukah.net

صاحبه اذا شق **واستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها** اي رمياها لانها حظ الشيطان ومنزعه
وفيها الحسد والحقد ووسوسة الشيطان والحرص والشهوة المذمومة والعلقة دم متجمد كالعلقة المعروفة
في دود الماء قال السبكي في طبقاته سئل الوالد عن العلقة التي اخرجت من قلبه صلى الله عليه
وسلم حين شق فؤاده وقول الملك هذا حظ الشيطان منك فقال لان تلك العلقة خلقت في
قلوب البشر قابلة لما يلقي الشيطان فيه ولم يكن للشيطان فيه حظ وانما الذي نفاه الملك منه امر
في الجبلة البشرية فازيل القابل الذي لا يلزم من حصوله حصول الالقاء في القلب وانما خلقت على
هذا لانها من اجزاء البدن المكملة للخلقة فلا بد منها ثم نزعت بامر رباني ظهرا بعدها وقريب منه قول
الاستاذ محمد البكري في رسالته النافعة نزع العلقة من باطنه المقدس المطهر وقول الملك انها حظ الشيطان
اي لو تعلق الشيطان بمحاسنه كان هذا فخلق ابتداء تكملة لاصل الخلقة وتسوية للنشأة الانسانية مع زيادة
اظهار يأس الشيطان باخراجها منه وهذا من تقديس السر وتنزيهه اعلاه واشرفه وقد لا يرى انه احد
فيه اقول حاصله ان الله خلقه كامل البنية مكملة فاقتضت الحكمة الربانية ان الله تم خلق جسمه
احسن الاجسام وقلبه اقوى القلوب كان روحه اعظم الارواح وانورها ولما كان القلب رئيس
الاعضاء فقوته بقوي صفاته من الشجاعة والفطنة وغيرها وهذه العلقة جزء سوداوي به يكون القلب
قوي البنية زاهي الثمرة وعليه ينبني كونه كحب العنب والفواكه فبقوة نضج ثمرته ينزع عجمه ويرمى
ولكونه سوداوي ورديء الاختلاط كان محلا لافرازاء الاوهام والخيال الذي هو كريحان الفكر كالحشيش
النابت بينه يقلعه بقوي فاستقر انه لم يخلقه الله بدونها حتى يتطهر من دنس الوسوسة وما يقبلها
فلذا لم يشق وقلع وظهر ان كونها حظ الشيطان انها محل حظه لو كان لكنه لم يكن وانما اطلنا هنا لانه سر
من اسرار الله ولله در ابن قرناص الحموي في قولهم

> اما والله لو شقت قلوب ❁ ليعلم ما بها من فرط حب
> لارضاك الذي لك في فؤادي ❁ وارضاني رضاك بشق قلبي

ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه ولما كان بارض لا ثلج بها غسل بذلك ليعلم
انه من عالم الغيب والجنة ويقال نقاه بالتشديد وانقاه اذا جعله نقيا لطيفا والمشهور الاول
وفي هذا دليل على عصمته قبل النبوة من جميع الآثام والنقائص وكيف يتصور بعد هذا ان تصدر
منه زلة او امر لا يرضي الا نهوا وسلم لا يؤاخذ به **قال** اي النبي صلى الله عليه وسلم **في حديث آخر
ثم تناول احدهما** اي اخذ من ملك غيره واخرجه من يده واصل المناولة الاخذ من غيره **شيئا فاذا
بخاتم في يده من نور** اي يتلألأ ويضيء اضاءة زائدة حتى كانه مجسم من النور ففيه مبالغة في
اشراقه كقوله خلق الانسان من عجل وفي رواية انه خيط بخيط وكان يرى في صدره اثر الخياطة
يحار الناظر دونه اي فيما دونه اي اقل منه **بهاء** اي نورا ونفاسة والناظر اما بمعنى الشخص
الذي ينظره ويحتمل ان يراد به العين وانسانها لانه يطلق عليها فعلى الاول المعنى انه يتحير من نوره
من نوره وحسنه في معرفته وعلى الثاني النسبة اليه مجازية والمراد صاحبها ومعناه فيبهت
ولا يطرف اخفاه وفيه وفي قوله دونه لانه اذا تحير فيما دونه فكيف به **فختم به قلبي** كما يختم
الكيس والخزانة التي فيها الجواهر وكل نفيس وختمه لئلا يصل اليه ما لا يليق به من الوسوسة
ولئلا يضيع ما فيه وفيه اشارة الى انه خاتم الانبياء وليس هذا ولا اثره خاتم النبوة المذكورة في
الحديث حتى يقال انه اختلف فيه هل ولد به او كان حدوثه حين نبي وفي هذا الحديث بان لانه
كان شق صدره كما توهم والختم حفظا له عن ان يخرج مما احرز شيء بغير علمه فلا يرد ما قاله السهيلي

انه ينافي

انه ينافي انه يعلم الناس الحكمة وتفجرت من قلبه ينابيع الحكم وفاضت انوارها على العالم فامتلأ
ايمانا وحكمة وفي تفسيرها اقوال كثيرة والذي صفى منها انها العلم المشتمل على معرفة الله مع التبصير
وتحقيق الحق والعمل به وفي التفريع هنا خفاء لان مقتضى الظاهر ان تقدمه على الختم ولا ترتبه
عليه فنقول لعله فامتلأ ثم ختمه لانه بعد الختم لا يدخله شيء الا ان يؤول بانه تبين لي انه امتلأ
اللهم الا ان يقال انه دخل فيه نور من الخاتم ملأه بما ذكر ومر ان العلم والحكمة معنى لا يملأ غيره فاما
ان يقال انه تجسم او جعل منزلته **ثم اعاده مكانه** اي اعاد الخاتم في مكانه الذي كان فيه من
يده او يد غيره وليس الضمير للختم كما توهم حتى يقال انه يشعر بانه كان من اصل خلقته **وامر** بتشديد
الراء المهملة آخره اي مسح والصق من **الآخر** الملك الآخر **يده على مفرق صدري** بفتح الميم وفتح
الراء وكسرها اي محل الشق والافتراق الذي كان منه فهو بمعناه اللغوي وان اختص عرفا بوسط
الرأس وهو مصدر ميمي **فالتأم** بهمزة بعد المثناة اي انضم واجتمع حتى لم تبق فرجة من الشق
وفي رواية اخرى ان جبريل قال بعد ما مر **قلب وكيع اي شديد** وفي كتب اللغة تفسيره
بصلب وغليظ والمراد هنا ما ذكره المصنف ومنه نقل العلم **فيه** اي قلبه **عينان تبصران
واذنان تسمعان** لا يخفى ان حمله على ظاهره كما قيل بعيد فالمراد انه شبه الادراك لما يبصر
ويسمع وكون القلب لا يدرك المحسوسات لانه انما يدرك المعقولات لا وجه له فانه يدركها بواسطة
الحواس وفي التعبير عن الاول بالمضارع وعن الثاني بالاسم الدال على الثبوت تفنن وايماء الى ان
الاول لا يكون الا بفعل يحدث منه كالمقابلة وفتح الجفن بخلاف الثاني واسنادهما ليس بمجازي
وهذا كالتعليل لما قبله **ثم قال احدهما** اي الملكين **لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنه
فرجحهم** الوزن معروف ورجحانه زيادة ما في احدى الكفتين وثقله فينزل الراجح ويعلو
مقابله والمراد بامته من اتبعه وآمن به وهم امة الاجابة او من وجد في عصره وهم امة الدعوة
فمن فسره بالاول لعلم الثاني منه بالطريق الاولى وعدم الاعتداد بغيرهم ويجوز ارادة الثاني
وهذا الوزن الظاهر ان المراد منه مجرد المقابلة بين كماله وكمالهم بحسب النظر العلمي ومنهم من
ذهب الى انه على ظاهره وحقيقته وان لم نعرف كيفيته الا انه يحتاج لتأويله لان الامة لم يكونوا
موجودين فقيل المراد منهم ارواحهم فان الله اطلعهم على ذلك ولذا ذكروه ليطلع على ذلك ويعلم
منه امته ثم انه وقع في هذا الحديث اختلاف في رواياته ففي رواية ابي ذر ان الوزن قبل الشق
وانه ابتدئ في الوزن بالواحد ثم العشرة واختار المصنف هذه الرواية لان الرجحان بما او دعه الله
فيه بعد اماطة ما لا وزن له عند الله وفيه ايضا انه وضع فيه خاتم النبوة بين كتفيه قال
الشيخ ابن حجر الهيتمي انه وقع في بعض الروايات انه ولد بخاتم النبوة فان الحاكم روى بسند حسن عن
عائشة عن بعض الاخبار انه قال ولد في هذه الليلة يعني ليلة مولده صلى الله عليه وسلم نبي هذه
الامة بين كتفيه علامة فيها شعرات وفيه دليل على انه ولد بخاتم النبوة لكن جاء بسند اصح من هذا
ان الملكين لما شقا صدره ختماه بخاتم النبوة ويمكن الجمع بانهما ختما ذلك المحل الثاني عند الوضع
بعد ختمه اولا اشارة زيادة الاعتناء والتشريف ثم رأيت من جمع بينهما بانه في موضعين على الكتف
وبين كتفيه وروي بسند ضعيف انه رفع بعد موته واعلم ان بعض الشراح قال
ان الشق والغسل في ذلك ليس مخصوصا به بل كان لسائر الانبياء لما روي انه كان في تابوت
السكينة الطست الذي غسلت فيه قلوب الانبياء **ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم
ثم قال زنه بالف من امته فوزنني فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها** اي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لعلها في الوزن اي عاد لهم وباب المغالبة معلوم من كتب الصرف وفي هذا الحديث دليل على
انه افضل من جميع الناس واقواهم شجاعة وقدرة على الجماع وعلما وفطنة لما اودع في قلبه مما لم ينله غيره
قال في الحديث الآخر ثم ضموني الى صدورهم اي عانقوني اظهارا لمحبتهم وتكريمهم وقبلوا راسي
وما بين عيني بتشديد اليا للتثنية وفيه استحباب تقبيل الراس وما بين العينين لمن ينبغي تحيته
واكرامه اظهارا للذلك ثم قالوا يا حبيب بالبناء على الضم واصله يا حبيب الله لن ترع بضم المثناة
الفوقية وفتح الرآء المهملة وعين مهملة اي تخف وتحزن وهو مبني للمجهول اي حصل لك من قوة القلب
ما لا يعتريك بعده خوف من شي والمراد تطمين قلبه بعدما وقع من الشق له ثم استانف جملة مؤيدة لما
قبلها فقال انك لو تدري ما يراد بك من الخير اي ما يريده الله لك من الكمال والخير الدنيوي
والاخروي لقرت عيناك اي لسررت سرورا عظيما وقد مر ان قرة العين الفرح وهو ضد سخنت
فهو بمعنى القر اي البرد لان دمع السرور بارد ودمع الحزن حار او من قر بمعنى ثبت وسكن طرفه لانه
لم يبق له شي فطمح له عينه ويبطره وفي بقية هذا الحديث من قولهم اي من قول هؤلاء الملائكة
وهذا موافق لكونهم ثلاثة كما مر ما اكرمك على الله تعجب من رفعته وكرامته عند ربه ان الله معك
وملائكته بعنايته وفضله وليس في قوله من قولهم ما يقتضي انه مشتمل على مقولهم ومقول غيرهم
كما قيل قال في حديث ابي ذر المشهور المذكور اولا وهذا الحديث رواه الدارمي فما هو اي فعلهما
بعد ذلك وما نا فية وقيل الضمير للشان وهو على حد قولك لم يلبث فلان ان فعل كذا والمراد الرعة
الا ان وليا اي رجعا وانصرفا عني بعد فعلهما ومقالتهما السالفة فكانما ارى الامر
معاينة المراد بالامر هنا ما اكرمه الله به وما سيكرمه به من مقدمات النبوة وارهاصاتها وما
زاد في فطنته وعلمه ولتحققه لذلك جعله كالمحسوس المرئي ببصره وليس المراد به القصة المذكورة
من مشاهدة الملكين وما فعلاه كما توهم وقد اتى بخطا وخلط في تفسيره لا طائل تحته وحكى ابو محمد
مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما تقدمت ترجمتهما والكلام عليهما ان آدم عند معصيته
اي اكله من الشجرة وياتي الكلام عليه في عصمة الانبيا وهذا الظرف متعلق بقوله قال ومقوله
اللهم بحق محمد اي بما يستحقه عندك من الزلفى والكرامة وهذا الحديث رواه البيهقي والطبراني
عن عمر بسند فيه ضعف وفيه دليل على انه يجوز ان يقول في الدعا بحق الانبيا ونحوه خلافا لمن
افتى من علما العصر انه لا يجوز ان يقول مثله لانه ليس لاحد على الله حق وقد وقع مثله في احاديث كثيرة
ومعناه ما مر اغفر لي خطيئتي وتقبل توبتي فقال الله له من اين عرفت محمدا قال رايت في كل
موضع من الجنة راى هنا بصرية مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله نائب فاعل اسم المفعول
ويروى محمد عبدي ورسولي بدل رسول الله فعلمت بما رايته من كتابته واقتران اسمه باسمك
انه اكرم خلقك اي مخلوقاتك عليك فتاب الله عليه وغفر له ذنبه لتوسله الى الله بحبيبه
وصفيه وبما علمه من ذلك وهذا اي الحديث المذكور عند قائله اي عند من رواه واعتقده وهو مكي
ومن سبق ذكره وليت الاشارة لقول آدم اللهم الخ كما قيل تاويل اي تفسير لان التاويل يرد بمعنى
مطلق التفسير وبمعنى التفسير بمقتضى العربية من غير نقل ما ثور ويكون ايضا بمعنى ما يؤول اليه ويتحقق
به في الواقع وهو اصل معناه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وهذا فيه خفاء
لان معنى تلقيها من الله اخذها منه بغير واسطة والمذكور انه رآها مكتوبة في الجنة فكانه جعل
الهام الله الدعا بها بمنزلة تلقيها عنه وقيل انه على قراءة ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات ومعنى تلقيها
استقبالها باخذها والعمل بها حين علمها واشار بقوله عند قائله الى ان فيه اقوالا اخر فقيل الكلمات

المتلقاة

المتلقاة هي ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقيل اللهم
لا اله الا انت سبحانك وبحمدك اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين اللهم لا اله الا انت
سبحانك وبحمدك اني ظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم فسقط ما قيل انه ليس فيه على
هذه الرواية تلق من الله والكتابة لا تسمى كلمات الا مجازا ولا قرينة تدل عليه قيل وفيه دلالة
على ان آدم كان يعلم الكتابة وسؤال الله له من اين الخ ليس استفهاما حقيقة لعلمه به وانما هو تشريف
له بخطابه وليبين له فضيلة محمد عقبه وفي رواية اخرى فقال آدم لما خلقتني رفعت
راسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فيه خبر مقدم ومكتوب مبتدا
مؤخر صفة شي مقدر ولا اله الخ بدل منه او هو مبتدا مكتوب خبره وفي النسخ وفي رواية
الآجري بالمد وضم الجيم وتشديد الرا المهملة ويا نسبة للآجر المعروف وهو الامام القدوة
ابو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي مصنف كتاب الشريعة شيخ ابي نعيم سكن مكة وتوفي
بها في المحرم سنة ستين وثلاثمائة وفي نسخة رواية اخرى فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا
عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك ملازما لمقارنته فيه هذا في الرواية الاولى ظاهر اذ
فيها في كل موضع واما هنا فهو في موضع واحد واجيب بانه يحتمل ان لو رواية الاولى زيادة
على هذه وتركها ليلا يتكرر ولا يخفى بعده ولا حاجة الى ما فهمه من لزوم المقارنة بل المقارنة
في هذا المحل العظيم تكفي فيما قاله قلت ومن هذا الحديث يؤخذ ان كتابة اسما الله في سقوف
المساجد ونحوها غير مكروه كما توهم فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي انه لآخر النبيين
من ذريتك ولولاه ما خلقتك فروحه مخلوقة قبل الارواح والانبيا كلهم خلقوا لاجله وهو
سبب لوجودهم فهو اب معنوي لهم وكلهم ابناء في الوجود قبل قوله فاوحى الله اليه يقتضي
ان هذا الخطاب وحي لا مشافهة وقوله لما خلقتني قبله يدل على خلافه وقد يقال انه خاطبه
اولا واوحى اليه بعد ذلك مع ان الداعي يخاطب ربه وان لم يخاطبه فلا يدل كلامه الاول
على ان كلام الله معه بدون وحي وكان آدم يكنى بابي محمد وبابي البشر كما رواه البيهقي
عن علي مرفوعا والثاني اشهر. تنبيه قوله لولاه خلاف اللغة فانها في الاكثر يليها ضمير رفع
منفصل بحذف خبره وجوبا اذا كان عاما وقد يكون مخصوصا فتذكر على قول ويليها ضمير مجرور
صورة كما هنا قليلا فيقال لولاي ولولاك ومنعه المبرد واجازه غيره فقيل انها حرف جر
وقيل انه نائب عن المرفوع ولا تصل بغير عامله ومنعه سيبويه لمنع النيابة في غير الضمائر
المنفصلة وغيره يجيزه مع الحروف والافعال وعليه الزمخشري. وروى عن سريج بن يونس
بضم السين المهملة وفتح الراء المهملة ويا تحتية وجيم وصحفه بعضهم بشين معجمة وحاء مهملة
وهو غلط وهو ابو الحارث البغدادي امام الحديث توفي سنة خمس وثلاثين وما يتين وروى
له مسلم والبخاري انه قال ان كان الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم لانه معلوم من السياق
فهو ظاهر وان كان لسريج فهو في حكم المرفوع لان مثله لا يقال بالراي ان لله ملائكة سياحين
من السياحة من ساح الما اذا جرى ثم شاعت في السير الطويل والمشي في الارض والسير
من غير قصد معين للنظر في مصنوعات الله ونحو ذلك عبادتهم اي الملائكة وانثه نظرا
لظاهر لفظه او لتاويله بطائفة وعبادة بباء موحدة ففيه مضاف مقدر اي حفظ كل دار
فيها من اسمه احمد او محمد او دخول كل دار ونحوه وضبط بياء مثناة من تحت والمراد بالعبادة
الزيارة وقدم احمد لانه سمي به قبل محمد ولانه معروف به عند الملائكة او للترقي اكراما منهم

جوده

ي

حين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اي زيادتهم لاجل الاكرام وقال منهم لئلا يتوهم انهم اتوا باكرام من غيرهم وانهم رسل في
ذلك والانهو حسن واهل المدينة يقولون كل دار فيها من اسمه محمد يوسع الله رزقهم وهو عن
تجربة منهم وقيل هذا لا يختص بهذين الاسمين بل كل من تسمي باسم من اسمائه كذلك وفيه نظر وروي
ابن قانع القاضي بقاف ونون بعد الف وعين مهملة وهو عبد الباقي بن قانع بن مرزوق
الاموي البغدادي صاحب معجم الصحابة وكتاب القوم وترجمته في الميزان وهو ثقة في الرواية
الا انه قيل انه تغير في آخر عمره وتوفي سنة احدي وخمسين وثلثمائة قال البرهان كان علي
المصنف ان يذكر بقية السند من ابن قانع الي قوله عن ابي الحمرا حتي نعرفه ونعرف ابا الحمرا او اعتذر
بانه لم يلتزم الاسناد في كتابه وانما اشترط ما صح عنده واشتهر والظاهر انه استغني عنه بروايته
عن ابن قانع لانه ذكره مسندا فيه وقد اسنده الطبري ايضا وفي بعض النسخ ابن نافع بالفا وهو
الفقيه صاحب مالك وهو وهم وتحريف وابو الحمرا بحاء مهملة وميم وراء ممدودة قال
البرهان ولا يعرف من المراد به فان ابا الحمرا الصحابي مولي رسول الله اسمه هلال بن الحارث
او ابن ظفر اخرج له ابن ماجه حديثا غير هذا وكان بحمص وقال يقال له صحبة ولا يصح حديثه ومن
الصحابة ابو الحمرا مولي عفرا البدري ولا نعرف له رواية ولا يعرف في التابعين من اسمه
ابن الحمرا ولا فيمن بعدهم قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لما اسري بي الي السما اذا
هي مجابية اي صادفت تجاهه علي العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله العرش في اللغة
سرير الملك وعرش الرحمن فوق السموات وهو سقف الجنة وهل هو الكرسي او غيره فيه اختلاف
ليس هذا محله وكون اسمه مكتوب مع اسم الله علي العرش وفي الجنة ورد في احاديث كثيرة والظاهر
ان النبي عرف تلك الكتابة بالهام من الله او بذكر جبريل لها او غيره من الملائكة قال والده هذا
اسمان مكتوب بها فلا يقال انه امي لا يقرا ولا يكتب ايدته بعلي في حياته لما له من الصحبة
القديمة والاثار العظيمة وفي غزواته معه والتاييد التقوية والنصر فلا يلزم من هذا التفضيل
علي غيره من الخلفا كابي بكر وعمر ولا ان تاييده له اعظم ولعل لتخصيصه هنا وجه لا يقف عليه الا
الانفس القدسية وفي التفسير اي في كتبه ولم يعين المنقول عنه لوجوده في كثير منها عن ابن عباس
رواه الخطيب عن مالك وورد مرفوعا عن ابي ذر واخرجه البزار موقوفا علي علي وعمر والبيهقي
في الشعب في تفسير قوله تعالي وكان تحته اي الجدار الذي اقامه الخضر كنز لهما لليتيمين
قال ابن عباس المراد بالكنز وهو المال المدفون لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا منصوب بفعل
محذوف وجوبا اي اعجب عجبا واللوح بفتح قبل وقد يضم صحيفة مبسوطة لمن ايقن بالقدر
اي تيقن قضا الله وقدره وانه لا يكون الا ما قدر وما قدر لا بد ان يكون ولتضمنه معني امن
عداه بالبا واليقين الاعتقاد الجازم كيف ينصب بفتح اوله وثالثه من النصب بصاد
مهملة وهو التعب والاستفهام للتعجب لا انكاري اي كيف يتعب نفسه في تحصيل رزقه
وما قدر له لا يتخلف عنه مقداره ذرة ولحظة وللقاضي ناصح الدين الارجاني

يا قلب تخل من هموم وشجون ۞ بادر فرص الزمان من قبل يخون
لا تاس فان حملك الهم سحون ۞ ما قدر ان يكون لا بد يكون

عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك اي من تيقن وجود النار وعلم انه لا يخلو من زلة يعاقب
عليها فكيف لا يخاف منها ويكون ضاحكا مسرورا وهو لا يعلم اشقي هو ام سعيد والموت اقرب
له من حبل الوريد عجبا لمن يري الدنيا وتقلبها باهلها اي تغير احوالها في كل حين قال

الراغب التقلب التصرف قال تع او يا خذهم في تقلبهم فالبا بمعني في او مع اي تصرفها
في اهلها او تغيرها وتغيرها كيف يطمين اليها بعد ما راي منها وشاهد انا الله
لا اله الا انا فله الحكم والامر وبيده كل شي في قبضة تصرفه محمد عبدي ورسولي ارسلته
للناس كافة وهذا التفسير يشعر بانه حديث قدسي اوحاه لبعض انبيائه وقد ذكره القرطبي
في تفسيره بهذا اللفظ عن ابن عباس انه كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم
عجب لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن عجب لمن يؤمن بالرزق كيف ينصب عجب لمن آمن بالموت
كيف يفرح عجب لمن آمن بالحساب كيف يغفل عجب لمن عرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمين اليها
لا اله الا الله محمد رسول الله انتهي وعجب في هذه الرواية مرفوع بالابتدا كسلام عليكم وهذه
رواية عطا عن ابن عباس وقيل الكنز مال وقيل غير ذلك وعن ابن عباس اني انا الله لا
اله الا انا محمد رسول الله من قالها اي من نطق بكلمة الشهادة مومنا مخلصا لا اعذبه
وان ارتكب الذنوب وهذا كقوله لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقد
ورد مثله كثيرا في الاحاديث الصحيحة وذكر انه وجد بالبنا للمجهول فيهما ولم يذكر فاعلهما
لعدم وقوفه عليهما ولانه في هذا انه ذكر هنا ما صح واشتهر لانه باعتبار الاغلب وكونهما
مبنيين للفاعل والضمير المستتر لابن عباس كما قيل يحتاج لنقل علي الحجارة القديمة
اي الموجودة قبل عصر النبوة لان الكتابة لو كانت حديثة بخط هذه الامة لم تكن دالة علي
ما نحن فيه مكتوب محمد تقي اي ممتثل لاوامر الله مجتنب لنواهيه مصلح لجميع الناس
بهدايتهم لكل خير وسعادة وللدنيا بعدله وسيد امين علي الوحي وغيره كما تقدم وذكر
السمنطاري بسين مهملة مكسورة وميم مكسورة ونون ساكنة وطاء مهملة بعدها الف
وراء مهملة وياء نسبة مشددة قال صاحب القاموس في تاريخ المدينة انه نسبة لسمنطار
قرية في جزاير العرب وقيل هو الذهبي بلسان اهل المغرب وهو ابو بكر بن عتيق بن علي
احد عباد الجزيرة وزهادها وله كتاب الرواة نوفي اثني عشر مجلدا كبيرا لم يسبق لمثله ومنه
نقل المصنف هذا الحديث انتهي وقال التلمساني انه من الاجلة وله تاليف في فنون من العلم نحو
قال لم ار له ترجمة ونحن في غنية عما نقل عنه من العربية فقد شهد علي نفسه بعدم الاطلاع
انه شاهد في بعض بلاد خراسان هو اقليم معروف قيل وقد تسكن راؤه وتحذف
الفه في الزاهي لابن الانباري انه مطلع الشمس لان خر بالفهلوية معناه الشمس انه شاهد
مولودا ولد اي حين ولادته وخروجه من بطن امه فلا يتوهم ان وصف المولود بانه ولد من
اللغو وعلي احد جنبيه اي شق بدنه وصفحته مكتوب لا اله الا الله وعلي الاخر محمد
رسول الله وذكر الاخباريون المراد بهم المورخون الذين لهم اعتبار باخبار الامم السالفة
ولما كان الاخبار جمع خبر وهو عام خص بهذه الامة الطايفة نسب للجمع لشبهته العلم
كانصار وانصاري ولولا هذا رد في النسب لمفرده كما في الجموع المنسوب اليها انه ببلاد
الهند ورد احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله اي مكتوب فيه
بلون ابيض عكس المشهور من كتابة الالوان في البياض للدلالة علي انه ليس من صنع البشر
وهذا كقول الابوصيري في مطلع قصيدة له هم

كتب المشيب بابيض في اسود ۞ بغضا للاعين الحسان الخرد

وقد ذكر ابن العديم في تاريخه حكايات كثيرة منها انه وجد ببلاد الهند مثله في الثمار والاوراق

لغة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وان الصيادين رأوا مثله في السمك . واعلم ان ما اشتهر من ان الورد الاحمر خلق من عرق
النبي او من عرق جبريل موضوع كما نقله ابن حجر عن النووي والذهبي وابن عساكر وما في
الفردوس من ان الورد الابيض خلق من عرقي ليلة المعراج والورد الاحمر خلق من عرق جبريل
والاصفر خلق من عرق البراق وعن انس مرفوعا قال لما عرج بي الى السماء بكت الارض من بعدي
فنبت اللصف وهو الكبر من نباتها فلما ان رجعت قطر من عرقي على الارض فنبت ورد
احمر الا من اراد ان يشم رائحتي فليشم الورد الاحمر والورد كما قاله ابو حنيفة الدينوري
نور كل شجرة وزهر كل نبت ثم خص هذا الورد المعروف فقيل لاحمره الحوجم ولابيضه الوتر
وفي شرح سقط الزند الورد ما يضرب الى الحمرة يقال اسد ورد وعنبر ورد ودم ورد
اي احمر والورد المشموم ليس بعربي في الاصل الا ان العرب تسمي الزهر وردا انتهى وعن
ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيمة ينادي مناد في الموقف الا من
كان اسمه محمد فليدخل الجنة كرامتي وفي رواية يقول الله له عبدي اما تستحي مني اذ
عصيتني واسمك محمد وانا استحي ان اعذبك واسمك اسم حبيبي اذهبوا به الى الجنة
والى هذا اشار في البردة بقوله ع

فان لي ذمة منه بتسميتي * محمدا وهو اوفى الخلق بالذمم *

وروي جعفر بن محمد هو جعفر الصادق وقد تقدمت ترجمته ومحمد هو محمد الباقر وقد
تقدم ايضا **عن ابيه** ابو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب **اذا كان** هي تامة عز
وجل **يوم القيمة نادى مناد** من الملائكة بامر الله بالنداء بقوله **الا ليقم من اسمه
محمد** الا حرف استفتاح وتنبيه والمراد بالقيام الانفصال عمن معه ليمتاز عن غيره
ممن لم يسم بهذا الاسم كان من قام عند قوم جالسين يتميز عنهم فهو استعارة او مجاز مرسل
اريد به لازمه او كناية وليس هذا امرا يتخير للاموات قبل احيائهم اي ليقوموا من قبورهم
او لمن قعد في ارض المحشر لما عرض له من الاهوال وطول القيام فانه بعيد من السياق
ويأباه قوله **فليدخل الجنة** لانه مؤمن شرفه الله بهذا الاسم اذ لم يعهد تسمية احد من الكفار
به بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم **لكرامة اسمائه عليه الصلاة والسلام** وهذا
من تتمة او من كلام النبي ولم يقل باسمي التفاتا او تجريدا او هو مدرج فيه من كلام جعفر
وعلى الاول هو من كلام المنادي وليس هذا مما يقال بالرأي فهو حديث له حكم الرفع ولما قيل
من انه يؤدي الى الاتحاد وعدم العمل مما لا يلتفت اليه وقد تقدم تتمة قريبا **وروي
ابن القاسم** فقيه مصر عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة صاحب مالك وراوي
الموطا عنه وهو من الثقات توفي سنة احدى وتسعين ومائة **في سماعه** كتاب له
في مسموعاته عن شيوخه **وابن وهب** ابو محمد عبد الله بن وهب تفقه بمالك وروى
عنه وعن غيره كابن دينار والليث بن سعد وصنف الموطا الكبير والموطا الصغير وكان
اسن من ابن القاسم بثلاث سنين وعاش بعده خمس سنين **في جامعه** وهو اسم كتاب له
الفه على الابواب بخلاف ما الفه على الصحابة فانه من المسانيد **عن مالك** محيي السنة
وامام دار الهجرة الامام المشهور **قال سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد**
اي يسمى باسمه او المراد ظاهره لانه لا يكون الاسم بدون مسماه **الا نمي** اي زاد ذلك البيت
بكثرة الاولاد والاهل فيه وزادت البركة فيه **ورزقوا** اي زاد الله رزقهم ببركة ذلك الاسم

وفي نسخة

وفي نسخة وقوا من الوقاية اي حفظهم الله من كل سوء واسم محمد يحتمل ان يكون اضافته بيانية نية
اي اسم هو محمد فيختص بهذا الاسم او لانه اي اسم من اسماء هذه الذات فيشمل جميع اسمائه وفي
نسخة ورزق جيرانهم جمع جار وهو لغة الملاصق وشرعا الى اربعين دارا ويحتمل ارادة هذا
ايضا لان بركته تعم جميع الدنيا **وعنه صلى الله عليه وسلم** في حديث مرفوع مسند كما قاله
السيوطي وذكره بسنده **ما ضر احدكم** ما نافية واحدكم مفعول ضر و**ان يكون في بيته محمد
ومحمدان وثلاثة** في بيته فاعله في محل رفع ولا يصح كونها موصولة ونفي الضرر المراد به
وجود النفع ولكن هذا يستعمل للحث يعني لو لم يكن فيه ضرر يكفي سببا لوجوده فكيف وفيه نفع
عظيم واي نفع ويجوز ان تكون استفهامية وان تكون مجرورة بحرف مقدر اي اي شيء حصل
له من الضرر لكونه في بيته وتوهم بعضهم انه لا يصح لان ان تكون فاعله فتبقى الجملة التي
هي خبر عن ما بلا عائد وعندي انه احسن لقول الناس ما ضرك لو صليت لمن ترك الصلاة
وهذا حث عظيم حتى لا يتركه الا المانع وضرر والاشتغال عليه وكون الضرر باعتبار الاشتراك
في تعدد المسمى باسم واشباهه مما لا يلتفت اليه **وعن عبد الله بن مسعود** في حديث رواه
احمد والبزار والطبراني بسند رجاله ثقات وفي بعض النسخ **وعن علي رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم في مشورة** بفتح الميم وضم الشين المعجمة
ويجوز سكونها اي في امر يتشاورون فيه **معهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه في مشورتهم الا لم
يبارك لهم** رواه جماعة منهم ابن عتاب لان من يسمى به يبارك الله فيه ويلقنه الرأي
السديد ببركته ومن اعرض عنه كان بضد ذلك **وعن عبد الله بن مسعود** هو وان كان
موقوفا له حكم الرفع لان مثله لا يقال من قبل الرأي كما اتفق عليه في مصطلح الحديث اكثر
المحدثين **ان الله نظر الى قلوب العباد** وما فيها من العقل وقيل المراد ارواحهم لان القلوب
تطلق عليها **فاختار منها قلب محمد** اي اصطفاه وارتضاه **فاصطفاه لنفسه** اي جعله
صفيا له مقربا مختصا به لا تعلق له بغير الله بظاهره وباطنه ولذا جعله محلا لسره ع
ومبلغا لاوامره ونواهيه وهذا كله على طريق التمثيل فهو استعارة اي عامله معاملة عظماء
الملوك الذين يستخلصون من الناس من يكون وزيرا محترما لاسرارهم والمراد ان روحه وقلبه
اشرف مما عداه فلذا كان مقربا عنده وخليفة له وفيه اطلاق النفس على الله من غير مشاكلة
كقوله تعالى ويحذركم الله نفسه وادعاء المشاكلة تقديرية تكلف فقول اهل المعاني انه لا
يطلق عليه الا مشاكلة كقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك غير صحيح وجمع بين القولين لين
بعض المحققين فقال النفس لها معنيان الذات وهذا يصح اطلاقه من غير مشاكلة والجسم
وما يلزمه من النفس اللوامة والامارة وهذا لا يطلق عليه الا مشاكلة **وحكى النقاش**
ابو بكر محمد بن الحسن المفسر المشهور وقد تقدمت ترجمته **ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت
آية وما كان لكم** اي لا ينبغي لكم ولا يحل ولا يجوز **ان تؤذوا رسول الله** باي اذية كانت
ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده اي بعد موته **ابدا** لان حرمتهن مؤبدة وهن امهات المؤمنين منيح
حتى قال الشافعي من استحل ذلك كان كافرا لانه حي لم تزل عصمته عنهن وهن معه في الجنة
وكسوتهن ونفقتهن من بيت المال . وسبب نزول هذه الآية ان بعض المنافقين قال ان
مات تزوجت عائشة وما قيل ان القائل طلحة احد العشرة المبشرة بالجنة وانه ندم وحج ماشيا
واعتق رقبة وحمل على عشرة افراس في سبيل الله كفارة لمقالته فلا يصح لان مثله لا يصدر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عنه شيء ذلك بل من دونه بطبقات قام خطيبا على عادته فيما اذا بلغه ما لا يجوز واراد اعلام الناس فقال في خطبته يا معشر اهل الايمان المحسن الجماعة ان الله فضلني عليكم تفضيلا عظيما تفضل به على الامة وفضل نسائي على نسائكم للحديث لانهن افضل من جميع نساء عصره وفي فضل بعضهم على بعض كلام ليس هذا محله واشار به الى عدم كفاءة احد لهن وان كان الله خصه بانه لا يجوز نكاح زوجاته لسائر ○

فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسرا

اي ما اشتملت عليه قصة الاسرا ووقع في ضمنها مما فضله الله به على سائر الرسل والمراد ما اكرمه الله من خارق العادة وليس المراد به ما يقابل المعجزة فانه من اعظم معجزاته وقد اعلم به وبما فيه من قصته فلك ان تقول المراد به ظاهره لانه امر لا يطلع على غيره وما هو كذلك للتحدي به ولذلك عبر المصنف عنه بالكرامة والبا للتعدية او السببية والاسرا مصدر اسرى ويقال سرى واسرى اذا سار ليلا واختلف فقيل هما بمعنى وقيل بينهما فرق وقيل اسرى سار من اول الليل وسرى سار في آخره وقيل العرب تقول سرى ليلا اذا سار بعضه واسرى ليله اذا سار جميعها ولا يقال اسرى ليلا الا اذا وقع سيره في اثنائه فاذا وقع في اوله قيل ادلج فمعنى اسرى بعبده ليلا انه في وسطه واسرى متعد ومفعوله محذوف هنا اي اسرى البراق وقيل انه لازم كسرى وانهما متغايران معنى كما مر ولفظا لان سرى من السرى واسرى من السراة وهي الظهر فمعنى اسرى ذهب به في سراة الليل اي ارض وهي ظهرها كذا في المفردات ويدل على تغايرهما اتفاقهم على التعبير بالاسرا هنا دون السرى واتفاقهم على القراءة به فصار معناه سيره الى بيت المقدس فالاسرا غير المعراج كما سياتي ثم بين ما تضمنه بقوله من المناجاة وهي الكلام سرا لان السر يقال له نجوى وتختص المناجاة في العرف بكلام العبد مع ربه كمناجاة موسى والرؤية اي رؤيته لربه بعين بصره او رؤيته ما في الملا الاعلى من العجائب ورأى اذا كانت بصرية مصدرها رؤية واذا كانت حلمية مصدرها رؤيا واذا كانت اعتقادية مصدرها رأي وقال السهيلي الرؤيا تكون بمعنى الرؤية ايضا في كلام العرب وعليه قول المتنبي ○ ورؤياك احلى في العيون من الغمض ○ وله شواهد فلا يرد عليه شيء كما توهم وما يقوله بمنزلة ما يرويه وامامته بالانبيا اي صلاته بالانبياء اماما لهم فانه يدل على تفضيله ولذا استدل على تقديم ابي بكر بتقديم النبي له في الصلاة في مرض موته وقال الا نرضى لدنيانا من رضيه النبي صلى الله عليه وسلم لديننا والعروج به الى سدرة المنتهى العروج بمعنى الصعود في جهة العلو وفعله عرج يعرج كقتل يقتل وفي الحديث عرج بي بفتحتين وقال المصنف الله بفتح العين وكسر الراء ومنه المعراج والمعرج بكسر الميم وهو السلم ذو الدرج وجمعه معارج ومعاريج ويسمى معراج يصعد فيه ارواح الموتى وهو الذي يشخص اليه بصر المحتضر لما يرى من نوره وحسنه فاذا رآه لم يتمالك روحه ان يخرج وبه يصعد الملائكة بالاعمال وبه فسر قوله ذي المعارج والاسرا سيره لبيت المقدس والمعراج صعوده للسما وهو مصدر ميمي او اسم السلم الطلوع عليه او فيه مقدر والمعراج صعوده للسماء وهو مصدر وقد يطلق الاسرا على جميع الاسرا والمعراج ويطلق المعراج على ذلك مجازا قيل انه تغليب وفيه نظر والسدرة شجرة معروفة وهي شجرة

النبق

النبق وقيل التي في الجنة سدرة المنتهى وهذه الشجرة في السما السابعة وقيل انها في السادسة وجمع بينهما وثمارها نور من الله وفراش من ذهب يسير الراكب في ظلها مائة عام ويخرج من اصلها انهار وقيل لانه ينتهي اليها علم الخلائق فلا يعلم او ينتهي الملائكة فلا تتجاوزها وقيل لان من وصل اليها انتهى لاقصى الكرامة الى غير ذلك من الاقوال وما رأى من آيات ربه الكبرى ما موصولة عايدها مقدر اي رآه او مصدرية والكبرى مفعول رأى ومن آياته بيان مقدم عليه او هو صفة لاياته ومن تبعيضية او زائدة وآيات الله كل ما رآه مما يدل على عظمته كجبريل على صورته الاصلية او ما يغشى السدرة من الانوار التي لا يمكن النظر اليها ولا وصفها وقيل هو رفرف اخضر سد السما والرفرف يسمى بالفارسية ساسان وقيل انه بساط ومن خصايصه صلى الله عليه وسلم اي ما خصه الله به من دون الانبيا مع ما له من المعجزات التي تساوي معجزات سائر الانبيا كما فصل في محله قصة الاسرا وما انطوت عليه اي احتوت عليه وتضمنته من درجات الرفعة اي العلو في الرتبة والدرجة المرقاة الحسية فشبه ما اعطيه من المراتب المعنوية بالمراقي الحسية واستعار لها اسمها استعارة مصرحة مما نبه عليه في كتابه في سورة الاسرا وسورة النجم وشرحته اي كشفته وبينته صحاح الاخبار وفي بعض النسخ صحاح الاخبار وكلاهما جمع صحيح قال في القاموس يقال صح يصح فهو صحيح وقوم صحاح بكسر الصاد وصحايح انتهى وصحاح بكسر الصاد بمعنى صحيح او مصدر بمعنى الصحة وهو من اضافة الصفة للموصوف اي الاخبار الصحاح وهي ما رواه الثقات بسند متصل وسلم من الشذوذ والعلة القادحة كما في فصل في مصطلح الحديث ب قال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده الاية وسبحان منصوب على المصدرية وهو علم جنس لمعنى كفجار وغدوة فاذا اضيف قصد تنكيره فان علم الجنس منكر كعلم الشخص وانكر بعضهم بناء على انه غير معين فلا يتصور تنكيره فان علم الجنس منكر كعلم الشخص وعلى العلمية هو ممنوع من الصرف فاذا نكر صرف وانكر بعض النحاة علميته وخطا من قال به كما ذكره ابو علي في تذكرته والكلام فيه طويل الذيل فسبحان مصدر بمعنى التسبيح والتنزيه او اسم مصدر وابتدا السورة والقصة به لانه لما ذكر الاسرا والرؤية ربما توهم ان الله في جهة فنزهه عن ذلك وهي مع التنزيه تدل على التعجب ولما كان يوهم في الاسرا نزه الله عن الكذب وعجب عباده من نسبته لمثله ○ ومما انعم عليه من النعم التي خصه بها قيل ويحتمل ان تكون بمعنى الامر اي سبحوه تسبيحا ○ وقال ليلا اي في مدة قليلة ولذا ذكره ونكره مع ان السرى يختص به ○ وقال بعبده لان صفة العبودية اشرف الصفات واضافه له تشريفا وايماء الى انه محترم لدخول سرادق القدس والمسجد الحرام يخص المسجد نفسه ويكون لمطلق الحرم وكل منهما صحيح هنا والاسرا وقع به كان من الحجر وهو نايم به ○ وروي انه كان في بيت ام هاني وجمع بينهما بان جبريل اتاه في بيت ام هاني فايقظه وذهب به الى الحرم ثم نشاطا بجيئه فنام في الحجر والمسجد الاقصى بيت المقدس سمي به لبعده عن المسجد الحرام وضمير انه هو لله اي هو السميع لما قيل في حقه والبصير المطلع على احواله وقيل انه للنبي صلى الله عليه وسلم اي هو السميع لكلام ربه المشاهد لاياته وقال والنجم اذا هوى الخ الواو للقسم والنجم عام لكل نجم او المراد به الثريا لغلبته عليه او المراد به نجوم القران المنزلة عليه وهوى بمعنى غرب او انقض او طلع او نزل عليه وفيه واقسم به لوقوع ذلك ليلا ولذا ان يقسم بما شا او التقدير ورب النجم والكلام عليه مبسوط في التفاسير اذا علمت ما ذكر من النص فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسرا به عليه الصلاة والسلام

شبكة الألوكة www.alukah.net

بحث لنقل الشاهد له العقل والمسلمون مجمعون عليه وانما اختلفوا في كونه يقظة أو مناماً
كما سيأتي إذ نص القرآن تعليل لعدم وقوع الخلاف فيه بعد نص القرآن الذي لا يجحده مسلم
وجاءت بتفصيله بعد ما اجمله النص وشرح عجائبه الواقعة فيه وخواص نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم فيه اي ما خصه الله به في الاسرا احاديث كثيرة منتشرة وفي نسخة اخبار كثيرة
ومعنى منتشرة انها متفرقة في كتب الاحاديث باسانيد مختلفة رأينا من الرأي وهو النظر
والتدبر في الامور المهمة بعد ما رأينا جمعها يطول ويعسر ان نقدم الحديث الذي هو
اكملها اي اجمعها لهذه القصة واصحها والمراد بتقديمه اختياره كما في قوله هم

• فقلت له تيك نعمى انمها ه • ولا تبتئس ان المهم المقدم •

وهذا رواه مسلم فلهذا اجمله اصح من غيره واما على رأي المغاربة من ان الله اصح من مسلم ونشير
الى زيادة من غيره من غير هذا الحديث وقفنا روايتها لغير مسلم وهي مهمة يجب ذكرها حدثنا
القاضي الشهيد ابو علي هو الحافظ ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته والفقيه ابو بحر بن العاص
الامام المشهور بسماعي عليهما اي بسماعي ممن يقرأ عليهما فان حدثنا يختص بالسماع عند الجمهور
وبعضهم جعلها تشمل السماع وغيره فذكر المصنف هذا لدفع توهم غيره والقاضي ابو عبد الله
التميمي وهو محمد ابو عبد الله بن عيسى التميمي استاذ المصنف الذي تفقه عليه والمه اشار بقوله
وغير واحد من شيوخنا والشيخ في الاصل معناه الكبير سنا ثم صار في العرف اسما لمن يقرأ
عليه الناس ويستفيد منه لانه في الاكثر لا يصل لهذه المرتبة الا من كبر سنه وكان في العصر
الاول يقال لابي بكر وعمر شيخا الاسلام كما ذكره السخاوي قالوا حدثنا ابو العباس العذري
بضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة والراء المهملة نسبة لبني عذرة قوم من العرب
مشهورون وفي بعض النسخ بواو بدل الراء وهو تحريف من الناسخ حدثنا ابو العباس الرازي
تقدمت ترجمته حدثنا ابو احمد الجلودي تقدمت ترجمته وانه يجوز فيه ضم الجيم وفتحها
حدثنا ابن سفيان تقدمت ترجمته حدثنا مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح الامام المشهور
حدثنا شيبان بن فروخ بفتح الفاء وتشديد الراء المهملة المضمومة وواو ساكنة
وخاء معجمة وقال ابن حجر في التبصرة انه بروذوا و والذي نعرفه في لغة العجم انه بالواو
فان صح ما قاله فلعله تغيير بعد التعريب ومعناه السعيد طالعه وهو علم غير منصرف
للعلمية والعجمة وقول البرهان انه ضبط في بعض النسخ بالتنوين خطأ لا ينبغي ذكره وكذا
قول التلمساني انه يصرف ولا يصرف وصرفه اكثر وقال صاحب العين انه اسم لابن ابراهيم
الخليل وهو ابو العجم كما في المطالع ونقله النووي في شرح مسلم وتبعه صاحب القاموس
وهو ابو محمد الحبطي الابلي روى له اصحاب السنن وهو امام ثقة توفي في سنة خمس وثلاثين
ومايتين وترجمته في الميزان حدثنا حماد بن سلمة بن دينار احد اعلام المحدثين وهو ثقة
صدوق لكنه قد يغلط توفي في سنة سبع وعشرين ومائة وترجمته في الميزان حدثنا ثابت
البناني بضم البا الموحدة نسبة لحي من العرب يقال لهم بنانه ونونه مخففة وهو ابن
اسلم راس العلماء العابدين في عصره توفي سنة سبع وعشرين ومايه وعمره ستة وثمانون
وهو ثقة ثابت كاسمه اخرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة في الميزان عن انس بن مالك
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق
بزنة غلام وهو من دواب الجنة سمي به لشدة برقه ولمعانه او لسرعته كالبرق الخاطف.

وهو دابة اي على صورتها وهي في عرف اللغة ذوات الاربع واصل معناها وضعا كل ما
يدب اي يتحرك ويمشي على وجه الارض من ذوات الارواح وهو يذكر ويؤنث ابيض طويل فوق
الحمار ودون البغل في الجثة وابيض خبر بعد خبر لا صفة دابة وطوله باعتبار ما بين
عنقه وذنبه لانه اعون في مد خطوه وليس المراد طول قوايمه وقيل انه بادي البشرة د
خد كخد الانسان وعرفه كالفرس وقوايمه كالابل واظلافه وصدره كالبقر وصدره ياقوت
لا يشبه الدواب قال ابن المنير في المقتفى انما اتى له بالبراق تانيساً له وتجربة على العادة هم
والله قادر ان يرفعه بغير شيء واظهاراً لكرامته فان عادة الملوك اذا دعوا من يحبونه بعثوا
له بمركوب في وفادته ولم يكن على شكل الفرس تنبيهاً على انه حال سلم لا حال حرب واظهاراً
في اسراعه التعجيب وليس شكله مما يوصف بالسرعة عادة ولذا ركب البغل في حنين اظهاراً للثبات
والشجاعة وتساوي الحرب والسلم ونحلته بيضا ايضا كالبراق قال ابن المنير اي شهبا
والاشهب المايل الى البياض والشاة البرقا هي البرقا البيضا ومنه البراق ويجوز الجمع في التسمية
بين البياض واللمعان والسرعة يضع حافره عند منتهى طرفه الحافر مجاز كالمشفر
فان الحافر لا يطلق لغير الخيل ونحوها وهذا ظلف كما للبقر لكنه لقربه من البقر سماه حافراً
ومنتهى مصدر بمعنى الانتهاء والطرف العين والمراد به النظر ولا يلزمه ان يصل الى السما بخطوه
كما توهم قال صلى الله عليه وسلم فركبته حتى اتيت بيت المقدس بفتح الميم وكسر الدال
المخففة وتقدم انه يجوز ضمها وفتح الدال المشددة وانه من التقديس وهو التطهير واختلف
هل ركب جبريل معه ام لا فقيل ركب معه لانه ورد في بعض طرق هذا الحديث فما زلت على ظهره
انا وجبريل وحينئذ فيحتمل انه كان خلفه ويحتمل انه كان قدامه قال ابن المنير والاظهر اختصاصه
بالركوب وقد صرح في الحديث بان صعوده كان على البراق ولم يذكر ان هبوطه كان عليه فقال
التميمي ان الله اتى له به وقت اظهاراً لقدرته وقيل انه هبط به ايضا ولكن لم يتعرض له
اكتفاء بذكر العروج فربطه اي البراق بالحلقة بفتح الحاء المهملة وسكون اللام وهي
معروفة واختلف في فتح لامها فجوزه بعض اهل اللغة وجعله بعضهم خطأ وقال التي
بالتحريك جمع حالق ككاتب وكتبة التي يربط بها الانبيا وروي به في مسلم وفي الشفا
لتاويل الحلقة بشيء ونحوه وقالوا امر التذكير والتانيث سهل وعبر بالمضارع حكاية للحال
الماضية ولم يبين اين كانت الحلقة فقيل كانت بباب المسجد الاقصى والذي في حديث الترمذي
انه صلى الله عليه وسلم حين انتهى الى بيت المقدس اشار جبريل الى الصخرة فخرقها وربط
البراق فيها وهذا هو المعروف ولا اعرف ما قبله عمن نقل ولم يذكر المربوط وظاهر السياق
انه البراق بناء على انها كانت مركبهم وهو الصحيح فان ركبه جميعهم وهو ظاهر والافراد بالانبيا
الجنس وانه للجميع فعل البعض وهو جائز واحتمال ان المعنى يربط دوابهم بعيد وكون البراق
قوي يمكنه قلع الحلقة بجذبه فلا فايدة في الربط لا يضر لانه مسخر لا يخالف فعل النبي وفيه
اشارة الى مباشرة الاسباب وانها لا تمنع التوكل وكفاك شاهداً اعقلوا وتوكلوا ثم دخلت المسجد
الاقصى وعطف بثم للتراخي الرتبي وحصل بعد رتبة المسجد عن الارض التي ليست بمسجد بمنزلة
البعد الحقيقي فصليت فيه ركعتين تحية المسجد وكان صلى الله عليه وسلم يصلي فيه فرض
الصلاة بالاسرا او فرض عليه صلاة اختلف فيها فقيل صلاة الليل وقيل صلاة بالغدو وصلاة
بالعشي ونقل ابن الملقن وقال ثم فرضت الصلاة الخمس في الاسرا من غير تعيين اوقاتها فلما نوما

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يصلونها متى ارادوا مجموعة ومفرقة ثم عينت اوقاتها بوحي من الله تعالى ثم خرجت من المسجد
فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن وخيرت في ايهما اردت فاخترت اللبن باخذه
وشربه فقال جبريل اخترت الفطرة وروي اخذت الفطرة وقد تقدم ان الفطرة الجبلة
والطبيعة التي فطر الناس عليها وتكون بمعنى الاسلام والاستقامة اي ما اخترته هو الموافق
للخلقة الانسانية التي خلق الله الناس عليها وللطبائع المستقيمة فان اللبن شراب لذيذ
سائغ وطعام نافع موافق للانسان سريع النما ولذا كان غذاء للاطفال دون غيره وفي طريق
آخر هديت وهديت امتك ولو اخترت الخمر لغويت امتك وفي طريق آخر هدى الله بك
او اصاب بك وروي ان الانية كانت ثلاثا ما ذكر واناء فيه ماء وفي رواية اربع هي اناء
فيه عسل والاصح ما رواه المصنف وقال ابن المنير التخيير انما يكون بين واجبين كخصال الكفارة
او مباحين كمجالس العلما او الزهاد او مجالس الحسن او ابن سيرين اما بين واجب وممنوع او مباح
وممنوع فلا فالتخيير بين الخمر واللبن سواء اريد اباحتهما والاذن فيهما جميعا او اريد الاذن
في احدهما لا بعينه مشكل فما معنى تخييره حتى اختار احدهما وقول جبريل له اصبت الفطرة يعني
اللبن الذي تربت الخلقة عليه وبه نبت اللحم ونشز العظم واخترته لانه الحلال الدائم في دين
الاسلام واما الخمر فحرام فيما سيستقر عليه الامر والذي يرفع الاشكال ان يكون المراد تفويض
الامر في التحليل والتحريم الى اجتهاده الذي وافق فيه الصواب بناء على جواز الاجتهاد له فيما لم يوح اليه
فيه شي وانه معصوم في اجتهاده وخالفه غيره انتهى ● واجاب غيره بان الخمر لم يحرم اذ ذاك
او انه كان في السماء وليست دار تكليف او هي من خمور الجنة وليست محرمة ويجوز ان يترتب
عليها غي امته كما تترتب النتايج على بعض المباحات قال ابن المنير واللبن في الرؤيا يعبر بالعلم
ففيه اشارة الى انه لما ملي قلبه ايمانا وحكمة اردف ذلك بالعلم وجعل شرب ذلك اللبن لترادف
المعلوم عليه وتحقق قلبه وقالبه بالانوار والاسرار وان كان يقظة الا انه ربما وقع في اليقظة
اشارات على حكم الفال تعبر كما تعبر المنام ولذا كان يحب الفال الحسن وجاء في الحديث انه قدم
له الانا آن قبل العروج وجاء في حديث آخر انه بعده ويجمع بينهما بان تعدد بهما له ووقع مرتين
وكرر جبريل تصويب فعله تاكيدا للتحذير مما سواه ثم عرج بنا الى السماء بفتح العين والرا
اي عرج جبريل وصعد وضمير بنا له صلى الله عليه وسلم والبراق او هو له ولجبريل وفاعل عرج
البراق والبا للتعدية او المصاحبة وتقدم انه يجوز ضم العين وكسرها والسما هي السماء الدنيا
ولم يبينه لظهوره فاستفتح جبريل هو اما بقرع لها او بصوت قيل والظاهر الاول لانهم
يعرفون صوته اي طلب فتحها من الملايكة الموكلين بها فقال الموكل بها من انت ايها المستفتح
فقال المستفتح انا جبريل ففي جبريل مبتدا مقدر هو انا او المستفتح وفيه اشارة الى ان من دق
الباب ينبغي له ان يسمي نفسه ولا يقتصر على قوله انا وان السما لها ابواب تفتح خلافا للحكما
المانعين للخرق والالتيام عليها قيل ومن معك عطف على مقدر اي جبريل ومن معك قيل انما
استفتح لان معه النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان وحده لم يحتج لاستفتاح وقيل انما استفتح تكريما
وتانيسا له وقال ابن المنير استفتاحه لان ابوابها مغلقة ولم تفتح الا لاجله تنويها بقدره ولو
صادفها مفتوحة لم يعلم ذلك قيل وقد بعث اليه اراد الاستفهام فحذف الهمزة للعلم بها واصله
اوقد بعث اليه والنحويون يمنعون حذفها ويحملون كلامهم على انه اذا لم يكن قرينة على الحذف
والا فالحديث حجة عليهم كما قاله ابن المنير في المقتفي ولم يرد بالبعث بعث النبوة والرسالة فانه

كان

كان معلوما لهم وانما المراد انه بعث اليه للمعراج وقول ابن حجر انه يجوز ان يكون استفهاما
عن اصل بعثته بالنبوة والبواب لم يطلع عليها لاشتغاله بشانه لا وجه له لان المراد بسؤاله
بيان سبب موجب لفتح السما له ومجرد نبوته ليست تصلح للسببية الا انه يحتمل ان يكون تعجبا
مما انعم الله به واستبشارا بعروجه وهذا مع ما فيه احسن مما قاله ابن حجر وفيما ذكره دلالة
على ان من اذن له في شي يقتضي رفع الموانع عما اذن فيه فمن اذن له بالبيع اذن له في قبض الثمن
والوكيل اذا اذن له في شي اذن له في لوازمه فلذا لم يطلب البواب الاذن له في الفتح ولذا قال قيل
بعث اليه ففتح لنا بالبنا للفاعل والمفعول وفي بعض الطرق ان الخازن قال له مرحبا به
ولنعم المجي جاء قال ابن المنير وفيه دليل على ان الحاشية اذا فهموا منه اكرام وافد ان يبشروه
وان لم يوذن لهم فيه وهذا ليس من افشاء السر لانه تعرض لرضاه لان استدعاه انما هو لاكرامه
فيعجل له بالبشرى ثم افاد فايدة جليلة منقسمة الى متعبد به لا يقوم غيره مقامه فان ادى معناه
كالاحرام بلفظ التكبير والتشهد ومنها ما لا يحجر في لفظه فيقوم مقامه لكن ما ادى
مؤداه كدعاء الجنازة والقنوت وتسبيح الركوع والسجود ونحوه وهذا مما لا يعلم من جملة العرش
اذا علمت هذا فالتحية بالسلام هل تعتبري من القبيل الاول او من الثاني فيقوم مقامه ما يؤدي
معناه كاهلا وسهلا ومرحبا ولذا كان بعض المتورعين لا يرد سلام من يلفظ به ويقول ليس
هذا بسلام يستحق الرد واكثر السلف والخلف على التسمح فيه وهذا الحديث دليل لهم فان الملك
حياه بمرحبا به ونعم المجي جاء وكذا من لقيه من الانبيا ولذا قال المصنف وقوله فاذا انا بادم
صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير اي قال لي مرحبا بك اي جعل الله مكانك رحبا
واسعا وهو كناية عن اكرام نزله وبره واذا هي المفاجاية وبداءته بادم لانه اسبقهم وجودا
قال ابن المنير في المقتفي اختلف طرق المتكلمين على حديث الاسرا في ذكر الانبيا وترتيبهم
في السموات فمنهم من لم ير التكلم في سره اصلا ومنهم من تكلم فيه من مشايخ الصوفية وفيه كلام
طويل افردناه برسالة لا يسع المقام تفصيله ثم اختلف هولا فمنهم من قال انما اختص من
من الانبيا بلقائه صلى الله عليه وسلم على عرف الناس اذا تلقوا الغايب منذ زمن القادم فالغالب
ان يسبق بعضهم بعضا ومنهم من يصادفه ومنهم من لا يصادفه وهذه طريقة ابن بطال في شرح
البخاري وذهب بعض شيوخ الاندلس الى ان ذلك تنبيه على الحالات الخاصة بهولاء الانبيا
وتمثيل لما سيقوله صلى الله عليه وسلم كما اتفق لهم مما قصه الله في كتابه قالوا وهذا يرجع الى فن
التعبير فمن راى في منامه نبيا كان ذلك دليلا على حاله فادم عليه السلام تنبيه على الهجرة لخروجه
من الجنة وعداوة ابليس وحيلته لخروجه صلى الله عليه وسلم من مكة باذية قومه له وللمسلمين
وعيسى ويحيى دليل على ما سيلقاه الرسول من اذى الرسول لانهم قتلوا يحيى وراموا قتل عيسى
فرفعه الله اليه وكذلك فعلت اليهود برسول الله اذ داروا حول قتله وسموه في ذراع شاة
كانت سببا للشهادة في قصته المشهورة ويوسف دليل على ما فعل به قومه مما كان سببا لرفعته
وظفره ثم احسانه اليهم وعفوه عنهم كما فعل مع عمه العباس وابن عقيل اذ فداهما وقال يوم فتح مكة
اذ عفا عن قريش واطلق الطلقا القول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم الخ وكما فعل
يوسف وهارون دليل على عداوة قومه وانها تنقلب مودة كما كان هارون محببا عند بني اسرائيل
حتى آثروه على موسى وادريس دليل على كتبه الى الافاق لانه اول من خط بالقلم ثم رفعته وعروجه
وموسى دليل لفتحه مكة وقهر المستهزئين كما فعل موسى بالجبابرة وابراهيم في اسناد ظهره البيت

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المعمور كحاله في حجه في آخر عمره ولذا لقيه في آخر السموات انتهى وفيه اشارة الى حكمة الترتيب في منازلهم ولقياهم وهذا مما لا ينبغي تأمله فانه مما تفرد به وللمشايخ في ذلك كلام اشار اليه الشيخ في فتوحاته وقد تقدم ان اليقظة فيها احوال كالمنام والفال ونحوه تعبر كما تعبر الرؤيا ولعمر في ذلك امور كثيرة كقوله اذ سأل رجلا عن اسمه فقال شهاب قال ابن من قال ابن جمرة قال ممن قال من الحرقة قال اين مسكنك فقال بالحرة قال بايها قال بذات لظى فقال ادرك قومك فقد احترقوا فذهب فاذا النار مشتعلة في بيوتهم وفي هذا الحديث انه رأى رجلا في سماء الدنيا عن يمينه اسودة وعن شماله اسودة اذا نظر ليمينه ضحك واذا نظر ليساره بكى يعني آدم وذريته وقد استشكل فانه يعارض قوله تعالى ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء والحديث الصحيح ان ارواح الكفار في سجين واسفل سافلين واجيب بانها ارواح العصاة وما في الآية والحديث الكفار الجاحدين وهو لا غيرهم وقد نهي ابراهيم عن استغفاره وكون النبي وعدها جملة في صورة ضبع بذبح حين القاه في النار لئلا يحزن عليه واجيب ايضا بانه يجوز ان تمثل الارواح الاشقياء والسعداء او براهم النبي اذ مثلوا له وان لم يكونوا هناك كما كان يرى من خلف ظهره وهذا هو الجواب عن الاشكال وهو كيف يرى ارواح السعداء او الاشقياء وكثير منهم لم يموتوا واما كون الاسودة العصاة فغير مستقيم لان المسلمين كلهم من اصحاب اليمين وعلم مما مر ان آدم انما كان اول في السموات لانه اول الانبياء ولكونه اقرب لاولاده فينظر لاسودتهم **ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا** وفي بعض الروايات وقد ارسل اليه وهما بمعنى وقوله ابني الخالة لان مريم ابنة عمران اختها الشاع ام يحيى على ما قاله السهيلي وهو الموافق للحديث وارتضى غيره ان حنة بنت فاقوذا ويحيى ام ابنه زكريا فاقوذا ايضا فاخذا في الجدة فيكونا ابنا خالة لان الخالة اخت الام والجدة يقال لها ام واستدل لهذا بقول زكريا لما اراد كفالة مريم عندي خالتها وارتضى هذا السعد في شرح الكشاف نقل هذا في كونهما ابنا خالة تجوز سهل وقال الزهري يقال هما ابنا عم ولا يقال ابنا خال ويقال ابنا خالة ولا يقال ابنا عمة لان من كان ابن عم انسان كان الآخر ابن عمه ايضا ومن كان ابن خالة انسان كان الآخر ابن خالته ايضا بخلاف ابن الخال وابن العمة وانما كانا في السماء الثانية لانه رفع الى السماء وسينزل منها فجعل في مكان قريب الى الدنيا مع يحيى لانه لدته وبينهما من القرابة والمحبة ما لا يوصف ولذا جعلا في سماء واحدة ولم يكن في سماء اثنان من الانبياء غيرهما وقال ابن المنير لما كان عيسى سينزل كانها معجزة ليحيى وحده **ثم عرج بنا الى السماء فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف واذا هو قد اعطي شطر الحسن** تقدم معناه وان الشطر النصف **فرحب بي ودعا لي بخير** لم يذكر الدعاء والقول بانه قوله مرحبا لا وجه له فانه لا يسمى دعاء ولما كان لقاؤه له دليلا على مفارقة اهله ووطنه على وجه يؤول للغيرة ونصره وهو نحو البعثة والدعوة وبنو الثالث من اطواره رآه في الثالثة وقد تقدم بسطه **ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا** ولما ترادف الوحي عليه بعد الهجرة واظهر المؤمنون شعائر الاسلام وهو طور رابع رأى ادريس في الرابعة لشهرة علمه وكتابته وفيه عز الاسلام وكماله رفعته وفي تلاوة الآية ايماء الى هذا وادريس اسمه اخنوخ بالعبرية وهو سبط شيث وجد ابي نوح وهو المثلث بالحكمة لانه اول من نظر في النجوم وخط ودرس

وقال

وقال له صلى الله عليه وسلم في الرواية المشهورة مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح وفي اخرى شاذة بالابن الصالح وهو الظاهر وقد استشكل كونه اخا مع انه جد اعلى حتى قال بعضهم ان ادريس الذي لقيه غير ادريس هذا وهو الياس وروي هذا عن ابن مسعود وعلى هذا لا اشكال وقيل المراد اخوة النبوة والاسلام واختلف في رفع ادريس الى السماء هل هو بعد موته كما رفع سائر الانبيا او في حياته كعيسى ففي قصص الانبيا ان الملائكة احبته لكثرة عبادته فسأل ربه ان يذيقه الموت حتى يهون عليه فاذاقه ثم حيي ثم سأله ان يريه النار ليزداد رهبة فاوردها ثم خرج منها فسأل ان يدخل الجنة ليزداد رغبة فادخلها فلما قيل له اخرج قال يا رب اني ذقت الموت ووردت النار ودخلت الجنة وقد وعدت من دخلها ان لا يخرج منها ابدا فاوحى الله لخازنها دعه فانه فعل ما فعل فبقي في الجنة في السماء الرابعة نقله ابن المنير ومنه علم وجه كونه في الرابعة على الاصح وقيل انه في الثانية وقيل في السادسة **ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير** جعل في الخامسة لانه كالرديف لموسى لا يفارقه فلذا كان في جواره **ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير** لما كان موسى اجل الانبيا بعد ابراهيم وكتابه اعظم الكتب قبل القرآن وجاهد في الله وظفر بما لم يظفر به غيره فرفعت مرتبته على غيره وتوفي في حظائر القدس تحت منزلة الخليل فكان في السادسة **ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم** لما كان ابراهيم افضل الانبيا قبل نبينا صلى الله عليه وسلم وهو خليل الرحمن كان ارفعهم منزلة وما ذكرناه في وجه التخصيص والترتيب هو بالنظر للظاهر بطريق المناسبة لحال نبينا وما استدل به عليه ولعل هنا مناسبة اخرى بين كل سماء ومن فيها من الرسل. وهذا مما لا نعرفه **مسندا ظهره الى البيت المعمور** وهو بيت يطوف به الملائكة ويحج له العباد وهو محاذ للكعبة ويسمى الضراح بضم الضاد المعجمة وراء وحاء مهملتين ويسمى معمورا لكثرة الملائكة فيه قال التلمساني قيل فيه دلالة على ان الافضل في غير الصلاة اسناد الظهر للقبلة وقيل الافضل استقبالها فعلى هذا العلة اسند ظهره للتوجه للنبي وتخاطبه بما مر وانما اسند ظهره للبيت لانه الذي بنى الكعبة من الناس اولا **واذا هو يدخله في كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه** لان حجته مرة كفرض الحج علينا او لاشتغال غيرهم وكونه في السابعة حذاء العرش هو الاصح وقيل انه في الرابعة **فذهب بي الى سدرة المنتهى** لم يقل عرج لانها في السماء السابعة وتقدم معنى سدرة المنتهى **وورقها كآذان الفيلة** بكسر الفاء وفتح المثناة التحتية جمع فيل وانما شبهه بها وان لم تكن بارض الحجاز لانها كثيرة في بلاد الحبش وهم كثيرا ما ياتونها للتجارة ولانها كانت الهجرة الاولى فهم يعرفونها والا شبه بما لا يعرف الفان غير ممنوع **وثمرها كالقلال** جمع قلة وهي الجرة وشبهها بها لعظمها ولطف ورقها وطيب ثمرتها وحسن رائحتها وان كان شجر الجنة انما يحكي امور الدنيا صورة والفرق بعيد **فلما غشيها** اي طرأ عليها وغطاها **من امر الله** الظاهر ان المراد بامر الله وحيه او تجليه لرسوله فانها بذلك اشرق عليها نور الحق فذهبت به وحسنت حسنا لا ينعت ونور لا يمكن ان تقابله الابصار ولقوله بعده **ما غشي** اي امر عظيم غشي فان الابهام مثله يعني كقوله الحاقة ما الحاقة وامثاله **تغيرت** اي عن حالها التي كانت عليه **فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من اجل حسنها** الذي طرأ عليها

لكونها من اشجار الجنة المعتادة لاشراق تلك الانوار عليها ولو كانت من اشجار الارض احترقت
كاصار الجبل دكا وبدل على ما قلنا قوله فاوحى الى عبده ما اوحى وفي هذا الابهام تعظيم
وتكثير بطريق الكناية الابهامية حتى كانه مما لا يمكن ان يدرك فينعت وفي هذا الموصول
وتعريفه اشكال اجبنا عنه في حواشي التسهيل لان ما موصولة تتعرف بالعهد الذي في
الصلة فاذا كانت كذلك كيف تكون الجملة معهودة معرفة وقيل المراد بها الملايكة التي تغشاها
فانه شاهد على كل ورقة منها ملكا وقيل فراش من ذهب وجواهر ينزل عليها او جراد من ذلك
وقال مجاهد رفرف اخضر وقيل طيور خضر وانما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قطع السدر
لذلك وفسر ما اوحى بقوله فعرض علي وعلى امتي خمسين صلاة تكون في كل يوم وليلة
وقيل ما اوحاه اليه مبهم لا يعلمه احد وقيل صورة الم نشرح وقيل ان الجنة حرام على الانبيا حتى
تدخلها امته وقال السيوطي في الخصايص فرضت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة وغسل
نجاسة الثوب سبعا سبعا والوضوء لكل صلاة فنزلت الى موسى قال نزل لانه كان في السادسة
والوحي في السابعة وتخطى ابراهيم ونزل له ليشاوره لانه يعلم ما في شريعته من الاحكام والصلوات
وما دون ذلك اكثر من ابراهيم لانه لم يعرض على امته ما فرض على امة موسى فقال ما فرض
ربك على امتك قال او لا فرض علي وقال هنا على امتك لان ما فرض على النبي فرض على امته
ففيه احتباك وهو من انواع البديع وهو ان يذكر شيئين يحذف من كل منهما ما ذكر في الاخر فحذف
من الاول من وعلى امتي ومن الثاني علي ووقع فرض الصلاة في السماء لانها اعظم العبادات
فعرضت في اجل المواضع وبين الله فرضها بنفسه من غير واسطة ملك اعتناء بشانها ولذا قيل
يكفر تاركها وذهب الشافعي الى انه يقتل كما سياتي قلت فرض خمسين صلاة منصوب لانه
تمييز فقال ارجع الى ربك فاساله التخفيف منها برفع بعضها وانما اشار اليه بذلك لمحبته له
وحب له ما يحب لنفسه وقيل ذلك لانه سال الله ان يكون من امته لما راى في الطور ما لامته
من الكمال فقال يا رب من هولاء قال امة احمد فقال يا رب اجعلني منهم فخشي ان تفرض عليهم
تكاليف شاقة وهو منهم فيقصر فيها وقال السراج البلقيني انما قصد موسى تكرار رؤية
محمد عقب رؤيته لله بعينه كما قيل لعلي اراهم او ادرى من براهم وموسى وان كان يرى الله
في الاخرة لكن رؤيته روحية وهي ليست جسدية عينية ولا تتيسر في كل حين قال ابن
حجر يحتاج ما قاله البلقيني الى ثبوت تجدد رؤيته في كل مرة يعني رؤية محمد صلى الله عليه وسلم
لربه وقال مصلح الدين الدوري ما قاله البلقيني ما يتوقف على تجدد الرؤية ويكفي حصول
اصلها فان امتك لا يطيقون ذلك خص الامة اشارة الى انه يطيق ذلك لما رزقه الله
من قوته على عبادته ولذا كان يواصل الصوم وقد نهى عنه ومعنى لا يطيقونه انه يشق عليهم
فيقصرون فيه لا انه محال حتى يقال انه مبني على تكليف المحال وهو جائز وفايدته الاخذ
في مقدماته حتى يعلم امتثاله ويطيقون بعضا وله مضارع اطاقه فاني قد بلوت بني
اسرائيل وخبرتهم عطف تفسير لان الابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان يقال خبره بخبره
كنصره يقتله وفيه مقدر اي خبرتهم مع قوة اجسادهم وطول اعمارهم فلم اجد لهم صبرا على
ذلك فكيف حال امتك وفي نسخة قبلك فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي
مفعوله محذوف للعلم به اي ما فرضته عليهم من الصلاة ولم يقل وعني حيا منه بسواله لنفسه
فحط عني خمسا منها واصل الحط معناه تنزيل الحمل فشبهه بالحمل تشبيها مكنيا كما قال لا تحملنا

ما لا طاقة لنا به فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا منها فقال ان امتك لا يطيقون
ذلك فارجع الى ربك فاساله التخفيف وفي نسخة فسله قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى
وبين موسى اي بين موضع مناجاتي له تعالى وملاقاتي لموسى حتى قال الله تعالى انتهى التخفيف الى خمس
انهن خمس صلوات كل يوم وليلة استدل به الشافعية على عدم وجوب الوتر وجوابه مسطور في كتب
الفروع الحنفية بكل صلاة عشر فتلك خمسون في الثواب والاعتبار لان بعشر امثالها كما ياتي
امثاله وتحقيقه ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة لنيته عملها فان عملها كتبت
له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة الهم القصد من غير
تصميم فان صمم فهو عزم ومذهب الباقلاني انه ياثم بالعزم المصمم وهذا الحديث محمول على الاول
وانكار بعضهم المواخذة بالعزم مردود بالنصوص الصريحة كقوله ان الذين يحبون ان تشيع
الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم والكاتب الملايكة فيكتب حتى ما في القلب كما قاله الطحاوي
وفي حديث مسلم القدسي كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة الى اضعاف كثيرة وهو صريح
في ان المضاعفة تزيد على العشر ولا تقف على سبعمائة وقول القرطبي انها لا تتجاوزها مردود
بهذا الحديث المجمع على صحته وتحقيقه كما في الاحيا ان اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له
صورة امراة وراي ظهرها بحيث لو التفت راها والثاني هيجان الرغبة الى النظر وحركة الشهوة
وميل الطبع المتولد من الاول المسمى حديث النفس والثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل
بان ينظر اليها وهو تبيع للخواطر والميل والرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية ويسمى
هما بالفعل وهذه قد تكون لخاطر حتى طالت محاولته للنفس حتى تجزم النية واذا عزمت
يعلم ويترك وقد يفعل فلا يعمل وربما يعوقه عايق عنه فهي اربعة احوال الخاطر وهو حديث
النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ما حدثت به نفوسها لحديث النفس خاطر يجري في النفس لا يتممه
عزم والثالث هو الاعتقاد وحكم القلب وهو اما اضطراري لا يواخذ به واختياري يواخذ
والرابع وهو الهم بالفعل فان لم يعمل به وتركه خوفا من الله وندما على همه كتب له حسنة لان همه
سيئة وامتناعه منه حسنة لمجاهدته نفسه وان عاقه عايق عنه غير خوف الله كتبت سيئة
لان همه فعل اختياري له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت حتى انتهيت الى موسى اي انتهى
سيري فوصلت له ولم يقل انتهيت قبل هذا وقاله هنا اشارة الى انه تمام المراجعة ولا مراجعة
بعده فاخبرته بما قاله الله له فقال ارجع الى ربك فاساله التخفيف من الخمس فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيما قصد من حديث الاسرا فقلت لموسى قد رجعت الى ربي مرارا
وراجعته في سوال التخفيف حتى استحييت منه ان اراجعه في السوال بعد ذلك واعلم انهم
اختلفوا في جواز النسخ قبل التمكن من الفعل والبلاغ وقبل دخول الوقت فذهب اهل السنة الى
جوازه وهو مبني على جواز التكليف بما لا يطاق واستدلوا بانه وقع كما فيما نحن فيه وبقصة الذبيح
اذ امره بذبحه ولم يتم نسخه قبل تحققه بالفداء ومنعه المعتزلة فمنهم من قال لم يامره لانه منام
ورد بان رؤياهم وحي يجب العمل به ولذا باشره ومنهم من قال انما امر بمقدماته من الشد
والتل ونحوه ورد بان قوله اني اذبحك والفداء يابانه وقيل انه فعل ولكن انقلبت السكين
او ذلك عنقه حديدا وقيل ذبح والتحم وهو مكابرة وقالوا ان النسخ قبل البلاغ مناقض والجواب
بانه المامور وقد بلغه ضعيف لانه عام له ولامته لان الفرض عليه فرض عليهم ولذا قال له
موسى ان امتك لا تطيقه وفيه ايضا النسخ قبل البيان لانه لم يبين وقته وعدد ركعاته وهو

للحسنة صح

ع

نسخ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

جائز واعلم انهم يريدون بالمنسوخ خبر التكليف لا نفس الامر لانه قديم ووقع في بعض طرق هذا الحديث ان موسى قال اسأله التخفيف فاني اعلم بالناس منك فكيف يقول هذا وقد قاسى مع الخضر ما قاسى لما قال انا اعلم الناس وكيف يقوله لرسول الله والجواب ان مراده علم التجربة والرؤية لما يراه ومثله لا يضر وما قيل من انه خبر لا يدخله النسخ مردود بقوله وقيل ان قوله خمسون او لا بيان لما في اللوح المحفوظ والمراد انها بحسب الثواب كذلك فلا نسخ فيه وان النبي فهمه على ظاهره فراجع ربه فيه في غاية البعد **قال القاضي** هو شيخه القاضي الشهيد المذكور في اول السند السابق ولذا لم يسمه استغناء باعادة المعرفة معرفة وتعريفه عهدي **جود** بفتح الجيم وتشديد الواو اي حسن من الجودة ضد الرداءة والحسن ضد القبح **ثابت** البناني راوي **هذا الحديث عن انس ما شاء** اي احسن في روايته واتقنها اتقانا محكما لان ما نكرة موصوفة اي تجويدا كثيرا **وقد خلط فيه** خلط بتشديد اللام وضمير فيه للحديث والخلط ادخال شيء في شيء والمراد انهم دخلوا في حديث الاسرا ما ليس منه كشق الصدر كما سنبينه **لا سيما** اي لا مثل روايته وفسرها الرضي بخصوصا وقال الدماميني انه لا تستعمل فيه وسي منصوب وما بعده يجوز رفعه ونصبه وجره وقد عدها النحاة من كلمات الاستثناء وفيه كلام طويل بيناه في غير هذا الكتاب وغني في عنية عنه **رواية شريك بن ابي نمر** بفتح النون وميم مكسورة تليها را مهملة التابعي الصدوق الثقة القاضي التابعي المدني وقد ضعفه ابن حزم لما وقع له في حديث الاسرا من الاوهام الاربعة التي اشار لها المصنف وقيل انها ثمانية توفي سنة اربعين ومائة وله ترجمة في الميزان **فقد ذكر في اوله** اي ذكر شريك في اول حديث انس **مجي الملك له** اللام للتقوية لان جاء متعد بنفسه **وشق صدره وغسله بماء زمزم** وقد تقدم انه بالثلج وفي رواية بماء الكوثر وقد انكروا عليه روايته هذه وقالوا انه وهم من وجوه تزيد على العشرة منها في سنده فان قتادة رواه عن انس عن مالك بن صعصعة والزهري عن انس عن ابي ذر وشريك جعله عن انس من غير واسطة وخالف سائرهم بالزيادة المنكرة والتقديم والتاخير وقد نبه على ذلك مسلم في صحيحه وما ذكره المصنف موافق لقدح ابن حزم فيه الا ان الحافظ ابو الفضل بن طاهر انتصر له في جزء مستقل الفه فيه قال تعليل حديثه بتفرده به ودعوى ابن حزم بان الافة من شريك اذ لم يسبق اليه لا يقبل فان ائمة الجرح والتعديل وثقوه ورووا عنه وقالوا لا باس به وحدث عنه مالك وغيره من الثقات وحديثه اذا رواه عنه ثقة لا ضعيف لا باس به وقد روى هذا عنه سليمان بن بلال وهو ثقة وتفرده بقوله قبل ان يوحى اليه لا يقتضي طرح حديثه ووهم الثقة في موضع لا يقتضي رد جميع ما رواه ولو قيل بهذا لزم رد كثير من السلف ولعله اراد ان بقوله انه اوحي اليه فقال قبله انتهى وقد سبق ابن حزم الى هذا الخطابي وقال النسائي انه يقول ليس بالقوي وكان بعضهم لا يحدث عنه وقال محمد بن سعد وابو داود انه ثقة والحاصل انه اختلف فيه فربما انفرد به شاذا منكرا وقد خالف غيره في هذا الحديث في مواضع من هذا الحديث منها امكنة الانبيا وكون المعراج قبل البعثة وكونه مناما وكون سدرة المنتهى فوق السابعة والمشهور انه فيها او في السادسة وفي نهري النيل والفرات وكون اصلهما في سما الدنيا والمشهور انهما من تحت السدرة وكون شق الصدر عند الاسرا وكون الكوثر في السماء الدنيا وهو في الجنة ونسبة الدنو والتدلي الى الله وهو لجبريل وكون مراجعته في سؤال التخفيف عند الخامسة وفي قوله فعلا به الى الجبار وكونه راجع بعد الخمس فهذه مواضع مخالفته في السند والمتن الذي

ابن حجر

قال الذهبي

قال المصنف انه خلط فيها وقد اجيب عن بعضها **وهذا** المذكور من الشق والغسل **انما كان وهو صبي** عند مرضعته **وقبل الوحي** واتى بانما ردا لقول شريك انه ليلة الاسرا واجيب عنه بان الشق وقع مرارا مرة وهو طفل صغير يلعب لازالة حظ الشيطان منه كما مر ومرة وهو ابن عشر سنين لازالة الطفولية عنه ومرة عند البعثة ليثبت قلبه للوحي وليلة الاسرا ليتقوى عليه وزيد خامسة ضعفها ابن حجر في شرح البخاري وصحح هو والبرهان الحلبي الاربعة الاول **وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه** اي شق صدره قبل البعثة **وذكر قصة الاسرا** فقال سمعت انس بن مالك يقول ليلة الاسرا جاءه ثلاثة قبل ان يوحى اليه وهو نائم في المسجد ثم لم يرهم حتى اتوه ليلة اخرى الخ وقد اجيب عنه بان قبل متعلق بجاءه فيحتمل ان مجيئهم بعد ذلك بسنين لا بليالي فلا خطا فيه **ولا خلاف انها** اي ليلة الاسرا كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل هذا اشارة الى الخلاف في سنة الاسرا وزمنه فقيل كانت سبع وعشرين من ربيع الاخر قبل الهجرة بسنة وقيل بعد البعثة بخمس سنين وقيل بعد البعثة بخمسة عشر شهرا وقول شريك انه قبل ان يوحى اليه غلط منه الا ان يقال هذا الاسرا كان مناما غير هذا كالذي روي عن عايشة انه كان بالمدينة فانه مناما ايضا قال ابن المنير في المقتفي رحم القاضي عياض الله كان قبل الهجرة بخمس سنين ولا يرد عليه ان خديجة كانت تصلي معه وقد اختلف في مدة وفاتها قبل الهجرة على اقوال اولها انها ثلاث سنين والصلاة لم تفرض الا في الاسرا الا ان هذه الصلاة غير المفروضة كالتي صلاها في المقدس وصحح ابن المنير الاول لان قول غيره تقدير وقوله تحديد وهو قول الحربي لانه عين ليلة معينة من شهر معين من سنة معينة واذا تعارض خبران احدهما احاط بتفصيل القصة كان اولى لانه يدل على ان روايته احفظ واوعى قلنا كقولهم الفقها ان الشهادة المؤرخة تقدم وكان تلك الليلة ليلة الاثنين كما قال ابن المنير هي ليلة الاثنين وكان مقدمه المدينة يوم الاثنين من ربيع الاول ثاني عشره قبل الفجر وقيل عند استواء الشمس واذا كان الثاني عشر الاثنين كان اوله الخميس فاول شهر الاسرا السبت او الاحد او الاثنين لان بين كل يوم من منتقا من سنتين متواليتين اما ثلاثة ايام او اربعة او خمسة ولذا تكون الوقفة من كل سنة خامس يوم الوقفة التي قبلها او رابعه او سادسه واعدل الاحتمالات الخامس فالجمعة يعقبها الثلاثا والاثنين يعقبها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكون السادس وذلك بحسب تمام الشهور ونقصها فبناء على قل الاحتمالات اول ربيع الاول من سنة الاسرا الاثنين واول الاخر منه الاربعا بعرض ربيع الاول تاما والسابع والعشرون منه يوم الاثنين ليوافق مولده ومبعثه ووفاته فان يوم الاثنين في حقه كيوم الجمعة لادم فانه خلق ونزل الى الارض وتاب الله عليه ومات فيه وقيل انه كان ليلة الجمعة لفضلها ثم ان كونها ليلة سبع وعشرين موافق لليلة القدر فانها ليلة سبع وعشرين من رمضان على الاصح والحاصل انه قيل ان الاسرا قبل الهجرة بسنة وقيل بسنة ونصف وقيل بسنة وكسر وقيل بعد البعثة بخمس سنين وقيل قبل الهجرة بخمس سنين ثم في شهره فقيل ربيع الاول وقيل الاخر وقيل رجب وقيل رمضان وقيل شوال وقيل بوقت تنقيص الصحبة وقيل بعد ليلة سبع وعشرين او سبع عشر او اثني عشر ليلة الاثنين او الجمعة وفي الهدي النبوي ان ابن تيمية سئل هل ليلة الاسرا افضل ام ليلة القدر فاجاب بان القايل ان ليلة الاسرا افضل ان اراد انها ونظايرها من كل عام افضل فلا وجه له وان اراد انها بخصوصها افضل لانه حصل له فيها ما يحصل له في غيرها وما لم يحصل لغيره فهو صحيح ان سلم ان ما انعم الله به

عي

حي

بلين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عليه افضل من انزل القرآن وهو يحتاج الى علم يحقا بق تلك الامور انتهى وقد روى ثابت عن
انس من رواية حماد ابن سلمة ايضا اي كما روى عنه قصة الاسرا مجي جبريل بالنصب مفعول
الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره بكسر الظاء المشالة وسكون الهمزة
والراء المهملة والها وهي المرضعة التي ليست بام وهي حليمة السعدية وشقه مصدر منصوب
معطوف على مجي قلبه مفعول الشق تلك القصة بدل من مجي بدل اشتمال وفي نسخة بتلك اي معها
منفردة من حديث الاسرا وفي نسخة مفردة وهو منصوب على الحال كما رآه الناس غير شريك وهم
اكثر الحفاظ المحدثين نحو دهذا الراوي المميز بين القصتين كما اشار اليه بقوله في القصتين
اي في قصة الاسرا وقصة شق القلب وهو طفل رضيع فلم يخلط احدهما بالآخر وفي ان الاسرا الى بيت
المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة لا قصتان كما في رواية شريك وغيره ممن جعل صعوده
الى السماء معراجا آخر وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج من هنالك اي صعد به الى السماء من البيت
المقدس لانه ارفع مكان في الارض فازاح بزاي معجمة والف وحاء مهملة اي ازال واذهب كل اشكال
اوهمه اي اوقعه في ذهن الناس ووهمهم غيره اي غير ثابت كشريك الذي وقع في روايته الوهم
والتخليط وقد روى يونس بن يزيد الايلي القرشي وفي يونس كيوسف لغات تقدمت وهو روى عن
الزهري ونافع وتوفي بمصر سنة تسع وخمسين ومائة عن ابن شهاب محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله
بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن مرة الزهري التابعي لقي عشرة من الصحابة توفي في ليلة الثلا
سبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة اربع وعشرين ومائة ودفن بالشام بقرية تعرف بالشغب
واوصى بدفنه على قارعة الطريق ليدعو له المارة وكان احفظ اهل زمانه واحسنهم سياقا لمتون
الاحاديث فقيها فاضلا كاملا عن انس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قدمنا ترجمته
قال كان ابو ذر الصحابي الغفاري يحدث ان رسول الله قال فرج بضم الفاء وكسر الراء اي شق
سقفه او رفع جانب منه حتى صار مكشوفا ينزل منه الملك المرسل اليه ولم يأته من الباب
وقدها لم يأتوا البيوت من ابوابها قال ابن المنير تنبيها على المبالغة في المفاجاة وانا استعاه
للكرامة كان بدأ من غير ميعاد وقيل انه ليتحقق كونهم ملائكة او هو تمهيد لشق الصدر والتيامه
من غير الم لسبق الشق كما تقدم قبل وكان خلفاء بني العباس اذا نصبوا خليفة نقبوا جدار حجرة
منه تنويها بامره وانه لم يكن يطلب منه سقف بيتي البيت لام هاني واضافه اليه لادنى
ملابسة وروى انه كان بالحطيم وروى انه كان ببطحاء مكة فان كان مرادا فظاهر والا يحتاج للجمع
فنزل جبريل ففرج صدري بفتح الفاء والراء وقد تقدم ان شق الصدر وقع مرات منها هذه فلا اشكال
فيه ثم غسله اي صدره من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب تقدم بيانه وما فيه ممتلي
حكمة وايمانا تقدم تفسيره وانه بناء على التجوز اي مليء نورا ناشئا عنه ما ذكر او انه قادر على
تجسيم المعاني والاعراض كما قيل في وزن الاعمال وذكر الطست وان كان مؤنثة لتاويلها بالاناء
فان كان قوله فافرغها ضميره للطست رعاية للفظه فتقديره افرغ ما فيها يقال افرغت الاناء وفرغته
تفريغا اذا صببت ما فيه ويجوز كون الضمير للحكمة لدخول الايمان او لانه عطف تفسير ثم اطبقه
اي الصدر اي اعاده محله اشارة الى انه شقه والتامه بغير آلة وقيل شق بمنقار الملك وخيط
بخيط لما ورد كنت ارى اثر المخيط في صدره ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السماء فذكر القصة
بتمامها واخذ يحتمل انه على حقيقته وان يكون كناية عن جعله شارعا في العروج وروى قتادة
ابن دعامة ابو الخطاب السدوسي الضرير اعلم الناس بالفقه والقرآن والحديث توفي في سنة

سبع عشرة ومائة وعمره ست وخمسون بواسطة ونسب للتدليس وليس كذلك الحديث مفعول
روى بمثله اي بمثل الرواية المذكورة عن انس عن مالك بن صعصعة الخزرجي المازني وروى
له البخاري واصحاب السنن حديث الاسرا قال وروى عنه خمسة احاديث وفيها اي رواية قتادة
المفهومة من قوله روى تقديم وتاخير وزيادة ونقص عن غيرها من الروايات وخلاف في
ترتيب الانبيا في السموات وحديث ثابت عن انس اتقن واجود اي اكثر اتقانا وجودة
مما في الروايات ولذا اختار المصنف خلافا للنووي اذ رجح رواية قتادة كما عرفت وقد وقعت
في حديث الاسرا زيادات من الرواة في بعض طرقه نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا
من هذا ليفهم الكتاب وابواب حديث الاسرا والمراد بالنكت بضم النون وفتح الكاف والتاء المثناة
جمع نكتة وهي ما ينكت من الارض وما يكون في الكون مما يخالفه كالنقطة فاستعير لكل معنى
دقيق يحصل بالفكر اما لمخالفته لغيره او لكون المفكر يخط في الارض وشاع حتى صار حقيقة
عرفية في ذلك ويجمع على نكات ايضا منها اي من النكت المفيدة في حديث ابن شهاب
الزهري الذي تقدم آنفا ومنها خبر مقدم وفي حديث الخ صفة مبتدأ مقدر وجاز حذف الموصوف
بوصف غير مفرد لانه بعض اسم مجرور بمن قبله لان المعنى من النكت نكت الخ ومثله جاء مرقيا
مطردا وفيه اي في حديث ابن شهاب ولو حذف قوله وفيه كما وقع في بعض النسخ كان احسن
والضمير في فيه راجع لحديث الاسرا قول كل نبي له مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح
فانه ليس كل نبي من اجداده وفي عمود نسبه لكنه جار منهم على سبيل الشفقة والمحبة كما جرت
العادة ان الاقدم والاسن يقول لغيره يا ولدي في غير هذه الرواية منهم من قال له الابن
الصالح ومنهم من قال له الاخ الصالح وقد تقدم انه يشكل قول ادريس له الاخ مع انه جد له
وفي وصفه بالصلاح دون غيره وتكراره وكان الظاهر ان يقال الابن الكريم والنبي العظيم
مثلا الا انه وصف بالصلاح لانه امدح الصفات لانه بمعنى الجدير بكل خير كما قال السبكي
يوصف الابن به بمعنى انه حقيق بمحبة الله ومحبة رسله ووصف النبي به بمعنى المستحق
بالذات لا يكون نبيا وان كان في العرف لا يمدح به الكبار لان الصلاحية للنبي لا تقتضي
الاتصاف بالفعل ولذا قال ابن المنير ان الله اطلق على كثير من الانبياء انه كان نبيا من الصالحين
ولا يصح ان يقال لاحد منهم انه رجل صالح لانه يوهم المشوبة بينهم وبين آحاد الامم كما انه
لا يجوز ان يقال لنبينا صلى الله عليه وسلم انه ملك وسلطان لانهما مدا التعظيم والتحيز وان
كان كذلك في نفسه انتهى ولما لم يفهم هذا بعض المفسرين قال ان المراد به مدح الصفة لا
الموصوف كما في شروح الكشاف ومنه يعلم ان الصفة قد تكون مدحا في مقام ومن قائل ودما في
غيره كصالح ومبارك وفيه من طريق البخاري المسند عن ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت
اي علوت وصعدت كما في قوله • والشمس في حجرتها لم تظهر • اي لم تعل او بعدت
كما في قوله • وتلك شكاة ظاهر عنك عارها لمستوى بضم الميم وفتح الواو والبا
بمعنى في او على وهو اسم مكان عاليا او وسطا او واسع منبسط اسمع فيه اي المستوى
صريف الاقلام الصريف براء وصاد مهملتين كالصرير وهو صوت حركة الاجرام والمراد
صوت القلم على الورق اي انتهى الى محل يسمع فيه صرير اقلام الملائكة الكتبة وهي تكتب
ما تنقله من اللوح او ما يؤمر بكتابته من الوحي وغيره فالاقلام على ظاهرها خلافا لمن تاوله
ونحن نؤمن بانه على حقيقته ويجب علينا اعتقاده وهذا عبارة عن غاية القرب لان مثله

لا يتم من بعيد وروي لمستهي قال التوربشتي يعني انه بلغ من الرفعة لمقام اطلع فيه
على الكون وما يراد ويبرم به من تدبير الله وهذا منتهى لا يرام ولا يتصل اليه الافهام ولا يتعلق
فيه غير صدر الاقدام وعن انس فيما رواه عنه الشيخان ثم انطلق بالبنا للفاعل والضمير فيه
لجبريل او بالبنا للمجهول بي حتى اتيت سدرة المنتهى تقدم معناه فغشاها الوان
لا ادري ما هي لكونها ليست مما يشبه الوان غيرها في الحسن او لان شدة نورها تمنع تحققها
قال ثم ادخلت الجنة وهذا يدل على انها موجودة الآن وانها في السماء وهو الذي نعتقده بلا
شبهة وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته اي فارقته وقدم الجار ثم وفيه
ضمير المفعول بقوله يعني موسى بكا لحزنه اذ لم ينل هو وامته ما ناله لا منافسة وحسدا لتنزههم
عن مثله فنودي اي ناداه الله او الملك وقال له ما يبكيك قال رب هذا يدل على الاول
بحسب الظاهر هذا غلام اطلق عليه هذا وهو اذ ذاك كهل او شيخ لانه في نحو الخمسين اما
لانه استصغره او لانه في الزمن الاول يطلق مثله غلام وقال ابن قرقول معناه القوي وهو غير
قوي بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي لما علم عموم دعوته
وتابيد رسالته على كثرة امته وقد ورد انه يراهم في عرض المحشر اضعاف الامم ولو جوز
كون بكايه غبطة وهي غير مذمومة كالحسد بل هي ممدوحة لانها من علو الهمة وقيل انه علم
من كثرة امته في الجنة فضيلة على غيره لانه لازم بين واما كونه على امته فليس بشي
وفي حديث ابي هريرة في الاسرا الذي رواه البيهقي وغيره وقد رايتني بضم التا ضمير
المتكلم والرؤية هنا بصرية بنا على الصحيح من ان الاسرا يقظة الا انهم قالوا لا يتعدى
عامل الضمير والفاعل ضمير مثله الا في افعال القلوب وما حمل عليها واحيب بانها
لمشابهتها للرؤية العلمية لفظا ومعنى لانها حضر ادراك اجاز وا فيها ذلك وقد سمع قول
عايشة رضي الله عنها لقد رايتنا مع رسول الله وما لنا طعام الا الاسودان الما والتمر وقول
الحماسي ولقد اراني للرماح دريئة • من عن يميني تارة وامامي •
في جماعة من الانبيا اي بينهم او معهم فحانت الصلاة بالحا المهملة اي دخل وقتها
وجا حينها لا بمعنى دنت وقربت كما قيل لانه مجاز قامت القرينة على خلافه وهذه الصلاة
قيل انها العشا لان الاسرا يكون في اول الليل كما هو الظاهر لانها كانت مفروضة على
بعض الانبيا كما رواه المحدثون واختاره النووي قالوا وهذا كان بارواحهم ممثلة او باجسادهم
لانهم احيا ثم ان هذا ان كان بعد الاسرا فهي الصلاة المفروضة لان المعراج تعدد كما
يا تي تفصيله والا فهي تنفل وليس المراد بالصلاة الدعا كما قيل لان قوله فاممتهم
اي صليت معهم جماعة وانا امامهم يابا ه ظاهرا فقال قايل قيل هو جبريل يا محمد هذا
مالك خازن النار اي الموكل بها وباهلها فسلم مالك عليه اي على القايل او سلم
جبريل على مالك وهو الظاهر فالتفت اي مالك فبدا ني بالسلام علي والالتفات
الانصراف عما كان ينظر اليه لغيره ولو بعنقه وانما بداه بالسلام لانه قادم ولتعظيمه
وليعلمه بامنه منه لنا مين الله له لان السلام امان وسلامة ومالك رئيس خزنة النار
وملايكة العذاب وله صورة مهولة جدا وفي الروض الانف انه صلى الله عليه وسلم يلقه احد
من الملايكة الا ضاحكا مستبشرا غير مالك فانه لم يضحك لاحد قط وهذا ينافيه ما ورد انه
صلى الله عليه وسلم تبسم في صلاة فسيل عن ذلك فقال رايت مالكا راجعا من طلب القوم

وعلى جناحه

وعلى جناحه الغبار فضحك الي فتبسمت واجيب بان المعنى انه لم يضحك منذ خلقت
النار الا في هذه المرة وهذه القصة وقعت بعد الخبر الاول وهذه الرؤية يحتمل ان تكون بصورته
الاصلية وبغيرها وفي فتاوى النووي هذه الصلاة يحتمل ان تكون قبل صعوده الى السما ويحتمل
ان تكون بعده والظاهر الاول وفي حديث ابي هريرة ثم سار اي جبريل حتى اتى بيت
المقدس فربط فرسه الى الصخرة المراد بالفرس هنا البراق لقرب صورته منها لان الفارس
يطلق على مقابل الماشي سوا كان راكبا فرسا او حمارا او بغلا وقد ورد في الحديث تسمية البراق
فرسا في حديث المعراج في رواية اخرى انه اتى بفرس فحمل عليه واحتمال ان يكون جبريل ركب
فرسا معه كما جا في قصة مقاتلة الملايكة معه والمراد بالصخرة صخرة بيت المقدس التي
كانت قبلة قال العوفي في غريب الموطا انها من عجايب الدنيا فان جميع المياه تخرج من تحتها وهي
صخرة صما في وسط المسجد الاقصى كجبل بين السما والارض معلقة لا يمسكها الا الله وفي
اعلاها موضع قدم رسول الله حين ركب البراق ليلة الاسرا مالت من تلك الجهة من هيبته
وفي الجهة الاخرى اثر اصابع الملايكة التي امسكتها اذ مالت ولذا كان بعضها ابعد من الارض
من بعض وتحتها غار عليه باب يفتح لمن يدخله للصلاة والدعا وعدي ربط بالى لتضمنه ضم
او الى بمعنى البا او عند كقوله اشهى الي من الرحيق السلسل • فصلى اي
جبريل وقيل النبي عليه السلام مع الملايكة لما وجدهم يصلون ثمة فلما قضيت الصلاة
اي تمت وفرغوا منها وقضي مبني للمجهول نايب فاعله الصلاة وتاوه ساكنة للتانيث
وضبطه في الشرح الجديد بالبنا للفاعل وضم تايه على انه التفات وهو خلاف الظاهر فان
استند لرواية فيها ونعمت قالوا يا جبريل من هذا معك خبر بعد خبر او حال قال
هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والرسل لان نفي الاعم يستلزم نفي
الاخص وخاتم بكسر التا وفتحها بمعنى آخرهم وقوله في الحديث لا نبوة بعدي الا ما شا الله
المستثنى هو المبشرات ان صحت هذه ولا يرد عيسى لانه ينزل على شريعته ولم يتنبا بعده
كما مر قالوا وقد ارسل اليه قال نعم تقدم شرحه قالوا حياه الله من اخ وخليفة
هي تحية ودعا بالبقا والسلامة فان حيا واحيا بمعنى ومن زايدة او مبينة للضمير وجعله
الملايكة اخالهم والمراد اخوة الايمان وخليفة لانه خليفة الله في ارضه استخلف فيها لعمارتها
وسياستها وتكميل النفوس البشرية وتنفيذ الاوامر الالهية لا لاحتياجه سبحانه بل لقصور
الخلق عن التلقي بغير واسطة وتاوه للمبالغة قال التلمساني لا يقال للسلطان خليفة الله
لان الله حي لا يغيب وانما الخليفة لمن يغيب او يعجز وانما يقال خليفة فقط اذا اتبع الشرع
والسنة وانما يقال امير فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبيا ببيت المقدس
بعدما انقضاء الصلاة اي بعد العروج في مراتبهم في السما اي لقوا الملايكة ارواح الانبيا
وفي هذا دلالة على تشكل الارواح وتمثلها في الملا الاعلى على ما كانوا عليه في الدنيا من
الصورة وما تقدم ايضا يحتمل هذا فاثنوا على ربهم اي اثنى الملايكة على ربهم اذ لاقوا ارواح
الانبيا كما تقول اذا رايت احدا من الصالحين الحمد لله الذي من علينا بلقايك الا ان آخر
الحديث يدل على انهم الانبيا بدليل قوله كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي وقوله وذكر
كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر كلام
النبي صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال

ح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كلكم اثني على ربه وانا اثني على ربي فاقول الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين
وفيما ذكر مخالفة لما ذكر في اول الحديث من الانبيا وهو مبنيا بالابدال لا الزيادة الا ان يكون
اقتصر هنا على الزيادة وقوله الحمد لله دليل على انه يجب بتحميد الله لا المدح والعالمين شامل
للمسلمين ورحمتهم ظاهرة لسعادتهم في الدارين في معاشهم ومعادهم وللكافرين بامنهم من
الخسف والمسخ والاستيصال وكافة للناس بيان لعموم رسالته فهو اما صفة مصدر اي
ارسالة كافة اي عامة كفتهم عن الخروج منها فهو مفعول مطلق لارسلني او اسم فاعل حال من اليا
اي حال كوني كافا للناس فالتا للمبالغة وكونه حالا من الناس مقدما على صاحبها المجرور قول
ضعيف بشيرا ونذيرا اي مبشرا بالجنة لمن آمن واتقى محذرا لمن كفر وعصى وهو حال مترادفة
او متداخلة حمدا او لا على ما انعم به عليه ثم ثنى بما له من العوائد والمنافع وانزل علي الفرقان
فيه تبيان كل شيء سمي الفرقان لانه يفرق بين الحق والباطل وهو بحسب اللغة عام خصه
العرف بالغلبة وهو مصدر صار بمعنى الفارق او المفرق ابانته او انزاله والتبيان بكسر التا
كالتلقاء شاذ قياسه الفتح وهو جائز في غير القرآن وكونه مبينا لكل شي كما قال ما فرطنا
في الكتاب من شيء يحتاج اليه من الامور المهمة الشرعية تفصيلا في بعض واجمالا في بعض واحاله
على الرسول اذ امر باتباعه وعلى الاجماع بقوله ويتبع سبيل المومنين واتباع ايمة الدين وهو شامل
للقياس والاجتهاد كما في الكشاف وغيره من التفاسير وجعل امتي خير امة كما قال كنتم خير
امة اخرجت للناس وفسره تامرون بالمعروف الاية وجعل امتي وسطا اي عدولا خيارا جامعين
بين العلم والعمل وساير الصفات التي هي بين التفريط والافراط استعير من المكان المستوي الجوانب
لما ذكر وجعل امتي هم الاولون والآخرون هم ضمير مبتدا او تعقيد للحصر وليس ضمير فصل لانه لو
كان كذلك قال الاولين ومعنى اوليتهم سبقهم الناس في القبور وفي دخول الجنة وفصل
القضا وتاخرهم باعتبار الوجود الخارجي وقد فسره بهذا في حديث البخاري وهو قوله نحن
الاولون السابقون يوم القيمة بيد انهم اوتوا الكتاب قبلنا ونسبي سبق السعادة في الازل كما قيل
وشرح لي صدري اي وسعه بالعلم والايمان والحكمة واليقين بحيث لا احزن على شي من امور
الدنيا او شقه وملاه بانوار كما مر ووضع عني وزري اي طهر قلبي من حظ الشيطان وعصمني
فلا ارتكب ما لا يرضي الله ولذا قال ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فسوى بين ما تقدم
وما تاخر لعدم وقوعهما او خفف اعبا النبوة والتبليغ باقامة اياديه علي فالجملتان في غاية
التناسب ورفع لي ذكري اذ جعلني مذكورا في الملا الاعلى وجعل اسمي طراز الجنان ومقرونا
مع اسمه على كل لسان وعلى المنار في كل اقامة واذان كما قال حسان ⊙ القيام من صح

وضم الاله اسم النبي الى اسمه • اذا قال في الخمس المؤذن اشهد •

وجعلني فاتحا للنبوة اذ خلق روحي قبل الارواح ونباها قبل كل نبي وخاتما للنبوة
والرسالة وهو الآن كما كان اذ لا نبي بعده فقال ابراهيم بهذا اي بمجموع ما ذكر الكل واحد
منها لا بالاول فقط كما قيل قال هذا خطابا للانبيا الحاضرين مقاله فضلكم محمد اي زاد فضله
عليكم وقدم المعمول للحصر ثم ذكر انه اي النبي صلى الله عليه وسلم او جبريل بقوله عرج به مبني
للفاعل والمفعول من السما الدنيا ومن سما الى سما كما تقدم وفي حديث ابن مسعود
الذي رواه ابن عرفة في جزيه وابو نعيم في الدلايل وانتهى بي اي جبريل وقيل نهاية عروجه
به او هو مبني للمفعول الى سدرة المنتهى وهو في السما السادسة وتقدم ان الاكثر على انها

في السابعة

ج في السابعة والجمع بينهما بان اصلها في السادسة وفروعها في السابعة الا انه قيل ان خروج
النيل والفرات من اصلها يقتضي انها في الارض وورد في حديث آخر ان الانهار اربعة انهار
وسيحان وجيحان ووردانها في الجنة قال ابن المنير فان قلت كيف انصبابها للارض قلت يمكن
ان يكون كالمطر متفرقا ثم يجتمع ويساق كل لمستقره ومجراه ويحتمل ان انصبابها في نواحي من الارض
غايبة عنا ثابت عزيزة متصلة بمبادي هذه الانهار فان منها ما لم يقف على مباديه الى الآن
قلت يشهد له قصة النيل وبهذا يجمع بين كونها في السما واعصابها في الارض وقوله اليها
ينتهي ما يعرج به من الارض بالبنا للمفعول اي ما يعرج به الملايكة من امور الارض للعرض
على الله من امور عبيده فيقبض منها بالبنا للمجهول والقاف والضاد المعجمة قبلها يا موحدة
مفتوحة كذا صححوه اي يقبضه الكتبة ويكتبونه ومن للابتدا والضمير للسدرة والمراد انه
عندها يرتفع اليهم واليها ينتهي ما يهبط من فوقها من العرش بواسطة الملايكة المقربين ⊙
فيقبض منها اي يوحي اليهم علمه ولو قيل ضمير منها للملايكة العلم بهم من السياق كان اظهر قال
اذ يغشى السدرة ما يغشى اي امر عظيم لا يعلم كنهه وظاهر السياق ان المراد بهذا امر
الله ووحيه فكان عليه ان يبينه وقال اي ابن مسعود فراش من ذهب اي ذهبت على صورة
فراش وفراش مرفوع عامله مقدر اي غشيها فراش والفراش معلوم وفي رواية ابي هريرة
من طريق الربيع بن انس البكري البصري نزيل خراسان التابعي الثقة يروي عن انس والرواة
عنه مشهورة توفي سنة تسع وثلاثين ومائة فقيل لي هذه سدرة المنتهى التي سمعت
بها والظاهر ان القايل جبريل ووقع في بعض النسخ السدرة المنتهى بتعريفهما دون اضافة اي
السدرة التي هي المنتهى فالمنتهى بدل منها ينتهي يصل اليها كل احد من امتك خلي بفتح المعجمة
واللام المخففة اي مضى لقوله تلك امة قد خلت على سبيلك اي طريقتك وسنتك اي من
مات من امتك مومنا بك عرج بروحه مع الملايكة اليها فيقال هذا عبدك فلان بن فلان فيوتى
له بصك الامان وبهذا فسر قوله ثم ان كتاب الابرار لفي عليين الآية وهي السدرة المنتهى
يخرج من اصلها اي عروقها الداخلة في الارض انهار من ما غير آسن اي لا يتغير طعمه
ولونه ورايحته في اصلها وان طال مكثه وعدم جريانه وليس المراد نفي التغير في الحال لان
كثيرا من انهار الدنيا كذلك وهذا اتم عذوبة فان المياه العذبة هي القابلة للتغير ولذا كانت
البحر المحيط بالدنيا مالحا على ما قرره ارباب الطبايع في علم الحكمة وانهار من لبن لم يتغير
طعمه اي لم يحمض كغيره اذا امكث وانهار من خمر لذة للشاربين اي لذيذة سايغة ليس كخمر
الدنيا المرة المسكرة شربها حتى قالوا انقل من القدح الاول وانهار من عسل مصفى من القذا
والشمع واذ لم تمسه نار لانه ليس رجيع النحل ونيم الذباب وهي شجرة يسير الراكب في ظلها
سبعين عاما وان ورقة منها مظلة للخلق بضم الميم وكسر الظا المشالة وتشديد اللام
المكسورة اسم فاعل من اظل مضاف للخلق والمراد الجمع الكثير لا سائر الخلق اذ لا يصح هنا وهذا
عبارة عن وسعة ظلها فان قلت قد تقدم انها كاذان الفيلة قلنا اجيب بانه في الشكل
ومن قال انه بالكبر فيه ما فيه فغشيها نور من الانوار الالهية وغشيتها الملايكة
وهم نور مصور قابل للصور قال فهو قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى اي تفسير هذه
الآية على قول كما مر فقال تبارك وتعالى ولا يخفى مناسبة هذا التمجيد هنا لان تبارك
تفاعل من البركة وكثرة الخير الفايض منه ولذا لا تسند هذه الصفة لغيره والتعالي العظم والترفع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في عظمة الربوبية لا المحسوس فانه منزه عنه له اي لمحمد صلى الله عليه وسلم سل اصله اسأل
تخفف وحذف المفعول للعموم اي سل كل ما تريد فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا اي اصطفيته
وخصصته بالخلة وسياتي تحقيقها والفرق بينها وبين المحبة واعطيته ملكا عظيما قال ابن المنير
الملك العظيم الذي اوتيه ابراهيم يحتمل انه ما اوتيه ذريته كيوسف وسليمان وداود وغيرهم من
ملوك بني اسرائيل من ذريته كما قال تعالى فقد اتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما
وكونه ملك النفس والزهد غير مناسب هنا او المراد قهره لعظماء الملوك في عصره كنمرود اذ القاهر
اعظم من المقهور وجاء في التفسير ان الملك النبوة فان قلت كيف هذا وقد قال النبي للاعرابي
خفف عليك فلست بملك وقال ابو سفيان للعباس اذ اوقفه على كتائب الفتح فلم يرضها حتى مرت
الكتيبة الخضراء التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يسمون الخضراء الكثيرة الحديد فيها وهو عند
العرب اخضر ولذا قال ابن هاني

وجنيتم ثمر الوقايع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر *

وربما سموا السيف بقلة فقال لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما فقال لا تقل ملكا انما هو النبوة فلم
يرض تسميته ملكا قلت المنفي الملك العرفي المذكور في قوله الخلافة بعدي ثلاثون عاما ثم تعود
ملكا واما الملك الحقيقي الديني فليس بمنفي ومع هذا لا يجوز ان يطلق على نبينا وابراهيم انهما ملكان
لان مقام النبوة ارفع وعدمه فيه وفي آبائه منزه لاجل النبوة ولذا سال هرقل هل كان في آبائه ملك
وخرجت الخلافة عن اهل بيته لئلا يتوهم انه ملك متوارث انتهى وبهذا يعلم ما يرد على الفقهاء في نسبة
احكامه الى فتيا وقضاء وسلطنة وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما اي ملكا شرعيا
حقيقيا لا عرفيا وهو الخلافة العظمى حتى سخرت له الطير والجبال وخصصته بكلامك له من
غير واسطة حقيقة كما يشير له التاكيد خلافا لمن انكره من المعتزلة كما بين في الاصول
والنت له الحديد بحيث كان في يده كالعجين يتخذ منه الدروع وسخرت له الجبال فكانت تسبح
معه اذا سبح واعطيت سليمان ملكا عظيما اذ ملكته الدنيا باسرها وسخرت له الجن
والانس فكانت الجن تخدمه في بنائه وغيره فبنت له بيت المقدس بالرخام المزخرف بناء عاليا حتى
كان يضيء في الليلة المظلمة ولم يزل كذلك حتى خربه بخت نصر ونقل ما فيه لمملكته بالعراق وكان
جميع جنده ورعاياه لا يعصونه في شيء والشياطين وهم مردة الجن فهو من عطف الخاص على العام
فكانوا يغوصون البحار ويستخرجون له الدر والجواهر ويعملون له ما يريد والرياح فكانت تجري
بامره كما يشاء وتحمل كرسيه وبساطه مسيرة شهر غدوا ومسيرة شهر رواحا واعطيته ملكا لا ينبغي
لاحد من بعده كان سأله من الله وهو ملك الانس والجن والرياح فملك ما فوق الارض وما تحتها
وقد عرض هذا على نبينا فلم يقبله واختار كونه عبدا لله وعلمت عيسى وهو صغير التورية
والانجيل الذي انزل عليه وحفظ التوراة وعمل بها لان الانجيل ليس فيه احكام وانما هو حكم
وحقائق التوحيد وقيل فيه احكام قليلة بالنسبة للتورية وجعلته يبرئ الاكمه الذي
ولد اعمى بدعائه باسمك وقال الثعلبي هو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار قاله البخاري
عن قتادة فلا يعلم هذا في لغة والمعروف ما تقدم والذاهب البصر بعد الابصار والاكمه الذي
سلب عقله بتنزيل البصيرة منزلة البصر والذي اعترته ظلمة فعميت بصيرته انتهى وفي كلامه
تناقض فان المعنى الاخير هو عين ما انكره فان كان منقولا عن اللغة صح ما قاله قتادة وهو ثقة
ليس بينهما ابا الجان قد في تفسير القرآن لا سيما وقد تابعه البخاري ومتابعته تعتمد في حديث

الرسول بكيف اللغة والابرص وهو علة مزمنة لا يتيسر علاجها للحكماء بها يبيض لون البدن
وبعضه قبيحا وهو اقبح الامراض بعد الجذام ولذا جوز الشافعي فسخ النكاح به واعذته اي حفظته
واجرته وامه مريم من الشيطان الرجيم الرجم كناية عن اللعن والطرد من رحمة الله ولذا
قالت اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وفي حديث مسلم ما من مولود يولد الا نخسه الشيطا ن
فيستهل صارخا من نخسته الا ابن مريم وامه وكذا نبينا عليه افضل الصلاة والسلام لان المتكلم
لا يدخل في عموم كلامه ولانه علم بالحديث انه ولد مشيرا الى السما ناظرا لربه ولم يسلط عليه شيطان
كما جعل بينه وبين مريم وابنها حجابا وهذا غير القرين الذي مع كل احد حتى الانبياء وفي هذا كلام مر
في الكشاف وشروحه فلم يكن له عليهما سبيل اذ حماها وعصمهما فقال له ربه اي لمحمد صلى الله عليه
وسلم لما سمع مقالته وان المقامات العلية سبق لها السابقون من الرسل قد اتخذتك حبيبا
هذا في مقابلة الخلة والمحبة اعظم من الخلة كما سياتي ولم يذكر ما يقابل ما بعده لانه معلوم اذ هو لم يرض
الملك وقد جاد عوضه لما هو اعظم من هذا وهو الشفاعة العظمى والقرآن اعظم من التورية
والانجيل وابراء الاكمه ونحوه قد وقع منه مثله كرد عين قتادة وبرء كثير من الامراض عن يده
وتقدم الكلام على اعاذته من الشيطان فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وهذا كلام الراوي
كالشاهد لصحة الزيادة المذكورة وفي السبعيات للهمداني قال اتيت في الحديث انه قال
هممت ليلة المعراج ان اخلع نعلي فسمعت النداء من قبل الله تعالى يا محمد لا تخلع نعليك لتشرف السما بهما
فقلت يا رب انك قلت لموسى اخلع نعليك انك بالواد المقدس فقال يا ابا القاسم اذ منى لست
عندي كموسى فان موسى كليمي وانت حبيبي انتهى وارسلتك الى الناس كافة قد تقدم شرحه
وكذا قوله وجعلت امتك هم الاولون وهم الآخرون لسبقهم في دخول الجنة وتاخرهم وجودا
والمنة بهذا عليه لما تضمنه من كثرتهم وقلة مكثهم في القبور وعدم نسخ شريعتهم وجعلت
امتك لا تجوز لهم خطبة هي كلام يقال على رؤوس الاشهاد للاعلام بامر مهم وكان عادة العرب
اذا اجتمعوا في ناد قام منهم واحد فخطب اذا تفاخروا او تصالحوا او ارادوا وعظا وليس في
سوق عكاظ خطب مشهورة فجاء الشرع على منهجهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقع امر
قام بينهم خطيبا فالخطبة مشتقة من الخطب وهو الامر العظيم وبقي ذلك مشروعا في الجمعة
والعيدين والنكاح والاستسقاء لوعظ الناس ونحوه حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي
اي لا يعتد بخطبهم الا اذا اتوا فيها بكلمتي الشهادة لما ورد في الحديث كل خطبة ليس فيها تشهد فهي
كاليد الجذماء اي هي ناقصة لا بركة فيها وهذا يقتضي ان التشهد فيها ركن او شرط قيل وهذا
لم يقل به احد من العلماء الفقهاء وغيرهم فان قيل المراد انه لا تصح خطبة من لم تصدر منه الشهادة
اي لا يصح الا خطبة المسلم المصدق بك والا امة امة الدعوة فهو بعيد واجيب بان الشافعي وغيره
اشترط في الخطبة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي تتضمن الشهادة بذلك ولا يخفى
ان هذا غير موافق لظاهر الحديث فالظاهر انه كان واجبا فنسخ وجوبه بالاقتصار على مقدار
تهليلة وتسبيحة وقال ابو حنيفة ومحمد لا بد من ذكر طويل يسمى خطبة واقله قدر التشهد الى قوله عبده
ورسوله يثني بها على الله ويصلي على نبيه ويدعو للمسلمين لان الخطبة واجبة وما دون ذلك لا
يسمى خطبة كما قاله الزيلعي والحديث يشهد له وجعلتك اول النبيين خلقا لانه خلق روحه
قبل الارواح ثم خلق الارواح ونبأه فهو اول خلقا ونبوة وآخرهم بعثا وارسالا كما تقدم بيانه
واعطيتك سبعا من المثاني اي الفاتحة لانها سبع آيات هي تثنى وتكرر في كل ركعة والسبع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الطوال البقرة وآل عمران والنسا والمائدة والانعام والاعراف والتوبة وحدها او مع الانفال
بناء على انهما سورة واحدة لعدم البسملة بينهما لتكرار المواعظ والمعنى فيهما ولم اعطها نبيا
قبلك كما تقدم بيانه واعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي الكنز المال المحفوظ
فشبه به ما في اللوح المحفوظ مما لم يطلع عليه خلقه فيحتمل خواتيم سورة البقرة وما فيها من الثواب المعد
لمن قراها بالعظيم اخرج من ذلك الكنز الذي هو اللوح وفي الحديث من قراها كفتاه اي عن قيام
الليل او من الشيطان وعن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قال انزل الله علي ايتين من كنوز الجنة ختم
بهما سورة البقرة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي عام من قراهما بعد العشاء مرتين كفتاه
من الشيطان ولا يكون له عليه سلطان قال التوربشتي انما استحق له مضمون قوله غفرانك
ربنا الخ ونصره ولما قراهن صلى الله عليه وسلم قيل له قد فعلت واوثر الاعطا لمناسبة الكنز لم
اعطها نبيا قبلك اي لم يعطه مثل ثوابها احد قبله وجعلتك فاتحا وخاتما اي فاتحا لكل خير
وشريعة فهو اعم من قوله جعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا فمن قدمه به فقد قصر وفي
الرواية الاخرى التي رواها مسلم فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا من الفضائل
المخصوصة به الصلوات الخمس اي لم تجتمع لغيره ولغير امته ولا لنبي قبله فان الانبيا قبله
كانت لهم صلاة موافقة لبعض هذه دون مجموعها وكان صلى الله عليه وسلم يصلي قبل الاسرا ولكن
لم يشتهر بيان كيفيتها ونقل السيوطي في اخر الخصايص انها لم يكن فيها ركوع ولذا نزل يا ايها الذين
امنوا اركعوا واسجدوا واعطي خواتيم سورة البقرة كما تقدم وغفر لمن لم يشرك بالله شيئا
من امته المقحمات بضم النون وقاف وحاء مهملة مكسورة بزنة اسم الفاعل من الاقحام وهو الالقا
والمراد الكبائر التي تلقي صاحبها في النار او المهلكات وهذا كقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اي بتوبة وبدونها خلافا للمعتزلة والكلام فيه مشهور وقال اي
ابن مسعود في الحديث الذي رواه ما كذب الفؤاد ما راى الخ هذا لفظ القران والمقول
عن راويه من الزيادة انما هو تفسيره بقوله راى جبريل في صورته الاصلية التي خلق عليها
له ستمائة جناح لا في صورة تمثل بها فان الله اعطى الملائكة قوة التشكل باي صورة
ارادوها ونقل السمين عن السهيلي في قوله صلى الله عليه وسلم ان الله ابدل جعفرا بيديه جناحين
يطير بهما في الجنة حيث شاء ليس هذا كما يسبق الى الوهم جناح بريش كالطير لان الصورة
الادمية اشرف وانما هي عبارة عن قوة ملكية روحانية اعطيها جعفر كما اعطي الملائكة فان اجنحتهم
صفات ملكية لا تدرك الا بالمعاينة لان قوله فيهم اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يدل على ذلك
اذ لم ير طاير باكثر من جناحين فكيف بستمائة كما في صفة جبريل فدل على انها صفات لا تنضبط
كيفيتها بالفكر انتهى واعترض عليه بان هذا اشبه بكلام الفلاسفة والحشوية فاي مانع من
ابقائه على ظاهره وكون طيور الدنيا ليس لها غير جناحين غير ضار والاحاديث صريحة في انها اجنحة
حقيقية كثيرة من زبرجد وياقوت ملونة كاجنحة الطواويس ولا ينكر هذا الا من ينكر الملائكة ثم
وكون جناحي جعفر حقيقيين يؤيده كون ارواح الشهدا في جوف طيور خضر في الجنة فاي
حاجة للتاويل ومثله لا يليق بمثل الامام السهيلي وفي حديث شريك المتقدم ثم ما فيه انه
راى موسى في السابعة وهو مخالف لما مر من انه في السادسة فان كان الاسرا متعددا فظاهر
انه لا منافاة والا فيجمع بينهما بانه رآه اولا في السادسة ثم صعد الى السابعة فرآه بعد رجوعه
فيها قال اي النبي صلى الله عليه وسلم او الراوي على انه من كلام شريك وهو من زج فيه بتفضيل

كليم الله

كليم الله اي علو رتبته وصعوده للسابعة لفضله على غيره لكونه كليم الله فالباء سببية
وهو مضاف للفاعل قال في الحديث ثم علا به اي برسول الله من السابعة فوق ذلك الا — رة
سماء السابعة بما لا يعلمه الا الله اي بمقدار لا يعلم محله وحقيقته وقيل انه بيانه وهو بدل من
فوق والبا للاستعلا كما في قوله تأمنه بقنطار او بمعنى الى كما في قوله وقد احسن بي فكان
مقامه ارفع من مقام موسى ولذا عقبه بقوله وقال موسى اذ راى رفعته لم اظن ان يرفع علي
احد ومناطه تفرده بتكلم الله وقد شاركه في ذلك وزاد عليه بما اقتضى رفعته على سائر
الانبيا واعترض على هذا بانه كيف يقول موسى هذا وقد علم بتفضيله وهو مذكور في التوراة والاو — يق
بالانبيا التواضع وهذا مما يطعن به في رواية شريك وقد روي عن انس انه صلى الله عليه
وسلم صلى بالانبيا ببيت المقدس اماما ولا حاجة الى حمله على انه بعد الاسرا الذي فرضت
فيه الصلاة وان كان محتملا ايضا كما مر وعن انس كما رواه البزار والبيهقي بينا انا قاعد ذات
يوم اذ دخل جبريل اصله بين فاشبعت الفتحة وهو ظرف مضاف للجملة تضمن معنى الشرط والعا — مل
في اذ معنى المفاجاة اي وقعودي يوما فاجاني فيه دخول جبريل او وقت دخوله وذات
يوم توكيد دفعا لتوهم التجوز عن مطلق الزمان وذات وذو تزاد كثيرا كقوله رجل من ذي
يمن اذ دخل جبريل فوكزه اي ضربه ضربا خفيفا كما يفعله من يوقظ غيره بحيث لا يطلع على
ايقاظه وقيل الوكز جمع الكف بين كتفي وفي رواية بينا انا نائم وجمع بينهما بانه يجوز
ان ينام وهو قاعد ولذا وكزه ليستيقظ وهذا من جملة الزيادة وفي بعض الشروح انه كان
ببيت المقدس فقمت معه من محل قعودي الى شجرة فيها مثل وكري الطير مثنى وكر وهو — الطاير
للطير كالبيت للانسان والجحر للحشرات والكناس للظبا كما بينه اهل اللغة اي بيتين شبيهين
بالعش وصفا وهيئة لا مقدارا لانه لا يسع الادمي ولو كان كعوا في الطير كالنسر والعقاب
فقعد اي جبريل في واحدة وقعدت في الاخرى قيل انه لانه كالعش يذكر ويؤنث
والقائل على السنة اهل مكة تانيثه او هو لتاويله بالزاوية والطاقة ونحوهما وما قيل
لانه ماوى اناث الطيور غالبا لا وجه له فنمت بالنون والضم للشجرة اي زادت وان نقصت
حتى سدت الخافقين هما المشرق والمغرب لخفوق الشمس والنجم فيهما اي غيابهما او
حركتهما واصل معنى الخفوق الاضطراب والحركة ولذا حسن قول بعضهم

اما والله لو لا خوف سخطك … لهان علي ما القى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا … وليس هما سوى قلبي وقرطك

وروي سمت بالسين من السمو كالعلو لفظا ومعنى ولو شئت لعلوها وقربي منها
لمست السماء وانا اقلب طرفي بكسر السين وفتحها وروي لمست بسين واحدة من اللمس
او هو لخفته وثقل حركته وتقليب طرفه بمعنى نظره في جوانبها لثباته وعدم دهشته
وتامله في ايات الله في الافاق ونظرت جبريل اذ قلبت طرفي فوقع عليه بحذائي كانه
حلس بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وسين مهملة وهو كسا رقيق يوضع تحت القتب والبرذعة
ويبسط في البيت لاطي اي لاصق بالارض والمراد به لما قرب من السما غشيته مهابة حتى
خضع والتصق بارض العش الذي هو فيه والنبي ثبت لم تمسه روعة كما مس جبريل ويقال
فلان حلس بيته لمن لا يخرج منه قال ابو بكر رضي الله عنه كن حلس بيتك حتى تاتيك يد
خاطية او منية قاضية ولاطي بلام وطاء مهملة مهموز بمعنى لصق كما في الصحاح وفي بعض

شبكة الألوكة
www.alukah.net

النسخ جلس لاطيا بفتحتين ونصب لاطي وصحح رواية ولم يفسر وجملة كانه حال من جبريل
فعرفت فضل علمه بالله علي اي عرفت بما اعتري جبريل من الخشية انه اعرف بالله مني
لانه بقدر العلم يكون الخوف والخشية قيل هذا تواضع منه صلى الله عليه وسلم لانه افضل منه
ورد بانه قد يكون في المفضول ما ليس في الفاضل والملايكة المقربون قد يعرفون من احوال
الملكوت ما لا يحمله غيرهم وان كان افضل والقول بانه قاله قبل العلم بتفضله عليه لا يناسب
هذا ورايت النور الاعظم قيل هو نور العرش او الله ثم لانه يسمى نورا كما قال الله الله نور السموات
والارض والحكما والمتكلمون جوزوه من غير تاويل فقال الاشعري نور لا كالانوار وقال الغزالي
النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره فان فهمت فهو نور على نور وبعد هذا الكلام لا يصرح منه
ولطي دوني الحجاب وفي نسخة واذا دوني الحجاب ولطي بضم اللام وتشديد الطا المهملة
مبني للمجهول ويقال لططت الباب اذا اغلقته وكذا اذا سترته يعني انه بعد ما شاهد
النور ارخي بينه وبينه حجاب ستره عنه وسياتي الحجاب وتاويله عن قريب وفرجه بضم
الفاء وفتح الراء المهملة والجيم مضافا للضمير الحجاب جمع فرجة بوزن غرفة وهي ما بين الشيئين
من خلاء او بين اجزاء شي مفتوحة اي فرج الحجاب المرخي وطاقاته الذي يخرج منها نوره
الدر والياقوت وهما نوعان من الجواهر معلومان ثم اوحي الله ما شاء ان يوحي بالبنا
للفاعل والمفعول وحديث انس هذا سقط من بعض النسخ وذكر البزار بفتح الموحدة وتشديد
الزاي المعجمة والف وراء مهملة نسبة لعمل البزر وهو بزر الكتان الذي يخرج منه السليط
وبالزاي لكل بزر يبذر للزراعة وهذا هو احمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري صاحب
المسند الكبير المعلل توفي بالرملة سنة اثنين وتسعين وماتين وترجمته مشهورة وهو
ثقة حافظ عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما اراد الله ان يعلم رسوله اي يعرفه الاذان
الذي شرعه له للاعلام بدخول وقت الصلاة جاءه جبريل بالبراق ظاهر سياقه ان هذا
معراج اخر غير الذي كان بمكة قبل الهجرة كما مر وهذا بعده فان الاذان كان بالمدينة وسياقه
ان هذا المعراج كان المقصود منه تعليم الاذان وسياتي بيانه فذهب يركبها اي شرع في
الركوب وذهب وردت بهذا المعنى كثيرا وليست من الذهاب بمعنى المضي تقول ذهب
يقول كذا اي شرع في مقالة وقوله فاستصعبت الخ تقدم شرحه فلا نكرره وتانيثه لغة
او ما ولت باتانه وهذا الحديث رواه بسند متصل بعلي وفي مسند له قال ابن المنذر وقد
قيل فيه انه كذاب والحديث ضعيف وقال السهيلي بصحته وذكر الحجاب وسياتي بيانه فقال
اي الملك الذي خرج من خلف الحجاب ولم يعرفه جبريل الله اكبر الله اكبر الى اخر الاذان واجابة
المؤذن بما يليق برب العزة فلذا شرع لنا بما يناسب حالنا على ما عرف في كتب الفقه والسنة
وذكر الراوي مثل هذا الذي ذكره قولا وجوابا للمؤذن في بقية الاذان الا انه لم ينقل
جوابا عن قوله حي على الصلاة حي على الفلاح لانه لا يتصور في حقه معناه ولان
جوابه لا حول ولا قوة الا بالله اي لا نقدر على الصلاة والسعي لها واداء حقوقها الا من
هي له وهذا لا يليق الا بالمخلوق بخلاف ما قبله قال اي الراوي ثم اخذ الملك بيد محمد
فقدمه على من كان بحضرته من الانبيا فام اي صار اماما يؤم اهل السما حالة كونهم
فيهم ادم ونوح خصهما بالذكر لانهما ابو الانبيا الجسمانيين كما انه ابوهم الروحاني المتقدم عليهم
تعليما حقيقيا قال ابو جعفر محمد بن الحسين بن ابي علي بن ابي طالب وهو ابو جعفر الامام

المشهور

٢١٧

المشهور في آل الرسول واهل بيته • واعلم ان البزار كذا في اكثر النسخ قال البرهان وفي
نسخة بخط الحافظ مغلطاي البزاز وفي صحتها نظر يعني بزاي معجمة اخره والمعروف انه
براء مهملة ومعنى حي اقبل وهلم وهو اسم فعل قال القاضي منذر بن سعيد والعرب تنزل بها
حي سربها حثيثا الا كما يقول الفقها مطيعا وفي حي لغات مذكورة في كتب العربية واللغة
واصلها حي هلا ثم تفرد حي وقد تفرد هلا والمعنى واحد والفلاح معناه الفوز بالسعادة
يقال افلح الرجل اذا اصاب خيرا او فاز وقيل معناه البقا والمعنى اقبلوا على الجنة زاويه اي راوي
هذا الحديث الذي رواه عن ابيه عن جده اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف والعلو على اهل
السموات واهل الارض اما على اهل الارض فلانه اشرف الرسل وامته اشرف الامم واما على اهل السما
فلانه اشرف اهله من ساير الملايكة بدليل انه امهم وتقدم عليهم كما يدل عليه الاحاديث المذكورة بقي
ههنا ان ما ذكرهنا يدل على ان الاذان شرع ليلة الاسرا قبل الهجرة مع انهم جزموا بانه كان
يصلي بغير اذان منذ فرضت الصلاة الى ان هاجر الى المدينة وفي حديث ابن عمر الصحيح المذكور
في الصحيحين قال كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون يتحينون الصلاة ليس ينادي لها
فتكلموا في ذلك يوما فقال بعضهم اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم بوقا
مثل بوق اليهود فقال عمر اولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة وفي حديث ابي اسحق زيادة
على ما ذكر فبينما هم على ذلك اذ سمع عبد الله بن زيد بن ثعلبة الخزرجي النداء فاتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه قد طاف بي الليلة طايف ومر رجل عليه ثوبان اخضران
يحمل ناقوسا في يده فقلت يا عبد الله اتبيع هذا الناقوس قال وما تصنع به قلت ندعو به
الى الصلاة قال افلا ادلك على خير من ذلك قلت وما هو قال تقول الله اكبر الله اكبر الخ فلما اخبر
به رسول الله قال انها لرؤيا حق فقم الى بلال فالقها عليه فليؤذن بها فانه اندى منك
صوتا فلما اذن بلال سمعه عمر وهو ببيته فخرج يجر رداءه وهو يقول يا نبي الله والذي بعثك
بالحق لقد رايت مثل الذي راى فقال رسول الله الحمد لله وفي وسيط الغزالي انه راى هذه الرؤيا
بضعة عشر رجلا وانكره النووي وابن الصلاح وقالا لم يثبت الا رؤيا زيد وعمر فضلا [illegible]
على ان الاذان انما روي بالمدينة وما ذكر هنا يدل على انه بمكة في الاسرا وهما متعارضان الا ان
الثاني صحيح والاول ضعيف وقال ابن حجر قول القرطبي انه لا يلزم من نفي رؤيته في الاسرا
مشروعيته في حقه وفيه انه ياباه قوله في الحديث لما اراد الله ان يعلم رسوله الاذا
وقول الطبري يحمل الاذان في الاسرا على معناه اللغوي ياباه ذكره بالفاظه بعينها وما
قيل بانه راه في الاسرا ولم يؤمر به بمكة للعجز عن اظهاره بين المشركين واخره الرسول ثم لما
راوا ذلك اظهره ليكون مرجحا على لسان غيره في غاية الضعف ولو كان كذلك لم يؤخره حتى
قدم المدينة اقول هذا كله كلام مضطرب والذي ظهر لي في التوفيق بين الحديثين على
وجه لا كدر فيه ان المذكور في رواية البزار اسراء غير المعروف وانه من وجه او في رويا لان
الاسرا تعدد فيكون راى في منامه ذلك ورؤيا الانبيا وحي وعقب ذلك قص عليه الصحابة
رؤياهم فاظهر موافقتهم والعمل بها لتكون الشهادة والمدح من غيره وليسروا بموافقة رايهم وكون
ذلك ما تواترا عنهم والا فهو فرض كفاية مشروع ومثله لا يثبت برويا غيره فيحتاج الى انه اخره
لما يوافق الرويا وهو خلاف وهذا ان شا الله من بركاته ولمعان مشكاته ثم ان المصنف استشعر
[illegible] فيما مر او ذكر فيه الحجاب وهو في حقه تعالى محال لاستلزامه الجهة والتحيز فاراد دفعه

البقاء في صح

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال قم فنادي بالصلاة صح

ن

وقال رضي الله عنه ما في الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق الرائي لا الخالق
فيه ان الفا في خبر الموصول لتضمنه معنى الشرط وهو جائز وكذا ما ورد في الحديث حجابه النور
اذ الحجاب بمعنى المنع والحاجب المانع ومنه حاجب العين وحاجب الامير والحاجب يحيط بالمحجوب
فيقتضي تناهيه وتحيزه تعالى الله عن ذلك ولذا قال ابن عطا الله كيف يتصور ان يحجبه شي
وهو الذي ظهر في كل شي كيف يحجبه شي وهو اظهر من كل شي كيف يتصور ان يحجبه شي وهو
الواحد الذي ليس معه شي فهم اي الخلق المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه لما
سيأتي ولذا علا علي بالدرة من قال لا والذي احتجب بسبعة الخلائق وقال ويحك يا لكع
ان الله لا يحتجب ثم علل استحالة ذلك في حقه فقال اذ الحجب بضمتين جمع حجاب او بفتح فسكون
مصدرا انما تحيط بمقدر محسوس اي بذي مقدار له طول وعرض وعمق في جهة تخص بتوجه
الناظر فتقتضي الجهة وهو منزه عن ذلك ولكن حجبه عن ابصار خلقه وبصائرهم جمع بصيرة وهي
القوة المدركة لغير المحسوس من المعقول ونحوه فلا تحيط به ابصارهم اي لا تدركه ادراك احاطة
بذاته لاقتضائه التحديد والتناهي ونحوه مما هو منزه عنه كما فسره به قوله لا تدركه الابصار
كما ذكره البيضاوي ردا على من انكر الرؤية واستدل بهذه الآية وبصائرهم المراد بالادراك
العلم اي لا تعلم كنهه وحقيقته عقولهم ادراكا تاما يقينيا لا تدركه فادركا كما تم اي انواع
العلم والادراك منطاة عن ادراك ذاته فلا يرونه ولا يتصورونه ولا كنهه في غير الا لما
شا وكيف شا ومتى شا متعلق بحجب اي منعهم عن رؤيته وادراك ذاته ومعرفة حقيقته
ليس بحجاب كحجاب البشر بل بسبب ارادته وكيفيته لا يدركها في اي زمان وفيه ايماء الى ان
رؤية الله في الدنيا ممكنة وفي الاخرة واقعة وان معرفة حقيقته ممكنة لنا وهو الاصح
بل واقعة للانبياء ومن اسلك مسلكهم كقوله اي كقول الله في الكفار انهم عن ربهم
اي ان الكفار يومئذ اي يوم القيمة وفي الاخرة اذ يتنعم المؤمنون برؤيته ورضوانه
لمحجوبون وقال كقوله بالكاف لان المدعى عام وهذا خاص بالكفار ولكن فيه اثبات لمدعاه
اذ جعلهم هم المحجوبون لا الله فان قلت الحجب امر نسبي لكن بين حاجب ومحجوب والحاجب
سبحات الانوار وسنام العظمة والمحجوب مخلوقاته لا هو لانه محجوب عنه لا محجوب فيجوز ان يوصف
بانه محجوب عنه وحاجب ومحتجب خلافا لمن انكره ومثاله حفرة عميقة فيها نمل على رأسها انسان حديد
البصر والنمل محجوب عن رؤيته بالحفرة لا يرى من فوقه وهو يشاهده ويشاهد حركاته والحجاب
للمشهود لا الشاهد فعلى هذا يطلق الحجاب ونحوه عليه لوروده بهذا المعنى مطلقا او مقيدا اذا سمع
مما سمع من الشارع لا يلتفت اليه كاليد والبصر وغيره فاعرفه فانه امر مهم كثير في القرآن والحديث
فقوله في هذا الحديث الحجاب بالجر على حكاية الحجاب لدى والرفع وقوله اذ خرج ملك من الحجاب
اراد ملك الاذان الذي سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل يجب ان يتاول في تفسيره
معناه انه حجاب محجب به الله من ورائه من ملائكته عن الاطلاع بكسر الطاء المشددة اي رؤيتهم
متعلق بحجب على ما دونه اي ما خلفه وورائه من جانب الغيب وباطنه فهو الباطن والظاهر
من سلطانه الظاهر انه اراد به ما يقتضيه قدرته وتصرفه مما لا يطلع عليه رسل الملائكة وغيرهم
الا باذنه نادرا وعظمته وعجائب ملكوته وما لا يدرك من ذلك والمراد بالملكوت عالم الغيب
اي ما غيب عن الملائكة وجبروته وهو يطلق على القهر وعلى عظايم الملكوت وغرايبه مما اختص
عن غيره وهو المراد وجبروته بغير همز قال الحلبي وهو مهموز في بعض النسخ وهو لحن وبذلك

غيب

بيلزمه

عليه اي يدل على ان الحجاب لغيره لا لذاته قول جبرئيل له صلى الله عليه وسلم ان هذا الملك ما رأيته
قبل ساعتي هذه فانه صريح في ان الحجاب انما يحجب الخلق فان جبرئيل قد حجبه الله عما في سرادق جلاله
وخلف حيطة عظمته فدل على ان هذا الحجاب المذكور في الحديث لم يختص بالذات اي لم تختص محجوبيته
بذاته تعالى اذ حجب بعض الملائكة ايضا كملك الاذان وعبارته تسامح فيه علمت انه لا يتوهم ان المصنف حقه
ان يقول يختص بغير الذات لان نفي الاختصاص به يقتضي المشاركة كما لا يخفى ويدل عليه اي على عدم
اختصاص الحجاب بالذات كما مر قول كعب الاحبار في تفسير سدرة المنتهى اي في بيان سبب تسميتها
به اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم فهذا وجه تسميتها ومنه يعلم
ان الحجاب انما هو بالنسبة لغيره لا له وان المحجوب عنهم ذاته وامره وملائكته المقربون وقوله يجدون
معناه يقفون عليه ويعلمونه واما قوله في الحديث الذي يلي الرحمن لما كان ظاهره ان الله حائل بينه
وبين غيره اشار الى تاويله بقوله فيحمل اي تفسيره بانه على حذف المضاف اي الذي يلي عرش الرحمن
فالمضاف المقدر لفظ عرش او لفظ امر او امره او زيادة ما للتعظيم او المعظم او يلي امر الرحمن من عظيم
اياته من بيانية لايضاح ما ابهم اولا وهو اوقع في النفوس لحصوله بعد التشوق اليه او من مبادي
حقايق معارفه اي امر الكون مبدأ لما يتحقق به معرفة الله مما هو اي اسم اعلم به من رسله
وملائكته كما قال تعالى واسئل القرية اي اهلها اشارة الى ان تقدير المضاف لقرينة عقلية
كثير بليغ لان القرية لا تسئل وانما يسئل اهلها وقوله تعالى في حديث الاذان اجابة للملك لما قال
الله اكبر من كل كبير صدق عبدي اي الملك القايل انا اكبر ظاهره انه صلى الله عليه وسلم سمع في
هذا الموطن اي المكان الذي كان قارا به كما يقر الانسان في وطنه كلام الله من غير واسطة كما سمع
موسى صلى الله عليه وسلم ولكن من وراء حجاب حجبه عن رؤية الله تعالى وهو يراه من غير حجاب بالنسبة له
وان كان النبي صلى الله عليه وسلم محجوبا عن رؤيته معاينة ثمة فهو لا يراه ثم استدل على ذلك بقوله
كما قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب وهو اي النبي صلى الله عليه وسلم
لا يراه اي لا يرى الله معاينة اذ حجب بصره اي بصر النبي عن رؤيته اي رؤية النبي ربه في هذه
الدنيا ولما كان هذا يوهم امتناع الرؤية في الدنيا مطلقا قال فان صح الحديث والقول بانه راى
ربه عيانا حين اسري به فيحتمل انه في غير هذا الموطن الذي سمع فيه الاذان بعد هذا الموطن
والمقام او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى راه عيانا في مقام آخر والله اعلم

فصل

في تحقيق الاسرا جميعا يقظة او مناما او بعضه يقظة وبعضه مناما فقيل ان الاسرا كان
مرتين مرة بروحه مناما ومرة بروحه وبدنه يقظة ومنهم من قال بتعدد الاسرا في اليقظة
ايضا بل قيل انه اربع مرات وبعضها كان بالمدينة ووفق ابو شامة بين الروايات بالتعدد وانه
وقع من مكة لبيت المقدس ثابت بنص القرآن والحديث وقد تقدم الفرق بين الاسرا والمعراج وان
الاول سيره لبيت المقدس والثاني صعوده منه للملا الاعلى وكل منهما يطلق على الجميع واما حمل
التدلي على الله بطريق الانسلاخ الذي ذهب اليه الصوفية فاخراج الحديث عن ظاهره لمعنى لا ينبغي
التعويل عليه وانما ذكرناه لننبهك عليه لئلا تغتر بكلام بعض جهلة الصوفية والحكما اختلف
السلف والعلما من عطف العام على الخاص والمراد بالسلف الصحابة ومن عاصرهم وبالعلما
من تقدم هل كان اسرائه بروحه ام بجسده اسراؤه بالنصب خبر كان اي هل كان الاسرا اسراءه الخ
على ثلاث مقالات اي اختلاف واقع على ثلاثة اقوال للسلف والخلف ثم فصله وفسره بقوله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فذهبت طائفة ممن يصحح به الى انه اي الاسرا بالروح وانه رؤيا منام عطف تفسيري
لا بدل كما توهمه الدلجي وفي تفسير القاضي اختلف في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه
او بجسده مع روحه في اليقظة وليس متعلقا بقوله في اليقظة فقط كما توهم والصحيح الثاني كما
سياتي قال البرهان وهي قولان احدهما انه تعدد فمرة بجسده ومرة او مرات بروحه والثاني
انا نقول بالاسراء ولا نعين كونه يقظة او مناما كما في الهدي النبوي وهو غريب مع اتفاقهم
سلفا وخلفا على ان رؤيا الانبيا حق ووحي لانهم تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم لان الشيطان
لم يتسلط عليهم فيتمثل لهم والوحي على انواع منها المنام الا انه على قسمين منه ما يقع بعينه وهو الاكثر
ولهذا ذهب الخليل الى ذبح اسمعيل ومنها ما يعبر ويؤول والى هذا ذهب معاوية بن ابي
سفيان ابن حرب بن امية كما رواه عنه ابن جرير وابن اسحاق وهو رضي الله عنه صحابي ابن صحابي
توفي بالشام كما مر سنة ستين وعمره ثمان وسبعون او ست وثمانون وكان عنده ازار رسول
الله ورداوه وشي من شعره وظفره فكفن بازاره وردايه وحشي شعره وظفره بفيه ومنخره بوصية
منه رحمه الله وحكي عن الحسن البصري وحكي مبني للمجهول والمشهور عنه اي عن ابي الحسن
خلافه اي له قولان اشهرهما انه كان يقظة واليه اي الى ما ذكر عن الحسن ذهب محمد بن اسحاق
ابن يسار صاحب المغازي وهو وان طعن فيه بعضهم وحجتهم اي دليل القائلين بانه رؤيا منام
قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس لانكار كثير له وارتداد بعض ممن
اسلم حين بلغهم ذلك لضعف عقولهم وايمانهم ولا حجة في ذلك لان لها تفاسير اخر وفي بعض
النسخ هنا وقيل راها عام الحديبية اسم بئر مشهورة وياؤها مخففة وروي مشددة ايضا لانه
راى انه واصحابه دخلوا مكة كما قال تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام
الخ فلما صدوا عن الدخول فتن بعضهم فنزل لم يقل في هذا العام وقيل الاية في قصة بدر
لقوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا وقيل المراد بها رؤيا بني امية تنزو على منبره ومما احتجوا
به ما حكي عن عايشة ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي نسخة فقد
بالبنا للمجهول وفي رواية لم يفقد مجهول ايضا قال التلمساني وهي الاشبه بالصواب فهو اخبار
منها عن غيرها لانها لم تكن حينئذ زوجة بل لم توجد انتهى مع ان له زوجات اخر فلا يلزم من عدم فقده
فقد غيرها قيل ولا حجة فيه ايضا لاحتمال انه تعالى اراد اذ يحجب عنها حقيقة ذلك مع ان النفي
لا يقدم على الاثبات ولا يخفى ما فيه من التكلف وقوله صلى الله عليه وسلم في رواية بينا
انا نايم قال ابن المنير في المقتفي جنح هؤلاء الى قضايا ظنوها تجعل الاسرا يقظة من حيث العقل
وذلك غلط بين وانما هو استبعاد عادي ظنوه محالا لا عقليا فاحتجوا بما ورد في بعض من
التصريح بانه كان نايما فاستيقظ وقوله بين النايم واليقظان ليس بصريح في ان النوم استمر بل
كان مجي الملك وهو وسن وباقل من ذلك يستيقظ النايم المستغرق لا سيما الوسن واحتجوا
على انه استمر ان المنام ربما ورد في بعض الطرق فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام رد عليهم
بان المراد الافاقة البشرية من الغمرة الملكية وبالجملة فان صح النقل في الطرق وتعارضت
وتعذر التاويل على التعدد وتنزيله على اسراءات بعضها يقظة وبعضها مناما لا يقال لو
كان كذلك لما تكرر فرض الصلاة دفعة قلنا فرضت في اليقظة وجاء المنام بعد ذلك
كالذي في تجديد العهد اذ تقدم المنام كالمقدمة والتعريض بالفرض ربما سيكون ثم
فرضت يقظة وكثيرا ما يرى النايم انه فعل فعلا كان فعله قبل ويقع له انه الفعل المتقدم

لان

منقول

بعيشه فيكون ذلك المعنى ما انتهى وقول انس وهو نايم في المسجد الحرام وذكر
القصة الواردة في حديث الاسرا الذي رواه البخاري وهو يدل على انه كان مناما ثم
قال في آخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام اي انتبهت من منامي فوجدتني في هذه
الحالة فانتفى كونه حجة وقد علمت ما فيه وذهب السلف والمسلمون عطف للعام على الخاص
وفيه اشارة الى ان خلافه لا ينبغي لمسلم اعتقاده الى انه اسراء بالجسد مع الروح وفي اليقظة
المقابلة للنوم وهو بفتح اليا والقاف وتسكينها لحن الا لضرورة شعرية كقول التهامي (خ)

فالعيش نوم والمنية يقظة • والمرء بينهما خيال ساري •

وبالتسكين علم كاليقظان وهذا هو الحق الذي يقتضيه الاسلام اذ لا حاجة لصرف النصوص
عن ظاهرها بغير داع ولو كان كذلك لم ينكره احد من العقلا وهذا قول ابن عباس وجابر وانس
وحذيفة وعمر وابي هريرة عبد الرحمن بن صخر على الاصح من اقوال في اسمه مشهورة ومالك
بن صعصعة الصحابي المدني كما تقدم وابي حبة البدري بفتح الحا المهملة بلا خلاف ثم بيا
موحدة مشددة ثم ها واسمه عامر وقيل مالك وقيل عمرو وقيل ثابت بن النعمان كما في الاستيعاب
واختلف في ابي حبة الانصاري وابي حبة البدري هل هما واحد او اثنان على اختلافهم في ضبط
المتقدم وقوله بدري اي شهد بدرا اشارة الى انه من كبار الصحابة وقيل اسمه كنيته وابن مسعود
والضحاك وهو مزاحم البلخي المفسر المكني بابي القاسم او ابي محمد يروي عن ابن عباس وابي هريرة
وهو ثقة وان ضعفه بعضهم توفي سنة خمس ومايه وقيل سنة ست واخرج له اصحاب السنن
الاربعة دون الشيخين وسعيد بن جبير المشهور وهو الوالبي ابو محمد اخرج له اصحاب الستة
وقتادة المتقدم ترجمته وابن المسيب بفتح اليا وكسرها كما تقدم في ترجمته وابن شهاب
ابو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري كما تقدم وابن زيد عبد الرحمن بن زيد بن اسلم
وترجمته في الميزان والحسن بن ابي الحسن البصري كما تقدم وابراهيم النخعي المتقدم ذكره
ومسروق بن الاجدع ابو عايشة الهمداني احد الاعلام الذي لم يخرج من همدان مثله صاحب
المناقب الجمة وكان اعلم بالفتيا من شريح توفي سنة ثلاث او اثنتين وستين واخرج له اصحاب
الكتب الستة ولقب بمسروق وهو صغير ثم وجد ومجاهد بن جبر المتقدم ترجمته وعكرمة
بن عبد الله الامام المفسر مولى ابن العباس احد اوعية العلم الثقة وهو اباضي وسياتي بيان
الاباضية وروى له الشيخان وتوفي سنة خمس او ست وسبع ومائة وترجمته مفصلة في
الميزان وابن جريج عبد الملك ابن عبد العزيز وقد تقدمت ترجمته وهو دليل قول عايشة
قيل كيف يكون الاسرا يقظة دليل قول عايشة ما فقدت جسده الدال على انه منام لا يقظة
وهذا عجيب اذ ذكره في المذهبين وجعل ما يبطله دليلا عليه كما سياتي فضلا عما هو منه بلا
ريبة اقول لا شك انه وارد وان كلامه لا يخلو عن اشكال الا ان يقال بانه سقط منه
شيء واصله دليل على عدم صحة قول عايشة وان لم يثبت نقله عنها وقد يقال مراده انه دليل على
قول عايشة فهو لا موافقا لما عليه اكثر الصحابة وانها قايلة بانه يقظة كالجمهور فالمراد
ابطال ما نقلوه عنها وهذا وان كان مخالفا للظاهر لكنه اسهل من غلط المصنف وهو لا يناسب
بقوله وهو قول محمد بن جرير الطبري المتقدم ترجمته واحمد بن حنبل وجماعة عظيمة اي كثيرة
والعظمة تطلق بمعنى الكثرة وان كان المعروف خلافه او المراد انهم ائمة مقدارهم جليل (خ)
من المسلمين وهو قول اكثر المتاخرين من الفقها والمحدثين والمتكلمين والمفسرين قيل كثرة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

نقلته وشهرة الاخبار عنه الصحيحة به لايناسب مخالفة ام المؤمنين فيه وقالت طائفة
هذا هو القول الثالث كان الاسرا بالجسد يقظة الى بيت المقدس فقط ومنه الى السماء
بالروح يعني مناما ولا يخفى بعده اذ لم ينقل انه نام ثمة وهذه الحالة لاتناسب النوم ثمة وقوله
واحتجوا بقوله سبحانه سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى بيت المقدس
وفي نسخة الى المسجد الاقصى وهي الموافقة للنظم الشريف وهي اصح عندي واعلم انهم فرقوا
العروج الروحاني بالمنام وليس بمتعين لانه قد تفارق الروح بدونه وهذا مما اتفق عليه الحكما
واهل التصوف وليس هذا محل تحقيقه فجعل غاية الاسرا تفصيل وتفسير للاحتجاج لانه لما جعله
غاية اقتضى انه لم يتجاوزه الى السما بدنه ولا حجة فيه لان كونه غاية لمسيره في الارض لاينافي
صعوده لما يحاذيه في جهة العلو وما قيل من انه انما يتم اذا كان الاسرا مرة واحدة وعلى تعدده
يكون غاية لركوبه البراق ثم عرج منه الى السما والحكمة في عدم ذكره لنا بيانه بالسنة دون الكتاب
وهو ابلغ في المدح انتهى ليس بشي ولو قيل انه هو الذي انكروه وانه اكتفا باقل ما يثبت به معجزته
واقتصارا على ما تفهمه عقولهم القاصرة كان اظهر ونحوه قول المنير في المقتفي ووجه الاحتجاج
بان الحكمة في تخصيص المسجد الاقصى ان يسال قريش على سبيل الامتحان عن الاعلام التي عرفوها والصفات
التي شاهدوها في بيت المقدس وقد علموا ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يسافر اليها قط فيجيبهم بما
عاين ويوافق ما يعلمونه فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع ولذا لم يسالوه عما راى في السماء اذ لا علم
لهم بذلك وهم ارباب المذهب الثالث ولو كان الاسرا الى مكان ارفع زايد على الاقصى لذكره
الله في القرآن حين قص قصة الاسرا فيكون ذكره فيه ابلغ في المدح من عدم ذكره ثم اختلف هذه
الفرقتان الثانية والثالثة في انه صلى الله عليه وسلم هل صلى النبي صلى الله عليه وسلم ببيت
المقدس حين اسري به ام لا فقيل صلى به وام معادلة قبل بحرضه وهو من نوادر العربية سمع في قوله
صلى الله عليه وسلم لجابر هل تزوجت بكرا ام ثيبا وان انكره بعض النحاة ففي حديث انس وغيره ما
تقدم من صلاته بالانبيا فيه اي في بيت المقدس وسياتي رواية اخرى انه صلى بهم في السماء كما
اشار اليه بقوله ثم انكر ذلك اي صلاته بالانبيا فيه حذيفة بن اليمان وقال كما رواه احمد
بن حنبل ما زالا اي جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم وزاد هنا تائه اي لم ينفصلا ولم ينزلا عن
ظهر البراق حتى رجعا الى الارض وكان جبريل راكبا معه وروي انه كان رديفا قال القاضي عياض
رضي الله عنه والحق والصحيح رواية ان شا الله تعالى قيده بالمشية مع انه امر وقع وانقطع
تبركا وتادبا وللاشارة الى احتمال التعدد فكل رواية لاتنافي الاخرى فلا ينافي قوله ان شا الله
تع كونه حقا صحيحا كما يتوهم وهذا كقوله صلى الله عليه وانا ان شا الله بكم من اللاحقين انه اسري
بالجسد والروح لا بالروح فقط مناما او يقظة في القصة كلها اي في قصة الاسرا الى المسجد
الاقصى والسموات وعليه اي ما يدل عليه نقلا نص القرآن والآية الدالة على سطوها صريحا
وصحيح الاخبار المشهورة المستفيضة الدالة على عروجه الى السماء والاحاديث الآحاد الدالة على
دخوله الجنة ووصوله الى العرش او طرف العالم كما سياتي وكل ذلك بجسده يقظة والاعتبار
بالرفع معطوف على ما قبله كما صححه البرهان والمراد التتبع لاقوال السلف ودقيق الفكر والتاويل
في الاحاديث المروية والقصة يعني انه يدل على ذلك العقل والنقل والحقيقة المتبادرة من لفظ الحديث
الصحيح وليس عطفا تفسيريا كما قيل الى التاويل متعلق بيعدل اي لا يصرف عن ظاهره ويأول النصوص
الواردة فيه الا عند الاستحالة اي الا اذا كان ظاهره مستحيلا عقلا وشرعا حتى يتعذر حمله على

ولا يعدل بالبنا للمجهول من العدول
اي لا يخالف احد ويرجع ويعدل عن
الظاهر الذي يقتضيه العقل والنقل
صح

حقيقته

حقيقته وليس ما نحن فيه كذلك وليس في الاسرا بجسده استحالة تقتضي العدول عن الظاهر
والتاويل وما قيل من ان ما ذكره غير مسلم لانه يكفي في المصير الى التاويل قيام المعارض للظاهر
من الروايات التي اوردها المخالف الذاهب الى انه منام لا يقظة مردود بان هذه الرواية عندهم اصح
واقوى لتعدد من رواها وذهب اليها من كبار الصحابة وكثير ممن جاء كما صرح به قبل هذا فان قيل
بالتعدد كما تقدم لم تكن معارضة ايضا فتدبر تنبيه الاستحالة المذكورة اي عن الاسرا [illegible]
من كفار قريش ومن ضعفا المسلمين اذ توهموا ان قطع مثل هذه المسافة ذهابا وايابا في بعض ليلة محال
لانها بعيدة بحيث تقطع في ايام كثيرة ومن بعض ارباب علم الهيئة الذين قالوا ان الافلاك لا فرجة
فيها ولا تقبل الخرق والالتيام وكلاهما خطا عقلا ونقلا الا ترى نقل عرش بلقيس من مسافة ابعد من
هذه في طرفة العين وغير ذلك مما هو ما نحن بصدده وقد نطقت النصوص بان السما لها ابواب تفتح
وتغلق فلا عبرة باوهام الفلاسفة وقال البيضاوي تبعا للامام الرازي الاستحالة مدفوعة بما ثبت
في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة
ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية والاجسام كلها متساوية في قبول الاعراض
والله قادر على كل الممكنات فيقدر على ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله عليه وسلم
او فيما حمله والتعجب من لوازم المعجزات انتهى وقد اورد عليه اعتراضات بسطناها مع جوابها في
حواشينا عليه واعلم ان كلامه مبني على ان الحقيقة تقدم مطلقا عند الشافعي تقديم المجاز
الغالب عليها ثم ان التعجب والعجب اذا اسند الى الله فهو مؤول وكذا صيغة التعجب وفي الحديث
عجب ربكم من شاب ليس له صبوة قال ابن فورك في كتاب الكشف قد ورد مثله في احاديث كثيرة
والتعجب والعجب اصله ان يفجا امر لم يعلمه من فاجاه فيستعظمه وهذا لا يليق بالله عز وجل
فالمراد لازمه يعني ان الله خلقه عظيما بحيث يتعجب منه خلقه او المراد الرضى والقبول لان من اعجبه
شي رضيه وقبله فلا يتعجب مما يكره غالبا فاذا اراد تعظيم شي اخبر عنه بما يقتضي تعظيمه الى آخر
ما فصله وسبحان كثرة استعماله في ذلك اذ لو كان مناما تعليل لصحة كونه يقظة ولعدم الا ستحالة
لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من اسلم
وافتتنوا به اي وقعوا في فتنة اي بلية عظيمة توقعهم في العذاب لردتهم وتكذيبهم له وانكار هم
لما اخبر به مما هو خارق للعادة وهو قد اخبر به لانه معجزة تحداهم بها اذ مثل هذا من المنامات
لا ينكر تعليل لعدم الاستبعاد والتكذيب فان قلت هذا يقتضي ان رؤية الله في المنام جائزة
بلا خلاف وقد قالوا انه اختلف فيها قلت قال الامام الغزالي ان الخلاف فيها غير معتد به وان الحق
مثاله وفرق بين المثال والمثل وقد افرده برسالة فان اردت تحقيقه فراجعها بل لم يكن منهم
ذلك المذكور من الاستبعاد والتكذيب الا الارتداد والافتتان الا وقد علموا ان خبره انما كان
عن اسرائه بجسمه وحال يقظته اخزاهما قاله لهم واما كون رؤيا الانبيا وحي وحق فهذا انما
يعرفه من صدقه وصدق بخبره فما قيل من انه ممنوع لان رؤياهم حق ولذا قال تع لابراهيم
قد صدقت الرؤيا واذا كان رؤياهم كذلك استعظام كونها معجزة له وسلوك الانكار بان رؤياهم
حق كلام في غاية السقوط الى ما ذكر في الحديث المتقدم وذكر مبني للمجهول ويصح بناؤه للفاعل
ايضا والى بمعنى مع كقوله تع ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم او للغاية بتقدير من البيت المقدس الى
المذكور في الحديث بقرينة المقام من ذكر صلاته ببيت المقدس او من بيت الله في رواية انس
او في السماء على ما روى غيره كما تقدم بيانه وذكر مجي جبريل له صلى الله عليه وسلم بالبراق

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وخبر المعراج بكسر الميم اسم آلة للعروج وهو الصعود في جهة العلو كالسلم وقد تقدم
بيانه واستفتاح السماء اي طلب فتحها له من جبريل فيقال له ومن معك فيقول محمد ولقايه
اي الضمير لمحمد الانبياء فيها اي السما وخبرهم معه فيما وقع له معهم من المكالمة وترحيبهم
به اي قولهم له مرحبا بالاخ الصالح او الابن الصالح وهو تفعيل من الرحب بضم الراء المهملة وفتحها
ومعناه السعة اي صادفت مكانا رحبا ذا سعة وهو كناية عن وجوده فيه ما يسره ويكرمه
وشانه في فرض الصلاة خمسين عليه وعلى امته ثم تخفيفها وهو مجرور معطوف على محمد والشان
الامر العظيم الذي جرى له في ذلك ومراجعته موسى اي رجوعه له في المشاورة في ذلك
كما مر وفي بعض هذه الاخبار والحديث الذي رواه الشيخان عن انس فاخذ يعني جبريل بيدي
اي امسك بيده ليصعد معه فعرج الى السماء اي صعد وانما معه الى قوله ثم عرج بي بالبنا
للفاعل او المفعول وعرج كقعد عرجا ومعرجا ارتقى قال في القاموس اذا كان خلقة فعرج
كفرح او يثلث في غير الخلقة وهو اعرج بين العرج انتهى ولبعض الادبا في اعرج من رسالة
قامت العصا بيده مقام رجله وقلت اعواد الاغصان من اجله • فعرج الى الارض لا الى السما •
وغرس العود بكفه ولكن ما اورق ولا نما • وحمل العصا هو الغراب الاثيم • وما افلح من لانها
بعد موسى الكليم انتهى حتى ظهرت اي صعدت وعلوت وهو كناية لانه يلزم من العلو على مكان عال
ان يظهر ويشاهد من هو به لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام بضم اوله مقصور اسم مكان
وقد تقدم الكلام عليه والصريف والصرير بمعنى وهو الصوت الذي يسمع من الاجرام الجامدة
اذا حركت والمراد بالاقلام اقلام الملائكة التي تكتب ما قدره الله وهناك وقع فرض الصلاة اذ
هو قلم واحد لله جمع تعظيما وكثرة مكتوبه وهو القلم المقارن للوح المحفوظ كما قيل وانه
وصل الى سدرة المنتهى ورأى ما غشيها من الالوان وغيرها كما تقدم وانه ادخل الجنة ورأى
فيها ما ذكره من جنابذ اللؤلؤ وترابها المسك الى آخر ما ذكره قال ابن عباس فيما صح عنه من رواية
البخاري هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام ولا يعارضه ما روي عن عائشة
وغيرها كما قيل لصحة هذا وكثرة طرقه وشهادة ظاهر النصوص له كما مر ولا وجه لما قيل ايضا لان
صوابه رؤيا نائم كما لا يخفى وروى ابو اسحاق وابن جرير مرسلا عن الحسن البصري بينا انا نايم في
الحجر بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم ونقل التلمساني عن بعضهم انه هنا بفتح الحاء المهملة وفي القاموس
ان الاول معناه وما حواه الحطيم المدار بالكعبة من جانب الشمال وديار ثمود والانثى من الخيل وبالهاء
لحن اقول ما قاله من انه سبقه اليه غيره ليس بصواب فانه ورد في الحديث وصححه بعض اهل اللغة
كالعرو بيني في مثلثاته واليه ذهب شيخنا في حواشيه والحجر معروف بجنب البيت لنصف
دايرة عليه جدار قصير وهو من البيت وقيل الذي منه مقدار ستة اذرع او سبع كما افاده البرهان
جاءني جبريل فهمزني بعقبه همزه كضربه وما وقع في بعض النسخ فهزني من تحريف النساخ اي
مسني بشدة لينبهني والهمز والضغط بمعنى وفي العين همزته غمزته والهمزة في الحروف لانها تهمز
فتنهمز عن مخرجها انتهى وهو يدل على انها صحيحة لغة فلا وجه لما في بعض شروح الكشاف من انها لم
تسمع وانما سمعها العقب وعقبه بفتح العين المهملة وكسر القاف ثم الموحدة مؤخر الرجل وهذا يدل على انه
تمثل له بصورة رجل حين همزه والضمير لجبريل فقمت اي انتبهت من منامي بدليل قوله فجلست والقيام
بهذا المعنى كثير فلم ار شيا فعدت لمضجعي اي رجعت لما كنت عليه من هيئة النايم فالمضجع
مصدر ميمي او اسم مكان ذكر ذلك ثلاثا وذكره ثلاثا لانه وقع لانه وقع الهمز ثلاث مرات

فقال في المرة الثالثة فاخذ بعضدي بالاضافة الى ياء المتكلم المخففة والعضد ما فوق
المرفق فخرج بي الى باب المسجد اي اخرجه اليه تاديبا منه اذ لم يرها على صورة ذاته لعنا بنت
الله وقيل الله اعلم بصحة هذا لتراهه جبريل عن ان يفعل به ذلك وفيه نظر فاذا انا بدابة وذكر
خبر البراق المتقدم في شكله وهيئته وسرعته وهذا رواه ابن اسحاق وابن جرير والطبراني في
وعن ام هاني بهمزة في اخره وتبدل ياء واختلف في اسمها فقيل فاختة وقيل عاتكة وقيل جمانة
وقيل فاطمة وقيل هند وقيل بنت ابي طالب صحابية عظيمة المقدار اخرج لها اصحاب السنة
وكانت اسلمت يوم الفتح وهرب زوجها هبيرة المخزومي فمات بنجران كافرا وخطبها النبي صلى الله عليه
وسلم فاعتذرت بانها مصيبة اي ذات اولاد ما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو
في بيتي وهو مخالف لانه كان بالحجر او غيره فان قيل بتعدد الاسرا فلا اشكال تلك الليلة
التي اسري به فيها من بيتها صلى العشا الاخرة والعشا الاولى المغرب ونام بيننا اي بين اهل
بيتها واولادها وفي رواية شابين بين معجمة فلما كان قبيل الفجر بتصغير قبل تصغير تقريب
وتقليل اهبنا بالهمز اوله اي ايقظنا يقال هب اذا استيقظ واهبه ايقظه من منامه ونبهه منه
فلما صلى الصبح اي صلاة الصبح وصلينا معه قال يا ام هاني لقد صليت معكم العشا
الاخرة كما رأيت بكسر التاء اي كما شاهدت مما في لها بهذا الوادي اي بمكة وهي واد لاحاطة
الجبال بها وانخفاضها بينها قالوا هذا مشكل من وجوه لانها انما اسلمت عام الفتح فكيف تكون صلت معه
وايضا ان الصلاة انما فرضت في الاسرا واول صلاة صلاها بعد الفرضية الظهر فما معنى صلاته
العشا والصبح ولذا اشار المصنف لتضعيف هذا في الفصل الذي يليه وايضا المغرب لا تسمى عشاء
لغة وشرعا وقولهم العشاين للمغرب والعشا تغليب وما قيل من انه كان يصلي قبل الاسرا قبل طلوع
الشمس وغروبها وان المراد بقولها هنا ما يحتاج اليه في صلاته كلام لا يجدي لانه في غاية
الخفا او هو مدرج من كلام غيرها نعم كون المغرب لا تسمى عشاء اولى غير صحيح لانه ورد في الحديث
تسميتها عشاء اولى والمراد العشا اول الليل وكون ما ورد تغليبا غير مسلم فان الاصل هو الحقيقة
اقول الذي يظهر لي في التوفيق بين الروايات والجواب عما ذكر انه نقل تكون الاسرا مرارا اذ غا
الامر ظاهره انه كان بعض امرها في بيتها ثم خرج الى الحرم للصلاة فنعس ثم نام ثم استيقظ وعرج به
واما قول ام هاني صلينا فيدفع الاشكال المذكور بانها بنت ابي طالب وابو طالب واله كانوا مجيزين
له صلى الله عليه وسلم مصدقين من صدقه ولم يظهروا ذلك لغيرهم جاهلية وحكمة خفية ولذا اسلم
علي في صباه وكان معه وذكر ذلك ابو طالب في شعره المشهور في السير فلما خرج من بيتها
تلك الليلة وصلى بالحرم ومعه علي ولا شك انه كان يصلي قبل الاسرا بالغداة والعشي صلاة
غير الخمس المفروضة فقولها صلينا كقولهم بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم لان الفعل
المرضي لجماعة اذا وقع من احدهم ينسب للجميع وهو مجاز بليغ مشهور اي صلى معه بعض الناوهو
علي اولنا ليانها كانت مسلمة سرا كما نقل مثله عن العباس فانتفاع الايراد الذي طنوه هم
غير مسلم مع ظاهر فلا حاجة لما قيل الصلاة هنا لغوية بمعنى الدعا ثم جيت بيت المقدس فصليت
فيه ثم صليت الغداة والغد وبمعنى وهو اول النهار وهو بتقدير مضاف اي صلاة الغداة
وهي صلاة الصبح معكم الآن كما ترون وتشاهدون وهذا المذكور برهان ودليل بين بتشديد
الياء المكسورة اي ظاهر واحتج في انه اي الاسرا بجسمه وروحه لا بروحه فقط كما قال من نما
البين فيه قوله ثم نام وفيه نظر وعن شداد بن اوس بن ثابت بن المنذر ابو يعلى الانصاري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الصحابي نزيل بيت المقدس وليس بدريا كما توهم وقد اخرج له الائمة الستة واحمد في مسنده
وهذا الحديث ليس فيه وانما رواه البيهقي وابن مردويه توفي سنة ثمان وخمسين ومائة بفلسطين
وهو ابن اخي حسان عن ابي بكر الصديق افضل الصحابة وفي اكثر النسخ عن ابي بكر من رواية شداد
بن اوس عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به في هذا ما لا يخفى اذ لا يصح مع قوله
طلبتك البارحة وهي الليلة الماضية قبل ليلتك ومنه المثل ما اشبه الليلة بالبارحة فهو
يتعذر بعد ليلة اسري به ومعنى طلبتك اي تفقدت جسدك في مضجعك فلم اجدك فيه
وفيه تقديم والتفات اي طلبتك البارحة ليلة اسري بك وهذا كله خلاف الظاهر ولم ينبهوا عليه
فاجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ان جبريل حملني الى المسجد الاقصى فان بكسر الهمزة
او مفتوحة والتقدير بان الخ قيل هذا يحتمل انه كان ببيت عائشة بدليل السياق لكنه معارض بقول
عائشة المتقدم وقوله حملني جبريل يخالف لكونه على البراق الا ان يقال لكونه سببا اسند اليه
مجازا وفيه نظر وهذا دليل على انه كان يقظة بجسده ايضا وعن عمر كما رواه ابن مردويه من طرق
قال قال صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد الاقصى ثم دخلت الصخرة
اي دخلت المسجد الذي تحت الصخرة المعروف الان بمسجد داود ففيه مضاف مقدر اي تحت
فاذا ملك قائم لم يسمه معه آنية ثلاث وذكر الحديث اي ساقه الى اخره ولذا هنا مفاجاتية
اي فاجا في نفسه لقاؤه والآنية بالمد جمع اناء كوعاء وزنا ومعنى والاواني جمع الجمع وليس مفردا
كما توهم العامة ولذا وصفه بانه ثلاث فهو صفة او بدل منه وقيل خبر هي مقدرة وكان الظاهر ان
يقال ثلاثة لان مفرده مذكر فكانه اول بكاس ونحوه يعني اناء من خمر واناء من لبن واناء من ماء وانه خير
فيه فاختار اللبن وقيل اخترت الفطرة ولو اخترت الخمر غوت امتك وهذا تمام الحديث وقد تقدم
واعترض عليه بانه محتمل لكونه مناما ولا مانع في هذه الرواية اصلا فقوله وهذه التصريحات
ظاهرة في انه كان يقظة مستحيلة شرعا وعقلا حتى يقتضي استحالتها التاويل فتحمل على ظاهرها
ولا يعدل الى التاويل مع عدم الحاجة اليه وعن ابي ذر الصحابي الغفاري في حديث رواه الشيخان
عنه صلى الله عليه وسلم فرج مبني للمجهول مخففا الراء المهملة ونائب فاعله سقف بيتي
وفي نسخة عن سقف بيتي والمعنى كشف من السقف جانب حتى انفتحت منه فرجة ولم يبق حائل بينه
وبين السماء وانا مقيم بمكة قبل الهجرة هذا مع قوله سابقا بينما انا نائم بالحجر والحطيم وقول ام هاني
ما اسري به الا وهو ببيتي بينهما من المعارضة ما لا يخفى فان قيل بالتعدد فلا منافاة بين الروايات
ولا يكفي هنا كون اضافة البيت له لانه ساكن فيه ولام هاني لكونه ملكها وقد تقدم قول ابن المنير
ان فرج السقف وعدم اتيان بيته من بابه انه مبالغة في المفاجاة تنبيه على ان دعوته وكرامته
كانت على غير ميعاد وكان هذا عادة الخلفا العباسيين قلت وليدل على انه امر الحق وكرامة
تسر ولا تضر ولو اتى من الباب لتوهم ان احدا غيره الذي هو بين اظهرهم فنزل جبريل ففرج
صدري وفي رواية ففرج صدري اي شقه وهي انسب بفرج السقف ثم غسله بماء زمزم
الخ لانه افضل المياه حتى الكوثر في قول ولانه الفه صغيرا وكبيرا وشرح الصدر لا ينافي شق القلب
لانه مقدم عليه ولا حاجة الى القول بانه تجوز عن القلب بالصدر لعلاقة المجاورة وقد تقدم انه
شق قلبه وصدره وهو صغير عند ظئره حليمة فهذه مرة ثانية والاولى لتطهيره من الكدورات البشرية
ويشرحه للرسالة والنبوة وهذه ليقوى على العروج ومشاهدة عجايب الملكوت فهو وقع مكررا في مرة
غسل بماء زمزم وفي اخرى بماء الثلج ليبرد صدره ويبصره فلا تعارض بين الروايات قال ابن المنير ولنا

لم يقع هذا التكليم لم ينطق في الدنيا الرؤيا ولم يذكر هنا انه كان معه ملكان بطست وماء كما
مر بانه وضع عليه خاتم النبوة وسيذكر ثم اخذ بيدي فعرج بي بالبنا للفاعل او المفعول
كما مر وشرح صدره كما مر بعد نزول جبريل اليه والتعقيب بالفاء عرفي نسبي فلا ينافي في قوله عن
انس اتيت بالبنا للمجهول كما توهم فانطلق بي بمجهول ايضا وفي نسخة فانطلقوا بي بصيغة
الجمع لان مع جبريل ملكان اخران معهما طست من الذهب كما مر ولا منافات بين الروايات كما يتوهمه من
لا بصيرة له الى زمزم فشرح عن صدري اي شق صدره وقلبه ووضع فيه نور النبوة ليقوى على
العروج ومشاهدة الملكوت وعجايبه وروى مسلم عن ابي هريرة عبد الرحمن بن صخر لقد رايتني
جواب قسم مقدر للتاكيد والمثناة الفوقية المضمومة وراى علمية او بصرية في الحجر تقدم ضبطه
وما يتعلق به وقريش تسالني عن مسراي والمصدر مصدر ميمي او اسم مكان اي سالة كفار قريش
عن علاماته بعد ما كذبوه تحقيقا لما زعموه فسالتني قريش وتانيثه باعتبار القبيلة عن اشياء
من بيت المقدس وامارته لم اثبتها اي لم اكن اثبت صورتها في ذهني وفكري لاشتغالي بما هو اهم
منها من مشاهدة ما هو من صلوته مع الانبيا وتهيئته العروج فعلم سقوط ما قيل من ان هذا يدل
على انه كان مناما لان النائم اقل ضبطا لما يراه في منامه من المستيقظ ورؤياه حق وان نامت عيناه
لا ينام قلبه فكربت كربا ما كربت مثله قط بضم الكاف من الماضي المجهول والكرب الغم والحزن الشديد
من فم الغلوج والاضطراب قال الراغب اصله من كرب الارض وهو قلبها بالحفر والحرث فالغم يثير النفس
كاثارة ذلك وفي المثل الكراب على البقر وليس ذلك من قولهم الكلاب على البقر في شي فرفعه الله
لي انظر اليه اي رفع الله له بيت المقدس حتى ينظر اليه ويثبت ما فيه ويخبرهم به على حقيقته
فجملة انظر حالية او مستانفة وقد روي عن عمر بن الخطاب في حديث الاسرا انه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجعت من مسراي الى خديجة ام المؤمنين وما تحولت اي
والحال ان خديجة ما تحولت وتحركت من حالتها التي كانت عليها حين فارقتها وهذا يقتضي انه كان في
بيت خديجة وقد تقدم انه كان في بيت ام هاني وفي رواية انه كان بالحجر وفي اخرى في الحطيم
وهو في الذي يلي الميزاب الذي هو قبلة اهل المغرب وقيل الحطيم ما بين المقام الى الباب وروي عن
مالك وعن ابن جريج هو ما بين الركن والمقام عند زمزم قيل والصحيح انه ما يلي الركن الاسود

فصل في ابطال حجة من قال انه نوم

لا يقظة وان الاسرا تكرر مرارا اربعة كما ارتضاه ابو شامة وتابعه غيره لان الرؤيا
مؤنث منامي لا باعتبار انها رؤيا منام كما قيل احتجوا بقوله وما جعلنا الرؤيا الآية فسماها
رؤيا وهذا مبني على ان راى مشترك فيكون بمعنى ابصر يقظة ومصدرها رؤية ومناما
ومصدرها رؤيا وراى بمعنى علم وحكم ومصدر الاخير الراي وهذا هو المشهور وقد رده السهيلي
في الروض الانف وقال الرؤيا مشتركة ايضا بين البصرية والحلمية واورد لها شواهد من كلام
العرب وقيل الرؤيا اذا كانت بصرية تختص بما يرى ليلا قلنا جوابا عما احتجوا به قوله تعالى
سبحان الذي اسرى بعبده يرده لانه لا يقال في النوم اسرى اذ الاسرا هو السير
ليلا وهذا انما يكون يقظة لا سيما وقد ذكر في الحديث ما يستلزمه لزوما بينا من صلاته بالانبيا
واستصحابه البراق عليه وغير ذلك مما تقدم واحتمال ان يكون معناه انه راى في منامه انه
اسري به بعيد جدا ولذا جعله ابطالا لما قالوه لانه في قوة الخطا فما قيل ان الاولى ان يقول

شبكة الألوكة www.alukah.net

بحديثه ما ذكر ليس بشيء يعول عليه وقوله فتنة للناس اي بلية ومحنة حيث جرا انهم على تكذيبه وردّه بعضهم يوهن انها رؤيا عين باصرة يقظة واسراء شخص اي سير بجسده حقيقة يقظة لا تخيلا نوما كما قيل اذ ليس في الحلم بضمتين او ضم فسكون وهو ما يراه النائم واصل معناه الفعل يقال حلم في نومه يحلم حلما وحلما وقيل حلم بضم ثم فتح كرجع قاله الراغب فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى في منامه مثل ذلك من الكون في ساعة واحدة في اقطار متباينة اقطار جمع قطر وهو الجانب والمتباين المتبعد ومن بيان لذلك اذ الولي يرى في مدة قليلة انه وصل لاماكن بعيدة ولا ينكره عليه احد من العقلاء ثم اشار الى رد دليلهم بوجه آخر فقال على ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الاية التي استدلوا بها على معنى ثم والعلاوة ضم امر لآخر كقوله ٭ على ان قرب الدار خير من البعد ٭ والمراد بالاية وما جعلنا الرؤيا الاية فذهب بعضهم الى انها نزلت في قضية الحديبية القضية بالضاد المعجمة واحدة القضايا على الاصح لما سياتي وروي قصة بالصاد المهملة والحديبية مصغرة بحاء ودال مهملة وياء مخففة وهاء تانيث وتشدد ياؤه ايضا وعليه اكثر المحدثين وبعض اهل اللغة فهي صحيحة رواية ودراية فلا وجه لمنعه وسميت بها لشجرة حدباء وقع تحتها بيعة الرضا واسماء البئر بها او قرية على مرحلة من مكة عند مسجد الشجرة وهل هي من الحل او من الحرم او بعضها من الحل وبعضها من الحرم اقوال ذهب الى كل منها بعض العلماء وكان رسول الله اقام بالمدينة منصرفه من غزوة بني المصطلق في شوال وخرج في ذي القعدة معتمرا ومعه من الانصار والمهاجرين نحو الف وخمسمائة وساق الهدي معه وهو محرم ليعلم انه لم يخرج لحرب فلما بلغ قريبا خرج منهم جمع صادين له عن دخول مكة وانه ان قاتلهم قاتلوه وخرج مع الكفار خالد بن الوليد الى كراع الغنم فلما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحديبية بركت ناقته فقال حبسها حابس الفيل لا يدعونا قريش لخطة فيها صلة رحم الا اعطيتهم اياها ولم يكن ثمة ماء فغرز سهما في بئر ماء ففار ماؤها حتى كفى للجيش ثم جاءت السفرة بين يدي رسول الله والكفار وتنازعوا حتى جاءه سهيل بن عمرو العامري وقاضاه على ان ينصرف ويأتي في العام القابل وان يكون بينهم صلح عشرة اعوام يامن بعضهم بعضا على ان من اتاه مسلما منهم رده لهم ومن اتاهم لم يردوه فعظم ذلك على المسلمين ووقع ما وقع ولهذا سمي عام القضية قال ابن عبد السلام في قواعده فان قيل لم التزم الصلح وما شرطوه مع ما فيه من ادخال الضيم على المسلمين والدنية في الدين قلنا ذلك دفعا لمفاسد عظيمة وهي قتل المؤمنين والمؤمنات الذين كانوا خاملين بمكة لا يعرفهم اهل الحديبية وفي قتلهم معرة عظيمة على المؤمنين فاقتضت المصلحة ايقاع الصلح على ما ارادوه وهو اهون من قتل اولئك ثم انه علم ان في تاخير القتال مصلحة عظيمة وهي اسلام جماعة من الكفار ولذا قال تعالى ليدخل الله في رحمته من يشاء اي في ملة الاسلام وقال تعالى لو تزيلوا الآية والى هذا اشار بقوله وما وقع في نفوس الناس من ذلك اي من صلح الحديبية حتى راجعه عمر مرارا وقال ما قال واشمأزت خواطرهم قال ابن المنير لم يكن ذلك شكا وريبة ولكن من فرط الغيرة وقوة الحمية على الحق والغضب لله ورسوله وكان عند رسول الله من علمه بالعاقبة الحميدة ما ليس عندهم فلما تبين لهم ذلك عادوا للرضا والوفاق وقيل في تفسير الاية وسبب نزولها غير هذا الذي تقدم من ان هذه الرؤيا لم تكن عام الحديبية وانما كانت قبيل بدر وهي التي في قوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا واما قولهم انه قد سماها في الحديث مناما وفي حديث آخر بين النائم واليقظان كالنعسان جالسا ثم استيقظت وانا بالمسجد الحرام فلا حجة فيه للقول بانها رؤيا منام كما مر اذ يحتمل ان اول وصول الملك اليه وهو نائم بدليل

قوله في الحديث فهمز في بعقبه السابق مع ما يضاهيه اولا اول حمله على البراق والاسراء به وهو نائم ولا يخفى بعده مع كونه تنام عيناه ولا ينام قلبه وقيل ايضا انه مخالف للظاهر فهو مشترك الالزام وليس في الحديث انه كان نائما في القصة كلها الا ما يدل عليه قوله ثم استيقظت وانا بالمسجد الحرام فانه يقتضي ايضا انه لم يستيقظ قبل وصوله اليه وعوده وكون استيقظت بمعنى اصبحت له واستيقظت من نوم آخر تكلف لا حاجة اليه وتابيده بانه لم يستغرق الليل باسرائه فيكون لسرعة سيره ومشقته نام بعده للاستراحة ابعد منه فلذا عبر عنه بقوله فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت اي دخل في وقت الصباح لان حقيقة التوجيه تقتضي ضعفه على عادة المصنفين في التعبير او استيقظت من نوم آخر غير ما كان قبله في الحجر في بيت ام هانئ او غيره بعد وصوله بيته اي البيت الذي كان فيه فالاضافة لادنى ملابسة فلا ينافي ما قلناه ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليلة وانما كان في بعضه من ليل قوله ليلا في الاية كما ذكره المفسرون وقد يكون قوله استيقظت الخ وعبر بقد اشارة ايضا لما بكسر اللام وتخفيف الميم من ما المصدرية كان غمره اي عرض له ما يدهشه ويستغرق لبه وفكره من عجائب ما طالع اي شاهد ورأى من ملكوت السموات والارض اي من الذي لم يطلع عليه غيره من البشر فاستعار لتلك المشاهدة الغمرة وهو ما يغمر من الماء ونحوه ففيه استعارة تصريحية تبعية او مكنية وتخييلية او هو تشبيه بليغ كقوله الخيط الابيض من الخيط الاسود ٭ من الفجر على ان من تجريدية بيانية ولما كانت المطالعة بمعنى المشاهدة بالحواس الظاهرة قدمها واتبعها بقوله وخامر باطنه بالخاء المعجمة والف وميم وراء مهملة بمعنى ما زجه وخالطه لا بمعنى ستره ومنه الخمر لسترها في بدن صاحبها وان قيل انما سميت بها لسترها العقل والمراد بباطنه قلبه وحواسه الباطنة من مشاهدة الملاء الاعلى وتعبيره بالمشاهدة يقتضي ما قدمنا به الخامرة وان اشتهرت بمعنى الستر كما في قول سلمان الفارسي لابي الدرداء حين دعاه الى الارض المقدسة يا اخي ان بعدت الدار من الدار فان الروح من الروح قريب وطير السماء على ارفه خمر الارض يقع على حسب بشر وجه الارض يعني ان وطنه ارفق وارفه فلا يفارقه والمراد بالملاء الاعلى السموات وما فيها او الملائكة لان الملاء الجماعة الاشراف وما راى من آيات ربه الكبرى العظيمة التي تدهش عظمتها من رآها وما قيل من انه خلاف الظاهر لانه صلى الله عليه وسلم اثبت الرسل قلبا فلا تعروه لذلك دهشة ليس بشيء لانه لم يرد بها دهشة بمرتبة الذهول وان كان قوله فلم يستفق تعالى افاق واستفاق بمعنى تنبه واستيقظ من نومه ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام يوهمه اذ المراد به حالة اعترته نسته عالم الدنيا وكسته خلعة ملكية على انه لو سلم كان مؤيدا للمصنف غير وارد عليه وليس المراد انه عرض له النوم في رجوعه كما توهم فانه ينافي قوله ووجه ثالث يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى ظاهر لفظه وضاد مقتضي يجوز فيها الفتح والكسر والمراد بلفظه قوله ثم استيقظت وانا بالمسجد الحرام ولكنه اسري بجسده وعيناه نائمتان وقلبه حاضر وان غض بصره كالنائم بينا هو بين النائم واليقظان ورؤيا الانبياء حق حتى تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد قيل عليه ان كون عينيه نائمة مع الاسراء بجسده مع انه خلاف المعتاد لا فائدة فيه وما ذكره المصنف من الحكمة من انه نبي لا يشغله المحسوسات عن الله لا يدفع ما ذكر لان الحكم للروح فلا معنى لرفع الحس وهو حاصل بدونه وقوله لنريه من آياتنا الكبرى يأباه وقد استدرك عليه المصنف بقوله ولا يصح ان يكون هذا في وقت صلاته الخ والجواب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بانه لتشاهده الملائكة وتفيض عليهم بركاته لا يجدي نفعا وقد قال بعض اصحاب الاشارات يعني بهم مشايخ الصوفية والمراد بالاشارة ما ياخذونه من الحقايق من النصوص القرآنية وغيرها وهم لا يقصدون بتفاسيرهم انه صريح النص كما ذكره العز بن عبد السلام ومن لا يعرف ذلك يعترض عليهم بما لا وجه له الى نحو من هذا اي الى قريب مما قاله صاحب هذا الوجه حيث قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله قال الزمخشري في شرح الفصيح قولهم جسم حساس لحن كالحنوا في قولهم محسوسات لان فعالا لا يبنى من افعل والحق ثبوته وثبوت حس بمعنى احس كما قاله الدماميني في شرح التسهيل والنووي في شرح مسلم فعلى هذا لا لحن في العبارة ولا يصح ان يكون هذا المذكور من ان الاسرا بجسده وهو نايم ليوفق بين الروايتين انه لم يقل بالتعدد في وقت صلاته بالانبيا لان النايم لا يصلي ولا تصح صلاته وظاهره انه فيما عداه من امور الاسرا صحيح بلا تردد وانما باباه لفظ الحديث ولا يخفى ان مناجاته ربه ومراجعة موسى كذلك فكان ينبغي ان يقول والامور الواقعة في حديث الاسرا لا يصح في بعضها ان يكون مناما فان قيل يجوز ان يكون راى ذلك في المنام قلنا ولكن يجوز ان يكون راى في منامه انه صلى بهم ايضا الا ان يفرق بينهما ولعله كان له في هذا الاسرا حالات فكان في بعضها نايما غاضا بصره تادبا او لئلا يرى سوى ربه وفي بعضها مستيقظا وفي بعضها بين النايم واليقظان وبهذا يجمع بين الروايات وقيل ان الحديث الذي وقع فيه هذا ملفق من احاديث وهذا الوجه قيل انه حدس وتخمين ولو تركه المص كان احسن للمتامل ووجه رابع لتاويل كونه يقظة وتاويل ما يخالفه وهو ان يعبر بالنوم هنا في هذه الرواية عن هيئة النايم من الاضطجاع بيان للهيئة والاضطجاع الصاق بدنه ممتدا بالارض غير جالس ولا قايم فهو استعارة او مجاز مرسل لان هيئته للنوم غالبا فكان على هذه الهيئة عند وصول الملك اليه وفي بعض النسخ اذ كثيرا ما يعبر بالنوم عن الاضطجاع ونحوه لما بينهما من المناسبة وفي بعض الشروح هنا تكرار لا حاجة اليه ولهذا قال انه يتعين كونه مجازا مرسلا وليس بلازم ويقويه اي يقوي هذا التاويل قوله في رواية عبد بن حميد الامام الحافظ المتقدم ترجمته وعبد غير مضاف هنا وهو ابو نصر عبد الرحمن بن الكسي ويقال الكجي بشين او جيم عن همام بفتح الهاء وتشديد الميم الاولى ابن يحيى العوذي بفتح العين المهملة وسكون الواو وذال معجمة وياء نسبة منسوب للعوذ بطن من الازد امام ثقة اخرج له الستة وتوفي في سنة ثلاث وستين ومايه بينا انا نايم وربما قال النبي صلى الله عليه وسلم مضطجع فتعبيره بهذا تارة وبهذا اخرى يشهد بما يعني وفي رواية هدبة بضم الهاء وسكون الدال المهملة والموحدة وبابت ابن خالد العيشي البصري الحافظ الثقة روى له الشيخان وغيرهما وتوفي سنة خمس وثلاثين ومايتين وفي بعض النسخ بدل هدبة همام وبه وبما ذكرناه من ان هذا في اول وصول الملك له سقط ما قيل من ان هذا ما ينبو عنه السمع لان ركوبه البراق وربطه له بالحلقة وصلاته بالانبيا يابا وانما قوله فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام فقد اول ايضا بما مر فلا ينافي هذا فتامله عنه اي عن همام بينا انا في الحطيم وربما قال في الحجر تقدم الكلام فيه والتوفيق وقوله في الرواية الاخرى بين النايم واليقظان يؤيد كون المراد بالنايم المضطجع فيكون سمى هيئته اي هيئة النبي او هيئة النوم بالنوم لما كانت تلك الهيئة هيئة النايم حقيقة غالبا اي في الغالب وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب

اي قربه

اي قربه من النبي صلى الله عليه وسلم الواقعة في رواية هذا الحديث اي حديث الاسرا انما هي من رواية شريك عن انس وهي منكرة من روايته لا مطلقا والانكار المراد به معناه اللغوي او مصطلح المحدثين وهو رواية المتهم لسوء حفظه المخالفة للثقات وشريك طعن فيه ابن حبان وغيره وقالوا ليس بمتهم اذ شق البطن اي بطنه وصدره صلى الله عليه وسلم انما كان في صغره عليه الصلاة والسلام في الاحاديث الصحيحة وهو عند مرضعته حليمة وقبل النبوة اي قبل ظهورها للناس وهذا بيان لوجه انكار هذه الرواية وقد تقدم عن الامام السهيلي وغيره ان الشق وقع مرتين مرة لتثبيته للنبوة ومرة اخرى بعد مبعثه ليقوى على المعراج ومشاهدة عجايب الملكوت فلا يرد ما ذكر على هذه الرواية فيقتضي انها منكرة وقيل انه وقع اربع مرات عند حليمة وبحرا وليلة الاسرا ومرة اخرى في النوم الا ان ابن حجر قال هذه لم تثبت ولانه اي شريك في هذا الحديث الذي رواه عن انس قال ان يبعث والاسرا بالاجماع من المحدثين كان بعد المبعث مصدر ميمي بمعنى البعث وقد تقدم الكلام فيه وهذا كله يوهن بتشديد الهاء اي يضعف او بتخفيفها لانه يقال وهنه واوهنه فوهن اي ضعف ما وقع في رواية انس هذه التي رواها شريك عنه مع ان انسا قد بين من غير طريق اي من طرق متعددة لا من طريق واحد انه انما رواه عن غيره من الصحابة كمالك بن صعصعة وابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو من مرسل الصحابي وفيه ان مرسل الصحابي ان روي من طرق مقبول فهذا لا يضعفه وانه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم بيان لانه سمعه من غيره فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك من مسلم فلعل مسمعا من الراوي يجامع عدم الوقوع فيهما وقال الحاكم مدار حديث المعراج على انس وقد سمع بعضه من مالك بن صعصعة وبعضه من ابي ذر الا الاسرا السابق عنه صلى الله عليه وسلم واما قول عايشة ما فقد جسده صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث رواه عنها ابنا اسحاق وجرير تقدم ان فيه رواية فقدت بالاسناد لضميرها والبنا للفاعل وهو في هذه الرواية مبني للمجهول فعايشة لم تحدث عن مشاهدة له صلى الله عليه وسلم لانه بمكة قبل تزوجها او قبل ولادتها كما اشار اليه بقوله لانها لم تكن حينئذ اي وقت الاسرا وزمانه زوجته له صلى الله عليه وسلم ولا في سن من يضبط بالتحتية والفوقية اي لم يكن سنها وعمرها حينئذ سن ضبط واتقان لعدم تمييزها لصغرها فهو مستعار من الضبط وهو الامساك والحفظ للعلم والتمييز فالرواية عنها ليست مسلمة او هي حدثت عن غيرها فعلى رواية ما فقد الامر ظاهر وعلى رواية ما فقدت فيه تقديره اي قال فلان او فلانة ما فقدت الخ وهو في غاية البعد كما قيل ولعلها لم تكن ولدت بالبنا للمجهول بعد مبني على الضم اي بعد هذه القصة ووقوعها وهي ضد قبل ويستعملان في التقدم والتاخر المتصل والمنفصل والمراد هنا الاول والمراد زمان وقوعه للمجاورة والتضاد وهو استعمال شايع وحينئذ لا ينبغي ان ينسب لها هذا القول اذ لم يثبت كما سياتي وكونها حدثت به عن غيرها يا باه سياقه على الخلاف في زمن الاسرا متى كان فان الاسرا كان في اول الاسلام بمكة قبل الهجرة على قول محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ومن وافقه بعد المبعث لعام ونصف وكانت عايشة في وقت الهجرة بنت ثمانية اعوام فعلى هذا لم تكن ولدت في زمن الاسرا وقد قيل كان الاسرا لخمس قبل الهجرة هذه اللام توقيتية اي وقت هو سنة خمس كما فصله النحاة في باب العدد وفصل التاريخ وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه اي القول الاصح والاولى والاحسن لانه له

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يكون كثير الشبه بخلاف النادر الغريب الذي لا نظير له **والحجة لذلك تطول وليست من غرضنا** اي ليس مقصودنا في هذا الكتاب بسط الادلة والحجج بل الاكتفا بما صح من اوصافه صلى الله عليه وسلم او المراد ان مقصوده الاختصار وعدم التطويل وتفصيله كما في المنتقى لابن المنير قال الاقوال فيه كثيرة اصحها عندي قول ابراهيم الحربي انه كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر قبل الهجرة بسنة وقيل بعد المبعث بخمس سنين وقيل بعده بخمسة عشر شهرا وقال ابن اسحاق اسري به وقد فشا الاسلام وفي مسلم عن شريك انه قبل ان يوحى اليه ولا يصح هذا بوجه الا على القول بانه قبل الهجرة بخمس سنين وقول ابن اسحاق انه قبل الهجرة بسنة وضعف هذا بان خديجة صلت معه صلى الله عليه وسلم وهي ماتت قبل الهجرة بمدة اقل ما قيل فيها ثلاث سنين والصلاة لم تفرض الا في الاسرا وهو غير وارد لانه كان يصلي قبل الاسرا صلاة غير الخمس على خلاف فيه والحجة لها في ترجيحه اذ قول سواه خرج مخرج التقدير لا التحديد لانه لم يعين فيه الشهر فضلا عن اليوم وقول الحربي عين فيه ليلته بعينها من شهر بعينه وسنة بعينها فقال ليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر قبل الهجرة بسنة واذا تعارض خبران احدهما احاط راويه بتفصيل في القصة زائد فالمفصل اخصر ذهنا واوعى فلنا من اجمل وعلية الفقها في كتاب الشهادة اذا ارخت احدى البينتين واليوم الذي اسفرت عنه ليلة الاسرا يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول ووصوله من مقام لكانه قبل ضحى وقيل استواء الشمس واذا كان الثاني عشر من الشهر يوم الاثنين كان اوله الخميس قطعا فاول ربيع اما السبت او الاحد او الاثنين لان بين كل يومين متقابلين من سنتين متواليتين اما ثلاثة ايام او اربعة او خمسه ولذا تكون الوقفة من كل سنة خامس يوم من الوقفة التي قبلها او رابعها او سادسه والاغلب الاخير لان الخامس فالجمعة بعضها الثلاثا والاثنين يعقبها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكون السادس وذلك بحسب التمام والنقص الى آخر ما ذكره **فاذا لم تشاهد ذلك** المذكور من زمن الاسرا المامر **ذلك** عدم مشاهدتها **على انها حدثت بذلك عن غيرها** من الصحابة فحديثها من مرسل الصحابة فهو صحيح ايضا كما عليه المحدثون الا انه لم يوفق بينه وبين غيره فلم يرجح خبرها على خبر غيرها الظاهر ان تقول فيرجح خبر غيرها على خبرها لروايتها عن مجهول بل لعدم ثبوته عنها كما سيأتي **وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا** اي صريحا لان النص له معان منها هذا **في حديث ام هاني** وفي نسخة من حديث ام هاني بيان لما **وغيره** كحديث ابي ذر ومالك بن صعصعة وابي هريرة وقد قيل عليه ان حديث ام هاني المذكور في الفصل الذي قبل هذا غير صريح فيما ذكر وقد يدفع بانه ظاهر فيه والعدول عن الظاهر لا وجه له **وايضا** منصوب على المصدرية مصدر آض بمعنى رجع **فليس حديث عايشة** اي قولها فقدت جسده **بالثابت** عنها عند المحدثين لما في متنه من العلة القادحة وفي سنده ابن اسحاق وقد ضعفه مالك وغيره والاحاديث الاخر الواردة عن غيرها **اثبت** اي اكثر ثبوتا واصح من حديثها **لسنا نعني** اي لا اريد انا وغيري من المحدثين بقولنا انها اثبت **حديث ام هاني** وقولها ما اسري به الا وهو في بيتي **وما** اي وحديث عن غيرها كحديث عمر الذي **ذكرت فيه خديجة** لانهما لم يردا في الصحيح بل احاديث اخر تعارضها غير هذين وايضا فقد روي في حديث عايشة ما فقدت باسناد الفعل المعلوم لغيرها كما روي ما فقد بالمجهول المسند لغيرها كما مر **ولم يدخل بها الا بالمدينة** والاسرا كان بمكة وهي صغيرة ابنت عشر او لم تولد والجملة حالية وهذا يدل على عدم صحة رواية ما وبلغه بما علمت هذا او يكون حكاية لكلام غيرها في غاية البعد **وكل ذلك سابقا ولاحقا** ما سبق وما تاخر عنه **يوهنه** بالتشديد والتخفيف اي يضعفه **بل الذي يدل عليه** اي الذي يدل على

ما ذكر

ما ذكره من عدم صحته عنها **صحيح قولها** اي ما صح عنها من رواية اخرى **انه** اي الاسرا **بجسده لانكارها رؤياه لربه** ليلة الاسرا **رؤيا عين** فان هذا يدل على انه اسري بجسده الا انه لم يره به عيانا **ولو كانت** الرؤيا في الاسرا **عندها مناما لم تنكره** لان رؤيا المنام جائزة وانما الكلام في رؤيا العيان والخلاف فيها فنزاعها في ذلك الاتي يدل على ما ذكر وهذا يدل على ان لها قولا آخر مرويا عنها يخالف لما اشتهر وهذا معنى قوله فيما سبق دليل قولها فتذكره وليس وصف قولها بانه صحيح مناقضا لما مر من الطعن في حديثها الا ان هذه رواية اخرى فهذا وما قيل من انه مؤيد لكونه مناما عندها ناش من عدم التدبر فان قيل في رد كونه يقظة قد **قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى** فجعل ما رآه للقلب اي اثبت الرؤية للقلب دون البصر وعلقها به وفيه اشارة الى ان الفؤاد بمعنى القلب وله معان اخر وما مصدرية والجار والمجرور متعلق بجعل او بمقدر اي منزل للقلب **وهذا** الجعل او المذكور **يدل على انه رؤيا نوم ووحي** بالجر عطفا على نوم **لا مشاهدة عين وحس** بصري والعطف تفسيري **قلنا** في الجواب عنه **يقابله** اي يعارضه فيسقط عن مرتبة الاحتجاج وسياتي الاشارة الى انه لا يعارضه ايضا وزاغ بمعنى طغى تجاوز عن الرؤية المحققة بل اثبتها وتيقنها **فاضاف الامر** اي امر الرؤية **للبصر ويقابله** ايضا **ما قال اهل التفسير** في تاويله حتى لا يعارضه ويناقضه **في تفسير** قوله **ما كذب الفؤاد ما راى** معناه **لم يوهم القلب العين** فهو مقول القلب والقلب مرفوع فاعله يوهم والعين منصوب مفعوله وقوله **غير الحقيقة** مفعول ثان له لانه ينصب مفعولين وغير بغين معجمة ومثناة وراء مهملة ونقل عن بعض الشروح انه يجوز في كل من العين والقلب الرفع والنصب والمرفوع فاعل تقدم او تاخر ويوقف في فهمه التلمساني وليس محل توقف لان المراد ان البصر والبصيرة متفقان لم يخالف احدهما الاخر لو توهمها على الحقيقة لان العين قد ترى امرا ثم يتبين خلافه وانه غير متحقق وقد يتصور القلب شيئا فيشاهد خلافه والحاصل ان ما رآه ليس تخيلا كاذبا بل امرا محققا تواطا عليه العين والقلب وما قيل من ان الامور القدسية يدركها القلب اولا ثم يوردها على البصر ليس بمسلم **وقيل** في التوفيق بينهما ورفع التنافي **ما انكر قلبه** صلى الله عليه وسلم **ما رأته العين** وهذا قريب مما قبله ولتعا ظاهرا لم يدرجه في حيز ابطال كونه مناما وتعطفه عليه واورده شق الاوجوابا ولما كان محصل الجواب انه يدل على ثبوت الرؤيتين سقط ما قيل انه مشترك الالزام والاعتراض بانه لا فرق بين الجوابين لان المراد انه لم يطرا عليه وسوسة نفس ونزغة شيطان تشككه فيما راه وتوهمه خلاف ما شاهدته عيناه هـ

رضيتهما

فصل واما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل

بعينه يقظة في اسرائه والرؤية تختص بالبصرية فلذا عبر بها هنا وان اطلقت على غيرها يكون على خلاف المشهور عكس الرؤيا كما تقدم **فاختلف السلف فيه فانكرته عايشة** ذكر ضمير الرؤية لان تانيث المصدر غير معتبر او باعتبار الوقوع كما قيل وانكارها وقع في حديث رواه مسلم وغيره كما اشار اليه المصنف بقوله عن مسروق وفي بعض النسخ فانكرها وهي ظاهرة **حدثنا ابو الحسين سراج** بكسر السين وفتح الراء المخففة وآخره جيم **بن عبد الملك** المراد بالملك الله في الاعلام لكراهة التسمية بعبد فلان حتى بعبد النبي وهو امام حافظ شيخ المصنف وحده ونزيه لغوي جليل القدر **الحافظ بن ابي علية** تقدم الكلام فيه **وابو عبد الله بن عتاب** تقدمت ترجمته ابن مغيث بوقف مثلث النون وهو يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن عبد الله الانصاري المعروف

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بابن الصفار ولد في رجب سنة سبع واربعين واربعمائة وتوفي بقرطبة سنة اثنين وثلاثين
وخمسمائة لثمان من جمادي الاولى قال حدثنا ابو الفضل الصقلي بفتح الصاد المهملة والقاف
وتشديد اللام المكسورة نسبة لصقلية بلد بالاندلس ثابت بن قاسم بن ثابت جده ثابت بن حزم
العوفي السرقسطي وابوه ابو محمد قاسم بن ثابت مؤلف كتاب الدلائل في غريب الحديث يروي عن
ابيه وجده وعم جده حتى قرا وكان ثابت بن قاسم يشتركان في التاليف والسماع والرحلة وولد
ابوه سنة خمس وخمسين ومائتين ومات بسرقسطة سنة اثنين وثلثمائة ابن ابي خالد هو اسمعيل
بن سعيد البجلي الكوفي توفي سنة خمس او ست واربعين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة هـ
ومحمد بن آدم هو المروزي توفي سنة ثمان وخمسين ومائتين ووكيع بن الجراح بن مليح بن عدي الحافظ
الثقة ولد سنة تسع وعشرين ومائة وتوفي سنة ست او سبع وسبعين ومائة وقوله ابن ابي خالد
ضرب عليه المصح واثبت بدله عن عامر انه قال يا ام المومنين هل راي محمد ربه يعني ليلة
الاسرا بقرينة السؤال لانها لا تنكر رؤية الآخرة ولا رؤية المنام فقالت مجيبة لقد قف
شعري القفيف في الشعر معناه قيامه وانتصابه وانما يكون هذا غالبا عند الفزع والخوف
القوي مما قلت اي خفت من كلامه ان يهلك الله من قاله واستمعه لانه امر منكر يقال قف بمعنى
اقشعر واصله ان الجلد ينقبض عند البرد والجزع فيقوم الشعر لذلك والمراد انكار ما قاله واستعظامه
وما مصدرية او موصولة في قوله مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد كذب ثم قرات
مستدلة لما قالته لا تدركه الابصار الآية بناء على ان الادراك شامل للرؤية فانه حكم
كلي فان قلنا الادراك بمعنى الاحاطة اي لا تحيط به الابصار ولا تعرف كنهه ورفع الايجاب
الكلي سلب جزئي لم يكن في الآية دليل على ما ذكر وقد استدل بهذه الآية المعتزلة على نفي الرؤية
مطلقا ورده اهل السنة كما فصل في كتب الاصول وروي في بعض النسخ من حدث بلا كاف
والثلاث الاولى هذه والثانية قولها من زعم ان محمدا صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من الوحي ثم قرات
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الخ والثالثة من زعم انه صلى الله عليه وسلم يخبر بما يكون
في غد فقد اعظم الفرية ثم قرات ان الله عنده علم الساعة الآية واعلم ان هذا الحديث في البخاري
ومسلم والترمذي والنسائي وهو في البخاري عن يحيى عن وكيع بسند المصنف فهو بدل او موافقة
كما فصل في البرهان وذكر حديث مسروق الحديث بتمامه كما سمعته آنفا منه ذكر الثلاث قال مسروق وكنت
متكئا فجلست وقلت يا ام المومنين انظريني ولا تعجليني الم يقل الله تع ولقد رآه بالافق المبين
ولقد رآه نزلة اخرى فقالت انا اول هذه الامة سال عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انما هو جبريل لم اره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين كما رواه مسلم وقال جماعة
من المحدثين والعلماء لا المتكلمين لان خلافهم ليس في رؤية الاسرا وهو المشهور عن ابن مسعود
ومثله اي مثل قول ابن مسعود وعائشة روي عن ابي هريرة في تفسير قوله تع ولقد رآه
نزلة اخرى انه اي ابا هريرة بفتح الهمزة قال انما راي جبريل لا ربه كما قيل فاتى بصيغة
الرد على من فسر الآية بما ذكر واختلف بالبنا للمجهول في النقل عنه اي عن ابي هريرة فروي عنه
انه قال رآه بعينه كغيره وفي رواية اخرى انكره وقال بانكار هذا القول المجوز لرؤيته
ووقوعه وامتناع رؤيته سبحانه وتعالى في الدنيا وجوازه في الآخرة جماعة من المحدثين
انكروا صحة نقله عنه صلى الله عليه وسلم والفقها ذكروه في مباحث الردة والكفر وان احدا
لو قال رايت الله بعيني في الدنيا هل يكفر ام لا والمتكلمين علماء اصول الدين والخلاف بين اهل

السنة

السنة والمعتزلة في هذه المسئلة وادلتها مشهورة في كتبهم حتى انه افرد بالتاليف وعن ابن
عباس انه رآه بعينه وروي عطا عنه اي عن ابن عباس انه رآه بقلبه وعطا هو ابن ابي رباح الفقيه
المكي وعن ابي العالية وهو رفيع بن مهران الرياحي وقيل هو زياد بن فيروز وقيل اسمه فيروز عنه
اي عن ابن عباس رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن اسحاق صاحب المغازي عن عبد الله بن ابي سلمة ان ابن
عمر ارسل الى ابن عباس يساله هل راي محمد ربه فقال نعم مراده هل رآه يقظة بعينه فقوله
والاشهر عنه اي عن ابن عباس انه راي ربه بعينه وفي نسخة بعينيه وهما بمعنى تفسير للرواية
التي قبله وان كانت ظاهرة في انها غيرها لتخالفهما في العبارة وروي ذلك عنه من طرق اي باسانيد
مختلفة لفظا لا معنى يقوي بعضها بعضا وهو لا ينافي ما روي عنه انه رآه بفؤاده فهو كقوله
تع ما كذب الفؤاد ما راى وما زاغ البصر وما طغى كما مر وقال ابن عباس فيما رواه عنه الحاكم والنسا
والطبراني وهو في معنى ما قبله في ان الرؤية فيهما بصرية ان الله اختص موسى بالكلام بغير
واسطة لقوله تع وكلم الله موسى تكليما وابراهيم بالخلة بضم الخا المعجمة لقوله تع واتخذ الله ابراهيم
خليلا ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالرؤية البصرية لا القلبية لعدم اختصاصها به قيل عليه ان
الخلة والكلام ثبتا لنبينا صلى الله عليه وسلم ايضا فتفريق هذه الخصايص غير ظاهر واجيب عنه
بان مراده ان موسى الكليم اشتهر بذلك وان كان نبينا كلم الله في الاسرا في مقام اعلا والخلة
ثبتت له مع زيادة المحبة وخليل وحبيب كما اعترف به الخليل في حديث الشفاعة حيث قال انما كنت
خليلا ورا ورا وهذا الجواب لا يجدي نفعا فالاولى ان المراد بالكلام مناجاته تع بغير واسطة في
الارض وبالخلة معاملة مخصوصة له مع الله تع في هذه الدار ايضا وسياتي بيانه وحجته اي
دليله على الرؤية قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى اي ما اعتقد قلبه خلاف ما رآه ببصره في
مشاهدة ربه فسماه كذبا تجوزا لاشتراكهما في ان كلا منهما خلاف الواقع اي ما رآه ببصره ليلة
الاسرا لثبوت ذلك بالاحاديث الصحيحة واما انكار عائشة لذلك فقد تقدم ما فيه واستدلالها
بقوله لا تدركه الابصار اجابوا عنه بوجوه منها ان الادراك بالبصر ليس رؤية مطلقة بل رؤية
على وجه الاحاطة بجوانب المرئي لان حقيقة الادراك اللحوق والوصول في المكان كقول اصحاب
موسى انا لمدركون او الزمان كما يقال ادرك فلان النبي صلى الله عليه وسلم او الصفة كما يقال
ادرك الغلام اذا بلغ وادركت الثمرة اذا نضجت ثم نقل الابصار لغير المتناهي المحدود بالجهات
لتوهم معنى اللحوق فيه لان البصر قطع المسافة التي بينه وبينه حتى بلغه ووصل اليه فابصار
ما ليس في جهة لا يتحقق فيه معنى البلوغ فلا يسمى ادراكا فلا يلزم من نفيه وهو رؤية مخصوصة
نفي المطلقة وهذا تحقيق ما في التفسير وكتب الكلام افتمارونه على ما يرى اي اتجادلونه
في رؤيته لما رآه من مريت الضرع اذا مسحته للحلب فاستعير للمجادلة لان كلا من المتجادلين
يمتري ما عند صاحبه لطلبه له ولقد رآه نزلة اخرى اي مرة اخرى قال ابن عباس كانت له
في تلك الليلة مرات من العروج ولكل مرة نزلة لسماء اخرى لما راجع في حط الصلوات وهذا
مراده هنا قال الماوردي الامام الجليل ابو الحسن علي ابن محمد الشافعي صاحب التآليف الجليلة
كالتفسير الكبير والحاوي وغيرهما وهذا نقل عنه ابن سيد الناس في سيرته قيل ان الله قسم
اي جعل كلامه ورؤيته مقسومة بين موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فرآه محمد مرتين
حيث كان قاب قوسين او ادنى وعند سدرة المنتهى وكلمه موسى مرتين مرة وقت ارساله لفرعون
ومرة بعد هلاكه ورجوعه للطور والحق ان الله كلمه في الدنيا مرارا عنده في مناجاته ولذا خص

شبكة الألوكة www.alukah.net

بالكليم لانه لم يكلمه في الدنيا بغير واسطة غيره ولا يلزم من هذا شرفه على نبينا صلى الله
عليه وسلم لتكليمه اياه مع قربه منه في حظائر قدسه لكن لكون تكليم موسى مما يعرفه الناس
خص بكونه كليما فاندفع ما مر وحكى ابو الفتح الرازي ليس هو الفخر الرازي كما توهم وابو الليث
السمرقندي الحنفي وقد قدمنا ترجمته والمحكي ما مر عن الماوردي وليست ضعيفة وضعفه قيل
ليست للمريض فانه يفضل بمجرد النقل فان قلت كيف قال قسم الكلام والرؤية والقسمة انما
تكون في امر واحد يوزع بين اثنين فاكثر ولذا قيل ان هذه العبارة مما لا ينبغي قلت هذا وهم
من قائله فان المراد قسم تقريبهما وتعظيمهما قسمين نحمل قسما لهذا وقسما لهذا كقوله قسم الاولاد الامر بين
عباده فالضب يشرب والخلي يستنبح . الحكاية التي ذكرها الماوردي عن كعب وروى
عبد الله بن الحارث كما رواه الترمذي وهو عبد الله بن نوفل ابن عبد المطلب البصري مسكنا الوالي
بها ما دام لقمان بعد انقضاء فتنة بن الاشعث لما خرج اليها هاربا من الحجاج ولد في زمنه صلى الله
عليه وسلم ومات سنة اربع وثمانين ومن الرواة ايضا عبد الله بن الحارث ابو الوليد البصري
حدث عن ابن عباس وهو زوج اخت محمد بن سيرين وجزم السمني بانه المذكور هنا وهو الراجح لان
عبد الله الاول وان وافقه في الاسم والنسبة لكن الحارث جده وهذا راوي ابن عباس كما مر
قال اجتمع ابن عباس وكعب الاحبار فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمد
رأى ربه مرتين خص بني هاشم لانهم اقرب اليه واعرف بحاله لا سيما قبل الهجرة وكان
اجتماعهما بعرفة كما ذكره الترمذي وبنو هاشم مرفوع بدل من نحن كما في النسخ ولو نصب على
الاختصاص جاز وليس المراد بني هاشم ما سوى العباس وظاهره انه رأي واجتهاد منهم
وهذا لا ينافي ما مر عن ابن عباس لان عنه روايتين فلا وجه للاعتراض على المصنف فكبر كعب
لسروره بمقابلته الموافقة لما عنده حتى جاوبته الجبال اي رفع صوته بالتكبير حتى سمع
صداه من الجبال وجعله جوابا تجوزا ويجوز ان يكون تكبيره تعجبا مما قاله واستعظاما له لقوله
وقال اي كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه
فيكون منكرا للرؤية بعين رأسه او نقول هو موافق لان الرؤية القلبية لا تنافي البصرية
وعليه الشراح وانفراد موسى بكونه كليما لما مر من ان المراد كلمه مرارا في الارض فلا ينافي
كون نبينا كلمه ايضا بغير واسطة كما مر وروى شريك تقدم الكلام عليه وعلى روايته
عن ابي ذر في تفسير الآية الذي كونه ما كذب الفؤاد ما رأى الآية قال رأى النبي صلى الله عليه
وسلم ربه هذا كلام مجمل متفق عليه وقيل المراد انه رآه بقلبه بشهادة اول الآية وفيه نظر
وحكى السمرقندي الحنفي المتقدم عن محمد بن كعب القرظي بضم القاف وكسر الظاء المعجمة
نسبة لبني قريظة وهو تابعي واسمه محمد كما تقدم وربيع بن انس التابعي الذي تقدمت ترجمته
فالحديث مرسل كما رواه ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم
سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي ولم اره بعيني وهذا يحتمل ان يكون في المرة
الاولى فانه روي عن ابن عباس وغيره انه رآه مرتين فلا ينافي ما مر وما قيل من ان المراد نفي
مجرد الرؤية او نفي رؤيته كما يرى الاشياء المرئية تعسف لا ينبغي ذكره هنا وروى مالك
بن يخامر بضم المثناة التحتية وخاء معجمة يليها الف وميم مكسورة وراء مهملة على المنقول ممنوع من الصرف
وهو سكسكي حمصي يقال ان له صحبة والاصح انه تابعي روى عن معاذ بن جبل وعبد الرحمن
بن عوف وغيرهما ومات سنة سبعين او اثنين وسبعين وروى عنه جماعة عن معاذ عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي في حديث رواه احمد بن حنبل وغيره وهو حديث صحيح
اوله قال معاذ صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغداة ثم اقبل علينا فقال اني ساحدثكم
اني قمت من الليل فصليت ما قدر لي ونعست وفي رواية فوضعت جنبي فاذا انا بربي في احسن
صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت انت اعلم اي ربي فوضع كفه وفي رواية بين
كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السموات والارض ثم تلى وكذلك نري ابراهيم ملكوت
السموات والارض الى آخره ثم قال فيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت في الكفارات قال وما هن
قلت المشي على الاقدام الى الجماعات والجلوس في المساجد خلف الصلوات وابلاغ الوضوء اماكنه
في المكاره من يفعل ذلك يعش بخير ويمت بخير ويكون من خطيئته كيوم ولدته امه وروى
ويخرج من خطيئته ومن الدرجات اطعام الطعام وبذل السلام وان تقوم بالليل والناس نيام
قال قل اللهم اني اسالك الطيبات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لي وترحمني وتتوب
علي واذا اردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون وهذا الحديث اخرجه الترمذي والبغوي في المصابيح
وهو تمثيل لتجلي الله له بلطفه وحسن معاملته وما افاضه عليه من المعاد والمكاشفة لغيبه مع ثلج
صدره ببرد اليقين وشرحه وتحقيقه في شرح المصابيح وشرح الاربعين للصدر القونوي وادراج
بعض الشراح له في المتن غير متجه وذكر كلمة اشارة لما مر وهو اسم جمع الملحق لكلمة مضافا للضمير
الله او الحديث لا دخل له بسنة فقال الله فيم يختصم الملأ الاعلى اي فيم يتباحث الملائكة بعضهم
بعضا عن المراتب المقربة الى الله المكفرة للخطايا ولذا امره بالدعاء تكميلا لهذه المراتب الحديث
بالنصب اي اقرأ او اذكر وحكى عبد الرزاق همام بن رافع الصنعاني صاحب التصانيف الجليلة
اخرج له الائمة الستة وتوفي سنة احدى عشرة ومائتين وترجمته مشهورة ان الحسن البصري
التابعي ذكره وترجمته كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه بعيني بصره وحكاه ابو عمر الطلمنكي
عن عكرمة عمر بن يونس وهو بفتح الطاء المهملة وفتح اللام وفتح الميم وسكون النون وكاف مكسورة
يليها ياء نسبة كما ضبطه الحفاظ وهو الامام الحافظ المقرئ احمد بن عبد الله بن لب بن يحيى
المعافري الاندلسي عالم قرطبة ولد سنة اربعين وثلاثمائة وتوفي في ذي الحجة سنة تسع وعشرين
واربعمائة وروى ابن حزم وابن عبد البر وغيرهما من الحفاظ الاعلام وحكى بعض المتكلمين هذا
المذهب وهو رؤية الله بعينه عن ابن مسعود وحكى ابن اسحاق محمد بن اسحاق بن يسار الامام
الحافظ صاحب المغازي وقد تقدمت ترجمته ان مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية
بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي ولد سنة اثنين ولم يصح له سماع ولا رؤية وانما له رواية
عن عثمان وبسرة وغيرهما وكانت دولته تسعة اشهر واياما وتوفي في سنة خمس وستين في رمضان
ثم تولى الى ابنه عبد الملك وترجمته مفصلة في التواريخ سأل ابا هريرة هل رأى محمد ربه
بعينه فقال نعم وحكى النقاش محمد بن الحسن بن زياد وقد تقدم ترجمته عن احمد بن حنبل انه
قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه رأى ربه بدل من حديث ولم يزل يكرر ما قاله رافعا
به بصره حتى انقطع نفسه بفتحتين اي عجز عن التكلم واعيا فترك التكلم يعني نفس احمد
بن حنبل رآه بقلبه وجبن بفتح الجيم وضم الباء وحكى الجوهري فتحها وهو ضعف في القلب
يقتضي عدم الاقدام يريد انه لم يتجرأ تأدبا على ان يقول من ذلك اي عن القول برؤيته في الدنيا
بالابصار بكسر الهمزة وفتحها جمع بصر تعبيره بالجبن يدل على انها جائزة عقلا عنده وهو الحق
وقال سعيد بن جبير الصحابي المشهور لا اقول رآه ولا لم يره اي توقف في ذلك ولم يجزم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لاحد القولين وقد اختلف في تاويل الآية يعني قوله ولقد رآه مرة اخرى عند سدرة المنتهى
في النقل عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه
وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل فالضمير فيها لجبريل كما في مسلم عن ابن مسعود وابي هريرة فرآه
بالافق الاعلى وله ستمائة جناح ينثر منها الدر والياقوت كما قاله المهدوي وحكى عبد الله بن احمد
بن حنبل عن ابيه وهو كابيه امام في السنة والفقه اخذ عنه الاعلام وتوفي سنة تسعين
ومايتين ومات في حياة ابيه انه قال رآه بعينه لانه المتبادر وقد روي عنه التصريح به ولا ينافي
ما مر من انه جبن عن القول بذلك لانه قد يحضره في بعض المجالس المقتضي لذلك وعن ابن عطا في
قوله الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام اي قوى الله
قلبه واذهب رعبه حتى سره مشاهدة جلاله وعظمته وسماع كلامه وقال ابو الحسن علي ابن اسماعيل
الاشعري ابن ابي بشر بن اسحاق ابن ابي سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن ابي بردة
بن ابي موسى الاشعري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعروف ان ابا الحسن هذا شافعي
المذهب وقال التلمساني انه مالكي المذهب وتنسب اليه الاشعرية وهو بالبصرة ومات ببغداد سنة اربع وعشرين وثلثمائة وقيل اربع وثلاثين في ذي الحجة وجماعة
من اصحابه انه رأى الله تعالى ببصره وعيني رأسه تاكيدا لكون الرؤية بصرية واضافة العينين
للراس احترازا عن عين قلبه وظاهره فانها وردت في الحديث وان لم تكن عينا حقيقية وقال الاشعري
كل آية ومعجزة اوتيها نبي من الانبيا فقد اوتي نبينا مثلها صلى الله
عليه وسلم وقد فصله ابن المنير في المقتفى والكلام فيه طويل لا يسعه كتابنا هذا ولا ينافي
هذا تخصيص موسى بالكلام كما مر قيل الحقيقة المحمدية صورة الاسم الاعظم الجامع للاسما فله التصرف
في العوالم ومنه يستفيض وتستمد ما فيها من جهة حقيقته لا من جهة بشريته فهو الخليفة حقيقة
واي معجزة كانت لنبي فهي له اولا وبالذات ثم جاءت منه لغيره والى هذا اشار في البردة بقوله

وكل آي اتى الرسل الكرام بها • فانما اتصلت من نوره بهم •

اقول الحق ان نقول ان الله خلق روحه صلى الله عليه وسلم وخلع عليها خلعة النور والنبوة ثم
خلق ارواح البشر وامر ارواح الانبيا بان يومنوا به واخذ عليهم الميثاق باتباعه ان ادركوه
كما نطق به الكتاب فلما اجابوه اشرق عليهم نوره الروحاني الرباني وصارت في ارواحهم قوى مستورة
لاظهار المعجزات كما لاولياء امته وخص من بينهم اي اختص عن سائر الانبيا بتفضيل الرؤية
اي بتفضيله برؤية ربه عيانا في الدنيا فلم يره غيره فيها ووقف بعض مشايخنا في هذا اي توقف
فيه فلم يعتقد ثبوته ولا نفيه والمشايخ جمع مشيخة او شيخ على خلاف القياس وفيه كلام في شرح
ادب الكاتب وقال ليس عليه اي على ثبوته دليل واضح اي صحيح ظاهر ولكنه جائز ان يكون
ان يكون اي ان يصح ويوجد في الدنيا قال القاضي ابو الفضل المصنف رضي الله عنه والحق
الذي لا امترا فيه اي القول الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة لان المرية هي الشبهة
ان رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا لانه موجود حقيقة وكل موجود يجوز رؤيته
عيانا وليس في العقل ما يحيلها اي ما يقتضي انها مستحيلة ثم ذكر دليله نقليا يويد
العقل فقال والدليل على جوازها في الدنيا سوال موسى لها بقوله رب ارني انظر
اليك وهو نبي اولي العزم لا يسال من الله تعالى ما لا يجوز فلو لم يعتقد صحة ذلك لما سأله منه

والاكان

والاكان جهلا منه باحوال الربوبية وهو مبرأ منه وكلامه في تحقيق الرؤية لا في وقوعها
فقط كما قيل من انه ليس الكلام في جوازها بل في وقوعها والفرق بينهما ظاهر والقايلون باستحالتها لهم ادلة على مقالتهم وان كانت مردودة والقايلون بالجواز العقلي ذاهبون بمنع الشرعي
ولذا قال النسفي رؤية الله في الدنيا جائزة عقلا ممتنعة شرعا والمصنف تعرض لاثبات
الوقوع له صلى الله عليه وسلم وهو امر نقلي لا مجال للعقل فيه فكلامه خارج عن المطلوب الا ان
يقال انه استطرادي انتهى ليس بشي لانه ان لم يثبت الجواز لا يثبت الوقوع والوقوع امر نقلي
قد بينه اولا ثم حقق ما يتوقف عليه من الجواز عقلا اذ الظهور والكرامات لما اشرق عليهم
من نوره وهذا الذي قصده الابوصيري فاعرفه وما نقله النسفي يخالف لما ارتضاه المصنف
واذا كان هذا نقليا وثبت نقله كيف لا يكون عقليا فما ذكره كلام مموه تركه خير منه وما
ذكره المصنف هو دليل اهل السنة على جواز رويته تعالى والمعتزلة يقولون لم يسأله لجوازه عنده بل
لتبكيت القايلين له ارنا الله جهرة ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز
عليه تنوين نبي للتنكير والتنويع والتعميم اي نبي كان فكيف بالكليم وقيل انه للتعظيم
اي نبي عظيم من اولي العزم كبار الرسل لان استحالته عادة معروفة نقلا وعقلا لانه بعث
ليعلم امته الشريعة والعقايد الحقة وهي معرفة ما يجوز على الله ويمتنع فلو جهل ذلك كان امرا له بما لا يعلمه وهو محال لانه اما جهل او عبث والمعتزلة يقولون انما يلزم هذا لو كان
سوالا حقيقيا اما لو كان لالزام غيره وتبكيته لمن سألها من قومه فلا وهذا مردود لان الابا
باباه وتفصيله في علم الكلام بل لم يسأل موسى من الله الا جايزا عقلا غير مستحيل لان سوال
المحال من مثله محال او كونه سألها مع علمه باستحالتها ليتاكد الدليل العقلي بالسمع وليطمئن
قلب النبي فان العلم يتفاوت قوة وضعفا مردود بان تفاوته غير مسلم والخليل لم يسأل الا لذلك
وانما كان علم ان الله يتخذ خليلا يحيي الموتى بدعائه فسأله لان يعلم اهو هو ام لا ولو سلم فلا
يلزم طلب ما لا يجوز وينافي في الادب عندهم بهذه الطريقة اذ له ان يقول رب بين لي
امر ذلك بجوازا واستحالة ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب اي جوازه معروف ثابت ووقوعه
له دون غيره بمشاهدة ربه امر مغيب عن كل احد كسائر المغيبات الجائزة كالحشر وغيرها فالغيب
بمعنى المغيب عن البشر الذي لا يعلمه الا من علمه الله باخباره واطلاعه على حاله ووقوعا وعدمه
مطلقا او في بعض الاحوال ولذا اعلم الله به وقال له لن تراني اي الرؤية جائزة ولكنك
لم تصل اليها في الدنيا اي لن تطيق اي تقدر ولا تحتمل رويتي اي لا تقوى عليها في هذه
الحالة وهذا كله مما يدل على الجواز ثم ضرب له مثالا اي اتى له بمثال من المخلوقات لا يطيق
تجلي الله عيانا لينكشف له امرها ويعلم حاله من حال غيره مما هو وفي بعض النسخ بما متعلقا بضرب
اقوى من بنية موسى واثبت اي اشد قوة واكثر ثباتا وبنية بكسر البا وسكون النون
الخلقة والتركيب وهو الجبل في قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني
فلما لم يثبت الاقوى علم عدم ثباته بالطريق الاولى والى ذلك اشار بقوله وكل هذا ليس فيه
ما يحيل رؤيته في الدنيا اي يقتضي استحالتها فيها بل فيه ما يقتضي جوازها على الجملة
كما سمعته آنفا من ان سواله وتعليقه بالممكن يقتضي امكانه وقوله على الجملة بمعنى انه بطريق
الاجمال لا التفصيل فانه من قبيل اشارة النص والمعروف في كلامهم في الجملة والمعنى واحد
لان المراد جوازا اقتضاه على طريق الاجمال وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا

دليل قاطع على امتناعها وان لم تكن مستحيلة فلا دليل على امتناع وقوعها مطلقا او في
الدنيا اذ كل موجود في الخارج جوهرا كان او عرضا لا في العلم والذهن كما قيل التصور الممتنع
وهو تعليل للجواز لان ان تاتي للتعليل كما حققه النحاة واهل المعاني والتعليق بالمشتق
يقتضي علية مبدايه فالعلة الوجود لا الحدوث وهو مشترك بين الباري تعالى وسائر
الموجودات فكما يجوز رؤيتها يجوز رؤيته الا انه قيل انه يقتضي صحة رؤية نحو الاصوات
والروايح والطعوم وكيفية الملموس فانها موجودة مع انها غير محسوسة بالبصر الا ان هذا الدليل
منقول عن الاشعري وهو التزم جواز رؤيتها والكلام في الجواز لا الوقوع فرؤيته جائزة غير
مستحيلة تفسير للجواز فانه قد يقابل الحرمة والوجوب ولا حجة مسلمة عند الخصم لمن استدل
على منعها اي الرؤية بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات في هذه الآية
كما حققناه لك فلا افادة في الاعادة واذ ليس معطوف على قوله اذ كل موجود او على قوله
لاختلاف لان معناه لانه ليس يقتضي قول من قال بمنعها في الدنيا الاستحالة مطلقا بل تخصيص
الدنيا يقتضي وقوعه في الاخرة فيدل على الجواز في الدنيا وهذا رد على المعتزلة فان هذه
الآية اعظم ادلتهم على نفي الرؤية في الدنيا والاخرة ثم بالغ في الرد عليهم بان ما استدلوا به
عليهم لا لهم وقد استدل بعضهم بهذه الآية لا تدركه الخ نفسها على جواز الرؤية
وعدم استحالتها على الجملة كما يعلم من ذكره اختلاف التاويل وانما استدل بها لان نفي الشيء
عند البلغا يقتضي جوازه والا كان عبثا فلا يقال للحايط انه لا يعلم له والله ثم قد ساق نفي
ادراك الابصار في مساق المدح وانما يتمدح بامر ثبوتي كما في لا يؤده العدم الصرف فكل نفي تمدح
به تضمن امرا وجوديا كنفي السنة والنوم المتضمن لكمال القيومية ونفي الموت المتضمن للحياة
السرمدية فلو كان نفي الابصار انه لا يرى اصلا كسائر المعدوم وما لم يكن فيه مدح بل المراد لا
يحيط بعظمته وجلاله الابصار وهذا ما فهمه الصحابة ولذا فسره ابن عباس بلا يحيط الابصار
وكذا ذكره غيره فنفي الاحاطة يشير للرؤية بدونها او المراد العموم اي لا تراه جميع الابصار
وان منها ما يحجبه فهي سالبة في قوة موجبة جزئية واليه اشار بقوله وقد قيل لا تدركه ابصار
الكفار وقيل لا تدركه لا يحيط به وهو قول ابن عباس لانه كما قد يحتمل ان يكون رفعا للايجاب
الكلي بان يلاحظ الايجاب الكلي اولا ثم يرد عليه النفي وحينئذ لا احتجاج لهم علينا فانا قايلون
بان الكفار لا يرونه او المنفي ادراك بتقليب الحدقة نحو المرئي فانه المتبادر من اطلاق ادراك
البصر وهو المتبادر وانما يحتاج لهذا اذا كان تعريف الابصار استغراقيا والا تكون القضية
سالبة مهملة وهي في قوة السالبة الجزئية بمعنى لا تدركه بعض الابصار وخصص النفي
بالبعض بدليل المفهوم على الاثبات للبعض فالآية حجة لنا وعلى تقدير تسليم عمومها للاشخاص
لا نسلم عمومها للاوقات لانها سالبة مطلقة وهي اعم من السالبة الدايمة وما ذكر من ان تدركه
الابصار موجبة مطلقة فنقيضها سالبة دايمة لجواز كون الامر بالعكس بل الظاهر عكسه
اقول كونه دالا بالمفهوم على الاثبات للبعض قال بعضهم فيه نظر لان القضية المهملة
والدالة على رفع الايجاب الكلي ليس صريح مفهومها السلب الجزئي والتعريض للنفي عن البعض
بل السلب الجزئي لازم معناها الصريح المحتمل للسلب الكلي والجزئي مع الايجاب للبعض فنمنع
كون مفهومها مستلزما للسلب الجزئي لا يدل بمفهومه على مفهوم السلب الجزئي فلا حجة لنا
فيه وانما يكون حجة اذا كان صريح مفهوم القضية وقد قيل في بعض التاويلات لا تدركه

الابصار

الابصار نفسها وانما يدركه المبصرون يعني ان الادراك نوع من العلم وهو صفة
الناظر حقيقة لا نفس النظر فانه واسطة واله لا يخفى ركاكة هذا التاويل وان كانت عهدته
على قايله وكل هذه التاويلات السابقة لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها بل جوازها
كما مر فلا حجة فيها وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى لن تراني الآية التي استدل بها بعض المعتز لة
وقال ان لن للنفي المؤبد والمؤكد فاذا انتفى عن موسى فغيره يعلم بالطريق الاولى وقد رد بانها للنفي
في المستقبل فقط وكلام الله وغيره دال عليه كما اثبته النحاة مما هو مشهور في كتبهم ونفي الرؤية
عنه لا يدل على نفيها عن غيره لانه نفي مخصوص فلا دليل لهم فيه وقوله تبت اليك من سؤال
الرؤية المقتضي لانه محال وطلب لما لا يليق فهو ذنب وسياتي جوابه لما قدمناه من ادلة
الجواز الصريحة المقتضية لتاويل هذه الآية ولانها اي هذه الآية ليست على العموم بل مخصوصة
بموسى في المستقبل والنفي الخاص لا يدل على عموم ولا استحالة ولان من قال معناها لن تراني
في الدنيا انما هو تاويل فلا دليل على من عام العام ولا على الاستحالة فان القايل بان معنى الآية
ولم يذكر انه تفسير ماثور ولا انه برهان على المنع العقلي والعموم فلا حجة فيه وايضا فليس فيه
نص الامتناع اي صريح عموم امتناع الرؤية لكل واحد وانما جات في حق موسى اي آية لن تراني
مخصوصة بموسى فكيف يستدل على امتناع الرؤية مطلقا في الدنيا وغيرها يقظة ومناما كما ذهب
اليه المعتزلة ولا يلزم من نفي الوقوع نفي الجواز الذي نحن بصدد اثباته وحيث تتطرق
التاويلات اي اذا امكن تاويل ما استدلوا وتسلط الاحتمالات اي توجد احتمالات
في الدليل فليس للقطع به سبيل فلا يصلح القطع والجزم بما استدل كما قالوا اذا طرق الاحتمال
سقط الاستدلال وفيما استدلوا به على احتمال الرؤية امور كثيرة ذكرها المفسرون والمتكلمون
كما قدمه المصنف واصل معنى التطرق وجود الطريق وسلوكه فشبه التاويلات بصاحب مطلب وجد
الطريق اليه على سبيل الاستعارة التبعية او المكنية والتخييلية وكذا في التسلط لانه من
السلاطة وهي القهر والغلبة قال تعالى ولو شاء الله لسلطهم عليكم ومنه السلطان كما قاله الراغب
وغيره من اهل اللغة وقيل يتطرق من الطرق وهو الخلط او من التطارق وهو التتابع والازدحام
وهو عبارة عن كثرتها وهو قريب من التسلط وقوله سبحانه تبت اليك اي الذي استدلوا به
على انه دال على امتناعه لعده سؤال الرؤية ذنبا لاستحالتها لا دلالة له على مدعاهم
لان له تفسيرا آخر اي من سؤالي ما لم تقدره لي في الدنيا في ذلك الوقت لحكمة خفية لما ناله
من انوار عظمته حتى صعق كما يقول من فعل امرا جايزا اعتراه منه مشقة عظيمة تبت عن مثل
هذا كما قاله ابن نباتة السعدي

لأمل مأمولا بغير صدورها • فوا خجلتي اني الى الحجر تايب

وتقدم بضم المثناة وتشديد الدال وتخفيفها وقد قال ابو بكر المصلي الامام العلامة
تلميذ ابن القوطية صاحب الافعال كان من الادبا النظرا وله شعر بديع في تفسير قوله لن
تراني اي ليس لبشر ان يطيق اي يقدر ان يطيق الحي في الدنيا وانه من نظر الي فيها
مات قيل هذا ماخوذ من قوله وخر موسى صعقا فانه يدل على ان القوى البشرية لا تطيق
النظر في الدنيا لسبحات جلاله لا انه اقدره الله واذا لم يطق ذلك مثل موسى فغيره يموت
فجاة لخوفه او لاحراق سبحات النورية وفي هذا دليل على جواز وقوعه في الدنيا لكنه من وقع
له فيها لا يعيش كما قيل اذ من راي الملك في الدنيا ثم كما نقل عن ابن عباس وان قيل انه لم يصح والمراد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

غير الانبياء هنا وقد رأيت لبعض السلف من المتقدمين ولبعض المتأخرين ان رؤيته تعالى في
الدنيا ممتنعة لمانع منها لا لذاتها من حيث هي لما تقرر من جوازها عقلا فامتناعها لتعارض لضعف
تركيب اهل الدنيا اي لضعف ابدانهم المركبة كما قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا وقواهم جمع قوة وهي
امر اودعه الله في البدن به الادراك او المراد بها المعنى اللغوي وكونها اي التراكيب والقوى
او هو راجع للقوى فقط متغيرة بالازدياد في اول امرها ثم التنزل والنقص بعده وذلك يدل على
ضعفها عرضا للآفات هو حال او خبر بعد خبر لتكون ولم يعطف لكونه سببا لما قبله وقيل لكمال
الاتصال بينهما وفيه ان ذلك مخصوص بالجمل كما حقق في مباحث الفصل والوصل والغرض بالغين
والضاد المعجمتين اصله الهدف الذي ينصب لرمي السهام فشبه الجسد بهدف وآفات الدهر ومصائبه
كسهام لا تزال ترمي حتى تفني كما قال ابو العتاهية

ان الفتى غرض للآلام * يرميه نبل الدهر والايام
يصيبه رام ويخطي رامي

ويجوز ان تكون بالعين المهملة اي معرضا لها ولكن الاول اصح رواية ودراية وقال التلمساني
روي معترضة بدل قوله متغيرة اي ذات اعراض وهي الاوقات والامراض او من المعرضة اي
متعرضة للآفات وقيل بعضهم عوضا بفتح العين المهملة اي منصوبا للآفات مقابلا لها كالهدف
والآفة والعاهة كل ما يعرض لشيء فيفسده والفنا بفتح الفاء والمد وهو الزوال والعدم فلم
يكن لهم قوة على الرؤية لضعف ابدانهم وقواهم في الدنيا فاذا كان في الآخرة اي اذا احياهم
الله وادخلهم دار البقا وركبوا تركيبا آخر غير تركيبهم الاول ورزقوا قوى ثابتة بمثلثة ونون
ومثناة تحتية اي قوى غير القوى الاولى الدنيوية وفي بعض النسخ ثابتة بموحدة ومثناة فوقية
فقوله باقية تفسير له اي مخلدة لا تفنى لقوة تركيبهم وتمام قواها واتم انوار ابصارهم وقلوبهم
اي جعلها كاملة مستعدة للبقاء السرمدي قووا بها على الرؤية جواب اذا اول الضمير راجع للمذكورات
من التراكيب والقوى والانوار التي منحها الله لهم في الآخرة فهذا دليل على وقوع الرؤية في الآخرة وجوازها
في الدنيا لانه لو رزقهم ذلك في الدنيا صح منهم ايضا ذلك ولذا شق صدر النبي واودع فيه ما قوي
به على ذلك وهذا مما اوحي لايوب قال عطا اوحى الله لايوب انك لتنظر الي غدا فقال يارب
ابهاتين العينين فقال اجعل لك عينين باقيتين فتنظر الى البقا بالبقا وروى نحو هذا المالك
بن انس قال لم ير بضم التحتية وبنائه للفاعل عائد على الله لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا
كان النظر او الناظر في الآخرة ورزقوا ابصارا باقية رؤي الباقي بالباقي ظاهره ان
البقاء الابدي علة لصحة الرؤية والفنا مانع ولا مدخل للبقا في الرؤية كما ان الفنا والحدوث لا مدخل
له في المنع لان الرؤية بخلق الله وليست مشروطة بشيء عند اهل السنة فكأنه اراد ان البقا
يلزمه قوة التركيب والقوى المعدة لصحة النظر فيكون بمعنى ما قبله ولذا قيل ان مراده ان الرائي
والمرئي لا بد ان يكون بينهما مناسبة وابصار هذه الدار فانية فاذا اعادت وكساها الله صفة دوام
البقا تحملت رؤية الحي القيوم لمناسبة في الجملة وان كان بينهما تفاوت قديم ذاتي وبقاء ما طار عرضي
وهو كلام اقناعي وهذا كلام حسن مليح عنده على ما فيه وليس فيه دليل على الاستحالة والامتناع
عقلا بل هو دال على الجواز اذ لا مانع فيه الا من حيث ضعف القدرة البشرية في الدنيا فاذا قوى
الله من شاء من عباده بان رزقه قوة تطيق ذلك واقدره على حمل اعباء الرؤية اي جعل له قدرة
وطاقة على رؤيته ومشاهدته والاعباء جمع عب بكسر العين المهملة وسكون الموحدة وهمزة وهو الحمل

الثقيل

الثقيل وهو في المحسوسات حقيقة فاستعيرت للمعاني الشاقة لم تمتنع الرؤية في حقه
لتمكنه بما منحه من القوة وقد ذكر القاضي ابو بكر محمد بن الطيب امام اهل السنة الباقلاني
بالنون نسبة الى الباقلا على خلاف القياس كالصنعاني توفي سنة ثلاث واربعمائة وقيل اثنتين وستين
وثلاثمائة قالوا وليس هو الامام ابو بكر محمد بن العربي شيخ المصنف في اثناء اجوبته عن الآيتين
اي في خلال كلامه في الجواب عما استدل به المانعون من الآيتين لا تدركه الابصار ولن تراني
ما معناه ما موصولة او موصوفة مفعول ذكر اشارة الى انه رواية عنه بالمعنى دون اللفظ والعبارة
ان موسى عليه الصلاة والسلام رأى الله فلذلك خر صعقا مغشيا عليه مع صحته لان وقوع
مثل هذا بمجرد رؤية الجبل دكا بعيد وان جاز ان يكون لتجليه وظهور انواره لكن هذا مناف لظاهر
قوله لن تراني وقوله انظر الى الجبل ولما نقله المصنف اولا من ان الله قسم الكلام والرؤية بين موسى
ومحمد صلى الله عليه وسلم وان الجبل ايضا رأى ربه اي خلق فيه ادراكا وحياة فصار دكا
اي انهد حتى صار ترابا لما من هيبة الله وذلك بادراك خلقه الله له كما نقله المازري عن الاشعري
وهذا مما يدل على جواز الرؤية لان الذي اقدر الجماد على ذلك كيف لا يقدر محل البشر واستنبط
اي استخرج ذلك واصل الاستنباط استخراج الماء من البئر فاطلق على مطلق الاستخراج او استعارة
له وذلك اشارة لرؤية موسى ورؤية الجبل والله اعلم فيه اشارة الى انه لم يصرح به من قوله
ولكن انظر الى الجبل الخ ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا اي مدكوكا والدك والدق
متقاربان وفسر دكه بانه صار رملا او ترابا وقيل عادة قبل استوى بالارض وقيل افترق
فرقا قال الواحدي هذا الجبل يسمى زبير ليس هو الطور وخر موسى صعقا اي سقط ضائعا
مغشيا عليه من هول ما رآه من هذا الجبل وتجليه للجبل ظهوره له حتى رآه اي شاهد المتجلي
ونوره فذاب كما يذوب الحديد من النار فلو لم يخلق الله حياة وادراكا ورؤية لم يخف خوفا هدمه
وفتته على هذا القول اي قول ابي بكر الباقلاني السابق بان موسى والجبل رأياه معا وهذا
بنا على مذهب اهل السنة في انه يجوز خلق العلم والنظر في اي جسم اراد وليس من شرط البنية
والمزاج كما قاله المعتزلة فانه وهم باطل كما قاله ابن عرفة فما هذا عن ظاهر لان التجلي لموسى
لا للجبل وكون موسى خر انما هو لدكه الجبل وسماع وقعه لا من تجلي الله له ورؤيته ومناسبة قوله
وقال جعفر الصادق بن محمد المتقدم ترجمته شغله اي بالجبل واصوات دكه حين امره بالنظر
اليه حتى تجلى اي ظهر ظهورا تاما لموسى فرآه ولولا ذلك اي اشتغاله بالجبل بانظر له
نور التجلي ابتداء مات صعقا بسكون العين وكسرها وعلى الاول هو تمييز وعلى الثاني حال
بلا افاقة من صعقته وغشيه وقوله هذا اي قول جعفر يدل على ان موسى رآه كالجبل
لانه معنى التجلي لانه لا يقال تجلى له الا اذا شاهده فما قيل من انه في غاية البعد لان التجلي
الواقع في الآية انما هو للجبل لا لموسى غير متجه لان المصنف انما بنى كلامه على ما قاله هؤلاء وفهموه
والناقل لا عهدة عليه فان حاصله ان موسى لما سأل الرؤية في مناجاته لربه امره بالنظر للجبل
ليلتهي به حتى اذا تجلى له ابتداء لم يهلك وتحرقه الانوار ويموت وهذا بناء على انه حين صعق
لم يمت وذهب كثير من المفسرين انه مات ثم احياه الله وما قاله هؤلاء مخالف لكلام المفسرين
فانهم ذهبوا الى انه انما امر موسى بالنظر للجبل ودكه الا ليعلم انه لا طاقة له على رؤيته تعالى
فان ما لا تطيقه الجبال كيف تطيقه بنية الانسان وقد وقع لبعض المفسرين انه قال
في الجبل انه رآه لحياة وادراك خلقه الله فيه فرآه وشاهده وقد نقل المازري عن الاشعري

الألوكة www.alukah.net

وهو الظاهر من التجلي وان حملوه على معنى آخر قال في الكشاف في تفسيره فلما ظهر اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله دكا اي مدكوكا والظاهر انه عنده استعارة تمثيلية وقيل انه على حذف مضاف وفيه مجاز آخر حيث اسند التجلي للاقتدار وليس بشيء **وبرؤية الجبل** لله عز وجل **استدل من قال برؤية نبينا له** قيل الجبل ليس له ادراك ونظر الا انه يجوز ان يخلق الله فيه ذلك وليس جعله دكا متوقفا على الرؤية ومستلزما لها ولو كان كذلك قال فان رأى استقر فانما دكه ليعلم موسى عدم طاقته لمشاهدة نور الانوار وفي الحقيقة جعله دليلا فيه ما فيه اللهم الا ان يقال معنى قوله **اذ جعله دليلا على الجواز** انه جعل تعليق الرؤية بامر ممكن في نفسه دليلا على جوازها فاذا كانت امرا جائزا فلا حاجة لتاويل الاحاديث الواردة بانه صلى الله عليه وسلم رأى ربه **ولا مرية** بكسر الميم وضمها معناها الشك والتردد **في الجواز** اي جواز الرؤية **اذ ليس في الآيات** التي استدل بها على عدمها كانه لا تدركه الابصار ولن تراني ونحوها **نص في المنع** للرؤية صريح فيه اذ هي مأولة بل مشيرة للجواز كما مر **واما وجوبه لنبينا** صلى الله عليه وسلم اي وجوب وقوع رؤيته لربه في الاسراء بعيني رأسه واعترض عليه بانه لم يقل احد بالوجوب وانما قيل بالجواز والوقوع والجواب بانه من خصائصه التي يجب اعتقادها تعسف وليس المراد وجوبه على الله حتى يقال انه لا يجب عليه شيء وكل ذلك محض تفضل منه وقيل المراد وجوب الجواز لان الجائز عقلا اذا وقع في الخارج انقلب واجبا لغيره وان كان في حد ذاته ممكنا والمراد وقوع الرؤية انتهى ولا يخفى ما فيه من التعسف والتمحل الذي لا تساعد عليه العبارة وكون الجائز اذا وقع انقلب واجبا لغيره لا معنى له فالظاهر ان نقول ان الوجوب هنا بمعناه فانه لو ورد مصرحا في نص قطعي من القرآن او الحديث المتواتر او المشهور وجب علينا اعتقاده ولا يسع احد من اهل الملة ان يخالف فيه والى هذا اشار في آخر الفصل بقوله وجب المصير اليه الا ترى انه لم يصح انه صلى الله عليه وسلم اخبر بالاسراء وورد في القرآن انه اسرى به من الحرم للبيت المقدس لا يجوز انكاره سواء كان مناما او يقظة او هو بمعناه اللغوي وهو الوقوع فانه اصل معناه واطلاق الواجب على اللازم عقلا او شرعا معنى عرفي منقول منه والمراد بالعرف فيه عرف اللغة وهذا مما صرح به ائمة اللغة والمصنف منهم قال الامام الراغب يقال وجبت الشمس اذا وقعت ومنه قوله تعالى فاذا وجبت جنوبها وقول الفقهاء الواجب الذي اذا لم يفعل استحق عليه العقاب وصف له بما هو عارض له فيجري مجرى قولك الانسان اذا مشى مشى برجلين انتهى والى هذا اشار بقوله وثاني العرف من الفرض والواجب فقوله **والقول بانه رآه بعينه يشير اليه** من طرف خفي ولا اشكال في كلامه وهذا يتم في مقابلة الجائز بمعنى الممكن بلا وقوع كما صرح به الراغب ايضا فلا يرد على ما قلناه ان وقوعه في مقابلة الجائز في كلامه يأباه فان هذا كله انما جاء من توهم انه اريد بهما ما قاله الفقهاء وقوله بعينه متعلق برآه او تاكيد للضمير ففيه دقة ذهنية من البديع وهي حسنة اذا كانت احيانا من غير تكلف لا كما يقصده بعض شعراء مصر فانه قبيح وهذا كقوله

رأت من اهواه لما ان رنا ۝ فقلت هذا قاتلي بعينه

فليس فيه قاطع اي دليل قطعي ايضا اي كما ان المنع لم يقم لمدعيه دليل قطعي **ولا نص** اي دليل صريح فيه من الكتاب والسنة **اذ المعول فيه** اي المعتمد في استدلالهم على وقوعه لنبينا صلى الله عليه وسلم **على آيتي** اي على آيتين **في سورة النجم** ما كذب الفؤاد ما رأى وما زاغ البصر

وما طغى

221

وما طغى ولقد رآه مرة اخرى الآية **والتنازع فيهما ماثور** اي النزاع في المراد منهما منقول عن سلف المفسرين والمتكلمين كما مر للقول بان الضمير لجبرئيل والرؤية له بصورته الاصلية **والاحتمال لهما ممكن** لعدم صراحتهما وقطعيتهما في المدعى **ولا اثر** اي حديث **قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك** اي بكونه رآه بعيني رأسه **وحديث ابن عباس** الموقوف عليه المتقدم الذي ذكر فيه **انه** رآه بعينه **خبر عن اعتقاده** اي اخبر به عما كان يعتقده بحسب ما ادى اليه علمه الجازم **ولم يسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم** اي لم ينقله عنه ويقول انه صرح له بذلك حتى يعتبر **فيجب العمل** اي القول به والجزم **باعتقاد مضمنه** بضم الميم الاولى وفتح الضاد المعجمة والميم المفتوحة المشددة اي ما يتضمنه ودل عليه لفظه من رؤيته لربه بعينه فسماه عملا لانه من الاعمال القلبية وان اشتهر العمل فيما يكون بالجوارح الظاهرة يعني ان الرؤية العينية ليس فيها نص قرآني ولا حديث قطعي حتى يجب اعتقاده ويكفر منكره لمخالفة كثير من الصحابة والعلماء في وقوعها وان كان الراجح عندهم ثبوتها وبه صرح الغزالي والنووي واليه ذهب المصنف وان قيل انه مال الى خلافه في شرح مسلم **ومثله** اي مثل قول ابن عباس في اثبات الرؤية **حديث ابي ذر** الغفاري الذي رواه مسلم قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك فقال رأيت نورا الخ **في تفسير الآية** يعني آية سورة النجم **وحديث معاذ محتمل للتاويل** بما مر **وهو مضطرب الاسناد** اي الطريق في الرواية **والمتن** هو نفس الحديث وكلام الرسول الذي رواه لانه المراد منه والمتن اصله الظهر الذي به قوام البدن فشبه به ما يقصد من الكلام كلفظ الحديث واللفظ المنقول للشرح واضطرابه اختلاله واختلافه انتقال من الضرب قيل اضطرب سنده لانه رواه تارة عن ابن عباس الحضرمي مرسلا لانه ليس بصحابي وتارة عن معاذ بن جبل واضطراب متنه لانه قال فيه رأيت ربي في احسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث الذي تقدم وفيه لما صلى الغداة فقال صليت الليلة ما قضي لي ثم وضعت جنبي فاتاني ربي وفي اخرى عنه قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استثقلت فاذا انا بربي واختلافه والسند واحد يوجب الاضطراب وقيل ان الحديث بطوله رواه ابن حنبل والترمذي وقال انه حسن غريب وقال انه صحيح الاسناد وهو احسن ما يتمسك به في الرؤية وكذا قال المنذري في الترغيب فما ذكره المصنف من اضطرابه ان اراد معناه اللغوي لاختلاف الفاظه فهو غير قادح لان الحديث الواحد قد تختلف الفاظه ولا تختلف معناه وان اراد معناه الاصطلاحي وهو ما اختلف فيه راو او راويان فاكثر فروي بوجوه مختلفة لم يترجح احدها فليس فيه شيء منه ولو كان كذلك اوجب ضعفه ورواية الحديث صححوه كما سمعته آنفا وفيه نظر **وحديث ابي ذر الآخر مختلف** الفاظه المروية ومثله قد يوجب الضعف لدلالته على عدم ضبط الراوي **محتمل** للرؤية العينية وغيرها **مشكل** من حيث المعنى لجعله ذاته تعالى نورا **فروي** بالبناء للمجهول **نور** منون مرفوع وروي منصوبا ايضا **اني** بفتح الهمزة وتشديد النون والف بعدها مقصور بمعنى كيف **اراه** بمعنى وحجبني او طهر نورا ورأيت نورا غشيني فكيف ارى ذات الله وقد حال بيني وبينه سبحات النور المانعة من الرؤية في جاري العادة وروي نوراني بالنسبة للنور على خلاف القياس كصنعاني وقيل هو تصحيف والصواب الاول وفي المصفى للبرهان يحتمل هذه الرواية ما سبق بان يكون معناه خالق النور المانع للرؤية فهو من صفات الافعال وقال المصنف لم ار هذه الرواية ومن المستحيل ان تكون ذاته نورا لانه جسم وهو تعالى منزه عنه باجماع المسلمين ومعنى نور السموات منورها او هادي اهلها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

او منور قلوبهم اوده وبهجة وجماله وقال العراقي في تخريج احاديث الاحيا ما رايت لهذا
الحديث منكرا وقال ابن خزيمة في القلب من صحة اسناده شي وقد رواه احمد في حديث احمد
في حديث ابي ذر ورجال اسناده رجال الصحيح انتهى وقيل هذا الحديث لا يشعر برؤية ولا بعدمها
والمتفق على روايته هو الاول وكيف للانكار او التعجب اي كيف يتمكن من رؤيته ويحتمل انه قاله
لان عنده من حدث اسلامه مما لا يفهم مراده لانه روي رايت نورا وما ذكره البرهان تكلف فان
النور من اسمايه تع اقول هذا كلام مدمج والذي ارتضاه الغزالي ان النور يطلق على الله تع
حقيقة فان معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره وهو وان كان منزعا حكميا صوفيا فقد وقع في
كلام الاشعري ما يوافقه فانه قال الله نور ليس كالانوار وعلى هذا فالروايتان بمعنى فانه نور
النور الخفي بشرط الظهور فان فهمت فهو نور وقوله انه جسم غير مسلم وحكي اي نقل بعض
مشايخنا انه اي الحديث بهذا اللفظ نوراني اراه قد عرف معناه وسمعت ما قاله المصنف
في شرح مسلم من ان هذه الرواية لم تثبت وفي حديث ابي ذر الاخر اي المروي من طريق
اخر سالته اي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له هل رايت ربك فقال رايت نورا هذا يحتمل
لان يكون اطلق على النور حقيقة كما مر او باعتبار لانه مذكور من اسمائه الذي لا تليق حقيقتها به
او ان المراد انه لم يره لان حجابه النور والى هذا اشار المصنف بقوله فهو اي النبي قد اخبر انه لم يره
وانما راى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تع بناء على ما فهمه ولم يرتضه بعض الشراح
والى هذا المعنى وانه لم يره يرجع قوله اني اراه فانه تعجب او انكار لرؤيته اي كيف اراه
هذا كقوله كيف تكفرون بالله مع حجاب النور المغشي للبصر اي الساتر له والمانع عن الرؤية
كالغشاوة وهذا مثل ما في الحديث الاخر حجابه النور وهذا الحديث رواه مسلم والطيالسي
والبخاري عن ابي موسى الاشعري وهو ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام ولكنه يخفض القسط
ويرفعه ويرفع عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات
وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه وهو حديث صحيح وفي الحديث الاخر لم اره بعيني ولكن
رايته بقلبي مرتين وتلا ثم دنى فتدلى اي نزل ليقترب من عنده وهذا بناء على ان الضمير
فيهما لله لا لجبريل وتدليه من المتشابه كقوله نزل ربنا الى سماء الدنيا والكلام فيه مشهور ثم بين
معنى الرؤية القلبية فقال والله قادر على خلق الادراك الذي في البصر في القلب
بان يدرك بقلبه ما يدرك ببصره حتى يكون مشاهدا محسوسا له واقفا على ذاته لان في القلب
نورا هو منشا الابصار فيقويه الله حتى يرى بلا واسطة العين او كيف شاء اي بكيفية اخرى
غير خلق الادراك في قلبه ارادها لمن اراد ان يتجلى له بان يجعل له علما ضروريا يدركه على وجه
لا يعلمه الا هو فان ورد حديث نص صريح في ثبوت الرؤية له بحيث لا يحتمل التاويل اعتقد
بالبنا للمجهول اي اعتقده كل من وقف وثبت عنده ووجب المصير اليه اي وجب علينا ان
نذهب لاعتقاده ولا نعدل عنه اذ لا استحالة فيه اي فيما ذكر من صحة الرؤية ووقوعها
وهذا معنى الوجوب الذي قاله اولا كما وعدناك به ولا مانع قطعي يرده فنمتنع من اعتقاده
ونوجب تاويله والتوقف فيه كسائر المتشابهات والله تعالى الموفق اي الخالق التوفيق المنعم
به على عباده وفي الختم بهذا لطف لما فيه من الاشارة الى ان تعارض احاديث الرؤية محتاج للتوفيق
لمن رزق التوفيق ولا شبهة فيما قاله وهو لا ينافي ان الاصح الراجح انه راى ربه بعيني راسه
حين اسري كما ذهب اليه اكثر الصحابة الا انه لما ورد ونقل خلافه ايضا ذهب الى انه امر غير قطعي

فالاعتراض

فالاعتراض عليه بانه ان اراد بالقطعي كلام الله او حديث متواتر فمسلم لكنه ليس بلازم فكم من
امر علمناه وجزمنا به وهو ليس في القران والحديث المتواتر وان اراد انه ليس فيه خلاف صحيح
صريح يعمل به فهو غير مسلم ساقط واه تركه خير منه

فصل واما ما ورد في هذه القصة

اي قصة الاسرا من مناجاته لله اي مخاطبته له ومحادثته لما ارتفع الى المقام الاعلى
والمناجاة تكون بمعنى المحادثة وبمعنى المسارة بما يرضاه واصل معناه ان يخلو بمن خاطبه على
نجوة اي مكان مرتفع من الارض وقيل هو من النجاة لانه يروم نجاة من ان يطلع عليه غيره ثم شاع
في مطلق المخاطبة فلهذا عطف عليه قوله وكلامه معه ليبين المراد به والضمير الاول للرسول
كضمير مناجاته او لله كضمير معه او كلامه معه الثابت بقوله فاوحى الى عبده المقرب اليه والى
سرادقات عظمته والى رسوله المكرم او جبريل وقد مر ان مقام العبودية اشرف المقام
فلذا قال الى عبده ولم يقل رسوله ولا نبيه وما يوحى اي امرا عظيما لا تحيط به العبارة ففي الابهام
اشارة الى تفخيمه وتعظيمه وانه محترم لاسرار المعارف لا يطلع على ما اطلعه الله عليه غيره
ففي الابهام ولفظ العبد هنا موقع لا يليق به الى ما تضمنه الحديث الاتي والى معنى ثم
او غايته لابتداء مقدر اي ينتهي عن الكلام الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين حوالة اما
قيل الاكثر يقابله الكثير فلا يناسب مقابلته بالشاذ النادر منهم تحقق العبارة جمهور المفسرين
والامر فيه سهل على ان الموحي اسم فاعل اوحى اي الفاعل للايحا في قوله فاوحى في هذه الاية
الله الى جبريل وجبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم الا الشاذ وذا منهم اي الاجماعة من المفسرين
قليلة شاذة خالفوهم فيه فشذوذ ما جمع شاذ كقعود جمع قاعد او مصدر اطلق على الفاعل
مبالغة في اتصافهم به حتى كانهم عينه فذكر من شذ المنقول عن جعفر بن محمد الصادق
صفة جعفر وقد تقدمت ترجمته انه قال اوحى اليه بلا واسطة اي كلم الله محمدا بلا واسطة
ملك او غيره فالمراد بالوحي هنا الكلام وان كان اعم منه فعلى هذا ضمير اوحى لله والمراد بالعبد
محمد صلى الله عليه وسلم وهذا بيان لمذهب الشاذ ونحوه اي ومثل ما قاله جعفر نقل عن الواسطي
وقد تقدمت ترجمته والى هذا القول المنقول عن جعفر والواسطي ذهب بعض المتكلمين
ان محمدا كلم ربه في الاسرا بفتح همزة ان وهو وما معه بدل من هذا وحكي بالبنا للمجهول
عن الاشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وانكره اي انكر تكليم الله له بلا واسطة
قوم اخرون وليس المنكر النقل فقط كما توهم لان السياق يأباه وذكر النقاش السابق ذكره
في تفسيره المشهور نقلا عن ابن عباس في قصة الاسرا عنه عليه الصلاة والسلام في تفسير
قوله فتدلى قال صلى الله عليه وسلم فارقني جبريل اي تخلف عنه في المعراج لان له مقاما
لا يتعداه فانقطعت الاصوات عني بعدما فارقته وتحولت عنه فسمعت كلام ربي
وهو يقول جملة حالية اي قائلا لي ليهدا روعك يا محمد بلام الامر ويهدا بفتح المثناة
التحتية وسكون الها ودال مهملة مفتوحة وهمزة ساكنة لانه مضارع مجزوم بلام الامر
فاذا ابدل الهاء جاز حذفها كالمعتل الاخر والروع بفتح الرا الخوف والهدوء معناه السكون والمعنى
ليسكن فزعك اي ليذهب فزعك وخوفك ويجوز ضم الرا المهملة والروع بالضم القلب
والمراد ليقر قلبك ولا يضطرب من الخوف ويجوز ان يراد بالمفتوح ايضا القلب لانه محله

الاحاديث

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فالرؤيا بتاذ بمعنى **ادن ادن** امر من الدنو وهو القرب اي تقدم وادخل الى حظائر القدس
وانما قال له تشريفا له واعلاء لمنزلته وتانيسا لاستيحاشه لما انقطعت عنه الاصوات
ولذا امره باطمينان قلبه اولا وكرر امره تاكيدا او بيانا للزيادة قربه من الله وان كان اقرب اليه
في كل حال لتنزهه عن المكان وانما هذا بالنسبة له فاخبار عنه بقوله دني اشارة الى امتثاله
الامر **وفي حديث انس في الاسرا** السابق ذكره **نحو منه** اي ما يقرب مثله والحاصل ان قوله
فاوحى لاية ان الضمير الاول في اوحى لجبريل وفي عبده لجبريل لله والمراد به محمد وفي اضمار
قبل الذكر لانه معلوم وضمير اوحى الثاني يجوز ان يكون لجبريل وفيه تفخيم وتعظيم للوحي او لله
اي اوحى الله الى محمد ويجوز ان يكون الضمير في اوحى الاول لله وعبده محمد اي اوحى الله الى محمد
ويجوز ان يكون المراد بعبده جبريل اي اوحى الله الى جبريل والضمير في اوحى الثاني لله اي
اوحى الله الى عبده محمد ما اوحاه الله اليه ففيه تفخيم للوحي ايضا ويجوز ان يكون لجبريل اي اوحى
الله لعبده محمد ما اوحى جبريل اليه فاتحاوه اليه بواسطة وعلى ان المراد بعبده جبريل وضمير
اوحى الثاني لله اي اوحى الله لعبده جبريل ما اوحى الله اليه ففيه تفخيم وعلى ان المراد بعبده جبريل
وضمير اوحى الثاني له اي اوحى الله لعبده جبريل ما اوحى جبريل لمحمد او لكل رسول لانه امين وحيه
وما موصولة او مصدرية والذي اوحاه احكامه او امر الصلاة او اوحى اليه لا يدخل نبي و لا
امة الجنة قبلك وقبل امتك او هو سر في سر كما قيل

بين المحبين سر ليس يفشيه • قول ولا قلم للخلق يحكيه

وسياتي تفسير بقية الاية وتحقيقه **وقد احتجوا في هذا** اي استدلوا على انه كلمه بلا واسطة
بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الاية ووجه الاحتجاج بينه بقوله
فقالوا هي اي اقسام الكلام المثبتة في هذه الاية على وجه يفيد نفي ما عداها لان معنى
ما كان لا يصح ولا يقع **ثلاثة اقسام** محصورة فيها الاول منها **الكلام من وراء حجاب**
بحيث من خاطبه وكلمه عن رؤية ذاته لا يحجب الله فانه يراه ولا يحجبه شي كما مر تفصيله فهو يسمع
كلامه من غير واسطة وهو لا يراه والحجاب سبحات النور وما لا يعلمه الا الله **كتكليم موسى**
اي كتكليمه لموسى في الدنيا وموسى لا يراه فالتشبيه فيما ذكر في انه سمع من الشجرة كلام الله بغير
واسطة ملك وهو لا يرى ذاته والقسم الثاني من الوحي **بارسال الملائكة** الى رسل البشر ليلقوا
كلامه ووحيه الذي اوحاه وهذه الحالة في الوحي **كحال جميع الانبيا واكثر جميع احوال
نبينا صلى الله عليه وسلم** وموسى ايضا في غير ما ذكر من كلامهما بغير واسطة في الدنيا
قيل سوا راوا الملك او لم يروه فان الوحي على اقسام كما كان يسمع كصلصلة الجرس من غير ان يراه
وفيه نظر فان هذا داخل في قوله وحيا وفي قوله ارسال الملائكة اشارة الى انه غير مختص بجبريل
لما روي ان اسرافيل وكل به ثلاث سنين في الاول وقد قسموا الوحي الى نحو اربعين قسما ولكنها
لا تخرج عن هذه الاقسام **الثالث** من اقسام الوحي وكلام الله لرسله **قوله وحيا** امر القاه
في قلبه بالهام ونحوه قال الراغب في مفرداته اصل الوحي الاشارة السريعة ولتضمن السرعة
قيل امر وحي وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب
وباشارة بعض الجوارح وبالكتابة ويقال لما يلقى للانبيا به وحي وهو على اضرب حسبما دل
عليه قوله وما كان لبشر الخ فذلك اما برسول مشاهد يرى ذاته ويسمع كلامه كتبليغ جبريل
للنبي صلى الله عليه وسلم في صورة معينة واما بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى كلام الله

223

وايضا بالقاء في الروع كما ذكر ان روح نفث في روعي واما بالهام ومنام انتهى
فالاخير هو المراد بالوحي هنا وسياتي بيانه المصنف **ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشا** فهة
اي الكلام من غير واسطة وهو في الاصل ماخوذ من الشفة فيتجوز به عن هذه المخاطبة
والمكالمة **مع المشاهدة** اي معاينة المخاطب لمن كلمه من غير واسطة ولا حجاب مانع من الرو بة
فيخص الله من شاء من خلص عباده المقربين كنبينا صلى الله عليه وسلم وقد استدل بهذه الرواية
على نفي الرؤية لحصر تكليمه البشر في الثلاثة فاذا لم يره من كلمه وقت الكلام لم يره غيره اجماعا
واذا لم يره هو اصلا لم يره غيره ايضا اذ لا قايل بالفصل والجواب انه يحتمل ان يكون المراد حصر
التكليم في الدنيا في هذه الثلاثة او نقول يجوز ان تقع الرؤية حالة التكلم وحيا اذ الوحي
كلام بسرعة وهو لا ينافي الرؤية فلا دليل على ما ذكر اصلا كما حققه ابن الخطيب في رسالته المشهورة
يعني ان اعلام احد احدا باقرار اما بغير مشافهة وكلام معروف بمشافهة بواسطة او بدونها
والثاني اما مع مشاهدة او بدونها فانحصر في هذه الصور الاربعة والاية استوفت الاقسام
الا ما كان مع الذي خص الله من اراد وقد علمت ان ما ذكره غير متعين ولذا قال بعضهم ان قوله
لم يبق الا المشافهة مع المشاهدة ممنوع الا ان سند منعه غير صحيح ولم يخرج احد منهم على
تحرير كلامه هنا **وقد قيل** القائل هو الراغب وغيره كما سمعته انفا **الوحي هنا** في هذه **الاية
ما يلقيه في قلب النبي** اي في قلب اي نبي كان من الانبيا الهاما ونحوه **دون واسطة**
اي بغير واسطة ملك يبلغه ما اوحاه الله اليه والالهام كما قال الزركشي ما حرك القلب
بعلم يلقيه الله فيه يدعوه الى العمل به من غير نظر واستدلال بحجة والذي عليه الجمهور انه حال
لا يجوز العمل به الا عند فقد الحجة وذهب بعضهم الى انه حجة بمنزلة الوحي لقوله تعالى فالهمها فجورها
وتقواها ونحوه وقال السلماني انكار اصله لا يجوز انتهى ولا يخفى ان الخلاف في غير الهام هـا
الانبيا ومن كان في حكمهم فانه وحي وعلى هذا ينبغي تقييد ما في شرح جمع الجوامع وقال
الواحدي في تفسيره نقلا عن الواقدي في تفسير قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الا اذا تمنى الاية ان الرسول الذي ارسل الى الخلق باخبار جبريل عيانا وشفاها
والنبي الذي يكون نبوته الهاما او مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وقال النووي
في تهذيبه ما ظاهره ان النبوة المجردة لا تكون برسالة ملك بذلك وليس كذلك وكلام القران
الذي يستشهد به يرد عليه انتهى **وقد ذكر ابو بكر البزار** بموحدة وزاي معجمة والف وراء
مهملة نسبة لعمل بزر الكتان واستخراج زيته وهي لغة بغدادية وهو الامام الحافظ الذي
تقدمت ترجمته **عن علي في حديث الاسرا** الذي رواه المصنف بتمامه في اول الباب **ما هو اوضح
في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الاية** يعني قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى
لان الاية فيها احتمالات وحديث علي فيه سماعه كلام الله من وراء الحجاب وقوله صدق عبدي
فلا يابان كون ضمير عبده لجبريل في قول وان خالف فشاذ ولكن كون الوحي في الاية مبهم هـم
وثمة معين ولا ينافيه اختصاص نبينا بالمشافهة مع الرؤية واختصاص موسى بالتكليم كما نو
فذكر اي البزار وعلي **فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل** اي قال الله لملك الاذان
من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان مثل ذلك
الا قوله حي على الصلاة حي على الفلاح كما مر وكونه معلوما قويا لم يبينه عليه ووجهه ان المشـ وع
لسامع الاذان ان يقول ما يقوله المؤذن كلمة بكلمة تقتضي مقابلة باقراره الا قوله حي على الصلاة

الألوكة
www.alukah.net

إلى آخره فإنه يقول لا حول ولا قوة إلا بالله وهذا لا يليق به تم قلنا لم يجبه تنبيه هنا أمران الأول اختلف العلماء في صفة الأذان على أربع صفات مذكورة مشهورة أحدها تثنية التكبير وتربيع الشهادتين وباقيه مثنى وهو مذهب أهل المدينة ومالك وغيره واختار من أصحاب مالك الترجيع وهو أن يثني الشهادتين أولا خفيا ثم يثنيهما مرة ثانية مرفوع الصوت والصفة الثانية أذان المكيين وبه قال الشافعي وهو تربيع التكبير الأول والشهادتين وتثنية باقي الأذان الثالثة أذان الكوفيين وهو تربيع التكبير الأول وتثنية باقي الأذان وبه قال أبو حنيفة والصفة الرابعة أذان البصريين وهو تربيع التكبير الأول وتثليث الشهادتين وحي على الصلاة وحي على الفلاح يبدأ بأشهد أن لا إله إلا الله حتى يصل على الفلاح ثم يعيد كذلك مرة ثانية أعني الأربع كلمات شفعا ثم يعيدها ثالثة وبه قال الحسن البصري وابن سيرين كذا قاله ابن رشد في كفاية المقتصد الثاني أن حديث علي يقتضي أن الأذان شرع ليلة المعراج وحديث الصحيحين المشهور أنه شرع بعد الهجرة لما رآه بعض الصحابة في منامه ولا يخفى ما بين الحديثين من التعارض ولم يتعرض أحد للتوفيق بينهما وإن اعترض بأنه كيف يثبت التشريع بمنام لغير النبي وأجيب بأنه ثبت بوحي لكنه صادف ذلك المنام فأظهر العمل به تطمينا لقلوبهم وجبرا لخواطرهم والظاهر أن يقال إنه ثبت بحديث الإسراء إلا أنه لم يتبين له زمانه ولم يمكن إعلامه قبل الهجرة فأخر حتى يستقر ظهور الدين وبهذا يتم التوفيق بينهما **ويجيء الكلام في مشكل الحديثين إلخ** وسنذكر ما فيه ثمة **وكلام الله لمحمد ولمن اختصه من أنبيائه** أخص وروده لا زمانا ومعنى بما هنا بمعنى خصه **جائز غير ممتنع عقلا** أي ثبت جوازه وعدم امتناعه عقلا وسمعا كما مر فلا يضر نزاع المعتزلة فيه كما توهم **ولا ورد في الشرع قاطع بمنعه** أي دليل قطعي بمنعه كما لم يرد دليل قطعي بثبوته أيضا **فإن صح في ذلك** أي في الكلام بلا واسطة لغير موسى **اعتمد عليه** في الجزم بوقوعه ودوي احتمل وكلاهما مبني للمجهول كما قاله البرهان **وكلامه تعالى لموسى** وروي ومكالمته لموسى **حق مقطوع نص** بالبناء للمجهول على الحذف والإيصال كمشترك أي نص عليه **في الكتاب** العزيز والقرآن **وأكده** الله **بالمصدر دلالة على الحقيقة** أي دلالة على أن الكلام فيه بمعناه الحقيقي وإن اختلف أهل السنة في معناه الحقيقي القديم هل هو الكلام اللفظي أو النفسي كما ذهب إليه الأشعري وتحقيقه في كتب الأصول وهو مبحث طويل الذيل لا يسعه هذا المقام وهذا يرد على المعتزلة القائلين بأن الله لم يكلمه وإنما خلق الكلام في جسم آخر كالشجرة فسمعه موسى منه لأنهم نفوا الكلام النفسي وقالوا اللفظي حادث لا يقوم بذاته ودعوى قدمه لا تعقل عندهم فمعنى متكلم عندهم خالق الكلام وموجده قائما بغيره فإن قالوا إنه حقيقة لأنه الخالق له والفاعل فباطل لأن الفاعل الحقيقي في اللغة من قام به الفعل لا من أوجده فهذا ناشئ من عدم الفرق بين الفاعل الحقيقي اللغوي والحقيقي في الحقيقة ونفس الأمر كما حققه الأبهري في حواشي العضد فيلزمهم إثبات المشتق بدون ما صدق له فإن قالوا هو مجاز فالتأكيد بالمصدر في قوله وكلم الله موسى تكليما يرده لأن التأكيد اللفظي والمعنوي يمنع التجوز كما ذكره أهل المعاني وهذا من قبيل الأول كما أشار إليه المصنف هكذا قرره الأصوليون ورده ابن عبد السلام بأن التأكيد بالمصدر لمنع التجوز في الطرف ودفع الشك في الحديث لا المحدث عنه والإسناد والتأكيد إنما هو للفعل فالكلام وقع حقيقة ولكن ممن صدر والتأكيد لتحقيق وقوعه فقط وأجاب ابن عرفة بأن تأكيد المصدر وإن كان لإزالة الشك في الحديث فلا بد من ملاحظة من صدر عنه فهو لإزالة الشك عن حديث فلان ولذا قال البيانيون في قول هند زوجة روح بن زنباع ثم هجوه

بكى الخز من روح وأنكر جلده ۞ وعجت عجيجا من جذام المطارف

إنه ترجيح للمجاز أقول هذا كلام ساقط جدا فإنهم ادعوا أن تأكيد المصدر يرفع التجوز عن الإسناد فيقتضي أن التكليم مسند لفاعله الحقيقي والمعترض يمنعه ويقول إنما يمنع التجوز في الطرف وهو الكلام لأنه مؤكد لفعله كما صرح به وأهل المعاني لم يتعرضوا لهذا والبحث وارد عليهم لأن العجيج مجاز وقد أكد فلا يمنع مجازا أصلا وكونه ترشيحا عليه لا له وبهذا عرفت ما يرد على المصنف **ورفع مكانه** أي مكان موسى الكليم **على ما ورد في الحديث الصحيح** الذي فيه مقامات الأنبياء الذين لقيهم النبي في السماوات حين أسري به **أنه في السماء السابعة** هذا بناء على بعض الروايات والذي صححه الحاكم وغيره أنه في السماء السادسة وجزم به ابن المنير وغيره وما ذكره المصنف موافق لما ذكره البخاري في التوحيد وعدل عن المشهور لأنه أنسب بمراده فالقول بأنه غلط وأن الذي في السابعة إبراهيم وهم من قائله **بسبب كلامه** متعلق برفع أي بسبب رفعته على غيره كونه شرف بكلامه في الدنيا **ورفع محمدا صلى الله عليه وسلم** حين أسري به **فوق هذا كله** أي فوق هذه المقامات كلها في حياته لهيكله البشري **حتى بلغ مستوى وسمع صريف الأقلام** تقدم شرحه **فكيف يستحيل ويمتنع عقلا أو يبعد** بعد جوازه وثبوت ما يدل عليه سماع الكلام من الله بغير واسطة **فسبحان** تنزيه لله وتعظيم له وحمد له على ما أنعم به لا للتعجب فإنه غير مناسب هنا **من اختص من شاء** من رسله وخلص عباده بما شاء من جزيل نعمه وكرمه **وجعل بعضهم** راجع لمن باعتبار معناه **فوق بعض درجات** كنبينا صلى الله عليه وسلم إذ فضل على جميع الأنبياء وخصه بنعم لم يصل إليها سواه وهذا اقتباس من قوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فالمراد ببعضهم هنا محمد صلى الله عليه وسلم وإبهامه تفخيما لشأنه وإشارة إلى تعينه كما قيل ۞

وأقول بعض الناس عنك كناية • خوف الوشاة وأنت كل الناس

وإن اختلف المفسرون في المراد به في الآية ولا يخفى ما في ختم الفصل بهذه الآية من حسن الختام وبراعة المقطع لما فيها من ذكر الكلام ورفع الدرجات المناسب لهذا المقام ۞

فصل وأما ما ورد في حديث الإسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب

عطف تفسيري وهو بيان لما وظاهر بالرفع والجر **من قوله ثم دنى فتدلى** الدنو القرب ولذا عطفه عليه عطفا تفسيريا وهو حسي ومعنوي والتدلي الامتداد من علو إلى سفل كما يلقي الدلو في البئر هذا أصله ثم استعمل في القرب من العلو حسا أو معنى فهو أخص مما قبله فلا تقديم وتأخير فيه في الأصل تدلى فدنا وليسا بمعنى لأن العطف بالفاء يأباه والتأسيس خير من التأكيد وقيل دنى بمعنى قصد القرب منه صلى الله عليه وسلم فتحرك من مكانه نحوه وقيل تدلى من الدلال كتمطى أصله تمطط والضمير فيهما لجبريل عند الجمهور أي دنى جبريل من النبي بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض فتدلى عليه لأنه لما رآه بصورته الأصلية هاله فرده الله لصورته التي كان يراه عليها وقرب منه وقيل الضمير لله أي دنا من نبيه وهو مجاز عن إجابة دعائه وإعطائه ما تمناه بإشراق نور المعرفة ومشاهدة أسرار الغيب لأنه منزه عن المكان **فكان قاب قوسين أو أدنى** القاب ما بين مقبض القوس وموضع ربط الوتر من طرفيه ولكل قوس قابان وقيل القاب

www.alukah.net

حيث الوتر من القوس وقيل معناه قدره والقوس ما يرمى به وقيل هي هنا الذراع لانه يقاس به فالمعنى قدر ذراعين وروي عن ابن عباس وعلى الاول فيه قلب اي قابي قوس ثم اي بينهما مسافة مقدار قاب قوسين اي بين النبي وجبريل لان جبريل هو الموصوف بما قبله وهذا رواية عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ورجح هذا الوجه على رواية شريك انه الله وفيها كلام كثير وقال الرازي هذا على عادتهم اذا انها قد كبرا او تصالحا جعل كل واحد منهما قوسه بطرف قوس صاحبه ومن دونهما يضع كفه لكفه او لتحقيق قدر المسافة لا للشك كقوله فارسلناه الى مائة الف او يزيدون وقيل للشك بالنسبة للراكب وقيل بمعنى بل او الواو وادنى افعل تفضيل اي قرب من قاب **فاكثر المفسرين** جواب اما **ان الدنو والتدلي منقسم بين محمد وجبريل** اي كل منهما ثبت لكل منهما لا بينه اي دنا محمد من جبريل ودنى جبريل من محمد وتدلى كل منهما للآخر او المراد انا الدنو لمحمد والتدلي لجبريل فالانقسام بمعنى توزيع الوصفين بينهما وهذا المشار اليه بصورته الاصلية **او مختص باحدهما من الآخر** اي تختص بمحمد او بجبريل والمعنى دنى وتدلى محمد من جبريل او دنى وتدلى جبريل من محمد **او من سدرة المنتهى** اي مختص والدنو من السدرة لا من الآخر **قال الرازي** نحو الدين المشهور **وقال ابن عباس** كما رواه ابن ابي حاتم عنه هو اي الذي دنى فتدلى في الآية **محمد دنا فتدلى من ربه** ودنوه منه كناية عن قرب منزله ومشاهدته من قدسه ما لم يتيسر لغيره وقيل معنى دنى قرب وتدلى زاد في القرب فهو ترقي في تقربه من ربه قربا معنويا لا حسيا **وقيل هما** اي دنى وتدلى **بمعنى واحد اي قرب** قربا معنويا يتدلى انعامه ولا يخفى ان العطف بالفاء غير وارد في مثله ولذا ضعفه في آخره والتوكيد بانه للتأكيد وافادة انه اقرب بليغ لاتساعه العبارة **وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس** في رواية ابن جرير عنه **هو** اي من اسند اليه الدنو **الرب دنا من محمد** ليس المراد الدنو المكاني لتنزه الله ولا الفعلي لانه لا يختص به حتى يذكر في مقام مدحه وتعظيمه بل قرب المنزلة باعلائه مقامه واطلاعه على عجائب ملكوته **فتدلى** اي نزل الرب لمحمد وهو على حد قوله ينزل ربنا الى السماء الدنيا في الثلث الاخير اي تجلى له ونظر اليه بلطفه وكرمه وتشريفه بخطابه بقوله **اليه امره وحكمه** لم يرد به انه فاعل تدلى كما قيل وانما هو ضمير الله ايضا وهو استعارة او كناية عما ذكر واليه اشار القاضي بقوله المقصود من الآية تمثيل حضه واستماعه لما يوحي اليه بنفي البعد عنه **وحكى النقاش** في تفسيره **عن الحسن** البصري انه قال دنى الله **من عبده محمد صلى الله عليه وسلم** دنو مرتبة وقرب معنوي **فتدلى** اي **فقرب منه** لعنايته واختصاصه والاولى فزاد قربه اليه كما مر **فاراه ما شاء ان يريه من** آثار **عظمته وقدرته** فاري بصرية تعدت لمفعولين او علمية مفعولها الثالث مقدر اي اراه عظمته وقدرته مشاهدة معاينة والاولى الظاهر والاقرب **قال** اي النقاش او الحسن **وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر** فاصله تدلى فدنى اي **فتدلى الرفرف لمحمد ليلة المعراج** وهو البساط مطلقا او البساط الاخضر وقيل ما كان من الديباج وفي الصحاح الرفرف ثياب خضر تتخذ منه المجالس وكسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى منه واحده رفرفة فهو من البسط والفرش وفسر بالزرابي والمرافق وقيل الثوب العريض وحواشيه من رف يرف تحرك ومنه رفرفة الطائر بجناحيه ويطلق على الستارة وطرف الخيمة وفي الحديث ان رسول النبي فوقع لنا الرفرف فرأيناه ناوحه ومنه رفرف الاولياء في الجنة وهو بساط اذا استقر اعليه طار بهم لاي جهة ارادوها بقدرة الله وورد في المعراج انه

بلغ

لما بلغ سدرة المنتهى جاءه بالرفرف جبريل فتناوله فطار به الى العرش برفقه ويحفظه وجبريل رافعا صوته بالتحميد فهو مركب له كالبراق وقد فسر قوله متكئين على رفرف خضر ببعض هذه الوجوه وبانه رياض الجنة وبهذا اشار بقوله **فجلس عليه ثم رفع** اي رفعه الله بقدرته وهو مبني للمجهول **ودنا** الرفرف او النبي صلى الله عليه وسلم **من ربه** بالمعنى السابق **قال** صلى الله عليه وسلم بيانا لما هو عليه بعد علاه الرفرف **فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات** اي اصوات الملائكة **فسمعت كلام ربي** من غير واسطة وليس كلاما خلقه الله في بعض الاجرام كما زعمه المعتزلة وفيه اثبات الكلام اللفظي لله تعالى كما ذهب اليه السلف وتبعهم الشهرستاني في مقالته المشهورة ومن ينكره يقول الكلام النفسي سمعه الله بقدرته والبحث بطوله مقرر في علم الكلام **وعن انس في الصحيح** اي مروي في صحيح البخاري **عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة** عطف بيان او بدل والجبار هنا بمعنى العلي الاعلى من قولهم نخلة جبارة اي طويلة مرتفعة هذا هو المناسب للمقام لانه انسب من تفسيره بالقاهر لعباده على ما اراده من امر ونهي وان فسر به ايضا والعزة من عز يعز بالفتح اشتد وبالكسر صار عزيزا وهذا من حديث شريك السابق وقد اشتمل به الذهبي وفيه نظر **فتدلى** تقدم تفسيره **حتى كان** رب العزة **منه** صلى الله عليه وسلم **قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلاة** كما مر **وذكر حديث الاسراء بتمامه** كما تقدم **وعن محمد بن كعب** القرظي السابق بيانه **هو** اي الموصوف بانه دنا كما يأتي بيانه **محمد** صلى الله عليه وسلم اي دنا محمد **من ربه فكان قاب قوسين** في القرب منه **قال** اي محمد بن كعب **وقال جعفر** بن محمد الصادق وهو الآتي بعده ايضا ادناه ربه حتى كان قاب قوسين **وقال محمد بن جعفر** المذكور **والدنو من الله لا حد له** اي الدنو من جانب الله ليس دنوا مكانيا محدودا بجهة كالاجسام بل دنو معنوي **ومن العباد بالحدود** المكانية الحاصرة لهم لا الحد المنطقي المميز لماهيته **وقال جعفر** ايضا كما قاله السابق **انقطعت الكيفية عن الدنو من جانب الله** اي دنوه من عباده ليس له كيفية مخصوصة وحالة معروفة لانه امر معنوي غير محسوس والكيفيات احوال محسوسة وسميت كيفية لانها يسأل عنها بكيف وهي لفظة مولدة لم تسمع من العرب ومخالفة للقياس لان كيف لا ينسب اليها ثم وضح ذلك بقوله **الا ترى** الخطاب عام لكل من وقف عليه كقوله ولو ترى اذ وقفوا على النار والرؤية نظرية اذ عاينه او علمية والا بفتح الهمزة وتخفيف اللام وما في بعض النسخ الا بصورة الاستثناء وانه سمع منه بعيد **كيف حجب** بالبناء للفاعل اي منع **جبريل** بالنصب مفعوله ويجوز بناؤه للمجهول ورفعه **عن دنوه الى ربه ودنا محمد الى ما** موصوفة او موصولة وقوله دنو مصدر منصوب على كيف اي الا ترى كيف الخ وترى **اودع قلبه** صفة ما او صفة ترى واودع مبني للمجهول وقلبه نائب فاعله وفي بعض النسخ بالبناء للفاعل ونصب قلبه مفعوله كما قاله البرهان **من المعرفة** الالهية والمولى الربانية **والايمان** بما لا طريق له الا السمع بعد البعثة وعليه حمل قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان واما الايمان بما يقتضيه العقل كوجود الباري ووحدانيته ومعنى قوله **فتدلى** اي نزل ما كان عليه قبل هذا **بسكون قلبه الى ما ادناه** الى ربه لما اطمأن قلبه **وزال عن قلبه الشك والارتياب** في انه هل يصل الى حضرة القرب وينال اضافته بالاكرام والانعام ويترقى الى اعلا مقام وانجح الله امنيته وليس المراد الشك فيما يتعلق بالله ومنه

علي

جام

هب

الألوكة
www.alukah.net

فانه اقوى الناس معرفة وايمانا واثبتهم جاشا وايمانا واشدهم طمانينة وسكونا وبهذا سقط
ما قيل انه لم يكن عنده شك لامتلاء قلبه بالمعرفة والايمان وتطهيره من دنس الشك ووسوسة
الشيطان وقيل انه لما قال وحي بل حين اختطفه الرفرف خشي ان يكون ذلك الاخذ موديا الى
الهلاك وخاف من مكر الله به وشك فيما يؤول اليه امره فلما خاطبه الله وقال لبهذا روعه
علم ان الله انما اراد تقريبه والانعام التام عليه فزال شكه وانشرح صدره وثلج قلبه ببرد اليقين
وحصول مراتب التمكين والاظاهر انه لايليق بمقامه قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وهو المصنف
رحمه اعلم انما وقع بفتح الهمزة وتقدم معنى اعلم من اضافة الدنو والقرب اي من اثباته الى الله
ومن الله ووصفه به فالاضافة بالمعنى اللغوي لا الاصطلاحي وقوله هنا اي في هذه الاية
فليس بدنو مكان هو خبر ان المفتوحة ودخل فيه الفا لان اسمها موصول اي ليس قربا محسوسا
بل معنوي ولا قرب مدى بزنة فتى فسر بالغاية والنهاية والظاهر ان معناه المكان الممتد كما
يقال مدى البصر ومده ولا عبرة بما قيل ان الثاني خطا فانه ورد في الحديث كما ذكره النووي في
شرح مسلم بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي من ربه وقربه منه ابانة (النبي صح)
عظم منزلته الابانة بكسر الهمزة بمعنى الاظهار وهو مرفوع خبر دنو المبتدا وتقدم معنى المنزلة
والرتبة وانها العلو المعنوي وتشريف رتبته بالجر ويجوز رفعه واشراق انوار معرفته
اي اظهار آثار معرفة الله عليه ففيه استعارة مكنية او تبعية وان كان من قبيل اللجين الماء ومشاهدة
اسرار غيبه وقدرته اي وقوفه على ما في عالم الملكوت مما هو مغيب عن خلقه الا من خصه الله
باطلاعه عليه ومن الله له اي اعاده من الله لنبيه ونحوه بعد العلم بتنزهه عن الحيز والقرب الحسي
معناه مبرة مفعلة بالفتح بمعنى البر وله معان منها القبول والاحسان وتانيس اي لطف به
فذهب استيحاشه لما انقطعت عنه الاصوات وغاب الملك وهو جبريل وبسط اصل معناه
التوسعة قال تع ولو بسط الله الرزق لعباده ومنه البساط ويطلق على المسرة ايضا وليس بمعنى
مولد لانه ورد في الحديث فاطمة بضعة مني يبسطني ما يبسطها وذكر ابن قرقول في مطالعه وهو
المراد اي تانيسه بما يسره من مخاطبته بما يسره واكرام بتبجيله وتعظيمه ويتاول فيه اي
يؤول الدنو الوارد في الحديث ما يتاول في قوله ينزل ربنا الى السماء الدنيا يعني ان الدنو الواقع
في الاية كما ورد مثله في بعض الاحاديث ان اولياء الله قريبون من الله ليس على ظاهره قربا
حسيا بل معنويا باللطف والاكرام وقد يتاول بعلم الله بسواطنهم وظواهرهم وقدرته على التصرف
فيهم وعليه قوله ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون كما اول النزول المسند الى الله في حديث ابي
هريرة المتفق على صحته انه قال صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا الى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى
ثلث الليل الاخير يقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له
بالاقبال عليهم بانعامه واجابة دعائهم ومغفرة ذنوبهم وافاضة مواهبه عليهم وتاويله بنزول
ملائكته بعيد هنا وان ذهب اليه بعضهم ويتاول فيهما مبني للمجهول على احد الوجوه في تاويله (ان)
من نزوله تع انما هو نزول افضال بتفضله وانعامه واجمال اي فعل جميل بهم على عادتهم
وقبول لتوبتهم واستغفارهم واحسان بالجود والتكرم عليهم وليس المراد انه بتقدير مضاف
من مجاز الحذف اي ينزل احسانه كما قيل فهو تمثيل لسرعة واجابته وانجاح طلبته ولزيادة لطفه
واعتنائه به من قربه كمنزله مقام عال حتى انه قد نزل اليه فهو استعارة تمثيلية او تبعية تصريحية
وقال الواسطي المتقدم ترجمته من توهم انه تع وله المثل الاعلى بنفسه دنا دنوا حقيقيا محسوسا

بنانه لان دنو لطف واكرام معنوي مجازي فقد جعل ثم بفتح المثلثة وتشديد الميم ويقال
ثمة بتاء ايضا كما تكون بها مرسومة خطا ثابتة لفظا في الوقف ومعناه هناك واصل وضعها
للاشارة الى المكان البعيد او قريبا على اختلاف فيها وقد يتجوز بها عن المعنى ونحوه بتشبيهه
بالمكان على انه استعارة فيه كما هنا فانه اشارة الى الاية والحديث المذكور فيه الدنو والنزول
وقوله مسافة باعتبار مدلوله فان جعلت الاشارة اليه على تقديراته على حقيقته والمسافة
المفازة من السوف وهو شم التراب والبول ومنه قيل للمفازة مسافة لان الدليل يشم ترابها كما حققه
الراغب ولا مسافة لاستحالتها عليه تع بل كلما دنا اي من المخلوقات بزعمه بنفسه من الحق اي
الله تعالى تدلى نزل من علو الى سفل بعدا اي ابتعد عما قصده فهو مفعول له او تمييز من نسبة
تدلى يعني الواسطي بقوله هنا تدلى بعدا اي كلما حاول القرب نزل لساحة البعد عن درك
حقيقته متعلق بمقدر يعني بعد او بعدا عن ادراك حقيقته وذاته قال البرهان الحلبي
في حاشيته درك بفتح الدال وفتح الراء المهملتين وضبطه بعضهم باسكان الراء والاشهر هنا
الفتح ومعناه الادراك واما الدرك ضد الدرج فبالفتح لا غير وحكي فيه الوجهان وفيه نظر
اذ لا دنو للحق ولا بعد بالمعنى المكاني لاستحالتهما عليه تع وما ورد مما يوهم مؤول كما عرفته
واما على حقيقته بكنهها ففيه خلاف ليس هذا محله ولا وجه للتعرض له هنا وقوله قاب
قوسين او ادنى بالمعنى الذي مر بيانه وهذا جواب سؤال ودفع لما يتوهم من انه يقتضي قربا
حقيقيا ومسافة كما اشار اليه بقوله فمن جعل الضمير المقدر في قوله ثم دنى فتدلى عائدا
الى الله لا الى جبريل على هذا التاويل السابق انفا كان اي الدنو المذكور عبارة عن نهاية
القرب اي معبرا به عن غاية القرب المعنوي من عباده ولطف المحل اللطف عبارة عن
الامور الخفية وما لا يدرك بالبصر كما في قوله وهو اللطيف الخبير اي هو عبارة عن دنو معنوي (ي)
ومنزلة معنوية لا تحس بالابصار واتضاح المعرفة الالهية التي وهبها من العلم اللدني في
حظائر قدسه لمن خصه برفعة المنزلة من خلص عباده الذين جعلهم محترم اسراره واتضاح
بالمثناة الفوقية افتعال من الوضوح وفي بعض النسخ بالمثناة التحتية مصدر اوضح ايضاحا
والاشراف على الحقيقة اي الاطلاع عليها واصله من اشرف اذا وقف على شرف وهو المكان
العالي ثم اريد به لازمه من الوقوف والاطلاع كناية او مجازا من محمد صلى الله عليه وسلم اي كان
الدنو بالمعنى المذكور من نبينا صلى الله عليه وسلم وكان الدنو المعنوي عبارة عن اجابة الرغبة
اي اجابته لمامول الذي هو غاية مطلوبه ومرغوبه وقضا المطالب اي اعطاه مطلبه
الذي طلبه منه ووعده وفي القضا اشارة الى انه كالدين لان عدة الكريم دين واظهار التحفي
بحاء مهملة ومثناة تحتية وهو المبالغة في البر وانافة المنزلة بالنون والفاء بمعنى اعلائها
ورفعها والمرتبة عطف تفسير مراد متعلق بما قبله اشارة الى انه كله فضل وموهبة منه ويتاول (قل)
فيه بالبنا للمجهول اي يؤول القرب والدنو بتاويل مثل ما يتاوله قوله صلى الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري على طريق التمثيل والاستعارة من اتاني يمشي اي من
اطاعني وسعى في اداء امتثال اوامري والمراد انه يمشي مشيا غير بطيء باهوينا لمقابلته اتيته
هرولة وهي المشي والجري بسرعة والمراد اني اعجل له جزائي واوصل اليه احساني سريعا وتقديمه
لبسته بجزائي غير صحيح هنا والتاويل الذي اوليه من تقرب الى آخره وما بعده هو قرب بالاجابة
لدعائه وهو مرفوع خبر لمبتدا مقدر والقبول لتوبته والاتيان بالاحسان وتعجيل المامول

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اشارة لمعنى الهرولة وهذا بعض حديث قدسي صحيح رواه ابو هريرة واوله قال الله الكبرياء ردائي والعظمة ازاري من نازعني في واحد منهما قذفته في النار ومن اقترب مني شبرا اقتربت منه ذراعا ومن اقترب مني ذراعا اقتربت منه باعا ومن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه واطيب ومن جاءني يمشي اتيته هرولة ومن جاءني هرولة جئته سعيا قالوا معناه سرعة والمبادرة وتفويض امورهم وانه يضاعف ثوابه ويزيده بما هو خارج عن القياس وليس في قوله في ملاء خير منه دليل افضلية الملائكة كما ياتي ان شاء الله تع وهذا اتا بيان لما سبق وتوضيح فلا يعترض عليه بانه تكرار من غير فائدة انتهى ة

فصل في ذكر

ما يدل على تفضيله صلى الله عليه وسلم في القيمة بخصوص الكرامة اي بما خصه الله به يوم القيمة وتفضله به على سائر الانبيا والرسل وذكرها يدل على ما عقد له بحديث اسنده المصنف من طريق الترمذي فقال حدثنا القاضي ابو علي الشهيد المعروف بابن سكرة وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون السابق ترجمته ايضا وابو الحسين بالتصغير وهو المبارك ابن عبد الجبار هذا هو في اكثر النسخ الصحيحة وفي بعضها ابو الحسن مكبرا والصواب الاول كما ذكره البرهان الحافظ فالحسن ليس بالحسن هنا وهذا الحديث تقدم في اول الكتاب مسندا الى الترمذي بهذا السند قال حدثنا ابو يعلى بفتح اوله وهو احمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر المعروف بابن زوج الحرة كما تقدم في ترجمته حدثنا السنجي ابو علي الحسن بن محمد بن احمد بن شعبة السابق ذكره وضبطه حدثنا ابن محبوب ابو العباس المحبوبي راوي جامع الترمذي عنه حدثنا الحسين بن يزيد الكوفي المعروف بالطحان اخرج له ابو داود والترمذي وقال ابو حاتم انه لين توفي سنة اربع واربعين ومايتين وترجمته في الميزان حدثنا عبد السلام بن حرب النهدي روى عنه الستة وترجمته في الميزان عن ليث بن سليم بالتصغير القرشي الكوفي العابد الزاهد وفيه ضعف يسير لسوء حفظه توفي سنة ثمان وثلاثين ومايه عن الربيع بن انس عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وخرجوا من قبورهم الى الحشر لانه رائسهم وقايدهم يبعث قبل موسى وساير الرسل كما ياتي وهذا الحديث انفرد به الترمذي وقال انه حسن غريب وانا خطيبهم اذا وفدوا اي قدموا على الله وقاموا بين يديه للحساب واصل الوفد الجماعة تقدم الى من لهم فيه رجاء وعنده قضاء امورهم وعطاياهم ولما كان صلى الله عليه وسلم هو الشفيع المشفع في المحشر الماذون له في التكلم وفصل القضاء كان ثمة كالخطيب في المجمع على عادتهم اذ كان لكل وفد خطيب غالبا وهذا انسب هنا من قوله امامهم لا لانه لا تكليف ثمة كما توهم وفيه دليل على فضيلته وانه لم يدهش لهول المحشر وطول موقفه اذا ايسوا من النجاة من شدة ذلك اليوم وهوله اذ ازفت الازفة وبلغت القلوب الحناجر والاياس بتقديم الهمزة القنوط من رحمة الله وروي يئسوا بتقديم اليا على الهمزة وهما لغتان وروايتان لواء الحمد بيدي يوم القيمة ليعرفه ويتبعه كل من في الموقف واللواء معروف وهو لواء حقيقي سمي لواء الحمد لانه حمد الله بمحامد لم يحمده بها غيره وحمد الناس كلهم له ويجوز ان يكون كناية عن شهرته وتقدمه كقوله

اذا ما راية رفعت لمجد ❊ تلقاها عرابة باليمين

فهو اشارة لتقدمه وعظمته وكثرة حمده واسمه الحامدون وهو احمد ومحمد واللواء والعلم والراية

والبند

والبند متقاربة معنى لكن اللواء اكبرها وروى الطبري ان لواء الحمد يحمله علي بين يديه ولعل الاختلاف باعتبار مواطن الحمل فلا مخالفة بينهما وانا اكرم ولد آدم على ربي اي اشرفهم ذاتا وصفة وارفعهم منزلة والكرم صفة بجمع كل خير وان اختصت عرفا بالسخا وهذا تحدث بنعم الله واظهار لما يجب اعتقاده وفي نسخة على ربه والضمير لاكرم او آدم والرواية الصحيحة الاولى ة والولد صفة مشبهة بمعنى المولود يطلق على الواحد وغيره ولا فخر جملة حالية موكدة اي انا لا اذكره للفخر بل للتحدث بنعمة الله او لا افخر بهذا او لي عند الله ما هو اعظم واشرف من هذا مما الله لم الله بسني واجتهاد مني وخبر لا محذوف اي فيه او عندي ونحوه والفخر الافتخار والتبجح بالامر بان يذكره ليظهر على غيره وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن انس في لفظ هذا الحديث وزحر بفتح الزاء المعجمة وسكون الحا المهملة وهو عبد الله بن زحر الافريقي العابد واصل معنى الزحر الصوت والانين ومنه الزحير المعروف في الامعا والعامة تغلط فيه وتقول زحيل باللام وروى عنه اصحاب السنن ولم يترجمه في الميزان واخرج له البخاري في الادب وفي روايته زيادة ومغايرة في اللفظ على الرواية السابقة وهي ظاهرة وفي الاصل بخطه في رواية ابن زحر والربيع بن انس وفي رواية الحر في عنه عن الربيع عن انس وعلى كلا الوجهين المروي عنه انس بن مالك كما قاله التلمساني انا اول الناس خروجا اذا بعثوا كما تقدم وانا قائدهم اذا وفدوا والقائد في الاصل الذي يسوق الدابة بزمام ونحوه ثم صار حقيقة في الرئيس الذي يتبعه الناس ويقتضونه وفي امير الجيوش وجمعه قادة وتقدم معنى الوفد وان المراد القادمون للحشر فالمراد انه مقدم ثمة حسا ومعنى وانا خطيبهم اذا انصتوا اي انا المتكلم بين يدي ربي في امورهم والشفاعة لهم وقد سكتوا ولم يطيقوا نطقا لحيرتهم والانصات والسكوت بمعنى وانا شفيعهم اذا حبسوا في الموقف واضطربوا وفزعوا للانبيا فقال كل منهم نفسي نفسي فيشفع لهم الشفاعة العظمى في فصل القضا وانا مبشرهم بالخلاص من هول الموقف والحبس فيه اذا ابلسوا انقطعت حجتهم وتحيروا وسكتوا ليأسهم من النجاة وقيل الابلاس الحيرة والندم ومنه ابليس لواء الكرم بيدي قريب مما مر لفظا ومعنى وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف على الف خادم في الجنة من الحور العين كانهم لؤلؤ مكنون رواه الترمذي وصححه ومكنون بمعنى محفوظ مستور لم تمسه الايدي فهو كناية عن كونها بكرا اذ بهائه بحيث لم ير مثلها وعن ابي هريرة في حديث رواه الترمذي وصححه واكسى حلة من حلل الجنة اصل معنى الحلة ثوبان من برود اليمن واحدا فوق واحد ثم اطلق على كل لباس فاخر يغطي رعاية للوبه ففيه دلالة على قربه وكرامته اذ كسي وجميع الناس عراة وحفاة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلق يقوم ذلك المقام غيري ذلك في محل نصب على الظرفية وفي مقامه في جانب اليمين في مقام لم يقم فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب من التكريم الدال على غاية القرب وسماع كلامه وقبول رجائه والخلائق جمع خليقة وهو اسم جمع بمعنى جماعة من المخلوقات وعن ابي سعيد الخدري في حديث رواه ابن ماجة والترمذي وحسنه انا سيد ولد آدم يوم القيمة ظرف متعلق بسيد وتقييده به ليس للتخصيص بل لانها سيادة مسلمة له وهي اشرف من سيادة الدنيا والصحيح ان السيد يجوز اطلاقه على الله وعلى غيره والخلاف فيه مشهور على ثلاثة اقوال مشهورة وبيدي لواء الحمد ولا فخر تقدم معناه وما من نبي آدم فمن سواه بدل من نبي اي جميع الانبيا الا تحت لوائي اي تابع لي في القيمة وليس المراد انه تحته حقيقة وعطف من بالفاء لانهم بعده من غير فاصلة والمراد التبعية او الحقيقي وانا اول من تنشق عنه الارض يوم تبعثر القبور وتنشق بقدرة الله وفيه اكرام له ولا فخر تقدم معناه وعن ابي هريرة في حديث صحيح رواه مسلم عنه صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

آدم يوم القيمة اي انا اشرفهم واقربهم عند الله في يوم لا يسود فيه غيري كما مر واول من تنشق
عنه القبر اي قبره الشريف واول شافع ليشفع للناس في الموقف واول مشفع بفتح الفاء المشددة
اي اول من يؤذن له في الشفاعة وتقبل شفاعته وتفصيله ما في حديث البخاري يحبس المؤمنون يوم
القيمة فيقولون استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فياتونا فاستاذن على ربي فيؤذن لي فاذا رايته
وقعت ساجدا فيدعني ما شاء ان يدعني فيقول ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وعن ابن عباس
في حديث رواه الترمذي والدارمي انا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر كما مر وانا اول شافع
في ازالة هول الموقف واول مشفع تسمع شفاعته وتقبل ولا فخر لي فخر تكبر وتبجح فيما خصه
الله به وانا اول من يحرك حلق باب الجنة ليفتح لي ولمن يدخلها بعدي وحلق بفتح الحاء المهملة واللام
ويجوز كسر الحاء فيكون بزنة بدر جمع حلقة بسكون اللام وقد تفتح وتكسر وفي القاموس ليس في الكلام
حلقة محركة الا جمع حالق او هي لغة ضعيفة والمراد بها بالجنة باب مخصوص به يسمى باب محمد وباب
الرحمة ولها ابواب غيره وقيل المراد جميع ابوابها والله الظاهر والظاهر خلافه فيفتح لي بابها فادخلها
وفي رواية وادخلها بالواو فيدخلها معي فقراء المؤمنين ولا فخر ويفتح بالتحتية والبناء للمجهول
والفاتح خزنتها او الموقية والضمير للجنة والفا للتعقيب من غير مهلة في الفتح والدخول والمراد
بالفقراء الفقراء الصابرين وهو شامل للمساكين والفرق بينهما مشهور والخلاف معروف وفي هذا
دليل على ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر وقيل الغني الشاكر افضل والاول اصح ولذا اختار الفقر
كثير من الانبيا والاوليا وانفق ابو بكر ماله في سبيل الله حل في سلكهم والمحمود منه ما كان مع غنى القلب
والنفس بان الغنى ليس بكثرة العرض وانما هو غنى النفس وهو كما قيل

غنى النفس ما يكفيك عن سد حاجة ❊ فان زاد شيئا عاد ذاك الغنا فقرا

وفقر النفس ولو مع المال مذموم ولذا استعاذ النبي منه وكونه اول من يدخل الانبيا في ما ورد في حديث
الترمذي من انه دعا بلالا وقال له يا بلال بم سبقتني الى الجنة فما دخلتها قط الا سمعت خشخشتك
وفي رواية سمعت دق نعليك بين يدي في الجنة فانه كان في رؤيا لا في هذا الدخول وهو كما
قال ابن القيم كان دخوله دخول الخادم والحاجب الذي يتقدم سيده والمطرق في طريق سيده وهو
بيان لفضيلة الاذان وانما ساله وان كان علم به تطييبا لنفسه والمراد بقوله معي ليس المساواة
بل التبعية فلا يقال لا حاجة لقوله معي في الجملة وهي حالية تقتضي المقارنة وانا اكرم الاولين
والآخرين ولا فخر المراد انه اشرف من جميع الخلق وانا اكثر الناس اي الانبيا وكذا روي ايضا
تبعا جمع تابع كخدم جمع خادم يعني ان امته اكثر من سائر الامم ويقتضي هذا الكثرة اجره عليهم وفضله
على كل واحد منهم وعلى جميعهم ايضا وعن انس كما رواه الشيخان انا سيد الناس واجلهم واعظمهم
يوم القيمة خصه مع انه سيدهم في الدنيا والاخرة لظهوره ثمة واختصاصه به ظاهرا من غير منازع
ومنكر كما وقع في الدنيا من المشركين وسياتي تفصيله وتدرون لم ذلك فيه استفهام مقدر اي
اوتدرون ما سبب السيادة وحذف الاستفهام لقرينة جاء من كما صرح جوابه يجمع الله الاولين والآخرين
في المحشر وذكر حديث الشفاعة اي ذكر انس هذا الحديث المذكور فيه الشفاعة بتمامه ولم يذكره لانه سياتي
مع ما مر في الشفاعة واوله اذا كان يوم القيمة ماج الناس بعضهم في بعض فياتون آدم ليشفع لهم
فيقول لست لها الى ان قال فيقول انا لها الخ وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اطمع
اي ارجو من الله طمعا ورجا حققه له كقوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وتعبيره بالطمع
هضما للنفس ان اكون اعظم الانبيا اجرا لان امته اكثر الامم واجر اعمالهم له مثله لان من سن سنة

حسنة

٢٢٨

حسنة له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة واعمالهم مضاعفة وله مثلها ومثل اضعافها فيها
وهو اعظمهم مشقة لعموم دعوته وكثرة من عتا وعاند من الكفرة مع تحمله وصبره حتى قيل له لعلك
باخع نفسك اما ترضون معاشر المسلمين ان يكون ابراهيم الخليل وعيسى كلمة الله فيكم اي
محشورا من جملتكم ومحشورا معكم يوم القيمة فيعد انه من امتي وخصهما بالذكر لان ابراهيم اشرف الانبيا
بعده صلى الله عليه وسلم وهو ابو الانبيا وابو اسمعيل الذي كانت العرب تزعم انهم على ملته ولان عيسى
يبعث آخر الزمان على دينه ويغير احكام النصرانية واما اداة استفتاح كالا او مركبة من همزة الاستفهام
وما النافية والمعنى واحد ثم قال انهما في امتي يوم القيمة اي معدودان منهم اما ابراهيم فيقول
له صلى الله عليه وسلم انت دعوتي وذريتي اما دعوته فقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو
عليهم اياتك الخ جعله عين الدعوة مبالغة اي انت من جعله الله منهم باجابة دعوتي والذرية النسل
والولد يطلق على الواحد وغيره ولا شبهة في انه من نسل ولده اسمعيل ولم يبعث فيهم نبي سواه فهو المجاب
به دعوته واما عيسى اي كونه تابعا له وفي جملة امته يوم القيمة فالانبيا كلهم اخوة اي
كالاخوة في اتحاد امورهم مع الله ومع الخلق والاخوة اما لاب وام ويقال لهم بنو الاعيان او لاب فقط
وهم بنو العلات او لام وهم بنو الاخياف فلذا قال بنو علات المراد بالعلات الزوجات الضرائر وهو من
العلل وهو من الشرب مرة بعد مرة والشرب الاول يسمونه نهلا فكان الزوجات موارد للزوج او كان الاولاد
مشاربهم مختلفة في الرضاع وهذا اقرب والجهتان اشار بقوله امهاتهم شتى وامهات جمع ام واصلها
امهة ولذا جمع على امهات وصغر على امهة وقيل انه في الاصل مضاعف لقولهم امات وامية وقيل اكثر ما
يقال امات في البهائم ونحوها وامهات في الانسان وهو يطلق على الام القريبة والبعيدة وشتى من
الشتات وهو التفرق جمع شتيت كمرضى ومريض اي مختلفة في الذات والنسب فشبه الدين والعقيدة
الحقة التي هي سبب لبقائهم بالاب الواحد لاتحاد اعتقادهم ومعرفة ربهم على طريقة الاستعارة واثبت
لهم الاخوة تخييلا وكونهم بني علات ترشيح وليست الاستعارة تحقيقية كما توهم وشبه فروع الشرائع والا حكام
بالامهات في حفظهم وتعيشهم فهو استعارة مستقلة تحقيقية او ترشيح بناء على جواز التجوز فيه والحاصل
انهم بعثوا متفقين في اصول التوحيد مختلفين في فروع الشرائع وقيل اراد انهم في ازمان متباينة
والاول اولى وان عيسى اخي بكسر همزة ان واقيم الظاهر فيه مقام الضمير والاخوة بمعنى المشابهة
في الرسالة والصفات الحسنة ليس بيني وبينه نبي لانه لم يبعث في الفترة التي كانت بينهما احد
من الانبيا ولما بينهما من المناسبة والقرب زمانا ومتى كان اولى الناس به وهو افعل تفضيل من الولا
والتوالي وهو عدم الفاصل بين الشيئين ثم صار عبارة عن القرب فيقال اولى بمعنى احق واقرب من
حيث المكان او الزمان او النسب والدين كما ذكره الراغب وهو المراد هنا وهذا من حديث رواه البخاري
ومسلم وهو انا اولى الناس بعيسى بن مريم في الاولى والاخرة الانبيا من علات امهاتهم شتى ودينهم واحد
ليس بيننا نبي وهو حديث صحيح روي من طرق فعلم ان ما ذكره الراغب والزمخشري وابن عربي في
فصوصه من انه كان بينهما نبي اسمه خالد بن سنان كان هو وقومه بعدن فخرجت نار عظيمة من مغارة
اهلكت الزرع والضرع فالتجا قومه اليه فاخذ خالد يضرب تلك النار بعصاه حتى رجعت هاربة
الى المغارة التي خرجت منها فقال لقومه انا ادخل خلفها المغارة حتى اطفيها وامرهم ان يدعوه ثلاثة
ايام تامة فانهم ان نادوه قبلها يخرج ويموت وان صبروا خرج سالما فلم يصبروا ونادوه في اليوم الثالث نبي
فخرج وقال لهم اضعتموني واضعتم اجري وامرهم ان يدفنوه اربعين يوما يحضرون فيها فاذا عمت
اتاهم قطيع غنم يقدمه حمار مقطوع الذنب فاذا حاذى قبره نبشوه فيقوم ويخبرهم باحوال البرزخ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومما عاينه يقينا فلما تم الميعاد وجاء القطيع كما قال هم مؤمنوا قومه ان ينبشوا قبره فابى اولاده
خوف العار وان يقال لهم اولاد المنبوش فمنعتهم الحمية الجاهلية على ان ضيعوه فلما بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم جاءت ابنته فقال لها مرحبا بابنة نبي اضاعه قومه غير صحيح وما قيل من ان المراد م
نفي نبي مشرع مبلغ للاحكام يأباه لفظ الحديث فان النبي اعم ولو كان كما قال انه رسول واحسن منه
ان يقال انه كان مستعدا للنبوة ولم يرزق ذلك وكذا ما نقل من انه كان بينه وبينه غيره كلقمان وشعيا
فان مثله لا يعارض حديث الصحيحين كما ذكره الحافظ ابن حجر والبرهان وغيرهما واعلم انه انما خص
هذين بالذكر لان ابراهيم ابو الانبيا واسمعيل كان على شريعته والعرب يزعمون انهم على ملته وعيسى قريب
العهد وسيصير من امته حقيقة وهذا لا ينافي قوله تعالى واوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا كما
توهم لان المامور به اتباعه في التوحيد والعقائد دون غيرهما من الاحكام وليس المراد تقليده بل
مراده انه موافق له فتامل وقوله صلى الله عليه وسلم في الاحاديث السابقة **انا سيد الناس يوم
القيمة** جواب عن سؤال مقدر وهو لم خصص سيادته بذلك اليوم وهي غير مخصوصة به **وهو سيدهم
في الدنيا ويوم القيمة** بل سيد جميع المخلوقات والجملة حالية ولكن اشار بقوله هذا كما تقدم **لانفراده**
عن غيره **فيه بالسودد ذو الشفاعة** العظمى الدالة على عظم قدره عند الله **دون غيره** من الرسل والملائكة
المقربين والسودد بضم السين المهملة وفتح الدال الاولى وقد تضم وبهمز الواو لضم ما قبلها وهي لغة
طي بمعنى السيادة وسيد وزنه فيعل وفعيل ودال الثانية للالحاق **اذ لجا الناس** اي التجاوا
واستندوا للتوسل به وهو تعليل لما قبله **في ذلك** الوقت او ذلك الامر **فلم يجدوا سواه** يشفع لهم
ويخلصهم مما هم فيه من الكرب الذي لا يطيق غيره دفعه **والسيد** معناه لغة **هو الذي يلجا الناس
اليه في حوائجهم** اي يعتمدون عليه اذا قصدوه لقضاء مصالحهم فلذا وقع هنا موقعه اذ المعنى
انا من يقضي حوائج جميع الناس في الموقف ومن هذا ظهر وجه التخصيص آخرا الان هذا تفسير
له بلازم معناه لان معناه من يتبعه جماعة قومه وسوادهم والحوائج جمع حاجة على خلاف القياس
او مفرده حائجة مقدرا او نادر وقد ورد في الاحاديث وكلام العرب كثيرا فصيحا فلا وجه لمن انكره م
كالحريري وقد شنع عليه ابن بري وانشد له شواهد كثيرة وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب قضاء الحاجة
وهو دابه في الدنيا والاخرة ولله در الصرصري في قوله هم

الا يا رسول الاله الذي • هدانا به الله في كل تيه
سمعنا حديثا من المسندات • يسر فؤاد النبيل النبيه
وانك قد قلت فيه هم • اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه
ولم ار احسن من وجهك الـ • كريم فجد لي بما ارتجيه

فكان صلى الله عليه وسلم **حينئذ** اي وقت التجائهم **اليه سيدا منفردا من بين البشر**
اي منفردا عن جميع الناس حتى الانبيا بهذه السيادة **لم يزاحمه احد في ذلك** اي لم يشاركه احد في
كونه ملجا للناس واصل معنى المزاحمة المدافعة **ولا ادعاه** لانكشاف الامر يوم القيمة حتى لا يمكن
احد ان يدعي ما ليس فيه **كما قال تعالى لمن الملك اليوم** يعني انه تعالى يقول يوم القيمة لمن الملك في
هذا اليوم وينادي به مناد على رؤس الاشهاد فلا يجيبه احد فيجيب نفسه بقوله **لله الواحد
القهار** اي الملك مخصوص به ويقول اهل الموقف يعني ان قوله انا سيد ولد ادم اليوم كقوله تعالى
لمن الملك اليوم ووجه الشبه انه خص الملك بذلك اليوم كما خص رسوله بسيادته به والملك له تعالى في الدنيا
والاخرة **لكن** انما خصه بكلمه هذا لانه في الاخرة **انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا** متعلق

بالمدعين

229

بالمدعين يعني ان ملوك الدنيا لما تصرفوا فيها تصرف الملاك بتقديره تعالى ذلك لهم وتفضله
عليهم ظنوا ان لهم ملكا حقيقيا فلما قهرهم بالموت وكشف الغطا ظهر انهم عبيد عاجزون ليس لهم
من الامر شي فانقطعت الدعاوي **وكذلك** اي مثل كونه تعالى منفردا بالملك وظهوره حتى انقطعت
الدعاوي تفرد صلى الله عليه وسلم حتى **لجا الى محمد جميع الناس في الشفاعة** العظمى المعهودة **فكان
في الاخرى** اي الاخرة لانه يقال لها اخرى واخرة وفي نسخة في الاخرة **دون دعوى** احد من اهل
الموقف انه سيد لعدم المانع والمدافع **وعن انس** في حديث صحيح رواه مسلم **اتي** بالمد والهمزة **باب
الجنة يوم القيمة فاستفتح** اي اطلب الفتح بتحريك الحلقة فيقول الخازن اي بواب الجنة الموكل او المولى
به رضوان رئيس خزنتها لانه ورد التصريح بان لها خزنة **من انت فيقول انا محمد فيقول بك امرت**
اي بسببك امرت بالفتح اذا قرع الباب وتقديم الجار والمجرور للحصر بالنسبة لاول الفتح كما اشار اليه
بقوله **لا افتح لاحد قبلك** والجملة مستانفة لبيان ما امر به وقيل انه بدل مما قبله اي امرت فلا افتح لاحد
قبلك وانما فتح له قبل كل احد لسبق … وجه للنبوة وسبق ذاته في الاجابة على سائر الذوات وفيه اشارة
الى انه اكثر الناس عملا واعتقادا او افضلهم لقوله تعالى تلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون **وعن عبد الله
بن عمرو** في حديث رواه الشيخان **قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر** اي مسافة
كل جانب منه مقدار شهر والحوض مجمع الما وهو معروف وهذا الحوض العظيم مخصوص به صلى الله عليه وسلم
كما صرح به القرطبي في شرح مسلم وورد في حديث مرفوع رواه الترمذي ان لكل نبي حوضا ترده امته
ويروى انه صلى الله عليه وسلم له حوضان احدهما في ارض الموقف والاخر بعد الصراط له ميزابان
من الكوثر وقوله وزواياه سواء يدل على انه مربع **وماؤه ابيض من الورق** وفي نسخة من اللبن وابيض
افعل تفضيل من البياض ضد السواد وقد سمع من العرب وورد في الحديث الا ان صاحب القاموس قال انه
شاذ فلا وجه لاطلاق بعض النحاة انه لا يبنى افعل من الالوان ومن العيوب وانما يقال اشد بياضا
وابلغ ونحوه من الورق بفتح الواو وفتح الرا المهملة وكسرها وسكونها الفضة مطلقا او ما ضرب منها
وريحه اطيب من المسك الريح كالرائحة ما يشم ويطلق على الهوا وهو الاشهر ويجوز ارادته ايضا
لان الهوى اذا تكيف بكيفية طيبة كان طيبا ايضا **وكيزانه كنجوم السماء** كثرة واشراقا وكونه
اكثر من النجوم حقيقة لا مانع منه لقوله في الحديث والذي نفسي بيده لانيته اكثر من عدد نجوم السما
لتاكيده بالقسم وقيل المراد المبالغة والكيزان جمع كوز وهو انا صغير يتناول به الما للشرب والاصل
انه انا ضيق الفم له عروة فان لم يكن له عروة فهو كوب وجمعه اكواب فان كان فيه شراب فهو كاس
من شرب منه شربة لم يظما ابدا وروي لن يظما ولا يظما ولا كلام فيه واما هذه الرواية فاستشكلت
بان لم لنفي الماضي والمراد هنا نفي الظما في المستقبل بدليل قوله ابدا المفيدة لاستغراق المستقبل
واجيب بان المراد نفي الماضي كانه لم يذق ظما في الماضي لشدة اللذة التي انسته ما قبلها واما ابدا
فانها تكون لما مضى ايضا كما في التسهيل اقول هذا تعسف فالحق انها لنفي المستقبل بقرينة قوله ابدا وهي
ترد لذلك اذا قرنت للشرط نحو ان لم تحسن الي غدا كان كذا وهو كثير في كلامهم ومن هنا شرطية وفي
معناها وهذا … من قائله ويظما مهموز ساكن الهمزة ويجوز ابدالها الفا اي لم يعطش بعده ابدا قيل
ان لذة المشروب انما تكون بالاشتها وهو انما يكون لمن عطش واهل الجنة منعمون في الماكل والمشرب
واجيب بان المراد انه لا يشتد عطشه وليس بشي لانه قد يشرب من لا عطش للتلذذ كما يشاهد في
حوض الدنيا وروي من يشرب مرفوعا على ان من موصولة ومجزوما على انها شرطية **وعن ابي ذر**
جندب بن جنادة **نحوه** اي روي عنه ما هو بمعناه او قريب منه وان لم يكن مثله **وقال** زيادة على ما …

شبكة الألوكة www.alukah.net

في روايته طوله ما بين عمان الى ايلة اي طول الحوض كطول ما بين هاتين البلدتين وعمان
بضم العين وفتح الميم المخففة وبفتح العين وتشديد الميم وهو المروي في حديث الحوض قرية بالشام
وحكي فيه التخفيف ايضا وهو المراد والتي باليمن بالضم والتخفيف لا غير وقيل انها المرادة هنا والرواية بما
بين بصرى وصنعا والمراد زيادة الطول فلا تعارض الروايات وايلة بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية
ولام وها بلدة بالشام بساحل البحر بين طيبة ودمشق وقيل غزة لا وقيل سميت بايلة بن لوط لانه سكنها وقيل
بايلة بن لبنان من ولد ابراهيم يشخب فيه ميزابان من الجنة بفتح اليا التحتية وسكون الشين المعجمة وضم
الخا المعجمة وفتحها ومعناه انه ينصب مع صوت وروى ابن ماهان يثعب بمثلثة وعين مهملة وموحدة
ومعناه ينفجر ماؤه واصل الشخب ما يخرج من الضرع عند الحلب والميزاب بكسر الميم وهمزة ساكنة وتبدل
يا مسيل الما وعن ثوبان مثله اي مثل حديث ابي ذر وقال اي ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
احدهما اي احد الميزابان من ذهب والآخر من ورق اي فضة وفي رواية حارثة بن وهب
الخزاعي الصحابي المعروف واخرج له اصحاب الكتب الستة كما بين المدينة وصنعا هي بصاد وعين
مهملتين مدينة باليمن والنسبة اليها صنعاني على خلاف القياس وبينها وبين المدينة مسيرة شهر والمراد
عظمه فالروايات كلها بمعنى وبقرب دمشق قرية تسمى صنعا ايضا وقال ابن عمر في حديث رواه الشيخان
كما بين الكوفة مدينة العراق المشهورة والحجر الاسود والروايات متحدة كما عرفته فانها تقريبية لا
تحديدية فخاطب كلا بما يعرفه ولا حاجة الى ان يقال انه وقع الخطاب عند الحجر الاسود كما قيل واصل معنى
الكوفة رمل مستدير او حجارة بيض فسميت بها ثم شرع في بيان ان هذا الحديث روي من طرق كثيرة دالة على
صحته وانه على ظاهره ولهذا ذهب المصنف الى انه متواتر فقال وروى حديث الحوض ايضا كالروايات
المتقدمة انس بن مالك الانصاري الصحابي خادم النبي صلى الله عليه وسلم رواه عنه مسلم من غير الطرق
المتقدمة فلا يقال انه تقدمت روايته ايضا فيقتضي تغايره ما تقدم وجابر بن سمرة بفتح الميم ابن
جنادة الصحابي السوائي وما في بعض النسخ هنا وفي اول الشفا جابر وسمرة قال البرهان صوابه
جابر بن سمرة وكذا هو على الصواب في النسخ مكتوب عليه صح فان صحت الرواية الاخرى فالحديث رواه
جابر بن عبد الله وسمرة الا ان رواية جابر بن عبد الله في مسند احمد واما رواية سمرة فلم اقف عليها
فالثابت رواية ابنه كما في مسلم وغيره وابن عمر وعقبة هو ابن عمر بن الخطاب الصحابي احد العبادلة
وعقبة بن عامر الصحابي المشهور الجهني وحارثة بن وهب الخزاعي الصحابي المنسوب لخزاعة
قبيلة معروفة والمستورد بصيغة اسم الفاعل ابن شداد الفهري نزيل الكوفة ثم مصر الصحابي
وابو برزة الاسلمي نضلة بن عبيد الصحابي الامام الجليل وبرزة بفتح الموحدة وسكون الراء المهملة
وزاي معجمة بعدها ها توفي سنة ستين او اربع وستين وحديثه في الصحيح والترمذي واسلم
قبيلة معروفة وحذيفة بن اليمان العبسي الاشهلي الصحابي صاحب سر رسول الله صلى الله عليه
وحديثه رواه مسلم وابن ماجة وابو امامة ابن صدي بن عجلان الباهلي الصحابي وحديثه اخرجه
الطبراني وامامة بضم الهمزة وزيد بن ارقم الخزرجي الصحابي المشهور وحديثه اخرجه ابن حنبل والحاكم
وصححه وابن مسعود الصحابي المشهور وحديثه اخرجه الشيخان وعبد الله بن زيد الصحابي الذي
راى الاذان في منامه وحديثه اخرجه الشيخان ايضا وسهل بن سعد الصحابي الساعدي منسوب
لساعدة وبنو ساعدة قوم من الخزرج واليه تنسب السقيفة التي كان فيها بيعة ابي بكر الصديق وسويد
بن جبلة بفتحات وهو سويد بن جبلة الفزاري قيل لم تصح صحبته فحديثه مرسل وقيل انه صحابي ولم
يرو عنه الا حديث واحد وقيل لعله سويد بن غفلة ووهم سويد بن عامر وهذا الحديث في سنن البيهقي والاولى

تأخيره

٢٤

تأخيره للاختلاف في صحبته وابو سعيد الخدري الصحابي المشهور وقد تقدم وعبد الله الصنا بجي
بضم الصاد المهملة وفتح النون والف تليها با موحدة مكسورة وحا مهملة وبا نسبة صحابي وقيل نسبة
لجده صنابح وانه عبد الله وقيل ابو عبد الله وقيل ابو عمرو وقيل انه منسوب لصنابح اسم بطن من المعرب
وفي الشرح الجديد لم اقف على من نسب لهذا البطن من الصحابة سوى عسال الصنابحي وان اسمه
صنابح بن الاعسر فلعله نسب لجده وفي التابعين عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي فلعله التبس على القا
قيل صوابه الصنابح وابو هريرة وحديثه في الصحيحين والبرا بن عازب حديثه في الصحيحين ايضا
وجندب بن عبد الله بن سنان البجلي الصحابي وهو بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال وضمها وفي
الصحابة من يسمى جندب غيره ولكنه متى اطلق فالمراد هذا وعائشة ام المؤمنين واسما ابنتا ابي بكر
الصديق رضي الله عنه والحديث في الصحيحين وفي بعض النسخ وابو بكر وعمر بن الخطاب وابن بريدة
مصغر بردة ولبريدة ابنان سليمان وعبد الله قاضي مرو وعالمها وهما تابعيان فلا ينبغي ذكرهما
هنا مع الصحابة وفي مسند احمد رواية حديث الحوض عن عبد الله بن بريدة وقال حدثني به اخي قال
البرهان لعل القاضي اراد بابن بريدة هذا او قال بريدة فزيد عليه ابن ولم ار لبريدة بن الحصيب حديثا
في الحوض في الكتب الستة ومسند احمد ولذا ذكره في مسند البزار وابو بكرة وهو نفيع بن الحارث
كناه النبي صلى الله عليه وسلم به لانه تدلى ببكرة من حصن الطائف لما منع من الخروج وخولة بنت
قيس بن فهد بن قيس الانصارية النجارية الصحابية زوجة سيد الشهدا حمزة بن عبد المطلب وحديثها
في مسند احمد والطبراني وغيرهم من الصحابة وترك المصنف ذكرهم اختصارا فلذا تركناهم اقتدا به
وقد تقدم ان المصنف لكثرة طرق هذا الحديث قال انه متواتر وقيل تواتره معنوي لقول ابن الصلاح
انه لا يكاد يوجد شروطه ه

فصل في تفضيله

على غيره من الانبيا بصفة المحبة والخلة كما سيأتي تحقيقه اي بكونه حبيب الله وخليله جاءت
بذلك الآثار الصحيحة معنى ورواية وقد تقدم الكلام على الاثر والحديث وان الاثر يطلق
على الحديث مرفوعا كان او موقوفا او غيرهما واما تخصيص الفقها الاثر بالموقوف فاصطلاح لهم
ومما رواه الخطيب في جامعه مرفوعا ما جا عن الله فهو فريضة وما جا عني فهو حديث وما جاء عن
اصحابي فهو سنة وما جا عن اتباعهم فهو اثر وما جا عمن دونهم فهو بدعة فهو موضوع كما نص عليه
ابن حجر والسخاوي والمحبة من العبد لله ومن الله لعبده كما قال تعالى يحبهم ويحبونه وهذا مما لا اختلاف
فيه الا ان المحبة ميل القلب لما تلتذ به حواسه الباطنة والظاهرة ولا يتوقف هذا على الصورة
الحسنة كمحبة الصلحا والعلما وغيرهم من اربابا الكمال فهي في حقه تعالى ليست بميل قلب ونحوه بل هي
ارتضاؤه له لاتصافه بالكمال وانقياده لطاعة مولاه وحبه له من طريق العقل لا من طريق الانس
والراحة وهو الذي كمله وحببه ولذا قيل انه عبر عن اللطف بالمحبة ومحبة العبد تعظيمه له بمشاهدة
صفات كماله ومشاهدته لانعامه واحسانه فان القلوب مجبولة على حب من احسن اليها والخلة صفة
الخليل وهو مما يستوي فيه المذكر والمؤنث يقال خل وخليل بين الخلة والخلولة وخليل الله معناه من
اصطفاه وخصه بكرامته لتخلقه باخلاق الله لان الخليل من يخالك اي يوافقك في خلالك
ويسامرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل او يسد خللك ومعنى كون الله خليل عبده انه محب
له قائم باموره محب لا يحوجه لغيره اصلا واختص صلى الله عليه وسلم على السنة المسلمين
بحبيب الله اي جرى على الالسنة تخصيصه بذلك دون خليل الله لاطلاقه على ابراهيم وان كان غيره

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من الانبيا محابا لله انصافا ثم استدل على الخلة اولا بحديث رواه مسندا من البخاري فقال اخبرنا
ابو القاسم بن ابراهيم الخطيب وغيره الامام المقري خلف بن ابراهيم المعروف بابن النخاس بالخاء
المعجمة المشددة ولد سنة سبع وعشرين واربعمائة ومات بقرطبة سنة احدى وعشرين وخمسمائة
يوم الثلاثا سادس عشر صفر والتكنية بابي القاسم جائزة بعده صلى الله عليه وسلم على الصحيح عن كريمة
بنت احمد وفي نسخة بنت محمد وصححها رواية في بعض الشراح وفي الاكمال انها كريمة بنت احمد بن محمد
ابن حاتم المروزية سمعت صحيح البخاري من الكشميهني وروت الحديث وحدثت به كثيرا وجاورت بمكة
الى ان ماتت قالت حدثنا ابو الهيثم الكشميهني وقد تقدم ضبطه وترجمته وحدثنا حسين بن محمد
بن سكرة الحافظ السابق ذكره وهذا سند وطريق آخر للمصنف في رواية هذا الحديث وفي نسخة ح
وحدثنا الخ وح تكتب عند الانتقال من سند الى آخر اشارة الى التحول كما فصلوه في مصطلح الحديث
الحافظ سماعا عليه فهو احد شيوخه حدثنا القاضي ابو الوليد الباجي الذي بيناه سابقا حدثنا
عبد بن احمد عبد بغير اضافة ابو ذر الهروي السابق ذكره حدثنا ابو الهيثم الكشميهني السابق في
الطريق الاول حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف الفربري الامام الحافظ راوي البخاري المشهور كما تقدم
حدثنا محمد بن اسماعيل هو الامام البخاري صاحب الصحيح المشهور حدثنا محمد بن عبد الله هو المعروف بالمسندي
والبخاري عن اربعة كل منهم اسمه محمد بن عبد الله والمراد هنا كما ذكره الكلاباذي وهو عبد الله بن محمد
بن عبد الله بن جعفر بن اليمان توفي يوم الخميس لست بقين من ذي القعدة سنة تسع وعشرين ومائتين ح
حدثنا ابو عامر عبد الملك بن عمرو بن قيس العقدي بفتح العين والقاف ودال مهملة وهو محدث
بصري مشهور اخرج له الائمة الستة توفي سنة خمس ومائتين حدثنا فليح بضم الفاء وفتح اللام ومثناة
تحتية وحاء مهملة بن سليمان العدوي المدني الثقة راوي انس توفي سنة سبع وعشرين ومائة عن
بسر بن سعيد بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة وراء مهملة المدني الزاهد الثقة توفي سنة مائة
عن ابي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري السابق ترجمته عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر هذا حديث صحيح رواه البخاري وغيره من طرق متعددة
ومفعوله الثاني محذوف تقديره خليلا لو حرف شرط لامتناع ما يليه وهو الشرط فانه لم يكن لجزائه
غيره لزم من امتناعه امتناعه والا فلا يلزم فامتنع اتخاذه خليلا غير ربه فيلزم امتناع اتخاذ ابي بكر
خليلا فالمعنى لا اصل في محبة من الخلق الى مرتبة الخلة فانها مختصة بربي فلو فرض جعلها لكان ابو بكر
اليق بها من جميع الخلق لبذله نفسه وماله ووطنه واهله في طاعته وهذا صريح في تفضيله على غيره
وتقدمه عنده فان كان من الخلة بالضم وهي الصداقة والمحبة التي تخللت باطن القلب فالمعنى ان محبته
مقصورة على ربه وان كان من الخلة بالفتح والكسر وهي الحاجة فالمعنى اني ابرا من الاعتماد والافتقار
الى غير ربي وفي هذا الحديث دلالة على ما عقد له الفصل وهو تفضيله بالمحبة والخلة وقد تقدم ما
ما اتفق عليه المسلمون من المحبة وما هنا دال على الخلة وما قيل من انه كان ينبغي للمصنف ان يذكر حديثا صريحا
في اتخاذ الله خليلا وتقدم ما ذكره في آخر الفصل غني عن الرد وفي حديث آخر وان صاحبكم خليل الله
يعني نفسه صلى الله عليه وسلم على طريق التجريد والاحاديث تفيد ان المخالة من الجانبين اذا كان بمعنى
المحبة لا من الخلة بمعنى الحاجة فان الله غني عن العالمين ومن طريق عبد الله بن مسعود التي رواه البخاري
وغيره وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا كما اتخذ ابراهيم ولا يصح ان يراد بصاحبكم ابا بكر كما توهم وفي هذا
دلالة على انه من جانب الله تعالى ودلالة على انه من الجانبين بخلاف ما قبله ولا ينافيه كون ابراهيم خليلا
كما سياتي تحقيقه وعن ابن عباس في رواية الدارمي والترمذي جلس ناس من اصحاب النبي ينتظرونه اي

ينتظرون

ينتظرون خروجه من بيته لمجلس صحابته والجملة حال من ناس لوصفه بالجار والمجرور قال
ابن عباس فخرج النبي حتى اذا دنا قرب منهم سمعهم يتذاكرون اي يذكر بعضهم لبعض
فيتحادثون او يتذاكرون بالتشديد كل منهم لمن عنده ما نسيه فسمع النبي صلى الله عليه وسلم حديثهم
وفسر هذا الحديث بقوله عجبا ان الله اتخذ ابراهيم من خلقه اي من دون خلقه واختاره للخلة من
بينهم اي تعجب عجبا من هذا والعجب يكون من امر فيه غرابة ولا اغرب عند من عرف عظمة الله وغناه
عن مخلوقاته وان كل شي من فضله واحسانه استغرب اتخاذه خليلا من عبيده وهو ابراهيم صلى الله عليه
وسلم وليس فيما تقدم غير ان نبينا كان خليلا لانه كان مختصا بذلك فلا وجه لما قيل انه يرد اختصاص ص
ابراهيم بكونه خليلا على ما مر وقال آخر ماذا اي ليس اتخاذ الله ابراهيم خليلا باعجب من كلام موسى
حين ناجاه في الدنيا وكلمه تكليما مع انه في الدنيا لم يكلم انبياه الا بواسطة ملك الوحي وقال آخر فعيسى
كلمة الله وروحه هذه الفا فصيحة في جواب شرط مقدر اي اذا ذكرتم خليل الله وكليمه وتعجبتم من
ذلك فاذكروا عيسى وكونه كلمة الله وروحه وسمي عيسى كلمة الله لان الله خلقه من دون اب بمجرد قوله
كن او لاهتداء الناس به كما اهتدوا بكلامه وقال الصدر القونوي في نفحاته لكل شي في عرصة العلم
الالهي الازلي صورة حرفية فاذا صبغه الحق بنور الرباني وذلك بحركة معقولة معنوية تقتضيها
شان من الشؤون الالهية المعبر عنها بالكتابة تسمى تلك الصورة كلمة فالموجودات كلماته ثم كما قال
تعالى اليه يصعد الكلم الطيب اي الارواح الطاهرة انتهى ومعنى روحه انه نفخ منه بدون واسطة
تولد فالاضافة للتشريف وقال آخر ممن كان ثمة وآدم اصطفاه الله اي اختاره وجعله صفيه وهذا
كله مما يتعجب منه من لاحظ عظمة الربوبية وانه غني عن العالمين فخرج عليهم فسلم لما ذكر قوله
فخرج اولا ثم اعاده هنا وهو مكرر ولا يصح كونه تاكيدا فيشكل كرره ليناط به غير ما نيط به اولا ويحتمل
ان يكون الخروج الاول من مكانه والثاني من آخر قلت هذا التوهم ان العطف ينافي التاكيد وليس كذلك
فان النحاة ذكروا كما في التسهيل ان التاكيد قد يقترن بالعاطف فالاكثر ان يكون بثم نحو كلا سيعلمون ثم كلا
سيعلمون وقد يكون بالفا وصرح المفسرون بانه قد يعاد اللفظ اذا طال الكلام تذكيرا به وههنا
بحث نفيس وهو ان ما قاله النحاة ينافي ما اتفق عليه اهل المعاني من ان التاكيد لا يصح عطفه لما بينهما
من شدة الاتصال ولان العطف يقتضي المغايرة والتاكيد عين المؤكد والعجب منهم انهم لم يتعرضوا
لما قاله النحاة والمسالة من مسائل الكتاب فان لم يقفوا عليه فهو عجيب وان وقفوا عليه واعتقدوا
خلافه فهو اعجب كما قيل

فان كنت لا تدري فتلك مصيبة • وان كنت تدري فالمصيبة اعظم

وقال صلى الله عليه وسلم قد سمعت كلامكم وعجبكم اي تعجبكم وقولكم عجبا كما مر في اول الحديث
وقد قيل ان سمعت تضمن معنى ادركت او فيه مقدر عامل في الثاني اي وعرفت عجبكم على حد قوله
قلدته سيفا ورمحا • اي واعطيته ولا حاجة لما ذكر لما قررناه ان ان الله اتخذ ابراهيم خليلا
قد صحح في النسخ المعتمدة بفتح همزة ان فهو بدل وفي الشرح الجديد يجوز ان يكون جملة مستانفة
كان سائلا سال عما كلامهم وما تعجبوا منه فاجابهم بقوله ان الله الخ وان يكون مقول قول محذوف
وهو يقتضي ان ان مكسورة الهمزة وهو كذلك اي اتخذه وموسى نجي الله اي كليمه والمناجاة
المكالمة واصل معناه ان يخلو بنجوة من الارض ليساره غيره ثم شاع فيما ذكر وقيل اصله من النجاة فمعناه
ان كلمه بما فيه خلاصه وهو كذلك اي هو نجي الله وكليمه كما ذكروه وانتم وعيسى روح الله وهو
كذلك اي هو روح الله كما قلتم وتقدم بيانه وان الاضافة للتشريف او هو بمعنى رحمه الله وآدم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اصطفاه الله وهو كذلك كما قلتم فان الله اصطفاه واختاره للنبوة والخصائص الروحانية وكونه
ابا البشر الا وانا حبيب الله الا بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح يؤكد به الكلام المستأنف
فيحقق ما بعده نحو الا ان اولياء الله لا خوف عليهم وتدخل على الجملتين ودخولها هنا على العاطف لتحقيق
اختصاصه بكونه حبيب الله واشارة الى ان هذه الصفة اعلى درجة مما قبلها اي من عجب مما وصف به
الانبيا قبل فانا موصوف بما هو اعجب واعلى وهو كوني حبيب الله اي محبوب له فانه فعيل بمعنى مفعول
وما قيل من انه فيه القول بالموجب البديعي كقوله ثم ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله
فانه سلم لهم اخراج الاذل بمعنى غير الذي ارادوه فانهم ارادوا بالاعز غير المؤمنين وبالاذل عكسه وهو
على ضربين كما تقرر في كتب المعاني غير صحيح لانهم لم يقصدوا تفضيلهم على نبينا صلى الله عليه وسلم
ولم يقصد الرد عليهم حتى يقال انه من هذا القبيل باعتبار نفي لازمه ولذا قال التلمساني انه قريب من القول
بالموجب لانه قررهم اولا ما ذكروه من فضائلهم بقوله هو كذلك ثم نبه على انه افضل منهم وقوله ولا فخر
الى قوله وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر تقدم شرحه في حديث آخر فيه خليلها بضم المثناة
التحتية والضمير الثاني للجنة ويجوز فيه الفصل والوصل خلافا لسيبويه للزوم الفصل عنده كقوله
ان الله ملككم اياه ومعي فقراء المؤمنين اكرماهم وفيه اشارة الى ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر
كما مر والجملة حالية وفي حديث ابي هريرة الذي رواه البيهقي وصححه من قول الله تعالى وفي
نسخة في قول الله تعالى والاصح روايته بلفظ من اني اتخذتك خليلا كما تقدم فهو مكتوب في التوراة
اسب حبيب الرحمن قال التلمساني انه وقع هكذا في النسخ المعتمدة من الشفا بهمزة مفتوحة وسين
مهملة ساكنة وباء موحدة وقال الدلجي ان تعرف السين تاما مثناة فوقية وفي بانت وعن التلمساني بقوله
بعد السين جزء اي من خطبة فلم يعتن التكلم فيها وهي هكذا في نسخة المصنف المبيضة المروية عنه
وصحفها بعضهم فكتب انت وهي لفظة عبرانية بمعنى انت قيل حاصله الله يمت لنبينا وصف المحبة من غير
مشاركة فيها والخلة التي شاركه فيها ابراهيم وقد اثبتها لنفسه في آخر خطبة خطبها قبل وفاته بخمس ايام
فقال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه عز اسمه انه كان لي فيكم اخوة واصدقا واني ابرأ الى الله تعالى ان اتخذ
احدا منكم خليلا او تبت لبارحة مفاتيح خزائن الارض والسما وهو تعريض باعلى مقاماته واكمل حالاته
وبين خلته وخلة ابراهيم فرق لان خلته حقيقية اصلية وخلة ابراهيم مستعارة من خلته الذاتية
ولذا قال ابراهيم في حديث الشفاعة انما كنت خليلا من وراء وراء فالخليل غيري وهو محمد صلى الله عليه
وسلم انتهى فهو مختص بالمحبة وبالخلة الحقيقيتين والاتفاق يحبهم ويحبونه ولكل صفة مراتب
فهو مختص باعلاها وسيأتي تحقيقه قريبا وقد قال القاضي ابو الفضل هو المصنف اختلف بالبناء
للمجهول اي اختلف العلماء في تفسير الخلة وبيان معناها واصل اشتقاقها بيان لمحل الخلاف
ومنشئه وفي قواعد الطوفي رحمه الله الاشتقاق اقتطاع لفظ من لفظ يوافقه في حروفه الاصول
كضارب من الضرب والاشتقاق الاكبر رد تراكيب المادة الواحدة المختلفة الى معنى واحد مشترك
بينها وقد يكون ظاهرا في بعضها خفيا في البعض فيحتاج في رده اليه الى المعنى الى تلطف في معرفة
المناسبات انتهى وتفصيل اقسام الاشتقاق وتحقيقه مذكور في كتب ابن جني كالخصائص وغيرها
فقيل الخليل المذكور هنا المنقطع الى الله اي الذي قطع رجاه واعتماده عما عدا الله الذي ليس في
انقطاعه اليه ومحبته له اختلال اي خلل ونقص يحتاج لجبر وتحمل الخلوص فيه وبقيته الذي
لا يحتمل شيئا وتحقيقه ما قاله الامام الراغب انه يقال خل الثوب بالخلال والرمية بالسهم اذ خله فيه
والخلة بالضم الطريق في الرمل وبالفتح الاختلال العارض للنفس لشهوتها او لحاجتها اليه ولذا فسرت

الخلة بالحاجة والخصلة والمودة لانها تتخلل النفس اي تتوسطها او لتوثر فيها تاثير السهم في الرمية او
لفرط الحاجة واي ابراهيم خليل لافتقاره الى الله وقيل من الخلة واستعمالها كاستعمال المحبة وقال ابو القاسم
البلخي هو من الخلة بالفتح لا من الخلة بالضم ومن قاسه بالحبيب فقد اخطأ لانه تعالى لا يجوز ان يحب عبدا فان
محبته الثناء منه ولا يجوز ان يخالله وهذا منه تشبه فان الخلة من تخلل الود نفسه ومخالطته ولذا تعالى
تمازج روحاهما والمحبة بلوغ الود حبة القلب يقال حبيته اذا اصبت حبة قلبه فاذا استعمل في الله
اريد مجرد الاحسان وكذا الخلة فيتجوز في احدهما كما يتجوز في الآخر واما ان يراد بالمحبة بلوغ حبة القلب
وبالخلة حب الخلل فحاشا الله عنه انتهى وفي كلام المصنف دلالة على ان الخلة تستلزم المحبة من تفسيره للخليل
بعلم معنى الخلة التي هي محبة فلا يرد ان اول كلامه في الخلة وما ذكره تفسير للخليل فسقط ما قيل من انه
انما يستقيم على ان الخلة بمعنى الخليل يستوي فيه المؤنث والمذكر لانه مصدر في الاصل وان الكلام في معناه
اللغوي الوضعي الشرعي فتفسيره بالمسكين غير مناسب لانه بيان لحاصل معناه وقيل الخليل معناه
المختص بمن خالله مطلقا فهو الصديق الذي صار من خلص احبابه واصفيائه وتفسيره بانه اختص بحبه
الله واختيار ما كلفه من فعل وترك اقتضاء وفيه قصور واختار هذا القول غير واحد من الائمة المحققين
وصححه الشراح وقال بعضهم اصل الخلة بالضم الاستصفا اي كون محبته ومودته صافية اي خالصة
من الكدر وقيل هو من الصفوة بمعنى الاختيار وهو من لوازم الصداقة ثم فرع على الاقوال قوله
وسمي ابراهيم خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه الموالاة المحبة وفي بمعنى اللام كقوله والذين
جاهدوا فينا اي لاجلنا اي لا يحب الا من احبه الله من المؤمنين اهل الطاعة ولا يبغض الا اهل
المعصية والضلال كقوله لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولذا قالوا
اذا صافى صديق من تعادي • فقد عاداك وانفصل الكلام
وخلة الله له اي لابراهيم نصره على عدوه كنمرود هذا جواب سؤال مقدر اي بمعنى كون ابراهيم
خليل الله فما معنى كون الله خليلا له وجعله اماما لمن بعده لقوله وجاعلك للناس اماما اي
مقتدى متبعا للجميع من بعده لان الانبيا بعده كلهم من ذريته وهذا من تمام نصرته لانه لو لم ينتصر
خالفه من بعده ولذا ذكره معه تابعا او تاكيدا له وقيل الخليل اصله اي اصل معناه الذي وضع
له الفقير المحتاج صفة كاشفة مفسرة المنقطع اي المنفرد عن الناس لعدم اعوانه واخوانه
ماخوذ من الخلة بفتح الخاء وهي الحاجة لاحتياج صاحبها الغير لعجزه عما يقوم باموره فسمي بها
اي لقب بما اشتق منها وهو الخليل ابراهيم فالضمير للحاجة او للفظة المفهوم من السياق والاظهر انه
يتعدى مضافا اي بمشتقها ونحوه لانه قصر بفتح القاف والصاد المخففة والقصر كالحصر بمعنى
التخصيص حاجته على ربه اي لم يكن له حاجة الى غير ربه فلا يؤمل نفعا من غيره ولا يقبله وانقطع
اليه بهمه الهم هنا ما يهتم به المرء ويعتني به ويعزم عليه انه كما قصر حاجاته على الله قصر امله
وعزمه على الله وعلى ما يرضيه ولم يجعل له قبل غيره قيل بكسر القاف وفتح الموحدة واللام بمعنى المقابل
الذي يدرك ويرى فالمراد انه عنده وفي جانبه وانه لم يجعل امله ورجاه في غير الله اي لم يطلب
شيئا من غيره ولم يؤمله اذ جاءه اي جا ابراهيم جبريل وهو في المنجنيق ليرمى به اي وقد وقع
فيه ليرمى به الى النار التي اوقدت لاحراقه وكان لهبها اشد حتى لم يمكن احد ان يدنو منها حتى
يرمي شيئا فيها فصنعوا المنجنيق لالقائه من بعيد وهو بفتح الميم وكسرها آلة لرمي العدو ثم
بحجارة كبيرة بان يشد سواري مرتفعة جدا من الخشب يوضع عليها ما يراد رميه ثم يضرب
بسارية توصله لمكان بعيد جدا وكانت هذه الآلة قديمة قيل وضع النصارى للبارود والمدافع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهو فارسي معرب وقيل وزنه ومعناه قبل التعريب كلام طويل الهم واصله منجي نيك اي
اي ما اجودني وهي مونثة كما قال
لقد تركتني منجنيق ابن بحدل • احيد عن العصفور حين احيد •
والميم زايدة ووزنه منفعل وقال سيبويه فعليل والاستدلال عليه مشهور في النار
التي اوقدت لاحراقه فقال له جبريل الك حاجة عندي من سؤالي اياه بحالك ونحوه
قال اما اليك فلا حاجة لي لقصر حاجته على ربه كما مر وهذا رواه ابو نعيم وقال ابو بكر
بن فورك بضم الفاء وفتح الراء المهملة وكاف ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وقال البرهان
انه صحح في النسخ بالتنوين والصرف لظن انه علم مرتجل وقيل انه عربي معناه الفار ولا يعرف في يعني
اللغة وانما المذكور فيها انه نوع من الظباء ومن قال معناه الفار لعله اراد انه من عجمة الاندلس
وتحريف عامتهم قلت رايت في كتب التواريخ ان ملك الهند ارسل لملك كندي رسولا اسمه فورك
وسالت عنه فقيل معناه غلام حقير وهو يقتضي انه اعجمي غير مصروف وعندي انه يجوز فيه
الوجهان وقد مر فيه كلام لنا وما قلناه زبدته الخلة صفاء المودة وهي المحبة مع التودد وهي
الموانسة والمساعدة وصفاؤها خلوصها بان يوافق الظاهر الباطن كما قال المعري
والخل كالماء يبدي لي ضمائره • مع الصفاء ويخفيها مع الكدر •
التي توجب الاختصاص اي يلزمها اختصاص الواد بمن يوده بان يلازم صحبته واسعافه
بتخلل الاسرار جمع سر وهو ما يخفيه المرء عن غيره وتخللها دخولها في باطنه لاطلاعه عليها
وعلمه بها فلا يخفى عليه شيء من احواله والباء سببية وتفسير الاسرار بتجاويف حباب القلوب
وهو بعيد ومعناه رسوخ المودة في قلبه واعلم ان الفرق بين المحبة والمودة والخلة ان المحبة
ميل القلب لما هو حسن عنده سواء كان حسن صورة او كمالا كمحبة العلماء والصلحاء او اسفاع وانعام
لان القلوب مجبولة على حب من احسن اليها والمودة مواصلة من يحبه والتودد عليه فاذا ازدادت
المودة وخلصت كانت خلة فان قلت حقيقة الخلة اخص من المحبة فتكون افضل فلم قيل ان المحبة
افضل قلت المحبة اعم فقد تكون من غير مخالطة وقرب فلا خلة فيها الا ان المحبة قد تصل الى مرتبة
بحيث يكون الحبيب لا يغيب عن فكره وذكره طرفة عين حتى يصل الى الهيام وذهاب العقل وتبذل
لها الارواح فضلا عما سواه وهذه تسمى عشقا والعشق لا يجوز في الشرع اضافته لله فلا يقال
عشقت الله كما ذكره ابن تيمية وغيره وان وقع من بعض الحكماء والصوفية فان كان مع هذه المرتبة خلة
وتقريب فليس كمثل المحب محب ولا كمحبته حبيب وهذه المحبة هي التي اختص بها نبينا صلى الله عليه وسلم
ليلة الاسرا لما راى الله وشاهد من جماله وجلاله ووصل من قربه لمرتبة لم يصل اليها رسول ولا ملك
وتمت له خلة تقريبه لم ينلها غيره فلم يحتج لغيره ولا سال سواه وعرض عليه مفاتيح خزاين السموات والارض
واعانه الله ونصره نصرة عزيزة وغفر له ما تقدم وما تاخر مع علمه انه لم يصدر عنه زلة واطلعه على
اسراره وحظائر قدسه واي خلة كهذه فلذا كان مخصوصا بانه خليل الله ايضا وقال الخليل انا
خليل من ورا ورا وكرر ورا اشارة الى زيادة قرب بينك والارض والسما فلا منافاة بين اختصاص
ووصف ابراهيم وان اشتهر بذلك لانه اجل صفاته واشتهر محمد بالحبيب لانه بهذا المعنى اجل من
الخليل وهذا من جانب العبد واما من الله فمحبته له بمعنى تقريبه له وانعامه وتعليمه ما لم يعلمه غيره
وتفضيله على من سواه وخلته له اسعاده بخليل هذه النعم وتوفيقه لحمله نصب نصره وتبصيرته
حتى كانه معه في كل حين فاعرفه وقال بعضهم اصل الخلة المحبة يحتمل ان اصل معناها الوضعي

المحبة

المحبة لانها من تخلله في قلبه وروحه ويحتمل ان المراد ان المحبة اساس الخلة ومنشؤها لانها تكون
بعد تحققها ومعناها اي معنى الخلة الوضعي بناء على الثاني وهو الارجح وقيل ضميرها راجع للمحبة
المراد منه الخلة الاسعاف اي الاعانة والنصرة والامداد بكل ما اراد والالطاف اي الانعام
والاحسان قال الزمخشري في شرح مقاماته الالطاف مصدر اما واحدها لطف بفتحتين قال •
كن له عندنا التكريم والالطاف • انتهى ويحتمل انه جمع لطف كقفل وهو التوفيق لفعل
كل خير وتسهيله وكونه بكسر الهمزة تحريف والترفيع باعلاء رتبته بالكمالات الظاهرة والبا طنة
والتشفيع باذنه له في الشفاعة وقبولها وله شفاعات فيشفع في فصل القضاء ولرفع الدرجات
قوم في الجنة ولمن مات بالمدينة كما رواه الترمذي ولبعض المومنين في التجاوز عن سيئاتهم
ولبعض من كان من اهل النار بعدم دخولها واخراجه منها ولتخفيف عذاب بعض الكفرة كابي طالب
لجعله في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه كما رواه البخاري ولابنا في قوله ثم لا يخفف
عنهم العذاب كما قيل وقد بيناه في حواشي القاضي ولقبول شفاعة بعض الانبيا والصلحا وقيل
التشفيع بمعنى التاييد والتقوية من الشفع وقد بين ذلك اي كون المحبة والخلة تقتضي
الاسعاف وما بعده بطريق المفهوم واللزوم في كتابه بقوله قالت اليهود والنصارى الاية
نعذبكم مضارع بمعنى الماضي اي عذبكم في الدنيا بالمسخ والقتل وغير ذلك وهذا برهان
اي لو كنتم ابناءه واحباءه ما عذبكم لكنه عذبكم فلستم كذلك او هو على اصله اي لم نعذبكم في
الاخرة فنعلم منه ان من كان محبوبا لله لا يعذب به ولا يسوءه لاقتضاء المحبة لذلك والعجب
ان هذا مع ظهوره قيل عليه انه لا دليل في الاية لمدعاه وليس فيها على نقض من التسليم الا عدم
مواخذة المحبوب بذنبه على انه ممنوع في احباء الله لان من احبه الله عصمه من الذنوب ويمتحنه
بالمناقشة والابتلا ولا دليل فيها على ان اصل الخلة المحبة وهو مما يقضي منه العجب وقولهم ابناء الله
اي منا ابناؤه وهو المسيح وعزير او نحن اتباع بنيه وقيل انهم ادعوا ذلك لانهم راوا في التوراة
يا ابناء احباي فبدلوها يا ابناء ابكاري فاوجب للمحبوب اي بطريق اشارة النص فهم
ان كل محبوب وخليل يجب ان لا يواخذ بذنوبه اي لا يعاقب بها ويجازى عليها قال ذلك
البعض هذا اسم الاشارة يتخلص به من كلام لاخر فيكون خبر مبتدا مقدر اي الامر هذا او مبتدا
خبره مقدر وقد يذكر كما في قوله هذا ذكر او مفعول فعل مقدر اي خذ هذا وقد يقال ها اسم فعل
بمعنى خذ وذا مفعوله لكن الرسم يخالفه والخلة اقوى من النبوة بموحدة ونون مصدر بمعنى
كونه ابنا متولدا منه ثم بين ذلك لان النبوة قد يكون فيها او فيمن اتصف بها وهو من ظرفية
الصفة للموصوف العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم اي منهم من
يظهر العداوة والعقوق كما هو مشاهد فاحذروهم وخافوا شرهم ولا يصح ان تكون عداوة
مع خلة لان المحبة مضمنها او داخلة فيه او لازمة له وهي ضد العداوة فلا يجتمعان بخلاف
النبوة فانها وان كانت الفطرة تقتضي المحبة لكن قد يتخلف لعارض ويكفي هذا فلا وجه للاعتراض
بان الاصل فيها المحبة والعارض لا يعتد به كما توهم ومن العجب انه ايده بقولهم ان بر الابوة عطوفا
وكم منها تجاوز الله عنه فاذن تفريع على ما قبله تسمية ابراهيم قدم ابراهيم لتقدم زمنه
وشهرته وهو باضافة تسمية وفي نسخة اصله بالضم ومحمد بالخلة اي بما اخذ من الخلة وهو
الخليل او المراد بالتسمية الوصف يجوز اما لانقطاعهما الى الله هذا ناظر لان الخلة الحاجة
اي لاعتمادهما عليه واما المنع الخلق فقط ووقف حوائجهما عليه اي جعلها موقوفة على انعامه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لاكتفائهم بفضله والانقطاع عمن دونه اي الانقطاع اليه وترك غيره والاضراب
عن الوسائط والاسباب الاضراب بمعنى الاعراض والترك يقال اضرب عن كذا اذا امسك
عنه وتركه او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما معطوف على ما تقدم اما اي بان الله اختصهما
زيادة اختصاص به فاغناهما عما سواه كما يعني الخليل خليله وهذا ناظر الى انه من الخلة بالضم
او خفي الطافه عندهما خفي بالخاء المعجمة لان لطفه يكون من حيث لا يدري او بالحاء المهملة اي
زيادة مبالغته في اكرامه لهما يقال احفى به وحفي اذا بالغ في اكرامه وهو مجرور معطوف
على زيادة او ما اضيف اليه والطاف بالفتح تقدم تفسيره وقيل انه بكسر الهمزة مصدر وقوله ما
من او ما خالل اي تخلل ودخل بواطنهما من الاسرار الالهية اشارة الى انه من التخلل كما تقدم
وفي نسخة من اسرار الهيبة بمثناة فوقية ومكنون غيوبه جمع غيب وهو ما لا يدرك
بالحواس الظاهرة او ما سيكون قبل وقوعه وهو من جملة المعجزات ولا يطلع على غيبه الا من
ارتضى من رسول والمكنون بمعنى المستور ومعرفته اي معرفة افاضتها عليهما من علمه اللدني
او معرفة ذاته وصفاته مما لا يطلع عليه كل احد او لاستصفائه لهما اي لاختياره لهما من دون
خلقه وجعلهما صفوة له حتى يستحقا وصف الخلة لانهما خيرة الله من خلقه والمصدر
مضاف لفاعله وقوله واستصفاء قلوبهما مضاف لمفعوله واسم العضو المضاف لمثنى
يجوز افراده وجمعه وتثنيته اي جعل مرآتهما صافية خالصة لكونهما محل الاسرار ومعرفته
عمن سواه بحيث لا يكون فيها غير معرفته وحبه حتى لم يخالطهما اي يداخل في خلالهما حب
لغيره هو نتيجة الاستصفا وما له فارتضاهما وصفى قلبيهما من كل رجس السوى الناشئ من
الطبع البشري ولهذا اي لكون معنى الخلة الانقطاع عما سواه والاعراض عن العوارض البشرية
الخليل من لا يتسع قلبه لسواه لامتلائه بمحبته ومشاهدة جلاله بحيث لا يبقى في قلبه سواه
وسوى مراقبته كما قيل في معناه هـ

• تملك بعض حبك كل قلبي • فان ترد الزيادة هات قلبا •

وهو اي ما ذكر من معنى الخليل ونعته معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث البخاري
ان من امن الناس علي في صحبته وماله ابي بكر ولو كنت متخذا خليلا من الناس غير ربي
ارجع اليه في اموري واعتمد عليه فيما يهمني لاتخذت ابا بكر خليلا لانه اعز اصحابي واقدم
اصدقائي فلو تعلق قلبي باحد كرم لم يكن يتعلق بغيره لما اعرفه من ايثاره على نفسه واهله
لكن اخوة الاسلام وقدم الصحبة الذي هو بمنزلة القرابة العربية النسبية كما قيل

• صحبة يوم نسب قريب • وذمة يعرفها اللبيب •

وهو استدراك على مضمون الجملة الشرطية فنفى الخلة واثبت الاخوة المؤذنة بالمساواة
تفضلا منه فالخلة اعظم من البنوة واخوة بهمزة مضمومة وروي في الاكمال خوة بدون الف
وهي لغة قليلة واختلف ارباب القلوب اي اصحاب القلوب الكاملة الصافية فجعل
غيرهم كانه لا قلب له والمراد به الاولياء وذوي النفوس القدسية وقيل المراد به الباحثين
عن احوال القلوب وقيل المراد بهم اكابر الصوفية وسموا بذلك لنظرهم في العلوم الباطنة دون
ظواهر الالفاظ ايهما اي المحبة والخلة ارفع اي انهما افضل في نفس الامر وعند الله تعالى
درجة الخلة او درجة المحبة وكنى برفع الدرجة عن رفع ما فيها وافضليته والبغد[?] راهو
درجة الخ فجعلهما بعضهم سواء اي الدرجتين او المحبة والخلة متساويتين في الفضيلة

لا تفاوت

٣٤٤

لا تفاوت فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لا يخفى انما يقتضي تلازمهما
لا تساويهما رتبة ودرجة ثم اشار الى جواب سؤال مقدر وهو انهما اذا استويا وتلازما
فلم خص كل منهما بموصوف فقال لكنه اي الله او الامر والشان خص مبني للفاعل او المفعول
ابراهيم بالخلة ومحمدا بالرفع والنصب بالمحبة بان سمى الاول خليلا والثاني حبيبا وهو
امر اتفاقي لمجرد التمييز بينهما ولا يخفى ضعفه وبعضهم قال درجة الخلة ارفع منزلة
وافضل واعلا درجة ويشهد له ان المحبة ماخوذة في معنى الخلة واخص منها لكنه قيل انه
يرد عليه ما تقدم من قوله في مناجاته حيث قال الرسل تغبط فقال يا رب اتخذت ابراهيم خليلا
وكلمت موسى تكليما فقال له الم اعطك خيرا من هذا واتخذتك حبيبا وما في معناه مما
يقتضي ان درجة المحبة ارفع الا ان قوله لو كنت متخذا الحديث يخالفه فالمقام لا يخلو
من الاشكال والجواب ان يقال انما فضله لمجموع ما ذكر في الحديث واحتج هذا القائل
لمدعاه بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري لو كنت متخذا خليلا غير ربي
فلم يتخذه اي غير الله خليلا وقد اطلق المحبة اي وصف بمحبته غير ربه والجملة حالية
لفاطمة الزهراء ابنته متعلق باطلق وابنيها الحسن والحسين واسامة بن زيد بن حارثة
فانه ذكر انه كان يحبه ويسمى حب رسول الله وغيرهم كابي بكر وعمر وعائشة وقد ورد
هذا كله مصرحا به في احاديث صحيحة وقد قدمنا لك ان محبة الله لعبده بمعنى غير محبة العبد
لله ولغيره وان محبة النبي لله بمعنى كونه ليس في قلبه وذكره غيره وانها ماخوذة من حبة
القلب كما قلت

• قد تملكت حبة القلب مني • ولذا سمي الحبيب حبيبا •

فلا ينافي كونه يحب فلانا لانها المطلق الميل ولهذا اسقط الاحتجاج بما ذكر وسياتي ما يؤيده
واكثرهم اي اكثر العلماء وارباب القلوب جعل المحبة ارفع درجة وافضل من الخلة
لان درجة الحبيب نبينا بدل من الحبيب او عطف بيان ارفع من درجة الخليل ابراهيم
فيقتضي ان صفته وهي المحبة افضل من صفته وهي الخلة وفيه انه لا يقتضي ذلك لان
تفضيل الذات على الذات قد يكون لمعنى آخر غير تلك الصفة لا سيما اذا قلنا ان الخلة هي
المحبة او غايتها واصل المحبة الوضعي الحقيقي الميل الى ما يوافق المحب بضم الميم وفتح الحاء
بمعنى المحبوب يقال حبه واحبه بمعنى الا انهم اخذوا اسم الفاعل في اكثر استعمالهم من المزيد
فقالوا محب واسم المفعول من الثلاثي فقالوا محبوب وحبيب وقالوا في غير الاكثر حاب
ومحب بالفتح كقول عنترة في معلقته هـ

مني بمنزلة المحب المكرم •

فراعوا كلا منهما والمراد بما يوافقه ما يرتضيه ويميل اليه فيحب ما يحبه ويبغضه ويترك
لاجله مراد الله والمراد بالميل ميل قلبه ولذا قال ولكن هذا المعنى يكون فيمن يصح الميل
القلبي اي المحب لا المحبوب والعكس جائز وجزم به بعضهم منه والانتفاع بالوفق بفتح
الواو وسكون الفاء قبل القاف اي الموافق فسمي الفاعل بالمصدر او هو على اصله بمعنى
الموافقة بين الشيئين وهذا الاخير خبر وهو درجة المخلوقين وهي راجع الى المحبة بمعنى
الميل القلبي ممن يصح منه او انث باعتبار الخبر فيرجع للميل والدرجة مجاز عن الصفة واما
الخالق جل جلاله فهو منزه عن الاغراض بغين معجمة وراء مهملة وضاد معجمة والميل بمعنى
ترجيح شيء وتعلق همه على غيره لغاية غرض وعلة الفعل لا يجوز على الله ولذا ذهب اكثر
الاصوليين الى ان افعاله لا تعلل بالاغراض لانه يقتضي استكماله بغيره وهو منزه اما بمعنى

الألوكة www.alukah.net

الثمرات والفوائد المرتبة على الفعل فلا يضر وخالفهم بعض المحققين وقال النصوص تدل
على خلافه والاستدلال عنده غير مسلم وقد بسطنا الكلام عليه في غير هذا الكتاب وفي نسخة
الاعراض بعين وليس جمع عرض بمعنى فرص وزنته كما قيل بل بمعنى الكيفيات النفسانية الحادثة
والمثل منها وفي نسخة الاعتراض ولا مناسبة لها هنا الا بتكلف واذا كانت المحبة بهذا المعنى لا تليق
برب العزة فمحبته اي الله لعبده تمكينه من سعادته اي اقداره على ما يفيده سعادة الدارين
بتوفيقه لطاعته وعبادته وعصمته من ارتكاب الذنوب ويجوز رفعه وجره عطفا على تمكين وسعادة
والعصمة معناها الحفظ وتوفيقه في اموره بجعلها على وفق رضاه ويجوز رفعه وجره ايضا وتهيئة
اسباب القرب لتهيئة بزنة تكرمة بتاء مثناة بعد الهاء وهمزة وها تانيث مصدر هياته اذا جعلته
حاضرا سهل التناول اي تيسر الله له كل سبب يقربه الى ربه من صلاة وجهاد ومعرفة ونحوها وافاضة
رحمته عليه اي ايصال الخيرات الدنيوية والاخروية اتصالا كثيرا متواليا فشبه الرحمة بالماء واثبت
الافاضة بمعنى الصب بكثرة على طريق المكنية والتخييلية وقصواها بضم القاف وسكون الصاد
فعلى من قصاه اذا ابعده والمراد غايته والضمير للمحبة المفسرة بتمكينه وما بعده وذكر الغاية لان
صفاته تع التي لا تليق به توصف باعتبار غاياتها او غاية المحبة كشف الحجب بضمتين جمع حجاب اي ازالة
الموانع عن قلبه كالشواغل الدنيوية حتى يراه بقلبه اي يعلمه علما يقينيا كالمشاهدة المحسوسة
وينظر اليه ببصيرته وهي قوة للقلب كالبصر يدرك بها ما يتوجه اليه كما قال اي الله والرسول
الناقل له في الحديث الذي رواه البخاري فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره
الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وهو حديث
قدسي طويل ومعناه اذا صفا قلبه وسهل نفسه احبه الله ومحبة الله تقدم انها عنايته ولطفه به
وافاضة نعمه على ظاهره وباطنه فيكون حواسه وادراكها واعضاؤه وحركاتها كلها متوجهة لله ه
ولما فيه رضاه من غير تصنع ومشقة فيقربه على ذلك حتى يكون كان افعاله صادرة عن الله والى
هذا اشار المص بقوله ولا ينبغي ان يفهم بالبنا للمجهول اي لا يفهم احد من هذا الحديث والكلام
سوى التجرد الى الله اي تجريد افعاله واحساسه عما يشغله عن الله والانقطاع اليه بترك
غيره واخراجه عن فكره ونظره والاعراض عن غير الله حتى يصير مراقبا له في جميع احواله وصفاء
القلب بحيث لا يكون في فكره غيره فيصفو من كدر الاوهام ودنس الخلق واخلاص الحركات
لله بان لا يحرك عضوا من اعضائه الا لعبادته او لما يعين عليها كما قالت عائشة كما تقدم كان
خلقه القرآن اي اخلاقه كلها على وفق ما امر به في القرآن فجعلت القرآن عين خلقه مبالغة والى
هذا اشير قولها برضاه يرضى اي يرضى ويحب ما ذكر في القرآن انه فعل مرضي لله من واجب
ومندوب ومباح يقصد به ما يصيره قربة وبسخطه بفتحتين وضم فسكون يسخط اي يكره ما
ما ذكر فيه ان الله يكرهه من كل حرام ومكروه وخلاف الاولى وقدم الجار والمجرور للحصر فلا يرضى
الا ما يرضاه ولا يكره الا ما اباه والحاصل انه صلى الله عليه وسلم اخلاقه الطبيعية اضمحلت
وذهبت لما شق قلبه فلم يبق له ارادة لغير ما يريده الله ولا يرضى لغير ما يرضاه ولا يخفى ارتباط
هذا بما قبله من قوله كنت سمعه وبصره فاعرفه ومن هذا اشارة الى ما سبق في اول كلامه من معنى
الخلة قبل ذكر الخلاف فيها وماخذ اشتقاقها عبر بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني • وبذا سمي الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت حديثي • واذا ما سكت كنت الغليلا

وفي رواية

وفي رواية كنت الدخيلا يعني ان الشاعر عبر عن معنى الخلة بناء على انها من التخلل فانها تخللت
باطنه وتجري مجرى الروح الجسمية السارية في البدن سريان ماء الورد في الورد بناء على احد الاقوال
فيها لا على انها مجردة خارجة عنه ومتصلة او بناء على انها لطيفة نورانية في احد طاقتي القلب بها الحياة
والاحساس ومسلك منصوب على الظرفية بتخللت المضمن معنى واسند التخلل اليه مبالغة والمراد
تخلل محبته ومودته في مسالك روحه او في قلبه الذي هو مقرها بحيث لا يكون فيه سواه كما مر
ثم فرع على انه ليس في روحه وقلبه غيره انه اذا تحدث لم يذكر غير محبوبه وخليله واذا سكت لم يكن في
فكره وقلبه غيره فالمراد بالغليل بالغين المعجمة ما كان داخل القلب من قولهم تغلغل الماء وتغلل بين
النبات اذا جرى تحته مستترا وكذا المراد بالدخيل ما هو داخل القلب والبدن لا الاجنبي كما في قول
السكاكي ليس الدخيل كالناشئ هذا ما قصده الشاعر واشار اليه المص وان كان ظاهره الشعر على تفضيل
الخلة على المحبة فالمراد بالخليل فيه كل متصف بالخلة لا ابراهيم كما قيل فانه لا يصح هنا وليس المراد
بالغليل حرارة العطش اي كنت لعدم ذكري لك مضمرا حرارة في قلبي عطشا لعدم ذكرك فاذا زاحة
الغم وراحة النفس بذكر الاحبة وما زائدة في الشعر والدخيل بدال مهملة وخا معجمة ومن العجيب
قوله في الشرح الجديد ان المعنى اذا سكت كتمت حبك في قلبي كما يكتم الحقد والضغائن فالمراد بالغليل
الحقد والضغائن ولا يستقيم الا على الاستعارة فانه تعسف لا ينبغي ذكره فاذن تفريع لجواب
سؤال متفرع على ما سبق مزية الخلة اي فضيلة الخلة وفي شرح العلامة انه لم يبين له فعل
وبرده وقوله في الاساس تمزيت عليه اذا زدت في الفضل عليه وخصوصية المحبة بفتح الخاء وضمها
بمعنى اختصاصها عبر في الاول بالمزية اشارة الى ان الخلة وان تشارك فيها النبي والخليل فهي مختصة
بنبينا باعتبار معنى زائد فيها لا اشتمالها على المحبة المختصة معنى ولفظا فانه لم يطلق على الخليل
حبيب الله كما مر وان كانت محبته شاملة لهما بل لغيرهما كما قال تع فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
الا ان هذا غير المحبة المختصة كما مر تحقيقه وكما ان المحبة من الجانبين فكذلك الخلة فانه يقال حبيب
الله والله حبيبه كما يقال خليله خلافا لمن توهم ان الخليل لا يطلق على الله لحديث لو كنت متخذا خليلا
غير ربي وهذا تبيين نكتة تعبيره بالمزية والخصوصية حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم
وفي نسخة خالصة اي مختصة وكان الظاهر ان يقول حاصلتان لكنه افرد لجعلهما كالشي الواحد
بما دلت عليه الاثار الصحيحة الباء للتعدية متعلقة بحاصلة ويجوز ان تكون سببية ه
والمراد بالاثار الاحاديث التي تقدمت كقوله لو كنت متخذا خليلا غير ربي الخ وقوله الا وانا
حبيب الله المنتشرة الشائعة المتلقاة بالقبول من الامة ذكر شهرته والقبول له تقوية لاختصا صح
وزيادته على غيره من الرسل ثم استشهد له بنص القرآن فقال وكفى بقوله قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله الاية الباء زائدة في فاعل كفى او للتعدية وكفى بمعنى اكتفى كما هو مشهور
ووجه الدلالة في هذه الاية انه لما جعل من اتبعه محبوبا لله علم انه محبوب عند الله محبة ليس فوقها
محبة ومقربا تقربا لا يدانيه احد فيه فعلم منه خلته وحبه وانما قال المص وكفى الخ ومن لم يفهم
مراده قال هذا لا يدل على مدعاه لانه علق محبته على اتباعه فيما جاء به من الشرائع وتصديقه وذلك
محبوب لله وانما يدل لو علق محبته على محبتهم للرسول فقال ان كنتم تحبون الله فاحبوا الرسول
حكى اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت لما قال الكفار انما يريد محمد بقوله لنا اتبعوني
يحببكم الله ان نتخذه حنانا بفتحتين مخفف النون معناه الرحمة والاشفاق ماخوذ من الحنين
وهو ما يكون مع صوت والمراد انه نعطف عليه ونجعله موضع الحنان والرحمة اي نتبرك ونتضرع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

به وقد تقدم الكلام فيه كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم حنانا ومعبودا يتقربون بعبادته
الى الله فانزل الله غيظا لهم مفعول له اي انزل الله ليغيظهم ويعلمهم بغضبه عليهم فان الغيظ
الغضب على العاجز ورغما على مقالتهم بتثليث الراء المهملة وسكون الغين المعجمة والميم وهو الذل
والخزي والاساءة بما يكره واصله كل مؤذ يصيب الانف ولذا يقال رغم انفه وعلى رغم انفه م
وضمنه معنى التبكيت والتقريع فعداه بعلى والمال الى انه اذلهم بتوبيخهم ورد مقالتهم هذه
الآية مفعول انزل قل اطيعوا الله والرسول ثم بعد ما بين سبب النزول من انكارهم جعل اتباعه
سبب محبة الله لهم وتقربهم به الى الله ذكر الاية وانها ابلغ من الاولى واشمل لان الاولى لا تقتضي
لزوم اتباعه فانه لم يتقرب اليه بالنوافل وعب فاعلها والامر بطاعته يقتضي الوجوب واقترانها
بطاعته يدل على تاكيده مع تعظيمه وتشريفه كما دل عليه قوله فزاده شرفا بامرهم بطاعته وايجابها
عليهم وقرنها بطاعته اي الرسول صلى الله عليه وسلم زيادة في تشريفه والاتباع وان كان
عين الطاعة او لازمها فليست امروا بها ومن غفل عنه قال هما سواء الا ان هذا فيه التصريح بالطاعة
ثم توعدهم على التولي عنه بالاعراض عن طاعته وهو عدمها بقوله فان تولوا فان الله لا يحب
الكافرين كان الظاهر ان يقال فان الله لا يحبهم فوضع الظاهر موضع المضمر وعلقه بالمشتق
الذي هو علة الحكم فكانه قال لا يحبهم لانهم كفروا بالله سواء كان تعريفه للاستغراق او العهد
فهذه الاية اصرح وادل على وجوب طاعته وعلو مرتبته على غيره من الانبيا كعيسى وقد نقل
الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول هذه
الجملة صفة قوله كلاما فاشار الى انه لم ينقله لطوله ثم استانف فقال جملة اشاراته ترجع الى تفضيل
مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه اي من كلام بن فورك طرفا بفتحتين اي بعضا قليلا يهدي
اي يدل على ما بعده اي ما فيه فالتعدية غير مرادة لانه مجاز فمن ذلك قولهم اي قول المتكلمين
الذي نقله بن فورك عنهم الخليل يصل الى من خالله بالواسطة اي بتوسط آخر بينه وبين خليله
كما بينه قوله يصل به الآتي ثم بين ان هذا المعنى ماخوذ من قوله عز وجل وكذلك نري ابراهيم
ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فوصل لمعرفة ربه بواسطة ما رآه من آيات
ملكوته التي وصلته لمعرفته والحبيب يصل لحبيبه به اي هو دال على نفسه بنفسه من غير واسطة
لغيره وهذا ماخوذ من قوله فكان قاب قوسين او ادنى فرآه عين اليقين كما تقدم هذا وان
كان المصنف ناقلا والعهدة فيما نقله على قائله الا ان هذا غير ظاهر لانه ان اراد بالوصول الوصول
الى الله برؤيته وسماع كلامه من غير واسطة فالاية لا مناسبة لها بما ذكر وان اراد الوصول
الى مشاهدة الله ومعرفته فكذلك ثم انه لا يتم الفرق لانه ان بين مفهوم المحبة فاذكر لا يدل عليه
بل ليس بصحيح وان اراد بين ذاتي من قال فانه لا يفيد شيئا مما نحن فيه ثم انه مبني على القول
بان ابراهيم لم يعرفه قبل هذا الاستدلال بناء على جواز مثله على الانبيا مطلقا وقبل البلوغ مع ان
المحققين على انه ورد على طريق الجدل مع قومه الذين كانوا يعبدون الكواكب وبالجملة فهذا كلام
غير منقح وقيل الخليل الذي تكون مغفرته اي مغفرة الله له لما قد يصدر عنه مما يحتاج العفو
عنه في حد الطمع اي واقعة في حال يطمع صاحبها في التجاوز عنها لان الخليل لا يواخذ
خليله بزلاته واصل معنى الحد الحاجز بين شيئين والمحيط به كحدود الدار فاستعير للحال المميزة
له والمقتضية لتحققه من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين اي قول ابراهيم
في قصته مع قومه هضما لنفسه وتعليما لامته والا فهو معصوم والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين

اي متيقنة

اي متيقنة وهذا ماخوذ من قوله اي قول الله لمحمد حبيبه صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر اي كل ما صدر عنك وما لم يصدر مما هو بالنسبة لمقامك قد يقتضي وفي الاية
اشارة الى انه لم يصدر منه اذ سوى المتقدم بالمتاخر في عدم الوقوع ولذا لما نزلت مرجعه من
الحديبية وقال نزلت علي آية احب الي مما على وجه الارض والكلام على الاية مبسوط في التفسير وقد
تقدم طرف منه ايضا ثم ذكر فرقا آخر قريبا من هذا فقال والخليل قال ولا تخزني يوم يبعثون اي لا
تفضحني ولا تعذبني في يوم القيمة وقد قيل انه ورد في الحديث ان ابراهيم اذا راى اباه في المحشر يقول
يا رب وعدتني ان لا تخزني فيمسخ الله آزر ذيخا بذال معجمة وشاة تحتية وخاء معجمة وهو ضبع ذكر
فيقال له انظر لما تحت قدمك فيراه فينكره ويلقى في النار فتحول صورته حتى لا يعرفه الناس حين يلقى
في النار فيفتضح بين امته قيل ومنه يعلم ان ابوي النبي صلى الله عليه وسلم ليسا في النار وفيه ما ستاتي ⊙
والحبيب اي نبينا صلى الله عليه وسلم يوم لا يخزي الله النبي فابتدي بالبشارة بنفي الخزي عنه
بن رؤيته ما يكره قبل السؤال لذلك كما ساله غيره منهم والخزي ليس هو العذاب كما في قوله ربنا انك
من تدخل النار فقد اخزيته وانما هو الفضاحة بكل مؤلم له او لامته كالعتاب فلا يقال ان الله امنه من
غضبه وعذابه فما فائدة البشارة بعد هذا ثم ذكر فرقا آخر فقال والخليل قال في المحنة هي والامتحان
بمعنى الابتلاء والمراد بذلك قصته مع نمرود حين القاه في النار فكانت عليه بردا وسلاما وقال
حسبي الله اي هو كاف لي في جميع اموري والحبيب وهو نبينا صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي حسبك
الله يعني ان النبي قال ذلك طالبا كفاية الله له وهذا قاله الله له فتكون كفايته له محققة مقررة بخلاف
الاول كما ستسمعه قريبا والخليل قال واجعل لي لسان صدق اي ذكرا جميلا صادقا بغير ادنى الاله
عما يصدر منها لمجازاته في الآخرين اي في الامم الآتين من بعدي الى يوم القيمة فهو طلب ودعا اجابه الله
فما من امة الا وهي تثني عليه وتحبه والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اي جعلناه عاليا شريفا
لما تضمنه من الثنا مقرونا باسم الله في الصلاة والخطبة والاذان وغيرها اعطي الحبيب بلا سؤال
منه وهذا بيان لمرتبة الحبيب كما نبهناك عليه اولا والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
اجنبني جنبني بمعنى بعدني واحفظني بعدا حسيا ومعنويا بان لا يصدر منهم ذلك وقد اجاب الله دعاءه لان
المراد بنو صلبه وفيهم انبيا عصمهم الله وانبيا حفظهم والحبيب قيل له اي قال الله له انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس هو كل مستقذر حسا او طبعا او عقلا او شرعا اي الله كرمكم بان حفظكم من الذنوب
وما يدنس الاعراض وقال يريد ليذهب ولم يقل اذهب مع انه اخصر اشارة الى انه قضى لهم بذلك في الازل
وفي عالم الارواح والذر اهل البيت منصوب على المدح او النداء والمراد اهل بيت النبوة فيشمل
اولاده وزوجاته واتباعه واقاربه ولا يختص بعلي وفاطمة والحسنين كما زعمته الشيعة وهذا ابلغ مما
في حق ابراهيم بوجوه لاختصاصه بنفي عبادة الاصنام وهذا عام في كل ذنب ونقص وذاك خاص
بجنسه وهذا شامل لكل من شمله بيته كما سمعته آنفا وبالغنه في تطهيرهم بقوله ويطهركم تطهيرا ⊙
ولا يخفى ان كل ما نقله بن فورك انما يدل على شرف النبي وزيادة علو رتبته على غيره ولا علاقة له بين
المحبة والخلة لا سيما الايات لم يذكر فيها بعنوان لفظ الحبيب وفيما ذكرناه من تفسير الخلة والمحبة واشتقا فيما
والخلاف في ايهما ارفع درجة تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال المقصد مصدر ميمي بمعنى القصد
او هو بمعنى المقصود لان مفعل ياتي بمعنى مفعول كركب وان كان نادرا او هو مجاز من المصدر او من
اسم المكان باستعارة منه استعارة مصرحة اصلية من تفضيل المقامات والاحوال بيان للمقصد
والمقامات جمع مقام وهو محل القيام وبضمها الاقامة وجمعه جمع المؤنث لاطراده فيما لا يعقل كجمادات

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وتجلات والمراد بالمقام هنا امر يكون عليه العارف بالله من الانبيا والاوليا من تنزه به من
خصيص البشرية في درجات العبودية حتى يرتقي الى المقام الاعلى وما يطرو عليه هو المراد بالاحوال
وليس بمعنى واحد هنا كما قيل وقيل المقام الصفات الثابتة والاحوال الصفات الزايلة وهو قريب
مما قلناه والظاهر ان المراد بقوله ما ذكرناه ما لخصته من كلام بن فورك وهو جواب عما تقدم من ان
هذا لا يدل على بيان الخلة والمحبة الذي هو بصدده فاشار الى انه وان تعلق بذات الحبيب والخليل
فالمقصود بيان تفاوت وصفيهما فيرجع ماله الى بيانهما فان منهم من يسلك مسلك التصريح ومنهم
من يقصد الايما والتلويح **وكل يحمل على شاكلته** بمعنى بجبيته وجبلته وهي كما قال الراغب ماخوذة
من الشكال وهو قيد تقيد به الدابة لانه قيد لنه وذلك لان سلطان السجية قاهر لصاحبه ومنه
شكل الكتاب يقال شكلت الخط كما يقال قيدته واشار بقوله **فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا**
اي الله اعلم من طريقته اقوم واكثر ايصالا الى الحق وارشادا للهداية يشير الى ان الخلاف السابق
في تفضيل الخلة والمحبة مبني على امور نظر اليها كل من الفريقين فكانه لم يجزم باحدهما لان الخلاف
كالفظي وقد قيل ان غاية ما ذكره بن فورك تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على ابراهيم في حد ذاته
من غير نظر لما جعلوه علة من تفضيل الصفة على الصفة والحق تفضيل الخلة كما ذكره ابن قيم الجوزية
وقد علمت ما فيه وقد رسنا لك ما يغني عنه والله الموفق

فصل في تفضيله

صلى الله عليه وسلم برفعة مقامه على غيره **بالشفاعة** اذ كان تعريفه للعهد والمراد الشفاعة
العظمى في المحشر التي يخلص الله بها اهله من هوله وكربه فتولد **والمقام المحمود** عطف تفسير والا
هو من عطف الخاص على العام والمقام المحمود كل مقام يتضمن كرامة تحمد ولكنه خص هنا بفرد
معين من افراده اختلف فيه كما قاله البرهان نقلا عن القرطبي على اقوال فقيل هي الشفاعة
العامة البالغة وقيل اعطاه لوا الحمد وهو لا ينافي ما قبله وقيل هو ان يجلس مع الله على الكرسي
وهذا مما نقل فيه حديث طعنوا فيه ومنهم من اوله وقيل هو شفاعته لاخراج بعض اهل النار
منها وقيل هو شفاعته رابع اربعة اذ يقوم روح القدس جبريل عليه السلام ثم يقوم ابراهيم ثم يقوم
موسى او عيسى ثم يقوم صلى الله عليه وسلم فيشفع ولا يشفع احد بعده في اكثر مما شفع وبه
بشر الامة وقيل هو مقام يكون اقرب فيه من جبريل والشفاعة ثابتة له بالاجماع الا انها عند اهل
السنة لاصحاب الكباير لحديث شفاعتي لاهل الكباير من امتي وعند المعتزلة لزيادة الثواب
لا لدرء العقاب والكلام عليه مفصل في كتب الاصول وكونه محمولا على ظاهره او اسناده مجازي
اي صاحبه محمود **قال الله تبارك وتعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا** استشهد
بالاية على ما قاله وقد علمت ما فسر به ومقاما منصوب على الظرفية بحذوف اي يقيمك مقاما
او بتضمين يبعث معناه او هو حال بتقدير ذا مقام والوجه الثالث وهو جلوسه مع الله
على الكرسي والعرش قال الواحدي انه قول فاسد مبني على التجسيم وبين فساده بوجوه منها
ان البعث هو الاثارة والاقامة والجلوس ضده فكيف يفسر به وايضا هو يقتضي التحديد والتناهي
المستلزم للحدوث وايضا انه قال مقاما ولو كان كذلك قال مقعدا ومثله لا يدل عليه البعث
ورد هذا بانه رواه احمد من طرق شتى ومثله من المتشابه كقوله الرحمن على العرش استوى وقد
صححه الدارقطني وقال ردا على منكره

حديث الشفاعة عن احمد • الى احمد المصطفى نسنده •
وجا الحديث باقعاده • على العرش ايضا ولا نجحده •

اتى والحديث على وجهه • ولا تدخلوا فيه ما يفسده •
ولا تنكروا انه قاعد • ولا تنكروا انه يقعده •

بجلوسه صلى الله عليه وسلم لا امانع منه واما نسبته ذلك لله وقوله انه معه فليس المراد ظا
وامثاله مما اوله وهي كثيرة مشهورة وعسى للترجي ومعناها وعملها مشهور في كتب النحو
ومعنا الترجي في المحبوب والاشفاق في المكروه والترجي منه صلى الله عليه وسلم ظاهر
ومن الله فالوا انه ايجاب اي جزم بوقوعه اذ الله لا يجب عليه شي كما تقرر في الكلام **حدثنا** وفي
نسخة اخبرنا **الشيخ ابو علي الغساني الجياني** شيخ المصنف وغسان اسم ماء في الاصل سمي به
قبيلة من اليمن نزلت عليه وجيان بالجيم المفتوحة وتشديد المثناة التحتية بوزن شداد بلد
بالاندلس منها ابن مالك وابو حيان **فيما كتب الي بخطه** اشارة الى ان هذا الاخبار ليس بالمشا
اي اخبارا كاينا في ضمن امور اخر واحاديث كتبها له والكتابة نوع من التحمل والاجازة لها حكم
الاتصال عند كثير من المحدثين واهل الاصول كالسمعاني وصاحب المحصول ووقع في الصحيح
سوا كان كاتبه حاضرا او غايبا بشرط ان يعرف خطه حدثنا سراج بن عبد الله القاضي
السابق ذكره وترجمته **حدثنا ابو محمد الاصيلي** الذي تقدم الكلام عليه وعلى نسبته
قال حدثنا ابو زيد المروزي وقد تقدمت ترجمته وابو احمد محمد بن محمد بن يوسف بن مكي الجرجا
قال حدثنا محمد بن يوسف السابق ترجمته الفربري **حدثنا محمد بن اسمعيل** هو امام السنة
صاحب الصحيح البخاري وقد تقدم **حدثنا اسمعيل بن ابان** ابو اسحاق الوراق الازدي
الكوفي وابان بفتح الهمزة وتخفيف البا علم منقول تردد في صرفه وعدم صرفه بعضهم
واجاز بعضهم فيه الصرف وعدمه وسبب الخلاف فيه ان منهم من قال وزنه فعال
فيتعين صرفه وقيل انه منقول من ماضي ابان يبين وجزم به ابن مالك وصاحب التوضيح
وقال القرطبي المحدثون والنحاة على منع صرفه ونقله بن يعيش عن الجمهور وبنا على ان وزنه
افعل بمعنى اوضح فاعل على خلاف القياس وابقي على اصله فانه دفع قول الدماميني لو كان كذلك
وجب تصحيحه لان افعل الاجوف الوصفي لا يعل وفي شرح مسلم انه يجوز فيه الصرف
وعدمه والصحيح صرفه كما في جامع اللغة وبه جزم ابن السيد اقول عدم صرفه تعسف
وقد تتبعت كلامهم فوجدته مصروفا فيه كقول ابن عطا الخطابي

• اتعرف مسجد النبي تميم • فوبني التلدون بني ابان •

وقول مهلهل

• لهف نفسي على عدي ولم • اعرف عديا اذ امكنتني البنان •
• طل من طل في الحروب ولم • اعرف فتيلا اباوه من ابان •

الى غير ذلك مما لا يحصى فلا وجه للتردد فيه ولذا قال بعض ايمة اللغة من لم يصرف ابان فهو اتان
وهو امام ثقة توفي سنة ست عشرة وماتين وترجمته في الميزان **حدثنا ابو الاحوص** بحاء
وصاد مهملتين واسمه سلام بتشديد اللام ابن سليم بالتصغير الامام الثقة الرواية توفي سنة
مائة وتسعة وسبعين واخرج له اصحاب الستة وقيل اسمه عوف بن مالك بن فضالة والصحيح
الاول **عن آدم بن علي** العجلي الثقة التابعي روى عن ابن عمر وغيره **قال سمعت ابن عمر** الصحابي
المشهور **يقول** حال او مفعول كما بينه النحاة وتقدم بيانه **ان الناس يصيرون يوم القيمة
جثى** هذا الحديث رواه البخاري في التفسير موقوفا على ابن عمر ومثله مما لا مجال للراي فيه
وله حكم المرفوع واحتمال انه سمعه من اهل الكتاب بعيد لا يعول عليه وكونه سمعه من صحابي آخر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا يضر لان مرسل الصحابي مقبول اقال هذا مما قال به اهل الاصول وقبله الايمة في مصطلح
الحديث وفيه بحث لانه يجوز ان يكون الصحابي ممن قرا الكتب القديمة او يكون استنبطه من كتاب
اوسنة فينبغي تقييده بما ذكر وجثى بضم الجيم مقصور منون جمع جثوة مثلث الاول وجوز كسر
جيمه ايضا واصله الكوم المجتمع من تراب ونحوه فاستعير لمعنى الجماعة اي يجتمعون جماعات
كل امة جماعة تابعة لنبيها وروى البرهان عن الحافظ العراقي جثا بضم الجيم والمد وانه كذا صحح
في نسخ البخاري وصححه الهروي وابن الاثير وروي جثي بضم الجيم وكسر المثلثة وتشديد اليا
جمع جاث وهو البارك على ركبتيه وقيده بعضهم بان يجلس كجلوس المخصومة واشد واقوله
اخاصمهم مرة قايما • واجثو اذا ما جثو الركب •
ولا شاهد فيه وهذا خلاف القياس اذا صحت الرواية فلا يرد عليه ان فاعلا لا يجمع على فعل كما قيل
كل امة تتبع نبيها يقولون حال من فاعل يقول اي تكون تبعه تابعة له بانضمامها اليه يا فلان
اشفع لنا يا فلان اشفع لنا اي تنادي كل امة نبيها باسمه يسالونه ان يشفع لهم عند ربهم في الخلاص
من هول الموقف كما مر فيجيبهم بانه لا يقدر على الشفاعة كما تقدم فيذهبون لغيره من الرسل فيجيبهم مثله
حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم اي حتى تنتهي الامم وسؤالهم لواحد بعد واحد يكون
غايته ان يلتجوا اليه فيجيبهم ويشفع لهم فتقبل شفاعته ففي الحديث طي لجمل علمت من السابق ومن احاديث
اخر صرح فيها بذلك ومعنى تنتهي تبلغ وتصل كما يقال بلغ الامر فصتى وهذه هي الشفاعة العظمى
وقد تقدم ان له شفاعات اخر فذلك اي ما ذكر من الشفاعة وما تم بها يوم يبعثه الله المقام المحمود
اي كاين في ذلك اليوم بنصب يوم على الظرفية فان رفع يجعل الصفة المختصة به كانه عينه مبالغة
ويجوز اجان وعن ابي هريرة سئل عنها اي عن الاية المذكورة كما اشار اليها بقوله يعني عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا وضمير يعني راجع لابي هريرة وهذا الحديث رواه احمد والبيهقي فقال اي رسول
الله صلى الله عليه وسلم جوابا عن السؤال هي الشفاعة العظمى الواقعة لفصل القضا وقيل الاخراج
المذنبين من النار والمشهور هو الاول وضمير هي راجع للشفاعة كقوله هي الحياة او للمقام وانث
رعاية للخبر او للاية بالتجوز على ان المعنى المقصود منها وقيل المراد انها هي الشفاعة في اليوم المسمى
بالمقام المحمود وهو تكلف جدا وروي عن كعب بن مالك الانصاري الصحابي احد الثلاثة الذين
تخلفوا عن غزوة تبوك وتاب الله عليهم بنص القران وهذا الحديث رواه احمد بن حنبل مسندا عنه
عليه الصلاة والسلام يحشر الناس يوم القيمة بعد الخروج يجمعون للحساب فاكون انا وامتي
على تل بمثناة فوقية مفتوحة ولام مشددة هو رابية من تراب او رمل ونحوه عالية مرتفعة وجمعه
تلال واتلال نادر وفي القاموس التل من التراب والكوم من الرمل وتفسيره بمكان عال كالجبل بيان
للمقصود او تسامح وفيه اشارة الى اعلاء مقامه ومقام امته واللطف بهم في تخليصهم من زحام
الموقف ومشقته ويكسوني ربي حلة خضرا وفيه استيناس لما يلبسه الاشراف الان من العمامة
الخضرا وان كان ذلك مما حدث في زمن السلطان تمييزا لهم عن غيرهم وان لم يكن النبي صلى الله عليه
وسلم فعل ذلك كما فصلناه في محله والحلة بضم فتشديد لام من برود اليمن ولا يسمى حلة الا اذا كان
ثوبين احدهما فوق الاخر او ثوب واحد له بطانة وسمي بذلك لان كلا منهما يحل على الاخر او لكونهما جديدين
كما حل طيهما ثم شاع في مطلق الكسوة النفيسة وكسوته صلى الله عليه وسلم بعد كسوة ابراهيم الخليل
في الزمن كما سيأتي التصريح به في الحديث وليس فيه تفضيل له لان حلة نبينا اعلى واحسن وانما
قدم جزا لما فعله نمروذ حين عراه ليلقيه في النار ورعاية له بما يسر النبي لانه جده وزمنه اسبق

ابشـ

عنه

وسنة ان يكن ثم يؤذن لي بالبنا للمجهول من الاذن اي باذن الله لي بالتكلم بين يديه والشفا
لاهل الحشر اجمعين فيقال له قل واشفع تشفع كما مر فاقول ما شا الله ان اقول من حمد الله بمحامد لايقة
والشفاعة العظمى فذلك المقام المحمود وهذا لاينافي تفسيره بالشفاعة العظمى كما قاله المحب
الطبري وذلك اشارة الى جميع ما تقدم من اول الحديث الى اخره وعن عمر في حديث سافه وذكر
حديث الشفاعة معطوف على مقدر وقوله قال فيمشي يعني النبي صلى الله عليه وسلم بدل من قوله

نيمشي

ذكر حتى ياخذ بحلقة باب الجنة والحلقة معروفة بسكون اللام وجوز فتحها وانكره بعض اهل
اللغة كما تقدم والحديث تقدم بتمامه فيومئذ اي يوم اذ مشى واخذ بالحلقة واليوم على ظاهره
او بمعنى مطلق الوقت يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده به في القران في قوله عسى ان
يبعثك ربك مقاما محمودا وهو مقام يشفع فيه لساير الخلايق الشفاعة العظمى ويحمده فيه الاولون
والاخرون فلذا سمي بذلك ووعد مبني للمجهول ومفعوله الاول عايد على النبي صلى الله عليه وسلم
مستتر والبارز عايد على المقام ويجوز بناوه للفاعل ايضا وقيل المقام المحمود هنا وقوفه ثمة واخذه
بحلقة باب الجنة وهو مغلق ليفتحه فيدخلها من هو مقيم والحامدون له على هذا المسلمون واهل الجنة
لان من عداهم في النار فهذا تفسير اخر فتامله وعن ابن مسعود عنه عليه الصلاة والسلام انه
اي المقام المحمود الموعود قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره ظاهره ان المقام هو القيام نفسه
على انه مصدر وقوله مقاما منصوب على الظرفية وليس كذلك فان المراد ان المقام هو المحل الذي قربه
الله فيه قربا لم يتيسر لغيره وقيل المراد قامته ومكثه في ذلك المكان فلا ينافي ما مر من انه يجلس على
منبر عن يمين العرش يغبطه فيه الاولون والاخرون اي جميع الامم والناس والغبطة بالغين
المعجمة والموحدة والطا المهملة هي تمني المرء ان ينال مثل ما راه عند غيره من النعم وكل امر محمود من غير ان
يحب زوالها فان احب زوالها فهو الحسد المذموم وقيل الحسد تمني الامر المحمود مطلقا فهو اعم من
الغبطة ومنه ما يذم ويحمد والمشهور الاول يغبط بزنة يضرب وفي نسخة به والباطل فيه او سببية
والغبطة لا تضر ربها وقد تكون حسدا وفي الحديث هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاة الخبط
انتهى وفي النهاية الاثيرية ان الغبط لا يضر ضرر الحسد وانما يلحق الغابط منه ضرر يسير ولا ثم
ينقص ثوابه كما يلحق العضاة بخبط ورقها والذي يظهر لي انه صلى الله عليه وسلم انما اراد انه لا ضرر
فيه على الغابط في امر محمود تمناه من غير تمني زواله بل تمنيا له منه نفع له في تحصيل مثله ولسلبه
شيا من صاحبه فهو على حد قوله •
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتايب •
ونحوه اي مثله معنى مروي عن كعب هو كعب الاحبار والحسن البصري وفي رواية هو
اي المقام المحمود المقام الذي اشفع لامتي فيه فتكون هذه الشفاعة غير الشفاعة العظمى لساير
الناس وهو احد الاقوال في تفسيره كما في الشرح الجديث من عود الضمير لقيامه على يمين العرش
وان المراد بالشفاعة العظمى في فصل القضا وهي وان لم تكن خاصة بامته فهم المقصود وذ
بالذات فيها تعسف لا حاجة اليه وعن ابن مسعود في حديث رواه احمد في مسنده اني لقايم المقام
المحمود بكسر همزة ان لوقوعها في ابتدا كلام مستانف وقيل انه جواب قسم مقدر اي والله
اني لقايم وفيه بيان لانه لا يجوز القسم في القدر المحمود ولذا اكد باني والاسمية وفيه نظر والمقام
منصوب على الظرفية او المصدرية قيل وما هو قيل ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه
وفي نسخة على كرسيه الحديث اي اذكره وانظر تمامه وهو كما رواه احمد قيل له ما المقام المحمود قال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ذاك يوم ينزل الله على كرسيه فيئط كما يئط الرحل الجديد من تضايقه به وهو كسعة ما بين
السماء والارض ويجاء بكم حفاة عراة غرلا فيكون اول من يكسى ابراهيم فيقول الله اكسوا خليلي
فيؤتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة ثم اكسى على اثره ثم اقوم عن يمين الله مقاما يغبطني
الاولون والآخرون وهذا الحديث من المتشابه لانه تعالى منزه عن صفات الاجسام كالنزول
والجهة قيل ولذا نؤكد المصح وهو تمثيل التجليه لعباده بعظمته وجلاله واقباله عليهم لفصل
القضاء واجراء حكم عدله فيهم كما يتجلى الملك لجنده ورعاياه لينظر في امورهم ويقرب من امامهم
والكرسي غير العرش والحديث في المصابيح والكلام عليه مفصل في شروحه وعن ابي موسى عبد
الله بن قيس الاشعري الصحابي المشهور وهذا الحديث رواه ابن ماجة في سننه رواية عنه صلى
الله عليه وسلم خيرت اي خيرني الله بين احد امرين بين ان يدخل بالبناء للفاعل او المفعول
نصف امتي الجنة اي امة الاجابة لا الدعوة وبين الشفاعة لبعض المذنبين منهم الذين قد
استوجبوا دخول النار وليس المراد بها الشفاعة العظمى في فصل القضاء فاخترت الشفاعة
على دخول نصف امة الجنة بين وجه اختياره بقوله لانها اي الشفاعة اعم اي اشمل واكثر
من النصف وهذه الشفاعة غير الشفاعة فيمن دخل النار وقيل انها شاملة لها وهذه الشفاعة ثابتة
باحاديث كثيرة بلغ مجموع طرقها التواتر ولا يعتد بمن انكرها من الخوارج والمعتزلة تمسكا بقوله
تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع لان المراد بالظالمين الكفرة فان الشرك ظلم عظيم اترونها
بهمزة الاستفهام وضم المثناة الفوقية والضمير للشفاعة اي اتظنون الشفاعة خاصة للمتقين
جمع متق بكسر القاف اسم فاعل من التقوى وفي نسخة للمؤمنين قال البرهان والاول هو المحفوظ من
مشايخي وروى واعلى من قراه المنقين بنون مفتوحة ثم قاف مفتوحة مشددة ثم مثناة تحتية ساكنة
جمع منقى اسم مفعول وهو النظيف وكذا في اصلنا لسنن ابن ماجة وهو اصل صحيح وكتب تجاهه على
الهامش ن ق وعليه تصحيح مرتين انتهى ففيه ثلاث روايات والمنقين من النقا قال المزي
وحسن هذه الرواية انه روي ولكنها للمذنبين الخطائين الملوثين فقابله بالملوثين تحته
وهي اسم مفعول من التلويث بمثناة في اوله ومثلثة في آخره والتلويث التلطخ بالاقذار لان الذنوب
كالنجاسة والخطائين جمع خطاء وهو الكثير الخطا وروى الترمذي شفاعتي لاهل الكبائر
من امتي وقيل المنقي بالنون عام لانه يجوز ان يكون ممن تاب نقي بالتوبة والمتقي اخص وفيه نظر
وعن ابي هريرة في حديث صحيح رواه الحاكم والبيهقي قلت يا رسول الله ماذا رد عليك في الشفاعة
بضم الراء المهملة وتشديد الدال المفتوحة مبني لما لم يسم فاعله كذا رواه البرهان واقتصر عليه
وروي ورد من الورود مبني للفاعل كما ذكره التلمساني وتبعه غيره من الشراح وما اسم استفهام
وذا اسم موصول بمعنى الذي ويجوز ان يكون اسم اشارة والمراد الجواب وورد بمعنى جاء اي ما اجابك
به الله او الملك لما سالته الشفاعة في امتك فقال شفاعتي هو فاعل مرفوع تقديره ارجاني
اوورد علي ان اشفع لمن شهد ان لا اله الا الله من افق بوحدانية الله ولم يقل وان رسول الله
اكتفاء باحد جزئي كلمة الشهادة للعلم بانه لابد من الاتيان بهما في صحة الاسلام مخلصا حال من
الموصول اي غير مشوبة شهادته بشك او شرك فصدق لسانه بالنصب على المفعولية وقوله
قلبه مرفوع فاعله ويجوز عكسه اي يطابق اعتقاده لما نطق به وعن ام حبيبة في حديث
رواه الحاكم والبيهقي وهي ام المؤمنين بنت ابي سفيان بن حرب اخت معاوية واسمها رملة
على الصحيح وقيل هند وهي من السابقين الى الاسلام وترجمتها معروفة توفيت سنة اربع واربعين

قال

قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت بضم الهمزة والبناء للمجهول اي اعلمني الله
واخبرني بواسطة الملك ما اطلعت به على ما يتوبها فرأى علمية ما تلقى امتي من بعدي وقيل
انه من باب الكشف عما سيكون بتوقيف من الله له كرامة وليس من الرؤية البصرية وسفك
بعضهم دماء بعض منصوب معطوف على ما تلقى وسفك الدم اراقته وصبه وهو مصدر مضاف
لفاعله قيل اراه ذلك وحيا او مشافهة او المنام لما يقع بينهم من الحروب والفتن التي يقع فيها
القتل واراقة الدماء وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم ماض معطوف على تلقى صلة
الموصول اي رأيت واعلمت بما سبق لامتي مما قدره الله عليهم واراده لهم فوقع على وفق ارادته
في الازل وعلمه القديم فسألت الله ان يؤتيني شفاعة فيهم يوم القيمة ففعل اي اعطاه
ما ساله فشفعه في المذنبين منهم وقال حذيفة بالتصغير وهو ابن اليمان الصحابي رضي
صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث موقوف عليه رواه البيهقي والنسائي
يجمع الله الناس في صعيد واحد اي في مكان يجتمعون فيه غير متفرقين واصل معنى
الصعيد التراب فاريد به هنا ارض الحشر وقيل هو تربة ليس فيها رمل ولا بحر يوم تبدل الارض
غير الارض والمراد بالناس الثقلان من الجن والانس او المراد الانس واقتصر على الاشراف فلا يرد
ان الجن والبهائم تحشر معهم ايضا حيث يسمعهم الداعي صوته وينزاه كما قال تعالى ثم اذا دعاكم دعوة
من الارض اذا انتم تخرجون ويسمع بضم التحتية مضارع اسمع وحيث ظرف مكان مبني على الضم
وينفذهم البصر بفتح المثناة التحتية وروي بضمها وكسر الفاء وعلى الاول هي مضمومة والمراد بصر
الرائي اي يراهم دفعة وليس المراد بصر الله كما قاله ابو عبيد وقيل المراد يبلغهم ويتجاوزهم
لانهم في ارض مستوية لا عوج ولا شجر فيها وهو بالدال المهملة والمحدثون يروونه بالمعجمة وصحح
ايضا لانه لاحاطته بهم وتجاوزه كانه ينفذ فيهم فلا وجه للرد مع صحة الرواية حفاة عراة منصوبا
على الحالية وحفاة جمع حافي وهو الذي لا نعل له ولا خف وقيل جمع حفي وهو الذي رق جلد قدميه
وعراة جمع عاري وقيل جمع عريان وهو قليل في الاستعمال وهو الذي لا ثوب له ولا لباس يستره
وينافيه ما روي في الحديث الصحيح ان ابا سعيد الخدري لما احتضر دعا بثياب جدد فلبسها
ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها وعن
معاذ بن جبل ايضا احسنوا اكفان موتاكم فانهم يحشرون فيها وجمع بينهما بان هذا محمول على الشهداء
وثيابه التي قتل فيها والحديث وارد فيهم وابو سعيد حمله على العموم وقيل ان بعضهم يحشر عاريا
وبعضهم بثيابه وقيل انهم يحشرون باكفانهم ثم تتناثر في المحشر وقيل المراد بثيابهم اعمالهم كقوله
ولباس التقوى ذلك خير ولا يخفى ما في هذا من الضعف فليحرر كما خلقوا اي كائنين على حال
خلقتهم الاول من غير نقص شيء من اجزائهم كما ورد عن لا نسبة سكوتا جمع ساكت حال من الناس
ومن ضمير خلقوا لا تكلم اصله تتكلم فخفف الا باذنه فلا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا
في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر والثاني مخصوص
بمن روى الاعذار الباطلة فلا تعارض بينهما وبهذا يجاب عن قوله واقبل بعضهم على بعض يتلاومون
وقوله يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها فينادي بالبناء للمجهول محمد بالتنوين نائب
الفاعل او هو غير مبني على الضم والنداء بمعناه الظاهر اي يقال له يا محمد بحذف حرف النداء وعلى
الاول ينادي بمعنى يدعى ويطلب وكلا الوجهين فيقول لبيك وسعديك منصوبان على المصدر
بفعل لا يظهر في الاستعمال من التلبية وهي اجابة المنادي من الب بالمكان اذا اقام ولا يستعملان

www.alukah.net

الا بصيغة التلبية فالمراد بها مجرد التكثير ولو مرارا عديدة اي اجيبك اجابة بعد اجابة
واسعدك بطاعتي لك وانا مقيم على ذلك لا انصراف عنه والخير في يديك والشر ليس
اليك اي مفضيك بالعرض وصادر عنك بالتبع لان بعض ما يتضمن الخير الكثير يستلزم شرا
قليلا فكان ترك الخيرات الكثيرة لاجل ذلك الشر القليل شرا لا يصدر عنه وهو المنزه عن الفحشاء
ولا يجري في ملكه الا ما يشاء والى هذا اشار القاضي في تفسيره والمعتزلة قدروا في مثله
والشر ليس منسوبا اليك واستدلوا به على مذهبهم وغيرهم قدره والشر ليس متقربا به اليك كما يتقرب
الى بعض ظلمة الملوك ببعض القبائح قاله القرافي في قواعده والمعنى لا يضاف اليك تادبا وقيل
المعنى لا يصعد اليك فانه انما يصعد اليه الكلم الطيب واليد اسم للجارحة المعروفة واصله
يدي بالسكون لقولهم في جمعه ايد وقيل يدي بالفتح لقولهم في تثنيته يديان واستعير للنعمة
وللملك والتصرف والقدرة والقوة والنصرة واذا اضيف الى الله يراد به المعنى المجازي
لتنزهه عن الجارحة وهي هنا وفي قوله لما خلقت بيدي اشارة الى زيادة تصرفه فيه
واختصاصه به وجعل الخير مستقرا فيهما ترشيحا للاستعارة والاحسن ان يقال انه اشارة
لما مر من ان وجهي تصرفه في الموجودات بالخير والشر خير كله فتدبر والمهدي من هديت
اي الموفق للهداية من خلقته مهديا ووفقته لطاعتك وتعريف الطرفين يفيد الحصر
اي لا مهدي الا من هديته وعبدك بين يديك اراد به نفسه اي انه حاضر لديه واقف في
مقام المذلة والفقر وقيل انه تشبيه لقربه من ربه ومزيد اختصاصه من بين الجهتين المسامتتين
ليدي الانسان واستعير لذلك وبك واليك اي امره كله لك فانه عبدك وامره موكول اليك
لا ملجا بالهمز والقصر للازدواج اي لا يلتجى ولا يستند لاحد سواك ولا منجا بلا همز او به
للازدواج اي لا يحتمى ولا يخلص احد منك اي هو عندك ومصيره اليك الا اليك وليس باتباع
ولا لف ولا نشر كما قيل تباركت وتعاليت اي كثر خيرك وزاد عن كل شي وعلا قدرك في ذاتك
وصفاتك وتنزهت عما لا يليق بك والكلام عليه مفصل في التفسير سبحانك اي تنزهت رب
البيت بالرفع خبر مبتدا محذوف والنصب على النداء اي يا رب البيت والمراد به الكعبة او البيت المعمور
في السما ولما كان البيت قد يشعر بالحلول قدم التنزيه عليه احترازا عن توهمه وقال رب البيت دون
رب العالمين اظهارا لشرفه وشرف الحالة المنادى به جمع الخلايق فيه بالمحشر وهم عراة حفاة قال
اي النبي صلى الله عليه وسلم لانه معلوم من السياق او حذف لعدم راويه وهو في حكم المرفوع فذلك
اي المقام الذي جمع فيه ووقع فيه هذه المناجاة هو المقام المحمود الذي ذكره الله في القران
في قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقال ابن عباس اذا دخل اهل النار النار قدمه
ترهيبا وترغيبا في تجنب سبب دخولها ولان ذكر النعمة بعد النقمة اوقع في النفس والجنة الجنة
بجر الاول ونصب الثاني اي ودخل اهل الجنة الجنة والمراد غالب اهل النار وغالب اهل الجنة بدليل
قوله فتبقى اخر زمرة من الجنة واخر زمرة من النار اي من اهل النار والزمرة الجماعة
القليلة ومنه شاة زمرة اي قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة او من الزمر وهو الصوت لانها لا
تخلو عنه فتقول زمرة النار اي الزمرة الباقية من اهل النار لزمرة الجنة اي للزمرة الباقية
من اهل الجنة الذين لم يؤذن لهم في دخولها ما نفعكم ايمانكم ما استفهامية انكارية او نافية
خبرية اي لم ينفعكم ولم يغن عنكم شيئا لانهم لجهلهم باحوالهم ظنوا انهم لا يدخلون الجنة وانهم
منعوا من دخولها فيدعون ربهم الضمير للزمرة المتخلفة من اهل الجنة ويصيحون اي يصيحون

ويرفعون اصواتهم فزعا مما لحقهم من تعيير اهل النار واصل الضجيج بضاد معجمة وجيم الصياح
من الفزع للحوق المكروه والضجة ارتفاع الاصوات المختلفة مطلقا فيسمعهم اهل الجنة اي يسمعون
صياحهم واستغاثتهم بربهم ليأذن لهم في دخول الجنة فيسالون ادم ان يشفع لهم في دخول
الجنة وغيره بعده اي يسالون بعد ادم غيره من الانبيا كنوح وابراهيم وموسى وعيسى في الشفاعة
لهم فكل يعتذر لهم بانه لا يقدم على الشفاعة ولم يؤذن له فيها كما مر تفصيله حتى ياتوا محمدا صلى
الله عليه وسلم بعدما يئسوا من شفاعة غيره من الرسل فيشفع لهم فذلك المقام المحمود الذي يحمده
فيه الناس ويظهر فضله على جميع الرسل وهذا الحديث موقوف على ابن عباس وهو في حكم المرفوع
ونحوه اي في معناه حديث مروي عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين بن علي
بن ابي طالب وهو زين العابدين كما تقدم عن النبي صلى الله عليه وسلم اي مرفوعا وما قبله موقوف
وقال جابر بن عبد الله الصحابي وقد تقدمت ترجمته ليزيد الفقير هو ابن صهيب ولقب بالفقير
لانه اصيب في فقار ظهره وكان يشكو الم وفقار الظهر خرزات العظم التي من عجب الذنب الى العنق
وهي اثنتان وثلاثون فقرة فهو فعيل بمعنى مفعول وقول عائشة ان تكلوا منه الفقر
الاربع استعارة اي انتهكوا له حرما باربع الصحبة والصهر والخلافة والبلد وهذا الحديث
رواه مسلم ويزيد هذا امام ثقة روى عنه ابو حنيفة واصحاب الكتب الستة سمعت بفتح تا
سمعت للخطاب واصله اسمعت بحذف همزة الاستفهام او هل اي اسمعت او هل سمعت بمقام محمد
صلى الله عليه وسلم اي هل رويت فيه شيئا تفسيره يعني الذي يبعثه الله فيه اي جابر اراد
السؤال عن حقيقة المقام المذكور في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وفي قوله
فيه اشارة الى انه منصوب على الظرفية وانه محل القيام حقيقة قال يزيد نعم اي سمعت ما ورد
فيه اجمالا قال اي جابر بن عبد الله البجلي الصحابي المشهور وكان الظاهر ان يقول فقال
فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار ضمير به للنبي صلى الله عليه
وسلم او للمقام اي يخرج الله بسبب الشفاعة الواقعة فيه فالمراد به مقام اخر فيه شفاعة
غير الشفاعة العظمى لاهل المحشر واليه اشار بقوله وذكر اي جابر حديث الشفاعة في اخراج
الجهنميين اي المنسوبين لجهنم لانهم المؤمنون الذين دخلوا النار بمعاصيهم وهذا بعض من
حديث رواه مسلم اقتصر المص على محل الشاهد لما هو بصدده ولفظه قال يزيد الفقير كان قد
شغفني راي من راي الخوارج فخرجت في عصابة ذوي عدد نريد ان نحج فمررنا على المدينة فاذا
جابر بن عبد الله جالس الى سارية يحدث الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي يقولون
والله يقول انك من تدخل النار فقد اخزيته وكلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فما هذا
الذي يقولون فقال اتقرا القران قلت نعم قال فهل سمعت بمقام محمد المحمود الذي يخرج به
من يخرج ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال واخاف ان لا اكون احفظ ذاك وقال غير
واحد ان قوما يخرجون من النار بعد ان يكونوا فيها كانهم عيدان السماسم فيدخلون نهرا من
انهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كانهم القراطيس الى اخر الحديث الذي رواه مسلم والكلام
عليه مبسوط في شروحه فالمعنى ان يزيد كان مال الى راي الخوارج في خلود عصاة المسلمين في
النار فلما سمع من جابر ما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم علم بطلان رايهم ورجع عنه
وعن انس في حديث رواه احمد في مسنده نحوه اي ما هو في معنى الحديث وقال انس
بعد ما ذكر ما تقدم فهذا المقام الذي وعده بالبنا للمجهول ونايب الفاعل ضمير النبي صلى الله عليه

شبكة الألوكة www.alukah.net

وسلم والضمير البارز للمقام وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما في حديث رواه الشيخان
دخل حديث بعضهم في حديث بعض اي وافق رواية كل منهم رواية غيره لفظا ومعنى ۝
قال عليه الصلاة والسلام فيجمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة في ارض المحشر للحساب
وفصل القضا فيهتمون افتعال من الهم بمعنى الحزن او العزم يقال اهتم او اغتم وحزن واهتم
بكذا اذا جعله من همه وليس من الهمهمة وهي الصوت الخفي او قال فيلهمون بالبنا للمجهول
من الالهام وهذا شك من الراوي في لفظ الحديث اي يلهمهم الله فيقولون لو استشفعنا الى
ربنا اي لو طلبنا من يشفع لنا عند الله في ان يخلصنا من هول هذا الموقف وشدته ولو للتمني
هنا وقد ذكره النحاة مفصلا في بابه فنزلوا الشفاعة لخوفهم منزلة الممتنع الذي لا يمكن ۝
وفي طريق عنه عليه الصلاة والسلام اي في رواية اخرى ماج الناس بعضهم في بعض
اي دخل بعضهم في بعض واختلطوا لاضطرابهم وعن ابي هريرة في حديث الشفاعة الذي رواه
الشيخان وتدنو الشمس اي تقرب من رؤوس اهل الموقف فيبلغ الناس من الغم اي من الكرب
وشدة الحر ما لا يطيقون اي ما لا يقدرون على تحمله ولا يحتملون عطف تفسير اي لا يقدرون
ولا يستطيعون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم اي يقول بعضهم لبعض هذا الكلام ۝
فياتون آدم من رواية لانه اول الانبيا وابوهم المشفق عليهم كما قال زاد بعضهم فيقولون
انت آدم ابو البشر فينبغي لك ان تشفع لهم وترحمهم خلقك الله بيده اي اوجدك من العدم
بقدرته من غير واسطة واب ونفخ فيك من روحه اضافة الروح له للتعظيم والاختصاص
ونفخ الروح ايجادها متصلة بجسده كما يقال بيت الله واسكنك جنته بعد نفخ الروح
فيه وايجاده والمراد الجنة المعروفة على الاصح وقيل المراد بها بستان في الارض والخلاف
فيه مشهور في كتب التفاسير والادلة من الطرفين مفصلة في محلها واسجد لك ملائكته
اي امرهم بالسجود لك سجود تحية وتعظيم له واداء لحقه لا سجود عبادة هو كالقبلة له
وكان ذلك جائزا شرعا ثم نسخ وعلمك اسما كل شي كما ذكره الله في القرآن وهذا كله مما يدل
على شرفه وعلو رتبته عند ربه ومزيد قربه المقتضي لقبول شفاعته كما بينه قوله
اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا وهو المحشر ويريحنا بمعنى يحصل
لنا راحة الا ترى ما نحن فيه من الكرب والهول الذي لا يطاق فيقول لهم آدم ان ربي
غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله اي اظهر شدة غضبه
وسخطه على من عصاه من نيل ايقاع العذاب الذي في الاخرة بادخالهم النار وهذا لم
يكن قبل يوم القيمة ولا بعده فلذا خاف آدم وقال ونهاني عن الشجرة اي عن الاكل منها والمراد
بها العنب الذي في الكرم او الحنطة وسماها شجرة مجازا لان الشجر ما له ساق فعصيت
اي خالفت امره بالاكل منها وفي كون هذا معصية كلام سياتي في عصمة الانبيا نفسي
نفسي اعتذار عن تركه الشفاعة لهم لخوفه على نفسه وكررها تاكيدا او بيانا لانه لا يقدر
على قضاء مصلحة غيره لاشتغاله بنفسه وذكر الانبيا ترتيبا الاول فالاول والاقدم فالاقدم
على وجه يظهر به فضل نبينا صلى الله عليه وسلم اذهبوا الى غيري من الرسل يشفع لكم ثم بين
من يذهبون اليه فقال اذهبوا الى نوح فانه الاب الثاني لكم بعدي ولم يقل اذهبوا الى محمد
ليعلم فضله بانه هو صاحب الشفاعة وانها منحصرة فيه فيقولون انت اول الرسل الى اهل
الارض كافة لانحصارهم وانحصار التبليغ فيه وهذا لا ينافي اختصاص عموم الرسالة بنبينا

صلى الله

صلى الله عليه وسلم لان عمومها لا يختص بعصره وقال ابن حجر لانه لم يكن بعد الطوفان
الا من كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا اليهم والعموم لم يكن في اصل بعثته وانما اتفق ۝
بعده فالحادث الذي وقع وهو انحصار الخلق الموجود من بعد هلاك سائر الناس واما
نبينا صلى الله عليه وسلم فعموم رسالته من اصل البعثة فثبت اختصاصه بذلك واما كونه
اول رسول كما صح في حديث الشفاعة فالمراد به انه اول رسول ارسل الى جميع اهل الارض ۝
في حياته فليس المراد عموم بعثته مطلقا بل اثبات اولية ارساله ولو سلم فهو مخصوص بعدم
ايات على ان بعثة نوح كانت الى قومه ولم يذكر الله ارسل الى غيرهم واستدل على عموم رسالته بدعائه
على جميع من في الارض فاهلكوا غير اهل السفينة ولولاه ما اهلكوا لقوله تعالى وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا وقد ثبت انه اول الرسل واجيب بجواز ان يرسل غيره في زمنه وعلمه بانهم لم
يؤمنوا فدعا عليهم وهو حسن لو نقل مجي رسول في زمنه غيره او خصوصية نبينا ببقاء شريعته
الى يوم القيمة او دعوته الى قومه بتوحيد بلغ الناس عنه فتمادوا واستحقوا العقاب واليه
ذهب ابن عطية في سورة هود ويبعد عدم بلوغ نبوته القريب والبعيد مع طول مدته وقال
ابن دقيق العيد يجوز ان تكون الدعوة للتوحيد عامة في بعض الانبيا وان لم تعم فروع شريعته
لان منهم من قاتل غير قومه على الشرك ويحتمل انه لم يكن في عصره غير قومه فبعثته خاصة وان
عمت صورة اقول هذا ما قاله ابن حجر في شرح البخاري ولم يبين كون نوح اول الرسل
مع من تقدمه من الانبيا وتحقيقه ان آدم صلى الله عليه وسلم كان نبيا رسولا ولكنه ارسل
لبنيه ولم يظهر الكفر في حياته قوة وانتشارا فكان كالمعلم الضابط لاهله وخدمه فلذا لم
يكن كغيره من الرسل وادريس تنبا في زمنه وشيث كان وصيه الى ان بعث الله نوحا فاظهر
الناس الكفر ومخالفة دعوته حتى احتاج الى اهلاكهم فهو اول رسول بعث لدعوة الناس ومجا
ومعاقبتهم ومن قبله لم يكن كذلك كما لا يخفى وسماك الله عبدا شكورا في الكتب القديمة
لانه كلما اكل او شرب شكر ربه فاشتهر بذلك في الامم السالفة والصحف الموحى بها كما نقله
في تفسير قوله تعالى ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا على الاصح من ان الضمير
راجع له لا الى موسى كما قيل فانه قول غير مرضي الا ترى ما نحن فيه من شدة الموقف وهوله
الا ترى ما بلغنا بسكون الغين المعجمة وفتحها اي ما وقعنا فيه من الكرب او ما وصل الينا منه
وقال النووي الاصح المعروف فتح الغين بدليل انه روي الا ترون ما بلغكم ولو كان بالاسكان
قال ما بلغتم والوجه ما تقدم الا تشفع لنا الى ربك في الخلاص مما نحن فيه فيقول مثله
اي ما تقدم بعينه وفي نسخة التصريح به فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله
مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي وقد تقدم شرحه ويذكر خطيئته التي اصاب
صفة خطيئته والعائد محذوف اي التي عملها الانبيا معصومون كلهم ولكنهم لشدة تعظيمهم
لله وخوفهم منه يعدون ما صدر منهم نسيانا وسهوا وغفلة ذنبا عظيما والمراد بخطيئته
ما فسره بقوله سؤاله ربه بغير علم فهو منصوب بدل او عطف بيان من قوله خطيئته منصوب
بذكر وقوله بغير علم صفة مصدر محذوف او حال اي سؤالا كائنا بغير علم منه بان ما ساله لا
يليق ان يساله وهو قوله رب ان ابني من اهلي وقد وعدتني ووعدك ان تنجي اهلي من الغرق
وهو منهم فنجه فقيل له انه ليس من اهلك الذين امنوا وعملوا الصالحات وانه عمل غير صالح فلا تسئلني
ما ليس لك به علم وابنه هذا هو كنعان وليس ربيبه وابن زوجته كما زعمه اهل الكتاب وقيل انما عاقبه

الألوكة
www.alukah.net

هذا عن الشفاعة وزجره وجعل جهلا لانه من سؤال سبق عليه القول من اهله وذلت الحال
على ما يمنعه من السؤال ولكن حب الولد شغله حتى اشتبه عليه امره وهذا قريب من قول
من قال انه ظنه مؤمنا بدليل قوله اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فلا وجه لتخطئته قائله وفي
رواية ابي هريرة في حق نوح وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي اشارة الى ما ورد في
الحديث ان لكل نبي دعوة والمراد ان الله وعد كل نبي بان يستجيب له دعوة يدعو بها على جميع امته
فيستجاب او يدعو بها لهم فلا ينافي كون دعا الانبيا مستجابا وهذا اعتذار منه في ترك الشفاعة
ولذا عقبه بقوله اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله وابو الانبيا ومقتداهم فانه احق بالشفاعة
واقدر عليها مني فياتون ابراهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اي انفردت
من بينهم بالخلة كما تقدم وفيه اشارة الى انه اهل للشفاعة اشفع لنا الى ربك الا ترى الى ما
نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله اي مثل ما تقدم ويذكر ثلاث
كلمات كذبهن هو قوله اني سقيم لما دعي الى الاصنام وقوله لزوجته لما طلبها الملك منه
انها اختي وقوله في حق الاصنام فعله كبيرهم هذا وهذا كله مخالف للواقع ولاعتقاده الا ان
ابراهيم على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام لم يقصد به حقيقته وانما قاله بضرب من التاويل
بقصد تلبيس بكذب فان المعاريض مندوحة منه وانما سماه كذبا نظرا لما يظهر منه للمخاطب
وخاف ان يواخذ به لعلو مرتبته وعظمة الربوبية عنده وان مقامه يقتضي ان لا يتدارك
مخلوقا ويخافه وعد منها في مسلم قوله في الكواكب هذا ربي والمشهور خلافه لانه ذكره على طريق
الالزام والجدل ويلزم منه زيادة على الثلاثة وقد صرح بالحصر فيها في بعض الروايات وقيل في
قوله اني سقيم انه كانت به حمى خفيفة لا تورث سقما وفيه نظر والا فهو كسائر الانبيا معصوم من
الكذب وغيره وياتي تفصيله في محله ان شا الله تعالى وهذا اعتذار في عدم الشفاعة نفسي نفسي
اي انا مشغول بنفسي وتخليصها لست لها اي اهلا للشفاعة لغيري ولكن عليكم بموسى
استدراك لدفع ما لزم من كلامه الاول من خيبة املهم وياسهم من الشفاعة وعليكم اسم فعل
والباء زائدة اي الزموه فانه اقرب مني واقرب الى الله وهذا تواضع منه ثم بين مزيته عليه بقوله
فانه كليم الله اي ان الله كلمه في الارض شفاها من غير واسطة فهو اقوى على الشفاعة مني وقربه
نجيا اي جعله قريبا منه حال كونه نجيا له اي مناجيا ومخاطبا له والقرب ليس مكانيا بل رتبيا
فانه آتاه الله التورية التي هي اعظم الكتب الالهية قبل القرآن وكلمه بيان لكونه كليما والمراد
اوحى اليه كلامه قال فياتون موسى فيقول لست لها اي لست اهلا للشفاعة لكم ويذكر موسى
خطيئته التي اصاب اي التي وقعت منه وعاتبه الله عليها بقوله ما اعجلك عن قومك يا موسى
كما هو مبين في التفسير وقتله النفس وهو القبطي الذي استغاثه الاسرائيلي عليه فوكزه فمات
ولم يكن عامدا لقتله وانما دفع الصائل ومثله جائز لكنه خشي المواخذة ولذا استغفر منه وعده من
فعل الشيطان فلا ينافي هذا عصمته ثم قال كما قال غيره نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى
فانه روح الله وكلمته تقدم بيانه مفصلا فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد بدل
مجرور لا صفة كما قيل لانه نكرة ويجوز رفعه ونصبه غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما
تاخر اي غفر الله له كل ما صدر عنه مما يعاتب عليه وان لم يكن معصية لعصمته ومن كان كذلك
فهو حقيق بقبول الشفاعة فاوتى بالبنا للمفعول اي فياتيني اهل الموقف لسوال الشفاعة لهم
فاقول لهم انا لها اي الشفاعة العامة الفصيحة اي مهيا لها لان اشفع لهم فاقول لهم انا اهل للشفاعة ...

لها

لها فاستاذن على ربي اي اطلب منه ان ياذن لي في القرب منه والشفاعة للناس فيوذن
بالبنا للمجهول اي ياذن الله لي في الدخول الى مكان لا يقف فيه داع الا اجيب وهو موقف
ليس بينه وبين الله حجاب فيه وانما ننتقل من موقف العرض والحساب الى موقف آخر لان الموقف
الاول محل سياسة وخوف والثاني موقف كرامة ولطف ورحمة فهو دال على قبول الشفاعة واطمئنان
قلب الشفيع فاذا رايته وقعت ساجدا اي اذا رايت ربي عيانا بحيث تعظيما لله وشكرا له على
تقريبه له وفيه دليل على وقوع رؤية الله في الآخرة وفي رواية فآتي تحت العرش اي
آتي انا مكانا تحت العرش قريبا منه فاخر ساجدا اي اقع واسقط في ذلك المكان ساجدا
لله وقال الراغب خر بمعنى سقط سقوطا يسمع منه صوت كصوت خرير الماء والريح وغير
ذلك مما يسقط من علو وقوله تعالى وخروا له سجدا استعماله تنبيه على اجتماع امرين السقوط
وحصول الصوت منهم بالتسبيح وقوله وسبحوا بحمد ربهم تنبيه على ان ذلك الخرير كان تسبيحا
بحمد الله لا بشيء آخر انتهى وقال العلما في هذا المكان الذي ياتي له يسمى فحصة العرش وهي
دار عظيمة وجنة هي اوسع الجنان واكثرها بابين يجتمع فيها اهل الجنة لرؤية ربهم في كل يوم
جمعة ولم تعد الالوهية والكرام من اكرمه الله برضوانه ومشاهدة عظمة ملكوته مع تنزهه
عن الحلول والمكان وفي المشارق بدل قوله فاوتى فياتوني وفي شرحه للكازروني الله يسمع
بتشديد النون وبه ضبط قال البرهان مقدار كل سجدة جمعة من جمع الدنيا كما في مسند احمد
وقيل مقدارها سبع سنين فانظره وفي رواية فاقوم بين يديه اي يدي الله وهو تمثيل
لشدة القرب منه وتصوير له وقيل الضمير للعرش وهو بعيد ركيك فاحمده بمحامد لا اقدر عليها
اي لا احسنها ولا اعرف كيفيتها في الدنيا الا ان يلهمنيها الله اي الا ان يوقعها الله في قلبي
بالهام منه والهام الانبيا نوع من الوحي وهو في غيرهم ليس بحجة لانه لا ينبني على دليل
وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وهو قريب معنى من قوله يلهمني لان الفتح ازالة
الاغلاق الحسي كفتح الباب والقفل ثم شاع في حصول الشيء ابتداء من غير عسر وحسن الثنا
عليه هو عطف تفسير لما قبله شيئا لم يفتحه على احد قبلي مطلقا او المراد انه لم يتيسر لغيره
من الرسل قبله ولا بعده فعنه اكتفا فيقال لي وانا ساجد ارفع راسك من السجود وسل ما شئت
من الشفاعة وغيرها وسل تعط واشفع تشفع والفعلان مجزومان في جواب الامر فارفع
راسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي اي ارحم او نج امتي وفي رواية امتي امتي بدون قوله
يا رب وهو في معنى الرواية الاولى على الصحيح وقيل انه يحتمل النداء اي يا امتي وناداهم ليانوه
ويكونوا معه لينجوا مما هم فيه وانما خصهم على ان هذه الشفاعة هي الشفاعة العظمى الشاملة
لسائر الامم اعتناء بهم واشارة الى انهم المقصودون بالذات من بينهم وحذف العامل لضيق
المقام وشدة الاهتمام بتعجيل خلاصهم ولذا كرر فيقول الله له بعد رفع راسه ادخل من امتك
اي ائذن له في دخول الجنة من لا حساب عليه اي خواص امتك المتقين الذين لا ذنب لهم
يحاسبون بسببه من الباب الايمن من ابواب الجنة الذي هو اشرف ابوابها وهو الباب
الثامن وهو مخصوص بانبيا هذه الامة وهم اي بقية الامة وهم فيما سواه من الابواب وهي
باب الصدقة وباب الصوم ويقال له الريان وباب الجهاد وباب التوبة وباب الكاظمين الغيظ
والعافين وباب الراضين وباب الصلاة كما بينه المصنف في شرح مسلم ولم يذكر في رواية
انس هذا الفصل الذي في رواية ابي هريرة من قوله فيقال يا محمد ارفع راسك الى هنا ثم قال

شركا الناس صح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكانه وفي نسخة وقال مكانه اي آتي به بدلا منه فاخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع
راسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه اي اذهب من مقام الشفاعة المقرب به
من كان في قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة المثقال بكسر الميم وسكون المثلثة معناه موازن
ومواز لانه يقابله ليعرف مقدار ثقله فيعبر به عن مطلق المقدار وهو من برة الى آخره بيان لحبة
وهي واحدة البر المعروف وقوله من ايمان بيان المثقال اي من كان في قلبه اقل قليل من الايمان
والموزون صحف الاعمال او هي نفسها بناء على جواز تجسيم الاعراض وامور الاخرة لا انقياس بامور
الدنيا فاخرجه بقطع الهمزة امر من الاخراج معطوف على الامر قبله فانطلق فافعل ما امرني
به الله من اخراج من في قلبه اقل قليل من الايمان وهذه الشفاعة ان كانت الشفاعة العظمى فالمراد
باخراجهم تخليصهم من هول الموقف وكربه وان كان المراد ما بعده فالمراد اخراجهم من النار
والانطلاق كان من مكان القرب الذي وقع فيه الشفاعة كما تقدم ولذا قال ثم ارجع الى ربي
فاحمده بتلك المحامد التي الهمنيها كما تقدم وذكر مثل الاول اي مثل الكلام الاول في قوله
فاخر ساجدا الى آخره وقال فيه اي في الحديث الذي رواه مسلم مثقال حبة من خردل
وهو حب معروف في غاية الصغر والمعنى واحد في كونه كناية عن غاية قلة الايمان فافعل
ثم ارجع الى ربي وذكر مثل ما تقدم وقال فيه كما رواه مسلم من كان في قلبه ادنى ادنى
ادنى هو افعل تفضيل من الدنو واصل معناه القرب في المكان او الزمان او المنزلة كقوله تعالى
قنوان دانية ثم عبر به عن الاقل ويقابل بالاكثر وعن الاضعف ويقابل بالاكبر وعن الارذل ويقابل
بالخير كما قال تعالى اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وافعل هنا مضاف لما بعدها للمبالغة
اي اقل من الاقل وفي صحيح مسلم من رواية انس تكرير لفظ ادنى ثلاثا وهو كذلك في بعض
نسخ الشفا وفي بعضها كرر مرتين ووقع كذلك في بعض صحيح البخاري من رواية الكشميهني
من مثقال حبة من خردل فافعل بيان لادنى الادنى وقوله فافعل اي اخرج من في قلبه اقل
قليل من الايمان وذكر في المرة الرابعة من رجوعه الى ربه ومراجعته له في الشفاعة فانه وقع
مرارا في رواية البخاري وفيما ذكر دلالة على ان الايمان يزيد وينقص فان قلنا بدخول اعمال
الطاعة فيه مطلقا او الفرض فهو ظاهر وان قلنا انه مجرد التصديق القلبي فاختلف فيه فقيل
لا يقبله فانه لا يقبله الا احتمال النقيض وهو كفر وذهب العضد وغيره من المحققين الى انه يقبله
ايضا فان اعتقادنا وتصديقنا ليس كتصديق الانبيا وتفاوته باعتبار قبوله التشكيك
وعدمه وتحقيقه في الكتب الكلامية فيقال لي ارفع راسك وقل يسمع اي يجب ويقبل رجاؤك
واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب ايذن لي في الشفاعة واخراج من قال لا اله الا الله
اي من نطق بكلمة التوحيد والظاهر انه مع اعتقاده لذلك اعتقادا اما من غير مناقشة له
وتفتيش عن حاله فما قيل من انه ان اعتبر تصديق القلب للسان فهو كمال الايمان فاوجه الترقي
من الادنى المذكور وان لم يعتبر دخل فيه المنافق وهو مشكل غير متجه فتدبر قال اي الله تعالى
ليس ذلك اليك اي ليس ذلك مفوضا اليك بل الي ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي قسم
دال على تحقق المقسم عليه والعزة الغلبة والقهر والكبرياء بمعنى الترفع عن الانقياد والعظمة
ظهور ذلك وزيادته وهي متقاربة وجبريائي بالمد مضاف لياء المتكلم وجيمه مكسورة وجوز
فتحها وباؤه ساكنة وقيل انه مقصور ومد لمشاكلة الكبريا وربما سمع كذلك من غير ازدواج
وهو والجبروت بفتح الباء وسكونها بمعنى وتاؤه للمبالغة كالملكوت لاخرجن من النار من قال

لا اله الا الله من غير شفاعة احد واستدل بهذا الكرامية على ان مجرد النطق بكلمة الشهادة
كاف في صحة الايمان ولا حجة لهم فيه وفيه رد على من قال بخلود اصحاب الكبائر من المعتزلة
وما خص النبي باخراجه من اثمر ايمانه مزيد يقين او عمل ما وما اخرجه رب العزة من محض ايمانه
عن كل شي عداه ويدل له قوله في حديث الشيخين الذي فيه لم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة
من النار يخرج فيها قوما لم يعملوا خيرا قط يعني غير قولهم لا اله الا الله خالصا من قلبه كما ورد في
رواية اخرى وقوله من قلبه للتاكيد كنظرت بعيني وسمعت باذني ومن رواية قتادة عنه
اي عن انس قال اي انس لا النبي صلى الله عليه وسلم كما توهم لان الشك في قوله فلا ادري
في الثالثة او الرابعة انما هو من الراوي فالمراد بالثالثة والرابعة مرات مراجعته ربه
والانطلاقة لاخراج المشفوع لهم قيل في هذا الحديث اشكال لان اوله يدل على ان هؤلاء اهل
الموقف والمحشر وآخره يدل على انهم دخلوا النار فاخرجوا منها بشفاعته واجيب بانهم
صاروا فرقتين فرقة في المحشر شفع لهم فلم يعذبوا وفرقة دخلوها ثم اخرجوا منها بشفاعته ففي
الكلام اختصار وطي فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن اي وجب
عليه الخلود اي لم يبق بعدهم الا الخارجين الا من حكم الله في القرآن بخلوده في العذاب
ولم يؤذن في الشفاعة لهم وهم المنافقون والكفار لقوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار ولن تجد لهم نصيرا اي شفيعا وقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ونحوه من الايات
كقوله ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا وعن ابي بكر وعقبة بن عامر وابي
سعيد الخدري الصحابي المشهور وحذيفة بن اليمان مثله اي مثل الحديث السابق الذي
رواه الشيخان وحديث هؤلاء رواه احمد واصحاب السنن قال اي قال كل واحد منهم او النبي
صلى الله عليه وسلم الا ان قوله فيأتون محمدا انباه ظاهرا اذ الظاهر ان يقول يأتوني فيأتون
محمدا صلى الله عليه وسلم بعد مراجعة الانبيا وذكرهم العذر في عدم الشفاعة لهم والآتون
هم اشراف اهل المحشر من اتباع الرسل وقال الغزالي في الكشف انهم العلماء العاملون يلهمهم الله
طلب ذلك من الانبيا وبين كل اثنين منهم لكل نبي وآخر بعده الف عام قال ابن حجر هذا التعيين
للزمن لم اقف له على اصل وقد اكثر في كتبه من مثله فلا تغتر به انتهى فيؤذن له اي يأذن
الله لنبينا صلى الله عليه وسلم في الشفاعة وتأتي الامانة والرحم فيقومان عن جنبتي الصراط
اي ناحيتيه يمنة ويسرة واحدة جنبه بفتح النون وسكونها والامانة ضد الخيانة والرحم
القرابة واصلها مقر الحمل يعني انهما يمثلان او يجسمان بقدرة الله تعالى ليشهدا على الخائن وقاطع
الرحم وخلافهما وقيل المراد بالامانة العظمى التي في قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال وهي التوحيد والاقرار به في عالم الذر التي فطر الناس عليها والرحم هي المذكورة
في قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام وهذا التعظيم امر الله وشفقته على خلقه
وفي هذا مما بلغ حد التواتر المعنوي رد على المعتزلة المنكرين للصراط كما بين في كتب الكلامية
وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا فيشفع لهم في الخلاص من الموقف
وهوله فيضرب الصراط اي يوضع كما ورد في رواية اخرى من ضرب الخيمة اذا نصبها
وعبر بالضرب لما فيه من الثبات والاستقرار وتوهم بعضهم ان الضرب بمعنى الجلد فقال ان ضربه
يشعر بمرور الصراط نفسه مع من عليه فان كان المراد مرور من عليه فضربه لاستعجالهم
وتحويفهم وهذا مما يقضى منه العجب وهو ممدود على متن جهنم ادق من الشعرة واحد من السيف

أو الموسى كما ورد في الحديث وما قيل انه شعرة من عنق مالك لا أصل له وهو من أكاذيب
الوعاظ وأصحاب القصص والصراط بالصاد والسين والزاي كما بين في اللغة وكتب التفسير
وعلم القراءات فيمرون اي يمر الناس عليه فمنهم من يقع في النار ومنهم من ينجو وهم فرق
أولهم كالبرق في السرعة من غير مهلة ومشقة ثم كالريح والطير في السرعة مع الزمان الممتد
أكثر من الأول وشد الرجال بالجيم جمع رجل ضد المرأة كما صح في النسخ والشروح وصح العزفي
تلمسان المصح روايته عنه كما نقله التلمساني انه الرحال بالحاء المهملة جمع راحلة وهي رواية ابن
ماهان والمراد به هنا البعير فقد ذكر بعضهم ان الرحل ما يوضع على البعير ويعبر به تارة عن البعير
انتهى فما قيل ان روايته بالحاء المهملة خطأ خطأ وان كان لا يخلو من التكلف وفي بعض الشروح
هنا ما يتعجب منه ولا حاجة لنا هنا بايراده والشد سرعة الجري وقال الراغب انه مستعار من
قولهم اشتد الريح وقال صلى الله عليه وسلم ونبيكم في هذا الحديث يعني به نفسه على طريق
التجريد المعروف في علم البديع صلى الله عليه وسلم على الصراط يحتمل انه على ظاهره ويحتمل ان
المراد انه وقف عنده ولكنه لقربه كالواقف عليه يقول اللهم سلم سلم جملة حالية تدل على
اعتنائه بهم والدعاء لهم بالسلامة من الوقوع في جهنم حتى يجتاز الناس يجتاز افتعال من
الجواز وهو المرور وهو غاية لقوله اي لا يزال يقوله حتى يمروا او علة له اي يقوله حتى يسلموا
فيمروا والناس اعم من امته وذكر آخرهم جواز الحديث اي اذكره اي يسلم آخر من يمر على الصراط
قيل هو هناد وقيل جهينة وقيل هما واحد واحدهما اسم والآخر لقب والذي رأيناه ان جهينة آخر
من يخرج من النار وعند جهينة الخبر اليقين كما ذكر في كتب الحديث وفي شرح التلمساني قيل
آخر من يخرج من النار هناد ولم يقع اسمه في الصحيح وروي ان الحسن قال يا ليتني كنت هنادا قيل
انما تمنى هذا لانه علم منه انه قطع له بخاتمة الايمان في الحديث وقيل لان بدخوله للجنة كملت النعمة
على اهلها لانهم كالجسد الواحد انتهى وفي رواية ابي هريرة فاكون انا اول من يجيز هذا ما
رواه الشيخان هو اول من يجيز امته من الرسل وهو يقتضي ان المراد بالناس امته وانهم اول الامم
جوازا على الصراط فله قصب السبق في كل امر فهو اول من نبئ في عالم الارواح والذر واول
من يشفع واول من يفتح باب الجنة واول من يدخلها واول من يجيز امته على الصراط ويجيز مضارع
وليس بمعنى جاز كما قيل وعن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم يوضع للانبياء في ارض المحشر
منابر من نور جمع منبر اي كرسي مرتفع يجلسون عليها والناس وقوف على اقدامهم اكراما لهم
وتمييزا عمن عداهم برفعة مقامهم ليسر المؤمنين ويخزي من كفر ويبقى منبري خاليا غير
لا اجلس عليه حال من المضاف وقوله قائما حال من فاعل اجلس فهي متداخلة لا انها بعد حال
بين يدي ربي اي قريبا منه قربا معنويا لتنزهه عن الزمان والمكان والجارحة فهو تمثيل
وقيامه مع جلوس غيره من الانبيا فيه زيادة تكريم له لما فيه من الاشارة الى انه من المقربين في
حظائر القدس الناظرين في امور غيرهم عند ربهم ولذا فرع عليه قوله فيقول الله ما تريد
ان اصنع بامتك لما فيه من الدلالة على زيادة محبته واكرام اتباعه بما هو في صورة البشارة
له فاقول يا رب عجل حسابهم اي قدم النظر في امورهم على غيرهم حتى يخلصوا من هول
الموقف ويدخل الجنة من هو داخلها منهم ويعلم من هو معذب منهم عزم دخوله في النار فلا منافاة
بين هذا الحديث وحديث من نوقش الحساب عذب ولذا قالت عائشة لا يحاسب احد يوم
القيمة الا دخل الجنة فيدعى بهم اي بامته محمد وهو مبني للمجهول كقوله فيحاسبون فمنهم من يدخل

الجنة برحمته من غير شفاعة لغلبة حسناته على سيئاته ولطف الله به ومنهم من يدخل
الجنة بشفاعتي له وذلك رحمة ايضا ولا ازال اشفع في العصاة حتى اعطى صكاكا
غاية او علة لاستمرار شفاعته واستمرارها وصكاكا بالصاد المهملة والكاف جمع صك كصكوك
واصك وهو الورقة التي تكتب للمصالح والعرف خصها بحجة القاضي وهو معرب جك بالجيم
المعجمة برجال امر بهم الى النار اي متعلقة بهم فكانها ترسل اطلقهم بعد ذهاب ملائكة
العذاب بهم وامر مبني للمجهول اي امر الله باخذهم ليدخلوها او باخراجهم بعد ما دخلوها
حتى ان خازن النار الموكل بها وهو مالك او المراد خزنتها فيشمل مالكا واتباعه
ليقول لما رآه من كثرة انقاذه لمن امر به يا محمد ما تركت لغضب ربك من نقمة الغضب
ارادة الانتقام والنقمة بكسر اوله العذاب اعلم تدع احدا ممن استحق العذاب يعذب
وحتى هنا ابتدائية ومن طريق زياد بن عبد الله البصري النميري بالتصغير نسبة
الى نمير قبيلة سميت باسم ابيها وقد اختلف فيه فقيل انه ثقة وقيل ضعيف لا يحتج به وهذا
الحديث رواه البيهقي وابو نعيم في الحلية عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال انا اول
من تنفلق الارض اي تنشق والفلق شق الشي وابانة بعضه من بعض قال فالق الاصباح
عن جمجمته بضم الجيم الاولى والثانية وهي الرأس ومخ الرأس وعظمه الذي فيه الدماغ
وخصها لانها اول ما يظهر منه ولا فخر اي لا اقول هذا اظهارا للافتخار ولتبجح بل بيانا
لما انعم الله به عليه وتحدثا بنعمته ولا ينافي ما ورد في الحديث لا تفضلوني على موسى
فان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق فاذا موسى آخذ بساق العرش لانه قاله قبل علمه
بانه سبق عليه في البعث فانه يلزم منه افضلية موسى عليه فتامل وانا سيد الناس يوم
القيمة ولا فخر المراد انه سيدهم واشرفهم في الدنيا والآخرة وخص الثاني بالذكر
لعدم اعتراض كفرهم او لانه يعلم منه بالطريق الاولى او لانه مسلم لا ينكر في اخذ الرئيس اللواء
والمراد لواء الرياسة العظمى الذي يحمله ويفتخر به سائر الخلق لتفرده به وهو على حقيقته
او كناية عن تقدمه على غيره وانا اول من يفتح له الجنة ولا فخر اي يفتح له بابها ثم بين كيفية
ذلك فقال فاتي واخذ بحلقة الجنة بسكون اللام كما مر اي امسكها واحركها حتى تسمع
خزنتها فيقال من هذا الذي دق الباب فاقول انا محمد فيفتح لي لعلمهم بانه اذن له بذلك
فيستقبلني الجبار تعالى اي فاري الله عيانا بنور الفتح وعبر بالجبار دون غيره لانه يوم جزاء
وانتقام كما مر ان الله غضب في ذلك اليوم غضبا لم يغضب قبله ولا بعده فاخر ساجدا لما ارى
من عظمة الله تعالى وانعامه عليه وتجليه له برؤيته ورضوانه قال السنوسي في هذا تمثيل بعمله
كمن قدم على ملك عظيم في سلطانه وكرسي مملكته ودار كرامته فاستقبله لما قدم عليه تشريفا
له واظهارا للعظمة مقامه عنده وتطمينا له ولاتباعه ليزداد سروره مع علوه وجبروته
واستغنائه عن خلقه فلا يتوهم ان المقام يناسب ان يقال استقبلني الرحمن لا الجبار وذكر
نحو ما تقدم من حمده بمحامد لم يكن حمده بها قبل ومن رواية انيس بالتصغير وفي بعض النسخ
انس مكبرا والصحيح الاول وهو صحابي انصاري اسهل ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب وروى
عنه شهر بن حوشب ولم ينسبه وذكر حديثه هذا الطبراني في الاوسط وقالوا اسناده غير
قوي وقول بعضهم نوين ضعفه تعلق الشفاعة بما لا يعقل من الشجر والحجر سهو لان معنى
قوله لاشفعن لاكثر مما في الارض من حجر وشجر انه يشفع لناس اكثر عددا من عدد الشجر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والمحجر لاما توهمه والعجب ممن اعتذر له بانه لا يبعد ان تستغيث به الجمادات فرقا من نار
جهنم ونحو برهان مرفوعة وغير مرفوعة واختلاف الفاظها في شفاعته وتفسير المقام المحمود
الذي وعده الله به تبين لك من مجموعها ان شفاعته صلى الله عليه وسلم ومقامه المحمود
بالنصب عطف على اسم ان وخبرها قوله من حين الخ فلا يتوهم انه لا خبر لها مذكور وانه مقدر
وقوله من اول الشفاعة الى اخرها بيان لمقامه المحمود وفيه اشارة الى تعدد شفاعاته وذكر
قال القرطبي انها اربعة وفي الحديث زيادة عليها وهي شفاعته العظمى في الخلاص من كرب
الموقف لجميع الناس وشفاعته لدخول اهل الجنة الجنة وللمذنبين في العفو عن ذنوبهم ولمن
دخل النار وقد قال لا اله الا الله ولاخراج من دخل النار منها ولرفع درجات اهل الجنة من حين
يجتمع الناس للحشر هذا ومن ابتدائه وتضيق بهم الحناجر هذا كناية عن شدة الهول والكرب
والحشر جمع الناس في المحشر والنشر الخروج من القبور بعد الاحيا والحناجر جمع حنجرة وهي الحلقوم
او طبقتان منه مما يلي الغلصمة او مراسه والمراد انها تضيق عن اخراج النفس لكثرته وشدته
لتراكم الغم والالم حتى تمتلئ منها كما قال تع اذ القلوب ويبلغ منهم العرق بفتحتين وهو معروف
والشمس والوقوف مبلغه اي نهايته التي يمكن بلوغها والوصول لها وفي الحديث يكون عرق
الناس على قدر اعمالهم فمنهم من يكون عرقه لكعبيه ومنهم من يكون لركبتيه ومنهم من يبلغ حتى يلجمه
قالوا وهذا امر خارق للعادة فان الناس اذا كانوا في الماء في مكان مستو يكون تغطيته الماء
لهم على السوا ويبلغ الشمس قدر ميل وهذا ايضا خارق للعادة فان الشمس ليست في سماء الدنيا كما انهم
عراة ولا يرى احدهم عورة غيره وذلك قبل الحساب الاشارة الى اجتماعهم للحشر فيشفع منها
لاراحة الناس من الموقف اي حين اذ تضيق الحناجر ويبلغ ذلك مبلغه ثم يوضع الصراط
السابق ذكره وليس بعده من جهنم ما الك كما قيل كما جاء في الحديث الذي تقدم عن ابي هريرة
وحذيفة وهذا الحديث اتقن اي اكثر اتقانا من غيره فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه
من امته ويشفع معلوم او مجهول لكونه معلوما الى الجنة متعلق بتعجيل كما تقدم من دخولهم
من الباب الايمن ثم يشفع شفاعة ثانية فيمن وجب عليه العذاب اي تحقق فالوجوب
ليس على ظاهره ودخل النار منهم كما تقدم حسب ما بسكون ثانيه وفتحه ونصبه على المصدرية
او الظرفية اي على وفقه ومثله تقتضيه الاحاديث الصحيحة السالفة ثم يشفع فيمن
قال لا اله الا الله خالصا مخلصا قلبه كما تقدم فان قلت هذا ينافي ما تقدم من قوله
فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله فيقول ذلك ليس اليك قلت اجيب عنه
بانه ليس فيه الا ان اخراجهم من النار مفوض الى الله لا اليه وهو ينافي اخراجهم بشفاعته وفيه
خفا وقد بينا المذكور شفاعته فقط وقيل المراد من لم توجد منه زيادة طمانينة له والسابق
المفوض لله من تجرد توحيده عما عداه وليس هذا اي الشفاعة فيمن قال لا اله الا الله لسواه من
الشفعاء وفي الحديث المنتشر اي الشائع ولا يلزم منه صحته فلذا قال الصحيح الذي رواه
الشيخان بدليل قوله واختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة لكل نبي دعوة يدعو بها
تقدم ان المراد دعوة جميع امته لا مخصوصة به او ببعض امته والا فللانبياء دعوات كثيرة مستجابة
بل لبعض اممهم واشار المص الى جواب اخر بقوله وقال اهل العلم معناه اي معنى هذا الحديث
المقصود منه دعوة اعلم بضم الهمزة وكسر اللام مبني للمجهول اي اعلمه الله وروي اعلموا
بالبنا للمجهول اي الانبيا وعلى الاول النائب الفاعل ضمير مستتر وقوله انها تستجاب لهم مفعول ثان له

اي يتمنون

اي يتمنون اجابتها ويبلغ فيها مرغوبهم بالبنا للمجهول ومرغوبهم اي مطلوبهم الذي
رغبوا في حصوله ونحوه نائب الفاعل والا اي وان لم يقل ان معناه لما ذكر بان يبقى على
ظاهره وانه يستجاب له دعوة فقط كان مخالفا للواقع فهي لكل نبي من دعوة مستجابة
اي اجاب الله دعاه فيها في الدنيا ولنبينا خصوصا مما لا يعد من الدعوات المشاهد استجابتها
لكن حالهم عند الدعاء بها قبل تحقق اجابتها بين الرجا لاجابتها والخوف من عدم قبولها
وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤوا يدعون بها على يقين من الاجابة اي ضمن الله لهم
قبولها يقينا وهذه هي الدعوة المذكورة في هذا الحديث والجار والمجرور اي متيقنا اجابتها
ثم اشار الى جواب اخر بقوله وقد قال محمد بن زياد الجمحي البصري الثقة الذي اخرج له الستة
وابو صالح ذكوان السمان الثقة عن ابي هريرة في تاويل هذا الحديث وتفسيره لكل نبي
دعوة دعا بها في حق امته وشانهم سواء كانت لهم او عليهم فاستجيب له وانا اريد ان اوخر
دعوتي شفاعة بالنصب اي لاجل الشفاعة لامتي يوم القيمة وفي رواية ابي صالح
السابق ذكره وهذا مما رواه الشيخان عنه لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته
فيه اقامة الظاهر مقام الظاهر لان المقام مقام بشارة يطلب فيه البسط ونحوه في رواية
ابي زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي الامام الثقة اخرج له اصحاب الستة واختلف
في اسمه فقيل جرير وقيل عبد الله وقيل عبد الرحمن وقيل هرم وقيل هذا وهم وانما هو هرم وقيل
عمرو عن ابي هريرة وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابي هريرة اي هو فيه لها معنى واشار بكثرة
طرقه الى صحته وقوة روايته ثم بين المراد بهذا الجواب وانه غير الجواب السابق بقوله فتكون
هذه الدعوة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا اي وان لم يفسر الحديث بما ذكر
لزم الخلف فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه سال لامته اشياء من امور الدين والدنيا
منع بعضها واعطي بعضها فتعين انها ليست الدعوة الموعودة بها وهذا اشارة لما في الصحيح
من انه قال سالت الله عز وجل ثلاث خصال فاعطاني ثنتين ومنعني واحدة منها سالته
ان لا يهلكنا بما اهلك به الامم فاعطانيها وسالته ان لا يظهر علينا عدوا من غيرنا فاعطانيها
وسالته ان لا يلبسنا شيعا وفي رواية ان يذيق بعضنا باس بعض فمنعنيها وهو المذكور في سورة
الانعام في اية وهو القاهر فوق الخ ومن فسر الدعوة التي ادخرها بهذا فقد اخطا
وغفل عن قوله وادخر بالدال المهملة المشددة اي جعلها ذخيرة مؤخرة لهم هذه الدعوة ليوم
الفاقة وهي الفقر وشدة الحاجة والمراد به يوم القيمة لاحتياج الناس فيه الى رحمة الله تع
وشفاعته حيث لا يشفع غيره وخاتمة المحن جمع محنة بكسر الميم وهي البلية المحيرة يعني
هول الموقف اذ لا بلية بعده الا النار وعظيم السؤل والرغبة بالجر معطوف على يوم الفاقة
او على الفاقة او حمل اليوم نفسه محنة والرغبة عطف تفسيري لما قبله او هو اخص منه
ولما ذكر ما تفضل به النبي عليه الصلاة والسلام على امته الداخل فيهم دخولا اوليا ختم الفصل
بدعائه له بقوله جزاه الله ما جزى نبيا عن امته اي بما جزاه او بمثله وصلى الله عليه وسلم تسليما
كثيرا ولبعض الشراح هنا كلام لا طائل تحته تركناه خوف السامة مما لا فائدة فيه والله اعلم

فصل في تفضيله

صلى الله عليه وسلم على غيره في الجنة بالوسيلة اصل الوسيلة ما يكون موصلا لامر يتعينه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كالهدية والمودة ونحوه قال الراغب الوسيلة التوسل الى الشي برغبة وهي اخص من الوصيلة لتضمنها معنى الرغبة قال الله تع وابتغوا اليه الوسيلة وحقيقة الوسيلة الى الله مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة انتهى والمراد بها هنا منزلة عالية في الجنة كما سياتي فهي مجاز من باب اطلاق السبب على المسبب ومن فسرها بالقرب من الله فقد تسامح في العبارة قال الزبيدي يقال وسل اذا تقرب لانه المقرب والدرجة الرفيعة اي المرتفعة العالية والدرجة هنا المنزلة واصلها ما يصعد فيه كدرجات السلم وهذا تفسير لما قبله وقال السخاوي في المقاصد الحسنة لم ترد هذه اللفظة في الدعا الذي يدعى به عقب الاذان كما يفعله من لا خبرة له بالسنة فذكرها في الدعا لا اصل له والكوثر تقدم تفسيره وانه فوعل من الكثرة والمراد به نهر في الجنة والفضيلة فعيلة من الفضل ضد النقص ثم ذكر المصنف شواهد لتفضله في الجنة على غيره منها حديث رواه مسلم وابو داود والترمذي واقتصر على ما في الترمذي لقرب سنده اليه فقال حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي نسبة لتميم قبيلة وقد تقدمت ترجمته والفقيه ابو الوليد هشام تقدم ايضا بقرائتي عليه لا بسماعي من لفظه وهذه اعلى من السماع من شيخه قالا حدثنا ابو علي الغساني الجياني السابق ذكره حدثنا النمري بفتح النون والميم وهو الامام ابن عبد البر المتقدم انا ابن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر التمار بفتح المثناة الفوقية نسبة الى التمر المعروف وتقدم انه عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبي وان ابو بكر التمار تقدمت ترجمته ايضا حدثنا ابو داود الحافظ صاحب السنن وقد تقدم ايضا حدثنا محمد بن سلمة بفتح السين واللام وما في بعض النسخ من انه مسلمة بميم في اوله سهو من الناسخ وهو ابو الحارث محمد بن سلمة المرادي المصري اخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي في سنة مايتين وثمان واربعين حدثنا ابن وهب هو عبد الله بن وهب تقدمت ترجمته عن ابن لهيعة بفتح اوله وكسر ثانيه وهو عبد الله الحضرمي ثم المصري الامام الحافظ وهو ثقة خلافا للذهبي اذ ضعفه روى عنه مالك واصحاب السنن وتوفي في سنة مائة واربعة وسبعين وحيوة بفتح الحا المهملة وسكون المثناة التحتية وواو وها وهو ابن شريح الحمصي ثم المصري توفي في سنة مايتين واربعة وعشرين وروى عنه اصحاب السنن وقياسه حيه بالادغام الا انه لم يعتبر فرقا بين العلم وغيره وسعيد بن ابي ايوب ابو يحيى ابن مقلاص الخزاعي المصري الثقة اخرج له اصحاب السنن وتوفي في سنة احدى وستين ومائة عن كعب بن علقمة بن عمرو بن زيد بن جشم الانصاري الخزرجي الصحابي البدري توفي في سنة اربع وثلاثين وسنه سبعون سنة وفي بعض النسخ عن كعب عن علقمة والصواب الاول عن عبد الرحمن بن جبير القرشي مولى نافع الثقة توفي في سنة سبع وتسعين واخرج له الستة عن عبد الله بن عمرو بن العاص السابق ذكره انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال وعبر بالمضارع للحكاية حتى كانه شاهد حاضر اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول من كلمات الاذان غير الحيعلتين فانه يقال عند سماعهما لا حول ولا قوة الا بالله وهذا على سبيل الندب على الصحيح وفي قول عند الشافعية انه واجب واذا تكرر سماعه يكفي اجابة الاول وفي فتاوى ابن عبد السلام انه يندب اجابة الكل والاول اصح وكذا في الاقامة عند الشافعي ويقول عند قوله قد قامت الصلاة اقامها الله وادامها وعند قوله الصلاة خير من النوم صدقت وبررت قيل ولا يلزم سماع جميعه ولا فهمه ثم صلوا علي اي قولوا عقب الاجابة اللهم صل وسلم عليه وهذا مندوب فانه من صلى علي اي مرة بقرينة قوله صلى الله عليه بها عشرا اي بصلاته وضمن الله الشان لتضاعف

الحسنات

202

الحسنات ثم اسئلوا الله لي الوسيلة اي ادعوا الله لي بان يؤتينها فقولوا اللهم آت محمدا الوسيلة ثم فسرها فقال فانها منزلة في الجنة اي مقام عال فيها اعلى مما عداه ولا ينبغي اي لا يليق اعطاؤها الا لعبد عظيم جليل عند الله فالتنوين والتنكير للتعظيم من عباد الله الاشراف المقربين فالاضافة لاختصاصهم بالشرف والقرب من سيدهم قال ابن كثير هي اقرب منازل الجنة الى العرش واعلاها واشرفها وتقدم ان الوسيلة من التوسل وهو التقرب فان قلت ما وجه تخصيص الدعا بها بعد الاذان قلت لما كان المؤذن يدعو الناس للصلاة وهي مقربة الى الله تع ومعراج المؤمنين وهذا مما من الله تعالى به علينا بارشاده وهدايته ناسب ان يجازي ذلك بالدعا له بالقرب من الله ورفعة المنزلة فان الجزاء من جنس العمل وارجوا ان اكون انا هو ضمير الغيبة للعبد وانا مبتدا وهو خبره والجملة خبر اكون وكون انا تاكيد للضمير المستتر وهو خبر استعير ضمير الرفع للمنصوب او وضع موضع الظاهر والاصل اكون انا اياه او ذلك خلاف الظاهر وتعبيره بالرجاء مع تحقق اختصاصه بارفع المنازل عند ربه تادبا وتشريفا لامته بالدعا له وفيه دليل على جواز دعا المفضول للفاضل ليفوز بالثواب كما اشار اليه بقوله فمن سال الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة بالحاء المهملة وتشديد اللام بمعنى وجبت من حل يحل كضرب يضرب او عينه ونزلت من حل يحل كقعد يقعد وروي لم تزل عليه ولا حاجة لجعل اللام بمعنى على لان وجب يتعدى وليس المراد بالوجوب معناه المشهور بل التحقق والتيقن ولا يستشكل بان الشفاعة للمذنبين ومن قاله ليس بمذنب بل عابد لله لان الشفاعة انواع كما مر كالشفاعة في دخول الجنة من غير حساب وفي رفع الدرجات وزيادة المطيات ولا يختص هذا بمن قاله مخلصا مستحضر الاجلال فيه صلى الله عليه وسلم بل يكفي فيه قصد مجرد الثواب الا انه ينبغي ان لا يكون غافلا لاهيا واستحباب هذا لغير المصلي فرضا او نفلا فان قاله فيها لم تبطل صلاته لانه ذكر الا في قوله صدقت فانه من كلام الناس فتامل وفي حديث آخر رواه الترمذي ايضا عن ابي هريرة الوسيلة اعلى درجة في الجنة مخصوصة به صلى الله عليه وسلم وهي اقرب الى العرش من سائر المنازل وليس هذا معلوما من الحديث السابق الا انه المراد منه وعن انس في حديث رواه البخاري بينا انا اسير في الجنة تقدم الكلام على بينا بالالف والظاهر ان سيره هذا كان مناما ويحتمل انه يقظة في الاسرا اذ عرض لي نهر اي فاجاني عرضه اي ظهوره بمروري عليه حافتاه اي جانباه وسطاه وهو بتخفيف الفاء المفتوحة وهو مبتدا خبره فيهما اللؤلؤ مثل القباب جمع قبة المعروفة وهي بيت صغير تضربه العرب لتنزل فيه والجملة صفة نهر بسكون الهاء وفتحها والمراد انها لؤلؤ حقيقي او مثله في الحسن والنضارة قلت لجبريل ما هذا النهر لانه لم يعرفه قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله اي وهبه لك في قوله انا اعطيناك الكوثر وهو فوعل صفة مشبهة من الكثرة لكثرة مائه واتساعه ولذا فسره ابن عباس بالخير الكثير وهو اصل معناه ثم نقل وجعل علما لهذا النهر ودخلت عليه اللام للمح الاصل ووصل الضميرين المنصوبين على اللغة الفصحى ولو فصل وقال اعطاك اياه جاز وورد في صفته انه ابيض من اللبن واحلى من العسل كما سياتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضرب جبريل بيده الى طينه بالتنوين والاضافة الى ضمير النهر وسماه طينا لانه بمنزلته وعلى صورته وضرب يده مجاز عن ادخالها فيه فاستخرج مسكا اي اخرج من قعره وارضه ليعرفه بفضله وان طينه مسك فليس كالانهار

شبكة الألوكة www.alukah.net

الدنيا وروي عن عايشة وعبد الله بن عمر نحوه اي مثل حديث انس المذكور قال اي رسول
الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ومجراه بفتح الميم مصدر ميمي اي جري هذا النهر اي مجرى
مائه على الدر والياقوت الذي فوق طينه الذي هو مسك كما ان الانهار تجري على طين
وحصى فهذا طينه المسك وحصاه جواهر فلا منافاة بين كون مجراه على الجوهر وكون طينه
مسكا كما مر وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج بفتح المثلثة وسكون اللام قبل الجيم وفتحها
مصدر ثلج صدره بكذا اي برد لتيقنه وابيض افعل تفضيل من البياض وقد سمع من العرب على
خلاف القياس فلا ينافي قول النحاة ان افعل التفضيل لا يصاغ من الالوان ويجوز ان يكون صفة
كاحمر واسود الا انه خلاف الظاهر وفي الحديث ان الله اعطاني نهرا يقال له الكوثر لا يكاد احد
من امتي يسمع خريره الا سمعه فقيل يا رسول الله كيف ذلك قال ادخل اصبعيك في اذنيك وسدهما
فالذي تسمعه خريره نقله السهيلي وفي رواية ابيض من اللبن وكونه احلى من العسل لا ينافي
ان من انهار الجنة نهرا من عسل وفي رواية عنه فاذا هو اي الكوثر يجري جريا متصلا ولا
يشق شقا جملة حالية من ضمير يجري اي لا يشق الارض لشدة جريه وكذا سائر انهار الجنة
تجري من غير ان تخد اخدودا كما قاله التلمساني ويشق مبنيا للفاعل وقيل انه روي مبنيا للمجهول
وقيل المراد انه يجري معترضا لا مستطيلا من قولهم شق البرق اذا لم مستطيلا وهو تفسير لما
ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لا تظنون ان انهار الجنة اخدود لا والله انها لساعة
على وجه الارض وقد يرجع ما ذكر اليه فيكون المعنى واحدا عليه اي على الكوثر والظاهر انه
بجانبه قريب منه كما يقال مررت على زيد اي على مكان قريب منه حوض والحوض معروف وقد
قيل المراد بكونه عليه انه يمد منه لان عليه ميزابين يشخبان فيه من الكوثر لا انه بجانبه اذ
هو في الجنة والحوض خارجها لحديث ليردن على الحوض اقوام واعرفهم ثم يحال بيني وبينهم
فاقول انهم مني فيقال لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدي فتامل
ترد عليه امتي اي يأتونه للشرب منه ولعله بعد الحساب والنجاة من النار وذكر حديث
الحوض وهذا يدل على انه غير الكوثر وقد جاء في بعض الاحاديث ان الكوثر هو الحوض والحق انه
غيره على قول من اقوال عدة ولو قيل بتعدد الحوض لم يبعد ونحوه عن ابن عباس اي روي عن
ابن عباس ما يوافقه وعن ابن عباس ايضا اي في رواية اخرى ذكرها البخاري قال في
تفسيره الكوثر الخير الكثير الذي اعطاه الله اياه تشريفا له وتكريما وهذا بناء على انه فوعل
من الكثرة مطلقا ثم خص بالكثير من الخير وبالنهر الذي في الجنة فان اراد ابن عباس بهذا بيان ما وضع
له لغة او بيان معنى عام خص في الحديث والاية فلا كلام فيه وان اراد تفسير ما في الاية فالاحاديث
الصحيحة وردت بخلافه وفي الاية ستة عشر قولا فقيل انه النهر السابق ذكره وقيل النبوة
والكتاب وقيل القرآن وقيل الاسلام وقيل تخفيفات الشريعة وقيل كثرة الامة وقيل رفعة الذكر وقيل
نور النبوة المحمدية وقيل كثرة المعجزات وقيل الدعوات المجابة له وقيل كلمة التوحيد لا اله الا الله محمد
رسول الله وقيل الفقه في الدين وقيل الصلوات الخمس التي خصت بها امته وقيل الحوض والاصح انه نهر
في الجنة مخصوص وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه يعني
انه على عمومه وهذا داخل فيه وهو المراد منه ويؤيده ما روي عن حذيفة بن اليمان فيما ذكر صلى
الله عليه وسلم عن ربه حيث بشره له في حديث قال فيه واعطاني الكوثر نهرا من الجنة يسيل في
حوضي الذي في الموقف او بعد الصراط تستقي منه امته وفيه اشارة الى ان تفسيره بالحوض لانه ماؤه

د لجي

د لجي وعرضي

منه

٢٥٧

منه وعن ابن عباس في حديث صحيح رواه بسنده رواه ابن جرير وابن حبان في تفسير
قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى اي يعطيك الى ان ترضى بما اعطاه لك ونقل عنه
قال من جملة ما اعطاه الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك اي هي من لؤلؤ وترابها من المسك
فالضمير للقصور التي دل عليها قوله الف قصر وفيه اي في كل قصر فاعاد الضمير عليه مفردا
رعاية للفظه لان كلا مفرد من كل ما يصلحهن الضمير عائد عليه ايضا رعاية لمعناه وقيل
ضمير فيه عائد عليه نظرا للفظه قصرا ولتاويله بما ذكرنا قيل ان صوابه فيهن لا وجه له
والمراد ما يقوم بمصالح تلك القصور من الخدم والزوجات والالات كالاواني كما اشار اليه
بقوله وفي رواية وفيه ما ينبغي له اي في كل قصر ما يناسبه ويليق به من الازواج والخدم
بفتحتين جمع خادم وفعل جمع لفاعل ورد في الفاظ ذكرها النحاة وقيل انه اسم جمع والازواج
جمع زوج او زوجة وذكرهما هنا لمناسبته للمنزل والمقام وهذا الحديث رواه المصنف
موقوفا على ابن عباس لا النبي وهو الظاهر ورواه الاوزاعي مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال حدثنا اسمعيل بن عبد الله عن علي بن عبد الله بن عباس عن الله عنه صلى الله عليه وسلم انه اري
ما هو مفتوح على امته فسر بذلك فانزل الله عز وجل عليه والضحى والليل اذا سجى الى قوله
فترضى فاعطاه عز وجل الف قصر الخ وقيل في الاية انه اعطاه ما هو شامل لكل خير اعطاه
ولما ادخره له مما لا يعرف كنهه الا الله وتقدم انها لما نزلت قال اذن والله لا ارضى
واحد من امتي في النار وقد تقدم الكلام عليه والله تعالى الموفق

فصل

في بيان شبهة ترد على ما تقدم من انه افضل الرسل واعظمهم عنده وجرد من نفسه سائلا
خاطبه بقوله فان قلت واتى بالفاء الاستينافية اشارة الى نشأته مما قبله وترتبه عليه
قد تقرر من دليل القرآن اي تحقق وثبت واضافة دليل للقرآن بيانية او تخصيصية لامية
وصحيح الاثر اي الحديث وهو معطوف على القرآن او على دليل واجماع الامة المحمدية كونه اكرم
البشر اي اشرف بني آدم وافضل الانبيا والرسل خاصة منهم ولم يقل اكرم الخلق لان قوله اجماع
الامة يأباه لما فيه من خلاف المعتزلة في خواص الملائكة وان كان الصحيح خلافه فلا وجه للاعتراض
بذلك فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل بين الانبيا والناهية عن تفضيله عليهم
كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان ورواه المصنف من طريق مسلم فيما حدثناه
متعلق بقوله او حال منه الاسدي نسبة الى اسد قبيلته قال حدثنا السمرقندي تقدمت ترجمته
حدثنا الفارسي عبد الغافر تقدمت ترجمته قال حدثنا الجلودي تقدم بيانه وبيان نسبته
حدثنا ابن سفيان ابراهيم بن محمد بن سفيان السابق ترجمته حدثنا ابن المثنى محمد ابو موسى
البصري توفي في سنة اثنين وخمسين ومائتين كما تقدم حدثنا مسلم الامام صاحب الصحيح
المتقدم حدثنا محمد بن جعفر ابو عبد الله الهذلي البصري الملقب بغندر بضم الغين المعجمة
وسكون النون وضم الدال وفتحها وراء مهملة وقد تقدم انه توفي في ذي القعدة سنة ثلاث
واربع وتسعين ومائة حدثنا شعبة ابن الحجاج ابن بسطام كما تقدم عن قتادة تقدم بيانه
سمعت ابا العالية التابعي السابق ترجمته يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم
يعني ابن عباس ابن عبد المطلب المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ينبغي اي ما يصح ولا يجوز
لعبد من عباد الله نبيا كان او غيره ان يقول انا خير من يونس بن متى بفتح الميم وتشديد

تلمساني

ج

ض

شبكة الألوكة
www.alukah.net

التا المثناة الفوقية والف مقصورة وهو اسم امه وقيل اسم ابيه وصحح كلا من القولين طائفة والاول اشهر وهو من ولد بنيامين بن يعقوب وكان بعد سليمان وقيل كان بينهما ايوب وكان قبل النبوة من عباد بني اسرائيل فهرب ونزل بشاطئ دجلة فبعثه الله الى اهل نينوى من ارض الموصل وهو ابن اربعين سنة فضاق ذرعا بالرسالة فشكى ذلك واعلمهم انهم ان لم يستجيبوا له حل بهم العذاب واجل لهم اربعين يوما واعلمهم بالاجل فقالوا ان راينا امارات ذلك امنا لك وانصرفوا فلما مضى الميقات خمسة وثلاثون يوما غامت السما بغيم اسود له دخان فايقنوا بالعذاب فخرجوا من القرية باهلهم وفرقوا بين النسا واولادهن وضجوا الى ربهم فرحمهم وقبل توبتهم وساح يونس في الارض ومر براع سقاه لبنا فقال له اقرا على قومي السلام فقال له يا نبي الله لا استطيع لان من كذب صار قتل فقال له ان كذبوك فشاتك وعصاتك يشهدان لك فاخبرهم فانكروا فقال له فشهدت له الشاة والعصا فصدقه قومه وملكوه عليهم اربعين سنة وقيل كان ميقاته ثلاثة ايام فانتظر يونس عذابهم فخاف لانه من كذب ولم يقم بينة قتل في شرعهم فذهب مغاضبا وركب سفينة فركدت وغيرها من السفن يسير فسالوه عن سبب ذلك فقال ان عبدا ابق من ربه وانها لا تسير حتى تلقوه في البحر فقالوا اما انت يا نبي الله فلا نلقيك فقال اقترعوا فاقترعوا ثلاث مرات تقع بهم القرعة عليه فالقوه والتقمه حوت وغاص به الى قرار الارض فسمع يونس تسبيح الحصى فنادى في الظلمات ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت فنبذ بالعراء وهو سقيم كطير ممعوط لا ريش له فانبت الله عليه شجرة يقطين استظل بها واصاب منها فيبست فبكى فاوحى الله اليه اتبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة الف او زيادة هلكوا فنادى سبحانك لا اله الا انت اني كنت من الظالمين واختلف في مكثه في بطن الحوت فقيل بعض يوم وقيل عشرون وقيل سبعة ايام وقيل اربعون يوما وقيل ثلاثة وانما خص يونس بالذكر خشية من سمع قصته ان يقع في نفسه شي لقلة صبره وعدم ثباته في البلايا والنهي عن تفضيل يؤدي لتنقيص احد منهم ولذا قيل ان من قال انا خير من بعض الانبيا يخشى عليه الكفر ان لم يكن فان كان نبيا فلا ينبغي له ذلك وهذا مخصوص بما اذا لم يكن كذلك وقاله افتخارا ولذا وقع من نبينا صلى الله عليه وسلم تحدثا بنعمة الله وفي غير هذه الطريق المذكورة آنفا عن ابي هريرة قال يعني ابدا ما ينبغي لعبد الحديث اي الى اخره كما مر وفي حديث ابي هريرة الذي رواه الشيخان في رجل من الانصار تنازع مع يهودي بالمدينة مع اليهودي اي في رجل من اليهود لم يذكروا اسمه الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر اي اختاره وفضله على سائر بني آدم من الانبيا وغيرهم فلطمه رجل من الانصار لم يذكر واسمه هو وفي سيرة ابن اسحاق ان اسم اليهودي فنحاص وقال اي الرجل الانصاري تقول ذلك اي تفضيل موسى على البشر ورسول الله بين اظهرنا جملة حالية اي مع وجود النبي الذي هو افضل من موسى وغيره ولفظ اظهر جمع ظهر معجمة اي بيننا فبلغ ذلك الذي قاله اليهودي والرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبيا بالضاد المعجمة اي لا تحكموا على الحكم بافضلية بعضهم على بعض وليس هذا على ظاهره كما سياتي وجوز بعضهم ان يكون بالصاد المهملة اي لا تفرقوا وتميزوا بعضهم من بعض وفي رواية لا تخيروني على موسى وهذه الرواية في الصحيحين وسنن ابي داود والنسائي والنهي عن تفضيل يعم من غيره مؤد الى نقص او على سبيل العصبية والتفاخر فلا ينافي قوله انا سيد ولد آدم ولا فخر وسياتي تفضيله فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى وفي هذا

دلجي

الحديث

الحديث زيادة ذكر موسى وهو من عظماء الرسل اولي العزم فالتفضيل عليه اقوى فيما نحن بصدده فلا وجه لما قيل من انه كان ينبغي تقديم هذا الحديث على الذي قبله والحديث المذكور ولد استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم مقسما والذي اصطفى محمدا على العالمين فقال اليهودي والذي اصطفى موسى على العالمين فلطمه المسلم فذهب اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بما جرى بينهما فقال لا تخيروني على موسى فان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادري اكان فيمن صعق فافاق او كان ممن استثنى الله عز وجل وفي رواية فلا ادري احوسب بصعقة الطور او بعث قبلي ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى وكانت القصة في عرض سلعة وقال البرهان لا اعرف اسم اليهودي والمسلم لا اعلمه وقال غيره اليهودي اسمه فنحاص والمسلم ابو بكر الا ان قوله في الحديث رجل من الانصار يأباه الا ان يقال الانصار هنا بمعناه اللغوي وهو خلاف الظاهر وهذه الصعقة هي المذكورة في قوله ويوم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا وهذا هو الاستثنا المذكور في الحديث والصعق الاحيا والاخراج من القبور مجازا لان حقيقتها الصراخ مع غشي منه وقيل المراد حقيقتها وانها في عرصات القيمة يوم الحشر يوم الفزع الاكبر وقال ابن قيم الجوزية في كتاب الروح نقلا عن تذكرة القرطبي ان هذه الرواية دخل فيها حديث في حديث ولذا اشكل عليهم والذي يزيح الاشكال ان الموت ليس بعدم محض بل انتقال من حال الى حال والانبيا والشهدا احيا لكنهم غيبوا عنا في مراقدهم فاذا نفخ في الصور فمن مات حيي ومن كان حيا من الانبيا ونحوهم كالمغشي عليه صعق ثم افاق ولذا ورد في حديث مسلم فاكون اول من يفيق فلذا تردد النبي في انه اول من تنشق عنه الارض وافاق او سبقه موسى لانه حوسب بصعقة الطور فلم يغش عليه ويصعق وهذه فضيلة لموسى عظيمة فلذا ذكرها ونهى عن تفضيله عليه وانه لا يلزم كونه افضل منه من سائر الوجوه فلذا نصه بالذكر وخص يونس لما مر وسئل امام الحرمين عن نفي الجهة ودليلها فقال دليلها قوله لا تفضلوا على يونس بن متى لانه خاطب الله في قعر البحر والظلمات الثلاث بقوله سبحانك كما خاطبه نبينا في مقام قربه قاب قوسين على الرفرف فلم يكن ثمة اقرب من يونس وعن ابي هريرة في حديث رواه البخاري من قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب ذكروا فيه احتمالين بان يكون انا عبارة عن النبي صلى الله عليه وسلم اي من فضلني على يونس فقد كذب وان يكون عبارة عن القائل غيره اي اي احد من الناس قال انا خير من يونس لتوهمه انه فضله لعلمه وعبادته وغير ذلك من الفضائل لان احدا لا يبلغ درجة الانبيا وقد قالوا انه كفر وهذا يؤيد ان المراد الاول وفي حديثه الفخر اي حديث ابن مسعود الذي رواه مسلم وابو داود والترمذي فجاءه صلى الله عليه وسلم فقال يا خير البرية اي يا افضل الخلق كلهم والبرية بتشديد اليا من برا بمعنى خلق مهموز بمعنى خلق من البرا بمعنى التراب الا انه التزم فيه ابدال الهمزة يا كما في النهاية فقال ذاك وفي نسخة ذلك والاشارة لخير البرية ابراهيم الخليل وهو في الحقيقة افضل البرية والرسل بعد نبينا صلى الله عليه وسلم وقال السيوطي انه متفق عليه فاعلم جواب الشرط في قوله فان قلت وهو شروع في تحقيق المسئلة والجمع بين الاحاديث المتعارضة في التفضيل وعدمه ان العلماء في هذه الاحاديث الناهية عن التفضيل وما يخالفها تاويلات تقدم بعض منها وسياتي تحقيقها احدها ان نهيه عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم بالبنا للفاعل والمفعول اي يعلمه الله هذا دليل على ان قوله انا عبارة عنه صلى الله عليه وسلم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف

شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن اقبرس

اي اعلمهم به من الله واذن فيه فلا يتقدم عليه بالعقل وكون التفضيل في الحديث خاصا
بموسى ويونس فيه دلالة عليه في الجملة فلا يرد ما قيل انه لا يقتضي المنع مطلقا فتامله وان
من فضل بلا علم فقد كذب لانه لا يطابق ما في نفس الامر عنده اذ لم يعلم وهذا تشديد في
النهي والا فاخباره على غلبة ظنه انه واقع لا يعد كذبا وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل
منه لا يقتضي تفضيله هو لانه نفي لقوله وهو لا يدل على انتفائه في نفس الامر وما كل ما يعلم
يقال وضمير تفضيله هو للنبي صلى الله عليه وسلم اي تفضيله على يونس او ليونس صلى الله عليه وعلى
نبينا وانما هو في الظاهر كف اي امتناع او منع لغيره عن التفضيل بينهم وقد يكون لامر
آخر الوجه الثاني انه قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب
بضم فسكون اي عجبه وخيلائه بنفسه ومدحه لها فانه لذلك في الغالب والتكبر اظهار عظمته
والعجب استحسانه لنفسه وشانه والتواضع لين الجانب وخفض جناحه لغيره وهذا الجواب
لا يسلم من الاعتراض الوارد عليه لانه يعد الاخبار بخلاف الواقع الذي هو كذب ممن يوهم تواضعا
قيل ولان نفي التكبر والعجب يقتضي ثبوتهما له وانه مع ما علمه من حاله كيف يتوهم فيه ما لا يتوهم
في غيره من صلحاء امته ولا يخفى ان هذا اعتراض ساقط فان التواضع صفة محمودة وهو من شانه صلى
الله عليه وسلم كما تقدم الوجه الثالث ان مقصوده بهذا النهي ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي
بضم التحتية وفتح الهمزة وتشديد الدال المهملة اي يجر ويوصل الى تنقص تفعل من النقص اي
تنقيص وصفهم بما فيه نقص لهم وذم او الغض منه بفتح الغين المعجمة والضاد المعجمة المشددة
كالغضاضة هي النقص والعيب واصله من غض الطرف والصوت وهو خفضه فاستعير لما ذكر
وضمير منه للنقص وفي نسخة منهم وبينهم من هذا جواز ان لم يؤد لما ذكر لا سيما اي خصوصا
في جهة يونس عليه السلام اي في حقه ووصفه لان الجهة تطلق على الصفة ومنه توجهات
القضايا ولا سيما عند النحاة من ادوات الاستثناء وليس هذا محل الكلام عليه اذ اخبر الله عنه بما
اخبر في قوله ولا تكن كصاحب الحوت الخ لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه اي لا يعلم من يونس
وما قص من قصته بذلك اي بسبب ذلك المذكور وهو متعلق بقوله غضاضة اي نقص
وحقارة يتوهمها من لا علم عنده وعطف عليه عطف تفسير قوله وانحطاط من رتبته الرفيعة
استعارة من تنزيل شرفه منزلة امر عال حسا نزل من علو لسفل اذ قال الله حاكيا اذ ابق الى الفلك
المشحون اي خرج الى سفينة مملوءة بما فيها من الناس والمتاع والاباق هروب العبد من سيده
حسن اطلاقه عليه اذ خرج بغير اذن ربه اذ ذهب مغاضبا لقومه لما لم يجيبوا دعوته كما تقدم
فظن ان لن نقدر عليه اي لن نضيق عليه بالعقوبة ويؤيده انه قرئ مثقلا او تمثيلا لحاله بحال
من ظن ان لا نقدر في مراغمته قومه لعدم انتظاره لامرنا روي ان معاوية قال لابن عباس
ايظن نبي ان لن يقدر الله عليه فقال هو من القدر لا القدرة قال ابن عباس اي من الارادة فظن ان
لن نعاقبه فربما يخيل بالبناء للمجهول ونائب فاعله وقوله حطيطة بدل او قوله لمن لا علم
عنده بمعاني القرآن وما قيل في تاويل هذه الآية متعلق به حطيطة اي نقصه ونزول
مقامه عن مقام غيره من الرسل النظر لظاهر الآية وقد قال المفسرون قيل معنى ذهب مغاضبا ان
غضب من قومه لا من ربه وهذا خلاف الاولى اذ كان حقه الصبر كما وقع لنبينا صلى الله عليه
وسلم في احد وغيرها فلا يذهب بغير امر ولذا قال ولا تكن كصاحب الحوت واما قوله فظن ان
لن نقدر عليه فقد تقدم تاويله وقيل احسن ما قيل فيه ان معناه لن نضيق عليه وقول البيضاوي

انها خطرة شيطانية سبقت الى وهمه سميت ظنا للمبالغة مما لا يليق ان يقال لعصمة
الانبياء عن مثله الوجه الرابع منع التفضيل بين الانبياء والرسل الذي افاده النهي الوارد
في الحديث انما هو في حق النبوة والرسالة نفسها لا الانبياء والرسل قال السنوسي في شرح
عقائده بعد ما ذكر ما قاله المصنف ومما يدل على عدم التفاضل بين الانبياء في تفسير النبوة وحقيقتها
منع ان يقال ثبت لفلان النبي النصيب الاكمل من النبوة ولفلان النصيب الاوفر منها ونحوه من
العبارات التي تقتضي ان النبوة مقولة بالتشكيك ولا شك ان الامتناع من هذه العبارة معلوم
من الدين بالضرورة بين السلف والخلف فدل ذلك على ان حقيقة النبوة من المتواطي المستوي
افراده ولا يلتفت لمن خالف مقتضاه لوضوح فساده انتهى وفي ذكره ذلك في النبوة دون الرسالة
ايماء الفرق بينهما في ذلك فتامله قريب منه قوله فان الانبياء فيها اي في النبوة من حيث
هي هي على حد واحد من نبتها وقدرها متحد فيهم اذ هي شيء واحد اي متحد في جميعهم
لا يتفاضل اي لا يزيد بعض على بعض وانما التفاضل والتفاوت في زيادة الاحوال اي
العوارض الظاهرية عليها والخصوص اي ما خص به بعضهم دون بعض والكرامات التي
اكرم الله بها بعضهم والرتب الدنيوية والاخروية والالطاف اي العطايا التي اعطاها الله
لبعضهم جمع لطف بفتحتين وهو الهدية كما مر فهو استعارة هنا واما النبوة نفسها فلا تتفا
وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها طارئة ليس من نفس حقيقتها كما بيناه ولذلك اي
لما ذكر من ان التفاضل لامر زائد كان منهم رسل غير اولي عزم واولو عزم من الرسل والعزم
القوة والشدة والتصميم على تنفيذ ما يراه اولى به وبغيره والرسل جمع رسول وهو صاحب
الرسالة من الله بشريعة المامور بالتبليغ فهو اخص من النبي على المشهور من الرسل بالكسر وهو
تتابع الدر ومنه على رسلك اي تمهل وتثبت وقد اختلف في اولي العزم والحزم منهم فقيل هم
خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهم اصحاب الشرائع وقيل
اربعة نوح وهود وابراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ستة ابراهيم وموسى وداود وسليمان
وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هود ونوح وصالح وشعيب ولوط وموسى وهم المذكورون
على نسق في الاعراف والشعراء وقيل هم نوح لصبره على اذى قومه وابراهيم لصبره على النار
واسحاق لصبره على الذبح في قول ويعقوب لصبره على فقد ولده ونور بصره ويوسف لصبره على
السجن وايوب لصبره على الضر وقيل هم المامورون بالجهاد وقيل جميع الرسل المذكورون في
في الانعام واختاره الحسن لقوله اولئك الذين هدى الله الخ وهذا مبني على تفسير العزم ثم بين
بعض ما وقع فيه التفاضل ومنهم من رفع الله مكانا عليا وهو ادريس سبط شيث وجد نوح
واسمه قديما اخنوخ رفع الى السماء او الجنة كما قاله المفسرون وكذا عيسى ومنهم من اوتي الحكم
صبيا وهو يحيى اذ احكم الله عقله ونباه وآتاه الحكمة وفهم التوراة واكثر الانبياء نبئ
بعد الاربعين وقد ذكر مثل هذا في عيسى ايضا واوتي بعضهم الزبور وهو داود وفي نسخة
الزبر جمع زبور بمعنى مزبور فيشمل موسى وعيسى وادريس وشيث وداود وقيل انه يكون مصدرا كما
في الحجة لابي علي وبعضهم البينات اي المعجزات الظاهرة الباهرة التي لم يؤتها احد قبله من
احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونحوه مما فضله الله به وهو عيسى ومنهم من كلم الله
من غير واسطة وهو موسى اذ كلمه بالطور ولما رأى نارا ورفع بعضهم درجات عالية
فضله بها على غيره وهذا اجمال لقضايا لم تذكر والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم اذ فضله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

علي من سواه بوجوه متعددة ومراتب متباعدة كدعوته العامة للعرب والعجم والجن والانس
والملائكة ومعجزاته الباقية الي يوم القيمة ومن اجلها القرآن وغيرها مما يفوت الحصر قال تعالى
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الاية وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية هذا
بيان لما قبله او ناظر لجميعه كما اشرنا اليه وقوله تلك امة باعتبار الجماعة قال بعض اهل العلم بالكتاب
والسنة والتفضيل المراد لهم هنا عطف على مقدر او على ما تقدم وهنا اشارة لما ذكر قبله في
الدنيا متعلق بالتفضيل وذلك بثلاثة احوال وفي نسخة اوجه ان تكون آياته ومعجزاته ابهر
اي اقوى واغلب من بهر ضوء القمر الكواكب اذا غلبها واشهر عطف تفسير له كانشقاق القمر والقرآن
وانفلاق البحر وانقلاب العصا حية وتكون بالنصب امته ازكى واكثر اي انقى واكثر من غيرهم
كما ثبت بقوله كنتم خير امة وجعل للناس كافة ويكون بالنصب في ذاته افضل بزيادة علمه وخصاله
المحمودة واظهر بالمعجمة اي اشهر وبالمهملة انقى وانقى وفضله في ذاته ونفسه راجع الى ما خصه
الله به اي ماله ومعناه من كرامته اي اكرام الله له بما آتى ومناقب عظيمة وهباته واختصاصه
بالجر معطوف على مدخول الى ومن من كلام بيان لاختصاصه بمعنى ما اختصه به بغير واسطة كموسى
ونبينا صلى الله عليه وسلم او خلة تقدمت وانها لابراهيم اولا ولنبينا صلى الله عليه وسلم او برؤيته
عيانا قبل دخول الجنة كما في المعراج او ما شاء الله وارادة لهم غير ما ذكر من الطاف بفتح الهمزة
اي عطايا كما تقدم وفي نسخة الطاف بالاضافة وتحف ولاينا اي تحفا ولا هاما واختصاصه
مما اختصهم به من قرة اعين لا يعلمها الا الله وقد روي بالبناء للمجهول وهذا رواه ابن ابي
حاتم والحاكم في مستدركه عن وهب بن منبه وهذا رجوع الى تنزيه يونس صلى الله عليه وسلم
عما ذكر من الاوهام ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا اي احمالا ثقيلة قال
تع وتحمل اثقالكم جمع ثقل والثقل كعنب وتسكن مقابل الخفة قال الراغب واصله للاجسام
ثم يقال في المعاني كاثقله الغرم والوزر وهو في الانسان ذم في اكثر المتعارف وقد يكون مدحا
كقوله ع

تخف الارض اما بنت عنها • وتبقى ما بقيت بها ثقيلا
حللت بمستقر الارض منها • فتمنع جانبيها ان تميلا

والمراد هنا المشاق التي تكون في تبليغ الرسالة وان يونس تفسخ منها الضمير للاثقال
والاحمال وتفسخ بالفاء والسين المهملة المشددة والخاء المعجمة تفعل من الفسخ اي تقطعت اعضاؤه
وتفككت لعدم طاقته لحملها اثقالا تفسخ البعير تحت الحمل الثقيل وفسخ ثيابه اذا ازالها ومنه فسخ
العقود عند الفقهاء تفسخ الربع تفعل مصدر من الفسخ والربع بضم الراء المهملة وفتح الباء الموحدة
والعين المهملة وهو الفصيل اي ولد الناقة الصغير الذي يولد في الربيع وبعده الهبع الذي يولد
وتفسخ منصوب بالمصدرية لتفسخ اي تفسخ كتفسخه اي لم يطق مشاقها ولم يصبر عليها وفي تشبيهه
بالربع اشارة الى انه كان في مبدأ امره وفي قوله اثقالا استعارة تصريحية وفي تفسخ استعارة
تصريحية تبعية ولا ينافي التشبيه ويجوز ان تكون استعارة تمثيلية وهو احسن ثم بين مراده
فقال فحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنهيه عن التفضيل موضع الفتنة اي ما يقع الناس
بسببه في فتنة والامر محال ومن تنقيص الانبيا فجعله كانه موضع لها تعرف فيه من ازالة وهام التي
يتوهمها من لا علم له وهو متعلق بحفظ اي صانه مما يتوهم او هو بيان لموضع من يسبق اليه بسببها
اي المواضع او الاوهام وقيل المراد بسبب اثقالها من سآمة وضجر وقيل بسبب الفتنة وقيل
بسبب قصة يونس جرح في نبوته بفتح الجيم اي ذكر ما لا يليق بمقام النبوة مما يقتضي عدم

العصمة

العصمة او قدح في اصطفائه اي ذم وتنقيص لكونه صفوة مختارا عند ربه مفضلا
على غيره والقدح ذكر المعايب والنقائص وحط من رتبته اي تنزيله من علو مقامه ووهن
في عصمته اي عن عصمته فيه ضعف لما توهمه من ظاهر قصته السالفة فلذا نهاهم عن
تفضيله عليه فضلا عن تنقيصه لتساويهم في حقيقة النبوة وان تفاوتت احوالهم وصفا
كما سمعته مفصلا شفقة منه بالنصب مفعول له وعلة لحفظه على امته اي يقع منهم ما لا ينبغي
بمقام النبوة فيكون لهم وزر يستحقون به سوء العاقبة بسخط الله وعقابه وقد يتوجه اي يحصل
توجيه آخر في الجواب عما مر وياتي وينبني هذا الترتيب اي على ما رتبناه على النبوة من
الاختصاص بامور اكرمهم الله بها وجه خامس وهو ان يكون لفظ انا في الاحاديث السابقة راجعا
الى القائل نفسه المذكور في قوله لا ينبغي لاحد ان يقول فليس المراد بضمير المتكلم النبي صلى الله
عليه وسلم كما في الوجوه المتقدمة اي لا يظن احد من الناس غير الانبيا وان بلغ من الزكاء اي انه
بلغ من الزكاء بالزاي المعجمة اي الصلاح وزيادة الخير قال التلمساني انه بخط المصنف كذا ورواه
العزفي تلميذ المصنف بالذال وهو الفطنة والعصمة اي الحفظ من الذنوب وليس المراد بها ما
خص به الانبيا وهي المذكورة في قولهم اسالك العصمة في الخطرات والسكنات ولذا جوز
بعضهم الدعاء بها ومنعه بعضهم كما فصله ابن حجر في فتاويه والطهارة اي البراءة من الاوزار
ما بلغ اي مثلها عظيما فما مصدرية او موصولة انه خير من يونس بن متى وهو معمول يظن
المنفي لاجل ما حكى الله عنه تعليل لظنه اي ما قصه في قصته من لومه على تضجره وعدم صبره
على قومه لتماديهم في عنتهم وعدم اجابتهم دعوته للايمان وسوق كلامه مؤذن بان القائل من
غير الانبيا كما يشهد له قوله فان درجة النبوة ورتبتها العالية افضل واعلى عند الله من درجة
غيرهم من لا نبيا وهذا امر فرضي ومبني على عدم العلم بالنهي عن مثله فلا يرد عليه انه كيف يكون
نبيا وقد صدر منه تنقيص الانبيا الذي قيل انه كفر وايضا كيف وصفه بالعصمة وهو غير نبي
وان تلك الاقدار جمع قدر بفتح القاف والدال المهملة اي ما قدره الله عليهم لحكمة باهرة
وليس بمحنة وان جاز تاويله بانه بالنسبة لمقامهم ذنب مستقذر فانه غير مناسب لفظا
ومعنى لم تحطه عنها اي لم ينزل يونس عن درجته مثقال حبة خردلة التي اصغر الحب
والاحسن حبة خردل بدون ها ولا ادنى اي اقل واصغر من خردلة اي لم ينقصه اصلا ⊙
وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان شاء الله بايضاحه وتفصيله فقد بان لك
الغرض المقصود الذي قصدناه في هذا الكتاب وسقط بما حررناه اي بما قررناه ولخصناه
او كتبناه والتحرير التخليص واظهار الزبدة لان اصله جعل الشيء حرا اي خالصا ومنه حر الوجه
لاكرم موضع منه والحر المقابل للعبد والتحرير بمعنى الكتابة من الخاص الذي صار عاما واصله
كتابة ملخصة او كتابة العتاقة كما في الكشف شبهة المعترض الذي اعترض على ما تقدم ولو
قال من اعترض من كان سجما لكن المصنف لم يقصده • ولما كان ما تقدم في ذكر فضائله واسماؤه دا
على ذلك عقبه بذلك كما اشار اليه بقوله ه

فصل في اسمائه

صلى الله عليه وسلم وما تضمنته من فضيلته اي ما هو بعض مدلوله ولازم لمقتضاه حتى كانه
ضمنه والاسما جمع اسم والكلام على كونه من السمة او السمو اغنانا شهرته عن ذكره واما البحث عن
كونه علما او عن المسمى او غيره فبحث لا طائل تحته فلا وجه لذكره هنا وقد افردناه بالتاليف والاسم

www.alukah.net

له معانٍ فيطلق على مقابل الفعل والحرف وعلى مقابل الكنية واللقب وعلى مقابل الصفة
المشتقة ويكون بمعنى العلم والظاهر ان المراد به ما شاع اطلاقه عليه سواء كان علمًا او صفة
او غيرهما وسواء اختص به وضعًا ام لا فنوه العلم وما يشبهه وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى
ولا دلالة في ذكره اسماء الخمس او هو اكثري وهو الظاهر وفي شرح الترمذي ان للنبي صلى
الله عليه وسلم الف اسم كما ان لله الف اسم ونقل مغلطاي انها تبلغ ثلاثمائة وقيل انها تسعة
وتسعون كاسماء الله ومنها ما هو بلفظ الفعل والمصدر واكثرها صفات مادحة كما اشار اليه المصنف
بقوله تضمنت فضيلته ولابن دحية تاليف سماه في اسمائه صلى الله عليه وسلم ثم ان المصنف ذكر
هنا حديثا رواه الشيخان عن محمد بن جبير عن ابيه بسند متصل الا ان المصنف رواه عنده مسلسلا
لعلو سنده فيه بل رجحه فقال **حدثنا ابو عمران موسى ابن ابي تليد الفقيه** تليد بفتح
المثناة الفوقية وآخره دال مهملة بمعنى قديم العهد لولادته معه فتاؤه مبدلة من واو
وهو ضد الطارف وقد تقدمت ترجمته **حدثنا ابو عمر الحافظ** ابن عبد البر وقد تقدم ايضا
حدثنا سعيد بن نصر تقدمت ترجمته ايضا **حدثنا قاسم ابن اصبغ** بهمزة مفتوحة وصاد
مهملة وموحدة تحتية وغين معجمة وهو قاسم بن اصبغ بن محمد بن يوسف بن واضح بن عطا الامام
الحافظ محدث الاندلس ابو محمد الاموي مولاهم القرطبي كان ضابطا عالي الاسناد ثقة ولذا
قطع الرواية في آخر عمره خوفا من الغلط ولد سنة سبع واربعين ومائتين وتوفي بقرطبة
في جمادى الاولى سنة اربعين وثلثمائة **حدثنا محمد بن وضاح** ابن بزيع مولى ملك الاندلس
عبد الرحمن بن معاوية الاموي الحافظ محدث الاندلس ابو عبد الله القرطبي مولده سنة تسع وتسعين
ومائة او سنة مائتين بقرطبة وتوفي في المحرم سنة سبع وثمانين ومائتين قال الذهبي انه
صدوق روى عنه كثير من اهل الاندلس **حدثنا يحيى بن يحيى** الليثي عالم الاندلس وراوي
الموطا وليس له رواية في الكتب الستة الا نادرة وقد تقدم الكلام عليه **عن محمد بن جبير بن
مطعم عن ابيه** ومحمد هو ابو علي وقد روى عنه الزهري وهو روى عن ابيه جبير بن مطعم
بن عدي بن نوفل وهو صحابي اسلم بعد الحديبية وروى عنه ابناه محمد ونافع وروى عنه
ابن المسيب وكان سيدا وقورا توفي سنة تسع وخمسين واخرج له الايمة الستة واحمد في
مسنده وهذا الحديث اخرجه مالك في الموطا والترمذي في الشمائل والبخاري وهو حديث صحيح
مسند **قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسما** قدم الجار والمجرور للتبرك
والتاكيد او للتخصيص باعتبار انه لم يسم بها احد قبله او لاشتهارها في الامم الماضية فالتخصيص
المستفاد من التقديم اضافي لا حقيقي لزيادتها على ذلك وقال السيوطي في كتاب الرياض
الانيقة في اسماء خير الخليقة انه قيل ان يطلعه الله على بقية اسمائه وقال المصنف انها موجودة
في الكتب القديمة عند الامم السالفة ورد بانه فيها اكثر فالحق ان مفهوم العدد غير معتبر فلا
يفيد الحصر وقال ابن عساكر في كتاب المبهمات يحتمل ان لفظ العدد ليس من كلام النبي
او التخصيص لان المراد خمسة اسماء فاضلة او معظمة مشهورة انتهى ولا يخفى ما فيه وانه مخالف
للظاهر وقال ابن فارس ان اسماءه الفان وعشرون وقيل المراد خمسة سماني بها ربي وباقيها
اوصاف والاسماء توقيفية فلا يجوز ان يسمى بما لم يسمه به الله او يسمي هو به نفسه او امته
وجده **انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر** اي يزيله حقيقة من جزيرة
العرب وحكما من جميع الارض وقيل يمحو به سيئات من تبعه كقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا

يغفر لهم

٢٦١

يغفر لهم ما قد سلف وقوله بي كان الظاهر ان يقول به لكنه راعى فيه المعنى كقوله
انا الذي سمتني امي حيدره • والكلام عليه مفصل في كتب العربية **وانا الحاشر الذي
يحشر الناس على قدمي** بتشديد الياء مفتوحة وتخفيفها ساكنة اي يحشرون على اثري وبعد
نبوتي اذ ليس بعده نبي وقد روي انا الحاشر الذي يحشر الناس خلفه وعلى ملته دون ملة غيره
وانا العاقب الآتي عقب الانبيا فلا نبي بعده وعيسى يأتي على شريعته وقال ابن الاعرابي
العاقب من يعقب غيره في الخير ومنه العقب بمعنى الولد وسيأتي تفصيل معنى الحديث وقد سماه
الله في كتابه وهو القرآن **محمدا واحمد** في قوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقوله يأتي من
بعدي اسمه احمد وكونه محكيا عن عيسى لا ينافي كون المسمي الله ولذا قيل ان عيسى انما اطلعه عليه
باعلام الله واذنه له فالمسمي حقيقة هو الله **من خصائصه تعالى له** اي الكائنة له اذ قلنا
بجواز حذف الموصول مع بعض الصلة فهو صفة او متعلق به لما فيه من معنى التكريم وقيل انه
مفعوله واللام مزيدة للتقوية والظاهر انه اسم غير موصوف بالتمدح ورجح **ان ضمن اسماءه**
فاعل ضمن ضمير الله والضمير المضاف اليه للنبي **ثناه** مفعول ضمن وهو مصدر مضاف للفاعل
او للمفعول باعتبار ان الضمير لله او للرسول اي ثناء الله عليه **وطوى اثناء ذكره** بفتح الهمزة
والمد جمع ثني كطفل وهو ما انعطف من الوادي ويقال هو في اثنائه وفي مثانيه اي داخله ونصبه
على الظرفية وطوى من قوله طوى الثوب اذا عطف بعضه على بعض وهو كناية عن الكتم والاخفا
فالمعنى اخفى داخل ذكر النبي اي في اسمائه التي سماه بها **عظيم شكره** اي شكره العظيم والضمائر
لله او للنبي فان كان ضمير شكره للنبي فاضافته له من اضافة الفاعل او المفعول اي كونه شاكرا او
مشكورا شكرا عظيما لان اكثرها اوصاف دلت عليه او اختصت به اختصاص الرحمن بالله مع بقاء
الوصفية او اعلام منقولة ملموح اصلها فتفيد المدح والاعلام وضعت لتعيين الذات
لكن المنقولة من الصفات تشعر بمعانيها الاصلية ولذا جاز دخول ال عليها وبعض اعلامه كذلك **فاما
اسمه احمد** فوزنه **افعل مبالغة في وصف الحمد** مبالغة مرفوع خبر بعد خبر او منصوب مفعول
له والجار والمجرور صفته والمبالغة لانه افعل تفضيل حذف المفضل فصار للتفهيم نحو الله
اكبر اي من كل شيء ثم نقل ولحظ اصله فلا يرد عليه انه علم فكيف يبقى ما ذكر وما قيل من انه
للتفضيل لا للمبالغة والمبالغة لها صيغ مخصوصة فقد وهم واطال في غير طائل على عادة ته
وقال السخاوي في سفر السعادة احمد اسم النبي صلى الله عليه وسلم ليس بمنقول من المضارع ولا
من افعل التفضيل فهو كاحمر واصفر وهو ابلغ من محمد وهو كل من تكاملت مناقبه وبلغ النهاية
في الحمد قال الاعشى • اليك ابيت اللعن كان كلالها • الى الماجد الفرع الجواد المحمد •
انتهى وفيه نظر لا يخفى وقدمه المصنف لانه اسمه في الكتب القديمة كالتوراة وقد سماه به موسى
وعيسى كما نطق به القرآن وسماه الله به لانه حمد في مقام لم يحمد فيه سواه بمثل محامد كما تعلم
وسيأتي تتمته ومحمد مفعل فهو في الاصل اسم مفعول من التفعيل فينبئ عن الكثرة ففيه مبالغة لغة
ايضا ولهذه الصيغة معان اخر مذكورة في كتب التصريف وفي شرح الهادي كانه منقول
قال ابن مغلطاي وهو غلط وتوجيهه بانه لم يستعمل في غير العلمية يرده بيت الاعشى المذكور
وروي عن ابن عباس بسند متصل كما رواه البيهقي في دلائل النبوة انه لما ولد عق عنه
عبد المطلب بكبش وسماه محمدا فقيل له يا ابا الحارث ما حملك على ان سميته محمدا ولم تسمه
باسم آبائه فقال اردت ان يحمده الله في السماء ويحمده الناس في الارض واخرج عنه ابن اسحاق

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مسندا اذ انه آمنة بنت وهب حدثت انها أتيت حين حملت به فقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع الى الارض فقولي • اعيذه بالواحد • من شر كل حاسد • وكل بر عاهد • وكل عبد زايد • برود عنه زايد ورى فانه عند الحميد الماجد • حتى اراه قد اتى المشاهد • فاذا وضع فسميه محمدا فان اسمه في التوراة احمد يحمده اهل السماء والارض واسمه في الفرقان محمد فسميته بذلك وقال ابو الربيع بن سالم في سيرته روى ان عبد المطلب انما سماه محمدا لرؤيا رآها كان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السما وطرف في الارض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور واهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود من صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السما والارض فلذا سماه محمدا مع ما حدثته به آمنة انتهى **فانه صلى الله عليه وسلم اجل من حمد** بفتح الحاء وكسر الميم والبنا للفاعل اي اجل الحامدين **وافضل من حمد** بالبنا للمجهول قيل انه لف ونشر مرتب فالاول راجع لاسم احمد والثاني لمحمد والتفضيل استغنى من محمد لما فيه من التكثير وكون الله لم يسم به غيره فكان افضل من حمد والحمد مصدر محتمل للحامدية والمحمودية وان تعين في محمد الثاني وجوز ابن القيم في احمد ان يكون بمعنى المفعول اي اكثر محمودية والفرق بينه وبين محمد انه لزيادة الكيفية ومحمد لزيادة الكمية وهذا ابلغ في مدحه ولو اريد الفاضل لقيل حماد بدل احمد واعترض عليه بانه تخصيص من غير مخصص وبنا اسم التفضيل من المفعول شاذ كاشغل من ذات النحيين وكونهما ابلغ من احمد كما اقتضاه كلامه لا وجه له اقول هو لم يعين ما قاله وانما ادعى جوازه وانه اولى لسلامته من التكرار والترادف الذي هو خلاف الاصل وترجيح حماد على احمد ليس للمبالغة بل لانه اكثر واقيس واما كون التفضيل من المفعول شاذ فلم ولكنه سمع من العرب في قولهم العود احمد وانشد الزمخشري واول من قال العود احمد خداش بن حابس التميمي وقول المصنف **واكثر الناس حمدا** اي محمودية بدليل قوله **فهو احمد المحمودين** والاعتراض عليه بما اورد على ابن القيم ساقط لما سمعته آنفا **واحمد الحامدين** هو مما يعكر ما ذكر لوجه تخصيصه بهما ويصح ارجاعه لكل منهما من غير لف ونشر قيل اسمه احمد قبل محمد في البسائين فانه تعالى لما خلق نوره قبل كل مخلوق حمده بمحامد الهمه اياها لم يحمده بها غيره فكان احمد من دخل تحت كلمة كن في عالم الخلق والامر ولما ظهر للثقلين حمد على السنتهم فاستحق ان يسمى محمدا فاذا كان يوم القيمة كان احمد الخلق فيسمى احمد فلما عمت شفاعته العظمى حمده الخلق فيسمى محمدا وفيه من التكلف ما لا يخفى **ومعه لواء الحمد يوم القيمة** اللواء علم الجيش وهو اكبر من الراية اي انه تحت امره او في يده وهذا يحتمل انه على حقيقته ليعلم الله بالـ هذه المرتبة بتفوقه على كل مخلوق في كونه حامدا او محمودا او معنى لواء الحمد انه لواء يتبعه كل حامد ومحمود ويعلم ذلك بالهام الله او بندا الملائكة معه او باعلان الحمد خلفه ونحوه واصحاب الحمد حينئذ من لهم الشفاعة وكلمة الانبيا ويحتمل انه تمثيل لشهرته في اهل الموقف وعدم التاويل اسلم **ليتم كمال الحمد** مبني للمفعول او الفاعل واختار البرهان الاول واتمام حمده له باشتهاره وتسليم كل احد له من غير تردد كما كان في الدنيا لبعض اهلها كما اشار اليه بقوله **واشتهر في تلك العرصات** بسكون الراء ويجوز فتحها وعرصة الدار ساحتها وهي البقعة الواسعة التي ليس فيها بنا وجمعها عراص وعرصات وفي التهذيب سميت ساحة الدار عرصة لان الصبيان يعرصون فيها اي يلعبون ويمرحون والمراد هنا ارض الموقف والحشر **بصفة الحمد** وهو الثنا على الجميل

عرضي

عرضي

الاختياري

٢٢٢

الاختياري على جهة التعظيم وقيل حقيقته اظهار الصفات الكمالية باللسان او بغيره وفيه كلام في شرح الزوراء للجلال الدواني **ويبعثه ربه هناك** اي في العرصات **مقاما محمودا كما وعده** بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ونصب مقاما على المفعولية بتضمين يبعث معنى يعطي وعلى الظرفية لما بينهما للمبهم او هو حال على ما فصل في الكشاف وشروحه بين محموديته بقوله **يحمده فيه الاولون والاخرون** اي جميع الخلق لانهم تحت لوائه وهو مقام الشفاعة العظمى حين اعترف جميع الرسل بالعجز وقيل له اشفع تشفع بشفاعته لهم في فصل القضا كما تقدم **ويفتح عليه فيه** اي في ذلك المقام **من المحامد** جمع محمد بمعنى حمد اي يلهمه الله محامد عظيمة يحمده بها ثمة واصل الفتح ضد الغلق فاستعير للاعطاء والالهام وتيسير الامور كما استعير المغلق للصعب ومن بيانية لمقدر اي امرا ونحوه او لما بعده ان قلنا بجوازه كما مر **كما قال عليه السلام** اشارة الى وروده في الحديث كما تقدم **ما لم يعط غيره** من الانبيا ويعط مبني للمجهول وغيره بالرفع نائب الفاعل **وسمى** الله لعلمه من السياق وهو مجهول وهو الاولى **امته في كتب انبيائه** كالتوراة والانجيل كما ورد في الحديث **بالحمادين** اي المبالغين في الحمد وروى الدارمي عن كعب انه قال نجد مكتوبا في التوراة محمد رسول الله مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وامته الحمادون الخ **فحقيق ان يسمى محمدا واحمد** اي بان يسمى لانه يتعدى بالباء وقد يتعدى بعلى كما في حقيق على ان لا اقول الا الحق لما فيه من معنى الوجوب كما في الحجة لابي علي وتفريعه على ما قبله لانه اذا حمد بما لم يحمد غيره وحمده الاولون والاخرون وكثر حمد الله كان جديرا بذلك **ثم في هذين الاسمين** محمد واحمد اي في تسمية الله له بهما قبل وجوده **من عجائب خصائصه** اي من العجائب التي خصه الله بها ولم يسبق احد لمثلها **وبدائع اياته** اي غرائب علاماته التي اخترعت وتفسيره البديع بالحسن فيه مسامحة **فن آخر** اي نوع آخر غير ما تقدم **وهو ان الله جل اسمه** اي عظم في ذاته وفيه مناسبة وايما لعظمة اسم نبيه اذ قرنه باسمه وخصه به كما اختص باسمائه الحسنى **حمى** اي منع وصان عن **ان يسمى بهما احد قبل زمانه** مع ذكرهما في الكتب القديمة والامم السالفة كما بشر نبي اسمه احمد وانما صان اسمه ليعلم اذا سمي بهما انه النبي الموعود به وعد من الخصائص لانه يعد الاعلام باسمه منع من التسمية به مع انها اعلام منقولة فلا يرد ان كثيرا من الاعلام المرتجلة للانبيا وغيرهم لم يسبق تسمية غيرهم بها كادم وشيث ونوح ويحيى قال تعالى ولم نجعل له من قبل سميا **اما احمد الذي اتى في الكتب** الالهية السالفة **وبشرت به الانبيا** كعيسى وموسى كما قال تعالى ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد وقال تبع الاول كما نقل في السير

وبلالك بعدهم رجل عظيم • نبي لا يرخص في الحرام •
يسمى احمدا يا ليت اني • اعمر بعد مخرجه بعام •

فمنع الله بحكمته اي بسبب حكمته او ملتبسا بعلمه وحكمته التي استاثر الله بها او اظهرها لبعض خلص عباده ان يسمى به احد غيره **ولا يدعى** مبني للمجهول بوزن يرمى اي يسمى **به مدعو قبله** مسمى قال اكثر العلماء ان هذا هو الصواب وما نقل من ان الخضر اسمه احمد فقول مردود واه كما قاله ابن دحية واما احمد بن عجيان بضم العين المعجمة وسكون الجيم ومثناة تحتية بن سفيان او بفتح الجيم وتشديد اليا فلا اصل له وقيل يسمى في الجاهلية قبل الاسلام بزمان طويل احمد بن ثمامة الطائي واحمد بن دومان البكيلي واحمد بن زيد بن حوات السكسكي ومن القبائل بنو احمد

مل

ي

به

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في همدان وبنو احمد في بجيلة وبنو احمد في طي ولم يكن فيها بن عصره من تسمى به صيانة له وانما
بعده فاول من تسمى به احمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي والد الخليل النحوي الواهد وبركة
هذا الاسم كان له من العلم والتقوى ما لم يكن لغيره ثم بين حكمة صيانته بقوله حتى لا يدخل على ضعيف
القلب لبس اي التباس واشتباه لعدم تمييزه وضعيف القلب من لا عقل له تام وراي صائب
ونظر يفرق به بين الحق والباطل فضعف القلب كناية عن قلة العقل الذي هو محله وقوته كناية عن
ضده وان اشتهر في الجراءة وعدمها او شك معطوف على لبس ويجوز ان يراد به هنا ما يقابل الوهم
والظن ومطلق التردد وعدم الجزم ومن ظن تعينه هنا وتأبيده بما لا يجدي لبس لبسي وكذلك محمد
اي مثل احمد في عدم التسمية به قبل بعثته وجعله مشبها به لانه لم يسم به اصلا على الاصح ايضا مصدر
آض بمعنى عاد ورجع ويراد به في العرف التشبيه فهو تاكيد لقوله كذلك لم يسم به احد من العرب
ولا غيرهم الى ان شاع واشتهر قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم قبيل في النسخ مصغر كبعيد ابعد قبل
زمانه وتقريبه وميلاده عطف تفسير على وجوده اي ولادته او زمانها وقيل الميلاد وقت الولادة
والمولد مكانها وحملت به امه آمنة بها وولد ليلا في شعب ابي طالب عند الجمرة الوسطى ووافق مولده
يوم عشرين من نيسان سنة اثنين وثمانين وثمانمائة من التاريخ الاسكندري وقيل كان في الساعة
العاشرة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول فكان كما قيل ● ربيع في ربيع في ربيع ●
وقيل ولد في شعب بني هاشم بعد الفيل بشهر او اربعين او خمسين او تسعة وخمسين يوما وقيل غير ذلك
وسيأتي تفصيله ان شاء الله تعالى ان نبيا يبعث اي يرسل من بعث بمعنى اثار وقد فصل زمان بعثه وسنه
اذ بعث في الشهر اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك الاسم رجاء ان يكون اي لاجل
رجاء ان يكون الولد المسمى به احدهم اي احد ابنائهم المسمين بمحمد هو اي النبي الموعود ببعثته فهو اسم
يكون واحدهم منصوب خبر مقدم او مرفوع اسمها وهو خبرها استتر فيه ضمير الرفع لضمير النصب والاصل
اياه والاولى اولى والله اعلم حيث يجعل رسالاته اقتباس لبيان انه لم يفدهم ذلك اذ ليس كل محمد رسول
ولا كل فاطمة بتول والآية رادة لمن كما يبطل قول من زعم من الحكما ان النبوة والرسالة تكتسب بالمجاهدة
وتصفية الباطن فانها موهبة الهية وان اختصت بمن جد في العبادة والتصفية حتى صار احسن الناس
خلقا وخلقا الى غير ذلك مما يستعد به لتلقي وحيه ومشاهدة ملائكته وحيث ظرف متصرف هو هنا
مفعول به لفعل مقدر اي يعلم لان افعل لا ينصب المفعول وان صح تعلق الجار والظرف به وليس هنا
ظرفا لان علمه لا يوصف بانه في مكان او زمان لتوسعه وتفصيله في كتب العربية ويجوز افراد رسالة
كما قرئ به وانما سموا ابناءهم به لما بلغهم من الاحبار والكهان وروي في المبشرات وبشر واقترب
زمانه فكانوا ينتظرونه انتظار المحب لحبيب له سيقدم وهم اي المسمون باسمه قبل ظهوره رجاء
لكونه المبشر به محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسي وقال البلاذري انه محمد بن عقبة بن احيحة
وتردد فيه ابن حجر في الاصابة واحيحة بضم الهمزة وحاء مهملة مفتوحة تليها مثناة تحتية ساكنة ثم حاء
مهملة مفتوحة وهاء والجلاح بضم الجيم وفتح اللام المخففة ثم الف وحاء مهملة والاوسي نسبة للاوس قبيلة
من الانصار ومحمد بن مسلمة الانصاري بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج
بن عمرو بن مالك بن الاوس الانصاري ووصف هذا بالانصاري دون محمد بن احيحة وهو من قبيلة الانصار
ايضا لانه لم يسلم وانما يقال الانصاري لمن اسلم منهم ولهذا قال الذهبي من عد محمد بن احيحة من الصحابة
فقد وهم لانه لم يدرك الاسلام ولما هذا ابو عبد الرحمن الحارثي حليف بني عبد الاشهل المولود قبل
البعثة باثنين وعشرين سنة وهو ممن سمي محمدا في الجاهلية كما في الاصابة عن الواقدي من غير تردد فيه

وهو

عدي

وهو صحابي شهد بدرا وكان عمر يبعثه لكشف المتعلقات في خلافته ومات بالمدينة سنة ثلاث
واربعين وقيل غير ذلك وهو من فضلاء الصحابة وقول بعض الشراح ان ذكر المصنف لمحمد بن مسلمة
ليس في محله لانه بصدد ذكر من سمي محمدا قبل مولده وهو ولد بعد مولده بنحو عشرين سنة لا وجه له لما
علمته من خلافه بما هو مصحح في السير نقلا عن الواقدي وما قاله قول ابن جوح وان قاله مغلطاي
في سيرته ومحمد بن براء البكري نسبة لبكر قبيلة مشهورة وبراء بموحدة تحتية مفتوحة وراء مهملة
تليها مدة وهو ابن طريف بن عتوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وان لم اجده ثم رايته
مصححا كذا في حواشي الحلبي وفي غيره برا بفتح الموحدة وتشديد الراء المهملة قيل وقد تخفف
وقال البرهان الحلبي ان محمد بن احيحة ومحمد بن مسلمة ومحمد بن برا لم يدركوا الاسلام بل هلكوا في
الجاهلية فعدهم فيمن اسلم امر عجيب فلا يليق بالمصنف وان كانوا ممن سمي محمدا قبل البعثة وكذا
محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي فانه لم يدرك الاسلام وقد خطأ ابو نعيم في عده في الصحابة
ومحمد بن حمران الجعفي بضم الجيم نسبة لجعفة وهي معروفة وحمران بضم الحاء المهملة وسكون
الميم المهملة وراء ثم الف ونون وفي بعض نسخ السير عمران بدله وهذا ايضا لم يدرك الاسلام
كما قاله البرهان ومحمد بن خزاعي السلمي بضم السين المهملة وفتح اللام وميم وياء نسبة نسبة
لقبيلة وخزاعي بضم الخاء المعجمة وزاي معجمة والف وعين مهملة نسبة لخزاعة وهو من بني ذكوان
واسم ابيه علقمة وهو لم يدرك الاسلام ايضا كما قاله البرهان الا ان هذا لا يعترض به على المصنف
لانه انما عد من تسمى محمدا قبل الاسلام اسلم ام لا وهو ستة لا سابع لهم وهذا على ما اختاره المص
ومنهم من نقص عددهم كالسهيلي فانه لم يزدهم على ثلاثة ومنهم من زاد حتى بلغ العشرين كما قاله
ابن حجر مع تكرار في بعضهم وتردد في بعض وسياتي لهم سابع وقد علمت ما طعن به في محمد بن مسلمة
ويقال ان اول من سمي به اي باسم محمد قبله صلى الله عليه وسلم محمد بن سفيان بن مجاشع
التميمي السابق ذكره واليمن اي اهله فهو من اطلاق اسم المحل على الحال فيه تقول لم يسم به
اولا هذا بل سمي اولا محمد ابن اليحمد الازدي نسبة الى الازد من اليمن ابوهم ازد ذي الغوث
ويقال الاسد بالسين ايضا ومن نسله الانصار كلهم ولازد شنوءة وعمان والسراة واليحمد قال
البرهان انه في النسخ بفتح اليا وسكون الحا وضم الميم وقال ابن ماكولا انه بضم اليا وسكون الحاء
المهملة وكسر الميم واصحاب الحديث يضمون الميم وفي شرح مسلم للنووي انه بضم اليا وسكون
الحا وكسر الميم وكذا في تقييد المهملة للغساني وهو علم منقول من المضارع وال مقارنة لنقله
لا داخلة بعد العلمية فانه شاذ قبلها كقوله ● ما انت بالحكم الترضى حكومته ●
فكيف به بعدها وقال ان هذا ليس من الستة فيكون سابعا وهو ينافي قوله لا سابع لهم وفي
سيرة مغلطاي زيادة محمد بن عدي بن ربيعة المنقري ومحمد بن عثمان السعدي قال واظنهما
ومحمد الاسيدي ومحمد بن عتوارة الليثي ومحمد بن حرمان العمري ومحمد بن خولة الهمداني ومحمد بن
يزيد بن ربيعة ومحمد ابن البراء ويه بن مالك فزاد تسعة او ثمانية وتوقف المص في واحد منهم
وقد نقل في بعض هؤلاء انه ادرك الاسلام وكلام المص لا ينافيه الا في قوله الانصاري كما تقدم
والامر فيه سهل اذ لا مانع من اطلاقه على من لم يسلم لقرابته منهم تسمحا ثم حمى الله اي صان
ومنع تصرف السنة كل من تسمى به اي بمحمد قبله صلى الله عليه وسلم ان يدعي النبوة تدريج
من او يدعي ادعاها بنفسه بان يقول انا نبي او يدعيها احد له بان يقول هو نبي او يظهر
عليه بفتح اليا التحتية وضمها مبني للفاعل ويجوز بناؤه للمجهول والاول اظهر وضمير عليه لمن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لسبب يشكل احدا في امره اي شيء في ذاته يكون سببا موقعا للناس في شك في انه
هو النبي الموعود بكتابته وصفاته الباهرة كما وقع له صلى الله عليه وسلم من الارهاصات
والاخلاق الباهرة او يجري على يديه ما يشككهم من عجز ومخوفة والعطف باو بمعنى الذي هو
في معنى النفي والنهي يفيد العموم كقوله ولا تطع منهم آثما او كفورا ولو عطف بالواو توهم ان المنفي عنه
المجموع وان وقع بعض منها حتى تحققت اي ظهرت وثبتت في الخارج السمتان اي الصفتان
الثابتان هما المحمدية والاحمدية الثابتان هما علامتان لمولاه فعدا اسمه لمسماه وفي بعض النسخ السيمتان
بياء بعد السين وهو خطأ كما قاله التلمساني وطغيان من القلم له صلى الله عليه وسلم متعلق بالفعل
او بالسمتان وهو تسمية بما هو دال على انه المبشر به في الكتب السالفة والامم الماضية فاذ محي
الرسالة وشهدت له الكائنات بصدق دعواه ولم ينازع فيهما بفتح الزاي المعجمة والبنا للمجهول
اي لم ينازعه احد في السمتين واما قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث وانا الماحي الذي
يمحو الله بي الكفر بيان لمعناه المراد منه وكذا الذي بقوله بعده فمسره في الحديث بالفاء التفسير
وفسر مبني للمجهول اي فسره النبي صلى الله عليه وسلم بقرينة قوله في الحديث وهو صفة له وقيل علم
منقول منها وال للمح الوصفية ولما تراءى هنا سؤالان احدهما انه تقدم فلا حاجة لاعادته كما قيل
وان المحو معناه الازالة بالكلية والكفر موجود في كثير من الناس والبلاد ان اشار الى دفعهما بقوله
ويكون محو الكفر من مكة بعد الفتح اذ اظهره الله عليهم ولم يبق بها منه عين ولا اثر وبلاد العرب
الظاهر انه وجه آخر والمراد بها جزيرة العرب وساحة الاسلام فانه لم يبق بها منه الا ما لا يعتد به واضمحل
حتى صار كالعدم وقد كانت مملوءة بالشرك فاشا صلة الله على يد خيرته من خلقه وكذلك قوله
وزوي له من الارض اشارة لما ورد في الحديث زويت لي الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك
امتي ما زوي لي منها واصل الزوي بالزاي المعجمة الجمع ومنه انزوى الجلد بالنار اي انه تعالى جمع
له جميع الارض بيد قدرته وطواها في قبضة قدرته حتى نظرها كلها وبشره بان امته تملكها
كلها حقيقة بعد نزول عيسى بن مريم او قيل ان قلنا انما ملكوه منها اعظمها واشرفها وهو الذي
ارتضاه المص لقربه ووعده اي الله او النبي لما ورد في الحديث انه يبلغه اي يصل اليه ويحوزه
ملك امته بضم الميم ويجوز كسرها اي ملكها وسلطانها على الوجه السالف وقد ورد انه زوي
له جانبا من الارض واخبره بانه يبلغه ملك امته ويمحو ما فيه من الكفر لاضمحلاله حتى يصير ما بقي منه
كالعدم ولما كان محو الكفر بامره وشرعه وبركته نسب المحو له فكانه الماحي حقيقة وقد قيل انه
كله جواب واحد او يكون المحو عاما شاملا لجميع الارض وليس المراد بها ارضا مخصوصة بمعنى
الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله جواب ثان فيبقى على عمومه ولا يخص
بما مر فالمراد بالمحو علو الدين وغلبته لغيره من الاديان بنسخها وبيان ما غير وبدل منها وعلو اهله
على جميع من عاداهم بتسلطهم عليهم وقهرهم وايقاع الرعب في قلوبهم كما هو مشاهد قال الله عز وجل
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ويوضحه ان المحو لغة اذهاب الاثر
وهو قد يكون مع بقاء العين وان ما لا اثر له كالعدم ولذا عبر بالماحي دون المزيل وما قيل هنا
جعله المص وجها واحدا وحمل المحو على ازالة يدهم عن تلك الاراضي كالعبيد بضرب الجزية عليهم
وجعلهم بازالة تصرفهم كالموتى وجعل محو آثارهم عنهم كمحو ذواتهم ونسخ اديانهم وكتبهم التي
هي بمنزلة ارواحهم وابطال شوكتهم ودينهم كازالة ذواتهم ومحوها من صحائف الوجود ففيه
مجاز باعتبار وجوه مختلفة وقد ورد تفسيره اي الماحي بغير ما مر في الحديث والتفسير

المذكور

المذكور انه الذي محيت به سيئات من اتبعه بما انعم الله به على امته من المكفرات بما قبله من شفا عته
لهم في الدنيا والاخرة والعفو كالمغفرة موافقة للمحو لغة ومعنى وهذا مروي عن المص وقد سقط
من بعض النسخ فاسناده للنبي صلى الله عليه وسلم مجاز اذ هو سببه والعافي والغافر حقيقة هو
الله تع وهذا من خصائص امته وقد فسر قوله تع ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر بيغفر
لامتك وقد روي هذا التفسير الذي ذكره المص للماحي الحاكم في مستدركه وابو نعيم والبيهقي
قال ابن دحية انه حديث مرسل صحيح الاسناد وقال السيوطي انه معضل ولفظه واما الماحي فان
الله محى به سيئات من تبعه وقال ابن حجر في شرح الشمائل معناه ان من آمن به يمحى ذنب كفره
وما فعله فيه قال تع قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وفي الحديث الاسلام يجب
ما قبله او يهدم ما قبله وخص بهذا نبينا صلى الله عليه وسلم لانه لم يمح اصل الكفر كما محاه اذ جاء على فترة
وقد عم الكفر وعبد الحجر فبلغ مبلغ النيرين والمراد بكونه من خصائصه ان الله لطف بامته بكثرة
المكفرات كثرة لم تكن قبله فهو مطلق مخصوص لوقوع خلافه في الايات والاثار كقول نوح لامته
استغفروا ربكم انه كان غفارا وقوله في هذا الحديث وانا الحاشر فسره صلى الله عليه
وسلم بعده بقوله يحشر الناس جميعهم مؤمنهم وكافرهم لدخولهم كلهم في شفاعته العظمى لتخليصهم
من هول الموقف والمحشر وتعجيل الحساب لانه رحمة للعالمين على قدمي بالتخفيف والتشديد
كما مر وروي في السنن الذي يحشر الخ وفي رواية على عقبي ولما كان ظاهره ان يسوق الناس
للمحشر وليس بمراد فسره بقوله اي على زمني وعصري وهذا المعنى لانه يقال هذا كان على عهد
الخلفا في عصرهم ثم قال اي ليس بعدي نبي كما قال وخاتم النبيين فهو اما بتقدير مضاف
اي على اثر قدمي من غير فاصل او القدم سواء كان مفردا او مثنى مما يتبعه الناس فيه وهو الشريعة
وقال الكرماني معناه على اثري كما جاء على عقبي او على زماني ووقت قيامي على القدم بظهور علامات
الحشر فيه اذ لا نبي بعده ويحتمل ان يراد انه اول محشور لانه اول من تنشق عنه الارض كما تقدم والقدم
معروفة وهي مؤنثة لتصغيرها على قديمة ويتجوز بها عن معان اخر كما في الاساس فيقال اجعله
تحت قدمه اذا عفا عنه وله قدم في كذا اي تقدم فلسب له ذلك لتقدمه فيه وكونه السبب
فيه ثم انهم يحبسون في المحشر حتى يشفع فهو حاشر في هذا الحشر الثاني الى مقرهم من جنة او نار
فيتبعه جميع الخلائق فهو على هذا حاشر حقيقة وهذا هو المراد في رواية من رواه قدمي بالتثنية
ومثنى وقول الكرماني ويحتمل الخ سبقه الخطابي وان كان ظاهره انه من بنات افكاره وارتضاه
ابن دحية وما ذكره المص وان سبق اليه فيه خفاء الا ان يريد ان القدم مجاز عن الاثر كناية او
مجازا الا انه يتكرر مع قوله العاقب وقال السيوطي ان الله وصف نفسه بالحشر في قوله ويوم
نحشرهم فيكون هذا من اسمائه التي سماه بها فان سلم ما قاله كان ما قبله كذلك وحشر الناس في وقت
نبوته لبقاء ملته لانها لا تنسخ وليس بعدها شرع آخر فلا يرد عليه ان الساعة تقوم وليس على
وجه الارض من يقول الله وكونه خاتم النبيين آخرهم او من ختموا به على قراءة الفتح لا يأباه نزول
عيسى بعده لانه ينزل تابعا له عاملا بشرعه ولذا دفن عنده لانه آخر خلفائه وقيل المراد انه
آخر من بعث وعيسى بعث قبله وان مات بعده كالخضر والياس على قول وقيل سمي حاشرا لانه حشر
بني النضير من حصونهم وخرب ارضهم وهو ضعيف رواية ودراية وسمي عاقبا لانه عقب
غيره من الانبيا اي خلفهم في الخير ومنه عقب الرجل لولده وفسر عن لا نبي بعده ايضا فانه
العاقب الاخر وقد فسر في حديث مروي عن ابن جبير فهو اصح واحسن وقيل العاقب عند العرب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لمن هري وقيل في بعض يس انه يا سيد حكاه السلمي بضم السين وفتح اللام وهو ابو
عبد الرحمن كما تقدم في ترجمته عن الواسطي نسبة الى واسط بلدة معروفة وقد تقدمت
ترجمته وجعفر بن محمد هو جعفر الصادق الامام المشهور كما تقدم وهذا مروي في اسمائه
عن ابن الطفيل ورواه البيهقي في دلائله مسندا وقال السهيلي لو كان من اسمائه لقيل يس بضم
وقال ابن دحية هذا غير لازم مع انه روي عن الكلبي انه قراه بالضم ايضا وقيل معناه يا انسان
بلغة طي واصله يا انيسين فاقتصر على بعض منه تخفيفا وقد بسطنا الكلام عليه في حواشي
البيضاوي وقيل معناه يا رجل وقيل يا سيد البشر وذكر غيره اي غير الواسطي وروي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لي عشرة اسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الاول الذي بمعناه
آنفا وزاد عليها وقال وانا رسول الرحمة لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لانه نقاذهم
من العذاب في الدنيا والاخرة فمن اتبعه نجا في الدنيا من القتل او من ذلة الكفر والجزية وفي الاخرة
من العذاب المخلد والخزي المؤبد واراحهم من التعب فيها فلذا سمي كما قال ورسول الراحة لانه ارا
المؤمنين لما رفع عنهم ما كان في الامم السالفة من الاصر والمشاق بما شرعه من الرخص
والتخفيفات وفي الاخرة راحتهم العظمى لانه منهم ونفعهم ورفع التكاليف عنهم وراحة للكافرين بترك
قتلهم وسبي ذراريهم اذا قبلوا الجزية فنزلوا في حرم الايمان آمنين والمنة امته من الخسف
والمسخ وستر عليهم معاصيهم وكان من قبلهم اذا عصى اصبح وقد كتب على باب داره فلان فعل
كذا وكذا وتسميته بنبي الرحمة رواه ابي والحاكم مسندا عن ابي هريرة وصححوه وورد في بعض
طرقه نبي الرحمة وما سبق انسب بالآية ورسول الملاحم جمع ملحمة وهي الحرب والقتال سميت
بذلك لالتحام الابطال فيها او ازدحامهم فيها لانه ارسل بالسيف وامر بالجهاد ولم يقع لنبي ولا
امة من الجهاد والقتال ما وقع له ولامته ولا يزالون كذلك حتى يقاتلوا الدجال وينزل عيسى ابن
مريم وهذا لا ينافي كونه رحمة لانه رحمة حقيقية اذ في قتاله غنيمة المسلمين وهداية بعض الكفار
الى الاسلام وامن دار الاسلام وغير ذلك مما لا يحصى والجواب بانه رحمة لاوليائه حرب لاعدائه
مع ما فيه لا يناسب للعالمين وانا المقفي قفيت النبيين كلاهما بالتشديد كما قال تعالى ثم
قفينا على آثارهم وهو اما بمعنى التابع الذي جاء على اثرهم لان معنى قفى تبع ومنه القافية وفيه
من الفضل انه وقف على احوالهم وشرائعهم فاختار له الله من كل شيء احسنه وكان في قصصهم له
ولامته عبر وفوائد او المراد انه خاتمهم وآخرهم ووقع في بعض النسخ المقتفي بزيادة التاء الفوقية
واقتصر عليه بعض الشراح ونقله عن الطيبي ثم قال ان المقفي ذكره الطيبي ولم يرد به نص صريح
وفيه نظر وانا قيم بالقاف ومثناة تحتية بزنة سيد فسره المصنف بقوله والقيم الجامع الكامل
اي الجامع لمكارم الاخلاق النفسية الكامل فيها او الجامع ليشمل الناس بما ينفعهم بينهم وجمع شملهم
لان القيم يكون بمعنى السيد لقيامه بامر الناس وامر الدين كما قال ابن الاشرم لما وفد على
النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه الآمدي

بولت دينا بعد دين قد تدم ● وكنت في الدين كالبحر في ظلم
يا قيم الدين الهنا نستغم

وفي الحديث انه قال صلى الله عليه وسلم اتاني ملك فقال وانت قيم وخلقك قيم اي مستقيم تم
وفي النهاية القيم القائم بامور الخلق ومدبر العالم في جميع اموره وهو مرادف للقيوم الذي هو
من اسمائه تعالى ولا بعد ان يسمى النبي صلى الله عليه وسلم بشيء من اسماء الله تعالى كما ورد في الحديث انت قيم

حه

فرين

دلجي

ابن قمريس

بل

من يكون خلف سيد القوم فمعناه خليفة الله لانه احق بخلافته من جميع الرسل ومن الغريب
ما قيل انه اسمه عند اهل النار من امته لان الله يبشرهم باسمه مجملا فاذا ذكروه ارتفع عنهم العذاب
وهو ضعيف وقيل بمعنى على قدمي انه يحشر الناس بمشاهدتي اي برضائي ومعنى بمراى مني ليسبق
للناس في القيام من القبر كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
وهذا بناء على انه من الشهادة بمعنى المشاهدة والمعاينة والجمهور على انه من الشهادة كما ورد في الصحيحين
من ان امته تشهد للرسل بالتبليغ وهو يشهد لامته بالصدق وهو بمعنى جعلهم امة وسطا اي عدولا
وخيارا واخر المصنف هذا وهو متعلق بما قبله من معنى الحاشر اشارة الى انهما بمعنى ومعنى قوله لي خمسة
اسماء جواب سؤال مقدر تقديره ان اسماءك كثيرة فجعلها خمسة او عشرة ان قلنا بمفهوم العدد مخالف
للواقع والا فهو زيادة بغير فائدة قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة المنزلة على الانبياء
كالتوراة والانجيل وعند اولي العلم من الامم السالفة اي السابقة فتخصيصها بالذكر لهذه
الفائدة ومرصد لما يأتي من ان له اسماء اخر في الكتب القديمة ايضا وكون العدد لا مفهوم له
لا يدفع السؤال كما توهم وكونه لم يقف على الزيادة حين ذكره بعيد والله اعلم بوجه التخصيص
فيما ذكر وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام في حديث رواه ابو نعيم في الدلائل وابن مردويه
في تفسيره من طريق يحيى التيمي وهو وضاع عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن ابي الطفيل
لي عشرة اسماء وقد تقدم انه لا معارضة بينه وبين غيره من الاحاديث وذكر منها طه ويس
كما حكاه مكي تقدمت ترجمته وقد تقدم هذا وانما اتى به ليتبعه بتفسيره الذي ذكره وقال
ابو بكر بن العربي في احكام القرآن اختلف الناس في معناه على اربعة اقوال الاول انه اسم
من اسماء الله قاله الامام مالك وروي عنه اشهب قال سألته هل ينبغي لاحد ان يسمى بيس
قال ما اراه ينبغي لقوله تعالى يس والقرآن الحكيم اي هذا اسمي يس الثاني قال ابن عباس يس يا انسان
بالحبشية وبالطاء يا رجل وروي عنه انه اسم الله كما قال مالك الثالث انه كنى به النبي صلى
الله عليه وسلم قيل له يس اي يا سيد الرابع انه من فواتح السور وروي عن ابن عباس انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سماني الله في القرآن بسبعة اسماء محمد واحمد وطه ويس والمدثر
والمزمل وعبد الله وهذا حديث لم يصح وروي اشهب عن مالك لا يتسمى احد بيس لانه اسم الله وهو
كلام بديع وذلك ان العبد يجوز له ان يتسمى باسم الرب اذا كان فيه معنى كعالم او قادر وانما منع مالك
من التسمية بهذا الاسم لانه من الاسماء التي لا يدرى معناها فربما كان معنى ينفرد به الرب فلا
ينبغي ان يقدم عليه من لا يعرفه لما فيه من الخطر فاقتضى النظر المنع منه فان قيل فقد قال الشاعر
سلام على آل يس قلنا ذلك مكتوب بهجائه فتجوز التسمية به وهذا ليس متهجى وهو الذي تكلم
مالك عليه لما فيه من الاشكال انتهى وهو كلام نفيس الا ان فيه بحثا لان تجويز التسمية
بيس من وجه ومنعه من آخر فيه انه عند التلفظ لا يعرف منه الهجاء وعدمه الكلام الا ان يقال المراد
المنع في غير ما ورد في القرآن فتدبر وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا هادي على انه اسم
النبي كما رواه السيوطي عن ابي الطفيل وتقدم انه قيل انه من اسماء الله وما ذكره السيوطي مروي عن
الواسطي واراد به ان كل حرف منه بعض من اسم فالطاء من طاهر من كل عيب وذنب والهاء من هادي
الخلق الى الخير فهو اسم مركب من اسمي حرفين كما في السمرقندي وفي البخاري عن سعيد بن جبير معناه يا رجل بلغة
عك وقيل معناه اطمئن وقيل معناه طأ الارض والهاء ضمير الارض وقيل يا رجل بالسريانية فعرب
وقيل هو بالنبطية وهي لغة اهل سواد العراق وقيل معناه بلغة عك يا حبيبي وقيل طوبى

كهفي

السموات والارض ومن فيهن وقال ابن دحية بمعنى القايم كما نقله السيوطي في الرياض الانيقة كذا وجد تسميته بالقيم في كتب الحديث ولم اروه بطريق من الطرق المعتبرة عند المحدثين الا اني وجدته فيما رواه غيري وهذا عند المحدثين يسمى الوجادة وله شروط عندهم وهو مما يستانس به وهذا رواه الديلمي في الفردوس وفي النهاية الاثيرية ايضا كما مر واري ان صوابه بحسب الرواية قثم بالثا المثلثة المفتوحة المخففة وضم القاف فراي انه تصحف عليهم وهو معدول عن قاثم ممنوع من الصرف كما ذكره ابن فارس وغيره ورواه ابن اسحاق في حديث غريب هو قال رسول الله اتاني ملك فقال انت قثم وخالقك قثم ونفسك مطمينة قال ابن دحية في اشتقاقه ومعناه ان احدهما من القثم وهو الاعطا يقال قثم له من العطا اذا اعطاه فسمي بذلك لعطايه وجوده والثاني من القثم وهو الجمع يقال للرجل المجموع للخير قثوم وقثم وقد كان جامعا للفضايل وجميع الخير والمناقب وقد علمت ما فيه كما ذكرناه بعد بالبنا على الضم اي فيما سالته عن الحربي قال البرهان لهم ابو اسحاق الحربي واسحاق بن الحسن الحربي والثاني ثقة حجة سمع من هوذة وحسين بن محمد وغيرهما ووثقه الدارقطني وصح عليه في الميزان وذكر الذهبي انه متهم وهو كشانه بالتفسير يعني انه قد يشبه تفسيره المانور بالجامع وفيه نظر لان قثم بالمثلثة بمعنى جمع ايضا كما تقدم آنفا وقد كان عبد الله ابو النبي صلى الله عليه وسلم يكني بابي محمد وابي قثم وقالوا انه الجامع للخير او لتشمل امته وهذا الاسم معروف في جماعة من اهل البيت منهم قثم شقيق الحارث عم النبي صلى الله عليه وسلم وابن عبد الملك وبه سميت محلة سمرقند وفرقة وبها مدرسة قثم ايضا وقثم بن عبد الله بن العباس ثم عاد الى ذكر القيم بالتحتية واشار الى ما يصححه فقال ووقع ايضا في كتب الانبيا المنزلة من السما كصحف ابراهيم وداود قال داود اللهم ابعث لنا محمدا المقيم السنة اي الطريقة الشرعية والدين بعد الفترة اي انقطاع الوحي والرسل وضمير لنا للناس فقد يكون القيم بمعناه اي بمعنى المقيم للسنة الماخوذ مما ذكر لدلالته بما دلت عليه فيكون اذا اسلم الله اسم للنبي بعض المعنى وقد قال لو انه احمد في الزبور كما يشير اليه كلام المصنف وفي التوراة كما نقله السيوطي ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله فالسنة سنة الرسل وهي الشريعة والتوحيد والفترة ما بين كل رسولين من الزمان وهو المراد وقد يخص بما بين عيسى ونبينا واصل معناها الضعف وتسمية ترك العبادة فترة منه وليس معنى اصلنا كما توهم فان كان ضمير لنا ولعومه فجملة ابعث الدعايية لتمني ان يبعث في زمنه وقيل ضمير بمعناه لقثم بالمثلثة وروى النقاش تقدمت ترجمته عنه عليه الصلاة والسلام لي في القران سبعة اسما تقدم المراد بالاسما وانها تشمل الصفات غير الاعلام ثم ذكرها فقال محمد واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله تقدم الكلام على بعضها وسياتي تتمته ومحالها من القرآن معلومة في اوايل السور وغيرها كقوله وانه لما قام عبد الله يدعوه واقتصر على هذه لشهرتها والا فقد ورد فيه غيرها كالرسول والنبي والخاتم والروف والرحيم والصاحب ومفهوم العدد غير معتبر وقيل انه كان قبل وصف الله له بغيره او المراد ما يختص به كما يشعر به تقديم الخبر والجواب بان روف ورحيم صفتان لا اسمان لتعلق الجار بهما في قوله بالمومنين روف رحيم ثم استغنيا كونهما اسمين بعد القرآن غير مسلم المانع وقوله في القرآن يشير الى ان له اسما اخر ليست فيه وفي الصحيحين في فترة الوحي بينا انا امشي اذ سمعت صوتا من السما فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاءني بحرا على كرسي بين السما والارض فرعبت منه ورجعت فقلت زملوني زملوني وفي رواية دثروني دثروني فانزل الله يا ايها المدثر قم فانذر والمدثر والمزمل اسمان من الحالة التي كان عليها حين التزمل

والتزمل

والمدثر المتلفف في الدثار وهو الثياب والمزمل بمعناه واصله المتدثر والمتزمل فقلب وادغم كما هو معلوم في علم التصريف وقال ابن الورد انما نزل يا ايها المدثر عقيب قوله زملوني لان هذا التزمل اريد به الدثار زمن برد يعتري المروع كالمحموم كما كان يعتريه عند نزول الوحي فخاطبه بما طلب من تزمله اي يا ايها المتزمل المتدثر دع الدثار وجد في الانذار ربما يثبت الله من الروع وتنشط له على فعل ما امر به كما تقول لمن ارسلته في امر فيخوف ويتبطا عنه يا ايها المتخوف امض لامرك وقال السهيلي فيه ملاطفة لانه ورد انا النذير العريان فوصفه بالانذار مع الدثار مليح بالطباق وهو متنوع بديع وكان نزلتا بقطيفة في بيت خديجة وذكر عايشة بدل خديجة خطا لانه كان بمكة وعايشة انما كانت معه بالمدينة وقيل معناه المدثر بالقرآن وقيل معنى المزمل الحامل لاعباء الرسالة من الزاملة وهو استعارة تصريحية وقول السهيلي ليس المزمل من اسمائه وانما هو مشتق من حالته المتلبس بها حال الخطاب والعرب تفعله ملاطفة ومعاتبة كقوله صلى الله عليه وسلم لعلي وقد نام على الارض قم يا ابا تراب ملاطفة لما كان بينه وبين فاطمة وما روي عن عايشة انه كان بمنزلها متزملا بمرط طوله اربعة عشر ذراعا نصفه عليها وهي نايمة لا اصل له فان نزول يا ايها المزمل بمكة ودخوله على عايشة بالمدينة وعبد الله سماه الله به في آيات والعبودية اشرف صفاته واصل معناها الخضوع والتذلل وهو الانسان رقيقا ام لا وقال المشايخ العبودية القيام بحق الطاعات بشرط التوفيق والنظر لما حصل منه بعين التقصير وفي بعض النسخ وفي حديث عن ابن مطعم هي ست محمد واحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماحي وفي حديث ابي موسى الاشعري انه صلى الله عليه وسلم كان يسمي لنا نفسه اسما فيقول انا محمد واحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة وفي رواية المقتفي هذا الحديث اسنده السيوطي في الرياض الانيقة وقد مر تفسير هذه الاسما غير الاخير ومعناه ان توبة امته مقبولة من غير حرج عليهم حتى تطلع الشمس من مغربها او يغرغر وكانت الامم السالفة منهم من لا تقبل توبته بشرط امور شاقة كما لم تقبل توبة من لا تقبل توبته اصلا بني اسرايل من عبادة العجل الا بقتل انفسهم وهذه الامة تقبل منهم مطلقا وان تكررت مع تكرر الذنوب وبه فسر ان الله يحب التوابين بشرط الندم وعدم العزم على العود ورد حقوق العباد او استحلالهم ونحوه كما فصلوه في محله فهو لا ينافي قبول توبة غير هذه الامة في الجملة ونبي الملحمة تقدم تفسيره ونبي المرحمة والرحمة وكل صحيح ان شا الله تعالى رواية ودراية كما تقدم ايضا ومعنى المقفي معنى العاقب كما مر مفصلا والاولى تفسير كل منهما بمعنى غيره ما من التكرار فمعنى المقفي التابع لمن مضى من النبيين وسننهم والعاقب الخاتم لباب النبوة والرسالة وانا نبي الرحمة والتوبة وقيل معنى نبي التوبة انه كثير التوبة والاستغفار في نفسه لقوله اني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة والمرحمة والراحم لان من رحمه الله فقد اراحه من العقاب فاذا اعلمه بذلك اراحه من القلوح والضجر فقد قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين دليل وتفسير لما قبله وقد تقدم انه لا ينافي انه نبي الملحمة والسيف اي القتال به لما تقدم وفي شرح السنة ان الامم السالفة كان من كفر منهم بعد ظهور المعجزات يعذب بالاستيصال فامر الله نبيه بالجهاد بسيفه ليرتدعوا عن الكفر فالسيف فيه بقية لهم وتوبيخ نزول ملك الجبار عليه ليطبقه عليهم واباه ذلك رجا ان يكون من ذريتهم من يعبد الله ورفع عنهم الاصر واثابهم الكثير على العمل القصير مع قصر اعمارهم وقد اثاب الامم مع كثرة اعمارهم واعمالهم باقل من ذلك وذلك فضل الله يوتيه من يشا وفي جعله عين الرحمة وتعميم العالمين مبالغة ظاهرة وكما وصفه اي مثل وصفه او الذي وصفه به في هذه الاية من الرحمة وصفه له في غيرها بالذين كفروا بهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اي يطهرهم من الاخلاق الذميمة والآثام المدنسة لهم بقاله وحاله وضمير من كنهم للعالمين وقيل
لامته ويعلمهم الكتاب اي القرآن والحكمة اي العلوم النافعة والعقايد الحقة ومعاني القرآن
وفسرت ايضا باصابة الحق قولا وفعلا ووردت بمعنى القرآن ايضا والحكمة من الله معرفة حقايق الاشياء
وايجادها على غاية الاحكام ومن الناس معرفة الموجودات وفعل الخيرات وهو الذي وصف به لقمان
ويصح ارادته هنا ايضا ويهديهم الى صراط مستقيم اي يدلهم على طريق لا عوج فيه بالوحي والشريعة
توصلهم الى سعادة الدارين وبالمومنين رؤف رحيم قدم متعلقه للتخصيص وللاهتمام والتشريف
مع رعاية الفاصلة وموافقة نظم القرآن قصدا للاقتباس من مشكاته وتقديم الرؤف كامن لانه
الشفقة والتلطف بالمنعم عليه وهو مقدم كامر وما قيل من انه للفاصلة وحقه التاخير بناء على
انه اشد الرحمة تقدم رده وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم او الله في غير القرآن اذ لم يقع فيه
بهذا اللفظ في صفة امته انها امة مرحومة في الدنيا والآخرة في الحياة والممات والامة امة
الدعوة او الاجابة وقد قال تعالى فيهم اي في حقهم وشانهم وتواصوا بالصبر وتواصوا
بالمرحمة معطوف على جملة الصلة في قوله الذين امنوا الخ اي وصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة
الله وعن معاصيه وبالرحمة على خلق الله فبعثه الله رحمة لامته متفرع على ما قبله باعتبار
العلم والظهور وهو في الحقيقة سببه ورحمة المختصة بهم ظاهرة ورحمة مفعول له او حال
من الله او من ضمير النبي بمعنى راحما لهم ورحيما بهم اي جعله الله عين الرحمة لارشاده لهم ولطفه
بهم وجبله على ذلك فلا تكرار فيه ثم ومترحما ومستغفرا لهم اي واعتناهم بالرحمة والمغفرة
لشفقته عليهم ففيه حسن ترتيب وكلها من التاكيد وجعل امته امة مرحومة ووصفها
بالرحمة لاجابة دعائه وتحقيق رجائه لهم ويجوز ان يكون لسا مر لاعتنائه به وتفضيله وامرها
اي الامة عليه الصلاة والسلام بالتراحم اي امر امته بان يرحم بعضهم بعضا ثم فسره بقوله
وقال ان الله يحب من عباده الرحما وقال الراحمون يرحمهم الرحمن وهذا خبر لفظا فان معناه
الامر فلذا اردفه بصريحه بقوله ارحموا من في الارض يرحمكم من في السما بالرفع والجزم
وحديث ارحموا الخ صحيح مشهور مسلسل بالاولية قيل يوخذ من كونه رحمة انه لا ينبغي ان يدعى له
بالرحمة فيقال اللهم ارحم محمدا وردّه العراقي بان كونه رحمة للعالمين من جملة الرحمة فهو دليل لهم
لا عليهم وما ورد في الحديث يتبع وقيل انه مخصوص بالتشهد لعدم وروده في غيره وياتي
تفصيله في بحث الصلاة واما رواية نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف
وهي صحيحة متنا وسندا كما ذكره المحدثون وظاهره معنى لانه فرض عليه القتال واحلت له الغنايم
ونصر بالرعب ووقع له من الحروب والجهاد والنصرة ما لم يتفق لغيره من الرسل وبقي ذلك في امته
الى يوم القيمة هم * جمع الشجاعة والخشوع لربه * ما احسن المحراب في المحراب *
فلاختصاصه بذلك اضيف له وروى حذيفة وفي نسخة عن حذيفة وهذا رواه احمد والترمذي
في الشمايل مثل حديث ابي موسى الاشعري السابق اي بمعناه ولفظه وفيه ونبي الرحمة
ونبي التوبة ونبي الملاحم بالجمع للكثرة اشارة الى انه انما اختص بكثرتها وروى الحربي
تقدم ذكره وانه متعدد ولم يعينه المصنف ورواه ابو نعيم في الدلايل عن يونس بن ميسرة في حديثه
عليه الصلاة والسلام بيان لانه مرفوع انه قال اتاني ملك فقال انت قثم بالثاء المثلثة
كامن اي مجتمع اي مجموع فيك كل كمال وخير فكني عن ذلك بكونه مجتمع في ذاته ولذا عقبه بقوله
قال والقثوم الجامع للخير كله في ذاته ولغيره وهذا اسم له صلى الله عليه وسلم هو في اهل

بيته

عرضي

بيته معلوم فسمي به غيره كما تقدم هو وتفسيره وقد جاءت من القابه وهي اسماء منقولة
واللقب ما اشعر بمدح ولذا قال تعالى ولا تنابزوا بالالقاب فمخصوص بما فيه ذم مؤذ كما ذكره
المفسرون وسماته بمعنى صفاته وهو عطف تفسيري والسمة في الاصل الوسم والكي ثم
عم لكل علامة واشتهر بمعنى الصفة او المراد الصفات الواردة في القرآن لان الكثير منها صفات
منزلة منزلة الاعلام عدة كثيرة سوى ما ذكرنا مما تقدم ذكره ومنها ما هو حقيقة ومنها
ما هو استعارة كالنور والسراج المنير كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وقال وسراجا منيرا
وفسر بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه نور لا ينطفي ويابى الله الا ان يتم نوره وهذا بناء على
ما اختاره ومنهم من فسره بالقرآن ولكل وجهة والذي حققه المشايخ نور الله مرقدهم كما
في مشكاة الانوار لحجة الاسلام ان حقيقة النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره والعالم
مشحون بالانوار الظاهرة المحسوسة والباطنة المعقولة التي يفيض بعضها على بعض فالانوار
والنور الحقيقي هو الله فهو نور السموات والارض ونور الانوار وقال الاشعري انه نور ليس
كالانوار والروح النبوية القدسية لمعة من نوره والملائكة شررة تلك الانوار ولهذا
صرح في هيكل النور فلذا سمي النبي صلى الله عليه وسلم نورا ولاقتباسه من الانوار الالهية
سمي سراجا منيرا لما فاض عليه من الانوار العلوية فليس الوصف به لغوا ولا مؤكدا فان قيست
نورا على نور فهو في الاصل استعارة ثم ان كان سمي به صار حقيقة والمنذر والنذير
بمعنى واصل الانذار الاعلام بما فيه تخويف قال تعالى انما انت منذر ولكل قوم هاد وقال اني انا
النذير المبين وفي البخاري انما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم
اني رايت الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجاء فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا
وانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبته طائفة فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم
فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق والنذير
مبالغة في صدقه وجده في انذاره ووصفه بالعريان لانه ابين في انذاره وقيل كان النذير
يتجرد من ثيابه ويلوح بها مع الصياح تاكيدا للانذار والمبشر والبشير قال تعالى انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا ونحوه من الآيات وهما من البشارة بكسر الباء وضمها وهو الاخبار بخبر
سار وقوله فبشرهم بعذاب اليم تهكم وسميت به لتغييرها بشرة الوجه اي ظاهره وقيده بعضهم
بالخبر الصادق وبنوا عليه ما لو علق عليه طلاقا او عتاقا كما بين في كتب الفقه والاصول
وقيل انه يعم الخير والشر حقيقة وقال السيوطي انه من اسماء الله تعالى ايضا لقوله تعالى يبشرهم ربهم
برحمة منه ورضوان وفيه نظر والشاهد والشهيد قال تعالى انا ارسلناك شاهدا وليكون
الرسول عليكم شهيدا ونحوه والشهادة كما في الصحاح الخبر القاطع واصل معنى الشهادة المعاينة
وسمي به لشهادته على الامم بتبليغ انبيايهم ويشهد على امته بالايمان كما ورد في الحديث
قال السيوطي الشاهد من اسماء الله تعالى ومعناه العالم او الشاهد على عباده يوم القيمة ثم سمي به
النبي صلى الله عليه وسلم والحق المبين قال تعالى جاءهم الحق ورسول مبين وقال وقد جاءكم الحق
من ربكم ونحوه وفسرا به صلى الله عليه وسلم والحق والصدق متقاربان وفرق بينهما الامام
بان الصدق نسبة الشيء الى الواقع والحق نسبة ما في الواقع الى الشيء من حق اذا ثبت وسمي
به لحقية نبوته ورسالته وما جاء به وجعل عين الحق مبالغة والمبين من ابان ويكون متعديا
ولازما بمعنى تبين فمعناه الظاهر في نفسه والمظهر لغيره قال لتبين للناس ما نزل اليهم

حصر

ن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والمبين من اسمائه تع لتبيين الوهيته وعظمته ولتبيينه لعباده امور معادهم ومعاشهم ونبراسهم
وخاتم النبيين بكسر التا اسم فاعل وبفتحها اسم آلة كطابع كانه ختمهم بنفسه فهو استعارة في
الاصل شاع وصار حقيقة قال تع ولكن رسول الله وخاتم النبيين من ختمت الامر اذا تممته
وبلغت آخره وفي الصحيحين مثلي ومثل الانبيا من قبلي كمثل رجل بني بيتا فاحسنه واكمله الا موضع
لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون هلا وضعت تلك اللبنة فانا تلك
اللبنة وانا خاتم النبيين وحكمة كونه خاتما ليكون الختم رحمة ولئلا يطول مكث امته تحت الارض
ولئلا تطلع الامم على احوال امته ولئلا تنسخ شريعته ولذا نزل عيسى على شريعته كما تقدم والرؤف
الرحيم تقدم معناها مفصلا والامين فعيل بمعنى مفعول مبالغة ويكون بمعنى فاعل كقوله وهذا
البلد الامين وتسميته به مشهورة قبل البعثة ووقع في القرآن في قوله انه لقول رسول كريم ذي
قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين في قول بعض المفسرين ان المراد به النبي وان كان
المشهور خلافه وانه جبريل وقال المصنف انه قول اكثر المفسرين كما نقله السيوطي عنه وقيل انا لم
نعلمه في القرآن في غير هذه والراجح خلافه الا انه وقع فيه بطريق الالتزام لانه وصف به
فيه من هو دونه كقوله لموسى اني لكم رسول امين وفيه تكلف وقد سمي به وبالمامون في الجاهلية
كما قال كعب بن زهير ☉ سقاك بها المامون كاسا روية • فانهلك المامون منها وعلكا •
ولما تشاجرت قريش فيمن يضع الحجر الاسود وقالوا اول من يدخل من هذا الباب يضعه فدخل رسول
الله فلما رأوه قالوا قد جا الامين لكونه مشهورا به قبل البعثة فكانت توضع عنده الودايع والامانات
وقدم الصدق كما عده كثير من اسمائه وفي البخاري عن زيد بن اسلم في قوله تع وبشر الذين
آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال هو محمد صلى الله عليه وسلم وعن علي كما اخرجه ابن مردويه
الله قال في تفسيره هو محمد شفيع وفيه اشارة الى وجه التسمية من انه بشرى بانه يشفع لهم لان من
عادة الشافع تقدمه على من يشفع له فعلى هذا هو سماه الله به وكذا روي عن ابي سعيد الخدري
ان معناه شفيع صدق وعن سهل ان معناه سابقة رحمة او دعا الله اي عهد له بها او لانه يجعله
رحمة لهم ولذا عقبه المصنف بقوله ورحمة للعالمين فهو كالتفسير له والقدم واحد الاقدام ويطلق
على التقدم لانه يكون بها ويقال لفلان قدم اي تقدم كما قال ذو الرمة ☉
لكم قدم لا ينكر الناس انها • مع الحسب العادي طمت على الفخر •
وكونه رحمة لجميع العالمين كما في قوله تع وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقد مر الكلام عليه
ونعمة الله فهو نعمة لهم وعن ابن عباس في تفسير قوله تع الذين بدلوا نعمت الله كفرا قال هم
كفار قريش ونعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم فسمي نعمة كما سمي رحمة وذلك حقيقة لمن اتبعه ولذا
قال والعروة الوثقى قال ابن دحية وابو عبد الرحمن السلمي في قوله تع فقد استمسك بالعروة
الوثقى هو محمد صلى الله عليه وسلم والعروة ما يتمسك به من الحبل والوثقى الوثيقة المتينة ففيه
استعارة تمثيلية تصريحية لان من اتبعه لا يقع في هوة الضلال كما ان من مسك حبلا متينا صعد
من حضيض المهالك ومن اسمائه الصراط المستقيم ذكره ابن دحية وقال ابو العالية في قوله
تع اهدنا الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجه ابن ابي حاتم وسمي به لانه طريق
الى الله موصل له والصراط بالصاد والسين الطريق المستوي او الواضح والمستقيم الذي لا
عوج فيه فاستعير له صلى الله عليه وسلم لان التابع له واصل لسعادة الدارين ناج والمنحرف
عنه ضال غير مهتد ولذا عقبه بقوله والنجم الثاقب اشارة لقوله وبالنجم هم يهتدون وروي

المتينة

عن السلف

عن السلف في قوله تع والنجم الثاقب انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل قلبه وهو بعيد
وهوي بمعنى انقطع عن غير الله والثاقب بمعنى المضي المتوهج قال
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم • دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه •
وهو تشبيه بليغ او استعارة من مطلق النجم او من نجم مخصوص وهو زحل لانه يهتدى به كما يهتدى
بالنجم ولانه استنارت به ظلمة الجهل فان خص بزحل فوجه الشبه الاضاءة مع الرفعة كما قيل والكريم
المتفضل او العفو او كثير الخير او العلي وكله صحيح في حقه وسمي به في قوله تع انه لقول رسول
كريم بناء على انه المراد به وقيل المراد جبريل والخلاف في تفسيره مشهور ولا حاجة لاثباته في
هذه الآية لاتصافه به واطلاقه لمعناه في الاحاديث الصحيحة والنبي الامي قال تع الذين
يتبعون الرسول النبي الامي وهو الذي لا يقرا ولا يكتب وقيل هو الذي يقرا ولا يكتب ورجحه
السبكي والسيوطي وفيه اقوال اصحها وثانيها هذان وقيل كان يقرا ويكتب وقيل كان لا يقرا ولا
يكتب في اول امره ثم لما زالت الشبهة علمه الله ذلك وذهب الى هذا بعض المحدثين من علماء المغرب
ومن تبعهم وسياتي تفصيله والامي منسوب الى الام كانه على حالة التي ولدته امه عليها او الى ام
القرى وهي مكة او الى امة العرب وكني به عما ذكر لان القراءة والكتابة لم تكن معروفة فيهم وقيل
منسوب الى الامة لانه امة بنفسه وامّيته معجزة له وان عدت منقصة لغيره لانه مع ما ظهر
منه من العلوم والمعارف اللدنية ومعرفته باخبار الامم السالفة وشرائعهم وهو لا يقرا ولا
يكتب ولم يدارس ويتلقن من قراء وكتبة امر عجيب غريب والمقصود من القراءة والكتابة
ذلك لانها آلة وواسطة له غير مقصودة في نفسها فاذا حصلت له الثمرة المطلوبة منهما
استغنى عنهما بخلاف مع ما في ذلك من الريبة والاستغنا بكتابته عن ملكة قائمة كما قال تع
ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وروي انه قال لا اريد
الخط لئلا يقع ظل القلم على اسم الله رواه الترمذي ولم يسنده فجازاه الله عن ذلك بان رفع
ظله عن الارض فلا يوطا وان لا ترفع الاصوات على صوته وسياتي ان من وصفه بالامية على
وجه يشعر بالتنقيص له حكم الساب وداعي الله اي داعي الناس الى توحيد الله وطاعته
كما قال تع وداعيا الى الله باذنه واجيبوا داعي الله ونحوه وفي الحديث الصحيح ان ربكم فتح
دارا وصنع مادبة فمن اجاب الداعي رضي الله عنه السيد ودخل الدار واكل من المادبة فالسيد
هو الله والداعي محمد والدار الاسلام وقال البخاري الجنة وكذا المادبة قال السيوطي وقد وصف
الله نفسه بانه داع في قوله والله يدعو الى دار السلام فهو من جملة اسماء الله التي سماه بها وقال
على لسان الجن اجيبوا داعي الله ففيه دليل على انه مبعوث اليهم وقال مقاتل لم يبعث الى الجن
نبي قبله وفسر قوله بعثت الى الاسود والاحمر بالانس والجن وهو مشكل بسليمان وقد يوفق بينهما
بان الله سخر له الجن مع امره لهم بتوحيد الله لانه لا يرضى الكفر الا انه لم يكلفهم بفروع شريعته
والنبي مامور بدعوتهم وتكليفهم بالعمل بشرعه ولم يؤمر باستخدامهم في اوصاف كثيرة وسمات
جليلة عظيمة مبجلة اي ورود ما ذكر في القرآن والآثار مع صفات اخر كثيرة اطلقت عليه
كاطلاق الاسم على مسماه فجعل الكثير باشتماله على غيره كالظرف المحتوي على مظروفه وسمات جمع
سمة وهي العلامة بالكي تجوز بها على مطلق العلامة كالمرسن للانف وشاع حتى صار كالحقيقة
او بمنزلتها ثم تجوز بها عن الصفة وهو المراد هنا وعبر به للتفنن في العبارة اي وقع منها في
كتب الله المتقدمة على القرآن كالتوراة وغيرها وجرى حقيقته اسرع في المشي وفي المايعات

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بمعنى سال كجرى النهر ثم شاع عرفا بمعنى وقع وحدث فيقال جرى الامر على كذا وكذا
ولذا تلطف الشاعر في قوله هم

وتحدث الماء الزلال مع الصفا • فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى •

في كتب انبيائه قيل المراد بها كلمات منقولة فان لهم احاديث دونها اخبارهم في زمانهم قبل
نسخ احكامهم ونقلها المسلمون عنهم ودونوها كالاسرائيليات وهذا يعلم من مقابلته لما قبله هم
واحاديث رسوله الواقع فيها وصفه او تسميته لنفسه او قالها اصحابه بنقل عنه ومن وجه
وهذه كلها تسمى احاديث ايضا **واطلاق الامة** غير الصحابة او المراد الاعم اي تسميتهم له
ووصفهم فان اطلاق اللفظ بمعنى استعماله سواء كان حقيقة ام لا وهو في الاصل من الاطلاق
بمعنى فك الوثاق ثم نقل عرفا لما ذكر واسماؤه وان كانت توقيفية عند بعضهم كاسماء الله فانه
منها وتلقي بالقبول في حكم المنقول فان الامة لا تجتمع على الضلالة وقد وقع هذا في كثير من عباراته
وصفاته **حملة شافية** فاعل جرى من شفا المريض اي شافية من داء الجهل ومن شفا الغليل وهو
حر العطش لانه يروي الظما وشفاء الصدر كتسميته بالمصطفى والمجتبى هذا مما اطلقته الامة ولم يرد
في كتاب ولا سنة وهما بمعنى وفي الصحاح اجتباه بمعنى اصطفاه واختاره واصله كما قاله الراغب
واصله من جبيت الماء في الحوض اذا جمعته لجمعه المكارم والصفات الحميدة
كما قال الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب قال السيوطي المصطفى من اشهر اسمائه ومثله المختار
وفي مسند الدارمي ان في التوراة محمد رسول الله عبدي المختار الخ **وابي القاسم** وهذا اشهر كنيته له
صلى الله عليه وسلم ومنها ابو ابراهيم وابو المومنين وابو الارامل كما ذكره السيوطي وهذا ورد في الصحيح
ففي مسلم عن جابر انه صلى الله عليه وسلم قال سموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي فاني ابو القاسم اقسم بينكم
ومثله ما في كتاب الذخاير والاعلاق في اداب النفوس ومكارم الاخلاق انه كني به لانه يقسم الجنة
بين اهلها يوم القيمة والذي جزم به اهل السير انه كني بابنه القاسم وهو اول اولاده واولهم وفاة
وظاهر النهي فيه تحريم التكني بكنيته مطلقا وهو الاصح من مذهب الشافعي وقيل انه جائز بعد موته
والنهي مخصوص بحياته ورجحه النووي ووجهه ان النهي لئلا يتاذى باجابة دعوة غيره فيجد
المنافقون فرصة لاذاه وهو يزول بوفاته ولذا لم ينه عن اسمه مع منع الله من ندائه به وفي قول يحرم
لمن اسمه محمد دون غيره لما روي مرفوعا عن جابر من تسمى باسمي فلا يتكنى بكنيتي قال السبكي وحيث
حرمناه فالمحرم التكنية وهو وضع الكنية لاحد والتكني وهو قبول المسمى لذلك واما الاطلاق
فامر ثالث الا ان يكون ذلك الشخص لا يعرف الا بها فيكون عذرا ولذا اختلفوا في عمره فقيل ستا
وقيل غير ذلك **والحبيب** وحبيب الله وهذا ثابت بالحديث الصحيح الذي رواه البيهقي في الشعب
عن ابي هريرة اتخذ الله ابراهيم خليلا وموسى نجيا واتخذني حبيبا وقال وعزتي وجلالي ۝
لاوثرن حبيبي على خليلي ونجيي وقد مر الكلام على المحبة والخلة والفرق بينهما والكلام على انها
افضل وهذا الحديث صريح في تفضيل المحبة لان لها معنيين احدهما مطلق وهو في الخلق مطلق
الميل وفي الله ايثاره وتفضيله على غيره وخاص وهو في الناس ايثاره على نفسه وغيره وجعله
نصب عينيه بحيث لا يفتر عن ذكره وتمكنه لقلبه بحيث لا يكون فيه محل لسواه والخلة المودة هم
والمعاونة مع نيل ما ولا شك انها بهذا المعنى افضل واعلى فقول ابن القيم في كتاب الداء والدواء
ما يظنه بعض الغالطين من ان المحبة اكمل من الخلة فمن جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة
فانها نهاية المحبة فانه اخبر بانه لم يتخذ خليلا غير ربه مع اخباره بمحبة عايشة وغيرها لم يصادف

محزه

محزه **ورسول رب العالمين** لم ينظم هذا في سلك ما وقع في القران لانه وان ورد
فيه كثيرا الا انه لم يقع فيه مضافا لرب العالمين قال الازهري الرسول المبلغ الاخبار من
بعثه من قولهم جاءت الابل رسلا اي متتابعة والفرق بينه وبين الرسول مشهور **والشفيع**
المشفع اي المقبول شفاعته ويسمى شافعا ايضا وقد تقدم ان له شفاعات سبعة كما تقدم
تفصيله **والمتقي** والتقي كما ياتي والاتقى لحديث مسلم انا اتقاكم لله والتقوى لها مراتب
مفصلة في تفسير البيضاوي **والمصلح** للخلق بارشاده وهدايته قال المصنف وجد على بعض الحجارة دة
القديمة محمد تقي مصلح امين لانه الف بين قلوب الناس وازال ما بينهم من الضغاين كما كان بين
العرب والعجم وقبايل العرب كما قال تعالى واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم ۝
والطاهر بالمهملة لطهارته من النقايص والادناس الحسية والمعنوية حتى ذهب الشافعية
الى طهارة فضلاته كغايطه ودمه ورجحه السبكي والبلقيني وافتوا به وقد شربت ام ايمن بوله
وشرب جماعة من دمه ولم ينكره صلى الله عليه وسلم وطهارته من الذنوب والاخلاق الردية كما تقدم
والمهيمن وهذا سماه به عمه العباس في قوله في شعره المشهور الذي مدحه به وقد تقدم روايته
له وفيه هم

حتى احتوى بيتك المهيمن من • خندف علياء تحتها النطق •

وميمه الاولى مضمومة والثانية مكسورة وروي فتحها ايضا وهو كما روي انه اسم له صح انه من اسماء
الله ومن اسماء القران قال انا انزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه
وفسر بالاية بمحمد صلى الله عليه وسلم انه حال من كاف اليك والراجح تفسيره بالقران على انه
حال بعد حال من الكتاب ولذا لم يذكره المصنف في اسمائه الواردة في القران وقال ابن قتيبة
انه في اسماء الله معناه الشاهد وقيل الحفيظ وقيل الرقيب وقيل القايم على خلقه وقيل الامين ۝
واصله مؤيمن قلبت همزته هاء وقيل المؤمن وهو في اسماء النبي بالمعنى الاول او الرابع او الخامس
انتهى وهو عنده مصغر مؤمن وتصغيره للتعظيم وقد رد هذا وشنع عليه فيه بان اسماء الله واسماء
النبي والقران بل كل معظم لا يجوز تصغيره ولم يرد مثله ولذا ارتضى ابو علي في الحجة انه اسم مكبر
ورد بعض الزنة كالمبيقر والمسيطر وفتح ميمه يدل على ما قاله واذا وصف به القران فمعناه
رئيس الكتب العالي عليها لحفظه من التغيير والتبديل ولاعجازه ببلاغته ومزاياه وقيل معناه
المصدق ويبعده تعديته بعلى الا ان يقال انه لما فيه من معنى العلو على انه من الامن ظاهر لانه
امنهم من الخوف **والصادق والمصدوق** وسمي بالصدوق ايضا والمصدق اسم فاعل بالتشديد
كما ذكره ابو بكر بن عربي وفي صحيح البخاري حدثنا رسول الله وهو الصادق والمصدوق قاله ابن
مسعود وقد ورد هذا في عدة احاديث رواها السيوطي لانه صدق الانبياء والكتب التي قبله
والمصدوق اسم مفعول من صدق المتعدي كما ورد صدق وعده والصادق من اسماء الله ايضا ورد
في حديث الاسماء كما قاله السيوطي **والهادي** عده جماعة في اسمائه اخذا من قوله وانك لتهدي
الى صراط مستقيم وهو من اسماء الله ايضا والهداية تطلق على خلق الاهتداء او يوصف بها الله خا صة
وهو المنفي في قوله انك لا تهدي من احببت وعلى قول وعلى البيان والدلالة بلطف وهذه يوصف صف
بها الله والنبي وتطلق على الداعي ومنه ولكل قوم هاد ولا تستعمل الا في الخير وقوله واهدوهم
الى صراط الجحيم تهكم وهدايته صلى الله عليه وسلم لما فيه صلاح المعاد والمعاش ظاهرة وقد
استوفينا الكلام عليه في حواشي القاضي **وسيد ولد ادم** وقد ورد اطلاقه عليه في احاديث
كثيرة صحيحة كما في حديث الشفاعة انطلقوا الى سيد ولد ادم وفي حديث الصحيحين انا سيد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الناس يوم القيمة وهو من اسماء الله ايضا كما اثبته البيهقي في كتاب الصفات فيجوز اطلاقه
على الله وعلى غيره مطلقا وهو احد اقوال اربعة فقيل يختص بالله وقيل يختص به معرفا وقيل
يختص بغيره ولا يجوز اطلاقه عليه واستدل الاول بانه لما قال له وفد بني عامر انت سيدنا
قال السيد الله وهو حديث صحيح وتحقيقه انه على الاطلاق معناه العظيم المحتاج اليه غيره
وهذا مما يوصف به الله وغيره واما تخصيصه بغير الله كما روي عن مالك فلانه لم يثبت عنده اطلاقه
على الله ولان معناه رئيس القوم الذي يفخر ويعتز باتباعه وسيد القوم منهم وهذا لا يليق بالله
ولذا افترا اذا اطلق على الله بما مر واختصاصه بالله فلان معناه المالك المتصرف في امور غيره
وهذا في الحقيقة انما هو لله واما التفصيل فلانه معرفا المعهود المعروف بالعظمة وكونه
ملجا لكل احد وهذا مختص به تع وهذا اضعفها فان قلت اذا صح الاول فما يصنع بالحصر
في حديث السيد الله قلت اذا اثبت وصف لشي وحده او مع غيره واريد رده فللعرب فيه طرق
اظهرها ان يؤتى بصريح الحصر كقولك لا معبود الا الله قلبا او افرادا او يعرف الطرفان كالمعبود
الله وهو كالذي قبله معنى الا انه قد يختار اما لقطعية مخاطبة فهو ابلغ في مقامه او يجعل ما اثبت
له الزاعم الصفة غير من هي له في نفس الامر كما يقال الدهر هو الله اي لا دهر ولا تصرف
لسوى الله فاثبت له التصرف ونفاه عما عداه بطريق برهاني كقوله ان كان للرحمن ولد الخ وهذا
نوع ادق من غيره سماه الشيخ التنويع وذكره سيبويه في باب الاستثنا فقوله السيد الله يحتمل اجراؤه
على ظاهره وان يكون من هذا القبيل فلا دليل فيه على انه من اسماء الله فضلا عن اختصاصه فاعرفه
فانه من نفايس الذخاير المكنونة في دفاتر الخواطر والمراد بولد آدم النوع الانساني وكذا كل جماعة سموا
باسم ابيهم جاز اطلاق الاولاد عليه واطلاقه عليهم كما يقال تميم له ولا ولاده وكذا يقال بنو تميم
لما يشمل تميم وهو القبيلة وهذا مجاز شاع حتى صار حقيقة عرفية كما فصله القرافي في كتاب العقد
المنظوم وعده من الفاظ العموم فمن قال الولد للواحد والجمع فان كان مفردا ينبغي ان يكون الاضافة
للاستغراق بقرينة المقام اي انا سيد كل ولد آدم وان كان للجمع فالامر ظاهر ويلزم من كونه
سيد ولد آدم سيادته على آدم اذ فيهم من هو افضل من آدم كابراهيم وموسى فقد تكلف ما لا حاجة
اليه لعدم وقوفه على ما ذكر في الحديث انا سيد ولد آدم يوم القيمة وخص يوم القيمة لانه يظهر
فيه سيادته على سائر الرسل من غير منازع فيه وان كان سيدا في الدارين **وسيد المرسلين** كما
ورد في احاديث صحيحة واذا كان افضل من سائر المرسلين فهو افضل من سائر النبيين لان الرسول
افضل من النبي وان اختلف في الرسالة والنبوة **وامام المتقين وقايد الغر المحجلين** جمعهما المصنف
لورودهما كذلك في حديث رواه البزار انه صلى الله عليه وسلم قال ليلة اسري بي انتهيت الى
قصر من لولوة يتلألأ نورا واعطيت ثلاثا قيل لي انك سيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر
المحجلين وقد ورد تسميته بامام النبيين وامام المتقين وامام الخير كما في الرياض الانيقة والاول
ذكره ابن سيد الناس في سيرته وعن قتادة في قوله يوم ندعوا كل اناس بامامهم ان الامام المراد به
النبي والامام في اللغة المقتدى ويطلق على الواحد كقوله اني جاعلك للناس اماما وعلى الجمع
كقوله واجعلنا للمتقين اماما قاله ابن الانباري وسمي امام النبيين لانه اسبقهم في النبوة الروحانية
ولانه امهم في الاسرا واخرج الترمذي واحمد اذا كان يوم القيمة كنت امام النبيين وخطيبهم
وصاحب شفاعتهم وفي رواية لاحمد كنت امام الناس ومنه اخذ تسميته به وامام المتقين ان اريد
به امته فظاهر وان اريد الاعم فموافقة لرواية امام الناس فلا فرق الا الانبيا به وفي بعض الشروح

٢٧

ان كل متق سواء كان من امته او من الامم السالفة مقتد به لانهم في السير الباطني اشرفوا على
المقام المحمدي وآمنوا به واهتدوا بهديه واما الخير ورد في حديث رواه ابن مسعود وقال اذا
صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض
عليه فقالوا له فعلمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام
المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير رسول الرحمة اللهم ابعثه المقام
المحمود الذي يغبطه به الاولون والاخرون وقائد اسم فاعل من القود وهو تقدمه على من يتبعه باخباره
وهو يقودهم الى الجنة برضاهم وفي القاموس القود نقيض السوق والغر جمع اغر واصل الغرة بياض
في جبهة الفرس فالمراد به يوم القيمة مطلق بياض الوجه هنا والتحجيل بياض في القوايم وفي الصحيحين
امتي يدعون يوم القيمة غرا محجلين من آثار الوضوء وورد معناه من طرق كثيرة وفيه تزيين لهم وقد
جعل ذلك علامة لهم يعرفون بها يوم القيمة بين الامم والتعبير به وبالقود مما هو معروف من صفات
الخيل فيه اشارة الى انهم جياد سابقون على غيرهم ففيه استعارة مكنية وتورية كقوله

الناس كالموت كخيل الطراد • والسابق السابق منها الجواد

ولهذا استدل على ان الوضوء من خصايص هذه وقيل انه غير مختص بهم وانما اختص بهم الغرة والتحجيل
لحديث هذا وضوئي ووضوء الانبيا من قبلي واجيب بضعفه واحتمال ان يكون الانبيا اختصوا
به دون اممهم على تقدير صحته بعيد وكون بياض الغرة اثر الوضوء لا ينافي كونه من اثر السجود وادعا
انه غيره فيه نظر **وحبيب الله** تقدم بيانه مفصلا **وخليل الرحمن** كما تقدم تحقيقه **وصاحب
الحوض المورود** رواه ابن حبان والحاكم وقال السيوطي حديث الحوض مروي عن اكثر من خمسين صحابيا
وعن ابي برزة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لي حوضا ما بين ايلة الى صنعا عرضه
كطوله فيه ميزابان من الجنة احدهما من ورق اي فضة والاخر من ذهب احلى من العسل وابرد
من الثلج وابيض من اللبن من شرب منه لم يظما حتى يدخل الجنة فيه اباريق عدد نجوم السماء وقال
القرطبي ذهب جماعة الى ان حوضه بعد الصراط والصحيح ان له حوضين احدهما في الموقف
قبل الصراط والثاني في الجنة وكلاهما يسمى كوثرا واختلف هل هو قبل الميزان او بعده والصحيح
انه قبله والحكمة تقتضيه فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا ويزداد عطشهم في السفر
الى المحشر فيردونه قبل الميزان والصراط وورد ايضا تسميته بصاحب الكوثر وسمي به
لاختصاصه به وفي بعض لكل نبي حوض وتسميته به لعظم حوضه وزيادته ومثله
يحتاج لنقل والمورود اسم مفعول من الورد بالكسر وهو الذهاب للماء ويلزمه القرب عادة فلذا
عبر به عنه وهو وان كان اسم مفعول لا يدل على المبالغة فالمراد به كثرة الواردين عليه ولولاه
كان الوصف به لغوا وقد ورد التصريح به **والشفاعة** اي من اسمائه صاحب الشفاعة
وقد تقدم بيانه **والمقام المحمود** وهو مقام الشفاعة كما مر **وصاحب الوسيلة والفضيلة
والدرجة** الرفيعة الوسيلة السبب الموصل لامر عظيم سمي به لانه سبب لكل خير وفسر في
الحديث بمنزلة مخصوصة كما ورد في حديث مسلم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا
تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون هو واصل الوسيلة كما قال السيوطي القرب من
الله والمنزلة عنده وكونه صاحب فضيلة ودرجة عالية رفيعة حسا ومعنى في الدنيا
والاخرة غني عن البيان **وصاحب التاج** قيل المراد بالتاج هنا العمامة ونقل عن المصنف
والعمايم تيجان العرب لكونها معروفة عندهم دون غيرهم فكني به عن انه من صميم العرب واشرفهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حسبا ونسبا وروي انه لم يلبس العمامة غيره من الانبياء وفي مقدار عمامته وكيفيتها تفصيل
في السير وللناظرين رسالة مستقلة وكان له عمامة تسمى السحاب عممها عليا ودخل مكة في
الفتح على راسه عمامة سودا وهو لا ينافي رواية انس انه كان على راسه مغفر ولبس عمامة حمرا ايضا
ولم يلبس خضرا اصلا والمعراج وهو السلم فهو اسم آلة وقال السيوطي هو عروجه وصعوده في
السماء والاسراء سيره من مكة الى القدس فهو مصدر ويسمى بينهما فرق وان كان كل منهما يطلق على
الآخر وهو تصعد به الارواح والملائكة ولم يصعد عليه في الدنيا بجسده احد غيره فلذا اختص
بالتسمية به وسمي ايضا صاحب اللواء قال السيوطي المراد لواء الحمد الذي تقدم وقد يحمل على اللواء
الذي كان يعقده للحرب فهو كناية عن القتال قال وهو ما يحمل في الحرب ليعلم به صاحب الجيش
يحمله هو بنفسه وقد يحمله غيره وقريب منه الراية وفرق بينهما وفي الترمذي عن ابن عباس كانت
رايته سودا ولواؤه ابيض وقيل كان مكتوبا عليه لا اله الا الله محمد رسول الله واول ما حدث
الرايات في الاسلام يوم خيبر وما كانوا يعرفون قبل ذلك الا الالوية والقضيب اي من
اسمائه صاحب القضيب وهو السيف كما قاله السيوطي ووقع مفسرا به في الانجيل قال معه قضيب
من حديد يقاتل به ويحتمل ان يراد به القضيب الممشوق الذي تمسكه الخلفا وفي كتاب البيان
للجاحظ انه كانت له مخصرة وقضيب وعنزة تحمل بين يديه وهكذا كانت عادة عظماء العرب
وخطبائهم فان اريد الاول فهو كناية عن جهاده وكثرة قتاله وان كان الثاني فعبارة عن كونه
من صميم العرب وخطبائهم ومما قيل من ان المراد به القضيب الذي اعطاه لبعض الصحابة فانقلب
سيفا كما هو معروف في معجزاته تخلف ناش من ضيق الفطن وراكب البراق والناقة والنجيب
البراق بزنة غراب من المخلوقات العلوية وروي ان وجهه كوجه الانسان وجسده كالفرس وقوائمه
كالثور وذنبه كالغزال وليس بذكر ولا انثى وسمي به لسرعته او لبياضه وصفائه او لمنافيه
من سواد من قولهم شاة برقا وركبه صلى الله عليه وسلم لما اسري به واختلف فيه هل ركبه غيره من
الانبيا ام لا وهل ركبه معه جبريل ام لا كما تقدم فان قلنا لم يركبه غيره فوجه التسمية ظاهر
وان قلنا ركبه غيره فوجهه ان ركوبه بهذه السرعة وصعوده به الى السماء مخصوص على ان وجه
التسمية لا يلزم اطراده والنجيب الجمل وقد سمي براكب الجمل ايضا في الكتب القديمة كما سمي عيسى راكب
الحمار ولذا قال النجاشي لما جاءه كتابه وآمن به اشهد ان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى
براكب الجمل وفي دلائل النبوة اوحى الله الى عيسى صدقوا بالنبي الامي العربي صاحب الجمل وسمي به
مع ركوبه الفرس والبغل والحمار لانه كناية عن تواضعه او هجرته عليه او كونه من صميم العرب
وكان له جمال ونوق مذكورة في السير وقيل المراد بالنجيب الناقة وقيل النجيب اسم فرس له اشتراه
من اعرابي وهو الذي شهد له به خزيمة وهو غريب وصاحب الحجة وهي الدليل الذي يحتج به
للخصم وهو المراد او المراد المعجزة وهي بلغت الفا واعظمها القرآن والسلطان بضم السين
وسكون اللام وقد تضم وهو يذكر ويؤنث وله معان منها البرهان والملك والقوة والغلبة ويصح
ارادة كل منها هنا وسمي بها في كتاب شعيا وبعض الكتب القديمة والخاتم اي صاحب الخاتم بالكسر
والفتح وهو خاتم النبوة الذي كان بين كتفيه كزر الحجلة وبيضة الحمامة وقيل انه كان فيه كتابة
الله وحده لا شريك له او محمد رسول الله او توجه حيث شئت فانك منصور وذكره مع السلطان لانه
ورد مقرونا به في كتب شعيا وقيل المراد به الخاتم المعروف لانه لم يعرف في العرب ولا في الانبيا
ختم الكتب سواه وفيه نظر والعلامة اي علامة النبوة وهي الخاتم ايضا وقد ورد نعته به في الكتب

القديمة وهو من شواهد نبوته الدالة على ان الانبيا ختموا به كما ورد في حديث ويجوز ان يراد
به مطلق العلامات التي كان اهل الكتاب يعرفونه بها كما يعرفون ابناءهم وصاحب الهراوة
بكسر الهاء ثم الف وراء وواو وتاء تانيث وهي العصا قال في النهاية لانه كان يمسك به القضيب
ويمشي بالعصا بين يديه وتغرز له ليصلي اليها وقال الجوهري هي العصا الضخمة وجمعها هراوى
كمطايا وقال المصنف انها العصا الواردة في حديث الحوض انه يذود بها الناس وقال النووي انه
ضعيف او باطل لان المراد وصفه بما يعرفه الناس ويعلم اهل الكتاب انه المبشر به في كتبهم فلا وجه
لتفسيره بامر يكون في الآخرة والصواب ما تقدم ومن سنن الانبيا حمل العصا تواضعا والنعلين
اي صاحب النعلين وقد ورد تسميته بهذا في الانجيل وفي كيفية نعليه كلام مفصل افرده اهل
العصر بالتاليف وكان له نعلان سبتيتان بكسر السين اي لا شعر لهما او مدبوغة وما قيل من انه
سمي به لما فيه من مخالفته لاهل الجاهلية من نعلهم في رجل واحدة وقد ورد النهي عنه في الحديث
القولي تركه ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم في الكتب الالهية المنزلة على من قبله من الانبيا
المتوكل هو اسمه في التورية ونصها انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل وهو الذي يكل
امره الى الله ويعتصم به والتعلق بالله على كل حال وقيل التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من
الحول والقوة وهو فرع التوحيد وكان ارسخ الانبيا قدما فيه وتوكل العامة مباشرة الاسباب
مع الاعتماد على مسببها واليه الاشارة بقوله لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير
تغدو خماصا وتروح بطانا وتوكل الخواص وهو ترك الاسباب بالكلية والمختار اسم مفعول
من الاختيار وهو الاصطفا لانه خيار من خيار وفي التورية عبدي المختار لا فظ ولا غليظ
ومقيم السنة سمي به في التورية والزبور في قوله اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة
لن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا والمراد سنة من قبله من الانبيا وطريقتهم باظهار التو
ودعوة الخلق من قامت السوق نفقت ففيه استعارة مكنية تجعل ذلك كالامتعة المرغوب
فيها او معدلها ومسويها والمقدس بالتشديد اسم مفعول في الرياض الانيقة معناه المفضل
على غيره وقال ابن دحية معناه المطهر المنقى من دنس الذنوب والنقايص من التقديس وهو التطهير
ومن اسماء الله القدوس اي المنزه عن سمات النقص والحدوث وقيل تقديسه الصلاة عليه وروح
القدس بضمتين وضم وسكون وهذا سقط من بعض نسخ الشفا اي الروح المقدسة من النقائص
وروح القدس في القرآن فسر بجبريل والقدس الطهارة او الله واضافة الروح له تشريفا كروح
الله لعيسى وروح الحق والحق هو الله وقال ابن عربي في الفصوص انه اسم الله الاعظم وهو صلى
الله عليه وسلم مظهره وهو اي روح القدس وروح الحق معنى البار قليط في الانجيل فانه
في الانجيل سمي النبي البار قليط فيه وفسر بما ذكر وراء انه مفسرا به في شرح الانجيل للمسيحي
الطبيب الا انه حرفه وقال المراد بروح القدس احد الاقانيم الثلاثة عندهم فانهم اهل وقال
ثعلب امام اهل اللغة المشهور في تفسيره له البار قليط الذي يفرق بين الحق والباطل
وهو احمد بن يحيى الشيباني البغدادي امام اللغة والعربية ومولده في حدود المائتين ووفاته
في جمادي الاخرة سنة احدى وتسعين ومايتين قال ابن دحية هو اسمه في الكتب القديمة
وروي عن ابن عباس وروي بالفاء الفصيحة وبالباء غير صافية وروي بالقاف وفي المقتفي
للحلبي الذي حفظه بموحدة في اوله والف وراء مكسورة وقاف ساكنة ثم لام مكسورة ثم مثناة
تحتية ساكنة وطاء مهملة وهو الصحيح وفي بعض الحواشي انه روي بفتح الراء وقد تسكن وقاف

شبكة الألوكة www.alukah.net

تفتح مع السكون وتسكن مع الفتح ومعناه محمد وفي الرياض الانيقة معناه الحامد اي الحماد
والذي عليه اصحاب الانجيل ان معناه المخلص وعبارة الانجيل اني ذاهب الي ابي وابيكم ليبعث
اليكم الفارقليطا وفي شرح هياكل النور لابن واني هو بالفاء ثم الف وراء مكسورة وقاف ساكنة
ولام مكسورة ثم طاء مهملة والف مقصورة وهو لفظ عبراني معناه الفارق بين الحق والباطل والمراد
مظهر الولاية التي هي باطن النبوة والمراد بابي وابيكم ربي وربكم والاوائل يسمون المبادي بالاباء انتهى
والحاصل انه بباء مشوبة بفاء واخره الف ثم غرب بباء وفاء وحذفت الالف من اخره ففيه ثلاثة اوجه
قالوا حقيقته المخلص وتفسيره بالفارق لحي بيان لحاصل المعنى ومن كذب جهلة النصارى ان
الفارقليط نار تنزل على الناس من السماء يفعلون العجايب وبهذا اتضح لك لفظه ومعناه وهذا
مما انتخبته من كتب عديدة فاحفظه **ومن اسمائه في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب
طيب** وروي مؤذ مؤذ وميذ ميذ والاول هو الذي صح روايته عند المصنف والثاني ذكره العزفي
وقال انه اسمه في صحف ابراهيم وذكر الثالث وقال انه اسمه في التوراة وهو بميم مفتوحة والف مهموزة
وذال معجمة ساكنة كما في المقتفى وقال انه ينبغي ضم ذاله لانه اسم غير منصرف للعلمية والعجمة وتقديره
انت ماذ ماذ او يا ماذ ونقل الشهاب الحجازي الاديب شيخ السيوطي نقلا عن السهيلي انه بميم مضمومة
والف مهموزة بين الواو والالف وقال انه سمعه من بعض احبارهم والظاهر انه تكرير للتاكيد والمراد انه
طيب في نفسه وفي دنياه وطيب في صفاته واخرته وكونه اسما واحدا مثل مرمر او مركب خلاف وقيل
ان ذاله مهملة وفي شرح رسالة الكندي المنسوب للغزالي انه سمع من اسلم من احبار اليهود انه في التوراة
اشارة صلى الله عليه وسلم في قوله لابراهيم اني قد استجبت لك في اسماعيل وانا باركته فاعظمه
بماذ ماذ وهو محمد من طريق العدد لان فيه ميمين في مقابله وباء موحدة والعين وعد السين باثني عشر
وهو عدد الحاء والدال من محمد وهذا يقتضي ان ذاله مهملة وهذا مما لم ينبه كرم الله احد من ارباب الحواشي
والشروح وما قاله التلمساني من انه يحتمل ان يكون ماخوذا من المادي وهو العسل الابيض لحلاوته
في ذاته وصفاته او المادي بمعنى الدرع اللينة السهلة لانه حصن حصين للعالمين ليس بشيء
لانه يقتضي انه عربي ولم يقل به احد قط **وحمطايا** هذا وما قبله رواه ابو نعيم في الدلايل عن ابن
عباس وضبطه الشمني وحاشيته بفتح الحاء المهملة وفتح الميم المشددة وطاء مهملة مخففة والف بينهما
مثناة تحتية وفي الغريبين انه بكسر الحاء المهملة وفتح الميم المشددة وميم ساكنة يليها مثناة تحتية
والف ثم طاء والف هكذا حمطايا وفي المواهب انه بفتح الحاء وسكون الميم ومثناة تحتية والف وطاء مهملة
والف بعدها وقال انه بكسر وباء او نون واما معناه فقال ابو عمرو عن بعض الاحبار ان معناه يمنع من
الحرام ويحمي الحرم اي يمنع ما كان في الجاهلية من الانكحة وغيرها من المحرمات فالحرم بفتحتين او
بضم ثم فتح وفي الرياض الانيقة معناه حامي الحرم او نبي الحرم **والخاتم والخاتم** اختلف الشراح
في ضبطه وروايته فقيل ضبطهما بالمعجمة الا ان الاول بفتح التاء والثاني بكسرها او العكس وهو بعيد
لانه تقدم فلا وجه لاعادته وقيل الاول معجم والثاني مهملة وفسر بانه احسن الانبياء خلقا وخلقا
والظاهر انه من الختم وهو الاحكام وتثنية القضاء والاحكام ويجمع على حتوم كما قال امية بن ابي
الصلت • عبادك يخطئون وانت رب • بكفيك المنايا والحتوم •
والحاتم القاضي كما في الصحاح ووجه الاول انه خاتم الانبياء كالخاتم الذي يتزين به فهذا
ان كان تفسير الخاتم بالمعجمة في قوله **حكاه كعب الاحبار وقال ثعلب فالخاتم الذي ختم
الانبياء والحاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا** يكون اشارة الى تفسيره على وجه يسقط التكرار

السهيلي

لمجد صح

٢٧٢

وسكت عن الثاني لظهوره وان كان الاول هنا بالمعجمة والثاني بالمهملة كما ضبط في بعض الشروح
والحواشي وهو مروي عن المصنف ففيه مع التكرار ان تفسير الحاتم بالمهملة بما ذكر ليس معروفا في اللغة
وانما معناه ما تقدم حتما اللهم الا ان يتكلف انه من الحتم بمعنى الخالص وقد قالوا فيه انه مقلوب من الحب
ولك انه من الحتامة وهي بقية الطعام كانه اخر ما بقي من نعم الله وقرن بالخاتم وان تكرر لهذه النكتة
والعجب من الشراح اذ لم يتعرضوا لهذا مع ظهوره **ويسمى بالسريانية** وهي لغة ادم واول اللغات
ومنها تشعبت سائر اللغات ثم صار اصول اللغات ثلاث السريانية والعبرانية والعربية الاصلية
وفي بيان معنى نسبتها كلام لا حاجة اليه هنا وهي بضم السين وراء ساكنة او مكسورة وما قيل انه من السر
وهو لان الله علمها لادم سرا بعيد وقال السيوطي ان سؤال القبر بالسريانية **مشفح** بضم الميم وفتح الشين
وفاء مفتوحة او مكسورة مشددة فيهما وروي بالقاف وحاؤه مهملة وسمي به في كتاب شعيا المشهور
وقال البرهان لا اعلم صحته ولا معناه ونقل بعض اهل العصر عن ابن فورك ان معناه محمد لانهم
لانهم يقولون شفح لاها اي محمد الله وتبع فيه التلمساني قال البرهان هو بضم الميم ونون ساكنة
ثم حاء مهملة مفتوحة وميم مكسورة ونون مفتوحة مشددة والف مقصورة وقال التلمساني الميم
الثانية مثلثة ومعناه روح القدس وهو بالسريانية محمد وبالرومية البرقليطس ونحوه في
تذكرة الصفدي وضبطه بعضهم بفتح الميمين ونقله السيوطي عن ابن دحية وقال ابن سيد الناس
في السيرة معناه محمد وهو محتمل لانه اسم له ولكونه بمعناه **واسمه في التوراة احيد** قال الشمني
هو بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح المثناة التحتية وكسرها ودال مهملة وقيل انه بفتح الحاء وسكون
الياء التحتية والمحفوظ فتح الهمزة وسكون المهملة وفتح التحتية وهو غير عربي وفي الكامل رواية عن
ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال اسمي في القران محمد وفي الانجيل احمد وفي التوراة احيد
وانما سميت احيد لاني احيد امتي عن نار جهنم وكذا اخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق وبهذا انه
ضبط بكسر الحاء مع فتح الهمزة وضمها فهو عربي من حاد يحيد اذا عدل وقال ان لم يكن من توافق
اللغتين وذكره الماوردي في تفسيره وضبطه بمد الالف وكسر الحاء كما في الرياض الانيقة وفي
الشرح الجديد ان الذي في النسخ بضم الهمزة وحاء مهملة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة والمشهور
فتح الهمزة وسكون الحاء وفتح الياء وفي نسخة بفتحها وكسر الحاء وسكون الياء وما قيل انه من الواحد
لانفراده في ذاته وصفاته وفيه ما لا يخفى وروي ذلك ابن سيرين الامام المجتهد الثقة الزاهد
الورع السائح صيته في الافاق وروى عن الايمة الستة وتوفي بعد مائة وعشر وهو من اعلم
التابعين رضوان الله عليهم اجمعين ثم انه رجع الى تفسير بعض الاسماء الشريفة فقال **ومعنى
صاحب القضيب** اي السيف كما تقدم ومعنى مبينا وقع ذلك مفسرا في الانجيل **قال** اي الله في
الانجيل وكون فاعله ضمير الانجيل تجوزا تكلف وفي القاموس القضيب السيف القاطع كالقاضب
سمي به من القضب وهو القطع لانه اقتطع من الحديد **معه قضيب من حديد يقاتل به وامته
كذلك** اي تقاتل بالسيف الاعلى ثم اشار الى معنى اخر فقال **وقد يحمل على انه القضيب الممشوق**
اي قد يمشى به وهو مجاز بن الحمل على الظاهر فيحمل التاويل به كحمله عليه استعارة صارت حقيقية
شايعة فيه وقد للتحقيق وقد تحمل للتقليل لقلة تفسيره بالنسبة لما قبله وقضيب فعيل
بمعنى فاعل من قضبه بمعنى قطعه فهو في السيف بمعنى انه بالغ في القطع الى حد لم يصل اليه سواه
فهو عبارة عن شجاعته وكثرة جهاده وكثرة غزواته وفتوحاته وغنايمه فان كان بمعنى العصا
فهو بمعنى مفعول لانه مقطوع من الشجر وقد كان له عصا على عادة العرب في اتخاذ عظمائهم وخطبائهم

هو الشبلي الذي دراساته

ض

الألوكة
www.alukah.net

عصيا يشيرون بها كما قال الشاعر

في كفه خيزران ريحه عبق • من كف أروع في عرنينه شمم

كما في كتاب العصا للجاحظ وفي القاموس قضيب ممشوق طويل دقيق من المشق وهو جذب الشيء ليطول وكان قضيب يسمى الممشوق ومحجن يستلم به الركن وقال ابن الجوزي كان له صلى الله عليه وسلم قضيب وهو الذي كان يمسكه وهو الآن عند الخلفاء يمسكونه تبركا به فكانت لهم واصل العصا واحد وأما الهراوة التي وصف بها وصفا لغويا في تسميته صاحب الهراوة وتقدم تفسيرها فكان يحملها ويتوكأ عليها وهو من سنن الأنبياء وأراها والله أعلم بضم الهمزة أو فتحها بمعنى أظنها أو أعتقدها وأن المراد بها هنا في التسمية العصا المذكورة في حديث الحوض الذي قال فيه أذود الناس عنه بعصاي لأهل اليمن أذود بمعنى أطرد وأمنع وهو بالمعجمة في أوله ومهملة في آخره وهذا الحديث رواه مسلم في المناقب هكذا لأهل اليمن أي لأجلهم فإنهم على بعد شقتهم أجابوا دعوته من غير تردد ولما قال فأذودهم قبل غيرهم ليرتحم كما أراحوا فالجزاء من جنس العمل وفيه روايات فروي لأهل اليمن ومع صحته معنى قالوا إنه من طغيان العلم وقال النووي إن هذا التوجيه ضعيف لأن المراد تعريفه بصفة يعرفها الناس ويستدل بها على أنه المبشر به في الكتب السالفة التي عبر فيها العنوان فلا وجه لتفسيره بما في الآخرة مما لم يتيقنونه ولكن يكفي في ذلك ذكره ما وقع في الكتب الإلهية التي لم نقرأها ونقول من فسره بهذا إنما أراد تفسيره بأمر يختص به ويبصره علماؤه وقيل الأحسن حمله على العصا التي أعطاها لبعض الصحابة ولو انقلبت سيفا فإنه معجزة كما قال الصرصري يمدحه

وعصاه لما مسها بيمينه • فضلت عصا ردت إلى الثعبان

يعني أنها صارت معجزة أقوى من معجزة موسى بعصاه وأما التاج فالمراد به العمامة كما تقدم ولم يكن حينئذ في عصر مبعثه وحياته إلا للعرب والعمائم تيجان العرب أي قائمة مقام تيجان العجم المعهودة بينهم والتاج ما يوضع على الرأس من الذهب المرصع بالجواهر والعمائم جمع عمامة وسيأتي الكلام على عمامته صلى الله عليه وسلم ولما تقدم في وصف الحبيب المحتم بما مر قال وأوصافه أي الأوصاف التي أطلقت عليه والقابه وسماته جمع سمة وهي العلامة كما تقدم في الكتب كثيرة أراد بها كتب الحديث والسير والكتب الإلهية وفيما ذكرنا مقنع إن شاء الله أي في المقدار الذي ذكره ما يحصل به القناعة عن غيره مما في الكتب وفي المصباح مقنع كجعفر ما يقنع به يعني أنه اسم مكان يجوز به عما يقنع به وقيل إنه مصدر ميمي قنع بمعنى رضي والأول أولى وفي بعض النسخ هنا زيادة من إلحاق المصنف وهي وكانت كنيته المشهورة والكنية ما صدر بأب أو أم ونحوه أبا القاسم اشتهر بها لأنه أول أولاده كما تقدم وروي عن أنس رواه أحمد في مسنده والبيهقي لما ولد له أي للنبي صلى الله عليه وسلم ولده إبراهيم من مارية جاريته المشهورة جاءه جبريل فقال السلام عليك يا أبا إبراهيم فكناه به كما كناه بالقاسم ومما كني به أبو الأرامل وأبو المؤمنين وقوي في السواد وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم وقيل إن هذا وأمثاله مما لم يضف للأبناء الحقيقية لقبا لا كنية كأبي تراب والله أعلم

فصل في تشريف الله له

أي تعظيمه وتفضيله بما سماه به من أسمائه عز وجل والباء سببية أو للتعدية الحسنى أي الحسنة

عرضي

بجليلة

الجليلة لدلالتها على معان محمودة وقال الراغب الفرق بين الحسن والحسنة والحسنى أن الحسن يقال في الأعيان والأحداث وكذلك الحسنة إذا كانت وصفا لا اسما فإذا كانت اسما فهي متعارفة في الأحداث والحسنى تكون في الأحداث دون الأعيان انتهى ووصفه بما من صفاته العلى بالضم جمع عليا كالكبرى وكبر وفي المصباح العليا كل مكان مشرف ولا وجه لتخصيصه بالمكان وقال الراغب العلى جمع تأنيث الأعلى بمعنى أفضل وأشرف والصفتان كاشفتان قال القاضي أبو الفضل هو المصنف وهو مما عبر به عن نفسه من غير قصد التمدح لاشتهاره أو زيادة تلامذته كقوله وفقه الله والتوفيق تهيئة الأشياء الموافقة وهي جملة دعائية معترضة ما أحرى بفتح الهمزة وحاء ساكنة مهملة وراء مقصور بمعنى أحق وأولى وهي صيغة تعجب من زيادة لما قدمه هذا الفصل قال البرهان الفصل ضبط في الأصل بالرفع والظاهر نصبه لأنه ما التعجبية كما تقول ما أكرم زيدا كما هو معروف في النحو بفصول الباب الأول المعقود لثناء الله عليه وإظهار عظيم قدره وهذه التسمية دالة على ذلك كما أشار إليه بقوله لانخراطه في سلك مضمونه أي لدخوله فيما تضمنه ودل عليه من المناقب التي خرست عندها ألسنة الأقلام وفي السلك استعارة تخييلية ومكنية غير أنهم فسروا الانخراط بالانتظام وقد تتبعت اللغة وكلام العرب فلم أجد الانخراط بهذا المعنى بل هو متأول فإن اخترط السيف أخرجه من غمده واخترط ورق الشجر أزاله عنه بجمع الكف ومنه خرط القتاد إلا أنهم استعملوها كثيرا في كلام المصنف الموثوق بهم كالزمخشري والسكاكي ولم يزل هذا يختلج في صدري ولم أجد ما يثلجه حتى وجدت ابن عباد قال في جامع اللغة خرطت الجواهر جمعتها في الخريطة وهي الكيس فعلمت أن هذا منه غير أنهم تسمحوا في استعماله فذكروا السلك مكانه لأنه مثله في جمع الجواهر فحمدت الله على ذلك وامتزاجه أي اختلاطه بحيث لا يتميز أحدهما عن الآخر ومنه المزاج بعذب معينها وهو بفتح الميم بمعنى الجاري مطلقا أو على وجه الأرض وأصله معيون فاعل كمبيع فهو من عين الماء والميم زائدة وقيل إنه وزنه فعيل ومعناه البعيد مجراه من أمعن في سيره والعذب الحلو الذي يتغذى به وفي تفسيره بالغزير مسامحة ووجه الاستعارة فيه ظاهر ثم استدرك الاعتذار عن عدم ذكره في الباب فقال لكن لم يشرح الصدر للهداية إلى استنباطه أي لم يفتح الله به عليه أو لإباحة إخراجه في محله وأصل الاستنباط إخراج الماهية ففيه مع ما قبله مناسبة لطيفة وفي ذكر الحوض بعده لطف بديع وحسن جسنا إذا ما زدته نظرا • وقوله ولا أنار أي دل دلالة واضحة الفكر بكسر الفاء وسكون الكاف أو فتحها جمع فكرة لاستخراج جوهره والتقاطه أي استخراجه من بحاره أو أصل لقطعه وهذا ناظر لانخراطه في سلكه ففيه استعارة ولف ونشر غير مرتب ففيه درة ودرة إلا عند الخوض في الفصل الذي قبله أي لم يهد الله للوقوف عليه إلا عند الشروع فيما قبله وأصل الخوض المشي في الماء فاستعير لمطلق الشروع إلا أنه كما قال الراغب أكثر ما ورد في القرآن فيما يذم الشروع فيه فرأينا أن نضيفه إليه أي إلى الفصل الذي قبله بأن نذكره عقبه لمناسبته له ومراده أن يجعله كالضيف الذي أنزل عنده فقال ونجمع به شمله أي نضمه إليه والشمل بمعنى المتفرق أي نجمع ما تشتت منه ويكون بمعنى الجمع فهو من الأضداد فاعلم خطاب لكل من يصح توجيه الخطاب له كما مر أن الله خص كثيرا من الأنبياء بكرامة أي بأمر أكرمه وشرفه به خلعها عليهم من أسمائه أي أعطاها لهم وألبسها إياهم والأصل في الخلعة أنها ثوب يلقيه الملك على من يكرمه أو يوليه ولاية وشاع في عرف الكتاب تسمية الخلعة تشريفا وإليه أشار المصنف بقوله

وع

شبكة الألوكة www.alukah.net

في اول هذا الفصل في تشريف الله له باسمائه ففيه لطف لم يتنبهوا له وفي نسخة عليه وفي
نسخة جعلها بدل علمها والصحيح الاول لما عرفته وفيه استعارة لطيفة بجعل الاسم خلعة لما
فيهما من البهجة واظهار التكريم كتسميته اسحاق واسماعيل بعليم وحليم في قوله تع وبشروه
بغلام عليم يعني اسحاق وقوله فبشرناه بغلام حليم يعني اسماعيل وهذا بناء على ان المبشر به
اسحاق وقيل هو اسمعيل قيل ولهذا جمع المصنف هنا بين اسحاق واسمعيل وابراهيم بحليم في قوله
ان ابراهيم لاواه حليم ونوح بشكور اي كثير الشكر في قوله ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا
شكورا في الاسرا بناء على ان الضمير له لا لموسى ويحيى وعيسى ببر صفة مشبهة من البر والبر
خلاف البحر ولما فيه من السعة توسعوا فيه فاشتقوا منه اي التوسع في فعل الخير وينسب ذلك
تارة الى الله نحو انه هو البر الرحيم والى العبد فيقال بر العبد ربه اي توسع في طاعته من الله الثواب
ومن العبد الطاعة وذلك ضربان ضرب في الاعتقاد وضرب في الاعمال وقد اشتمل قوله تع ليس البر
ان تولوا وجوهكم الآية ولذا سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن البر فتلا هذه الآية وبر الوالدين
التوسع في الاحسان اليهما ويستعمل البر في الصدق لكونه بعض الخير المتوسع به قاله الراغب
وموسى بكريم وقوي في قوله تع وقد جاءهم رسول كريم وقوله ان خير من استاجرت القوي الامين
وفي بعض النسخ بدل كريم كليم والصحيح الاول لانه لم يسم به الله وان كان الكلام من صفاته ويوسف
بحفيظ عليم اي حافظ كثير العلم وهذا في قوله تع اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وايوب
بصابر في قوله تع انا وجدناه صابرا نعم العبد واسمعيل بصادق الوعد في قوله تع واذكر
في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد اشتهر به في وفائه بما وعد به من صبره على الذبح ووفائه
به ولا يرد عليه ان فيما ذكر ما هو من كلام الملائكة والانبيا لانه تع حكاه واقره فكان في الحقيقة
وصفا من الله بما ذكر واسمعيل هو ابن ابراهيم لا ابن حزقيل فانه قول غير مشهور وما قيل ان هذه
الصفات يوصف بها كل من قامت به فكل من قام به علم او حلم يقال له عليم وحليم فلا اختصاص لهذه
الاسما بمن ذكر والجواب بالفرق بين ثنا الله وثنا غيره فالاختصاص من حيث ان الله وصفهم بها وفيه
غاية الاختصاص وثنا الله على كثير من المومنين بالصبر والصدق ايضا لا ينافي لان الثناء بهذه الصفات
على هولاء من حيث ان الله جبلهم عليها وكذا ما قيل من ان عيسى هو الذي وصف نفسه بما ذكر الا انه لما
كان في حال الطفولية والله هو الذي انطقه على خرق العادة فالواصف هو الله في الحقيقة كله تكلفات
نحن في غنية عنها فان المصنف لم يذكر الاختصاص وانما قال ان من اسماء الله ما سمى به رسله تشريفا لهم
وبيانا لتخلقهم باخلاقه ولا شك ان هذه الصفات اذا اجريت على الله فلها معان لا تليق بغيره ولما
كان سمى بعضهم بها بعض رسله دل على انها بمعنى لا يليق بغيرهم ايضا وقد قال ابن القيم في كتاب الفوائد
ان الاسما التي تطلق على الله وعلى غيره اختلف فيها فقيل انها حقيقة في الله مجاز في غيره وقيل على
العكس وقيل انها مشتركة بينهما وان كان هذا محتاجا للبسط والبيان كما نطق بذلك الكتاب
العزيز اي كما دل عليه القرآن نصا وتصريحا فالنطق مجاز كما في قولهم نطقت الحال والعزيز بمعنى
الغالب لغيره من الكتب باعجازه واشتماله لما ليس في غيره من الكتب من مواضع ذكرهم اي مستفادا
من مواضع ذكرهم فيه وان حكاه عن غيره ففيه اشارة لما تقدم وفضل محمدا نبينا صلى الله عليه
وسلم في القرآن على غيره ممن ذكر بان حلاه منها في كتابه العزيز الباء سببية متعلقة بفضل
وحلاه بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام من الحلية وهي الصفة الظاهرة او من الحلي التي يتزين بها
اي بان وصفه او زينه وكرمه بما سماه به في القرآن وعلى السنة انبيائه في الكتب المنزلة عليهم

ابن اقبرس

أوفيما

274

او فيما نقل لنا عنهم بعدة كثيرة بكسر العين وتشديد الدال اي بعدة اسماء وصفات كثيرة
فخيمة بكثرتها لان كثرة الاسماء تدل على شرف المسمى اجتمع لنا منها جملة اي انه جمع منها اسما
متعددة بعد اعمال الفكر مصدر اعمله جعله عاملا فاعلا لما يريد فكانه استخدم افكاره
في النظر فيما يوخذ منه ويدل عليها واحضار الذكر اي استحضارها وتذكرها والذال
معجمة مكسورة وجوز ضمها وتفسيره الذكر بالقرآن لا وجه له هنا والحاصل انه اجتهد في جمعها
وبذل فيها جهده وطاقته اذ لم يجد من جمع فيها فوق اسمين قيل هما روف رحيم في سورة براءة
ولا من تفرغ فيها التاليف فصلين الفراغ خلاف الشغل الحسي والمعنوي يقال تفرغ لعمله
اذا اشتغل به وترك غيره واذ تعليل لما قبله وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما
نحو هنا بمعنى قريب اي يقرب من هذا العدد فلا يضر زيادة او نقص قليل كما انه فوق فيما
سبق بمعنى ازيد والتحرير بمعنى الكتابة والتهذيب والتحقيق كما مر ولعل الله اي ارجوا
من الله الذي الهمنا ان يتم ما الهمنا كما الهم ما علم منها ضمن الهم معنى ارشد
وهدى فعداه بالى فانه يتعدى بها وباللام وعلم بتشديد اللام اي علمني من هذه الاسما وحققه
اي بين لي حقيقته او جعله محققا مستيقنا واطلعه عليه يتم هذه النعمة وهي التعليم
والتحقيق بابانة اي اظهار ما لم يظهر لنا حتى نقف عليه والكاف للتشبيه وقدم المشبه
على المشبه به اهتماما به او هي للمبادرة كما في قولهم كما تدخل صل الآن مبني على الفتح والالف
واللام لازمة زايدة اي لم يظهر الحجب عنه في هذا الفصل ويفتح غلقه بفتح الغين المعجمة وفتح
اللام والقاف وهو ما يغلق اي يقفل به كما في المغنفي وفي بعض الشروح انه بضمتين وهو
الباب المغلق ففيه استعارة تصريحية مرشحة ويجوز ان يكون بفتحة ثم كسرة بزنة كتف
من قولهم كلام غلق فالاستعارة تبعية في قوله يفتح غلقه فمن اسمائه تعالى الحميد بمعنى المحمود
فهو فعيل بمعنى مفعول لاستحقاقه الحمد لانه حمد نفسه وحمد عباده بيان الفعل الفاعل
فيهما وذكر الاول توطية للثاني وبيانا لانه المحمود الحقيقي وحمد غيره له انما هو باقداره عليه
وخلقه لقوة النطق فيه فكانه في الحقيقة ليس حامدا الا نفسه ولهذا فسر قوله الحمد لوليه اي لموليه
ومعطيه فليس احد يستحق الحمد سواه ويكون ايضا اي الحميد في اسمائه كما يكون بمعنى المفعول
يكون بمعنى الفاعل بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات والاعمال الصالحة الصادرة
من عباده وقال الغزالي في شرح الاسما الحسنى انه يجوز ان يطلق على النبي صلى الله عليه وسلم
الحميد لانه من حمدت جميع اخلاقه وعقايده واعماله الا انه لما لم ينقل لم يذكره المصنف فاشار
الى انه ورد اطلاق ما هو بمعناه عليه فقال وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد
وهما بمعنى حميد على الوجهين فمحمد بمعنى محمود لان كلا منهما اسم مفعول دال على مبالغة في كونه
محمودا وكذا وقع اسمه صلى الله عليه وسلم اي تسميته بمحمود في زبور داود وفي نسخة
زبور بكسر الزاي وضمها وضم الباء وسكونها وهو مصدر او جمع بجعل كل جزء منه زبورا بمعنى
مزبور فلا يرد عليه ان هذا لا دليل عليه على تسميته باسم الله فلا يناسب ما هو بصدده ثم
اشار الى المعنى الثاني بقوله واحمد بمعنى اكبر بالموحدة من حمد مبني للفاعل واجل من حمد
بالبنا للمفعول ففيه لف ونشر والى هذا اي كون اسمه بمعنى ما ذكر اشار حسان بن ثابت
الانصاري الصحابي المشهور بقوله في شعر له مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم
وشق له من اسمه ليجله ۰ فذو العرش محمود وهذا محمد

ره

بت

غو صح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والشعر هذا بتمامه ع

الم تر ان الله ارسل احمدا • ببرهانه والله اعلى وامجد •
وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد •
نبي اتانا بعد ياس وفترة • من الدين والاوثان في الارض تعبد •
فارسله ضوا منيرا وهاديا • يلوح كما لاح الصقيل المهند •

وشق مبني الفاعل من شق اذا اجمله فطعنه اي اشتق له من اسمه اسما اجله وعظمه وهمزته مقطوعة للضرورة وانما قال المصنف نحو ولم ينقل الى هذا لان ما في الشعر انه ماخوذ من محمود والمصنف بصدد اخذه من حميد وزيد في هذا •

اغر عليه للنبوة خاتم • من الله من نور يلوح ويشهد •
وضم الاله اسم النبي الى اسمه • اذا قال في الذكر المؤذن اشهد •

وشق الخ • والبيت المذكور رواه البخاري في تاريخه لابي طالب وهو منقول عن علي بن زيد لحسان لتوارده معه او ضمنه واستعان به ومن اسمائه تعالى الروف الرحيم وهما بمعنى متقارب لان الرافة نوع من الرحمة وقد تقدم تحقيقه وقد سماه الله في كتابه اي القران بذلك اي الروف الرحيم فقال بالمومنين روف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره اي المتصف بالوجود لان الى الابدي من ذاته لذاته لانه واجب الوجود والمتحقق بمعنى المتيقن وجوده لثبوته بالبراهين القاطعة وامره بمعنى شانه وما يجب ثبوته من صفاته وافعاله والمتحقق بفتح القاف ويجوز كسرها وللحق معان اخر والمبين اسم فاعل من ابان اللازم لانه ورد لازما ومتعديا اي البين الظاهر امره والهيته بان وابان بمعنى فيكون متعديا ولازما وابان يكون بمعنى قطع وفصل ايضا وبينه على اللزوم وعلى التعدي يكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم في الدنيا ومعادهم في الاخرة وسمى النبي بذلك اي الحق المبين في كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين بناء على ان المراد بالحق محمد صلى الله عليه وسلم ومبين بمعنى ظاهر بعظيم اياته ومعجزاته فلا وجه لما قيل ان هذا ليس على وجه التسمية وانما هو وصف للرسالة وقال وقل انا النذير المبين اي المحذر لكم من الله والمبين لكم امور دينكم وقال قد جاءكم الحق من ربكم على ان المراد به محمد وقيل المراد به القران وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم من الله قيل محمد اي المراد به في هذه الاية وتكذيبه بتكذيب رسالته وما جاء به وقيل المراد به القران بدليل التكذيب ومعناه اي الحق هنا ضد الباطل من حق بمعنى ثبت والمتحقق امره وصدقه هو تفسير لما قبله او معنى آخر وفي تفسير البيضاوي الحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج وهو بالمعنى الاول ضمير هو راجع الى قوله المتحقق صدقه وامره والمراد بالمعنى الاول كون الحق اسما لمحمد صلى الله عليه وسلم والمبين على هذا التفسير البين الظاهر الذي لا يخفى امره ورسالته وهذا على كونه من ابان اللازم او هو المبين بتشديد المثناة المكسورة ع عن الله ما بعث به للخلق كافة وعداه لتضمنه معنى المبلغ وهو حال بتقدير ناقلا كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم من شرائعه واحكامه وهذا على انه من ابان المتعدي ومن اسمائه تعالى النور وقد قدمنا ما قاله الغزالي انه حقيقة في ذات الله لان معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره واليه ذهب الحكما ويشير اليه قول الاشعري انه نور ليس كالانوار وما قاله

السهيلي

السهيلي في الفرق بينه وبين الضيا بانه ذات المنير والضوء والضيا اشعته المنتشرة عنه ولذا جعل الشمس ضياء والقمر نورا لكثرة اشعتها فلا وجه لما يتوهم من ان الظاهر العكس ولا حاجة لتاويله اذا اطلق على الله فان اردت فطالع مشكاة الغزالي والمشهور فيه التاويل كما اشار اليه بقوله ومعناه ذو النور وخالقه عطف تفسير وهذا تاويل له بتقدير مضاف فيه لما مر او منور السموات والارض فعلى الاول هو حقيقة وعلى الثاني هو مجاز كعدل بمعنى عادل لانه المنعم على اهلها بالانوار الفائضة عليها بواسطة الكواكب ودونها والنور على هذا بمعناه الحقيقي ومنور قلوب المومنين بالهداية ولذا ورد تفسيره بالهادي وهذا على استعارة النور للهداية لما فيهما من الدلالة ثم استعماله بمعنى المنور اي الهادي ففيه مجاز على مجاز لاشتهار الاول حتى صار كالحقيقة وسماه اي سمى الله نبيه فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل المراد بالنور في هذه الاية محمد لظهور اياته وقيل القران لازالته ظلمة الجهل والكفر ولا يشكل على الاول افراد الضمير في قوله يهدي به من اتبع تغايرهما وعطفهما بالواو دون الفاء كما قيل لان الضمير راجع عليهما معا باعتبار المذكور ولانهما كالشي الواحد وهداية احدهما عين هداية الآخر وقد صحح القرافي في تفسيره بجواز مثله جوازا مطردا وبه ورد القران في ايات كثيرة كما بيناه في السوانح وانشد عليه شاهدا قوله ع

رماني بامر كنت منه ووالدي • بريا ومن جول الطوي رماني •

وقال فيه اي وصف النبي وشانه وسراجا منيرا فسماه سراجا كما سماه نورا على نهج الاستعارة او التشبيه البليغ ثم بينه بقوله سماه بذلك اي بالنور والسراج لوضوح امره كالنور الذي لا يخفى وبيان نبوته اي كونها بينة ظاهرة وتنوير قلوب المومنين العارفين به وبما جاء به وهذا ناظر لقوله وتنوير قلوب المومنين بالهداية وفيه تبيين لاطلاقه على القران ضمنا ومن اسمائه تعالى التي شرف بها نبيه الشهيد من الشهادة وهي المعاينة والاخبار بما عاينه او من الشهود وهو الحضور ومعناه العالم لان من شاهد شيئا علمه علما تاما قال تعالى لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون اي تعلمون وفي شرح المواقف الشهيد العالم بالغائب والحاضر ويوافقه اطلاق المصنف فلا يرد عليه انه فسر الاخص بالاعم وقول الغزالي اذا اعتبر العلم مطلقا فهو العليم وان اضيف الى الغيب والامور الباطنة فهو الخبير وان اضيف الى الامور الظاهرة فهو الشهيد مردود وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة اذ يبين لهم ما صدر منهم في حياتهم اذ لا يخفى عليه خافية وسماه اي سمى الله نبيه شهيدا او شاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا مقبولا شهادتك على امتك ولهم وهو حال مقدرة وقال وكذلك جعلناكم امة وسطا ويكون الرسول عليكم شهيدا اشارة الى ما رواه مسلم من ان الله يسال الانبيا هل بلغتم فيقولون نعم وتنكر اممهم فيقول من يشهد لكم فيقولون محمد وامته فتشهد امة محمد ويشهد لامته لصدقهم وهذا معنى الاية وهذه الشهادة لهم لا عليهم لكنه ضمن معنى رقيبا وقدم الجار لاختصاصه بهذه الشهادة وفيه فضيلة له ولامته فان الانبيا يحاسبون يوم القيمة وهو لا يحاسب وفضيلة لامته اذ لم ينكروا تبليغه وقد تقدم الكلام على هذه الاية وهو اي الشهيد الذي اطلق عليه صلى الله عليه وسلم بمعنى الاول اي الشاهد ومعنى الشهيد الاول الذي اطلق على الله والاولية على الوجهين ع لمطلق التقدم وقيل وصف اسم الشاهد بالاولية مع كونه ثانيا الذكر امته قبل آية اسمه الشهيد ومن اسمائه اي من سماه الله الذي سمي بها نبيه الكريم ومعناه كثير الخير وهذا اصل معناه لغة وان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اختص في عرف اللغة والعرف العام بالسخي الكثير العطا واليه اشار المصنف بقوله وقيل
المفضل بوزن محسن ومعناه ولذا فسر بمن يعطي عفوا بغير وسيلة وسؤال وقيل العفو
فعول من العفو وهو التجاوز عن سيئات من اسا قيل وهو ابلغ من الغفور من حيث ان الغفر ستر
السيئة والعفو محوها وهو في الاصل القصد لتناول الشي فاستعير لقصد ازالة المحو وقيل
العلي وهو البالغ الى رتبة فوق رتبة فهو العلي في ذاته وصفاته وفسره الغزالي بانه اذا
قدر عفا واذا وعد وفا واذا اعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالي لمن كم اعطى ولا لمن اعطى وان
رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفي عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجا فيغنيه
عن الوسايل والشفعا فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكليف فهو الكريم المطلق وذلك هو الله وحده لا
يناله غيره الا باكتساب وتحمل ومع ذلك لا يستوفي جميع انواعه ولذا جاز اطلاقه على غيره كالنبي
صلى الله عليه وسلم وفي الحديث المروي الذي رواه ابن ماجة في سننه في اسمايه اي في
اسما الله وهو متعلق بالمروي او بمعنى رأى عد في اسمائه الاكرم اي الزايد على غيره في صفة
الكرم وهذا يقتضي مشاركته لغيره في هذه الصفة ان فسرت بمعنى يوجد فيه وفي غيره فان
فسرت بما تقدم عن الغزالي وهو مختص بالله فالتفضيل ليس على بابه بمعنى الكريم او على اصله
على طريق التسامح كما في قوله احسن الخالقين قال ابن عبد السلام في اماليه هذا ونحو ارحم
الراحمين واحكم الحاكمين مشكل لان افعل يضاف الى جنسه وهذا ليس كذلك لان خلق الله ايجاده وهو
من غيره بمعنى الكسب وهما متباينان والرحمة من الله ان حملت صح لان المعنى اعظم ارادة من سائر
المريدين وان جعل من مجاز التشبيه وهو ان معاملته تشبه معاملة الراحم صح ايضا لانه مشترك
بينه وبين عباده وان اريد ايجاد فعل الرحمة مشكل اذ لا موجد غير الله واجاب الآمدي
بان معناه اعظم من يسمى بهذا الاسم وانه يشكل بان التفاضل في غير ما وضع له اللفظ ويصح على
مذهب المعتزلة لان الفاعلين عندهم كثير ثم انه قيل على المصنف ان اثباته تسمية الله بالاكرم
بالحديث غفلة عن تسميته بذلك في القرآن في قوله تعالى اقرأ باسم ربك الاكرم ولك ان تقول
ان الذي في الآية على سبيل التوصيف والذي ذكره انه عد في الحديث في سلك الاسما
الحسنى وهو دال على مراده وسماه الله تعالى كريما اي سمى الله به نبيه بقوله انه لقول
رسول كريم قيل اي قال بعض المفسرين هو في هذه الآية محمد وقيل جبريل وهو قول
اكثر المفسرين لانه الظاهر من السياق وقال صلى الله عليه وسلم انا اكرم ولد آدم اي اشرف
من سائر الخلق الانبيا وغيرهم وقد تقدم مرارا روايته ومعناه ثم اشار بقوله ومعاني الاسم
اي الكريم والاكرم صحيحة في حقه لاتصافه بغاية الكرم الى انه لاتصافه بمعناه والمراد
بالاسما ما يطلق عليه سوا كان اسما او صفة فسقط ما قيل ان تسميته كريما على طريق التوصيف
لا على طريق الاسما الاعلام وقوله اكرم ولد آدم المراد به تفضيله عليهم لا التسمية بهذا الاسم بل
ينبغي ان يقال باختصاص الاكرام بالله وهو غفلة عما قررناه بل هو ناشي عن عدم فهم كلام المصنف
وفي ذلك اشارة الى تشريفه بكونه كريما واكرم ومن اسمائه تعالى العظيم وهو الذي عظم
جسما وقدرا ورتبة والمراد الثاني لانه عز وجل هو العظيم على الاطلاق لبلوغه مرتبة من العظمة
لا تحيط بتصورها الافهام ولا تتخيلها الاوهام لتنزيهه عن ان تحيط العقول بكنه ذاته وصفاته
فلذا قال ومعناه الجليل الشان بهمزة او الف مبدلة منها الذي كل شي دونه اي قاصر
عن بلوغ رتبته اذ لا كمال يدنو من كماله في ذاته وصفاته والعظيم والجليل والكبير معانيها متقاربة

الا انه

الا انه قيل ان الكبير هو الكامل في ذاته والجليل الكامل في صفاته والعظيم الكامل فيهما
وقال وانك لعلى خلق عظيم فقد جمع الله له من محاسن الاخلاق ما لا يتصور في احد سواه ع
واذا وصف خلقه بالعظمة فقد وصفه به فكان من اسمائه فلا يرد عليه ان الله وصف لخلقه لا له فليس
دلالة العظمة مختصة بالله او نقول انه توطية لقوله ووقع في اول سفر في التوراة بكسر السين
وسكون الفا وراء مهملة وهو الكتاب عن اسمعيل نبي الله بن خليل الله وكان الظاهر ان يقول
في حق اسماعيل لانه صفة سفر اي سفر فيه ما يصدر عن اسمعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة
وفيه مبالغة في وصفه بالعظمة اذ جعل اتباعه عظما فما بالك به هو

واذا عظم الاله سعيدا • لاناس فانهم سعداء •

ومن اسمائه تعالى الجبار وهو صيغة مبالغة على خلاف القياس اذ لم يجي جبر بل اجبر فهو مجبر
وجبار وجبر متعد ولازم يقال جبرت العظم وجبر جبورا وجبر الفقر ويتصف به من الناس الشديد
العدوان وله معان في كلام العرب القهار والمسلط قال تعالى وما انت عليهم بجبار والقوي العظيم
الجسم والمتكبر والقتال والنخلة الطويلة ونحو النبت طال وجبره على كذا اكرهه والجبل خلاف
القدر والجبرية بفتح البا وسكونها وقال ابو عبيدة انه مولد والمجبر الذي يجبر العظام المكسورة اي
يصلحها يقال اجبرت وجبرت وهو اكثر قال •

قد جبر الدين الاله فجبر •

ويقال جبرته ايضا ولما ذكرناه من معناه الحقيقي لغة اختلفوا في تفسيره حيث وقع صفة كما قال
المصنف ومعناه المصلح للعالم ولامور عباده تفضلا به من جبرت العظم والفقر فهو من صفات
الافعال وقيل القاهر فيرجع الى صفة القدرة الذاتية فما من مخلوق الا وهو مقهور في قبضة
تصرفه يفعل به ما يريد وقيل العلي من قولهم نخلة جبارة ونبت جبار اي طويل فاستعير من العلو
الحسي للمعنوي ولذا فسر بالعالي فوق خلقه فهو صفة ذاتية وقيل المتكبر المتعظم الذي يرى كل
حقير اي بالاضافة الى ذاته من قولهم فيه جبرية وجبروت اي تكبر وعظمة ولذا كان صلى الله عليه وسلم
يقول في سجوده وركوعه سبحان ذي الملك والملكوت سبحان ذي العزة والجبروت وسمي بالبنا
للمجهول اي سماه الله في كتاب داود اي الصحف الالهية المنزلة عليه بجبار فقال الله مخاطبا
له لتنزيله منزلة الموجود لتحققه في علمه الحضوري عنده تقلد ايها الجبار سيفك يقال
تقلد السيف اذا جعل حمايله على عاتقه وحمله كالقلادة وفيه اشارة الى انه سيؤمر بالقتال فان
ناموسك اي الوحي النازل عليك او عظمتك في قلوب الناس وهذا المعنى شايع بين الناس والاصل
معناه كما في القاموس صاحب السر المطلع على باطن امرك او صاحب سر الخير وصاحب سر الشر جاسوس
وقترة الصايد وهو بيت يختفي فيه الصايد ليأخذ الصيد وفي البيان للجاحظ قال الزبيري الناموس
دويبة تلسع الانسان مشتق من نمس الكلام اخفاه وسمي جبريل بالناموس الاكبر لانه يخفي الكلام حين
يلقيه الى الرسل انتهى وشرايعك يحتمل انه عطف تفسير ولذا وحد الخبر مقرونة بهيبة يمينك
اي بالخوف من سيفك فكنى بما ذكر عنه او تجوز باليمين عما فيه ولو فسر الجبار في كتاب بالجاهد القتال
الذي هو احد معانيه بقرينة ما بعده كان اولى من قوله ومعناه في حقه اي معنى الجبار الذي
هو من اسماء الله اذا اطلق في وصف الذي يقال كذا او ورد في حق كذا اي امره وشانه المتحقق فيه اما
لاصلاحه لامته بالهداية والتعليم اي ارشادهم لما فيه صلاح معاشهم ومعادهم وتعليمهم
امور دينهم فعلى هذا سمي النبي صلى الله عليه وسلم باسم الجبار بمعنى المصلح او لقهره اعدائه وفي نسخة
لقهره اعداءه وهذا اشارة الى انه مسمى به بالمعنى الثاني الذي مر بيانه او لعلو منزلته على البشر

الألوكة
www.alukah.net

فهو مسمى به باعتبار المعنى الثالث وهو العلي **وعظم خطره** هذا اشارة اما مستعار من العلو
الحسي فينزل الرتبي منزلته ويتخيل فيه انه ارتفع في الحس او علو القدر وهو العظمة وهذان على هذا
الوجه وعلى الاول هو كقول ابي تمام وقد ذكر علو ممدوحه

ويصعد حتى يظن الجهول * بان له حاجة في السما

ولو قال على الخلق كان احسن وقيل انه يفهم من تفضيله على البشر تفضيله على الجن والملك بالطريق
الاولى وفيه نظر واصل الخطر ما يعطى في الرهان ثم استعمل في الشرف فيقال له خطر ورجل
خطير وهو من اضافة الصفة لموصوفها ولله در الغزالي في قوله الجبار من العباد من ارتفع عن الاتباع
ونال درجة الاستتباع وتفرد بعلو رتبته بحيث يجبر الخلق بهيئته وصورته على الاقتداء به
ومتابعته في سمته وسيرته فيفيد الخلق ولا يستفيد ويؤثر ولا يتأثر ويستتبع ولا يتبع لا يشاهده
احد الا ويفنى عن ملاحظة نفسه ويصير مشتوقا في لقائه غير ملتفت الى ذاته ولا يطمع احد في
استدراجه واستتباعه وانما حظي بهذا الوصف سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه حيث قال
لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي وانا سيد ولد آدم ولا فخر وفي كلامه لف ونشر وايجاز ثم ان
اصله معناه في حقه كمعناه في حق الله وان لم يكن يساويه او يقاربه وبينهما بون ولما كان المعنى الاخير
لا يصح في حق النبي بوجه من الوجوه وهو المتكبر **قال ونفى عنه تعالى في القران جبرية** بفتح
البا الجبر وجبروت وجبورة كفروجة **التكبر** كما قاله القرطبي في شرح اسماء الله الحسنى واضاف نها
الى التكبر احترازا عن الجبرية بمعنى الجبر وهو خلاف القدر وقال القرطبي الجبرية بفتح البا خلاف
القدرية عن الجوهري وحكى عن الزجاج الجبرية باسكان البا وهو اصوب وعن ابي عبيد انه مولد
التي لا تليق به لما تقدم من تواضعه صلى الله عليه وسلم ولان الكبريا والتكبر من صفاته التي
لا تليق بغيره ومعنى تليق تناسب وتصح **فقال وما انت عليهم بجبار** تفسير لقوله نفي وتقدم
انه فسر بمسلط والتكبر هو التعاظم على الغير واستحقاره وهو محرم على كل مخلوق ومما ذكرناه علم ما
في قول القرطبي في شرح الاسماء الحسنى انه يجب على كل مسلم مكلف ان لا يتصف باسم الجبار ولا يتسم
وانما حظه الاتصاف بنقيضه فان اطلاق قد يأباه اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم فينبغي تفسيره
ببعض معانيه وقيل تفسيره بالمسلط اولى لانه نزل في حق اهل مكة وانكارهم البعث فامره بان
ينذرهم ولا يجبرهم على الايمان ويتسلط عليهم حتى يسلموا فالاية منسوخة باية السيف لانها من سورة
قاف وهي مكية وانما امر بالقتال بالمدينة وعلى ما ذكره المصنف تكون غير منسوخة ومن اسمائه تعالى
الخبير وقد ورد في القرآن معرفا ومنكرا قال الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير من الخبر بالضم
وحقيقته استكشاف باطن المخبور حتى يستوي عنده ظاهره وباطنه ولذا قيل للحارث خابر ويكون
بمعنى المخبر والمخبر والله مخبر لعباده قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة فهو من صفات الافعال ويكون
بمعنى العليم من صفات الذات واذا كان بمعنى المخبر رجع الى صفة الكلام فقوله **فمعناه** اذا اطلق
على الله **المطلع بكنه الشيء** اي الواقف على حقايق الاشيا وكنه الشيء بضم فسكون له معان منها
الحقيقة كما في التهذيب يقال اكتنهه اذا بلغ كنهه فقوله في شرح المفتاح انه مولد لا وجه له وعداه
بالبا وتعديه بعلى لانه بمعنى **العالم بحقيقته** وهي لا غاية له كما قيل **وقيل معناه المخبر** ولانها
المجرب والمراد به في حقه استدراج عباده حتى يعلم الصابر من غيره فيلزمه المجرب او يعلم سلوكه
المحجة وهو اعلم بهم وفي بعض النسخ المخبر انبياه ورسله بما فيه المنزل عليهم او المخبر عباده يوم القيمة
باعمالهم فانه لا يعزب عن علمه شيء ثم شرع في بيان تسمية الرسول به فقال **وخبيرا معناه المخبر**

قال تعالى

قال تعالى فاسأل به خبيرا اي عنه او الباء تجريدية والضمير لخلق السموات والارض والاستوا
على العرش المذكور قبله والخبير بمعنى العالم **قال بكر بن العلاء** بفتح الموحدة والعين المهملة وهو بكر
بن محمد بن العلاء بن زياد القشيري من ولد عمران بن الحصين رضي الله عنه توفي ليلة السبت لسبع
بقين من ربيع الاول سنة اربع واربعين وثلثماية **المأمور بالسؤال** في الاية **غير النبي** من كل من
يتأتى منه السؤال لا النبي لانه المخاطب **والمسؤل الخبير هو النبي** لانه العالم بحقيقة ما ذكر دون ن
غيره فيفيد دليل على تسميته خبيرا **وقال غيره** غير بكر **السايل النبي** لانه المخاطب به **والمسؤل**
الله فالنبي خبير بالوجهين المذكورين اي على التفسيرين فالبا بمعنى على وظرفية اما على الاول
فظاهر لاطلاقه عليه ولانه لو لم يكن خبيرا لم يؤمر بسؤاله واما على الثاني فلان اذنه له في السؤال
دال على اعلامه به وقيل المراد بالوجهين تفسير الخبير بالعالم بالحقيقة وتفسيره بالمخبر **وقيل**
لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته اي سمي خبيرا لما
اعلمه به من المغيبات والخفيات التي اطلعه عليها بوحيه وما جبله عليه من المعرفة العظيمة **مخبر**
لامته بما اذن له في اعلامهم به دون ما لم يؤذن فيه من الاسرار الالهية وما بعده قيل ناظر
لكونه بمعنى العالم وهذا لكونه بمعنى المخبر والفرق بين هذا وما قبله انه سمي خبيرا باعتبار ما اخبر به
به بعد سؤاله والقبل باعتبار انه عالم قبل السؤال فتدبر **ومن اسمائه تعالى الفتاح** قال
الراغب اصل معنى الفتح ازالة الاغلاق والاشكال وهو ضربان احدهما ما يدرك بالبصر كفتح الباب
والقفل والمتاع والثاني ما يدرك بالبصيرة كفتح الهم والمشكل وصفه فتح القضية اذا فصل الحكم فيها
ومنه الفاتح والفتاح للقاضي وفتح المسائل الغلق ومنه وفتح الله برزق اذا جاءه من حيث لا يحتسب
ومعناه في حق الله الحاكم بين عباده في فصل القضا او بانصاف المظلوم من الظالم فهو من صفات
الافعال **او فاتح ابواب الرزق والرحمة** بتيسير ارزاقهم لهم وبهيئة اسبابها وفتح اقفال ابوابها
والرحمة الانعام اي المنعم عليهم الرازق لهم قال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهو
استعارة في الاصل صار حقيقة عرفية **والمنغلق من امورهم عليهم** بالجر على ابواب اي فاتح المنغلق
بمعنى ميسر كل صعب ومسهله وعليهم متعلق بفاتح او بالمنغلق **او يفتح قلوبهم وابصارهم**
لمعرفة الحق هو الله وخلاف الباطل اي يزيل اقفال قلوبهم المانعة لهم وغشاوة ابصارهم وبصائرهم
حتى يعرفوه ويصدقوا به وابصارا به ويفتح مضارع معطوف على فاتح فان الفعل يعطف على الاسم الصفة
لانهما بمعنى وفي بعض النسخ بفتح البا الجارة والظاهر الاول وهذا معطوف على مقدر اي المنغلق
بتيسيره او بفتح الخ **ويكون** الفتاح **ايضا** كما كان بمعنى الحاكم بمعنى الناصر المعين لان من شان
الحاكم نصرة المظلوم والخفاية استشهد له بقوله **كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح**
لانه فسر **ان تستنصروا فقد جاءكم النصر** من عند الله بخذلان اعاديه ونصرته للحق
وقيل معناه مبتدي الفتح والنصر لان الفتح جا بمعنى البدء ومنه فاتحة الكتاب لاوله ومبدي
ومعنى مبتدي النصر انه موجده ومبتديه وما النصر الا من عند الله وقوله ان تستفتحوا خطاب
من الله لاهل مكة ابي جهل واضرابه ممن قتل ببدر تعلقوا باستار الكعبة عند خروجهم من مكة
وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفريقين واكرم الحزبين فاجابهم الله متهكما بهم ان
قد نصرتم **وسمى الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسرا** الطويل الذي
تقدم ذكره **من رواية الربيع بن انس عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة** والفاتح بمعنى
الفتاح والمبالغة التي فيه لا تنافي مشاركته له في اصل معناه له كما توهم وكذا ما قيل من انه

شبكة الألوكة www.alukah.net

ليس بخاص به ولا على وجه التسمية ونحو مما لا ينبغي ذكره وفيه اي في حديث الاسرا من قول
الله تعالى لنبيه فيما خاطبه اذ عرج به وجعلتك فاتحا وخاتما اي اول الانبيا وخاتمهم اخرهم
لما مر من انه نبي قبل خلق آدم وقد تقدم بيانه او المراد به ما قاله في شرح قوله وفيه اي في حديث
الاسرا من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه اذ حمده بمحامد يليق بها قبل وتعديد من انه
اي مقاماته بين يدي ربه ورفع لي ذكري اي بجعله قرينا للذكر كما تقدم وجعلني فاتحا
وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم وانما اختص بذلك لانه لم يكن لاحد قبله شريعة كثر تبعته
او الفاتح لابواب الرحمة على امته اذ هداهم الى ما ارشدهم الى سعادة الدارين او الفاتح لبصائرهم
لمعرفة الحق والايمان بالله لدعوتهم الى معرفته وتوحيده او الناصر للحق والدين القويم بجهاده
في سبيله او المبشر بصلاح الامة لتقدمه ذلك على كل مهم له او المبدا المقدم في الانبيا
كما بيناه اولا والمبدا بضم الميم وتشديد الدال المهملة وهمزة كما قاله البرهان فالمقدم تفسير له فان
كانت به رواية فيها والا فيجوز فتح الميم وسكون البا الموحدة اولا وتخفيف الدال بمعنى الاول
والخاتم لهم كما قال كنت اول الانبيا في الخلق لخلق نور روحه قبلهم واخذ عليهم الميثاق في
اتباع من ادركه منهم واخرهم في البعث باعتبار الزمان ومن اسمائه اي اسماء الله التي سمى بها نبيه
في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي وغيره عن ابي هريرة في تعداد الاسماء الحسنى وبما قررناه
علمت الجواب عما قيل من انه لا اختصاص لما ذكر غير الاخير لان تعالى انه وقع على اتم وجه بحيث
لا يشاركه فيه غيره ثم ان المصنف لم يقل انه لا بد في اسمائه من اختصاصه بها فتدبر الشكور
وفي القرآن ان ربنا لغفور شكور والشكور تمثيلان لغوي وعرفي مشهور واما في حقه تعالى
فمعناه المثيب اي المعطي الثواب الجزيل على العمل القليل فهو من صفات الافعال وهو مجاز
لان حقيقته الثنا المقابل للاحسان فاطلق على الانعام المقابل للشكر لان العمل شكرا اذ هو لا
يختص باللسان فهو استعارة او من اطلاق السبب على المسبب لقوله لئن شكرتم لازيدنكم وهذا قريب
مما قيل انه الذي يجازي على قليل من عمل الطاعة في ايام قليلة بما لا نهاية له من النعيم المخلد كما قال
كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية لان المغايرة بينهما سهلة خلافا لمن توهم ذلك
وقيل المثني على المطيعين وهذا انسب بمعنى الشكر الحقيقي واقرب وقد ذكر عباده الصالحين
كثيرا في القرآن وكتبه المنزلة وهو الذي خلق فيهم القدرة على الطاعة ووفقهم لها كما قال ابن عطاء
الله في حكمه من نعمه عليك ان خلق فيك ونسب اليك ومع ذلك يثني باحسانه عليك فهو انما
اثنى في الحقيقة على نفسه ثم ذكر ما يدل على ان اسماء الله التي سمى بها رسوله لا يلزم اختصاصه بها
فقد تشرف بها غيره كما مر فقال ووصف اي الله نبيه نوحا عليه السلام بذلك فقال
انه كان عبدا شكورا قيل ويعلم من وصفه به وصف من هو افضل منه وهو محمد صلى الله عليه
وسلم فلا ينافي ما هو بصدده من ذكر تسمية نبينا باسماء الله ولا حاجة مع قوله وقد وصف
النبي نفسه بذلك فقال في حديث مشهور تقدم ذكره افلا اكون عبدا شكورا فان الاستفهام
الانكاري يدل على انه وصف مقرر له وما ذكره في حق نوح مبني على ان الضمير راجع له لقربه لا لموسى
كما ذهب اليه بعض المفسرين اي معترفا بنعم ربي مقرا بها عارفا بقدر ذلك مؤديا لحقه
مثنيا عليه بلساني واركاني مجتهدا بزنة مفعول اي باذلا جهدي وطاقتي ومتعبا نفسي
في الزيادة من ذلك اي من الاعتراف والثنا عملا بقوله لئن شكرتم لازيدنكم من النعم
التي شكرتموها وعدا ممن لا يخلف الميعاد اذ قال لبني اسرائيل واذ تأذن ربكم لئن شكرتم

لأزيدنكم

لأزيدنكم ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة اي احاط علمه
بكل شيء مما غاب وخفي ومما حضر وظهر ودق وجل وعلمه تعالى لا يشبه علم غيره وتحقيقه
في علم الكلام ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه مزيته كمنيته
بمعنى فضيلة وقال العلامة في شرح المفتاح لا يبنى منه فعل وتبعه بعضهم هنا وفي الاساس
مزيته عليه وفسر المزية بقوله وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما مما
خصك به من العلم والمعارف الالهية والامور الدينية وفيه اشارة الى ان له مزية في ذلك لم
ينلها غيره ولا يساويه فيه قوله وقال كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم
الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون مما لا طريق له سوى الوحي غير المتلو ولذا اعاد
الفعل لتغايرهما ولما كان هو المعلم لهم وما علمهم بعض ما علمه الله لم يشاركوه في هذه المزية
وانما ذكر هذه الآية وان كان ظاهرها ليس مما هو بصدده لانها تدل على زيادة علمه وانه
معلم لغيره غير متعلم من غير ربه ومن اسمائه تعالى الاول والاخر وقد سمي به في القرآن
والاحاديث الصحيحة ومعناه بحسب اللغة وبحسب الاشتقاق وكون فاوه واوا وواوه همزة
معلوم في العربية ووزنه افعل ويكون اول اسم تفضيل وظرفا وليس هذا محل الكلام وانما الكلام
في معناه في اسماء الله فقال ابن العربي للعلما فيه عبارات فقيل الاول الموجود قبل الخلق فكان
ولا شيء قبله ولا معه قاله ابن عباس وقيل انه الذي لا ابتداء له وقيل انه الذي له كل شيء وبه
كل شيء ومنه كل شيء كما يقال فلان اول هذا الامر وآخره وقيل الاول بصفاته وقيل بمحبته
لاوليائه ويقابله الآخر فقيل هو الموجود بعد المخلوق فلا شيء بعده وقيل الذي لا انتهاء له وقيل
الذي يرجع اليه كل شيء وقال الضحاك هو الذي اخر الاول واخر الذي جعل لكل شيء آخر وقيل
الآخر بعطاياه وقدرته وقال الغزالي الاول والآخر متناقضان فالشيء الواحد لا يكون اولا وآخرا
من وجه واحد فانت اذا نظرت الى ترتيب سلسلة الموجودات فالله تعالى بالاضافة اليها اول
لانها استفادت منه الوجود واما هو فموجود لا انه غير مستفيد لوجوده من غيره فاذا نظرت الى
ترتيب السلوك ومنازل السائرين فيه اليه فهو آخر ما ترتقي اليه درجة العارفين ولما كان
الاول والآخر مع كونهما كالمتضادين يوهم الانتهاء من الطرفين فسره بما عرفته والى هذا اشار المصنف
بقوله ومعناهما السابق للاشيا اي جميع الموجودات قبل وجودها لانه الذي
اوجدها وابتدعها والباقي بعد فنائها ثم صرح بالمقصود من دفع الايهام فقال
وتحقيقه انه ليس له اول ولا آخر ولا ابتداء ولا انتهاء فلا سابق عليه ولا باقي بعده
فهو واجب الوجود وجوده عين ذاته لا يتصور انفكاكه عنه فهو من صفات التنزيه وقال القرطبي
انه الاول بوجوده في الازل وقيل الابتدا والآخر بوجوده في الابد وبعد الانتها وعلى هذا
يكون من اسماء الذات ويجوز ان يكون من اسماء الافعال على معنى اول الاول وآخر الآخر في الوجود
ثم اشار الى اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم بقوله وقال عليه الصلاة والسلام كنت
اول الانبيا في الخلق يعني انه في عالم الذر والارواح خلقت روحه ونبئ قبلهم ولذا عبر
بالانبيا دون الرسل كما تقدم بيانه ولا وجه لتفسيره بانه كان نورا في وجه آدم اذ لا يطابق
قوله وآخرهم في البعث فهو خاتمهم ونبوته ورسالته لا تنقطع بموته وفسر هذا اي تقدم
خلقه وتأخر بعثه قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الميثاق
هو ان يؤمنوا بالله ويوحدوه فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم في الذكر لتقدمه في الخلق

الألوكة www.alukah.net

بل أول البعث وهذا التفسير رواه قتادة عن الحسن عن أبي هريرة قال سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن قوله عز وجل وإذ أخذنا الآية فقال كنت أولهم في الخلق وآخرهم في
البعث وأما ما روي عن مجاهد من أن هذا في ظهر آدم فتفسير آخر لا وجه لذكره هنا وقد
أشار إلى نحو من هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله لما بكى على النبي صلى الله عليه وسلم
إذ توفي بأبي وأمي أنت يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخر الأنبياء
وذكرك أولهم فقال وإذ أخذنا من النبيين الآية وإنما قال أشار ونحو لأنه ليس فيه تصريح
بتقدم خلقه إذ التقديم الذكري ليس صريحا لجواز كونه لشرف رتبته عنده ومنه أي من
قبيل ذكر كونه أولا وآخرا قوله نحن الآخرون أي هو آخر الأنبياء بعثة وأمته آخر الأمم
السابقون أي أول من يقضي ويقضى لهم يوم القيامة قبل الخلائق كما صرح به في حديث مسلم
وقوله كما تقدم أنا أول من تنشق عنه الأرض في الخروج من القبور للحشر وأول من يدخل
الجنة هو وأمته كما مر وأول شافع وأول مشفع أي مأذون له في الشفاعة المقبولة وهذا
بيان أنه لإطلاق الأول عليه وقوله وهو خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه وسلم
بيان لإطلاق الآخر عليه أيضا فعلم منه كله أنه يقال الأول والآخر كما يقال على الله وإن
كان إطلاقه على الله بمعنى يختص به كما في إطلاقهما عليه بمعنى آخر مقيد بقيود أخر تدل
على تغايرهما فكفاه شرفا تسميته باسم الله ومشاركته في لفظه فسقط ما قيل ليس هذا المعنى
بالمعنى الأول قطعا ولا نسبة بينهما فهو غفلة منه وزلة قدم إذ مثله لا يخفى على مثله
والعلم لله ووقع في بعض الحواشي أنه سماه بالأول والآخر والظاهر والباطن وفسر الأول
والآخر بما والظاهر بأنه الذي لا يخفى على عاقل وجوده أو القادر والباطن بالمحجوب
عن عباده في الدنيا أو الذي لا يحاط به أو الذي لا كيفية له وقيل الظاهر القريب والباطن العليم الحكيم
وروى فيه حديثا وهو أن جبريل نزل عليه وقال السلام عليك يا أول السلام عليك يا آخر السلام
عليك يا ظاهر السلام عليك يا باطن فقال يا جبريل كيف تكون هذه الصفة لمخلوق مثلي وهي صفة
الخالق لا تليق إلا به فقال إن الله أمرني أن أسلم عليك بها وقد خصك بها دون الأنبياء والمرسلين ۞
وشق لك اسما من اسمه ووصفه من صفته وسماك بالأول لأنك أول الأنبياء خلقا وسماك آخرا لأنك خاتم
النبيين وسماك بالباطن لأنه عز وجل كتب اسمك مع اسمه بالنور الأحمر على ساق العرش قبل أن يخلق
أباك آدم بألفي عام إلى ما لا غاية له ولا نهاية وأمرني بالصلاة والسلام عليك فصليت عليك ألف
عام حتى بعثك الله بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله وسراجا منيرا وسماك بالظاهر لأنه أظهرك في عصرك
وأظهر دينك على الدين كله وفضلك على أهل السموات والأرض فما منهم أحد إلا وقد صلى عليك صلى الله
عليك فربك محمود وأنت محمد وربك الأول والآخر والظاهر والباطن وأنت الأول والآخر والظاهر
والباطن فقال رسول الله الحمد لله الذي فضلني على جميع النبيين حتى في اسمي وصفتي انتهى وهذا مما لم
نره لغيره ومن أسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين أي العزيز المحكم قوته فالمتين أخص من القوي
ولذا وصف به القوي وذو القوة ورد إطلاقهما عليه في القرآن وأصله قوي فاعل بالقلب والقوة
خلاف الضعف وهي ما يجد به القادر مستطيعا التوصل المراد وإن لم يفعله فهي والقدرة متقاربان
وقد يراد بالقوة كثرة الأسباب المعينة كالجند والمال ونحوه ومنه وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة وقال
الخطابي القوي يكون بمعنى القادر ومن قوي على شيء قدر عليه ويكون معناها التام القوة الذي لا
يستولي عليه العجز بحال من الأحوال فيما لا يتناهى وهي مخصوصة بالله ولذا قال إن القوة لله جميعا

نسخة صح

فلا قوة

فلا قوة لعبده إلا إذا قواه الله ولذا تعبدنا بقول لا حول ولا قوة إلا بالله كما قيل ۞

بك أسطو إذا سطوت ولولا • ك لما استمسكت قوى أوصالي •

ومعناه القادر وإن كان بين القوة والقدرة فرق كما أشرنا إليه ولكنهما متلازمان ولذا فسره
به الخطابي وأباه القرطبي في شرح الأسماء الحسنى إلا أنه لا خلاف بينهما ولذا وصفه أي وصف
الله نبيه بذلك فقال إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين أي ذي مكانة
ورتبة علية عند الله قيل المراد بذي قوة محمد وقيل جبريل وعليه أكثر المفسرين وبه استدل
المعتزلة على تفضيل جبريل ولا دليل فيه كما سيأتي بيانه ومن أسمائه تعالى التي سمى بها رسوله صلى
الله عليه وسلم الصادق المصدوق كما رواه ابن ماجه والمصدوق بمعنى المصدق فيما جاء به
وقد ورد في أسماء الله الحسنى في الحديث المأثور المروي بسند صحيح ومن أسمائه تعالى الولي كما قال
الله ولي الذين آمنوا أي الذي يتولى أمورهم ويقوم بنصرتهم وفي أسمائه أيضا الوالي وهو بمعناه
والمولى كما قال ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ومعناهما أي الولي والمولى
الناصر أي الذي ينصرهم على أعدائهم وقد قال تعالى إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا أي
ناصركم ولم يقل أولياؤكم لأن نصرتهم واحدة أو لأن الناصر إنما هو الله وغيره بتبعيته وإعانته كما
قال وما النصر إلا من عند الله وقد قال عليه الصلاة والسلام أنا ولي كل مؤمن كما رواه
البخاري عن أبي هريرة ورواه أحمد وأبو داود أنا أولى بكل مؤمن من نفسه وفي البخاري أيضا
أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاء فعلي قضاؤه ومن ترك مالا
فلورثته وكان صلى الله عليه وسلم في أول الإسلام يؤتى بالرجل المتوفى فيسأل هل عليه دين وهل
له وفاء فإن قالوا عليه دين وليس له وفاء قال صلوا على صاحبكم ولا يصلي عليه فلما فتح الله بالفتوح
والغنائم قال من عليه دين فعلي قضاؤه فقيل إنه كان واجبا عليه وارتضى إمام الحرمين والماوردي
أنه لم يكن واجبا عليه وإنما يفعله تكرما وهل كان يقضيه من الغنائم أو من خالص ماله احتمالان
وقد قال تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم أي أحق بهم من أنفسهم فإنه يتولى صلاحهم
وينصرهم ويقضي ديونهم كما مر ويخلصهم مما يكرهون في الدنيا والآخرة وقال عليه الصلاة والسلام
في حديث رواه الترمذي وحسنه من كنت مولاه فعلي مولاه والمراد ولاء الإسلام ونصرته
كما قاله الشافعي وهذا الحديث ورد في قصة غير مترجم وقيل سببه أن أسامة بن زيد قال لعلي
لست مولاي إنما مولاي رسول الله فلما سمعه رسول الله قال من كنت الخ ولا دليل للشيعة فيه
على أنه أحق بالخلافة لا سيما والمولى من الولاء وله معان كالنصرة والعتق وغيره فلا حجة فيه ومن
أسمائه تعالى العفو مبالغة في العفو عن السيئات وهو محوها وإزالتها ولذا قيل إنه أبلغ من الغفور
وهو الستر وأما الصفح فمعناه الإعراض وهو دونهما لكنه يطلق على ذلك أيضا فلذا قاله ومعناه
الصفوح فلا يرد عليه أنه لا ينبغي تفسيره به وقد وصف الله نبيه به في القرآن إذ أمره
به إذ قال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فأمره بالتخلق بذلك فكان ممتثلا متخلقا به
فيقتضي الاتصاف على أبلغ وجه وأتمه إذ كان خلقه القرآن فلا يرد عليه أنه لم يطلق عليه في القرآن
وإنما أمر به ولو سلم اتصافه به لأنه لا يقتضي له أمر لا يقتضي كونه على وجه المبالغة التي دل عليها
صيغة فعول والأمر لا يقتضي التكرار على الأصح والتوراة فقال بيان لما في القرآن خذ العفو
هذا مبني على أن العفو في هذه الآية الصفح ويدل عليه ما روي أنها لما نزلت قال لجبريل ما هذا
فقال لا أدري حتى أسأل ربي فسأله ثم رجع فقال إن ربك أمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك

ح ردي

الألوكة www.alukah.net

وتعفوا عن ظلمك وتحسن الى من اساء اليك وهذا رواه البغوي والقرطبي ونقل بصيغة
التمريض وعليه اعتمد المصنف والذي عليه الاكثر ان العفو المال الفاضل من نفقة العيال كما في
قوله يسئلونك ماذا ينفقون قل العفو ثم نسخت باية الزكاة فلو شاهدتها على ما نحن بصدده
وقال هذا بيان لما في التوراة والانجيل في الحديث المشهور الذي تقدم عن ابن العاص ليس بفظ
ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح وقد تقدم شرحه وان قول النسا لعمر في قصة الحجاب انت افظ
من رسول الله ليس التفضيل فيه على اصله او انه فظ على من يستحق الفظاظة كالكفرة ومن اسمائه
تعالى الهادي وهو الضمير للهداية التي في ضمن الهادي وذكره لان تانيث المصدر غير معتبر
او لانه بمعنى ان يهدي كما في الكشاف بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده اللام زائدة للتقوية
لتعدي التوفيق بنفسه واصل معنى الهداية كما قال الراغب الدلالة بلطف لما يوصل او الموصلة على
الخلاف المشهور وهي على انواع الاول ما يعم كل مكلف من العقل واللعلوم الضرورية والثاني دعاؤه
اياهم على السنة رسله والثالث التوفيق الذي يختص به من اهتدى والرابع الهداية في الاخرة التي
في قوله الحمد لله الذي هدانا لهذا والانسان لا يهدي واجزاء الا بالدعاء ولذا نفيت تارة واثبتت اخرى
حتى انتهى الى اصل انواعها اشار بعد ذكرها اشار بقوله وبمعنى الدلالة والدعاء اى الدعوة قال الله تعالى
والله يدعوا الى دار السلام اي الجنة ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم اي يرشدهم الى طريق
مستقيم يوصلهم الى الجنة بما خلقه فيهم من العقل وارسل من الرسل ووفقهم لاتباعهم والتوفيق خلق
قدرة الطاعة في العبد وضده الخذلان ومن فسر المعنى بالهداية والتوفيق فقد ضل عن الطريق وكذا
ما بناه عليه من ان تفسير الهداية بما ذكر مبني على مذهب المعتزلة في خلق العباد لافعالهم وان ما ذكره
المصنف لاتباعه الاصول الى غير ذلك من الخلط الناشي عن عدم معرفته بقدر المصنف واصل الجميع
من معاني الهداية وفيه اشارة الى انها معان مختلفة اصلها لغة الميل فمعناه هداه الى كذا صرفه
اليه وامالة عليه لانه من التهادي وهو التمايل وفي الحديث خرج يتهادى بين اثنين اي يتمايل
وقيل انها ماخوذة لغة من التقديم ومنه هوادي الوحش لتقدمها منها والهادية العصا
وهو الذي ارتضاه الراغب ثم شرع في بيان اطلاقه على النبي صلى الله عليه وسلم فقال وقيل في
تفسير طه انه يا طاهر يا هادي على طريق الرمز والاكتفا بحرفين من الاسمين بنا لان على
الباقي كما في قوله • قلت لها قفي فقالت قاف • اي وقفت يعني النبي صلى الله عليه وسلم
اي من يريد الله نعت من الاسمين نبيه صلى الله عليه وسلم لطهارته من كل دنس وهدايته لخلقه
وقال الله تعالى خطابا لرسوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم اي تدل وتدعوا الى الاسلام
والطريق الموصل الى سعادة الدارين وهذا على قراءته مبنيا للفاعل وهي المشهورة وعلى المجهول
هو لله وقال فيه اي في حقه وشانه صلى الله عليه وسلم وداعيا الى الله باذنه اي بتيسيره
وارادته والاذن يستعمل مجازا مشهورا في ذلك واصل الاذن معروف الاجازة وعبر في الاولى
بقوله لكونه بصيغة الخطاب يقال قال له كذا اذا خاطبه ولما لم يكن في الثانية خطابا
قال فيه لانه في حقه ووصفه فلا وجه لما قيل انه لا وجه لتغاير المتعلقين ثم اشار الى ان
معاني الهداية منها ما يختص بالله ومنها ما يطلق عليه وعلى غيره فقال والهداية بالمعنى
الاول وهو التوفيق بخلق الاهتداء مختص بالله فانه لا يقدر عليه سواه ولذا نفي عن النبي
صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى قال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي
من يشاء ويريد توفيقه وبمعنى الدلالة بكسر الدال المهملة وفتحها وهي اراءة الطريق تطلق

عرضي

٢٨

على غيره تعالى كالنبي والمؤمنين العلما لوقوع الدلالة منهم وقوله انك لا تهدي نزلت
في ابي طالب عمه لابي العباس كما قيل وكان حريصا على اسلامه حتى دخل عليه في مرض موته وقال
له يا عماه قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله وعنده ابو جهل وصناديد قريش فقالوا له انت
عن ملة عبد المطلب وكان آخر ما قال انه على ملة عبد المطلب فنزلت هذه الاية والشيعة تقول
انه قالها خفية وشهد بذلك فمات مسلما وقد رده الحافظ وقالوا انه لم يثبت ومن اسمائه
تعالى التي سماه صلى الله عليه وسلم بها المؤمن المهيمن قيل هما في اسماء الله بمعنى واحد ولفظهما
من مادة واحدة لان الهاء عند هذا القائل مبدلة من همزته فمعنى المؤمن على هذا القول في حقه
تعالى المصدق وعده اي ما وعد به عباده في الدنيا من الثواب ونعيم الاخرة والنصر لعزتي
في الدنيا الى غير ذلك من وعد لا يخلف الميعاد والمصدق قوله اي الذي صدق ما قاله من الحق
كما قال فورب انه لحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله اي يصدق ما قالوه او جاءهم به
في اقوالهم ملتبسين للصدق في اقوالهم وعهودهم كما قال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فعلى
الاول اللام غير زائدة وعلى الثاني مزيدة للتقوية وتحقيقه ان هذا الاسم سمى الله به نفسه في القرآن
والاحاديث الصحيحة واجمعت عليه الامة وهو من امن يومن ايمانا فهو مومن اي مصدق فانه
كذلك في لغة العرب واستعمالهم وعلى هذا فقيل معناه عباده او الذي لا يخاف ظلما وقيل معناه
الذي يامن اولياؤه عذابه كما قال الشاعر •
• والمؤمن العائذات الطير تمسحها • ركبان مكة بين الغيل والسند •
وقال الحاكم معناه اذا وعد صدق وعده وقال الخطابي بعد ما فسره بالمصدق انه يحتمل وجوها
احدها انه يصدق عباده وعده ويفي بما ضمنه لهم من رزق الدنيا وثواب الاخرة والآخر انه يصدق
ظنون عباده المؤمنين ولا يخيب آمالهم لقوله انا عند ظن عبدي وقيل الموحد نفسه بقوله
شهد الله انه لا اله الا هو وقوله انني انا الله لا اله الا انا فصدق ما نطقت به الكائنات
وحكمة البراهين من توحده في الوهيته وهذا كله على انه من الايمان بمعنى التصديق وقوله وقيل
المؤمن عباده كلهم مؤمنهم وكافرهم في الدنيا من ظلمه لتنزهه عنه وما ربك بظلام للعبيد
والمؤمنين في الاخرة من عذابه معطوف على قوله عباده مفعول مؤمن بوزن منصف بمعنى
معطي الامان فعلى هذا هو من الامن ضد الخوف وهو من صفات الافعال وعلى الاول صفة ذات
لانه راجع للكلام ثم بعد ما بين المؤمن شرع في بيان معنى المهيمن على انه بمعناه فقال
وقيل المهيمن بمعنى الامين بوزنه مفيعل وهمزته مبدلة فيه هاء واصله مامن ومبنية الاولى
مضمومة زائدة ومعناه الامين وفي بعض النسخ بمعنى الامن وهو من طغيان القلم لانها
مرادة معنى ماده بدلا لماخوذ منه وهو من اسمائه الواردة في القرآن والحديث واجمعت
عليه الامة وورد اطلاقه على غيره تعالى كما سياتي في بيت العباس واطلق على ابي بكر ايضا
في قول الشاعر • الا ان خير الناس بعد نبيه • مهيمنه التاليه في العرف والنكر •
ولم ينكره وقال ابن الحصار لا نعلم احدا سمي به لانه ليس في الشرع ما يمنعه وقوله مصغر
منه اي مصغر من الامين وهو قول ابن قتيبة لا انه رد بانه قول مرغوب عنه لان اسماء الله
لا يجوز تصغيرها لانها تنافي التعظيم وان جاء للتعظيم في قوله • دويهية تصفر منها الانامل •
لانه انما جاء فيما يكون تصغيره فيصغرونه تلطفا بهم كما قال •
• ما قلت حبيبي من التحقير • بل يعذب اسم الشخص بالتصغير •

شبكة الألوكة
www.alukah.net

واما اسماؤه واسما انبيائه فلا يجوز ذلك فيها قطعا وانما هو اسم فاعل من هيمن فهو مهيمن والياء فيه
كياء صيغم وحيدر وليست للتصغير وقد جاء في كلامهم الفاظ على وزنه كمسيطر ومصيطر
ومبيطر وهو البيطار ويقال له بيطر ايضا والمبيقر بالموحدة من الادباء ومحيمر اسم جبل وهذا
البنا من النوادر غير متصرف ولم يرد له فعل فلا يقال هيمن يهيمن هيمنة وحكى الخطابي عن بعض اهل
الهيمنة بمعنى القيام على الشي والرعاية له وذكره ابن الانباري في الزاهر ولغرابته اختلفوا
فيه على عشرة اقوال الاول انه بمعنى الامين كما ذكره المصنف **فقلبت الهمزة هاء** لانها اخف منها كما قالوا في
اراق هراق وفي اياك هياك وقول المصنف انه مصغر منه اي من مادته ونوعه فهو من الامن مصغر
مؤمن ويجوز ان يعود ضميره الى مؤمن فلبس مراده انه مصغر امين كما توهمه عبارته الا انه لظهوره
لم يوضح عبارته فلا يرد عليه ما قيل انه سهو منه لان تصغير امين أُمَيِّن بضم اوله وتشديد يائه
وجعله شاذا لا داعي اليه واسما الله لا تصغر فما وقع زائدا للتكثير ثم ذكر اسما اخر من هذه المادة
فقال **وقد قيل ان قولهم في الدعا آمين** بالمد وقد تقصر اسم فعل كصه وبه قال الحسن معناه استجب
او افعل ولا تخيب وامن اذا قال امين وقائله مجاهد **انه اسم من اسمائه تعالى** بدل من قوله ان قولهم
قيل اصله على هذا امين بالقصر مبني على الفتح فادخلت عليه همزة النداء وابدلت الثانية الفا ورده ابن
قرقول بانه ليس في اسما الله اسم مبني وقال الراغب عن ابي علي ان القائل اراد انه فيه ضمير الله لان معناه
استجب وقيل انه عبراني وقيل سرياني وقيل لا نعلم اصله **ومعناه معنى المؤمن** اذا كان اسما الله ولذا
قيل ينبغي تعقيبه على هذا والكلام عليه مفصل في التفاسير والقول الثاني في المهيمن ما اشار اليه بقوله
وقيل المهيمن بمعنى الشاهد اي العالم او الذي يشهد على كل نفس بما كسبت وقريب الثالث وهو الشهيد
والرابع **الحافظ** للموجودات عن العدم حتى يريد غيره او المحصي لاقوالهم وافعالهم والخامس انه بمعنى
العلي المتعالي والسادس الرقيب وهو قريب مما قبله والسابع المصدق والثامن الولي قاله عكرمة والتاسع
القاضي قاله ابن الاثير والعاشر الرقيب وفيه كلام في شرح الاسماء الحسنى للقرطبي ثم شرع في ذكر
تسمية النبي بذلك فقال **والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن** اي يسمى بهذه الاسماء
الثلاثة التي سمي الله بها وانه تحقق معانيها من كل الوجوه بشهادة حديث اني امين في الارض امين في السما
وقد كانت قريش تسميه قبل البعثة محمد الامين وسياتي ذكر المهيمن **وقد سماه الله تعالى امينا فقال
مطاع ثم امين** انه لم ينقل المراد به جبريل كما تقدم اي مطاع امره وامين على وحيه واسراره **وكان
يعرف بالامين وشهرته قبل النبوة وبعدها** بين اهل مكة وطوائف العرب والفضل ما شهدت
به الاعدا وهذا مقرر لما قبله لان شهرته بتقدير الله واظهاره فلا يرد عليه انه بصدد تسمية الله
له لا الناس حتى يقال انه لما اقره رضي به دل على انه باذن الله وسمي بالمامون ايضا في قول
اخي كعب

سقاك بها المامون كاسا روية • فانهلك المامون منها وعللكا •

فلما سمعها قال المامون انت والله ثم انه لم ينقل المراد به ابو بكر ثم بين تسميته بالمهيمن بقوله
وسماه العباس بن عبد المطلب عمه **في شعره في قوله**

• **ثم اغتدى بيتك المهيمن من** • **خندف علياء تحتها النطق** •

وتقدم شرحه فانظره **وقيل المراد يا ايها المهيمن** ولولا هذا لم يكن اسما ومن ضعفه المصنف وتبرأ
منه بعزوه لقائله لانه تكلف ضعيف لان المعرف بال لا ينادى وتقديره مع حرف النداء لا يرتضيه
نحوي واثقل من هذا ما قيل ان البيت هنا بمعنى الحسب والشرف كما في قوله

• ان الذي سمك السما بنى لنا • بيتا دعائمه اعز واطول •

واذا عزه وشرفه بالمهيمن كان صفة له على ابلغ وجه لان صفة الصفة صفة ومثل هذه الدقة
لا يتحملها الكلام فانه زهرة لا تحتمل الفرك **قاله القتبي** عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري
البغدادي الامام المشهور ونسبته لقتيبة جده توفي في سنة ست وسبعين ومائتين وتآليفه كثيرة
والامام ابو القاسم القشيري عبد الكريم بن هوازن منسوب لقشير قبيلته **وقال تعالى** في وصفه
بانه مؤمن اي مصدق **يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق** لعلمه بخلوصهم واللام لتضمنه معنى
يؤمن ويسلم او مزيدة والاية نزلت في حق • لما قالوا في حقه اذن وقالوا اذا بلغه يحلف
ونعتذر فانه اذن اي يصدق كل ما يسمعه فقال تعالى قل هو اذن خير لكم يؤمن الخ **وقال انا امنة
لاصحابي** هذا من حديث النجوم امنة في السما فاذا ذهبت اتى السما ما توعد وانا امنة لاصحابي فاذا ذهبت
اتى اصحابي ما توعدون واصحابي امنة لامتي فاذا ذهب اصحابي اتى امتي ما توعدون يعني ان النجوم
اذا رفعت قرب وقت فنائها والسماوات ولذا كثر سقوطها عند بعثته اشارة الى قرب الساعة وهو صلى الله
عليه امان لاصحابه من وقوع باس بينهم ووقوع • فاذا توفاه ابتدا وقوع ذلك كقصة عثمان
وعلي والحسين واصحابه امان للناس من ظهور الفساد في البر والبحر فاذا ذهبوا ظهر ذلك وامنة
بفتح الهمزة وضمها مصدر بمعنى الامان او يريد به المبالغة كرجل عدل فيعم على الواحد وغيره قال الراغب
يقال رجل امنة وامنة يثق بكل احد وامين ويؤمن به ايضا ويجوز في الاساس وكونه جمع امين
وهو الحافظ خلاف الظاهر للاخبار به عن الواحد وانما ذكره المصنف تابعا لما قبله لانه خارج عما هو
بصدده من ذكر تسميته باسماء الله اذ ليس من هذا القبيل **ومن اسمائه تعالى** التي اطلقت عليه صلى
الله عليه وسلم **القدوس** مبالغة من القدس وهو الطهارة والنزاهة باتفاق اهل اللغة وهو بضم القاف
في الاشهر وان كان الاقيس فتحها وهو لغة فيه وقرئ بها وكل اسم على فعول مفتوح الاول كتنور وسمور
الا السبوح والقدوس ومنه القدس بفتحتين السطل والعامة تقول له قادوس وظاهر كلام القرطبي
في شرح الاسماء الحسنى انه سمع والمشهور خلافه **ومعناه المنزه عن النقائص المطهر عن سمات
الحدوث** اي علاماته وآثاره فلا يتصف بشي منها **وسمي بيت المقدس** اي من هذه المادة بالمعنى
المذكور بيت المقدس بتخفيف بوزن مرجع اسم مكان او مصدر ميمي من القدس وهو الطهر وجا فيه ضم
الميم وفتح القاف والدال المشددة من التقديس وهو التطهير وجاء بكسر الدال المشددة اسم
فاعل ويقال البيت المقدس بالتوصيف والاشهر الاضافة قاله الكرماني **لانه يتطهر من الذنوب
بزيارته** والعبادة فيه وروى النسائي باسناد صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن
داود لما بنى بيت المقدس سال الله ثم خلالا ثلاثا حكما يصادف حكمه وملكا لا ينبغي لاحد من بعده
وان لا ياتي بيت المقدس احد لا ينهزه الا الصلاة فيه يخرجه من خطيئته كيوم ولدته امه فاعطي
جميع ذلك انتهى ولذا تشد اليه المطي كما تشد الى الكعبة ومسجد النبي **ومنه الوادي المقدس**
المسمى طوى وهو واد بالشام كلم الله فيه موسى سمي به لان الله قدسه وشرفه بظهور كلامه فيه وهو
من الارض المقدسة ايضا وهي مطهر مبارك وقد فسر المقدس بالمبارك ايضا ومنه روح القدس بضمتين
وضم فسكون وهو جبريل قال تعالى قل نزله روح القدس لتنزيله بما يطهر النفوس من القرآن والحكمة
والفيض الالهي وهذا هو الاصح وبه وجوه اخر **ووقع في بعض كتب الانبيا** المنزلة من عند
الله عليهم **في اسمائه** عليه الصلاة والسلام المقدس هذا هو الصحيح وما في بعض النسخ القدوس
من غلط الناسخ قال لا يجوز ان يقال في حق مخلوق القدوس مطلقا **اي المطهر من الذنوب**
لعصمة الله له من الذنوب ومغفرتها لو فرض وقوع شي منها بما يسمى ذنبا بالنسبة له **كما قال**

www.alukah.net

تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل المراد ما تقدم من ذنوب امتك وما تأخر منها وخوطب لانه سبب المغفرة او الذي يتطهر من الذنوب ويتنزه بمنآء المجهول فيهما والتنزه ابلغ ولذا اخره لاشعار التطهير بالوقوع وقوله بانتاعد عنها متعلق بيتنزه والبا سببية لان من ابتعد واتبع شرعه المطهر لا يرتكب الذنوب وان ارتكبها غفرت ببركته كما قال الله هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم يطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ويعلمهم ما يكفهم عن الاثام وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور اي من الكفر والمعاصي الى الايمان وتقوى الله وطاعته بارشادهم وتوفيق الله لهم ببركته ففيه استعارة تصريحية او يكون معنويا الموصوف به النبي صلى الله عليه وسلم بمعنى مطهر من الاخلاق الذميمة بالمعجمة اي المذمومة والاوصاف الدنية للحقيرة التي لا تليق بجنابه وفي الشرح الجديد هنا ما تركه خير منه ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الذي لا ينال ولا يدرك والعرب تقول حصن عزيز اذا كان لا يوصل اليه قال الهذلي في العقاب

حتى انتهيت الى فراش عزيزة • سوداء روثة انفها كالمخصف •

كذا قاله القرطبي تقليدا في اسماء الله الحسنى وهذه صفة ذاتية وقوله الغالب القاهر من صفات الافعال فكان ينبغي ان تقول والغالب لانه معنى اخر كما صرحوا في شرح اسماء الله والجمع بينهما على انه مركب من نعت حقيقي ونعت تنزيهي كما قيل خلط وخبط تعرفه من نظر في شرح القرطبي لاسماء الله الحسنى ثم ان اطلاق الغالب على الله لم يات في عداد الاسماء وورد في قوله والله غالب على امره اي الفعال في مخلوقاته ما يريده حبوا او كرهوا وفي التنزيل كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقال الحاكم الغالب والطالب جرت عادتهم باستعمالهما في اليمين اي الممتنع غير المهمل فانه يمهل ولا يهمل وهو على الامهال كالنهي امره انما نملي لهم ليزدادوا اثما او الذي لا نظير له فهو معنى اخر قال الخطابي العزة تكون بمعنى نفاسة القدر يقال منه عز يعز بكسر العين فيتناول معنى العزيز على هذا انه لا يعادله شيء وانه لا مثل له انتهى وما سمعته من تفسير عدم ظهر انما قيل ان ما اختصر في فرده كالشمس والقمر داخل فيه فيحتاج لزيادة قيود اخر ليس لشيء او المعز لغيره فهو فعيل بمعنى مفعل وهو عزيز في العربية ولذا اخره المصنف يعني انه لا عزيز الا من اعزه فالعز له وبيده لا بيد غيره وهذا صح الاستشهاد له بقوله وقال تعالى ولله العزة ولرسوله والاية نزلت في حق المنافق ابن سلول حيث قال ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل المسلمين فرده الله عليه على طريق القول بالموجب ثم نفاها عنه بتقديم الخبر هنا فلا يتوهم اختصاص العزة في الله لا تقتضي انه معز بل معزز بالفتح وقد جوز في الاسم الشريف ان يكون المعز المعظم وقد يقال يكفي في قوله كونه معز اثبات العزة للرسول والمؤمنين وانه محل الاستشهاد وجلالة القدر معطوف على ما قبله لانه بمعنى العزة عدم النظير او تقدير بزيادة المصنف في المهم لما ذكرنا فنفع ما تقدم ايضا وقال الغزالي العزيز من العباد من يحتاج اليه في المهم وهو الحياة الاخروية وهو ما يعز وجوده وهو مرتبة الانبيا والخلفا وورثتهم من العلما الموحدين وذوي العدالة من الحكام ثم ذكر اسماء للرسول وصف بها الله لا طريق الاسمية فقال وقد وصف الله نفسه بالبشارة والنذارة الاول بكسر اوله والثاني بفتحه والبشارة الخبر السار سمي به لانه يؤثر في بشرة الوجه ولذا لو قال لعبده من بشرني بقدوم زيد فبشروه على الترتيب عتق الاول ولو قال من اخبرني عتق الجميع والنذارة الاعلام بما فيه وعظ وتخويف وقوله فبشرهم بعذاب اليم تهكم فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ومن يكتفي بوجود المادة يجوز

ان يسمى الله مبشرا ومنذرا ومثله يكفي في كونه توقيفيا والاشعري يقول لا بد من وروده بعينه وسماه الله تعالى مبشرا ونذيرا ونذيرا وبشيرا اي مبشرا لاهل طاعته بما يسرهم في الدنيا والاخرة ومنذرا لاهل معصيته بما يسوء من العقاب ونحوه ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم انهما من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم وكونه وتقدم الكلام عليه تفصيلا فلا حاجة لاعادته • تنبيه في فتاوي السبكي في قوله تعالى في سورة الاسرا انه هو السميع البصير الضمير في انه يعود على الله تعالى وقد ورد في اربعة مواضع في القرآن وقال بعضهم ان الضمير هنا يعود على النبي صلى الله عليه وسلم فيكون هذان الاسمان من اسمائه صلى الله عليه وسلم ويعني وصفه بهما انه الكامل في السمع والبصر اللذين يدرك بهما الايات يريه اياها وهو من الاذن وبالعقل واعظم الحواس الموصلة الى العقل السمع والبصر فعلى هذا وصفه بهما لانه لا احد اكمل منه في الادراك والاستدلال انتهى • اقول يعني ان وصفه بهما هنا وقع على طريق الحصر المستفاد من تعريف الطرفين وسيق للمدح وهو امر عام فتنسم بما يخصصه به ويصير مدحاله ولا حاجة لهذا مع بعده فانه قد تبين بوجه اظهر وهو السميع كلام الله من غير واسطة والناظر الى نور جلاله وجماله بعين بصره وهذا مما اختص به •

• فصل قال القاضي ابو الفضل وها هنا نكتة •

وفي نسخة وها انا اذكر نكتة وها حرف تنبيه والاكثر وقوع اسم الفاعل الاشارة خبرا عن المبتدا الواقع بعدها نحو ها انا ذا اقول وقد لا يؤتى به كما صرحوا به فمن ظنه لازما واعترض على المصنف لم يصب والنكتة بضم اولها وفتح المثناة الفوقية هي الامر الدقيق المحتاج الى فكر وتامل سميت بها لان صاحبها كثيرا ما ينكت في الارض بقضيب ونحوه وهو معنى النكت لغة اذيل بها هذا الفصل اي اختمه بها واطوله فيكون كذيل الثوب الذي يطول به وفي حديث مصعب بن عمير انه كان في الجاهلية مترفا يدهن بالعنبر ويذيل يمنة اليمن اي يطيل ذيلها واليمنة برد من برود اليمن ففيه استعارة تصريحية تبعية واليه اشار بقوله واختم بها هذا القسم الذي فيه ذكر الاسما وازيح الاشكال بها فيما تقدم اي ازيل ما يشكل على سامعه عن كل ضعيف الوهم قيل المراد بالوهم الذهن والادراك لا القوة الواهمة المعارضة للعقل فان ضعفها يقوي العقل المزيل له وهام والاشكال فقوله سقيم الفهم كالتفسير وسقمه بمعنى قلته فهو استعارة وتعبيره في الاول بالضعف وفي هذا بالسقم تفنن حسن والوهم بسكون الهاء وفتحها تخلصه من مهاوي التشبيه بكسر الواو وجمع مهواة وهي كالهاوية الحفرة العميقة التي يقع فيها من تصعب طلوعه وهو من اضافة المشبه للمشبه به كلجين الماء او هو تخييلية ومكنية والمراد بالتشبيه تشبيه الله وصفاته بغيره لان اطلاق بعض الاسما على الله وعلى غيره يقتضي ذلك وتزحزحه اي تبعده وتبعده قال الله فمن زحزح عن النار عن شبه التمويه الشبه بزنة غرف وهو ما يلبس واشكل ما لا يتميز عن غيره لما بينهما من التشابه والتمويه من الماء والمراد به زخرفة الكلام الذي لا حقيقة له وتحسينه حتى يروج على من لا علم عنده وهو استعارة قال في الاساس سرج مموه مطلي بالذهب او الفضة وحديث مموه مزخرف وما احسن موهة وجهه ماؤه ورونقه انتهى وانما سمي تمويها لانه يذاب حتى يصير كالماء ويقال موه عليه الخبر اخبره بخلاف ما سأل عنه وهو عائد على ما يفهم مما تقدم وهو ما يزيح الاشكال ويزيح الاوهام والعجب من اعادة على ضعيف الوهم سقيم الفهم ان يعتقد ان الله جل اسمه اي عظم وتنزه عن الالحاد في اسمائه بالتاويلات الباطلة ولقد اصاب قوله هنا جل اسمه محز وطبق مفصله في عظمته وكبريائه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الكبرياء الترفع عن الانقياد والعظمة جلالة ذاته في نفسها والظهور الأولى وورد في الحديث
الكبرياء ردائي والعظمة إزاري من نازعني في شيء منهما قصمته والفرق بينهما فيه تفصيل ليس
هذا محله والجار والمجرور يتعلق بما يأتي من قوله لا تشبه وقيل إنه حال لازمة من ضمير اسمه أي
متصفا بهما وبما بعدهما وكنى بالظرفية عن تمكنه فيهما بالظرفية من غير تصور ظرفية واستقرار ففيه
استعارة تبعية أو هو ظرف مستقر كأنه لتمكنه وانفراده بأعلى مراتبهما فيهما انتهى وفيه تكلف
وملكوته أي عظم وعز سلطانه وهي صفة مبالغة من الملك كالجبروت وقد يقابل بالملك فيراد
به عالم الغيب وبالملك عالم الشهادة وكلا المعنيين صحيح هنا **وحسنى أسمائه** أي أسماؤه الحسنى
ووصفت بالحسنى لدلالتها على أحسن المعاني وأشرفها وهي صفة كاشفة لا مخصصة ومنها ما يختص
به كالخالق وما يطلق عليه وعلى غيره ولها تقاسيم أخر **وعلى صفاته** بضم العين وفتح اللام مقصور
جمع عليا وهي الشريفة الرفيعة وروي علي بفتح العين وكسر اللام وتشديد الياء وهما بمعنى **لا تشبه**
شيئا من مخلوقاته بالتاء الفوقية أي المذكورات من العظمة وما بعدها وهو خبر إن وما بعده متعلق
به أو حال مما قبله وليس معترضا كما قيل ولا تشبه به مبني المجهول بضم الفوقية مشدد الباء ويجوز
ضبطهما بالتحتية أي معاني أسمائه وصفاته لا تشابه غيرها بوجه من الوجوه لقدمها وكونها على
أعظم رتبة لا يصل إليها غيرها وهو جواب عن سؤال وشبهة نشأت مما تقدم تقديره أن بعض أسمائه
أطلق على نبيه وغيره فيلزم مشاركة غيره له فيها كما قال **وإن ما جاء** من أسمائه **مما أطلقه الشرع**
في القرآن والأحاديث والكتب الإلهية **على الخالق وعلى المخلوق** كشكور وحفيظ وغيره مما
تقدم وإعادة الجار إشارة إلى تغايرهما وإن اتحد لفظهما **فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي**
الذي هو مأخذ الاشتقاق قال العلامة ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد أسماؤه تعالى التي تطلق عليه
وعلى غيره كسميع هل هي حقيقة فيه مجاز في غيره أو مجاز فيه حقيقة في غيره أو حقيقة فيهما أقوال
ثلاثة والأسماء الحسنى منها ما هو علم وصفة والوصف فيها لا ينافي العلمية بخلاف العباد فإنها مشتركة
انتهى وهو كلام مشكل فإن منها ما هو حقيقة قطعا كالإله والخالق ومنها ما هو مجاز كالرحيم فإن الرحمة
رقة القلب وقد صرحوا بأنه أطلق عليه باعتبار غايته إلا أن يقال إنه حقيقة شرعية فإن تغايرهما
باعتبار الصفات كالقدم والحدوث لا يستلزم اشتراكهما بل كونها مقولة بالتشكيك فقوله **إذ صفات**
القديم خلاف صفات المخلوق لا يتم دليلا على مدعاه **فكما أن ذاته لا تشبه الذوات فكذلك**
صفاته لا تشبه صفات المخلوقين وكون ذاته لا تشبه شيئا من الذوات هو الحق الذي ذهب إليه
الأشعري وغيره من المتكلمين خلافا لمن ذهب إلى أنها تشبه غيرها في الحقيقة وإن امتازت بالوجوب
والألوهية وغيرها وتفصيله في الكتب الكلامية واعلم أن في إطلاق لفظ الذات على الله شرعا ولغة
فقيل إنه غير صحيح لأنه مؤنث ذو ودخول أل عليه غير صحيح لغة وقال السهيلي ذهب كثير إلى إطلاقها
عليه وجواز تعريفها لأنها بمعنى النفس والتأنيث غير مراد فيقولون ذات الباري بمعنى حقيقته
ويحتجون بما ورد في الحديث الصحيح ثلاث كذبات في ذات الله وقول خبيب •
وذلك في ذات الإله وإن يشأ • يبارك على أوصال شلو ممزع •
وقد أثبت ذلك البخاري وأحمد في مسنده وقال ابن القيم وابن قدامة ليست هذه اللفظة كان معمولا
في اللغة والشرع بها الاستقرار ولم ترد إلا مجرورة بفي والظرفية غير صحيحة فهي صفة لموصوف مقدر
ومعناها طاعة الله وخشيته كما قال النابغة • مجلتهم ذات الإله ودينهم •
ومن فسره بغير ذلك فقد وهم فمن **كان ذاته تعالى لا تشبه الذوات** أي حقيقته ونفسه

ومن ذهب إلى أن الذات لم ترد بهذا المعنى ينكر دخول أل عليها لا أن الظاهر صحته
ويشهد له قولهم الذويين ملوك اليمن وقوله ذواتا أفنان **كذلك صفاته لا**
تشبه صفات المخلوقين إذ صفاتهم لا تنفك عن الأعراض والأغراض الأول بعين مهملة
والثاني بغين معجمة أو العكس وراء مهملة وضاد معجمة فيهما فالأول جمع عرض بفتحتين وهو ما يقابل
الجوهر أي ما لا يقوم بذاته أو بمعنى كالمرض ويكون بمعناه أيضا لأن ما يعرض للبدن إن استمر
فهو مرض عند الأطباء والأمراض ويطلق كل منهما على الآخر والثاني هو الأمر الباعث على وجود
الفعل وإيجاده وهذا تعليل لكون ذات الله وما يتعلق بها لا تشبه شيئا من المخلوقات فإن الخلق
وصفاتهم لا تنفك أي لا تفارق الأعراض والله تعالى منزه عن الأعراض المحسوسات والكيفيات
النفسانية لأنها تابعة للمزاج المستلزم للتركيب المستلزم للحدوث المنافي لوجوب الوجود الذاتي
خلافا للحكماء والكرامية وأفعاله سبحانه وتعالى لا تعلل بالأغراض وإن كان لها ثمرات وحكم كثيرة
جليلة وهي تسمى غرضا أيضا ولكنه ليس بمحل وذهب النسفي وبعض المحققين إلى جوازه والخلاف فيه لفظي
فإن الغرض إن كان ما يستكمل به الفاعل ويحتاج إليه فهو منفي عنه وإلا فيجوز إثباته له خلافا للحكماء
وليس هذا محل بسط الكلام فيه وفي كلامه تجنيس **وهو تعالى منزه عن ذلك** فلا يحل به عرض ولا يفعل
لغرض **بل لم يزل موجودا** أزلا وأبدا **بصفاته** وأسمائه الدالة على ذاته وصفاته فهي قديمة أما صفاته
الذاتية فلا كلام في قدمها ومنها ما هو عينه ومنها ما هو غيره أو لا عينه ولا غيره عند الأشعري
وأما صفات الأفعال كالإحياء والإماتة والخلق فاختلف فيها فقيل إنها قديمة والحادث تعلقها
عند الماتريدية والمصنف تبعهم هنا وقيل إنها حادثة إذ هي إضافات تعرض له ولا محذور فيه كما حققه
المتكلمون وصفاته السلبية قديمة أيضا وأسماؤه على ما ذكره قديمة أيضا لأنه سمى نفسه بها في
كلامه وهذا بناء على قدم الكلام اللفظي وهو مذهب السلف وبعض الخلف كالشهرستاني **وكفى بهذا**
أي يكفي في إثبات كون ذاته وصفاته وأسمائه لا يشبهه شيء منها **قوله تعالى ليس كمثله شيء** فإنه صريح فيه
سواء قلنا إن مثله كناية عن ذاته كقولهم مثلك لا يبخل والكاف غير زائدة أو قلنا إنها زائدة وقيل
الفرق بين مثله وكمثله أن الأول يدل على المشابهة من سائر الوجوه وكمثله يدل على المشابهة بوجه ما
ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين الدر بفتح الدال المهملة وتشديد الراء المهملة أصل معناه
اللبن الحليب ويتجوز به عن الخير والعمل الصالح واللام في لله للتعجب وكذا يستعمله فيقال لله دره تعجبا
عليه والتعجب من محاسنه ولم يقولوا الله هو لأنه أبلغ بمراتب لتعجبهم من لبن ارتضعه كما يقال لله
أبوه وبلده وإضافوه لله إشارة إلى أنه لا يقدر عليه سواه وأراد بالعارفين مشايخ الصوفية لما
يحكيه عنهم فإن العارف مختص في العرف بأولياء الله ثم **التوحيد إثبات ذات** وهي ذات الله
غير مشبهة للذوات جميعها بوجه من الوجوه **ولا معطلة من الصفات** أصل معنى المعطل فقد الزينة
والشغل والمراد به النفي هنا أي غير منفي عنها الصفات كما نقله المعتزلة هربا من تعدد القدماء
والمحذور تعدد ذوات قدماء لا ذات ولا صفات وفيه تشبيه الصفات بالزينة **وزاد هذه الكلمة**
وهي معنى التوحيد الذي قاله المشايخ **الواسطي** تقدمت ترجمته **بيانا وهي** أي الزيادة التي
زادها فهو عائد على ما فهم مما قبله **مقصودنا** لدلالتها على ما عقدنا له هذا الفصل فقال **ليس كذاته**
ذات أي ليس كحقيقته حقيقة فلا تشاركه بوجه من الوجوه إذ لو شاركته لزم أمر آخر يميز ذاته
عن ذات وإلا لاتحدا وهذا يستلزم التركيب والحدوث **ولا كاسمه اسم** أي لا يشبه مدلول اسمه
مدلول اسم آخر كما مر **ولا كفعله فعل** لأنه في غاية الكمال والإتقان وليس لغرض ولا عوضا كما مر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولا كفعله فعل لانه في غاية الكمال والاتقان وليس لغرض ولا عوضا كما مر ولا كصفته صفة
لانها عظيمة قديمة وغيرها ليس كذلك الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ في بعضها كسميع
وبصير وحي فمثله في حقه ليس مثله في غيره وان كان اللفظ متحد المناسبة ما ثم وضحه
فقال جلت الذات القديمة اي عظمت وتعالت وتنزهت عن ان تكون لها صفة حديثة
اي محدثة موجودة بعد العدم لانها اذا كانت صفة كمال لزم خلو الذات عنها قبل وجودها وهو نقص
لا يليق بجلاله والا استحال اتصافه بها وهذا مبني على قدم صفات الافعال كما تقدم كما استحال
ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة لامتناع وجود صفة قبل موصوفها وهذا مذهب اهل
الحق والسنة والجماعة الماتريدية والجماعة اذا اطلق فالمراد به هولاء دون غيرهم من الفرق
الضالة وقد فسر الامام ابو القاسم القشيري تقدمت ترجمته قوله هذا اي قول الواسطي السابق
ليزيدهم بيانا وايضاحا على ايضاح فقال هذه الحكاية اي المحكي المنقول عن الواسطي تشتمل على
جوامع اي امور جامعة مستوفية من مسائل التوحيد وهو اعتقاد ان الله واحد في ذاته وصفاته
لا مثل له ولا ضد ولا ند ولا شريك في الوهيته واستحقاقه للعبادة وكيف تشبه ذاته ذات
المحدثات بفتح الدال المهملة اي الامور الحادثة وهي بوجودها مستغنية مستقلة غير محتاجة
ومستند لغيرها الوجوب وجودها وكونه عين ذاتها والا كانت ممكنة وكيف يشبه فعل الخلق
في حقيقته ولوازمه وكماله وهو اي فعله لغير جلب بفتح الجيم وسكون اللام وفتحها وباء موحدة
وهو التحصيل واصل معناه السوق انس اي استيناس ودفع وحشة لاستغنائه عن الانيس
والجليس او دفع نقص حصل اي ليس شي من افعاله لنفع له بل كله لنفع عباده فانه الغني المطلق ولا
خواطر واغراض والباء سببية وفي نسخة لخواطر باللام التعليلية واغراض بغين معجمة اي
ليس شي من افعاله لخاطر يطرا عليه وباعث يدعوه لفعله كما تقدم وفي نسخة ولا بجواهر واعراض
بالمهملة والصحيح رواية ومعنى الاول وهذا تحريف من النساخ وان احتمل رجوع الجواهر لذاته
والاعراض لافعاله على ما فيه وجل ماض مبني للمجهول كما قاله البرهان وقع في مقابلة حصل اي
ليس لدفع نقص حاصل ولا لخاطر وعرض موجود وفي بعض الشروح بكسر الجيم وتشديد الدال اي ليس
فعله باجتهاد وجهد منه والذي غره قوله ولا مباشرة ومعالجة الا ان قوله ظهر ياباه فان
الافعال الثلاثة فيها ضمير عايد على الفعل فان معناه ليس فعله لدفع نقص حصل له ولا خاطر وعرض
وجل في نفسه ولا بكل ظهر وقت فعله وقد وقع كل من الافعال الثلاثة في محله فوصف النقص
يحصل لانه طار عليه ووصفه الخاطر بانه وجل نفسه في نفسه كما هو شانه كما ان شان المباشرة كونها
محسوسة فهذا ناشي من عدم تامل كلامه والمباشرة فعل الشي بنفسه ومزاولته بجوارحه والفعل
ضربان بمباشرة وتولد كانه يمس بشرته وظاهر بدنه والمعالجة المباشرة بجهد وقوة يقال اعتلجوا
اذا اقتتلوا اي ليس فعله كفعل غيره بعلاج واعمال وانما هو بارادته من غير شي من ذلك انما امره اذا
اراد شيا ان يقول له كن فيكون وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه المذكورة من جلب نفع
ودفع واغراض ومباشرة ومعالجة وقال اخر من مشايخنا الشيخ من كبر سنه وفي العرف من تصدر
للافادة لانه انما يحصل باتفاق العمر وله جموع منها مشايخ على الاصح وقال بعض اهل اللغة انه لا
اصل له ولم يسمع في كلام العرب ورد كما في شرح الفصيح مما توهمتموه باوهامكم اي كل شي واقع
في اوهام الناس انه حقيقة الباري كما توهموه وادركتموه بعقولكم اي تصورتموه وعلمته عقولكم
فهو محدث مثلكم لان الاوهام والعقول مالوفة بادراك ما تشاهده فتظن ان الله جل وعلا مثله

د بلجي

ونفي

٢٨٤

ونقيس الغايب على الشاهد والله اجل من ان يحيط به الادراك المدرك للامور المحدودة المتناهية
وهو منزه عما لا يليق به مما الفته النفس من المدركات وليس المراد انه لا تدرك ذاته وصفاته
بوجه ما فانه معلوم بالنظر الصحيح والبراهين القاطعة فالمراد انه لا يدرك كنه ذاته
وصفاته وسمي اسمائه بكنهه ولم نكلف بهذا وانما كلفنا بمعرفة ذاته وصفاته ووحدانيته
وانه لا رب ومعبود سواه وقال الامام ابو المعالي الجويني امام الحرمين عبد الملك بن
عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني النيسابوري ابو المعالي امام الايمة عربا وعجما فريد دهره
نخبة الفلك ونكتة عطارد صاحب الفضايل والتاليف الجليلة ولد ثامن عشر المحرم
سنة تسع عشرة واربعماية وجاور بمكة اربع سنين ثم عاد لنيسابور فتوفي في سنة ثمان
وسبعين واربعماية في خامس عشرين من ربيع الثاني وجوين بضم الجيم من نواحي نيسابور
وهو شيخ الغزالي ومعجزه من اطمان بطا مهملة ساكنة وميم وهمزة مفتوحة ونون مشددة بمعنى
سكن بعد انزعاج اي تعود وسكن عنده بعد الشك والشبه الى موجود انتهى اليه فكره
يعتقد امرا موجودا على وجه معين ارتسم في ذهنه انه الله فهو مشبه اي معتقد لتشبيه
الله بغيره مما في خزانة فكره وهو خطا لانه ليس كمثله شي وفكره انما هو مدركاته المشاهدة
فياتيه التشبيه منها واحترز بقوله اطمان عن الوسوسة فانها ليست للمشبه لعدم ركون النفس
لها ومن اطمان الى النفي المحض اي الخالص بان نفى ذات الباري حقيقة او حكما كالفلاسفة
القايلون لا يصدر عن الواحد بالذات الا واحد فهو معطل ناف للصانع وهم الدهرية القايلون
بالطبايع الى غير ذلك مما لا يصدر عن عاقل وان قطع اي جزم بموجود اله واجب الوجود ٥
اعترف بالعجز عن درك حقيقته بسكون الراء وقد تفتح اصل معناه اللحوق ثم صار بمعنى
العلم كالادراك لوصول العقل اليه اي عجز عن علمه كنهه فهو موحد لانه عرف الله ووحده
واعترف بانه لا يقدر على معرفته بكنهه وهو التوحيد الصرف قال الراغب روي عن ابي بكر انه
قال يا من غاية معرفته القصور عن معرفته اذ كان غاية معرفته ان تعرف الاشيا فتعلم انه
ليس بشي يشبهه ولا بمثله بل هو موجد كل ما ادركته انتهى وما احسن قول ذي النون المصري
الزاهد العارف بالله ابو الفيض ويقال له ابو الفياض واسمه ثوبان بن ابراهيم الاخميمي كان ابوه
نوبيا توفي رحمه الله سنة خمس واربعين ومايتين وكان عالما بالعلوم والخطوط القديمة فراى في
خط قديم ٥

تدبر بالنجوم ولست تدري ٭ ورب النجم يفعل ما يشا ٭

وله ترجمة في الميزان حقيقة التوحيد ان قدرة الله في الاشيا اي في ايجادها وابداعها
بلا علاج اي بلا معالجة ومكابدة واستعمال آلة وتعلم ان صنعه لها بلا مزاج المزاج لغة
كالمزج الخلط وما ركب عليه البدن من الطبايع وعند الاطبا كيفية لها من العناصر المتماسة
بحيث يكسر سورة كل منهما سورة الاخر وهو بالمركبات العنصرية والمراد ان ايجاده لها لا يحتاج
الى مادة ومعاونة مركبة منها بل بقدرته العلية اوجدته ابتدا من العدم بعد ان لم يكن بمجرد
قوله كن فيكون فلا يحتاج الى شي من العلل الاربع كما اشار اليه بقوله وعلة كل شي صنعه بمجرده
ومجرد قدرته ولا علة لصنعه تعينه في ايجاده اذ افعاله لا تعلل بالاغراض وما تصور
وهمك فالله بخلافه فان ذاته لا تشبه الذوات وافعاله لا تشبه افعال غيره فهو منزه عن
ان تتصوره الاوهام وهذا كلام عجيب نفيس من النفاسة وهو الشرف وعلو القدر والفصل
الاخير من كلام ذي النون وهو الفقرة الثانية اعني قوله وما تصور وهمك فالله بخلافه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تفسير لقوله عز وجل اي لمعنى قوله ليس كمثله شيء فان ما الامثل له لا يرتسم في الوهم
والثاني اي الفصل الثاني وهو قوله وعلة كل شي صنعه ولا علة لصنعه تفسير وبيان
لمعنى قوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فانه لا علة لفعله حتى يقال له لم فعلت كذا بخلاف
غيره من عبيده المكلفين والثالث في العدد وهو الاول اعني قوله حقيقة التوحيد ان تعلم
ان قدرة الله في الاشيا بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج تفسير لقوله انما امرنا لشي اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون ففي كلامه لف ونشر غير مرتب وهذا تمثيل لسرعة الايجاد والتسخير
ثبتنا الله واياك على التوحيد اي على العقيدة الحقة في اعتقاد وحدانية الله في ذاته
وانفراده بجميع شؤنه والاثبات اي اثبات ما يليق بذاته لذاته وبصفاته لصفاته وليس
المراد اثبات واجب الوجود المنافي للتعطيل فانه معلوم من التوحيد الا ان يريد مجرد التوكيد
والتنزيه بذاته وصفاته عما لا يليق بها وجنبنا اي بعدنا طرفي الضلالة والغواية من
طرفي التعطيل والتشبيه من باب نية واراد بالضلالة التعطيل وبالغواية ادعاء التشبيه
والتجسيم وجعل للاعتقاد الحق طرفين افراط وتفريط والوسط هو الصراط المستقيم والدين القويم
وهذا كله اشعار لاول على ان ما اطلق على الله وعلى غيره ليس لاشتراكهما في حقيقة المدلول والمسمى
كما ولما كانت هذه التسمية لتشريفنا وتمييزا لهم عما عداهم اردفه بما يتم به التمييز وهو المعجزات فقال

الباب الرابع

من القسم الاول فيما اظهره الله على يديه ما على اليد ما وضع فوقها فكني به عما كان مشاهرا
من المعجزات وهي الامور الخارقة للعادة التي يظهرها الله على يدي انبيائه لالزام من كذبهم
اذا عجزوا عن الاتيان بمثلها ولذا سميت معجزة ولابد فيها من التحدي بالفعل او بالقوة وهو طلب
المعارضة وهو الاتيان بالمثل وهذا هو الفرق بينها وبين الكرامة وليس الفرق ان المعجزة للنبي
والكرامة للرسول كما قيل فان الكرامة تكون للنبي ايضا كما اشار اليه المصنف بقوله وشرفه به من
الخصايص والكرامات اي ما خصه الله به واكرمه مما لم يكن لغيره والفرق بينها وبين السحر
ليس ادعاء النبوة فان الساحر قد يدعيها كاذبا لانها امر الهي ليس بمزاولة العزايم ونحوها من تسخير
الكواكب كما يدل عليه قوله اظهره الله وهي دالة على صدقه في دعوى النبوة وما كان قبل البعثة فهو
ارهاص اي تاسيس للنبوة وادخلها بعضهم في المعجزة قال الزركشي في البحر اختلف في دلالتها فذهب
القشيري الى انها وضعية وما دل وضعا يجوز ان يتبدل واختار الامام في الارشاد وابو اسحاق
انها عقلية وقال الآمدي في ابكار الافكار الذي ذهب اليه المحققون ان دلالة المعجزة على صدق
الرسول ليست دلالة عقلية ولا سمعية اما الاول فلان ما يدل عقلا يدل بنفسه ويرتبط بمدلوله
لذاته وقد تقع الخوارق عند تصرم الدنيا مع عدم دلالتها على تصديق مدعي النبوة فانه لا ارسال
ولا رسول اذ ذاك واما الثاني فلان الدلالة السمعية تتوقف على صدقه فلو توقف صدق الرسول
عليها كان دورا بل دلالتها على صدقه غير خارج عن الدلالات الوضعية النازلة منزلة قول الله صدق
انتهى وفيه بحث قال القاضي ابو الفضل حسب المتامل بسكون السين اي يكفيه وكفايته
والمتامل هو المفكر الناظر نظرا صحيحا ان كتابنا هذا لم نجمعه اي لم نؤلفه لمنكر نبوة نبينا
ممن كفر به ولا لطاعن في معجزاته اي معترض ومعاند معارض في ثبوت بعضها وان كان
تظاهر بالاسلام كبعض الزنادقة واصل الطعن الرشق بالسنان ونحوه فاستعير لتعييب الناس

ونحو الحم

وذمهم يقال طعنه يطعنه بالضم والفتح وقال ابن [...] الاكثر في طعن السلاح
ضم عين المضارع وفتحها في القول ونقله بعضهم عن غيره من الايمة فتامله فنحتاج بالرفع
على الاستيناف او النصب في جواب النفي بناء على راي من جوزه مستدلا بقوله
لم الق بعدهم حيا فاخبرهم • الا يزيدهم حبا الي هم
وقد تبعه بعض نحاة المغرب الى نصب البراهين عليها اي على اثباتها بالادلة القاطعة
الملزمة لمن انكرها او طعن فيها ونصبها اقامتها واتضاحها من قولهم نصب رايا اذا اشار اليه بان
لا يعدل عنه كما في الاساس وتحصين حوزتها بفتح الحا المهملة وسكون الواو وفتح الزاي
المعجمة وهي الناحية والجانب وتحصينها جعلها حصينة محفوظة كان عليها حصنا يحميها
وفيه استعارة تمثيلية تخييلية بجعل المنكر كالعدو والقاصد لخراب المملكة ويقال حمى حوزته
وبيضته بلده اذا حفظ جوانبه وما يلزمه حفظه حتى لا يتوصل المطاعن اليها جمع مطعن
وهو الطعن والرد للاباطيل الفاسدة التي تصدر عن اهل الالحاد وضمير اليها للحوزة او
للمعجزة والاول اولى وابلغ لان عدم الوصول الى الحوزة يستلزم عدم الوصول اليها ونذكر
شروط المعجز والتحدي بفتح المثناة الفوقية والحا المهملة وكسر الدال المهملة المشددة
وبالتحتية وهو طلب المعارضة واصله تقابل الحاديين في حدا الابل وهو معطوف على نحتاج
الداخل في خبر النفي وحده بمعنى تعريفه منصوب كقوله وفساد قول من ابطل نسخ الشرايع
ورده اي لا نذكر فساده ورده معطوف على فساد وماضي معطوف على ابطل اي لم نجمعه لاجل
شي من ذلك حتى نحتاج الى ذكرها ندفعه ونقيم الحجة على بطلانه كما هو داب المتكلمين ان يقدموا
قبل مباحث اثبات النبوة او ذكر المعجزات مبحث ابطال قول المنكرين للنسخ لعدم فرقهم بينه
وبين البدا وهم اليهود الذين تمسكوا بذلك في ابطال نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ونبوة عيسى
لنقلهم عن التورية ما يدل على تابيد شريعة موسى مع وقوع النسخ فيها على ما فصل في كتب الاصول
بل الفناه لاهل ملته اي انما الفناه لاهل ملة نبينا صلى الله عليه وسلم من المومنين به الملبين
لدعوته بالبا الموحدة المشددة اي القايلين لمن دعاهم للتوحيد والدين الحق لبيك وهو
عبارة عن اطاعته وتصديقه ولذا قال المصدقين لنبوته لاقرارهم واعترافهم بكل ما جاء به
ولا يقال ان جميع التاليف الاسلامية كذلك فانه ليس بشي ثم بين الداعي لتاليفه فقال
ليكون تاكيدا في محبتهم له دفعا لما عسى يقال ان المومنين غير محتاجين له مع اعترافهم
واقرارهم بذلك فاجاب بانه مؤكد لمحبتهم له منماة لاعمالهم بالنون من النمو بمعنى الزيادة هما
مصدر او اسم محل اي يزيدهم رغبة في اعمالهم الصالحة او يبلغهم الاعمال التي من نمت الحديث اذا نقلته
وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم بذلك فانه يزيده او يثبته في قلوبهم وفي تفريعه زيادة الايمان
على زيادة الايمان اشارة الى ان زيادته مبنية على دخول الاعمال والقول في قبول الايمان
الزيادة مقرر في محله ونيتنا بالنون والمثناة التحتية اي قصدنا وما عزمنا عليه في هذا
الباب نثبت في هذا الباب اي نقرر ونكتب وهو بكسر الموحدة مخففة ومشددة رواية من
الافعال او التفعيل امهات معجزاته اي كبارها وعظامها جمع ام ومشاهير آياته عطف
بينهما تفننا فان الايات بمعنى المعجزات ايضا والمراد ما اشتهر من كراماته من غير تعرض لغيره
لتدل ما اثبتناه على عظم قدره عند ربه لما اجراه على يديه من عظيم الايات واتينا
منها اي ذكرنا من تلك المعجزات بالمحقق اي بما اشتهر وشاع حتى لم يبق فيه شبهة والصحيح الاسناد

نظمها في
وصل التامل ان احل هذا البيت
يدل على انه لا يحتاج الى الاعراض
تامل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كتاب

اي ما صح سنده والاسناد الاتيان بالسند وهو عبارة عن الرجال الذين نقلوا الحديث
منقول من سند الجبل وهو لسنن ما ارتفع من سفح الجبل وقد يكون الاسناد بمعنى السند وصحته
باستيفاء شروطه المذكورة في كتب ابن الصلاح وغيره **والكثير** اي اكثر ما اثبتناه **مما بلغ القطع**
بلوغ القطع لشهرته وصحته فهو وان كان ظنيا لكنه قوي صار متيقنا بما حفه من القراين وحذف
معمول كاد شائع في كلام العرب لاسيما في السجع كما هو فيما نحن فيه **واضفنا اليه** اي ضممنا
الى المعجزات المحققة والمقاربة لها **بعض ما وقع في مشاهير كتب الايمة** يعني ايمة الحديث
الذي تلقى الامة كتبهم بالقبول كدلايل النبوة للبيهقي والسنن وبقية الكتب **واذا تأمل المتأمل**
المنصف ما قدمناه اي من نظر بعين الرضى والانصاف في صفاته التي قدمها المصنف قبل هذا
الباب وهذا تاكيد لما قبله من ان ذكر المعجزات ليس لاثبات نبوته لان من تامل صفاته علم انه غير
محتاج في اثبات نبوته الى برهان بذكر معجزاته وانما ذكرت لمحبتها وتاكيده ذلك كما قال المتنبي

صفاته لم تزده معرفة ❁ لكنها لذة ذكرناها

من جميل اثره بفتحتين وهو بقية الشيء وما يبقى بعده من آثار فعله كالصدقة الجارية والولد
الصالح والعلم النافع مما يرسم في صحائف الانام **وحميد سيره** جمع سيرة كسدرة وسدر وهي
الطريقة والسنة المحمودة وقيل انه جمع اثر من آثره يوثره ايثارا اذا اعطاه ومآثر العرب
مكارمها ومفاخرها التي تروى وتذكر **وبراعة علمه** اي علمه الفائق به على غيره يقال برع براعة
وبروعا اذا فاق في علم او غيره **ورجاحة عقله** اي عقله الراجح بحيث لو وزن بغيره رجح عليه
وحلمه الراجح ايضا **وجملة كماله** اي جميع كمالاته التي لم تجتمع لغيره **وجميع خصاله** جمع خصلة
وهي الصفة الحسنة وهي مجاز من الخصل وهي ما يعطى في الرهان فاستعير لما ذكر في الاساس
وشاهد حاله اي ما يحكى عما كان يشاهد من حاله وفي تعبيره بالشاهد لطف لانه ايهام لانه
يشهد لمحاسنه وهي بمعنى الحاضر **وصواب مقاله** اي ما يحكى من كلامه الذي هو صواب كله
وحكم وحكم والكل بالجر عطف على جميل **لم يمتر** لم يشك ويشتبه عليه ويقع له تردد **في صحة نبوته**
التي ادعاها واظهرها **وصدق دعوته** اي صدقه في مدعاه او فيما دعى الله الخلق من دينه
وتوحيد ربه **وقد كفى هذا غير واحد** هذا فاعل كفى وهذا اشارة لما ذكر من الجميل وما بعده وغير
مفعوله **في اسلامه والايمان به** اي كفاه ما رآه من احواله عن طلب برهان وانه على نبوته
وصدق رسالته والانقياد لامره فاسلم وآمن به وسمعه كابي بكر فانه كان كلما رآه قال انما خلق
هذا الا لامر عظيم فلما دعاه للاسلام قال هذا الذي كنت ارجوا منك **فروينا عن الترمذي**
الامام المشهور صاحب السنن وقد قدمنا ترجمته **وابن قانع** بقاف ونون وعين مهملة بعد الالف
وصحفه بعضهم بنافع بنون وفاء وهو غلط وهو عبد الباقي بن قانع الامام الحافظ وغيرهما
باسانيدهم جمع اسناد جمع وان كان مصدرا لنقله الى الاسمية **ان عبد الله بن سلام** الصحابي
المشهور وهو بتخفيف اللام وغيره مشدد اللام واختلف في بعضها ايضا **قال لما قدم رسول**
الله المدينة في هجرته هو وابو بكر **جئته لانظر اليه** جواب لما يعني انه سمع بقدومه من مكة
وقولهم انه رسول الله اتاه ليعرف امره وهو من علماء اهل الكتاب صاحب فراسة وذكا **فلما رأيت**
وجهه استفعال من البيان وهو الوضوح والظهور والسين للمبالغة **عرفت ان وجهه ليس**
بوجه كذاب اي لاح لي من سيماه ونور النبوة في محياه ان مثله لا يكذب فيما ادعاه فخلق الله فيه
علما ضروريا بصدقه مع ما كان علمه من صفته في التورية والكتب السالفة وقال لليهود يا معشر

يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله انكم لتعلمون وانه صدق ثم شرع في ذكر سند لما رواه
عن الترمذي ولم يقدمه لئلا يفصل بينه وبين ما استشهد له به فقال **حدثنا به** اي بحديث
ابن سلام **القاضي الشهيد ابو علي** رحمه الله الحافظ المعروف بابن سكرة كما تقدم **حدثنا ابو الحسين**
الصيرفي بالتصغير ومن قال ابو الحسن فهو مخطئ **وابو الفضل بن خيرون** تقدمت ترجمته
عن ابي يعلى البغدادي بفتح التحتية وهو المعروف بابن زوج الحرة كما تقدم **عن ابي علي السنجي**
تقدم مع ضبطه وبيان نسبته **عن ابن محبوب** المعروف بالمحبوبي راوي السنن عن الترمذي كما
تقدم **حدثنا محمد بن بشار** بفتح الموحدة وتشديد المعجمة كما تقدم **حدثنا عبد الوهاب الثقفي**
ابن عبد المجيد بن الصلت بن عبد الله بن الحكم بن ابي العاص الثقفي الحافظ وثقه ابن معين وقيل
انه اختلط في آخر عمره توفي في سنة اربع وتسعين ومائة واخرج له الستة وترجمته في الميزان
ومحمد بن جعفر هو غندر كما تقدم **وابن ابي عدي** محمد بن ابراهيم بن ابي عدي البصري الثقة توفي
سنة اربع وتسعين ومائة وروى له الستة **ويحيى بن سعيد** ابن فروخ ابو سعيد القطان
البصري التميمي الحافظ احد الايمة الاعلام توفي سنة ثمان وتسعين ومائة وترجمته في الميزان
عن عوف بن ابي جميلة بفتح الجيم وكسر الميم الاعرابي سمي به لسكونه بين درب الاعراب قاله
ابن دقيق العيد وهو ثقة ثبت توفي سنة سبع واربعين ومائة واخرج له الستة كما في الميزان
عن زرارة بن ابي اوفى وفي نسخة ابن ابي اوفى وهو من خطأ الناسخ وزرارة بضم الزاي المعجمة
وراءين مهملتين وهو مكنى بابي صاحب قاضي البصرة ثقة عالم تبعي ام في داره وقرأ فاذا نقر
في الناقور فشهق شهقة ومات سنة ثلاث وتسعين وروى له الستة عن عبد الله بن سلام
كما تقدم **وعن ابي رمثة التيمي** بكسر الراء وسكون الميم ومثلثة قبل هاء علم منقول من رمث
نوع من النبات واختلف في اسمه فقيل رفاعة وقيل عمارة وقيل غير ذلك التيمي وقيل التميمي
اختلف في نسبه لتيم او تميم وهما قبيلتان مشهورتان وقيل انه بلوي ايضا **اتيت النبي**
صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي حكاية لحاله التي جاءه بها ولا فلا دخل له في القصة **فاريته**
اي اريته وعرفه لي باشارة ونحوها وهو بضم الهمزة مجهول اراه يريه لانه لم يكن رآه
قبل ذلك **فلما رايته قلت هذا نبي الله** اي لمجرد تعلق نظره به اعترف بنبوته لما شاهده
من عظمته ونور نبوته فاوقع الله في قلبه علما ضروريا بصدقه **وروى مسلم وغيره ان ضمادا**
بكسر الضاد المعجمة وميم مفتوحة مخففة والف ودال مهملة وهو ضماد بن ثعلبة الازدي
نسبة لازد شنوءة قبيلة مشهورة وكان صديقا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فلما
قدم مكة سمعهم يقولون فيه ما قالوه اتاه وبايعه واسلم في اول الاسلام وكان يتطبب
وتبع في ذكره ابن عبد البر في الصحابة وفي الصحابة شخص آخر يسمى ضمادا وله وفادة ولا اثر
لها **لما وفد عليه** اي لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة في ابتداء الاسلام والوفود
القدوم على العظماء من كان بعث قصدا وكان راقيا يرقي الناس في الجاهلية فلما سمعهم يقولون
ان محمدا مجنون وفد عليه وقال يا محمد اني راق فهل بك شيء فارقيك **فاجابه صلى الله عليه**
وسلم دفعا لما قاله مما نسب اليه **فقال ان الحمد لله** جوزوا في ان كسر الهمزة وتشديد النون
وفتح الهمزة مع التخفيف وهو ظاهر والحمد وكون جملته انشائية او خبرية مشهور وحسن تاكيده
بسواله له وطلبه ان يرقيه لتوهمه صدقهم فيما قالوه فاجابه صلى الله عليه وسلم وصدر كلامه
بحمد الله اشارة الى ان الله انعم عليه بنبوته ففيه رد لما زعموه على ابلغ وجه ثم قال **نحمده**

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ونستعينه فاردف الجملة الاسمية بفعلية مضارعية لانه قصد بالاولى ان الحمد ثابت ومستحق
له بالاستحقاق بقطع النظر عن الحامدين والجملة محتملة للخبرية والانشائية ثم اردفها بجملة
اخرى لانشاء حمد بنفسه لما انعم الله به عليه من جلائل النعم التي اجلها نعمة النبوة المؤيدة بالمعجزات
الباهرة ولذا قطعها عما قبلها واتى بها مضارعية لتدل على الاستمرار التجددي واسنده لضمير
المتكلم مع الغير اشارة الى انه لا يقدر وحده على وفاء حق حمده فان كان الضمير له وحده فليس
لتعظيم نفسه بل لتعظيم الحمد والمحمود ونستعينه بمعنى نطلب المعونة والمساعدة منه على اداء حق
حمده او على جميع امورنا التي من جملتها الحمد وفيه اقتداء بما ارشدنا الله من ان الطلب يقدم عليه حمده
وتعظيمه كما في سورة الفاتحة ولذا اردفه بقوله من يهده الله اشارة الى انه طلب منه الهداية الى
الطريق المستقيم كما في قوله اهدنا الصراط المستقيم ومن شرطية جوابها فلا مضل له اي لا يقدر
احد على اضلاله ومن يضلل فلا هادي له وفيه تعريض بمن تعرض له بما شاده له مما لا يليق
له ان الله بيده الهداية والضلال واشهد اي اعلم واذعن واعتقد ان لا اله الا الله اي لا معبود
بحق سوى واجب الوجود والمستحق لجميع المحامد وحده لا شريك له في الوهيته وجميع شؤونه وهو
مؤكد لما قبله لتضمنه للحصر المتقدم عليه وان محمدا عبده ورسوله ارسله لهداية خلقه وارشادهم
لتوحيده وفيه دعوة بانه عبده قال له ضماد المذكور لما سمع ما قاله اعد علي كلماتك هؤلاء
المذكورة من قوله الحمد لله الخ وانما طلب اعادتها ليتاملها ويفهم ما اراده وهؤلاء واولئك اشارة
الى جمع المذكر والمؤنث من العقلاء وغيرهم كما قال

ذم المنازل بعد منزلة اللوى • والعيش بعد اولئك الايام •

فالمشار اليه هنا الكلمات فلقد بلغن قاموس البحر اي اشتهرت مقالتك هذه في جميع اقطار
الارض شرقا وغربا وقاموس البحر وسطه او لجته او بحره كما في كتب اللغة من قمسه اذا غمسه ووزنه
فاعول وهذه اشهر الروايات واصحها وفيه روايات اخرى فروى ناعوس بالنون ايضا عناه نونه
وعين وسين مهملتين وروى فاعوس بفاء بدل القاف وروى ابو داود قاموس او قابوس على الشك
في الميم والباء الموحدة وروى ناعوس بالنون ايضا وقيل ان الكل تصحيف ما عدا قاموس وفاعوس
كما قاله ابن قرقول يقال قال فلان قولا بلغ قاموس البحر اي سمعه كل ذي روح حتى دواب البحر
وهو مبالغة في شيوعه وروى قاعوس من القعس وهو خروج الصدر وبروزه وقيل انه
تعجب ممن لم يسمعها ولم يصدق بها من العقلاء مع بلوغها هذا المبلغ هات بكسر التاء اسم فعل بمعنى
اعطني يدك ابايعك بالجزم في جواب الامر ووجه استشهاد المص له ان بمجرد رؤيته
وسماع كلامه آمن به من غير تردد وليس في كلامه ما يدل على صدق مدعاه ولكنه لما راى نور وجهه
وحسن بهجته آمن به وقال جامع بن شداد في حديث رواه عنه البيهقي وهو ابو صخرة الاسدي
الكوفي المحدث روى عن صفوان وغيره واخرج له ابو داود والنسائي وتوفي سنة ثمان او سبع عشرة
او عشرين ومائة كان رجل منا يقال له طارق بن عبد الله المحاربي وهو صحابي كما اشار اليه بقوله
واخبر انه راى رسول الله بالمدينة كما قاله ابن شداد وغيره وله رواية عنه وقال ابن حبان
انه انما راه بمكة بذي المجاز وهو سوق بينه وبين عرفة فرسخ وهو مخالف لما قاله المص فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم ولمن معه هل معكم شيء تبيعونه انما سالهم لانهم اعراب وانما
يقدم مثلهم المدينة للبيع والشرا قلنا هذا البعير قال بكم تبيعونه قلنا بكذا وكذا وسقا
بكسر الواو وفتحها وهو ستون صاعا مما يكال من تمر فاخذ بخطامه بخاء معجمة وطاء مهملة وميم

٢٨٧

وهو كالزمام وزنا ومعنى اي برسنه الذي يقاد به والباء من بزة اي اخذه ليجره ويذهب به
وسار اي ذهب من عندنا بالبعير فقلنا اي قال بعضنا لبعض بعنا بعيرنا من رجل لا ندري
من هو حتى نطالبه بالثمن والوسق المبهم في الحديث كان ستين صاعا كما ورد التصريح به
في رواية اخرى وقوله من هو مفعول ندري والمعنى لا ندري جواب هذا السؤال وعدى البيع
بمن وهو متعد بنفسه اما بناء على مذهب الاخفش من جواز زيادة من في الاثبات وقال
النووي انه لغة فيه فيتعدى بنفسه وبمن كانكح وزوج فانه يقال انكحه وزوجه وانكح وزوج
منه وقد وقع هذا في كثير من الاحاديث فلا عبرة بقول من عده من لحن الفقهاء وفي مسلم لو بعت من
اخيك وفي البخاري نبيعه من الصواغين الى غير ذلك مما لا يحصى • تنبيه قوله وسقا منصوب
لانه تمييز وكذا مركبة من كاف التشبيه واسم الاشارة ثم كني عن ذلك وغيره وتكون مفردة ومكررة
بعطف ودونه وذهب البصريون الى ان تمييزها لا يكون الا مفردا منصوبا ومال الكوفيون
الى انه بحسب ما يكنى عنه فكذا عبد كناية عن ثلاثة الى عشرة وكذا كذا عبدا كناية عما به فصاعدا
وكذا كذا عبدا كناية عن احد عشر واخواته وكذا وكذا عبدا عن واحد وعشرين الى تسعة وتسعين
وكذا عبدا كناية عن عشرين واخواته وتفصيله في شروح ... وقد افرده بالتصنيف
ابن هشام وغيره ومعنا ظعينة جملة حالية والمراد بالظعينة المراة من الظعن وهو الارتحال
ولذا قيل ان حقيقته امراة في هودج على جمل ثم تجوز به عما ذكر وللهودج بلا امراة وللجمل نفسه
وهو بظاء معجمة وعين مهملة وسميت المراة ظعينة لظعنها مع زوجها فقالت اي المراة لما
سمعت كلامهم انا ضامنة لثمن البعير اي اعطيه لكم من عندي ان يجيء لكم منه وانما ارادت
انها واثقة بانه لا بد ان يجيء به لما وقع في قلبها من ان مثله لا يغدر ويخلف بفراسة منها حين
شاهدته ولذا قالت رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر هذا استئناف بيان لوجه ضمانها
لمن لم تعرفه بانها رات في وجهه نورا وحسن سيما تدل على انه ليس ممن يحصل منه شر وشبهت
وجهه بالقمر عند كماله وزيادة نوره على عادتهم في تشبيه الوجه الحسن به والا فاين البدر
مثل نوره • وحسنه • ولقد اجاد بعض الظرفا في قوله •

• بلاغيبة للبدر وجهك اجمل • وما انا فيه قلته متجمل •

لكن الشيء بالشيء يذكر كما قيل

• ظبي اذا ما بدا محياه • اقول ربي وربك الله •

وقد هجا ابن الرومي البدر فقال

• لو اراد الاديب اذ يهجو البدر • رماه بالخطة الشنعاء •
• قال يا بدر انت تغير بالشمس • وتغير بزورة الحسناء •
• كلف في شحوب وجهك يحكي • نمشا فوق وجنة برصاء •
• يعتريك المحاق في كل شهر • فترى كالقلامة الحجناء •
• ويليك النقصان في آخر الشهر • فيمحوك من اديم السماء •

لا يخيس بكم اي حسن صورته يدل على حسن سيرته فمثله لا يصدر عنه ما ظننتموه يقال
خاس يخيس ويخوس اذا غدر وكذب فنكث عهده واخلف وعده وهو بخاء معجمة وسين
مهملة فاصبحنا اي مضى بعد اخذه البعير يوم وليلة ثم دخلنا في صبيحة يوم تعده فجاء
رجل من اتباعه صلى الله عليه وسلم وهذا الرجل لا يعرف اسمه بتمر فقال انا رسول رسول الله

الألوكة
www.alukah.net

ثم اشتانف جواب سؤال مقدر او مطوي كانهم قالوا اما نفعل او ما نقول فقال **يا مركم ان تاكلوا** من التمر الذي جائبه **وتحالوا** اي تحملوا منه من التمر **حتى تستوفوا** اي تاخذوا الثمن وافيا كاملا عن اما كلتموه فانه هبة منه وفيه من مكارم الاخلاق وحسن المعاملة ما لا يخفى وفي الحديث خياركم احسنكم قضا وورد في حديث رواه ابن اسحاق **في خبر الجلندي** وقصته **وهو** اي الجلندي **ملك عمان** وسلطانها في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وفي القاموس وجلندي بضم اوله وفتح ثانيه وهو اللام المخففة ممدود او بضم ثانيه فيقصر ووهم الجوهري فقصره مع فتح ثانيه قال الاعشى

وجلندا في عمان مقيما • ثم قيسا في حضرموت المنيف

ولا حجة له فيما ذكر لاحتمال انه ضرورة كما قاله تلميذه البرهان الحلبي وفي شرح المفصل لابن الحاجب الاولى ان لا تدخل عليه الالف واللام ومعناه القوي المتخلص من الجلادة كما قاله المعري في رسالة الغفران وعمان بفتح العين المهملة وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام وبالضم والتخفيف صقع عند البحرين وفي الشروح نقلا عن الذهبي ان له شعرا يدل على اسلامه وهذا يدل على عدم جزمه والذي نقله النويري في تاريخه الجزم وانه صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن العاص في ذي [القعدة] سنة ثمان من الهجرة الى جيفر وعبد بن الجلندي وهما من الازد والملك منهما جيفر وكتب اليهما كتابا فلما قدم عمان عمد الى عبد وكان اعلمهما واحسنهما خلقا فقال اني رسول الله اليك والى اخيك فقال اخي مقدم علي في السن وهو الملك وانا اوصلك اليه فمكثت ببابه اياما ثم اذن لي فدخلت عليه ودفعت اليه الكتاب ففض ختمه وقراه ثم دفعه الى اخيه فقراه فقال دعني يومي هذا وارجع الي غدا فلما رجعت اليه قال اني فكرت فيما دعوتني اليه فاذا انا اضعف العرب ان ملكت رجلا ما في يدي فقلت اني خارج فلما ايقن بخروجي ارسل الي واجاب الى الاسلام هو واخوه وصدقا بالنبي صلى الله عليه وسلم وخليا بيني وبين الصدقة والحكم بينهم فلم ازل مقيما بينهم حتى بلغني وفاة رسول الله انتهى وهذا يدل على ملك عمان بن الجلندي المذكور الا ان يقال ان كل من ملك عمان يسمى جلندي واما ما في بعض الشروح من ان في بعض النسخ ملك غسان بتشديد السين كشداد اسم قبيلة ولعل تلك القبيلة سكنت تلك البلدة وكان الجلندي ملكها فمما لا يعول عليه لمخالفته الرواية والنسخ الصحيحة والاول هو الذي صححه التلمساني والشراح كلهم **لما بلغه ان رسول الله يدعوه الى الاسلام** كما سمعته مفصلا **قال الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي الامي** الذي لا يقرا ولا يكتب ووصفه به لشهرته في الكتب القديمة ولانه مدح له كما تقدم انه لا يامر بخير الا اذا كان اول اخذ به اي اول عامل بما امر به ولا ينهى عن شيء الا اذا كان اول تارك له كما قال اني لاتقاكم لله واخشاكم له وهو كما قيل

لا تنه عن خلق وتاتي مثله • عار عليك اذا فعلت ذميم

وقوله انه الخ اسم تاويلا وهو فاعل دل **وانه يغلب** اعداءه وينتصر عليهم وهو مبني للفاعل **فلا يبطر** اي لا يطغى ويفتخر والبطر الفرح وهو صفة مذمومة وبطر من باب علم **ويغلب** بالبنا للمفعول اي يغلب احيانا فان الحرب سجال كما جرت به عادة الله في انبيائه **فلا يضجر** اي يقلق ويجزع بل يصبر ويتحمل ما اصابه في سبيل الله احتسابا بالاجر ورضى بما قدره كما هو عادة الانبيا **ويفي بالعهد** فاذا عاهد احدا لا ينكث عهده كما قال تعالى واوفوا بالعهد **وينجز**

اعلمهما واحسنهما

عرضي

الموعود

الموعود اي يعجل بما وعد به لكرمه فالموعود اسم مفعول ويجوز ان يكون مصدرا فانه جاء على مفعول الا انه نادر **واشهد انه نبي** لما تحققه من اخلاقه وكمال صفاته وهذا شاهد لما عند اهل الفضل من ان من تامل صفاته صدق بنبوته وان لم يشاهد معجزاته **وقال نفطويه** ابو عبد [الله] محمد الامام الجليل ابن عرفة بن سليمان الازدي الواسطي النحوي المفسر الاديب وقد تقدمت ترجمته وضبط اسمه بفتح اوله وواوه وسكون يائه وان المحدثين يضمون ما قبل الواو ويسكنونها لما من **في قوله تعالى** مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية **يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه لنبيه صلى الله عليه وسلم** هذا بناء على الوقف على قوله الله نور السموات والارض وان معنى قوله مثل نوره وان الضمير في قوله مثل نوره لمحمد صلى الله عليه وسلم وان المشكاة هو صدره والمصباح علمه والزجاجة قلبه والزيت نبوته والمعنى قاربت نبوته تظهر وان لم يتل معجزة ويبرهنا عليها وقد تقدم ذكر المصنف لهذه الاية وان هذا احد تفاسير الاية وانه نقله وانما اعادها هنا لما فيها على هذا من الدلالة على المقصود من ان المتامل يشهد ويصدق بنبوته وان لم يتم برهانا عليها فلا تكرار في كلامه كما توهم وهو على هذا تشبيه تمثيل وهو ظاهر **يقول الله يكاد منظره** اي ما يتعلق به النظر من ذاته وصفاته **يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا** اي وان لم يظهر معجزة وخص القرآن لانه اعظم معجزاته وتلاوة القرآن معلومة وروي ان لم يتل قرانا ثم استشهد له بما يدل على معناه فقال **كما قال ابن رواحة** وهو عبد الله بن رواحة ابن ثعلبة الانصاري الصحابي احد شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شهد له المشاهد الا الفتح وانه مات شهيدا بموتة سنة ثمان من الهجرة وهو احد الامراء الثلاثة بها وهم زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب **ومما روي** من مدحه له قوله

لو لم تكن فيه آيات مبينة • لكان منظره ينبيك بالخبر

ومبينة بكسر الياء المشددة اسم فاعل وبفتحها اسم مفعول ومنظره مرآه وظاهره وهذا على نهج قوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه اي مما يترتب الجواب على وجود الشرط وعدمه وهو على فقد الشرط اولى ويجوز ان يبقى على حاله لانه عند ظهور الآيات لا يحتاج الى الاستدلال بظاهر الحال فلا اشكال فيه اصلا واصل ينبئك ينبؤك بالهمزة فابدلت ياء وسكنت على حد قراءة بارئكم وفي جمل المنظر مخبرا من البلاغة ما لا يخفى **وقد آن ان ناخذ** اي نشرع **في ذكر النبوة والوحي والرسالة** يقال اخذ في القراءة اي شرع فيها واصل الاخذ التناول باليد تجوز به عن معان منها هذا وآن بمعنى قرب اوانه **وبعده** اي بعد ذكرها **نشرع في معجزة القرآن وما فيه من برهان ودلالة** اي دليل قاطع على نبوته بفتح الدال وكسرها مصدر ويستعمل بمعنى الدليل

فصل اعلم

امر بالعلم اهتماما بما بعده والخطاب عام لكل من وقف على كتابه او لمن ساله تاليفه كما تقدم **ان الله جل اسمه** اي عظم وعظمت اسماؤه وجلالة اسمه تدل على جلالته بالطريق الاولى **قادر على خلق المعرفة** وهي العلم بالجزئيات وتكون بمعنى مطلق العلم ايضا **والعلم** **به** الي علما يقينيا وان لم يكن بالكنه والحقيقة واسمائه وصفاته الذاتية وغيرها وجميع تكليفاته التي الزمهم بها من الامور الشرعية والعبادات **ابتداء** فنسره بقوله **ودون واسطة**

مه

لي

الألوكة
شبكة
www.alukah.net

يتوسط بينه وبينهم في اعلامهم وتعليمهم ما ذكر كما حكي عن سنته اي عادته وطريقته
في بعض الانبيا اذ عرفهم بعض الامور السابقة بدون واسطة بان اوقع ذلك في قلوبهم
وكشفه لهم او الهمهم واراهم ذلك في منامهم الصادقة وهذا مما شاع وملأ الاسماع وكون كل
علم منقسم الي نظري وضروري المراد به غير علوم الانبيا كما صرحوا به في الكشاف جرت العادة
بان كل علم نظري كسبي لم في قدرة الله تع احداث علم واحداث القدرة عليه من غير تقدم نظر قال
بعضهم كعلوم الانبيا التي ليست ضرورية ولا نظرية فيخلق فيهم العلم لا بتقدم نظر لئلا
يكونوا زمان النظر شاكين وذلك لا يصح عليهم في التوحيد ولو كان ضروريا لم يكن عليه اجر
فجمع بين كونه مقدورا لنا لنا الاجر وعدم تقدم النظر لينتفي الريب وهذا هو الذي ارتضاه المحققون
فما نقل عن بعض مشايخ الصوفية ان علوم الانبيا جميعها ضرورية غير مسلم وذكره بعض اهل
التفسير في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا بناء على ان الوحي يشمل الالهام ونحوه
وليس المراد به ما كان بواسطة الملك فقط وجائز ان يوصل الله معطوف على قوله اولا قادر اليهم
جميع ذلك المذكور من العلوم السابقة بواسطة تبلغهم صفة واسطة بالفوقية او التحتية
اي توصله بكلام وتنزل عليه وتكون تلك الواسطة اماما من غير البشر كالملايكة مع الانبيا
سوا راوهم متمثلين بصورة غير صورتهم او على صورتهم الاصلية كما وقع لنبينا صلى الله عليه
وسلم اولم يروهم كما كان ياتيه الوحي احيانا كصلصلة الجرس وليس روية الملك مخصوصا بالانبيا
بل قد يراه غيرهم من خلص عباده كمريم او من جنسهم كالانبياء مع الامم الذين بلغوهم عن الله ما امرهم
تبليغه ولا مانع لهذا المذكور بتقسيمه من دليل العقل اي منه لين هو العقل فالاضافة بيانية
او هي حقيقية يعني انه غير مستحيل خلافا للبراهمة الذين جعلوه مستحيلا لا لزانه فمنعوا ارسال
الرسل كفرا وضلالا لا عما نطقت به الكتب الالهية ودلت عليه الادلة العقلية كما بين في الكتب الكلامية
كما اشار اليه بقوله واذا جاز هذا ولم يستحل اي عندنا لا عقلا وجاءت الرسل بما دل على صدقهم
من معجزاتهم الظاهرة المحققة وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به عن الله وبلغوه لامتهم
لان المعجز مع التحدي اي اظهار النبي معجزة له وطلبه ممن انكر نبوته الاتيان بما يماثلها لان معنى
التحدي هو الطلب المذكور لانه ماخوذ من حدي الابل اذا تغنى لها ليبشطها ومن ذلهم فيه ان
يتقابل شخصان يتناوبان ذلك فهو من النبي قايم مقام الله الذي اقدره على ذلك واجراه به
صدق عبدي ورسولي فيما ادعاه لما تقدم من البرهان الذي لا يقدر عليه احد من جنسه
فاطيعوه واتبعوه في كل ما يامركم به لانه من عند الله وشاهد على صدقه في كل ما قاله وهو
معطوف على قوله قايم خبر ان وقد تقدم الكلام على دلالة المعجزة وانها سمعية او وضعية او
عقلية والفرق بينهما وبين الكرامة والسحر وهذا الكلام كاف فيما قصدناه والتطويل فيه
خارج عن الغرض الذي صنف الكتاب لاجله ومن اراد تتبعه اي الوقوف عليه وحده
مستوفي خبر بعد خبر او حال اي يقف عليه بتمامه وتفصيله في مصنفات ايمتنا وعلمائنا وفي
نسخة في كتب ايمتنا والنبوة في لغة من همز اشارة الي ان فيه لغتين الهمز وتركه الا ان الهمز
هو الاصل كما ذهب اليه كثير من اللغويين والنحاة وان كان تركه هو الاكثر ولذا قيل انه لغة
رسول الله وانه انكر على من قال له يا نبي الله بالهمز ماخوذة من النبا وهو الخبر لان انبايه به
واخباره عن الله وقال الراغب النبا خبر ذو فايدة عظيمة يحصل به علم او غلبة ظن فلا يقال
له نبا حتى يتضمن هذه الاشيا الثلاثة ويكون صادقا فالخبر اعم منه وقد لا تهمز بالتاء الفوقية

والبنا للمجهول اي النبوة ويجوز قراته بالمثناة التحتية باعتبار اللفظ على هذا التاويل
اي تفسيره بالنبا تسهيلا اي تبدل همزته واوا تخفيفا لكثرة الاستعمال فتبدل من جنس الحركة
التي قبلها وهي الضمة والتسهيل عند القرا بمعنى جعل الهمزة بينها وبين الها وليس بمراد هنا
والمعنى اي معنى النبي المفهوم من الكلام على هذا القول ان الله اطلعه على غيبه اي
اعلمه واخبره بغيباته واعلمه انه نبيه الموحي اليه فيكون نبيا منبيا بصيغة المفعول
مشدد اليا ويجوز تخفيفها اي يكون من اطلعه واعلمه نبيا بمعنى منبيا فهو فعيل بمعنى مفعول
او يكون معناه مخبرا بكسر البا اسم فاعل عما بعثه الله به ومنبيا اسم فاعل بتشديد اليا وتخفيفها
عما اطلعه الله عليه من علمه ومغيباته فهو فعيل بمعنى فاعل على هذا ويكون عند من لم يهمز
اي يقول بان اصله الهمز من النبا ماخوذا من النبوة مصدر نبا ينبو نبوة سلوه في الاصل ثم نقل وشاع
بمعنى المرتفع وهو ذكره باعتبار اللفظ ونظرا للخبر اي ما ارتفع من الارض فهو كالربوة
لفظا ومعنى ثم بين المراد منه بقوله انه عند الله وفي الواقع عند الله رتبة شريفة
ومكانة نبيهة اي عالية مشهورة والنبيه ضد الخامل لتنبيه شعره من نومة الخمول
والمكانة كالرتبة تختص بالمنازل المعنوية فجعل علوه معنى لظهوره كعلوه حسا عند من
ورتبة الذي يتولي امورهم منيعة عالية لا تصعد لها سواه وهو على هذا ايضا فعيل بمعنى
مفعول لانه مرفوع على غيره او بمعنى فاعل لانه مرتفع لما ناله من رفيع الدرجات فالوصفان
اي وصفه بالنبي بمعنى المخبر او بمعنى المرتفع مؤتلفان اي متوافقان بحسب المعنى لان
من بعثه الله واطلعه على ما لا يطلع عليه غيره له منزلة عالية ومن له مقام عال يطلع على
ذلك او المراد بالوصفين فعيل بمعنى فاعل او مفعول والذي ارتضاه سيبويه انه مهموز
كالذرية والبرية والتزم تخفيفه في الاكثر وكلاهما لغة والخلاف انما هو في ايهما اصل ولذا قدم
المصنف المهموز واما الرسول فهو المرسل اسم مفعول من ارسله اذا بعثه لامر وتبليغ رسالة
ولم يات فعول بفتح اوله اسم مفعول من الافعال بمعنى مفعل بضم الميم وفتح العين المهملة
في اللغة اي لغة العرب وكلامهم ويجوز ان يراد به علم اللغة وكتبها الا نادرا اي الا في
الفاظ قليلة قال السمين في الدر المصون فعيل بمعنى مفعول قليل جا منه ركوب وحلوب
بمعنى المركوب والمحلوب والرسول بمعنى المرسل انتهى وكلام المص يقتضي ان النادر فعول بمعنى
مفعول من المزيد وكلام المعرب انه قليل بمعنى المفعول مطلقا وان الغالب فيه معنى الفاعل
كضيف وشكور الا انه ان قيل ان الرسول في الاصل مصدر بمعنى الرسالة لم يكن مما نحن فيه بل
مجاز للمبالغة كالدرهم ضرب الامير اي مضروبه لم يكن مما نحن فيه وقد ورد في قول هذا المعنى
وهو قوله هج لقد كذب الواشون ما بحت عندهم ٭ بسر ولا ارسلتهم برسول
اي برسالة فما قيل ان فيه شيا ليس بشي وارساله امر الله له بالابلاغ الي من ارسل اليه
اي بتبليغهم شريعته ودينه بنفسه او بواسطة واشتقاقه من الارسال بمعنى التتابع
اي التوالي والتكرار لتبليغه فالمناسبة بينهما ظاهرة ومنه قولهم جاء الناس ارسالا
بفتح الهمزة جمع رسل بفتحتين اي فرقة بعد فرقة متتابعين يتبع بعضهم بعضا كما بينه بقوله
اذا تبع بعضهم بعضا كما ورد في الحديث انهم صلوا عليه ارسالا يتبع بعضهم بعضا ثم بين
وجه اشتقاقه بقوله صلى الله عليه وسلم فكانه الزم تكرير التبليغ مرة بعد اخرى الي
امته والزمت الامة اتباعه فرقة بعد فرقة وامة بعد امة لعموم رسالته فالتكرار

والتابع اما في نفس تبليغه او باعتبار اتباعه وامته ولو عطفه بالواو كان احسن فما قيل من ان في كلامه بحثا لانه ماخوذ من جهة المعنى والاشتقاق من الالفاظ وان قولهم جاء الناس ارسالا ليس مصدر رسالة لاختلاف المعنى كلام ناشئ عن عدم فهم كلام المصنف وفيه خلط وخبط لا يخفى على من له بصيرة **واختلف العلماء** في جواب قولهم **هل النبي والرسول بمعنى** واحد فهما مترادفان **او بمعنيين** فهما متغايران غير مترادفين وفي نسخة ام بمعنيين ولذا قيل او احسن هنا وفيه كلام في المغني وشروحه ليس هذا محله **فقيل هما سواء** اي متساويان او مترادفان لان الاول التساوي في الماصدق دون المفهوم كالانسان والناطق والثاني التساوي فيهما فمقاربة شاملة لهما الا ان ما بعده اقرب الى الاول فمعناهما كل من اوحي اليه بشرع **واصله من الانبا وهو الاعلام** والارسال فيه اعلام ايضا لانه انما يرسل لذلك فهما متساويان وان اختلف مفهومهما وترك بيانه للعلم به مما قبله فلا يرد عليه ان الاعلام اعم لانه قد يعلمهم بما لم يرسل به من ثبوته وكذا قوله ان الاية لا تدل على ما ذكر فانه من تلقي الركبان **واستدلوا** على تساويهما **بقوله وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبي** لانه علق فعل الارسال فاذا ارسل النبي لزم ان يكون الرسول نبيا والنبي رسولا واليه اشار بقوله **فقد اثبت لهما معا الارسال** قال المستدل **ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا** وقيل عليه ان الاية انما تدل على ان النبي اعم من الرسول فانه ترقى من ذكر الاخص الى ذكر الاعم والحديث الناطق بزيادة عدد الانبياء على عدد الرسل يأباه واعادة النفي تقتضي المغايرة فما ذكر ممنوع **وقيل مفترقان من وجه** فبينهما عموم وخصوص وجهي فكل رسول نبي وليس كل رسول فما له الى موجبة كلية وسالبة جزئية كما سيأتي بيانه والمشهور انه على هذا من اوحي اليه بامر الى امر بتبليغه ام لا والرسول من اوحي اليه بذلك وامر بالتبليغ وقيل انه من كانت له شريعة ناسخة لغيرها وقيل من انزل عليه كتاب والى هذا اشار اليه بقوله **اذ قد اجتمعا** اي النبوة والرسالة **في النبوة التي هي الاطلاع** بتشديد الطاء وسكونها وتخفيفها **على الغيب** اراد به ما لم تعلمه من اوامر الله وتشريعه له مما يختص به او به وبغيره **والاعلام** من الله **بخواص النبوة** اي مما يختص بالنبوة الشاملة للرسالة كالعصمة والوحي بواسطة الملك او بدونها كما وقع لموسى اذ كلمه قبل ارساله **او الرفعة بمعرفة ذلك** المذكور من الاطلاع والاعلام وفي نسخة المعرفة باللام بدل الباء السببية **وحوز درجتها** اي درجة النبوة العلية والحوز بحاء مهملة مفتوحة وواو ساكنة وزاي معجمة وهي حيازتها وتحصيلها وقوله الاطلاع والاعلام اشارة الى انها من النبإ المهموز وما بعده الى انه من النبوة الواوي وهي الرفعة كما تقدم ولا تكلف في شيء من كلامه كما توهم **وافترقا** اي النبوة والرسالة **في زيادة الرسالة** اي الامر بالتبليغ المعتبر في الرسول دون النبي **وهو** اي الرسالة وذكره مراعاة للخبر **وهو الامر بالانذار والاعلام** بما امر بتبليغه وهذا القيد المخصوص هو الذي يحصل به الافتراق فيما صدق عليه النبي فلا مخالفة بينه وبين ما قاله المنطقيون كما قيل لانهم اعتبروا ذلك فيما صدقا عليه لا في المفهوم وهذا كلام ناشئ من قلة التدبر **كما قلنا** اشارة الى ما قرروا **وحجتهم** اي دليل القائلين بان بينهما عموما وخصوصا من وجه وليسا مترادفين ماخوذ **من الاية نفسها** التي استدل بها من ذهب الى القول الاول فهي عليهم لا لهم لاجل **التفريق بين الاسمين** يعني النبي والرسول فان العطف واعادة النفي يدل على تغايرهما **ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام**

ابن اقبرس

تعقب

البليغ

البليغ وليس المقام مقام اطناب ولا تأكيد اذ لو كان كذلك حسن التكرار كقوله كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونحوه **قالوا والمعنى** اي معنى الاية على هذا **وما ارسلنا قبلك** اي اوحينا واعلمنا **من رسول الى امة** امر بتبليغهم ما ارسل به وفي بعض النسخ من نبي والاولى اوفق بالنظم واظهر **او نبي ليس مرسل الى احد** فافترقا على هذا التفسير افتراقا ظاهرا وفي كلامه نوع خفاء اراد بعضهم ان يصلحه فافسده وفي الاية ترق لانه في النفي بذكر العام بعد الخاص وفي الاثبات يؤتى به على العكس كما تقول ما في الدار انسان ولا حيوان ولو عكست كان ذكر الانسان بعده لغوا فان قلت الذي استدل به اولا تعلق ارسلنا بهما فانه يقتضي ان النبي مرسل ايضا وما ذكره المصنف لا يدفعه قلت وجه دفعه بما ذكر انه لما اقتضى هذا العطف التغاير لزم تأويل ارسلنا بمعنى يشملهما اي ما ارسلنا ولا بعثنا او اوحينا لاحد من نبي او رسول لان ارسل متعد بنفسه او هو من قبيل ... وزججن الحواجب والعيونا • ومن زائدة بعد النفي اي ما ارسلنا ولا انبأنا نبيا فتأمل **وقد ذهب بعضهم** مجاز من الذهاب وهو الخروج من مكان الى اخر قال في الاساس ذهب فلان الى قول ابي حنيفة اذا اخذ به واتخذه مذهبا **الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدإ** ولم يكن مقررا لشرع غيره فشرعه لم يسبق الله ومبتدأ بفتح الدال صفة شرع ويجوز كسرها على انه حال من ضمير جاء والاول اولى **ومن لم يأت به** اي بشرع مبتدا لم يسبق اليه **نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار** فبينهما عموم من وجه اخر **والصحيح الذي عليه الجماء الغفير** بعد الجماء وفي نسخة الجم والمعنى واحد اي الجماعة الكثيرة والجم بفتح الجيم وتشديد الميم والغفير بغين معجمة وفاء وفي الصحاح الجماء الغفير جماعة الناس يقال جاءوا جماء غفيرا بالمد وبعضهم والجماء الغفير بالمد وجم الغفير والجم الغفير اي جميعا وال زائدة والغفير صفة لازمة للجماء لا يفرد بل وهو من الغفر وهو الستر كانهم لكثرتهم ستروا وجه الارض ومعناه جاءوا جميعهم بجملتهم شريفهم ووضيعهم وهو اسم ينصب كالمصدر كجاءوا جميعا وقاطبة والجم الكثير ونصبه لانه اسم وضع موضع المصدر وقيل انه مصدر ولا يلزم نصبه عند الكسائي وعليه يتمشى كلام المصنف لا على من الزمه النصب وليس المراد الجميع على الاكثر حتى يستشكل ويجاب بانه لم يعتد بغيرهم وصيرهم كالعدم **ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا** وهو صادق بالقولين الاخيرين فبينهما عموم وجهي لانه يشترط في الرسول دون النبي ان يؤمر بالتبليغ او ان يكون له شرع جديد او انزل عليه كتاب والاول هو المشهور ولذا قال المحدثون اذا ورد في الحديث ذكر احدهما او قال قال رسول الله او نبيه لا يجوز ان يبدل له من رويه وقيل انه لا يلزم ولكنه اولى وهذا في غير الاذكار فانها توقيفية وورد في حديث انه قال في بعض الادعية امنت بكتابك الذي انزلت ورسولك الذي ارسلت فقال قل ونبيك الذي ارسلت كما في شرح مسلم وفيه بحث وقيل الرسول اعم لشموله رسل الملائكة بخلاف لكن الكلام انما هو في رسل البشر وقال صاحب القاموس في كتاب الصلات والبشر ان النبي من اوحي اليه بامر يختص به في نفسه حتى لا يجوز لغيره ان يتبعه فان امر بتبليغ ما امر به لامة مخصوصة او لجميع الناس فهو رسول فان لم يكن له حكم مختص به فهو رسول لا نبي وان كان مع التبليغ له ما يختص به كنبينا صلى الله عليه وسلم فهو نبي ورسول فعلى هذا بينهما عموم وخصوص مطلق وليس كل رسول نبي وقال انه الحق الذي لا شك فيه وهو مخالف لكلام المصنف واعلم ان النبي ان كان من النبا فهو مهموز وان كان من النبوة فغير مهموز وكلاهما جائز وبهما قرئ في السبعة واما قوله صلى الله عليه وسلم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فقال

لاعرابي قال له يا نبيء الله لست بنبيء الله ولكني نبي الله لانه في لغتهم نبا بمعنى خرج من ارضه
وطرد فلانهما به ذلك منعه وورد ايضا لا تنبزوا باسمي فانما انا نبي الله ومعنى لا تنبزوا لا
تهمزوا وليس في هذا ما يقتضي منعه على الاطلاق كما قاله ابن سيدة **واول الرسل آدم واخرهم**
محمد صلى الله عليه وسلم ولا ينافي هذا ما في البخاري في حديث الشفاعة من انهم يقولون لنوح انت
اول الرسل الى اهل الارض لانهم لم يقولوا انه اول الرسل مطلقا بل اول الرسل الى اهل الارض في عصره
ولذا قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وآدم انما ارسل الى بنيه وهم مؤمنون به وادريس
وشيث لم تعم رسالتهم وهذا لا ينافي اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بعموم الرسالة الى آخر الزمان
فلم تختص بعصر ولا قوم وعمت الانس والجن والملك كما تقدم **وفي حديث ابي ذر** الذي رواه احمد
في مسنده وابن حبان والحاكم في مستدركه **عنه** صلى الله عليه وسلم **ان الانبياء مائة الف**
واربعة وعشرون الف نبي وقد قال الحاكم في مستدركه انه طعن في بعض رواته وقيل انه منكر
وقال القرطبي انه اصح حديث ورد في عدد الانبياء والرسل وقيل ان اصحابه صلى الله عليه وسلم
كانوا بهذه العدة ايضا عند وفاته وعن كعب الاحبار انهم الفا الف ومائتا الف وعن مقاتل انهم الف
الف واربعمائة الف واربعة وعشرون الفا وقد عرفت ان الاول اصح ما في الباب **وذكر ان**
الرسل منهم اي من الانبياء **ثلثمائة وثلاثة عشر اولهم آدم** وقيل اربعة عشر كعدد اصحاب طالوت
والحديث طويل اورده الحاكم في مستدركه ونقل البرهان ما في بعض رواته من الكلام وطويناه
لانه لا ثمرة له هنا **فقد بان لك معنى النبوة والرسالة** على الاقوال الثلاثة من الترادف
والعموم والخصوص من وجه او مطلقا كما فصلنا . **وليستا** اي النبوة والرسالة **ذاتا للنبي**
عند المحققين اي ليستا امرا ذاتيا في الرسول جبلة طبعه الله عليها كالعقل وغيره من الغرائز
وليست مكتسبة برياضة وتصفية باطن كما ذهب اليه الحكما وانما هي امر طارئ عليه بارادة الله
وفضله والله اعلم حيث يجعل رسالاته **ولا صفة ذات** اي ليست صفة قائمة بذاته موجودة
فيه قبل الوحي اليه فهؤلاء قالوا انهما امران غير الوحي وامر الله له بتبليغ شريعته فصاحبهما
متصف بهما واذا لم يوح اليه اقول ان اراد هؤلاء ان الله خلق له نفسا قدسية زكية واودع فيها
قوى تستعد بها لتلقي الوحي والعلم بربه وان سمي النبوة هذا واذا اطلقوها على ما يترتب عليها
وانه ركب فيه نورا كان يتشاهد في آبائه وينتقل في اصلابهم وذلك من نعم الله ايضا كايجادنا
ابتداء فالامر فيه سهل والا فهو لغو من القول **خلافا للكرامية** بتشديد الراء وتخفيفها على القولين
وفتح الكاف وكسرها على التخفيف قال في المغرب اخبرني صل بقي الثقة بن حوله ان عبد العزيز
القرجي ذكر في تاريخه هذا الرجل وهو محمد بن كرام الذي نسب اليه الكرامية فقال كرام بوزن
حرام وقطام وقيل انه كرام على لفظ جمع كريم وهو الجاري على السنة اهل سجستان وهي بلدته
كما قال فيه البستي :

ان الذين بجهلهم لم يقتدوا ● بمحمد بن كرام غير كرام ●
الفقه فقه ابي حنيفة وحده ● والدين دين محمد بن كرام ●

وهو منسوب لمحمد بن كرام بفتح الكاف وتشديد الراء كما قاله السمعاني قال لان والده كان يحفظ الـ
كرم فيه وكذا صححه في الميزان وقال ابن الصلاح انه لا معدل عنه وكذا صححه ابن ماكولا والذهبي
وانكره ابن الهيثم وهو من اهل مذهبه وعنى انه ادرى بالامر من البستي وانما تخفف الراء مع فتح
الكاف بمعنى كريم او كرام او كسرها على لفظ الجمع وكان صاحب مذهب في العقائد وغيرها وله
رواية في الحديث وكان يجوز الكذب عن النبي صلى الله عليه وسلم في الترغيب والترهيب لانه له

لاعليه

لاعليه فعليه ما عليه ومات بالقدس في صفر سنة خمس وخمسين ومائتين **في تطويل الجمر**
في بيان مقالتهم وتاييدها **وتهويل** اي تخويف وتشنيع لمن عدل عن مذهبهم في هذا **ليس عليه**
تعويل اي هو مع ذلك ساقط ضعيف لا يعتمد عليه ولا يلتفت اليه ويجوز ان يريد بالتهويل
تزيين الباطل وزخرفته ففي القاموس التهويل الالوان المختلفة وزينة النصارى وهذا اقرب
لتسمية المصنف **واما الوحي فاصله** اي معناه الحقيقي الذي وضع له اولا **الاسراع** وفي الحديث
اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان شرا فانته وان كان خيرا فتوجه ● اي اسرع فيه وانما المكث
وقال الاعشى :

بمثل ريح المسك ذاك ريحها ● صبتها الساقي اذا قيل توح ●

ويقال اوحى بمعنى اومى او تكلم بكلام خفي **فلما كان النبي يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل سمي**
اي ما ياتيه من ربه **وحيا** اي يتلقى بسرعة فاطلق عليه المصدر مبالغة ثم صار حقيقة في كل
ما يوحى اليه **وسميت انواع الالهامات وحيا** كقوله تع واوحى ربك الى النحل **تشبيها بالوحي**
الالهي في سرعة وقوعها في القلب فهو استعارة تحقيقية والالهام القاء امر في الروع باعث
على الفعل والترك **وسمي الخط وحيا** على الاستعارة التحقيقية ايضا او المجاز المرسل **لسرعة يد**
كاتبه هو وجه الشبه بينهما **ووحي الحاجب واللحظ** هو في الاصل مؤخر العين ثم اطلق على النظر
فيقال لحظه بعينه وهو هنا مستعار **لسرعة اشارتهما** اي حركتهما بسرعة للاشارة بهما
ومنه اي من اطلاق الوحي على الاشارة **قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي**
اوما بهمزة في آخره وقد استعمل منقوصا ايضا بالالف كاوحى لفظا ومعنى **ورمز** بتخفيف الميم
اي اشار بالعين او الشفة **وقيل** معناه هنا **كتب** لان الوحي يكون بمعنى الكتابة كما تقدم **ومنه قو** لهم
اي قول العرب **الوحا الوحا** بفتح الواو والمد والقصر ويقال الوحاك بكاف الخطاب ايضا كما
في الاساس وهو منصوب بفعل مقدر للاغرا **اي السرعة** والعجلة **وقيل اصل الوحي لغة السر**
والاخفا ومنه اي من كونه بمعنى الاخفا **سمي الالهام وحيا** لخفائه وهو اظهر مما تقدم من
ان معناه السرعة **ومنه** اي من هذا القبيل **قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم**
اي من تولاهم ويصادقهم من المشركين **اي يوسوسون في صدورهم** اي يلقون في قلوبهم
والمراد بالشياطين مردة الجن والمراد باوليائهم كفرة قريش او مردة الانس من مجوس وفارس
والوسوسة كالالهام الالقا في القلب الا ان الاول يختص بالخير وهذا بغيره ولذا اتبعه بقوله
ومنه قوله تعالى **واوحينا الى ام موسى** ان ارضعيه **اي القي** بيناه للمجهول **في قلبها** مناما او
الهاما وقيل انه وحي حقيقي كالوحي للانبيا وقد قيل ذلك التفسير السابق **في قوله تعالى وما**
كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه دون واسطة والذي رجحوه في هذه
الآية ان المراد بالوحي في الآية المشافهة بكلام الله تع لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
وكلامه لموسى وحديث ابي ذر هو هذا قال دخلت المسجد فاذا رسول الله جالس فجلست اليه فقلت
بابي انت وامي امرتني بالصلاة فاي الصلاة قال خير موضوع استكثر منه او استقل قال فقلت
فاي الاعمال افضل قال ايمان بالله وجهاد في سبيل الله فقلت اي المؤمنين اكملهم ايمانا قال احسنهم
خلقا فقلت اي المسلمين اسلم قال من سلم المسلمون من يده ولسانه فقلت اي الهجرة افضل قال هجر
السيئات فقلت اي الصلاة افضل قال طول القنوت قلت اي الليل افضل قال جوف الليل الغابر
قلت فاي الصيام افضل قال فرض مجزي وعند الله اضعاف كثيرة قلت اي الصدقة افضل
قال جهد من مقل يسير الى فقير قلت فاي الرقاب افضل قال اغلاها ثمنا وانفسها عند اهلها قلت

الألوكة www.alukah.net

فاي الجهاد افضل قال من اهرق دمه وعقر جواده قلت فاي شي اعظم مما انزل الله قال اية
الكرسي يا اباذر ما السموات السبع والارضون السبع في الكرسي الا كحلقة ملقاة في فلاة من الارض
وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على الحلقة قلت بابي انت وامي يا رسول الله فكم الانبيا
فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قلت فكم الرسل من ذلك قال ثلثمائة وثلاثة عشر جم غفير
قلت فمن كان اولهم قال آدم قلت نبي مرسل قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه
يا اباذر اربعة سريانيون ادم وشيث وخنوخ وهو ادريس وهو اول من خط بالقلم ونوح واربعة
من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يعني نفسه وابراهيم وسائرهم من بني اسرائيل فاول الانبيا
آدم وآخرهم انا واول بني اسرائيل موسى وآخرهم عيسى قلت فكم كتابا انزله قال مائة كتاب
واربعة كتب انزل على شيث بن آدم خمسين صحيفة وانزل على خنوخ ثلاثين صحيفة وانزل على
ابراهيم عشر صحايف وروي عشرون وانزل على موسى قبل التورية عشر صحايف وانزل التورية والانجيل
والزبور والفرقان قلت فما كان في صحف ابراهيم قال كانت امثالا كلها منها ايها الملك المغرور
المسلط اني لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن لترد عني دعوة المظلوم فاني لا اردها
وفيها على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله ان لا يكون ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاد وحرفة لمعاش
ولذة في غير محرم (ح)

فصل

اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبيا معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها والعجز
عند العرب ان لا يقدر على ما يريده يقال عجز بفتح الجيم يعجز بكسرها ويقال ايضا بكسر الجيم في
الماضي وفتحها في المضارع كما حكاه الاصمعي وغيره ويقال اعجزه كذا اذا فاته وقيل المعجز في
الحقيقة هو الله خالق العجز فيمن تحدى فلم يقدر على المثل فان خرجت عن مقدورهم لا يتصور
فيهم العجز لعدم قدرتهم وما لم عليه قدرة لا يتصور عجزهم عنه ايضا فان العجز يقارن المعجوز
عنه فلو عجزوا وجدت المعارضة منهم ولم توجد فالمعنى مجاز امتناع المعارضة وانتفاء القدرة
وتحقيقه ان الاعجاز اثبات عجز المرسل اليهم فاستعير لاظهار العجز واسند لسببه الذي هو
اظهار الخوارق وجعله اسما له فالتا للنقل من الوصفية الى الاسمية او للمبالغة كما علامة وفيه
بحث لا يخفى وهي اي المعجزة على ضربين اي هي اسم شامل لنوعين مقدور وغير مقدور وضرب
هو من نوع قدرة البشر اي مقدور الذي يمكنهم الاتيان بما يماثله من نوعه فعجزوا عنه
الفا فصيحة اي فطلب منهم فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه اي جعلهم عاجزين والمصدر مضاف
لمفعوله اي تعجيز الله اياهم فعل الله دل على صدق نبيه اي خلق العجز فيهم ومنعهم عما من شانهم القدرة
عليه في قوة قول الله صدق عبدي فيما ادعاه والعادة جارية بان يعقبه علم ضروري
بصدقه كصرفهم عن تمني الموت اي منع اليهود عن تمني الموت لما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه
وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا فكذبهم الله والزمهم بقوله قل ان كانت لكم الدار الآخرة
عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين اي قل لهم يا محمد اذا كنتم احباب
الله والجنة مختصة بكم فاطلبوا الموت فان من احب الله احب لقاءه ومن كانت دار الجنة بادر
لدخولها فلم يتمنه احد منهم ولو بلسانه لصرف الله لهم عن ذلك ولذا ورد لو تمنوه لم يبق على
وجه الارض يهودي وهذا اعظم حجة على صدقه صلى الله عليه وسلم كما قاله المفسرون وهذا وان كان
تركا وعدما متضمن لمعنى وجودي وهو السكوت والخوف ونحوه فسقط ما قيل ان المعجزة فعل خارق ابن فارس

وليس هذا من قبيل الافعال وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن على راي بعضهم القايل
بان اعجازه بالصرفة اي بصرف العرب الفصحاء عن معارضته مع تحديه لهم وتقريعهم بذلك
على رؤس الاشهاد حتى عدلوا عن مجادلة اللسان الى مجالدة السيوف كما هو مشهور معروف وهذا مذهب النظام
وبعض المعتزلة والشيعة فقيل صرفهم بان لم يكن دواعي وبواعث لذلك وقيل سلبهم المعارف
المركوزة في طباعهم من معرفة فنون البلاغة واساليبها على القولين المشهورين في الصرفة
والذي عليه الجمهور المحققون ان اعجازه انما هو بما تضمنه من الفصاحة والبلاغة وغرابة الاسا لب
وبلاغة التراكيب وجزالتها وانواع البديع ومطابقة المقامات وبدايع الفواتح والمقاطع
وروائع الاستعارات الى غير ذلك مما خرج عن طريق البشر وبلغ الى ذروة لا يصل اليها خطر
والافكار رغم حلاوة وطلاوة ويقين السامع الى غير ذلك مما قرروه وقيل اعجازه بما فيه من المغيبات
وقيل بجميع ذلك والاقوال معروفة مقررة في الاصول والمعاني وغيرها من كتب السلف
ونحوه مما نوعه مقدور لهم وضرب من المعجزة هو خارج عن قدرتهم اذ تحداهم به فلم يقدروا
على الاتيان بمثله كاحياء الموتى الذي وقع لابراهيم ولعيسى فما قيل انما كان من عيسى
معجزة له انما كان من الله لا منه يشهد له واحيي الموتى باذن الله وتخرج الموتى باذني لا وجه
له وهذا ايضا مما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم فيما وقع لابويه على الصحيح وقلب العصا
حية لتسعى معجزة لموسى صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم وسياتي انه ما من معجزة لنبي من الانبيا
الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها او زيادة واخراج ناقة من صخرة بلا واسطة واسباب معتادة
معجزة لصالح لما اقترح عليه جندع بن عمرو سيد قومه ان يخرج لهم من صخرة اسمها الكاثبة ناقة عشرا
فصلى ودعا ربه فتمخضت تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء وهم ينظرون ثم نتجت
مثلها في العظم فامن جندع في جمع من قومه وتمادى غيرهم في الكفر حتى عقروا الناقة فاخذتهم
الرجفة وكلام الشجرة وفي نسخة الشجر وهذا مما وقع لنبينا ومثله حنين الجذع المشهور ونبع الما
من الاصابع من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وهذا مما وقع له صلى الله عليه وسلم كما سياتي ولله
در الابوصيري في قوله في قصيدته عارض بها بانت سعاد حيث

ومنبع الماء عذب من اصابعه • وذاك صنع به فما جرى النيل •

وانشقاق القمر معجزة له صلى الله عليه وسلم حتى صار فلقتين شاهده الناس وبه فسر قوله
تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر ولعل النوبة تقتضي لتفصيله وهذا النوع كله واشباهه مما لا يمكن
ان يفعله احد الا الله عز وجل فيكون اجراء ذلك على يد النبي اي وقوعه من نبي من بيانه
بحسب الظاهر فعله وهو في الحقيقة من فعل الله تعالى الذي اظهره على يده بقدرته وتحديه
بتشديد الدال المصدر مضاف للفاعل وهو ضمير النبي ويجوز عوده على الله لامره به وهو طلب
المعارضة والاتيان بمثله كما تقدم وهو مبتدا وقوله من يكذبه مفعوله وقوله ان ياتي بمثله
بتقدير الجار اي لان ياتي بمثله او بدل من تحديه او خبر وقوله تعجيز له خبر بعد خبر اي ليظهر عجزه
عن ذلك واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا وصدرت منه ودلايل نبوته وبراهين
صدقه عطف تفسير له كانشقاق القمر ونحوه مما تقدم وسياتي مما لا يحصى من ضربين النوعين هين
خبران اي بعضها مقدور وبعضها غير مقدور كالقرآن ونحوه وهو اي نبينا صلى الله عليه وسلم
اكثر الانبيا معجزة منصوب على التمييز اي معجزاته اكثر من معجزات سائر الانبيا وابهر آية بمعنى
والاية المعجزة لانها علامة للنبوة وابهر افعل تفضيل من بهر بمعنى ظهر او غلب يقال بهر القمر وبهر باهر

www.alukah.net

اذا ملا الارض وفي قول عمر بن ابي ربيعة
ثم قالوا اتحبها قلت بهرا • عدد الرمل والحصا والتراب •
وجوه ذكرها الادبا فالمعنى ان معجزاته اكثر واظهر واقوى واظهرهم برهانا هذا اعم مما تقدم
لان البرهان وهو الدليل القاطع اعم من المعجزة ويجوز ان يريد به المعجزة ايضا كما سنبينه
في آخر هذا الباب وفي قوله اكثر واظهر ما يدل على ان سائر الانبيا اتت بدلايل ومعجزات
وبراهين ومعجزات نبينا وبراهينه اقوى واكثر واظهر وانما تسمى بذلك كما تسمى به ايات
نبينا وقد اطلق عليها اية وبرهان الا انه لم يطلق عليها في القرآن معجزة قيل ولا في السنة
والمعجزة مخصوصة بالانبيا وخوارق الاوليا تسمى كرامة وقد يطلق عليها واطلق عليها المعجزة
ايضا الامام احمد بن حنبل واباه غيره وهي اي معجزاته لا يحيط بها ضبط اي لا يحيط بها
حصر وعدد او حفظ لان الناس يطلقونه على هذا تجوزا من الضبط بمعنى الاخذ باليد والحفظ
بمعنى الصيانة واما اطلاقهم الضابط على القاعدة الكلية فمولد من كلام المصنف ووجه التجوز
فيه احاطته بافراده ففي كلامه استعارة مكنية وتخييلية ولم يتعرض له في الاساس ثم بين
ذلك بقوله فان واحدا منها اي معجزة واحدة من جملة معجزاته وهو القرآن فانه بجملته معجز
وكذا اياته وسوره قال الامام مجد الدين في نهاية العقول التحدي وقع مرة بالقرآن كقوله
على ان ياتوا بمثل هذا القرآن ومرة بعشر سور كقوله بعشر سور ومرة بسورة كقوله فاتوا بسورة
من مثله ومرة باية كقوله فلياتوا بحديث مثله وذلك نهاية التحدي وهو كقول الرجل لمن يفاخره
هات قوما كقومي هات كبعضهم هات كواحد منهم انتهى والى هذا اشار المصنف بقوله
لا تحصى اي لا تعد وتنضبط وكانوا يعدون ما كثر بالحصى ثم استعمل في مطلق العد ولذا
قال الاعشى ~ ولست بالاكثر منهم حصى • وانما العزة للكاثر •
عدد معجزاته اي معجزات القرآن بالف ولا الفين لما في كل اية منه من الاعجاز ولا اكثر من
ذلك لما في الفاظه من البلاغة وفنونها كالتوكيد والتلميح والتشبيه والاستعارة والايجاز
وحسن الفواتح والخواتم والفواصل الى غير ذلك مما لا يحصى لانه صلى الله عليه وسلم قد تحدى
اي طلب مثلها من بلغاء قريش بسورة منه فعجز عنها فاعل عجز من تحداه المعلوم مما قبله او هو
مبني للمجهول وهذا اولى قال اهل العلم بالقرآن وبلاغته واقصر سورة من القرآن وهو منون
او هو جمع مضاف لضميره انا اعطيناك الكوثر سميت بجزئها هذا كما تسمى سورة الكوثر لذكره
فيها لانها ثلاث ايات وسورة قل هو الله احد كذلك وسورة النصر الا ان حروف هذه اقل منها
فكل اية طويلة من القرآن بعدد حروفها ومقدارها او ايات منه اي القرآن بعددها بعدد
الكوثر ايات وحروفا وكلمات معجزة للبلغاء عن معارضتها لما فيها من البلاغة وهذا بيان
اقل مراتب الاعجاز فيه ومنه تعلم كثرته ثم فيها نفسها اي في سورة الكوثر معجزات كثيرة
على ما سنفصله نبينه تفصيلا فيما انطوى اي اشتمل القرآن عليه من المعجزات التي لا
تحصى ولا تحصر ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين اي علم واستقر انقسامها انقسام
الكلي الى جزئياته فسببه استقراؤها باعتبار الكلي على جزئياته لانها اما ان تعلم علما يقينيا قطعيا
او لا فالاول قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقرآن فلا مرية بكسر الميم وضمها
وسكون الراء المهملة ومثناة تحتية وهي الشك والتردد كما تقدم بيانه ولا خلاف بمجي النبي
به الباء الاولى بمعنى في والثانية صلة المجي ولا خلاف ولا مرية في ظهوره من قبله بكسر

القاف

القاف وفتح البا الموحدة ومعناه جهته وجانبه كما سياتي في قوله من قبل الله على ما فيه
واستدلاله اي استدلال النبي على صدقه ونبوته بحجته الاضافة بيانية اي بحجة هي
القرآن وان انكر هذا المذكور الذي لا مرية فيه معاند جاحد اي منكر له عنادا مع علمه
به فهو كانكاره وجود محمد في الدنيا وهو سفسطة وانكار للمحسوسات التي لا تسمع ولا
تصدر من عاقل وانما جاء اعتراض الجاحدين اشارة الى ان انكارهم لما علموا اخلاف في الحجة به
اي الاحتجاج به وانه كلام الله كقول المشركين هذا سحر مبين واساطير الاولين وما انزل الله
على بشر من شي الى غير ذلك فهو اي القرآن في نفسه اي في كلامه المفرد وجميع ما تضمنه
واشتمل عليه من معجز اي من كل امر معجز كالبلاغة والاخبار عن المغيبات معلوم ضرورة
علما ضروريا لمن كان من اهل البلاغة ولذا قال الوليد بن المغيرة لما سمعه ان له حلاوة وان عليه
طلاوة واسفله مغدق • واعلاه مثمر • وما هو من كلام البشر • والفضل ما شهدت به الاعداء •
ووجه اعجازه معلوم ضرورة عند اهل اللسان لا عند كل احد لما فيه من فنون البلاغة ونظرا
اي استدلالا لا عند غيرهم او لافتقار بعض وجوهه اليه كما سنشرحه ونبينه قريبا قال
بعض ايمتنا اي علما الحديث والتفسير لا المالكية اذ لا اختصاص لما ذكر بمذهب ويجري
هذا المجرى بفتح الميم اسم مكان او مصدر ميمي اي يقارب ما تقدم ويشبهه لان ما جرى
في مجرى شي سواء على الجملة اي اجمالا من غير تفصيل لوجه المشابهة وفاعل يجري ما انفرد
جرى على يديه اي صدر منه ايات وخوارق عادات عطف تفسيري او من عطف
الخاص على العام والاول اولى ان لم يبلغ اي يصل واحد منها معينا اسم مفعول حال من النكرة
لوصفها ولو وقع كان اولى القطع فالجزم مفعول يبلغ فيبلغه جميعها اي مجموعها وهذا يسمى
التواتر المعنوي كشجاعة علي وزهد الحسن البصري فان كل حال من احوال هؤلاء لم يبلغ
مبلغ التواتر ومجموعها اجمالا يبلغ ذلك بحيث لم تبق شبهة فيه كنزل تبله الجبابرة كما ان هروه
من خوارق عاداته وانقياد الملوك وغير ذلك فلا مرية في جريان معانيها على يديه
مشهورة ناطقة بتصديقه شاهدة برسالته ولا يختلف مومن ولا كافر من الامم السالفة
انه اي بينهم قد جرت على يديه عجائب اي امور خارقة للعادة حيرت ابصارهم والبا بصر
حتى تعجب المتعجب منها وانما وقع خلاف المعاند في كونها اي تلك العجائب صادرة من قبل
الله ثم بكسر القاف وفتح الباء اي من المبدي للفياض المبدع البدايع وقد قدمنا اولا بيانه
كونها من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله اي الله عز وجل لرسوله صدقت في نبوتك وما
ادعيته ومعنى بمثابة منزلته وفي حكمه مفعلة من ثاب اليه كذا اذا عوضه ومنه الثواب بالثاء
المثلثة لجزاء الطاعة والجاحد المعاند يزعم تارة انه سحر وكهانة واذا ما سمع من كلام السحر والجان د
كلام جن سحرها الى غير ذلك من الخرافات التي صاروا بها سخرة اذا عرفت هذا فقد علم وقوع مثل
هذا الذي وقع للانبيا والامم السالفة مما علمه كل مومن وكافر وبر وفاجر ايضا كما وقع
لاولئك من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ضرورة اي علم علما ضروريا متواترا تواترا معنويا
لاتفاق معانيها اي لتوافقها كلها في معنى واحد كما يعلم ضرورة جودة حاتم الطائي
وشهرته تغني عن ذكره واخباره في الجود مشهورة ايضا وكان في الجاهلية قريبا من مبعثه
صلى الله عليه وسلم وادرك ابنه عدي الاسلام وصار من كبار الصحابة وشجاعة عنترة
بالهاء ويقال له عنتر ايضا وهو عنترة ابن معاوية بن شداد العبسي وهو علم منقول من عنتر وهو

شبكة الألوكة
www.alukah.net

نوع من الذباب ان رق وبونه اختلف في زيادتها وهو من فرسان العرب وفصحائها المشهورين
وحلم احنف بن قيس التميمي ادرك الاسلام واسلم وله كلمات من الحكم مشهورة في كتب وعنه
في الحلم حكايات عجيبة وكان من المخضرمين لكنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم وهو من كبار
التابعين واحنف بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة معناه مائل الرجل ثم وضح ذلك على طريق
اللف والنشر المرتب فقال **لاتفاق الاخبار الواردة** اي المروية **عن كل واحد منهم** ثم ابدل
من قوله عن كل واحد قوله **على كرم هذا** يعني حاتما **وشجاعة هذا** يعني عنترة **وحلم هذا** يعني احنف
واشار بهذا الى ان العرب ذكرهم وحضورهم في الذهن **وان كان كل خبر** من اخبار هؤلاء الثلاثة **بنفسه**
اي وحده **لا يوجب العلم** القطعي **ولا يقطع بصحته** لعدم تواتره بانفراده وانما المتواتر ما
يحصل من مجموعها كالكرم والشجاعة والحلم والحاصل ان ما جرى على يديه تواترا معنويا لا لفظيا
والمعنوي هو حصول العلم القطعي من مجموع امور جزئية واخبار واردة مستفيضة كما اذا اخبر واحد
بان حاتما اعطاه دينارا واخر بانه وهبه غنما واخر بانه كساه واخر بانه ذبح له فرسه فقد اتفقوا
كلهم على مطلق الاعطاء والتواتر الحقيقي اذ يخبر جماعة عن جماعة الى يومنا تواطؤهم على الكذب
في خبر واحد متفق اللفظ والمعنى وكلاهما يفيد علما ضروريا يعني ساعة من غير حاجة الى نظر واستدلال
بشروط معروفة في الاصول خلافا للامام الحرمين والرازي فانه عندهما يفيد علما نظريا لتوقفه على
مقدمات اخر ولا يشترط فيه عدد مخصوص ولا اسلام **والقسم الثاني** من المعجزات جمع معجزة
وقيل جمع معجز لانه لما لا يعقل **ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع** عطف تفسيري اي لم يصل
الى مرتبته **وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر** اي له شهرة وشيوع بين الناس وتسميه المحدثين
مشهورا ومستفيضا **رواه العدد الكثير وشاع الخبر به عند المحدثين** الحفاظ الذين رووه
وهو لا يبلغ رتبة المتواتر المفيد للعلم الضروري ولا النظري وذهب بعض الاصوليين الى انه
يفيد العلم القطعي وقيل انه يفيد العلم النظري والمشهور انه يفيد الظن فلا بد ان يكون شهرته
عن اصل ورواته فاذا اشتهر لا عن اصل وهو المسمى بالمشهور على السنة لا يعتد به المحدثون ما لم
يعلم اصله فاذا علم ذلك تقوى بشهرته في الجملة **والرواة ونقلة السير** جمع ناقل بفتحتين ككاتب
وكتبة والسير جمع سيرة وهي اخبار المغازي والاخبار عطف تفسيري **كنبع الماء من بين اصابعه**
صلى الله عليه وسلم **وتكثير الطعام** الذي رواه انس وغيره كحنين الجذع وكلام الضب والذراع
الذي رواه الشيخان وغيرهما **ونوع منه** لم يشتهر ولم يتواتر بل **اختص به رواته الواحد والاثنان**
ورواه العدد اليسير اي القليل **ولم يشتهر اشتهار غيره** كالقسم الاول والنوع الاول من القسم
الثاني ويسمى عزيزا وهو لا يفيد العلم الا بقرينة كما في جمع الجوامع وقيل لا يفيده مطلقا وقال
احمد انه يفيد العلم مع عدالة رواته لوجوب العمل به ولو لم يفده لم يجب العمل به وله ادلة مذكورة مع
الجواب عنها في الاصول لكنه اذا اجمع الى مثله من احاديث المعجزات **اتفقا في المعنى** من اصل
الاعجاز وثبوته كما اشار اليه بقوله **على الاتيان** اي اتيان النبي بالمعجزة كما قدمناه من جريانها
على يديه وانضمام بعضها الى بعض المقوي له **قال المص وانا اقول صدعا بالحق** تقديم المسند
لافادة التقوية ويجوز ارادة انفراده بعبارته المخصوصة ومجموع ما قاله وقوله صدعا اي صادعا
فهو حال او مفعول لاظنه او مطلق لمقدر او لاقول لانه بمعناه كقوله فاصدع بما تؤمر مستعار من صدع
الزجاج ونحوه من الاجرام الصلبة لاظهار الحق والجهر به كانه يصدع قلبه اذ يصدع شبهة ويبطلها
او من انصداع الفجر لظهوره ويقال للعرض صدع لهذا **ان كثيرا من هذه الايات والمعجزات المأثورة عنه**

اي المروية

اي المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم **معلومة بالقطع** للتواتر حقيقة او معنى **اما**
انشقاق القمر اي اما معجزاته فانشقاق القمر له بمكة حين سأله كفار قريش غير ما جاء به اولا
فاراهم ذلك لا يحتاج هو ظاهر **والقرآن نص بوقوعه** اي صرح به في قوله تعالى اقتربت الساعة
وانشق القمر ولتضمنه معنى صرح عداه بالباء والا فهو متعد بنفسه فلا تتوارد كذلك لفظا على القراءة
المشهورة ومجيئه فيه يأبى تأويله بان معناه انه سينشق اذا قامت القيامة والتعبير عنه بالماضي
لتحقق وقوعه فهو استعارة تبعية وقرينتها اقترانها بلفظ الساعة فلا يرد عليه انه ليس بعد
قرينة تصححه كما توهم الا انه لا يدفع كونه خلاف الظاهر **واخبر بوجوده** في هذه الاية وقراءة
انشق تؤيد التاويل فقد تعارضا ويترجح الاول انه الاصل والمتبادر منه **ولا يعدل عن ظاهر**
بالتنوين اي عن ظاهر القرآن الا بدليل قوي يقتضي العدول عنه وتاويله بما تقدم وقولهم انه لو
وقع شاهده الناس كلهم يرده انه آية ليلية قد تخفى على بعض الناس **وجاء برفع احتماله صحيح**
الاخبار اي احتمال خلاف الظاهر ورد في الاخبار الصحيحة ما يرفعه ويدفعه كما سيأتي
من طرق كثيرة توجب حمل الاية على ظاهرها لا سيما وقد رواه في الصحيحين وقد قال خاتمة الحفاظ ظ
ابن حجر انما روي في الصحيحين يفيد علما نظريا والكل متواتر وقد صرح بهذا قبله ابن اسحاق
الاسفرايني والحميدي وابو الفضل بن طاهر فان وورد من طرق اخر زاد
قوة وبلغ العلم المستفاد منه مرتبة تقرب من القطعي ثم اشار الى انه لا يلتفت لخلاف من خالف
في مثل هذه المطالب فقال **فلا يوهن** بالتخفيف والتشديد اي يضعف **عزمنا** اي ما عزمنا
عليه وقصدناه جزما من اثبات هذه المعجزات وحمل النصوص الواردة بها على ظاهرها من غير تاويل
خلاف اخرق بالاضافة اي مخالفة شخص احمق واصله الذي لا يحسن العمل بيده كانه يخرق ما يريد
رتقه وقال الثعالبي في فقه اللغة في انواع الحمق اولها احمق ثم ابله فان كان معه عدم الرفق
فهو اخرق فالحاصل ان المخالف في مثله جاهل لا دراية له ولا معرفة بالاحاديث ثم وصف المخالف
بقوله **منحل عرى الدين** بالجر صفة اخرق اي هو مع جهله قليل الدين ضعيفه لعدوله عن ظواهر
النصوص وتشبثه باذيال الشبه وعرى بضم العين المهملة وفتح الراء المهملة والف مقصورة
جمع عروة وهي ما يعقد في الحبل ليتمسك به وقال الراغب العروة مقصور الناصية ومنه العروة
وهو ما يتمسك به قال تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى وهو على طريق التمثيل انتهى فان شبه الدين
بالعروة فهو من اضافة المشبه به للمشبه كلجين الماء وان شبه بالحبل للتوصل به لما يعلو كما في
الحديث كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض فان الحبل مستعار في كلام العرب كقوله
اني بحبلك واصل حبلي • فهو استعارة مكنية وتخييلية والمراد انه غير متمسك بالدين
ولا يلتفت الى سخافة متبدع الالتفات الانصراف النظر الى شيء ثم صار كالنظر كناية عن الرعاية
بلطف واحسان ومنه قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيامة والسخافة اصلها عدم احكام النسج ثم تجوز
به عن قلة العقل فيقال هو سخيف العقل لمن عقله وفكره غير قوي والمبتدع مرتكب البدع وهو الحدث
على خلاف الشرع وقوله **يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين** اشارة الى ما هو من شأن
اهل البدع من القائهم الشبه والمشكلات على الضعفاء العقول من المؤمنين وخصهم بذلك لان
غيرهم لا يقبل مثل هذه الآراء الواهية واما ضعيف العقل فقد يأخذ باقوالهم ويفتتن **بل يرغم**
بهذا انفه اي يرد ما قاله ويظهر جهله وسخافة عقله حتى يفتضح ويذل ويخزى لان اصله
ان يلصق انفه بالرغام وهو التراب فتجوز به عن الاذلال والتحقير وكني به هنا عما فسرناه به

وهذا اشارة الى ما ذكر من النقول الصحيحة التي لا تصرف عن ظاهرها بغير دليل **وينبذ بالعراء**
بحقه النبذ بنون وموحدة وذال معجمة يقال نبذه ينبذه كضربه يضربه اذا طرحه والقاه والعرا
بالمد المكان الخالي الذي لا ستره فيه وبالقصر الناحية ويقال عراه اذا قصده وبحقه قلة عقله
ودينه ومنه نبذ بحقه بالعرا اي القاه في مكان خال عن الناس وهو عبارة عن ابطاله بالكلية
وهذا ابلغ من عدم الالتفات الذي هو بمعنى الاعراض وعدم الاعتداد بالشي فهو اترق لان الاول
يكون مع استماعه وحضوره عنده وهذا انقاد له قرينة بالقاة فلا تكرار في كلامه وتفسيره باهماله
مهمل لا يلتفت اليه وحاصله ان انشقاق القمر في الاية على ظاهره لوروده في الاحاديث الصحيحة
من طرق متعددة فمن حمله على ان المراد انه سينشق اذا قامت القيمة يوم تشقق الغمام لم يات بشي
وان ارتضاه القشيري والماوردي لانه لو وقع شاع وذاع وملا الاسماع لانه آية عظيمة وقيل معناه
ظهر العرب تضرب المثل بالقمر لما وضح كما قال الشنفري في لامية العرب الامرلات
• تقدحت الحاجات والليل مقمر • وشدت لطيات مطايا وارحل •
وقيل معناه انشقاق الظلم عند طلوعه كما يقال انفلق الصبح وانشق كما قال النابغة
• فلما ادبروا ولهم دوي • دعانا عند شق الصبح داعي •
والداعي لهم على هذا عدم الوقوف على ما ورد في السنة والفهم لاقوال الحكما الذاهبين الى امتناع
الخرق والالتيام في الاجرام الفلكية ونحوه من الخرافات الفلسفية **وكذلك نبع الماء** من بين
اصابعه **وتكثير الطعام** القليل ببركته ووضع يده فيه **رواها** اي القصة الثقات من حفاظ
المحدثين **والعدد الكثير عن الجم الغفير** تقدم معناه مفصلا **عن العدد الكثير من الصحابة**
كالشيخين عن انس والبخاري قيل اشتقاله الجم الغفير مجرورا بالحرف والذي في كتب العربية
انه لازم النصب وجوز بعضهم رفعه كما تقدم ولا وجه له لان من لم ينقل الرفع ومن نصبه يجوز جره
ايضا اذ لا مانع منه **ومنها** اي رواية قصة تكثير الماء والطعام **ما رواه الكافة عن الكافة**
اي ما رواه جماعة عن جماعة ومثل هذه العبارة من تعريف كافة وجره وقع في كلام كثير من العلما
والفصحا وقد خطاهم فيه الحريري في درة الغواص وتبعه صاحب القاموس وغيره بنا على انه يلزم
تنكيرها ونصبها وقد صرح به كثير من النحاة قال في القاموس لا يقال جات الكافة لانه لا يدخلها
ال ولا تضاف ووهم الجوهري وقد بسطنا الكلام عليه في شرح الدرة وبينا انه مردود رواية
ودراية فانه يقع في كلام العرب فان اردت معرفة ذلك فانظره **متصلا عمن حدث بها** اي بتلك
القصة **من جملة الصحابة واخبارهم** بفتح الهمزة وكسرها مرفوع معطوف على قوله ما رواه **ان**
ذلك بفتح الهمزة اي بان الخ ويجوز كسرها **كان في موطن اجتماع الكثير منهم يوم الخندق**
بالمدينة وهو بفتح الخا المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وقاف وهو فارسي معرب كنشيه
بمعنى الحفر والمراد الخندق وتسمى غزوة الاحزاب لاجتماع احزاب المشركين واليهود بها حول المدينة
فامر النبي صلى الله عليه وسلم بحفر خندق حول المدينة اشار به سلمان ولم يكن ذلك معروفا عند
العرب وانما هو من مكايد الفرس وكان ذلك في شوال وقيل في ذي القعدة سنة اربع او خمس
من الهجرة النبوية وقد فصلوها في السير **وغزوة بواط** بضم الباء وفتحها وهو اسم جبل ايضا
من جبال جهينة بينه وبين المدينة اربع برد بقرب رضوى وهو جبل ايضا وهي التي ظهر بها النبي
صلى الله عليه وسلم بعير قريش سنة اثنتين ولم يكن بها حرب ايضا وبواط قيل فيه الصرف وعدمه
والظاهر الاول واشار بالاول الى قصة جابر لما دعى رسول الله لعناق ذبحها مع صاع من شعير خبزه

فاتاه

فاتاه صلى الله عليه وسلم ومعه ناس كثير وكان دعاه وحده فاكلوا وشبعوا وفضل ذلك
الطعام وكانوا نحو الف وقصة بواط انه وضع عنده ما قليل للوضوء فقال لجابر ادع الناس
فلما اتوا وضع يده الشريفة في الما فنبع الما من بين اصابعه حتى توضئوا كلهم كما ياتي **وغزوة**
الحديبية بالجر عطف على المجرور بمن قبله والحديبية مصغر كن وهي اسم مكان او بير قرب
قريبة من مكة سميت بشجرة حدبا فيها وهي التي وقع بها بيعة الشجرة وهي بتخفيف اليا الثانية
على الصحيح وشددها بعضهم واليه ذهب كثير من المحدثين وكانت في سنة ست والاية التي
كانت فيها انه صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا فلما وصل اليها صده المشركون عن البيت وكان بين يديه
ركوة فتوضا منها وما البير قليل جدا لا يكفي الناس وشكوا العطش فنزع سهما من كنانته واعطاه
لناجية بن عمير فغرزه في البير فجاش ماؤها وجارية من الانصار معها دلو فاقبلت به على ناجية
وهو في القليب وقالت
• يا ايها الماتح دلوي دونكا • اني رايت الناس يحمدونكا •
• يثنون خيرا ويمجدونكا • ارجوك للخير كما يرجونكا •
الى اخر ما فصل في السير وسياتي بتمامه **وغزوة تبوك** في السنة التاسعة من الهجرة
او الثامنة وهو اسم موضع بين الشام والمدينة غير مصروف سميت بعين بها امرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لا يمسوا ماءها فسبق رجلان بسهمين جعلاها فيها ليكثر ماؤها فوجدها
وقال لهما ما زلتما تبوكانها اي تحفرانها ليخرج ماؤها واشار المصنف الى الاية فيها رواها ابو هريرة
وهي ان الناس اصابتهم مجاعة فقال عمر يا رسول الله ادع بفضل الازواد فدعا بنطع وبسطه ودعا
بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجي بكف من ذرة والاخر بكف تمر والاخر بكسرة فاكلوا وافضل وافي به
حتى ما بقي في العسكر وعا الا ملؤه واكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة وعد المصنف لكل اية
فصلا سياتي **وامثالها من محافل المسلمين** مجرور معطوف على موطن بمعنى محل واصله محل
التوطن والضمير للغزوات المذكورة والمحافل جمع محفل من حفل القوم اذا اجتمعوا وكثروا وقيل المحفل
مجمع الرجال والماتم مجمع النسا والنادي مجمع الناس في النهار ودار الندوة والمصطبة مجمع
الغربا وقيل محل اجتماعهم لامورهم والمجلس مقعد الناس في بيوتهم والخان محل المسافرين والحانوت
محل البيع والشرا وقد خص بمحل بيع الخمر **ومجمع العساكر** اي محل اجتماعهم وهو المعركة والعسا
جمع عسكر وهو الجيش والجمع الكثير مطلقا من الرجال والخيل وقيل انه معرب **ولم يؤثر** بالبنا
للمجهول اي لم ينقل من اثره اذا نقله ومنه الاثر بمعنى الخبر وقد خص بغير الحديث **عن احد من الصحا**
مخالفة للراوي نايب الفاعل فيما حكاه الراوي من الامور والايات المذكورة **ولا** نقل عن احد
انكار لما ذكر عنهم وذكر مبني للمجهول نايب فاعله **انهم راوه كما رآه** اي لم ينقل انكار بعضهم
راوا من النبي صلى الله عليه وسلم كما راه منهم الاخر بل سكتوا حتى سمعوا من بعض الرواة انه شاهد
بعض اياته صلى الله عليه وسلم **فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق** لانه في محل اقرار
اذهم المنزهون عن السكوت على باطل يسمعه من غيره ولا يصرح له بانكاره وكون السكوت
على اطلاقه كما ذكره الفقها واهل الاصول ولذا قالوا السكوت في محل الحاجة بيان **ولا المداهنة**
في كذب فان الصحابة كلهم عدول لا يخشون في الله لومة لائم والمداهنة الملاينة والمطاوعة
الا ان الفرق بينها وبين المداراة ان المداراة في الحق والمداهنة في غيره ولذا جعلت من الغش
قال تع افبهذا الحديث انتم مدهنون وهي استعارة من الدهن لين كلام صاحبه وجانبه وهي

الألوكة
www.alukah.net

مذمومة لانه نفاق **وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم** اي الصحابة ليسوا ممن يطمع
ويرغب في دنيا غيره ولا يخاف احدا عدل عن الحق لصلابة دينهم فلا يداهنون لان الحامل على
المداهنة هذان الامران فليس عندهم ما يمنعهم من الانكار على من كذب ولو كان الاحسن ان يتول
فلو بالفاء لترتبه على ما قبله **ما سمعوه منكرا عندهم** اي في اعتقادهم **وغير معروف لديهم**
اذ لم يبلغهم عن رسول الله مثله **لا انكروه** على قائله تنزها عن الاقرار على الباطل وما يخالف
الظاهر واحتمال ان غيرهم سمع ما لم يسمعه وحمل قائله على الصلاح فغير متات هنا لان الصحابة
في العصر الاول كان عندهم حرص على معرفة احواله واقواله لتوفرد واعيهم على نقلها والعمل
بها والمعجزات المتحدي بها لغرابتها وعظمها ليس مما يخفى مثله ثم بعد عصرهم يجوز هذا لان خبر
الآحاد مقبول فتدبر **كما انكر بعضهم** اي بعض الصحابة **على بعض** منهم اشيا رأوها من السنن
اي سنن النبي جمع سنة بمعنى طريقته والمراد الاحاديث النبوية **والسير** جمع سيرة وهي
احوال الغزاة **وحروف القرآن** اي قراآته المتعددة فان كل وجه من القراءة يطلق عليه حرف
وبه فسر حديث انزل القرآن على سبعة احرف اي لغات ووجوه منقولة على المعنى المشهور
من معانيه وفي السنن الستة ان عمر انكر على هشام بن حكيم قراءة قراها في سورة الفرقان
لم يسمعها فجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال سمعت هذا يقرأ بغير ما اقرأتنيه فقال
اقرا يا هشام فقرا فقال هكذا انزلت ثم قال اقرا يا عمر فقرا فقال هكذا انزلت ان هذا القرآن
انزل على سبعة احرف فاقرؤوا ما تيسر منه وفيه بيان الحكمة وكما وقع بين عمر وابن عباس في
انكاره عليه ما قاله في نكاح المتعة وامثاله كثيرة في كتب الحديث **وخطا بعضهم بعضا
ووهمه في ذلك** يعني ان بعض الصحابة نسب بعضهم الى الخطا والوهم **اذا ذكر امرا لم يكن معروفا**
عندهم مما يتعلق بسنن النبي صلى الله عليه وسلم وسيره او بالقراآت وغير ذلك مما يتوقف على
ولا ينال بالرأي فانهم لا مداهنة عندهم ولا ممارأة في الحق الا ترى ان عمر مع جلالته لما قبل الحجر
الاسود وقال اني اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولكني رأيت رسول الله قبلك فقبلتك فسمعه
علي فقال له لا تقل كذا فان الله لما اخذ العهد على ذريات بني آدم اودع كتاب العهد فيه وقال
من قبله فهو وفي بالعهد فيشهد له الحجر بذلك يوم القيمة ودعا له وقال لا عشت لمعضلة ليس لها ابو الحسن
والوهم والخطا هنا بمعنى وروي وهنه بالنون من الوهن وهو الضعف في الرأي **مما هو معلوم**
بيان لذلك **فهذا النوع كله** من المعجزات المروية بطريق الآحاد ولم تشتهر اشتهارا يقرب من التواتر
يلحق بفتح اوله وضمه اي يعد من قبيل **القطعي لما بيناه** من نقل بعض الصحابة نقلا صحيحا وسكوت
غيرهم ممن بلغه فهو كالاجماع السكوتي وايضا لتناوله جد يؤيد كونه كالقطعي **فان مثل هذه الاخبار**
المتعلقة بالمعجزات الثابتة في عصر الصحابة لو لم تكن صحيحة وكانت من الاخبار **التي لا اصل
لها** روايته **وبنيت على باطل** بان كانت كذبا محضا تبطل وتضمحل **اذ لا بد مع مرور الازمان**
عليها في نقلها في عصر بعد عصر **وتداول الناس** اي تلقي الناس لها فيما بينهم عصرا بعد عصر
قال الراغب يقال تداول القوم كذا اذا تناولوه واخذه بعضهم من بعض قال تعالى وتلك الايام
نداولها بين الناس **واهل البحث** اي التفتيش عنها والمراد علما الحديث الذين يبحثون عن رواة
الحديث صحة وسقما **من انكشاف ضعفها** اي ظهوره **وخمول ذكرها** بان ينسى ولا يشتهر لها ذكر
لكونها لا اصل لها **كما يشاهد** بالمثناة التحتية او الفوقية ويجوز قراءته بالنون اي نعرفه
ونتحققه **في كثير من الاخبار الكاذبة** التي ظهرت في بعض الازمنة ثم تبين كذبها وصارت

كان لم تكن

292

ذ ب
كان لم تكن شيئا مذكورة كاخبار مسيلمة الكذاب واضرابه **والاراجيف الطارية** اي الكا
التي صدرت في بعض السنين الخالية والاراجيف جمع ارجاف بكسر الهمزة وفتحها وقيل انه جمع رجفة
من الرجف وهو الاضطراب والتحرك بحركات متوالية ولذا سمي البحر رجافا لاضطراب امواجه
وقال بعض الشعراء فيمن اصابته رعشة في يده هـ

ما كان من رجاف كفك منكر ● فالبحر من اسمائه الرجاف ●

وهي هنا بمعنى الاخبار السيئة التي تشيع بين الناس ثم تنسى لظهور كذبها والطارية بالهمزة
والياء التحتية من طرا اذا حدث وتجدد **واعلام نبينا** بفتح الهمزة جمع علم بمعنى علامة او راية
كثيرة والمراد معجزاته المعلومة المشهورة **هذه الواردة** اي المروية **من طرق الآحاد** بالمد
دت
اي رويت آحادا ولم تتواتر **لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا** ولو كانت غير صحيحة اردادا
خفا وضعفا **ومع تداول الفرق** اي تكلم الناس بها فرقة بعد فرقة وهو بكسر الفا وفتح الراء
جمع فرقة **وكثرة طعن العدو** من اعداء الدين الكفرة والطعن القدح والدخل بالمعارضة
يضيه
وحرصه على توهينها اي تضعيفها وفي نسخة بدل حرصه حضه بضاد معجمة اي حثه وحض
وتضعيف اصلها بالانكار والعناد وادعاء انها سحر وافتراء **واجتهاد الملحد** اي بذل
طاقته وقوته والملحد العادل عن الحق من الزنادقة وفي نسخة باجتهاد بدون ثاء اي اتعابه
نفسه وكدها **على اطفاء نورها** اي على ابطالها فشبه المعجزات بسراج ونار على علم في الظهور
والتحقق على طريق الاستعارة المكنية واضاف الاطفاء اليها على طريق التخييل وعدى الاجتهاد
بعلى مشاكلة لما قبله او ضمنه معنى الملازمة والاكباب فهم كما قال تعالى يريدون ليطفئوا
نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ومن حكم المتنبي ان الرجل ذو المروة والعقل لا يكون
خامل المنزلة غامض الامر فانه يترجح به مروته وعقله حتى يتبين ويعرف كالشعلة من النار التي
يضيئها صاحبها وتابى الا ارتفاعا ومنه اخذ ابن الرومي قوله هـ

كالذي طاطا الشهاب ليخفى ● وهو ادعى له الى التضريم ●

ومنه اخذ الارجاني قوله ●

ما لشانيك يلتظي من غروره ● وله اخر نزوت تحته ●
كلما رام منه للرأس رفعا ● زاد خفضا كانه نار شمعه ●

واحسن من هذا كله قولي في بعض الحساد ●

رام بالذل ان ينكس قدري ● حاسد زاد في سناه وساه ●
قلت ان الشهاب شعلة نار ● كلما نكسوه زاد ضياه ●

الا قوة وقبولا معطوف على قوله الا ظهورا كما ان قوله ومع تداول الفرق معطوف على قوله
مع مرور الازمان وفي نسخة الزمان وقوته بظهور حقيته وتيقنه وهو مقابل لما في ضده
من التضعيف والقبول باذعان العقول التسليمة له وهو مقابل لطعن الطاعنين وانكارهم
المستثنى
والطاعن اي المنتقص الذي يعيبها ويسعى في ابطالها والحاد والمجرور رجال من الاسما بعده
لو ربما كان صفة وعداه بعلى في قوله **عليها** لانه ضمنه معنى المتعدي عليها ولانه متعدي في
قوله **الاحسرة** وهي التاسف والندم على مهم فاته وايس منه **وغليلا** بالغين المعجمة واصله
حرارة وتلهف في الجوف من شدة العطش والمراد به هنا مجاز الحقد المضمر والحسد معطوف وانما
يشاركه في متعلقه الا ابتداء وتأمل فتدبر **وكذلك** اي كاعلامه بفتح الهمزة فيما ذكر من الازدياد

الألوكة
www.alukah.net

إخباره بكسر الهمزة مصدراً اخبر عن الغيوب جمع غيب وهو ما خفي علمه عن الناس كالرجال
والمهدي ودابة الارض وغير ذلك مما اخبر به بعض اصحابه وانباؤه بوزن اخباره ومعناه
بما يكون في المستقبل من اشراط الساعة وبما يقع بين امته من الفتن وغيرها وكان في الماضي
كاحوال الانبيا والامم السالفة ونحوه مما لا يعلم الا بوحي وحفظ الكتب الالهية التي لم يقرأها
ولم ير من عرفها معلوم انه من اياته ومعجزاته الخارقة للعادة اما الاول فظاهر واما
الثاني فلانه امي ولم يخالط من علم ذلك

كفاك بالعلم في الامي معجزة • في الجاهلية والتاديب في اليتم •

على الجملة بالضرورة اي معلوم بعلم ضروري مجموعة واجماله وان لم يكن كل فرد فرد كذلك
وهذا حق اي امر محقق متيقن لا غطاء عليه ظاهر منكشف من غير لبس وشبهة فيه
وقد قال به اي اعتقده وصرح به يقال قال كذا اذا نطق به وقال به اذا ذهب اليه واختاره
من ايمتنا المقتدى بهم من الاشعرية والمالكية القاضي ابو بكر الباقلاني الاصولي المالكي
لانه المراد به اذا اطلق وبه صرح صاحب المقتفي هنا قال والمراد بقوله والاستاذ ابو
بكر بن فورك كما تقدم في كلام المصنف وقيل المراد بالاول ابو بكر بن العربي شارح الترمذي
وبالثاني ابو بكر الباقلاني او العكس والاول مالكي والثاني عده المصنف من المالكية وعده
السبكي في طبقاته من الشافعية وقال التلمساني ان المراد بالثاني ابو بكر محمد بن الوليد
الفهري الطرطوشي والاستاذ بضم الهمزة واخره ذال معجمة معناه الماهر وهو معرب فارسيته
بالدال المهملة ومولدونه تزين به الطواشي وقد بسطنا الكلام في كتابنا شفاء الغليل فيما
في كلام العرب من الدخيل وغيرهما من الايمة اي ذهب هؤلاء كلهم الى انها معلومة بعلم ضروري
قطعي متواترة بحسب المعنى وان لم تتواتر مفرداتها وما عندي اوجب قول القايل وفي
نسخة تاخير ما عن عندي وهي نافية ومعنى عندي في اعتقادي وحكمي وهو متعلق باوجب
ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد اي من قبيل خبر الاحاد التي لا توجب وما
اوجب بمعنى اقتضى واستلزم والجا اعلم بالجيم لذلك الا قلة مطالعته للاخبار
النبوية ومطالعته الاطلاع عليها وروايتها وشغله بضم اوله اي اشتغاله بغير ذلك
من المعارف غير الاحاديث من العربية والامور والعلوم العقلية وفيه تاديبة مع العلما
وعدم المجاهرة بالقدح فيهم والا اي لم يقل بقلة اطلاعهم لاشتغالهم بما ذكر فمن اعتنى
اي كانت له عناية واشتغال بطرق النقل اي الامور النقلية السماعية وطالع الاحاديث
والسير النبوية بان درسها وقراها لم يرتب اي يحصل عنده ريبة وشك في صحة هذه
القصص المشهورة عند المحدثين والحفاظ على الوجه الذي ذكرناه من جمع طرقها وضم
بعضها لبعض حتى تقوى وتصير متواترة بحسب المعنى قيل وقوله لم يرتب فاض يرد اعتراضه
على من قال انها احاد اذ لم يرد به مجموعها بل جميع افرادها وفيه نظر ثم اشار الى دفع شبهة
هي انه لو كانت الاحاد تصل رتبة التواتر بالاعتنا بالنقول ومطالعة الاحاديث كانت
متواترة معنى عند غيره فقال ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر الحقيقي عند واحد
ولا يحصل عند اخر فيا الطريق الاولى التواتر المعنوي وقد قيل مثل هذا في البسملة وجمع
به بين الخلاف بين الايمة فان اثباتها في اوايل السور واسقاطها قرانا ان متواترتان
من السبعة كما قاله ابن حجر ومن تبعه وان خفي على كثير فان اكثر الناس من يعلمون بالخبر

المتواتر كون بغداد موجودة وهي المدينة المشهورة بدار السلام اما لسلامة اهلها
من فساد وتغير المزاج او لان نهرها يسمى السلام وهي فارسية معربة ومعناها محل البساتين
لان باغ معناه بستان وقيل بغ اسم صنم وداد معناه العطية اي عطية الصنم ولذا كره بعضهم
تسميتها بذلك وفيها ست لغات اهمال الدالين واعجامهما واهمال الاول واعجام الثاني وعكسه
وبغدان بالنون مع الاهمال وزاد يعقوب ابدال الباء ميما مع الدال والنون والاهمال والاعجام
والاهمال اصح وقال ابن نون ايضا فانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة بكسر اولهما
وهما بمعنى والخلافة هي الولاية العامة لانه خليفة رسول الله فهي السلطنة بحق وسميت امامة
لان الامامة والخطبة في عصر الرسول والخلفا الراشدين لازمة له لا يقوم بها غيره الا بطريق
النيابة عنه كالقضاء والحكومة ولذا احتاجت لتقليد السلطان ونحوه ومعنى دارها محلها
واول من بنى بغداد هذه ابو جعفر المنصور المعروف بالدوانيقي ثاني خلفاء بني العباس
واحاد بالمد جمع واحد لا يعلمون اسمها لعدم سماعه فضلا عن وصفها من كونها دار الخلافة
منزهة عظيمة البنا وفضلا منصوب بالمصدرية بفعل اولوية ما بعدها والكلام فيها مبسوط
في العربية مشهور بما ذكرنا لا اخر في الشرعيات فقال وهكذا اي مثل امر بغداد نعلم
الفقها من اصحاب مالك المقلدين مذهبه فيجوز بالصحة عما ذكر بجوزا مشهورا بالضرورة
اي بالعلم الضروري اي البديهي لا الاضطراري لتواتره عندهم فقوله وتواتر النقل عنه
متعلق له ان مذهبه ايجاب ام القران اي الفاتحة ووجه التسمية مشهور للمنفرد والامام
دون المأموم فان قراءة الامام قراءة له وان لم يسمعها ولا فرق بين الصلاة الجهرية وغيرها
وكذا مذهب الجمع كما فصل في كتب الفقه واجزاء النية اي نية صوم رمضان كله هو
في اول ليلة من رمضان عما سواه الضمير راجع لاول فلا يحتاج في بقية الشهر الى نية اخرى
اكتفا بتلك النية والاجزا بمعنى الكفاية والاغنا وقيل معناه سقوط القضا ورده الاصفهاني
في شرح المحصول والفرق بينه وبين الصحة مفصل في كتب اصول الفقه وان الشافعي يرى
من الراي بمعنى المذهب فمن مذهبه ان النية واجبة في كل ليلة لا منوبة وهذا معلوم بالضرورة
عند الفقها لتواتره عند اصحابه وغيرهم لان صوم كل يوم عبادة مستقلة تفتقر الى نية لحديث
لحديث انما الاعمال بالنيات والمراد الاعمال الشرعية اي انما صحتها وغيره يقدر انما كمالها كائن
في محله والاقتصار على مسح بعض الراس اي ونعلم ضرورة ان الاقتصار على مسح بعض الراس
مجز عند الشافعي لتواتر نقله عنه خلافا لمالك فانه يجب عنده مسح الراس كلها احتياطا
وان مذهبهما اي مالك والشافعي وجوب القصاص في القتل بالمحدد اسم مفعول مشدد الدال
وهو ما له حد خارج كالسيف ونحوه وغيره مما لا حد له كالعصا والحجر والسحر وايجاب
النية في الوضوء فهي واجبة عندهما لانه عبادة فلا بد من النية فيه ليكون قربة ولتتميز
العبادة عن العادة باخلاص العمل بالنية واشتراط الولي وهو من يكون له ولاية شرعية
على المنكوحة كالاب والسيد في النكاح اي في صحته وانعقاده كما فصل في كتب الفقه وان
ابا حنيفة النعمان بن ثابت الامام المشهور شهرة تغني عن ذكر ترجمته يخالفهما في هذه
المسايل فلا يوجب القصاص في غير المحدد بل الدية ولا يوجب النية في الوضوء وخالف
فيه بعض الحنفية كما في الاسرار للدبوسي ولا يشترط في النكاح الولي كما فصلوه بعين ادلة
مذهبه يخالف من هبهم في هذه المسايل فانه لم يرهم حتى يخالفهم والفقها يستعملون مثل هذه

الألوكة
www.alukah.net

العبارة كثيرا في كتبهم فيقولون خالف فلان في كذا فلانا وان تقدم عصره عليه **وغيرهم**
اي غير العلما واصحاب المذاهب **ممن لم يشتغل بمذاهبهم** اي مذاهب الفقها ومن ذكر من الائمة
ولا روى اقوالهم من قلدهم واشتغل بكتبهم **ولا يعرف هذا** الامر الذي وقع فيه الخلاف فيهم
من مذاهبهم واقوالهم **فضلا عما سواه** اي سوى هذا من دقايق المذاهب ومسايلها العزيزة
وعند ذكرنا احاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا بتفصيلها وذكر ما يتعلق بها من
الفوايد **ان شا الله**

فصل في اعجاز القرآن

اي في بيان اعجازه والقرآن بالهمز وقد يسهل ويبدل ووزنه فعلان على الصحيح وتقدم بيان
الاعجاز وهو جعل غيره عاجزا عن مثله وضده والاتيان بمثله **اعلم وفقنا الله واياك**
اي رزقنا التوفيق والجملة دعائية وتعترض باعلم تنبيها له على ان ما بعده امر مهم يلزم علمه
ان كتاب الله العزيز بفتح الهمزة وهو وما بعده ساد مسد مفعولي اعلم والعزيز بمعنى القوي
الغالب والذي لا نظير له ويجوز فيه الجر والنصب على انه صفة الله او الكتاب ولكن الاول توقفه
قطعا والمراد به القران لغلبته فيه وله معنيان الكلام النفسي وهو ما بين الدفتين وكلاهما
قديم عند بعض المحققين كالشهرستاني والكلام فيه مشهور والمراد هنا الثاني لانه هو المتصف
بالاعجاز **منطو** اي مشتمل ومحتمل افتعال من الطي وهو معروف **على وجوه من الاعجاز كثيرة**
اي انواع يعرف بها اعجازه وكونه لا يقدر عليه البشر **وتحصيلها** اي محصلها اجمالا فالمراد
بالمصدر اسم المفعول مبالغة كالدرهم ضرب الامير اي مضروبه والضمير للوجوه **من جهة**
ضبط انواعها اي حصرها وجعلها مضبوطة محفوظة في اربعة اوجه خبر تحصيل او متعلق
بقوله ضبط **اولها حسن تاليفه** اي نظم كلماته مؤتلفة متوافقة **والتيام كلمه** عطف تفسير
اي كونها متناسبة بحسب الدلالة بحسب مقتضى مقاماتها والكلم اسم جنس جمعي لكلمة كتمر وتمرة
لا جمع ولا اسم جمع على الاصح **وفصاحته** قدمها على البلاغة لتوقفها عليها بمعناها المشهور في
كتب المعاني ووجوه ايجازه اي قلة لفظه وكثرة معانيه ووجوهه معروفة في المعاني
وبلاغته الخارقة عادة العرب عادة بالنصب مفعوله خارقة بمعنى خارجة عن عادتهم
كما يقال خرق الاجماع اذا خالفه وخرج عنه بين ذلك فقال **وذلك** اي ما ذكر من عادتهم
لانهم اي العرب **كانوا ارباب هذا الشان** هو الامر العظيم والمراد به البلاغة وجعلهم
اربابها اي اصحابها المالكون لها الذين بيدهم ازمتها وهو مبالغة في اتصافهم بالفصاحة
والبلاغة **وفرسان الكلام** جمع فارس او جمع فرس الذي هو جمعه والفرس يكون ايضا جمع فارسي
بمعنى عجمي كما في شرح شواهد الايضاح ومنه قولهم لغة الفرس فشبه الكلام الذي تمكنوا من
التصرف فيه بجواد علوه وتنا بقوابه في ميادين البلاغة والبرهان وفازوا بقصب
السبق فيه **قد خصوا من البلاغة والحكم** اذ خصهم الله من دون الناس ببلاغة كلامهم المخصوصة
بلغاتهم وبما تضمنه من الحكم اي المعاني المتقنة ومما يحث على مكارم الاخلاق ومحاسن الصفات
وفيه كلام تقدم **بما لم يخص به غيرهم** قيل كان الظاهر ان يقول بما لم يوجد في غيرهم لكنه عبر
به تشاكلا لما قبله ولان نفي الوجود يفهم من اختصاصهم به دون غيرهم فلا يقال انه لا يلزم من
نفي الاختصاص نفي الوجود وهو المقصود وفيه بحث **من الامم** اي من جميع الامم السابقة واللاحقة
واوتوا بالبنا للمجهول اي اعطاهم الله **من ذرابة اللسان** اللسان الجارحة المعروفة والكلام

نفسه

نفسه والذرابة بذال معجمة وراء مهملة وموحدة اصل معناها حدة السيف والسنان ونحوه وقيل
هي ان يسقى السم والذرب السم فاستعير لطلاقة اللسان مع الخلو عن اللكنة قال

ارحني واسترح مني فاني • ثقيل محملي ذرب لساني

وهذا امر محمود وقد يكون بمعنى كونه سليطا صخابا فيكون ذما كالحدة قال تعالى سلقوكم بالسنة حداد
ما لم يؤت انسان اي ما لم يؤته غيرهم من الامم لكنه انما جيء به لقصد التعميم والخطابة كقوله
ومن فصل الخطاب اي الخطاب البين الفاصل عند المحاجة الذي لا لبس فيه ولا خفا كما تقدم
ما يقيد الالباب جمع لب وهو العقل وتقييدها بمعنى تحيرها اذا سمعته حتى كانها قيدت
ومنعت عن الحركة لدهشتها من حسنه وبراعته **جعل الله لهم ذلك** المذكور الذي خصوا به
طبعا وخلقة مركوزا في طباعهم لا بتكلف وتعلم وتعلمه لغيرهم غريزة اي جبلة وسجية مركوزة
فيهم **وفيه** المراد بالقوة مقابل الفعل وليس بمعنى الشدة وهذا استعمال المولد وهو قريب من
الطبيعة ايضا وتكرار الالفاظ المتقاربة لا باس به هنا لانه مقام خطابة او المراد بالقوة
القدرة اي هذا امر طبعهم الله عليه وجعل لهم زيادة قدرة فيه فلذا عقبه بقوله **يأتون منه**
على البديهة بالعجب اصل معنى البديهة المفاجاة ولذا قيل لكل كلام من غير اتعاب فكر ونظر
بديهة فيقال اجاب على البديهة وله بدايع بدايه وهذا معلوم في بداية العقول وحقه في
بداهة حرفه والعجب بمعنى الامر الذي يعد عجيبا لحسنه وجزالة معناه فكانه لم يعهد مثله فما قيل
انه غير صحيح هنا لا وجه له **ويدلون** بضم المثناة التحتية وسكون الدال المهملة وضم اللام
من ادلى دلوه في البير اي نزله لاخذ الماء ثم عبر عن طلق التوصل كما قال عمر رضي الله عنه لما
استسقى بالعباس وقد دلونا اليك مستشفعين اي توصلنا **الى كل سبب** اي طريق ووسيلة
الى حصول مهمات امورهم كالزام الخصوم وجلب محبة القلوب واستعطاف الملوك والرؤسا فاذا
ذكروا هذه الوسايل عبروا عنها بعبارات بليغة رايقة تسمع السامعين وتقود بعنان البيان
شوارد القلوب والخواطر وفي قوله سبب هنا تورية لانه في الاصل بمعنى الحبل فذكره بعد الادلا
فيه لطف وقيل المراد اقبلنا وسعينا من الدلو وهو السوق والرفق وقيل المراد بالسبب الطلب
العالي الشبيه باسباب السموات اي نواحيها كانه شبه ذلك الطلب في عزة نيله بنواحي السما
والعرب كانوا يصلون اليها تلك المطالب بما نالوه من القرايح الذكية ولعل المراد بالاسباب
مقتضيات الاحوال وقد بين ذلك بقوله **فيخطبون** الى اخره انتهى ولا يخفى انه لا يلايم ما نحن
فيه **بديها** اي ينشئون الخطب بمقتضى طباعهم بديهة من غير تكلف **في المقامات** اي محافل
الناس ومجامعهم بمقتضى طباعهم على رؤس الاشهاد بديهة من غير تصنع جمع مقام او مقامة يقال
قام بين يدي الامير بمقامة حسنة اذا تكلم بعظة ونحوها وكانوا يخطبون قياما فلذا سميت مقامة
ثم اطلقت على نفس الكلام المقول فيها كمقامات البديع والحريري وغيرهما **وشديد الخطب**
اي الامر العظيم الشان الذي من شانه ان تقع فيه المخاطبات والمنازعات فكان لكل قوم خطيب
يقوم بينهم يحثهم على مهماتهم وقيل ان الشان عظم او صغر سبب الامر ولا يناسب المقام والتكلم
بكلام بليغ ارتجالا لا يدل على بجية وغريزة قوية **ويرتجزون** اي ينشدون رجزا في تلك
المقامات بديهة ايضا ينشدونه كالخطب ولذا ذهب بعضهم الى انه ليس بشعر **بين الطعن والضرب**
كما ينشدونه في اندية مهم وهذا كقول علي رضي الله عنه لما بارز مرحبا بخيبر
انا الذي سمتني امي حيدره • كليث غابات كريه المنظره • اكيلكم بالسيف كيل السندره

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وَامثاله قال الاعشى **وَيمدحون** من يستحق المدح في مقاماتهم بين لهجة بابلغ الاشعار
وَيتمدحون اي يمدحون وَيجيبون يقال قدح في عرضه اذا عابه ومن فرح بقوله اي يتمدحون
افكارهم فيستخرجون معجب الكلام في احسن نظام لم يصب بحر الكلام **وَيتوسّلون** بما ذكر
من بليغ الكلام نظما ونثرا **وَيتوصّلون** عطف تفسير اي بالمذكور الى مطالبهم العالية
وَيرفعون من مدحوه بمدائحهم حتى يرتقي لمرتبة لم تكن له بشهرة مدحه مصدرها به الذكر بعد
ما كان خاملا كما وقع للمحلق لما نزل عنده الاعشى ضيفا فنحر له وسقاه وعنده بنات لم يرغب
احد في تزوجهن فمدحه بقصيدة قافية مشهورة فلم يمض زمن حتى خطبوا بناته ورغبوا فيهن
وَيضعون مقدار من ذموه بقدحهم حتى يصير سبة بينهم فمنه لغو ولشو **فياتون من ذلك**
المذكور كله **بالسحر الحلال** السحر في الاصل الفطنة وكل ما دق ثم انه تسمى به الكلام البليغ الذي
تلذ به النفوس وتنجذب له ومنه ان من البيان لسحرا فهو تشبيه بليغ والسحر بمعناه الحقيقي
معروف وهو قبيح محرم فوصفه بالحلال ابان للمعنى المراد منه وتجريد للتشبيه والسحر حق
واقع وهو بامور يعرفها اهلها **وَيطوقون** بالنثر بين الطوق وهو ما يجعل في العنق من ذهب
ونحوه **مزاوصافهم** الدر بمعنى الدليعة وفيه استعارة مكنية وتخييلية اي من وصفهم لغيرهم
بمدحهم **اجمل من سمط اللآلي** اجمل بمعنى ازين واحسن وسمط بكسر فسكون المراد به جنسه
لعمومه بالاضافة لمن قال صوابه بسمط لم يصب وهو السلك ما دام فيه الخرز والا فهو خيط
وقال البرهان السمط الخيط ما دام فيه الخرز والا فهو سلك وتبعه الانطاكي ونسبه للجوهري
وقال ابن عزم قال السمط للجوهر والسلك للخرز والنظام للآلي وفيه وفضله في عقد الدر كج
على اللآلي لانه لا يفني ولا يتقاومه ثمن لعزته واصل اللال الآلي بهمزة في اخره فابدلها يا به
لسكونها وقعا عاملة معاملة المعتل في الوقف فاسقطت كالقاضي **فيخدعون الالباب**
الخداع هو المكر واظهار امر على خلاف ما يريد به مكرا وهو الالباب جمع لب وهو العقل والمراد
انهم يستميلون العقول حتى تنقاد لهم ففيه استعارة مكنية وتخييلية وتغير ذوي العقول
يذهب برونق الكلام **وَيذللون الصعاب** اي يسهلون بفصاحتهم الامور الصعبة فان كان
من الذل بالكسر والذال معجمة من الارض الذلول وهي التي يسهل المشي فيها ففيه استعارة
تبعية وكذا ان كان من الذل بضمها والمراد على كليهما انهم يجعلونها مطيعة لهم ويجوز ان تكون
مكنية وتخييلية على ان الصعاب جمع صعبة وهي الناقة التي لا تنقاد **وَيذهبون الاحن**
جمع احنة بكسر فسكون وهي الحقد **وَيهيجون الدمن** بضم اوله وفتح ثانيه وكسر المثناة التحتية
المشددة ويجوز كسر الهاء ثم سكون اليا اي يحركونها ويظهرونها والدمن بكسر الدال المهملة وفتح
الميم والنون جمع دمنة وهي في الاصل ما في مبارك الابل من بعرها المتلبس بما عليه من ابوالها استعير
للحقد المضمر المجتمع في الباطن وهي استعارة بليغة شائعة في كلامهم قال •

ازعى الامانة لا اخون ولا ارى • ابدا او من عرضه الاخوان •

ويكون المراد به آثار السكان في الديار والمعنى انهم يبكون الاطلال وسكانها فيهيجون الاشواق
بذكرها وان سلم من التكرار يعني هنا فلا يغتر بما قيل **وَيجرؤن الجبان** بالتشديد والهمز من
الجراة وهي الاقدام والشجاعة والجبان ضد الشجاع اي يجعلونه شجاعا بتعريجنه **وَيبسطون**
يد الجعد البنان فاضافة الجعد الى البنان والبنان الاصابع وعقدها وبسط امدها واذهاب
جمودها وهي انقباضها والجعد اذا اضيف الى اليد او البنان كان اللازم كان بمعنى البخيل اللئيم

فان اطلق كان بمعنى الجواد الكريم والجعودة ضد السبوطة وهي الانبساط والمعنى انهم بفصاحتهم
يصيرون البخيل كريما قال ابو عبيد الجعد في صفة الرجال يكون مدحا ويكون ذما فمعنى المدح
معناه شديد الخلق ممدوح لا مؤون او ان شعره جعد غير سبط لان السبوطة اكثر في العجم وفي الذم
معناه القصير او البخيل **وَيصيرون الناقص كاملا** بحثه على اكتساب الكمال حتى يصير التطبع
طبعا وان كانت الطباع يعسر تغييرها وتبديلها **وَينزلون النبيه** الشريف المشهور **خاملا**
اي خامل الذكر منزوكا باتقال شهرته بسبب ذمهم له او تنقيصه بالهجاء ونحوه ثم قسمهم فقال
منهم اي من العرب **البدوي** وهم سكان البادية النازلون في الاخبية والدارات وهو
بفتح الباء الموحدة وفتح الدال المهملة الذين لا يسكنون القرى والامصار ويسمى حضرا وحا
لحضور بعضهم لبعض فيها والنسبة للبادية او للبدو وبالسكون على خلاف القياس ويقال
بداوي بفتح اوله وكسره او هو نسبة للبدا كالغنى بمعنى البادية ايضا **ذو اللفظ الجزل**
اي صاحب اللفظ المحكم القاطع الفاصل ويكون الجزل بمعنى الكثير ايضا ومنه النوال الجزل
وَالقول الفصل بالصاد المهملة اي الفاصل بين الحق والباطل قال تع انه لقول فصل وما
هو بالهزل واصل معنى الفصل الحجز ومنه فصول الكتب **وَالكلام الفخم** اي المفخم المعظم
لتمامه وعدم مداراتهم او الممتلي بالمعاني الرائقة يقال وجه فخم اذا كان له جمال ومهابة
او هو من التفخيم ضد الترقيق لاعتيادهم باخراج الحروف من حاق مخارجها والجهر بها لقوله
وَالطبع الجهوري اي طبعوا على جهر الصوت وعلوه ومنه الحروف المجهورة قال في القاموس
جهر ككرم فخم والصوت ارتفع وكلام جهر ومجهر وجهوري عال وفي الحديث نادى بصوت
جهوري وفي نسخة جوهري نسبة للجوهر وهو الخالص النقي والمقوم الجيد فان كان من
الجوهر المعروف كالياقوت والزمرد ونحوه فهو استعارة للتنفيس وفي القاموس الجوهر كل حجر
يستخرج منه شيء ينتفع به ومن الشيء ما وضعت عليه جبلته والجوي المعروف انتهى والواو زا
وقيل انه بمعناه المعروف معرب والمعرب الجهر بالكلام ويعبر به عن الزهو والحسن كما قال الاعرابي

جهر الرواء وجهر الكلا • م جهير العطاس جهير النعم •

وهذا اشبه بطريقة المصنف في فصاحته **وَالمنزع القوي** مفعل من النزع وهو الجذب
والاخذ ونزع الماء من البئر اخرجه ونزع القوس جذبه وهو مصدر ميمي واسم مكان والاول
اظهر اي ياتون بنوع من الكلام يستخرجونه من بين انواع الكلام بطباعهم السليمة بحيث اذا
سمعه السامع شفى غليله ومنهم الحضري نسبة الى الحضر بفتحتين مقابل البدو وهو الحا
ايضا والحضارة سكنى الحضر وهي الامصار والقرى **ذو البلاغة البارعة** اي الفائقة
من برع اقرانه اذا فاقهم برقة طبعه وتهذيب كلامه **وَالالفاظ الناصعة** اي الخالصة
من الالفاظ الوحشية الغريبة السالمة من الركاكة **وَالكلمات الجامعة** للمعاني الكثيرة في
الالفاظ القليلة الموجزة **وَالطبع السهل** اللين المنقاد بسهولة لسلامة ذوقه والسجا
كلامه الذي ارق من النسيم • تكاد من عذوبة الالفاظ • تشربه مسامع الحفاظ • فيدخل
الاذن بلا اذن **وَالتصرف في القول القليل الكلفة** فيخرج من نوع لنوع من غير تكلف
لكونه سجية له والقليل صفة للتصرف او للقول فلا يورد في كلامه ما يعسر فهمه على
السامع لغرابته وتعقيده **الكثير الرونق** اي الحسن واللطافة من رونق السيف وهو ماؤه
وحسنه كما قال البحتري • وبديع كانه الزهر ضاحك • في رونق الربيع الجديد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مشرق في جوانب السمع ما يخلقه عوده على المستمعي

الرفيق الحاشية اصل الحاشية طرف البرد والثوب ورقة حاشيته عبارة عن رقته وحسن نسجه والكلام يشبه بالحلل والبرود والتكلم بالنسج وفي الاساس من المجاز عيش رقيق الحواشي وكلام رقيق الحواشي وهو عبارة عن سهولته وسلامته بان يكون لفظه رشيقا عذبا وتخاسها وسهلا ومعناه ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا وكلا البابين اي المتبين من كلام البدوي والحضري في مقامه ومحله وعند اهله فلهما في البلاغة الحجة البالغة قيل اذ في الكلام تعقيدا واصله واما كلا البابين الخ فالفا واقعة في جواب اما المقدرة ولا يخفى انه ركيك ولو حذفها كان اولى ولو قيل كلا مبتدا خبره مقدر تقديره وكلاهما مما اختصوا به ومما له شان عظيم وما بعده مبني عليه كان اولى لان اما حذفها من غير عد ليس سهلا والحجة البرهان والدليل من حجه اذا خصمه والبالغة بمعنى الواصلة الى نهاية البلاغة وجعل ظهورها مرهما كانه حجة لهما كما قال المتنبي

سوح لها منها عليها شواهد • والافصح افراد ضمير كلا رعاية للفظه ومعناه وان جاز تثنيته وقد جمع بينهما القائل

كلاهما حين جد الجري بينهما • قد اقلعا وكلا انفيهما رابي

والقوة الدامغة اي الغالبة لغيرها من سائر اللغات واصل الدمغ الضرب على الدماغ فاريد به ما ذكر من الغلبة والقهر يقال دمغ الحق الباطل اي ابطله ودمغت فلانا قهرته والقدح الفالج بكسر القاف وسكون الدال المهملة والحا المهملة واصل قداح الميسر وهو سهم بغير ريش وقداح الميسر التي كانوا يقامرون بها في الجاهلية ولها اسم مشهور ومنها ما له نصيب زائد ومنها ما لا نصيب له والفالج بالفاء واللام والجيم بمعنى الغالب يقال فلج امره اي فاز وسعد اي لهذه اللغة شرف وفوز عند صاحبها وقيل المراد ما تنتجه الافكار واصابة الآراء وجودة الانظار وهو امر لا تعلق له بنفس الكلام والكلام فيه والمهيع الناهج بفتح الميم وسكون الهاء وفتح المثناة التحتية وهو الطريق الواسع والناهج بمعنى البين الواضح المسلوك واصله الناهج فتجوز به عن المسلوك كما في ذائق بمعنى مذوق وعيشة راضية واراد به سعة لغتهم وظهور دلالتها لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم قيل كان الاحسن الظاهر ان يقول لا يشك بالبناء للمجهول ليكون ابلغ وهذا من عدم معرفته بمقاصدهم فان هذا هو المناسب لما بصدده فان البليغ الفائق اذا جاء له كان له اقدام على المعارضة عند التحدي فلله دره ما ادق نظره والمراد انهم يعلمون ما جبلوا عليه من البلاغة والقدرة على ايراد كل كلام بليغ في مقامه على ما يقتضيه حاله ويشكله في قوالبه ونظمه لا سليقة المطاوعة له ومعرفته بذلك والبلاغة ملك قيادهم بكسر القاف وهو حبل يقاد به الدابة اي والبلاغة مملوكة لهم منقادة واصله ملكهم وفي قيادهم فعدل عنه لما ذكر لانه ابلغ ففيه استعارة في الملك والقياد وفي اضافة على حد قوله مكر الليل يعني انهم متصرفون في افانينها من غير تكلف قد حووا فنونها اي جمعوا وحازوا انواع البلاغة واقسامها والفنون جمع فن واستنبطوا عيونها اي استخرجوا خيارها ومحاسنها واصل معنى الاستنباط استخراج الماء من الابار والعيون النابعة ففنون هنا في موقعها وفيها تورية لطيفة لانها تعيون الماء والمراد خيارها لان عين كل شي خياره وليس من اطلاق اسم الجزء على الكل كما توهم ودخلوا من كل باب من ابوابها اي سهل عليهم الوصول الى مقاصدهم باي عبارة ارادوها كالحقيقة والمجاز والكناية وبسط الكلام في مقام وايجازه

ابن فارس

بمقام

في مقام آخر والتصريح والاخفا وفيه استعارة مكنية وتخيلية بجعل مقاماتها قصورا واسعة لها ابواب متعددة ولذا عقبه بقوله وعلوا صرحا وهو البيت العالي المزخرف بناؤه والبيت المنفرد وعلوا بتخفيف اللام بمعنى صعدوا ويجوز تشديدها لبلوغ اسبابها جمع سبب وهو كل ما يتوصل به لشي آخر كالحبل والسلم وهو علة للعلو اي علوا قصر البلاغة ليصلوا الى ما فيه من الاسباب الموصلة لمهماتهم ومطالبهم النفيسة كمن يدخل قصر المقابل لينال العز لغايته انعامه واحسانه وفيه ايماء لقوله تعالى يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب الاية فما قيل ان الاحسن ان يقول صرح اسبابها تركه احسن منه لان معناه انهم علوا ذروة البلاغة فوصلوا بها لكل ما ارادوه فعبروا وابانوا بها لمقاصدهم واللام لام العاقبة هنا وفيه استعارة مكنية تخيلية لتشبيه مرتبة الاعجاز التي عجزوا عنها بسما لم يصلوا اليها فقالوا اي تكلموا بكلامهم البليغ في الخطير اي في الامر العظيم الذي له خطر اي شرف ومزية على غيره والمهين بفتح الميم اي الحقير من المهانة وهي الحقارة وتفننوا اي اتوا بكل فن من فنون الكلام متصرفين في الغث بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة واصله اللحم المهزول الذي يكره تناوله فاستعير للامر القبيح والفاسد وضده السمين وفي حديث ام زرع زوجي لحم جمل غث وفي المثل غثك خير من سمين غيرك وقالوا في الكثر النسخ بالقاف من القول وفي بعضها فغالوا بالغين المعجمة وفتح اللام اي زادوا والاول رواية الانطاكي وفسره التلمساني بانشاد المديح والهجا والمدح والذم او الجد والهزل وله وجه وتقاولوا تفاعل من القول اي ادامروا الكلام بينهم في القل والكثر بضم اولهما واجاز البرهان كسرهما اي القليل والكثير مدحا وذما وجدا وهزلا قيل وفيه نقل ولو قال في الكثير والنزر كان احسن واخف وانسب بقوله وتساجلوا في النظم والنثر والتساجل تفاعل من السجل بالفتح وهو الدلو الكبير وتجلت الماء صببته ثم لما كانوا يتناوبون في سقي الماء استعار للمساجلة المعطا والمفاخرة كما قال

من يساجلني يساجل ماجدا • يملأ الدلو الى عقد الكرب

وقيل الحرب سجال اي مرة يغلب وتارة يغلب كما قيل

فيوما علينا ويوما لنا • ويوما نساء ويوما نسر

فالمراد انهم تناوبوا وتفاخروا وتعارضوا في عد المآثر كما هو متعارف عندهم وليس المراد به المبارزة بان يدعوا احدهم الآخر للقتال فيبرز من الصف كما قيل وانه لا وجه له هنا وهي جائزة لنقل الصحابة لها ومنعها بعضهم شرعا لما فيها من المخاطرة والنظم والنثر غني عن البيان فما راعهم اي بينما هم كذلك فجاهم بغتة امر لم يكن لهم علم به ولم يطرق سماعهم مثله وفي الاساس ما راعني الا مجيئك اي ما شعرت الا به وهو من الروع بمعنى الخوف والفزع الا رسول كريم بعث بين اظهرهم بكتاب عزيز لا نظير له شريف ومنيع بحماية الله وهو استثنا مفرغ من عام مقدر اي لم يفجاهم ويفزعهم شي سوى رسول من الله اتاهم بخلاف هواهم وعكس مناهم اذ كانوا يتوهمون ان دينهم في البلاغة لا يفوتها كلام فاتاهم بكتاب اخرس شفاههم واصم اسماعهم والبا للمصاحبة اي مؤيد بكلام معجز لا ياتيه الباطل اي لا ياتيه باطل وامر فاسد بحسب العقل والشرع او ما يبطله كالنسخ والطعن المقبول من بين يديه اي قدامه وفي مقابلته ولا من خلفه اي ورائه ظهره والمراد من جهة من الجهات فلا يجد سبيلا يوصله اليه وما وقع فيه من المطاعن اضمحل وانمحق وصار كالعدم ولذا قال تعالى لا ريب فيه وقد جاء الحق وزهق الباطل تنزيل من حكيم محكم مصنوعاته ومدبر لجميع مخلوقاته

ابن فارس

جلوا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حميد محمود بحمد جميع الكائنات بلسان القال والحال **احكمت آياته** اي نظمت نظما محكما لا
يعتريه فساد ولا خلل ومنها الله وحفظها من التبديل والتحريف الذي وقع في غيره من الكتب
فهو من احكمت الدابة اذا وضعت في فمها حكمة تمنعها الجماح او جعلت حكمة لاشتمالها على امهات الحكم
النظرية والعملية من حكم بالضم اذا صار حكيما وآيات القرآن جمع آية وهي جملة آيات من القرآن
لها مبدأ ومقطع **وفصلت كلماته** اي فصل وبين ما فيها من الفوائد الجليلة كالعقائد الحقة
والاحكام الشرعية والمواعظ والاخبار الصادقة او جعلت سورا او نزلت نجما نجما او فرق
بين الحق والباطل وجمعت الوعد والوعيد وبهرت اي غلبت وادهشت بلاغته العقول جميعها
لغرابة اسلوبها وحسن بدايعها الذي اعجز البلغا **وظهرت فصاحته** اي اتضحت كالشمس وسط
النهار وعلت وارتفعت مرتبة اعجازها **على كل مقول** اي كل كلام نظما ونثرا **وتظافر**
بالظا المشالة كما في اكثر النسخ تفاعل من الظفر وهو الفوز ونيل الاماني **ايجازه** اي قلة
الفاظه الوافية باداء المعاني من غير خلل **واعجازه** اي كونه في اعلى مراتب البلاغة المعجز للبشر
فالمعنى ان الايجاز اخذ من الاعجاز ما يليق به والاعجاز استوفى من الايجاز ما يحق له ففيه
مع المبالغة استعارة مكنية وتخييلية لمن قال انه لم يجد في كتب اللغة ما يفسر به فقد قصر
وفي بعض النسخ بالضاد المعجمة اخت الصاد بمعنى تعاونا وتقويا على صنع معارضته والايتان
والايتان بشكله من ضفر الحبل والشعر اذا جمع بعضه على بعض ليتقوى وهو مجاز مستعمل يقال
تضافر القوم اذا تجمعوا وتعاونوا وقيل انه بالطاء المهملة من الطفرة بمعنى الوثوب اي
وثب كل منهما والمراد انهما بلغا الغاية في بابهما والاوجه الثلاثة معانيها متقاربة فلا وجه
لتصويب بعضها دون بعض **وتظاهرت حقيقته ومجازه** اي عضد كل منهما الاخر وقواه
لما صار له ظهيرا ومستندا المباينة ما من العلاقة او تشابها في الظهور لوضوح معانيه وظهور
قرائنه لا كما يكون في بعض المجازات من الخفا والتعقيد **وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه**
اي تشابهت وتساوت اوايله واواخره من قولهم فلان يباري فلانا اذا فعل مثل فعله والتباري
يكون بمعنى التسابق في الجري والمعنى ان مطلعه وهو مبدؤه ومقطعه وهو منتهاه وغايته
كفواتح السور والايات وخواتمها يجاري كل منهما الاخر ويسابقه ليحوز قصب السبق من
الفصاحة وصحة المعاني وهو عبارة عن تشابههما **وحوت كل البيان** اي ما ينبغي بيانه واظهاره
جوامعه اي جوامع كلمه التي جمعت المعاني الكثيرة في الفاظ قليلة **وبدايعه** اي ما ابتدع
فيه ما لم يسبق مثله في كتاب وكلام مما لا يقبل تحريفا ولا يخشى تصحيفا وكفى بالذهن مليكا
وبالذوق متمليا **واعتدل** اي استقام من غير افراط ولا تفريط **مع ايجازه** وعدم تطويل
لفظه **حسن نظمه** اي تناسب كلماته لفظا ومعنى وقلما يكون ايجاز كذلك وهذا من ادلة
اعجازه وليس هذا مكررا مع قوله حوت كل البيان جوامعه وبدايعه كما توهم **وانطبق** اي وافق
كثرة فوايده اي معانيه التي يفيدها **مختار لفظه** اي لفظه المهذب الذي كانه انتخب ونقي
وهذا من وجوه الاعجاز ايضا لان ما يفيد معنا في كثرة من الفصحا يحتاج غالبا الى الفاظ غير
منتخبة **وهم** اي فصحاء العرب من كل باد وحاضر **افسح ما كانوا في هذا الباب مجالا** اي اوسع
يقال فسحت مجلسه يفسح فيه ومنه فسحت له ان يفعل كذا اي وسعت له فهو في فسحة مني وما كانوا
بمعنى كونهم فما مصدرية واضافة افعل للمصدر على التجوز كاخطب ما يكون الامير قائما والمجال
محل الجولان وهو الحركة والجملة حالية من ضمير راعهم ومجالا تمييز عن النسبة محول عن الفاعل والمراد

بالباء

بالباء جنس البلاغة وجعله بابا للوصول به الى مقاصدهم اي جاءهم بالكتاب المجيد ومجالهم
في البلاغة في غاية الاتساع وتفسير المجال بالاتساع وان كان يغني عنه تكلف **واشهر**
اي اعظم شهرة وفي نسخة واشهرهم بالاضافة لضمير الناس في الخطابة بفتح الخاء اي انشاء الكلام
في المحافل وقوله **رجالا** تمييز كالذي قبله واشهر معطوف على غيرهم اي ورجالهم اشهر من غيرهم
في هذا وليس المراد بالرجال مطلق الذكور بل الاشراف كما يقال رجالات قريش الاشراف منهم وليس
هذا منافيا لقوله خصوا من البلاغة والحكم بما لم يخص به احد من الامم لان اسم التفضيل يقتضي
مشاركة غيرهم لهم فيما كان مختصا بهم لان اختصاصهم بما ذكر على ظاهره والتفضيل مجازي
بان يكون على طريق الفرض كما وقع في حديث ما رايت ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل
منكن اذا قلنا الخطاب لجنس النساء او نقول انه على حد قوله الخل احلى من العسل اي انه في حموضته
اقوى من العسل في حلاوته ولاسم التفضيل استعمالات ذكروها في المطولات **واكثر في
السجع** وهو الكلام المنثور الذي له فواصل مقفاة كالشعر وهو منقول من سجع الحمام لكونه
على وتيرة واحدة ولذا لا يجوز اطلاقه على القرآن والشعر وهو الكلام الموزون المقفى بالقصد
ارتجالا اي تكلما من غير فكر وروية وهو في الاصل الانتصاب والقيام على الارجل فاطلق على
التكلم قائما لانه كان عادة لهم ثم نقل لما ذكر وشاع حتى صار حقيقة فيه وفي كتاب بداية
البداية انه في الاصل الانتصاب بين اوله ومنه شعر رجل وقيل هو من ارتجال البئر وهو ان
تنزلها برجليه من غير حبل كالبديهة وهو من بده بمعنى بدأه كما قالوا جمد وبين هذه الالات
الارتجال اسرع من البديهة وبعده الروية انتهى وفي نسخة واكثر في الشعر والسجع مجالا والمراد
بالمجال هنا المحاورة واصل معناه الدلو كما تقدم وقيل المراد به المفاخرة **واوسع في الغريب**
المراد به ما يستغرب من الكنايات والمجازات البديعة لتصرفهم في الكلام وقيل المراد به ما يحتاج
الى تنقير وتفتيش من كتب اللغة وهو بالنسبة الينا فان قلت هذا مما يخل بالفصاحة وبابا
الكلام لمدحهم قلت قال ابن هلال في كتاب الصناعتين انه ليس مخلا لمن كانت لغته من الاعراب
والقح من العرب العربا فاطلاق اهل المعاني غير صحيح ولم ار من نبه عليه **واللغة معنا لا**
اللغة معناها الكلام ولكل قوم لغة ويكون اسما للعلم المدون يبين فيه معناها والمراد الاول
والمقال مصدر ميمي بمعنى القول يعني ان لغة العرب اكثر من سائر اللغات الفاظا فقلما يكون
معنى الا وله اسما مترادفة حتى انه يوجد في كلامهم مما له مائة اسم واكثر وقد افردوه بالتاليف
وهذا كناية عن كونهم اقدر على الكلام من غيرهم فاذا اعجزهم القرآن فغيرهم يعلم عجزه بالطريق
الاولى وعطف اللغة على الغريب من عطف العام على الخاص **بلغتهم التي بها يتحاورون**
الجار والمجرور صفة كتاب او حال منه والتحاور اداره الكلام والمراجعة فيه سؤالا وجوابا
من الحور وهو التردد والضمير للعرب وقيل لقريش لان القرآن نزل بلغتهم فان كان ما قبله كذلك
فلا اشكال في كلامه **ومنازعهم** بفتح الميم والنون وزاي معجمة وعين مهملة جمع منزع بالفتح
مجرور بالعطف على لغتهم من النزع وهو الجذب والاخذ والمنزع مصدر بمعنى النزع واسم
مكان ويكون اسما للسهم الذي يرمى به يقال رماه بمنزع اي بسهم بمعنى المرمي قال

فهو كالمنزع المريش من الشوحط مالت به يمين المغالي

قاله في الاساس قيل وهو المراد هنا لمناسبته لقوله **يتناضلون** بالضاد المعجمة اي يترامون
بالسهام يقال ناضلته وخرجوا يتناضلون وينتضلون وانتضلت من الكنانة سهما اخذته ومن

الألوكة www.alukah.net

المجاز ناضل عن قومه اذا دافع وحاج والمناضلة المفاخرة فشبه الكلام الدائر بينهم في المخاصمة والمفاخرة بالسهام واثبت له المناضلة تخييلا وقيل المنزع هنا اسم مكان والمعنى انهم يتغالبون بكلامهم نظما ونثرا في محال المنازعة وهي المجاذبة في الاعيان والمعاني وهو بعيد وابعد منه ما قيل ان المنزع ما يرجع اليه الرجل من رأيه وطريقته اي اتاهم الكتاب بما هو دين لهم الذي لا يتركونه فاكبوا على ما افحمه صارخا بهم في كل حين حال من الكتاب او الرسول من الصراخ وهو الصياح والندا بصوت شديد يسمع من بعيد اي مصرخا بدعوته في كل وقت يتلو القرآن عليهم ويبكتهم ويدعوهم لمعارضته ومقرعا بضم الميم وتشديد الراء المهملة وبعين مهملة اي مضربا او موبخا لهم من القرع وهو الضرب ومنه المقرعة لهم بضعا وعشرين سنة وهو بكسر البا الموحدة وضاد معجمة ساكنة وعين مهملة وهو من الثلاث الى التسع من كسور العدد ويقال بضعة ايضا في لغة قليلة وفيه اقوال اخر في القاموس هذا اصحها ويستعمل مع العشرة وما فوقها الى تسعين ولا يختص ببعض العقود منها وهذه المدة مدة دعوته من بعثته الى وفاته وقد اختلف فيها مع انه بعث على رأس الاربعين وحياته بعده قيل عشرون وقيل ثلاث وعشرون وهو الاصح وقيل خمس وعشرون ولذا قال بضعا من غير تعيين عاما العام والسنة بمعنى وقد يخص الثانية بالشمسية والاولى بالقمرية ولذا اختاره لان ما حسابهم ولانها قد يعبر بها عن الشدة والقحط واعلم ان البضع ليس كصريح العدد في انه يذكر مع المؤنث ويؤنث مع المذكر وما نقله في القاموس عن – يرده ما في الحديث الايمان بضعة وسبعون شعبة فلا يرد على المصنف ان الصواب ان يقول بضعة وعشرون كما قيل ولا حاجة للتاويل على رؤوس الملا اجمعين جمع رأس وهو العضو المعروف والشريف السيد والملا الجماعة وقد يخص بالاشراف ويقال كلمه على رؤوس الناس وعلى رؤوس الاشهاد اذا صرح بما يريد واشاعه لان من يريد ذلك يقوم في المحافل مستعليا على رؤوسهم اي انه لم يزل مظهر الدعوته مدة بعثته منذرا لهم قائما عليهم بين اظهرهم والجار متعلقا بقوله مقرعا او بنازعه مقرعا وصارخا ام يقولون افتراه هذا حال ايضا اي قائلا وتاليا لهم ام يقولون الخ ولم يقطعه رعاية لنظم القرآن فيكون اقتباسا من مشكاة انواره والافترا كالاختلاق الكذب والاستفهام انكاري توبيخي قل ان كان الامر كما زعمتم فاتوا بسورة مثله في النظم والبلاغة فانه بلغتكم وانتم فصحاء وادعوا من استطعتم اي كل من تقدرون على دعوته ليعينكم على افترا كلام يضاهيه من دون الله اي غير الله فانه القادر على كل شيء ان كنتم صادقين في قولكم انه افترا وهذا توبيخ وتعريض بتعجيزهم عن اقل مراتبه وليس مما يلزم للسجمة الاولى كما قيل ثم اتى باية اخرى في معناها فقال وان كنتم في ريب في شك وشبهة مما نزلنا على عبدنا الاية اي نزلنا نجوما بحسب الوقايع وهذه ابلغ مما قبلها للدلالة على عجزهم في المستقبل بقوله ولن تفعلوا والكلام على الايات مما كفانا المفسرون مؤنته وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن نظما وبلاغة لا يأتون بمثله الاية وهو جواب قسم مقدر ولذا لم يجزم ولم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا ينافي اعجازه فتامل قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات اي محض كذب واختلاق منكم وخص الكذب بالذكر لقوله وذلك اي طلب الاتيان بالمفترى تهكما وتعريضا ان المفترى اسم مفعول اسهل تلفيقا ووضع الباطل اقرب تناولا واروج تنميقا ومع ذلك لم يقدروا عليه واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب لانه يلاحظ فيه ما في الواقع ونفس الامر

ابن اقبرس

ثم يؤتى باللفظ على طبقه وترتيبه بحيث لا يخرج عنه والمختلق بفتح اللام اسم مفعول بمعنى الكذب المفترى كما قال تعالى وتخلقون افكا وهو من الخلق بمعنى التقدير لانه امر يقدر في النفس من غير نظر للواقع وقيل انه من الخلق وهو الثوب البالي لان الحق يزيد كل يوم جدة والكذب يزداد بلى على الاختيار اقرب المراد بالاختيار عدم الالجا والاضطرار فان الصادق يضطر الى اتباع الحق وقد يضيق عليه نطاق البيان بخلاف الكاذب فانه يجد مجالا واسعا كما قال تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون وقيل هنا بحث وهو ان التحدي بقوله فاتوا بسورة الخ ان كان الاتيان بما هو واقع على وجه الحق فهو غير ممكن قطعا وان كان بالاتيان بمثله وعلى صورته لفظا فلا يخرج عن كونه مفترى وحينئذ يستوي الامران والذي دار في خلدي ان ذكر مفتريات لمشاكلة قوله افتراه تهكما وتعريضا لا لما قاله المصنف انتهى وليس بشيء لان اعجاز الثاني ويقولهم انهم لعجزهم لا يستويان وهو في غاية الظهور فتدبر وضمن اقرب معنى اهون ولهذا عداه بعلى كقوله وهو اهون عليه ولولا ذلك عداه بالى او اللام ولهذا اي لكون الامر المختلق اسهل واقرب من الحق الصحيح عبارة قيل اي قال الادبا ومن لهم دربة في صناعة الصياغة للكلام فلان اي المنشي لرسائل الملوك ونحوه ممن يقول الحكم والمواعظ من الفصحا يكتب كما يقال اي يكتب في شأن امر واقع رسالة فينمق احكام الكلام على زهر المعاني الزاهية الزاهرة حتى يفوح عبيرها في نادي البراعة وفلان ممن يكتب المقامات كما يريد من كل نظر وعلى خاطره من غير نظر لصدقه وكذبه فاذا صعب عليه التعبير عن معنى عدل عنه لغيره فهو يكتب كما يريد لا كما يراد وهذا اشارة كما حكى عن بديع انه رتب لديوانه بين كتبة الديوان فلم يقدر على كتابة الرسايل فلما اخبر الصاحب بذلك قال دعوه فانه يكتب كما يريد لا كما يراد وحكى مثله عن الحريري ايضا وللاول الذي يكتب كما يقال له على الثاني وهو الذي يكتب كما يريد والمراد بالكتابة مطلق الكلام وان لم يكتب فضل اي زيادة شرف ورتبة وبينهما شأو وقد تبدل الفا اي مسافة ومدى بعيد والشأو بفتح الشين المعجمة وسكون الهمزة والواو بمعنى السبق والغاية والامد فيكنون به عن المسافة ثم كني به عن التفاوت الزائد فلم يزل صلى الله عليه وسلم يقرعهم اي يعجزهم ويبكتهم ويشنع عليهم لما عجزهم بالقرآن اشد التقريع ثم لا ينذرهم بالهلاك والعذاب الاليم ويوبخهم غاية التوبيخ هو بمعنى ما قبله لكن المقام مقام اطناب وخطابة يحسن فيه مثله ويسفه احلامهم اي يصفهم بالسفه وهو قلة العقل وخفته فالسفه الخفة والاحلام جمع حلم بضمتين وضم فسكون وهو العقل ويحط اعلامهم بحاء مهملة مضمومة واعلام جمع علم بفتحتين وهي الراية الكبيرة والجبل والسيد والاسم المختص والكل محتمل هنا اي ينكس راياتهم ويهدم جبالهم ويذل ساداتهم ويزري بكبرائهم والمعنى على كل حال انه يحقرهم وينهرهم بطعنه فيهم واظهار ضلالهم وسوء حالهم ويشتت نظامهم اي يفرق جمعهم ويبطل اراءهم يجعل الله وحلاوته والنظام ما ينتظم به الدرر ونحوها والتشتيت التفريق فاستعير لما ذكر ويذم آلهتهم اي اصنامهم التي عبدوها في الجاهلية واباءهم الذين اقتدوا بهم في الكفر وقالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون والاباء بالمد جمع اب ويستبيح ارضهم وديارهم اي يجعلها مباحة للمسلمين باستيلائهم عليها واجلائهم عنها واموالهم ما ملكوه من الاثاث والمواشي وغيرها وهم في كل هذا المذكور من التوبيخ والتسفيه وما بعده الى

استباحة الاموال والدماء ناكصون يقال نكص على عقبيه اذا احجم وتاخر فاستعير
للاعراض عن معارضته فيما فعله وما اتى به القرآن عن معارضته والاتيان بمثله والجملة
حالية من الضمير قبلها محجمون عن مماثلته اي عن الاتيان بشيء يماثل اقصر سورة منه لما عراهم
واحجم كنكص بمعنى تاخر وهو كناية عن عدم القدرة يقال احجمته فاحجم وهو من النوادر مثل كببته
فاكب يخادعون انفسهم اي يمنون انفسهم الاماني الكاذبة ويؤملون آمالا فارغة ويمكرون
مكرا يعود عليهم بالوبال فكانهم بذلك خادعوا انفسهم فهو كقوله تعالى وما يخادعون الا انفسهم
وتحقيقه في الكشاف وشروحه بالتشغيب وهو تهييج الشر والفتن من الشغب بفتح الغين
المعجمة وسكونها بالتكذيب اي بادعائهم كذب رسول الله فيما جاء به من الحق الذي لا مرية فيه
وقيل هو من قولهم كذبته نفسه اذا خيلت له آمالا لا عقد على اتباع الباطل وهو تعسف لا وجه
له والذي غر قوله والاغراء بالافتراء هكذا في النسخ الصحيحة بغين معجمة وراء مهملة
وفي بعضها الاغتراء افتعال منه وقال التلمساني صوابه الاغراء بغير تاء وهو الولع بالحث
والتحريض قال تعالى فاغرينا بينهم العداوة اي الزمناها اقول قال اصله من الغراء الذي
يلصق به وعلى هذا فالاعتراض ساقط لما في القاموس من انه يقال اغتراه اذا الصقه ثم
والمصنف اجل ان يوهم في اللغة فانه قدوة فيها ولا حاجة الى انه لمشاكلة الافتراء والافتراء
الكذب كما تقدم وصيغة الافتعال تفيد مبالغة ليست في المجرد كما قرروه في قوله لها ما
كسبت وعليها ما اكتسبت وقولهم بالجر معطوف على التكذيب ان هذا الا سحر يؤثر اي ينقل
ويروى عن السحرة كاهل بابل وغيرهم وسبب نزولها ان الوليد لما سمع منه صلى الله عليه وسلم
حم السجدة قال سمعت من محمد كلاما ليس بكلام انس ولا جن وانه ليعلو ولا يعلى فقيل قد
صبا الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فجلس عنده حزينا وكلمه بكلام احماه فقال
لهم تزعمون ان محمدا مجنون هل رايتموه يخنق وزعمتم انه كاهن هل رايتموه يتكهن وانه شاعر هل
رايتموه قال شعرا قالوا لا فقال انما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين المرء واهله وولده فاهتز
النادي فرحا واعلم ان السحر كما نقله الاكفاني في ارشاده قد صنف فيه كتب كثيرة اكثرها غاية
الحكيم للمجريطي وهو حقيقي وغير حقيقي يقال له الاخذ بالعيون والى القسمين الاشارة بقوله
واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم وقوله سحروا اعين الناس ولما خفيت اسبابه اختلفت
طرايقه فطريقة تصفية النفس وتجريدها لانهم راوا افعالا لا تصدر الا عن النفس وطريقة النبط
عمل اشياء مناسبة للغرض المطلوب مضافة لرقية وعزيمة ودخنة في وقت مناسب فتلك
الاشياء تماثيل وتصاوير وعقد ينفثون فيها وكتابة تدفن او تعلق في الهواء او تغرق والعزايم
تضرع للكواكب المؤثرة عندهم وطريق اليونان تسخير روحانية الافلاك والكواكب دون
اجرامها في وقت خاص وطريق القبط والعبرانيين والعرب الاعتماد على اسما وعزايم مجهولة
كانهم يخاطبونها حاضرة لاعتقادهم انها تصدر عن الجن بتسخير الملايكة لها وانواعه ثلاثة
الاستخدام والاستنزال والاستحضار ويكون بيقظة يتوسط بدن يشتغل نطق بلسانه كصبي
وامراة خالية غيبته عن الحس ويخص باسم الاستحضار فان كان دونها اخص باسم الخليات
انتهى وسحر مستمر دايم باق لما راوه من تتابع الوحي عليه طريا او محكم متقن والاصل من مر
الحبل وهو فتل مراير وهي طاقات او ذاهب غير قار من المرور او شنيع من المذاق وافك
افتراه اي كذب اخترعه واختلقه والافك اسوا الكذب واساطير الاولين اي شيء اخذه

مما سطره الاولون وزخرفوه وهو جمع سطر اي صف من الكتابة على خلاف وقال المبرد
انه جمع اسطورة كاحدوثة واراجيح على القياس او له مفرد مقدر كاسطار واسطيرة وقايل
هذا هو النضر بن الحارث بن كلدة وفيه نزلت الاية وقتل يوم بدر والمباهتة بالجر عطفا على
التكذيب وهي بمعنى البهتان وهو الكذب الذي يبهت ويدهش سامعه وكذا قوله والرضى
بالدنية بالهمزة وتبدل فتدغم ومعناه الخصلة الحقيرة الخسيسة المنحطة التي لا يرضى بها من
له عقل ومروءة وفسرها بقوله كقولهم قلوبنا غلف لان ظاهره الوصف بالحماقة وعدم الرضى
وهو امر مذموم لا يرتضيه العقل وهو جمع اغلف بمعنى اقلف والقلفة الغلفة وقيل انه جمع
غلاف واصله غلف بضم اللام ككتب وبه قرئ ثم خفف بالسكون اي هي اوعية للعلم مملوءة به
فلا تحتاج للتعلم منك وعلى الاول معناه لا نفهم ما تقول ولا يصل الينا وهذا هو الملايم لكلام
المصنف ولقوله في اكنة مما تدعونا اليه وهو القرآن والاذعان وفي آذاننا وقر اي صمم
واصل معناه الثقل والحمل ومن بيننا وبينك حجاب اي مانع عن وصول ما تقوله لنا وفي من
اشارة الى انه مبتدا وانه استوعب المسافة المتوسطة بينهما بحيث لم يبق فراغ وهو تمثيل لتمنع
قلوبهم عن ادراكها ما دعاها له ومجاسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم له وقال الذين
كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن اي لا تصغوا وتنصتوا والغوا فيه بفتح الغين المعجمة وضمها
من لغي يلغى ولغا يلغو والاول افصح وهو المعروفة والمراد هنا رفع الاصوات باي كلام كان حتى
يشوش على قاريه فينقطع قراءته ويمنع من استماعه واللغو الكلام ما لا يعتد به وهو من اللغا وهي
اصوات الطيور يقال لغا لغوا ولغا وقد يسمى كل كلام قبيح لغوا قال تعالى لا يسمعون فيها لغوا اي
قبيحا كما قال الراغب وانما تغلبوا هذا لعجزهم عن معارضته لعلكم تغلبون قاريه بقطع قراءته
فغلبتهم انما هي بالجهل والسفه كما هو شان العاجز المعاند ومثله دينه لا يرتضي والادعاء مجرور
كالذي قبله مع العجز لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وهذه وقاحة لفرط عنادهم ومكابرتهم ولو
استطاعوه ما منعهم ان يبادروا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدروا
مع استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في الفصاحة وقايل هذا هو النضر بن الحارث لكنه اسنده الى
الجميع كما شاد فقتل الرئيس الى المرؤوسين او على حد قولهم بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم
وقد قال الله تعالى مكذبا لهم ولن تفعلوا فنفى قدرتهم في المستقبل فلو قدروا لحميتهم فعلوا
ولم يقل فلن تاتوا بسورة من مثله لما فعله من الكناية والايجاز فافعلوا ولا تقدروا لنفي الفعل
ظاهر والقدرة في الانسان قوة غير محسوسة فنفيها بعلم من انهم عجزوا ولم يستطيعوا بعد
سنة مع شدة غيرتهم واستعمال نار حميتهم ومن تعاطى ذلك اي فعله وتكلم بما توهمه معارضة
واصل معناه المناولة من سخفائهم اي ممن له طيش وقلة عقل كمسيلمة تصغير مسلمة فلامه
مكسورة وميمه مضمومة والعامة تفتح لامه خطا منهم والضمير للعرب وهو كذاب يضرب به المثل
يقال اكذب من مسيلمة وهو ابن حبيب اليمني ثم الحنفي قبيلته وهذا لقبه واسمه هارون ويقال
له ابو ثمامة وكان وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسلم حتى قتله خالد بن الوليد في خلافة ابي
بكر رضي الله عنه وقيل قتله وحشي وكان له حيل ونيرنجات يوهم انها معجزات وارسل للنبي
صلى الله عليه وسلم مكتوبا صورته من مسيلمة رسول الله سلام عليك اما بعد فاني قد اشركت
معك بان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا يعتدون علينا فاجابه وكتب اليه
من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء

الكلام المفرد ولا القاديه كما توهم لانه لا يناسب المقام **وسمع اعرابي آخر يقرؤ فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا** اي لما يئسوا من يوسف وزيد السين والتا للمبالغة في اليأس وخلصوا بمعني اعتزلوا وانفردوا ونجيا بمعني متناجين في تدبير امرهم وهو يطلق علي الواحد المذكر وغيره **فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر علي هذا الكلام** لاعجاز بلاغته وخروجها عن طوق البشر فانك اذا وزنت قولهم لما لم يطمعهم يوسف ولم يجبهم ذهبوا وتشاوروا فيما يقولون لابيهم وكيف يرجعون لابيهم بهذا النظم عرفت ما الذوق انه لا مناسبة بينهما ولولا خوف السآمة فصلنا وجوه البلاغة فيها **وحكي ان عمر كان نايما بالمسجد** اي بمسجد رسول الله بالمدينة والظاهر ان مراده بقوله نايما مضطجعا ليستريح فانه يستعمل كثيرا بهذا المعني لقوله **وعلي راسه قايم** اي في جانب راسه رجل منتصب للقامة وليس المراد انه واطي لراسه وهو حقيقة عرفية في مثله والجملة حالية والضمير لعمر رضي الله عنه وفي نسخة فاذا هو قايم علي راسه واذا فجائية والبا للملابسة **يتشهد شهادة الحق** اي يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله **فاستخبره** اي طلب عمر منه الاخبار عن سبب تشهده وعن حاله **فاعلمه انه من بطارقة الروم** بطارقة جمع بطريق بكسر الدال معرب بترك ومعناه الرئيس وقايد الجيش وقد تكلمت به العرب قديما قال الجواليقي في كتاب المعرب البطريق بلغة الروم هو المترك وجمعه بطارقة وقد تكلموا به ولما سمعت العرب بان البطارقة اهل رياسة وصفوا الرئيس به يريدون المدح قال ابو ذويب وهم رجيمونه

انتهى

وهذا يقتضي ان بطريق هو المعرب وهو المعروف وقال ابن خالويه في كتابه ليس المطرك معرب بطريق عربته العرب قديما قال

يعلو الطواهر فردا لا انيس له • كبطرك قد مشي في ربط كتان

انتهى وهذا مما يتعجب منه فحرره والروم جيل من الناس معروفون سموا باسم جدهم روم بن عيص بن اسحاق وكان اصفر فلذا قيل لهم بنو الاصفر والواحد رومي وقول الجوهري رامي غلط **ممن يحسن كلام العرب وغيرها** من العبرانية والسريانية والرومية وانما قال هذه التوطية لانه يفهم القرآن والانجيل ويقدر علي النظر في معانيهما ولذا قال **وانه سمع رجلا** من اسارى المسلمين بضم الهمزة وفتحها جمع اسير واصله من الاسر وهو الشد بالقد ثم عم لكل من اسر وصار في يد عدو **يقرؤ آية من كتابكم** ايها المسلمون يعني القرآن **فتاملتها** اي نظرت بفكري في معناها **فاذا قد جمع فيها ما انزل الله علي عيسى بن مريم** في الانجيل **من احوال الدنيا والآخرة** بيان لما اي من الاحوال التي تلزم العبد في الدنيا التي هي سبب للفوز والنجاح في الآخرة **وهي** اي الآية التي سمعها **قوله** عز وجل **ومن يطع الله ورسوله** في امره مما فرض وسن ونهيه عن غيره **ويخش الله ويتقه** اي يخافه ويجتنب ما يستوجب سخطه **فاولئك هم الفائزون** بسعادة الدارين وحمع بالبنا للمفعول ويجوز بناؤه للفاعل ويقرؤ بالافراد فاعله ضمير رجل وقيل انه روي يقرؤون بضمير الجمع للاسارى وهو محتاج للتكلف **وحكي الاصمعي** بصاد مهملة ساكنة وميم مفتوحة وعين مهملة وهو عبد الملك بن قريب بالتصغير بن اصمع وهو لقب جده ومعناه صغير الاذن وهو امام اللغة والنحو والادب والنوادر ولد بالبصرة سنة ثلاث وعشرين ومائة وتوفي بها سنة عشر ومائتين **انه سمع جارية** اي امراة شابة من العرب تتكلم بكلام فصيح **فقال لها قاتلك الله ما افصحك** تعجب من فصاحة لسانها وبالغ في تعجبه

فانه

٤٠٥

فانه يقال للجارية بامر بديع غريب وهي في الاصل جملة دعائية يراد بها شدة الاستحسان كانه ممن يستحق ان يحسد ويدعى عليه **فقالت اويعد** بفتح الهمزة الاستفهامية والواو العاطفة والهمزة مقدمة من تاخير او داخلة علي مقدر معطوف عليه ويعد بالياء التحتية مجهول والفعل معلوم هذا الكلام **فصاحة** اي فصيحا **بعد قول الله** اي مع فصاحة القرآن يقال الكلام غيره انه فصيح لمن سمعه فانه ازري بكل فصاحة فصيرها كالعدم كالمتاع النفيس اذا نشر بجنب ما هو اعظم نفاسة منه يعد غير نفيس كما قيل

ولا قبح فيها غير ان جمالها • يصير كل الغانيات قباحا

واوحينا الي ام موسى اي الهمناها واريناها مناما **ان ارضعيه الآية** اي فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين **فجمع في آية واحدة بين امرين** ارضعيه والقيه **ونهيين** لا تخافي ولا تحزني **وخبرين** اوحينا وخفت عليه **وبشارتين** رادوه وجاعلوه من المرسلين والمراد بالفصاحة هنا البلاغة فانها تطلق عليها كما ذكره الشيخ عبد القاهر **فهذا** اي الجمع بين ما ذكر في آية واحدة **نوع من اعجازه** اي القرآن منفرد بذاته اي مستقل بنفسه غير محتاج لغيره **غير مضاف لغيره** اي غير تابع لنوع غيره من البلاغة **علي التحقيق** لما في الواقع عند من عرفه **والصحيح من القولين** بالجر معطوف علي التحقيق والظاهر ان مراده بالقولين هنا كما قاله بعضهم القول بان اعجاز القرآن بل هو مجموع بلاغته واسلوب نظمه او هو متحقق بكل واحد منهما علي حدته وانفراده بدون اضافة احدهما الي الآخر فان كلا منهما خارق للعادة خارج عن طوق البشر وهذا هو المتبادر من سياقه • وقيل المراد بالقولين القول بان اعجازه ببلاغته التي لا يرتقي احد الي مرتبتها والقول بانه معجز بغير ذلك كالصرفة والاخبار بالمغيبات ولا شك في ان من يقول باعجازه لبلاغته واسلوبه يقول بها ايضا انه بالنظر لمعناه ايضا اذ لا يمكن قطع النظر عنه كما قاله العلامة الزركشي في برهانه اذ قال اكثر المحققين ان الاعجاز من جهة البلاغة لكن تعذر الاحاطة ببعضها فان اجناس الكلام مختلفة ومراتب البيان متفاوتة فمنها الرصين الجزل والفصيح القريب السهل والجائز الطلق المبلغ الرسل لهذه اقسامه المحمودة والاول اعلاها والثاني اوسطها والثالث ادناها وقد حازت بلاغة القرآن من كل شعبة فانتظم له نمط جمع الفخامة والعذوبة وهما كالمتضادين لان العذوبة نتاج السهولة والمتانة والجزالة يعالجان الوعورة فكان اجتماعهما فضيلة خص بها القرآن ليكون آية بينة وانما تعذرت علي البشر لان علمهم لا يحيط بجميع اللغة العربية وظروف معانيها وافهامهم لا تدرك جميع معانيها ووجوه نظمها المنتخبة واحسنها حتي ياتوا بمثله وانما يقوم الكلام بلفظ كامل ومعني عليه قائم ورباط له ناظم فاذا تاملت القرآن وجدته اسبق في ذلك كله وادني لاعلي درجاته وهذا لا يتيسر لغير العليم القدير فلما صار معجزا لانه جاء باحسن الالفاظ وابدع النظم والغالب واصح المعاني من الدعا للتوحيد وطاعة الرب المجيد والتحليل والتحريم والعظة والتقويم والارشاد الي محاسن الاخلاق والزجر عن مساويها واضعا كل شيء في موضعه بحيث لا ترى شيئا اولي من محل مودة بما فيه مثلات اخبار القرون الماضية منبئا بالحوادث المستقبلة ارما لها جامعا بين الحجة والمحتج له المؤكدة للزوم ما دعا اليه ولا شك ان اشتماله هذه الامور متسق احسن نسق لا يليق لغيره عز وجل **وكون القرآن من قبل النبي** بكسر القاف وفتح البا الموحدة واللام اي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من عباده والعاقبة للمتقين انتهى ومن هذيانه الذي زعم انه وحي نزل عليه والزارعات زرعا
والحاصدات حصدا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا ضفدع بنت ضفدع على
الحكم تنقين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين الى غير ذلك مما تمجه الاسماع وتستقبحه الطباع
فكشف عواره وفي نسخة بدون فاء واتاه احسن اي اظهر ما قاله من الكلام السخيف الركيك عيبه
وحماقته وهو بضم العين المهملة بزنة غراب على الافصح وآخره راء مهملة وبفتح العين ايضا وقيل
انها الافصح لجميعهم اي العرب ممن سمعه وقد نقل صاحب الدلائل منه كلاما كثيرا وشرحه ولا حاجة لنا بذكر
وجه التصحف به والعوار ماخوذ من عور العين وفيه اشارة الى ما نقل من انه مسح عين استشفى بمسحه
فانصبغ عينه وسلبهم الله اي اخذ منهم والضمير لمن وجمع نظرا لمعناه ما الفوه اي ما اعتادوه
بطباعهم من فصيح كلامهم بيان لما اي لما المعارضة لم يقدروا على كلام مثل كلامهم قبله وليس
هذا قولا بالصرفة كما توهم لان من فعل هذا ليس له صرفة وهذه الجملة معطوفة على جملة لما فعلوه
وليست الواو للمعية ولا حالية كما قيل واذ اي واذ لم يسلبهم الله فصاحتهم المالوفة فلم يخف
على اهل الميز بفتح الميم وسكون التحتية والزاي المعجمة اي التمييز والعقل وزاد الفاء في الجواب
لانه ماض لفظا ومعنى او بتقدير المبتدا اي فهم لم يخف ووجهه دفع توهم كون الا الاستثنائية
فانه فهم ما قيل ان الصواب اسقاطها لصحة مباشرته للشرط لغفلة ما ذكر بعينه اذا امتزج
اي لو نظر تلك الجمل وما زها ظهر انه كلام ما راق وما زهي انه ليس من نمط بفتحتين ونون
وميم وطاء مهملة اي من نوع الفصاحة وعلى طريقتها التي اعتادوها فانه معجز خارج عن
طريق البشر وضمير انه للقرآن تعالى عنه مثاع من هذا النمط وهذا ابلغ من ليس فصيحا
لانه نفي عنه كونه من جنسية فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم لركاكته وقباحته بل ولوا
عنه مدبرين اضراب عنه ومدبرين اي معرضين حال مؤكدة لولوا بمعنى رجعوا واعرضوا
واتوا مذعنين بذال معجمة وعين مهملة اي منقادين مسلمين والاذعان الانقياد واما
اطلاقه على العلم في قولهم اذعان النسبة تصديق مولد ليس من كلامهم من بين مهتد اي
مصدق بحقيته واعجازه لهداية الله له وبين مفتون متحير في امره بل لاعجازه وفيه
لف ونشر مشوش ولهذا اي لكونه ليس من نمط كلامهم لما سمع الوليد بن المغيرة قال السيوطي
هذا الحديث رواه البيهقي عن عكرمة مرسلا وفي المقتفي في الاحيا في آداب تلاوة القرآن
حديث ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرا علي فقرا عليه ان الله
يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الآية فقال له اعد فاعاد فقال ان له لحلاوة الى
آخر ما ذكره المصنف وكذا ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب بغير اسناد ورواه البيهقي في الشعب
من حديث ابن عباس بسند جيد الا انه قال ان الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة كما قاله المصنف
وكذا ذكر ابن اسحاق في سيرته فان صح فهما قصتان والوليد والد خالد والمغيرة بضم الميم وكسر
الغين المعجمة وابن عبد الله المخزومي وبابي نسبه معروف مات كافرا وترجمته معروفة من النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية لما ساله ان يقرا عليه شيئا من
القرآن لينظر في امره وقرا هذه عليه دون غيرها لمناسبتها له لانه من اقاربه وفيها عظة له
وتنبيه وهو من رؤساء عقلائهم فرجى بذلك ان يهديه الله للاسلام قال لما سمع ما تلاه عليه
والله ان له لما تلاه لحلاوة اي عذوبة فصاحة عند من له ذوق فهو استعارة لما يستلذه السمع
وان عليه لطلاوة بضم الطاء ويجوز فتحها لغة ومشاكلة وبكسر ايضا فهو مثلث ومعناه الحسن

والقبول

والقبول والرونق وجاء بمعنى السحر ايضا وهو استعارة كالذي قبله واكده بالقسم والاسمية وقدم
الخبر للحصر اشارة الى انه لا يشبه غيره من الكلام وان اسفله لمغدق بلام التوكيد وضم الميم
وسكون الغين المعجمة وكسر الدال كما في النسخ كلها من الغدق بفتحتين وهو كثرة الماء ورواه ابن
اسحاق وان اصله لعذق وان نوعه لجناة والعذق فيه بفتح العين المهملة وسكون الذال
المعجمة هو النخلة التي اصلها ثابت ورواه ابن هشام لغدق بفتح المعجمة وكسر المهملة من الغدق
بفتحتين قال السهيلي ورواية ابن اسحاق افصح لانها استعارة تامة يشبه آخر الكلام اوله
والجناة بفتح الجيم والنون الثمرة وان اعلاه لمثمر له ثمر طيب كثير والجملة الثانية بتمامها استعارة
تمثيلية والمراد انه كلام اصله قوي ليس من جنس كلام البشر ومعانيه مفترعة من شرعة لسعادة
الدارين وحسن العاقبة وهو كقوله تعالى ضرب الله مثلا كلمة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في
السماء واستعارتان تمثيليتان واراد باسفله ما تضمنه من المعاني كما يقال تحت هذا الكلام
معان غزيرة واراد باعلاه ما ينتج من الفوائد والعوائد التي تظهر من فهم معانيه وتتبعها
فشبه الكلام لفصاحته وبلاغته بشجرة شربت عروقها ماء غزيرا فاهتزت وربت واينعت
ثمراتها وكثرت وعذبت ويجوز ان تكون مكنية وتخييلية قلت اختلاف الروايات يؤيد تعدد القضية
ثم بنى على هذا قوله ما هذا يقول بشر لانه لا يشبه كلامهم بوجه من الوجوه وفي نسخة ما يقول
هذا بشر بصيغة المضارع اي ليس مثل كلام البشر لحلاوة نظمه وبديع اسلوبه وبلاغة معانيه
وجزالة مبانيه يعني انه ليس مفترى مختلقا وخص البشر لانهم المعروفون بالبلاغة والانس
معجز للجن ايضا مع ان في هذا الخبر التصريح بذلك حيث قال وليس بشعر فما فيكم رجل اعلم بالشعر
مني ولا اعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا
وانه ليعلو وما يعلى وانه ليحطم ما تحته كما رواه البيهقي في الدلائل انه روي للعسكري
ان القادح على الوليد عثمان بن مظعون لا النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه المصنف فان عثمان
قال ما اسلمت ابتداء الا حياء من رسول الله حتى نزلت ان الله يامر بالعدل الآية وانا عنده
فاستقر الايمان في قلبي فقراتها على الوليد بن المغيرة فقال يا ابن اخي اعد الى آخر الحديث
وهذا يؤيد ما سبق من تعدد القضية وحكى ابو عبيد القاسم بن سلام بتشديد اللام
الامام في الفقه والحديث واللغة البغدادي الامام الجليل اخذ عن الشافعي وغيره وكان
عبدا روميا لرجل من هراة واحواله وترجمته معروفة توفي سنة اربع او ثلاث وعشرين
ومائتين ان اعرابيا سمع رجلا يقرا فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين اي اجهر
بما امرت بتبليغه ولا تبال بما يقولونه وما موصولة او مصدرية واصل معنى الصدع التبيين
والتمييز فاستعير لما ذكر لتفرقته بين الحق والباطل وما قيل من انه لا يجوز ان تكون مصدرية
لانه بمعنى امرك وهو مصدر مبني للمفعول والصحيح عدم جوازه ولا موصولة لانه يحتاج
لتقدير العائد اي تؤمر به ولا يجوز الا اذا جر بما جر به الموصول واتحدا متعلقا والاول
متعلق باصدع والثاني بتؤمر هو من قائله وان سبقه اليه بعض المعربين لان الخلاف في
المصدر الصريح لا في ان والفعل كما في هذه الآية ولانه انما حذف العائد بعد حذف الجار
ونصبه فسجد الاعرابي لما ادهشه من بلاغته وقال سجدت لفصاحته اذ ليست
آية سجدة وانما هذه السجدة لفصاحته حتى ذل وخر ووجهه في التراب وكان هذا معروفا في مثله
حتى قال بعضهم للشعر سجدات وليس المعنى سجدت لله لاجل فصاحته كما توهم وضمير فصاحته

اي من عنده قال تعالى فما للذين كفروا قبلك مهطعين واستعار للقوة والقدرة على المقابلة
اي المجازاة فيقال لا قبل لي بكذا ومنه قوله بجنود لا قبل لهم بها والمراد كونه بالغة فقوله
وانه اتى به عطف تفسير فليس المراد انه كلامه معلوم ضرورة لتواتره وتوفر الدواعي على
نقله وكونه صلى الله عليه وسلم متحديا اي طالبا منهم الاتيان بمثله به معلوم ضرورة
لسماعهم له وعجز العرب عن الاتيان بمثله معلوم ضرورة لمشاهدتهم له وكونه في فصاحته
خارقا للعادة اي مخالفا لعادة فصحاء العرب في كلامهم الفصيح من قولهم خرق الصف
اذا تجاوزه وتعداه معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة اي انواعها
ومقاماتها المقتضية لها لعجزهم عن معارضته وقد طلب منهم ذلك مرارا وسبيل من ليس
اهلها اي طريق من ليس من اهل الفصاحة الجبلية الموصلة لمعرفة اعجازه كالمولدين والعجم علم
ذلك اي الاعجاز واسم الاشارة قائم مقام الضمير بعجز المنكرين لاعجازه وانه ليس من كلام البشر
اذا تحدوا عن معارضته والاتيان بمثله وعن متعلقة بعجز واعتراف هو في الاصل افتعال
من المعرفة فصار بمعنى الاقرار بما عرفوه فقوله المقرين بانه كلام الله المعجز من اقامة الظاهر
مقام الضمير وباعجازه بلاغتهم والغير عن ان يعرفوا بنت شفة الا من غلب عليه السفه وتعلق
هنا بما عن بصدده اظهر من الشمس وانكاره مكابرة وسبيل مبتدا وعلم من نقله مسلك خبره مصدر
علم يعلم والمبتدا معرفة باضافته لمن الموصولة والخبر باضافته لاسم الاشارة ولارباب الحواشي هنا
خبط يتعجب منه فمنهم من قال علم مجرور بدل من من الموصولة وذلك مفعوله وبعجز الخ خبره اي
سبيل علم من ليس اهلا ذلك اي كونه خارقا للعادة وهو بعجز الخ واعجب منه قولهم ان علم بفتح
العين وسكون اللام بمعنى علامة من علمت شفته اذا انشقت ونوع علم وبعجز متعلق بمقدر وقيل
علم فعل ماض مبني للمجهول او للمعلوم وهو تخليط لا داعي له ثم ذكر ايات استوضح بها ما قدمه فقال
فانت اذا تاملت اي امعنت النظر ودققته كمن كان ينظر لما له فيه امل وانت فاعل فعل مقدر يفسره
ما بعده على حد قوله اذا السماء انشقت اذ منعنا دخولها على الجمل الاسمية قوله تعالى ولكم في القصاص
حيوة وما اودع فيه من البدائع الروائع مع لطائف الايجاز وانوار الاعجاز الساطعة من مشكاته
ورسوخ عروقه في الفصاحة وحلاوة ثمرات بلاغته في الذوق وما اشتمل عليه من بديع البديع
كالاعراب بجعل القتل الذي هو ضد الحياة ظرفا لها لان من علم انه اذا قتل اقتص كف عنه فكان سببا
للحياة من يهم بقتله وهذا جزء مما عدوه من افصح كلامهم وهو قولهم القتل انفى للقتل مع ما فيه من
التكرار وان القتل مطلقا لا ينفيه ففي القصاص تصريح بالمعنى المراد اذ القتل قد يكون ظلما
وفيه كلام وفوائد كثيرة في شروح الكشاف والمفتاح والعموم مثل على البحر ولا اقول البعرة
تدل على البعير لما في النجاسة من سوء الادب وقوله ولو ترى اذ فزعوا من حلول الاجل ومن
بعثهم من القبور او في يوم بدر فلا فوت لهم من الله بهرب او بعضهم واخذوا من مكان قريب
اي من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى قليبها ففي هذه الاية من
الايجاز والبلاغة وعذوبة الالفاظ ما يعرفه من له بصيرة نقادة وقوله ادفع بالتي
هي احسن اي ادفع سيئة من اساء اليك بالحسنة التي هي احسن من كل حسن او باحسن ما يمكن
دفعه به ولا حاجة للقول بان احسن بمعنى احسن وعدل عنه للمبالغة فانظر ما في هذه الاية
من الايجاز بحذف مفعول احسن وهو السيئة لانه لا يدفع الحسن ولطف المعنى وما تضمنه من المبالغة
ومكارم الاخلاق وهذا كقولهم احسن الى من اساء كفى المسيء فعله وفي طي ذكر السيئة نكتة سنية

به اي

ابن فارس

البرهان وشعر ابن الفارس والتلمساني

واما دعوى المناسبة للمقام بما فيها من دفع الصائل وتكلف المناسبة بينه وبين قوله
وقوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي فبعيد بمراحل وتكلف من غير طائل وفي هذه
الاية من البلاغة المعجزة مع الايجاز انه ناداها كما ينادي العقلاء وامرهما بما يؤمرون به تمثيلا لبا
قدرته وعظمته لانقيادها لما اراده كالمامور المطيع المبادر للامتثال حذرا من سطوة امره
والبلع مستعار للجفاف والاقلاع الامساك وفيه لطائف اخر مفصلة في شرح المفتاح
الاية وتمامها وغيض الماء وقضي الامر وقيل بعدا للقوم الظالمين وقوله فكلا ممن ذكر قبله من المكذبين
اخذنا بذنبه اي عاقبناه به فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا اي ريحا عاصفة فيها حصباء
وهي الحجارة الصغيرة او ملكا رماهم بها وهم قوم لوط الاية وتمامها فمنهم من اخذته الصيحة ومنهم
من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا والاول قوم ثمود ومدين والثاني
قارون والثالث قوم نوح وفرعون وفي الاية من وجوه البلاغة الاجمال والتفصيل وحسن
السبك والنظم والاعلام باحوال من مضى للاعتبار والايجاز والانسجام الرائق واشباهها
اي ما يضاهيها مما ذكر في البلاغة ووجوه من الاي اي اسم جنس جمعي ككلم وكلمة او جمع او اسم
جمع وهو منصوب معطوف على مفعول تاملت ثم اضرب بيانا لانه لا ينحصر في ايات مخصوصة
مشيرا الى وجوه من الاعجاز فيها فقال بل اكثر القرآن اذا حققت ما بعثته لك انفا من ايجاز
الفاظها وكثرة معانيها مع لطائف ودقائق وديباجة عبارتها اصل معنى الديباج نوع من
الحرير له وبر يقال فلان يلبس الديباج ويركب الهملاج وقيل انه معرب فاصله ديبا فزيد
فيه الجيم كما يقال في فولون وهو من الامكان فوليج ثم استعير فقالوا ديح المطر الارض اذا زينها
بالنبات والرياض وفلان يصون ديباجتاه اي خداه وفي هذه بيته لها ومنه اخذ ديباجة
الكتاب والقصيدة لاوله وللحواميم ديباج القرآن اي رياضه الذي يتمتع فيها القارئ فالمراد
حسن عبارته ففيه استعارة مكنية وتخييلية شبهت العبارة بحي واثبت له الديباج بمعنى الرياض والنبات
ثم كني بها عما مر وحسن تاليف حروفها حيث كانت سالمة من التنافر والثقل وحسن تلاؤم
كلماتها بالهمز وقد تبدل ياء فيقال تلايم وملايمة اي مناسبة وموافقة واما ابدالها واوا فهو
خطا من رسم الهمزة بالواو وبان الملاومة مفاعلة من اللوم فقراءة بعض المحدثين بالواو لحن بعيد
ليس فيه تعقيد ولا ضعف تاليف وتنافر كلمات وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة اي فيها
معان كثيرة وفوائد غزيرة وفيها ما يدل عليه تحته تجوزا وفصولا جمة اي انواعا كثيرة من محاسن
الكلام كما يقال جمل الكلام فصلا فصلا والجم الكثير وغاير بينهما تفننا كقوله وعلوما زواخر
براي وخاف معجبين ثم رأيه منهلة اي علوما كثيرة كالبحار الزاخرة من زخر البحر اذا كثر ماؤه م
وارتفعت امواجه ففيه استعارة مكنية وتخييلية ويجوز ان يكون تشبيها بليغا واشتما
مصرحة وزواخر ممنوع الصرف وما في بعض النسخ من تنوينه للتناسب لا وجه له ملئت
الدواوين اي امتلات كتب التفسير وغيره من الفنون من بعض ما استفيد بالبناء للمجهول
اي اخذ كل باحث عنه بحسب فهمه واذا ملاها بعضه فكله لا يمكن حصره ولا يفي به كتاب
كما قال تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي وديوان جمع
ديوان وهو الكتاب وقد تقدم الكلام عليه وكثرت المقالات اي كلام الائمة والمصنفين
في المستنبطات عنها اي في المعاني والاحكام المستخرجة منه بطريق الاشارة والدلالة
لا العبارية وهو من قولهم استنبط الماء من البئر اذا اخرجه فاستعير لما لم يدل عليه صريحا

هو

بين

ز

وجمل

ع

www.alukah.net

وما استنبطه غيره ثم هو اي القرآن وعطفه بثم للتراخي لمرتبته عما قبله في سرد القصص الطوال اي ذكرها في اثنائه مستمرا من سرد الدرع لنسجه واخبار القرون السوالف معطوف على القصص جمع قصة والمراد بالقرون السوالف الامم المتقدمة على عصر النبوة من سلف بمعنى تقدم والقرن مدة من الزمان مختلف فيها والمراد اهله التي يضعف في عادة الفصحا عندها الكلام صفة للقصص والاخبار اي انها لطولها اذا اريد ذكرها بتمامها يضعف على الفصيح حكايتها ويضعف نطقه عن ادائها واجمالها لمن لا يعلمها لا يفيده فائدة يعتد بها وليس المراد انه امر واقع في الخارج يعجز الفصيح عن مطابقته حكايته له ويذهب ماء البيان اي رونقه وحسنه لانه لطوله قد لا تتناسب كلماته ويتسق نظامه ويحكم ارتباطه والبيان ايضاح المعاني وهو معطوف على يضعف الصلة فعائده محذوف كالذي قبله آية لمتامله اي علامة بينة لمن تامل نظمه وسرده القصص والاخبار رواية خبر المبتدا الذي هو هو او مبتدا مؤخر والجار والمجرور خبر مقدم والجملة خبرهو والرابط الالف واللام القايمة مقام الضمير اي هو في سرد قصصه آية لمن تامل حق التامل من ربط الكلام صفة لآية ومن بيانية او متعلق بمقدر اي يظهر كونه آية دالة على اعجازه من ارتباط الكلام بعضه ببعض بالجزيل من الكلام اي من كون اجزائه في غاية التناسب حتى كان كل كلمة مرتبطة باختها والتيام سرده بالهمزة والياء اي تناسبة كلماته المسرودة اي المتتابعة كحلق الدرع الداخل بعضها في بعض مع فصاحتها وحسن تاليفها وتناصف وجوهه المراد بالوجوه انواع بلاغته من الاستعارة والكناية وتناصف تفاعل من النصفة والانصاف والمراد تناسبها وانها في غاية التناسب حتى كان بعضها ينصف بعضا كما يقال اعضاؤه تتناصف حسنا اي لا ينقص حسن بعضها عن بعض وهو من بليغ الكلام الذي لا يعرفه الامن ذاق حلاوة العربية كما اشار اليه المبرد في الكامل قال الشاعر

الا عرض الحي تناصف وجهها • غرض المحب الى الحبيب الاول

واصل معنى الانصاف المساواة في المواساة ونحوها كانك تعطيه نصفا وتاخذ نصفا ومن ظن تعارض هذه المعاني فقد وهم كقصة يوسف على طولها قصها الله على اعجب ترتيب وابدع تهذيب بحيث لم ينقص تناسبها ولم يخل عقد نظامها مرتبطة البوادي بالاعجاز على اصح وجه واوضح نهج ثم اذا ترددت اي اذا اكررت قصصه المذكورة في القرآن من قولهم فلان يتردد على فلان اذا كان يكثر الاتيان اليه كقول بعضهم

اذ كنت لم اكثر زيارة حيكم • فحبي لكم بعض بني تردد

اي ما كرر من قصص القرآن ليس تكرار الخلا اذا اختلفت العبارات عنها فذكرت في كل مكان لمعنى ضربت له مثلا غير المكان الآخر وحكيت بعبارات مختلفة النظم والالفاظ وان كان المعنى واحدا على كثرة ترددها وتكرارها والجار والمجرور حال من ضمير عنها وهذا من عظيم قدرة قايلها ويحكى عن ابن عباد انه مات له ولد اشتد حزنه على فقده فلما صلوا على جنازته في محفل عظيم قام الناس لتعزيته فلم عبارة المعزين له مع كثرتهم وكونه في حالة حزن والم حتى تعجب الحاضرون من بلاغته حتى تكاد كل واحدة من القصص المكررة تنسي في البيان صاحبتها يعني ان سامعها كانه انما سمعها الآن ولم يسبق لها ذكر قبل ذلك لان العبارة غير الاولى والسياق ومناسبة المقام تفيد فوايد اخر وتجدد لمن سمعها حظا عظيما وعبر بكاد لانها لم تنس حقيقة وتناصف اي تتساوى وتتقاوم في الحسن اي حسن العبارة المغايرة لما تقدمها وجه مقابلتها لتفاوتهما باعتبار

تكات

المقامات المحكية فيها كقصة آدم وحوا وموسى مع بني اسرائيل ولا نفور للنفوس من ترديدها وتكريرها وهذا اشارة الى الجواب عما قاله بعض الطاعنين في القرآن بان فيه مكررات كثيرة وهو ما ينفر منه الطبع السليم ولا معاداة لمعادها اي لا تعادي الطباع المكرر المعاد في القرآن من قصصه كما قال الشاعر

طبع النفوس معاداة المعادات

وفيه تلميح لما ذكر وتجنيس لطيف

يرددها

فصل الوجه الثاني

من وجوه اعجاز القرآن من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب اشار بالاسلوب والصورة الى مغايرته للوجه الاول فانه باعتبار مادته وتناسب كلماته وايجاز عبارته وفخامة معانيه وهذا باعتبار نمطه وطريقه الواردة فيه فانه مع حلاوة فصاحته التي تدخل الاذن بلا اذن وتستدعي الاصغا لبادي الرغبة فيه لا يشبه الشعر ولا الخطب ولا غيره بما كان عادتهم في محاوراتهم فرق الاسماع بموازين عوارضه وبهذا اضمحل ما قيل انه يجب المعنى راجع للاول لان حسن تاليفه والتيام كلمه راجع لصورة نظمه فان قيل ان قوله المخالف لاساليب كلام العرب متروك عنه لان قوله الخارق للعادة بمعناه انتهى والاساليب جمع اسلوب وهو الفن والنوع من انواع الكلام يعني انه على اسلوب لا يشبه اسلوب كلامهم وفي كلامه اشارة الى ان الاعجاز ليس مداره على الالفاظ ولهذا عبر بالنظم دون اللفظ قال عبد القاهر النظم توخي المعاني على حسب الاغراض التي صيغ لها الكلام وتواليها في النطق وضم بعضها لبعض كيف ما اتفق ومناهج نظمها ونثرها مجرور معطوف على اساليب اي مخالف لمناهجها جمع منهج وهو الطريق اي لا يشبه كلامهم المنظوم وهو الشعر ولا المنثور من الخطب وغيرها الذي جاء عليه صفة نظمه اي النظم الذي جاء من عند الله واردا على اسلوبه العجيب الغريب الذي لا يشبه كلام البشر ووقفت مقاطع آيه جمع آية مضاف لضمير القرآن وفي نسخة آياته والمقاطع جمع مقطع وهو آخر الكلام الذي يقف عليه القاري وقفا تاما او كافيا واسناد الوقف مجازي والواقف انما هو القاري او هو بمعنى انتهت ووصلت ولذا عداه بالى وهو معطوف على الصلة وانتهت فواصل كلماته اليه وفي بعض النسخ وقفت مقاطع آيه عليه والفواصل جمع فاصلة وهي الكلمة الاخيرة من الفقرة ونحوها والضمير للموصول بتقدير مضاف اي الى اخره قالوا لا يقال في القرآن انه سجع وانما يقال فواصل لانه فصلت آياته ولم يوجد اي لم يسمع كلام بليغ قبله ولا بعده نظير له يماثله في بلاغته وعلو رتبته وغرابة اسلوبه ولا استطاع واحد مماثلة شي منه بان ياتي بكلام ما يشبهه في الجزالة والبلاغة بل حارت فيه عقولهم فوقعوا في الحيرة بالعناد يمنعهم من الاعتراف وظهور اعجازه يكذبهم في قولهم انه مفترى او سحر او نحوه مما لا يقبله الطبع وتولهت دونه بفتح الدال المهملة واللام المشددة والهاء اي دهشت وتحيرت في شانه فهو قريب مما قبله احلامهم جمع حلم وهو بمعنى العقل وله معان اخر والاحسن ان التوله ذهاب العقل من الهوى فيكون ترقيا من حيرة الى ذهابه وفي نسخة تولهت بواو بدل الدال من الوله وهو الحيرة ايضا ودونه بمعنى ما لم يبلغ منزلته كما في قوله لا تتخذوا بطانة من دونكم يعني ان عقولهم لم تصل اليه وتحيرت فيما هو اقل منه فكيف به ولم تهتد الى مثله اي لم يهتدوا به من فصحايهم ولم يقدروا على الاتيان لشي يماثله ويقرب منه في جنس كلامهم الذي يقدرون عليه ويجي به قوام البشرية من نثر كالخطب والرسائل او نظم من القصائد

ليث

نة

الألوكة
-www.alukah.net

والنتف أو سجع وهو الكلام المقفى غير الموزون المنظوم وهو يطلق على مجموع هذا وعلى الكلمة
الأخيرة من الفقر ويطلق على الإتيان به وتعشق التوافق لتوافق فيه أو برجز وهو نوع من الشعر
معروف وأفرده بالذكر مع دخوله في النظم لأنه خالفه في عدم التزامهم رويا واحدا فيه فعُدّ نوعا
مستقلا من الكلام أفرد باسم يخصه ولم يعده بعضهم من الشعر حتى سمي قائله راجزا لا شاعرا أو شعر
ولو لم يذكره كان أحسن لأنه مكرر مع النظم وقد سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة
أبو خالد بن الوليد وكان من صناديد قريش وعقلائهم وفصحائهم إلا أنه لم يقدره الله للإسلام فمات
كافرا وأسلم ولده خالد سيف الله وقرأ عليه أي سمع الوليد رسول الله بعض القرآن رجاء إسلامه
رق قلبه ومال طبعه إلى الاعتراف به وإلى الإسلام وأصل الرقة ضد الغلظ فتجوز به عن الملايمة
والميل كما قال ابن سعيد المغربي (ه)

قد طال شوقي إلى ثغور • ملآى من الشهد والرحيق
عنها أخذت الذي تراه • يعذب من شعري الرقيق

فجاءه أبو جهل لما بلغه ميله إلى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصده عنه وكان ابن أخيه
واسمه عمرو بن هشام منكرا عليه ميله واستحسانه لما قرأه عليه وهو حال من فاعل جاء فقال أي
الوليد ردا لإنكار أبي جهل عليه والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار مني إنكارا لقولهم إنه شاعر
والله ما يشبه الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن شيئا من هذا الشعر الذي ينشد
وأشار إليه بالقريب لشهرته وحضوره في الذهن كالمشاهد المحسوس وفي خبره الآخر أي في
خبر آخر عن الوليد رواه البيهقي عن ابن عباس حين جمع الوليد قريشا يعني أشرافهم ورؤساءهم
عند حضور الموسم مفعل من الوسم وهو العلامة والمراد موسم الحجاج وهو اجتماعهم لأنهم كانوا لم
كانوا يجتمعون فيه بمكة وحضوره مجيء زمانه أو مجيء أهله ولما كان يجتمع به جميع قبائل العرب
من كل فج خشي أن يسمعوا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم فيتبعوه فجمعهم ليتشاوروا ويدبروا رأيا
فيما يصد الناس عنه فقال إن وفود العرب جمع وفد وهم الجماعة الذين يقدمون من بلادهم
إلى مكة من غير أهلها وأصل معنى الوفد الأشراف يرد أي يقدم من غير البلاد وأصل الورود الذهاب
للماء فأجمعوا فيه أي في النبي صلى الله عليه وسلم وأمره أي دبروا وقرروا وكونوا رأيا أي أمرا
تعتقدون له فائدة ونتيجة وأجمعوا بقطع الهمزة من الإجماع يقال أجمعت كذا وأجمعت على كذا
وأكثر ما يقال فيما يكون جمعا يتوصل إليه بالفكر نحو فأجمعوا أمركم وشركاءكم ويقال أجمع المسلمون
على كذا إذا اجتمعت آراؤهم عليه ويجوز أن تكون همزته همزة وصل أيضا لأنه يقال جمع له رأيا ر...
وبه فسر قوله تعالى إن الناس قد جمعوا لكم أي جمعوا آراءهم وتدبيرهم كما قاله الراغب ولا عبرة بإنكار
الحريري في الدرة لصحته كما بيناه في شرحها لا يكذب بعضكم بعضا أي اتفقوا على أمر قبل قدومهم
حتى لا يحصل افتراق كلمة واختلاف في شأنه فقالوا نقول هو كاهن وهو الذي يخبر عن المغيبات
ويدعي معرفة الأسرار وكان منهم في العرب كثير كشق وسطيح وكان لهم كلام مسجع مصنع فمنهم من
له جني يخبره ويلقي إليه الأخبار ومنهم من يدعي معرفة ذلك بأسباب وأمور يأخذها من كلام
السائل وفعله وحاله ويقال له عراف وأكثرها أمور ظنية يخطئ ويصيب أحيانا فقال الوليد لهم
والله ما هو بكاهن أي حاله لا تشبه حال الكهان وكلامه لا يشبه كلامهم المسجع الذي كانوا
يلفقونه وينمقونه وفيه أكاذيب باطلة فليس هذا إلا مقبولا لا يروج عند العقلاء ما هو بزمزمته
ولا سجعه الضمير للنبي والباء للملابسة أي ليس مقرونا بزمزمته وبكلامه المفهوم من السياق

أي وما كلامه شبيه بزمزمته والزمزمة صوت خفي لا يكاد يفهم وكان للكهان زمزمة يرون
يحضرون بها الجن وزمزمة المجوس قراءتهم وكلام الكهان كان مسجعا ولذا كره النبي قول القائل في
الجنين كيف ندي من لا أكل ولا شرب ولا استهل ومثل ذلك يطل وقال هذا من إخوان الكهان
وهذا لا يدل على كراهة السجع مطلقا فإنه في كلامه صلى الله عليه وسلم بدا أحيانا فلم يرتض هذا
الرأي فيه قالوا نقول هو مجنون أي رجل اختلط عقله فاختلط كلامه وفعله بإصابة الجن له وهو خلط
المعروف عندهم وقد يكون لغلبة سوداوي يخل بالدماغ وإدراكه وهو المعروف عند الأطباء وأصله
من جنه وأجنه إذا ستره لاستتار عقله ومنه الجان والجنين قال الوليد ردا لرأيهم هذا ما
هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته أي لا يشبه حاله حال المجانين والخنق بفتح الخاء المعجمة
وسكون النون مصدر وهو الاختناق والمجنون يقال له خنق بكسر النون وفتحها والوسوسة بفتح
الواو مصدر وهو شيء يلقى في القلب أو في السمع بصوت خفي وقد يحدث المرء به نفسه ولذا سمي
حديث النفس قالوا فنقول شاعر قال أي الوليد ما هو بشاعر إذ ليس كلامه يشبه الشعر
لا وزنا ولا معنى إذ الشعر مدح وهجو وتشبيب وليس فيما سمعوه منه شيء من ذلك قد عرفت الشعر
كله بأنواعه وأوزانه ومعانيه ثم فصل بعضا منه بقوله رجزه هو نوع من الشعر معروف مسمى
بالرجز ويقال للقصيدة منه أرجوزة وجمعها أراجيز وسمي رجزا لاضطرابه في وزنه باختلاف
أوزانه واختلاف قوافيه وهزجه بفتحتين ومعجمتين وهو اسم لبحر من بحور الشعر معروف وبه فسر
هنا ولكن الذي قالوه إن أسماء البحور منقولات اصطلاحية نقلها الخليل بن أحمد منقولة من
الهزج لنوع مطرب من الأغاني ولو قيل إنه اسم لضرب من الشعر كانت العرب تتغنى به كان أقرب
وأنسب بقوله وقريضه لأنه ليس اسم بحر من بحور العروض لأنه في اللغة بمعنى الشعر مطلقا من قرض ضد
بمعنى قطعه فعيل بمعنى مفعول لأن الشاعر يقتطع نوعا مخصوصا من الكلام لغرض له فالظاهر
أن المراد به ما يقابل القصائد وهي المقطوعات وقرض الشعر ملكة يقتدر بها على نظمه وفي العرف
معرفة محاسن الشعر وقبيحه ومبسوطه أي مطولات قصائد مطلقة المقابل لما قبله فيتناول
جميع أنواعه من الطويل والبسيط وغيره لمن فسره ببحر البسيط وقال لزيادة الميم فيه ليتأتى كله
قوله ومقبوضه فقد تكلف ما لا دليل عليه وكان المراد بمقبوضه مختصر أوزانه المسمى في
العروض بالمخزوق والمنهوك وليس المراد مصطلح العروضيين وهو المحذوف ثاني السبب الخفيف
الذي هو خامس كمفاعيلن الذي حذف ياؤه فصار مفاعلن لأن هذا اصطلاح أحدثه المولدون
لا تعرفه العرب قديما وقوله رجزه وما عطف عليه منصوب من الشعر لا من كله لأنه توكيد لا يصح
الإبدال منه لا لأنه لا يقع مفعولا كما توهم قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر أنكروا لما
يعلمه من أن الساحر هو الذي يستعين على ما يأتي به من خارق العادة بأمر علوي أو بتسخير
يسخره الجن أو بطلسمات يستمد بها التسلط بالعلوي والناس جميعهم يعلمون أنه ليس كذلك
ولذا قال ولا نفثه ولا عقده بفتح العين المهملة وسكون القاف أو بضم ففتح جمع عقدة
والنفث النفخ مع ريق والعقد عقد حبال أو شعر مضفور ونحوه كما يعرفه السحرة مما يرون
أمورا خارقة للعادة في الخارج عنده وكنى به عن أنه ليس عمله ما يعمله السحرة فقد ترى بين
أظهرهم ولم يروا منه ذلك فلذا خطأهم في وصفهم له به وبين أن تدبيرهم الباطل لا يروج
على عاقل كما قيل (ه)

يا سطوة على عقد ما ربطوا • وشتى يهال أقوام بنا اختلطوا
الله أكبر سيف الله قاطعهم • وكلما قد علوا في ذمهم هبطوا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قالوا فما نقول بالنون او بالمثناة التحتية اي نحن او انت يا وليد فيه وما رايك ما انتم بقايلين من هذا اي من مثل هذه الآراء شيا في حقه الا وانا اعرف انه باطل ليس بمقبول عندي ولا عند غيري من العقلاء الذين يعرفونه وتقديم الضمير لتقوية الحكم بتعدده او للحصر لتنبيه اعتقاد بعض جهلتهم فيه والجملة حالية مستثناة يجوز قرانها بالواو وعدمه وان اقرب في حقه وان كان الكل مفتري انه ساحر بفتح الهمزة وكسرها كما في كلما وقع بعد افعل تفضيل مضاف للقول على ان المضمن مجرد او الجملة المحكية ولا يحتاج لرابط لانها عين المبتدا هنا وهذا رجل عاقل ختم الله على قلبه وسمعه ونسجت عناكب لضلاله على بصره ثم بين وجه اقربيته بقوله فانه ساحر بحسب النظرة الحمقى وانه يحوكا لسحر ووجه المشابهة انه يفرق بين المرء وابنه بالبا الموحدة والنون او بالبا المثناة التحتية ومعناهما ظاهر والمرء وزوجه اي امراته وفيه لغتان هذه وزوجة بتاء التانيث والمرء وعشيرته اي اقاربه الادنون المعاشرين له وقد كان فان من ذاق حلاوة الاسلام ترك ما عداه لاجله كما كان مشاهدا في الصحابة ومنهم من ترك ملكه كثيرا بن النجاشي كما في سيرة ابن هشام والتوفيق بين هذا وبين ما حكاه الزمخشري عن الوليد هذا من انه قال لهم ما هو الا ساحرا ما رايتموه يفرق بين المرء لخ وما حكاه عنه من قوله ان هو الا سحر يؤثر كما تقدم انه اراد ما هنا من انه كالساحر فما ذكره لكن ساقه في معرض الجزم لرواجه عندهم او انه قاله مرة ثم راجع عقله فرجع عنه وهو الاوفق بما في الاية ومناسبة ما ذكر لما هو بصدده في غاية الظهور فالقول بان الانسب ان يذكر ما حكى عنه من انه قال لبني مخزوم والله لقد سمعت محمدا يقول انفا كلاما ما هو الخ ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى كما تقدم لا وجه له فتفرقوا من المجلس الذي جمعهم للمشاورة فيه وجلسوا على السبل بضمتين جمع سبيل وهو الطريق ليخبروا الوافدين بما قالوه فيه حتى لا يتبعوه يحذرون الناس منه حتى لا يصدقوه فيقولون لكل من رأوه محل شانه كذا وكذا فاحذروه لا يفتنكم عن دينكم والجملة الاولى معطوفة او حالية بتقدير به وكذا الثانية من ضمير يتفرقوا وهما حالان متداخلتان فقالوا ذلك لكل من قدم للحج ففشا امره في قبايل العرب وخشي ابو طالب من ذلك ومن تعييبهم للنبي لالهتهم وسبها ان يقع منهم ما يعرضهم على ضرره فقال اللامية الطويلة المشهورة بمدحه وبين كرحسن حاله وما هو عليه فيها قوله

لعمري لقد كلفت وجدا باحمد ... واحببته داب المحب المواصل

ولولا خوف الاطالة لاوردتها لما فيها من مدحه وبيان حقيته وتعيين حمايته فانزل الله في الوليد وقصته المذكورة التي هي سبب النزول وهذا من اقامة الظاهر مقام الضمير للتسجيل عليه بذم الله له ذرني ومن خلقت وحيدا الايات اي دعني معه فانا اكفيه من كيد اعدائه وان كانت وحيدا منفردا من اهله وعشيرته لتركهم له او لا نظير له وتمام النظم وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لاياتنا عنيدا سارهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر والكلام على هذه الايات مفصل في التفسير والمقام لا يسعه ووحيدا بمعنى منفرد وهو وصف للوليد او له صلى الله عليه وسلم وقال عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف والد هند ام معاوية رضي الله عنهما وهذا قاله عتبة بن الحارث في غزوة بدر كما فرا حين سمع القران يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيا الا وقد علمته وقراته وقلته هذا عبارة عن انه عنده علم بالكتب

المنزلة

المنزلة لقراته بعضها وانه قرأ القصص السالفة وقال الشعر وله سعة علم بالبلاغة وليس ظاهره مرادا اذ لا يمكن لمثله ما ادعاه والله لقد سمعت قولا يعني به القران الذي سمع الرسول يتلوه والله ما سمعت مثله قط هو للاستغراق في الماضي ما هو بالشعر الباء زايدة اي ليس بشعر ولا يشبهه كما مر وقال النضر بفتح النون وسكون الضاد المعجمة علم منقول من النضارة بمعنى الحسن ابن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار الذي قتله النبي صلى الله عليه وسلم بالصفراء صبرا وقصته مذكورة في السير نحوه اي مثل ما قال عتبة والوليد في اعترافه بالقران وانه لا يشبه كلام البشر وفي حديث اسلام ابي ذر الغفاري الصحابي وغفار قبيلة من العرب مشهورة وهو جندب بن جنادة كما مر وغفار قبيلة من كنانة وهو غفار بن مليك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة وحديث رواه مسلم وغيره وفصله البيهقي في دلايل النبوة واسنده الى عبد الله بن الصامت وهو حديث طويل وكان اسلامه بمكة رابع اربعة فلذا كتب ربع الاسلام وقوله ووصف اخاه انيسا بالتصغير ووصف ماض والجملة حالية بتقدير قد فقال تفسير لوصفه المذكور والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض بقاف وضاد معجمة من المناقضة مفاعلة من النقض وهو هدم البنا وحل طاقات الحبال ثم صارت بمعنى كون الكلام له معنى لا يمكن اجتماعه مع نقيضه كزيد قايم وزيد ليس بقايم وهذا اصطلاح المنطقيين وعند العرب نقايض الشعر في الجاهلية انه اذا قال احدهم شعرا ذكر فيه افتخار ابايه وشرفهم على قوم غيرهم او ذكر فيه هجا غيرهم ومثالبه وتنقيص حسبه وآله فعارضه غيرهم بشعر يذكر فيه ضد ما قاله يسمى ذلك مناقضة ويقال القصايد نقايض جرير والفرزدق لقصايد من الطرفين جمعت وشرحت وفي الاساس يقال في كلامه تناقض وهذا مناقضة ونقيضه وتناقض القولان والشاعران وناقض احدهما الاخر بقوله قصيدة فينقض صاحبه عليه وهذه القصيدة نقيضة قصيدة فلان وهما نقايض ومنه نقايض جرير والفرزدق انتهى وفسره في الشرح الحديث بما في النهاية من ان المناقضة مفاعلة من نقض البنا وهو هدمه اي ينقض قولهم وينقضون قوله واراد به المراجعة والمراودة انتهى وهو تفسير لا يفي بالمقصود لما عرفته اثني عشر شاعرا في الجاهلية اي عارضهم في قصايدهم فاتى بمثلها وهذا يدل على فصاحته ومعرفته بالشعر وقدرته على انشايه في زمان الجاهلية كان زمانا كان فيه الشعرا الفحول كثيرا وذكر هذا تمهيدا لما بعده سياتي من انكاره عليهم في قولهم ان النبي شاعر انا احدهم ذكره اعترافا له بقوة شاعريته وانه اي اخاه انيسا انطلق الى مكة اي ذهب اليها بعدما كانا في غنم لهما ترعى فقال لاخيه اني صاحب بمكة فاكفني امر الغنم حتى اتيك فانطلق حتى اتى مكة فابطا على ابي ذر ثم اتاه فقال ما حبسك قال لقيت رجلا يزعم انه على دينك الى اخر القصة التي ذكرها البيهقي واشار الى بعض منها المصنف بقوله وجا يخبر النبي الى اخيه ابي ذر وكان اسلم بمكة قبل اخيه واسلم اخوه بعده فهما صحابيان قلت له يعني ما اخبرني فما يقول الناس فيه صلى الله عليه وسلم قال يقولون شاعر كاهن ساحر اي بعضهم يقول هذا وبعضهم يقول هذا ثم اشار الى بطلان ما قالوه بقوله لقد سمعت قول الكهنة جمع كاهن مثل كاتب وكتبة فما هو اي النبي او كلامه ملتبس بقولهم ولقد وضعته اي وضعت قوله يعني انه قابلته وقايسته بالشعر ونزلته عليه لننظر هل فيه ما يشبهه وهو مجاز من قولهم وضع النعل على النعل اذا طابقه به لينظر هل هو مساو له ام لا على اقرا الشعر جمع قرء قال في القاموس اقرا الشعر انواعه وانحاوه اي امثاله فهو جمع قرء بالضم وقيل انه جمع قرء بفتح

الألوكة www.alukah.net

وهو طرفه وانواعه وبحوره وقال الزمخشري انه قوافيه التي يختم بها كالقرائد الظهر التي ينقطع
عندها الدم واحدها قرء فتحا وكسرا وضما نهن مقاطع ابياته وحدودها والاقراء بفتح الهمزة والمد
جمع قلة اريد به الكثرة هنا فلم يلتئم بالهمز من الملائمة اي لم ار مناسبا ولا موافقا له لفظا ولا
معنى وابن الزبعرى اي ابن الزبعرى ولذا قال الفقهاء رحمهم الله لا يكتب فيه البسملة واجازها بعضهم من الكوا...
قالوا هذا في غير مدح النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه من التوحيد والمواعظ ومنظومات العلوم واما
الهجاء فينبغي ان لا يختلف في عدم كتابتها كما قاله التلمساني وما يلتئم اي يتيسر ويتفق على لسان
احد بعدي انه شعر بفتح الهمزة من انه لا يتم لاحد غيري ان يقول انه شعر لانه ليس احد باعلم
بالشعر واقدر عليه مني فلو امكن لاحد ان ينزله على الشعر ويعارضه به كنت فعلته فحيث لم يتيسر
لي لا يتيسر لغيري والمراد ابطال كونه شعرا بعد ما ابطل كونه سحرا وكهانة فلذا عقبه بقوله وانه
اي النبي صلى الله عليه وسلم لصادق في قوله انه كلام معجز من عند الله وانهم اي الكفرة لكاذبون
في جميع ما قالوه ونسبوه له من الاباطيل وتتمة الخبر انه قال لانيس هل انت كافي حتى انطلق فانظر
قال نعم وكن على حذر من اهل مكة فانطلقت حتى اتيت مكة فقلت لرجل اين هذا الذي تدعونه الصابي
فاشار اليه فمال علي اهل الوادي يرجموني حتى خررت مغشيا ثم اتيت زمزم فشربت منها وغسلت الدم
ودخلت تحت استار الكعبة ولبثت نحو ثلاثين ليلة وما لي طعام الا ماء زمزم فسمنت وما وجدت
جوعا فبينما انا في ليلة قمرا وامرأتان تطوفان وتدعوان اسافا ونائلة فلما رأياني تولتا وانطلقتا
فاستقبلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وهما يهبطان من الجبل فقالا لهما كما قالتا صابي دون
الكعبة واستارها فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر فاستلما الحجر وطافا ثم صليا فاتيته
وحييته بتحية الاسلام وكنت اول من حياه بها فقال وعليك السلام ورحمة الله ممن انت قلت
من غفار فرفع رأسه ثم قال متى كنت هنا قلت منذ ثلاثين ليلة ويوم قال فما كان لك طعام الا ماء
زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني فقال انها مباركة انها طعام طعم وشفاء سقم فقال ابو بكر يا رسول
الله ائذن لي في اطعامه الليلة فانطلقت معهما حتى فتح ابو بكر بابه وجعل يقبض لي من زبيب الطائف
فكان ذلك اول طعام اكلته بمكة فلبثت ما لبثت ثم اتيت رسول الله فقال اني وجهت لارض ذات نخل
ما احسبها الا يثرب فهل انت مبلغ عني قومك لعل الله ينفعهم بك ويأجرك فانطلقت حتى اتيت
اخي انيسا فقال لي ما صنعت قلت اني اسلمت فقال ما بي رغبة عن دينك فاني اسلمت وصدقت ثم
اتيت امي فقالت ما بي رغبة ثم احتملت واتيت قومي فاسلم بعضهم قبل ان يقدم رسول الله المدينة وكان يؤمهم
خفاف وهو سيدهم وقال بقيتهم اذا قدم رسول الله المدينة اسلمنا فقدم رسول الله المدينة فاسلم بقية قومي وجاءت اسلم فقالوا يا رسول الله
نسلم على الذي اسلم عليه اخواننا فاسلموا فقالوا يا رسول الله غفار غفر الله لها واسلم سالمها الله
وهذا خبر اسلامه باختصار والاعجاز [struck through] لجميع الخلق بتعجيزه عن الاتيان بمثله لكل واحد من
النوعين الذين ذكرهما والنوع الاول منهما الايجاز والبلاغة بذاتها اشارة الى قوله في اول هذا
الفصل اولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب
وحاصله ان اعجازه من نفس جوهر كلامه بكونه في اعلى طبقات الفصاحة والبلاغة بحيث يسلم عن
عن ضعف التأليف وتنافر الحروف والكلمات وايجازه ورعاية معان ووجوه يقتضيها المقام
ويتضمن نكات تعجز عنها طاقة البشر والمراد بقوله بذاتها ان الاعجاز منشؤه نفس كلماتها وما تركب
منها والنوع الثاني ما اشار اليه بقوله ان الاسلوب الغريب بذاته يعني كونه على نمط لا يشبه
نمط كلامهم المنظوم ولا المنثور فانه ليس بشعر ولا سجع ولا خطب وان وقع فيه من غير تكلف سجع

اعجازا ونظم

احيانا ونظم حتى ذهب الخطيب في تكملة العمدة الى ان النظم الواقع فيه مقصود كالابيات والاستطار ها
التي تقع في اثناء الانشاء نادرا ولا يسمى بها الكلام شعرا لانه لم يقصد بالذات وهو قول
غريب وقوله بالذات بمعنى فقط وتغاير النوعين ظاهر وان لم يفرق بينهما بعض الشراح وقال ان
في النوعين تداخلا اذ لا يتصور كونه اسلوبا غريبا دون البلاغة الى آخر ما ذكره مما لا طائل تحته
لكل واحد منها بضميره لوحدة المونثة الراجع للبلاغة وفي نسخة منهما مثنى والضمير للنوعين
وقيل الاولى اولى وكل مبتدا خبره نوع اعجاز على التحقيق غير محتاج الى الاخر ثم بين اعجازه بقوله
لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما وفي نسخة منها كما تقدم خارج عن قدرتها مباين
اي مخالف لفصاحتها وكلامها لما فيه من وجوه البلاغة التي لا تحيط بها قدرتهم ولم تألفه
طباعهم مع انسجامه وعذوبة الفاظه والى هذا القول الدال على ان كل واحد منهما نوع مستقل
من الاعجاز كاف في اثباته ذهب غير واحد اي جماعة كثيرة من ائمة المحققين العارفين بالبلاغة غة
ووجوه الاعجاز يعني ان منهم من قال اعجازه بما تضمنه من وجوه بلاغة كلامه وفصاحة كلماته
كالجاحظ ومنهم من بلاغته واسلوبه الغريب ونظمه العجيب الذي لا يشبه كلام البشر ولا يطيقه
القوى والقدرة مع انه بلغتهم وكلماته كلماتهم التي يعرفونها كما قيل في معنى الحروف في اوائل
السور نحو الم والمص يعني انه كلام مركب من هذه الحروف التي تركب منها كلامكم فلم لم تأتوا بمثله
وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة
والاسلوب لا بكل واحد منهما وحده واتى على ذلك القول الذي اختاره وضمن اتى معنى اسند ل
فعداه بعلى بقول تمجه بضم الميم وجوز بعضهم فتحها اي ترميه ولا تقبله الاسماع بفتح
الهمزة جمع سمع بمعنى الاستماع وبمعنى جارحة السمع يقال مج الماء من فيه اذا طرحه ففيه استعارة
مكنية وتخييلية لتشبيه الاذن بالفم والكلام بالماء في الرقة والعذوبة ونبو الحرارة
كما قال بعض اهل العصر

يكاد من عذوبة الالفاظ • تشربه مسامع الحفاظ

وقال الغزي

وتنفر المعتاد عن بعضه • للورد حلا بالانوف يقبل

وتنفر عنه القلوب من النفار وهو الذهاب بسرعة فكان القلوب تضرب منه لعدم قبولها له
وهو عبارة عن كونه قول ضعيف مردود ولذا قال في الاول انه قول الائمة المحققين واشار بالمقتدى
بهم الى ان هذا القول له وجه ايضا ليس كالقول بالصرفة والصحيح ما قدمناه من ان كل واحد
منهما وجه مستقل في الاعجاز كان فيه والعلم بهذا كله اي العلم باعجازه وبلاغته واساليبه العجيبة
على القولين ضرورة وقطعا بنصبهما اي من سمعه قطع بما عنده من العلم الضروري انه في
اعلى طبقات الكلام وهو مما يدرك بالذوق ويقبل ذلك ولا يوصف كالملاحة والطريق له تتبع
كلام البلغاء وخدمة علم البلاغة الذي يورثه علما ضروريا ولذا قال ومن تفنن في علوم
البلاغة اي عرف فنونها ومارسها حتى حصل له ملكة يعرف بها خواص التراكيب ووجوه ايرادها
في طرقها المختلفة في الوضوح وانواع محسناتها البديعة وهو باتقان علمي المعاني والبيان
وتوابعهما وارهف اي سن وحدد ودقق من قولهم ارهف السيف فهو مرهف اذا سنه حتى دق
حده خاطره ولسانه اي فكره ونطقه بحيث يسهل عليه تصوره والتعبير عنه واصل الخاطر
المعنى الذي يخطر على القلب الذي هو محل العقل والفهم ويراد به نفس الفهم والعقل وارهافه
ممارسته حتى يتمكن من عمله واللسان الجارحة ويراد به نفس الكلام فشبه ذلك بالسيف المسنون

www.alukah.net

في سرعة نفوذه ودقته وارهف فعل ماض فاعله **ادب هذه الصناعة** اي صناعة البلاغة
وعلم المعاني والبيان وادب بوزن طلب يكون بمعنى الظرف والحسن والعلم يقال ادبه فاحسن
تاديبه اي علمه واصله من المادبة وهي الطعام الذي يدعى له كما قيل الادب مادبة ما الاحد
فيها ما زبه • ويصح ارادة كل واحد هنا وافق الاخير واما اطلاق الادب على علمي النظم والنثر
لم تردوان قرب من معناه الاصلي واصل الصناعة معرفة ما يزاول بالجوارح كالخياطة ثم شاع في
معنى العلم **لم يخف عليه ما قلناه** اي جميع ما تقدم وان كلا منهما نوع مستقل **وقد اختلف
ائمة السنة في وجهه** اي في سببه ومنشئه الذي يوجد به **عجزهم عنه** اي عجز العرب
الفصحاء عن معارضته **فاكثرهم يقول** اي قال وعبر به لحكاية الحال الماضية حتى كانها حاضرة
انه اي وجه اعجازه **ناشى مما جمع في قوة جزالته** الجزالة الغلظة والقوة والصلابة يقال
حطب جزل ثم يطلق على الكثرة فيقال عطاء جزل فاستعير هنا الاحكام نظمه وعدم ركاكته
واضافة اليه القوة اشارة الى انه في اعلى مراتب الاحكام حتى انه لا يتطرق اليه خلل اصلا و لا
يختلف نظمه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولا حاجة لتفسيره بالقوة
ويقال للقوة قوة فيصح اضافتها اليها **ونصاعة الفاظه** بفتح النون والصاد والعين المهملتين
اي وضوحها وخلوصها ومنه ابيض ناصع وقيل الجزالة القطع ومنه القضا الجزل اي القاطع
للشك ونصاعته بياضه وهو تكلف لا داعي له وكونه اشارة الى المحسنات البديعية لا وجه له
وحسن نظمه وايجازه لسلاسته والتيامه وبديع تاليفه وتركيب كلماته المؤتلفة المتواخية
واسلوبه طريق بلاغته التي لا يسلكها كلام غيره وقوله مما جمع مقدم من تاخير متعلق بقوله
لا يصح ان يكون في مقدور البشر مقدور اسم مفعول او مصدر على وزن مفعول بمعنى القدرة
اي لا يمكنهم القدرة على مثله لما جمعه مما لا تطيقه قدرتهم **وانه من باب الخوارق** اي من جنسها
ونوعها يقال هذا من بابه هذا وبابته اي من جنسه **الممتنعة عن اقتدار الخلق عليها** اي التي
لا يقدرون عليها حتى كانها امتنعت عليهم وابت مطاوعتهم وهو من بليغ الكلام **كاحياء الموتى**
بفتح الميم جمع ميت وهذا مما وقع لعيسى وابراهيم الخليل **وقلب العصا حية** كما وقع لموسى
وسيدنا حديرا كما وقع لنبينا وإطلاقه المصنف ليشملهما فيكون فيه ذكر لمعجزة نبينا صلى الله عليه
وسلم هو المناسب لقوله **وتسبيح الحصا** في كفه صلى الله عليه وسلم كما ثبت في معجزاته ثم ذكر
مذهبا آخر فقال **وذهب الشيخ ابو الحسن** الاشعري امام اهل السنة وقد تقدم بعض من ترجمته
الى انه اي القرآن المعجز **مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر** اي انه فرد من افراد
الكلام البليغ داخل فيه مندرج في جنسه ومثله قولهم الحيوان جنس تحته الانسان والفرس وهو
تحوز معروف **ويقدرهم الله عليه** عطف تفسير لما قبله على مذهبه من خلق الافعال **ولكنه لم
يكن هذا** فيما مضى ولا يكون في الحال والمستقبل **فمنعهم الله** عن معارضته والاتيان بمثله وهذا هو
القول بالصرفة وفيه اختلاف ايضا فقيل معناه ان فيهم قدرة على التكلم بمثله وعنده علم بوجوه
البلاغة واساليبها حالة التحدي لكن الله صرف دواعيهم عن ذلك مع توفر اسبابها من التقريع
والتبكيت وتكرر الطلب وهو قول النظام والاستاذ من اهل السنة وقيل بل سلبهم الله عند التحدي
القدرة والعلم بعلوم البلاغة فاذا ارادوا ذلك لم يقدروا عليه وتسميته صرفة بحسب ظاهر
حالهم وما علم من اقتدارهم وهذا مذهب المرتضى علم الهدى من الشيعة ونقل عن الاشعري الا انه
لم يشتهر عنه وكلام المصنف يحتمل الوجهين فان قلنا هذا اشارة الى الاتيان بمثله فهو المذهب الاول

وان قلنا

وان قلنا الافراد فهو الثاني وحمله بعضهم على الثاني وقال يحتمل ان يكون المراد بابي
الحسن رجل آخر غير الاشعري ولا حاجة لمثله من التكلف **وعلى الطريقتين** بل الطرق من اعجاز
بلاغته واسلوبه والصرفة **فعجز العرب عنه ثابت** محقق مع كمال بلاغتهم وفرط تهالكهم وتنج
عنادهم لاطفاء نوره وما زاده الا اشتعالا واضاءة واقامة الحجة عليهم بتكليفهم باقل قليل منه
مما يصح اي يمكن وينبغي فانه ورد بهذا المعنى في اللغة **ان يكون في مقدورهم** على مذهب
الاشعري **وتحديهم** مصدر مضاف لمفعوله اي طلب النبي صلى الله عليه وسلم من العرب
الفصحاء **ان ياتوا بمثله** اي مثل القرآن في البلاغة وعجز العرب مبتدا خبره ثابت **واقامة
مثله** خبره **قاطع بعجزهم** عما لا ريب فيه **وهو** اي ما ذكر او التحدي مما هو مقدورهم **ابلغ في
التعجيز** بغيره مما لا يقدرون كاحياء الموتى **واحري** افعل تفضيل بحاء وراء مهملتين بمعنى
احق واولى **بالتقريع** وهو التوبيخ والتعيير من القرع بالعصا وهو الضرب **والاحتجاج
بمجيء بشر مثلهم** من جنسهم واهل لغتهم **بشيء ليس من قدرة البشر لازم** على القول الاول من
اعجازه بمادته وصورته **وهو** اي المذكور من عدم قدرتهم **ابهر اية** اي اظهرها واغلبها
لسائر الايات الباهر لارتفاع شانه وعلوه في رتبته لا يدانيه كلام بليغ كما مر تفصيله **واقمع
دلالة** بالنصب على التمييز والجر على الاضافة والدلالة بكسر الدال مصدر او بمعنى الدليل والاقمع
من قمعه اذا قهره وردعه واذله لعجزهم عن معارضته **وعلى كل حال** من الاحوال الثلاثة
اي سواء قلنا بانه معجز ببلاغته وبالصرفة عن معارضته فقد عجزوا **فلم ياتوا في ذلك بمقال**
اي لم يسمع منهم كلام عارضوه به ولو صدر منهم ذلك لشاع وذاع **بل صبروا على الجلاء** بفتح الجيم
والمد وهو ترك الوطن والمال والقتل لفرط عنادهم وعدم انقيادهم **وتجرعوا** اي شربوا
جرعة بعد جرعة **كاسات** جمع كاس وهو ما يشرب به الخمر ونفس الخمر **الصغار والذل** بفتح الصاد
المهملة وهو المذلة فالعطف تفسيري وفيه استعارة تصريحية او مكنية اي صبروا على
التحقير والاهانة وتجرعوا غصصها **وكانوا من شموخ الانف** بفتح الهمزة والمد وضم النون جمع
انف كذا ضبطوه ويجوز فتح الهمزة وسكون النون بالافراد والشموخ بضم الشين المعجمة مصدر شمخ
اذا ارتفع وهو كناية عن غاية التكبر والجملة حالية بتقدير قد **واباة الضيم** بكسر الهمزة والتنوين
والمد مصدر اذا امتنع مما يكرهه والضيم الذل والتحقير **بحيث لا يؤثرون** بالمثلثة اي
لا يرضون ذلك اي الذل والضيم **اختيارا** اي باختيارهم وعدم جبرهم وقهرهم **ولا يرضون
الا اضطرارا** اي قسرا والجاء وهو عطف تفسير لما قبله ونصبهما على التمييز او المفعول
المطلق **والا** مركب من ان الشرطية ولا النافية اي وان لم يكن الامر كما ذكر **فالمعارضة** للقرآن
بالاتيان بما يماثله **لو كانت من قدرهم** بضم القاف وفتح الدال المهملة جمع قدرة اي لو كانت
المعارضة مقدورة لهم **والتشفل بها اهون عليهم** جملة حالية اي اشتغالهم بمعارضته اسهل
عليهم من الصبر على ما ذكر **واسرع بالنجح** بضم النون وسكون الجيم وحاء مهملة وهو الظفر والفوز
بمطلوبهم وهو ابطال الحجة عليهم **وقطع العذر** اي قطع ما اعتذروا به عن عدم المعارضة
من الاعذار الفاسدة **وافحام الخصم** اي اسكاته عما فرعهم به لدلهم اي عندهم وهو متعلق بجميع
ما قبله من اسرع واهون وقطع وافحام **وهم ممن هم قدرة** تمييز والجملة حالية وليس قدرة حال
بمعنى مقتدرين كما قيل لتكلفه وهم مبتدا اول ومن استفهامية وهم الثاني خبره او بالعكس
على المذهبين والجملة خبرهم اي وهم اي شيء هم اي امر عظيم لا يقدر قدره ولا يعلم كنهه وهو من

ابلغ المدح كقولهم زيد وما زيد كقوله تع الحاقة ما الحاقة وهو مشهور في كلام العرب والعجم وقد نعاك هو هم بدون اي هم القوم المعروفون بالبلاغة وبنها مة النفس وابآ الضيم الذي لا ينقاد لهم فيه احد فناهيك بما اوقعهم في حضيض الذل ومزقهم الصبا والدبور ايدي سبا **على الكلام** متعلق بقدرة **وقدوة** اي مقتدى في الكلام وصياغته لسلامة فطرتهم وصفاء قرائحهم **لجميع الانام** متعلق بقدوة واتي به للقافية اي هم في ذلك ايمة مقتدى بهم لا تبعا لغيرهم فكيف عجزوا ورضوا بما رضوا الا لما ذكر من انفهم وتكبرهم ربما توهم متوهم ان تركهم للمعارضة لعدم تنزلهم وعدم مبالاتهم فدفعه بقوله **وما منهم** احد **الا من جهد** ماض بزنة ضرب فالاستثنا مفرغ من عام مقدر **جهده** بفتح الجيم وضمها الطاقة والمشقة وقيل الجهد بالفتح المشقة وبالضم الوسع وقيل الجهد بالضم ما يجهد الانسان فيه اي يجتهد فيه ويتعب نفسه كقوله تع لا يجدون الا جهدهم فالمعنى انهم بذلوا ما عندهم في الطلب فلم يقدروا على شي منه **واستنفد ما عنده** اي استفرغ ما في طاقته وقوته **في اخفا ظهوره** اي القرآن او النبي صلى الله عليه وسلم **واطفا نوره** ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون **فما جلوا** اي اظهروا من جلا العروس على المنصة بزينتها لذكر البنات بجامع **في ذلك** اي ما اجتهدوا فيه **وحاولوه خبية** بفتح الخا المعجمة وكسر البا وسكون المثناة التحتية والهمزة والها فعيلة بمعنى مفعولة اي مخباة في ضمائرهم مستورة خلف استار سرائرهم **من بنات شفاههم** اي كلمة يتلفظون بها شبهت بالبنت والثغر بالام لظهورها منه وهي استعارة مشهورة مكنية او مصرحة **ولا اتوا بنطفة** بضم النون وسكون الطا المهملة والفا وهي الما الصافي من نطف بمعنى صب والناطف السائل والمراد القطرة القليلة وفي بعض النسخ نقطة بالقاف مقدمة على الطا وتسمى اللولوة نطفة كما قاله الراغب **من معين مياههم** المعين الما الجاري ظاهرا والميم زائدة من العين وقيل انها اصلية من معن بمعنى سار في الارض ومياه جمع ما واصله موه اي لم يقدروا على شي مما طلب منهم وهو استعارة مصرحة مرشحة او مكنية اي مع ما لهم من موارد فصاحتهم وجاري كلامهم لم يجدوا قطرة من عذب فطراته **مع طول الامد** اي اتساع زمن التحدي وكثرة العدد من فصحائهم **وتظاهر** اي تعاون ومساعدة **الوالد وما ولد** اي الكبير والصغير وهذا دفع للشبهة وازالة للاعذار لو ضاق الزمان او قل الاخوان او عدم الاعوان كانهم معذرة **ما بل المبلوس** بالبنا للفاعل وفتح الهمزة يقال ابلس اذا ايس قيل ومنه ابليس لياسه من رحمة الله وكان اسمه عزازيل ويكون بمعنى الانكسار والحزن والمراد الاول **فما نبسوا** بنون وبا موحدة مفتوحة مخففة وورد تشديدها كما في قوله

إن كنت غير صائد فنبس • ومعناه نطقوا قيل هو مختص بالنفي واورد البيت المذكور وقد يقال المخصوص بالنفي المخفف فتدبر **ومنعوا** بالبنا للمجهول **فما نطقوا** عن المعارضة لعجزهم وقد يقال هذا اشارة الى القولين لما نبسوا يشير لعجز طاقتهم عن بلاغته ومنعوا اي منعهم الله اشارة للصرفة وفي الارشاد لامام الحرمين فان قيل ان العرب لم تترك المعارضة للعجز بل لعدم الاكتراث به قيل هذا ركيك من القول لا يخطر ببال عاقل وقد كانوا اذا قال شاعر شعرا في حقهم بالغوا بالمعارضة فكيف وقد وعوا اشد توبيخ وحقرت اصنامهم وسفهت احلامهم وقوتلوا حتى نكست روسهم وقد مر ما ينبهك عليه من اشارة المصنف لهذا وجوابه والاضراب لتوكيد نفي المعارضة كما يقال ما تكلم زيد بل سكت عجزا **فهذان نوعان من اعجازه** الاشارة الى اعجازه بنفس كلامه وخواص تراكيبه وبصورة نظمه واسلوبه ولم يلتفت للصرفة

اعلامهم

لانه لم يلتفت لها لضعف القول بها كما تقدم

فصل الوجه الثالث من وجوه الاعجاز

اي اعجاز القرآن الكريم بوجه آخر غير الوجهين السابقين او غير الوجوه الثلاثة **انطوى عليه** اي اشتمل عليه ووقع في ضمنه **من الاخبار** بكسر الهمزة مصدر **بالمغيبات** بفتح اليا المشددة جمع مغيب او مغيبة اسم مفعول وهو شامل لما سبق مما لم يدركه هو ولا اهل عصره ولما سيقع بعده الى يوم القيامة مما لا يعلمه الا الله والمراد الثاني لان الاول يكون الوقوف عليه فلذا عطف عليه قوله **وما لم يكن وما لم يقع** لمن فسره بما كان ووقع من القرون الماضية بنا على ان الاصل في العطف التغاير فقد خالف كلامه الاتي من جميع ما مثل به وان كان صحيحا في نفسه لا نزاع فيه **فوجد** بعد ذلك **مطابقا لخبره** ومصدقا له وعبر عنه بالماضي وان كان مستقبلا بالنسبة لما قبله على الوجه الذي اخبر به في هذه الآية **كقوله تعالى** في سورة الفتح **لتدخلن المسجد الحرام** اللام داخلة على جواب قسم مقدر للتاكيد والتحقيق **ان شاء الله** علقه بالمشيئة مع تحققه تعليما للعباد او لعلو غائبهم عن دخول بعضهم لموته او غيبته او حكاية لما قاله الملك الرويا او النبي صلى الله عليه وسلم **آمنين** حال من فاعل لتدخلن والشرط اعتراض لانه صلى الله عليه وسلم رأى بالمدينة قبل عام الحديبية انه دخل مع اصحابه واخبرهم بذلك فظنوه في ذلك العام فلما صدهم المشركون عن الدخول شق عليهم ذلك فاخبرهم الله تع بانه سيقع بعد ذلك وكان كما اخبر **وقوله تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون** فاخبر الله ان الروم تغلب فارس بعد مدة اقل من عشر سنين وكان كما اخبر الله في كتابه وذلك ان الروم كانوا اهل كتاب وفارس لا كتاب لهم كالمشركين فكان المشركون كلما تحارب فارس والروم يرجون غلبة فارس ويفرحون بذلك تفاولا بغلبتهم للمسلمين فبعث كسرى جيشا الى الروم فالتقيا باذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم ففرح المشركون وشق ذلك على المسلمين فانزل الله هذه الاية واخبر ابو بكر المشركين بذلك وقال ستظهر الروم على فارس فلا تفرحوا وقد اخبر الله نبينا بذلك فقال له امية بن خلف كذبت يا عدو الله فقال اجعل بيني وبينك اجلا على عشر قلائص يأخذها الصادق فراهنه على ثلاث سنين واخبر رسول الله بذلك فقال له مد الاجل وزد في الرهان فان الله تعالى قال في بضع سنين وهي من الثلاث الى التسع فجعل القلائص مائة الى تسع سنين ففعل فوقع ذلك بعد سبع سنين واخذ القلائص ابو بكر فقال له صلى الله عليه وسلم تصدق بها وكان هذا قبل تحريم القمار وانما امره بالتصدق بها لانه علم خبثها لانها حرام او شكرا لله على تصديق مقالتهم **وقوله تعالى ليظهره على الدين كله** هذا وعد من الله بان دين رسوله سيظهر ويغلب سائر الاديان وتنقاد امته جميع الامم فان العزة لله ولرسوله وكان كما قال من غير شبهة وكم شاهدنا من تاييد الله لجنده ونصره مع ما للكفرة من الكثرة في المال والجند **وقوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الاية** اي ليجعلنهم خلفا في ارضه مالكين لها منصورين على اعدائهم وهذه الاية وان كانت عامة المراد بها غلبة المسلمين لاهل الردة في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه **وقوله اذا جاء نصر الله الى آخرها** اي الى اخر السورة وهذه الاية وان كانت شاملة لكل فتح لكنها نزلت مبشرة بفتح مكة هم رغبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولما نزلت وتلاها بكى العباس فقال له ما يبكيك يا عم فقال نعيت اليك نفسك فقال انه كما يقول عبر بالمجي ايما الى ان المقدرات توجد من الازل الى اوقاتها

المعينة متوقعة القدوم وفيه من البلاغة ما لا يخفى إشارة إلى ما تقدم وتفسير ما ذكر بقوله
فكان جميع هذا كما قال عز وجل مطابقا لما أخبر به والإشارة إلى ما تقدم من المغيبات المخبر بها
وكان بمعنى تحقق ووقع بعد الإخبار فصله على طريق اللف والنشر بقوله **فغلبت الروم** وهم
جيل من الناس يغلبون **فارس** وهم الفرس أي قوم العجم ويطلق على بلادهم أيضا وهو لفظ معرب
فان أدنى الثاني قد أهمل وقد تقدم بيانه وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث **وفي بضع
سنين** أي سبع سنين كما مر أي في رأس سبع سنين وآخرها والرأس يطلق على ذلك من الزمان
ويكون بمعنى الأول أيضا **ودخل الناس في الإسلام أفواجا** أي جماعات كثيرة بعد جماعات
كثيرة وفوجا بعد فوج لما أعز الله الدين ونشر أعلامه في الخافقين وهذا إشارة لما في سورة النصر
السالفة **واستخلف الله المؤمنين في الأرض** أي جعلهم خلفاء لرسوله بعده وأخر هذه الآية عن ذكر
سورة النصر لأن الاستخلاف وقع بعد ذلك الدخول وإن تقدمت فيما ذكر قبله وهذا مبني على عموم
الذين آمنوا في قوله وعد الله الذين آمنوا الآية لجميع الأمة وعدم اختصاصها بأبي بكر كما تقدم
ومكن فيها أي في الأرض **دينهم** وهو دين الإسلام أي جعله متمكنا قارا لا يزول إلى يوم القيمة يقال
مكنته ومكنت له فتمكن وهو في الأصل من المكان **وملكهم إياها** أي الأرض لأن أشرف المعمور
منها في أيديهم وباقيه في انقيادهم لهم بالقوة كالمالكين لها أو لأنه باعتبار ما سيكون بعد نزول
عيسى بن مريم إلى الأرض على دينه محمد ودوام أمته ولذا قال **من أقصى المشارق إلى أقصى المغارب**
أي من أبعد مكان من جانب المشرق إلى أبعده من جانب المغرب وقدم المشارق اقتداء بالكتاب والسنة
أو لشرفه لأنه محل الرسل وفيه الأراضي المقدسة وقد وقع للأدباء مفاخرة بينهما فقال محيي الدين بن سحنون

من أين للغرب فضل • إلا لمن يتعالى
والشمس تفقد فيه • والبدر يلقى الهلالا
دلائل النقص فيه • فكيف يحوي الكمالا

قال

فلا تبخس الشرق حقا وخذ • من الوصف فيه على ما اتفق
مهب الصبا ومثير الضيا • ووجه الزمان وثغر الفلق

وعارضه الوداعي فقال

الغرب خير وعند ساكنه • أمانة أوجبت تقدمه
فالشرق من نيرته عندهم • يودع ديناره ودرهمه

ثم أنصف من قال

حوى كل من الأفقين فضلا • يقربه الغبي مع النبيه
فهذا مطلع الأنوار منه • وهذا منبع الأنواء فيه

وهذه لمحة أدبية • ونفحة مسكية • أحمضنا بها **كما قال عليه الصلاة والسلام** في حديث
صحيح رواه مسلم عن ثوبان **زويت لي الأرض** بزاي معجمة وواو وياء مبني للمجهول أي جمعت وطويت
فأريت مبني للمجهول من المزيد أي أراني الله **مشارقها ومغاربها** أي جميع أماكنها وبلدانها
وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها وجمع بمرأى عيني وما زوي منها هو المشارق والمغارب
السالفة وتوهم بعضهم أنه غيره وأن أول الحديث مخالف لآخره ثم جمع بينهما بأن المراد بما زوي
المعمور منها وما من شأنه أن يملك فكأنه جميعها وفيه ما لا يخفى وقدم المصنف خبر الله على الحديث
رعاية للأدب بتقديم الأصل الأشرف **وقوله إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** فأخبر

بأنه تولى حفظ القرآن من التبديل والتغيير في سائر الزمان بدلالة الاسمية المؤكدة
فكان كذلك في المستقبل كما أخبر فلا مبدل لكلماته بخلاف سائر الكتب فإنه وكل حفظها للأمم
المنزلة عليهم فقال بما استحفظوا من كتاب الله أي طلب حفظه منهم فوقع فيها التبديل والتغيير يف
حتى صارت لا يوثق بما نقل منها والمراد بالذكر القرآن **لا يكاد يعد** بالبناء للمجهول أي لا يعد
لكثرته **من سعى** أي اجتهد **في تغييره وتبديل محكمه** ويكاد بمعنى يقرب ونفي القرب من العدد
أبلغ من نفي العدد وقال تبديل محكمه دون تبديله إرشادا لما نع من تبديله **من الملحدة** بيان
لمن أي من الطائفة الملحدة من الإلحاد وهو الميل سموا بذلك لعدولهم من ظواهر الشريعة وتأويلها يلهما
بأمور سخيفة ويسمون باطنية وهم الإسماعيلية وزعم بعضهم أن مصحف عثمان نقص منه بعض
القرآن كما ذكره القرطبي في أول تفسيره **والمعطلة** الذين نفوا الصانع وتستروا بزي الإسلام
خوفا من القتل وسعوا في نقض الدين وتزيين ما يروج على بعض العقول القاصرة **لا سيما
القرامطة** هم طائفة من الملحدين أيضا قال السمعاني في الأنساب القرمطي بكسر القاف وسكون
الراء المهملة وكسر الميم والطاء المهملة نسبة لطائفة خبيثة وهم من أهل هجر والأحساء وأصلهم رجل
من سواد الكوفة يقال له قرمط وقيل حمدان بن قرمط وسبب ظهورهم أن جماعة من أولاد بهرام
جور ذكروا أيامهم وجدودهم وما كانوا فيه من العز والملك وزوال ذلك بدولة الإسلام في
أيام أبي مسلم وتقلد الخلافة المروانية وهو من الموالي وهم من أولاد الملوك فاتفقوا على رفع
الإسلام وقالوا ينبغي أن نفرقهم ونفسد الرعايا عليهم فقسموا الدنيا أربعة أقسام لكل ربع رجل
منهم واحد ذهب إلى الكوفة فأول من أجابه حماد بن قرمط فأعانه على الدعوة وقيل إنما سموا قرامطة
لأن النبي رأى غلاما قرمطيا وهو من أهل المدينة فقال إنه ليقرمط في مشيه انتهى أي يقارب
خطاه ومنه الخط المقرمط وعلى هذا فهو عربي وقيل إنه معرب وإن حدهم كان يسمى قنبر وع
وعربوه وكان رجلا أحمر العينين من سواد الكوفة فالكاف عجمية في الأصل من الكرمية وهي الحرارة
وكان ظهورهم في سنة ثمان وستين ومائتين فلم يزل يظهر الصلاح حتى اجتمع عليه الخلق فزعم
أن النبي بشر به وأنه الإمام المنتظر فابتدع مقالا وزعم أنه أنزل إليه كلمة المسيح وجعل الصلاة
ركعتين بعد الصبح وركعتين بعد المغرب والصوم يومين بالنيروز والمهرجان فكانت له وقائع
وحروب ودعاة وخلفا مذكورة في التواريخ حتى ظهر منهم سليمان بن الحسن الجبائي فعاث في
البلاد وأفسد وقصد مكة فدخلها يوم التروية سنة سبع عشرة وثلاثمائة في خلافة المقتدر
فقتل الحجاج ورماهم بزمزم وقلع باب الكعبة وأخذ كسوتها وأخذ الحجر الأسود فبقي عندهم سنين
ثم ردوه مكسورا فنصب في محله وقد كان بذل لهم فيه خمسون ألف دينار فأبوا ولم يزالوا كذلك
حتى أخذوا الشام وغيرها حتى قاتلهم جوهر القائد وهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا وكانت مدة
خروجهم ستا وثمانين وكانوا يحرفون القرآن ويأولونه بتأويلات فاسدة لم تقبلها العقول
وما بعد سيما يجوز فيه وجوه الإعراب الثلاثة كما تقدم بيانه **فأجمعوا كيدهم** بقطع الهمزة
والمراد بالكيد الحيلة والمكر في تحريف القرآن **وحولهم وقوتهم** أي أعملوا حيلهم وبذلوا قوتهم بهم
وقدرتهم في أن يحولوا القرآن **اليوم** منصوب على الظرفية قيل بتقدير إلى اليوم أو بنزع
الخافض أي إلى هذا اليوم والمراد مطلق الزمان والوقت الحاضر في زمن المصنف **نيفا** بكسر
الياء المشددة وسكونها بعد نون مفتوحة ومعناه الزيادة أي مدة تزيد **على خمسمائة عام**
وهي مدة سعي هؤلاء فيما ذكر **فما قدروا** في هذه المدة الطويلة **على إطفاء شيء من نوره** مثل الخاتم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في سعيهم في تحريف القرآن بمن اراد اطفاء نور عظيم منتشر في الآفاق ولا على تغيير
كلمة من كلماته تفسير لما قبله يجعل كلام الله نورا ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه (من كلامه)
فضلا عن كلمة من كلامه فهو موفق والحمد لله على هذه المنة العظيمة وهي حفظ الله لكلامه وبقاء
رونق نظامه وخيبة سعي من سعى في اطفائه وافتضاح جهلة اعدائه ومنه اي ومما اخبر
به من المغيبات المعجزة قوله عز وجل سيهزم الجمع ويولون الدبر نزلت بمكة فلم يدر الصحابة
ما المراد به حتى كان يوم بدر بعد سبع سنين من نزولها فلبس صلى الله عليه وسلم درعه وهو
يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر قال ابن عمر فعلمت المراد منه اي سيهزم كفار قريش ويولون
المسلمين ادبارهم اي يجعلون المسلمين متولين على ادبارهم بالطعن والضرب فعبر عن شدة انهزامهم
بابلغ عبارة ففيها اعجاز لفظا ومعنى وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الآية ويخزهم
وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين وفيه من الاخبار عن الغيب اذ ناسا من اليمن وبني
خزاعة اسلموا او بعثوا بمكة بعد الهجرة فلقوا من المشركين اذى شديدا فشكوا ذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال اصبروا فان الفرج قريب فنزلت هذه الآية فكان كما نعدها اذ اقام الله بهم من
القتل ونصرة المؤمنين التي شفيت بها صدورهم وخزيهم بالسبي والجلاء ومنهم بغيهم وقوله تعالى
هو الذي ارسل رسوله بالهدى الآية ففيه اخبار بالغيب من ظهور دينه على سائر الاديان على رغم
انفهم وقد تقدم الكلام على هذه الآية وقوله لن يضروكم الا اذى اي لا يقدرون عليكم الا
باذية يسيرة كالطعن فيهم وتهديدهم وان يقاتلوكم الآية اي يولوكم الادبار ثم لا ينصرون
فاخبرهم كلما قاتلونا غلبوا وكانت عاقبة النصر لنا عليهم والامر غير اتيانها والحرب سجال
فكان كل ذلك اي وقع كلما اخبر الله به فقيل على طبق خبره من هزيمة جموعهم وتعذيبهم بما شفى
صدور المؤمنين واظهار دينه وتولية الدبر كل من قاتل منهم ومما في القرآن من المغيبات ما فيه
اي القرآن من كشف اسرار المنافقين اي اظهار ما اخفاه المنافقون في قلوبهم مما لا يعلمه
الا الله بما انزله في حقهم في سورة المنافقين وكشف اسرار اليهود ومقالهم اي اظهار ما قالوه
فيما بينهم وهم يظنون انه لا يشعر به غيرهم وكذبهم في حلفهم اي كذب المنافقين وحلفهم
وقسمهم عند رسول الله على مقالتهم انها صادقة والله يعلم انهم كاذبون كما ذكر في سورة المنافقين
ومثله كثير في القرآن وتقريعهم بذلك اي توبيخ الله لهم بسبب ما قالوه وحلفهم بايمان فاجرة
مثل ما ذكرنا كقوله عز وجل ويقولون في انفسهم اي قول اليهود فيما بينهم وفي خلوة
تناجيهم لولا يعذبنا الله بما نقول اي هلا عذبنا الله تعالى بقولنا في حق محمد لو كان نبينا
دعا علينا حتى نعذب او بما كانوا يقولون هم والمنافقون فيما بينهم في حق النبي والمسلمين
فاخبر الله بذلك وفضح سرائرهم وزاد بقوله حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقوله تعالى
يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الآية يعني انهم يسرون في ضمائرهم غير ما يظهرونه
لك اذا اتوك وهذا بيان لحال المنافقين ومكرهم والذي اخفوه قولهم يوم احد وقد غشيهم النعاس
ولم يكن لهم غير تخليص انفسهم من القتل وقال بعضهم لبعض في خلوة من المؤمنين لو كان لنا من الامر
شيء ما قتلنا ههنا الآية فاعلم الله رسوله بذلك فاخبرهم بما قالوه وهو من جملة المغيبات وقوله
عز وجل ومن الذين هادوا سماعون للكذب الآية يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون
سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع دعاء عليهم بالصمم او بالموت او لا اسمع ما دعوتنا اليه فاخبر الله (عليه)
بتحريفهم كتابهم ومقالتهم وعدم طاعتهم وهو من الاخبار بالغيب الدال على اعجاز القرآن وهذا في

حق

حق اليهود وفي الآية كلام مفصل في التفاسير واحتمالات اخر ووجوه من الاعراب
ليس هذا محل تفصيلها وقوله في هذه الآية وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين
بالتكذيب والاستهزاء والسخرية وهذا اخبار بالغيب عما كان اليهود يقصدونه من التحقير
ويبذون سبه في صورة التوقير فيقولون راعنا وصفا له بالرعونة موهمين الناس نظره
ورعايته لهم مكرا منهم وليا بالسنتهم وكلامهم وقد قال الله حال كونه مبديا بالبناء اي مظهرا
ما قدره الله وقضى به واعتقد المؤمنون من الظفر باحدى الطائفتين العير او النفير يوم
بدر اي في وقعتها لان اليوم يطلق على ذلك في قولهم ايام العرب كما تقدم وهو من المغيبات
التي اخبرهم بها بقوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم بدل مما قبله وتودون
ان غير ذات الشوكة تكون لكم الشوكة مستعارة من الشوك المعروف للقوة والحدة بكثرة
السلاح والرجال ومنه شاكي وشائك السلاح للرجل المستعد للحرب بالآية وهذا اخبار لهم (مبين)
بامر وقع في انفسهم وودوه واحبوه وهو مغيب عن النبي صلى الله عليه وسلم اعلمه به جبريل فلما
تلاه عليهم زاد ايمانهم باعجاز القرآن وذلك ان المسلمين لما علموا بقدوم عير المشركين بما لهم
من التجارة واحبوا الخروج اليها علم الكفار بذلك فخرج ابو جهل بمقاتلة مكة وهم النفير ولما
علم ابو سفيان بخروج النبي اخذ ابو سفيان بالعير الى جانب ساحل البحر فقيل لابي جهل ارجع
بالناس فابى وسار بمن معه الى بدر ووعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم باحد الامرين الظفر
بالعير او قتل النفير وكانت الصحابة يودون في انفسهم اخذ العير لما فيها من المال وقلة ما
عندهم من السلاح والرجال فقدر الله انهم يلقون العدو وليقطع دابر الكافرين فقتل صناديدهم
وايد الله المؤمنين واعز الدين ومنه اي من اخباره بالغيب في كلامه المعجز قوله تعالى انا
كفيناك المستهزئين وهم خمسة من الكفار كانوا يؤذونه اشد الاذى ويسخرون به
فاخبر الله بهلاكهم سريعا وكفاية امرهم قبل وقوعه فكان كما قال وهذا من جملة المغيبات
التي اخبر بها رسوله كالذي قبله ولذا جعلهما في قرن كما اشار بقوله في سبب نزول هذه الآية
كما رواه الطبراني في الاوسط ولما نزلت هذه الآية عليه صلى الله عليه وسلم بشر بذلك
اصحابه اي بهلاكهم لما كان عندهم من الالم من شدتهم فاخبرهم بان الله كفاه اياهم
باهلاكهم وكان المستهزؤون نفرا بمكة من اهلها ينفرون الناس عنه بطعنهم واستهزائهم (بهم)
ويؤذونه فهلكوا وهم الاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل وعدي بن قيس وقيل منهم الحارث بن عيطلة روي ان جبريل اخبره بهلاكهم
وكيفيته وقد مروا به رجلا رجلا وكيفية هلاكهم مفصلة في السير وعن ابن عباس انهم هلكوا
في ليلة واحدة والذي ذكره غيره انهم هلكوا في ايام متقاربة بعد ما دعا عليهم بفناء البيت
فاجاب الله دعوته وانزل عليه الآية كما قال في المضرية هم

وكفاه المستهزئين وكم سا ... ء نبيا من قومه استهزاء
خمسة كلهم اصيبوا بداء ... والردى من جنوده الادواء
فرماهم بدعوة من فناء البيـ ... ـت فيها للظالمين فناء

ومن الاخبار بالغيب قوله والله يعصمك من الناس اي يحفظك من جميع الناس الذين يريدون (يريدون)
بك سوءا وكان الصحابة يحرسون النبي صلى الله عليه وسلم في اسفاره فلما نزلت منعهم من الحراسة
وهذا لا ينافي ما اصابه باحد لان الآية نزلت بعدها او المراد حفظه من القتل كما فصله الخضري

الألوكة
www.alukah.net

في خصائصه فكان كذلك اي محفوظا معصوما كما اخبره الله وكان هنا تامة وكذلك اي
ووجد كما اخبر به اونا قصة كذلك خبرها وقوله على كثرة من رام اي قصد وضره مفعول له
وفسره بقوله وقصد قتله اشارة الى ما تقدم عن الحنفي من ان العصمة انما هي عن القتل
لا عن غيره من انواع الاذى والاخبار بذلك معروفة صحيحة كما في صحيح مسلم عن جابر بن عبد
الله قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فادركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في واد
كثير العضاة فنزل تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من اغصانها وتفرق الناس في الوادي يستظلون
بالشجر فاتاه رجل وهو نائم فاخذ السيف فاستيقظ وهو قائم على راسه والسيف مصلت في يده
فقال له من يمنعك مني قال الله ثم قال ذلك ثانيا فقال الله فشام السيف قال وها هو جالس
ومثله كثير

فصل الوجه الرابع

من وجوه الاعجاز القرآنية ما انبائه اي ما اخبر الله به من اخبار القرون السالفة
هو جمع قرن وهم اهل كل عصر وزمان من الاقتران لاقتران زمانهم واحوالهم فقيل هو اربعون
سنة وقيل ثمانون وقيل مائة وقيل مطلق الزمان اي اخبار الامم والملل المتقدمة والبلاد
المعشرة مما لا يطلع عليه الا من تتبع التواريخ او ساح في اقطار الارض وقد عمر عمرا طويلا
وكلا الامرين منتف في حقه صلى الله عليه وسلم والامم البائدة اي الهالكة الذين افناهم
الموت وطحنتهم رحى الدهر حتى اندرست آثارهم والشرائع الداثرة بدال مهملة وثاء مثلثة
من دثر اذا اندرس ولم يبق له اثر والدثور ورد بمعنى النسيان فالمراد معرفته بالشرائع
القديمة التي نسيت ونسخت احكامها من ثم ترجمنا به اذا تلفت وفي تعبيره نوع من البلاغة
يسمى التفنن لان السالفة والبائدة والداثرة متغايرة اللفظ متقاربة المعاني مما كان
لا يعلم منه القصة الواحدة بيان لقوله من اخبار على حد قوله نعم كلما رزقوا منها من ثمرة
على ما حقق في شروح الكشاف الا الفذ هو الفرد الشاذ وهما بمعنى وكلاهما بذال
معجمة وفي الحديث لا تتبع شاذة ولا فاذة من اخبار اهل الكتاب احبار جمع حبر بكسر
الحاء وفتحها وسكون الموحدة وراء مهملة ومعناه العالم الحافظ الواسع علمه والعرف خصه
بعلماء اهل الكتاب ومنه كعب الاحبار للتابعي المشهور ويقال له كعب الحبر ووجه اطلاقه
انه من الحبر وهو المداد الذي يكتب به لكثرته ولانه حبر الكلام وبين به وفي المصباح الحبر
بالكسر المداد الذي يكتب به واليه نسب كعب فقيل كعب الحبر لكثرة كتابته بالحبر حكاه
الازهري وعن الفراء الحبر العالم والجمع احبار مثل حمل واحمال ويقال حبر الاحبار ايضا اي
عالم العلماء وكذا في تهذيب الاسماء للنووي فلا عبرة بقوله في القاموس كعب الحبر بالفتح
ويكسر ولا تقل كعب الاحبار الذي يقطع عمره في تعلم ذلك اي تعلم اخبار من سلف
وشرائعهم فاذا كان لا يعلمه الا من قراه ودرسه طول عمره واما من كان اميا في امة امية
لم يقارن من له علم بذلك فعلمه به واخباره به مفصلا امر خارق للعادة في حقه لا محالة
لا انه نرى بل لامته فيورده متفرع على قوله انبائه اي اذا اخبر النبي به في الوحي المتلو المنزل
عليه يورده اي يذكره النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه حال من الفاعل او صفة
مصدر مقدر اي ايرادا كائنا على وجهه اي على اتم حال يليق به وينبغي له كما يقال ذكر الامر
على وجهه كما في الاساس ويأتي به على نصه اي في غاية مرتبة من كماله وقرفته يقال

بلغ

415

بلغ النبي نصه اي غايته كما في الاساس لان معنى نص رفع ومنه المنصة وفيه تورية لان
عبارة القرآن تسمى نصا فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه اي من تعلم تلك الاخبار
والشرائع اذا سمعها ممن لم يسمع بها علم صحة كلامه وصدقه فيما قاله وان مثله اي مثل النبي
او مثل هذا الكلام لم ينله اي لم يتصل اليه النبي بتعليم اي من البشر بل بوحي من الله وقد علموا
اي علم الناس من المسلمين والمشركين انه صلى الله عليه وسلم امي اي لا يعرف القراءة ولا الكتابة
فقوله لا يقرأ ولا يكتب صفة له مفسرة وموضحة وقول النحاة للجملة المفسرة لا محل لها من
الاعراب ليس على اطلاقه ولما كان هذا لا يكفي لاحتمال ان يسمعه ممن قرأ وكتب قال ولا اشتغل
بمدارسة اي بحفظ وتلق من الافواه ولا مثافنة بضم ميم ثم مثلثة ثم الف وفاء ونون
اي مداومة طلب ومجالسة تحتك فيه الركب بالركب حتى يتوثر فيها الاحتكاك وهو عبارة
عن كثرة الجلوس مع اهل العلم بالاخبار والشرائع للتعلم منهم وهو مجاز من ثفن البعير اذا برك
والثفنات ركبه التي يبرك عليها حتى تغلظ من حك الارض كثفنة على كرار اذا اعتمد وكان
يقال لابن عباس ذو الثفنات لطول جلوسه في طلب العلم او لكثرة سجوده حتى يصير في جبهته
اثر السجود وهذا ابلغ مما قبله وهو الصحيح الموافق للباب المقتضي في بلاغته وما قيل من انه بمثلثة
وقاف وموحدة من ثقب زنده اذا اتقد ودهن ثاقب وان الاول بمعنى التعب من ثفنت يد الرجل
بكسر الفاء اذا اغلظت من كثرة العمل فهو من تحريف الكتبة الذي لا يلتفت اليه من له علم بكلام العرب
وان نقله عن بعض الشراح وقد تقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يقرأ الخط ولا يكتب
وانه من معجزاته ورد ما قيل انه مخصوص باول امره وانه كتب يوم عام الحديبية فكان ذلك
معجزة له اخرى وقد شنع على قائله علماء الاندلس ونسبوه للزندقة ولم يغب عنهم اي لم
تغب غيبته عن قومه يحتمل انه يعلم فيها ما اخبرهم به ولا جهل حاله احد منهم من ولادته
الى وفاته حتى يتوهم بعلمه ذلك من اهل الكتاب وقد كان اهل الكتاب اي احبار اليهود
والنصارى كثيرا ما اي في كثير من الاحيان فهو منصوب على الظرفية وما مزيدة لتاكيد معنى
الكثرة وهو صفة مصدر مقدر اي يسالونه سؤالا كثيرا عن هذا اي عن خبر من تقدم من الامم
السالفة فينزل عليه عقب سؤالهم جوابا لهم من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا المراد بالذكر
القرآن المذكور لهم كقصص مصدر بالفتح او جمع قصة بالكسر الانبياء مع قومهم فيذكرهم
مفصلا بابلغ عبارة والطف اشارة وخبر موسى والخضر بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمة ويجوز
سكون ثانيه مع فتح اوله وكسره وهو ما قصه الله في سورة الكهف وموسى هو ابن عمران الكليم
على الاصح لا نبي آخر كما زعمه اهل الكتاب والخضر هو بليا بن ملكان على اقوال في الاختلاف في
اسمه وقد اختلف ايضا في نبوته ورسالته وانه هو حي الآن او مات قبل المائة او قبل زمانه
صلى الله عليه وسلم واكثر علماء الصوفية على انه حي الآن الا ان الله اخفاه عنا وقد اطبق
اكثر الصالحين على ذلك وانهم يلاقونه ويتحدثون معه وانه يحج في كل سنة وليس في ذلك
دليل قاطع ولكن حسن الظن يصدق ما قالوه والاكثر على انه ولي لا نبي ومن الغريب ما قيل
انه ملك وسمي خضرا لانه اذا جلس على الارض اخضرت وافرد بعضهم له تاليفا مستقلا
ويوسف واخوته وهي واسماء اخوته والخلاف في كونهم انبياء ام لا اسباطا في مفصلا وقد كان
اليهود سالوه عنها فانزل الله عليه السورة واصحاب الكهف ومعناه المغارة لانهم وجدوا
بها والخلف في مكانها ولهم اسماء يونانية اختلف في ضبطها وكانوا فروا من ملك يسمى دقيوس و

مفصلة في التفاسير وسبب نزولها ان قريشا بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط الى احبار اليهود ليسالاهم عن رسول الله وامره لانهم عندهم علم من الكتاب الاول فقدموا المدينة قبل الهجرة وسالوهم فقال لهم الاحبار سلوه عن ثلاث فان اخبركم فهو نبي مرسل والا فهو متقول سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان امرهم العجب وعن رجل طاف مشارق الارض ومغاربها ما كان نبؤه وسلوه عن الروح ما هي فان لم يخبركم فهو نبي مرسل فسالوه فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فانقطع عنه الوحي اياما اختلف في عددها فارجف بذلك كفار مكة وحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انزل عليه ما قصه في سورة الكهف **وذي القرنين** اختلف فيه وفي اسمه وسبب تسميته فقيل يونانيا في اسمه هرديس وقيل حميري اسمه الصعب بن ذي مراثد وفي خطبة قس بن ساعدة ابن الصعب ذو القرنين ملك الخافقين واذل الثقلين وعمر الفين ثم كان كلحظة عين وهو الاسكندر وسمي ذا القرنين فقيل لانه عمر مدة قرنين وقيل انه ضرب على قرني راسه وقيل لان ذؤابتين له والقرن الشعر وقيل غير ذلك **ولقمان وابنه** وهو لقمان بن عنقا ابن مروان وكان وليا صالحا وقيل انه نبي والاصح خلافه وقيل انه نوبي من اهل ايلة واسم ابنه ثاران وقيل انعم قتيبة **واشباه ذلك من الانبا** والاخبار المذكورة في القرآن عمن مضى من الامم السالفة **وبدء الخلق** اي ابتداء خلق الله للدنيا وما جرى في ذلك مما لا يطلع عليه الا من قرا الكتب ودرسها وخلقه للسموات والارض وما في التوراة والانجيل من احكام الشرائع والتوحيد **والزبور وصحف ابراهيم وموسى** من المواعظ والاذكار وذكره لبدء الخلق لما تضمنه من الاخبار عما سلف ايضا من اخبار الامم فلا يرد عليه ما قيل من ان بدء الخلق اخبار عن فعل الله وهو خاص بالحاقه وهو جل يريد الاخبار بالغيب **مما صدقه فيه العلما** الاحبار من اهل الكتاب حين ذكره لهم **ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها** لكونها مطابقة للواقع ولما عندهم مما لم يمكن انكاره **بل اذعنوا لذلك** فاقروا به واعترفوا وانقادوا له **فمن موفق** اسم مفعول من التوفيق اي الذين سمعوا ما قصه عليهم وعرفوا حقيقته منهم من وفقه الله فصدقه وآمن فعل ماض مفتوح الآخر **بما سبق له من خير** اي بسبب ما سبق في علم الله الازلي وحكمه بانه سعيد فسبق فعل ماض بسين مهملة وباء موحدة وقاف والخير هو احسان الله وانعامه عليه بهدايته ويجوز كسر شينه قبل يا مثناة تحتية ماض مجهول شاقه الله واوصله **ومن شقي معاند** حاسد اي اشقاه الله حتى حمله العناد والحسد على عدم الانقياد لما علم حقيقته كما حمل الحسد ابليس على ضلاله لما كتب عليه من الشقاوة الازلية فلم يصدق ولم يؤمن **ومع هذا** العناد والحسد الذي اظهروه **فلم يحك** بالبنا للمجهول ونايب فاعله انه انكر الواقع بعد سطور **عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له** صلى الله عليه وسلم اي هم مع انهم اشد الناس عداوة له وعلى بمعنى مع كقوله وانه لحب الخير لشديد **وحرصهم على تكذيبه** اي على شيء من كلامه يقدرون على نسبته الى الكذب فيه **وطول احتجاجه عليهم** اي اقامة الحجة عليهم **بما في كتبهم** المنزلة على انبيائهم **وتقريعهم** اي توبيخهم وتفضيحهم **بما انطوت عليه مصاحفهم** جمع مصحف بتثليث الميم على ثعلب من اصحف اذا جمع الصحف فهي بمعنى الصحف هنا **وكثرة سؤالهم له عليه الصلاة والسلام** عما لا يعلمه الا من تبحر في العلم منهم **وتعنيتهم** تفعيل من العنت وهو المشقة والتعب اي تكليفهم بما هو شاق **عن اخبار انبيائهم** متعلق بسؤالهم **واسرار علومهم** اي الامور الخفية الدقيقة من علومهم **ومستودعات سيرهم** اي سؤالهم عما اودع في مصاحفهم من سير انبيائهم **واعلامه لهم بمكتوم شرائعهم**

وفي نسخة

وفي نسخة بمكنون بدل مكتوم اي اخباره لمن ساله منهم عن امور مكتومة مخفية عندهم ستروها عن غيرهم **ومضمنات كتبهم** اي ما تضمنته كتبهم من الاحكام وغيرها وقوله فلم يحك الى آخره بالغاية التعريضية تفصيل وتبيين لقوله لم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها والمقام مقام اطناب وخطابة فلا وجه للاعتراض عليه بانه لا موقع له بعد ما تقدم **مثل سؤالهم عن الروح** في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان كما تقدم بيانه **وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى** لما قال اليهود للمشركين سلوه عنها فان سكت او اجاب عن الجميع فليس بنبي وان اجاب عن الاولين وسكت عن الروح ووكل علمها الى الله فانه كذلك في التوراة فهو نبي **وحكم الرجم** اي سؤالهم عن حكم رجم الزاني المحصن الذي انكروه فبينه لهم صلى الله عليه وسلم كما في التوراة **وما حرم اسرائيل على نفسه** اسرائيل هو يعقوب ومعناه صفوة الله وكان اليهود سالوه امتحانا له عما حرم على نفسه فقال لحوم الابل والبانها او العرق وما فيه عرق فصدقوه لانه كان يسكن البدو وخوفا من اخذ العيص له نذر ان دخل بيت المقدس سليما من الامراض والآفات ان يذبح آخر اولاده واعو[illegible] عليه فلما سار وقرب منه بعث الله ملكا وكن فحدثه فرض بعرق النسا حتى كان من وجعه وذلك لئلا يلزمه ذبح ولده فحرم على نفسه ما مر لانه يضر عرق النسا وكان ذلك باجتهاد منه والانبيا يجوز لهم الاجتهاد على الصحيح ويعقوب مات بمصر فحمله يوسف ودفنه عند ابيه بوصية منه **و** سالوه ايضا عن **ما حرم عليهم** اي على بني اسرائيل **من الانعام ومن طيبات** من الماكل **كانت احلت لهم** اي جعلها الله حلالا لهم **فحرمت عليهم ببغيهم** اي حرمت عقوبة لسبب ظلمهم يشير الى قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية فحرم الله عليهم ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهايم والطيور كالابل والنعام والاوز والبط وقيل كل ذي مخلب من الطيور وكل ذي حافر من الدواب وحرم عليهم شحم البقر والغنم والكليتين الا ما التصق بالظهر والجنب كما بينه المفسرون وفصلوه في سورة الانعام بسبب بغيهم بقتل انبيائهم واخذهم اموال الناس بالباطل فقالوا ان الله لم يحرم علينا شيا فنزلت هذه الايات بتكذيبهم حتى افتضحوا واذعنوا **و** مثله **قوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل الآية** الاشارة الى قوله تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود كزرع اخرج شطاه الى آخر ما ذكره في آخر سورة الفتح فاخبرهم الله على لسان رسوله بما في كتابهم **وغير ذلك من امورهم** التي نزل بها القرآن مما لا يعلم مثله الا بوحي **فاجابهم عما سالوه وعرفهم** بما كتموه **بما اوحي اليه من ذلك** السابق ذكره كله **انه انكر ذلك او كذبه** بفتح همزة ان والمصدر المسبوك منها ومما دخلت عليه نايب لفاعل لم يحك وهو ظاهر ثم اضرب عن ذلك اضرابا انتقاليا على سبيل الترقي فقال **بل اكثرهم صرح** اي تكلم بكلام صريح نا **بصحة نبوته** اي قال انه صادق في دعوى النبوة وان له نبوة صحيحة **وصدق مقالته** اي صدق كل ما قاله مما ادعاه ومما نقله عن كتبهم **فاعترف بعناده وحسده اياه** فاقر بان جحده لما قاله محض عناد وحسد وصدق مصدر مضاف للفاعل او فعل ماض مشدد الدال ومقالته منصوب مفعوله وافراد ضمير حسده فعل ماض لقوله اياه فانه يا باه **كاهل نجران** بفتح النون وسكون الجيم وراء مهملة قبل الف ونون وهم قوم من نصارى العرب منزلهم بين مكة واليمن على سبع مراحل من مكة سمي نجران بن زيد بن سبا وسياتي الكلام عليهم **وابن صوريا** بضم الصاد المهملة وراء مهملة ومثناة تحتية مقصور وجوز البرهان مده وهو عبد الله بن صوريا وهو حبر من احبار اليهود الذين بالمدينة وهو الذي وضع يده على آية الرجم وهو

الألوكة
www.alukah.net

عمراني واختلف في اسلامه فقيل اسلم وقيل مات على كفره **وابني اخطب** تثنية ابن واخطب بزنة افعل التفضيل بخا معجمة وطا مهملة وموحدة علم لابيهما وهما حيي بضم الحا المهملة وفتح اليا المثناة التحتية تليها يا مشددة وابو ياسر وهما يهوديان من يهود المدينة مشهوران ماتا على كفرهما وحيي ابو صفية ام المؤمنين قالت رضي الله عنها كان عمي ابو ياسر احسن رايا من ابي كان يقول

الشي نجده في كتبنا فيقول نعم هو هو فيقول له فما في نفسك منه فيقول عداوته **وغيرهم** من احبار اليهود والنصارى **ومن باهت في ذلك بعض المباهتة** اي لم يعترف بحقية ما جا به وادعى انه كذب مكابرة منه يقال باهته وباحته اذا كذبه ونسبه للبهتان **ومنكر طبيب المثل كذبه الشوائه** اي في بعض اموره التي يمكن المكابرة فيها وفيه اشارة الى ان من اخباره ما لا يمكن انكاره من احد من العقلا ويقال بصدق كذا وباهته كما في الاساس ومن انكره فقد ابى بهتان من عنده ه

وادعى ان فيما عندهم من كتبهم من ذلك لما حكاه متعلق بقوله مخالفة بالنصب اسم ان ومن الموصولة مبتدا خبره **دعي** بالبنا للمجهول اي دعاه الرسول باذن ربه **وكشف دعوته** اي بيان انه ادعاه **فقيل له**

اي قال الله له صلى الله عليه وسلم قل لهم **فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون** يعني قوله فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون وسبب نزولها ان اليهود قالوا له صلى الله عليه وسلم تزعم انك على ملة ابراهيم وانت تاكل لحم الابل وتشرب لبنها وذلك محرم في شرعه وقيل ان المسلمين قالوا لهم انما حرمت عليكم الطيبات ببغيكم فقالوا انها كانت محرمة قبل ذلك فامروا باحضار التورية حتى يتلى ما فيها من تحريم ذلك فلم يجدوا ذلك فيها وافتضحوا وقيل انهم اتوا برجل وامراة زنيا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم كيف تفعلون فقالوا نحممهما ونضربهما فقال لهم ان الذي في التورية رجمهما فانكروه فقال كذبتم ايتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فاتوا بها وقروا احكم الزاني فيها فوضع القاري يده على اية الرجم وقرا ما قبلها وما بعدها فانتزعت من يده ووجد فيها الرجم فرجما **فقرع ووبخ** اي قرعهم الله وعيرهم بتبكيتهم وافترائهم على ابن صوريا وتلويحا وجعلهم ظالمين **ودعي الى احضار ممكن غير ممتنع** وهو امرهم بالاتيان بالتورية وهي حاضرة بين ايديهم فصاروا قسمين **فمن معترف بما جحده** وانكره من احكام التورية **ومن متوافح** بضم الميم وقاف وحا مهملة اي متكلف للوقاحة وهي قلة الحيا وصلابة الوجه حتى لا يبالي بافتضاحه والمراد به ابن صوريا الذي وضع يده على اية الرجم فقال ابن سلام ارفع يدك يا اعور كما اشار اليه بقوله **يلقي على فضيحته** اي ما يفضحه ويجعله سخرة بين الناس **من كتابه** اي من الكتاب الذي يعتد به اي نصه عليه وعلى الاية التي فيها ما يخالف دعواه ويكذبه **ولم يوثر بالبنا للمجهول** يعني ينقل معطوف على قوله لم يحك نايب فاعله **ان واحدا منهم** اي من اهل الكتابين **اظهر خلاف قوله** صلى الله عليه وسلم **من كتبه** اي من الكتب التي عندهم مما انزل على انبيايهم **ولا ابدى** اي ولا اظهر **نقلا صحيحا ولا سقيما** اي محرفا لفظا او معنى ولا ما نسبه من صحفه جمع صحيفة وهي الكتاب **قال الله تعالى** بيانا لما كانوا عليه في هذا الامر **يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب** كصفته صلى الله عليه وسلم وقصة الرجم وبشارة الكتب ببعثته وشانه **ويعفو عن كثير** لحلمه وستره عليهم رجاء هدايتهم سوفيتوب الله **الاية** وهي قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم

فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة ه

بغاية

في غاية الظهور **لا نزاع فيها** اي لا ينازع احد من العقلا في كونها ثابتة ومعجزة **ولا مرية** بكسر الميم وضمها بمعنى شبهة وشك في ذلك وهي عامة في جميع الايات الواقعة فيها كما قال ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب **ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه** الاربعة **آي** جمع آية او اسم جنس جمعي كتمرة وتمر وليس كل ما يفرق بينه وبين واحده بالتا اسم جنس جمعي كما فصله البدر بن مالك في باب الجمع من شرح الالفية والآية جملة من القرآن لها مبدا ومقطع **وردت بتعجيز قوم** اي جا فيها اظهار عجز طايفة مخصوصة من الناس **في قضايا** جمع قضية وهي الحادثة الواقعة في حكم قضاه الله وقدره **واعلامهم انهم لا يفعلونها** الاعلام بكسر الهمزة مصدر اعلم مجرور معطوف على تعجيز والضمير للقضايا **فما فعلوا ولا قدروا على ذلك** المذكور من تلك القضايا ونفي القدرة ابلغ من نفي الفعل **كقوله** عز وجل **لليهود** لما ادعوا دعاوي باطلة كقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فكذبهم والزمهم الحجة فقال خطابا له صلى الله عليه وسلم **قل ان كانت لكم الدار الآخرة** وهي الجنة عند الله **خالصة** اي خاصة بكم وهو حال من الدار الآخرة والخطاب لاهل الكتاب **من دون الناس** اي باقيهم من المؤمنين وغيرهم **فتمنوا الموت ان كنتم صادقين** في قولكم انكم من اهل الجنة وانها مخصوصة بكم لان من تيقن دخول الجنة اشتاق لها واحب ان يتخلص من هذه الدار واكدارها ومن احب لقا الله احب الله لقاه **ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم** فنفى عنهم تمني الموت في جميع الازمنة المستقبلة بنفي لن وابدا وما قدمته ايديهم الكفر بالله وتحريفهم التورية فما في هذه الاية من المعجزات لانه اخبار بالغيب فهو كما اخبر اذ لو تمناه احدهم مع توفر الدواعي على نقله لاشتهر والتمني وان كان من اعمال القلب الخفية فالنطق به وقولهم تمنينا مما لا يخفى ولو تمنوه ما توانوا لحرصهم على الحياة ونحو لن يتمنوه وقد صرفهم الله عن ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم وقد استشكل ما قاله المص هنا بانه ما ذكره داخل في الوجوه السالفة فان قوله لن يتمنوه ابدا مثل قوله فاتوا بسورة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا الاعلامهم بانهم لا يفعلون لعجزهم وعدم قدرتهم فهو داخل في النوع المتقدم لانه اخبار عما استاثر الله بعلمه في المستقبل فجعله ادخل منه غير مسلم وقد سوى بينهما في الكشاف والجواب عنه ان ما تقدم امر معجز في نفسه في ساير الازمنة بخلاف ما نحن فيه فان قول احدهم ليتني اموت ونحوه امر ممكن لهم ولغيرهم واعجازه انما هو بمجرد الاخبار عن عدم وقوعه فهو مغاير لما قبله وادخل منه بمراتب **قال ابو اسحاق الزجاج** في تفسيره المسمى بمعاني القرآن وهو تفسير جليل يعتمد عليه الزمخشري في كشافه وهو ماخذه وهو العلامة في فنون العربية التي تلقاها عن المبرد واسمه ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج نسبة لصنعته توفي سنة احدى عشرة وثلثماية يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الاخرة كما تقدم **في هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة** اي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم **لانه قال فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم** وفي نسخة احد منهم وفي الكشاف فان قلت التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لن يتمنوه قلت ليس التمني من اعمال القلوب وانما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا وليت كلمة تمن ومحال ان يقع التحدي بما في الضماير والقلوب ولو كان بالقلوب لقالوا قد تمنيناه بقلوبنا ولم ينقل انهم قالوه وفي حواشيه للقطب انه اشتدلال على ان التمني ليس من افعال القلب لان التحدي انما يكون باظهار المعجز لالزام من لم يقبل الدعوى والتمني ليس بمعجز فلو كان

له

فهم

ي

الخصم احلف لي ان كنت صادقا ويمكن ان يقال التحدي هنا تطلب دفع المعجزة فان اخبار
بانهم لن يتمنوه ابدا معجزة طلب دفعها بتمنيهم والدفع لا يكون الا بامر ظاهر وهو كلام حسن
منعه قول من لم يصل الى المقصود وعن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي من
طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس بهذا اللفظ واحمد في مسنده عن ابن عباس مرفوعا بسند
جيد بلفظ لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا والذي نفسي بيده اقسم بالله قسما مناسبا للمقسم
عليه فان مضمونه ان روحه بيد الله ان شاء ارسلها فتحيى وان شاء امسكها فتموت وكان النبي صلى الله
عليه وسلم كثير القسم به لا يقولها اي كلمة التمني المفهومة من السياق رجل منهم اي احد من بني
اسرائيل والرجل على ظاهره او المراد ما يعم المراة الا غص بريقه غص بضم الغين المعجمة وفتح
الصاد المهملة او بفتحها وفاعله ضمير الرجل وعليه اقتصر بعضهم ولا ينافي الاول كونه لازما
كما توهم والغصة ما يقف في الحلق فيمنع النفس حتى يهلكه يقال غص بالطعام وشرق بالماء
وشجي بالعظم وجرض بالريق وقد يستعمل كل منها مكان الاخر والريق رطوبة وغصص الدهر مصائبه
وهو كناية عن سرعة وقوع الموت بهم كما في النهاية واليه اشار بقوله يعني يموت مكانه اي في
مكانه الذي غص فيه فلا يمهل لانتقاله لفراشه فصرفهم الله عن تمنيه مصدر مضاف لمفعوله
وهو ضمير الموت وجزعهم بفتح الجيم وتشديد الزاي المعجمة ونصبها وفتح العين المهملة وفي نسخة في
جزعهم وكونه جزعهم براء مهملة غلط ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه بينه بقوله اذ
لم يتمنه احد منهم لخوف الموت لتيقن صدق خبره وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا على
تكذيبه بان يتمنوا ولا يموتوا والجملة حالية بتقدير قد ولكن بالتخفيف والتصديق والتشديد
الله يفعل ما يريد من تمنيهم وعدمه فظهر بذلك اي بصرفهم عما هم احرص عليه معجزته وبانت
حجته بصدق خبره عن الغيب قال ابو محمد الاصيلي تقدم الكلام عليه وعلى نسبته من اعجب امرهم
اي اليهود انه الضمير للشان لا يوجد منهم ولا واحد من يوم امر الله نبيه بقوله قل فتمنوا
الموت يقدم عليه اي على تمني الموت ولا يجيب اليه اي الى قوله تمنوا الموت او الى قول احد تمن الموت
لشدة خوفهم ولما جبلهم الله عليه من حرصهم على حب الحياة كما قال لتجدنهم احرص الناس على حياة
وهذا المذكور من امتناعهم عن التمني موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم اي كل من اراد
ان يعرفه اذا ذكر لهم ظهر به ما في طباعهم والامتحان هو التجربة وانما ذكره دفعا لما يقال
التمني امر قلبي خفي فمن يقال انه موجود ولم يطلع عليه وكذلك اية المباهلة اي مثل قصة
التمني في بني اسرائيل قصة المباهلة في نصارى نجران لان فيها تكليفا بالتكلم بامر لو قالوه
هلكوا وقد اخبر الله به قبل وقوعه فكان كما اخبر ولم يجبه احد منهم الى ما دعاهم اليه كما لم يتمن
اليهود من هذا المعنى يعني انهما متقاربان كما قررناه انفا واصل معنى المباهلة كما حققه الراغب
من البهل وهو الاهمال كارسال البعير وحل صرار الناقة يقال ابهلت فلانا اذا خليته وارادته
ارادته ومنه الابتهال وهو تضرع الدعاء وقال ومن فسره باللعن فلما فيه من الاسترسال فيه قال
الشاعر • نظر الدهر اليهم فابتهل • اي استرسل اليهم فافناهم انتهى وفيه رد على بعض
اهل اللغة اذ ظن ان حقيقته الملاعنة ويؤيده ظاهر قوله ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين
حيث وفد عليه الوفد هو القادم من غير اهل البلاد وحيث هنا للزمان اي لما قدموا عليه من
ديارهم اساقفة نجران جمع اسقف بضم الهمزة والقاف وبينهما سين مهملة واخره فاء مشددة هو
وهو رئيس النصارى في دينهم وقاضيهم وامامهم قيل سمي به لاعتنائه وخضوعه ونجران بفتح النون

ونجران

واسكان الجيم بلدة كما نواحيها وهي بين مكة واليمن على سبع مراحل من مكة قدموا منها على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ستون راكبا فيهم اربعة عشر رجلا رؤساؤهم ومنهم ثلاثة نفر يؤول اليهم
كل امرهم واميرهم اسمه العاقب ووزيرهم كالوزير اسمه المسيح وثمالهم السيد وصاحب رحلتهم
الايهم وابو حارثة بن علقمة اخو بكر بن بكر بن وائل اسقفهم وامامهم وقصتهم مشهورة في السير
وابوا الاسلام اي امتنعوا ان يسلموا لادعائهم حقية دينهم وعدم نسخه فانزل الله عليه
صلى الله عليه وسلم في حقهم اية المباهلة في قوله فمن حاجك فيه الاية وتمامها فقل
تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على
الكاذبين وكيفيتها كما قصه الله ان يجمع كل من المتخاصمين اهله ثم يتوجه كل منهما الى الله ويقول
اللهم ان هذا يقول كذا وكذا وانا اقول كذا وكذا اللهم فاجعل لعنتك على الكاذب منا فان عذاب الله
يحل بمن كذب حتى يطوقه فهذا لم ينسخ فان سلطان العلماء العز بن عبد السلام اشتد الله بعض اهله
شام لم يقلد فقال اباهله الى الله ففعل فلم يمض سنة حتى هلك من باهله وانما جمع الاهل مخوفا لهم
بحلول العذاب بهم اجمعين ومن قال هنا معنى البهلة بالضم والفتح اللعنة لم يصب كما مر عن الراغب
وهذا مما نحن فيه من وجه ومن قال الاسقف مشتق من السقف كما قاله ابن السكيت والهاء المعجمة
ففي كلامه تناقض فامتنعوا منها اي من المباهلة خافوا لما شاهدوه من الهلاك بل عاينه
ورضوا باداء الجزية وهي الخراج الموظف على الناس ويطلق على ما يعين على الاراضي فاختاروه
مع ما فيها من المذلة وكانوا قالوا له ما لك تشتم نبينا فنقول عبد الله فقال هو عبد الله ورسوله
وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا من غير اب فانزل الله ان مثل
عيسى عند الله الخ ثم دعاهم للمباهلة وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي
وانه ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم اي هلكوا جميعا لاجابة دعائه
عليهم ثم قال لهم ان ابيتم الا الاقامة على دينكم فصالحوه وانصرفوا الى دياركم وروي ان القائل
لهذا هو السيد الذي كان يسمى شرحبيل فقال رسول الله اسلموا يكن لكم وعليكم ما للمسلمين
وعليهم فابوا فقال انا نابذكم فقالوا ما لنا طاقة بحربك ولكن نصالحك على ان لا تغزونا
ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الفا في صفر والفا
في رجب فصالحهم على ذلك وقال لو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير واضطرم عليهم
الوادي نارا وفيه دليل على مشروعية الملاعنة قال في المواهب وقد جربت وانه لا يحضر
على الكاذب سنة كما ثبت وهؤلاء امتنعوا عن الملاعنة كما امتنع اليهود عن تمني الموت
وكذا اورده المصنف هنا ومثله قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى اخرها اي مثل
قوله فمن حاجك فيه فاخبرهم الله في هذه الاية انهم لا يفعلون في المستقبل ابدا وهو ما
دل عليه الجملة المعترضة بين الشرط وجزائه وهي قوله ولن تفعلوا كما كان في الماضي
الدال عليه فان لم تفعلوا فان عجزهم عن معارضة القرآن امر محقق ووقع وانما اتى بان الشرطية
وكان تقتضي الاحتمال باعتبار ما عندهم من الشك في قدرتهم تهكما بهم وهذه الاية اي قوله
تع وان كنتم في ريب الخ ادخل في باب الاخبار بالغيب اي انه اظهر فيه واوضح لتحقق
النفي في المستقبل بالنفي في الماضي الذي علم من التحدي بخلاف اية تمني الموت واية المباهلة هي
لعدم تقدم شيء من نوعها وقيل لان فيها نصا صريحا بنفي فعلهم في المستقبل بخلاف اية المباهلة
فان فيها اشعارا بالعجز عن المباهلة في الحال والاشعار بالنفي في المستقبل الذي هو من الاخبار

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالغيث من لوازمه لا من خصائصه وفيه بحث ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها اي في سورة البقرة التي فيها تعجيزهم عن الاتيان بمثل سورة ما من مثله تعجيز بتعجيزهم عن المباهلة وفيه نظر فانهم لم يعجزوا عن المباهلة وانما خافوا من عاقبتها فاحجموا عنها ولو ارادوها لم يكن عندهم مانع منها فتدبر ح

فصل ومنها

اي من وجوه اعجاز القرآن وجه غير الوجوه الاربعة التي تقدمت الروعة بفتح الراء والعين المهملتين المرة من الروع وهو الفزع والخوف الذي يلحق واعتري سامعه لجلالته وهيبته كما وقع لسيدنا عمر رضي الله عنه لما سمع اول سورة طه فاسلم من غير تردد لما وقع في قلبه عند سماعه التي تلحق قلوب سامعيه اصله تلحق قلوب السامعين له فحذفت نونه للاضافة لضمير القرآن واسماعهم بالنصب منصوب على قلوب مفعول تلحق وهو جمع سمع بمعنى الحاسة وفيه تسمح لان الفزع لا يلحق السمع وانما يلحق القلب بواسطته وهو كقوله ان تضل احدهما فتذكر احداهما الاخرى اي لتذكر احداهما الاخرى اذا اضلت كما حقق في الكشاف وشروحه وانما عطفه عليه لمغايرته لان هذه الروعة تلحق من يفهمه ومن لا يفهمه مؤمنا كان او كافرا فلما قيل ان في عد هذا وجها مستقلا من وجوه الاعجاز نظرا لانه معنى زايد على النظم مشوش وطريد وهو في المومن واضح واما في الكافر فلعله منه لعدم تدبره لانه التي السمع وهو شهيد وهيبة له عند سماعه تلاوته والضمير للقرآن والهيبة بالرفع معطوف على الروعة ومعناه الخوف يقال هابه اذا خافه كما في القاموس فهو قريب من الروعة والتحقيق انهما ليسا بمعنى واحد كما في عروس الافراح قال يتوهم ان الروع والمهابة واحد وليس كذلك بل الروع الفزع والمهابة الاجلال قال

اهابك اجلالا وما بك قدرة • علي ولكن ملء عين حبيبها

وقال الشريف في قول السكاكي ادخال الروعة وتربية المهابة المهابة يراد بها عرفا الحالة التي تكون في قلوب الناظرين الي الملوك وتربيتها تقويتها والروعة الخوف الذي يتجدد بمجانبتها انتهى التي تعتري من يتلوه ويقرؤه ويتدبره عند تلاوته وقرآته والاول ناظر للسامع والثاني للقارئ نفسه او هما بمعنى لقوة حالة اي لما فيه من الحالة القوية باعتبار ما فيه من المواعظ والانذار وهذا ناظر للروعة عند من فهمه وانافة خطره اي علو مرتبته عن غيره من الكلام الذي يهابه سامعه فهو ناظر للهيبة ويمكن كل منهما لكل منهما وهي اي الروعة والهيبة وافرد الضمير لانهما شي واحد وكالواحد على المكذبين به اعظم منها على المومنين لشدة خوفهم منه كما قيل الخائن خائف والمومن وان هابه فهو متلذذ به مطمئن قلبه بتنايم حتى كانوا اي المكذبون يستثقلون سماعه لصعوبة ما فيه عليهم ويزيدهم سماعه نفورا عن الحق والاصغاء اليه كما قال تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا اي ولوا معرضين عنه لعدم ذكر الهتهم فيه ويودون اي يحبون انقطاعه اي قطع تلاوته عندهم لكراهتهم له لخبث طباعهم كما تضر رياح الورد بالجعل والجزاء المذكور من محبة انقطاعه وكراهتهم له قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره عن الحكم بن عمير وسياتي تمامه ان القرآن صعب في نفسه بمعنى انه لا يقدر احد على محاكاته وضبط الفاظه وحفظها بسهولة كما قال تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا مستصعب بفتح العين وكسرها اي يعسر فهمه وتفسيره بالراي ولا يمكن تغييره وتحريفه لانه لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لانه ليس من جنس كلام البشر على من كرهه من الكفار

والمنافقين

والمنافقين وهو اي القرآن الحكم بفتحتين اي الحاكم الفاصل بين الحق والباطل بما تضمنه من الاحكام والبرهان القاطع بما نصب فيه من الادلة الدالة على حقيته ولذا قيل له فرقان وهذا في حق غير المومن واما المومن فمعاده له لانه مع انه معلومة مما قبله اي اما غير المومن فلا يزال صعبا عليه لكراهته له فلا يزال روعته به بفتح الراء اي فزعه وخوفه من زواجره ومواعظه وهيبة منزلة الحاصلة بسببه وهيبته اياه الضمير الاول للمومن والثاني للقرآن او بالعكس مع تلاوته اي قرآته من تلاه اذا تبعه وهو بمعناه اللغوي اي اتباع لاوامره ونواهيه والتلاوة في العرف تختص بالقرآن وقيل لا تختص به توليه اي تعطيه من اولاه نعمة اذا اعطاه فهو بضم المثناة الفوقية وسكون الواو وكسر اللام المخففة انجذابا بنون وجيم وذال معجمة وموحدة من جذبه اذا اماله لجهته بشدة اي تستميل قلبه وسمعه لمحبته له وشبهه الشي منجذب اليه وتكسبه بضم التاء الفوقية وسكون الكاف هشاشة بفتح الهاء والمعجمة اي مسرة وخفة ولينا لما فيه من البشائر السارة والمعاني اللذيذة التي تجعله في نشاط لميل قلبه اليه ونصديقه به فهو دايما متنعم فكره منه في روضات انيقة فاذا عرف من يناجي وانه جليس الرحمان سر ونشط ثم استشهد هنا بقوله تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي يعرض لجلودهم ابتداء قشعريرة اي قيام من الخوف منه هيبة فاذا تامله وتدبره كان قلبه وجلده لانسه وسروره به ولذا تري بعض الصالحين اذا تلي القرآن تواجدوا وصاحوا وقد يتعدي ذلك الي الغشي وشق الثياب ونحوه ومثله لا ينكر ومن لم يذق لا يعرف ولا ياتي هذا انه لم يقع من الصحابة لان مقامهم مقام تمكين وقد بين هذا في الاحياء فان اردته فارجع اليه وعدي تلين بالي لما فيه من معنى الميل وذكر الجلود في الاول وضم اليها القلوب في الثاني اشارة الى ان الاول قبل التدبر التام فاذا تدبر ذلك ووقر في قلبه زالت تلك الحالة الظاهرة عنه وقال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل الاية يعني لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وهذا تمثيل لما فيه من الروعة التي تهد الجبال فما بالك بالرجال والاية مبينة في التفاسير فلا حاجة للتطويل بذكر ما فيها ويدل على ان هذا اي ما يحدث للقلوب والاسماع من الروعة والمهابة شي خص به القرآن دون غيره من الكلام انه امر يعتري اي يطرو ويحدث من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره ممن لم يمارس كتبه ويعرفها حتى يقف على دقايقه ولطايفه فعلم من هذا ان تاثر السامع لسر فيه وامر رباني ولولا كان بتاثر قاريه وسامعه وان لم يفهمه بخلاف غيره كما روي عن نصراني ليس من شانه فهم القرآن ولا الوقوف على تفسيره ففيه ايضاح لما قبله انه مر بقاري يتلو القرآن جهرا فوقف ليسمع قرآته وهو يبكي فقيل له مم بكيت سئل عن سبب بكائه لانه لا يصدق به ولا يفهمه فقال للشجا والنظم الشجا بفتح الشين المعجمة والجيم مقصور يقال شجي يشجي شجا اذا حزن او طرب او غضب والثاني انسب هنا كما قاله البرهان والمراد بالنظم رونق انتظامه وحسن انسجامه فاثر ذلك في نفسه وهو لا يفهمه حتى ابكاه وسمع بعضهم بغلا سان مغنية حسنة الصوت تغني بالفارسية فشوقه ذلك وابكاه وقال

ومسمعة يحار السمع فيها • ولا يفهمه لا يصمم صداها
ولم افهم معانيها ولكن • ورت كبدي فلم افهم شجاها
فكنت كانني اعمي معني • بحب الغانيات ولا يراها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولم يذكر المصنف ان القارئ قرأه بصوت حسن حتى يكون تاثره وطلبه لاستماعه وهو ابلغ وادل
على ما قصده وهذه الروعة الحاصلة عند سماع القرآن لمن يتدبره قد اعترت جماعة وحصلت
لهم قبل الاسلام اي قبل اسلامهم وبعده ثم فصل حال من اعترته الروعة قبل اسلامه لكنه
تسمح في العبارة لان القبلية تقتضي عروض الاسلام فلا ينافي قوله كفر وكذا ان قوله بعده فعبارته
لا تخلو من المسامحة وكان الظاهر ان يقول اعترت جماعة منهم من اسلم ومنهم من بقي على كفره فقوله
فمنهم من اسلم لها اي لهذه الروعة لاول وهلة بفتح الواو وسكون الهاء وهي المرة من الوهل وهو الفزع
يقال وهل منه واليه اذا فزع ثم قيل اول وهلة لاول ما يقرع السمع ويقع في الوهم والفكر وهو المراد
كما اشار اليه في الاساس واسلم بمعنى اقر واعترف وآمن به اي صدق بقلبه ومنهم من كفر اي
دام على كفره لاصراره على عناده لحماقته وجاهليته فحكي في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان
مسندا عن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف الصحابي وقد تقدمت ترجمته وانه
اسلم في فتح خيبر او في فتح مكة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة المغرب
وذلك قبل اسلامه بالطور اي بسورة الطور فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شيء اي من
غير خالق لهم كما تقول الدهرية ام هم الخالقون لانفسهم بزيادة قوله بعده ام خلقوا السموات
والارض وقرأ الى قوله ام هم المسيطرون اي المدبرون للاشياء كما يريدون وبينهما بل لا يوقنون ام
عندهم خزائن ربك يقال مصيطر ومسيطر لتسلطه المالك كاد قلبي يطير اي حدث عندي فزع وخوف
شديد ظننت قلبي ذاب وفني حتى لم يبق مني وطيران القلب يراد به تارة شدة الخوف وهو المراد هنا
لان القلب يتحرك دائما لحرارته فاذا زادت الحرارة الغريزية لخوف او شدة شوق وحب زاد خفقانه
فيشبه ح بطائر يخفق جناحه كما قال

كان قطاة علقت بين اضلعي • لان فؤادي دائم الخفقان •

وقلت عجبا لقلبي طائر فزعا • وعلته ناحل اضلعي قفص •

ومنه قول العرب افزع روعه كما حقق في كتب اللغة وفي رواية اخرى غير رواية الشيخين
وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي وقر بالقاف بزنة ضرب بمعنى سكن وثبت وذلك انه
كان مشركا في اسارى بدر اي في فداء اساراها فلما سمع الآية وتدبرها علم ما فيها من برهان الايمان
القاطع لعرق الكفر لدلالتها على انه لا خالق يستحق العبادة الا الله فسكن قلبه بعد ما اضطرب به
حتى كاد يطير وهذه رواية للبخاري ايضا في المغازي وفي رواية فصدع قلبي وفيه دليل على
صحة رواية المسلم ما تحمله حال كفره وفيه بيان لروعة القرآن لمن سمعه وان تلك الروعة سبب
لاسلامه وعن عتبة بن ربيعة هو ابو الوليد بن عبد شمس بن عبد مناف المشهور وهو ممن قتل كافرا
ببدر فلا يتوهم اسلامه بقول المصنف عن عتبة هنا وهذا الحديث رواه ابن اسحاق في سيرته والبغوي
في تفسيره انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه يشير لما في السير
من ان ابا جهل قال لقريش قد انتشر علينا امر محمد فلو اتاه منا من كلمه فذهب اليه عتبة وكان
ذا رأي وحزم وقال له يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب فلم تشتم آلهتنا وتسفه
احلامنا وتضللنا وانت منا بسطة قومنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء وكنت رئيسنا
وان كان بك الباءة زوجناك من تختار من بنات قريش وان كنت تريد المال جمعنا لك من اموالنا حتى
تكون اكثرنا مالا وان كان لك رئي لا تستطيع طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا او كما قال
والنبي صلى الله عليه وسلم يستمع كلامه حتى تم فقال له افرغت يا ابا الوليد قال نعم قال اسمع مني

ما اقول

ما اقول فتلا عليهم اي على الوليد ومن معه او من علم انه سيبلغه ما تلاه من سورة حم
كتاب فصلت آياته الى قوله فانذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اي الصاعقة التي
اهلكت قوم هود وقوم صالح فامسك عتبة على فيه اي وضع على فم النبي صلى الله عليه وسلم
حتى انقطع كلامه وما تلاه عليه من هذه السورة لخوفه من وقوع ما انذرهم به وناشده الرحم
ان تكف اي سأله مقسما عليه بالرحم وهي القرابة القريبة المقتضية للرحمة والتعطف عليهم
من حلول ما ذكره من العقاب بهم يقال ناشدته ونشدته اذا اقسمت عليه فهو استعطاف وفي
رواية اخرى لابن اسحاق في سيرته عن كعب القرظي فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ فقال آلو غب
جعل لفظ عام في الافعال كلها اعم من فعل وصنع واخواتها ويأتي على اوجه فيجري مجرى صار وطفق
فلا يتعدى بنفسه نحو جعل زيد يقول كذا الخ فالمعنى انطلق في قراءة السورة وقوله لا يستمر اي هي من
افعال الشروع والفعل خبرها لا مفعولها والشروع لا ينافي الاستمرار كما توهم وعتبة منصت
اسم فاعل معتل بوزن منفعل اي مستمع لقراءته منصت لها ملقي يديه خلف ظهره لاعتماده
عليهما فقوله معتمد عليهما كالتفسير له حتى انتهى اي وصل الى آية السجدة فسجد صلى الله عليه
وسلم وقام عتبة من عنده لا يدري بم يراجعه اي يكلمه بعد تلاوته لو عنده اليه لدهشته
بما سمعه منه ورجع الى اهله اي دخل منزله ولم يقابل احدا ممن كان ينتظر خبره ولم يخرج من بيته
الى قومه واستمر في بيته حتى اتوه ليسألوه عن انقطاعه عنهم ما سببه فاعتذر عن عدم
خروجه لهم واخبارهم بما جرى له معه وقال فيما اعتذر به والله لقد كلمني النبي صلى الله عليه
وسلم بكلام والله ما سمعت اذناي مثله قط اي ما يماثله في حسنه وجزالته وما اثره في
القلوب فما دريت ما اقول له فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين وفيه دليل على
لما نحن فيه من الروعة والهيبة لمن بقي على كفره ممن اضله الله على علم وفي رواية انهم لما رأوه قالوا
والله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا له ما وراءك يا ابا
الوليد قال ورائي اني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا
الكهانة يا معشر قريش اطيعوني وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن
لقوله الذي سمعته نبأ عظيم فان تصبه العرب كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه
ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله يا ابا الوليد قال هذا رأيي فيه فاصنعوا
ما بدا لكم وقد حكي بالبنا للمجهول عن غير واحد اي عن كثير وغير الواحد شامل للقليل والكثير
ولكنه خص عرفا بهذا كما مر ممن رام معارضته اي قصد ان يأتي بكلام يماثله في البلاغة انه
اعترته اي حدثت له واصابته روعة وهيبة حين تلاه وسمعه كفت به اي بتلك الروعة
والفزع عن ذلك اي المعارضة ثم ذكر بعض من سخف عقله فتم بذلك فقال فحكي ان ابن المقفع
طلب ذلك ورامه اي قصد معارضة القرآن والكلام بما يماثله في المقتفي لبرهان الحلبي المقفع
بضم الميم وفتح القاف والفاء المشددة قبل العين المهملة ولم يتعرض ابن ماكولا لبيان حركة
الفاء وهي مضبوطة في النسخ بالكسر والذي احفظه الفتح وذكر ابن ماكولا ايضا يقال له
مروان بن المقفع فلم يدر هل هو هذا ام لا انتهى وهو غريب من مثل هذا الحافظ فانه بالفتح من غير
شبهة قال في القاموس مقفع اليدين كمعظم متشنجهما ومروان بن المقفع تابعي وابو عبد
الله بن المقفع فصيح بليغ وكان اسمه روزبه او دازبه بن داذجشنس قبل اسلامه وكنيته ابو
عمرو ولقب ابوه بالمقفع فقفعت يداه اي تشنجتا وهذا مما تعرفه الخاصة والعامة الا ان التلم

www.alukah.net

قال في حواشيه المقفع اليابس اليدين والرجلين من برد وقال ابن مكي في تثقيف
اللسان ان الصواب فيه المقفع بكسر الفا لانه كان يعمل القفاع جمع قفعة وهي شي يشبه الزنبيل
بلا عروة من خوص وليس بالكبير وقيل انه كان كاتب المنصور وهو اول من هذب المنطق وقتله
سفيان المهلبي لما ولي البصرة وحضره اهلها وفيهم ابن المقفع فذكر عنده الوطش فلم يعرفه
وسال عنه من حضر فضحك ابن المقفع ثم انصرفوا فاتى ابن المقفع بالجلوس حتى خلا المجلس فامر
بتنور فسجر وامر بان يسجر وامر بطرحه فيه فاحترق كما في مشكاة انوار الخلفا وكان ابن
المقفع من جملة قوم زنادقة كانوا يجتمعون لذكر مطاعن القرآن وصناعة هذيان يعارضونه
به كما اشار اليه المصنف بقوله وشرع فيه اي في المعارضة وذكره لان تانيث المصادر غير
معتبر لتاويلها بان والفعل ثم بصير يغرا وقيل يا ارض ابلعي ماءك وقد تقدم بيان
بلاغتها وما فيها من الاعجاز على ما في المفتاح وشروحه فمحي ما عمل يعني غسله وابطل ما في
صحفه لما راها لا مناسبة بينها وبين شي من الكلام العزيز وقال اشهد اي اقر واعترف
او اعلم كل احد ان هذا لا يعارض اي لا يقدر احد على الاتيان بمثله وما هو من كلام البشر
لظهور اعجازه وكان من افصح اهل وقته فليس من قال ذلك بغير علم بل من فيه بصناعة الصياغة
والمراد بوقته زمانه وعصره الموجود فيه وكان يحيى بن الحكم بفتح الحا المهملة والكاف منسوجة
بعدها وقيل انما هو الحكيم بوزن الطبيب كما ذكره الذهبي وقال انه من شعراء المائة الثانية
توفي بعد مائة وخمسين ولست على ثقة منه وذكر ابن خلدون في تاريخه وقال انه من شعراء
الاندلس وذكره في الذخيرة ايضا الغزال بمعجمتين وزاء مشددة وقيل انها مخففة عند الذهبي
ايضا في كتابه المشتبه فعلى الاول هو وصف منسوب لصنعة الغزل وعلى الثاني هو علم
منقول من اسم الحيوان وهو بكري قرطبي لانه كان في زمن هشام بن الحكم اقول الذي ذكره ابن
حيان في المقتبس تاريخ الاندلس انه يحيى بن الحكم البكري الجياني لقب بالغزال في صغره
لحسنه وكان في المائة الثالثة حكيم الاندلس وشاعرها وله شعر في غاية الحسن وارتحل
لمصر ثم عاد للاندلس وعمر اي بقي وتشبب من سنه وارسل رسولا لبلاد الفرنج فاعجب ملكها
فنادمه وسالته امراته عن سنه فقال عشرون سنه فقالت له فما هذا الشيب فقال اما رايت
مهرا اول ما نتج اشهب فضحكت والى هذا يشير بقوله في قصيدة هـ

قالت اري فوده بدا قد نورا • دعابة توجب ان ادعا
قلت لها ما بال به اتيته • قد ينتج المهر اذا اشهبا

قال وحكي انه اراد ان يعارض سورة الاخلاص فعرضت له حاجة اوجبت توبته بليغ الاندلس
في زمنه اي معروف بالبلاغة وفصاحة النظم والنثر في عصره والاندلس بفتح الهمزة وضم الدال
وفتحها وضم اللام ليس الا وهي معربة لم تتكلم بها العرب قديما وانما عرفها في الاسلام قال ياقوت
في معجمه اشتهر على الالسنة انها تلزمها ال وقد وردت بدونها في قول بعض العرب

سالت القوم عن انس فقالوا • باندلس واندلس بعيد

وهي بكيفيتها لا نظير لها قلنا فعللا او فيعللا والظاهر ان الهمزة زائدة لان بعدها اربعة
احرف ولو كانت عربية جاز ان يقال وزنها انفعل فان قلت قال سيبويه انفعل ليس الحسن
ولا يعرف ما في اوله زيادتان مما ليس جاريا على الفعل قلت هو في العربي البحت وهي تجاه
تونس ارض تحتوي على بلاد ولعبت جزيرة الان البحر محيط بها من ثلاث جهات لكونها بلا اسماها

بعضهم

بعضهم فحكي بالبنا للمجهول انه رام شيا من هذا اي معارضة القرآن ونسج كلام على منواله
في الفصاحة فنظر في سورة الاخلاص التي هي اقصر سورة اي تدبر في نظمها لياتي بنحو
مثلها وسميت سورة الاخلاص لاشتمالها على ما يجب اخلاص اعتقاده من التوحيد لذات الله
وصفاته ليحذو على مثالها من حذو بحا مهملة وذال معجمة اذا اقتفى بجزايه اي مقابلة
وحذا النعل بالنعل اذا قطعها مقدارها وقالبها فالمعنى ليقول مثلها وفي الحديث لتتبعن سنن
من قبلكم حذو النعل بالنعل اي تعملون مثل اعمالهم من غير زيادة ونقص فهو استعارة تمثيلية
وينسج بزعمه بزاء معجمة مثلثة وهو الظن واكثر ما يستعمل في الكذب فان زعم مطية الكذب
على منوالها هو بمعنى ما قبله والمنوال بكسر الميم خشبة ينسج عليها الثياب فهو استعارة
تخييلية ومكنية بتشبيه التكلم والكلام ببرود تنسج واثبت ما لها ما له من النسج والمنوال
او هي تمثيلية او تبعية وهذا امر سهل قال اي ابن الحكم فاعترتني اي عرض في حال النظر
خشية اي خوف وتعظيم له ورقة اي رقة قلب وخشوع او ضعف ولين حملتني الفات
ان الظاهر حملني والحمل الالجا والقسر على التوبة عما كنت هممت به والندامة على ما عزم عليه
والانابة اي الرجوع عنه وتركه لعلمي بانه امر لا يقدر عليه البشر هـ

فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة

اي التي عدها العلما منها اشارة الى انه سيوف بذكر كونه اية ومعجزة باقية فسره بقوله
لا يعدم ما بقيت الدنيا اي مدة بقاها الى قيام الساعة وما ورد في حديث حذيفة من انه
ح تاتي ليلة يرفع فيها القرآن لا يبقى في الارض منه اية هو بعد عيسى بن مريم وظهور ياجوج
وماجوج وهو في حكم الساعة ووجود الدنيا حينئذ والعدم سواء وبقاوه ببقائه تلاوة
محفوظا من النسخ والتبديل والتغيير وهذا فضل تميز به عن سائر الكتب الالهية فضلا عن
غيرها وما قيل من ان عد هذا من وجوه الاعجاز لا وجه له فانه لا تعلق له بالنظم المعجز ساقط
فان بقاه كما ذكر من لوازم اعجازه لعدم مشابهته لكلام البشر حتى يوتى بمثاله او يدخل فيه ما
ليس منه او يقول انه من جملة ما اخبر الله به عنه فهو من غيبه وهذا اشار بقوله مع تكفل الله
بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون والمراد بالذكر القرآن وضمير له لا له
صلى الله عليه وسلم فلما تولى حفظه بعظمته وجلال ذاته ولم يكله لغيره كغيره المقول فيه بما
استحفظوا من كتاب الله كما تقدم تابعه وتابع حفظه لبقائه حافظه ورفعه تتمة حفظه وقال
ولا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الاية فلا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات
ما يبطله ولا يكون قبله ولا بعده ما يكذبه او ينسخه وساير معجزات الانبيا والرسل اي
مت بقيتها غيره انقضت اي مضت وذهبت بانقضا اوقاتها اي بعد عصرهم وزمن وجودهم انعد
فلم يبق الا خبرها اي الاخبار الماثورة عنها دون ذاتها ونفسها كعصا موسى وناقة صالح
وانفلاق البحر وغيرها مما هو مذكور في السير كما قيل هـ

وانما المرء حديث بعده • فكن حديثا حسنا لمن وعى

هرة والقرآن العزيز اي المنيع المحمي بحماية من قاله الباهرة اياته اي الغالبة لغيرها والظا
واياته بمعنى انواع معجزاته السالفة او كل اية متلوة منه فقوله الظاهرة معجزاته على
الاول توضيح وتوكيد وعلى الثاني بيان وتاسيس باقية على ما كان عليه اليوم اي الى ترمنا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذا فتعريف اليوم للتعريف الحضوري كهذا الآن والجار والمجرور خبر المبتدأ وهو القرآن ۞
والمراد باليوم عصر المصنف كما اشار اليه بقوله **مدة خمس مائة عام وخمس وثلاثين سنة**
وروى سبع بدل خمس والصواب الاول لانه روي ان تأليفه للشفا كان في ايام قضائه في سنة
خمس وثلاثين وخمس مائة قال التلمساني هكذا نقله الثقات عن ابي عبد الله بن مرزوق ولم اسمعه
منه انتهى **لاول نزوله الى وقتنا هذا** اي من ابتداء الوحي ونزول القرآن على نبينا صلى الله عليه
وسلم الى وقت تأليف المصنف لهذا الكتاب فاللام بمعنى من نحو سمعت له صراخا اي منه كما ذكره النحاة
وبدل عليه مقابلته بالى **حجته قاهرة** المراد بالحجة نفس القرآن اي هو حجة غالبة لمن كفر به او المراد
ما فيه من الحجج والادلة **ومعارضته ممتنعة** اي الاتيان بمثله لا يمكن ولم يقع **والاعصار كلها**
طافحة الاعصار جمع عصر بفتح فسكون لا ضم وسكون لانه جمع للجمع غير قياسي وطافحة بطاء
وحاء مهملتين بينهما الف وفاء من طفح اذا فاض وترفع **باهل البيان** متعلق بطافحة فان كان
مجازا مرسلا بمعنى ممتلئة فظاهر وان كان استعارة تخييلية على ان البيان مشبه بالما على
طريق الكناية والمعنى ببيان اهل البيان والمراد العارفون بايراد التراكيب البليغة على
حسب مقاماتها **وحملة اللسان** حملة جمع حامل وهو ككاتب وكتبه وهو الحافظ للسان بمعنى
اللغة العربية **وائمة البلاغة** اي العلماء بعلم البلاغة من المعاني والبيان وفرض الشعر وغيره من
العلوم الادبية **وفرسان الكلام** الذين لهم فطرة مجبولة على القدرة على التكلم بكلام بليغ نظما
ونثرا وفيه استعارة مكنية تخييلية اذ شبه الكلام فارس والمتكلم بوطل عارف بركوب ضمنه والسبق
به وائمته **وجهابذة البراعة** اي اساتذة الفصاحة الفائقة في بابها جمع جهبذ بكسر الجيم والبا
وهاء ساكنة وذال معجمة يقال رجل جهبذ اي عالم نحرير وهو لفظ معرب واصل معنى الجهبذ
النقاد البصير والسمسار الخبير فاستعير لما ذكر كذا قالوا والذي عندي في هذه التراكيب
الخمسة ان المراد بها اهل اللسان العارفون به بجبلة نقادة وطبيعة وقادة والعلماء بعلوم اللغة
العربية فالمراد باهل البيان الفصحاء وبالحملة علماء اللغة والائمة البلغاء الخطباء من العرب
العرباء وبالفرسان الشعراء واهل الانشاء والمحدثين وبالجهابذة العلماء بعروض الشعر وانشاء النثر
فلا تكرار في كلامه وان كان مقام خطبا يحمل فيه البسط والاطناب ولما كان هو لا فرقان
ممتدا لا يميل طبعه والعناد وضده قال **والملحد فيهم كثير** الملحد اسم فاعل من الحد عن الحق اذا مال
ومنه لحد القبر والالحاد كما قال الراغب ضربان الحاد الى الشرك بالله والحاد الى الشرك بالاسباب
والاول ينافي الايمان ويبطله والثاني يوهن عراه ويحل عقدته **والمعادي للشرع عتيد**
اي مهيا حاضر بآذال حضره وعداوته واعتد واعد متقاربان لفظا ومعنى اي مع كثرة من يريد
المعارضة **فما منهم من اتى بشي** من الكلام **يؤثر** اي يحفظ وينقل **في معارضته** الاتيان
بما يماثله **ولا الف كلمتين في مناقضته** المناقضة التكلم بما يخالفه ويبطله ومنه نقايض
جرير وهي المراجعة والمحاورة **ولا قدر فيه على مطعن صحيح** اعلم يعيبه ويعترض عليه باعتراض
يسمع منه وقد فعل ذلك بعض الزنادقة فافتضح وصار سخرة كابن في مطاعن القرآن التي
ذكرها السلف **ولا قدح** القدح ذكر المعايب يقال قدح في نسبه وعرضه اذا ذمه وقدح
الزناد ضربه لاجل النار والاول المراد ولكن فيه تورية بالثاني لقوله **المتكلف من ذهنه**
في ذلك الا بزند صحيح والمتكلف هو الذي يفعل ما لا يحسنه بكلفة استعارة للزند الذي لا
يخرج منه شرر شيء اي لم يقدر قدحه شيئا غير الخيبة يقال زند صحيح اذا كان لا يوري والله دره

ما الطف

ما الطف طبعه ومن لم يذق حلاوة كلامه قال لو قال ولا اضرب المتكلف يسيف
ذهنه الا ان بد وهو جريح وحشا استعارة تدكون الذهن يوصف بالتوقد والاشتعال
كما قيل ۞
لولا اياه الجود فيه والندى • ويكاد يعرفه توقد ذهنه •
لكن لا توريه الحشا ذاما فما ابلغ السكوت في محله **بل المأثور** فالمنقول **عن كل من رام ذلك**
اي قصد الطعن فيه بمكرها يودي زكاة حمقه **القاوه في العجز بيديه** لا القا بالقاف
بمعنى الرمي ومفعوله محذوف اي القاوهم نفسه ورمي في مهالك العجز ومهاويه قسم
العجز بيديه ونحوهما مما لهلاك الواقع فيه وبيديه متعلق به اي هو الرامي والطارح لنفسه
وقيل معناه القى نفسه بهما في العجز والزومه له جعله طرفا له وهو معنى ركيك وقول
التلمساني انه القا باليدين من لغو الكلام الذي يحسن السكوت عنه لا عليه **والنكوص على عقبيه**
اي المأثور الرجوع عما قاله بالاعتراف بعجزه يقال نكص على عقبيه وهما موخر الرجل اذا
رجع القهقرى وقال الراغب النكوص الاحجام عن الشيء وفي القاموس نكص على عقبيه
رجع عما كان عليه من خير خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهري في اطلاقه وقيل عليه ان
قلت معارضة القرآن شر فكيف يكون الرجوع عنها نكوصا على العقبين قلت هو مبني
على زعمه او تهكم به كما اطلق على رجوع الشيطان يوم بدر عن اعانة قريش على النبي صلى
الله عليه وسلم في قوله تعالى فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه على ان الاصح جواز اطلاقه
على خلاف ما ذكر انا اقول هذا استعارة من رجوع القهقري مطلقا لانه بمعنى الرجوع على
العقبين حقيقة فيتجوز به عن العود الى حالة الاول مطلقا شرا كان او خيرا فالحق ما قاله
الجوهري ۞

فصل وقد عد جماعة من الائمة ومقلدي الامة

ضبطه بفتح لام مقلد لبنا ما قبله وقيل انه بكسرها والمراد بالاول المجتهدين والثاني
تقول انه اشارة الى ضعف اقوالهم **في اعجازه وجوه كثيرة منها ان قارئه لا يمله** اي لا
يسام طبعه من كثرة قراءته ولو اعاده مرارا كثيرة مع ان الطباع جبلت على معاداة المعادا
وسامعه لا يمجه اي لا يكره تكراره على مسامعه يقال مج الشراب ونحوه اذا رماه من فيه فالمج
حقيقته طرح المائع من الفم فان كان غير مائع يقال لفظه فاقيم الاذن مقام الفم واللفظ
مقام المائع لرقته ولطفه وهي استعارة لطيفة كما قال العوني ۞
وتغير المشتاق يحسن بعضه • للورد خد بالانوف يقبل •
فاستعير لتركه استعارة تبعية او مكنية وتخييلية فكانه كالنفس الذي تكرره لا يمل لانه
مادة الحياة كما قال المعري ۞
ردي حديثك ما امللت مستمعا • ومن يمل من الانفاس ترديدا •
ويجد يجده بضم ميم المضارع كعقله من باب قتل **بل الاكباب على تلاوته** اي ملازمة قراءته
وتكراره فهو مجاز من الانكباب وهو الوقوع على الوجه كما قال من يمشي مكبا على وجهه وفي
اختياره على الوقوع اشارة الى توجهه اليه قال الشاعر
به مكبا يجلى نعت النصال • يفوح الهالكي على يديه •
يزيده حلاوة اي تزداد قراءته من تكرره حلاوة فيترقى من عدم الملل الى زيادة حلاوة
واصاب به المحز لان ما يمج يكون مرا او مالحا يكرهه الطبع وهو كقول الشاطبي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وخير جليس لا يمل حديثه • وترداده يزداد فيه تجملا

وترديده اي اعادته وتكريره يوجب له محبة لزيادة حلاوته وحسنه لا يزال كلما كرر غضا اي جديدا وهو مجاز من غض الصوت والطرف قال جارية شبت شبابا غضا طريا اي رطبا ناعما فلا تتغير بهجته ونضارته قال الشاطبي

واخلق به اذ ليس يخلق جدة • جديدا مواليه على الجد مقبلا

فكانه في كل مرة قريب عهد بالنزول وغيره من الكلام ولو بلغ من الحسن والبلاغة مبلغه اي لو فرض ان بعض كلام البشر وصل الى رتبته في البلاغة يمل بالبناء للمجهول اي يمله قارئه وسامعه مع الترديد اي مع التكرير مرارا ويعادى اذا اعيد اي يكره ويثقل وتنفر منه النفس كما تنفر ممن تعاديه وهذا على فرض المحال والا فقد تقدم انه لا يوجد مثله ولا يقرب منه واين الثريا من يد المتناول وكتابنا معاشر الامة المحمدية النازل الينا بواسطة نبينا صلى الله عليه وسلم وهو القرآن يستلذ به في الخلوات اي يجد قارئه لذة اذا اختلى بقراءته وخص الخلوة لانها محل اجتماع الحواس واطمئنان القلوب بذكر الله فهو فيها اعظم لذة وان له لذة ايضا بقراءته بين الناس ايضا ويونس بالبناء للمجهول اي يجد به انسا يدفع وحشته في الازمات جمع ازمة وهي الشدة كما في حديث اشتدي ازمة تنفرجي ولام خلوة وزاي ازمة ساكنتان في المفرد والجمع لانه اذا جمع على فعلات تسكن في الاسماء وتحرك في الصفات كما بين في التصريف والضمير في كتابنا لجماعة المؤمنين لا للتعظيم لانه لا يناسب المقام قيل ولو قال كتابنا يستانس به في الخلوات ويستعان به على الازمات كان احسن وما قصده المصنف اعلى مما قاله لان الخلوة انسب باللذة وقرينتها لان المرء يستلذ الخلوة بمن يحبه

ولذة الاحمق مكشوفة • يسعى بها كل عدو ورقيب

والسر ابدا لا يجد فيها رفيقا يعين عليها ويدفع كربها والمعالي قليلة الرفقا ولكل وجهة وسواه من الكتب اذا ضم اوله او كسر قصر واذا فتح مد والرواية على القصر وهو بمعنى غير لكنه تفنن فعبر عن الاول بغير وفي هذا بسوى والظاهر ان المراد بالكتب الكتب المنزلة قبله كالزبور لا يوجد فيها ذلك اي اللذة والانس المذكوران حتى احدث اصحابها اي اخترعوا والغواة والمراد باصحابها من يقرؤها لها لحونا اي للكتب التي يدرسونها واللحون جمع لحن واحد الالحان الاغاني والنغمات التي تزين بها الاصوات وتوزن بضروب الموسيقى على مقاماتها وشعبها مما هو معروف عندهم يقال لحن في قراءته اذا طرب وللحن معان منها هذا والايماء والرمز وان اشتهر في خطا الاعراب والمراد به هنا تحسين الاصوات للتطريب والغنا تحسينا للقراءة والشعر وفي الحديث اقرؤا القرآن بلحون العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق واهل الكتابين يعني اليهود والنصارى يقرؤون كتبهم بنحو من ذلك وهكذا يفعله اهل مصر بقراءتهم في مجامع الناس المعروفة بالجوق وهي محرمة اتفاقا وشددوا على فاعله وهو لا ينافي قوله ليس منا من لم يتغن بالقرآن على احد المعنيين فان المراد به الحان العرب المذكورة من غير تمطيط وتغيير كما فصل في اداب القارئ وطرقا جمع طريق وهو ما يجري على قانون الموسيقى وضروبها الموزونة يستجلبون اي يطلبون وجودها او يجلبون لهم ولمن يسمعهم بتلك اللحون والنغمات نشاطهم اي وجود نشاطهم وطربهم على قراءتها اي على تطويل قراءتها وزيادتها او على ان يقراها غيرهم كما انهم ان اريد باللحون تغني القارئ نفسه ويحتمل ان يريد

بما احدثوه

بما احدثوه مما يكون مع القارئ من آلات الطرب كالمزامير وما يسمى ارغنون من اوتار كثيرة تضرب مع القراءة وتأتلف بعضها ببعض حتى كان القارئ على نغماته على قرين الآية

يملي على عوده لذا انغامه • وتراه يحرك اذنه ان قصرا

ولهذا اي لما اختص به القرآن من عدم ملال قارئه وما بعده وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن علي [illegible] قوله هو الذي لم تنته الجن الخ القرآن بانه لا يخلق بفتح الياء وضم اللام ويجوز فتحهما وضم اوله وكسر ثالثه من اخلق بمعنى خلق لانه ورد متعديا ولازما فلا مدة متلاشية بمعنى فوعل بمعنى فع اي لا يبلى ويتغير حاله بمرور الزمان على كثرة الرد كالترديد بمعنى كثرة التكرار في قراءته ورده ورددة بمعنى كرره وكثرة التكرار في العادة تورث وتعد رد ما كرره كالثوب اذا تكرر لبسه كما قيل

اما ترى الحبل بتكراره • في الصخرة الصماء قد اثرا

وفيه استعارة مكنية وتخييلية لتشبيهه بثوب رقيق يلبس لتخييل به والمراد به اما الملال منه فهو بمعنى ما تقدم من ان قارئه لا يمله وكل مكرر يمل او لا يتغير بتحريف ونسخ ولا ينسى وقد ورد ان بعضهم كرر آية واحدة طول ليله ولا تنقضي عبره بكسر العين المهملة وفتح البا الموحدة جمع عبرة بسكونها والمراد بها عجائبه او مواعظه التي يعمل بها ويعتبر وهو عبارة عن كثرتها وبقائها والثاني اولى لئلا يتكرر مع قوله ولا تفنى عجائبه اي لكثرتها لا تنفد وتنتهي جمع عجيبة وهي ما يتعجب منه فكلما اعدت النظر فيها ظهر لك ما هو اغرب واعجب مما عرفته اولا هو الفصل اي الحد الفاصل بين الحق والباطل يقال كلام فصل اي حق محكم متين او المفصول المتميز من غيره فهو فعل بمعنى فاعل او مفعول ليس بالهزل كما قال تعالى وما هو بالهزل اي ليس فيه لعب ولا كلام سخيف وهو في الاصل من الهزال ضد السمن فهو كله سمين لا غث فيه لما فيه من الاوامر والنواهي التي بها شامها لا تشبع منه العلماء اي لا تستغني عنه ولا تزال تستنبط منه معاني وفوائد في كل حين وفي الحديث منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا فشبهه بماكول به قوام حياته الا ان كل ماكول يشبع آكله اذا امتلا منه جوفه وهذا بخلاف ذلك ففيه استعارة تبعية او مكنية وتخييلية ففوائده فوائد ممدودة والوارد لها غير مقطوعة ولا ممنوعة ولا تزيغ به الاهوا بفتح المثناة الفوقية وزاي وغين معجمتين من زاغ اذا مال وعدل عن منهجه والاهواء بالمد جمع هوى وهو ما تهواه النفوس وتشتهيه من الضلال اي لا يضل من اتبعه ويميل الى هوى نفسه الامارة ولا تلتبس به الالسنة جمع لسان وهو الجارحة المعروفة شاع في الكلام واللغات فالمعنى انه لا يشبه غيره من الكلام فلا يمكن اختلاطه وادغامه فيه لان اسلوبه ونظمه لا يشبه غيره فالمراد انه لا يمكن انه يدس فيه دسيسة وقيل المعنى انه لا تعسر قراءته على المؤمنين وهو بعيد لانه افتعال من اللبس وهو الاشتباه وقوله هو الذي لم تنته الجن اصل معنى انتهى بلغ النهاية وهو آخر الشيء وغايته ويكون بمعنى كف وترك وهذا هو المراد هنا اي لم تكف عن هذه المقالة حين سمعته ومن لم يترك شيئا بادر اليه واقبل عليه ولذا قيل معناه لم تلبثوا وان مصدرية بفتح الهمزة ومحله نصب او جر بتقدير عن وما قيل انه في معنى العلة اي لم ينتهوا عن القول من اجل قولهم لقومهم اذا رجعوا اليهم فيه خلط وخبط ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا اي عجيبا في بلاغته وعلو رتبته وتركيبه وعزته يهدي الى الرشد اي يدل على الصواب من الايمان والتوحيد وهو تبكيت لقريش اذ كذبوا

سنين مع معرفتهم بالفصاحة لم يفهموه وهؤلاء بمجرد سماعهم من غير توقف آمنوا به قال البرهان
كانوا سبعة شاصر وماصر ومنشى وماشي والاحقب وهؤلاء الخمسة ذكرهم ابن دريد في
مناقب عمر بن عبد العزيز قال بينما هو يمشي بفلاة اذ هو بحية ميتة فكفنها بفضل ردائه
ودفنها فاذا قائل يقول يا سرق فاشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستموت بارض
فلاة ويدفنك رجل صالح فقال عمر من انت رحمك الله قال رجل من الجن الذين سمعوا القرآن
من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق منهم الا انا وسرق وهذا قد مات وعن ابن مسعود انه
كان في نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشون وقع لهم اعصار عظيم ثم انقشع فاذا
حية قتيل فعمد رجل منا الى ردائه فشقه وكفن الحية ببعضه ودفنها فلما جن الليل اذا امرأتان
تسألان ايكم دفن عمرو بن جابر فقلنا ما ندري من عمرو فقال ان كنتم ابتغيتم الاجر فقد وجدتموه
ان فسقة الجن اقتتلوا مع مؤمنيهم فقتل عمرو وهو الحية التي رأيتموها وهو ممن استمع القرآن قال
الذهبي الذي دفنه بالقرح صفوان بن المعطل وهو من الصحابة وسماه عمرو بن طارق ومن لقي
رسول الله مؤمنا منهم عد من الصحابة والاعتراض بانه ينبغي ان يعد منهم الملائكة ايضا كجبريل
وميكائيل ورده الذهبي بانه ارسل اليهم ولم يرسل الى الملائكة وبيانه يحتاج لتفصيل ليس
هذا محله وهم من جن نصيبين بلدة بالجزيرة لا باليمن كما قيل والكلام عليه مبسوط في كتاب لقط
المرجان في احكام الجان **ومنها** اي من وجوه اعجازه التي ذكرها بعضهم **جمعه لعلوم ومعارف**
اي علوم كلية كانت في الامم السالفة كعلم النجوم ودقائقه وعلم الطب كما في قوله لا الشمس
ينبغي لها ان تدرك القمر وقوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا والمعارف الجزئية كالاخبار عن قصة
يوسف وتفصيلها مما لا يعرفه الا من شاهدها ومن ذلك ما قيل ان قوله تعالى الى ظل ذي ثلاث شعب
اشارة الى شكل المثلث وبعض احكامه المذكورة في الهندسة وفيه اشارة الى انه لا يفهم تفسيره
الا من تضلع من جميع العلوم **لم تعهد** بالبناء للمفعول اي لم تعرف في عصرها وزمانها **العرب عامة**
اي جميع العرب وعامة منصوب على الحال لافادة العموم مثل كافة وقطرا **ولا محمد صلى الله عليه وسلم**
قبل نبوته ونزول الوحي بها عليه **خاصة** اي لم يعرف له بخصوصه علم بها قبل البعثة اما بعدها
فقد اطلعه الله على علوم الاولين والاخرين **بمعرفتها** يتعلق بتعهد والضمير للعلوم والمعارف
ولا القيام بها اي العمل بها ومداومته عليها **ولا يحيط بها** احد من علماء الامم اي لم يحط علم احد من
علماء السلف كالحكماء والاحبار من اهل الكتاب بشيء منها **ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم** اي لم
يدون قبله حتى يقال انه اخذ علمه منها وفسره ما ذكر بقوله **فجمع فيه من بيان علم الشرائع** جمع
مبني للمجهول اي جمع الله في كلامه والشرائع جمع شريعة وهي والملة والدين بمعنى متحد الماصدق
متغاير المفهوم وهو وضع الهي سائق الى ما فيه الخير في الدارين منقولة من الشريعة وهي مورد الماء
اذ الطريق الواسع كالشارع **والتنبيه على طرق الحجج العقليات** اي تنبيه الناس وارشادهم
الى نصب الادلة العقلية وكيفية الزام الخصم بها كما في قصة ابراهيم ونظره للكوكب لاقامة
الحجة على وجود الصانع وكما في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وغيره مما لا يحصى **والرد**
على فرق الامم الضالة ممن عبد الكواكب وغيرهم **ببراهين قوية** محكمة الالزام جارية على قانون
المناظرة والجدل وآداب البحث **بينة** ظاهرة **سهلة الالفاظ** يفهمها كل من سمعها تكاد من
عذوبة الالفاظ تلتذ بها مسامع الحفاظ **موجزة المقاصد** قليلة الفاظها الدالة على معانيها
المهمة الكثيرة فليس فيها اختصار مخل ولا عبارة مغلقة **رام المتحذلقون بعد** بالبناء على الضم

اي بعد

اي بعد الوقوف عليها والمتحذلقون بزنة اسم الفاعل بحاء مهملة وذال معجمة ولام وقاف
وهو مدعي الحذق وهو سرعة الفهم اي قصد من ادعى الذكاء في العلم واقامة البراهين يقال
تحذلق اذا اظهر الحذق وادعى اكثر مما عنده كتحذلق فتوهما ماخوذ من الحذق ولامه زائدة
ان ينصبوا ادلة مثلها نصب الدليل واقامته ذكره واظهاره في مقام المخاصمة **فلم يقدروا**
عليها اي لم يكن لهم قدرة على الاتيان بمثل ادلته وبراهينه **كقوله اوليس الذي خلق السموات** ت
والارض رد على منكري الحشر والمعاد الجسماني اي من قدر على اختراع مثل هذه الاجرام العظيمة
من العدم **بقادر على ان يخلق مثلهم** اي مثل هذه الاجسام الحقيرة الصغيرة ويعيدها وهو
اهون عليه كما قال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فهذه حجة ظاهرة **وقل يحييها**
الذي انشاها اول مرة اي من اوجدها من عدم محض قادر على اعادتها واحيائها بطريق الاولى
وفي هذا ايضا حجة باهرة ومنها قوله **ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا** اي في السماء
والارض فلو تعددت الالهة فسد نظام العالم وبطل برهان قوي قطعي وليس اقناعيا كما
في شرح العقائد ويسمى برهان التمانع وفي بيانه واعرابه كلام مفصل لا يسعه هذا المقام
وقد افرده بالتاليف خاتمة المحققين مصلح الدين اللاري تخلصك من القلادة مما احاط
بعنق التقليد فان لكل مقام مقالا **الى ما حواه** اي مضمونا ما ذكر من البراهين **الى ما**
اشتمل القرآن عليه من علوم السير جمع سيرة وهي الطريقة والاحوال والجبرية وغلب
في العرف بالغزوات واخبار الجهاد وبكل وجه هنا **وانباء الامم** اي اخبار من مضى
منهم **والمواعظ والحكم** اي امور الترغيب والترهيب وجوامع الكلم المحكمة المرشدة لتكميل
النفوس بالملكات الفاضلة **واخبار الدار الاخرة** من الجنة والنار والحشر واهوال الموقف
وغير ذلك **ومحاسن الاداب** جمع ادب وهو الاوصاف المحمودة التي تشرف صاحبها والشيم
بشين معجمة ومثناة تحتية وميم ايضا بزنة عنب جمع شيمة وهي الطبيعة واهل مصر يستعملها
بمعنى ذوات الشيم كقول القيراطي

لك يا نيل مصرنا • كرم الخل والشيم •
انت فينا حقيقة • طاهر الوصف والشيم •

وهي لغة عامية لا اصل لها **قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء** اي لم نترك
شيئا يحتاج اليه الا بيناه في القرآن بناء على ان المراد بالكتاب القرآن لا اللوح المحفوظ كما قيل
والتفريط الترك المخل ضد الافراط وهو يتعدى بفي من غير تضمين معنى اغفلنا كما توهم والمعنى
انه مشتمل على جميع ما يحتاج اليه اجمالا لا تصريحا وتلويحا كما بينه المفسرون ومن زائدة بعد
النفي في المفعول الذي تعدى اليه بتضمين ترك ونحوه ثم اردفه بما يبين ان المراد بالكتاب
القرآن فقال **وانزلنا اليك** يا محمد **الكتاب تبيانا لكل شيء** اي مبينا لكل شيء يحتاج
اليه وهو بكسر التاء مصدر على خلاف القياس بمعنى مبين ولا ثاني له غير تلقاء على كلام فيه
ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ضرب المثل معلوم اي بينا لكل امر منهم
بمثال يوضحه لما في ضرب الامثال من الفوائد المهمة **وقال صلى الله عليه وسلم** في حديث رواه
الترمذي عن علي تقدم بعض منه واورد بقيته هنا مع زيادة فيه **ان الله انزل القرآن**
من اللوح المحفوظ منجما بحسب المصالح وانزل ونزل يستعمل كل منهما بمعنى الآخر فاذا جمع بينهما
او قامت قرينة اريد بالانزال الدفعي وبالتنزيل التدريجي كما فصلوه **آمرا** بالمد حال من
الفاعل او المفعول على الاسناد المجازي **وزاجرا** اي مانعا وكافا وناهيا والزجر الطرد بصوت

لي

الألوكة
www.alukah.net

ثم يستعمل تارة في الطرد واخرى في الصوت كما قاله الراغب وسنة خالية اي طريقة متبعة مستقيمة لمن كان قبلكم من الامم من خلا بمعنى ذهب ومضى ويكون بمعنى تفرغ ومثلا مضروبا جعله عين المثل مبالغة لكثرة اشتماله على الامثال كغيره من الكتب الالهية فهي مقررة لما مثل له لتنزيل المعقول منزلة المحسوس قال البيضاوي ولامر ما اكثر الله والانبيا والحكما في في كلامهم من الامثال وقوله فيه نباؤكم بالرفع كالمعطوف عليه ان كان نايب الفاعل مضروبا لفظ مقدر مضاف اي مثل نبيكم وان كان مبتدا فهو خبر مقدم والجملة حالية وتغيير الاسلوب يحتاج لنكتة فكانها للاشارة الى انها حال اخرى غير مختصة بالقران كالتي قبلها والنبا الخبر عن امر عظيم والخطاب للامة وقيل للصحابة وخبر ما كان قبلكم عبر بالخبر تفننا واشارة لشرف هذه الامة وما شامل لمن يعقل تغليبا للاكثر او لصفات كقوله وما ملكت ايمانكم ونبا ما بعدكم اي ما بعد النبي واصحابه او لما يقع بعدهم من الفتن واشراط الساعة وغير ذلك الى يوم القيمة وحكم ما بينكم اي بيان للاحكام فيما يقع ويحدث بينكم معاشر هذه الامة المحمدية وهو بضم الحا المهملة وسكون الكاف لا يخلقه طول الرد تقدم معناه وهو انه بضم اوله وفتحه من الثلاثي والمزيد اي بتليه ونفسه تكرار تلاوته ولا تنقضي عجايبه هو الحق ليس بالهزل تقدم تفسيره من قال به صدق اي من اختار ما فيه وحكم به فقد اتى بامر صادق لا ريب فيه وفي القاموس قال به غلب ومنه سبحان من تعطف بالعز وقال به وهذا لا يناسب قوله صدق ومن حكم به عدل اي قضى بما فيه من الاحكام فهو عادل فانه حكم الله وما الله بظلام للعبيد ومن خاصم به اي خاصم بحججه وادلته ماخوذة منه فلج اي غلب وفاز بالنصر على من خاصمه بفتح الفا واللام وجيم يقال فلج اذا فاز وظفر بالغلبة ومن قسم به اقسط بفتح القاف والسين المخففة اي من تولى قسمة امر فقسمها بما في كتاب الله كقسمة المواريث والغنايم وغيرها عدل يقال قسط اذا جار واقسط بالهمز اذا عدل فهو مقسط فالهمزة للسلب كاشكيته اذا ازلت شكايته وهو ماخوذ من القسط وهو الميزان كالقسطاس وفي الحديث ان الله يخفض القسط ويرفعه وهو تمثيل ويقال قسط اذا عدل ايضا فهو من الاضداد ومن عمل به اجر بالبنا للمفعول اي جازاه الاجر والثواب الجزيل ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم هو كقوله فقد استمسك بالعروة الوثقى وفي الحديث القرآن حبل الله المتين ففيه استعارة مكنية وتخييلية هنا بتنزيل المعقول منزلة المحسوس لايصاله لمن اقتدى به الى الطريق الحق وهو الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه ولا ضلالة ومن طلب الهدى من غيره كتقليد واقوال الغير اضله الله اي جعله ضالا لا يهتدي وله عن الطريق الحق ومن حكم بغيره قصمه الله اي قتله واهلكه هلاكا شديدا واصل معنى القصم العظم بابانة وانفصال فاستعير لما ذكر ويجوز في هذه الكلمة ان تكون خبرية ودعائية انشائية هو الذكر الحكيم الذكر بمعنى القران والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها او سمي باسم قايله اي الحكيم قايله فعيل بمعنى فاعل اي الذي يحكم الاشيا ويتقنها والحاكم لهم وعليهم او المحكم الذي لا خلل فيه والنور المبين الواضح البين الذي يهتدي بانواره العقول الى الخروج من ظلمة الجهل والضلالة والصراط المستقيم اي الموصل الى السعادة الابدية فيصل الناس به ومنه الى المقصد الاسنى كما يصل من الطريق الى ما يريد من الدار ومنازلها وحبل الله المتين اي عصمه وامانه الذي يؤمن من العذاب وكل ما يكره ويشق على النفس ويتوصل به الى ما يحبه ويوصله لطالبه والمتين بمعنى القوي المحكم يقال متن اذا صلب والشفا النافع اما ان يراد بالشفا

ظاهره

ظاهره لانه يستشفى به فيشفي من بعض الامراض او يراد به مطلق النفع على طريق المجاز المرسل كالمشفي او على طريقة الاستعارة فانه يشبه الجهل بالداء ويجعل ما يزيله كالدواء والعلاج النافع الذي لا يقوم غيره مقامه لنفعه في الدنيا والاخرة عصمة لمن تمسك به بكسر العين وسكون الصاد المهملتين فعلة من العصم وهو الامساك والاعتصام التمسك ويجوز ضم عينه ايضا والاكثر الافصح الامساك الكسر وتجي العصمة بمعنى السور ومنه المعصم لانه محلها والمراد انه حام ومانع لمن اتبعه وعمل به عن ارتكاب الفاحشة والزلل ونجاة لمن اتبعه اي منج له ومخلص من يخشاه لا يعوج بفتح اوله وتشديد جيمه ورفعه اي ليس فيه خلل لفظا ومعنى كما قال تعالى ولم يجعل له عوجا والعوج بفتحتين الميل والانعطاف المدرك بالبصر وبكسر اوله ما يدرك بالبصيرة فيقوم بالنصب في جواب النفي اي يحتاج الى التقويم بزوال عوجه فليس كسائر الكلام المحتاج للاصلاح ولا يزيغ بمعجمتين بوزن يصير اي يميل عن الحق والصواب فيستعتب بالنصب اي يستحق العتاب واللوم لخروجه عن الاستقامة والعتب مخاطبة دلال وموجدة ففيه استعارة مكنية وتخييلية وفي رواية الترمذي ولا تزيغ به الاهوا اي تميله ولا تنقضي عجايبه ولا يخلق على كثرة الرد تقدم بيانه ونحوه اي نحو هذا الحديث المروي على ما رواه الحاكم عن ابن مسعود وقال ابن مسعود فيه ولا يختلف اي لا يقع فيه ما يخالف بعضه بعضا من طوله وبعد عهده ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولا يتشان بفتح اليا التحتية والتا الفوقية والشين المعجمة والف بعدها نون مشددة تفاعل من الشن وهو القربة البالية فهو مستعار للبلا والفنا بمعنى قوله في الرواية الاخرى لا يخلق على كثرة الرد وفي رواية لا يتفه ولا يتشان والتفه الحقارة وشي تفه حقير كذا هو في اكثر الروايات وصححوه وفي بعض نسخنا يتشانا بيا تحتية مفتوحة او مضمومة وتا فوقية وشين معجمة والف بعدها نون وهمزة من الشنا وهو البغض والعداوة فاستعير لتنافر الكلمات وعدم تناسبها حتى كان بينها عداوة او لتخالف معانيه فهو كقوله ولا يختلف معنى او هو معنى ظاهر مكشوف فما قيل ان الصواب هو الاول ان ارادوا بحسب الرواية فمسلم وان ارادوا بحسب الدراية فلا وجه له فيه نبا الاولين والاخرين تقدم بيانه بما يغني عن اعادته وفي الحديث الذي رواه ابن الضريس في فضايل القرآن عن كعب الاحبار انه قال في التورية انزلت على محمد فذكره واخرج ابن ابي شيبة في المصنف عن مغيث بن سمي مرسلا انزلت على توراة الخ اني منزل عليك توراة اي كتابا سماويا شبيها بالتوراة لكثرة ما اشتمل عليه من الاحكام والمواعظ والوعد والوعيد والامثال والحكم والعقايد اليقينية فاطلاق التوراة عليه استعارة تصريحية او مجاز مرسل او حقيقة ان قلنا انه عربي معناه كتاب وانما عبر به لشهرته وعظم شانه فانه اجل كتاب نزل قبل القرآن ولشهرته بين اليهود من اهل الكتاب الذين اقرب اليه وهو خطاب للنبي نزل عليه قبل الوحي او في ابتداء امره حديثة اي قريبة عهد بالنزول وهو كقوله ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث فلا دليل فيه لمن يقول بحدوث القرآن ولما كان كلام الله يسمى نورا وشفاء قال تفتح بها اعينا عميا اي تبصرهم من كان في ضلالة كالاعمى لعدم اهتدايه للحق واذانا صما اي وتسمعهم اذانا لا تسمع الحق فتقبله وقلوبا غلفا لا يصل اليها ما يوصلها الى السعادة كانها في غلاف وغشا مانع عن وصول الحق اليها وعن الفهم وقد تقدم بيانه فسمي ازالة المانع مطلقا فتحا وهو من قبيل قوله متقلدا سيفا ورمحا فيها اي في التوراة بمعنى القرآن ينابيع العلم

www.alukah.net

جمع ينبوع وهي العين التي ينبع منها الماء الجاري فشبه العلم النافع بالماء الذي يحيى به النفوس
على طريق الاستعارة المكنية واثبت له الينبوع على طريق التخييل **وفهم الحكمة** اي ما يفهم الحكم وهي
المواعظ وكل كلام محكم نافع جعل الفهم كانه فيها مبالغة لكونها ينبوعه ومعدنه **وربيع القلوب**
الربيع يكون بمعنى الخصب والمطر اي فيها ما يحيى به القلوب وتنمو وتخصب وتمرح وتنشرح
وتتنزه وتفرح ففيه استعارة لطيفة **وعن كعب** بن ماتع المعروف بكعب الاحبار كما تقدم **عليكم
بالقرآن** اسم فعل بمعنى الزم وتمسك يقال عليك كذا وبكذا فالمراد ملازمة تلاوته وتدبر معانيه
فانه فهم العقول اي مفهم للعقول ما يخفى عليها فهو مصدر بمعنى اسم فاعل مبالغة لا بمعنى مفعول
كنسج بمعنى منسوج فانه ركيك كما يرشد اليه قوله بعده هذا بيان للناس **ونور الحكمة** اي منورها
او هو كالجنس للماء اي فيه حكم لشرف نورها وتلالائه وضوحا ويهتدى بها **قال تعالى ان هذا
القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون** يعني انه يبين فيه لاهل الكتاب ما
اشتبه عليهم واختلفوا فيه مما لم يعرفوه من كتابهم ففيه اشارة الى ان القرآن اجمع للاحكام من غيره
من الكتب المنزلة قبله واوضح **وقال هذا بيان للناس وهدى** لجميع الناس من اهل الكتاب وغيرهم
وموعظة للمتقين والاتيان بما يوبين ما قاله كعب ثم وضح ما قاله وفسره بقوله **فجمع فيه** اي في
القرآن **مع وجازة الفاظه** اي اختصارها وقلة الفاظه مع كثرة معانيه **وجوامع كلمه**
جوامع الكلم تقدم انها الكلام الجامع للمعاني الجمة في الفاظ قليلة واضحة ويطلق على القرآن
كما في حديث اوتيت جوامع الكلم **اضعاف ما في الكتب قبله** مفعول جمع اي جمع ما يزيد على
سائر الكتب مثله او مثليه **التي الفاظها على الضعف منه مرات** اي مع زيادة الفاظها عليه
بامثاله جمع من المعاني ما يزيد على امثال معانيه وضعف الشي يكون بمعنى مثليه وامثاله
والتضعيف الزيادة مطلقا وفيه كلام لاهل اللغة ليس هذا محله **ومنها** اي من وجوه الاعجاز
التي ذكروها **جمعه فيه** اي جمع الله في القرآن **بين الدليل والمدلول** الدليل هو الدال المرشد
اي ما يمكن التوصل بالنظر فيه الى مطلوب خبري والمدلول هو المطلوب بالدليل هنا وان كان بمعنى
المعنى مطلقا ثم بين معنى الجمع المذكور بقوله **وذلك** اي الجمع بينهما **انه احتج** بالبناء للمجهول فهو بضم
اوله وثالثه اي ان الله اقام فيه الحجة على ما اراد اثباته والالزام به لمن اقيمت عليه الحجة هم
بنظم القرآن اي بنظامه البديع المعجز **وحسن رصفه** براء وصاد مهملتين وفاء لا بواو كما في
بعض النسخ وهو من رصف البناء وهو ضم بعضه الى بعض فالمراد حسن نظمه وتاليفه كما تولف البناء
شيئا بعد شي حتى يتم ويكمل في غاية الاحكام وضمير انه لله او للقرآن **وايجازه وبلاغته** وفي
نسخة اعجازه اي كونه في اعلا طبقات البلاغة المعجزة لكل بليغ **واثناءها هذه البلاغة** بالنصب
على الظرفية خبر مقدم اي في خلالها والاثناء بالمد على وزن افعال جمع ثنا بالضم والقصر وهو
ما انثنى ودخل بعضه في بعض كما قاله ابو هشام اللخمي في شرح الدريدية وهذا هو الدليل السابق
ذكره ثم ذكر المدلول **فقال امره ونهيه ووعده ووعيده** وغير ذلك من المقاصد العظيمة التي
ارادها الله **فالتالي له** اي القارئ بفهم وتدبر لمعانيه **يفهم موضع الحجة** والتكليف بالجزو النص
بالحكم من كلام واحد وسورة منفردة عن غيرها مما هو حجة او محتج عليه يتبين ان كل مقدار معجز
منه دال على مقصد من مقاصده يكون دالا على مطلوب ومدعى وعبارته الدالة عليه برهان
مصدق له لاعجازها وقيل المعنى انه وقع فيه الجمع المذكور كما في قوله في الواقعة لما حكى كلام منكري
المعاد وهو ائذا متنا الخ عقبه بما قطع عرق شبههم بقوله افرايتم ما تمنون الخ وقيل انه كقوله فلا تقل

لقال

لهما أف انه حجة لتحريم التافيف وتكليف باجتنابه وقوله فصل لربك وانحر حجة لوجوب
الصلاة والاضحية وانه مكلف بهما وهذا كلام لا يحصل له ويحل محتاج للتحرير **ومنها** اي من
وجوه الاعجاز **ان جعله في حيز** يقال حيز وحوز تفعيل وهذه المادة معناها في كلام العرب
يتضمن الحلول في موضعه كالجبل لا يقال له متحيز ويراد بالمتحيز عند غير العرب ما يحيط به
حيز موجود وهو اعم من هذا والمتكلمون يريدون به اعم من هذا وهو كل ما اشير اليه سواء كان له
حيز اولا فالعالم كله متحيز كما قاله ابن تيمية **المنظوم الذي لم يعهد** اي المولف الواقع على طريقة
لا يشابه شيئا من كلامهم المنظوم شعرا ولا خطبة ولا رسالة مع كونه واضح الدلالة بلسانهم
وهذا انما يعرفه من له معرفة بكلام العرب نظمه ونثره وسجعه كما بينه في كتاب الابانة ثم قال
فان قلت وما هذه المباينة العظيمة التي بين القرآن وبين سائر كلام العرب وجميع المنظوم
والاوزان حتى صار لاجلها معجزا باهرا قلت هي ما في القرآن من البلاغة التي لا يقدر اشد
اهل البلاغة واللسن تعدد ما في البيان وان ياتي بمثلها او ما يقاربها **ولم يكن في حيز المنثور**
اي لا يشبه اقسام منثورهم من السجع الملتزم حرف كحروف روي الشعر ولا خطابة لمقاطع
فصول الخطب ومواضع استراحاتها لا لاشتماله على الفواصل كما توهم **لان المنظوم اسهل
على النفوس** اي الكلام المتسق نظمه وتاليفه على نهج واحد والمفضل عليه المنثور بالمعنى
السابق **واوعى للقلوب** اي ادخل في وعائه وهو القوة الحافظة له وفي الحديث لما ذكر
الانبياء الذين رآهم في السماء اوعيت منهم اي ادخلته في وعاء قلبي فهو اسم تفضيل على القياس س
واللام داخلة على الفاعل كما يقال هو اعجب لي ولا قلب فيه والصواب والقلوب اوعى له
كما توهم **واسمح في الاذن** بسين وحاء مهملتين اي اسهل مستعار من السماحة وليس من اسم
المزيد كما قيل وليس ايضا بخاء معجمة من السماخ وهو الصماخ اي منفذ الاذن كما توهم واحلى على
الاذهان اي يستحسن به الذوق السليم فيجد له لذة وحلاوة فالناس اليه اميل اي اكثر ميلا
ومحبة كما قال الشنفرى **فاني الى قوم سواكم لاميل** والاهواء اليه اسرع جمع
هوى وهو ميل النفس واعجلها الى ميل القلوب نحوه اشد من ميلها للنثر **ومنها** اي من وجوه ٥
الاعجاز **تيسيره تعالى حفظه لمتعلمه** اي من يريد تعلمه وتعليمه على متحفظيه اي تسهيل تعلمه وتفهيمه
حفظه لمن يريده **قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر** في الكشاف معنى الآية سهلناه
للادكار والاتعاظ بان شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد وقيل
معناها سهلناه للحفظ واعنا من اراد حفظه ويجوز ان يكون معنى يسرناه هيأناه من يسر
ناقته للسفر اذا رحلها وفرسه للغزو اذا اسرجه والجمه كما قال
وقمت اليه باللجام ميسرا   هنالك يجزيني الذي كنت اصنع
وعلى الوجه الثاني يعني المصنف استشهاده بالآية وسائر الامم قبل هذه الامة من اهل الكتاب بين
وغيرهم **لا يحفظ كتبها الواحد منهم** اي لا يحفظونها واحد يحفظ كتابهم المنزل على انبيائهم
الا نادرا وروي عن ابن جبير ان بني اسرائيل لم يكن فيهم من يحفظ التورية فكانوا لا يقرؤنها
الا نظرا في صحفها غير موسى وهارون ويوشع بن نون وعزير فقيل انه رحمه الله وقيل حرقت
فجاء عزير وتلاها عليهم كما انزلت من حفظه فافتتنوا به وقالوا انه ابن الله وقد من الله على
هذه الامة بان يسر عليهم حفظ كتابه وجعل فيهم حفظة له لا تحصى الى الآن **فكيف بالجماء
منهم** اي فاذا لم يتيسر لواحد منهم الا نادرا كيف يتيسر للكثير والجماء بفتح الجيم المشددة والمد

بفتح جيم مفتوحة من الجموم وهو الاجتماع والكثرة التي لا تنفد وفي بعض النسخ فكيف الجم
بدون من وكلاهما صحيح رواية ودراية وفي الاساس عدد جم واحتاث حثا جما وجاؤا جما
غفيرا او الجما الغفير اشتق من جمة الشعر وما قيل من ان الصواب الجم لانه لا يتلفظ بالجما الا موصوفا
نحو جاؤا الجما الغفير لا اصل له وذلك انما هو اذا كان منصوبا كما ذكره اهل العربية على مرور السنين
عليهم اي مع طول اعمارهم وامتداد ازمنتهم لم يتيسر لهم حفظ كتبهم والقرآن تيسر حفظه للغلمان
اي لغلمان هذه الامة واطفالهم في مكتبهم في اقرب مدة اي في زمن قليل كسنة ونحوها
كما شاهدناه وغلمان بكسر الغين المعجمة وهو من حين يولد الى ان يشب ومنها اي من وجوه
الاعجاز عند بعضهم مشاكلة بعض اجزائه بعضا اي مشابهة بعضه لبعض في سائر انواع
المشاكلة في الصفة والصورة والنوع في الجنسية والشبه في الكيفية والشكل المثل وهو في
الحقيقة الانس الذي بين المتماثلين في الطريقة ومن هذا قيل الناس اشكال والاف واصل المشاكلة
من الشكل اي تقييد الدابة بالشكال ومنه شكل الكتاب وحسن ائتلاف انواعها اي مناسبة
انواع تلك الاجزاء فتكون كلماته متناسبة وجملة المركبة انتظامها الفة وحسن مناسبة تامة
والتئام اقسامها بهمزة ويجوز ابدالها ايضا اي توافقها وانضمام كل قسم الى مشاكله وحسن التخلص
من قصة الى اخرى وهو ان يوافق مقطع السابقة مبدأ اللاحقة حتى يصير كالقصة الواحدة
والخروج من باب الى غيره اي الانتقال من نوع من الكلام الى نوع آخر وفي ذكر الخروج مع الباب
لطف ظاهر على اختلاف معانيه الضمير للقرآن وعلى بمعنى مع اي تراه مع اختلاف مقاصده
لا يخرج عن المناسبة التامة في جمله وتفاصيله وهذا يعلم من كتاب المناسبات وقد صنف
فيه كتب اجلها مناسبات البقاعي وحسن التخلص مما اعتنى به البلغاء والشعراء كقوله ه

تقول في قومس صحبي وقد اخذت ° منى السرى وخطى المهرية القود
امطلع الشمس تبغي ان تؤم بنا ° فقلت كلا ولكن مطلع الجود

والانتقال من غير مناسبة يسمى اقتضابا وانقسام القصة الواحدة على امر ونهي
وخبر واستخبار اي استفهام هو احد اقسام الانشاء المقابل للخبر وعدي الانقسام بعلى والمعروف
تعديته بالى بالنظر الى اقسامه وانما يتعدى بعلى لمن يعطى تلك الاقسام فتقول النقد ينقسم
الى دراهم ودنانير وتقول قسمته على الفقراء والمساكين فاذا استعمل احدهما في مكان الآخر
من يعرف موارد الكلام كان تجوزا لنكتة وهي هنا جعل المقسم الكلي كانه امر خارج قسم
على افراده او انواعه فنال كلا حصة منه لوجوده في ضمنه فلا حسن في كل محل ولا من كل
قايل ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد كقوله وما كنت ثاويا في اهل مدين اذ قضينا
الى موسى الامر وانما الله اله واحد وتقرير لبعض ما شرع اولا وترغيب وترهيب بوعد من
اتقى بالنعيم المخلد وان من كفر في سواء الجحيم منضما ماكن الى غير ذلك من فوائده كضرب
الامثال وذكر القصص للعبرة بها دون خلل اي امر يخل به وينقصه بتخلل فصوله اي تكون
في اثناء فصوله والفصل عبارة عن جمل من الكلام مستقلة وقيل انه بمعنى الفاصلة وهي الكلمة
ما يضاهي السجع والكلام الفصيح من كلام البشر اذا اعتوره اي ورد عليه وطرا وتداوله
مثل هذا اي تضمن انواع من المقاصد كوعد ووعيد وغيره وتخلل فصوله الذي يشبه المتكلم
الفصيح ضعف قوته لانه لكل خاطر قابلة بتعدد انواع المقاصد فينزل عن مرتبته التي
سارها في اوله ولانت جزالته اي صلابته وشدته تنقلب لضدها وقل رونقه اي صفاؤه ه

ونضارته

ونضارته وتقلقلت الفاظه اي اضطربت والقلقلة في الاصل الحركة بعنف ويقال
ص تقلقل في البلاد اذا طال سفره فاستشعر لينا فر الكلام الطويل فتامل اي تدبر في اول سورة
ص والقرآن ذي الذكر الخ وما جمع فيها بالبناء للفاعل او المفعول وانث ضمير اول لانه بمعنى
الفاتحة او لاكتسابه التانيث بما اضيف اليه من اسم السورة من اخبار الكفار اي كفار قريش
بعجبهم بان جاءهم نذير منهم وقولهم انه ساحر كذاب وغيره وشقاقهم اي عداوتهم لله ورسوله
بقوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق وتقريعهم وتوبيخهم باهلاك القرون من قبلهم بقوله
كم اهلكنا من قبلهم من قرن وما ذكر فيها من تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم في قولهم ما سمعنا
بهذا ان هذا الا اختلاق وتعجبهم مما اتى به في قولهم أانزل عليه الذكر من بيننا والخبر عن
اجتماع ملئهم على الكفر الخبر هنا بمعنى الاخبار والملأ الجماعة الاشراف والرؤساء وذلك انه
لما اسلم عمر شق عليهم اسلامه فاجتمعوا عند ابي طالب وقالوا له انت شيخنا وكبيرنا وقد
رأيت ما فعل هؤلاء السفهاء فاقض بيننا وبين ابن اخيك فقال هؤلاء قومك يسألونك القصد
فلا تمل عليهم كل الميل فقال لهم ما تسألوني قالوا دعنا وآلهتنا وندعك والهك فقال أرأيتم
ان اعطيتكم ما سألتم اتعطوني انتم كلمة واحدة تدين لكم بها العرب والعجم قالوا نعم وعشرا قال قولوا
لا اله الا الله فقاموا امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء عجاب وما ظهر من الحسد في كلامهم
اي ما ظهر في كلامهم مما يدل على حسدهم له على ما آتاه الله في قولهم أانزل عليه الذكر من بيننا مما
دل على اعترافهم ونفيهم بتصديقه الا ان الحسد اخرس السنتهم واعمى قلوبهم وتعجيزهم حيث قال
ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات والارض فليرتقوا في الاسباب
فانهم لما انكروا اختصاصه من بينهم بالنبوة بين لهم انما رحمته يصيب بها من يشاء ممن ارتضاه
يذم من عباده فلا مانع لما اراد فانهم لا يملكون خزائنه والتصرف فيها حتى يضعوا النبوة في صناديد
فان انكروا ذلك فليصعدوا الى السماء وينزلوا الوحي لمن ارادوا وفي هذا غاية التهكم بهم واظهار
عجزهم وقصورهم وتوهينهم اي اظهار تسفيههم ووهن كيدهم وتحقيرهم بقوله جند ما هنالك
مهزوم من الاحزاب اي هؤلاء الذين كذبوا وتحزبوا عليك جند ذو حقارة لا قدرة لهم على التصرف
في الامور الربانية ولا تكترث بهم ووعيدهم بخزي الدنيا بهزيمتهم في الآخرة بدخولهم
العذاب فيها وتكذيبهم الامم قبلهم اي وعيدهم بذكر من كذب من الامم قبلهم واهلاك الله لهم
يس بقوله كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون الى قوله فحق عقاب ووعيد هؤلاء يعني كفار قريش
الذين كذبوا كما كذب الامم رسلهم فسيحل بهم ما حل بهم مثل مصابهم منصوب بقوله ووعيدهم
وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على اذاهم اي امره بالصبر بقوله اصبر على ما يقولون الخ
وتسليته بكل ما تقدم ذكره من بيان ما لهم وان له فيمن تقدمه من الرسل اسوة ثم
اخذ اي شرع بعد تصبيره وتسليته في ذكر داود بقوله واذكر عبدنا داود الخ قيل المناسبة في
قصته من تقطيع المعصية بذكر ما صدر منه من خلاف الاولى الذي صدر منه فعوتب عليه
فاستغفر ربه وخر راكعا واناب فما بالك بغيره فضلا وجلالة ذكره هنا قصدنا وقصص الانبياء
بفتح القاف وذكرها كسليمان وايوب وابراهيم واسحاق ويعقوب بقوله ولقد فتنا سليمان
م الخ فذكرهم الله مثنيا عليهم كل هذا المذكور في اول سورة ص مذكور في اوجز كلام واحسن نظام
على اتم ارتباط من غير خلل يزيل رونقه وبهاءه فصاحته ومنه اي من اعجاز القرآن وفي بعض
النسخ ومنها وعلم ان يرد مما ذكر في اول سورة ص الجملة الكثيرة من المعاني لقوله الى انظر

شبكة الألوكة www.alukah.net

عليها واشتملت الكلمات القليلة بالنسبة لمعانيها وفي القلة والكثرة طباق البديع
وقيل عليه ان يحصل هذا انه ايجاز وقد تقدم ذكره غير مرة فلا حاجة لاعادة وعده وجها مستقلا
ولذا استدركه بقوله وهذا كله اي ما ذكرهنا وكثير مما ذكرنا في هذا الفصل من اوله الى هنا انه
ذكر في اعجاز القرآن مضافا الى وجوه كثيرة لم يذكرها اكثرها داخل في بلاغته واشار بقوله
اكثرها الى ان منها ما لا يدخل في البلاغة كتسهيل حفظه وان كان يرجع اليه بوجه بعيد
والا لم يعده الائمة من وجوه الاعجاز فلا يجب ان يعد فنا منفردا في اعجازه بل يجعل من توابعه
وتمراته الا في باب تفصيل فنون البلاغة فيعد فنا منها كتشاكله اجزائه وحسن التخلص
فانه فن منفرد من البلاغة لا من الاعجاز فانه لا يتوقف عليه اذ من المعجز ما لا يكون فيه ذلك
كسورة الاخلاص مثلا وكذلك اي مثل المذكور كثير مما قدمنا ذكره عنهم اي عن الائمة يعد في
خواصه وفضائله لا اعجازه لانه لا مدخل له فيه وحقيقة الاعجاز عند من لم يقل بالصرفة
انما هي في الوجوه الاربعة التي قدمها المصنف اولا التي ذكرنا فليعتمد عليها في تحقيق الاعجاز
ويستند اليها من اراد تحقيقه وما بعدها مما ذكر في هذا الكتاب فانما هو من خواص القرآن
التي لا توجد في كلام غيره وعجائبه التي لا تنقضي اي لا تنفد ولا تتناهى وبالله التوفيق
اي ما التوفيق والهداية للوقوف على عجائبه التي لا تتناهى الا من الله وعنايته وفي بعض النسخ
والله الموفق وفي حديث قل من شغله من شغله قراءة القرآن ودعائي ومسالتي اعطيته
افضل ثواب الشاكرين اللهم فاجعله ربيع قلبي وشفاء همي وغمي ثم عقب معجزات القرآن التي
هي اعظم معجزاته بمعجزة اخرى عظيمة مناسبة له في انها سماوية ومعجزة عليه فقال

فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس

اي في ذكر معجزته لشق القمر وجعله فلقتين ومنع الشمس عن مسيرها للغروب كما سياتي بيانه
وهذا كان عقب قصة الاسراء وفي معناه رد الشمس الآتي في قصة علي واقتصر في التوجه على هذا
لانهما في المعنى سواء ولما سياتي قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قدم اقتراب
الساعة عليه تخويفا لمنكري ذلك واثباتا له وتقريرا في نفوس المؤمنين اذ تنشق السموات
فيها فالقادر على ذلك الفعال لما يريد كيف لا يقدر على شق القمر واقتربت بمعنى صارت قريبة
من بعثته صلى الله عليه وسلم كما ورد في الحديث بعثت انا والساعة كهاتين واشار باصبعيه
الوسطى والسبابة لان التفاوت بينهما مقدار سبع وبعثته في الالف السابعة على ما اشتهر عند المحدثين
وغيرهم وانما كانت الساعة قريبة لان عمر الدنيا على المشهور سبعة آلاف وكسور وقيل اكثر من
ذلك وقد بعث نبينا في آخرها الفا وحيث لم يبق الا صبابة وقوله انشق القمر اي وقع شقه
وجعله فلقتين في الماضي بمكة معجزة له اذ قال المشركون ارنا آية وهذا ما عليه جمهور المفسرين
وقيل ان المعنى سينشق في المستقبل اذا قامت القيامة وعبر بالماضي لتحققه ورده القشيري
وقالوا انه مبني على قول الفلاسفة ان الاجرام العلوية لا تقبل الخرق والالتئام ويكذبه القرآن
وقوله فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان وقوله وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر
مستمر اي دائم ومحكم من امر الحبل اذا احكم فتله وقد ثبت انشقاق القمر له في الصحيحين واخبر
به جماعة من الصحابة واليه اشار بقوله اخبر بوقوع انشقاق القمر بلفظ الماضي واعراض
الكفرة عن آياته ومعجزاته التي لا يمكن البشر الاتيان بمثلها واجمع المفسرون واهل السنة على

وقوعه

ووقوعه في الماضي وقال السبكي انه متواتر لا يجوز انكاره ورده وقول الماوردي ان الجمهور
على خلافه وانه قيل بمعنى سينشق فانه لو وقع لم يبق احد الا رآه ولم يعتد المصنف بهذه المقالة
وهي لا تخرق اجماع السلف من اهل السنة ومثله ليس من اهل التفسير بل من اهل التاويل عنده الا ان
بعضهم نظر في حكايته الاجماع بان السجاوندي والنسفي قالا في تفسيرهما انه منقول عن الحسن
البصري وكذا قال ابو الليث في تفسيره ان معناه سينشق وعزاه بعضهم للجمهور ومن الغريب ما حكي
عن بعض شروح المدونة ان فلقة منه نزلت لجيبه وخرجت من كمه صلى الله عليه وسلم ولما
ارسل ابو بكر بن الطيب رسولا لملك الروم بقسطنطينية وقيل له انه اجل علماء الاسلام احضر
بعض بطارقته لمناظرته فقال له تزعمون ان القمر انشق لنبيكم فهل للقمر قرابة منكم حتى ترونه
دون غيركم فقال وهل بينكم وبين المائدة اخوة اذ رايتموها ولم يرها اليهود والمجوس
الذين انكروها وهم في جواركم فافحم ولم يحر بنت شفة اخبرنا الحسين بن محمد الغساني الجياني
تقدم مفصل ترجمة الحافظ من كتابه لا بقراءته عليه حدثنا القاضي سراج بن عبد الله ابو الحسين
السابق ترجمته ثنا الموزي تقدم بيان نسبته ثنا الفربري تقدم بيانه وضبطه ونسبته
ثنا البخاري الامام المشهور حدثنا مسدد عبد الملك بن عبد العزيز الاشجعي ومسدد
بوزن اسم المفعول لقب له كمسرهد وهو مسدد بن مسرهد بن مسربل بن مغربل بن مرعبل بن ارندل
بن سرندل بن عرندل بن ماسك بن المستورد محدث البصرة وقال ابو نعيم لو كان في اول هذه
النسبة بسم الله الرحمن الرحيم كانت رقية للعقرب وهو امام حافظ روى عنه اصحاب السنة
وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائتين ثنا يحيى بن سعيد بن ابان الاموي الحافظ اخرج له
اصحاب السنة وتوفي سنة اربع وتسعين ومائة وسنه ثمانون وترجمته في الميزان عن شعبة
ابن الحجاج العتكي الحافظ امير المؤمنين في الحديث كما تقدم وسفيان ابن عيينة ابو محمد الهلالي
الكوفي احد الاعلام الذي اخرج له الستة وتوفي سنة ثمان وتسعين ومائة كما تقدم والاعمش
سليمان بن مهران السابق ترجمته عن ابراهيم النخعي السابق ترجمته عن ابي معمر الازدي
الكوفي وهو بفتح الميمين وسكون العين عن ابي مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي في زمنه وحياته والعهد ياتي بهذا المعنى كما في القاموس وغيره
وذكره للرد على من يقول انه سيكون بعد يوم القيامة فرقتين بكسر الفاء وسكون الراء المهملة
بمعنى قطعتين والمراد نصفين وانتصابه على المصدر من معنى انشق كقعد جلوسا او بتقدير
وافترق فرقة فوق الجبل وفرقة دونه بالنصب بدل من فرقتين والجبل حراء او ابو قبيس
وفوق يجوز رفعه ونصبه ودونه بمعنى في تحته منفصلا عنه لا تحته كما قيل لما ياتي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وانما قال ذلك لان المشركين اجتمعوا اليه
صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم ان فعلته تؤمنون
قالوا نعم فسال ربه ان يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله ينادي يا فلان يا فلان
اشهدوا وذلك بمكة قبل الهجرة رواه ابن الجوزي في الوفا عن ابن عباس وقال لانه ليلا في
وقت الغفلة اي اشهدوا على معجزتي ونبوتي ووقوع ما طلبتم لانهم اهل بهتان وجحد
وفي صحيح مسلم انه انشق مرتين قال ابن القيم في كتاب اغاثة اللهفان المرات يراد بها الافعال
تارة والاعيان اخرى واكثر ما تستعمل في الافعال واما في الاعيان فكقوله في الحديث انشق
القمر مرتين اي فلقتين ولما خفي هذا على بعضهم زعم ان الانشقاق وقع مرة بعد مرة وفي رواية

مجاهد التي رويت عن ابن مسعود وفي الصحيحين ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم
جملة حالية تفيد انه شاهد ذلك ولم يسمعه من غيره وفي بعض طرق الاعمش كما رواه احمد
في مسنده بزيادة قوله بمنى منون وغير منون اسم بقعة معلومة سميت بها لكثرة ما يمنى بها من
الدم اي يراق ويقال لها المنازل ايضا ويقال نزلوا اذا اتوا منى قال •
انا زلنا اسماء ام غير منازل له • قاله ابن هشام اللخمي في شرح المقصورة واختلفت الروايات
فقيل بمكة وقيل بمنى وفي اخرى رأي حراء بينهما وقيل شقة منه على ابي قبيس واخرى على السويدا
والذين طلبوا ذلك منه الوليد بن المغيرة وابو جهل والعاص بن وائل والعاص بن هشام
والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب ونظراؤهم وهذه الروايات في محلها لا تنافي
بينها لان كل راء رأى القمر بازاء مكان رؤيته ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود بن يزيد
بن قيس بن عبد الله بن علقمة بن سلامان ولم يعينه المصنف لشهرته وهو من كبار التابعين
معروف بالرواية عن ابن مسعود وهو من المعروفين بالزهد وكثرة العبادة توفي سنة خمس
وسبعين وقال اي ابن مسعود حتى رايت الجبل يعني جبل حراء بين فرجتي القمر اي فلقتيه
وقطعتيه لبعد ما بينهما وهو بضم الفاء وفتحها والضم اولى لان فعلة بالفتح للمرة وبالكسر للهيئة
وبالضم لمقدار الحاصل كالغرفة للمعروف والفرجة الفضاء ما بين الشيئين فيتجوز به عن المنفرج بينهما
اذ الظاهر بين القطعتين المنفرجتين وقصة ابي عمرو مع الحجاج في قراءته عن فرقة وسماعه من العرب
• ربما ضاقت النفوس من الامر له فرجة كحل العقال •
مشهورة ورواه اي ما ذكر عنه اي عن ابن مسعود كما ذكره البيهقي في الدلائل عن مسروق بن
الاجدع الهمداني الكوفي من كبار التابعين تقدمت ترجمته وانه توفي سنة ثلاث وستين انه
اي الشق او ابن مسعود كان بمكة وراه فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة يعنون النبي
صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر هو احد اجداد النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هو جد وهب جد النبي
لامه وقيل عليه ان ام وهب اسمها عاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال ولم يقل احد من النسابين
ان الاوقص يكنى بابي كبشة وقيل هو جد عبد المطلب لامه وتعقب ايضا بان ام عبد المطلب سلمى
بنت عمرو بن زيد الخزرجي ولم يقل احد انه عمرا يكنى بابي كبشة ايضا وقيل انه ابوه من الرضاعة وهو
الحارث بن عبد العزى وله بنت تسمى كبشة كني بها وذكر ابن حبيب ان له اجدادا من قبل امه يكنوا
بذلك وانما قالوه لان من عادتهم اذا تنقصوا احدا نسبوه لجد غامض له وفي النهاية انه رجل من خزاعة
خالف قريشا في عبادة الاوثان وعبد الشعرى العبور فلما خالفهم النبي ولم يرض الهتهم شبهوه
به في ذلك وفي القاموس انها كنية وهب بن عبد مناف او كنية عم والد حليمة السعدية مرضعته
وعلى كل حال ارادوا بهذا تنقيصه زاده الله شرفا فقال رجل منهم اي من كفار قريش قيل انه
ابو جهل ان محمدا ان كان سحر القمر حين شقه او خيل لكم شقه فانه لا يبلغ اي لا يصل شيء من سحره
ان يسحر اهل الارض فسلوا من يأتيكم من بلد آخر غير مكة هل راوه اي القمر او شقه او الامر
الذي وقع فاتوا اي اتوا من قدم على اهل مكة من غيرها فسالوا اي سالوهم هل راوا ذلك
فاخبروهم لما سالوهم انهم راوا مثل ذلك اي مثل رؤيتهم فالتشبيه بين الرؤيتين والمرئي
واحد وهو القمر المنشق وحكى السمرقندي تقدمت ترجمته عن الضحاك نحوه اي مثل الحديث
الذي ذكره اولا وقال اي الضحاك فيما رواه فقال ابو جهل لقريش لما شاهدوا انشقاق القمر بعد
ما سالوه فابعثوا الى اهل الآفاق بالمد جمع افق بضمتين او ضم فسكون وهو هنا بمعنى الناحية

وماظهر

وما ظهر من الفلك ومطلع الشمس كما بينه علماء الهيئة وهو الفلك الافق الحقيقي والافق
العرفي الحسي له احكام اخر والمعنى ارسلوا ناسا لمن جاوركم من البلاد ليسالوا من بها حتى
ينظروا اي يعرفوا ارأوا ذلك ام لا الهمزة استفهامية وفي نسخة هل راوا او شاهدوا واستلموا
راه اهل مكة ام لم يروه لانه مثل لهم امر لم يقع وفي نسخة حتى ينظروا هو بين فاخبر اهل الآفاق
انهم راوه اي القمر حال كونه منشقا والفاء فصيحة اي فسالوهم فاخبروا فقالوا يعني الكفار
هذا سحر مستمر اي دائم باق ذاهب على حاله الى غير النهاية من المرور او محكم قوي من امرار الحبل وهو
شدة فتله وقال ابو عبيدة معناه باطل وهو بعيد بحسب اللغة وانما قالوا استمر لان هذا اشارة
الى ما صدر قبله من الآيات المتتابعة يقفو بعضها اثر بعض كما اشار اليه القاضي ولولا هذا لم يتأت
ما قالوه فان انشقاقه قد لم يستمر بعد الليلة التي وقع فيها وهذا يكون اشارة للشخص وللنوع كما حققه
النحاة ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة بن قيس بن مالك النخعي الفقيه الكبير التابعي الجليل
ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة اثنين وستين والرواية عنه مشهورة في الكتب
الستة فهؤلاء الاربعة يعني مجاهد والاسود ومسروق وعلقمة كلهم رووه وهذا الحديث
عن عبد الله ابن مسعود ثم ذكر له طريقا آخر فقال وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود
وقدم حديث ابن مسعود وجعل رواية غيره كالمتابع له لانه لم يرو احد حديث الانشقاق رواية
سندها في غاية الصحة واعتمدها الائمة غيره وهي مما اتفق عليه الشيخان واحمد بن حنبل وابن الصلاح
وغيرهم رجحوا ما اتفق عليه الشيخان على غيره وقال انه مقطوع بصحته منهم اي ممن رواه غير ابن
مسعود واعاد ضمير الجمع نظرا للمعناه انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم
وهذه الروايات كلها في الكتب الستة وغيرها مخرجة فرواية انس وابن عباس في الصحيحين ورواية
ابن عمر في صحيح مسلم والترمذي ورواية حذيفة بن اليمان في الدلائل وغيرها ورواية ابن مطعم
بكسر العين في مسند احمد والبيهقي ولذا قال فقال علي من رواية ابي حذيفة الارحبي واسمه
سلمة بن صهيب على الاصح نسبة لارحب حي من همدان بهمزة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وحاء مهملة مفتوحة
وباء موحدة قبل ياء النسبة وهو من الثقات المشهورين انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم والجملة حالية وضمير نحن لعلي ومن كان معه لا لمن تقدم وعن انس خادمه صلى الله عليه وسلم
وحديثه من مرسل الصحابة لان الحادثة وهو لم يسلم اذ ذاك وهذا من جملة مرجحات حديث ابن مسعود
سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم آية معجزة غير ما راوه وفي الرواية المتقدمة انهم سالوه
ان يشق لهم القمر فاراهم انشقاق القمر فرقتين بكسر الفاء وسكون الراء وفي رواية فلقتين باللام
بدلها وهما بمعنى قطعتين ونصفين كما مر حتى راوا حراء بينهما اي بين القطعتين وما زائدة
للتاكيد وحراء بكسر الحاء المهملة والراء المهملة وهمزة ممدودة وتفتح هاؤه مع القصر وهو جبل بمكة
معروف كان صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه كذا قاله الكرماني وقال انه يذكر ويؤنث ويصرف
ولا يصرف وهذا مما ذكره غيره من اهل اللغة اذا عرفت هذا فما قاله الخطابي انهم يغلطون في حراء
ثلاث غلطات يفتحون حاءه وهي مكسورة ويقصرونه وهو ممدود ويميلونه وهو لا يمال ليس لا اصل
له لا قلة النظر في كتب اللغة رواه عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه
اي عن انس اراهم القمر مرتين انشقاقه بالنصب بدل عن القمر بدل اشتمال وفي تقديم مرتين في
هذه الروايتين دليل على ما قلناه من ان التعدد في الاراءة لا في الانشقاق وانه مرتين كما ذهب
اليه من نظر لظاهر هذه الرواية وان ما قيل من ان اصل المرات في الازمان والافعال وانها قد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تكون في الاعيان والاول اكثر وهذا من قبيل الثاني فضناه وبمعنى فرقتين فلقتين واحدة
وان هذا خفي على من قال ان الانشقاق وقع مرتين وهو لم يقع الا مرة بلا اختلاف فيه
وقد عوى الحافظ العراقي في منظومته الاجماع على تعدده سهو منه في غفلة عما ذكر لدعواه
تواتره فيه وما قيل من انه كان مرة بمكة ومرة بحرا وهو على ثلاثة اميال من مكة في طريق
الذاهب لمنى وانه يدل على تعدد الازمان والا لزم التناقض في هذه الروايات وهي كلها
صحيحة ولا يمكن عادة ان يكون الناس الذين رواه في ذلك الوقت في هذه الامكنة الثلاثة
وقد قالوا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا مما يقطع بتعدد الازمنة والامكنة
وليس بشيء فانهم اذا راوه بمكة شاهدوا وقوع قطعة منه خلف حرا واخرى امامه من بعد
وبالنظر لسمته من الافق وان لم يكونوا ثمة كما مر ولا يخفى بعد كونهم من ذكر من كبار الكفرة نفعه
لثلا بحرا وغيره من جبال مكة وبواديها فالذي عرض في الجمع بين هذه الروايات انه تباعد
ما بين الفلقتين جدا فيكون اظهر في دفع الانكار فانه لو تقارب لقال هولا للقول العقول
انه من غلط الحس فلما اشهدهم النبي على ذلك اشار مرة الى فلقة منه وقال اشهد يا فلان ويا فلان
ثم اراهم مرة اخرى فلقة اخرى وقال اشهدوا وكل هذا كان ليلا بمكة والقمر يرى في وسط
السما بحذاء حرا وبحذاء غيرها من الجبال والاماكن البعيدة فلا تعدد في الشق ولا تدافع بين
الروايات ولا مطعن في شيء منها وهذا انشاء الله مما لا ينبغي العدول عنه فان القول بان المرات
في الاعيان لا صحة له في اللغة واستعمال الناس فلو قطع انسان بطيخة قطعتين دفعة
واحدة وقال قطعتها مرتين كذب سمعه واستهزاء به فعليك بالنظر الحرير وان تطرح من
حيث فكره على التقليد **فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر** مؤيدا للمعجزة وبهذا
يقوى الحديث وصار كالمتواتر وتاويله بانه سينشق اذا قامت القيمة يا باه قوله بعده وان يروا
اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر كما لا يخفى على من له نظر سديد **ورواه عن جبير بن مطعم بمحل**
وابن ابنه جبير بن محمد رواه عن ابيه عن جده وجبير الثاني روى عنه ابو داود حديثا واحدا
قال البرهان ولا اعلم له تجريحا ولا توثيقا ورد بان ابن حبان ذكره في كتاب الثقات **ورواه**
عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة الامام الجليل القدر احد الفقهاء السبعة وهو
ثقة مامون خرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة ثمان وتسعين ومايه **ورواه عن ابن**
عمر مجاهد بن جبير وقد قدمنا ترجمته **ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي** بضم السين وفتح
اللام وهو ابو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب الامام المشهور مقرئ الكوفة وحافظ السنة توفي
سنة ثلاث وسبعين تقريبا وخرج له الايمة الستة **ومسلم بن ابي عمران الازدي** البصري
وهو ابو عبد الله المعروف بالبطين نسبة للازد بسكون الزاي المعجمة ويقال لها الاسد بالسين
ايضا اسم قبيلة عظيمة والازد اسم جدهم الاعلى وهم حي باليمن واليهم ينتهي نسب الانصار **واكثر**
طرق هذه الاحاديث صحيحة الطرق هي الاسانيد والرواة تسمى طرقا لوصول الحديث الينا
منهم وعبر بالاكثر اشارة الى ان في بعضهم ضعفا وقيل مراده بالصحيح هنا ما يقابل الحسن فكلها
صحيحة مع التفاوت فيها والاية مصرحة بما في الحديث من الانشقاق وفيه اشارة لما قلناه من
ان فيها ما يمنع التاويل الذي جوزه بعضهم ولا يلتفت الى اعتراض مخذول اضل معنى المخذول
من ترك النصرة والاعانة ثم قيل لكل من لم يكن على الحق وطريق الهداية والمراد به من انكر هذا
بقصد الطعن في المعجزة لا من اول الاية بخلافه فانه ذهب اليه بعض المفسرين الا انه ايضا

لايليق

لا يليق القول به ايضا **بانه لو كان هذا** الانشقاق **لم يخف على اهل الارض** كلهم **اذ هو شيء ظا**هر
لجميعهم تعليل لقوله لم يخف **اذ لم ينقل الينا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة**
اي ترقبوه ونظروا الى مطلعه والرصد الترقب ومنه اهل الرصد المعروف عند المنجمين فهو منقول
منه وليس بمعنى لغوي **فلم يروه انشق** رأي هنا بصرية وانشق حال اي وقد انشق ولا يلزم
ان يعرفوا انه سينشق في تلك الليلة فيرصدوه كما قيل بل يكفي فيه سماعهم له من النبي صلى الله
عليه وسلم فيرصدوا واما وعدهم به ليعرفوا حال خبره وهو ظاهر واذا الثانية تعليل لعدم الا لتفات
ثم اجاب بجواب آخر على فرض تسليم ما ذكر فقال **ولو نقل** بالبناء للمجهول **الينا** انهم رصدوه فلم
يروه انشق **عمن لا يجوز تمالؤهم على الكذب** اي طايفة من اهل الارض لا يجوز اجتماعهم على الكذب
في خبرهم **لكثرتهم** من الملا وهم الجماعة المجتمعون المتفقون على امر واحد لانهم يملؤن مكانا اجتما عهم
لما اللام جواب لو وما نافية فميمها مخففة **كانت علينا به حجة** اي لم يكن ما اجتمعوا عليه حجة
ودليلا يقوم على عدم وقوعه فعلينا متعلق من تاخير متعلق بحجة لتوسعهم في الظرف **اذ ليس**
القمر في حد واحد الحد الوصف المميز للشيء ماخوذ من الحد بمعنى الحاجز ومنه حدود الدار اي
اي ليس القمر على حال واحد **لجميع اهل الارض** اي عند جميعهم لاختلاف احواله لاختلاف
مطالعه بالنسبة لبعضهم دون بعض فقد يطلع في ليلة في بعض البلاد دون بعض كما بينه علماء
الهيئة فقد يكون ليلة انشقاقه طالعا بمكة دون غيرها فلو قال غيرهم لم نره انشق في تلك
الليلة لم يكن بدعا ولذا قال المصنف **فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين** ولذا لو شهد
اهل بلد برؤية هلال رمضان لم يلزم غيرهم صومه كما قرره الفقهاء **وقد يكون من راي القمر من قوم**
بضد ما هو من مقابليهم من اقطار الارض جمع قطر بضم فسكون وهو الناحية كالطلوع في بعض
والخفا في بعض **او يحول** بالحاء المهملة اي يكون حايلا مانعا من رؤيته **بين قوم وبينه سحاب**
او جبال شاهقة فلا يرونه مع رؤية غيرهم له **ولهذا** اي لكونه ليس على حال واحد في جميع
الاقطار **نجد الكسوفات في بعض** من البلاد **دون بعض منها** والكسوف معروف وهو كون جرم
القمر غير مضيء مسود لحيلولة الارض بيننا وبينه كما بين في محله **وفي بعضها جزئية وفي**
بعضها كلية والكسوف الجزئي كسوف جزء منه والكلي كسوف جميع جرمه لنسبة الجزء والكل
وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها اي في بعض البلاد يعرف الكسوفات بعض الناس
الذين يعرفون علم الهيئة دون غيرهم من لا يعرفونه كالكسوف تحت الارض فانه يقع كثيرا عند هم
وتترتب عليه احكامه وغيرهم لا يعلمها بل لا يقدر على تصورها وعبر بالادعا اشارة الى ان مثله لا يعرفها
ليس بثابت عن علما الشريعة وليس المراد به اختلاف المطالع كما قيل وما ذكره المصنف بناء على ان الكسوف
يكون في القمر فلا يرد عليه ما قيل من ان الصواب ان يقول الخسوف قال الراغب الخسوف للقمر
والكسوف للشمس وقال بعضهم الكسوف فيهما اذا زال بعض ضوئهما والخسوف اذا ذهب كله يقال ـل
خسفه الله وخسف هو انتهى وقد يستعمل كل منهما بمعنى الآخر مطلقا وعليه الاستعمال في عرف
التخاطب وعليه مشى المصنف فلا اعتراض عليه وله تفصيل ليس هذا محله **ذلك تقدير العزيز العليم**
اي سير القمر واحواله من الكسوف وغيره كله بقدرة الله الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط
علمه بكل معلوم لا كما تقول الفلاسفة من انه بقوة فلكية لاحكام نجومية لا يمكن تخلفه وقيل انه
وقع في اصل الحكيم بدل العليم وان صوابه العليم لانه الموافق للتلاوة واعتذر له بانه
لم يرد الاقتباس من القرآن ولذا لم يقل قال الله تعالى والذي رايناه في النسخ العليم **وابن القمر**

شبكة الألوكة www.alukah.net

كانت ليلا اي الآية والمعجزة بانشقاق القمر وقعت في الليل قال الخطابي الحكمة في
ذلك ان من طلبها قريش فاراد الله وقوعها ليلا ولو اراد وقوعها لتكون محسوسة لكل احد
فعل ذلك ولكن الله جرت عادته باهلاك كل امة اتاها نبيها باية عامة يدركها الحس ان لم
يؤمنوا بها فخص الله هذه الامة برحمته فجعل آية نبيها على حال لا يقتضي اهلاكها والعادة من الناس
بالليل اي فيه الهدو والسكون عطف تفسير اي النوم وعدم الحركة كما قال جعل الليل سكنا والهدو
بهمزة بعد الواو ويجوز ابدالها واوا وادغامها وايجاف الابواب اي اغلاقها بكسر الهمزة وسكون المثناة
التحتية وجيم وفاء واصل معناه الاسراع في السير فاستعمل في الاغلاق لانه مما يسارع اليه عند
الحاجة لاسيما ليلا وهو مجاز شايع فما قيل انه لم يوجد في كتب اللغة فلعله هنا وجف
بمعنى اضطرب والهمزة فيه للسلب لان بغلق الابواب يزول الاضطراب تكلف لا داعي اليه ومن يغلق
بابه ولا يخرج من بيته لا يرى القمر فكني به عن ذلك وعن التصرف والنظر فضلا عن رصد النجوم وكل
هذا مبالغة في ان هذا امر لا يستبعد ولا يكاد يعرف من امور السما الا من رصد ذلك
الامر تقيد بالنظر اليه وترقبه ليلا واهتبل به اي بذل جهده واعتنى غاية الاعتنا من قول العرب
اهتبل الصيد اذا اطلبه من مظانه وهو متعد بنفسه عداه المصنف بالبا لانه ضمنه معنى الاعتنا
ولذلك اي لكونه امرا ليليا في زمان غفلة ونوم ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد ما
زايدة لتحصيل الكلام وقيد بالقمري بنا على شموله للشمسي والقمري واحترز عن الشمسي لظهوره ه
واكثر لا يعلم حتى يخبر الناس بوقوعه وكثيرا ما منصوب على الظرفية او المصدرية وما مزيدة للتا[كيد]
ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار بيان للعجائب والنور على ظاهره لانه قد يحدث
في الجو نور زايد على ما عهد او المراد به شعل نارية كذوات الاذناب التي تمتد في الافق في بعض
الليالي وينسب لها امور تذكر في كتب الملاحم ونجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل
ولا علم عند احد منها لانها تستتر تحت الارض حتى تقطع درجات في دايرتها وتصل الى ما فوق الارض
فتظهر بعد الخفا وهو مشاهد كثيرا مفصل في فنه وخرج الطحاوي حديثين بسندين من الكتب المعتمدة
ومسانيد الايمة المحدثين وبيان صحتها وغيرها والطحاوي بفتح الطا والحا المهملتين والف وواو
بعدها يا نسبة منسوب لطحا قرية من قرى مصر وهو الامام الجليل القدر المحدث ابو جعفر احمد بن محمد
بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة بن سليم الازدي ثم المصري الحنفي لا المالكي كما قيل ولد سنة
تسع وثلاثين ومايتين وتوفي في ليلة الخميس مستهل ذي القعدة سنة احدى وعشرين وثلثمائة
وكان شافعيا من تلامذة المزني ثم تحنف وانتهت اليه رياسة الحنفية بمصر وله تاليف جليلة ه
في مشكل الحديث هو كتاب جليل له في الحديث اشتهر بالآثار عن اسما بنت عميس مصغر وهي
زوجة ابي بكر الصديق وترجمتها مشهورة وكانت اولا زوجة جعفر بن ابي طالب من طريقين سندين
مختلفين في روايته هذا الحديث عنها ورواه الطبراني باسانيد مختلفة رجال اكثرها ثقات وهذا
الحديث في رد الشمس وحبسها لعلي كما سياتي قال ابن الجوزي انه موضوع بلا شك ورواياته مضطربة
وفي رواته رجال متهمون بالكذب والوضع كاحمد بن داود فان الدارقطني وابن حبان قالا انه
كذاب متروك الحديث وضاع وعمار بن مطر متروك ايضا ذكره الذهبي في الميزان وذكر كلام الناس
وانه روى حديث رد الشمس ونقضه بما روي عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال لم ترد الشمس
الا على يوشع بن نون وفي طريقه الثاني فضيل بن مرزوق وقد ضعفه يحيى وقال ابن حبان انه يروي
في الموضوعات وهذا الحديث باطل قال ابن الجوزي ولا اتهم فيه الا ابن عقدة فانه رافضي يحدث

مثالب

بمثالب الصحابة وقد رواه ابن مردويه من حديث داود بن فراهيج عن ابي هريرة قال نام
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجر علي ولم يكن اي علي صلى العصر حتى غربت الشمس فذكره
وداود ضعيف ضعفه شعبة قال ابن الجوزي ومن غفلة واضعه انه نظر الى فضيلته صورة
ولم يلمح عدم الفايدة فيها فان صلاة العصر بعد غيبوبة الشمس صارت قضاء ورد الشمس ورجوع
الشمس لا يفيد وقد ذكر ابن تيمية الحديث في كتاب رد الروافض بطرقه وما فيه واطال فيه
قلت طالعته ورايت ما ذكره فيه من ان ذلك كان مرتين وانشد فيه شعر الحميري ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه مرة بالصهبا وراسه في حجر علي جملة حالية والحجر مثلث
الحاء المهملة فيه جيم ساكنة وراء مهملة بمعنى الحضن وهو معروف والاظهر ان المراد انها كانت
موضوعة على ركبته وهو نايم فلم يصل علي صلاة العصر حتى غربت الشمس وغابت فانتبه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي اصليت يا علي بهمزة الاستفهام وفي نسخة هل صليت فقال
لا اي لم اصلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك
لانه لم يزعج رسول الله من منامه وانتظر تيقظه فاردد عليه الشمس اي اعدها لمكانها الذي غربت بت
منه ليصلي الصلاة في وقتها يقال اردد بالفك ورد بالادغام وهو دعاء وقد سمعت ما قاله
ابن الجوزي انه لا فايدة فيه بعد ما صارت قضاء شرقها منصوب اي في محل شروقها او في رواية
شروقها وهذا في بعض النسخ وهو بفتح الراء وسكونها وهو بدل من الشمس ومنصوب على الظرفية ومعناه
ضوءها او ارتفاعها على الحيطان او انبساطها على الارض وقيل انها انما حبست ومنعت من الحركة حتى
يؤدي الصلاة في وقتها وينافيه قوله فقالت اسما فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت
ووقفت على الارض والجبال وذلك بالصهبا في خيبر في القاموس قلعة بقرب خيبر وكذا
قال الدغيري ففي قوله في خيبر مسامحة او فيه مضاف مقدر اي في قربها وخيبر بزنة ضيغم ارض
بقرب المدينة فيها قلاع وقرى كان بها مساكن اليهود ثم خربت ه

رد الشمس والشروق عليه • لعلي حتى يتم الاداء
ثم ولت لها صرير وهذا • لفراق له الوصال دواء

وهذان الحديثان ثابتان رواية واكثر رواتهما ثقات جعلهما حديثين والمذكور حديث
واحد تسمحا لانه روي من طريقين كما مر ذكره واعترض عليه بعض الشراح وقال انه موضوع وقد وانه
ورجاله مطعون فيهم كذابون ووضاعون ولم يدر ان الحق خلافه والذي غره كلام ابن الجوزي
ولم يقف على ان كتابه اكثره مردود وقال خاتمة الحفاظ السيوطي والسخاوي ان ابن الجوزي في
موضوعاته تحامل تحاملا كثيرا حتى ادرج فيه كثيرا من الاحاديث الصحيحة كما اشار اليه ابن الصلاح ح
وهذا الحديث صححه المصنف واشار الى ان تعدد طرقه شاهد صدق على صحته وقد صححه قبله كثير
من الايمة كالطحاوي واخرجه ابن شاهين وابن منده وابن مردويه والطبراني في معجمه وقال
انه حسن وحكاه العراقي في التقريب ولفظه انه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهبا ثم
ارسل عليا في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر فوضع راسه في حجر علي فنام
ولم يحركه حتى غربت الشمس فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ان عبدك عليا انما احتبس نفسه على نبيه
فرد عليه الشمس الى آخره وانكار ابن الجوزي فايدة ردها مع القضا لا وجه له فانه فاتته بعذر
مانع عن الاداء وهو عدم تشويشه على النبي صلى الله عليه وسلم وهذه فضيلة له فلما عادت الشمس حاز
فضيلة الاداء ايضا وقال ابن حجر في شرح الارشاد لو غربت الشمس ثم عادت عاد الوقت ايضا لهذا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحديث واما حديث ان الشمس لم ترد الا ليوشع حين قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما ادبرت
الشمس خاف ان تغيب الشمس ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فدعا الله فرد عليه الشمس حتى فرغ من
قتالهم فقد اجيب عنه بانه قاله قبل قصة خيبر او المراد انها لم ترد لاحد من الامم السالفة فالحصر
اضافي مع انه نقل ابن حجر عن المصنف في الاكمال ان الشمس حبست لنبينا صلى الله عليه وسلم في
الخندق حين شغل عن صلاة العصر حتى ادركها اداء وما روي انه قضاها بعد ما غربت الشمس لعله
كان في يوم آخر وفي تفسير البغوي والكواشي والثعلبي ان الشمس ردت لسليمان ايضا وروي عن علي
وضمير ردوها عائد على الشمس في الآية للعلم بها وان لم يجر لها ذكر واقول ان السيوطي صنف في
هذا الحديث رسالة سماها كشف اللبس عن حديث رد الشمس وقال انه سبق بمثله لابي الحسن الفضلي
او سرد طرقه باسانيد كثيرة وصححها بما لا مزيد عليه ونازع ابن الجوزي في بعض من طعن فيه من رجاله
والحاجة التي ارسل لها عليا قسمة غنائم خيبر ومما ذكر من الحديث المعارض له ما يعارضه وهو انه
لم يكن لنبي معجزة الا وكان لنبينا مثلها وهذه المعجزة كانت ليوشع ولسليمان ومن غريب طرقه ما رواه
الطبراني في الكبير عن اسما ايضا قالت اشتغل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قسمة الغنائم يوم
خيبر حتى غابت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي اصليت العصر قال لا يا رسول الله
فتوضا رسول الله وجلس في المسجد وتكلم بكلمتين او ثلاثة كانها من كلام الحبش فارتجعت الشمس كهيئتها
في العصر فقام علي فتوضا وصلى العصر ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك
فرجعت الشمس الى مغربها فسمعت لها صريرا كالمنشار في الخشبة وطلعت الكواكب انتهى واذا صح الحديث
علم ان الصلاة ليست بقضاء بل يتعين لهذا الدعاء الاداء والا لم يكن له فائدة فما اورده وارد عليه ولا
حاجة الى ان يقال انه من خصائصه فانه لا يقع مثله حتى يقاس عليه وقد نقلوا نظيره على القول
باختلاف المطالع بما لو صام اول يوم من رمضان ببلده ثم سافر وافطر ووصل لبلد فيه الشهر ناقص وعلم
انه تم ببلده فلم يلزمه قضاؤه تماما ام لا **وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح** هو ابو جعفر الطبري
الحافظ الثقة روى عنه اصحاب السنن وتوفي سنة ثمان واربعين ومائتين وله ترجمة في الميزان
كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم اي لمن طريقته ودابه الاشتغال بالعلم ومعرفة الحديث
فجعل نفس العلم طريقا لانه يصل به صاحبه الى سعادة الدارين **التخلف عن حفظ حديث اسما بنت**
عميس الذي روته في انشقاق القمر **لانه من علامات النبوة** اي من الآيات الدالة على نبوته لانه معجزة
عظيمة وهذا مؤيد لصحته فان احمد هذا كان من كبار ائمة الحديث الثقات ويكفي في توثيقه ان البخاري
روى عنه في صحيحه فلا يلتفت لمن ضعفه وطعن في روايته وبهذا سقط ما قاله ابن تيمية وابن
الجوزي من ان هذا الحديث موضوع فانه مجازفة منهما وما قيل من ان هذه الحكاية لا يوثق لها بعد
نصهم على وضع الحديث وان كونه من علامات النبوة لا يقتضي تخصيصه بالحفظ خلط وخبط لا يعبؤ
به **وروى يونس بن بكير** بالتصغير وهو ابو بكر الشيباني الامام الثقة وقول ابي داود انه ليس بحجة
مردود فان ابن معين وثقه وقال انه صدوق توفي سنة تسع وتسعين ومائة وله ترجمة في الميزان
في زيادة المغازي وروايته عن ابي اسحاق محمد بن يسار صاحب السيرة وروايته مقبول روى
لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه من قريش بعد اسرائه **بالرفقة والعلامة التي في
العير** بكسر العين وهي الابل والرفقة جمع رفيق مثلث الراء اخبرهم بها قبلهم ومن فيها من الجماعة المترافقين
والعلامة هي قوله انه يقدمها جمل اورق على ما فصل واشتهر في السير **قالوا متى تجيء** جواب لما اي
في اي يوم تصل لمكة وسؤالهم لامتحانه **قال يوم الاربعا** بتثليث الباء والمراد اي تجيء يوم الاربعا **فلما كان**

ذلك اليوم يوم الاربعا بالرفع والنصب والاول اولى لانه نعت فاعل كان التامة بمعنى
وجد واشرفت قريش ينظرون بشين معجمة وراء مهملة اي قامت على شرف وهو المكان المرتفع
وينظرون حاله او مسافته اي يترقبون قدوم عيرهم وقافلتهم في اليوم الموعود **وقد ولى
النهار** اي قارب ذلك اليوم وهو يوم الاربعا ان يتم ويدخل الليل بغروب الشمس فيه ولم
تجي العير وتصل اليهم في المكان الذي وقفوا فيه لانتظارها **فدعا رسول الله** اي سال
ربه وتضرع له ان يمد ذلك اليوم حتى تجي العير قبل انقضائه **فزيد له في النهار ساعة**
وذلك انه **حبست له الشمس ساعة** اي امسكها الله بقدرته وعوقها عن سيرها المعتاد
مقدار ساعة حتى قدمت العير قبل غروبها في ذلك اليوم وقد تقدم انها حبست له في الخندق
ايضا وفي سيرة مغلطاي نقلا عن الخطيب في كتاب النجوم انها حبست لداود ايضا وقال
انه رواية ضعيفة وذكر البغوي في سورة ص انها حبست لسليمان حين عرض الجياد تنبيه
الذي ذكر هنا من حبس الشمس وان العير قدمت بعد العصر قبيل الغروب ينافيه ما ورد من
انها قدمت صباحا وعليه اقتصر المفسرون كالزمخشري والبيضاوي في اول سورة الاسرا وهو
انه لما رجع من الاسرا فقعد حزينا لعلمه بتكذيبهم له فمر به ابو جهل وقال له مستهزئا هل استفدت
من شي قال نعم اسري بي الليلة الى بيت المقدس قال ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال اتحدث
قومك بهذا قال نعم فنادى هلموا فانفضوا اليه حتى جلسوا اليهما فقال حدثهم بما حدثتني
به فقصه عليهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا للكذب على زعمهم وارتد ناس وسعى
بعضهم الى ابي بكر وقال هل لك في صاحبك يزعم انه اسري به الخ قال قالوا نعم قال فقد صدق
واني لاصدقه فيما هو اعظم من ذلك من اخبار السماء فسمي لذلك الصديق وكان فيهم من راى
المسجد الاقصى فقالوا هل تستطيع ان تنعته لنا قال نعم فنعته لهم ثم غلبه بعض امره فجلي له المسجد
الاقصى ووضع دون دار عقيل فنظره ونعته فقالوا اما النعت فقد اصاب ثم قالوا له اخبرنا عن عيرنا هل لقيتها
قال نعم مررت على بني فلان بالروحا وقد اضلوا بعيرا لهم وطلبوه وفي رحالهم قدح ما فعطشت
فشربته فسلوهم هل وجدوا الما في القدح قالوا هذه آية قال ومررت بعير بني فلان وفلان
راكب قعود انفر منهم وانكسرت قالوا وهذه آية قالوا فاخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا
فاخبرنا عن عدتها واحمالها وهيئتها ومن فيها قال كنت في شغل عن ذلك ثم مثلت له فنعت ذلك لهم وقال
يقدمها جمل اورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه آية اخرى
ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وقالوا لقد قضى محمد بيننا وبينه حتى اتوا كداء فجلسوا ينتظر
طلوع الشمس كي يكذبوه فقال قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال آخر هذه الابل قد طلعت يقدمها
بعير اورق وفيها كل ما ذكر فقالوا ان هذا الا سحر مبين انتهى مع طي لبعض الفاظه وهذا مناف
لما رواه المصنف والجمع بين بعضهم اذا ورد هذا ولم يتنبه لما قلناه اهـ

فوالله ما ادري احلام نائم • المت بنا ام كان في الركب يوشع

لطيفة من الاتفاقات الحسنة ان المظفر الواعظ ذكر يوما قرب الغروب فضائل علي ورد الشمس
له والسما مغيمة غيما مطبقا فظنوا ان الشمس غربت وهموا بالانصراف فاصحت السما ولاحت
الشمس صافية الاشراق فاشار اليهم بالجلوس وانشد ارتجالا

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي • مدحي لآل المصطفى ولنجله
واثني عنانك ان اردت ثناهم • انسيت اذ كان الوقوف لاجله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اذ كان للمولى وقوفك لم يكن • هذا الوقوف لخيله ولرجله •

فصل في نبع الماء من بين اصابعه

اي خروجه من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم معجزة له يقال نبع ينبع نبعا ونبوعا من باب نصر وعلم وضرب ومنه الينبوع لعين الماء وهو مصدر مضاف لفاعله وتكثيره ببركته اي تكثير الماء ببركة وضع يده فيه وهو نبع ايضا وانما يشاهده الناس وقد كان هذا مرات كثيرة وورد بطرق متعددة في الصحيحين وغيرهما ففي بعضها التي بقدح وفي بعضها جفنة وفي بعضها ميضاة وفي اناء يصغر للوضوء وفي بعضها مزادة والماء قليل فكفى جماعة كثيرة في بعضها كانوا خمسمائة وفي بعضها ثمانمائة وفي بعضها وخمسمائة والف الى غير ذلك مما اعتنوا بجمعه في المعجزات وهذه المعجزة اعظم من معجزة موسى اذ نبع له الماء من الحجر لانه معتاد وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار الآية واما خروجه من لحم ودم فلم يعهد لغيره كما قال الشاعر

ان كان موسى سقى الاسباط من حجر • فان في الكف معنى ليس في الحجر •
ولله در الابوصيري في قوله في لاميته •
ومنبع الماء عذبا من اصابعه • وذي اياد عليها قد جرى النيل •

قالوا وهذا الماء افضل من ماء زمزم والكوثر ويحتمل قوله وتكثيره اذ لا يكون عطف تفسير بل عطف الاعم على الاخص ليشمل ما كان بمعاينة وتكثيره فيه وهو الاظهر والبركة اليمن واصل معناه زيادة الخير فهو مناسب هنا جدا اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا اي كثرة عظيمة تفوت الحصر وهو لازم النصب والتنكير مصدر كانه لا تدرك الا بغاية الجد والاجتهاد فيه وقال النووي انها بلغت مرتبة التواتر روى حديث نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة بفتح الصاد وتكسر في الاصل كالصحبة ثم صار جمع الصحابي منهم انس وجابر وابن مسعود اشار بمن التبعيضية الى انه روي عن كثير غير هؤلاء كبلال وابن عباس لانه وقع بين الجم الغفير منهم في الحديبية وغيرها كما قال اولا ان احاديثه كثيرة جدا فلا حاجة لما قيل ان الكثرة باعتبار الحرص لها في كتبهم من ائمة الحديث حتى صار متواترا تواترا معنويا وانما نص على روايته هؤلاء لقوة صحتها بروايتهم الامام مالك والشيخين حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله تعالى قراءة علي عليه ابن احمد الفاسي اللواتي نسبة للواتة بفتح اللام والواو المخففة والف تليها مثناة فوقية وهو شيخ المصنف حدثنا القاضي عيسى بن سهل ضد الصعب تقدمت ترجمته حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد كما تقدم في ترجمته حدثنا ابو عمرو بن الفخار بفتح الفاء وتشديد الخاء لقب بمعنى كثير الفخر ونوع من الاواني يعمل من الطين ولذا قيل

لا يفخرن امرؤ بذات يد • فالكثير يذوب بكل فخار

وقيل على المصنف ان الصواب ابو عبد الله بن الفخار وقال ابن رشيد ابو عمرو الذي يروي عن ابي عيسى ليس بابن الفخار وانما هو ابن القطان الفقيه وهو ابو عمر واحمد بن محمد بن عيسى القرطبي المتوفى في سنة ستين واربعمائة وبقراءته على ابي عيسى سمع الموطا يونس بن مغيث لكن حاتم لم يكن له رواية عنه وانما يروي عن عبد الله محمد بن عمرو بن الفخار المتوفى سنة تسع عشرة واربعمائة ففي كلام المصنف وهم من وجهين اذ سماه ابو عمرو وهو ابو عبد الله وفي قوله ثنا ابو عيسى ثنا يحيى اذ اسقط راويا بين ابي عيسى ويحيى وهو عبيد الله ابو مروان وقد ذكره المصنف على الصواب في غير هذا المحل وفيما سيأتي

حدثنا صح

وابو عيسى

وابو عيسى هذا هو يحيى بن عبد الله بن يحيى بن كثير صاحب مالك وراوي الموطا عنه وليس من قبيل الانقطاع لتصريحه بصيغة التحديث اللهم الا ان يقال انه حمل اتصاله في غير هذا المحل وقد نبه على تعدده هنا فليتامل حدثنا مالك امام دار الهجرة المشهور قال ابو محمد القرطبي صوابه حدثنا عيسى حدثنا عبيد الله وصوابه ابو عيسى بالكنية لا عيسى بالاسم لان ابا عيسى انما يحمل عن عبيد الله بن يحيى عن ابيه يحيى وابو عيسى هو يحيى بن عبد الله بالتكبير بن يحيى بن عم ابيه عبيد الله بالتصغير بن يحيى وقد تقدم على الصواب في فصل الحلم والاحتمال وايضا في كذلك في فصل كنيته عن اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة الامام المشهور الثقة وانس عمه توفي سنة اثنين وثلاثين ومائة عن انس بن مالك قال فيما رواه مالك في موطائه عنه والشيخان عنه رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حانت صلاة العصر بحاء مهملة ونون اي قربت او دخل وقتها وهو ماخوذ من الحين بمعنى الوقت والتمس الناس الوضوء بفتح الواو وهو الماء الذي يتوضا به ويجوز ضمها والالتماس افتعال من اللمس بمعنى المس مجاز في مطلق الطلب فلم يجدوه فاتي بالبناء للمجهول بوضوء تقديره باناء وضوء بقرينة قوله فوضع يده فيه وفي مسلم بقدح رحراح وامر الناس ان يتوضؤوا منه قال انس فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس من عند آخرهم اي جميعهم تقدم معنى ينبع وانه مثلث الباء وقد قالوا انه يحتمل ان الماء خرج من اصابعه حقيقة وهو الظاهر ويحتمل انه كثر من غير نبع وانما وضع يده سترا عن الناس حتى لا يروه فيفتتن بعضهم به وتادبا مع الله الذي لا يوجد المعدوم سواه واصابع جمع اصبع وفيه عشر تثليث الهمزة مع تثليث الباء والعاشرة اصبوع قال ابن مالك

تثليث با اصبع مع ضم همزته • والفتح والكسر والاصبوع قد كملا •

وعند مثلث العين والافصح الكسر وهي ظرف مكان يلزم النصب على الظرفية او الجر بمن ويتجوز بها عن الحلم وغيره من معانيه وقوله من عند آخرهم لفظ مسموع من فصحاء العرب قديما وقال النووي انه لغة لبعضهم وعندهم من الغاية بمعنى الى فلم تات على الاصل لان الحد عندهم ونقله عن سيبويه وقيل بل هي هنا ابتدائية لا لابتداء الغاية اذ لم تسمع بمعنى الى وانه كناية عن الاستيعاب والشمول والمعنى توضؤوا كلهم بحيث لو قيل ان ابتداء وضوئهم كان من آخرهم صدق قايله اقول ثم ايضا من آخرهم بدون عند كما في الكشاف في اول البقرة وما ذكره ركيك جدا فالصواب ان يقال انه كناية عما قال وتوجيهه ان ماء الوضوء كانه ماخوذ ممن ولي آخرهم والمعروف انه لا يبذل الا ما فضل عن حاجته فكانهم بذلوه لاولهم ولمن بعدهم وما قاله النووي اسهل واظهر وقد نقل انه لغة في شرح مسلم وهي عبارة النبي صلى الله عليه وسلم ولشراح الكشاف فيه كلام ورواه ايضا كالرواية السابقة عن انس قتادة كما في صحيح مسلم وقال انس في هذه الرواية باناء فيه ماء الاناء بكسر الهمزة مفرد وآنية جمعه وليس من ذلك كما يتوهم يغمر اصابعه بالغين المعجمة وميم وراء مهملة هو ما يسترها ومنه استعير الغمر للشدة او لا يكاد يغمرها يعني انه قليل وتقدم انه انما فعله تسترا وتادبا مع الله الذي لا يوجد المعدوم سواه وكاد للمقاربة ونفيها ابلغ من نفي الفعل الذي هو خبرها والكلام عليه مشهور فلا حاجة لتكثير السواد به هنا كما فعله بعضهم قال اي قتادة لانس كم كنتم معاشر الناس الذين توضؤوا من ذلك الماء قال زهاء بضم الزاي المعجمة والمد اي مقدار ثلاثمائة رجل واصل الزهاء العدد الذي يقدر بالتخمين فيدل بنقص ويزيد بعدد يسير يقال زهوت القوم اذا حزرتهم وقيل زهاهم من غير عدد حقيقي

الألوكة www.alukah.net

وليس من الزهو بمعنى الفخر وفي رواية عنه أي عن أنس وهم بالزوراء عند السوق الزوراء
مكان مرتفع قريب من مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وثمة سوق ورواه أي حديث نبع
الماء أيضا حميد بالتصغير وهو المعروف بالطويل واختلفوا في اسمه فقيل تير وقيل تيرويه
وقيل طرخان وقيل غير ذلك وهو أبو عبيدة مولى طلحة الطلحات الخزاعي أو الداري مات وهو قائم
يصلي سنة اثنتين وأربعين ومائة وهو ثقة أخرج له الستة الأئمة إلا أنه نسب للتدليس
وترجمته في الميزان وثابت والحسن من أبي الحسن البصري كما تقدم عن أنس وتفرد البخاري
بالرواية الأولى والثالثة واتفقا على الثانية وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال كانوا
ثمانين ونحوه عن ثابت عنه أي عن أنس وعنه أيضا أي عن أنس وهم نحو من سبعين رجلا
وفي مسلم عنه أيضا بين الستين إلى الثمانين وحمل اختلاف الرواية عنه على أنهما كانا قضيتين
في وقتين ووافقنا حال حدث عنهما وإذا كان الأمر على التقريب والتخمين فلا إشكال أيضا
وأما ابن مسعود ففي الصحيح أي الحديث الصحيح أو صحيح البخاري عنه أي عن ابن مسعود
من رواية علقمة تقدم ترجمته بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ظرف والألف
فيه إشباع أو كافة عن الإضافة وفي نسخة بينما وهي فيما ذكرناه ويقع بعدهما الجملة الاسمية
والفعلية وقد تتلقى بإذ وإذا والأصمعي يستفصح طرحهما كما هنا كما ذكره النحاة أي كانوا مجتمعين
عنده وليس معنا ماء فقال لنا اطلبوا من معه فضل ماء أي بقية من ماء كان أو زيادة
منه على حاجته وقد تقدم أنه إنما طلبه لئلا يتوهم أنه موجد من العدم دون الله الواحد
الموجد لكل معدوم فتأدب بذلك مع الله ولو شاء لأوجده بمعانيه وطلبه له من الله ولو شاء لأوجده
ابتداء من غير شيء فأتي بماء بالبناء للمجهول والفاء فصيحة أي فطلبوا الماء فوجده بعضهم وأتي
به فصبه في إناء أي صبه وسكبه في إناء آخر مكشوف وكان أتي به في مزادة لا يدخلها اليد
ثم وضع كفه فيه أي في الإناء الثاني والعطف بثم لما بينهما من تراخ يسير من دعائه دعاء
الله ثم الح فجعل الماء ينبع بمعنى الموحدة وجعل بمعنى صار وليس الإسناد مجازيا كما قيل من بين
أصابعه صلى الله عليه وسلم وهذه القصة هي المتقدمة وإنما أعادها إشارة إلى تعدد طرقه الدالة
على صحته ويحتمل أنها غيرها وفي الصحيح أي صحيح البخاري أو المراد في الحديث له ولغيره عن سالم بن
أبي الجعد الأشجعي الكوفي وهو من كبار التابعين الثقات روى عن ابن عباس وغيره وتوفي في سنة
مائة وله ترجمة مفصلة في الميزان عن جابر عطش الناس يوم الحديبية وهو يوم معروف بها
بمكان معروف بين مكة والمدينة والطائف وهو مصغر وياؤه مخففة على الأفصح ويجوز تشديدها
كما تقدم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه أي عنده في مكان قريب منه ركوة بتثليث
الراء المهملة وكاف وواو والأفصح فيه الفتح وجمعه ركاء بالكسر والمد وهي إناء للماء من جلد
كالإبريق فتوضأ صلى الله عليه وسلم وأقبل الناس نحوه أي جاؤوا له وقالوا ليس عندنا ماء
إلا ما في ركوتك جملة حالية والاستثناء متصل فوضع يده على الركوة فجعل الماء يفور أي ينبع
ويرتفع لزيادته من بين أصابعه كأمثال العيون أي كان بين كل إصبعين من أصابعه عين ماء
نابعة وفيه أي في حديث سالم هذا فقلت لجابر كم كنتم معاشر الصحابة قال لو كنا مائة
ألف لكفانا ذلك الماء لما شاهد من فورانه الدال على عدم انقطاعه كنا خمس عشرة مائة
يعني ألفا وخمسمائة رجل وهم أصحاب الشجرة وبيعة الرضوان وقد اختلف في عددهم وهذه رواية
مشهورة ولذا اقتصر عليها المصنف وقيل كانوا ألفا وأربعمائة وصحح هذه الرواية البيهقي وقيل كانوا ألفا

وستمائة وقيل ألف وخمسمائة وأربعون وقيل وخمسة وعشرون وقيل وثمانون وقيل
وثلاثمائة وجمع ابن دحية بين الروايات بأنه كان حزرا وتخمينا لا تحقيقا وتحديدا أو رواية سبع
مائة وهم من راويها وروي مثله بصيغة المجهول أي مثل حديث سالم المذكور عن أنس عن جابر
صح في النسخ بدون عاطف بينهما فإن صح هذا فليس رواية أنس عن جابر في الكتب الستة كما
قاله البرهان الحلبي وفيه أي في هذا الحديث أنه كان بالحديبية كما في الرواية التي قبله
وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه أي عن جابر والوليد هذا ولد في حياته صلى
الله عليه وسلم وتوفي في خلافة عبد الملك بن مروان وهو ثقة لكنه قليل الحديث وأخرج له
الشيخان والترمذي وابن ماجه وهو يروي عن أبيه في حديث مسلم الطويل صفة للحديث
في ذكر غزوة بواط بضم الباء الموحدة وفتح الواو المخففة وألف وطاء مهملة وهي ثاني غزواته
وهي مفصلة في مسلم وغيره ويجوز فتح بائه أيضا وهي اسم لجبال جهينة على برد من المدينة
وفي هذا الحديث معجزات له صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر
ناد الوضوء ناد أمر من النداء محذوف الآخر المعتل والوضوء بفتح الواو وهو منصوب بعد
ومفعول ناد مقدر أيضا أي ناد الناس وقل لهم أعطونا ولوا الوضوء وهو الماء الذي يتوضأ
به وفيه حث لهم عليه وذكر الحديث بطوله وفيه أن رجلا من الأنصار كان يبرد لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ماء في سقاء فلما أخبره أنه نادى فلم يجد الماء قال له انطلق إلى فلان الأنصاري
فانظر هل في أشجابه من شيء قال فانطلقت إليه وأخبره بما عنده وأنه لم يجد عند الأنصاري
إلا قطرة أراد ماء قليلا جدا في عزلاء شجب بالإضافة أي فم قربة بالية وعزلاء بفتح العين
المهملة وسكون الزاي المعجمة ولام بعدها مدة وهمزة وهو فم الراوية ومصب الماء منها وجمعه
عزالا بفتح اللام وكسرها وشجب بفتح الشين المعجمة قيل وكسرها وسكون الجيم وباء موحدة ما
قدم من القرب أو أعواد تعلق عليها القرب ونحوها وجمعه شجب وأشجاب وأصل معناه الهلاك
فأتي به بالبناء للمفعول ويجوز بناؤه للفاعل والرواية الأولى وضميره للمذكور النبي صلى الله
عليه وسلم فغمزه بفتح الغين المعجمة والميم والزاي المعجمة أي وضع عليه يده وكبسه والغمز
هنا كالذي في قوله: وكنت إذا غمزت قناة قوم • كسرت كعوبها أو تستقيما
والغمز بالعين الإشارة معنى آخر وتكلم بشيء لا أدري ما هو وفي الحديث أنه جعل يتكلم
بشيء لا أدري ما هو فكأنه سر من أسرار الله تكلم به بالسر بأنه ونحوها التخفي على غيره وقد
تقدم غيره مثله في رد الشمس المتقدم وقال ناد بجفنة الركب الجفنة كالقصعة وزنا ومعنى
وهي التي تشبع عشرة فأكثر ودونها الصحفة ثم المأكلة والركب بفتح ثم سكون اسم جمع لراكب
والمراد الناس وإن يكونوا راكبين بالفعل وهذا وقع في رواية لقتادة والذي في مسلم ناد
بجفنة فكأنه لم يكن معهم إلا جفنة واحدة وضمن ناد معنى ائت بها بدليل قوله فأتيت بها
بالبناء للمفعول كما قاله البرهان وغيره ويجوز البناء للفاعل وقيل مفعوله محذوف أي ناد القوم
بجفنتهم أو هي منزلة منزلة من يعقل إلا أن الله خلق فيها إدراكا حتى تنادى هي فتأتي بنفسها
ويكون ذلك معجزة له لأنه لم ينقل لنا مثله فوضعتها بين يديه وذكر جابر أن النبي صلى
الله عليه وسلم بسط يده بسط بالسين والصاد وبهما قرئ أي وضع يده الشريفة في الجفنة
مبسوطة ليكون أبرك في الجفنة وفرق أصابعه وصب جابر عليه ما كان في العزبة من الماء
وقال أي النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله أتبرك وأطلب نبع الماء ويحتمل القسم لصحة نبعه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأقتصر عليه لانه المأثور في سائر الافعال لا لبيان انه مجرور بدون الرحمن الرحيم كما قيل
ولو قلنا فاعل قال بسم الله هو جابر كان اوفق بما في الرواية من انه وضع يده في قعر الجفنة وقال
خذ يا جابر فصب علي وقل بسم الله فصببت عليه وقلت بسم الله فلا يقال كيف استدل جابر
بالصب من غير اذن وان المصنف غير الرواية ونسب لجابر ما لم يقله فيجاب بان كلام جابر وما علم
من ادب الصحابة معه صلى الله عليه وسلم قرينة على ما ذكر قال جابر فرأيت الماء يفور اي يرتفع
وينبع حتى يتدفق من فار القدر اذا غلا ما فيه من بين اصابعه ثم فارت الجفنة اي فار
ماؤها ففيه مضاف مقدر او الاسناد مجازي للمبالغة في قوله انه واستدارت اي دار ماؤها
لان الماء اذا زاد بسرعة يرى كانه يدور وليس المراد ان الجفنة نفسها استدارت لعظم الامر
فانه لا يحصل له حتى امتلأت وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا اي اخذ كل منهم
من الماء ما يكفيه ودوابه وشربوا حتى ذهب عطشهم والري مقابل العطش وفيما رواه المصنف
بعض مخالفة لما في صحيح مسلم بحسب الالفاظ دون المعنى كقوله ودارت وفي نسخة فارت الجفنة
ثم فارت بالتكرار فقلت هل بقي احد له حاجة اي قال جابر فقلت الخ وهل هنا قيل انها نافية
كقوله هل ترك لنا عقيل من دار ويجوز ان تكون استفهامية وقوله فرفع يده رسول الله صلى الله
عليه وسلم الفاء فيه فصيحة اي فلما قالوا لا فرفع الخ وحديث جابر هذا ليس في شيء من الكتب الستة
غير مسلم من الجفنة وهي ملأى بوزن سكرى اي مملوءة بالماء لم تنقص شيئا مما اخذوه وعن الشعبي
هو من كبار التابعين محدث هذا مرسل والمرسل يستدل به عند مالك والمصنف مالكي ان
النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالمجهول اي اتاه بعض الصحابة باداوة بكسر الهمزة وفتح الدال
المهملة والف وواو وهاء وجمعها اداوي وهي اناء صغير يحمل من جلد ولذا اضافها لقوله ماء في
بعض اسفاره وقيل ما معنا يا رسول الله غيرها فسكبها اي صبها رسول الله بنفسه وامر بصبها
في ركوة ووضع اصبعه بالافراد وقد تقدم لغات الاصابع وانها عشرة وسطها بفتح السين وسكونها
وهو منصوب على الظرفية اي وضعه في وسط مائها وفي الفرق بين الوسط مسكنا ومحركا كلام
في كتب العربية ليس هذا محله وبيناه في شرح الدرة وغمسه في الماء تفسير لما قبله والغمس بمعنى
مسحها لا ادخال وجعل الناس يجيئون ويتوضؤون جعل هنا بمعنى صار وطفق نحو جعل زيد
يقول كذا وهو احد معانيه الخمسة ثم يقومون بعد الوضوء قال الترمذي ابو عيسى امام السنة
المشهور صاحب الجامع وغيره وفي الباب اي في هذا الباب الذي ذكر فيه معجزاته ونبع الماء عن
عمران بن حصين اي روي عنه مثله ومثل هذا الامر المعجز المروي في هذا الحديث في هذه المواطن
جمع موطن وهو موضع التوطن وهو هنا بمعنى المجالس الحفلة بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء واللام
والهاء اي الكثيرة الناس والجموع الكثيرة اي جموع الناس الكثيرة في مثل هذه المحافل لا تتطرق
التهمة بضم المثناة الفوقية وفتح الهاء ويجوز تسكينها وتاؤه مبدلة من الواو والتهمة ما يتوهم
ويظن في شيء على خلاف الواقع وقيل التسكين غلط وهو ظاهر ما في القاموس ولا يكون الا اسما
لما يتهم به وقيل انه بالسكون مصدر وبالفتح اسم كما في شرح المفتاح لابن كمال وفيه نظر وتتطرق
بمعنى تصل واصل معناه تجد طريقا الى المحدث بفتح الدال المهملة المشددة وكسرها به لانهم
كانوا اسرع شيء الى التكذيب اي تكذيب المخبر عنه والخبر لوقوعه بين ناس كثير لا يمكن تواطئهم على
الكذب لما جبلت عليه النفوس من ذلك اي الاسراع الى التكذيب ولانهم اي من حضر تلك
المحافل ممن لا يسكت على باطل اي فلا يقرونه على ما قاله اذ الكذب فيه وهم عرفوا خلافه ولا يخافون

في الله

في الله لومة لائم وهؤلاء المذكورون من الصحابة وغيرهم قد رووا هذا الحديث الذي فيه
نبع الماء من بين اصابعه واشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له اي قالوا انه وقع في محافل
ناس لا يحصون كثرة فلا يمكن كونه كذبا وحضور الجم الغفير بمجاورة الجم الغفير اي كلهم شريفهم ووضيعهم
بحيث لم يتخلف احد وفيه لغات واستعمالات كثيرة ذكرها في القاموس وليس هذا محل تفصيلها
ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم اي لم يقل احد ان ما نقلوه من هذه المعجزة الظاهرة
لا اصل لها ونحوه انهم فعلوه وشاهدوه بفتح همزة ان بدل من ما حدثوا وما فعلوه كوضوءهم
وتعديهم الاداوة وصب الماء وغيره مما تقدم وما شاهدوه نبع الماء وتدفقه وكثرته فصار ما
ذكر من كثرة من نقله من عدول الصحابة وعدم انكار غيرهم كتصديق جميعهم له اي لذلك الخبر والحد
فبينوا تواترا معنويا وامرا مجمعا عليه وفي نسخة لهم

فصل ومما يشبه هذا

اي من المعجزة المشبهة من معجزاته بيان لما او حال من اسم الاشارة لنبع الماء من بين اصابعه
تفجير الماء ببركته التفجير الشق الواسع يقال فجر الارض وانفجرت وتفجرت ومنه الفجر بمعنى الصبح
فاضافته للماء اضافة مجازية من اضافة ما للمحل الى الحال قال عز وجل وفجرنا الارض عيونا او التفجير
مجاز بمعنى الاخراج وهو للنابع فيه ببركته اي تيمنه ووجوده في مكان اخرج منه الماء والبركة
الخير الدائم وهي في الاصل من البرك وهو الموضع الذي يضع البعير على الارض اذا برك ومنه
البركة وهي الموضع الذي يحبس فيه الماء وقوله تبارك وتعالى انزلني منزلا مباركا اي كثير الخير
وتبارك الله بمعنى زاد خيره الذي افاضه على عباده وهو لا يتصرف ولا يستعمل في غير الله
وانبعاثه وهو انفعال من البعث وهو الاثارة والاخراج للماء حتى يجري بمسه ودعوته
اي بلمسه لمحله ودعائه الله واخر هذا عن نبعه من بين اصابعه لان الاول اقوى في المعجزة لاحتمال
هذا لكونه من الاتفاقيات كغيره من الماء الجاري وفي بعض النسخ انبعاثه من الانفعال بالنون
وهما بمعنى واحد مطاوع بعثه فانبعث وانبعث كانشوى واشتوى وجعل هذا مشبها بذلك لما
تقدم مما روى مالك في الموطا ومسلم في صحيحه وعزاه المصنف للموطا دونه لان روايته له
اعلا سندا عنده او لترجيح روايته عن معاذ بن جبل الصحابي المشهور في قصة غزوة تبوك
بفتح المثناة الفوقية اسم مكان بين الشام والمدينة غزاه صلى الله عليه وسلم في غزوة مبينة
في السير وانهم اي الجيش الذي كانوا معه وردوا العين تعريفها للعهد اي عينا بتبوك
نزلوا عليها في سفرهم هذا وهي تبض مضارع بض بزنة رد بموحدة وضاد معجمة مشددة من
بض الماء اذا سال سيلانا قليلا ويجوز ان يكون بصاد مهملة من بص اذا لمع وبرق وهو رواية
فيه وهو كناية عن قلته ولذا قال بشيء من ماء مثل الشراك بكسر الشين المعجمة وفتح الراء المهملة
والف وكاف وهو سير النعل الذي يكون على وجهه وشبهه به لقلته وضعف جريانه وليس
بمعنى اخذ ورد في الارض كما قيل فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع الماء الذي غرفوه في شيء
من الاواني التي كانت معهم وليس فيه قلب وان الاصل غرفوا في شيء حتى اجتمع ما فيه كما توهم
ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه ضمير فيه للشيء بمعنى الاناء او للماء
والظاهر منه ولكنه لمشاكلة قوله واعاده فيها اي في العين التي غرفوه منها وضمير اعاده
للماء لا للوجه كما توهم فجرت بماء كثير اي جرى من تلك العين ماء كثير فاستقى الناس
اي شربوا وسقوا دوابهم قال معاذ بن جبل في حديث ابن اسحاق صاحب السير فيما رواه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عن معاذ في سيرته فانخرق بنون وخاء معجمة وراء مهملة وقاف أي انفجر انفجارا أشد من الماء
ما له حس كحس الصواعق الحس بحاء وسين مهملتين بمعنى الصوت المحسوس بحاسة السمع وهو
مما اشتهر يقال لمشيه حس أي تسمع حسه وحركته والصواعق تكون معناها صوت شديد
من الصعقة وهي الصيحة وهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس وهذا كان في رجعته من تبوك
قال ابن إسحاق ثم انصرف قافلا من تبوك إلى المدينة وكان في الطريق ماء يخرج من وشل ما يروي
الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادي المشقق فذكر القصة ثم قال النبي صلى الله عليه
وسلم بعد جري الاستقاء وجري يوشك بضم الياء المثناة التحتية وواو وشين معجمة مكسورة
وكاف مضارع أوشك وفتح شينه لغة رديئة كما في القاموس وغيره ومعناه يقرب ويسرع من
غير بطء يا معاذ إن طالت بك حياة أي إن أطال الله عمرك ورأيت هذا المكان أن ترى
بعينك وهو فاعل يوشك وأن بالفتح مصدرية ههنا ما موصولة أي الذي ههنا وهو إشارة
للمكان قد ملي بالبناء للمجهول جنانا منصوب على التمييز وهو بكسر الجيم جمع جنة بفتحها وهي البستان
أي يكثر ماؤه ويخصب أرضه فتكون بساتين ذات ثمار وشجر كثيرة والحديث طويل اقتصر المصنف
على مقصده المراد منه اختصارا وفي حديث البراء بن عازب بفتح الباء الموحدة كما تقدم وسلمة بن الأكوع
أفعل من الكوع بفتحتين وهو اعوجاج اليد وحديث البراء في صحيح البخاري وحديث سلمة بفتحتين
في مسلم وحديثه أي حديث سلمة الذي رواه مسلم أتم من حديث البراء كما سيأتي في قصة الحديبية
التي قدمناها وفيها بيعة الرضوان وهم أربع عشرة مائة رجل من الصحابة كما تقدم وبئرها أي وماء
بئرها لا يروي بضم المثناة الفوقية خمسين شاة الشاة معروفة وروي أشاة بهمزة مكسورة
في أوله ومفتوحة في آخره وهي النخلة الصغيرة فنزحناها أي أخرجنا جميع ما فيها من الماء حتى
فلم نترك فيها قطرة من مائها فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها بفتح الجيم والباء
الموحدة مقصور وهو فم البئر وما حولها وبالكسر ما جمع فيها من الماء وروي شفاها بشين معجمة
وهما بمعنى هنا وأتي بالبناء للمفعول بدلو منها أي من تلك البئر أي بماء دلو مما نزحوه منها فبصق
أي ألقى ريقه فدعا بعد بصاقه أو هو شك من الراوي هل بصق فيها أو دعا الله لتكثير مائها كما
أشار إليه بقوله وقال سلمة راوي الحديث إما دعا وإما بصق فيها بكسر همزة إما فيهما بيانا
للشك في الرواية وضمير فيها راجع للبئر لا للدلو كما قيل فجاشت البئر أي فار ماؤها حتى ارتفع
لهم من جاشت القدر إذا غلت فأرووا أنفسهم وركابهم أي شربوا منها حتى ارتووا وسقوا ركابهم
حتى رويت والركاب بكسر الراء المهملة الإبل جمع لا واحد له من لفظه واعلم أن حديث البراء رواه البخاري
ولفظه تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية
كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ فمضمض ودعا
ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا أي صرفتنا ونحن والإبل رواء ولم نحتج
للمقام لأجل الماء وحديث سلمة في صحيح مسلم وهو أنه قال قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونحن أربع عشرة مائة وعليها خمسون شاة لا ترويها قال فقعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم على جبا الركية فإما دعا وإما بصق فيها قال فجاشت فسقينا واستقينا قال ثم إن
رسول الله صلى الله عليه وسلم دعانا للبيعة في أصل الشجرة فبايعته أول الناس ثم بايع وبايع حتى
إذا كان في وسط الناس قال بايع يا سلمة فقلت قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس ورآني رسول الله

أعزل أي ليس معي سلاح فأعطاني جحفة أو درقة الحديث ومنه تعلم ما قدمه المصنف من أن حديث
سلمة أتم لما فيه من تفصيل القصة وأنه كان عليها من يستقي للشاء حين قدموا ولذكره كيفية المبا يعة
وما جرى له معه صلى الله عليه وسلم وفي غير هذه الروايتين كذا في أكثر النسخ بتوحيد هذه
وفي بعضها هاتين الروايتين قيل وهو الصواب لتثنية المشار إليه ووجه تأنيثه ووحد اسم الإشارة
لاتحاد الروايتين معنى لأن القصة فيهما واحدة لكنه لا يخلو من تكلف والروايتين رواية البراء
ورواية سلمة في هذه القصة أي قصة الحديبية من طريق ابن شهاب الزهري وقد تقدمت ترجمته
مرارا في الحديبية تفسير للقصة وأخرج سهما من كنانته هي ما يوضع فيه السهام لأنها تكنها أي تسترها
فوضع بالبناء للمجهول وفي بعض النسخ فوضعه أي أمر بوضعه في قليب ليس فيه ماء القليب
البئر المحفورة من غير بناء فإن بنيت فهي طوي وبئر تذكر وتؤنث وهو مخالف للرواية السابقة أنه كان
ماء قليل والذي وضع السهم البراء وقيل ناجية فروي الناس بفتح الراء المهملة والمثناة التحتية آخره
وكسر الواو أي شبعوا ودوابهم لعوده حتى ضربوا بعطن وهو بفتح العين والطاء المهملتين ح
ونون محل تبرك فيه الإبل عند الماء بعد شربها لتعود لعلل بعد نهل وضربوا بمعنى أقاموا من ضرب
الخيمة إذا نصبها يقال ضربت الإبل بعطن إذا بركت يعني أنهم لما رأوا كثرة الماء نزلوا عنده وهذا
الحديث رواه البيهقي مسند المسور ابن الحكم والمسور بن مخرمة قال فيه خرج رسول الله لزيا ره
البيت لا يريد حربا فذكر الحديث وفيه أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم الناس انزلوا فقالوا لوانا بالوادي
ماء ننزل عليه فأخرج سهما من كنانته أعطاه رجلا من أصحابه فقال انزل القليب واغرز فيه ففعل
فجاش الماء حتى ضرب الناس بعطن وقيل إن الذي نزل في البئر خالد الغفاري دلاه رسول الله
بعمامة وقيل هو ناجية السلمي وكان البراء بن عازب يقول أنا الذي نزلت كذا في دلائل النبوة هـ
وعن أبي قتادة هو الحارث بن ربعي وقيل النعمان بن ربعي وقيل اسمه عمرو وهذا الحديث رواه البيهقي
أيضا فلذا عطفه فقال وذكر أن الناس شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش
لأنه كان يوما شديد الحر في بعض أسفاره فدعا بالميضأة بكسر الميم وياء منقلبة عن واو
لأنها آلة الوضوء وهي مقصورة وزنها مفعلة وقد تمد فوزنها مفعالة ودعا بمعنى طلب مطهرة ماء الوضوء
فأتي بها فجعلها في ضبنه بكسر الضاد المعجمة وسكون الباء الموحدة والنون وهو ما تحت الإبط
قريب من الحضن يقال اضطبنته إذا جعلته في ضبنك وبه سمي العيال كما في الغريبين والمراد أنه
أمسكها وضمها إليه ثم التقم فمها أي أدخل فمها في فيه كما تدخل اللقمة فالله أعلم أي قال الراوي
إني لا أعلم نفث فيها أم لا أي نفث أم لا والنفث بنون وفاء ومثلثة نفخ لطيف بغير ريق كالنفخ
وأقل من التفل فشرب الناس من تلك الميضأة حتى رووا أي حصل لهم الري المزيل للعطش وملأو وا
كل إناء معهم مما فضل عن شربهم فخيل بالبناء للمجهول إلي أنها كما أخذها مني أي مثل ما أخذها
مني لم ينقص شيء مما كان فيها حين أخذها مني وإنما قال خيل لأنه بالحدس إذ لم يتحقق مقدار ما كان
فيها وكانوا اثنين وسبعين رجلا وذكر الطبري محمد بن جرير الإمام المشهور حديث أبي قتادة
المذكور على غير ما ذكره أهل الصحيح أي فيه لما رواه أصحاب الحديث المعتنون بتصحيحه
وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخرج بهم أي بهؤلاء المذكورين من الصحابة ممد الأهل مؤتة
بضم الميم وسكون الواو وجوز بعضهم همزها ساكنة ثم مثناة فوقية وهي أرض من البلقاء وقرية
من تبوك وحوران من الشام وممدا بمعنى مقويا ومعينا عندما بلغهم قتل الأمراء ما مصدرية
والأمراء جمع أمير وهم زيد بن حارثة مولى رسول الله وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وذلك انه صلى الله عليه وسلم ارسل حارث بن عمير الازدي بكتاب الى ملك بصرى فلما نزل بموتة
عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل رسول له قبله فامر رسول الله زيد بن حارثة على
ثلاثة الاف وارسلهم لقتال شرحبيل وقال ان قتل زيد فاميركم جعفر فان قتل جعفر فاميركم
عبد الله بن رواحة فان قتل فليرض المسلمون برجل منهم وعقد للسرية لواء ودفعه لزيد وودعهم
ذكره اهل السير فلما التقوا قتل زيد ثم جعفر ثم عبد الله كما اخبرهم رسول الله فلما فتح الراية لخالد بن
الوليد الى اخر الحديث وفيه معجزات له من اخباره بالغيب كما اشار اليه بقوله وذكر ابن جرير حديثا
طويلا فيه معجزات وايات للنبي صلى الله عليه وسلم كما ذكره مما شاهده من جعفر وطيرانه في الجنة
بجناحين وغير ذلك مما فضله الله به وعظم قدره وفيه انهم يفتقدون الماء في غزوة وذكر ابن جرير
حديث الميضاة السابق قال والقوم زهاء ثلثمائة اي قريب من ذلك طريق الحدس والتخمين
كما تقدم انفا وفي كتاب مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لابي قتادة وقد راى معه ميضاته
احفظ علي ميضاتك هذه امسكها عندك فانه ضمير شان سيكون لها نبا اي خبر عظيم
وقصة عظيمة عجيبة في امر مائها وكفايته القوم وما يظهر بها من المعجزة العظيمة وذكر نحوه اي
مثل ما تقدم ومن ذلك اي من قبيل المعجزة السابقة في نبع الماء حديث عمران بن حصين
حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه عطش في بعض اسفارهم فوجه اي ارسلهم
لجهة من الجهات رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امراة بمكان كذا الرجلين عمران بن
حصين الراوي وعلي بن ابي طالب وقيل انهما علي والزبير بن العوام وفي البيهقي ان عليا
خرج في نفر من اصحابه لم يسم احدا هذه المراة الا انه وقع في السير انها اسلمت ولم يذكروا اسم
المكان الا انه في الحديث انه بين وضحاح ان كانت القصة واحدة معها بعير قال اهل اللغة انه
يطلق على الذكر والانثى عليه مزادتان المزادة بفتح الميم ظرف من جلد يحمل فيه الماء كالقربة وهي
من الزيادة لانه يزيد فيه جلد من جلد لا من الزاد كما توهمه بعضهم وذلك المزود للحديث فوجداها
اي المراة واتيا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في اناء من مزادتيها اي جعل من مائهما في
في اناء عنده وضع بعض ماء المزادتين وقال فيه اي في الماء الموضوع في الاناء ما شاء الله ان يقول
المراد دعاؤه وذكر اسماء الله عليه ونحوه مما لم يسمعوه ولذا ابهموه ثم اعاد الماء الذي اخذ في
انائه من المزادتين فرده بعد ما دعا له في المزادتين اللتين للمراة ثم فتحت عزاليهما بالبناء
للمجهول وعزاليهما بكسر اللام جمع عزلاء وهو فم القربة كما تقدم والتانيث والجمع وليس للقربة الا
فم واحد قيل لانه كانت تتعدد في قربهم عزلاوان من اسفل وعزلاوان من فوق وما كان من اسفل
يختص باسم العزلاء والاحسن ان الجمع قد يطلق على الواحد وليس على قوله قد صغت قلوبكما لاختصاصه
بما اذا كان المضاف مثنى وانما جرت على ما هي لانها كانت حربية او لضرورة العطش وقد قيل ان
هذه المراة اسلمت لما شاهدت هذه المعجزة العظيمة منه صلى الله عليه وسلم وامر صلى الله عليه
وسلم الناس ان يملؤوا قربهم واسقيتهم جمع سقاء وهو اناء من جلد يوضع فيه الماء حتى لم يدعوا
شيئا من اوانيهم الا ملؤوه ماء قال عمران بن حصين وانا يخيل الي بالبناء للمجهول انهما
لم يزدادا الا امتلاء فالجملة حالية تقديره مبتدا اي حال كوني وقع في مخيلتي ان المزادتين
بعد اخذ الناس منهما الماء انهما لم ينقصا بل زادا عما كانا عليه ثم امر صلى الله عليه وسلم ان يعطوها
من زادهم شيئا بدل الماء الذي اخذ من مائها تفضلا منه فان ماءها لم ينقص فجمع بالبناء للمجهول
اي جمع الناس للمراة حتى ملؤوا ثوبها وحملوها على بعيرها وقال صلى الله عليه وسلم للمراة اذهبي

فانا لم

فانا لم ناخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا من فضله واختلفت الرواية هنا ففي بعض
ما ذكره المصنف فقط وفي بعضها انهم ملؤوا اسقيتهم وسقوا ابلهم وانه امرهم بذلك واستعماله
من ماء القربة التي للكافرة لا ينافي النهي عن استعمال اوانيهم وانهم نجس وامره بغسلها اذا اضطروا
لاستعمالها لاختصاصه بما يحتمل النجاسة كقدورهم واوانيهم التي يصنعوا فيها الخمر والخنزير
وقرب الماء لا يتوهم فيها ذلك الحديث بطوله اي اقرا الحديث بطوله وتمامه ان اردت الوقوف
عليه وفيه اشارة الى انه حديث طويل مروي في كتب الحديث كالبخاري وغيره لاشتماله على
رجوعها لقومها وذكرها لهم القصة بتمامها ونحوها مما فيه من المعجزة لكن المصنف اقتصر على محل الشاهد
منه وعن سلمة بن الاكوع تقدم بيانه قال نبي الله صلى الله عليه وسلم في يوم من الايام هل
من وضوء بفتح الواو كما تقدم وانه الماء الذي يتوضا به وبالضم نفس الفعل ومن زائدة في المبتدا
المقدر وخبره اي هل معكم وضوء وسوغ الابتداء بالنكرة وقوعه بعد الاستفهام فجاء رجل باداوة
بكسر الهمزة ودال مهملة اي اناء من جلد صغير فيها نطفة اي ماء قليل وقد يطلق على غيره لتنزيله
منزلته للنكتة واصل معناها القطرة ومنه نطفة الرجل لمنيه فافرغها في قدح اي صبها في اناء
فتوضانا كلنا توكيد لضمير الفاعل ندغفقها دغفقة مفعول مطلق وندغفقها بضم
النون وفتح الدال المهملة وسكون الغين المعجمة ثم فاء مكسورة وقاف اي نصبه صبا كثيرا من قولهم
عيش دغفق اي واسع اربع عشرة مائة من الرجال واربع بالرفع خبر مبتدا مقدر اي ونحن اربع
الخ او بدل من ضمير ندغفقه او نتوضا لانه بيان لعدد من توضا وكثرتهم مع قلة الماء وصغر
الاناء ونصبه على الحالية من فاعل الضمائر وفي حديث عمر بن الخطاب الذي رواه البيهقي ⊙
والبزار وخزيمة في مسنده بسند صحيح في جيش العسرة بضم العين وسكون السين المهملة
وهي غزوة تبوك الواقعة في سنة تسع من الهجرة وسميت بذلك لانها اتفقت في زمن كانت
النفقة والزاد في غاية القلة عندهم ولذا لم يور النبي فيها كما كانت عادته في اسفاره ولعثمان
بن عفان فيها اليد البيضاء لما جهزهم بماله كما فصل في السير وتسمى الفاضحة لافتضاح المنافقين
فيها والعسرة هي الشدة والضيق وذكر عمر رضي الله عنه ما اصابهم اي جيش العسرة من العطش
ليتلهف حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه هو ما في كرشه فيشربه اي يشرب ما عصره
منه مع نتنه وقلته وهم كانوا يفعلون ذلك في ضرورتهم فرغب ابو بكر الى النبي صلى الله
عليه وسلم والرغبة طلب ما يحبه ويتعدى للمطلوب بفي فيقال رغب في كذا وتعدى بعن ⊙
فيقال رغب عنه ويكون بمعنى التضرع فيتعدى بالى لمن طلب منه اي تضرع وتذلل في الدعا
اي في دعائه وتوجهه لربه ليزيل ما بالناس من الباس الذي حل بهم فرفع يديه نحو السماء
التي جعلها الله قبلة للدعاء ورفع اليدين نحوها سنة كمسح الوجه بهما بعده كما ذكره ابن حجر اي ودعا
ربه وتضرع اليه كما ورد انه طفق يهتف بربه اي يدعوه ويناشده في سرعة اجابته فلم
يرجعهما اي لم يرد يديه من دعائه بفتح الياء ويرجع متعد كما في قوله فان رجعك الله ويكون
لازما ايضا حتى قالت السماء اي غيمت وظهر فيها سحاب من فوقهم قال كذا اذا تهيا له
واستعد كما في القاموس وفي بعض الحواشي يقال قالت السماء اذا ارعدت وغيمت وبتفسيرها
بامطرت لا يناسب قوله فانسكبت اي انسكب ماؤها فالاسناد مجازي وكون السماء
بمعنى المطر بعيد هنا وكذا كونه استخداما كقوله

اذا نزل السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فلوا اما معهم من آنية جمع انا كاواني وبعضهم يظنه مفردا وهو وهم والانا معروف
ولم يجاوزوا العسكر في يجاوز ضمير مستتر للسما بمعنى السحاب او المطر المعلوم من السياق
وهذه معجزة اخرى وعن عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي الصحابي
المشهور وفي الاحتجاج بعمرو هذا اختلاف واقوال والاكثر على الاحتجاج به وهو روى عن ابيه
وغيره واخرج له الاربعة من اصحاب السنن وهذا الحديث ليس فيها وتوفي في سنة ثمان عشرة ومائة
ودفن بالطائف ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه اي راكب خلفه
وضمير هو للنبي صلى الله عليه وسلم وضمير رديفه لابي طالب بذي المجاز بفتح الميم والجيم ثم زاي
معجمة وذي بمعنى صاحب اي محل الجواز وذو المجاز اسم سوق بقرب عرفة كانوا يجتمعون فيه
في الجاهلية كما كانوا يجتمعون بعكاظ وهذا الحديث رواه ابن سعد عن اسحاق بن الازرق عن عبد
الله بن عون عن عمرو عطشت وليس عندنا ماء فنزل عن الدابة التي اردف عليها وضرب بقدمه
في الارض فخرج الماء فقال صلى الله عليه وسلم لابي طالب اشرب قيل هذا كان قبل البعثة
قيل ولم يذكره على سبيل الاحتجاج لان ابا طالب كافر لا يستدل بقوله والحديث في هذا الباب
اي باب نبع الماء وخروجه ببركته صلى الله عليه وسلم كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء
اي دعاؤه بطلب السقي وايجاد الماء عند الحاجة له وما جانسه اي ما شابهه الاستسقاء من السما
كما ذكرنا وهو ماخوذ من الجنس وهو معروف ۞

فصل

مناسب لما قبله لان الاكل والشرب توأمان ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه
النافعين عند الحاجة وبداءه بحديث رواه مسلم في صحيحه بسند صحيح وهو ثنا القاضي
الشهيد ابو علي رحمه الله هو الحافظ بن سكرة وتقدمت ترجمته ثنا العذري ثنا الرازي
تقدم ترجمتهما وبيان نسبتهما ثنا الجلودي تقدم ترجمته ونسبته وانه يجوز ضم الجيم
وفتحها ثنا ابن سفيان هو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوي صحيح مسلم وقد تقدم ترجمته ثنا
مسلم ابن الحجاج صاحب الصحيح المشهور كما تقدم ثنا سلمة بن شبيب ابو عبد الرحمن النيسابوري
الحافظ الثقة اخرج له اصحاب السنن وتوفي في سنة سبع واربعين ومائتين ثنا الحسن بن
اعين افعل تفضيل من العين وهو الحسن بن اعين بن محمد الحراني الثقة ثنا معقل عن ابي الزبير
محمد بن مسلم الثقة وترجمته مشهورة عن جابر الصحابي المشهور ان رجلا اتى النبي صلى الله
عليه وسلم يستطعمه اي يطلب منه طعاما له ولاهله لشدة احتياجه وهذا الرجل لم يعرفوا
اسمه لانه من اهل البادية والطعام ما يؤكل وبه قوام ويطلق على غيره مجازا فاطعمه اي اعطاه
لان الاطعام يكون بمعنى الاعطاء كثيرا حتى كانه لكثرته يستعمل فيما لم يكن ماكولا فيقال اطعمه
السلطان بلدا وهو مجاز مرسل او استعارة شطر وسق شعير الشطر هنا بمعنى النصف وهو
اصله ويكون بمعنى البعض مطلقا وبمعنى الجهة لقوله تعالى فولوا وجوهكم شطر المسجد الحرام
والمراد جهته والوسق بفتح الواو وكسرها وسكون السين المهملة وقاف بمعنى الحمل فيقال وسق
بعير اي ثم خص وصار حقيقة في ستين صاعا بصاعه صلى الله عليه وسلم وهو ثلثمائة وعشرون
رطلا حجازية واربعمائة وثمانون رطلا عراقية على الاختلاف في قدر الصاع والمد فشطره كيلا
ثلاثون صاعا وعلى الاول مائة وستون رطلا وعلى الثاني مائتان واربعون والكلام في
المقادير الشرعية مفصل في كتب الفروع فما زال الرجل ياكل منه وامراته بالرفع معطوف

على الضمير

على الضمير المستتر في ياكل من غير فصل بضمير مؤكد كاسكن انت وزوجك الجنة
وهو الافصح وقد يعطف من غير فاصل اصلا كما في قول علي كنت وابو بكر وعمر لكنه قليل
وضيفهم اي من نزل عليه من غير اهله وهو يطلق على الواحد وغيره وقد يختص بالمفرد فيقال
ضيف وضيفان وضيوف اي لم يزالوا ياكلون منه وهو باق بحاله من غير نقص لانه لا يزال
يكثر ببركة النبي وهو محل استشهاد المصنف وفي نسخة وضيف حتى كاله غاية لاكلهم
اي استمر اكلهم منه من غير نقص شيء منه الى ان كاله فظهر نقصه بتوك الكيل بما ياخذ منه
فكانت البركة في ترك كيله حتى لو لم يكله لم ينفد وترك الكيل والعد فيه بركة لما فيه من
الاتكال على الله وهو اكثر بركة وهكذا جرت عادة الله واما ما ورد في الحديث من قوله
صلى الله عليه وسلم كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فهو بالنسبة لمن كان يخشى خيانة فيه
وقيل المراد كيلوا ما تخرجونه للنفقة منه لئلا يخرج اكثر من الحاجة او اقل بشرط ان يبقى
الباقي مجهولا غير مكيل وقيل انه انما كان كذلك لافشائه سرا من اسرار الله ينبغي كتمه
واتى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بتكثير ما اعطاه له صلى الله عليه وسلم ببركته
فقال له لو لم تكله لاكلتم منه اي لاستمر اكلكم منه الى غير النهاية ولقام بكم اي لكفاكم
مدة حياتكم وكان فيه قوام لكم من غير نقص وهذا الرجل هو جل سعيد بن الحارث وكان اشعار
به صلى الله عليه وسلم في نكاحه فانكحه امراة فكلنا سنة طعاما ما يقوم به وبزوجته ولم
يكن عند رسول الله شيء فبعث ابا رافع وابا ايوب الانصاري بدرعه فرهناه عند يهودي
في شطر وسق من شعير ودفعه اليه قال فاكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه
كما ادخلناه ومن ذلك اي تكثير الطعام ببركته حديث ابي طلحة المشهور في قصته
التي رواها الشيخان عن انس وهو زيد بن سهل بن الاسود الانصاري الصحابي توفي سنة
احدى وثلاثين وقيل غير ذلك والمشهور بمعنى انه كثرت رواياته في كتب الحديث وتعددت
طرقه ويحتمل ان يريد بالمشهور معناه المعروف في مصطلح الحديث واطعامه صلى الله عليه
وسلم مرفوع عطف على حديث ثمانين او سبعين رجلا وجزم مسلم بالثمانين من اقراص
من شعير جمع قرص وهو رغيف من شعير صغير اتى به انس بن مالك وهو ابن ابي طلحة تحت
يده اي ابطه بكسر الهمزة وكسر الباء وتسكينها والابط تحت المنكب وفسره به لان اليد تشمله
وغيره والابط يذكر ويؤنث فامر بها اي بالاقراص ففتت يقال فته يفته اذا قطعه
باصابعه قطعا صغيرة بمقدار اللقمة وقد يطلق بمعنى التكسير مطلقا وقال فيها اي
في شانها بان دعا ببركتها وذكر اسم الله عليه وقيل بمعنى على كقوله لاصلبنكم في جذوع
النخل ما شاء الله ان يقول اي ما قدره وعلمه من الذكر الذي لم يطلع عليه وهو حديث
طويل في الصحيحين اقتصر المصنف على بعضه اعتمادا على شهرته وفيه ان ابا طلحة قال
لام سليم لقد سمعت قول رسول الله ضعيفا اعرف فيه الجوع فهل عندك شيء فقالت نعم
فاخرجت اقراصا من شعير وفيه انه دعا القوم عشرة عشرة وحكمته ان لا يزدحموا
على قصعة واحدة كانت صغيرة وهذا كان بالمدينة لا بالخندق كما توهمه القسطلاني
والحديث طويل والكلام عليه مفصل وفيه انهم بعد ما اكلوا دفعه لاهل المنزل فاكلوا
واطعموا جيرانهم وحديث جابر الذي رواه البخاري في اطعامه صلى الله عليه وسلم
يوم الخندق الى قصة الخندق المشهورة في السير ومعناه معروف وهو معرب كنده

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بمعنى الحمو الف رجل بالنصب مفعول اطعام ويوم الخندق منصوب على الظرفية وحلت
مبتدا خبره مقدر اي من ذلك من صاع من شعير بالاضافة وتقدم معنى الصاع وعناق بفتح العين
وهو الانثى من اولاد المعز لم يتم سنة وقيل هي التي قاربت الحمل ولم تحمل قال جابر فاقسم بالله
لاكلوا وفي نسخة لقد اكلوا ولما كان هذا امرا غريبا خارقا للعادة اكده بالقسم لانه مظنة
الانكار حتى تركوه وانحرفوا اي اكلوا كلهم حتى شبعوا وقاموا وانصرفوا والانحراف الميل
الى جهة اخرى غير الذي كان متوجها لها من الحرف وهو الطرف ومنه قوله ومنهم من يعبد الله على
حرف اي على طرف غير متمكن وان برمتنا لتغط البرمة بضم البا الموحدة وسكون الرا المهملة
ثم ميم وهي القدر مطلقا او من حجارة وهو المعروف وجمعها برام وتغط بضم المثناة وفتح او كسر
الغين المعجمة وبعدها طا مهملة مشددة اي تغلي غليانا يسمع له صوت كهدير النائم والمخنوق
كما هي اي هي على حالها الاول لم ينقص منها شي مع كثرة من اكل منها وهذا محل الشاهد وان عجيننا
ليخبز اي انهم استمروا على خبز العجين وايصاله شيئا فشيئا لمن اكل منه ولم ينقص ببركته صلى
الله عليه وسلم لانه بصق في البرمة والعجين وبارك عليه كما ذكره المصنف ومعنى بارك دعا
فيهما بالبركة اي الزيادة والنمو رواه اي روى هذا الحديث عن جابر سعيد بن مينا
بكسر الميم وسكون المثناة التحتية والنون والمد والقصر والصرف وعدمه على ان وزنه
مفعلا او مفعال وسعيد هذا اخرج له البخاري ومسلم ومينا علم منقول من المينا وهي مرسى السفن
وجوهر الزجاج وايمن بزنة افعل من اليمن وهو ايمن الحبشي المكي والد عبد الواحد بن ايمن
مولى عمرة المخزومي الثقة وقال ابن حبان انه ايمن بن ام ايمن هذا قيل بعد ان فقد خلط ترجمته
بترجمته وتبعه التلمساني وحديث ابي ايوب اي ومن ذلك حديث ابي ايوب الذي رواه
عنه الطبراني والبيهقي وهو انه صنع صلى الله عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء
اي مقدار ما يكفيهما اي طعاما يكفي رجلين فقط وهو بيان لقلته فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم لما اخبره بذلك ودعاه ادع ثلاثين من اشراف الانصار انما خصهم تالفا لهم كي
يسلموا فان ذلك كان في اول الهجرة وتمام انصار لعلمه بانهم سينصرونه ويتناولونه لاتكاد فدعاهم
وقيل معناه اخلصوا في اسلامهم فاكلوا حتى تركوه اي شبعوا وتركوا الطعام او الاكل منه
ثم قال ادع ستين من اشراف الانصار فكان مثل ذلك اي اكلوا حتى تركوه ثم قال ادع
سبعين فاكلوا حتى تركوه اي الطعام والاكل كامر وما خرج احد منهم اي ممن دعاه واكل
واكل حتى شبع حتى اسلم وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجهاد معه ونصرته لما
راوا من تلك المعجزة ولطفه بهم وفي نسخة الا حتى اسلم قيل وصوابه اسقاط الا ولا وجه له
قال ابو ايوب فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا ذكر بعضا منهم وترك الباقي
كانه لكونه لم يرهم بامره والمذكور مائة وستون غير ابي بكر والنبي صلى الله عليه وسلم وعن سمرة
بن جندب تقدم ترجمته وانه بضم الدال وفتحها اتي النبي صلى الله عليه وسلم بالبنا للمجهول
اذ لا يتعلق غرض ببيان الاتي بقصعة بفتح القاف ولا تكسر القصعة فيها لحم مطبوخ
فتعاقبوها اي دخل جماعة من الصحابة بعد جماعة فان كلا منهم اتى على عقب بعض اي فاصل
لانه محل الاعجاز من غدوة حتى الليل بالجر ويجوز رفعه ونصبه يقوم قوم ويقعد
آخرون تفسير لما قبله من تعاقب القوم قيل عليه المعروف من حديث سمرة من غدوة الى
الظهر يقوم قوم ويقعد آخرون قال فقيل لسمرة هل كان يمد قال فمن اي شي تعجب ما كان الا من ههنا

واشار

واشار الى السما ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق اي من معجزاته في تكثير الطعام
ببركته وهذا الحديث رواه الشيخان في صحيحيهما كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ضمير كنا له مع غيره
من الصحابة وخبر كان ثلاثين ومائة ومع النبي حال من اسم كان او هما خبران اي خبر بعد خبر وذكر
انه عجن صاعا من طعام روي ببنا عجن للفاعل ونصب صاعا وبنائه للمفعول ورفعه وصنعه
بمعنى طبخه في قوله وصنعت شاة فشوي ببناء المفعول سواد بطنها المراد به الكبد خاصة
او حشوها مطلقا والاول اظهر قال اي عبد الرحمن بن ابي بكر وايم الله قسم كعهد الله وهو مبتدا خبره
محذوف تقديره قسمي مرفوع وجوز بعضهم جره بواو القسم وفيه لغات كثيرة وهمزته همزة وصل
وهو اسم وقيل حرف وقيل انه في الاصل جمع يمين والكلام عليه مفصل في باب القسم ولا يجر بالاضافة
لغير الا لفظ الله وجوز ابن مالك جره ما من الثلاثين ومائة احد الا وقد حز له حزة بفتح
الحا المهملة والحز هو القطع بالسكين والحزة بالضم القطعة من اللحم من سواد بطنها اي كبدها والحز
يعينه بحسب الظاهر وهو القطعة من اللحم من سواد بطنها وهو انسب بمحل الاستشهاد لكفاية الكبد
لهم في تفرقتها عليهم ثم جعل منها اي طبخ من الشاة ما جعل مله قصعتين فاكلنا اجمعون بالرفع
تاكيد لاسم كان من غير ان يكون تابعا لكل لقوله لاغوينهم اجمعين وفضل في القصعتين اي
فضل من لحمها مقدار في القصعتين بعدما اكلوا حتى شبعوا وقد صرح به في الصحيحين فلو
ذكره المصنف كان اولى لانه محل الشاهد وفضل بمعنى بقي فيه ثلاث لغات كدخل يدخل وعلم يعلم
وبالكسر في الماضي وضم عين المضارع وهي شاذة او من التداخل فان كان من الفضيلة فبالفتح
والضم لا غير فحملته على البعير فيه اشارة لكثرة ما بقي بعد اكلهم كلهم ومن ذلك اي من معجزاته
في تكثير الطعام ببركته ما رواه ابن سعد والبيهقي وصححاه حديث رواه عبد الرحمن بن ابي
عمرة بفتح العين وسكون الميم وراء مهملة الانصاري عن ابيه ابي عمرة بشر بن عمرو بن محصن
الانصاري البخاري الصحابي البدري قتل مع علي بصفين وفي اسم ابي عمرة اختلاف وابنه عبد
الرحمن اخرج له اصحاب الكتب الستة لا الدارقطني فقط وهو ثقة وهذا الحديث مروي في بعض
غزواته صلى الله عليه وسلم ومثله اي مثل حديث عبد الرحمن لسلمة بن الاكوع وابي هريرة
في مسلم وعن عمر بن الخطاب ورواه ابو يعلى بسند جيد فذكروا اي هولاء مخمصة بفتح
الميمين بينهما خاء معجمة ساكنة ثم صاد مهملة وهي الجوع من الخمص وهو خلو البطن اي مجاعة اصابت
الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه جمع مغزاه بمعنى موضع الغزاة وهو
بمعنى الغزو ونفسه وهذه الغزوة غزوة كما في مسلم وفي دلائل البيهقي انه في غزوة
غطفان وفي غيره عن ابن عباس انهم في مرجعهم من الحديبية كلمه بعض اصحابه وقالوا اجهدنا
وفي الناس ظهر فاعز لنا الحديث فالقصة وقعت مرتين فدعا ببقية الازواد اي من كل
رجل منهم ان ياتي بما بقي عنده من زاده فجا الرجل بالحثية بفتح الحا المهملة وسكون الثا المثلثة
والمثناة التحتية يقال حثوه بالواو ولانه يقال حثى يحثي وحثا يحثو وهي والحفنة بالفا والنون
بمعنى وهو ما يملأ اليدين معا وقيل بالفا في اليدين وبالثا في احدهما وروي بالجفنة بجيم
معجمة مضمومة وبعدها موحدة تحتية ساكنة ونون وهي ما يحمل في الحضن تحت الكشح والاول
اشهر واظهر وتعريف الرجل هنا للعهد الذهني كادخل السوق وليس المراد به رجل معين من الطعام
اليسير الذي بقي عنده وفوق ذلك اي او بما هو فوقه بيسير واعلاهم اي اكثرهم زادا وبقية
الذي ياتي بالصاع من التمر فجمعه اي وضع ما اجتمع من الازواد على نطع بكسر النون وفتح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الطا المهملة بزنة عنب بساط من ادم وفيه لغات اربع هذه افصحها وبفتح نونه مع فتح
الطا وسكونها وبكسر نونه مع سكون الطا **قال سلمة فحزرته** بحاء مهملة وزاي معجمة
وراء مهملة اي قدرته بطريق الحدس والتخمين **كربضة العنز** براء مهملة مفتوحة وقيل
انها مكسورة لا غير لان المراد بيان الهيئة وموحدة وضاد معجمة من الربوض وهو كالجلوس
في الانسان والبروك للابل والجثوم للطير اي مقداره مقدار جثة عنز باركة على الارض او
تقريبا لموضع من النطع لموضع ربوضها **ثم دعا الناس باوعيتهم** اي طلب مجيئهم ومعهم
اوعيتهم لياخذوا مما اجتمع عنده وفي الحديث حتى ملوا ازودتهم قال المصنف في الاكمال كذا الرواة
عن جميع شيوخنا والازودة بمعنى الاوعية كما سميت الاسقية روايا وورد ايضا جاوا باوعيتهم
فما بقي في الجيش وعاء الا ملؤه مما اجتمع عنده **وبقي منه** اي فضل منه بقية بعدما اخذ
الجيش كفايتهم والمصنف اقتصر على محل الشاهد من الحديث لطوله وفيه انهم اكلوا حتى شبعوا
ثم حثوا في اوعيتهم وقبله انهم لما اصابهم قال له بعضهم لو امرتنا نحرنا نواضحنا اي ابلنا
فقال افعلوا فقال عمر ان فعلوا قل الظهر ولكن ادع بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجي بكف
ذرة والاخر بكف تمر والاخر بكسرة حتى اجتمع على النطع فدعا بالبركة وقال خذوا فاخذوا
كلهم وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله واني رسول
الله الحديث **وعن ابي هريرة** في حديث رواه ابن ابي شيبة والطبراني بسند جيد **امرني
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة** الصفة كل موضع في الدار
والمسجد وغيره يعتزل عن غيره للجلوس فيه وكان في مسجده صلى الله عليه وسلم محل كذلك
فيه المنقطعين عنده صلى الله عليه وسلم من فقراء الصحابة الاعراب وغيرهم كسلمان
وابي ذر قال ابو نعيم في الحلية كانوا نيفا وماية مما روي انه روي منهم نحو ثلاثين رجلا
يصلون مع النبي بلا اردية وهولاء هم صفوة خلق الله هنيئا لهم وانا اتوسل الى الله بهم ان
يجعلنا في بركتهم **فتتبعتهم** اي ذهبت لكل واحد منهم في مكان كان فيه لانهم في النهار قد
يتفرقون في المدينة لان كل احد لا يخلو من حاجة يذهب لها **حتى جمعتهم** عند النبي صلى الله
عليه وسلم **فوضعت** بالبنا للمجهول **بين ايدينا صحفة** بالرفع نايب الفاعل وهي
انا بين الصغير والكبير يعد للطعام **واكلنا ما شينا** حتى شبعنا وانتهت ارادتنا
للاكل **وهي مثل ما وضعت** جملة حالية اي وهي مملوة بما فيها كما كانت حين وضعها بين
ايدينا **الا ان فيها اثر الاصابع** اي اصابع من اكل منها وهذا تشبيه لحالها بعد الاكل
بحالها قبله فليس فيه تشبيه الشي بنفسه كما لا يخفى وكان اهل الصفة يسمون اضياف
الاسلام لان اكثرهم اعراب وقال اكلنا بضمير المتكلم مع الغير لان ابا هريرة منهم **وعن
علي بن ابي طالب** في حديث رواه احمد والبيهقي بسند جيد **جمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين رجلا** وهذا كان بمكة في ابتدا البعثة
منهم قوم هو في الاصل مصدر قام ثم صار اسم جمع للرجال خاصة لقيامهم بالامور
ياكلون الجذعة بفتح الجيم والذال المعجمة والعين المهملة وهي من البقر والغنم والمعز
ما تم له سنة وقيل انه في البقر ما دخل في الثالثة والمراد هنا الاول اي اقل ما يكفيهم
كما يقال لمن دونهم اكله راس ويشربون الفرق بين الفا والرا المهملة ويجوز تسكينها
وهو مكيال يسع ثلاثة اصع وهو ستة عشر رطلا كما تقدم اي يروبهم ما فيه وفي الفتح

هنا اختلاف ففي بعضها بني عبد المطلب منهم من ياكل جذعة وفي بعضها عبد المطلب منهم
قوم من ياكل الجذعة وفي بعضها منهم قوم ياكل وفي بعضها منهم قوم ياكلون وهذه اقرب وفي
التي قبلها قلق ما وقال التلمساني المراد بالجذعة جذعة الابل كما ورد مفسرا في بعض الروايات
وهي التي تدخل في الخامسة **فصنع لهم مدا من طعام** اي طبخه وسواه **فاكلوا حتى شبعوا
وبقي كما هو** ما موصولة وهو مبتدا خبره اي قبل الاكل والجملة صلة والمراد انه لم ينقص كانه
ما اكل منه **ثم دعا بعس** بضم المهملة وتشديد السين المهملة وهو قدح من خشب يروي الثلاثة
والاربعة والمعنى بعس من لبن طلبه من اهله لهم **فشربوا** من العس **حتى رووا** اي تم
شربهم منه **وبقي كانه لم يشرب** منه شي وتفصيله كما في الدلايل للبيهقي وغيره بسند صحيح
انه لما نزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين الاية قال صلى الله عليه وسلم ان بدات قومي
بها رايت منهم ما اكره فصمت فجاه جبريل فقال يا محمد ان لم تفعل ما امرك به ربك عذبك
فدعا عليا واخبره بذلك وبما قال له جبريل ثم قال له فاصنع طعاما واعد لنا عس لبن
ثم اجمع بني المطلب وهم نحو اربعين من اعمامه فلما اجتمعوا قدم لهم الطعام وقال كلوا بسم الله
فاكلوا ثم شربوا فلما اراد ان يكلمهم تفرقوا قال ابو لهب سحركم فتفرقوا ولم يكلمهم فلما كان الغد
فعل مثل ذلك فلما اراد ان يكلمهم تفرقوا وفي الثالثة قال يا بني عبد المطلب انه لم يجيكم
احد بافضل مما جيتكم به اني قد جيتكم بامر الدنيا والاخرة الى اخر الحديث والذي في البخاري عن
ابن عباس انها لما نزلت صعد على الصفا ونادى يا بني فهر يا بني عدي ويا بطون قريش
حتى اجتمعوا الخ ولعل ذلك تكرر فخص اولا ثم عم **وقال انس** في حديث رواه الشيخان واللفظ
لمسلم **ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ابتنى بزينب** بنت جحش ام المومنين وهو افتعال
من البنا وهو التزوج هنا ويقال بني بها وعليها **امره** اي امر النبي انسا **ان النبي صلى الله
عليه وسلم ان يدعو له قوما سماهم** اي عينهم باسمايهم **وكل من لقيت** بتا الخطاب ومن
منصوبة محلا بمقدر اي قال له ادعهم وادع كل من لقيته فهو تعميم بعد تخصيص لمن اعتنى به
فدعاهم او فقال فدعوتهم **حتى امتلا البيت** بالناس المراد به المنزل كله وقيل انه اراد به
الصفة التي فيه كما ورد مصرحا به والحجرة هي بمعنى البيت والغرفة وكان لكل زوجة من ازواج
صلى الله عليه وسلم حجرة تخصها واصل معنى الحجرة بقعة تفرز ببناء الحجر ثم عم **فقدم اليهم
تورا** بمثناة فوقية مفتوحة وواو ساكنة وراء مهملة وهو انا من صفر او حجارة كالاجانة
او كالقدح الذي يشرب فيه **فيه قدر مد من تمر** بيان لمدد وقد تقدم تفسيره **جعل** بالبنا
للمفعول **حيسا** مفعوله الثاني وهو بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية والسين المهملة
وهو تمر خلط بسمن او اقط ودقيق قال

الثمر والسمن معا ثم الاقط ・ او الدقيق الحيس لم يختلط

وقال ابن قرقول انه قيل انه تمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول اعرف واصل معنى الحيس
الخلط **فوضعه** صلى الله عليه وسلم والضمير للتور **قدامه** بين يديه **وغمس ثلاث اصابعه**
اي ادخلها فيه لتحصل البركة ولتطيب قلوبهم باكله معهم والسنة ان ياكل بثلاث اصابع
ففيه تعليم لهم **وجعل القوم يتغذون** بذال معجمة من الغذا بمعجمتين وهو اعم من الغدا بالدال
المهملة وفي مسلم انه دعا الناس بعد ارتفاع النهار فيصح ان يكون بالمهملة ايضا كما في المقتفي
ويخرجون من الحجرة **وبقي التور نحوا** تمييز او حال **مما كان** قبل الاكل منه لم ينقص نقصا كثيرا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكانوا احدا وثلاثين او اثنين وسبعين رجلا وهو شك من الراوي وقيل انه من
القصة في بيانه بصفته والراوي ادخل قصة في قصة وقيل يحتمل انه اتفق الشاذ من
الشاة والحيس الذي لام سليم كما سياتي وفي قوله بقي النور بحوز اي بقي ما فيه وفي رواية
اخرى في هذه القصة اي قصة وليمة زينب او مثلها فيما ذكر من الاطعام ان القوم كانوا
زهاء ثلثمائة اي مقدارهم وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال لي بعد ما شبعوا ارفع النور
من مكانه فما ادري حين وضعت بضم التاء للمتكلم اي احين وضعته او بتاء التانيث الساكنة
كالتي في قوله كانت بالتانيث باعتبار انه آنية اكثر ام حين رفعت بالوجهين وروي
لترفع بدل ارفع بلام الامر والخطاب والاول اولى وافصح وهذا حديث طويل في مسلم اختصره
المص اقتصارا على محل الشاهد منه وفي حديث جعفر الصادق عن ابيه محمد الباقر عن
علي بن ابي طالب جد والد محمد اعني زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي وهو حديث منقطع
كما رواه ابن سعد فان كان علي المذكور علي الاصغر فالحديث مرسل او معضل فهو ضعيف ان
فاطمة الزهراء طبخت قدرا اي طعاما في قدر ففيه تجوز او هو بتقدير مضاف اي طعام
قدر لغدائها بمعجمة وهو كل ما يوكل في اي وقت او بمهملة وهو ما يوكل اول النهار اي لاجل غدائها
وفي نسخة تتغذى به ووجهت عليا اي ارسلته لجهته والمراد بيته الى النبي صلى
الله عليه وسلم ليتغدى معها فامرها اي قال لها اغرفي من القدر فغرفت بالغين
المعجمة لجميع نسائه التسع المعروفة صحفة صحفة منصوب كتعلمت النحو بابا بابا والصحفة
اناء صغير معروف ثم له ولعلي ثم لها اي ثم غرفت له ولعلي ثم لها اي غرفت لنفسها ما تتغدى به
ثم رفعت القدر بعد ما غرفت لجميع من ذكر وانها لتفيض جملة وتفيض بفاء وضاد معجمة
من الفيض والمراد انه بعد ما غرف منه بقي مملوا بطعام كثير يسيل من جوانبه ببركته صلى الله
عليه وسلم وكانه بعث له ليجيها وياكل معها فلم يات وامرها بما ذكر لما فيه من مكارم الاخلاق
والايثار قالت فاطمة فاكلنا منها اي اكلنا كلنا من طعامها والضمير للقدر لانها مونثة
وقيل يجوز ان كثيرها وما بينها فالمراد ان فاطمة واهل بيتها اكلوا مما بقي في القدر بعد ما فرقته
ما شاء الله اي الذي اراده الله لنا او مدة ارادة الله ذلك وهو كناية عن كثرتم ذلك وامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر عمر بن الخطاب ان يزود اي يعطيهم ما يكفيهم
من الزاد اربعمائة راكب من احمس بزنة احمر بحاء وسين مهملتين بينهما ميم اسم قوم من العرب
وهم بطن من ضبيعة يقال لهم بنو احمس وهو من الحماسة وهي الشدة والصلابة ويقال لقريش
الحمس لتصلبهم في دينهم في الجاهلية فقال ما هي الا اصوع بفتح الهمزة وضم الواو ويجوز
ان تبدل الهمزة كما في الصحاح وهو اناء يشرب فيه ومكيال معلوم وهو جمع صاع قال ابن قرقول
فيه لغات صاع وصوع وصواع ويجمع على اصوع واصواع وصيعان وفي كثير من الروايات اي في الحديث
اصع بالمد والصواب اصوع انتهى وقوله والصواب اصوع غير مسلم واذا جاء نهر الله بطل نهر
معقل وهو مبني على عدم صحة الاستدلال بالحديث في العربية وهو على الاطلاق فاسد اي قال
عمر ليس التمر الذي عندي يكفي فانه اصوع قليلة فان الصاع مكيال يسع اربعة امداد والمد
رطل وثلث او رطلان عراقيان على اختلاف فيه كما تقدم والضمير اعني هي للاوسق وان تاخر لا
للوديعة كما في قوله تعالى ان هي الا حياتنا الدنيا قال الزمخشري هذا ضمير لا يعلم ما يعني به
الا ما يتلوه واصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا ثم وضع الضمير موضع الحياة لان الخبر يدل عليها

وبينها

وبينها ومنه قوله هي النفس ما حملتها تحمل وهي اي العرب تقول ما شاءت انتهى
قال ابن مالك وهذا من حسن كلامه وفيه كلام في شرح التسهيل لا يسعه المقام قال
صلى الله عليه وسلم لعمر اذهب وافعل ما امرتك به ولا تبال بقلة ما عندك فذهب عمر
فزودهم منه اي اعطاهم ما يكفيهم من التمر الذي عنده وكان اي التمر قدر الفصيل هو ولد
الناقة الصغير الرابض اي البارك على الارض وهو بيان لمقداره تخمينا من التمر سالما قدره
وبقي بحاله اي لم ينقص شيئا مع ما اعطاهم منه وهو من المعجزات من رواية دكين خبر مبتدا
ن مقدر وهذا الحديث من رواية دكين وهو بضم الدال المهملة وكاف مفتوحة ثم ياء تصغير ونون
ورواه العزفي بالراء بدل الدال وقال انه الصحيح ودكين هو ابن سعيد بالتصغير وقيل سعد
وقيل سعد المزني وقيل الخثعمي وله صحبة وهذا الحديث رواه ابو داود في الادب قال
اتينا النبي صلى الله عليه وسلم فسالناه الطعام فقال يا عمر اذهب فاعطهم فارتقى بنا
الى علية فاخذ المفتاح من حجرته ففتح والمسالة عن هذا الحديث ولم يروه غير ابي داود الاحمسي
نسبة لبني احمس قبيلة كما تقدم وهو صفة دكين ومن رواية جرير اي مثل رواية دكين
ولم يخرجه ومثله اي مثل المروي المذكور ما خرجه احمد والبيهقي بسند صحيح رواية
النعمان بن مقرن بضم الميم وفتح القاف وكسر الراء المهملة المشددة وقيل القاف ساكنة والراء
مخففة مكسورة وهو احمسي ايضا واحمس فخذ من مزينة وتقدم انهم من ضبيعة من نسل اد
بن طابخة وللنعمان سبعة اخوة كلهم صحابة هم النعمان ومعقل وعقيل وسويد وسنان
وعبد الرحمن ولم يسلم الرابع قال السهيلي بنو مقرن المزني هم البكاؤون الذين نزل فيهم ولا
على الذين اذا ما اتوك لتحملهم الاية الخبر بعينه بالرفع والنصب والباء مزيدة في التاكيد
يقال هذا عينه وبعينه كما ذكره وتلطف القائل متغزلا فقلت هذا قاتلي بعينه وحاجبه
وزيادة حاجبه فيه من كلام المولدين لتوهمهم اولانها مهمة انها الباصرة الا انه قال
في هذه الرواية اربعمائة راكب من مزينة فزاد قوله من مزينة وكذا رواه ابو داود في سننه
قيل واختلاف الروايات يدل على تعدد القصة وفيه شيء ومن ذلك اي من معجزاته في
حمل القليل كثيرا حديث جابر بن عبد الله الانصاري وهذا الحديث رواه البخاري في دين
ابيه بعد موته اي في قصته لما مات ابوه وعليه دين اراد اداءه لغرمائه وكان قد
حب بذل بموحدة وذال معجمة اي اعطى وهو مجاز بمعنى اراد بذله لغرماء ابيه جمع غريم وهو صاحب
الدين الطالب له من الغرام وهو الكلف ومنه قوله تعالى ان عذابها كان غراما اصل ماله اراد باصل
ماله بستان ونخل له كان يتقوت منه والمال في لسان العرب لا يختص بالنقود كما في
وشاع اطلاقه على الابل قديما كما يشير اليه قوله فلم يقبلوه لانه لا يفي بدينهم او لعدم
احتياجهم او لانه لم يكن مرضيا لهم ولم يكن في ثمرها اي الضمير الراجع له انث نظرا للمقالات
المراد بها هنا النخيل جمع نخل وهي تونث والثمر بالمثلثة واحده ثمرة ولا حاجة لجعله راجعا
للاموال المعلوم من قوله مال ولا الى تفسيره بالفوائد مطلقا ليشمل الالبان والنتاج كما قيل
ولا وجه له لما ستبينه في الحديث وقوله سنتين مثنى سنة وفي نسخة سنين بصيغة الجمع
والاول هو الصحيح كفاف دينهم بفتح الكاف بمعنى ما يفي به ويكفيه ومنه اللهم اجعل رزقي
كفافا اي مقدار الكفاية وبفتحها بمعناه الخيار وهو غير مناسب هنا كقراءة ثمر بمثناة فوقية
وانصح معنى وسنتين ظرف مستقر لا لغو متعلق بثمر بالمعنى المصدري حال من ثمر فجاء النبي

الألوكة www.alukah.net

صلى الله عليه وسلم تمرات ام يجذها بفتح وذال معجمة ويجوز اهمالها وكلاهما بمعنى قطع
الثمار وجمعها وجعلها بصيغة المصدر ببادر بموحدة تحتية ودال وراء مهملة جمع بيدر بوزن
حيدر وهو الموضع الذي يوضع فيه التمر لان يجف والبر ونحوه ليخلص من تبنه والكوم من الطعام
كالتمر والحنطة ونحوه ويصح ارادة كل منهما هنا والظاهر الثاني والبيدر هو الجرين والجرن
واهل العراق يسمونه انبر وجمعه انادر وفي المغرب يسمونه نادر وكانه غلط من الاندر
في اصولها اي جعلها كوما كوما في اصول الثمار وهي النخل والمراد انه كومه في حائطه غاله
حتى يعلم مقدارها فمشى فيها النبي صلى الله عليه وسلم وفيه مضاف مقدر اي في ارضها
او المراد ما بينها وفعل ذلك لتحصل البركة ويسمو ما فيها فدعا الله ان يبارك فيها فنمت وزادت
فاوفى منه غرماءه اي اعطاهم ما في البيدر مقدار حقهم بتمامه من قولهم اوفاه حقه ووفاه
فاستوفاه وتوفاه اخذه بتمامه وضمير غرماءه لابيه لعلمه مما تقدم او له لقيامه مقامه في اداء
دينه وفي نسخة غرماء ابيه وهي ظاهرة وفضل اي بقي منه تمر مما ادى كل ذي حق حقه وهو
مثلث الضاد والفتح افصح مثل ما كانوا يجذون بفتح المثناة التحتية وضم الجيم وتشديد الذال
معجمة او مهملة اي ما كانوا يقطعون من نخلها في كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم اي
بقي مثل ما اعطى غرماء ابيه وفيه زيادة كثيرة على ما في الرواية الاولى من ان ثمرها لا يفي بدينهم
في سنتين او سنين قال اي جابر وكان الغرماء يهود بالنصب خبر كان وهو ممنوع من الصرف
لانه علم لهذه الطائفة وقد ينكر وينون فعجبوا من ذلك اي مما راوه من كفاية تمرها وزيادته
مع انه كان لا يكفي في سنين وهو من معجزاته العظيمة وهذا الحديث في البخاري وغيره اقتصر
المصنف على محل الشاهد منه وكان ابو جابر استشهد باحد وترك عليه دينا كثيرا وله ست
بنات وكان الدين لرجل من اليهود ثلاثين وسقا فاستنظره جابر فلم ينظره فكلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم في ذلك فكلم اليهودي فلم يرض فامره رسول الله بما مر واتاه وطاف بيدره ثلاث
مرات وامره بان يجذ لهم فكال حتى وفى لهم ثلاثين وفضل سبعة عشر وفيه تصريح بان ماله
حديقة نخل وهذا مما وعدناك به فلا تكن من الغافلين وقال ابو هريرة في حديث رواه البيهقي
مسندا اصاب الناس مخمصة اي جوع كما مر فقال لي رسول الله هل عندك من شيء من جنس
الطعام ومن زائدة هنا لاطراد زيادتها بعد النفي والاستفهام وشيء مبتدا خبره مقدر كما ذكرناه
قلت نعم شيء من التمر قليل في المزود بكسر الميم وهو وعاء الزاد قال فاتني به فاتاه به اي بالمزود
او التمر فادخل يده في المزود فاخرج منه قبضة بفتح القاف وهي المرة كالضربة ارتبه القبض
من القبض وهو الاخذ بالكف وبالضم اسم المقبوض فبسطها اي وضعها مفتوحة مبسوطة متفرقة
ليعلم قلتها ودعا بالبركة اي بان يبارك الله فيها حتى تزيد ثم قال صلى الله عليه وسلم بعدما دعا
ادع عشرة من الناس فدعاهم فاكلوا حتى شبعوا من ذلك التمر ثم قال ادع عشرة كذلك اي
فدعوتهم فاكلوا حتى شبعوا وهكذا حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا وهذا يقتضي انه كان في بعض
غزواته وقد صرح به في بعض الروايات وسياتي ثم قال لي خذ ما جئت به لانه اطعمهم كلهم
وبقي ما جاء به كما كان وهو محل الاستشهاد فانه لم يرفعه وان ياخذ كلما اراد وقال له ولا تكفه ليبارك
فيه كما مر قال فاكلت منه واطعمت اهلي ومن اردت اطعامه مدة حياة رسول الله وفي مدة
حياة ابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان بن عفان فانتهب مني بالبنا للمجهول اي نهبه الناس واغاروا
عليه فاخذوه في زمن الفتنة فذهب اي عدم ولم يبق منه شيء ولولا ذلك لكفاه مدة حياته

لما فيه

لما فيه من البركة وفي رواية رواها الترمذي وحسنها في سننه عن ابي هريرة فقد
حملت من ذلك التمر الذي اعطانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اي جملته نحو لا مع
في اسفاري كذا وكذا كناية عن مقدار ما حمله من وسق بيان لكذا وكذا والوسق حمل بعير كما مر
في سبيل الله اي في اسفاري غازيا وسبيل الله الطريق الموصلة اليه فاذا اطلق فالمراد
به ما ذكر وفي رواية فلقد حملت بلام القسم وكان يعلقه خلف رحله وكان يقول اصبت
بثلاث مصائب لم اصب بمثلهن موت رسول الله وقتل عثمان وذهاب من ذكر وروي هذا الحديث
بطريق اخر قريبة مما هنا وذكرت بالبنا للمجهول وانث لان مثل هذه الحكاية اكتسب التانيث
من المضاف اليه في غزوة تبوك فان التمر كان بضع عشرة تمرة ذكره لانه ابلغ في المعجزة لغاية
قلته ومنه اي من تكثير الطعام ببركته ايضا حديث ابي هريرة الذي رواه البخاري
حين اصابه الجوع وعلمه منه صلى الله عليه وسلم فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم
اي طلب منه ان يتبعه فقال له اتبعني وكن ماشيا معي فتبعه فوجد لبنا في قدح في
بيته قد اهدي اليه صلى الله عليه وسلم وامره ان يدعو اهل الصفة ليكونوا تابعين
معه وهم فقراء المهاجرين الذين تقدم بيانهم فقلت ما موقع هذا اللبن فيهم وما مقداره
القليل كاف لهم كنت احق منهم لشدة جوعي وما علمه الرسول من حالي بان اصيب شربة
من ذلك اللبن اتقوى بها اي يكون فيها تقوية لضعف جوعي وليس هذا انكارا على النبي
صلى الله عليه وسلم لانه لا يليق بمثله فهو اما تعجب منه لما استغربه قبل مشاهدة الحقيقة
ومثله من الخواطر لا يؤاخذ بها وقيل غايته انه توهم انه ارتكب خلاف الاولى ولا حاجة لمثله
فدعوتهم الى النبي صلى الله عليه وسلم وبعد حضورهم امرني ان اسقيهم فجعلت اي شرع عت
اعطي الرجل منهم فيشرب بالنصب حتى يروى بفتح المثناة اي يروي عطشه ثم ياخذه
الاخر اي فيشرب حتى يروى وهكذا حتى روي جميعهم اي جميع اهل الصفة قال ابو هريرة
فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح الذي فيه اللبن وهذا القدح لصاحب اللبن الذي
اهداه او هو من اقداحه صلى الله عليه وسلم صب فيه اللبن الذي جاءه وقال لابي هريرة بقيت
انا تاكيد لضمير الفاعل ليعطف عليه قوله وانت اقعد فاشرب امره بالقعود لان الشرب
قائما من غير ضرورة مكروه فشربت ثم قال اشرب مرة اخرى وما زال يقولها اي كلمة اشرب
واشرب بالرفع اي وانا اشرب والجملة حالية حتى قلت لا اشرب نفي للشرب المامور به
واعتذر عن رده بقوله لا اشرب بعد هذا والذي بعثك بالحق لا اجد له اي للبن مسلكا
اي لم يبق في جوفي محلا خاليا يدخله وهو جواب القسم انه لم يكن تاكيدا للنفي قبله وما بعده
استئنافا او تعليلا له فاخذ صلى الله عليه وسلم اي تناوله بيده من ابي هريرة القدح فحمد
الله على ما انعم به من الزيادة وسمى فقال بسم الله وشرب الفضلة اي ما بقي منهم بعد
شربهم كلهم والحديث بتمامه في صحيح البخاري اقتصر المصنف على محل الشاهد كما هو دابه وفي حديث
خالد بن عبد العزى الذي رواه البيهقي مسندا عنه ولم يذكره اصحاب الكتب الستة و
وخالد هذا كما قاله البرهان هو ابن سلامة ابو خناش بخاء معجمة مضمومة ونون واخره شين معجمة
ونون مخففة وهو خزاعي وله صحبة وروى عنه ابن مسعود وقال التلمساني انه خالد بن
حزام بن خويلد بن اسد عبد العزى بن قصي هاجر الى الحبشة في المرة الثانية فمات في الطريق
وهو ابن اخي خديجة ام المؤمنين انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة بالنصب مفعول

شبكة الألوكة www.alukah.net

آخر بمعنى اعطى والنبي بالنصب ايضا مفعول اول واجزر اعطاه جزرة وهي شاة او نعجة
او كبش تعطى ليجزرها اي يذبح ولا يكون في الناقة فانه يقال اجزره وجزره اذا اعطاه جزوراً
الغنم الذبح كالركوب وهو معنى قول الجوهري يقال اجزرت القوم اذا اعطيتهم شاة يذبحونها
نعجة او كبشا او عنزا ولا يكون الجزرة الا من الغنم ولا يقال اجزرهم ناقة لانها قد تصلح لغير الذبح
انتهى وفي القاموس هنا كلام غير مهذب وقصة خالد هذه كانت بالجعرانة لما نزل عليه رسول
الله واستسبي ثم بعث له صلى الله عليه وسلم العمرة فارسله الى رجل من خزاعة كما في بعض الشروح هنا
وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة لاجلهم واطعامهم **فلا تبر عياله** بفتح المثناة الفوقية
وضمها وضم الموحدة وكسرها وفاعله ضمير الشاة يقال بره بموحدة ودال مهملة مشددة يبده اذا
فرقه وقال ابن القطاع بددت الشيء فرقته وابددتهم العطا فرقته فيهم وفي المحكم ابد العطا
بينهم اذا اعطى كل واحد منهم نصيبه على حدة وهو بيان لكثرتهم يعني ان الشاة اذا فرقت عليهم
لا تكفيهم وقوله **عظما عظما** اي اذا فرقت عليهم قطعة قطعة وعظمة بعد عظمة لا تكفيهم
لكثرتهم **وان النبي صلى الله عليه وسلم** بفتح همزة ان بالعطف على قوله انه اجزره الخ الذي هو
مبتدا تقدم خبره وهو قوله في حديث خالد **اكل من هذه الشاة** التي اجزرها خالد **وجعل
فضلته** اي ما بقي منها بعد اكلهم في دلو وهو وعاء من ادم وجلد يستقى به الماء فالمراد به هنا
جراب يشبه الدلو ويجوز ان يراد حقيقته لانه لم يكن معه وعاء غيره ودعا له اي لخالد
ويجوز ان يعود للدلو **بالبركة** اي بالزيادة ولفظه اللهم بارك لابي خراش **فنثر ذلك** الطعام
الذي في الدلو اي رماه **لعياله** بكسر العين قال الصاغاني في التكملة انه جمع عيل كجياد جمع
جيد وهو من يلزمه الانفاق عليه ويكون اسما للواحد كما استعمله الحريري في مقاماته وذكره
المطرزي في شرحه **فاكلوا وافضلوا** اي ابقوا بقية زادت عن كفايتهم ببركته صلى
الله عليه وسلم وبركة دعائه **فذكر خبره** اي خبر خالد او خبر ما ذكر من الاكل والزيادة **الدولابي**
فاعل ذكر وهو بضم الدال المهملة وواو ساكنة ولام والف وبا موحدة وهو اسم بلدة نسب اليها
وهو منقول من الدولاب بضم الدال وفتحها معرب دولب وهو الحافظ ابو بشر محمد بن احمد بن حماد
بن سعيد بن مسلم الانصاري الرازي الوراق المحدث الجليل صاحب التصانيف روى عنه
الكبار كالطبراني وابو حاتم وتوفي بين مكة والمدينة بالعرج في ذي القعدة سنة عشر
وثلثمائة ومولده سنة اربع وعشرين وفيه كلام مفصل في الميزان في ترجمته وله ذرية
مشهورة ولهم دولابي آخر وهو ابو جعفر بن الصباح صاحب السنن والمراد الاول كما ذكره البرهان
وغيره **وفي حديث الآجري** بالمد وضم الجيم وتشديد الراء المهملة منسوب للآجر المعروف
بالطوب نسب لعمله وهو ابو بكر بن محمد الامام البغدادي كما تقدم تفصيله في ترجمته **في انكاح
النبي صلى الله عليه وسلم** اي عقده نكاحها **فاطمة لعلي** اللام مزيدة للتقوية **انه** صلى الله
عليه وسلم **امر بلالا** ان يأتي **بقصعة** مملوة **من اربعة امداد او خمسة** من حنطة او غيرها
ويذبح جزورا بنصب يذبح بان مصدرية مقدرة وجزورا مفعوله وان يذبح معطوف على مقدر
كما اشرنا اليه او على امر بتقدير وامره ان يذبح والجزور بوزن الشكور راس من الابل ناقة او جمل
سميت به لانها ما يجزر اي هي مؤنثة سماعية وان عمت فنيها شبه تغليب فافهمه **لوليمتها**
الوليمة هي الدعوة لطعام يصنع في النكاح خاصة وتجمع على ولائم وهو مستحب **قال فاتيته
بذلك** الذي امر بجلبه من القصعة والجزور **فطعن في رأسها** ان كان الضمير للقطعة فرأسها

بمعنى اعلاها وان كان للجزور فهو ظاهر **وطعن فيها** ادخال يده فيها او مسها لتحصل البركة فيها
ثم ادخل الناس اي امر بدخولهم لياكلوا **رفقة رفقة** بالنصب اي حال كون دخولهم جماعة بعد
جماعة والرفقة بضم الراء وكسرها بمعنى الجماعة المترافقين المتصاحبين **ياكلون منها** جملة مستانفة
او حال مقدرة **حتى فرغوا** اي اكلوا جميعا الى ان شبعوا وفرغوا من اكلهم **وبقيت منها فضلة** اي
فضل منها ما زاد على اكلهم **فبرك فيها** وفي نسخة وبرك بتشديد الراء المهملة اي دعا بان يبارك فيها
ويجعل فيها البركة وهي الزيادة والنمو **وامر بحملها** اي بحمل القصعة بما فيها او بحمل الفضلة **الى ازواجه**
اي الى بيوتهن **وقال كلن واطعمن من غشيكن** بفتح الغين المعجمة وكسر الشين المعجمة اي
كل من ياتي اليكن من غير اهل البيت يقال غشيه غشيا وغشاه اذا اتاه اتيانا قد غشيه اي ستره
وفي حديث انس الذي رواه الشيخان بسنده **تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم** بعض ازواجه
وهي صفية بنت حيي في مرجعه من خيبر بمحل يسمى سد الصهبا قال انس **فصنعت امي** زوجة
والد انس **ام سليم** بضم السين مصغرا واسمها سهلة وهي زوجة ابي طلحة الخزرجية الصحابية
الصالحة العابدة وكان لها منزلة عند رسول الله **حيسا** وقد تقدم انه طعام يصنع من لبن
واقط وتمر وسمن يحاس اي يخلط بعضه ببعض **فجعلته** اي وضعته **في تور** بفتح المثناة الفوقية
وواو ساكنة وراء مهملة وهو انا من صفر او حجارة واسع رجراج كالصينية الفرنجية القصعة **فقال** هيت
بضم التاء وهو ضمير انس المتكلم **فقال ضعه على الارض وادع لي فلانا وفلانا** مما كان ثم
من كبار الصحابة وخصهما اشرفهما ثم قال **ومن لقيت** اي وادع كل من صادفته **فدعوتهم**
اي دعوت كل من عينه اولا ولم يترك دعوتهما اما لان قوله وفلانا وفلانا مختصر كناية عمن عينه
من القوم اولا الا انه اقتصر على قول **ولم ادع** اي لم اترك دعوة **احدا لقيته الا دعوته** كما امرني
به **وذكر انس انهم** اي من دعاهم **كانوا زهاء** اي مقدار **ثلثمائة** رجل فاجتمعوا ثمة **حتى ملؤا الصفة**
وهي موضع مظلل قدام البيت او بكة عليه فيه وليس المراد صفة المسجد المعهودة **والحجرة** وهي
البيت الصغير المفرز من الدار **فقال** لهم صلى الله عليه وسلم بعد اجتماعهم **تحلقوا** تفعلوا اي
اشتغلوا حول الطعام كالحلقة طائفة بعد طائفة من غير ازدحام **عشرة عشرة** يسعهم مكان
الطعام **ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام** الموضوع وهو الحيس الذي جاء به
فدعا فيه بالبركة **وقال ما شاء الله ان يقول** اي ما اراد الله من دعائه الذي علمه والهمه
لانه اسره فلم يسمعوه لانه من الاسرار التي خصه الله بها **فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال** صلى
الله عليه وسلم **لي** اي لانس **ارفع التور** بما فيه **فما ادري حين وضع** عنده قبل الاكل منه
كان الطعام اكثر ام حين رفع بالبناء للمجهول وفي بعض النسخ وضعت ورفعت واعلم ان هذا
الحديث ذكره بعينه عن انس قبل هذا فاعادته هنا تقتضي ان القصة صح عنده تكررها وانه
وقع مرة في تزوجه زينب بنت جحش والاخرى حين تزوج صفية وقد استشكل المصنف في
شرح مسلم فقال ما وقع في الحديث من ان تكثير الطعام كان في وليمة زينب التي نزلت فيها
آية الحجاب وتعقبه القرطبي بانه لا وهم فيه ولا مانع من الجمع بين الروايتين بان الذي دعوا
للخبز واللحم اكلوا وذهب منهم جمع وبقي آخرون يتحدثون فجاء انس بالحيس ودعا الناس كما
ذكره المصنف هنا وقال ابن حجر ايضا لا وجه لانكار تكثير الطعام في حديث الخبز واللحم فان
انسا قال انه اولم بشاة اشبعت الناس وما قدرها حتى تشبعهم وهم نحو الالف فالظاهر ان
المصنف رأى هنا تعدد القصة ولذا صرح بزينب اولا ولم يسمها هنا الى انها صفية الا انه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فيه توقف عندي من جهة اخرى فان وليمة صفية كانت في السفر وذكر الحجرة والصفة
ينافيه والحيس فيها اصنعه رسول الله لا ام سليم وما قيل من ان ام سليم اهدته له بعد قدومه
المدينة فرحا بتزوجه لا يخفى ما فيه من البعد وبعد كل كلام فكلام المصنف فيه اضطراب يحتاج
للتحرير واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة اي نبع الما من بين اصابعه وانفجاره
بدعوته وتكثير الطعام ببركته في الصحيح من الاحاديث وكتبها المعتمدة وقوله اكثر اشارة لضعف
بعضها وقد اجتمع على معنى هذا الفصل يعني تواصوا على ما يفيده المجموع بقطع النظر عن
كل واحد على حدة بضعة عشر من الصحابة تقدم ان البضع بكسر من الثلاثة الى التسعة مع
اختلاف في استعماله فيما فوق العشرين والصحيح جوازه لوروده في الحديث وقوله بضع
وعشرين درجة في فضل الصلاة وتفصيله مشهور رواه عنهم اي روى احاديث الفصل عن
الصحابة اضعافهم من التابعين ثم رواه عن الاضعاف من التابعين وتبع التابعين ۞
من لا يعد بعضهم بصيغة المجهول وفي بعض النسخ من لا يعد بالنون واكثرها اي اكثر احاديث
الفصول المشهورة الثلاثة في قصص مشهورة بحسب الرواية ومجامع مشهودة جمع مجمع
وهو محل يجتمع فيه الناس بكثرة قال الفرزدق ۞ اذا جمعتنا يا جرير المجامع
والمشهود من الشهود بمعنى الحضور وفيه تجنيس وموازنة بديعية وما يقع بين كثير من الناس
لا يمكن ان يكون غير واقع او منتقل ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق اي لا ينقل عن مثلها
الا الامور الصادرة المحققة ولا ضحك يمكن ان يسكت الحاضر في مجالس وقوعها والتحدث
بها وضمن الحاضر معنى السامع فعداه باللام في قوله لها على ما انكره منها مما خالف الواقع والله اعلم

فصل في كلام الشجر

الشجر ما قام على ساق واحده شجرة وما عداه نبات وقد يطلق على بعض النبات شجر
كاليقطين والحنطة والكلام ما يتلفظ به ويسمع ويجي بمعنى التكلم وتكليمه له باذ خلق
الله فيه نطقا ولما كان هذا امرا خارقا للعادة لم يقل ومن معجزاته فلا حاجة لذكره كما قيل
وشهادتها له بالنبوة من عطف الخاص على العام واجابته دعوته اي طلبه منها ان
تجي نحوه كما سياتي وله منها حديث رواه البيهقي والبزار والدارمي مسندا عن ابن عمر
وهو ما ذكره بقوله ثنا احمد بن محمد بن غلبون بفتح الغين المعجمة وسكون اللام وهو علم
ممنوع من الصرف للعلمية وشبه العجمة كزيدون وسعدون ومثله كثير في لسان اهل
المغرب الشيخ الصالح فيما اجازنيه عداه بنفسه لمفعولين وهو لغة حكاها ابن فارس ۞
في المجمل وتعدى باللام والبا والاجازة الاذن بالرواية عنه والكلام على انواعها ولغتها
مفصل في ابن الصلاح وحواشيه فلا حاجة لذكره هنا عن ابي عمر الطلمنكي بفتح الطاء
المهملة واللام والميم ونون وكاف تقدم الكلام عليه وعلى نسبته عن ابي بكر بن المهندس
المعروف بابن ابي طاهر والمهندس بوزن اسم الفاعل ويقال مهندز بالزاي وهو معروف
وليس في لغة العرب دال بعدها زاي والهندسة اسم علم معروف من الرياضيات وفي العرف
العارف باحوال البنا عن ابي القاسم البغوي نسبة للجمع ويقال بغا وهي قرية بين
مرو وهراة واصلها بغشور مخفف وهذا هو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان الامام
الحافظ الجليل البغدادي ابن بنت احمد بن منيع وليس هو البغوي المشهور صاحب المصابيح

والتفسير

والتفسير محيي السنة ومولد هذا في رمضان سنة اربع عشر ومايتين وتوفي ليلة عيد
الفطر سنة سبع عشرة وثلثمائة وترجمته في الميزان ثنا احمد بن عمران الاخنسي بتاء
النسبة لاخنس بخاء معجمة ونون وسين مهملة بوزن افضل وقيل انه اخنس بغير نسبة لقب له
وقيل انه مجهول وقيل هما واحد وتوفي في حدود الثلاثين ومايتين وكان ببغداد وفيه كلام ۞
حدثنا ابو حيان التيمي بحا مهملة ومثناة تحتية مشددة منسوب لتيم قبيلة مشهورة وهو
امام ثقة اخرج له الستة وتوفي سنة خمس واربعين ومائة وهذا الحديث منقطع فانه سقط بين
ابن عمران وابي حيان راو وهو محمد بن فضيل كما سياتي في كلام المصنف وتردد في تعيينه ومثله لا
يكون رجما بالغيب وكان صدوقا وثقة ردا على من طعن فيه عن مجاهد تقدم ترجمته عن ابن عمر
الصحابي المشهور قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا اي قرب منه من الدنو
منه اعرابي نسبة الى الاعراب وهم سكان البادية من العرب وفي النسبة اليه وهو جمع حقه
ان يرد لمفرده كلام مشهور فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اين تريد اي تقصد بمسيرك
وسفرك هذا قال الى اهلي اي اريد مكانا فيه اهلي ولم يعينه لانهم نزلاء رحاله وعداه بالى
لتضمنه معنى التوجه والارادة متعدية بنفسها وانما قدم سؤاله تانيسا له وازالة لما في نفسه
من مهابته لانه كان مهيبا لمن رآه وتوطية لقوله قال هل لك الى خير اي هل تنقاد وتنزع عن الحيرة
ما انت فيه قال وما هو اي الخير الذي دعوته له قال تشهد ان لا اله مخففة من الثقيلة
الا الله وحده حال لازمة اي متوحدا منزها عمن يشاركه في ذاته وصفاته وفي كونه معبودا
بحق وقوله لا شريك له تاكيد لوحدانيته بعد تاكيد وان محمدا عبده ورسوله قدم العبو
دية تنويها لنفسه عن الاطراء في مدحه قال الاعرابي من يشهد لك على ما تقول من دعوى الرسالة
قال هذه السمرة بفتح السين المهملة وضم الميم وراء مهملة مفتوحة وهاء وهي شجرة عظيمة ذات
شوك من الطلح واشار اليها لقربها منه وهي اي السمرة بشاطئ الوادي بشين معجمة والف وطاء
مهملة وهمزة بمعنى جانب وطرف والوادي الارض الواسعة المستوية من ودى بمعنى سال لجريانها
من المياه السايلة فاقبلت الفا فصيحة اي فدعاها للشهادة فاقبلت تخد الارض بمثناة
وخاء معجمة مضمومة ودال مهملة مشددة اي تشقها ومنه الاخدود وشقها لمشيها بعروقها التي
في جوف الارض ولولا ذلك لم تتحرك حتى وقفت بين يديه صلى الله عليه وسلم بان قامت
محاذية له قريبا منه فاستشهدها ثلاثا اي قال لها ثلاث مرات وطلب منها ان تشهد بانه
رسول الله وجملة تخد الارض حالية او مستانفة وانما كرر استشهاده تاكيدا للتقرير لما في قلب الاعرابي
فشهدت له بانه رسول الله الذي لا شريك له ولم يبين ما نطقت به لانه معلوم من السياق ثم رجعت
الى مكانها الذي كانت فيه وفي هذه القصة معجزات خلق الله في الجماد ادراكا ونطقا وحركة ارادية
بمجيئها وذهابها وقد وقعت على سبيل التحدي فحد المعجزة منطبق على كل واحد منها وفي حديث
رواه البزار مسندا عن بريدة بضم الموحدة وفتح الراء المهملة ومثناة تحتية ودال مهملة علم منقول
من مصغر البردة المعروفة وهو ابو عبد الله بن الحصيب مصغر حصب بمهملتين وموحدة وهو صحابي
اسلم قبل بدر وشهد الحديبية ومات بمرو خراسان غازيا في ايام معاوية او يزيد سنة اثنين
او ثلاث وستين هجرية سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية اي علامة ومعجزة تدل على
انه رسول الله حتى يؤمن به فقال له قل لتلك الشجرة مشيرا للشجرة كانت ثمة وهي تلك الشجرة
المذكورة في الحديث الذي قبله او غيرها رسول الله يدعوك بكسر الكاف اي يطلب منك المجي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اليه والحركة نحوه قال اي بريدة فدعاها فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها
اي مالت متمايلة او تحركت في جهاتها الاربع حتى تخلص عروقها من الارض ويمكنها الحركة نحوه ثم
فتقطعت عروقها المتمكنة في مغرزها وهو اما على ظاهره او المراد انها تخلصت وهذا هو الظاهر من قوله
ثم جاءت تخد الارض وتشقها تجر عروقها من خلفها وهذا يدل على انها لم تتقطع ولو تقطعت فسدت
ولم تبق نابتة بحالها وقيل انه معجزة اخرى مخالفة للعادة من بقائها بعد تقطع عروقها التي هي سبب
حياتها والجملتان حالان مترادفتان او متداخلتان والثانية مؤكدة للاولى ولذا لم تعطف عليها مغبرة
اي مسرعة في مشيها قال تعالى فالمغيرات صبحا ومنه الغارة على العدو وهو منصوب على الحال ايضا
حتى وقفت بين يدي رسول الله قريبا منه مواجهة له فقالت السلام عليك يا رسول الله
وفيه شهادة برسالته وتوقير له ولم يذكر انه رد عليها السلام لان السلام انما شرع تحية موجبة للرد
في حق البشر لانه امان وليست من اهله فما قيل من انه رد عليها السلام مكافاة لها لا وجوبا اذ ليست
مكلفة امر محتاج للنقل فكان عليه بيانه والسلام دعاء بالسلامة وقيل انه اسم هنا لله اي الله معك
حفيظ لك وفيه كلام ليس هذا محله ومغبرة اسم فاعل من الغارة وبعد الغين المعجمة مثناة تحتية وقيل
انه باء موحدة مشددة مكسورة وراء مهملة مخففة وقيل الغين ساكنة والباء مفتوحة مخففة والراء
مفتوحة مشددة من الغبار وهو حال من الفاعل المستتر او من العروق ولكل منهما ذهب بعضهم
قال الاعرابي مرها بضم الميم امر واصله اومرها مخفف فلترجع الى منبتها تفسير للامر ومنبتها
بكسر الباء موضع نباتها ويجوز فتحها فامرها فرجعت لمحلها فدلت عروقها اي ادخلتها في الارض
فاستوت اي انتصبت قائمة من غير ميل فقال الاعرابي لما رأى هذه المعجزة وآمن به ائذن
لي امر من الاذن بكسر الهمزة الاولى وسكون الثانية ويجوز ابدالها ياء اسجد لك مجزوم في جواب
الامر او جواب شرط مقدر اي ان تاذن لي في السجود اسجد لك فابى ذلك وقال له لو امرت احدا
ان يسجد لاحد اي لو جاز لي امر مخلوق بالسجود لمخلوق مثله لامرت المراة ان تسجد لزوجها
لوجوب طاعته عليها ولماله عليها من الحقوق الموجبة للتعظيم والخضوع والسجود والركوع لا يكون
لغير الله في ملتنا وقد قيل انه كان جائزا في الشرائع التي قبل شريعتنا بقصد التعظيم لا العبادة
ولذا قال تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا اذا كان الضمير ليوسف وكذلك سجود الملائكة
لآدم ثم نسخ هذا في شريعتنا وكان ذلك تحية الملوك عندهم ولذا طلب الاعرابي الاذن في تعظيمه
بذلك فنزهه عنه وكذلك الانحناء على هيئة الركوع نهينا عنه وعوضنا عن ذلك تحية الناس بالسلام
والمصافحة وقال الاعرابي لما نهاه عن السجود فائذن لي اقبل مجزوم في جواب الامر يديك
ورجليك تعظيما لك فاذن له في تقبيل يديه ورجليه وقبلهما وفيه دليل على جواز تقبيل
اليد والرجل من الفاضل للمفضول اذا كان ذلك لزهده وصلاحه او علمه وشرفه وليس بمكروه بل يستحب
اذا كان تعظيمه لامر ديني كما قاله النووي في الاذكار فان كان لامر دنيوي فهو مكروه وقد وقع في
احاديث كثيرة صحيحة تقبيل يد النبي صلى الله عليه وسلم وبهذا رد على المتولي من ائمة الشافعية
حيث اطلق القول بعدم جوازه وفي الصحيح اي في الحديث الصحيح او المراد صحيح مسلم لانه روى
هذا الحديث مسندا فيه في حديث جابر بن عبد الله الطويل بالجر صفة للحديث وصفه به
لتوجيه عدم ايراده بتمامه هنا ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصحرا لانه لم يكن
في بيته خلاء وهكذا سائر بيوتهم يقضي حاجته هو كناية عن التغوط اي ذهب لاجل ذلك
فلم ير شيئا يستتر به اي حائلا بينه وبين رؤية عورته يكتنفها فاذا بشجرتين اذا الفجائية

وان

والباء زائدة اي فاجأه بغتة من غير ترقب منه اي فاذا هو فالمستتر مقدر هنا في شاطي
الوادي بالهمزة اي طرفه وجانبه فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احديهما
اي توجه الى احدى الشجرتين حتى قرب منها فاخذ بغصن من اغصانها اي امسكه بيده
فقال للشجرة انقادي علي اي طاوعيني وميلي علي لتكوني ساترة له عن الاعين
باذن الله تعالى اي بتيسيره وتسهيله وارادته لا بقوة جذبي واذن الله يتجوز به
تجوزا مشهورا فانقادت معه اي طاوعته ومالت حتى سترته كما اراد وانما امسك غصنها
ولم يكتف بمجرد دعوتها كما في الحديث الذي قبله لان ذلك كان لاظهار المعجزة حتى يسلم
وهنا لم يقصد ذلك كالبعير المخشوش اي كما ينقاد البعير المخشوش لمن يقوده بسهولة وهو
اسم مفعول بخاء معجمة وشينين معجمتين وهو الذي يوضع في انفه خشاش بكسر الخاء والبعير
الذي يصعب قوده يخرق انفه ويوضع فيه شيء يذلل به فان كان عودا من خشب فهو خشاش
وان كان مفتولا من وبر ونحوه فهو خزام وان كان من نحاس ونحوه من المعدنيات فهو برة كما
قاله الخطابي وبهذا علمت موقع المخشوش هنا لان الغصن من جنس العود فلذا لم يقل المخزوم
وهي نكتة سرية لم ينبهوا عليها والتشبيه في السرعة والسهولة وفيه تشبيه الشجرة
بالبعير وهو واقع في كلامهم كعكسه في قوله في الابل

لمن تحمل قد انعلتها ثمارها • سفاين بر والسراب بحارها

والخشاش ماخوذ من قولهم خش بمعنى دخل لادخاله في الانف الذي يصانع قائده صفة
البعير وهو يطلق على الذكر والانثى كما مر والمصانعة مفاعلة من الصنع وهو العمل والمراد
به الملاينة وسهولة الانقياد مستعار من المصانعة وهي المداراة والاعطاء ولذا قيل للرشوة
مصانعة كما قاله الراغب وذكر اي جابر في حديثه هذا انه صلى الله عليه وسلم فعل بالاخرى
اي بالشجرة الاخرى التي كانت بالوادي مثل ذلك اي مثل ما فعل بالاولى بان امسك
غصنا منها حتى انقادت له بسهولة حتى اذا كان صلى الله عليه وسلم اي حل ووصل بالمنصف
بفتح الميم وسكون النون وفتح الصاد المهملة المخففة اي حل في وسط المكان بينهما اي بين
الشجرتين وهذا اشتمل له قال التئما بفتح المثناة الفوقية وكسر الهمزة اي انضما واجتمعا
علي باذن الله بتيسيره وارادته والالتئام الاجتماع ومنه التئام الجرح والاستتار من رؤية
العورة واجب اذا كان عنده من لا يغض بصره وهذا لا ينافي كون هذا معجزة له فان اللازم
الستر باي وجه كان وفي رواية اخرى لحديث جابر من غير طريق مسلم فقال صلى الله عليه وسلم
يا جابر قل لهذه الشجرة التي بشاطئ الوادي يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحقي بصاحبتك اي تحركي واذهبي مع الشجرة الاخرى وسماها صاحبة لكونهما في واد
واحد او باعتبار ما يؤول اليه من اللحوق والانضمام حتى اجلس لقضاء الحاجة مستترا خلفكما فزحفت
بزاي معجمة وحاء مهملة وفاء معجمة وفي نسخة فرجعت براء مهملة وجيم وعين مهملة حتى لحقت
بصاحبتها فجلس خلفهما بان جعلهما بينه وبين الناس قال جابر فخرجت احضر بضم
الهمزة وسكون الحاء المهملة وكسر الضاد المعجمة والراء المهملة اي اسرع في العدو من الحضر
بالضم والسكون قال الجوهري الحضر بالضم العدو ويقال احضر الفرس احضارا فاحتضر اذا
عدا انتهى وهو مضارع المزيد بمتكلم كاكرم يكرم وجلست احدث نفسي حديث النفس مجاز
عما يخطر بالبال من هذه الامور العجيبة والمنقبة الشريفة التي رآها وشاهدها من معجزاته

شبكة الألوكة www.alukah.net

وَاَمّا اسرع وعزالمسالكان يفعله من المبالغة في التستر وابعاد الناس عنه اذا قضى لشدة
حيائه حتى انه كان يذهب وهو بمكة لقضاء حاجته الى المغمس وهو مكان بينه وبين مكة نحو
ميلين ولذا تاذب ولم يسر على تؤدته حتى يقف صلى الله عليه وسلم ينتظر البعد عنه **فالتفت**
اي حولت وجهي وانا جالس الى جانبه لانظر ما حدث بغير الحدث **فاذا رسول الله** صلى الله عليه
وسلم اذا الفجائية اي فاجاني بغتة بغير انتظاري فابصرته **مقبل** اسم فاعل من الاقبال مرفوع
خبر رسول وفي نسخة مقبلا بالنصب على الحالية من مقدر اي جاء مقبلا والجملة خبر المبتدا او الحال ل
مؤكدة كولي مدبرا **والشجرتان قد افترقتا** وعادت كل واحدة منهما لمحلها وهي جملة اسمية حال
من الضمير المستتر في قوله مقبل **فقامت كل واحدة منهما على ساق** منتصبة في منبتها
مفارقة لصاحبتها والساق حقيقته فيما قام عليه الشجر وما لا ساق له فهو نجم ونبت فاذا ظهر
على وجه الارض فهو عشب فاذا غطى الارض فهو كلا كما فصله اهل اللغة **فوقف رسول الله**
صلى الله عليه وسلم وقفة يسيرة ينتظر لما اكرمه الله من مشي الشجر **فقال برأسه** اي حركها
هكذا فسره بقوله **يمينا وشمالا** منصوب على الظرفية اي في جانب اليمين والشمال وقال هنا
بمعنى مال اي ميل رأسه في الجهتين قال في القاموس قال ابن الانباري تجيء قال بمعان
تقول قال فاكل وقال فضرب وقال فتكلم وقال فقبل الى آخر ما فصله وقيل قال المجاز عن
الاشارة لاشتراكهما في الافهام وقيل انه اذن لهما في الرجوع الى مكانهما وهو لا يوافق قوله
فقامت كل واحدة منهما على ساق فتدبر **وروي اسامة بن زيد** في حديث اخرجه البيهقي
في الدلائل وابو يعلى بسند حسن عنه **نحوه** اي بمعنى الحديث الذي قبله **قال اسامة قال لي**
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه جمع مغزاة بمعنى الغزاة او محلها كاموه هل
استفهام منه حذف المستفهم عنه للعلم به واستهجان ذكره او لانه لم يسمعه او لم يفهمه او لم
يجد في اصله اي هل ترى مكانا لائقا بقضاء الحاجة واليه المشار بقوله **يعني مكانا لحاجة**
رسول الله الحاجة كناية عن الغائط والبول **فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس**
الباء سببية وفيه اي ما فيه موضع خال بسبب نزول الناس فيه فهو مملوء بهم **فقال هل ترى**
من نخل او حجارة مرتفعة يمكن ان يستتر بها كالنخل الذي يقضي الحاجة خلفه ويكون فيه
ستر ومن زايدة بعد الاستفهام **قلت اري نخلات** جمع نخلة **متقاربات** اي قريب
بعضها من بعض وهو مناسب للستر ولجلوس بينها وروى متكاربات بالكاف وهي لغة
بمعنى متقاربات والقاف تبدل كافا كثيرا وقرئ في الشواذ لا تكهر في لا تقهر ورأى
بصرية وكونها علمية بعيد فهي صفة نخلات منصوبة **قال انطلق وقل لهن** اي للنخلات
رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركن ان تأتين اي تجتمعن ويتزايد في مكن
ليكون استر له **لمخرجه** اي لمكان خروجه اليه لقضاء حاجته فيه **وقل للحجارة مثل ذلك**
اي مثل قولك للنخلات من امره صلى الله عليه وسلم ان يأتين لمخرجه وفي كلام اسامة لم يذكر
الحجارة اما لعدم الحاجة اليها مع النخيل او لانها لم تكن مرفوعة حتى تكون ساترة **فقلت ذلك**
لهن الفاء فصيحة اي فذهبت فقلت ما امرني به لهن **فوالذي بعثه بالحق** قسم اي
بالدين الحق **لقد رأيت النخلات يتقاربن** اي يدنوا بعضها من بعض **حتى اجتمعن**
في مكان واحد **والحجارة** بالنصب **يتعاقدن** اي يضم بعضها الى بعض حتى يصرن كالبنيان
المعقود بعضه ببعض **حتى صرن ركاما** بضم الراء المهملة اي بعضها فوق بعض **خلفهن** متعلق

بركاما والضمير للنخلات يعني ان الحجارة اجتمعت مع النخل وفي نسخة فجلس خلفهن فالضمير
للنخلات والحجارة **فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن** اي ترجع كل نخلة وحجر الى
موضعه الذي كان فيه اولا **فوالذي نفسي بيده** اي الله الذي روحي في قبضة تصرفه وارادته دنه
ان شاء ابقاها وان شاء اماتها والنفس لها معان مشهورة منها الروح وغاير بين القسمين تفننا
مع مناسبة الاول للمقسم عليه من ان له دينا حقا وهو رسول له معجزات منها ما ذكر ومناسبة
الثاني لحاله في ان من آمن بالله وخشيه لا يتكلم الا بالحق لا سيما فيما ذكر **لرأيتهن والحجارة**
بالنصب عطف على الضمير او هو مفعول معه والضمير للنخلات واللام في جواب القسم **يفترقن حتى**
عدن الى مواضعهن وفيه معجزات له صلى الله عليه وسلم في سعي النخل والحجارة بامره مرتين وخلق
الله فيها قوة تسمع وتاتمر بامره والحديث طويل وفيه معجزات اخر منها ان امرأة له بولد صغير لها
كان يصرع فتفل في فيه فلم يعد له ذلك وان امة اتت له بشاة فشواها اسامة فقال له ناولني
منها ذراعا ثم قال ذلك ثم قال له فقال اسامة لها ذراعان فقال لو سكت لم تزل تناولني
منها وكان ذلك في سفره للحج بمحل يسمى الروحا **وقال يعلى ابن سيابة** في حديث صحيح رواه احمد
والبيهقي والطبراني ويعلى بزنة يرضى علم منقول من المضارع وسيابة بفتح السين المهملة
وتشديد المثناة التحتية والف وموحدة تليها هاء اسم امه فنسب بالالف والا فهو مرة بن مروان
وقيل مرة بن وهب الثقفي وقيل انهما اثنان وهو صحابي بصري او كوفي وترجمته مفصلة في
الاصابة والرواية عنه نادرة وهو من اهل الشجرة **كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير**
بفتح الميم مصدر ميمي او اسم زمان او مكان قيل والاول اولى **وذكر نحوا من هذين الحديثين**
الذي قبله في ذهابه لقضاء حاجته وامره بالشجر غير انه قال **فامر ودِيّتين** تثنية ودية
بفتح الواو وكسر الدال المهملة والمثناة المشددة قبل الهاء وهي صغار النخل التي تخرج من اصول ل
كبارها فتنقل وتغرس وتسمى فسيلا وفراخا **فانضمتا** اي انضمت احداهما للاخرى كالذي
مر وفي رواية **اشاءتين** بفتح الهمزة وكسرها في بعض النسخ خطأ وشين معجمة والف ممدودة
وهمزة وتاء تانيث مثنى وهي من صغار النخل ايضا لكنها اكبر من الودية وهمزته الثانية منقلبة
عن ياء وقيل اصلية **وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين** وغيلان بفتح الغين
المعجمة وتحتية مثناة ولام ونون وهو غيلان بن سلمة بن معتب بوزن معلم بالتشديد بن
مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن معتب الصحابي الشاعر اسلم بعد الطائف
وتوفي آخر خلافة عمر وهو الذي اسلم وله عشرة نسوة وفي هذه الرواية لم تفسر الشجرتان
وعن ابن مسعود مثله في غزاة حنين اسم معروف وغزوة حنين كانت بعد الفتح بسنة
كما فصل في السير وضمير مثله راجع لما ذكر من امر الشجرتين **وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة** به
ايضا اشارة الى ما مر من الاختلاف في اسم ابيه كما سمعته آنفا وان سيابة اسم امه **وذكر**
اشياء آها **من رسول الله صلى الله عليه وسلم** اي ذكر ابن سيابة امورا خارقة للعادة من معجزات ته
شاهدها منه صلى الله عليه وسلم في تلك الغزاة **فذكر ان طلحة او سمرة** بفتح المهملة وضم
الميم نوعان من شجر البادية ذات شوك تسمى العضاة واو للشك من الراوي في تلك الشجرة هل هي
جاءت **فطافت به** اي دارت حوله وفي بعض النسخ فاطافت بهمزة قبل الطاء المهملة وهو
بمعناه يقال طاف واطاف وتطوف واستطاف بكذا اذا الم به ودار حوله واما كونه من الطوف
بمعنى الغائط ويقال منه ايضا طاف واطاف اذا ذهب الى البراز ليتغوط وانه استند الى الشجرة

مجازا فتكلف لا حاجة اليه وليس في هذا التجوز معنى حسن يرتكب لاجله وان كان صحيحا
بحسب اللغة ولا يناسبه قوله بعده **ثم رجعت الى منبتها** اي موضعها الاول الذي نبتت فيه
فقال صلى الله عليه وسلم انها اي تلك الشجرة **استاذنت ان تسلم علي** اي استاذنت ربها
ويجوز ان يكون هذا مجازا او المعنى انها طلبت من الله ان يعطيها قدرة كقدرة العقلاء من المشي
اليه والسلام عليه بالمقال لا بلسان الحال وهذا صريح في انه لم يكن للمنقوط كما قيل وفي حديث
عبد الله بن مسعود الذي رواه الشيخان مسندا **اذنت** بالمد بمعنى اعلمت وفاعله شجرة الآتي
في قوله **النبي صلى الله عليه وسلم** بالنصب مفعوله **وبالجن** متعلق به اي بحضورهم عنده واستماعهم
ليلة استمعوا له منصوب على الظرفية اي في الليلة التي استمعوا قراءته للقرآن **شجرة** وهذا دال
على انه لم يرهم عيانا في هذه القصة وانما كانوا عنده وهو لم يرهم وانما نطقت له شجرة واعلمته بحضورهم
واستماعهم وفي هذه القصة كلام سنفصله **وعن مجاهد عن ابن مسعود** في هذا الحديث الذي
رواه الشيخان **ان الجن قالوا له** صلى الله عليه وسلم لما اجتمعوا به **من يشهد لك** بانك رسول الله
قال هذه الشجرة ثم دعاها للشهادة فقال **تعالي** بفتح اللام وسكون اليا التحتية وهو امر من تعالى
يتعالى بالطلوع لمكان عال ثم عم وصار بمعنى اقبل مطلقا وكسر اللام قال كثير من النحاة انه لحن ولم
يرتضه الزمخشري وقال انه قرئ به في الشواذ وانه لغة وعليه قول ابي فراس وهو اسير سمع تغريد
حمامة شوقته لاوطانه ومعاهد اهله واخوانه حيث قال

اقول وقد ناحت بقربي حمامة ● ايا جارتي هل بات حالك حالي
معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى ● ولا خطرت منك الهموم ببالي
اتحمل محزون الفؤاد قوادم ● الى غصن نائي المسافة عالي
ايا جارتي ما انصف الدهر بيننا ● تعالي اقاسمك الهموم تعالي
تعالي تري روحا لدي ضعيفة ● تردد في جسم يعذب بالي
ايضحك ماسور وتبكي طليقة ● ويسكت محزون ويندب سالي
لقد كنت اولى منك بالدمع مقلة ● ولكن دمعي في الحوادث غالي

يا شجرة فجاءت امتثالا لامره اذ قال تعالي **تجر عروقها** لانها لما خرجت من محلها ما خرجت
عروقها التي كانت في داخل الارض فلما مشت انجرت خلفها **لها** اي لعروقها او للشجرة نفسها
قعاقع اي صوت قوي كصوت الرحا وهو جمع قعقعة وهي حكاية صوت الحركة من الاجرام الصلبة
وقيل يجوز ان يراد به صوت كلام جهوري لها ما ذا انطقها الله او الصوت من شق الارض كما مر انها
جاءت تخد الارض او صوت اصطكاك اعضائها وقال الحافظ العراقي في حديث مجاهد عن ابن مسعود
مرسل نقلا عن شيخه العلائي وابن الصلاح وذكر مجاهد مثل الحديث الاول اي ما يشابهه لفظا
ومعنى **او نحوه** اي قريبا منه وان لم يكن بينهما مشابهة تام ونحو يكون بمعنى مثل مطلقا ويكون بمعنى
ما يقرب منه وان لم يكن مثله وهو المراد هنا للجمع بينهما وقوله في اول الحديث ان الشجرة اعلمته
بالجن يقتضي انه لم يرهم وقوله بعده انهم قالوا له من يشهد لك يقتضي انه رآهم وخاطبهم ولا تناقض
فيه لان القصة تعددت وتحقيقه كما في كتاب آكام المرجان في احكام الجان انه صلى الله عليه وسلم
لما ايس من ثقيف رجع من الطائف لمكة فقام بنخلة يصلي جوف الليل فمر به نفر من الجن جن نصيبين
وسمعوا قراءته آمنوا وانوا قومهم منذرين كما اخبر الله عنهم بقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن
الخ وفي هذه القصة كما في الصحيحين لم يقرأ عليهم ولا رآهم وانما كانت الشياطين لما حيل بينهم

وبين

وبين السماء تفرقوا في الارض ليعلموا سبب ما حدث فمر به منهم من جاءه وهو راجع من
عكاظ وقد قام يصلي الفجر باصحابه فلما سمعوا قراءته قالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السما
فرجعوا واخبروا وانزل الله عليه قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن السورة كما قاله ابن عباس قال
البيهقي وهذا كله في اول الامر ولم يرهم ثم اتاه مرة اخرى داعي الجن فرآهم وقرا عليهم كما رواه ابن
مسعود وفي القصة الاولى لم يرهم وانما اعلمه الله بهم في الشجرة وروي انه قرا عليهم سورة الرحمن
فكانوا كلما قال فباي آلاء ربكما تكذبان قالوا ولا بشيء من آلائك نكذب فلك الحمد وابن مسعود
اعلم بقصة الجن من ابن عباس لانها كانت قبل الهجرة سنة احدى عشرة من النبوة وابن عباس طفل
وقال السهيلي انهم كانوا يهودا لقولهم من بعد موسى دون عيسى كما ذكره ابن سلام واختلف في عددهم
فقيل سبعة وقيل تسعة وفي مسلم انه قيل لابن مسعود هل صحب احد منكم النبي ليلة الجن
قال لا وكنا فقدناه ليلة فالتمسناه في الاودية فلم نجده وبتنا بشر ليلة فلما اصبحنا جاء
من قبل حرا وقال اتاني الليلة داعي الجن فذهبت معه وقرات عليهم القران وانطلق بنا وارانا
آثارهم ونيرانهم وذكر لنا ما امرهم به من الزاد وهذه غير الليلة الذي اعلمهم وذهب معه ابن
مسعود وخط له خطا وغاب عنه ثم عاد اليه وكانت بمكة وقد قال لاصحابه من احب منكم
ان يحضر الليلة امر الجن فليفعل فلم يحضر احد منهم غيري فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة
خط لي برجله خطا امرني ان اجلس فيه ثم انطلق حتى قام يقرا فغشيته اسودة حالت
بيني وبينه ثم انصرفوا مثل قطع السحاب الى الفجر ثم اتاني وفي هذه الرواية ان ابن مسعود
قال سمعت الجن يقولون من يشهد انك رسول الله الى آخر ما ذكر من قصة الشجرة وما هنا من اعلامه
لهم وخروجه معه الى آخره وما روي عنه من النفي وباتوا بشر ليلة يدل على ان قصة الجن
تعددت وقول البيهقي انها واحدة لا يمكن الجمع بين الروايتين ويعينه ما رواه ابو نعيم
في دلائله من ان القصة كانت بالمدينة بالبقيع وروى ابن الزبير انه حضرها بالمدينة فهذه
مرة ثالثة وذكر مثله عن بلال باحاديث مفصلة ثم قال دل مجموع الاحاديث ان وفادة الجن
عليه كانت ست مرات الاولى لم يشعروا بها والثانية كانت باعلى مكة في الجبال والثالثة
ببقيع الغرقد حضرها ابن مسعود وخط عليه والرابعة كانت مع ابن مسعود ايضا والخامسة
خارج المدينة مع الزبير والسادسة في بعض اسفاره مع بلال ولكل منها حديث مسند ان
اردته فانظر الكتاب المذكور فانه لم يصنف في معناه مثله ● اقول فيما ذكرناه معجزات
منها انقياد الجن له باختيارهم وهي اعظم من تسخيرهم لسليمان ● ومنها كلام الشجرة له ● ومنها
سعيها اليه وعودها لمحلها بعد خروج عروقها من منبتها وهو امر خارق للعادة وفي الحديث
فوائد تركناها هنا لا استحالة بالعظم ومنها ان غيره بعث للجن كموسى وانهم مكلفون ● وقد اختلف
هل بعث منهم رسول ام لا فقيل بعث منهم رسول يسمى يوسف وثمة فوائد اخر لا يسعها نطاق
البيان هنا **قال القاضي ابو الفضل** هو المصنف وهذا فذلكة لما تقدم بقوله **فهذا ابن عمر**
الى قوله **فقد اتفقوا على هذه القصة بعينها** يعني كلام الشجرة **او معناها** مما يدل على ذلك
وقد رواها عنهم اي عمن ذكر من الصحابة **من التابعين اضعافهم** لتعدد طرقهم والضعف
هو المثل والمثلان **فصارت من اشتهارها** اي اشتهار روايتها عنهم **من القوة حيث هي**
يعني انها نقلت عن كثير من الصحابة والتابعين حتى بلغت مرتبة التواتر المعنوي وصارت
في مرتبة قوية لا يشك فيها احد من العقلاء وحيث ظرف مكان مضاف للجملة وهي ضمير القصة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مبتدأ خبره محذوف تقديره هي معروفة مشهورة وذكر ابن فورك تقدم الكلام عليه
وعلى صرف فورك وعدمه وانه امام ثقة جليل القدر انه صلى الله عليه وسلم سار في
غزوة الطائف اسم بلدة قريبة من مكة كثيرة المياه والاشجار يقال ان جبريل اقتطعها
من ارض صنعا وهي المذكورة في سورة ن في قوله تعالى فطاف عليها طائف من ربك وهم
نائمون والطائف هو جبريل اقتلعها وطاف بها حول البيت ثم انزلها حيث هي كما نقله السهيلي
عن بعض المفسرين قال فلذا سميت بالطائف وهذه الغزوة كانت في السنة الثامنة من الهجرة
ليلا متعلق بسار وهو وسن بزنة حسن والوسن قريب من النعاس في فقه اللغة في
مراتب النوم اوله النعاس ثم الوسن ثم الترنيق ثم الكرى والغمض ثم التغفيق ثم الاغفاء
ثم التهويم ثم الغرار ثم الهجاع وهو الهجوع يعني انه نعس سائرا على دابته بحيث لا يرى ما في
طريقه ثم اعترضته سدرة اي وقعت اتفاقا ان شجرة في طريقه اتت دابته لها بحيث كادت
تمنعه عن سيره لسدها طريقه وهو لنومه لم يعدل عنها لطريق اخرى فانفرجت له نصفين
اي انشقت وتباعد بعضها عن بعض بحيث صار بينهما فرجة يمر فيها الراكب حتى جاز بينهما اي بين النصفين
وبقيت الشجرة كشجرتين على ساقين قائمة الى وقتنا اي الى زمن ادركه ابن فورك وهي هناك
اي في الارض التي هي فيها من الطائف معروفة لانها من آثار معجزاته ومن ذلك اي من معجزاته في الشجر
ما ورد في حديث رواه الدارمي وابن ماجة والبيهقي كما قاله السيوطي حديث انس ان جبريل
قال للنبي صلى الله عليه وسلم وراه حزينا جملة حالية اي وقد رآه محزونا لعدم طاعة
قومه له في اول البعثة اذ عرض نفسه على القبائل اتحب ان اريك آية اي معجزة تزيل حزنك
لانه اذا اطاع دعوته الجماد علم ان الناس ستطيعه ولكن تاخيره لحكم خفية قال نعم احب ذلك
لزوال حزني واعلم ان الله سينصرني ويلين قلوب قومي لاجابة دعوتي فنظر رسول الله الى شجرة
من وراء الوادي الذي كان مع جبريل فقال جبريل له ولم يدعها هو ليكون معجزة له لا لجبريل
كما توهم ادع تلك الشجرة اي مرها بان تاتي اليك فامرها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه
بمكان قريب منه ثم قال مرها فلترجع الى مكانها التي كانت فيه فامرها فعادت الى مكانها
كما كانت وعن علي نحوه قال السيوطي لم اجده عن علي وانما هو عن جابر ولم يذكر فيها اي في هذه
الرواية جبريل وكلامه له وانما فيه انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم ارني آية اي معجزة
ملزمة لمن رآها دالة على انى ستجاب دعوتي وينفذ بلاغي واللهم معناه يا الله كما فصل في
النحو فما ابالي من كذبني بعدها لانها معجزة قطعية لا يعتبر انكارها وجحدها عنادا اولا
ابالي يعني لا اعتد والتفت لما خالفها قال ابن فارس في المجمل اشتبه على اشتقاق لا ابالي
فرأيت قول ليلى الاخيلية ● تبالي رواياهم هبالة بعدما ● وردن وحول الماء بالجم يرتمي ●
اذ فسر التبالي بالمبادرة للاستقاء يقال تبالى القوم اذا تبادروا الماء عند قلته والنظار
بعضهم لبعض فقولهم لا ابالي به معناه لا ابادر الى اقتنائه بل انبذه ولا اعتد به انتهى فدعى
شجرة وذكر مثله من مجيئها ورجوعها بالنص كما مر وحزنه لتكذيب قومه له في اول امره
وطلبه الاية لهم اي لقومه المكذبين لانه على يقين من امره وعلمه بقدرة ربه وذكر ابن اسحاق
ما رواه في سيرة ورواه ابو نعيم والبيهقي عن ابي امامة باسناد من طريقين مرفوعا ومرسلا
ان النبي صلى الله عليه وسلم اري ركانة بضم الراء وفتح الكاف المخففة والف بعدها نون وهاء
وهو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المكي الصحابي الذي اسلم

عام

عام الفتح وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية سنة اثنين واربعين وكان شديد البأس س
قويا جسيما معروفا بالقوة في المصارعة بحيث انه لم يصرعه احد قط ولم يمس جنبه الارض
مغلوبا قط وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم صارعه فصرعه وانما مصارعته لرجل آخر
يقال له ابو جهل فلم يصح كما قاله المقدسي وكان قبل اسلامه يرعى غنما له بواد يسمى اضم بالمدينة وهو
من افتك الناس واشدهم فخرج صلى الله عليه وسلم يوما من بيته وتوجه لذلك الوادي
فلقيه ركانة وليس ثمة احد غيرهما فقال له انت الذي تشتم الهتنا وتدعو الهك العزيز الحكيم
ولولا رحم بيني وبينك قتلتك ولكن ادع الهك ان ينجيك مني اليوم وانا ادعوك لامر من وهو
ان تصارعني وتدعو الهك وادعو اللات والعزى فان غلبتني فلك من غنمي هذه عشرة تختار ها
فصارعه فغلبه فقال لم تصرعني وانما غلبني الهك وخذلني اللات والعزى وما وضع جنبي
على الارض احد قبلك ولكن عد فان صرعتني فلك عشرة اخرى فعاد فصرعه فقال له كما قال
اولا ثم عاد ثالثة فصرعه فقال له دونكها ثلاثين من غنمي تختارها فقال له لا اريد ذلك
ولكن ادعوك الى الاسلام فاسلم تسلم من النار فقال لا الا ان تريني آية فقال له ان اريتك
آية تسلم قال نعم وكان بقربه شجرة سمرة فقال اقبلي باذن الله فانشقت اثنين واقبل نصفها
حتى كان بين يديه ويدي ركانة فقال ارنيني امرا عظيما مرها فلترجع فقال ان امرتها
فرجعت اتسلم قال نعم فامرها فرجعت والتامت بنصفها ووقوعها من نصفها الآخر
فقال له اسلم فقال اكره ان تتحدث نساء المدينة وصبيانها باني انما اجبتك لرعب قلبي منك
ولكن الغنم فقال لا حاجة بها وانطلق فلقيه ابو بكر وقال له تخرج الى الوادي وبه ركانة فضحك
وقال ان الله عصمني وحدثه الحديث والحديث يقتضي جواز المصارعة لانهم قالوا انها بالمال
حرام كالمسابقة عليه والجواب انه لم يطلبه وانما اقره على مقالة ليريه انه رجا بها اسلامه
او انه من خصائصه وتحريمه ورده الغنم عليه قيل انه كان بعد اسلامه وصارعه هنا ثلاثا
وقيل مرتين وقيل انه كان صارعه بمكة ولم يسلم الا يوم الفتح مثل هذه الآية في شجرة دعاها ها
فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت كما سمعته آنفا في الحديث الذي ذكرنا
لك وعن الحسن في حديث رواه البيهقي مرسلا وهو الحسن بن علي رضي الله عنهما وقيل يحتمل
انه الحسن البصري انه شكى الى ربه من قومه في اوائل البعثة قبل قوة الاسلام واهله وانهم
يخوفونه كما قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك وهو عطف
تفسيري لان المراد انه شكى له تخويفهم له وانما شكى ذلك لانه خاف القصور في تبليغه ما ارسل
به فلا ينافي كونه على كمال يقين امر الله في رسالته كما توهم وهذا كان قبل الهجرة وقيل
وسأله آية ومعجزة يعلم بها ان لا مخافة عليه ان هنا مخففة من الثقيلة واصلها انه فاوحى
اليه ان ائت وادي كذا من اودية مكة فان فيه شجرة فادع غصنا منها اي غصنا وطرفا من
اطرافها يأتك مجزوم في جواب الامر ففعل اي اتى الوادي ودعى الغصن كما امر فجاء يخط
الارض خطا اي يشقها شقا وهذا يدل على انه غصن مع بعض ساق منها وهو بمعنى قوله فيما
تقدم تخد ويحتمل ان الطاء مبدلة من الدال المهملة وقيل المراد بالخط ما يشبه الذي يشبه
خط الكتابة كقول الابوصيري

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة ● تمشي اليه بلا ساق على قدم ●
كانما سطرت سطرا لما كتبت ● فروعها من بديع الخط في اللقم ●

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حتى انتصب بين يديه اي قام عنده فحبسه ما شاء الله اي جعله مدة من الزمان اراد ها
الله قايما عنده ثم قال ارجع كما كنت فرجع الى مكانه الذي كان فيه والتام باصله فقال
صلى الله عليه وسلم علمت ان لا يخالفه على بتسخير الجمادات لامتثال امري الدال على ان من
عصاه سيرجع كما كان عليه ونحوه منه اي فيما رواه البزار وابو يعلى والبيهقي بسند حسن
ما هو قريب مما ذكر في هذا الحديث مروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال عمر فيما رواه
اريني آية لا ابالي من كذبني بعدها اي لا اعتني واهتم به لاطمئنان قلبي وذهاب خوفي
وعن ابن عباس في حديث رواه البخاري في تاريخه والدارمي والبيهقي مسندا انه صلى الله
عليه وسلم قال لاعرابي ارايت بهمزة الاستفهام وتاء الخطاب بمعنى اخبرني وقل لي وهو
مجاز مشهور وراي فيه علمية او بصرية فاريد به لازمه كما بينه النحاة ان دعوت ان شرطية
اي امرت هذا العذق اشارة لعذق كان عنده وهو بكسر العين المهملة وسكون الذال المعجمة
والقاف وهو العرجون من النخلة وشماريخها كما بينه بقوله من هذه النخلة وقد يطلق على النخلة
نفسها ولا يناسبه قوله من هذه النخلة فلا وجه لتفسيره به هنا وقيل ان النخلة يقال لها عذق
بفتح العين اتشهد اني رسول الله اي اتؤمن بي وبما ارسلت به وتعترف بذلك قال نعم
اشهد بانك رسول الله فدعاه اي العذق بان امره بالمجيء اليه فجعل اي طفق وصار العذق
ينقز بفتح اليا المثناة التحتية وسكون النون وضم القاف وكسرها كما في المحكم ففي الاقتصار
على الضم قصور وآخره زاي معجمة ومعناه يثب صعدا وروى هذا الحديث مفصلا البيهقي
وقال ان الاعرابي من بني عامر حتى اتاه ووصل الى مكان عنده بقربه فقال له ارجع
فعاد الى مكانه الذي كان فيه وخرجه بالتشديد اي رواه بسنده الترمذي وقال
هذا حديث صحيح متنا وسندا والله اعلم

فصل

من معجزاته ما اشتهر في قصة حنين الجذع الحنين بفتح الحا المهملة ونونين بينهما يا
تحتية وهو صوت كالانين يكون عند الشوق لمن يهواه اذا فارقه ويوصف به الابل كثيرا قال
الجوهري الحنين الشوق وتوقان النفس تقول حن اليه يحن حنينا وحنين الناقة صوتها في
نزاعها الى ولدها والجذع بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة وعين مهملة وهو ساق النخلة اليابس
وقيل انه لا يختص به لقوله تعالى وهزي اليك بجذع النخلة وتعريف الجذع للعهد والمراد به جذع
كان قايما بالمسجد النبوي كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يستند اليه ويخطب قايما ولم
يكن له منبر فلما صنع له المنبر وخطب عليه سمع للجذع حنين لمفارقته وقال البرهان وغيره ان
الخبر به متواتر كذا قال المصنف وهذا الجذع من سواري المسجد النبوي وهكذا كانت سواريه كلها
وسقفه من جريد النخل ولا بدع في ان يخلق الله فيه حياة وصوتا كما قيل انه لا يلزم من سماع صوت
عنده ان يكون منه مما لا ينبغي ذكره وتعضد هذه الاخبار المذكورة في الفصل الذي قبل هذا
من كلام الشجر ومشيها اليه ان يقويها ويؤيدها وهو بعين مهملة وضاد معجمة من عضد اليد
وساعدها حديث انين الجذع الانين صوت المريض والانين والحنين متقاربان وقيل
الانين فيه زيادة امتداد الصوت وفي تعبيره اشارة الى حنينه لالم كما يحن المريض ولله
در الشهاب المنصوري في قوله

يا السنا فصحاء قد خرست * ان الجماد بفضله نطقا

واعلم

واعلم ان المصنف انما عطف الانين على الحنين لنكتة وهي ان حقيقة الحنين في الابل
عندها اذا فارقت اولادها ثم صار شايعا في مطلق الشوق ولو بالكلام كقوله

والمرء يشتاق الديار واهلها * وحنينه ابدا لاول منزل

واما الانين فانه مما لا يفهم كالتأوه وهو اي حديث الجذع مشهور منتشر اي شايع
بين الخلف والسلف والخبر به متواتر لكثرة طرقه الصحيحة ونقل جماعة له عن جماعة
لا يمكن تواطيهم على الكذب خرجه اهل الصحيح اي رواه مسندا اصحاب الكتب الصحيحة
كالبخاري ومسلم وابن خزيمة وابن حبان وما وصل الينا منها بطرق متعددة صحيحة يكون
متواترا حقيقة لاجماع من بعدهم على صحتها كما قاله ابن حجر ردا على ابن الصلاح في قوله ان
التواتر لا يكاد يوجد كما بينه في النخبة والمراد باهل الصحيح من التزم ان يورد في كتابه
الاحاديث الصحيحة عنده ورواه من الصحابة بضعة عشر تقدم ان البضعة من
الثلاثة الى تسعة فيما زاد على العقود مطلقا كبضعة وستين ونحوها على الصحيح عند
اهل اللغة وهو بكسر البا وفتحها منهم اي من الصحابة الذين رووه مرفوعا ابي بن كعب
كما رواه عنه الشافعي في مسنده وابن ماجة والدارمي والبيهقي وجابر بن عبد الله
كما رواه عنه البخاري وانس بن مالك كما رواه عنه الترمذي وصححه وعبد الله بن عمر
كما رواه عنه البخاري وعبد الله بن عباس كما رواه عنه احمد في مسنده باسناد صحيح على
شرط مسلم والدارمي والبيهقي وسهل بن سعد كما رواه عنه الشيخان وابو سعيد الخدري
بالدال المهملة كما تقدم في ترجمته رواه عنه الدارمي وام سلمة ام المؤمنين كما رواه عنها
البيهقي والمطلب بن وداعة بفتح الواو والدال المهملة والف وعين مهملة بعدها
هاء ابن الحارث بن صبيرة بن سعيد القرشي السهمي الصحابي من اسلم عام الفتح رواه عنه احمد
والزبير بن بكار كلهم يحدث بمعنى الحديث فجميع رواياتهم متفقة بحسب المعنى وكانه
اشارة الى انه تواتر معنوي لا اصطلاحي لما مر عن ابن الصلاح وقد علمت ما فيه قال
الترمذي صاحب السنن الامام المشهور وقد تقدمت ترجمته وحديث انس صحيح انما نص
على صحته لرجحانه عنده على غيره لا لنفي صحة غيره حتى ينافي ما مر من رواية اهل الصحيح
له او لان في بعض رجاله شيء وقال جابر بن عبد الله فيما رواه البخاري كان المسجد اي مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم بالمدينة مسقوفا اسم مفعول من سقفت البيت ونحوه اذا جعلت
عليه سقفا وهو معروف على جذوع نخل جمع جذع وقد تقدم بمعنى ان له سواري وضع السقف
عليها من النخل والاضافة بيانية فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب اي قام للخطبة
يقوم مستندا الى جذع منها وكان هنا تفيد التكرار لذلك كثيرا منه لان كان اذا كان
خبرها مضارعا تفيد ذلك في استعمالهم كقولهم كان حاتم يقري الضيف وقال الله تعالى
وكان يامر اهله بالصلاة وهو مما صرح به في كتب العربية والاصول وفي وجه دلالتها على
ذلك كلام مقرر مشهور لا حاجة لنا به هنا فلما صنع بالبنا للمجهول له صلى الله عليه وسلم
المنبر بكسر الميم من نبره بمعنى رفعه ورقاه لانه يرتفع القايم عليه به عن غيره سمعنا له اي
للجذع الذي كان يستند عليه في خطبه صوتا كصوت العشار بكسر العين المهملة وشين
معجمة والف وراء مهملة جمع عشراء كنفساء وهي الناقة التي اتى عليها من حملها عشرة اشهر وزال
عنها اسم المخاض ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد وضعها ايضا والمراد حوارها حين وضع

www.alukah.net

او عقبه نزاعا لولدها اذا لم تره وفيه مناسبة تامة هنا لما عرفته من ان الحنين اصله في الشوق المتشبه لشدته وانه لحزنه على مفارقته كما انه في الشوق كذلك ويزيده حسنا ان الشوق تشبه بالنخل فليس المقصود تشبيه ممنوع بمسموع فقط كما قيل **وفي رواية انس** انه صلى الله عليه وسلم قعد على المنبر جاز الجذع **حتى ارتج المسجد** بهمزة الوصل وسكون الراء المهملة وفتح التاء الفوقية وتشديد الجيم مطاوع رجه فارتج اذا تحرك حركة شديدة واضطرب وهو بتقدير مضاف اي اهله او هو على ظاهره بان تحرك حيطانه وجدرانه لشدة صوته اما حقيقة او لظن ذلك من هو فيه **لخواره** بضم الخاء المعجمة وفتح الواو وبعدها الف وراء مهملة بوزن فعال وهو بناء مطرد في اسماء الاصوات والخوار في الاصل كما قاله الراغب يختص بصياح البقر ثم توسعوا فيه في اصوات جميع البهائم وفي بعض النسخ جؤار بضم الجيم وفتح الهمزة والراء المهملة وهو بمعنى الاول وقال الراغب اليه يجأرون من جأر اذا افرط في الدعاء تشبيها له بجؤار الوحشيات كالظبا ونحوها انتهى والمعنى فيهما واحد اي صاح **وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به** البكاء ثم والنقص معروف وما موصولة والعائد محذوف اي رأوه بالجذع ورأى بصرية وكونها قلبية يحوج على بعد والمرئي حركته ونحوها والباء بمعنى في او سببية وفيه تجوز اي للذي رأوا آثاره بسببه اذ الصوت لا يرى ويجوز كونها مصدرية **وفي رواية المطلب** بن وداعة **حتى تصدع وانشق** عطف تفسيري لان حقيقة الصدع شق الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد يقال صدعته فانصدع وصدعته فتصدع ثم استعير منه صدع الامر اذا فصله كقوله فاصدع بما تؤمر ومنه صدع الراس لوجعه والصداع العجز وهو مبالغة في شدة صياحه كما صاح حتى تغلق ويجوز بقاؤه على ظاهره ويؤيد الاول قوله **فجاء النبي صلى الله عليه وسلم** اي نزل عن منبره واتى له **فوضع يده عليه فسكت** اي ترك خواره لما ازال الله بقربه ومسه له **وزاد غيره** اي غير المطلب وهو في رواية ابي بن كعب **فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر** فقد كفتل من الفقد وهو العدم بعد الوجود فهو اخص من العدم والمراد بالذكر ذكر الله او الموعظة او القرآن ويجوز كونه نفس النبي لانه اطلق عليه الذكر ايضا **وزاد غيره** اي غير الغير ومن ذكر **والذي نفسي بيده** قسم بالله على عادته والنفس الروح هنا ويده معناه بقبضة قدرته وتصرفه حياته ومماته متى اراد **لو لم التزمه** هو افتعال من اللزوم وعدم الفراق ثم استعير للعناق كما في الاساس يقال التزمه اذا اعتنقه وضمه اليه **لم يزل هكذا** اي له صياح وخوار **الى يوم القيمة تحزنا على مفارقة رسول الله صلى الله عليه وسلم** والتحزن تفعل من الحزن والمراد به الزيادة لا التكلف **فامر به** اي امر بعض الصحابة بامره او بيده **فدفن تحت المنبر** وانما امر بذلك لئلا يشتغل به الناس وربما افتتن به بعد العصر الاول وفيه اشارة الى انه سينبت في الجنة كما سيأتي ان بعض اغصان الاشجار وقطعها اذا دفن نبت وطلع من الارض واعلم ان سواري المسجد في زمنه معدودة مفصلة في تاريخ المدينة كهيئة جرمه ومنبره صلى الله عليه وسلم كان من خشب اثل الغابة والاثل بالمثلثة شجر معروف والغابة اسم موضع بالمدينة فيما تجاوره وفي النجار الذي صنعه له اقوال فقيل انه قبيصة المخزومي وقيل انه غلام للعباس اسمه صباح وقيل هو غلام اسمه باقوم او باقول باللام ۵

غلام

غلام سعيد بن العاص وقيل هو تميم الداري وقيل غلام لسعد بن عبادة وقيل انه غلام امراة انصارية وقول الكرماني انه غلام لعائشة لا مستند له فيه وقيل انها عائشة الانصارية وقيل هي من بني ساعدة وكان وضع منبره في السنة السابعة وقيل الثامنة من الهجرة وعلى القول بانه تميم تكون التاسعة لانه اسلم سنة تسع الا ان يقال عمله قبل اسلامه وهو اول منبر في الاسلام وكان درجه ثلاثا ومن قال اثنين اسقط محل قيامه وقيل انه كان اكثر من ثلاث وكان طوله اكثر من ذراعين وعرضه ذراع وطول صدره وهو مستنده ذراع ورمانتاه اللتان يمسكهما بيده الكريمة في مقامه ولما حج معاوية رضي الله عنه كساه قباطي ثم كتب مروان وهو عامله على المدينة فرفعه وزاد عليه ست درجات فصارت تسعا ثم لما قدم جدده بعض بني العباس واتخذ من اعواده القديمة امشاطا يتبرك بها الى آخر ما فصل في تاريخ المدينة **كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحاق عن انس** وفي بعض النسخ هنا وفي بعض الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره او جعلت في السقف انتهى وضمير دفنت وجعلت على هذه الرواية لاعواده او لتاويل الجذع بالخشبة واسحاق المذكور هو ابن عبد الله بن ابي طلحة الانصاري اخرج له الستة وتوفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة من الهجرة وكونه دفن تحت المنبر على ظاهره او تسمح فيه لانه قيل انه دفن في يسار المنبر وروي انه دفن بالمسجد **وفي حديث ابي فكان اذا صلى النبي صلى اليه** اي استقبله وجعله كالسترة للمصلي من المارين **فلما هدم** ببناء المجهول والهدم والهد نقض البناء ونحوه **المسجد** اي مسجده صلى الله عليه وسلم وهدمه كان في زمن عمر لان بناءه في عهده صلى الله عليه وسلم لم يكن بالحجارة ثم هدمه عثمان وزاد فيه كما ذكر في تاريخ المدينة **اخذه ابي** هذا لا ينافي ما مر من انه جعل في السقف او دفن تحت المنبر او في المسجد تقربا منه لجواز وضع النبي له تحت المنبر ثم رفع في السقف لئلا يداس بالاقدام تكريما لانه الرسول ثم حين الهدم اخذه ابي بن كعب **وكان عنده الى ان اكلته الارض** ووقع في رواية الارضة بفتحات وهي دويبة صغيرة تاكل الخشب وغيره من النبات والكتب وهي العثة وقال الامام المزي ان هذه الرواية هي المشهورة عند المحدثين وما ذكره المصنف صحيح والارض فيه اما بمعناها المشهور لانها تبلي ما يدفن فيها فاستعير له الاكل او هو بتقدير اي دابة الارض وهي تلك المتقدمة بعينها او مصدر ارض بارض ارضا اذا اكلته الارضة وبه فسر قوله تعالى دابة الارض تاكل منسأته كما ذكره السيوطي ولابن عنين

يا اهل مصر وجدت ايديكم * عن بسطها بالنوال منقبضه

لما عدمت النوال عندكم * اكلت كتبي كانني ارضه

فليس في كلامه ما يعترض به عليه كما توهم قال القسطلاني فان قلت هذا يخالف قوله لو لم التزمه بقي هكذا الى يوم القيمة وكيف يتصور هذا مع قوله كل من عليها فان قلت هذا وقع على طريق المبالغة كقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط وان لم يقع وهذا مما لا حاجة اليه وبقاؤه على ظاهره لا مانع منه فانه علق بقاءه على عدم فعله به ما فعله فاذا فعله تغير وفني وقد علم الله بما ذكر **وعاد رفاتا** عاد هنا بمعنى صار لا بمعنى رجع لانه كان عليه وهو احد معنييه كما بين في كتب اللغة وغيرها والرفات بوزن غراب براء مهملة وفاء ومثناة فوقية كالفتات وهو ما يكسر ويفرق **وذكر الاسفرايني** بكسر الهمزة وسكون

شبكة الألوكة
www.alukah.net

السين المهملة وفتح الفا والرآء المهملة والف بعدها همزة مكسورة ونون بلدة بالعجم
نسب اليها الاستاذ الامام الاصولي المتبحر في سائر العلوم المعروف بالزهد والورع وهو
ابو اسحاق لانه اذا اطلق فالمراد هو واذ لنسب لهذه البلدة غيره من الايمة كابي حامد وطاهر
بن محمد ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه اي دعا الجذع المذكور الى نفسه اي امره بان ياتيه
ويقبل ساعيا اليه وزاد لفظة نفسه لئلا يتحد ضمير الفاعل والمفعول بواسطة ودونها فانه
ممتنع في غير افعال القلوب وما الحق بها وقد اورد عليه نحو قوله وهزي اليك بجذع النخلة
وضمم اليك وقد اجيب عنه بما يطول وقد فصلنا في السوانح والمقام يضيق عنه هنا فجاء
يخرق الارض اي يشقها بمشيه فيها فالتزمه واعتنقه ثم امره بالرجوع لمحله فعاد الى مكانه
الذي كان فيه في المسجد وهذه زيادة منه لا يقال مثلها من قبل الرأي وهو امام ثقة على ان
هذا رواه الامام البيهقي في دلايله والحافظ ابو القاسم في تاريخه عن العباس كما في الشرح
الجديد ولو وقف عليه المصنف عزاه له وفي حديث بريدة علم منقول من تصغير البردة المعروفة
وهو بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الاعرج السلمي واختلف في كنيته فقيل ابو عبد
الله وقيل ابو سهل وقيل غير ذلك وهو صحابي اسلم حين مر به النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا
ثم قدم المدينة قبل الخندق ثم نزل البصرة واخرج له احمد في مسنده وغيره وليس هو بريدة
الاسلمي كما توهم فانه تابعي روى احاديث مرسلة فظن انه صحابي وله ترجمة في الميزان
فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم للجذع حين سمع حنينه ان شئت بتاء الخطاب خاطبه لما
علم ان الله خلق فيه حياة وادراكا ان اردك الى مكانك اردك الحايط هو في الاصل اسم فاعل
من حاطه اذا احاط به ودار به ثم نقل للبستان نفسه الذي فيه الشجر والنخل وهو المراد هنا
ولذا قال الذي كنت فيه تنبت لك عروقك بدل من قوله اردك او مستانف لبيان علة الرد
الى مكانه الذي نبت فيه ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة والثمر مثلثة واحده ثمرة
اي تعود لك خلقتك بتمامها ونضارتها وان شئت مفعوله مقدر اي غرسك في الجنة فقوله
اغرسك في الجنة جواب الشرط مجزوم فياكل اولياء الله من ثمرك معطوف على الجواب وهذا
مرتبط بقوله فالتزمه في الكلام الذي قبله فخيره صلى الله عليه وسلم بين الحياة الدنيوية
والحياة الاخروية ثم اصغى له صلى الله عليه وسلم بصاد مهملة وغين معجمة اي مال راسه
وقربها منه يستمع ما يقول اي ليستمع قوله وما يجيبه به وهو من الصغي بمعنى الميل يقال صغت
الشمس اذا مالت للغروب وصغيت الاناء وصغيته اذا املته واصغيت الى فلان ملت بسمعي نحوه
وحكى صغوت اليه اصغو صغوا وصغيت اصغى قاله الراغب فقال اي الجذع بل تغرسني
في الجنة اي تصيرني من غراس الجنة لا تغرسني بيدك فياكل مني اي من ثمري اولياء الله واكون
في مكان لا ابلى منه ابلى كافني لفظا ومعنى من البلا بالكسر وهو الفنا فاختار الحياة الباقية
كما يؤثر اهل الجنة واخيارها فسمعه من يليه اي سمع كلام الجذع والضمير الاول له والثاني يحتمل
عوده له وللنبي صلى الله عليه وسلم ويليه بمعنى يقرب منه وابلى بفتح الهمزة وضمها خطا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت بضم التاء للمتكلم اي جعلتك من غراس الجنة ثم قال صلى الله
عليه وسلم اختار دار البقا وهي الجنة كما تقدم على دار الفنا وهي الدنيا فكان الحسن البصري
التابعي الامام المشهور اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة يعني الجذع تحن الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم تقدم تفسير الحنين شوقا اليه مفعول مطلق لقوله تحن كحنت فقودا

اومفعول

او مفعول له والاول اولى لان قوله لمكانه لامه للتعليل ان لم يكن بدلا من قوله اليه وقيل
انه علة متداخلة فشوقا علة ليحن ولمكانه علة لقوله شوقا اي الخشبة اشتاقت لعلو مقامه ومه
وجلالة قدره وهي جماد وهذه معجزة له صلى الله عليه وسلم اعظم من معجزة موسى في العصا
واحيآء عيسى للموتى لان الشوق والكلام يستلزمان الاحيا عند الاشعري وان قيل ان مجرد
الصوت المسموع لا يستلزمه كما تقرر في محله فالمكان على حقيقته وهو الجنة او هو بمعنى
علو قدره وشرفه كما اشرنا اليه فانتم احق من الجماد بان تشتاقوا الى لقائه ونقل صاحب
القاموس انه استاذن سلطان اليمن في الحج وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم فكتب اليه
بكلام قال فيه انه صح في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لا يحل بالمومن اذ يمر عليه اربع سنين
ولا يتجدد له شوق للحج وزيارة سيد المرسلين وقد تجدد لي من الشوق ما ثبت عنه عن الطوق
وقد تضعضع الشن وتقعقع الشن فما هو لاعظم في جراب وقد بلغت دقاقة الرقاب
الى اخر ما قاله وقلت انا حين وقفت على ما كتبه هـ
لم لا احن الى المختار من اضم • والجذع حن اشتياقا بعد فرقته •
اني لا عجب من خشب مسندة • ما هزها الشوق حبا نالروضته •
والشوق نزاع النفس للشيء والهيجان اليه ونقل ابن عطية في سورة الكهف انه سمع الجوهري
الواعظ يقول كلب احب اهل الخير فنالته بركتهم وشرفته صحبتهم حتى ذكره الله في كتابه
فالخشبة تحن والجلد يجب وهذا عبرة لاولي الالباب وفقنا الله لما يقربنا اليه ورواه عن
جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص بتصغير عبيد فيهما وقيل انه حفص بن
عبد الله بلا تصغير قال البرهان والصواب الاول وهو حفص بن عبيد الله بن انس بن مالك
وهو يروي عن جده وروى عنه اصحاب السنن وقال ابو حاتم انه لم يثبت له سماع الا عن جده وايمن
الحبشي والد عبد الواحد بن ايمن مولى بن ابي عمرة المخزومي وقد وثقه ابو زرعة وقد تقدم فيه كلام
وان ابن حبان خلط في ترجمته وايمن منقول من افعل تفضيل من اليمن وهو البركة وابو نضرة بفتح
النون وسكون الضاد المعجمة وراء مهملة ووقع في بعض النسخ بصرة بباء موحدة وصاد مهملة وهو
تحريف وليس لنا ابو بصرة عن ابي نضرة واسمه جميل وليست له رواية عن جابر كما قاله الحافظ الحلبي
وابو نضرة الاول اسمه المنذر بن مالك بن قطعة العبدي البصري له رواية عن ابن عباس وغيره
واخرج له اصحاب السنن وله ترجمة في الميزان وكان فصيحا ثقة توفي سنة تسع ومايه وابن المسيب
سعيد الامام المعروف تقدمت ترجمته والدال تفتح وتكسر وسعيد بن ابي كرب بكاف وراء
مهملة وباء موحدة الهمداني وله ترجمة في الميزان وكريب مثله الا انه مصغر وهو ابن رشد بن مولى
بن عباس وابو صالح وهو ذكوان السمان وتقدمت ترجمته ورواه عن انس بن مالك الحسن البصري ي
وقد تقدمت ترجمته وثابت البناني وقد تقدمت ترجمته واسحاق بن ابي طلحة السابق ترجمته
ورواه عن ابن عمر نافع ابو عبد الله مولى ابن عمر الامام الثقة المشهور توفي سنة سبع عشرة
ومابة واخرج له الستة وابو حية بفتح الحا المهملة وتشديد المثناة التحتية واسمه يحيى الكلبي
الكوفي الامام الثقة والد ابي جناب يروي عن ابن عمر ولهم ابو حية آخر يروي عن علي وترجمته
في الميزان ورواه ابو نضرة السابق ذكره قريبا وابو الوداك بفتح الواو وتشديد الدال
المهملة ثم الف فكاف وهو جبر بن نوف البكالي له ترجمة في الميزان عن ابي سعيد الخدري
وقد قدمنا ترجمته وعمار بن ابي عمار مولى بني هاشم وهو ثقة اخرج له مسلم عن ابن عباس

الألوكة
شبكة
www.alukah.net

وابو حازم بحاء مهملة وزاي معجمة وهو سلمة بن دينار الاعرج المدني الثقة احد الاعلام اخرج له الستة وعباس بعين وسين مهملتين بينهما موحدة مشددة والف ابن سهل بن سعد الساعدي توفي سنة بضع عشرة ومائة وقد زاد على التسعين واخرج له اصحاب السنن عن سهل بن سعد ابو عباس المذكور روى عنه ابنه وغيره وكثير بفتح الكاف ومثلثة وراء مهملة ابن زيد الاسلمي ابو محمد المدني وله ترجمة في الميزان السابق ذكره وروايته كثيرة عند ليس لها ذكر في الكتب الستة كما قاله البرهان عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن ابيه عبد الله قاضي مرو وعالمها الثقة وترجمته في الميزان والطفيل بصيغة تصغير طفل عن ابي عن ابيه ابي بن كعب وكنيته ابو بطن لعظم في بطنه قال القاضي ابو الفضل وهو المصنف فهذا يعني حديث حنين الجذع حديث كما تراه يعني انه علم ما ذكره من كثرة طرقه عن الصحابة والتابعين وغيرهم اخرجه اهل الصحيح اي الثقات من المصنفين الذين التزموا في كتبهم رواية الاحاديث الصحيحة ورواه من الصحابة من ذكرناه في هذا الفصل وغيرهم من التابعين ضعفهم بكسر الضاد المعجمة لان كل صحابي روى عنه من طرق كما فصله فاذا ضممتهم الى من لم نذكره فاذا علمت هذا تحقق عندك القطع بصحته لتواتره ومن دون هذا العدد الذي ذكره يقع العلم اي يوجد العلم ويتيقن صحته فكيف به لمن اعتنى اي اهتم به وتتبع لهذا الباب من معجزاته صلى الله عليه وسلم والله المثبت بضم الميم والمثلثة المفتوحة وتشديد الموحدة قبل المثناة اي توفيق الثبات وعدم تقلب القلب نعمة من الله على عبده المؤمن فيثبته على الصواب وهو ضد الخطأ والله اعلم

فصل ومثل هذا

من حنين الجذع واشتياقه ونطقه في سائر الجمادات اي جميعها او بقيتها والجماد ما لا روح له ومثل مرفوع مبتدأ خبره ما بعده او فاعل لفعل مقدر اي ورد مثله وهذا يحتمل انه اشارة لجميع ما سبق من كلام الشجر وغيره واستشهد له بحديث رواه البخاري وهو ما اشار اليه بقوله حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي تقدم بيانه وترجمته ثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط بصيغة اسم الفاعل من المرابطة وهي الاقامة بالثغور بنية الجهاد وهو محمد بن خلف بن سعيد بن وهب المري توفي بالمرية قاضيا سنة ثمانين واربعمائة وكان متفننا في العلوم سمع من المهلب والوائلي وغيرهما حدثنا المهلب ابو القاسم والمهلب بصيغة المفعول هو ابن ابي صفرة وفي التكنية بابي القاسم وجوازه على الصحيح كلام مشهور تقدم بيانه ثنا ابو الحسن القابسي علي بن محمد بن خلف الحافظ المعافري كما تقدم حدثنا المروزي ابو زيد كما تقدم حدثنا الفربري تقدم بيانه وبيان نسبته على اللغتين في اسم بلده ثنا البخاري صاحب الصحيح وقد تقدم بيانه ثنا محمد بن المثنى وهو محمد بن المثنى ابو موسى العنزي الحافظ الثقة الورع توفي سنة اثنين وخمسين ومائتين وترجمته مفصلة في الميزان ثنا ابو احمد الزبيري بضم الزاي المعجمة وهو محمد بن عبد الله بن الزبير بن عمر الزبيري نسبة لجده وليس هو الزبير بن العوام بل هو كوفي مولى لبني اسد توفي سنة ثلاث ومائتين حدثنا اسرائيل بن يونس بن ابي اسحاق السبيعي الكوفي ابو يوسف الثقة اخرج له الستة وتوفي سنة اثنين وستين ومائة وترجمته في الميزان عن منصور ابو عتاب بن المعتمر السلمي من ائمة الكوفة عن ابراهيم بن يزيد النخعي عن علقمة بن قيس تقدم بيانه عن عبد الله بن مسعود قال اي ابن مسعود لقد كنا

مما

نعاشر الصحابة نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل جملة حالية اي في حال اكلنا مع رسول الله وفي غير هذه الرواية يعني رواية البخاري وهو رواية الترمذي عن ابن مسعود ايضا كنا ناكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه اي قوله سبحان الله وهذا مما يستانس به لان معنى قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده تسبيح حقيقي بلسان المقال لا بلسان الحال وانه يشهد له تذييله بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهو حديث صحيح حسن اخرجه الترمذي عن ابن مسعود ايضا من طريق آخر وفي قوله كنا دليل على تكرره انه وقع مرارا عديدة كما تقدم وفي هذا معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وكرامة للصحابة اذ سمعوا ما لم يسمعه غيرهم وهذه المعجزة اعظم من معجزة فهم منطق الطير والجبال لسليمان وداود وفي الدر المنثور للسيوطي ان كل شيء يسبح الا الكلب والحمار والتسبيح معناه تنزيه الله عما لا يليق به واهل الظاهر وقولوا الاية بلسان الحال كالزمخشري وجعلوه خطابا للمشركين ولذا قال لا تفقهون ولم يقل لا تسمعون وذكر المصنف هذه الرواية لما فيها من التصريح بانه كان معه صلى الله عليه وسلم ولبعض الشراح هنا كلام طويل لا طائل تحته وقال انس في حديث اخرجه ابن عساكر في تاريخه اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا اي مقدارا يملأ الكف وهو باطن اليد وقيل فيه مضاف مقدر اي ملء كف من حصى جمع حصاة وهي صغار الحجارة فسبحن في يد رسول الله من وضع الظاهر موضع المضمر تعظيما واشارة الى انه معجزة وفي نسخة في يده حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن اي وضعهن وهو استعارة شائعة في الاجرام الصغيرة كحصى الصبرة من الكيل واصله في المائعات كالماء في يد ابي بكر فسبحن جملة حالية ثم صبهن في ايدينا فما سبحن وفي قوله حتى سمعنا اشارة الى خفاء صوتهن وفيه دليل ظاهر على فضل ابي بكر على غيره وايماء الى خلافته ومعنى قوله فما سبحن انه ما سمع تسبيحهن او ان التسبيح لم يكن من الجماد دائما والاول اولى وروى مثله ابو ذر رواه الطبراني والبيهقي والبزار والمثلية في مجرد تسبيح الحصا فلا ينافي قوله وذكر انهن سبحن في كف عمر وعثمان وهذا الحديث عن ابي ذر في دلائل البيهقي قال كنت اتتبع خلوات النبي صلى الله عليه وسلم فرايته يوما خاليا فاغتنمت خلوته وجئته حتى جلست اليه فجاء ابو بكر فسلم ثم جلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء عمر فسلم وجلس عن يمين ابي بكر ثم جاء عثمان فسلم وجلس عن يمين عمر وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فاخذهن فوضعهن في كفه فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم اخذهن فوضعهن في يد ابي بكر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن فقال رسول الله هذه خلافة النبوة وهكذا اخرجه ابن القاسم في تاريخه مسندا عن انس وزاد فيه بعد عثمان ثم وضعهن في ايدينا رجلا رجلا فما سبحت حصاة منهن وفي رواية صبهن في ايدينا رجلا رجلا الخ وفي الشرح الجديد انه لم يذكر عليا فان كان تسبيحها في يد غيره مخصوصا بالخلفاء فهو خليفة كابنه الحسن ايضا واجاب بانه لم يكن حاضرا ثمة او لان خلافته اذ ذكرت الفتنة على ان مثله لا يشين مقامه مع ما له من المناقب اقول الظاهر ان هذه الواقعة تعددت لان رواية ابي ذر تقتضي انه لم يكن ثمة غيره وما في رواية البيهقي يقتضي انه حضرها جماعة من الصحابة لقوله رجلا رجلا وعلى كليهما لم يكن معهم علي وفيهما اشارة الى عدم امتداد خلافته واستقلاله وقال علي في حديث رواه الدارمي والترمذي بسند حسن كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

الألوكة
شبكة الألوكة
www.alukah.net

فخرج صلى الله عليه وسلم الى بعض نواحيها فاستقبله في بعض النسخ فاستقبلته
شجرة اي وقعت في مقابلة وجهه قريبا منه ولا جبل الا قال له كل واحد منهما السلام
عليك يا رسول الله باذن خلق الله فيه نطقا وان لم يكن معه حياة لانه لا تلازم بينهما ولكن
الظاهر انه كان فيه حياة ايضا وهذا كما قال ابن اسحاق كان في بدء النبوة تطمينا لقلبه
وتبشيرا له بانقياد الخلق له بعده واجابتهم لدعوته وعن جابر بن سمرة في حديث صحيح
رواه مسلم اني لاعرف حجرا بمكة يسلم علي اي يقول السلام عليك يا رسول الله وعن قال
السهيلي وغيره روي في المسندات ان هذا الحجر هو الحجر الاسود وهذا هو المأثور وقد قيل
انه حجر غيره وانه معروف الى الآن بمكة في محل يقال له زقاق المرفق والناس يتبركون به
ويقولون انه الذي كان يسلم على النبي وهذه المعجزة اعظم من معجزة داود في قوله والجبال
يسبحن معه لانه لم تسبح بيده وفي يد من اراده من امته وتسبيح الطعام اعظم منهما لانه
لم يعهد مثله والجبال قد وصفت بالخضوع والخشوع وتاكيده بان وتنكيره اشارة الى ان
لدينا ما خاصا به وانه حجر ليس كسائر الحجارة ولذا فسر بالحجر الاسود ولا يقال ما الفائدة
في ذكر حجر واحد وهو كان لا يمر بحجر ولا شجر الا سلم عليه وعن عائشة في حديث صحيح
رواه البزار في مسنده لما استقبلني جبريل الي نزل علي واتاني بالرسالة جعلت
اي صرت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله تشريفا له وتطمينا
وانما العموم من رسالته وامر يقضى به الحجر كيف ينكره البشر وعن جابر بن عبد الله في حديث
رواه البيهقي لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابتداء بعثته يمر بحجر ولا شجر
الا سجد له اي انخفض حتى مس الارض على هيئة السجود تواضعا له صلى الله عليه وسلم
وتعظيما له وتكريما كما سجدت الملائكة لآدم والسجود لغير الله انما يمتنع من البشر وهذا محمول
على السماع منه صلى الله عليه وسلم كما ورد التصريح به في الحديث السابق ومثله لا يقال
من قبل الرأي فلا حاجة الى انه علم من قبل الكشف وفي حديث العباس الذي رواه البيهقي
عن اسيد الساعدي اذ اشتمل عليه الضمير للعباس اي للحديث الذي ذكر فيه انه كان
في وقت اشتمل اي ضمه في ردائه له وبنيه وهم عبد الله وعبيد الله والفضل وقثم بملاءة
بميم مضمومة ولام وهمزة ممدودة وها وهي الازار والملحفة وقيل الملاءة الازار الذي له
شقتان فان شقه واحدة فهي ريطة براء وطاء مهملتين والجمع ملاء وريط ودعا لهم
اي للعباس وبنيه بالستر من النار الستر ما يمنع من رؤية المستور ويحجبه فهو مجاز
واستعارة لما يمنعهم من دخولها وعن ارتكاب ما يوجب العذاب بها وهو بفتح السين مصدر
ستره ثم شبه بغير التجوز في قوله كستره صلى الله عليه وسلم لهم اياهم بملاءته اذ قال
يا رب هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه فامنت
بفتح الهمزة والميم المشددة والنون اي قالت امين طلبا للاستجابة لدعائه اسكفة
الباب بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الكاف وفاء مشددة مفتوحة وهاء
وهي العتبة وما يطؤه الداخل من الباب ومن المجاز وقفت الدمعة على اسكفة عينه اي
جفنه الاسفل وهذا محل الشاهد من الحديث لنطق الجماد فيه وحوائط البيت جمع حائط
وهو معروف اي جدرانه المحيطة بجوانبه ونواحيه امين امين هو اسم فعل امر بمعنى
استجب وفيه لغات اشهرها مد الهمزة وتخفيف الميم وروي قصرها وتشديد الميم وفيه

لغة

كلامهم في التفسير واللغة مشهور وامين امين اما معمول المقدر اي وقالت امين او
لامنت لتضمنه معنى القول وتكريره اما على التوزيع اي قالت الاسكفة امين وللحوائط
امين ويحتمل ان كل واحد منهما كرر قوله آمين تاكيدا وتحقيقا للمقال اذ قد نقل عن مثله
وهذا الحديث بتمامه في دلائل البيهقي وفيه انه قال للعباس يا ابا العباس لا تفارق
انت وبنوك بيتك حتى آتيك فان لي فيكم حاجة وانتظروه فلما اتاهم قال كيف اصبحتم
قالوا بخير فقال تقاربوا تقاربوا فاجتمعوا فجمعهم معه في ملاءته وقال يا رب هذا
عمي وصنو ابي وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار الى اخر ما ذكر المصنف وفي دلائل ابي نعيم
انهم كانوا سبعة الفضل وعبد الله حبر الامة ابو الخلفاء وعبيد الله وعبد الرحمن وقثم
ومعبد وام حبيبة اختهم • وفيهم يقول عبد الله الهلالي (ش) •
• ما ولدت نجيبة من فحل • بجبل نعلمه او سهل •
• كستة من بطن ام الفضل • اكرم بها من كهلة وكهل •
• عم النبي المصطفى ذي الفضل • وخاتم الرسل وخير الرسل •
ومثل هذه القصة لحديث اهل الكساء في قصة المباهلة وهو جمع النبي صلى الله عليه وسلم
لخمسة من اهل بيته وهم النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسنان في كساء ويقال
ان جبريل كان معهم كما قيل (ش) • • •
• افضل من تحت الفلك • خمسة رهط وملك •
وقال الخالدي • اعاذني ان كساء النبي • كسانيه حبي لآل الكسا •
وقال ابو علي الحسن بن لمن وعمه بكساء ثم اخلفه •
• من غزل من هذا الكساء ونسج من • هل في عمان طرازه ام في عدن •
• ولاي وقت يعد ريح فترة • هبت وانظار الملت تختزن •
• ام ذا كساء الغر آل محمد • فالحسن عن بذل له ثم حسن •
وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس المشاهد فلا يقال عليه ان المشبه هنا اعظم من المشبه
به والمعهود في التشبيه عكسه كما قيل وعن جعفر بن محمد عن ابيه محمد الباقر بن زين
العابدين وقال السيوطي لم اجد هذا في كتب الحديث يعني المشهورة فلا ينافي اطلاع المصنف
عليه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق المذكور في اللغة الطبق
بمعنى الغطاء والمراد به هنا الوعاء مجازا لانه على هيئته فيه رمان وعنب الظاهر انهما
من ثمرات الجنة وكونه من ثمرات الدنيا وانه لو كان من الدنيا لم يعين لقوله اكلها دائم لا يلتفت
اليه كالبحث عن كونهما فاكهة او لا فاكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح اي فاراد الاكل منه
اذ دنا وله بيده لا بعد الاكل كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الآية ولم يذكر
هذا مع الطعام لكونه ليس من طعام الدنيا المعقود له فصله فلذا ذكر مع الجماد وهو مما لا
روح له مطلقا وعن انس بن مالك في حديث رواه احمد والبخاري والترمذي وابن ماجه
صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا بضمتين وقد يسكن ثانيه
وقيل ان تكسيره ضرورة وهو جبل معروف بقرب المدينة وقد قال صلى الله عليه وسلم
فيه انه جبل يحبنا ونحبه واخبر انه سيكون في الجنة فرجف بهم اي تحرك حركة شديدة
واضطرب واضطرابه اما لمهابته او لخوفه من الله او انه زلزل لما انفقت عند صعوده عليه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فقال اثبت احد بضم آخره من غير تنوين اي يا احد فامره بالثبات وعدم الحركة
وقد خلق الله فيه ادراكا وحياة اذ فهم كلامه وامتثل امره وهو محل الشاهد في هذا
الحديث اي ينبغي ان يكون فيك وقار وسكون لشرف من علا عليك ممن ينبغي عدم الاضطراب
المشوش عليهم فلذا قال فانما عليك نبي يعني نفسه وصديق يعني ابا بكر وشهيدان
يعني عمر وعثمان لانهما قتلا ظلما كما لا يخفى ورواه بعضهم وشهيد بالافراد وقال
لم يصف عثمان اختصارا او اقتصارا او لا وجه له وكل الشراح على خلافه وروي انه ضربه
برجله اي ركضه بها ومثله اي مثل الحديث الذي في احد ما رواه مسلم عن ابي هريرة في
حرا بالمد والقصر والتذكير والتانيث والصرف وعدمه وهو جبل معروف على ثلاثة
اميال من مكة وقد تقدم الكلام عليه وزاد في هذه الرواية على ما تقدم من ذكر علي وابي
بكر ومعه علي وطلحة والزبير وفي رواية سعد بن ابي وقاص بدل علي وقال في هذه
الرواية فانما عليك نبي او صديق او شهيد وهنا بمعنى الواو او للتقسيم واراد
بالشهيد ما يشمل ما فوق الواحد وبالشهيد المقتول ظلما مطلقا لان عمر قتله ابو لؤلؤة
غلام المغيرة الكافر وعثمان قتل يوم الدار واختلف في قاتله وعلي قتله ابن ملجم الخارجي
الشقي والزبير قتل بوادي السباع ظلما وطلحة اعتزل الناس فاصابه سهم فقتله فكلهم
قتلوا ظلما فهم شهداء حقيقة وحكما وروي انه قال اسكن حرا الحديث كما رواه مسلم والترمذي ي
ولم يذكر سعدا كما سياتي والخبر الذي رواه مسلم والترمذي عن ابي هريرة رواه الترمذي
والنسائي في حرا ايضا عن عثمان بن عفان قال عثمان في هذه الرواية ومعه عشرة
من اصحابه انا فيهم وزاد في رواية عثمان عبد الرحمن بن عوف وسعد ابن ابي وقاص
قال ونسيت الاثنين تتمة العشرة وهما طلحة وابن الزبير وفي حديث آخر رواه ابو داود
والترمذي والنسائي وابن ماجه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل احد العشرة المبشرة
وفي الصحابة سعيد بن زيد الانصاري الاسلمي وهو غير هذا لانه لا يعرف له رواية مثله
اي مثل حديث عثمان وذكر في هذه الرواية ايضا عشرة وزاد نفسه فيهم وقد روي
في حديث الهجرة المذكور في السير ولم يسنده السيوطي هنا انه حين طلبته قريش لما خرج
مهاجرا وارسلوا خلفه من يطلبه منهم قال له ثبير بثاء مثلثة مفتوحة وموحدة مكسورة
ومثناة تحتية ساكنة وراء مهملة جبل بالمزدلفة عن يسار الذاهب الى منى ولهم جبال
اخر تسمى ثبيرا كلها حجازية وسمي ثبيرا من الثبور باسم رجل كان يسمى ثبيرا دفن به فسمي
باسمه اهبط يا رسول الله اي انزل من ظهري واذهب الى مكان آخر تختفي به عنهم ثم علل
امره بالهبوط والنزول عنه الى مكان آخر بقوله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني
الله بالنصب معطوف على يقتلوك وانما خاف العذاب بسبب قتله لانه لو لم يذكر له ذلك
مع علمه بانه ليس فيه مكان يستره كان غاشا منه يستحق به العذاب ولانه قتل على ظهره
غضب الله على المكان الذي يقع فيه مثل هذا الامر العظيم كما غضب على ارض ثمود فلا يقال
انه كيف يعذب بذنب غيره ولا تزر وازرة وزر اخرى حتى يوجه بانه خوفه بمعنى حزنه
وتاسفه عليه ونحوه من التخيلات التي لا وجه لها كما قيل فقال حرا اسم جبل كما تقدم الي
يا رسول الله بتشديد الياء المفتوحة تقديره ايت الي او هو اسم فعل بمعنى اقبل وقال له
لانه الهمه الله اذ يقدره على ان ينشق له ويستتر في جوفه ونحو ذلك مما يقع به سلامته

صلى الله عليه وسلم وهذا كان قبل توجهه الى غار ثور الذي اختفى فيه عند الهجرة
وروي عن ابن عمر في حديث رواه مسلم والنسائي واحمد في مسنده وما ذكره المصنف هو رواية
احمد بلفظه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا على المنبر آية وما قدروا الله حق قدره
اي ما عظموه حق تعظيمه وما عرفوه حق معرفته قيل ان بعض احبار اليهود قال له يا محمد
ان الله يمسك السموات والارض يوم القيمة على اصبع والارضين على اصبع والجبال على
اصبع والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ويقول انا الملك انا الله فضحك
صلى الله عليه وسلم تصديقا له وتعجبا ثم قرا وما قدروا الله الاية ونحوه في جامع الترمذي
وقال الخطابي انه انكار لمقالته لتوهمه ان لله يدا حقيقية ذات اصابع وهو منزه عن
ولذا قال ثم قال اي النبي صلى الله عليه وسلم بعدما تلى الاية يمجد الجبار نفسه اي يعظم
وينزه ذاته وروي يحمد بالحاء المهملة من الحمد والثناء الجميل وفي ذكره الجبار وهو
صيغة مبالغة من الجبر وهو القهر ونفوذ الامر والنهي وفيه دليل على جواز اطلاق
النفس بمعنى الذات على الله وان لم يكن بطريق المشاكلة كما ورد في القرآن ايضا وليس من
قبيل قوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك فانه يشترط فيه المشاكلة لانه اطلا ف
آخر ومن اشترط ذلك مطلقا فقد وهم وهذا مما خفي على كثير من الفضلاء يعني المقصود من
الاية تعظيم كبريائه توفيقا لعباده على كنه جلاله فلذا قال انا الجبار انا الجبار
وكرره للتاكيد والتهويل انا الكبير المتعال اي المتعالي في عظمته عما يخطر بالعقول
وحذف الياء في الوقف وهو جائز اي انا الجليل المتكبر العالي الاعلى المنزه عن الجارحة وفيه
اشارة الى ان ما ذكر من الاصبع واليد والقبضة تمثيل لجلاله وقدرته وعظم ذاته فرجف
المنبر اي اهتز واضطرب من مهابة مقاله صلى الله عليه وسلم حتى قلنا اي قال من كان
حاضرا ليخرن اي ليقع النبي صلى الله عليه وسلم من شدة اضطراب المنبر او لينهدن المنبر
وهذا وما قبله من معجزاته انطق الجبل له وفهم المنبر كلامه وتحركه وهو محل الشاهد منه
وعن ابن عباس في حديث اخرجه الشيخان والبزار والطبراني وابو يعلى عن جابر وابن
مسعود ايضا كان حول البيت في الجاهلية وقبل الفتح ستون وثلاثمائة صنم اتخذ ها
قريش الهة يعبدونها من دون الله مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة اي قيدت
ارجلها ومكنت في الارض برصاص جعل عليها حتى لا تسقط وتزول من مكانها والرصاص
معروف قال الجوهري بفتح الراء والعامة تكسره انتهى فكسره كضمه لحن من العامة وكون ن
الاصنام حول الكعبة لا فوقها ورد في كثير من الروايات فلما دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم المسجد اي مسجد مكة المشرفة عام الفتح اي فتح مكة جعل اي شرع
وطفق يشير بقضيب وعصا كانت في يده اليها اي الى الاصنام المذكورة واليها
متعلق بيشير ولا يمسها بيده ولا بقضيبه لاستكراهه لها ولانه لو مسها لتوهم
ان سقوطها بشدة دفعه لها ويقول حال من فاعل يشير لا من فاعل يمسها كما قيل وان جاز
بتكلف اي قائلا جاء الحق وزهق الباطل والحق التوحيد والاسلام والباطل ضده
وزهوقه زواله واضمحلاله وزهقت نفسه خرجت فما اشار بالقضيب الى وجه صنم
اي ما هو على صورة وجه مقابل له الا وقع خر ساقطا لقفاه اي على قفاه واللام بمعنى
على كقوله • وخر صريعا لليدين وللفم • والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال

الألوكة
www.alukah.net

اي في حال من الاحوال الا حال سقوطه ولا اشار لقفاه الا وقع لوجهه اي اي
جهة اشار اليها من الصنم وقع على مقابلها حتى سقطت كلها وما بقي منها صنم قايم
اذ سقطت كلها والقفا مقابل الوجه وهو مقصود وثم مرة في لغة ضعيفة وقيل انه ضرب
والحاصل انها سقطت باشارته من غير ان يمسها واختلفت الروايات فقيل اشار بيده وقيل
بقوس وقيل بقضيب وقيل بعود وهذا فيما كان حول الكعبة واما ما كان في جوفها فامر
باخراجه ولم يدخل البيت حتى اخرجت منه ومحيت الصور التي كانت فيه ولم يتعرض له المصنف
مع انه في الصحيحين لان كلامه في اطاعة الجمادات له وهذه الاصنام كانت موثقة
بالرصاص لو ارادوا قلعها لم يقلعوها الا بعلاج شديد وقد سقطت باشارته من بعيد
فهو كتحريك الحجر من مغرسه فلذا اقتصر عليه المصنف واشار اليه بقوله مثبتة بالرصاص
ومثله اي مثل هذا الحديث ومعناه في حديث ابن مسعود الذي رواه الشيخان وقال ابن
مسعود في روايته فجعل يطعنها اي الاصنام المذكورة ويطعن بفتح العين كمنع يمنع
ويجوز ضمها والاول اشهر وافصح خلافا لمن عكس وقد تقدم الروايات فيما طعن به وهي
متقاربة والذي مر في الرواية السابقة انه اشار اليها من غير ان يمسها بيده وما فيها من
عصا ونحوها وهذه الرواية تقتضي انه مسها بالعصا ونحوها كالطعن لها فبينهما اختلاف
ولذا فسر بعضهم طعنها باشارته اليها من غير مس وهو خلاف الظاهر وقيل انها كانت كثيرة
فاشار لبعض منها وطعن بعضها فلا تعارض في الروايات ويقول معطوف على قال
بتقدير وهو يقول جا الحق اي الدين الحق والتوحيد او وعد الله بفتح مكة وما يبدي
الباطل وما يعيد الابداء الايجاد ابتداء من غير سبق ايجاد آخر والاعادة الايجاد
مرة بعد مرة وما هنا يجوز فيها ان تكون نافية اي ان الشرك هلك واضمحل واستفهامية
استفهاما انكاريا وهو بمعنى النفي ايضا فالمعنى واحد وانما ذكر حديث ابن مسعود لانه
في الصحيحين وقدم الاول لانه اوفق بمراده هنا وفيه زيادة ثقة وهي مقبولة
ومن ذلك اي مما ذكر من امر الجمادات حديثه الذي رواه الترمذي والبيهقي مع الراهب
وهو بحيرا واسمه جرجس ويقال جرجيس بيا من عبد القيس نصراني تيما او بصري
وهو ممن آمن به قبل بعثته ولذا عده بعضهم من الصحابة كورقة بن نوفل وفي المسئلة
اختلاف ذكره البرهان في النبراس وغيره وقيل انه حبرا يهودي واسمه بفتح البا مقصور
ويروى ممدودا ايضا وتسميته راهبا لو بل نصرانيته لان الرهبانية وهي الزهد في الماكل
وغيره لشدة رهبته اي خوفه معروفة فيهم كما لا يخفى في ابتدا امره صلى الله عليه وسلم
اي وهو صغير السن لم يبعث اذ خرج تاجرا اي لاجل التجارة مع عمه ابي طالب واعترض
عليه فانه لما خرج مع عمه كان عمره تسع سنين وقيل اثني عشر ولم يكن تاجرا وانما تعرض
لعمه وهو خارج وقال له تتركني وليس معي احد فاخذه معه وانما خرج تاجرا بعد ذلك
مع ميسرة غلام خديجة وميسرة هذا لم يذكر في الصحابة وقد مات قبل البعثة وفي
هذه الخرجة لقي راهبا اخر وهو نسطورا وقصته مشهورة ايضا ففي كلام المصنف ما لا يخفى
وما قيل في الجواب من انه كان تاجرا حال من ضمير عمه او حال من ضميره صلى الله عليه وسلم
المستتر في خرج وجعله تاجرا لمجاورته لعمه الذي خرج للتجارة تعسف وتكلف جدا
وكان الراهب لا يخرج من صومعته لانه كان يترهب فيها الى احد ممن يمر عليه من ابنا السبيل

لان

لان صومعته كانت على طريق قريش في ممرهم للشام تجارا فكان يراهم ولا يخرج اليهم
لانفراده واشتغاله بعبادته على عادتهم فخرج على خلاف عادته لما نزلوا قريبا منه ابي
طالب والنبي صلى الله عليه وسلم معه وابصرهم وجعل اي صار يتخللهم بفتح المثناة
التحتية والفوقية والخا المعجمة واللام المشددة بعدها لام مخففة اي يدخل في خلالهم
ويمر بينهم ينظرهم واحدا بعد واحد من تخلل النور اذا دخل بينهم كما في الصحاح حتى اخذ
بيده صلى الله عليه وسلم اي امسك يده فقال هذا سيد العالمين اي اشرف المخلوقات
كلهم لما راى منه من الصفات التي علمها في كتبهم يبعثه الله اي يرسله للدعوة الكافة
تقدم ما انباه رحمة للعالمين اي لاجل رحمتهم جميعا لمجيئه بما يسعدهم في الدنيا والاخرة كما تقدم
فقالوا له اي للراهب اشياخ من قريش جمع شيخ وحقيقته الكبير السن ثم شاع في الرئيس
المتقدم على غيره ما علمك بما ذكرته من كونه سيدا ورحمة عامة اي من اين عرفت هذا
قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له وهو شاهد ذلك من صومعته لما نزلوا عنده
ومن معه لم يروا ذلك لاشتغالهم باحوالهم في السفر ولا يسجد الا لنبي تعظيما له اذا
مر بها او نزل عندها والسجود للتحية والاكرام كان سنة عندهم على ان اشاعة انما هو في
حق العقلاء دون غيرهم فانه لا يتصور منهم شرك فالبحث عنه لا وجه له وذكر القصة الى
آخرها مفصلة كما في السير وشهرتها تغني عن ذكرها ثم قال اي الراهب فاقبل صلى الله عليه
عليه وسلم للمنزل وعليه غمامة تظله دون من معه من رفقته فلما دنا من القوم المرافقين
الذين نزلوا قبله وجدهم سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال الفيء
اليه اي الى جانبه الذي جلس فيه والفيء هو الظل والظل بالغداة والفيء بالعشي لانه
من فا اذا رجع وهذا هو اصل معناه لكن لم يستعمل فيه فاستعملوا كلا منهما مقام الاخر
والغمام السحابة السودا او البيضا والمراد الاول وخبر بحيرا صحيح روي من طرق صحيحة
الا انه طعن فيما رواه الحاكم فيه من ان سبعة من الروم اقبلوا يقصدون قتله صلى الله
عليه وسلم فاستقبلهم بحيرا وقال لهم ما جا بكم فقالوا ان هذا النبي خارج في هذا الشهر
وانا بعثنا له فقال لهم ارايتم امرا اراده الله هل يستطيع احد رده قالوا لا فصدهم عما ارادوه
واقاموا معه ورده ابو طالب وبعث معه ابو بكر بلالا وقال الذهبي انه حديث منكر
وانما طعن فيه لان ابا بكر كان صغيرا اذ ذاك ولم يملك بلالا وقيل ان هذا مدرج فيه
من حديث اخر والآفة فيه من راويه وما آفة الاخبار الا رواتها والله اعلم

فصل في الآيات في ضروب الحيوانات

الآيات جمع آية وهي العلامة والمعجزة لانها علامة نبوة النبي والضروب جمع ضرب
وهو النوع حدثنا سراج بن عبد الملك رجال هذا السند تقدموا كلهم مع الكلام عليهم وعلى
اسمائهم فلا حاجة للتكرار الممل ابو الفضل الصقلي بفتح الصاد المهملة والقاف وكسر اللام
المشددة ويا نسبة نسبة لصقلية جزيرة بالاندلس كثيرة الاشجار والثمار قال الشاعر
ذكرت صقلية والاسى • تهيج نيران تذكارها
وكسر صادها خطا وان ذكره البرهان ظنا من عنده ثنا احمد بن عمران ثنا يونس بن عمرو
كذا في النسخ وصوابه وقد سقط منه راو حدثنا احمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل حدثنا يونس

www.alukah.net

بن عمرو كما في بعض النسخ موصولا وهو من رجال مسلم واصحاب السنن الاربعة وترجمه
في شرح وجهها كما تقدم ويونس هو ابن اسحاق السبيعي وهو ثقة صدوق وقيل انه مضطرب
لا يحتج به وترجمته في الميزان توفي سنة تسع وخمسين ومائة عن مجاهد عن عائشة ام
المؤمنين ومجاهد هو ابن جبر كما تقدم قيل ان مجاهدا لم يسمع منها والصحيح خلافه قالت عائشة
كان عندنا داجن من المداجنة وهو لزوم البيوت وسكونها والمراد بها شاة تألف البيت
وتعلف فيه وتطلق على غيرها من الحيوانات التي تربى في البيوت كالناقة والحمام والمراد بقولها
عندنا منزلها الذي تسكنه وكذا في قوله فاذا كان عندنا رسول الله قر وثبت مكانه
اي وقف او ربض في مكانه لا يتحرك تأدبا معه صلى الله عليه وسلم واذا خرج رسول الله
من منزله جاء وذهب اي مشى في البيت وتردد فيه لانه ليس ثمة من يهابه وقيل المعنى انه
لم يعرف لعدم رؤيته اشتياقا له وثبه وهذا حديث صحيح رواه احمد والبزار وابو يعلى والبيهقي
والدارقطني وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم لالف الحيوانات التي لا تعقل به ومهابتها
له وروي داجنه بالهاء وراجن بالراء وقر من القرار وهو السكون وعدم الحركة وروي
عن عمر بن الخطاب في حديث رواه الطبراني والبيهقي وروي ايضا عن عائشة وابي هريرة
وهو ضعيف كما قاله السيوطي وليس بموضوع كما قيل كان في محفل بفتح الميم وسكون الحاء
المهملة وكسر الفاء واللام محل يجتمع فيه ناس كثيرون من حفل بمعنى جمع من اصحابه اذ جاء
اعرابي اي دخل بغتة عليهم رجل من اهل البادية غير معروف قد صاد ضبا جملة حالية بفتح
الضاد المعجمة وتشديد الباء حيوان بري اكبر من الحردون يبيض والاعراب تصطاده هـ
وتأكله فقال الاعرابي للصحابة من هذا سائلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه
ينكره او لم يعرفه قالوا له جوابا نبي الله اي هو نبي الله ورسوله هـ

وليس قولك من هذا بضائره ۞ العرب تعرف من انكرت والعجم

فقال واللات والعزى وهما صنمان عبدا في الجاهلية واصل اللات اللاه فحذفوا
الهاء وادخلوا التاء التأنيث عوضا عنها وهو من لوى سمي به لالتوائهم في طوافهم حولها
وكانت بنخلة والطائف لقريش وثقيف والعزى تأنيث الاعز شجرة من السمرة كانت
لغطفان بعث اليها رسول الله خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها
داعية ويلها فقتلها وقال ۞

يا عزى كفرانك لا سبحانك ۞ اني رايت الله قد اهانك

ثم اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا واقسم بهما لانه لم
يكن مسلما كما يدل عليه ما بعده من قوله لا آمنت بك اي بانك رسول الله او يؤمن بك
هذا الضب بنصب يؤمن اي الا ان يؤمن بك هذا الضب فاؤمن انا بك ايضا بعد رؤية معجزتك
من نطق هذا الحيوان واقراره برسالتك واو بمعنى الا لانتفاء ايمانه وهما ينتصب بعده
المضارع بعد النفي ونحوه فقال له صلى الله عليه وسلم اي للضب يا ضب بالضم لانه منادى
مفرد فاجابه بلسان مبين كلامه او بكلام ظاهر مفهوم يسمعه القوم الذين عنده جميعا
لبيك اي اجابة بعد اجابة لك وهو مثنى منصوب على المصدر كما يقوله النحاة وسعديك
اي مساعدة وطاعة لك بعد طاعة وهو مثله في المعنى والنصب وهما عبارة عن سرعة الاجابة
والانقياد والطاعة يا زين من وافى القيمة اي يا من زين وحسن كل من جاء الى القيمة

والموافاة

والموافاة الحضور والمجيء والقيامة معروفة وانما جعله زينا اي مزينا لاهلها ومزينها
لانه سيدهم وقائدهم والشفيع فيهم وهذه العبارة شائعة في لسان العامة من العرب
فيقولون يا زين القوم لاشرفهم واحسنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للضب من
نعبد سأله ليقر بعبوديته لله فيصفه بما يعرفه به كل احد قال الذي في السماء عرشه
وهو في الاصل سرير الملك والعرش والكرسي اجمالا معلوم وتحقيقه في كتب التفسير
والمراد بالسماء ما يقابل الارض او جهة العلو مطلقا فلا ينافي ما ورد من انه فوق السموات
كما قال وسع كرسيه السموات والارض والكلام في هذا مقام اخر لا تحيط به ظروف الحروف
وفي الارض سلطانه اي في الارض ومن فيها يظهر عدله وحكمه وقهره لمن فيها من الثقلين
وسلطانه وان كان على موجود لكن ظهوره فيمن قد يخالفه ظاهر فيها والسلطان في الاصل
مصدر من التسلط والقهر وفي البحر سبيله اي طريقه التي جعلها مسلوكة لعباده بتسخير
الريح ونحوه مما لا يقدر عليه غيره كما قال وهو الذي يسيركم في البر والبحر ولذا كانت الكفرة
لا يدعون فيه سواه كما قال واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وفي الجنة رحمته
المختصة به العظيمة الباقية وان كان رحيم الدنيا وفي النار عذابه وفي نسخة عقابه
فلما آمن بالله ووصفه بما هو مختص به دال على عظمته قال له ليكمل ايمانه فمن انا اي اذا
امنت فمن انا قال رسول رب العالمين اشارة الى عموم رسالته لكل موجود حتى الجمادات
والحيوانات وخاتم النبيين فلا نبي بعدك كما تقدم وقد افلح وفاز بسعادة الدارين
من صدقك واقر برسالتك وخاب من كذبك بانكار رسالتك وعدم اجابة دعوتك
فاسلم الاعرابي لما رأى من معجزته وعلم علما ضروريا بتوحيد الله والاقرار برسالة
رسوله وهذا حديث طويل رواه البيهقي وفيه ان الاعرابي من بني سليم وانه كان ذاهبا
بالضب ليشويه ويأكله فلما رأى النبي ووقع ما ذكره المصنف من اسلامه قال لا اتبع اثرا
بعد عين والله لقد جئتك وما على وجه الارض ابغض الي منك وانت اليوم احب الي
من نفسي وولدي فلما اسلم وتشهد قال رسول الله الحمد لله الذي هداك ان هذا الدين
يعلو ولا يعلى ولا يقبل الا بصلاة ولا صلاة الا بقرآن ثم علمه الصلاة والقراءة وعلمه
سورة الاخلاص وكان هذا سببا لاسلام قومه وقدومهم على رسول الله وقال ابن دحية انه
موضوع ومن ذلك اي من معجزاته في تسخير الحيوانات وانطاقها قصة كلام الذئب
المشهورة التي رواها احمد والبزار والبيهقي وصححه عن ابي سعيد الخدري
هو سعد بن مالك الصحابي كما تقدم بينا راع تقدم ان بينا من الظروف وان الالف
للاشباع او كافة عن الاضافة فراع محل رفع او جر وهو اسم فاعل من رعى الغنم ونحوها وهو
معروف وقوله يرعى غنما له ذكره لبيان ان الغنم له فليس باجير وانه كان يرعى غنما فان
الراعي قد يرعى غيرها كالابل والبقر واختلف في اسم هذا الراعي فقيل انه اهبان بن اوس
وقد جرى مثل هذه القصة لابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية في ذئب اخذ ظبيا
ولابي جهل واصحابه وفي حديث اخذ الذئب اخذ شاة فتبعه الراعي فقال له الذئب من لها
يوم السبع يوم لا راعي غيري لها وان الذي كلمه الذئب اهبان بن اوس الاسلمي وقيل اهبان
بن عقبة عم سلمة بن الاكوع امر اصحاب الشجرة وقيل اهبان بن الاكوع وعند البيهقي انه رافع
بن ربيعة وقيل اهبان بن صيفي وعن ابن عساكر ان الذي كلمه الذئب رافع بن عميرة الطائي

الألوكة
www.alukah.net

كلمة الذئب وهو في ضان له يرعاها ودعاه الى النبي صلى الله عليه وسلم وامره باللحوق به فقال •

رعيت الضان احميها زمانا • من الضبع الخفي وكل ذيب
فلما ان سمعت الذيب نادى • يبشرني باحمد من قريب
سعيت اليه قد شمرت ثوبي • عن الساقين قاصدة الركيب
فالفيت النبي يقول قولا • صدوقا ليس بالقول الكذوب
فبشرني لدين الحق حتى • تبينت الشريعة للمنيب
وابصرت الضيا يضي حولي • امامي ان سعيت وعن جنوبي
الا ابلغ بني عمرو بن عوف • واخوتهم جديلة ان اجيبي
دعا المصطفى لا شك فيه • فانك ان اجبت فلن تخيبي

وقصة كلام الذئب وقعت مرارا عديدة على انحاء مختلفة وكلامه وان كان لغيره لكن اقراره به معجزة له عرض الذئب اي اتاها الشاة منها اي لاختطافها واخذها فاخذها الراعي منه اذ ادركه وانتزعها من بين يديه وردها فاقعى الذئب اي نكث على عقبه ناصبا يديه كما هو معروف في اقعاء الكلب والذئب وللاقعاء معنى آخر كما ذكره الفقهاء في كتاب الصلاة فقال الذئب بعد اقعائه للراعي الا حرف استفتاح هنا تتقي الله اي تخافه وتحذره حلت بضم الحاء المهملة واللام وتاء الخطاب اي فصلت وفرقت بيني وبين رزق الذي رزقه الله لي قال الراعي العجب من ذيب يتكلم بكلام الانس وفي نسخة البشر وهما بمعنى تعجب من نطقه وليس من شانه ذلك فقال الذئب مجيبا له الا اخبرك باعجب من ذلك اي من كلام حيوان اعجم رسول الله بين الحرتين بفتح الحاء المهملة وتشديد الراء المهملة وتاء تانيث مثنى حرة وهي ثنية مرتفعة ذات حجارة سود كانها اسودت من الحر والحرتان بالمدينة يحدث الناس بانباء ما قد سبق وفي نسخة من قد سبق اي الامم السابقة واحوالهم وانما جعله اعجب لانه اخبار بالغيب معجز عنه اعجب من نطق حيوان انطقه الله الذي انطق كل شي وكون الامر اعجب يختلف باختلاف الاسباب والانبا جمع نبا وهو الخبر فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بكلام الذئب وقصته فقال النبي للراعي قم من عندي اي فاذهب للحاضرين فحدثهم بما شاهدته ليزدادوا ايمانهم ويسرهم ما ظهر من معجزاته والحديث فيه قصة لما فيه من الغرابة وانه من اشراط الساعة لقوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الناس ويكلم الرجل شراك نعله وعذبة سوطه ويخبره فخذه بما حدث في اهله ولما لم يكن في هذا استشهاد لما هو بصدده اسقطه واعتذر عنه بقوله وفي بعضه اي في بعض رواياته طول ولذا تركه لعدم الحاجة اليه هنا وروى حديث الذيب عن ابي هريرة رواه احمد والبزار والبيهقي وصححه والبغوي وابو نعيم بسند صحيح وفي بعض الطرق بعضهن جمع طريق تجوزا به عن الرواية فقال الذيب انت اعجب اي حالك الآن اعجب من حالك في حال كونك واقفا على غنمك اي مراعيا وحافظا لها وتركت نبيا اي وقد تركت الخ فالجملة حالية بتقدير قد لم يبعث الله نبيا من انبيائه السالفة اعظم منه عنده واجل قدرا ومنزلة عند ربه وهو تمييز لنسبة اعظم وقد فتحت له ابواب الجنة بتشديد تا فتحت وتخفيفها اي هيئت واعدت له والجملة حالية ايضا وقوله واشرف اهلها يدل على ان المراد انها انفتحت حقيقة لينظر من فيها من الملائكة والاشراف النظر من مكان عال مأخوذ

من الشرف

من الشرف وهو المكان العالي على اصحابه ينظرون قتالهم اي ينظرون اليهم وهم صفوف واقفون في القتال كصفوف الملائكة وما بينك وبينه الا هذا الشعب بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة ثم با موحدة وهو منفرج بين جبلين يعني انه قريب منك لا عذر لك في التخلف عنه فتصير في جنود الله اذا ذهبت اليه وتصير من حزب الله المفلحين فتخلفك عنه مع هذا اعجب من نطقي الذي تعجبت منه قال الراعي للذيب لما اشار عليه بالذهاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لي بغنمي اي اذا ذهبت من يتكفل لي بحفظ غنمي حتى اجي قال الذيب انا ارعاها اي احفظها واحرسها حتى ترجع اليها من عنده فاسلم اي سلمها للذيب وتركها عنده الرجل وهو الراعي اليه غنمه ومضى الى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر قصته مع الذيب وما كلمه به وما فعله ووجد النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل كما قال له الذيب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما قص قصته وآمن عد الى غنمك تجدها بوفرها بفتح الواو وسكون الفاء اي بتمامها وكمالها لم ينقص منها شي من قولهم ارض وفرة لم يرع نباتها فوجدها كذلك اي تامة غير ناقصة وذبح للذيب شاة منها جزاء له على صنيعه وعن اهبان بن اوس بضم اهبان واوس بفتحها علم منقول بمعناه العطية وهذا الحديث رواه البيهقي والبخاري في تاريخه عنه انه كان صاحب هذه القصة المذكورة في كلام الذيب وانه المحدث بها او مكلم الذيب كما في الروض الانف وانه كان في غزوة ذي قرد وعن سلمة بن عمرو انه اهبان بن الاكوع وانه ابن الاكوع الاسلمي كما قيل ويجوز فتح همزة انه وكسرها كان صاحب هذه القصة ايضا يعني انها تعددت وكانت سبب اسلامه وفي مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي اهبان بن الاكوع اسمه عقبة من الطبقة الثالثة من المهاجرين وهو مكلم الذيب في رواية هشام وقد اختلفوا فيه فقال هشام هو هشام بن الاكوع وعن الواقدي هو اهبان بن اوس الاسلمي صحابي من اسلم نزل الكوفة وتوفي في خلافة معاوية • وحكى ابن سعد عن ابن الاشعث ان مكلم الذيب اهبان بن عباد بن ربيعة بن كعب بن امية بن نفطة بن خزيمة من اسلم • وذكر جدي في التلقيح ان من اسمه اهبان اربعة اهبان بن الاكوع ابو عقبة • واهبان بن اوس الاسلمي • واهبان بن صيفي الغفاري • واهبان بن عباد الخزاعي مكلم الذيب قال وقيل ان مكلم الذيب اهبان بن اوس انتهى ولم يذكر في الرواة منهم سوى اهبان بن صيفي • والحاصل ان مكلم الذيب على رواية هشام ابن الاكوع وعلى قول الواقدي اهبان بن اوس الاسلمي وعلى قول ابن الاشعث اهبان بن صيفي الغفاري انتهى • ففيه اقوال ارتضى المصنف منها قول الواقدي فان كانت القصة تعددت فلا خلاف • وقيل ليس في الصحابة من اسمه اهبان بن عقبة وقد يقال انه غلط من ابي عقبة فليحرر بمثل حديث ابي سعيد الخدري اي روى سبب اسلامه بمثله وقد روى عبد الله بن وهب السابق ترجمته مثل هذا المذكور من كلام الذيب انه جرى اي وقع واتفق الى ابي سفيان بن حرب والد معاوية وام حبيبة المشهور رضي الله عنه وصفوان بن امية الصحابي المعروف وقع هذا لهما قبل اسلامهما وكانا من اشد الناس عداوة له صلى الله عليه وسلم قبل اسلامهما فلما اسلما صارا احب الناس اليه من نفسيهما مع ذيب وجد اخذ ظبيا اي جرى خلفه في الحل ليأخذه بقرينة قوله فدخل الظبي الحرم وانصرف الذيب عنه لانه في الحرم المحرم صيده او انه انفلت منه بعد اخذه فعجبا من ذلك

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اي من كون الذئب عرف حرمة الحرم وكف عن صيده امكنه وهو ليس من العقلاء فقال الذئب
لما سمع تعجبهما او علمه منهما لما اعجب من ذلك الفعل الذي صدر منه محمد بن عبد الله موجود
بالمدينة يدعوكم الى الجنة بدعوته الى الاسلام الذي يقتضي دخولها وتدعونه الى النار
بقولكم له لا نوافقك وتعبد آلهتنا مما هو سبب للخلود في النار وانما كان هذا عجبا لانه مخالف
لما يقتضيه العقل ونطق حيوان اعجم لقدرة الله واقراره ليس بعجيب هكذا في النظر السديد
والعقل السليم وليس باغرب من عبارة الحجارة فقال له ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت
هذا بضم التاء وفتحها هذا اي تكلم الذئب وما قاله بمكة اي ذكرته لاهلها لتتركنها خلوفا
بضم الخاء المعجمة واللام والفاء مصدر او جمع خالف والمراد تركها خالية من اهلها بان يسلموا
جميعا ويرحلون له صلى الله عليه وسلم لان من سمع مثله لا يتردد في صحة رسالته وسعادة من
اتبعه والمراد يدعها واهلها متغيرة فاسدة كما فيها يتم بين اهلها من الفساد باختلاف الكلمة
فالاول من قولهم اتيت الحي فوجدته خلوفا اي ليس فيه احد من الرجال بل النساء ويقال لهن خوالف
لانهن يخلفن الرجال والثاني من قوله لخلوف فم الصائم عند الله اطيب من رائحة المسك
اي رائحة تغيره وقد روي مثل هذا الخبر الذي وقع لابي سفيان وصفوان وانه جرى لابي
جهل واصحابه اي انهم شاهدوا امثاله وسمعوه وتعجبوا منه ولكن الله اشقاه واشقاهم
وعن عباس بن مرداس بكسر الميم وهو من الصحابة شاعر مجيد وشجاع شهم فكان ممن حرم الخمر
على نفسه في الجاهلية كالصديق وجماعة الا انه كان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن اسلامه ونور
الله قلبه لما نعجب لما ظرف متعلق بمقدر اي وقت ذلك او شرطية جوابها قوله فاذا الخ فاء
جواب لما يقترن بالفا لكنه نادر من كلام ضمار بكسر الضاد المعجمة وميم وآخره راء مهملة بوزن
كتاب كما في القاموس وفي بعض نسخ الذيل والصلة للصاغاني ضماد بالدال المهملة وفيه
نظر قاله البرهان الحلبي صنمه بالجر بدل من ضمار فانه اسم صنم كان يعبده مرداس ورهطه
وانشاده بالجر معطوف على كلام الشعر بالنصب مفعول المصدر الذي ذكر فيه النبي صلى
الله عليه وسلم صفة الشعر وضمير انشاده للصنم فانه لما احتضر قال لابنه عباس اي
بني اعبد ضمارا فانه سينفعك ويضرك فعكف عباس يوما عند ضمار وقال انه حجر لا يضر
ولا ينفع ثم صاح باعلى صوته يا الهي الاعلى اهلكي التي هي اقوم فصاح صائح من جوف الصنم

اودى ضمار وكان يعبد مرة * قبل البيان من النبي محمد
وهو الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتدي
قل للقبائل من سليم كلها * اودى ضمار وعاش اهل المسجد

فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فسقط طائر اي خر من الجو بقية عليه
فقال الطائر يا عباس اتعجب من كلام ضمار بالتنوين والصرف الا انه وقع في الشعر غير
مصروف فان لم يكن ضرورة فهو جائز وتعجبه لنطق الجماد بما سمع من جوفه وانكاره لعجبه لانه
كلام شيطان في جوفه وكلام الطائر اعجب منه ولا تعجب من نفسك ان رسول الله يدعوك
الى الاسلام وانت جالس في منزلك متخلف عن اجابة دعوته التي هي السعادة العظمى
فكان ذلك المذكور مما سمعه من الصنم والطائر سبب اسلامه لانه لما سمع ما ذكر نهض
في ثلاثمائة من قومه وهم سليم فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم تبسم وقال له يا عباس حدثنا
بما رأيت فقص عليه القصة واسلم وقيل ان ضمارا كان صنما لخزاعة يتكلمون [illegible] وان قصة

نطقه

نطقه وقعت لعمر بن الخطاب وكانه صنم آخر والقصة ونطق الاصنام واخبارها
ببعثة النبي وقعت مرارا وفيها اخبار مذكورة في السير قيل انما تركها المصنف لان المسموع
منها من الجن وعن جابر بن عبد الله في حديث رواه البيهقي عن رجل اسمه اسلم وعن الواقدي
ان اسمه يسار وهو رجل اسود قاتل بخيبر حتى قتل كما ذكره ابن سيد الناس في سيرته
في غزوة خيبر اتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر
وهو الخ جملة حالية اي وهو مقيم عنده لفتحه والحصون جمع حصن وهي القلعة التي يتحصن
بها لا القصر كما قيل ولا خلاف في هذا الكلام وقيل الضمير للرجل وكان في غنم يرعاها لهم
لاهل خيبر والظرفية بمعنى المعية وهي مجازية كقوله واذا كنت فيهم الآية فقال
يا رسول الله كيف بالغنم اي كيف افعل بالغنم اذا اسلمت وهي ملك غيري وانا اجير
قال احصب وجوهها اي ارمها في وجوهها بالحصباء وهي صغار الحجارة ودقاقها وما قيل
من ان حكمة هذا ان الحصاة وردت بمعنى العقل في قوله

وان لسان المرء ما لم يكن له * حصاة على عوراته لدليل

ومنه الاحصا بمعنى العد افاد اخذ العلم والهداية لها الى اهلها هذيان لا معنى له وانما
المراد انه اذا ضرب وجوهها ولت مدبرة فيردها الله ببركته صلى الله عليه وسلم للرجوع
لمنازل اصحابها حتى يخلص من عهدة ضمانها كما اشار اليه بقوله فان الله سيؤدي اي
يوصلها ويبلغ عنك امانتك وهي الغنم التي سلمت ويردها الى اهلها وهم اصحابها
المالكون لها فتخرج عن عهدة ضمانها ففعل ما امره به رسول الله فسارت كل شاة حتى
دخلت الى اهلها وانما كان هذا لانه كان مستامنا وفي يده امانة لاهل خيبر قبل فتحها فلذا
ردها صلى الله عليه وسلم لاصحابها مع ما فيه من تطمين قلبه بخروجه من عهدتها ولذا لم يجعلها
فيئا مع انه علم انها ستكون كذلك بعد الفتح والراعي كان عبدا اسود رقيقا لبعض اهل خيبر
فلما غزاها النبي صلى الله عليه وسلم وسمع خبر النبي من اليهود جاءه واسلم وحسن اسلامه ثم
واستشهد في تلك الغزاة بحجر اصابه او سهم ولم يصل صلاة قط فشهد له صلى الله عليه
وسلم بالجنة وانه رأى عنده حورتان من الحور العين كما رواه مفصلا في دلائل النبوة
وهذا من معجزاته الظاهرة كما لا يخفى وعن انس في حديث صحيح مسند رواه احمد والبزار
دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائط انصاري الحائط معروف ويتجوز به عن البستان
وهو المراد هنا وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفي الحائط اي البستان غنم فسجدت
له صلى الله عليه وسلم تعظيما له لما شاهدت نور نبوته والهمها الله معرفته فقال ابو بكر
لما رأى سجودها نحن احق بالسجود لك منها يعني لو كان يجوز السجود لغير الله والجار
الاول متعلق بالسجود والثاني باحق وفي بعض النسخ تقديم لك على السجود لانه ظرف
متوسع فيه ومعمول المصدر غيره لا يتقدم عليه لضعف عمله الحديث وتتمته انه صلى الله عليه
وسلم قال له لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد واحد المخصوص بالنفي يشمل الواحد وغيره وخص
بالعقلاء كما صرحوا ففيه اشارة الى ان الغنم ونحوها من غير جنس الناس سجودها تعظيما ليس
ممنوعا كسجود الكواكب ليوسف وعن ابي هريرة قال السيوطي هذا الحديث رواه البزار بسند
حسن وحديث ثعلبة بن مالك رواه ابو نعيم وحديث جابر رواه احمد والدارمي والبزار
والبيهقي ويعلى بن مرة احمد والحاكم والبيهقي بسند صحيح وعبد الله بن جعفر مسلم وابو داود

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وعبد الله بن ابي اوفى وابو نعيم والبيهقي دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا اي بستانا
فجاء بعير كان في البستان فسجد له وذكر مثله اي مثل الحديث الذي قبله وروى مثله في الجمل
عن ثعلبة بن مالك الصحابي وهو ممن استشهد بما حل لكن الذي ذكره ابن عبد البر انه ثعلبة
بن ابي مالك القرظي وابوه قدم من اليمن على دين اليهودية فنزل على بني قريظة ثم اسلم فقوله
ابن مالك صوابه ابن ابي مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر بحديث
الجمل وسجوده روي من طرق متعددة مروية عمن ذكر والقصة واحدة كما بينه السيوطي
قال كل منهم او عبد الله بن جعفر وكان لا يدخل احد من غير اصحاب البستان الا شد عليه الجمل
شد هنا بمعنى اسرع وحمل حملة عليه قال الراغب يقال شد واشتد اذا اسرع وشد عليه حمل
يعني انه كان عقورا هاجا على كل من استنفر به فلما دخل عليه اي على الجملة في البستان دعاه
وامره بالاقبال عليه فوضع مشفره بكسر الميم وفتح الفاء وراء مهملة وهو في الابل كالشفة
للانسان والجحفلة للفرس والخرطومة للسباع والمنقار للطير كما بينه اهل اللغة في الفروق
في الارض وبرك بين يديه البروك للجمل كالجلوس للانسان من البرك وهو صدر الجمل ونحوه
فخطمه اي وضع زمامه الذي يقاد به في راسه وعلى فمه لانه برك عنده وانقاد له مثل الا
بعد ما كان لا يطاق وقال صلى الله عليه وسلم لمن عنده ما بين السماء والارض شيء مخلوق
من الحيوان والطيور وغيرها والمراد بالارض الجنس فيشمل الاراضي السبع الا يعلم وفي
نسخة لا يعلم اني رسول الله بعلم يخلقه الله فيه ويلهمه له الا عاصي الجن والانس اي الا
من عصى الله ورسوله وكفر فانه ينكر معرفتي اي معرفة رسول الله حقا وعاصي يجوز ان
يكون مفردا او ان يكون جمعا واصله عاصين فحذفت النون للاضافة والياء لالتقاء الساكنين
وقدم الجن لسبقهم خلقا ومعصية لان اول من عصى الله ابليس والاكثر حيث اجتمعا تقدم
الجن في القرآن ومثله عن عبد الله بن ابي اوفى هو وابوه صحابيان شهدا المشاهد مع
رسول الله وهو الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم حين اتى بصدقته وقال اللهم صل على
آل ابي اوفى وحديثه مذكور في دلائل النبوة لابي نعيم والبيهقي ولفظه قريب مما ذكره
اولا وفي خبر آخر في حديث الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه لما انه
منهم وبطش بكل من قرب منهم فاخبروه وفي نسخة فاخبر بالبناء للمفعول انهم ارادوا ذبحه
لانه ضعف كما يأتي وفي رواية قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة العلف وهو بفتحتين
فعل بمعنى المفعول والمعلوف يطلق على قوت الدواب من الحبوب وشكايته الظاهر انها
بنطق فهو من المعجزات وفي رواية انه شكى الي انكم اردتم ذبحه ونحوه واكثر ما يستعمل
في الابل النحر وفي غيرها الذبح والفرق بينهما قريب جدا فلذا استعمل كل منهما بمعنى الآخر
ومعرفته ارادتهم بالالهام بعد ان استعملوه اي اكثرتم العمل به من التحميل ونحوه في
شاق العمل اي فيما يشق اي يصعب عليه من العمل وقولهم عمل مشق غير مسموع فكانه مبني
على ان التعدية بالهمزة منفية وفيه خلاف مذكور في كتب العربية من صغره الى ان بلغ
الكبر وعجز عن العمل فقالوا نعم اعترافا بما ذكر فبئس الجزاء الذي ارادوه وهذا الحديث
اخرجه الطبراني وابن ماجه في سننه في غزوة ذات الرقاع عن جابر وتميم الداري وفيه انه
صلى الله عليه وسلم قال ما هكذا جزاء المملوك الصالح بعينه فابتاعه منه وارسله يرعى في
الشجر حتى قوي والحديث فيه طول وقد روي بالبناء للمجهول قيل وهذه القصة بهذا

المفضل

المفضل لا يعرف راويها في قصة العضباء بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة والموحدة
والمد وهو اسم ناقة للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناها المشقوقة الاذن وقد اختلف في ناقته
العضباء والقصواء والجدعاء بالمد فيهما ايضا هل هن ثلاثة او واحدة لها القاب متعددة او
اثنتان فذهب التيمي والعراقي في منظومته الى انها واحدة ولا عضب ولا جدع اي شق اذن فيها
وانما هو لقب وقيل كان باذنها عضب اي شق وفي البخاري ان الجدعاء هي التي هاجر عليها وقيل ان
التي هاجر عليها القصواء وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة فمر بناقة باركة
في الدار فقالت السلام عليك يا زين القيامة يا رسول رب العالمين فالتفت وقال وعليك السلام
فقالت اني كنت لرجل من قريش يقال له اعضب فهربت منه فوقعت في مغارة فكان اذا غشي
الليل احتوشني السباع ينادي بعضها بعضا لا تؤذوها فانها مركب محمد فلما اصبحت رتعت
نادتني كل شجرة الي الي فانك مركب محمد حتى وقعت هاهنا فسميت عضباء باسم صاحبها وفيها
قالت ادع الله ان يجعلني مركبك في الجنة فقال قد قضيت وقد قيل ان هذا الحديث كله في سنده
طعن وقد سميت عضباء وقصواء وجدعاء بدال مهملة وصلماء ومخضرمة والكل متقاربة المعاني
والجدع قطع طرف الاذن فاذا بلغ الربع فهو قصواء فاذا جاوزه فهو عضب فان استؤصل فصلماء
ونقل ابن الجوزي عن ثعلب انها كلها القاب لناقة له ولا جدع لها ولا عضب واختاره في القاموس
وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم كلام بمعنى تكليم مصدر والنبي منصوب به مفعول وتعريفها
له بنفسها كما سمعته آنفا ومبادرة العشب اليها بالدال المهملة مفاعلة من البدار وهو الاسراع ع
وقد تقدم انه كان ينادى لها الي الي فالمراد طلبه ان ترعاه قبل غيره والعشب بالضم معروف
في المرعى اي مكان رعيها وتجنب الوحوش لها اي عدم اذيتها واكلها لها كما مر ونداء بهم لها انك
مركوب لمحمد ولركوبه وضميرهم للعقلاء وعبر به لصدور فعل العقلاء منها وهو النداء كما في قوله
رأيتهم لي ساجدين وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته صلى الله عليه وسلم حتى ماتت من
الحزن والاسف على فراقه قيل انها التي اشتراها ابو بكر من بني الحريش مع اخرى بثمانمائة درهم
فلما هاجر اشتراها منه باربعمائة درهم وقد ذكر قصتها مفصلة ابو سعيد في كتاب الشرف
وكان له نوق اخر كما بينه اصحاب السير كما بينه الاسفرايني وقد تقدم بيان نسبته ومن جملته
وروى ابن وهب هذا الحديث لم يخرجوه واما ابن وهب فتقدم ترجمته ان حمام مكة الموجود
بحرمها الى الآن والحمام كل ذات طوق برية او اهلية وقيل انه مخصوص بالبري وقيل انه كل ما عب
وهدر والعب كرع الماء من غير نفس والهدير ويقال الهديل ترجيع صوت الطائر المعروف اظلت
النبي صلى الله عليه وسلم اي اجتمعت لتجعل ظلها عليه وقاية من الحر فقيل ولذا كانت محترمة لا
تصاد وقيل انها من حاميتي الغار يوم فتحها اي فتح مكة فدعا لها بالبركة فاجاب الله دعاءه فيها
وكانت محترمة لا تصاد وروي عن انس رواه عنه ابن سعد والبزار والطبراني والبيهقي
وابو نعيم وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة قال امر الله ليلة الغار منصوب على الظرفية
والغار غار ثور الذي اختفى فيه لما هاجر وقصته مشهورة مذكورة في القرآن غنية عن البيان
بشجرة فنبتت من وقتها والامر هنا مجاز عن التسخير كقوله كونوا قردة فنزلها منزلة المامور د
وروي بشجرة بالباء وهما بمعنى والشجرة كانت من الطلح تسمى ام غيلان كما قاله السهيلي وهي بمقدار
القامة لها زهر ابيض وهي شبه القطن يحشى به المخاد كالريش خفة ولينا واحمر راه كما
في كتاب النبات قال الشاعر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تري ودك السديف على جاهم • كمثل الرآة لبنه الصفيح

نجاه النبي صلى الله عليه وسلم بضم التاء المثناة الفوقية المبدلة من الواو واصله وجاه اي في مقابلة وجهه بباب الغار فسترته عمن ينظره بحيث لا يراه من طلبه من كفار قريش وامر اي الهم حمامتين ذكرا وانثى فعششا وباضنا على تلك الشجرة فوقفتا بفيه اي بفم الغار لان مثله لا يكون الا بمكان خال من الناس وورد في الحديث فسمت عليهما صلى الله عليه وسلم اي دعا لهما فاغدرا الى الحرم فافرخا كل حمام به وفي حديث الاكل سموا الله ودنوا وسمتوا اي اذا ابدا تم بالاكل كلوا مما يليكم ودنا منكم واذا فرغتم فسمتوا اي ادعوا لمن اكلتم عنده وقيل ان الشجرة جاءت تسعى من مكان آخر تشق الارض كما اشار اليه القايل

فاتت اليه شجرة سترته من • نظر العدو باحسن الاغصان

وفي حديث آخر رواه ابن سعد والبزار والطبراني والبيهقي وابو نعيم عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة وفيه فسمت عليهما ودعا لهما واغدرا الى الحرم فافرخ ذلك الزوج كل شي في الحرم كما تقدم وان العنكبوت نسجت على بابه اي باب الغار وفيه فلما اتي الطالبون له صلى الله عليه وسلم الذين قصدوا اذيته واتبعوه لياخذوه وراوا ذلك المذكور من الشجرة والحمام والعنكبوت بباب الغار قالوا لو كان فيه احد اي في هذا الغار احد من الناس لم يكن الحمامتان تقران ببابه الذي منه المورد والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم لقربهم منه بحيث لو امعنوا النظر راوه فانصرفوا راجعين تاركين للطلب وكانوا فتيانا من قريش مضوا خلفه ومعهم سراقة القايف يقتص اثره فلما انتهوا الى الغار راوا نسج العنكبوت والحمامتان على بيضها فقالوا انه لو دخل احد لم يكن مثل مع فرخهم بحيث لو طاطا احد راسه رآه وفي هذا معجزات شاعت حتى بلغت حد التواتر ورواه المحدثون من طرق كثيرة صحيحة وقد قال فيها الشعرا كثيرا ويعجبني منها قول النقيب

ودود القز ان نسجت حريرا • يجمل لبسه في كل زي
فان العنكبوت اجل منها • بما نسجت على راس النبي

وفيه معان اخر لا نطيل بها تنبيه قول الابوصيري في همزيته

اخرجوه منها وآواه غار • وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت • ما كفته الحمامة الحصداء

الحمامة بتونين هي الدرع لانها تحمي البدن اي تستره والحصداء المحكمة النسج كما في كتب اللغة وهذا البيت حرفه شراحه وصاحب المواهب اذ حملوه الحمامة الحصداء اي الكثيرة الريش وهذا قول من لم يصل الى المنقود ويفسره قوله في البردة

وقاية الله اغنت عن مضاعفة • من الدروع وعن عال من الاطم

وعن عبد الله بن قرط بضم القاف وراء مهملة ساكنة بعدها طاء مهملة وهو صحابي ثمالي وكان اميرا على حمص من قبل معاوية وقتل بارض الروم سنة ست وخمسين واخرج له اصحاب السنن واحمد في مسنده وغيرهم وهذا الحديث رواه الحاكم والطبراني وابو نعيم مسندا قرب بالبنا للمفعول اي ادنى بعض الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات جمع بدنة وهي ما يعد للنحر من الابل خاصة ولا يطلق على البقر وغيرها وان كانت في حكمها شرعا في الاجزاء عن سبعة وقال ابن الاثير هي من الابل والبقر حقيقة وبدنات بفتحات

وقال العزيزي

وقال العزيزي في ابه بدنات بضم الموحدة وسكون الدال ورد بانه على خلاف القياس الا ان يكون جمع بدن فهو جمع الجمع وهو بعيد الا ان تساعده الرواية وسميت بدنة لعظم بدنها خمس او ست او سبع الشك من الراوي لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه افتعال من الزلفى وهي القرب ابدلت تاؤه الا لاجل الزاي اي تقدم كل واحد منهن اليه رغبة في ان ينحرها وانقيادا له بالهام من الله بايتهن يبدا في الذبح وهذه معجزة باهرة

وعن ام سلمة في حديث رواه الطبراني والبيهقي واسمها هند او رملة كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية اي كلمته ظبية بنطق سمعه الناس لا بلسان الحال قالت له يا رسول الله فالتفت فاذا هي موثقة عندها اعرابي نايم قال ما حاجتك حتى نادتيني قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان تثنية خشف بزنة طفل مهملتين وهو الظبي الصغير النحيف ولدته في ذلك الجبل يشير لجبل في تلك الصحرا فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع بنصب الافعال الثلاثة قال او تفعلين اي ترجعين الي ان اطلقتك قالت نعم فاطلقها والاعرابي لا يشعر بذلك فذهبت وارضعتهما فذهبت وارضعتهما ورجعت فاوثقها وربطها كما كانت وانتبه الاعرابي وراى رسول الله عنده فقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت من وثاقها تعدو وهي تقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فالجملة حالية تعدو من مشترا وقد ذكرنا من روى هذا الحديث وصححه ابن حجر لوروده من طرق اخر فلا يلتفت الى قول ابن كثير انه لا اصل له لان في سنده مجاهيل وانما استاذنه النبي صلى الله عليه وسلم لانه ملكها بالحيازة وانك في ملك الغير بغير اذنه ممنوع والواو في قوله او تفعلين محركة عاطفة على مقدر او استينافية على القولين في مثله وفي الحديث معجزات ظاهرة ومن هذا الباب اي باب المعجزات باطاعة الحيوانات ما روي قال السيوطي لم اقف على هذا الحديث هكذا واخرج البيهقي انه وقع لسفينة حين ضل عن الجيش بارض الروم الا ان البخاري ذكره في تاريخه كما قاله المصنف ولا اعتراض عليه من تسخير الاسد اي تذليله وانقياده لسفينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من خدمه رسول الله وهو الذي لقبه سفينة لانه رآه في بعض اسفاره حاملا لامتعة فقال له انما انت سفينة فاشتهر بذلك واختلف في اسمه فقيل رومان وقيل مهران وقيل طهمان وروى عنه مسلم وغيره من اصحاب السنن وفي الحديث مناسبة اتفاقية لاسمه اذ وجهه الى معاذ كالكون باليمن وهو الاقليم المعروف وسفينة من مولدي العرب وقيل من فارس اشتراه رسول الله واعتقه وقيل ان ام سلمة اعتقته لخدم رسول الله وكان صلى الله عليه وسلم ارسل معاذ بن جبل لليمن ليجمع الزكاة فلقي الاسد في طريقه فعرفه فقال له انه مولى رسول الله ومعه كتابه فالهمه الله فهم كلامه وكف عنه فهمهم الهمهمة صوت لا يفهم وقيل صوت فيه بحة وفي الحديث ان سفينة قال ظننته السلام يعني عليه او على رسول الله وتنحى عن الطريق اي تاخر عنه في ناحية متباعدة عن الطريق اذ ذهابا بالخوف وذكر اي سفينة في منصرفه اي انصرافه ورجوعه من اليمن مثل ذلك اي مثل ما وقع له في ذهابه فيكون لقيه في سفره هذا مرتين وفي رواية اخرى عنه اي عن سفينة وهذه الرواية هي التي رواها البيهقي والبزار وصححها السيوطي في تاريخه ان سفينة تكسرت به

الألوكة
www.alukah.net

في بعض اسفاره فخرج الى جزيرة فاذا الاسد اي فاجاه بها اسد لقيته فيها والجزيرة
معروفة فقلت للاسد انا مولى رسول الله فجعل اي طفق وصار يغمزني بسكون الغين
المعجمة وكسر الميم وضمها وزاي معجمة واصل الغمز الاشارة بالجفن فتجوز عن الدفع الخفيف
بقرينة قوله بمنكبه بفتح الميم وكسر الكاف وهو راس الذراع وما بين الكتف والعنق حتى
اقامني على الطريق اي حتى اتاني الى الطريق ليعرفه بما بعده قال البيهقي قال سفينة
وكنت في البحر فانكسرت السفينة فركبت لوحا منها فاخرجني الى اجمة فيها اسد فرايته اقبل
الي فقلت يا ابا الحارث انا مولى رسول الله فاقبل نحوي حتى ضربني بمنكبه ثم مشى معي
حتى اقامني على الطريق ثم همهم ساعة وضربني بذنبه فظننت انه يودعني فكان آخر عهدي
به وفيه معجزة لرسول الله بانقياد الاسد له اذ ذكر اسمه وكرامة لسفينة ايضا واخذ عليه
الصلاة والسلام باذن شاة اي امسكها واخذ المتعدي بالبا بمعنى امسك بخلاف
اخذ فهو تضمين لقوم من بني عبد القيس اسم قبيلة مشهورة باصبعيه باصبعيه بكسر
الهمزة مثنى اصبع معروف وفيه لغات عشر تقدمت ثم خلاها اي نحى اصبعيه عنها وتركها
فصارت لها اي اخذه باذنها ميسما بكسر الميم اصله موسم فقلبت واوه ياء من الوسم
وهو الكي فهو اسم آلة الكي من الحديد فاطلقت على العلامة والاثر مجازا كما تطلق على
العضو الذي فيه الاثر كما ورد في الحديث فيها اي الشاة ونسلها بعد بالبناء على الضم
اي بعدها او بعد اخذه وعهده قالوا وهذا الحديث لا يعلم من رواه من المحدثين وما روي
عن ابراهيم بن حماد بسنده هذا الحديث رواه ابن حبان لكنهم قالوا انه ضعيف من كلام الحمار
ونطقه صريحا بمقاله الذي اصابه بخيبر اي وجده لما فتحها وقال له ما اسمك
قال يزيد بن شهاب وانه من نسل غوستين حمارا كلها لم يركبها الا نبي وقال له كنت
اتوقع ان تركبني اذ لم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبيا غيرك وكنت ليهودي فكنت
اعثر به عمدا فكان يجيعني ويضربني فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفور هو في اكثر
النسخ مصروف منون منصوب لانه مفعول سمى وروي غير منون قيل لمنع صرفه للعلمية
ووزن الفعل كيعقوب قاله التلمساني فيه نظر لان زيادة الواو فيه اخرجته
عن شبه الفعل والظاهر صرفه ويعقوب لم يمنع صرفه لذلك بل للعلمية والعجمة الا ترى
ان يعفر بضم اليا يصرف لذلك قال في الصحاح الاسود بن يعفر بضم اليا منصرف لانه
قد زال عنه شبه الفعل انتهى وليس في اوزان الفعل يفعول وفي هذه المسئلة كلام في
شرح التسهيل. واعلم انه صلى الله عليه وسلم كان له حماران يعفور وعفير وهو الذي
رمى نفسه في البير كما ياتي ويقال لهما واحد قال ابن فورك انه كان من غنائم خيبر وقيل
ان عفيرا كان اشهب وهو مما اهداه له المقوقس ملك القبط وكان له حمار آخر اهداه له فروة
كان يركبه وآخر اعطاه له سعد بن عبادة وقصة يعفور هذه نقلها السهيلي في الروض
عن ابن فورك في كتاب الفصول قال السهيلي وزاد الجويني في كتاب الشمايل انه كان
يوجهه الى دور اصحابه فيضرب عليهم الباب براسه ويستدعيهم ومعنى يوجهه
يرسله الى جهة دور جمع دار ويستدعيهم بمعنى يطلب منهم اجابة دعوة رسول الله لانهم
كانوا اذا خرجوا لدق الباب وراوه علموا انه يطلبهم لا انه يكلمهم لكنه يعلمهم ما امرهم به النبي
صلى الله عليه وسلم بالهام من الله وهو من معجزاته اذ لم يخل له وفهم مراده وان النبي صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم لما مات تردى الحمار اي القى نفسه وطرحها في بير كانت بالمدينة معروفة
لابي الهيثم بن التيهان فكانت البير قبره والتردي تفعل من الردى وهو الهلاك وهو
مخصوص بهلاك من القى نفسه يقال تردى من الجبل وفي البير اذا سقط او القى نفسه فيها
جزعا وحزنا على فراق رسول الله وفقده فمات وكونه صلى الله عليه وسلم كان له حمار
وانه كان يركبه وان ركوبه سنة وانما الكلام في هذا الحديث فانه رواه ابن حبان بسند
ضعيف فيه من طعن فيه حتى قيل انه كذب موضوع كما قاله ابن الجوزي وغيره وقال
بعضهم لا اصل له ومما ذكر من معجزاته في الجماد والبهائم ونطقها حديث الناقة الذي رواه
الطبراني عن زيد بن ثابت بسند فيه مجاهيل والحاكم عن ابن عمر وقال الذهبي انه
موضوع التي شهدت بنطق بين عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها وما ذكرها الذي
قيل انه سرقها فقالت انه ما سرقها وانه ملكه فحكم له بها لان للقاضي ان يحكم بعلمه او
تقول انه من خصايص الانبيا والحديث هو قال زيد بن ثابت غزونا معه صلى الله عليه وسلم
حتى اذا كنا بمجمع طرق المدينة بصرنا باعرابي آخذ بخطام بعير حتى وقف عليه صلى الله
عليه وسلم وقال السلام عليك يا نبي الله فرد عليه فجا رجل وقال انه سرق هذا البعير فرغا
البعير وهو منصت له ثم قال للرجل انصرف فان البعير شهد بانك كاذب الخ وفي العنز
اي في حديث العنز الذي اخرجه ابن سعد والبيهقي وابن عدي عن سعد مولى ابي
بكر التي اتت رسول الله صفة العنز في عسكر حال اي وهو في عسكره وقد اصابهم
عطش ونزلوا على غير ماء اي في مكان لا ماء فيه وهم زهاء ثلثماية اي قريب عددهم
تخمينا من ثلثماية رجل وقد تقدم الكلام على زهاء ومعناه وضبطه فحلبها رسول الله
يحتمل انه على ظاهره وان يكون امر بحلبها والاسناد مجازي فاروى الجند باجمعهم لما
سقاهم فشربوا حتى زال ما كان بهم من العطش والري ضده ومنه اروى والعسكر والجيش
والجند بمعنى ففيه تفنن واسناد اروى للنبي لانه سببه بحلبه وسقيه فهو مجاز ايضا
ان لم نقل فاعل اروى ضمير يعود على ما حلبه المفهوم مما قبله ثم بعد ثم قال صلى الله عليه
وسلم لرافع براء وعين مهملتين بينهما الف وزاي بزنة اسم فاعل من الرفع علم الصحابي كان
عنده تقدمت ترجمته املكها اي اخذها واتخذها ملكا لك لانه لا صاحب لها اذ وجدت
بارض العدو ويحتمل ان يكون معناه شدها واوثقها والملك من ملاك الامر وملاك العجين
ونحوه وما اراك ما كالها او فاعلا ذلك وهو بضم الهمزة مبني للمجهول اي لا اظنك
تملكها فربطها وشدها بوثاق ثم ذهب ورجع فوجدها قد انطلقت اي اغفل وثاقها
ومضت وغابت عنه فالفا فصيحة رواه اي حديث هذه العنز ابن قانع بقاف ونون
وعين مهملة وغيره من الرواة من غير هذه الطريق فقد رواه البيهقي وابن عدي قالوا
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وكنا اربعماية فنزلنا في موضع ليس فيه ماء
فشق ذلك علينا واعلمنا ذلك فجاءت شويهة لها قرنان وقامت بين يديه فحلبها
وشرب حتى روي وسقانا حتى روينا وقال يا نافع املكها الليلة وما اراك تملكها فاخذ
وربطت لها ونمت ثم قمت في بعض الليل فلم اجدها فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان
لها ربا فقال يا نافع ذهب بها الذي جاء بها وما قيل من انها ليست من جنس حيوان الدنيا
وانما هي ككبش الفدا وانما سماها عنزا لكونها على صورتها لا وجه له ومثله من خلاف الظاهر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يحتاج للرواية والذي اوهم ذلك قوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم للنافع
لما اخبره بانطلاقها ان الذي جاء بها هو الذي ذهب بها يعني الله او الملك ومن
هذا القبيل ما روي انه قال لفرسه عليه الصلاة والسلام والفرس واحد الخيل يطلق
على الذكر والانثى الا انه مونث سماعي وسمع فرسه وكان صلى الله عليه وسلم له افراس
عدة مذكورة في السير باسمايها ومن ابن ملكهما ولا داعي لتفصيلها هنا كما ذكره بعضهم
وقد قام الى الصلاة في بعض اسفاره والفرس غير مربوط ولم يامر احدا بامساكه
بل خاطب الفرس وقال له لا تبرح اي لا تزل من مكانك الذي اوقفتك فيه من
البراح وهو المكان الواسع وبرح بمعنى ثبت في مكانه وبمعنى زال وهو نفي معنى
فاذا دخل عليه صار نفي نفي وهو اثبات كما هنا فمعناه اثبت والزم كما حققه النحاة
واهل اللغة بارك الله فيك دعا له بالبركة وقد تقدم تحقيقها حتى نفرغ من صلاتنا
ونتمها وهو غاية لثباته في مكانه وجعله قبلته اي جعله في جهة قبلته ساترا وما
لمن يمر بين يديه وفيه دليل على جواز الاستتار بالحيوان والكلام عليه مفصل في كتب
الفقه لا حاجة لذكره هنا فما حرك عضوا من اعضايه وهو بضم العين وكسرها
وسكون الضاد المعجمة معروف حتى صلى اي تم صلاته صلى الله عليه وسلم وفيه
معجزة له لفهم الحيوان كلامه واطاعته له وانقياده لعلمه بانه رسول الله وفي بعض
النسخ هنا زيادة وهي ويلتحق بهذا المذكور من معجزاته ● ومن كلام الحيوانات لانه فهم
لغة لم يعرفها كفهم العربي كلام العجمي قريب منه ومشابه له ما رواه الواقدي
صاحب السير وهو محمد بن عمر بن واقد قاضي العراق وعالمها وقد قيل فيه انه ضعيف
ونسب للوضع وقيل انه مجمع على ضعفه ونازع فيه بعضهم وقال كفى برواية الشافعي عنه
دليلا على صحة ما رواه وترجمته في الميزان مفصلة وفي اول سيرة ابن سيد الناس ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله جمع رسول الى الملوك
من العرب والعجم لما فشى الاسلام وقوي فخرج ستة نفر منهم اي ستة رجال والنفر اسم
جمع للثلاثة فما فوقها الا انه يستعمل بمعنى الرجل الواحد كما بيناه في شرح الدرة وقد صرح به
الكرماني في شرح البخاري وهو عربي فصيح ايضا في يوم واحد خرجوا من عنده فيه
فاصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذي بعثه صلى الله عليه وسلم اليهم من غير
مضي زمان يحتمل التعلم فيه وتفصيل الرسل ومن ارسلوا اليه مفصل في السير ايضا وهذا
معجزة له صلى الله عليه وسلم وللرسول بركته لهم ● خاتمة مما يلتحق بمعجزاته في الحيوانات
والجمادات ما ذكر في بعض الكتب وشاع في الاقطار ونظمه الشعرا في فصيح الاشعار من
انه كان في بعض الاحيان اذا مشى غاص قدمه في الحجارة بحيث بقي ذلك الى الآن وارتسم
فيها مثاله بعينه والناس تتبرك به وتزوره وتعظمه كما في القدس وينقل عنه لمصر في
اماكن متعددة حتى قيل ان السلطان قايتباي اشتراه بعشرين الف دينار واوصى بجعله
عند قبره وهو موجود الى الآن وانه اذا مشى على الرمل احيانا لا يكون لقدمه اثر فيه الا ان
هذا لم ينضبط لانه امر غريب لا نعرفه الا من كان حاضرا وقد ذكر هذا السبكي في تائيته وعزم
قال الامام القسطلاني في المواهب اللدنية كان صلى الله عليه وسلم اذا مشى على الصخر غاصت
قدماه فيه كما هو مشهور قديما وحديثا على الالسنة ونطق به الشعرا في قصائدهم النبوية

والبلغا

٤٦٦

والبلغا في منثورهم ثم اعتضاده بوجود اثر قدمي الخليل في حجر المقام المنوه به
في التنزيل في قوله فيه آيات بينات البالغ تعيينه وانه اثر مبلغ التواتر وفيه يقول
ابو طالب ● وموطئ ابراهيم في الصخر رطبة ● على قدميه حافيا غير ناعل ●
وبما في البخاري من معجزة موسى بتاثير ضربه في الحجر ستا او سبعا الحاقن بثوبه حين اغتسل
وقد مر ما من معجزة لنبي الا ولنبينا مثلها صلى الله عليه وسلم ● ويويده وجود اثر حافر
بغلته صلى الله عليه وسلم في مسجد بطيبة عرف به الى الآن يقال له مسجد البغلة وما
ذاك الا من سر الساري فيها ليكون اوضح في الدلالة على انه اوتي مثل ما اوتي الخليل على
وجه اعلى منه ● ونقل المجد الشيرازي عن ابن النجار في المغانم المطابة بعد ذكر لحافر
البغلة ومسجدها ان في غربي هذا المسجد اثر كانه اثر مرفق يذكر انه اتكى عليه بمرفقه
فاثر فيه وفي آخر اثر اصابعه انتهى ● وممن ذكر اثر البغلة السيد السمهودي في تاريخ المدينة
وقال انه مسجد بني ظفر من الاوس في البقيع بطرف الحرة الشرقية ويعرف بذلك وذكره
ابن النجار في تاريخه ايضا لكن قال محمد بن يوسف الدمشقي في سيرته ان هذا لا وجود
له في شيء من كتب الحديث وممن انكره برهان الدين الناجي وقال السيوطي في فتاويه لم
اقف له على اصل ولا سند ولا رايت من خرجه في شيء من كتب الحديث وتبعه تلميذه العلقمي
في شرح الجامع الصغير وزاد انه لم يوجد في شيء من التواريخ المعتمدة فلا يسوغ نسبته له
صلى الله عليه وسلم وقد تعقبه من علماء عصره الشيخ الصالح المحدث احمد المنوفي شارح
الجامع الصغير فقال بعد ما ساق ما قدمناه مفصلا سبحان من لا ينسى كيف هذا السيوطي
وقد قال في خصايصه الصغرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وطئ على صخر الا واثر
فيه وعزاه للحافظ رزين العبدري انتهى ● قلت لا سهو ولا نسيان فان السيوطي لم
ينكر هذه المعجزة وانما انكر ما يوثر بعينه في الاماكن التي ذكرها وكذا ما قاله صاحب المواهب
الا ان ما نقله السيوطي ما وطئ على صخر الا واثر فيه لا ينبغي لان الظاهر انه كان في اول البعثة
ككلام الحجر والشجر الذي تقدم ● واما كونه لا اثر لقدمه في الرمل فقد رواه ابن سبع والبنا
وغيرهما بسند ضعيف وقال انه الطف خلق الله واخفهم ولذا لم يوثر مشيه في الرمل ولا
بنا فيه ما ثبت في الحجر فانما هو لبقا اثره وتبكيت جاحده فانهم اقتبس من الحجارة الا انه وقع
في الاحيا ما يقتضي خلافه لانه نقل فيه اثرا فيه ان بعض الصحابة انكر على ابي موسى دعاه على
المنبر لعمر اذ لم يذكر ابا بكر فقام من الملا بالمسجد وقال له ابن من كان قبله فشكاه لعمر
فامر باشخاصه اليه من البصرة فلما جاء دق عليه الباب فخرج اليه فقال له لم ازعجتني
من وطني فسأله عن سبب شكايته امره منه فقص عليه القصة فبكى وقال والله ليوم وليلة
لابي بكر خير من خلافتي يعني باليوم لما قام على المنبر خطيبا يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم
وبالليلة ليلة ذهابه معه الى الغار فكان يمشي تارة خلفه وتارة امامه وتارة يحمله فيقصد
بذلك اخفاء آثار اقدامه في الرمل حتى لا يشعر به من يقص اثره ● قلت وكان هذا
مستند ابن خلدون في مقدمة تاريخه اذ ذكر فيها ان الدعا للسلاطين في الخطبة سنة وان
كان الزركشي قال في كتاب المساجد انه بدعة لا ينبغي تركها لخوف الفتنة فاعرفه فانه
من الفوايد النفيسة والله الموفق للصواب ●

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تم الجزء الأول من شرح كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى

تأليف المولى الفاضل والألوذعي الكامل
شهاب أفندي ابن شيخ الإسلام أبي بكر
الخفاجي المصري عامله الله بلطفه في
الدارين وحشره ووالديه مع الحمرين
بحرمة من شرف الروضتين
آمين

يتلوه في أول الجزء الثاني فصل من معجزاته في إحياء الموتى وكلامهم

على يد كاتبه وما بعده أحمد شهاب المصري
الحنفي عسى الله أن يرفع قدره ويطلع من
أفق العلى بدره آمين آمين

وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

شبكة الألوكة
www.alukah.net